دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات
الاسلامية وبشؤون الثقافة
والفكر



العدد الأول . السنة الرابعة
جمادى الاولى 1380 . اكتوبر 1960
ثمن العدد درهم واحد

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

حول أهداف المجلة

استقبلت مجلة « دعوة الحق » بهذا العدد عامها الرابع في حياتها المباركة ـ بحول الله ـ وهي كما عهدها القراء تحاول جهد الاستطاعة ان تكون مصداقا حقيقيا لاسمها . فللمجلة دعوة في الدين تنشرها بأعلام من يحفظون اصوله ، ويحررون قواعده وفصوله . من المجددين الذين قال الرسول عليه السلام في حقهم « يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين . فيعرضونه على الخاصة والعامة خاليا من الاوهام والاباطيل والتدجيل والاضاليل ، عرضا سليما يبينون فيه اخلاقه ويجلون به احكامه العادلة وافاقه ، عرائس تستلفت الانظار ، وتستهوي الابرار والاحرار ، بما فيها من قيم روحية ، ومبادىء سامية ، تبعث الهمم ، وتحفظ الذمم ، وتتكون منها خير الروابط الاجتماعية بين الافراد والامم ، وغرض المجلة من نشر هذه الدعوة هو حفظ المجتمع المسلم من تيار هذه الموجة الكاسحة من الاباحية والانحلال ، حتى يعم الاعتراف من جديد بفضل تشريع هذا الدين واخلاقه ، وآدابه على المجتمع .

ولهذه المجلة رسالة في عالم الثقافة تريد أداءها فتكون صفحاتها معرضا تتجلى فيه بحوث علمية وتاريخية واجتماعية من مختلف العلوم والفنون القديمة والحديثة

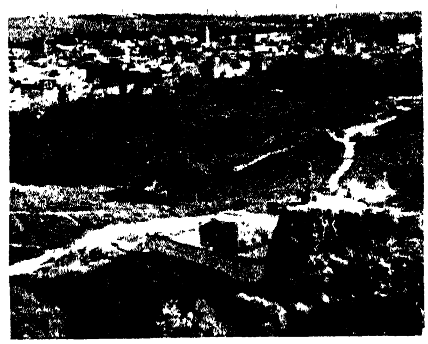
مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد الأول
السنة الرابعة
جمادى الاولى 1380
أكتوبر 1960

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

صورة الغلاف



منظر لمدينة فاس العاصمة العلمية حيث اقيمت ذكرى مرور احد عشر قرنا على تأسيس القرويين .

بيانات ادارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «**دعوة الحق**» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 1.000 فرنك ، والشرفي 2.000 فرنك فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
« **دعوة الحق** » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الرباط ـ

DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «**دعوة الحق**» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنيه والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ الرباط

وان وزارة الاوقاف اذ تريدمزيدا من التشجيع المعنوي والمادي لهذه المجلة ولغيرها من مشاريعها الحيوية التي تستعد لها حتى تستطيع القيام بها على اتم الوجوه انما تريد المساهمة فى رفع المستوى العلمي والديني والادبي لهذا الشعب العزيز . فان كثيرا من الناس رغم اعترافهم بفضل هذه المجلة لا يساهمون بانتاجهم فيها على غناهم الفكرى وتوفر طاقتهم الانتاجية فى هذا الموضوع كما ان الاقبال على اقتنائها لا يزال غير تـــام وغير مناسب للمجهودات التي يبذلها الوزارة فى هذا السبيل . فقلة رواج الكتـــب ومنها المجلات العلمية يشكو منه كثير من المفكرين فى هذا البلد . فمتى نخرج المغرب من هذه العزلة الفكرية عن العالم ؟

وان هذه المجلة تدعو من جديد علماء الدين بما فيهم من رؤساء المعاهد للمشاركة فى تزويد المجلة بآراء ناضجة ومعلومات قيمة تبين مزايا الدين وتحببه الى النفوس، كما تدعوهم لانتقاد ما يرونه مستحقا للنقد من الوجهة الدينية والعلمية حسب اصـــول الاسلام وقواعد شريعته واصول المناظرة العلمية ، وتدعو المجلة كذلك اقطاب العلـــم والادب وخصوصا الذين وقع تعيينهم سفراء للمغرب فى الخارج ان ينشروا ملاحظاتهم عن احوال تلك الامم التي يعيشون فيها من اجتماعية وعلمية واقتصادية من كل مـــا يعتقدون فيه مصلحة وفائدة للمغرب . فان هذا العمل من اهم ما يقومون به لفائـــده المغرب . ولاننكر ان بعض رؤساء المعاهد وبعض السفراء يساهمون ويقومون بمجهودات يشكرون عليها ، ولكننا نرجو مشاركة الباقين من هؤلاء جميعا فى هذا الموضوع واخيرا يشكر المجلة المفكرين والكتاب الذين اصبحت المجلة بفضلهم مجلةدعوة دينية وابحاث ادبية واجتماعية راجية من المولى سبحانه ان يديمهم مصدر خير وبركة على هذا البلد الامين وان يجعل خصب افكارهم كالشجرة الطيبة تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ؛ ويكون ظلالها وارفة وقطوفها دانية ، ينفئ ظلالها وينعم بثمراتها كل راغب وطالـــب وباحث ومستنهد . والله يحب المحسنين .

دعوة الحق

نرفع المستوى الفكري ونفتح الآفاق العلمية والادبية امام روادهما ونربط ماضينا المجيد بمستقبلنا السعيد ، وتظهر مالنا من تراث فكري وادبي ورصيد روحي ، ومساهمة جلى في مضمار الحضارة الانسانية بمعناها الاوسع ، كما تبين مالنا من استعداد وامكانيات لمسايرة التطورات العلمية والادبية والانسانية في العصر الحديث.

ولهذه المجلة الرغبة الصادقة في احياء اللغة العربية لغة الدين والوطن ، التي تظلم بلاد العروبة جمعاء ، وتحتضن جميع التراث الاسلامي في مختلف الانحاء ، فتعمل المجلة على الدعوة الى تعميم تلك اللغة في كل المدارس والمعاهد ، والمصالح العامة والدوالب الحكومية والشعبية ، حتى تعود الى ما كانت عليه في سالف عهدها ، لغة الدين والعلم والفلسفة والادب والحضارة ، وستدأب المجلة على نشر ادبها الرفيع ، وقصصها البديع ، الذي تحتفظ بالطابع الاخلاقي الجميل وتكون مغاربه ومراميه ذات قصد نبيل ، دون ادب المجون السخيف ولهو الحديث وتهييج الغرائز ، واستهواء النفوس المريضة ، الذي هو من اكبر العوامل في هذا الانحلال والالحاد ، اذ المجلة تعتبر الادب خادما للمثل العليا ، لا معولا هادما للمجتمع .

وقد ساهم بالفعل كثير من العلماء والمفكرين من اصحاب الاقلام العالية في تجلية هذه الاغراض السامية ، بكل عناية واهتمام. فسدت هذه المجلة فراغا كبيرا في مجتمعنا من هذه الناحية حتى ذكر بعض كتاب الشرق انها وجه العرب في المغرب ، على اننا نعتبرها وجه عرب المغرب في المشرق اذ بواسطتها وبمقالاتها نرى اخواننا العرب بعض مزايا المغرب ، فهي ترجمانه الصادق .

وان وزارة الاوقاف التي تبنت هذا المشروع في وسطنا الاسلامي وانفقت عليه بسخاء انما تنفذ اوامر مولانا صاحب الجلالة محمد الخامس نصره الله . ذلكم الملك الصالح والامام المعظم الذي لا يريد غير الاصلاح الكامل لاحوال رعيته الدينية والاجتماعية والذي اقام الدليل تلو الدليل بارشاداته وتوجيهاته على عنايته وحبه ووفائه لهذا الشعب الذي يبادله حبا بحب ووفاء بوفاء ، وان وزارة الاوقاف والارشاد لتشعر بالغبطة في نجاح مشروعها ، الذي انما هو يدعم لقيم الامة الروحية التي تحرص هذه الوزارة على اسنادها وتقويتها في الامة ، لان ذلك من اجل المقاصد في اعمالها المختلفة الميادين الا انها لا تزال تؤمل مزيدا من التقدير والتشجيع المعنوي والمادي لهذا المشروع فان هذا البلد اتسع لجميع الوان الحياة الاجتماعية في العصر الحاضر بما فيها من كماليات ولهو ومجون ولكنه ضاق عن المشاريع العلمية والادبية التي هي المظهر الرائع لكل الامم الراقية ، والعنوان البارز لمبلغ حضارتها ، ولا يمكن لاي امة ان تسعد في الحياة ماديا ومعنويا الا اذا عاش العلم في كنفها ، وانزلته منها منزلة الروح من الجسد ، وهذا هو الصراط المستقيم الذي خطه لها الاسلام ، صراط العمل المثمر النافع الذي يكفل حياة العزة والكرامة تحت راية العلم والاخلاق ، وسائر الاعمال الصالحة الخالدة .

للعلماء ويرجع الفضل فى اصطباغهم بهذه الصبغة الى جامعة القرويين التي كانت لها ءاثار بعيدة المدى فى تكييف الحياة المغربية وتوجيهها باستمرار اذ هي التي مكنت للاسلام فى نفوس المغاربة واطلقت السنتهم بالعربية وخطت لهم النهج الذي ساروا فيه زهاء الف عام كما يتبين ذلك من الابحاث والدراسات التي اعدت بهذه المناسبة ؛ فمنذ تاسيسها سنة 245 هجرية اصبحت المهد الذي تدرس فيه الحضارة الاسلامية والمنبع الذي تتفجر منه الثقافة العربية فى غرب العالم الاسلامي ٠

وصارت لها رسالة سامية وقفت نفسها على ادائها فى المغرب وما وراءه من اقطار وامصار فلا عجب ان صارت مهوى الافئدة وقبلة الانظار ، واستأثرت بعطف جميع الملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب ورعايتهم وتاييدهم ، حتى رجعت مدرسة



جلالة الملك يلقي خطابه التاريخي

شهيرة ذات انصار ومريدين ومذهب معروف ومنهج واضح فى البحث والتحليل والاجتهاد والافتاء تسارع الى التدريس بها علماء الاقطار المغربية والاندلسية وتسابق الطلبة من القارة الافريقية ومن اوربا لطلب العلوم التي كانت تقرأ بها والتي كانت تعدو علوم الشريعة واللغة الى العلوم المشاعة بين البشر من فلسفة ومنطق وحساب وهندسة وادب وتاريخ وطب وموسيقى وتنجيم ٠

خطاب جلالة الملك في ذكرى تأسيس القرويين

في 10 اكتوبر 1960 القى صاحب الجلالة سيدى محمد الخامس اعزه الله الخطاب التالي فى القرويين بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية الحادية عشرة لهذه المؤسسة العلميه التي حجت اليها الوفود الغفيرة من العلماء والاساتذه وممثلي الجامعات والهيئات العلمية فى مختلف الاقطار لتشارك فى الاحتفال بمرور احد عشر قرنا على انشائها .

حضرات السادة :

يسرنا كثيرا ان نفتتح فى هذا اليوم العظيم الحفلات والمهرجانات المقامة بمناسبة ذكرى مرور أحد عشر قرنا على تاسيس جامعة القرويين .

ويطيب لنا ان نرحب بحضرات الممثلين الجامعيين وكافة الاساتذه المحترمين الذين تجشموا عناء السفر ووفدوا على بلدنا لحضور هذه الحفلات والمهرجانات مجددين بذلك ما بيننا من صلات علمية وممهدين السبيل لتعاون اقوى بين بلدنا وبلدانهم فى الميدان الثقافي .

حضرات السادة :

ان عظمة الشعوب وتفوقها ونباهتها تعرف من خلال مالها من تعلق بالروحانيات وتمسك بالاخلاق وجنوح الى العلم والآداب والفن واقتباس من اشعاع الفكر والعقل ، اذ افضل ما استعمله الانسان اقامة الدين الذي تصفو به السرائر وتزكو النفوس واقامة الدنيا التي يتعايش فيها الناس ويتعاملون .

ولقد اثر عن المغاربة فى ماضيهم ــ ومنذ خروجهم الى الوجود كشعب ذي كيان متميز بتشبثهم بالدين الحنيف وهيامهم بكل فضيلة وتقديسهم للعلم وتقديرهم

الدين سيوضع لهم الدستور

للأستاذ عبد الله كنون

تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاستدعى نخبة من رجال العلم والفقه والسياسة واناط بهم مهمة وضع دستور البلاد الذي يدعم كيان الدولة وينظم شؤون الحكومة ويحدد حقوق الشعب الاساسية ، والمهمة عظيمة جدا ، ولذلك فان الفكر العام قد شغل بها غاية الشغل ، ولم تفتأ الصحافة تتناولها بالكتابة والتعليق منذ نشر نبأ هذا الاستدعاء. وقد شارك في الكتاب والمعلقين من عرف قدره فتناول الموضوع بما يلقي بعض الضوء على المبادئ والاصول التي يجب ان تبنى عليها الدستور ، ومنهم من ركب رأسه فصار يملي افكاره الخاصة بل ارادته على الناس كأنما الدستور له وحده دون سائر المساكنين في هذا الوطن .

والذي يجب ان يعرفه كل واحد هو ان المغرب قطر يسكنه اثنا عشر مليونا من الناس كلهم يدينون بالاسلام ويقدسون العروبة ويتمسكون بمغربيتهم اعظم تمسك . وهذا باستثناء اقلية صغيرة من اليهود كانت قبل هجرة الكثير منهم الى فلسطين المغتصبة تعد بمائتي الف نسمة . وبعض ذوي الافكار المضادة لهذه المبادئ وهم مهما بالغنا في تعدادهم تصديقا لدعواهم فلن يتجاوزوا بضع مئات .

اما اسلام المغاربة وايمانهم القوي فلا نحتاج الى اقامة الادلة العديدة عليه من الماضي . وتاريخهم في خدمة هذا الدين الحنيف معروف ، وانما ننظر الى واقعهم الحالي فنجد انهم من اعظم شعوب الاسلام تمسكا به وغيرة عليه ودفاعا عنه وقياما بشعائره وخضوعا لشرائعه . ويكفي المرء ان يدخل الى المساجد العديدة التي لا تخلو منها قرية ولا بلدة ليرى افواج المصلين في الاوقات الخمسة تكاد تغص بهم هذه المساجد ويرى الذين تفوتهم الصلاة في هذه الاوقات لمانع من شغل وغيره يعاقبون على المسجد ويؤدون ما عليهم من فرائض فيما بين ذلك ، اما صلاة يوم الجمعة فان المساجد لا تكفي بالفعل لاستيعاب المصلين لها مهما اتسعت وكثرت ولذلك فان الجماهير الغفيرة من المومنين يصلونها في الساحات والرحاب المتصلة بالمسجد على مرأى ومسمع من المارة . ولا يتركونها بحال لانهم يعلمون ان الجماعة فيها واجبة . . وبدافع هذا الشعور الديني القوي يبني المغاربة كل عام في مختلف المدن والقرى عشرات المساجد من مالهم الخاص ولا سيما في الاحياء الجديدة التي لا يكون فيها مسجد للاوقاف ويقومون بتكاليف تسيير هذه المساجد مدة تقصر أو تطول حتى تتسلمها منهم الاوقاف .

ومثل الصلاة وهي العمود الفقاري للدين الزكاة والصيام والحج فان المغاربة يؤدون هذه الواجبات كلها ولا يتهاونون بها مطلقا ، اما الزكاة وهي اثقلها على النفس لتعلقها بالمال فان من لا يخرجها من المغاربة اقلية ضئيلة . نعم الكثير منها يذهب في غير محله ولو نظم امرها وتكلف بها من يقبضها من الناس ويصرفها في مصارفها الحقيقية لما امتنع من ادائها احد ، واما الصيام فلا يخفى ما للمغاربة به من عظيم

ولئن اتت على الجامعة القروية فترة من الزمان تخلفت فيها عن مماشاة التطور العلمي فانها لم تتخلف في وقت من الاوقات عن اداء رسالتها الاصلية اذ انقلبت الى حصن نلوذ به حضارة الاسلام وتعتصم به ثقافة العروبة في هذا الجانب الغربي من بلادهما وصارت تقف موقف الذائد عن حماهما الحافظ لكيانهما .

ولما وضعت الخطط في عهدنا لانقاذ المغرب مما كان يكابده ويعانيه لم يعزب عن احد اهمية الدور الذي يمكن ان تقوم به جامعة القرويين في نهضة المغرب الجديدة لذلك اوليناها عناية خاصة رغم العراقل والاشواك التى بثت في طريقنا فوضع لها نظام جديد وادخلت على برامجها ومناهجها تحسينات سعيا في احياء مجدها واسترداد عظمتها واعدادها لدور جديد .

ولما استعاد وطننا حريته واستقلاله صار من الضرورات الوطنية الاكيدة القضاء على الفوارق المحدثة في التعليم واتجهت الانظار الى توحيد وتوجيه الثقافة في كافة ارجاء البلد نحو هدف جامعة القرويين أي منح المكانة المرموقة للثقافة الاسلامية وتكييف التعليم بها وقد ابينا الا ان نركز شخصية القرويين الفذة فأمرنا باضفاء حلة جديدة عليها تجعل منها جامعة مجهزة بكل المقومات التي تمكنها من مسايرة واقع العالم الحديث ومواصلة اداء رسالتها وضمان مستقبل المتخرجين منها .

ومن مظاهر العناية بها والتجديد الذي ادخل عليها انشاء حي جامعي مجهزا احسن تجهيز نقلت اليه الدراسة من جامعها العتيق وتعليم جميع العلوم باللغة العربية الى جانب العلوم الاسلامية ورفع مستوى الدراسة بها مما يعين متخرجيها على الاضطلاع باعباء الماموريات الاسلامية والوطنية التي تنتظرهم ويجعل الثقافة في البلد وحدة منسجمة .

حضرات السادة :

اننا لمغتبطون بهذه الفرصة السعيدة التي اتيح فيها لعدد من مشاهير الجامعيين ، وكبار الاساتذة والمربين ، ان يجتمعوا في مدينة فاس الفيحاء احدى حواضر الاسلام الكبرى ، وقواعد العروبة العظمى التي ظلت زمنا طويلا المنار السامق الذي يهدى رواد المدنية والمورد العذب الذي ينهل منه طلاب المعرفة في اقطار المغرب، والقارة الافريقية ، ونشكر السادة العلماء على الابحاث والدراسات التي اعدوها بمناسبة هذه الذكرى ونخص منهم علماء الاقطار الاسلامية ، التي اشتركت جامعاتها ومعاهدها مع جامعتنا القروية في خدمة العلوم والفنون ونشر الثقافة الاسلامية العربية كما نشكر اعضاء اللجنة المشرفة على تنظيم هذه المهرجانات على ما بذلوه من جهود .

البسطاء من الناس ، نكون واسطة بين الشرق والغرب، والشرق قد اتصل قبلنا ولم ينتظر وساطتنا ، والغرب يرى تنكرنا لتراثنا الفكري والحضاري الضخم فيتأهب لالتهامنا حين لايبقى لنا رصيد روحي ولا خلفي يثير حفاظنا ويبعث نخوتنا ؟ . . .

اننا اذن مقبلون على معركة حاسمة بالنسبة لمستقبل المغرب ، فاما ان يكون عملنا عملا بناء هادفا يرتكز على اسس متينة من مقدساتنا وواقعنا الاجتماعي وحياتنا البيئية المبنية على النظافة والطهارة وعدم الاثارة وحينئذ فان المغرب سيسير في طريقه نحو النمو والتقدم والازدهار بخطى ثابتة وسريعة وبتعاون جميع العناصر والطبقات من المواطنين والمواطنات . واما ان ننحرف ونميل ونترك الطريق السوي والنهج القويم فنضحي بالاثني عشر مليونا من اجل خاطر الاقلية التي لايكون حتى اثنين في المائة فقط من اجل ان يقال عنا اننا تقدميون متحررون كما قالت جريدة اسبانيا الطنجية يوم استقبلت اول فوج من المسيحيين الذين اكتسبوا الجنسية المغربية في حين ان المسلمين الذين يولدون فوق التراب الاسباني لا يسمح لهم القانون الا برعوية منقوصة (1) . . وفي هذه الحال فان دستور المغرب سيكون نسخة لاغير من دساتير الدول اللادينية ولا سيما القدوة العظمى فرنسا المطروبول ، وفي هذه الحال سنبقى وحدنا وسنخسر الشعب باجمعه وان كنا سنكسب تصفيق الخوارج والمتملقين .

ان المغاربة الذين نحن في خدمتهم عرب مسلمون دستورهم الخالد هو القرءان وقانونهم العام هو الشرع الاسلامي فعلى هذا الاساس يجب ان يوضع دستور الدولة التي تحكمهم ومن هذين المنبعين النيرين يجب ان يستمد ذلك الدستور مبادئه واصوله ، وهذا ان لم يكن ايمانا بالقرءان ولا بالشرع الاسلامي فليكن ايمانا بالديموقراطية التي هي حكم الشعب من غير تحريف لها ولا تزييف . وبموجب هذه الديموقراطية التي يتبجح بها الجميع لايكون الحكم الا للاكثرية . واي اكثرية هذه ؟ انها الاكثرية الساحقة على حد التعبير المقتبس من اللغات الديموقراطية . .

وعلى كل حال فنحن لانطمع في ديموقراطية اكثر من ديموقراطية الانجليز الذين يقسم رئيس دولتهم بمقتضى دستورهم على حماية الكنيسة الانجيلية والمذهب البروتستانتي من غير ملاحظة لما يضمه الشعب البريطاني من ملايين الكاثوليك وغيرهم من اتباع الديانات الاخرى ، وفي نص الدستور على ضمان حقوق الاقليات مرضاة للجميع ، وفي نصه على المساواة القانونية بين جميع السكان نفي لكل حيف يحتمل وقوعه على الاقليات . . وما عدا ذلك فانما هو استجداء من الاكثرية او انانية من الاقلية ، وكلا الوصفين لايليقان بالمواطن الحر ، والتوفيق من الله .

---

1) وقانون لانديجينا في الجزائر هو من قبيل هذه الرعوية عند فرنسا .

من ادعية الرسول في الصلاة

في المسند والسنن عن شداد بن اوس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته :
« اللهم اني اسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد واسألك قلبا سليما ، ولسانا صادقا ، واسألك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم ، واستغفرك لما تعلم ، انك انت علام الغيوب » .

الاحتفال . واعتبارهم شهره عيدا من الاعياد ، وانه لم يكن احد منهم يخل به حتى طغت علينا هده الحربه الموبوءة التى نرجو ان تكون الدستور وقاية لنا من عقابيلها الفتاكه . واما الحج فالبرغم من اتعابه ونفقاته الباهضه حتى قال بعض العلماء انه ساقط عن اهل المغرب ، فان حجاج المغاربة كل عام يعدون بالآلاف . ولولا العراقيل التي توضع في سبيله واستغلال شركات النقل لضعفة الحجاج لكان عددهم اضعافا مضاعفة عما بلغ اليه لحد الآن .

هذا بالنسبه الى اركان الدين العظمى ، واما السنن والفضائل وادب السلوك العام ، فان المغاربة ما برحوا يزنون جميع اعمالهم بميزان الشرع الشريف ويحرصون اشد الحرص على عدم مخالفته فى قول أو فعل . ومن ثم نرى هده الثورة التي تصطرم بها جوانحهم على ما شاع فى العهد الجديد من الفسق والفجور ، ومعاقرة الخمور ، والاستهانة بامور الدين فى كثير من المظاهر والاعمال لما ان القوانين العصريه لاتعرض لدلك بنفي ولا اثبات ، والشرع الدى يعاقب على ذلك قد عطل أو لم يبق بيد اهله نفوذ ، والى هذا فان المجتمع المغربى لا يزال فى عوائده وتقاليده اسلاميا سيما الا عند بعض المنحرفين الذين اشربوا اليهم فيما قبل

على ان اعظم حجه على تدين المغاربه وتمسكهم بالعقيدة الاسلاميه هو ما نراه ونسمعه من تملق بعض الساسة للعاطفة الدينية عند الشعب المغربى وتظاهرهم باحترام شعائر الاسلام ، وان كانوا فى باطنهم يستخفون بها رغبة فى تأييد الجماهير الشعبيه لهم وكسب اكثر ما يمكن من الانصار .

واما تعلق المغاربة بالعروبة وانتماؤهم الى القوميه العربية فلا ادل عليه من هذه الصيحات المتواليه من جميع الطبقات بوجوب تعريب التعليم وتعريب الادارة على العموم . ومن تأييد فكرة المغرب العربى الذى هو الجناح الايسر للجامعة العربية ، ومن الحماس المنقطع النظير الذي قابل به الشعب المغربى الانضمام الى هذه المؤسسة العتيده بعد ما سوف اليه منذ فجر الاستقلال ، ومما يبديه فى كل مناسبة من التضامن مع الشعوب العربية لنصرة قضاياها المختلفة، ولا سيما قضية فلسطين الشهيدة ، واستعداده

للتضحية بالنفس والنفيس فى سبيل تحريرها وانقاذها من الاستعمار الصهيونى الغاشم ، الى غير ذلك مما هو خبر بمعلوم .

واما تشبثهم بمغربيتهم وما لها من خصائص ومقومات فيظهر فى قوة عاطفتهم الوطنية ومحافظتهم على عوائدهم الاجتماعية وفى نظام بيوتهم ومعيشتهم وما الى ذلك .

نعم هذه هي المثل العليا التي من اجلها يعيش كل مغربي مغربى . وعلى هداها يسير ، وفى سبيلها يعمل ، ثم هي من حيث حرصه عليها وتعلقه بها وتقديسه لها على هذا الترتيب الذي ذكرت به ، فالمغربية تلى العربيه واذا تعارضتا فرضا وتقديرا فهو عربى فكرا وشعورا وانف الوطنيةالاقليمية الضيقة راغم، تماما كما لو تعارضت العربية ــ وهى لا تتعارض ــ مع الاسلام فهو مستعد للتضحية بها والتنكر لها احتفاظا بعقيدته وتمسكا بدينه الدى لايبغي به بديلا ، فالذى يريد ان يسوس المغرب ويحظى بثقة المغاربه عليه ان يرعى هده المبادىء الثلاثة فى كل عمل يعمله وكل سياسة ينهجها ، والا فانه سيبوء بالفشل الذريع والخذلان الشنيع .

ان اول انطلاقة تحررية جديه باجماع الآراء . هي التى انبعثت من خطاب طنجة التاريخى سنة1947 وهى التي اعلن فيها جلالته الملك ان اتجاه المغرب الطبيعى نحو الشرق الاسلامى والبلاد العربيه . فالذين يقولون اليوم ان المغرب من الغرب او انه واسطة بين الشرق والغرب انما يحاولون فصم العرى المتينة التي بينه وبين اخوانه المسلمين والعرب تمهيدا للانزلاق به نحو التبعيه الغربية والانسلاخ من قوميته العربية الاسلامية ، ولو كان من الشعوب العربية من يصح له ان يدعى هده الدعوى لكانت مصر التي سبقتنا للاتصال بالحضاره الغربية بقرن ونصف والتي تعد اليوم من علمائها وخبرائها وفنييها عشرات المئات ان لم نقل الآلاف . على ان خديويها الذى لم يفهم نفسية شعبه وقال ان بلادى قطعة من اروبا قضى بقية حياته منفيا فى اروباه ! . . فكيف نحن ببضع (ليسانسات) فى الحقوق الفرنسية ، من غير عربية ، او ببعض أفكار (شيوعية) يخلب بها السياسيون الفاشلون عقول

لحزب هتلر النازي ، وزعم بروكلمان ان البيروني كان يفتخر بآريته ، يعني لانه فارسي فهو يتصل بالنسب الآري الذي يفتخر به هتلر وحزبه ، وكان بزعمه يبغض العرب ويحتقر علومهم (بحق) لانهم ساميون ، ولم يكن في امكاني حينئذ ان ارد عليه في هذا الزعم الاخير لاني كنت في عاصمة البلاد الالمانية في حكم هتلر الذي يدعي انه مصلحة روزنبرك ، ان البشر ينقسمون الى قسمين : قسم آري وهو الاعلى الكامل الذي انشأ المدنية ، واكتشف المكتشفات واخترع المخترعات ، وانشأ العلوم وحملها بجدارة واستحقاق ، وهو الذي يستحق ان يسود ويقود ، وقسم غير آري وهو بضد ذلك عنصر غير صالح لانشاء المدنية والعلم ولا لحملهما ، وحقه ان يستعمر ، ويجب على الجنس الآري ان يسخره ويقوم بتدبيره والمحافظة على صحته والعدل بين افراده ووضع مناهج العمل له .

وكان العلماء الالمانيون يعترفون بهذا الرأي ويمجدونه ، ولما اشتدت وطأة الحكم الهتلري ما كان احد يستطيع ان يجهر بمعارضته . كما انه لم ينزل احد من العلماء لاظهار الموافقة عليه الا النادر ، ومن هذا النادر بروكلمان .

وان الاستاذ باول كالي قد اقترح علي ترجمة مقدمة كتاب الجماهير في الجواهر للبيروني مع التعاليق عليها ، وجعل ذلك موضوعا لرسالة امتحان شهادة الدكتوراه ، فترجمت المقدمة وعلقت عليها ، ولما [illegible] الاستاذ باول كالي من حكومة هتلر الى بريطانية في سنة 1939 انتقلت من جامعة بن الى جامعة برلين واتممت دراستي على يد الاستاذ ريشارد هارتمان ، ثم احد في تلك المقدمة شيئا اولى بالتعليق من تلك الفقرات التي اختلقها عدو الاسلام والعرب مارتن هارتمان واثرها وزاد فيها بروكلمان فتجردت لردها وتعقبتها بالبراهين القاطعة من كلام البيروني نفسه [illegible] وعقبت على بروكلمان لانه ظن ان الجو خلا له [illegible] ويقول ما يشاء ان يقول وحسب ان المسلمين والعرب نائمون في غفلة عن مكائده ، ومكائد استاذه الذي نقل عنه ذلك الهراء ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولهما الويل مما يصفان . ووافق العلماء الالمانيون العشرة الذين ناقشوا رسالتي وحكموا لي على اشهر مؤلف في هذا العصر من المستشرقين لا في المانية وحدها بل في سائر البلاد الاوربية بحق لهم ان يفخروا بحرية الفكر ونصر الحق بقطع النظر عن قائله وهو طالب عربي غريب ، ولا مجال هنا لتفصيل ذلك الرد لطوله ، ولكني اذكر عبارة شاذة قالها البيروني في كتاب الصيدنة الذي الفه في شرح مفردات الادوية ، وقد قال فيه ، ان الصواب في هذه الكلمة هو الصيدنة بالنون لا باللام كما هو مشهور . والكلمة التي قالها البيروني في تفضيل اللغة العربية على اللغة الفارسية هي قوله : انا لا احسن اللغة العربية ولا الفارسية ولكن الهجو بالعربية خير لي من المدح بالفارسية ، يعني انه يفضل ان يهجى بالعربية على ان يمدح بالفارسية ، وهذه غاية المبالغة في حب العربية وانهم حبا يزيد على حب العرب انفسهم لها ، وخصوصا في هذا الزمان الذي طغى فيه الاستعمار الروحي على المادي ولا سيما في هذا الوطن المغربي المنكوب الذي نرى ابناءه يتراطنون بلغة الاستعمار فيما بينهم بدون ضرورة ، شيء يدمي القلوب ويشمت الاعداء ويسوء الاصدقاء . قبل شهرين كنت راجعا من فاس الى مكناس بعد القاء درس الوعظ في جامع الاندلس فبينما انا في اثناء الطريق اذا بجماعة من رجال الدرك قد استوقفت السيارات واخذت تجري عليها امتحانا دقيقا ، فمنها يمضي ويبتعد ، فبعض السيارات نجحت في الامتحان فسمحوا لها باستئناف السير وبعضها عثر جدها فرسبت وبقيت محجوزة تنتظر العقاب ، وكانت سيارتي من الناجحات باستئناف السير في ذلك الليل البهيم ، فلم يمض الا قليل حتى اعترضت طريقنا جماعة اخرى من رجال الدرك وارادوا اجراء الامتحان مرة اخرى فاخبرناهم ان السيارة قد امتحنت [illegible] بها وادوا بها قبل عشر دقائق فنجحت ، فلم يقبلوا واصروا على اعادة الامتحان فاعادوه فظهر لهم ان الضوء الاحمر الخلفي الذي يعطي الاشارات للسيارات الآتية من الوراء متوقف فقالوا استعدوا لان تدفعوا الف فرنك غرامة بعدا او نسجل عليكم عقوبة مخالفة ، فقلت لهم تجاوزوا وكان احدهم يتكلم مع صاحبه فاراد ان يودعه فقال له بالعجمية : (بون نوي) .

وكنت مغتاظا عليه فوجدت فرصة الكلام فقلت له : لغة الاستعمار حلوة لذيذة لا تستطيعون ان تفطموا انفسكم عنها ! فقال لي : كيف كيف ؟ يعني ان الكلام بالعربية والفرنسية سواء . فقلت له : هذا مسخ ودناءة وخزي وعار ، وهل يوجد على وجه الارض شخص عنده شرف وذرة من الوطنية يسوي بين لغة قومه ولغة الاستعمار . فقال لي : ان هذه اللغة هي الرسمية عندنا في عملنا .

دواء الشاكين وقامع المشككين

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 8 -

التعليق

الجنس الابيض :

جاء في كتاب (الانسان ذلك المجهول) لالكسيس كاريل (ان الانسان يمكن ان يرتقي باتساع دماغه وسمو فكره وحينئذ يتحقق فكرة المدينة الفاضلة التي ذكرها الفيلسوف المغربي ابن باجه في تدبير المتوحد . ثم قال ان الجنس الابيض موصوف في الوقت الحاضر . ولعله يلمح بذلك الى ان الانسان الكامل (سوبرمان) قد يكون من الجنس الابيض ويكون هو الصالح للبقاء وتنقرض الاجناس الاخرى كالصينيين واليابانيين والاندونيسيين والهنود السمر والحمر والافريقيين السود . ويبقى الاشكال في الامم المتصفة بالبياض وليست اوربية ولا امريكية كالاتراك والفرس واكثر العرب والجراكسة والبلوجستانيين بل وبعض الاوربيين المتصفين بالسمرة في جنوب اوربا . لا يعرف مصيرهم ايقتصر عليهم تطبيقا لقانون بقاء الاصلح ام يشفع لهم اخوانهم ويكون الحكم للغالب .

فاذا كان الامر كذلك فما المانع من دخول الامم المتصفة بالبياض وهي غير اوربية ولا امريكية فان كان سر الترقي كامنا في اللون وحده فلا فرق بين ابيض وابيض . وان كان السر كامنا في كونهم اوربيين فهما كان لونهم فلماذا لم يتفوقوا في الزمان الغابر حين ازدهرت المدنية الصينية والهندية والاشورية والبابلية والقبطية والفينيقية واخيرا العربية . وفي كل ذلك كان الاوربيون يغطون في نومهم ويتخبطون في اوحال جهلهم وتوحشهم واين كانت ادمغتهم الراقية المخلوقة من نور ؟ وكيف طرأ عليها التبدل بعد مضي تلك الاحقاب والازمان المتطاولة ؟ فهل نزل عليها وحي خصها الله به دون سائر الخلق ؟ وهل احتقار الاجناس الاخرى كالاسيويين والافريقيين وهنود امريكا واختطاف الزنوج من ديارهم وجلبهم الى امريكا ومعاملتهم معاملة الحيوان الاعجم والاستعمار وما ادراك ما الاستعمار قتل الشعوب الآمنة في عقر ديارها واستعبادها واغتصاب اموالها وتسخيرها في خدمة اللص المستعمر . وتطبيق المستعمر العنصري كذلك من وحي هذه الادمغة العبقرية ! وما احسن ما قال الشاعر :

اذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

وهذه الفكرة الكاذبة الخاطئة مستولية على عقول الاوربيين . عالمهم وجاهلهم وذكيهم وغبيهم وسادتهم وسوقتهم ، حتى ان العالم الشهير المؤلف كارل بروكلمان تورط فيها . فنقل من ترجمة تاريخ الهند للعالم الفيلسوف الكبير ابي الريحان محمد بن احمد البيروني لمترجمه مارتين هارتمان اكاذيب اخترعها هذا الاخير منها ان البيروني كان مسلما في الظاهر فقط ولم يكن مسلما في الباطن لان علمه وعقله اجل من ان يقبل الاسلام . ومنها انه كان سنيا في اول الامر فلما اجتمع بالسلطان محمود بن الغزنوي صار شيعيا . ومنها انه كان فارسيا متعصبا للدولة الساسانيين التي قضى عليها العرب وكان يبغض العرب ، ويحتقر علومهم . وهنا زاد الناقل كارل بروكلمان (بحق) انتهى كلامهما بنصه وفصه مترجما بحروفه ، وقد نقلت كلام هارتمان بنصه الانكليزي ، وكلام بروكلمان بنصه الالماني . ورددت عليه في رسالتي التي قدمتها في جامعة برلين . واحرزت بها لقب دكتور في الفلسفة على حد تعبير الاوربيين وفي الادب على حد اصطلاح العرب . وقد ناقش هذه الرسالة عشرة من علماء جامعة برلين احدهم استاذي المرشد رشارد هارتمان فوافقوا بالاجماع على ردي لتلك الترهات التي اخترعها مارتين هارتمان واستحسنها بروكلمان وسود بها صحائف كتابه (تاريخ الادب العربي) وزاد عليها تلك الكلمة الاجرامية وهي قوله (بحق) ، اقترف ذلك تزلفا

توحيد هلال رمضان والأعياد

لفضيلة الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله

كنت كتبت فى هذا الموضوع كتابة القيت فى اذاعة المغرب هذه مدة تقرب من خمسة اعوام .

وقد احببت ان انشر ذلك ــ مع زيادة على ماكتبته اولا ونقص منه وتغيير يسير ــ بمجلة دعوة الحق الغراء راجيا من الله التسديد والتوفيق .

اذا رييء هلال رمضان فى بلد فهل تلزم رؤيته اهل البلاد البعيدة ؟ فى ذلك خلاف .

وقد نسب بعض اصحاب كتب الخلاف العالى لزوم ذلك لهم فى مشهور مذهب مالك وممن نسبه لهم الحافظ ابن حجر فى الفتح .

وكذا نسبه لهم الامام شهاب الدين القرافى المالكى فقال فى الفرق الثانى بعد المائة من فروقه ان المالكية جعلوا رؤية الهلال فى بلد من البلاد سببا لوجوب الصوم على جميع اقطار الارض ووافقتهم الحنابلة على ذلك وما ذكره صاحب الفروق هو ظاهر كلام خليل المالكية فى مختصره حيث قال وعم ان نقل بهما عنهما . قال بعض شراحه ، سائر البلاد قريبة او بعيدة ولا يراعى فى ذلك مسافة او اختلاف المطالع ولا عدمها . لكن قيد ذلك بعض شراح المختصر وحواشيه بان لاتبعد المسافة بين البلد الذي رييء فيه الهلال وبين البلاد التى لم ير فيها بعدا كثيرا كالاندلس من خراسان ونقلوا عن ابن عبد البر حكاية الاجماع على هذا القيد . غير ان هذا الاجماع الذى حكاه ابن عبد البر غير مسلم اذ كيف يسلم مع ان صاحب الاقناع فى فقه الحنابلة يقول واذا ثبتت رؤية الهلال بمكان قريبا او بعيدا لزم الناس كلهم الصوم وحكم من لم يره حكم من رآه ولو اختلفت المطالع ــ نصا ا هـ ــ المراد منه .

وحكى العلامه عبد الحكيم الافغانى الحنفى فى كشف الحقائق شرح كنز الدقائق فى فقه الحنفية الخلاف فى اعتبار اختلاف المطالع قائلا بعد كلام : وانما النزاع فى اعتبار اختلاف المطالع بمعنى ان كل قوم يعمل بمطلعهم ولا يلزمهم العمل بمطلع غيرهم ام لايعمل ويلزمهم العمل فيجب العمل باسبقهم رؤية فيعمل المغربى برؤية المشرقى اي مثلا فقيل بالاول لان كل قوم مخاطبون بما عندهم كما فى اوقات الصلاة وظاهر الرواية الثانى لتعلق الخطاب (كذا) ولعله اراد لتعلق الخطاب بالرؤية .

وقال العلامة الشيخ مرتضى فى شرح الاحياء وكلامه أوضح من كلام عبد الحكيم الافغاني : وقال اصحابنا (يعنى الحنفية) لاعبرة باختلاف المطالع فاذا ثبت فى مصر لزم سائر الناس فيلزم اهل المشرق برؤية اهل المغرب وقيل يعتبر .

فانظر كيف نسب الشيخ مرتضى القول بتعميم الرؤية لظاهر مذهب ابى حنيفة وعبر عن مقابله عند الحنفية بقيل المؤذنة بضعفه .

وقد نسب كتاب الفقه على المذاهب الاربعة الذى وضعته وزارة الاوقاف بمصر بعناية هيئة من كبار علماء هذه المذاهب القول بوجوب الصوم على سائر الاقطار لافرق بين القريب منها والبعيد اذا رييء فى بلد دون باقي البلاد للمذاهب الثلاثة المذكورة .

واما مذهب الشافعى فقد وجد الخلاف عندهم كذلك فى هذه المسألة قال الحافظ ابن حجر فى الفتح وهو من كبار الشافعية وقال بعض الشافعية ان

فقلت له : ان كلمه الوداع ليست من الاعمـال الرسمية ، الا يستطيع صاحبك ان يقول لك : اصبح بخير او ليلة سعيدة، اونحوذلك؟ فلما عجزعن الدفاع، قال لي : من انت ؟ فقلت له : قد رايت اسمي في اوراق السيارة وما حاجتك الى معرفتي ، اعمل بالقانون الذي عندك ، فاصر على ان اخبره باسمي فاخبرته فاعتذر وقال : سامحني . واخذ يصلح مع السائق شـؤون السيارة . وانما اغتظت عليه في اول الامر لانه بدا الكلام بفظاظة وانتهت القضية بسلام. ورايت اختين مغربيتين صغيرتين تحدث احداهما الاخرى بالفرنسية .

واما في الدوائر الحكومية فالعربية اجنبية ، ولكن لابد لهذا الليل من آخر .

كنت اتكلم مع رئيس شركة التامين على السيارات وهو فرنسي قح في الرباط فقال : انى نصحت اولادى فقلت لهم : انكم ولدتم في المغرب ونشأتم في المغرب ، ولن تستطيعوا ان تعيشوا الا في المغرب ، فتعلموا العربيـة فانكم ان لم تفعلوا فسيذهب احدكم الى دار البريد بعد عشر سنين او على الاكثر بعد خمس عشرة سنة ، فلا يستطيع ان يقضى حاجته الا بترجمان . فياليت المغاربه يفهمون هذه الحقيقه التي فهمها هذا الرجل الفرنسي البعيد النظر .

ورب قائل يقول لقد خرجت عن الموضوع اكثر من مرة وصيرت مقالك هذا كسفينة نوح في جمعها بين البشر وانواع الحيوان فاقول في الجواب : ان الاستطراد عادة لازمة لي ، لان الحديث كما قيل ذو شجون وكثير من الناس يجدون في المقال المشتمل على فنون يرتبط بعضها ببعض من المتعة ما لا يجدونه في المقال المنسق المنحصر في لون واحد ، والذي نعتقده وندين الله به ان البشر كلهم نوع واحد وان اختلفت اجناسه ، فـان العقل والتفكير الذى كرم الله به بنى آدم لا يختلف باختلاف الالوان والاشكال وان العلم والمدنية ليسا وقفا على جنس بعينه، الا ان حب السيطرة والاستعباد يحمل الظالمين على التنكر لهذا المبدأ القويم وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون .

دعاء المولى ادريس عند عزمه على بناء مدينة فاس

قال في الانيس متحدثا عن المولى ادريس لما اراد الشروع في بنائها رفع يديه وقال اللهم اجعلها دار علم وفقه ، يتلى بها كتابك وتقام بها حدودك ، واجعل اهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما ابقيتها ، ثم اخذ المعول فابتدأ بحفر الاساس فلم تزل منذ بنيت دار علم وفقه وسنة والجماعة بها قائمة قال وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والاطباء وغيرهم فهي في القديم دار فقه وعلم وحديث وعربية وفقهاؤها هم الذين يقتدى بهم جميع فقهاء المغرب لم يزل ذلك كذلك على ممر الزمان .

اثر الكلمة الطيبة

للأستاذ محمد نمر الخطيب

قال تعالى وهو اصدق القائلين :

« قلنا اهبطوا منها جميعا . فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لما حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » .

بهذه الموعظة الاولى . وهذه الكلمات البينات . والآيات الرائعات . خاطب الله سبحانه الاصول البشرية عندما اهبطهم من السماء . واسكنهم هذه الارض . وجعلها لهم مستقرا ومستودعا . وكما جعل سبحانه الشمس والقمر دائبين وسخرهما لامداد العالم بالنور والضياء والحياة كذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين لامداد العالم والخلق بالضياء والنور والحياة .

فما خلت امة من رسول ؛ ولا جماعة من نبي . من لدن ابي البشر آدم الى المبعوث بآخر هدايات السماء مولانا محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

كل ذلك لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ولله الحجة البالغة .

ومن الواضح الجلي : ان اولى وظائف هؤلاء المختارين لهداية الخلق : الوعظ والارشاد ، ودلالة الناس على ربهم ، وادخال الايمان في قلوبهم ، وتركيز الطاعة في جوارحهم . سالكين في ذلك سبيل الحكمة : من لسان عذب ، وكلمة طيبة ، ودعوة بالحسنى ، واسوة حسنة.

ومن حكمة الله سبحانه ان هذه القلوب . وان قست . فكانت كالحجارة أو اشد قسوة الا ان الكلمة الطيبة . والموعظة الحسنة . تجعله ينقلب رقة . ويسيل لطفا . ويطفو حنانا . كذلك الارض الجامدة الهامدة . المقفرة الكالحة . فاذا واتاها الغيث وامطرها السحاب ونزلت عليها رحمة الله اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج . واصبحت جنة الناظرين .

ولما كان سيدنا محمد عليه السلام آخر الانبياء . ولا نبي بعده امر علماء هذه الامة بوراثته وجعلهم كالانبياء . في واجب الابلاغ . والامر بالمعروف . والنهي عن المنكر . واقامة سوق الوعظ وبث صحف الهداية والارشاد وربطهم بخالقهم سبحانه . والآيات في هذا الموضوع كثيرة . والاحاديث اكثر من ان تحصى

ولقد كان المسلمون في خير يوم كانوا يتواصون بالحق . ويتواصون بالصبر .

وكانوا في عزة يوم ان كان عالمهم يرشد جاهلهم . وكبيرهم يأخذ بيد صغيرهم .

وكانوا خير امة اخرجت للناس ، لامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

وكانوا امنع الامم جانبا ؛ يوم عرفوا سر قوله تبارك وتعالى : واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة .

ولهذا كانت عناية سلف هذه الامة بهذه الناحية عظيمة ، وعظيمة جدا .

تقارب البلاد كان الحكم واحدا وان تباعدت فوجهان لايجب عند الاكثر واختار ابو الطيب وطائفة الوجوب وحكاه البغوي عن الشافعي .

وقد نسب الخطابي القول بالتعميم للجمهور قال الشيخ منصور علي ناصف في كتابه غاية السول شرح التاج الجامع للاصول وقال الجمهور اذا ثبتت رؤية الهلال في بلد وجب على كل المسلمين العمل بها وعليه الثلاثة قاله الخطابي .

ومما ذكرناه نستبين ان الاجماع الذي حكاه ابن عبد البر غير مسلم ونعلم منه ايضا صحة ما نقله العلامة بناني في باب الاجتهاد من مختصر خليل عن قواعد المقري قال: قال بعض احذروا احاديث عبد الوهاب واجماعات ابن عبد البر واتفاقات ابن رشد وخلافات اللخمي

واما حديث كريب المبوب له في بعض شروح مسلم بما نصه (حديث لكل قوم رؤيتهم)

وهو ان ام الفضل بنت الحارث بعثته الى معاوية في الشام قال فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل على رمضان وانا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال فقال متى رأيتم الهلال فقلت رأيناه يوم الجمعة فقال انت رأيته فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية فقال لكنا رأيناه يوم السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين يوما او نراه فقلت افلا نكتفي برؤية معاوية وصيامه فقال لا هكذا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد قال فيه الامام ابن دقيق العيد كما في اختصار الشيخ تنوير يمكن ان يكون مستند ابن عباس فيما ذكر حديث : اذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا وهو الظاهر عندي وهو حديث عام لايخص النازلة .

وفي الابي نقلا عن القاضي عياض عدم اعتداده برؤية معاوية يحتمل انه بناء على مذهبه ان لكل قوم رؤيتهم او لانه لم يقبل خبر الواحد او لامر كان يعتقده في ذلك او لاختلاف افقهم وقيل لان السماء كانت بالمدينة مصحية فلما لم يروه ارتابوا في الخبر ثم قال الابي وهي كلها خلاف قوله هكذا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويكفي في قول رد الابي وهي كلها الخ قول ابن دقيق العيد وهو اي حديث صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته حديث عام لايخص النازلة ا هـ . ولو كان هناك حديث خاص لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله .

ثم اقول قد زرت العلامة الاكبر شيخ الجامع الازهر الاستاذ محمود شلتوت في ادارة الازهر بعد قفولي من حج سنة 1378 فتذاكرت معه في مسألة توحيد هلال رمضان والاعياد فذكر لي ان توحيده وعمل كل الامصار برؤيته في بعض البلاد دون بعض هو راي معظم فقهاء الامصار وامر باحضار قصاصة من جريدة اظنها جريدة الاهرام نشرت فيها الحكومة فتوى له يتضمن ان العمل بتعميم رؤية الهلال في سائر الاقطار اذا رئي في بعضها دون بعض هو رأي جل الفقهاء

والمقصود مما تقدم كله البحث في الاجماع الذي حكاه ابن عبد البر اذ كيف يسلم الاجماع المذكور مع وجود ما يخالفه في المذاهب المتبوعة في الامصار ولهذا قال العلامة الشوكاني في نيل الاوطار بعد حكايته الخلاف في هذه المسألة ان الاجماع لايتم والمخالف مثل هؤلاء

واذا كانت المسألة خلافية وكان الاجماع الذي حكاه ابن عبد البر منقوضا غير صحيح وكان التعميم هو مذهب الجمهور كما قال الخطابي وشيخ الازهر فلا بأس بتوحيد هلال رمضان والاعياد وغيرهما في الاقطار الاسلامية عملا بمذهب الجمهور من علماء الاسلام الذاهبين الى ان وجوب الصوم معلق على رؤيته لطائفة من الناس او اكمال عدة شعبان ثلاثين يوما لقوله صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة في الصحيحين وغيرهما صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين .

لا سيما والدول الاسلامية تسعى في سبيل توحيد مناهجها وخروجها من ظلمات التفرقة الى نور الاتحاد وان مما يتيح لها بلوغ هذه الغاية توحيد الاهلة خصوصا في عصرنا هذا عصر الهاتف والواحي .

حول تيسير التعليم الديني بالمغرب

للاستاذ محمد الطنجي

يقول الرسول عليه السلام : **(علموا ويسروا ولا تعسروا واذا غضبتم فاسكتوا)** كررها ثلاث مرات .

بعث الله سيدنا محمدا (ص) معلما للاميين الكتاب والحكمة فزكى هذه الامة الامية بتعليمه وتاديبه ، حتى سادت الامم بدينها وفضلها ، وسعدت الشعوب باخلاقها وعدلها ، وبكرمها وبذلها ، وامتن الله عليها ببعثه النبي الامي وتبليغ رسالته الخالدة حيث قال سبحانه : لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .

وفي آية اخرى : هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . فالتعليم اول مهمة من مهمات الرسول ، وقد تلقى عنه هذه المهمة شباب وكهول وشيوخ ، رجال ونساء فانتفع كل واحد من المعلمين بهذا الحبر العظيم ، كل واحد على قدر استعداده ، واذا كان التعلم في الصغر ارسخ في الذهن واثبت في النفس وامكن في قلوب آخذيه حتى قال النبي عليه السلام : من تعلم العلم وهو شاب كان كوشم في حجر ، ومن تعلم العلم بعد ما يدخل في السن كان كالكاتب على ظهر الماء . رواه عبد البر ، وطور الشباب معلوم ما هو ، فان العلم كذلك مطلوب في الكبر ، وغير مذموم في اى حال ، وقد كانت عادة اسلافنا الترحيب بكل الشباب الذين يطلبون العلم ، قال الحافظ ابن عبد البر : روينا عن عبد الله بن مسعود من طرق انه كان يقول اذا راى الشباب يطلبون العلم : مرحبا بينابيع الحكمة ومصابيح الظلم ، خلقان الثياب ، جدد القلوب ، حبس البيوت ريحان كل قبيلة .

وكان مبدأ الازدياد من العلم المستفاد من قول الله تعالى ، وقل رب زدني علما ، هو شعار النبي العربي العظيم في جميع اطوار حياته ، روى ابن عبد البر بسنده عن عائشة قالت : قال رسول الله (ص) : اذا اتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم . ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله (ص) ما اهدى المرء لاخيه المرء هدية افضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى ، او يرده بها عن ردى ،

وقال الفراء ـ من ائمة اللغة ـ لا ارحم احدا كرحمتي لرجلين رجل يطلب العلم ولا فهم له ، ورجل يفهم ولا يطلبه ، واني لاعجب ممن في وسعه ان يطلب العلم ولا يتعلم . وقد سار اسلافنا الكرام على اثر مهمة الرسول في البداية بتعليم القرءان وتيسره فكان التعليم الاسلامي في مختلف امصار المسلمين يبتديء بالقرءان الذى هو اصل الدين ، ومنه ياخذ الولدان طريقهم الى مختلف العلوم الاسلامية ، وهذا هو المذهب الواضح المعمول به في سائر المعاهد الاسلامية حتى الآن لا في خصوص معاهد المغرب كالقرويين وغيرها من المعاهد ، ولكن في غير المغرب ايضا ، وقد حدثني شيخ المعهد الاسلامي بام درمان فضيلة الشيخ محمد المبارك عبد الله الذى يزور المغرب اليوم ان معهد ام درمان العلمي يقبل الطلبة في القسم الابتدائي في السنة الرابعة عشرة من عمرهم نظرا لتقدمهم حفظ القرءان ، اعانهم الله على حفظه . كما ذكر فضيلته ان 75 في المائة من مواد التعليم هي من العلوم الدينية و25 من العلوم المسماه بالحديثة بما في ذلك اللغة الاجنبية كما تحظى المدارس العصرية ب 25 في المائة من العلوم الدينية ، وفي صدد البداية بتعليم القرءان يقول المؤرخ الاجتماعي ابن خلدون في مقدمة تاريخه « اعلم ان تعليم القرءان للولدان شعار من شعار الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه في جميع امصارهم لما يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرءان وبعض متون الاحاديث وصار القرءان

ومن اليوم الذي اغفل فيه المسلمون ، هذا الامر الخطير ، تداعى بنيانه . وذهب ريحهم ، وعلا واستبد بكرام الناس اسافلهم ، وذهب ريحهم ، واصبحوا غثاء كغثاء السيل .

واذا كان الناس فى حاجة الى الوعظ والارشاد ، فهم فى هذا الزمان اشد حاجة وامس ضرورة وذلك لكثرة المذاهب المضللة والسبل المعوجة والاهواء الجامحة ولما استحدث شياطين الانس من مغريات ومفاسد وشبهات ومراصد .

ولقد اصبحت الدعاية اليوم فنا من الفنون القائمة بذاتها ، وعلما يدرس كبقية العلوم .

واصبحت الرسائل والصحف، والمجلات والاذاعات ودور السينما ودور التمثيل ، بعضا من وسائل الدعاية الحديثة ، فى هذا الزمان .

ولقد ترتب على اهمال قيمة الوعظ والارشاد فى بعض البلاد الاسلامية ان اصبحت ميدانا لغزو المبشرين، والدعاة المضللين من شيوعية وغيرها .

كما حصلت فجوة هائلة بين الآباء وابنائهم وبناتهم . واصبح البون شاسعا بين الدين وبين الجيل الصاعد بالاضافة الى انتشار الرذيلة وفشو الالحاد والاستهتار بالمثل والمبادىء العليا .

واصبح المتدينون اغرابا او شبه اغراب فى البلاد الاسلامية .

واعتقد جازما ، ان اصلاح الجيل ، وايقاف هذا التيار واعادة الدين الى شبابه ونضارته يتوقف الى حد بعيد على العناية بالوعظ والارشاد .

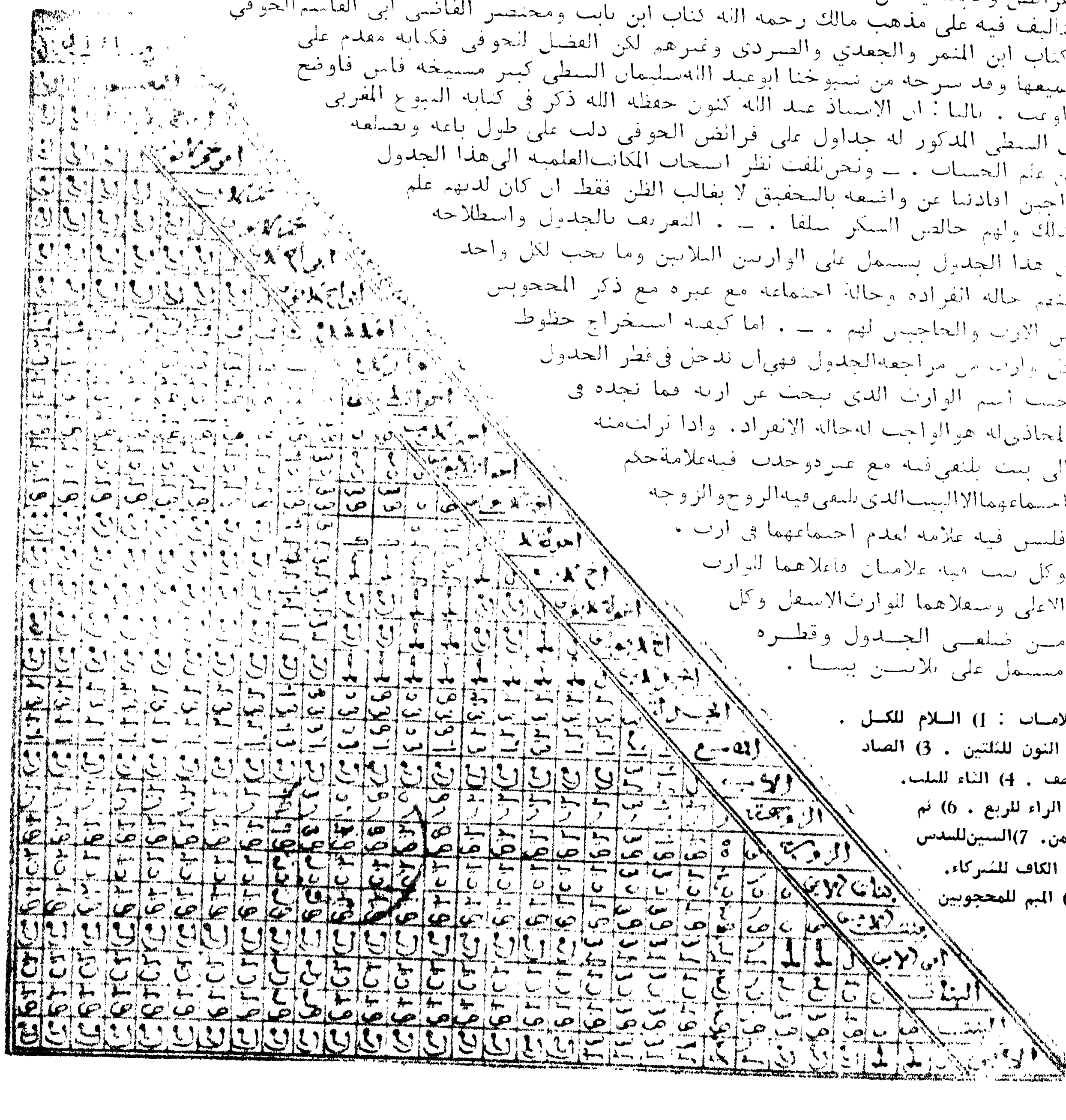
وذلك بايجاد طائفة مزودة بالثقافة الصحيحة من شرقية وغربية ، فاهمة لروح العصر مزودة بسلاح الزمن ، ومعارف العصر الحاضر ... والله الموفق .

وصية عقبة بن نافع لبنيه

لما خرج عقبة باصحابه وبكثير من اهل القيروان الى المغرب دعا باولاده فقال لهم انى بعت نفسي من الله ولا أدرى ما يقضى علي فى سفرى ثم قال يا بني انى اوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولاتضيعوها اياكم ان تملئوا صدوركم شعرا وتتركوا القرءان ، املأوا صدوركم من كتاب الله فانه دليل على الله وخذوا من كلام العرب ما تهذبون به السنتكم ويدلكم على مكارم الاخلاق ثم انتهو عما وراءه . واوصيكم ان لاتداينوا ولو لبستم العباء ، فان الدين ذل بالنهار وهم بالليل فدعوه تسلم لكم اقداركم واعراضكم وتبقى لكم الحرمة مع الناس ما بقيتم . ولا تقبلو العلم من المغرورين المرخصين يحملونكم دين الله ويفرقون بينكم وبين الله ولا تاخذوا دينكم الا من اهل الورع والحيطة فانه اسلم لكم ومن احتاط سلم ونجا فيمن نجا ثم قال اللهم تقبل نفسي فى رضاك واجعل الجهاد رحمتي من دار كرامتي عندك ثم سار لا يدافعه احدا .

جدول عجيب لعلم الفرائض

ان دعوى البراعة العلمية في معهد القرويين تحتاج الى بعض المستندات ولذلك رأينا ان نثبت هذا الجدول الجامع الذي هو خلاصة الخلاصة لعلم الفرائض على مذهب الامام مالك، ان هذا الجدول شاهد ببراعة واضعه وتضلعه في علم الفرائض والعدد وناقل هذا الجدول المرحوم ح. محمد راعون النطواني بخطه لم يعرف واضعه فكتب عليه ما نصه قيل انه ينسب لحافظ المذهب المالكي الامام ابن عرفة . ولكن يغلب على الظن انه من وضع شيخ ابن عرفة وشيخ ابن خلدون ولسان الدين ابن الخطيب الذي هو رئيس مشيخة فاس الحافظ سليمان السطي وذلك للاسباب الآتية : اولا ذكر تلميذ بن عرفة الرصاع شارح حدود ابن عرفة ان ابن عرفة قرأ على السطي كتاب الحوفية في الفرائض لما وصل الى تونس مع السلطان ابي الحسن المريني وانه بين له المواضع التي يوفق فيها ابن عبد السلام المشهور محمد بن شيخ ابن عرفة . ولو كان لابن عرفة جدول مثل هذا لنوه به شارح حدوده الفقيه الرصاع الذي لا يترك نكتة من نكت ابن عرفة ولا منقبة الا ذكرها . ثانيا : ان ابن خلدون في مقدمته التاريخية ذكر من علم العدد علم الفرائض وما يقتضيه من صناعة حسابية ثم قال وقد الف الناس في هذا الفن قديما وحديثا واوعبوا ومن احسن التآليف فيه على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي ابي القاسم الحوفي وكتاب ابن المنمر والجعدي والصردي وغيرهم لكن الفضل للحوفي فكتابه مقدم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا ابو عبد الله سليمان السطي كبير مشيخة فاس فاوضح واوعب . ثالثا : ان الاستاذ عبد الله كنون حفظه الله ذكر في كتابه النبوغ المغربي ان السطي المذكور له جداول على فرائض الحوفي دلت على طول باعه وتضلعه من علم الحساب . — ونحن نلفت نظر اصحاب المكاتب العلمية الى هذا الجدول راجين افادتنا عن واضعه بالتحقيق لا بغالب الظن فقط ان كان لديهم علم بذلك ولهم خالص الشكر سلفا . — . التعريف بالجدول واصطلاحه ان هذا الجدول يشتمل على الوارثين الثلاثين وما يجب لكل واحد منهم حالة انفراده وحالة اجتماعه مع غيره مع ذكر المحجوبين من الارث والحاجبين لهم . — . اما كيفية استخراج حظوظ كل وارث من مراجعة الجدول فهي ان تدخل في قطر الجدول حسب اسم الوارث الذي تبحث عن ارثه فما نجده في المحاذي له هو الواجب له حالة الانفراد . واذا نزلت منه الى بيت يلتقي فيه مع غيره وجدت فيه علامة حكم اجتماعهما الا البيت الذي يلتقي فيه الزوج والزوجة فليس فيه علامة لعدم اجتماعهما في ارث . وكل بيت فيه علامتان فاعلاهما للوارث الاعلى واسفلاهما للوارث الاسفل وكل من ضلعي الجدول وقطره مشتمل على ثلاثين بيتا .



العلامات : 1) اللام للكل . 2) النون للثلثين . 3) الصاد للنصف . 4) الثاء للثلث. 5) الراء للربع . 6) ثم للثمن. 7) السين للسدس 8) الكاف للشركاء. 9) الميم للمحجوبين

أصل التعليم الذي ينبني عليه مما يحصل بعضا من الملكات وسبب ذلك ان تعليم الصغر اشد رسوخا وهو اصل لما بعده لان السابق الاول للقلوب كالاساس للملكات . وعلى حسب الاساس واساليبه يكون حال ما ينبني عليه . انتهى . وعلى هذه الطريقة درج اكابر علماء المسلمين الذين ضربت بعلومهم الدينية الامثال والى القارىء الكريم ما ذكره الامام الشافعي عن بداية تعلمه بحفظ القرءان فقد روى ابن عبد البر عن الحميدي قال محمد بن ادريس الشافعي: كنت يتيما في حجر امي ودفعتني الى الكتاب، ولم يكن عندها ما تعطي المعلم ، فكان المعلم قد رضي مني ان اخلفه اذا قام ، فلما ختمت القرءان دخلت المسجد . فكنت اجالس العلماء . وكنت اسمع الحديث او المسالة فاحفظها . ولم يكن عند امي ما يعطيني اشتري به قراطيس ، فكنت اذا رأيت عظما يلوح آخذه فاكتب فيه ، فاذا امتلأ طرحته في جرة كانت لنا قديما . انتهى . وكذلك ذكر الحافظ بن العربي طريقة تعليم الولدان في الاندلس فقال : وصار الصبي اذا عقل وسلكوا به امثل طريقة لهم علموه كتاب الله تعالى ثم نقلوه الى الادب ثم الى الموطا ثم الى المدونة الى آخر ما قال . وبالجملة فان اساس التعليم الاسلامي الذي يبلغ العلماء درجة التضلع في الشريعة المحمدية والتفوق في اللغة العربية انما يقوم على مدارسة القرءان قبل كل شيء . وكذلك دراسة الاحاديث التي تبين مجمله . وتوضح مراميه ومقاصده وتستقل احيانا بتشريع جديد .

ولن تكون الامامة في الدين الا كما كانت في الماضي على هذا الاساس المتين وان الجامع الازهر الشريف ليتبوأ الآن بسبب محافظته على شخصيته الفذة في التاريخ مكانة الصدارة بين معاهد الامم الاسلامية شرقا وغربا ، وذلك لمزيد اختصاصه بالعناية بالقرءان والحديث وعلومهما ، وباللغة العربية كذلك . ونرجو ان تتبوأ القرويين مكانتها في التاريخ بفضل رعاية جلالة ملكنا الصالح لها حتى تبقى لها شخصيتها التقليدية ، وتقوى موادها الاسلامية الى جانب العلوم الحديثة لتؤدي رسالتها الخالدة ، اذ لا يخفى ان التضلع في اللغة العربية رهين بمدارسة اساليب القرءان وحديث سيد البلغاء الذي أوتي جوامع الكلم عليه السلام منذ الصغر ، حتى يكون رصيد الطالب العلمي من هذه المواد موفورا . وبذلك ترقى ملكات العلماء في العلوم الدينية كما تسبق معارفهم ويجود انتاجهم في اللغة العربية لغة الدين والوطن ، ولقد سجل ابن خلدون بكل اعجاب تحسن اسلوب الادباء الذين مارسوا اساليب القرءان واحاديث الرسول عليه السلام حيث قال في مقدمته : ان كلام الاسلاميين من العرب اعلى طبقة في البلاغة واذواقها من كلام الجاهلية في منظومهم ومنثورهم . فانا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعة والحطيئة وجرير والفرزدق ونصيب وغيلان ذي الرمة والاحوص وبشار ثم كلام السلف من العرب في الدولة الاموية وصدرا من الدولة العباسية في خطبهم وترسيلهم ومحاورتهم للملوك ارفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد ، ومن كلام الجاهلية في منثورهم ومحاوراتهم ، والطبع السليم . والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة ، والسبب في ذلك ان هؤلاء الذين ادركوا الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثليهما ، لكونها ان تلك الطبقة من الكلام ولجت في قلوبهم ونشأت على اساليبها نفوسهم ، فنهضت طباعهم . وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من اهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها ، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم احسن ديباجة ، واصفى رونقا من اولئك . وارصف مبنى واعدل تثقيفا بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة ، وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك ان كنت من اهل الذوق والبصر بالبلاغة . انتهى .

وبناء على هذا نرى ان الترحيب في المعاهد الدينية بالشبان البررة الذين حفظوا القرءان وان وقع التساهل معهم في السن انما هو تقدير لمن يحمل في المستقبل لواء اللسان العربي المبين ، ومشعل الهداية المحمدية القرءانية في هذا البلد الامين ، لتؤدي معاهدنا الدينية رسالتها الروحية الخالدة والله ولي المتقين .

أبحاث ومقالات

معهد أم درمان العلمي

لفضيلة محمد المبارك عبد الله
شيخ علماء السودان

شرف ادارة مجلة دعوة الحق شيخ العلماء بالسودان فضيلة الشيخ محمد المبارك عبد الله بمناسبة زيارته للمغرب لحضور ذكرى جامعة القرويين فتذاكرنا حول الوضع الاسلامي في البلاد الإسلامية وحول التعليم الديني بوجه خاص وهو حفظه الله من الشخصيات العلمية البارزة تخرج بالازهر ودرس بكثير من معاهد مصر وله عدة مؤلفات شهيرة الحجة غزيرة المادة . ويتولى الآن رئاسة معهد ام درمان العلمي وقد اخبرنا بان المعهد المذكور يتوفر على : 75 في المائة من العلوم الدينية و 25 من العلوم المسماة بالحديثة وبالعكس من ذلك المدارس المدنية . فالمدارس الدينية تحتفظ بطابعها التقليدي ومناهجها الخاصة لتتوفر على اداء رسالتها الروحية والعلمية في آن واحد وقد طلبت من فضيلته تخصيص مجلة « دعوة الحق » بمعلومات عن جامعة السودان الاسلامية والحركة العلمية هناك فكتب لقراء دعوة الحق هذا المقال القيم فشكرا له ثم شكرا .

معهد ام درمان العلمي هو مركز الحركة العلمية الدينية في السودان ، وهو اكبر المعاهد الدينية ومنه انبثقت هذه المعاهد ، وهو جامعة السودان الاسلامية . بدأت الدراسة فيه عام 1912 على نظام الازهر القديم في العلوم الشرعية والعربية وبعض العلوم الحديثة . وقد وضع لهذا النظام لائحتان احداهما سنة 1913 والاخرى سنة 1925 وتكاملت فيه الاقسام الثلاثة : الابتدائي والثانوي والعالي منذ سنة 1924 واخذ يعطي العالمية من هذا التاريخ وتخرج فيه عدد كبير من العلماء الذين اشتغلوا بالتدريس في المعاهد ووزارة المعارف والقضاء الشرعي والوعظ والارشاد كما التحق عدد كبير من طلابه بكلية يردون وكليات الازهر ودار العلوم وجامعة الخرطوم وجامعة القاهرة وبعض الجامعات الاوربية . وقد سار المعهد على هذا المنهاج زمنا طويلا .

وفي سنة 1942 بدأت استعارة كبار الاساتذة من كليات الازهر ومعاهده لرفع مستوى الدراسة في القسم الثانوي والعالي الذي اصبح اليوم معهدا لطلاب الدراسات العالية من المعاهد الثانوية السودانية جميعها ، وبه كليتان احداهما الشريعة الإسلامية على منهاج كلية الشريعة بالازهر الشريف والاخرى اللغة العربية على منهاج كلية اللغة العربية بالازهر ايضا .

وفي سنة 1948 انشىء للمعهد مجلس اعلى يتكون من ثمانية عشر عضوا من كبار رجال وزارة المعارف وجامعة الخرطوم والمعهد والمصلحة القضائية ووزارة الاشغال والتجار والاعيان برئاسة قاضي القضاة وخطا المجلس بالمعهد خطوات واسعة ووضع لائحة دراسية للنظام الجديد الذي ابتدأ تطبيقه من ذلك التاريخ وتخرج عليه الآن اربع فرق في الشهادة الثانوية تضمنت اضافة اللغة الانجليزية والعلوم الطبيعية والاجتماعية والتوسع في الرياضة وشيد المبنى الثاني من مباني المعهد على هيئة تضارع مباني المؤسسات التعليمية العظيمة .

الألفاظ الإسلامية

للدكتور: إبراهيم السامرائي

كان ظهور الإسلام حدثا خطيرا، فهو تبدل حضاري للمجتمع البدائي العربي. وهو لون جديد من الحضارة للشعوب غير العربية التي نشر الإسلام فيها لواءه. والحضارة الجديدة التي جاء بها الإسلام تقوم على ثقافة من نوع جديد. نلمسها في مصادر الإسلام من القرآن والسنة النبوية.

والباحث في الثقافة الإسلامية ملزم أن يتوجه إلى علوم القرآن. ولقد كان هذا سبيل هذه الثقافة الجديدة. والعمل في علوم القرآن البداية لطالب الدرس والبحث حيث تؤدي به هذه الدراسة إلى علوم ومجالات ثقافية عدة. ومن أجل ذلك عني جمهور العلماء الباحثين في علوم القرآن. بموضوع ألفاظ القرآن. واكتسب هذا البحث مسألة « المجاز في القرآن » والمقصود بالمجاز في هذه الدراسة البحث في معاني القرآن. ولقد اتصف البحث في لغة القرآن بأوصاف مختلفة. فهو تارة يتجه نحو الغريب. وذلك كما في الدراسات الكثيرة التي اتخذت غريب القرآن موضوعا. كما في كتب « الغريب » المعروفة. ومنهم من ترجم « بالمشكل » من هذه الألفاظ. ومنهم من بحث في « معاني القرآن » بوجه عام.

ويؤلف موضوع ألفاظ القرآن بحثا فنيا في مادة « المصطلح العلمي » ولعل أول انتقال في اللغة من يسرها وسهولتها إلى التعقيد والتركيب، قد حصل في هذا الاستعمال الاصطلاحي الإسلامي، ومن هنا كان الحدث القرآني تبدلا عظيما في تاريخ اللغة العربية، ذلك أن لغة القرآن ببلاغتها وبهذا الاستعمال الاصطلاحي تؤلف مرحلة لغوية تاريخية عظيمة الأثر في حياة اللغة العربية.

ولقد أدى البحث في معاني القرآن إلى البحث في ألفاظ الحديث. وحدث في هذه المادة ما حدث في القرآن. فقد ألف العلماء في « غريب الحديث ». ومنهم من ألف في « الغريبين » معا ومنهم من كتب في « المجازات النبوية ». ومنهم من بحث في معاني الحديث بوجه عام. والمعروف أن الذين بحثوا في القرآن، عكفوا على الحديث الشريف في دراسات وبحوث مفصلة. وقد اتخذ البحث في الحديث سبيلا كالذي اعتمدوه في دراسة القرآن. ومعنى ذلك أن ألفاظ الحديث تعد تطورا جديدا في حياة اللغة العربية.

والبحث في الألفاظ هو بحث في الدلالة (Sémantique) وهذا النوع من البحث اللغوي الجديد، وهو باب في « علم اللغة التاريخي » (Linguistique Historique) وقد بدأ هذا النوع من الدراسات بالرسالة التي نشرها العالم اللغوي الفرنسي (M. Bréal) وذلك في سنة 1897 وكان عنوان هذه الرسالة (Essai de Sémantique) ثم قامت السيدة الإنجليزية ولبي (Lady Welby) في الموسوعة البريطانية (الطبعة الحادية عشرة) بتوسيع موضوع بحثها وسمته (Significs) أي علم معاني الألفاظ، وذلك أنها أدخلت في أبحاثها هذه عناصر تطبيق نظريات العلم في جميع أطوار النشاط الفكري وفي لغة التخاطب والكتابة. ثم نشط علماء الغرب في هذا الميدان في القرنين التاسع عشر والعشرين فعنوا بدراسة تطور اللغات وعلاقاتها بالمدنية والحضارة. ذلك أن اللغة من أهم الوسائل لتقدير حضارة من الحضارات، وهذا النوع من البحث من البحوث التاريخية العامة لتفهم نشاط الإنسان وانتقاله في الحضارات عبر العصور، ومن أجل هذا تضافر على هذه البحوث نفر كبير من ذوي الاختصاص، فيهم اللغوي، والعالم الاجتماعي والمختص بعلم « الانثروبولوجي » والعالم النفساني.

وفى سنة 1955 انسئت مصلحة الشئـــون الدينية فتسلمت السعلة من ذلـك المجلس واصبحت منسرفة على هدا المعهد تضع له ميزانيته وتسـرف عليه فنيا واداريا بواسطة شيخه شيخ العلماء ومجلس ادارته العلمي ، وبالرغم من قصر مدتها ومسئولياتها الضخمة نحو انشاء وتطوير معاهد الاقاليم فقد قامت بعمل السيء الكثير للمعهد فقد اعادت النظر فى المناهج الدراسية سواء كانت للعلـوم الدينية والعربيـة ام كانت للعلوم الحديثة . وكونت اللجان لوضـع هـذه المناهج التي تحقق الاهداف الاساسية الجديدة ، وقد فرغت هذه اللجان من اعمالها واصبحت المناهـج فى طور التجربة والتطبيق كما انها اولت اوجه النساط الرياضي والثقافي والاجتماعي المختلفة اهتماما خاصا، واعتمد لهذا النشاط من المال ما يكفل لـه السيـر بخطا سريعة ولاول مرة فى تاريخ المعهد انسأت المصلحة فرقا للتدريب العسكري ، وزودتها بالامكانيات تمشيا مع سياسة حكومة الثورة فى اعداد شباب السـودان ليكون قويا مستعدا للدفاع عن وطنه . وكل من شاهد او سمع بالمهرجان السنوى الثقافى الرياضى الـذى اخذ المعهد يقيمه منذ اربعة اعوام يدرك مدى التقدم الذي احرزه والخطوات الواسعة التى خطاها .

كما انها عنيت بتحسين احوال المدرسين فجاءت بعدد من الدرجات ذات المسؤولية الكبرى ورفت اليها عددا كبيرا من هؤلاء المدرسين وما زالت توالي المزيد من تحسين احوالهم وهي تجد من اولي الامر معاونة صادقة لتحقيق هذا الفرض .

وبهذا كله خطا المعهد فى خلال المده القصيرة التى لا تتجاوز اربع سنوات خطوات واسعة سواء اكـان ذلك من حيث الزيادة فى عدد الفصول او مـن حيث المستوى العلمي ، وذاع صيته فاقبل عليه طلاب العلم من مختلف انحاء السودان والبلاد الافريقية ، مـن سنقيط ونيجيريا ويوغندا واثيوبيا وارثيريـا والصومال والسنغال وغيرها ومن عدن وحضرمـوت وغيرهما من البلاد الاسلامية الاسيوية ، حتى بلغ عدد طلابه هذا العام الدراسى 1250 وعدد مدرسيه نحـو ستين مدرسا من الازهر ودار العلوم وجامعه القاهرة ووزارة المعارف السودانية من خريجيه وبه مساكـن داخلية لاكثر من ثلاثمائة طالب من طلاب الاقاليـم السودانية ومن البعوث الاسلامية وبه مكتبة ضخمـة عربية وانجليزية تضارع اكبر المكتبات وتشتمل علـى اكثر التراث الاسلامى ويقوم الى جانب المعهد معاهـد ثانوية فى عواصم الاقاليم فى الشمال والسرق والغـرب والجزيرة ومعاهد ابتدائية نحو الاربعين مبثوثـه فى مـدن السودان .

مـن عمـل اللجنـة الوطنيـة لليونيسكـو

اجتمع المكتب الدائم للجنة الوطنية لليونسكـو مساء السبت 22 اكتوبـر الجارى بقاعة جامعه الرباط وذلك لدراسه التدريبات التى تقوم بهـا الاقتصاديون والـعمالون الافارقه تحت اشراف اليونسكو فى الاسهر القادمه . كمـا درس المكتب ترسيح بعض الدول لعضويه المجلس التنفيذي التابع لليونسكو ، ومسألة تمثيـل المغرب فى الدراسات الاجتماعية التى تجرى فى بعض البلاد الاروبيـة .

وقد علمنـا بهذه المناسبـة انـه سافر الى باريـز الاستـاذ محمد الفاسـي لحضور اجتماعات المجلس التنفيذي فى انتظار ان يلتحـق بـه الوفـد المغربـي فى الدورة الحاديـة عشـرة لمؤتمـر اليونسكو .

هل اختصت الامامية بفتح باب الاجتهاد

للدكتور: تقي الدين الهلالي

من خطباء يوم الثلاثاء الباحثين فضيلة الاستاذ الشيخ محمد رضا مظفر عميد كلية الفقه بالنجف احد اعضاء الوفد العراقي للمشاركة في الاحتفال بمرور الف ومائة سنة على تأسيس جامع القرويين ، وكان موضوع بحثه المقارنة بين جامعة القرويين ومدرسة النجف ، وقد اجاد في وصف مدرسة النجف وفصل القول فيها تفصيلا شمل جميع احوالها ، وقد جاء في خطبته ان الامامية ويقصد بهم هنا الاثنى عشريه خاصة ، وهم القائلون بوجوب امام معصوم بعد النبي (ص) مباشرة ، والائمة عندهم اثنى عشر اماما اولهم علي بن ابي طالب واخرهم محمد بن حسن العسكري المسمى عندهم بالمنتظر . جاء في خطبته ان فتح باب الاجتهاد مختص بالاثنى عشرية . وهم قرابة نصف سكان العراق واكثر سكان بلاد فارس التي يسمونها في هذا الزمان ايران ، وعددهم في الهند كثير ايضا . ولما سمعت منه هذا الكلام تقدمت الى رئيس الاحتفال وطلبت منه دقيقتين اصحح فيهما خطأ الشيخ الخطيب وابين بالبرهان ان الاجتهاد عند اهل الحديث المتمسكين بسنة الرسول من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين لم يقل احد منهم بسد باب الاجتهاد البتة ، وانما قال ذلك العوام الذين لا تحقيق عندهم فسدوا على انفسهم باب الاجتهاد فبقي مسدودا عليهم وحدهم . ومن شك في هذا فعليه بكتب الحديث . واختصرها له في كتابين فيما يتعلق بمسالة الاجتهاد احدهما كتاب جامع بيان العلم وفضله للامام الحافظ ابي عمر يوسف بن عبد البر النمري وهو من اهل القرن الخامس الهجري طبعا ، وثانيهما كتاب ايقاظ همم اولي الابصار للاقتداء بسيد المهاجرين والانصار وتحذيرهم من الابتداع الشائع في القرى والامصار من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الاعصار للامام المحقق المحدث الشهير صالح بن محمد بن نوح العمري الفلاني من سودان المغرب توفي سنة الف ومائتين وثماني عشرة للهجرة اي منذ مائة واثنتين وستين سنة فقط 162 . وازيدك كتابا ثالثا وهو كتاب الرد على من اخلد الى الارض وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض للحافظ المتفنن عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة تسع مائة واثنتى عشرة للهجرة . ومن قرأ هذه الكتب الثلاثة لا يشك ابدا فيما ذكرنا من ان باب الاجتهاد لم يزل مفتوحا على مصراعيه الى يومنا هذا وسيبقى مفتوحا ما وجد على وجه الارض مسلمون متبعون لسنة النبي (ص) .

ومن دواعي الاسف ان رئيس الاحتفال تلقى طلبي باستثقال . ولكن الله سبحانه الذي تكفل بنصر الحق انطق احد الخطباء بمعنى ما كنت اريد ان اقول. وهذا الخطيب هو الاستاذ عبد الجواد مندوب المملكة الليبية فانه ذكر في بحثه ان الامام السيد بن علي السنوسي المغربي مؤسس الدعوة السنوسية في طرابلس وبرقة وبلدان اخرى درس في جامع القرويين ودرس فيه ودعا الى ابطال التقليد والف في ذلك . فجاء الرد على الاستاذ مظفر ضمن المنهاج ولله الحمد.

وازيد على ما قال الاستاذ عبد الجواد ان الامام محمد بن علي السنوسي ابطل التقليد في جميع البلدان التي انتشرت فيها دعوته ولا يزالون على ذلك الى الآن والف في ذلك كتبا قيمة ، منها كتاب في اصول الفقه بخط اليد قرأته في مدينة الرسول حين كنت مجاورا فيها ، ومنها كتاب المسائل العشر في احكام الصلاة رد

وموضوع الدلالة وتطورها لم يكن واضحا بهذا الشكل في جهود الاقدمين ممن اهتم بمعاني الالفاظ كما بينا ذلك . وقد كتب الشيخ ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي المتوفى سنة 322 هـ كتابه الذي اسماه بـ (كتاب الزينة) ، وقد بحث فيه معاني الكلمات التي تغيرت مدلولاتها في العصر الاسلامي عما كانت في العصر الجاهلي ، فهو يبدأ احيانا بشرح الكلمة كما كانت مفهومة عند العرب قبل الاسلام ثم يعود فيشرحها كما وردت في القرآن والحديث ، ويورد في ذلك آراء اللغويين والنحويين المتقدمين . وربما لم يتقيد بالتسلسل التاريخي ، بل يبدأ بمدلولها الاسلامي ويستشهد على ذلك القرآن والحديث قبل ان يحتج بالشعر واللغة ، وكثيرا ما يفسر الكلمات تفسيرا لغويا صرفا .

وصاحب الزينة في هذا الكتاب معني بالالفاظ التي شاعت في بحوث علماء العربية واهل التفسير والتي اخذت لون الاصطلاح العلمي ، وبهذا يكون من اوائل الذين بحثوا في تطور الدلالات في العلوم الاسلامية . ولا نريد ان نبحث في هذا الكتاب لانه لم يكن من غرضنا ان ندخل في هذا الباب .

ولكني مهدت بهذه المقدمة لاصل الى الشيء الذي اردت ان اعقد عليها هذه المقالة ، وذلك ان للاسلام مصطلحات والفاظا خاصة به التزم بها المسلمون وشاعت في اقوالهم وكتاباتهم . بيد ان الذي اثار استغرابي وعجبي الشديدين اني وجدت في مجلتكم العامرة « دعوة الحق » في العدد الثامن من السنة الثالثة ذي القعدة 1379 شيئا يبتعد عن هذا الالتزام بالالفاظ الاسلامية التي احتفظ المسلمون باستعمالها منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا. والمجلة تدعو للحق ، وتعنى بالدراسات الاسلامية وتصدرها وزارة الاوقاف في الرباط من بلاد المغرب العزيزة علينا . والشيء الذي رأيته هو في صورة الغلاف وكان ذلك صورة لمئذنة جامع الكتبية وقد كتب تحت الصورة (صومعة الكتبية) ، والذي اعرفه ان المسلمين ما اعتادوا في تاريخهم الطويل ان يستعملوا هذه الكلمة النصرانية كما سابين ذلك . والكلمة ما زالت بهذا المعنى عندنا معاشر المشارقة . ومن اجل ذلك احببت ان اكتب هذه الكلمة الموجزة لمجلتكم الزاهرة ان سمحتم بذلك ، وانا مدفوع بقوله تعالى : « فذكر ان نفعت الذكرى » ، وقوله جل شانه « وذكر فان الذكرى تنفع المومنين » .

ووقع بصري على هذه الكلمة مستعملة هذا الاستعمال فاستكبرت الامر ، ثم عرفت ان الكلمة مستعمله في جميع ديار الشمالي الافريقي ، وكنت اظن ان الكلمه من الكلمات السريانية التي استعملتها العربيه وشاعت فيها ، ولكن البحث هداني الى انها عربية وان ماده « صمع » في معجمات اللغه المطولات تعني « العلو والارتفاع » . والكلمه من الكلمات التي استعملها القرآن ، فقد وردت في قوله تعالى « ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد ... » (1) والصوامع في هذه الاية هي صوامع الرهبان ، والبيع جمع بيعه وهي للنصارى ايضا ، اما الصلوات فهي لليهود على راي الزمخشري (2) . والبيعه من الكلمات السريانيه التي استعملتها العربية ، والكلمه مركبة من جزئين وهما (بيت عدنا) ثم حصل الادغام فصارتا (بعه) والباء الاولى في كثير من الالفاظ السريانيه تشير الى « البيت » وهو المعنى المعروف . اما «الصلوات» وهي كلمه سريانية وان نص الزمخشري على عبرانيتها ، وتعني اماكن العباده عندهم .

وقد شاعت كلمه « الصومعه » بمعنى مكان الرهبان – في النصوص الادبيه القديمه فقد جاء في ابيات لابن المعتز يذكر فيها دير العذارى والصوامع فيه – .

الا رب ايام بمنى حميدة
بدير العذارى والصوامع والقصر(3)

ولابي نواس قصيده يصف فيها دير قنى اذ يقول فيها :

بمريم بالمسيح وكل حبر
حواري على دين ونسك
برهبان الصوامع في ذراها
اقاموا ثم في جهد وضنك (4)

والقصيده حافلة بالالفاظ السريانيه التي استعملت في العربية .

ونصوص الادب القديم قد استعملت الصومعة في هذا المكان المشار اليه . ولعل في هذه الموضوعات فائدة لغوية ، والتفاته تاريخيه والسلام .

---

1) سوره الحج 40 .
2) الزمخشري ، الكشاف 3 / 160 (مطبعة الاستقامه 1946) .
3) الشابشتي ، الديارات 70 .
4) الشابشتي ، الديارات 131 .

ثقافتنا القضائية يجب أن نوحدها

للأستاذ الحسن الحجوي الثعالبي

اذا كان من المسلم به بان الاستعمار الفرنسي قد قضى على وحدة التشريع ببلادنا وهدم كيان قضائنا وبعثر محاكمنا فان مما ينكر على المثقفين عندنا وخاصة منهم من ينتسبون الى العائلة القضائية من قريب او بعيد انهم لم يرتاحوا بعد للاصلاحات الهامة التي انجزت لحد الان فى ميدان القضاء والتشريع فهم يعتبرون ان وجود قضاء مغربي وقانون مغربي يضمنان حقوق المواطنين امر لا سبيل الى تحقيقه ما دمنا لم نحدد بعد بكيفية واضحة لا تترك مجالا للشك والتردد المبادىء الاساسية والمبررات المعنوية التي يجب ان نبني عليها قضاءنا ونستند اليها تشريعنا ... فعلماؤنا الدينيون وقضاتنا التقليديون يرون ان كل تشريع وتنظيم لا يستمد اصوله وفروعه من الكتاب والسنة غير صالح لان يساير عقائدنا الاسلامية ويفي بحاجاتنا المشروعة ويحافظ على طابعنا القومي . وقد لاحظ كثير من هؤلاء العلماء والقضاة على وزارة العدل اتجاهها لاصلاح المحاكم العادية وجعلها بمثابة النقطة المركزية فى القضاء المغربي على حساب المحاكم الشرعية التي لم ينلها — كما يقولون — الا قدر ضئيل من الاصلاح فهم لا يفتأون يطلبون بان تصبح المحكمة « الشرعية » هي حجرة الزاوية فى النظام القضائي وان يكون الفقه الاسلامي هو القانون الوحيد الذي تحكم به المحاكم فى المغرب وان يكون (القاضي الشرعي) هو الحاكم المختص لتطبيق جميع قواعد التشريع وبعبارة فهم يريدون الرجوع الى الاصل مقدما ثم التطرق من بعد الى الاصلاح والتوسع والتوحيد فى المحكمة والقانون .

ولا مجال هنا لانتقاد هذه النظرية او للتعريف بسياسة الوزارة فى الخطة التي تنهجها لاصلاح القضاء (1) وانما اردنا ان نذكر باحدى طرق الاتجاه فى ميدان بعث القضاء والقانون فى بلادنا .

اما المثقفون الذين تلقوا دراستهم حسب المناهج العصرية ودرسوا القوانين الاجنبية فقد يرون ان لا سبيل الى اقرار نظام قضائي صحيح وتشريع يساير مقتضيات العصر الا اذا نبذنا قضاءنا المطبق وتشريعاتنا (العتيقة) نبذا تاما ونستعيض مكانها بنظام قضائي حديث وقوانين جديدة تبنى اسسها المعنوية على مبادىء فلسفية لا يمت بصلة الى الدين ولا يتصل فى شيء بالتقاليد الديموقراطية وبعبارة فهم يريدون ان نقلد هنا بالمغرب التنظيمات القضائية والتشريعات المأخوذ بها فى البلاد الغربية لا اقل ولا اكثر ذلك لانهم يرمون الفقه الاسلامي بالجمود والتحجر والقصور لاداء مهمة القضاء والتشريع الكفيلة بارضاء رغبات جمهور عصر الذرة والصاروخ . فقد قراوا فولتير وديكارت وتلقوا عنهما طرق التفكير ومناهج الاستدلال والاستنتاج ودرسوا (روح القوانين) لمنتسكيو وسمعوا بنظرياته فى نظام الحكم والدولة ومبادىء التشريع ولم يتجهوا لدراسة الفقه الاسلامي وتحليل مبادئه الاساسية واحكامه العملية وموقفه ازاء التشريعات الغربية قبل ان يحكموا عليه سلفا بالتحجر وعدم ملاءمته للحياة العصرية .

وهنا نحيط بمشكل من المشاكل التي خلفها لنا الاستعمار وهو مشكل التفرقة الثقافية لامن حيث تعدد اللغات فحسب بل وحتى من حيث نوع المشارب والنزعات الفلسفية وتباين اساليب التفكير ووسائل العمل وحرية البحث ... فقد يصعب عليك ان تدعو

(1) راجع فى هذا الموضوع ما كتبه حماد العراقي فى مجلة القضاء والقانون صحيفة 531 .

فبه على المقلدين من المنتسبين الى المذهب المالكي وبين مخالفتهم لكثير من السنن المحمدية ، وهو مطبوع متداول فى ايد الناس ، وقد جمعني مجلس فى دار بالمدينة مع المجاهد البطل الاستاذ السيد احمد السنوسي الكبير فذكر بعض الحاضرين تقليد اقوال المذهب المخالفة للنص فغضب السيخ وتكلم بحماس عظيم كأنه فحل هائج بلسان فصيح نحو نصف ساعة فى رد التقليد والجمود على المذهب مع قيام الدليل على خلافه .

ولا يحسبن احد اني تألمت من عدم السماح لي بالكلام واني مصر على عدم قبول الاعتذار بضيق الوقت وكثرة الخطباء والباحثين وانما آلمني ذلك الجواب بالشكل المذكور .

هذا ونرجو ان يوفقنا الله جميعا للعمل بقوله تعالى (وقولوا للناس حسنا) وبقول النبي (ص) : (وخالق الناس بخلق حسن) وبقوله عليه الصلاة والسلام (لا تحتقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى اخاك بوجه طليق) .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

نظر الحافظ بن الجوزي فى التفضيل بين الغني والفقير

قال ابن الجوزى واما التفضيل بين الغني والفقير فظاهر النقل يدل على تفضيل الفقير ولكن لابد من تفصيل فنقول انما يتصور الشك والخلاف فى فقير صابر ليس بحريص بالاضافة الى غني شاكر ينفق ماله فى الخيرات، او فقير حريص مع غني حريص ، فلا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص ، فان كان الغني متمتعا بالمال فى المباحات فالفقير القنوع افضل منه ، وكشف الغطاء فى هذا انما يراد لغيره ولا يراد لعينه ، ينبغى ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها بل لكونها عائقة عن الوصول الى الله تعالى والفقير ليس مطلوبا لعينه لكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم التشاغل عنه ، وكم من غني لا يشغله الغنى عن الله تعالى كسليمان عليه السلام وكذلك عثمان وعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنهما وكم من فقير شغله فقره عن المقصود وصرفه عن حب الله تعالى والانس به ، وانما الشاغل له حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله تعالى ، فان المحب للشيء مشغول به سواء كان فى فراقه او فى وصاله . بل قد يكون شغله فى فراقه اكثر ، والدنيا معشوقة الغافلين فالمحروم منها مشغول بطلبها ، والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها وان اخذت الامر باعتبار الاكثر ، فالفقير عن الخطر ابعد لان فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا تجد ولما كان ذلك فى طبع الادميين الا القليل منهم جاء الشرع بذم الغنى وفضل الفقر .

الكتاب في موضوع الحكومة التيوكراسية ؟ افلا ترون معي ان الفيلسوف الفرنسي يخلط ما بين هذا النوع من الحكومات وبين الدولة الاستبدادية (Etat despotique) بمعناها القانوني وانه لايميز مابين التيوكراسيات العتيقة من هندوس ومازديه وفرعونية وبين دولة الاسلام ؟ فكيف يمكن يا ترى لمنتسكيو ان يعطينا فكرة حقيقية عن الدولة التيوكراسية بمعناها الصحيح في حين انه يعرفها في عبارات واصطلاحات مبهمة ولا يبصر حتى مميزاتهـا الرئيسية ؟ افرايتم اذ كيف ان احد اقطاب الفكـر والفلسفة الغربية اخطأ في تفكيره واحتذى نظـرا في توجيه القانون العام لا مانع لنا من مناقشته وانتقـاده والابتعاد عن العمل به ؟ انني اتمنى ان تتاح لي الفرصة – او لكم – لدراسة هذا الموضوع دراسة وافية وطرقه بكل ما تتطلبه من عنايه ودقة .

ثانيا – هل لا حاولتم أن تخرجوا قليلا من محيطكم الغربي وتاخذوا انفسكم بدراسة الفقه الاسلامي وتحليل موقفه اراء التشريعات العصريه من غير ان تقيسوه بالمقاييس المنحرفة المتسمة بالتعصب الاعمى التي استعملها الاروبيون في دراستهم ؟ انني لا اطلب منكم المستحيل وانما اهيب بكم الى الاتجاه لدراسته ولو دراسة سطحية فتاخذوا مثلا كتاب (القوانين الفقهية) لابن جزي لوضوحه وجودة تبويبه وطريقة ترتيبه التي لا تقل روعة عن أساليب التحليل العصرية مع انه وضع منذ مايقرب من سبعمائة عام ! فسترون كيف ان هذا الفقه الذي ترمونه بالجمود والغموض سيبدو لكم حيا واقعيا منطقيا ، تبرز وجوده بكل دقة ووضوح تنسجم في كثير من مبادئه وقواعده مع روح التشريع الحديث وتختلف معها – طبعا – فيما لا يلائم اعراف وطبائع وقيم الامم المنضويه تحت لوائه . وهذا امر ضروري وغير خاص بالتشريع الاسلامي وحده دون غيره ما دام لم يتيسر للبشريه جمعاء ان تعيش تحت كنف قانون موحد . فاني لا اخالكم غير راغبين في دراسة تشريعكم القومي لتكملوا معلوماتكم القانونية والقضائية ولا اشك في ان كتاب (القوانين الفقهية) لابن جزي سيكون خير مساعد لكم على تربية ذوق دراسة التشريع الاسلامي فيكـم وينمي رغبتكم في مزيد البحث والاطلاع حتى تتاكدوا مما اشرت اليه آنفا من ان الحكم على الفقه الاسلامي بالملاءمة او عدم الملاءمة للحياة العصرية يجب ان لا يظل اعتقادا سلبيا وان لابد من ان يكون مبنيا على الاقتناع الصادر عن الدرس الصحيح والمقارنة النزيهة .

فالقاء نظرة مثلا على الكتاب العاشر في الفرائض والوصايا من (القوانين الفقهية) وجعل مقارنة بيـن تشريع الميراث عند المالكية وبين نفس التشريع في القانون الفرنسي القديم والقانون الحديث يكفي – على ما اظن – لاعطائكم فكره واضحة عما ينطوي عليه قانون الميراث في الفقه الاسلامي من نظريات وجيهة وعناصر تنم عن التوازن وبعد النظر ، ولعل موضوع تشريع الميراث في الفقـه الاسلامي من اخطر المواضيع التي تشغل بال شبابنـا وشاباتنا في الوقت الحاضر خصوصا بعد تحرير المراة في بلادنا ولكل منا رأي خاص حوله فلتكن ملاحظتي هذه حافزا لنا على طرق هذا الموضوع بكيفية اوسع وادق ولتكن ايضا نقطة تجتمع حولها قضاتنا التقليديـون منهم والعصريون لتبادلوا الافكار والاراء وليقصـروا المسافة التي تفرق بينهم .

وبعد . فما هي الازمة التي يتخبط فيها القضاء والتشريع ببلادنا ؟ انها ولا ريب مشكلة مسافة بيـن ثقافتين متباينتين يجب ان يقطعها علماؤنا وقضاتنـا وذلك بان يعمل كل فريق منهم على الخروج من محيطه الضيق ليقترب بالاخر ويضيف الى علومه الخاصة علوم الفريق الاخر ويعلم كلاهما ان هناك ميادين اخـرى للمعرفه ومناهج في البحث يجب ان يحسب لها حسابها ، فاذا ما اخذ اؤلائك وهؤلاء انفسهم بالانغمار فيها عملوا على تقصير هذه المسافة للتقريب بين الثقافتين وساهموا في المزج بينهما .

اما وزاره العدل فقد اخذت منذ نشأتها على عاتقها تحقيق هذا الفرض باتخاذها عدة تدابير للتقريب بين قضاتها التقليديين والعصريين وادماج بعضهم في بعض من حيث الاختصاصات والحقوق والواجبات ووسائل العمل والضمانات وقد تهدف الوزارة مقدما وقبل كل شيء من وراء هذا الادماج الى توحيد الثقافة عنـد القضاة ليتأتى لها فيما بعد توحيد المحكمة وتوحيـد القوانين فاذا ما تم لها ذلك – وقد قطعت في سبيلـه شوطا كبيرا بتوحيد المحاكم في الشمال وصدور عدة مدونات ولا سيما بصدور قانون اطار القضاة – تكون قد ادركت الغاية الحقيقية من وحدة القضاء في المغرب .

واذن فما دامت سياسة وزاره العدل في ميدان اصلاح القضاء وتوحيده متجهة الى جعل القانون العام الذي تحكم به المحاكم في المغرب مستمدا في روحه من التشريع الاسلامي وما دام من الضروري من جهة اخرى ان تعمل الوزارة باستمرار على تطور قضائنا باقتباس ما كـان

المثقفين من شبابنا ثقافة غربيه الى اعتناق نظرية ففهية من نظريات الامام مالك او نظرية فى القانون العام من نظريات الموردي . بقدر مايصعب عليك انتهيب بعلمائنا الدينيين الى اعتناق فكرة من افكار منتسكيو حول الدولة او التنظيم القضائي او مبادىء التشريع مهما بلغت هذه الفكرة من سلامة الذوق وسمو المنطق وعدم المساس بالعقيدة الاسلامية فكل فكرة من هذا القبيل تظل فى نظرهم اجنبية غربيه وبالتالي غير صالحة للحياة الاسلامية مثل ما لا تعدو نظريات مالك والماوردى فى نظر المثقفين ثقافه عصرية ان تكون رموزا واسرارا نترك بها وغير قابله حتى للدراسه والتحليل فضلا عن ان تكون صالحة لان يعمل بها فى هذا العصر !

اما ان يروح السلفيون من علمائنا الى المطالبة بتطبيق المبادىء الاسلامية وجعل الكتاب والسنة اساسا للقضاء والقانون فذلك مما لا ينبغى ان يعاب عليهم اذ هو طبيعى بالنسبه لامه اسلامية كالامه المغربيه وجدير بتلافى ما وقع فى بعض الاقطار الشرقية من اهمال القضاء القومى ونسده يبدا باما فانه استجابه لهذه الرغبه العزيزة فد أولت وزاره العدل عنايتها لاصلاح محاكم القضاء والمحافظة على التشريع الاسلامى فى اطاره السلفى وعملت على وضع مدونه الفقه الاسلامي ومسطرة قضائية تقى تلك المحاكم من الفوضى والارتباك التي عاشتها طيلة سنين فالوزاره ترمى من وراء هذه المرحلة الاولى فى الاصلاح الى الاحتفاظ لتلك المحاكم بطابعها الخاص وكيانها المعنوي نظرا لما توليه جلاله الملك من عظيم العناية والاهتمام بكل ما يتعلق باحكام الشرع والمحافظة على القيم الدينية والقوميه « على ان النظام الذى سيتم لوزارة العدل قريبا تطبيقه فى البلاد سوف لا يترك الا نوعا واحدا من المحاكم فى درجات مختلفة تنظر فى جميع الدعاوى دون ما تمييز وسيكون توزيع الاعمال داخل الغرف والاقسام التي تتالف منها كل محكمه مبنيا على اساس مهني لا غير يراعى فيه تخصيص القضاة ومصلحة سير العدالة طبقا للانظمة الداخلية لكل محكمة » (2) فليطمئن قضاتنا التقليديون وعلماؤنا السلفيون وليدركوا بان لا مبرر ولا اساس لما يروجه بعضهم من دعاية هدامة وتهريج حول ما يسمونه بالحاق المحاكم (الشرعيه) بالمحاكم (العاديه) فسوف لا تبقى هناك محكمة (شرعية) واخرى (غير شرعية ؟) الا فى نظر المتعصبين منهم . هذا وان الخطة التي تنهجها وزاره العدل من جعل القانون العام فى المغرب مستمدا فى روحه من التشريع الاسلامي لخير ضمان يطمئن اليه مصير الفقه الاسلامى فى بلادنا ويجعل تشريعنا قابلا للتوسع والتطور والتغذية بكل ما كان صالحا من انظمه الغرب القضائية والقانونية .

اما ان ينكر بعض المثقفين منا ثقافة غربية لقيمهم الدينية ولتقاليدهم فيرمون الفقه الاسلامي بالتحجر والقصور ويريدون ابعاد الناس عن حظيرة الشرع « لعدم ملاءمته للحياة العصرية » ويدعون لتقليد الغرب فى انظمته القضائية والتشريعية تقليدا اعمى فذلك مما يعاب على جيل لم يتلق التوجيه الثقافي الصالح لمستقبل البلاد . فاعتقادهم هذا وان كان سلبيا فى حد ذاته (يهدفون من ورائه الى تقدم البلاد بالسرعه الملائمة للعصر) فهو اعتقاد سلبي لا يقوم على الاقتناع الصادر عن الدرس الشامل الصحيح والمقارنة النزيهة لاصول التشريع ومبرراته وتطوراته فى الشرق والغرب ، فهم اقتصروا على ما درسوه من مبادىء القانون ومدوناته فى الغرب ولم يولوا عنايتهم لدراسه التشريع الاسلامى واكتفوا عن ذلك ببعض المعلومات قلدوا فيها هذا المؤلف الغربي او ذاك واعتنقوا حول الفقه الاسلامى أفكارا لمجرد انهم وجدوها فى كتب الغرب وهكذا أصبحوا مقتنعين ومتشبثين بكل ما قاله الفلاسفة العلمانيون فى أوربا عن مبادىء الدولة والقانون ومحشوي الذهن باخطاء فادحة عن الفقه الاسلامي لمجرد ان هذا النوع من التشريع مستمد من كتاب منزل فهو قانون دوله تيوكراسية (Théocratie) والدولة التيوكراسية فى نظر هؤلاء الفلاسفة كمنتسكيو (Montesquieu) وبرودون (Proudhon) اصل السلطة المستبده والحكم الجائر .

وهنا اريد ان اوجه سؤالين الى شبابنا المثقف ثقافة عصرية وخاصة منهم من ينتسبون للعائلة القضائية وارجو ان لا اضايقهم :

اولا — هل انتم متفقون مع منتسكيو فى كل ما قرره ودعا اليه فى كتابه (روح القوانين) Esprit des lois وبالاخص هل انتم موافقون على ما احتوى عليه هذا

---

2) الاستاذ حماد العراقي : مجلة القضاء والقانون عدد 17 صحيفة 536 .
3) انظر (روح القوانين) لمنتسكيو — الباب الخامس من الكتاب الثاني والباب التاسع من الكتاب الثالث والباب الرابع عشر من الكتاب الخامس .

حياة الإسلام المعاصر وأثره بين أفراده وعلاقات دوله

للاستاذ المهدي البرجالي

من نافلة الحديث التاكيد بان جانبا من كتل الجماهير فى البلاد الاسلامية والنخبة المتعلمة — على الاخص — تعيش فترة انتكاس روحي وديني تزداد مظاهره مع الايام حدة وخطورة .

ومن معاد القول ايضا الاشارة الى ان هذه الظاهرة لا تخص بقطر اسلامي دون آخر او تتركز صورها فى بيئة مسلمة دون اخرى ، بل انها تبدو عامة مشتركة بين اغلبية الشعوب التي تدين بالاسلام او تنتسب له انتسابا دستوريا او غير دستوري . وذلك الى حد يمكن معه اعتبارها من الظواهر الاساسية التي تميز حياة الاسلام المعاصر .

ولكن ما شان هذه الازمة ؟ ما مظاهرها الجوهرية المميزة ؟

هل هي مظهر انحراف طارىء ؟ ام انها نتيجة حتمية تاريخية لا سبيل الى ردها واستدفاعها ؟

ان الازمة تمتد — باعتبار الصورة والمظهر — فى ابعاد كثيرة ومعقدة ولكنها متحدة فى المفعول والنتائج . اما اصولها فناشئة — كما هو ملاحظ — عن اتساع مسافة التباين بين عقائد الاسلام وروحانيته وتاثيره العام وبين كثير من البيئات الاجتماعية التي تعزى الى هذا الدين وتعد معتنقة له . وهذا التباعد ليس فى الواقع — وليد عامل زماني او مكاني معين ، بل هو نتيجة التصادم بين الحقيقة الدينية وبين بعض التيارات الايديولوجية التي تجتاح الفكر الانساني المعاصر والتي كان لبعضها تاثير على بلبلة هذا الفكر والانحراف به نحو سبل ملتوية ومعقدة ومليئة بالامكانيات التدميرية على اختلاف نتائجها .

والحق ان العقيدة الاسلامية تتوفر على الكثير من المقومات التي تمنحها بعض الحصانة ضد هذه المؤثرات المذهبية الطاغية ، ولكن الصورة التي آل اليها الدين الاسلامي بعد ان تسربت اليه بعض العناصر السلبية الميتولوجية المنحدرة من عهود التخلف فى القرون الوسطى . . . هذه الصورة لم يكن من شانها ان تبقي له على الحصانة والمناعة التي كان ينعم بها فى نفوس اهله وفى ادهانهم وعقولهم وبالتالي فى الكثير من تصرفاتهم واتجاهاتهم الفردية والجماعية ، ولهذا كان الطريق ميسورا اما هذه المذاهب والعقائد الاجنبية المجرفة لكي تنفذ الى كثير من مواطن الحياة الروحية والاجتماعية والسياسية فى انحاء العالم الاسلامي ، وتصيب بعض الجوانب منها اصابات جزئية او غير جزئية . ومن ثم كان منشأ هذه الحالة الروحية والفكرية المائعة . . التي يصطبغ بها الوضع الديني فى مختلف الاقطار الاسلامية ، تلك الحالة التي يزداد تعقدها بازدياد تاثر المسلمين بالاضطراب الروحي والفكري العالمي الشامل الذي يتميز به عالمنا الحاضر .

هذه اذن بعض بواعث الازمة وعواملها كما يعيها ويدركها الكثيرون ، اما مظاهرها فتتجلى فى صور عدة يمكن استجلاؤها من ميدان الحياة العامة والخاصة لمختلف البيئات الاسلامية فى هذا القطر او ذاك ومن بين هذه الصور : 1) كسوف الجانب العقائدي الغيبي من الفكرة الدينية 2) ضعف الوفاء للنواحي الشعائرية من الالتزامات الدينية 3) تفكك عناصر الجانب السياسي والاجتماعي من التنظيمات الدنيوية الاسلامية .

وليس من همنا — فى هذا الموضوع — محاولة تحليل الازمة الدينية العامة وتتبع مظاهرها بالبحث والاستقصاء ، الا ان الذي يجب ان يستثير انتباهنا على الاقل هو ملاحظة التاثير الذي تحدثه هذه الازمة بالفعل على مجموع الروابط الروحية التي تصل بين مختلف البيئات الاسلامية والاضرار التي استطاعت ان تلحقها بهذه الروابط على نحو مثير حقا ، فقد كان

صالحا له من انظمة الفرب مما لا يتنافى مع روح الشربعة الاسلامية الطاهرة وقيمنا القومية ، فقد لا يكون بد لقضاتنا الذين اصبحو ينتمون لسلك واحد ويتمتعون بنفس الحقوق وتجري عليهم نفس الواجبات من ان يعملوا بجد على اعادة النظر فى معلوماتهم وتقويم مؤهلاتهم الثقافية والمهنية لجعلها تامة وكفيلة بالاضطلاع بالرسالة الساميه التي انيط بهم اداؤها لصالح مجتمعهم فقد يتحتم عليهم بوم ان يتم ادماج ما يسمى الان بالقضاء الشرعي والعادي والعصري فى قضاء قومي موحد ان يلموا باطراف القانون المعمول به فى البلاد وان لا يبقى هناك حاجز يعترض سبيلهم من اجل التصرف فى مهمتهم بكل ما يتطلبه الحال من تبصر واحاطة بفروع التشريع لحل المعضلات المعروضة عليهم .

نعم ، فد نفول بان تحقيق ذلك وقف على وزاره العدل التي بنبغي لها ان تزود فضاتها بوسائل العمل الكفيلة بتوحيد الميدان القضائي من جميع وجوهه فتبادر بانشاء كلية للقضاء على غرار ما بوجد فى البلاد الفربيه وبتوحيد المحاكم وضم شتات التشريع فى مدونات تكون اداة صالحة ستقي منها القضاة مادة القانون وستنيرون بها فى اصدار احكامهم . الا ان هذا وان كان من شانه ان ساعد على انطلاق القضاة واندماج بعضهم فى بعض من الناحية المهنية فانه لا يكون جديرا وحده بتحقيق الوحدة الثقافية عندهم ولا يكفي وحده لاعطاء القضاء المغربي كل ما هو فى حاجة اليه من فعالية وعظمة واريحية فسيبقى علينا من قبل ومن بعد ان نعمل بجد سواء فى الكلية او فى المحكمة على تهذيب عقليتنا كمثقفين واعادة النظر فى معتقداتنا فى مبدان القضاء والتشريع وذلك بتوسيع دائرة معارفنا واتجاه كل منا الى التقريب بين معلوماته ومعلومات الاخر والانفمار معه فى محيطه حتى يمتزج به واذ ذاك يكون من الممكن لنا ان نحقق وحدة ثقافتنا القضائية .

فهل بنبغي التذكير بان هذا الاتجاه لم يرح بعد الاستقلال من مستحبات وكماليات الثقافة بل اصبح فرضا من فروض الاستقلال وواجبا محتما على جميع القضاة سواء منهم المنتمون للقضاء الجالس او للنيابة العمومية خصوصا وان توحيد المحكمة الذى سيتم فى القريب سيفرض عليهم التوفر على ثقافة قضائية عامة والقدرة على تطبيق المدونات القانونية من دون ما تمييز بين اجزاء التشريع العام الذي تحكم به المحاكم فى المغرب ، وبذلك فقط سيكونون جديرين بحمل صفة « قاضي » التي خولهم اياها صاحب الجلالة نصره الله.

من خطبة المولى ادريس الازهر عقب بيعته

قال بعد طليعة الخطبة « ايها الناس انا الذي قد وليت هذا الامر الذي يضاعف للمحسنين فيه الاجر ، وللمسيئين الوزر ، ونحن والحمد لله على قصد جميل ، فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا ، فان الذي تطلبونه من الحق انما تجدونه عندنا » .

الإلتزامات الدولية التي تعني كل دولة اسلامية على حدة ؟ ام انه ناشيء عن تباين الظروف الاقليمية التي تحوط مختلف الاقطار الاسلامية .

الواقع ان مقتضيات الحياة العالمية الحديثة قد هيأت بالفعل كثيرا من اسباب التباين في الظروف والاحوال والمصالح بين شعوب العالم الاسلامي . والواقع ان هذا التباين يزداد اتساعا بقدر ما يشتد احتكاك المسلمين — كما قدمنا — بالتيارات العالمية المعاصرة من سياسية وفكرية وغيرها ، فهناك من الشعوب الاسلامية من اجبرته ظروفه الجغرافية والدولية على الارتباط بالعالم الغربي والتأثر بسياسته واتجاهاته العامة وذلك كالباكستان وايران واتحاد الملايو وتركيا والفليبين وغير ذلك ، كما ان هناك من الامم الاسلامية الاخرى من اضطرته ظروف معينة الى الارتباط بالعالم الماركسي والتقيد بنظرياته وآرائه والتزام خطته في السياسة العامة والخاصة بل والانصهار في بوتقته انصهارا كليا او جزئيا وذلك كالبانيا وسينكيانج الصينية والجمهوريات الاسلامية السوفياتية في اواسط آسيا وغيرها من الامم والاقليات الاسلامية (الممركسة) هذا بالاضافة الى اقطار اخرى ممن قادتها اتجاهاتها الى اعتناق مبادئ سياسية خاصة مثل مبدأ الحياد الايجابي والتعايش السلمي تارة وعدم التبعية تارة أخرى . ومن بين هذه الاقطار : اندونيسيا وافغانستان والعربية المتحدة وغينيا والمغرب والعراق وغير ذلك ، كما أن هناك اخيرا بعض الدول الاسلامية التي لم تتبين بعد طريقها بوضوح في خضم التيارات المذهبية الدولية المعاصرة . ولذا فان اتجاهاتها تكتسي طابع الحيرة والارتباك تارة كما تصطبغ بلون الغموض والابهام تارة اخرى . ولا ينحصر امر الاختلاف بين وحدات العالم الاسلامي في هذا النطاق المتعلق بالاتجاهات السياسية الدولية فقط بل ان مظهره يتجلى في ميادين اخرى غير ما ذكرناه آنفا . فهناك — بحق — كثير من التباين في طبائع الانظمة السياسية والاقتصادية التي تسود هذا القطر الاسلامي او ذاك . كما ان هناك ايضا كثيرا من الاختلاف في مناهج الحكم واساليب القيادة والتسيير التي تتحكم في توجيه مصائر الشعوب الاسلامية وتقاد كلا منها الى وجهة معينة وخاصة ، فالمبدئية التي تطبع بها نظام الحكم في ايران مثلا تختلف عن الاتجاه اليساري المعتدل الذي يتدرج اليه الوضع الحكمي في غينيا . وهذا الوضع يختلف بدوره عن ذلك النوع من اليسارية المتطرفة التي يعتنقها جهاز الحكم السائد في البانيا وغيرها . وكل هذا من شانه ان يؤكد حالات الاختلاف الملموس الذي يفصل فعلا بين الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدولية لمختلف الاقطار الاسلامية . . . هذه الحالات التي ليست من الخفاء والدقة بالقدر الذي يسوغ معه نكرانها او التقليل من اهميتها ومفعولها ، ولكننا نعود الى ذلك التساؤل السابق : هل من الممكن اعتبار هذه الاختلافات اساسا لتبرير كل هذه المظاهر من التجافي والتنافر والاهمال المتبادل تلك التي تنطبع بها صورة العلاقات بين كثير من البلاد الاسلامية ؟ هل يجوز ان يتخذ ذلك ذريعة لاستبعاد كل تعاون دولي منظم وفعال بين مختلف الدول الاسلامية ؟ قد يبدو ذلك صحيحا بعض الشيء ولكنه ليس كذلك في جميع الاحوال . فالاختلافات ذات الصبغة السياسية او الاقتصادية قد تقود حقا الى اختلافات اعمق في مجال الحياة الدولية وتؤدي بالتالي الى تدمير بوادر التعاون والتفاهم بين الدول التي تفصل بينها هذه الاختلافات. هذا صحيح في بعض الصور والحالات . ولكنه لا يمثل قاعدة ثابتة يجوز الاعتماد عليها في اصدار احكام قاطعة وثابتة فهناك فعلا كثير من الحالات الدالة على امكانيات التعاون والتفاهم بين الوحدات او المجموعات الدولية على الرغم من التفاوت الذي قد يكون حاصلا بين انظمتها السياسية واوضاعها الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، كما ان هناك ايضا بعض الصور التي لها قيمتها في الدليل على جواز قيام تكتلات دولية متماسكة لم تؤثر عليها مثل هذه الاختلافات او تحول دون استمرارها بنجاح بل ونموها نموا مطردا وملحوظا ومن امثلة ذلك : نظام الكومونولث الذي يضم على صعيد التعاون والتفاهم كثيرا من الشعوب المختلفة في انظمتها واتجاهاتها وأوضاعها وادابها واجناسها والمتحدة فيما يحدوها من رغبة عامة في تبادل المصالح والمنافع المشتركة في مختلف الميادين من اقتصادية وفنية وثقافية ودولية وغيرها ، وهناك من الشعوب الاخرى — غير شعوب الكومونولث — من تضمها احلاف دولية كبرى توحد بينها في المصير والاتجاه والمصالح والاحاسيس ما يبدو غريبا ومدهشا ، واذا جاز ان تكون الفواصل بين الامم الاسلامية اعمق تاثيرا مما توجد بين شعوب الكومونولث وغيرها فهل يجب ان تؤدي هذه الفواصل — واكرر ذلك — الى ما يقرب احيانا من درجة العداء السافر والقطيعة البائنة ؟ والا فعلى اي اساس يمكن تعليل موقف بعض الدول

للتيارات الايديولوجية المتنافضة ـ التي اجتاحت مختلف الشعوب الاسلامية ـ ان اعانت على نشوء حالات من التفكك في العلائق بين هذه الشعوب ، وذلك الى حد يسيء الى مبدا التماسك الروحي الذي يجب ان يتوافر لها والذي تقتضيه حاجات العصر ، ومقتضيات العقيدة الدينية ان هناك بالطبع كثيرا من المظاهر التي يمكن ملاحظتها في عدد من البلاد الاسلامية والتي يمكن ان تدل ظاهريا على سلامة الحياة الدينية في صورها الشعائرية التعبدية عند الكثير من الجماهير المسلمة في هذه البلاد ، ففي تركيا مثلا يلاحظ المراقبون مزيدا من الاقبال على المساجد والمعابد ، وفي افريقيا يعترف الملاحظون بقوة التيار الاسلامي الذي يجتاح امامه الوثنية وحتى المسيحية الطارئة اجتياحا عرما وقويا ، وفي الحجاز يشاهد الناس الجماهير الاسلامية تنثال من مختلف اصقاع افريقيا وآسيا واوربا على الكعبة الحرام لتؤدي بكل دقة وامانة شعائر الطواف والوقوف والرمي وغير ذلك ، وكل هذا من شانه ان يقود المراقب السطحي الى الاعتقاد في استمرار الفاعلية الروحية التي يتمتع بها الدين الاسلامي والتي تساعد هذا الدين على الربط بين اتباعه في مختلف المواطن بوشائج روحية واجتماعية متينة توحد فيما بينهم وتخلق منهم كيانا معنويا له خصائصه ومميزاته ، ولكن هذه الافتراضات لاتمثل الواقع تمثيلا صحيحا . فليس بين المجتمعات الاسلامية بالفعل قدر من الروابط المعنوية القوية التي تبلغ هذه الدرجة من العمق والمتانة . والمظاهر الدينية التي يجوز ان نلاحظ في هذا القطر او ذاك ليست الا مظاهر باهتة ـ لاتتعدى ـ عند اصحابها ـ نطاقا محدودا تسوده الروح الفردية الخاصة وتلفه معاني العزلة والانطواء وما اليهما ، فهل يصح التاكيد ـ على هذا الاساس ـ بان هذه المظاهر التعبدية الملاحظة في مختلف ارجاء العالم الاسلامي هي كل ما يستهدف من وجود الاسلام كقوة حية فاعلة ومؤثرة ؟ ان الدين الاسلامي باعتباره نظاما دينيا ودنيويا يقتضي ـ بكل الحاح ـ توافر نوع جوهري من التماسك العام بين الافراد والجماعات التي تنتسب اليه ، وذلك في سبيل خدمته المثالية العليا التي تنصب عليها اهدافه الانسانية الكبرى وتركيز الجهود والطاقات حول هذه الاهداف تركيزا عميقا ومنظما .

هذا التماسك المنشود هل يجوز القول بانه متوفر فعلا بين وحدات العالم الاسلامي وخاصة على صعيد العلاقات السياسية الدولية وما في بابها ، انه من الطبيعي ان نؤكد ان ذلك غير موجود بالفعل كحقيقة واقعية فالعالم الاسلامي ـ كما تتجلى صورته اليوم ـ لايمثل وحدة دولية ذات اساس مصلحي او اتجاهي مشترك ، وانما هو فقط تعبير عن واقع ديني مشترك لايعدو وجه التشارك فيه حدود الشعائر والعبادات وما يماثلها وبعض الطقوس والعادات الاجتماعية مع كثير من الفوارق الاتجاهية التي تبلغ مرحلة التصادم احيانا . وعلى النقيض من ذلك احوال المجتمعات العقائدية الاخرى كالعالم الاشتراكي الماركسي والعالم الغربي الديموقراطي الرأسمالي حيث تبدو ظواهر التجانس والتماسك على اعلى نسبة ممكنة من المتانة والقوة ، وحيث يبلغ مفهوم الوحدة الاتجاهية والمصيرية مستويات متميزة من التفاعل والتمازج والانصهار .

على انه ليس من همنا ـ ونحن نشير الى وحدة العالم الاشتراكي والرأسمالي ـ ان نتحدث عن فكرة الوحدة الاسلامية او حركات الدعوة الى الخلافة او ما شابهها من تلك الحركات التي ملأت حيزا هاما من تاريخ المسلمين الفكري في العصر الحديث . فقد كان لحركة الوحدة الاسلامية انصار وخصوم لايزال الكثير منهم متمسكا بآرائه ونظرياته واتجاهاته . ولم تسفر عن غمرات الجدال والنقاش في مثل هذا الموضوع أي انجاز ايجابي له قيمته واثره . وذلك نتيجة السلبية الواضحة التي تمر بها موقف الدعاة والمريدين والظروف العامة التي تكتنف الفكرة بالاضافة الى النشاط الضخم الايجابي الذي تبذله انصار الحركات البديلة وذلك كحركة الوحدة العربية والوحدة الطورانية وغيرها .

ان الحديث عن وحدة سياسية اسلامية على اساس توحيدي أو اتحادي أو غير ذلك لايبدو ـ لهذه الاعتبارات ـ انه ذو موضوع ملح في الوقت الحاضر . ولكن امتناع الوحدة لايعني مطلقا جواز التنافر والتدابر والتباعد ، فالوحدة حقا شرط اساسي لامكانية الامتزاج والانصهار بين الامم والشعوب ولكنها ليست ضرورة اكيدة اذا كان الهدف مجرد تنمية التعاون والتفاهم بين هذه الامم والشعوب ، واذا كان الامر كذلك فعلى أي اساس تقوم هذه الحالات من التجافي المتعمد والاهمال المتبادل بين الدول الاسلامية ؟ هل يعود ذلك الى انعدام الوحدة الشاملة فيما بينها واختلاف الاوضاع السياسية والاجتماعية القائمة في كل منها ؟ هل هو ناشئ عن اختلاف

السياسة العالمية وتكييف النتائج الناشئة عنها بشكل مباشر او غير مباشر . والذي يبدو واضحا ان العوامل المصلحية كان من الممكن ان يكون لها ــ كما هو شان الاسبان واليونان ــ تاثير على مواقف بعض الدول الاسلامية التي ترتبط مصالحها بالشرق الاوسط ارتباطا تاما او نسبيا وبالتالي فان اتجاهات الدول تكون اكثر انسجاما مع موقف العالم العربي من اسرائيل . ولكن كثيرا من الظواهر الواضحة تدل على ان بعض الاقطار الاسلامية تعتمد في سياستها بالشرق الاوسط على استنتاجات اخرى ذات تاثير معاكس . فالمصلحة عند هذه الاقطار قد تاخذ اتجاها آخر ، وقد تقود هذا الاتجاه الى موقف المسالمة المطلقة مع اسرائيل . وقد تقود ايضا الى الايغال في هذه المسالة الى حد اضعاف العلاقات العامة مع العالم العربي مع ما تحمله كل ذلك من نتائج سيئة وخطيرة احيانا .

اما الموقف الذي يتحكم في تحديد مثل هذه المواقف « الاسلامية » من اسرائيل فهو منطق المصلحة القومية . . . هذه المصلحة التي لانستطيع ــ بحق ــ اكتناه سرها لحد الآن ، كما لم تستطع ذلك من قبل كل من اليونان واسبانيا وكما لم تستطعه كل دولة غير اسلامية لم تقدم على بادرة التعاون مع اسرائيل .

وكما ان مثال فلسطين له اكثر من دلالة على تفسخ الروابط العادية بين الكثير من وحدات العالم الاسلامي فان هناك ايضا من القضايا الاسلامية والعربية الاخرى ما يعتبر ذا مدلول قوي للاحتجاج به في هذا المقام . فالمؤازرة الدولية مثلا . . تلك التي حظى بها الشعب الجزائري في نضاله البطولي العظيم لا يصدر فعلا عن كافة الاقطار الاسلامية . ولو ان هذه القضية ترتبط شديد الارتباط بقضايا التحرر الانساني التي تعني الجماهير المسلمة في افريقيا وآسيا . بل ان هذه القضية تلقى من مناصرة الابعدين عنها ومن عطف بعض الاوساط التي تنتسب لخصومها ما لا تجد له صدى كبيرا في الفلبين مثلاوماليزيا وافغانستانونجيريا واتحاد مالي وغير هذه الاقطار ، وهكذا الشان بالنسبة لقضايا اسلامية اخرى كقضية كفاح شعب عمان والبحرين وعدن وكاشمير وغير ذلك من قضايا التحرر الانساني في كيان العالم الاسلامي .

اننا لا نضع قضية التضامن الاسلامي في اطارها الحقيقي الذي تقتضيه تعاليم الدين المشترك والعقيدة الموحدة بل اننا نضعها ــ على الاقل ــ في اطارها المصلحي الذي يستند الى ما يصل بين الشعوب الاسلامية من روابط مصلحية قارة وما يربط بينها من منافع سياسية واقتصادية وثقافية متبادلة سيما والاوضاع التي تسود اغلبية هذه الشعوب هي من التماثل والتقارب بقدر كبير ، فاكثريتها تنتسب الى ما سمي بعالم الشعوب المتخلفة اقتصاديا كما انها تعد من ضمن القطاع الدولي الذي يضم مختلف البلاد الحديثة العهد بالاستقلال ، هذا بالاضافة الى انها تواجه انواعا متشابهة من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتقتضيها طبيعة هذه المشاكل اللجوء الى حلول قد تكون متقاربة ومتوازنة ، فالتقاء هذه الشعوب اذن على صعيد التفاهم والتضامن لايجوز ان يفسر على انه مظهر للتعصب العقائدي السلبي سيما والعقيدة المشتركة بين المسلمين لا تستلزم مثل هذا الاحتمال ــ وانما هو مجرد اساس لتقريب وجهات النظر بين مجموعة من الوحدات الدولية التي تضم بينها في الاصل كثيرا من عوامل التقارب العقائدي والثقافي والتاريخي وتوجد في حالة افتقار الى تبادل المصالح عن طريق التآزر السياسي والتعاون الاقتصادي والتبادل الفكري والتراص امام المهددات التي يزخر بها الافق الدولي ، ان الاسس الفلسفية التي تقوم عليها مبدأ التعاون المفترض بين وحدات العالم الاسلامي لاتجب ــ كما رأينا ــ ان تكون محط رد او اعتراض جوهري ، واذا كان الامر كذلك فعلى من تعود مسؤولية التفسخ العقائدي والتعاوني بين الامم الاسلامية في العصر الحاضر ؟ هل تقع التبعة على مختلف الهيئات الحكومية او على الجماهير والتكتلات الشعبية ؟ او انها تؤول بالاحرى الى القيادات الاجتماعية والثقافية وغيرها ؟ الذي يبدو ظاهريا ان بعض جوانب المسؤولية في هذا المقام تعود الى القيادات الحكومية والانظمة السياسية القائمة في مختلف ربوع العالم الاسلامي ؛ ولكني لا استطيع ان اساير هذه الوجهة من النظر مسايرة مطلقة ، لانها لاتعكس كل الحقائق التي تدق احيانا وتعوزها القدر الكافي من الجلاء والوضوح . فليس من المعقول اطلاقا عزو ازمة التضامن الاسلامي الى الجهات الحكومية الرسمية في العالم الاسلامي دون غيرها . ان الشعوب تتحمل ايضا مسؤوليتها الضخمة في وجود هذه الازمة وفي نموها وتطورها وسوء النتائج التي تنبثق عنها : فالحكومات ــ في بعض الاحيان ــ لاتفعل الا ان تعكس صورة الواقع الفكري الشعبي وتمنحه شكله الفعلي المجسم . ومن الجائز جدا ان بعض الحكومات الاسلامية قد لاتشذ عن هذه القاعدة الا قليلا .

الاسلامية من الوجود الصهيوني فى فلسطين وكيف يجوز تبرير السلوك الذي تتخذه هذه الدول والذي يعبر عن استساغة مبدا العلاقات الوديه مع اسرائيل ؟ وكيف يمكن تسويغ التهافت الذى تبديه دول اسلامية اخرى على الترابط الاقتصادي مع الصهيونيين وفسح المجال امام التوسع الاسرائيلي لينفذ الى اعماق القارة الاسيوية والافريقية ولو كان ذلك على حساب المودة والاخاء الذى يجب ان يربطها بالشعوب العربية ؟ بل كيف يمكن ايضا تبرير النهج الحيادى السلبي الذي يلتزمه صنف آخر من الدول الاسلاميه حيال اسرائيل وكأنها ليست السبب المباشر فى مأساة الملايين من اللاجئين .

قد يجوز ان يقال ان ذلك ناشيء عن الصبغة العلمانية التي تسود بعض الدول حيث تتم ممارسة شؤون السياسة العامة بمنأى عن الدين ومؤثراته وحيث تبرز المصلحة الوطنية الخاصة كأقوى عامل فى تحديد الاتجاهات السياسية فى الداخل والخارج . وقد يقال ايضا ان منشأ ذلك يعود الى ما تكتنف مواقف بعض الاقطار الاسلامية فى العالم الدولى من ملابسات دقيقه ومحرجه وذلك كوضع تركيا داخل حلف الاطلسي ووضع ايران فى حظيرة منظمة المعاهدة الوسطى وموقف نيجيريا كعضو محتمل فى رابطة الشعوب البريطانية وحالة الملايو كعضو فعلى فى هذه الرابطة ، وقد يقال غير هذا او ذاك ، ولكن هل يجوز ان تكون هذه الاقوال كافية لتبرير السياسة الودية التى تنتهجها حكومة اسلامية فى افريقيا وآسيا حيال اسرائيل وحيال التوسع السياسي والاقتصادى الذى تقوم به الدولة الصهيونية فى القارتين الملونتين .

والا فهل ضروري ان تكون لتركيا ونيجيريا مثلا من المصالح فى اسرائيل اكثر مما لها من منافع متبادلة مع دول الجامعة العربية تلك الدول التى تعتمد مواقف العداء السافر ضد الدولة الصهيونية وضد كل من تصل اسبابه بها من قريب او بعيد .

ان دولة متخلفة كنيجيريا تحتاج فعلا الى جميع الوان المساعدة الفنية والاقتصادية والثقافية وغيرها ، وهي فى وضع يضطرها بحق الى التماس اسباب هذه المساعدة من جميع المصادر الدولية التي لها بعض التبريز فى مثل هذه الميادين ، ولكنه ليس ثمت ما يجبر هذه الدولة الاسلامية على اقتحام ابواب التعاطي مع اسرائيل والانسياق فى سبيل التعامل معها كمصدر لاستقاء الاعانة وتبادل التجارة وغيرها ، وذلك لاسباب منها : 1) ان اسرائيل توجد هي نفسها فى حالة افتقار الى الاستفادة من امكانيات المساعدة الدولية الخاصة والعامة 2) ان المساعدة الاسرائيلية المحتملة تؤدي فى الغالب الى الحرمان من امكانيات التعاون السياسي والاقتصادي مع كثير من دول الشرق الاوسط وهي امكانيات هامة لها نصيبها من القيمة والاعتبار 3) ان وسائل الاستفادة من الاعانة الدولية لم تعد تنحصر فى نطاق التعامل مع دول معينة بل اصبح لها مجال واسع فى نطاق الامم المتحدة ومنظماتها الفرعية المختلفة بالاضافة الى الهيئات والمصالح الدولية الاخرى التي لها صبغة عالمية غير ملزمة .

اما بالنسبة لتركيا فالامر اكثر وضوحا وبيانا فالدولة التركية مرتبطة بالعالم الاطلسي ارتباطا وثيقا متينا وارتباطها هذا يتيح لها الكثير من فرص الاستعانة بالامكانيات المالية والفنية الغربية على نطاق واسع نسبيا وذلك مما لايجوز ان يجعلها مجبرة بالضرورة عن التعامل مع اسرائيل او الارتباط ولو فى نطاق العلاقات الديبلوماسية العادية وذلك – كما ذكرنا – فى سبيل ضمان التعاون الاقتصادى والسياسي مع العالم العربي هذا التعاون الذي يجب ان يعنى كل دولة تهتم بالشرق الاوسط والشمال الافريقى وترتبط مصالحها بهذين القطاعين الدوليين الهامين ارتباطا كليا او جزئيا .

وقد ادركت اليونان واسبانيا – وهما دولتان مسيحيتان – هذه الحقيقة فلم تقدم اي منهما على بادرة الاعتراف بالنظام الصهيوني القائم فى فلسطين المحتلة ولم تترددا فى الامتناع عن ربط علاقات الموده مع هذا النظام على الرغم من الظروف الدولية التي تحوط كلا من اثينا ومدريد والتي تدعوهما على العكس الى انتهاج سياسة التقارب مع اسرائيل .

وليس من المنطقي حقا ان نعزو موقف الدولتين المسيحيتين من الصهيونية الى امكانية وجود عواطف قومية او دينية تملأ صدور اليونانيين او الاسبان نحو العروبة والاسلام ، ليس هناك بالطبع ما يدعو الى اعتقاد ذلك وعلى هذا فان ما يعلل السياسة الاسبانية واليونانية فى هذا المقام هو التفكير المصلحي الصرف . . . هذا التفكير الذي له اكبر وزن على توجيه التيارات

الا ان الارهاصات التي امكن استطلاعها غداة وقوع الانقلاب لم يمكن معها – بحق – تكوين استنتاجات ايجابية في هذا المقام .

ان هناك – حقا – ما يجوز ان يحملنا على الاعتقاد بان النظام الثوري الجديد في تركيا ربما يكون اكثر ليونة ومرانة في السياسة العربية والاسلامية ، ولكن ليس هناك ما ساعد على التاكيد بان الثورة التي قام على اساسها هذا النظام تستهدف في بواعثها الاولى اغراضا انقلابية فيما يتعلق بالسياسة الخارجية على العموم وعلاقة هذه السياسة بالعالم العربي على الخصوص . ولا مفهوم لتركيا وحدها في هذا المجال ، فالتطورات السياسية المختلفة التي تلاحق في ربوع العالم الاسلامي لاتنبعث – كما تمكن ملاحظته – عن عوامل اسلامية او شبه اسلامية . ان اصولها غالبا ما تكون ناشئة عن اضطرابات اجتماعية او اقتصادية الصعيد الداخلي او في ميدان الحياة العالمية .

وهذا ما يمكن ان يفسر به الحركات الثورية في ايران وغيرها مما قد يكون له صلة بتطورات الوقائع على ايران واندونيسيا والباكستان وغيرها . فقد امكن لهذه الاقطار ان تعيش فترات ثورية مختلفة كان لبعضها تاثير حاسم على سير الوقائع التاريخية وتحديد اتجاهاتها ونتائجها . وعلى الرغم من وجود محتوى عقائدي كانت تعبر عنه احيانا مثل هذه الثورات فانها – مع ذلك – لم تسهم في العمل على تدعيم الوعي الاسلامي او مسايرته على الاقل وذلك لسبب بسيط وهو انها لم تكن ناشئة عن تطور فكري ديني بقدر ما كانت منبعثة عن تفاعل اجتماعي او اضطراب اقتصادي او تصادم سياسي محلي او دولي او غير ذلك . والتطورات المختلفة التي شهدتها ربوع العالم الاسلامي خلال العقد الاخير هي – كما قدمنا – من بين الشواهد على ذلك .

وليس هناك من سبيل للاستدلال ببعض المظاهر الثورية ذات الطابع الاسلامي كالهيجان الذي تواصله جماعات دار الاسلام باندونيسيا مثلا ، فان هذه المظاهر لاتتخذ شكلا معينا قد يحمل على الاعتقاد بانها تشكل ثورة فكرية وعقائدية اسلامية ذات محتوى محدد وواضح ، هذا علاوة على ان الانقلاب الفكري الاسلامي الذي ننشده لايجب بالضرورة ان يكون سبيله الوسائل الثورية العنيفة كالتحركات المسلحة وما في بابها .

ان التضامن الاسلامي المنشود يجب ان يكون نتيجة ثورة فكرية واعية وايجابية تستهدف ايقاظ الوعي الاسلامي بين الشعوب الاسلامية وتقيا تعميق هذا الوعي وتأصيله حتى يصبح عاملا موجودا له فاعليته وتاثيره على سير العلاقات بين وحدات العالم الاسلامي وتنمية بذور التعاون والتفاهم فيما بين الشعوب والدول الاسلامية .

ان هناك – بحق – كثيرا من المظاهر الدالة على تزايد الاهتمام بهذا الموضوع وغيره مما يتصل بحياة الاسلام المعاصر ، ومن آيات ذلك ما سجله تاريخ الحركات الاسلامية من بوادر ملحوظة تمثلت بعض مظاهرها في مؤتمر لاهور (1958) الذي دعت اليه جامعة البنجاب وفي غيره من المؤتمرات الاسلامية المتعاقبة ، ولم يكن مؤتمر لاهور وسيلة لدراسة الاسلام كنزعة روحية فقط ، بل انه كان يرمي الى استقصاء المشاكل التي تواجه حياته المعاصرة ودراسة التغلب على هذه المشاكل وتذليلها وخاصة ما يتصل من ذلك بحياة المسلمين الحديثة . وقد انعقدت قبل هذا المؤتمر وبعده كثير من الاجتماعات والمؤتمرات والندوات ذات الصبغة الاسلامية او شبه الاسلامية ، الا ان هذه البوادر من الوعي الاسلامي لايجوز ان تكون دليلا على ان الشعوب الاسلامية تسير في طريق التضامن والتعاون كما هو المفروض منطقيا وكما هو الواقع فعلا بين شعوب اخرى تعتبر اجنبية عن الاسلام .

واذا كان الامر كذلك فكيف يجوز لهذا الوعي الاسلامي المحدود ان يتخطى حدوده الضيقة ليصبح عامل تضامن وتفاهم ووئام بين الشعوب التي تنتسب الى العقيدة الاسلامية ؟ هل من سبيل الى النفوذ الى سبل هذا التضامن والتفاهم وتنمية بواعثه واسبابه ؟

ذاك هو – في الواقع – صميم المشكلة الدولية الاسلامية في صورتها الملحة المعاصرة .

وذلك ايضا ما يتعين على القيادات الاسلامية الواعية ان تعنى بمعالجته على اساس التقدير الصحيح للحقائق العالمية المعاصرة وعلى ضوء الواقع الحي المجرد عن الخيالات والاوهام .

وليس للآراء الفردية بالطبع ما يمكن من تكوين منهج صحيح للعمل الايجابي الخلاق في هذا الموضوع الهام . ولكن ذلك لا يجب ان يكون عائقا دون التفكير في الامر – ولو بصورة جزئية جدا – واستخلاص العبر الكثيرة والاستنتاجات الممكنة التي قد تتكشف عنها معالجته مهما كان نطاق المعالجة ضيقا ومحدودا.

وعلى هذا فاننا سنعود الى الموضوع في مقال آت بحول الله .

ان كثيرا من الاقطار الاسلامية تقوم فيها حقا انظمة سياسية لاتمثل كل الاتجاهات الشعبية العامة ولكن هناك اقطارا اسلامية اخرى توجد — على العكس — متوفره على كثير من المؤسسات الديموقراطية التي يجوز ان تمثل — الى حد ما — النزعات الجماهيرية بعض التمثيل ، ومع ذلك فان الانظمة النيابية فى بعض هذه الاقطار كانت وسيلة لتعزيز سياسة عدم التضامن التي ينتهجها المسؤولون الحكوميون فى حقل العلاقات مع بقية اقطار العالم الاسلامي . وبالتالي فان الكتل الشعبيه الممثلة برلمانيا تحمل هى بدورها قسطا من المسؤولية فى هذا المقام

ان التعليل الذى يمكن الاستعانه به فى فهم هذه الظواهر الملتوية يتمثل فيما يبدو على الجماهير المسلمة من سلبية وقصور فى التفكير الدينى وما يتصل به من معطيات سياسية واجتماعية وغيرها .

والواقع ان كثيرا من جوانب المشكله الدوليـة الاسلامية تتركز — على ما يبدو — فى هذه النقطه بالذات فالجماهير فى بعض جوانب العالم الاسلامي لايلوح عليها ما يمكن ان يعتبر استعدادا لاستيعاب المضمون السياسى والاجتماعى للفكره الاسلامية ، وبالتالي فانها لا تستطيع ان ترتفع بالمفهوم الدينى — كما يحدده الاسلام — الى مستوياته الانسانية العملية التي تستند الى مبادىء التكافل والتعاون فى العلاقات الانسانيه الحره وتستوجب اقراره بين الافراد والجماعات المسلمه اقرارا ثابتا ومركزا .

واذا كان مبدأ التآخى الدينى يجد عند الكثير من المسلمين مدلولا واقعيا له قيمته واعتباره فان هذا الشعور الاخوى السطحى لايقوم كقوة موجهة ذات فاعلية وتاثير لان مفهومه لايتجاوز فى بعض الاحيان حدودا سلبيه جوفاء كالتحاب المجرد والتعاطف المظهرى الفارغ والتجاوب السطحى فى المشاعر والاحاسيس واشياء من هذا القبيل .

على ان مجال الشعور الاسلامى فى حدوده الضيقة هذه قد بدا يتقلص او هو بصدد ذلك بالنسبة لبعض الشعوب الاسلامية التي اجتاحتها تيارات ايديولوجية وفكرية معينة . فقد اخذت القوات الجماهيرية فى هذه الشعوب — باستثناء فئات قليلة ممن يوصفون بالمحافظة والتزمت — تتخذ سبيلا يتجه بها نحو حالات من ضعف الانفعالات للمؤثرات الروحية الدينية وما تقتضيه من اتجاهات او تضمه من محتويات اخلاقية وفلسفية مختلفة ومن نتائج ذلك بالطبع ان مفهوم التضامن الاسلامي قد غدا عند البعض مفهوما خياليا لاينطوي على اية عناصر معقولة وايجابية ، كما اصبح عند آخرين ذا مدلول غير علمي لانه لايستجيب للحاجيات الفكرية والروحية والحقائق السياسية والاقتصادية التي تتحكم فى توجيه العلاقات الانسانية فى العصر الحاضر اننا — بالطبع — لانسوق هذه الآراء للاستدلال بها او استخدامها للدفاع عن وجهة نظر معينة ، وانما ناتي بها باعتبارها حقائق فعلية تمثل جانبا من الواقع الفكري الاسلامي فى بعض البيئات الاسلامية وتعبر عن بعض التيارات الاتجاهية التي تحس بها هذه البيئات وتنفعل لها انفعالا جزئيا او تاما ، ولهذا نلاحظ ان الحركات الجماهيرية التى شاهدتها كثير من الاقطار الاسلامية لم يكن لها من منطق فى الغالب الا ما يتصل بالاهداف الوطنيه والطائفية . اما العامل الدينى فقد غدا يمثل بالفعل جانبا من حياة الجماهير لا يقوى — لضعفه — على خلق تيار ثوري جماعي او يساهم فى توجيه عمل شعبى انقلابى وتعتبر الثورة التركية الاخيره من بين النماذج التى لها دلالتها فى هذا المقام ، فقد استطاعت الجماهير التركية ان تهيء ظروف عمل ثوري صميمي كان من نتائجه تدمير قواعد النظام الذى كان يمثله مندريس وبيار وغيرهما ، وقد كان العمل الثوري شعبيا جماهيريا على الرغم من الصبغة العسكرية الانقلابية التى اصطبغ بها فى مراحله الاخيرة ، ومع انه لم يحدث تغيرات جذرية على حياة تركيا الخاصه وعلاقاتها الخارجية الدولية فانه — مع ذلك — كان يستهدف اغراضا معينة مخصوصة ضمن على صعيد واحد عناصر الطلاب والسياسيين والعسكريين وغيرهم ، ولكن اي هذه الاغراض كان يتصل بحياة الاسلام على ضفاف البوسفور والدردنيل ؟ فقد كان من الجائز ان يواجه النظام السابق مؤاخذات فى موضوع العلاقات التركية العربية ، وكان من الضروري ان تكون هذه المؤاخذات من عناصر العمل الثوري الذي اطاح بنظام الحزب الديموقراطي التركي ، وكان من اللازم كذلك ان تتم المبادرة الى تصحيح الاوضاع وتقويم الاحوال التي كانت تميز السياسة التركية العربية خلال العهد المباد ، وذلك فى نطاق المصلحة المشتركة التي تضم بين الشقيقة الاسلامية الكبرى وبين جيرانها العرب فى الشرق الادنى والاوسط .

له ايضا ابنته عائشة التي صارت فيما بعد تدعى الست الحرة او السيدة الحرة ، التي حكمت نوعا ما في تطوان بعد ما كانت زوجا للمندري وقد تزوجت فيما بعد سلطان فاس احمد الوطاس الخ .

فاسم السيدة كما نرى هو عائشة ولقبها هو الست الحرة وهي ابنة الشريف الجليل المجاهد سيدي على بن رشيد باني شفشاون وحاكمها .

وفى المصادر الافرنجية ان الست الحرة ولدت بعد اخيها ابراهيم الذي ولد سنة 1490 ميلادية 896 هـ فعلى ذلك كانت عند وفاة الشيخ المندري الجد ، ما تزال فى سن الطفولة . وكانت عند وفاه والدها سنة 917 فيما دون العشرين من عمرها .

ثم ان م ريكار ذكر انها حكمت تطوان نوعا ما حينما كانت زوجا المنظرى . ومن ذلك ناخذ الجواب عن السؤال الثالث . ونعرف ان الصفة التي كانت لها فى تطوان . هى انها زوجة حاكمها القائد المنظرى ، ونحن نعرف انه كان بتطوان فى اوائل القرن العاشر منظريان اثنان اولهما هو القائد الغرناطي الشهير ابو الحسن المنظرى الذى جدد بناء تطوان وتولى الحكم بها فى اواخر القرن التاسع . والآخر حفيده الذي تولى حكم تطوان من بعده ــ ولا شك ان الذى تزوج الست الحرة هو الحفيد لان الجد كما قلنا توفى وهو شيخ كبير فى حياة والدها الذى كانت وفاته عام 917 .

والذى يظهر ان الست الحرة قد تولت الحكم بتطوان فى طورين :

الاول ــ حينما كانت زوجا للمنظرى فكانت تتولى بعض الاحكام اما فى غيبة زوجها الذى كان حاكما بتطوان فكان اذا غاب عنها فى حروبه المتوالية مع الافرنج، ينوب عنه فى ابداء الراى والاشارة بنظرها فى بعض القضايا لما كان يرى من سداد رايها وحسن تدبيرها ، واما انه بعد ان توفى هو بقيت داره عامرة وحاشيته ملتفة حولها وبقيت زوجته الست الحرة بما كان لها من نفوذ وجاه ومقام ومعرفة ، قابضة على زمام الحكم ولم يجد الناس فى ذلك حرجا لما كانوا يرونه من حزمها وحسن سياستها .

ومن المعروف ان بني راشد الذين كانوا حكام مدينة شفشاون والقبائل الجبلية القريبة منها ، كانت بينهم وبين المنظري واندلسيي تطوان ، علاقة ودية متينة منذ هاجر اولئك الاندلسيون من غرناطة الى شمال المغرب .

ويظهر ان ذلك كان من اهم الاسباب فيما حصل بين آل المنظري واصحابه اهالي تطوان من ناحية وبني راشد من ناحية اخرى من الانسجام والتعاون ، حتى أدى الحال اولا الى المصاهرة بين العائلتين المنظرية والراشدية ، وثانية الى تولي « الست الحرة » الراشدية المنظرية لحكم مدينة تطوان نفسها ورضا اهالي تطوان بتلك الولاية بالرغم من كون ولاية المراة للحكم شيئا لم يكن معهودا بالمغرب فى عصر الحكم الاسلامي . الا ان مكانة العائلتين وذكاء الست الحره ومرونتها وحزمها ودهاءها وقوة شخصيتها ــ وربما كان مع ذلك شيء من الجمال واللطف وحسن المعاملة ــ كل ذلك سوغ لها ان تحكم البلاد اداريا وتقود الرجال سياسيا واجتماعيا وحربيا . وذلك من اغرب ما حدث فى تاريخ تطوان .

الطور الثاني ــ لما تزوجت بعد ذلك بالسلطان احمد الوطاسي كما سياتي ، كانت تحكم تطوان ايضا وقد اتسع نفوذها وصار عملها غير قاصر على مباشرة الاعمال العادية داخل اسوار المدينة ، بل صارت لها علاقات خارجية ايضا . والمصادر الاسبانية والبرتغالية تصف الست الحرة بانها كانت كفؤا لما وصلت اليه من مقام . لانها تلقت علومها عن كبار الرجال ولانها كانت ذات معرفة ونظر ، وتذكر انها كانت شديدة فى تصرفاتها وخصوصا مع حاكم سبتة ، وانها كانت لها مراكب تتعاطى القرصنة فى البحار ، وانها كانت تتجر فى الاسارى المسيحيين الخ .

وانها تزوجت بالقائد المنظرى حاكم تطوان ونواحيها لتوحيد جبهة النضال بين مدينتي شفشاون وتطوان ضد عدوان البرتغاليين .

وفى المجموعة التاريخية التي نشرها م هنري دي كاستري : ان الست الحرة كانت حاكمة بتطوان وكان لها نفوذ بها . وانه وقع بينها وبين حاكم سبتة ضون الفونسو البرتغالى خلاف ادى الى قطع المواصلات بين سبتة وفاس فاهتم بذلك سلطان فاس احمد بن محمد المريني ــ أي الوطاسي ــ وكلف سباستبان دي بركاس

الست الحرة حاكمة تطوان سنة 948

هذا البحث نموذج من كتاب تاريخ تطوان الذي طبع الجزء الاول منه والذي قدمته مجلة « دعوة الحق » لقرائها في غير هذا المكان والبحث يعطي للقارىء الكريم فكره عن اتجاه بحوث هذا التاريخ وعن المجهود الذي بذله مؤلفه الاستاذ الكبير محمد داود في تأليفه اعانه الله على مواصلة جهوده حتى يجد الباحثون من المراجع المهمة ما يتممون به حلقات التاريخ العام لمغربنا العظيم .

الست الحره (1) هي امراه كان لها نفوذ كبير في مدينة تطوان ونواحيها . ويصح ان يقال انها تولت الحكم فيها . وقد وجدنا في المستندات الافرنجية ذكر هذه السيدة مرارا وورد ذكرها ايضا في كتاب « دوحة الناشر » لابن عسكر . فقد جاء في ترجمة السيد الجاسوس منه قوله : (2) « ان سرية من المسلمين ذهبوا الى الاغارة على النصارى الذين ببسبتة فوجدوا هذا الرجل على ساحل البحر بمقربة مدينة سبتة فظنوا انه من الجواسيس الذين يترددون الى بلاد الكفر فسألوه عن امره فتكلم بكلام لا يفهمونه فقبضوا عليه واتوا به الى تطوان في ولاية الحرة بنت علي بن راشد الخ ... فانت ترى انه ذكر ان تلك الحادثة وقعت في عهد ولاية السيدة المذكورة للحكم في تطوان .

فمن هي هذه السيدة ؟

وما هو اسمها الحقيقي ؟

وما هو المركز الذي كان لها في تطوان ؟

وما هو تاريخ وجودها في هذه المدينة وحكمها فيها ؟

وما هي المدة التي قضتها في حكمها ؟

هذه اسئلة خمسة دونك اجوبتها :

اما السؤال الاول فقد اجابنا عنه ابن عسكر في كتابه « دوحة الناشر » كما رأيت . اذ ذكر انها بنت علي ابن راشد الشريف العلمي صاحب مدينة شفشاون . وقد ذكر ذلك ايضا الباحث الفرنسي م ريكار في البحث الذي نشره بمجلة الاندلس (3) عن مولاي ابراهيم قائد شفشاون وشقيق الست الحرة المذكورة . وزادنا فائدة اخرى فاجابنا عن السؤال الثاني وبين لنا اسمها الحقيقي فذكر نقلا عن المصادر البرتغالية انها كانت تسمى عائشة. بل زادنا عنها وعن والديها معلومات طريفة فذكر ان امها كانت تسمى لالا الزهرة وان اصلها من مدينة فجر دي لافرونطيرا الاسبانية وهي مدينة صغيرة قرب الجزيرة الخضراء بالاندلس . وكانت هذه السيدة في اول امرها اسبانية مسيحية ثم اسلمت وصارت تدعى لالا الزهرة كما ان اخاها الذي كان اسمه مرتين فرنالدس اسلم فحول اسمه فرنانـدو ، وان سيدي علي بن الرشيد تزوج لالا زهرة المذكورة فولدت منه مولاي ابراهيم الذي صار فيما بعد حاكم شفشاون وكان قائدا كبيرا وحربيا مغامرا . كما ولدت

(1) لشيوع التسري بين القواد ورجال الدولة ، كانت ازواجهم الحرائر ذوات منزلة خاصة حتى كن يكرمن بان ينص على انهن حرائر ولسن بامهات اولاد .

(2) دوحة الناشر ص 34 .

(3) مجلة الاندلس ــ مدريد ــ سنة 1941 م 6 ج 2 ص 299 .

ممتاز بتطوان ونواحيها ، كما كانت لعائلتها الشريفة الحاكمة بشفشاون مكانة عظيمة في مختلف القبائل الجبلية بشمال المغرب ، وقد سبق له من قبل انه روج اخته من القائد مولاي ابراهيم شقيق الست الحرة نفسها . فكان زواج السلطان بالست الحرة سياسيا المقصود منه اكتساب عطف هذه النواحي وتاييدها له ، ولذلك ترك زوجته المذكورة نائبة عنه في حكم هذه الناحية ، وقد صرح مؤرخو الافرنج في ذلك العهد بان زواج السلطان الوطاسي بالست الحرة انما كان لتوطيد الامن في هذه الربوع من المغرب .

ومن هذا كله يتضح لنا الصفة التي كانت تحكم بها الست الحرة مدينة تطوان في المدة الاخيرة وهي انها كانت زوجة للسلطان ونائبة عنه في الحكم وكونها كانت زوجة للسلطان المذكور قد علمت انه ثابت لاشك فيه . وكذلك كونها كانت حاكمة بتطوان بعد ذلك الزواج فاذا لم يثبت انه طلقها عقب زواجه بها لم يبق الا انها كانت في تلك المدة تحكم هذه المدينة ونواحيها بتفويض من زوجها السلطان والله اعلم .

القائد المنظري الرابع والقضاء على حكم الست الحرة سنة 949 هـ

علمت مما تقدم ان الست الحرة قد تم زواجها من السلطان احمد الوطاسي بتطوان سنة 948 عقب وفاة زوجها المنظري حاكم هذه المدينة ، وانها كانت حاكمة بها بعد ذلك في اوائل سنة 949 ، ويظهر ان كبار الرجال من عائلة المنظري وغيرهم قد استاءوا من ان تتولى الست الحرة حكم تطوان وهم في الوجود، فقاموا بمؤامرة لقلب حكومة المراة والاستيلاء على حكم هذه المدينة . وقد شارك في هذه المؤامرة محمد الحسن المنظري الذى كان من سكان تطوان ، وهو حفيد المنظري حاكم تطوان من قبل وصهر الست الحرة ، كما شارك فيها والده محمد الحسن المنظري ايضا وكان قاطنا مع عائلته بفاس (8) . فجاء هذا المنظري الوالد من فاس الى تطوان واستولى على الحكم فيها بالقوة .

وقد جاء في المصادر البرتغالية انه في يوم عشري شهر اكتوبر سنة 1542 — وهو موافق لشهر رجب عام 949 — غادر السيد محمد الحسن المنظري مدينة فاس هاربا من السلطان احمد الوطاسي وتوجه نحو مدينة تطوان مركز حكم الست الحرة . فوصلها على راس جماعة من الفرسان ومعه عائلته وبعد يومين من وصوله اليها اعلن نفسه حاكما على هذه المدينة مستقلا عن سلطان فاس ثم اخرج الست الحرة من هذه المدينة واستولى على جميع ممتلكاتها بها .

ويظهر ان هذا الانقلاب لم يتم للمنظري الا بمساعدة المتآمرين معه على حكم الست الحرة من سكان تطوان نفسها (9) .

ولا يبعد ان يكون ذلك كله بتدبير عال من خصوم دولة الوطاسيين .

وبذلك وقع القضاء النهائي على حكم الست الحرة في مدينة تطوان ونواحيها . وكان القائم بذلك كما رايت هو القائد محمد الحسن المنظري الذي كان هو الرابع من الرجال الذين حكموا تطوان من عائلة المنظري .

ولا ندرى اكثر من هذا لا عن شخصية هذا القائد ولا عن الحوادث التى وقعت في عهده ولا عن مدة ولايته ونهايته .

---

(8) لا يزال اعقاب المنظري بفاس ، ومنهم من عاد الى تطوان

(9) يظهر ان الحرة افرطت في موالاة البرتغاليين حتى اصبحوا يتوسطون لها . وهذه خطة لم تكن لترضى المجاهدين سيما والمنافسون لا يمكن ان يتركوا هذه الفرصة تمر دون ان يستغلوها لصالح الوطن ولصالحهم ايضا .

بكتابة رسالة الى جان الثالث (4) ملك البرتغال للتوسط بين حاكم سبتة والست الحرة فكتب سيباستيان المذكور رسالة من سبتة بتاريخ 8 سبتمبر سنة 1542 م وفي المجموعة المذكورة ترجمة الرسالة المذكورة الى الفرنسية وفيها ان الست الحرة كانت قد سمحت للمراكب التركية بالدخول الى ميناء تطوان الخ . مما يدل على انها كانت تباشر الاعمال الخارجية حتى مع الدول الاجنبية .

اما تاريخ وجود الست الحرة بتطوان ومدة حكمها فيها فقد ذكر ابن عسكر في دوحة الناشر انها كانت متولية في حدود الخمسين اي وتسعمائة ومن رسالة سيباستيان دي بركاس نفهم انها كانت حاكمة سنة 1542 م وهي توافق عام 948 – 949 هـ .

والمعلومات عن الست الحرة في المصادر العربية قليلة جدا وجل ما عرف عنها مأخوذ عن المصادر الافرنجية مما كتبه اسحاق اوريبون . الا ان في كلامهم بعض اخطاء .

فمن ذلك انهم ذكروا ان الست الحرة هي والدة القاضي محمد بن عسكر مؤلف كتاب « دوحة الناشر » وانها هي التي ختمت حياتها باعتزال الحياة السياسية وانزوائها في مدينة القصر الكبير حيث عاشت مع ولدها ابن عسكر المذكور الى ان توفيت في ثاني عشر ذي القعدة عام 969 هـ وذلك كله لا اصل له . لان والدة ابن عسكر هي عائشة ابنة احمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن أحمد بن عمران الخ . وقد ترجم لها ابنها في كتابه «دوحة الناشر» (5) ووصفها بالولية الصالحة المتبرك بها، ونسب لها كرامات . ومن ترجمتها نعرف انها قضت حياتها بمدينة شفشاون الى ان انتقلت الى القصر الكبير حيث توفيت في التاريخ المذكور .

اما الست الحرة فهي عائشة ابنة الشيخ علي بن موسى بن راشد من ذرية الشيخ عبد السلام بن مشيش فوالدة ابن عسكر هي غير الست الحرة قطعا اما هذه، – اعني الست الحرة – فان مصيرها بعد اقصائها عن حكم تطوان ما زال غير معروف لدينا الى الآن .

ومن ذلك قولهم ان الست الحرة تزوجت الشيخ عليا المنظري الكبير وانتقلت معه الى تطوان مركز حكمه الخ . فان ذلك خطأ ايضا ، لان التاريخ الذي توفي فيه الشيخ المنظري المذكور كانت هي فيه ما تزال في سن الطفولة ، وهم انفسهم يذكرون ان مولدها كان عام 900 هـ والمنظري لم يعش بعد هذا العام الا بضع سنين شيخا هرما فاقدا لبصره . فالمنظري الذي كان زوجا لها هو احد حفدة الشيخ المنظري المذكور .

زواج سلطان فاس بحاكمة تطوان سنة 948

من اهم الاشياء التي تتعلق بالست الحرة قصة زواجها من السلطان احمد الوطاسي . وقد ذكرها العلامة سيدي العربي الفاسي في كتابه « مرآة المحاسن » اذ قال فيه ما نصه : (6) « ولما كان خروجه (اي سلطان فاس احمد الوطاسي) الذي وصل فيه الى تطوان وتزوج بها الحرة بنت الامير السيد ابي الحسن علي بن موسى بن راشد الشريف .. الى ان قال : قال الشيخ قاضي الجماعة ابو محمد عبد الواحد بن احمد الونشريسي رحمه الله فيما قرأته بخطه « وتزوج السلطان الحرة في ربيع الاول عام ثمانية واربعين 948 وبنى بها ببلد تطاون » وهذا التاريخ يوافقه التاريخ الميلادي شهر يوليه سنة 1541 م . وقد نقل الناصري مضمن ذلك في الاستقصا (7) .

ولنا هنا وقفة . فقد سبق لنا ان الست الحرة كانت حاكمة تطوان سنة 1542 م 949 هـ كما في رسالة سيباستيان دي بركاس . وفي دوحة الناشر انها كانت متولية في حدود الخمسين وذلك يصدق بسنة 949 ايضا والثابت انها تزوجت بسلطان فاس احمد الوطاسي وبنى بها في تطوان قبل ذلك التاريخ أي عام 948 كما رأيت في « مرآة المحاسن » فهل طلقها السلطان المذكور عقب زواجه بها وغادر هو تطوان وبقيت هي بها ؟ أم انها بقيت حاكمة بالرغم من كونها زوجة السلطان ؟ نحن نرجح هذا الاحتمال الثاني خصوصا بعد ان عرفنا ان مقام الاضمحلال بسبب محاربة السعديين له ومقاسمتهم له دولته ، فكان يبحث عما يوطد به مركزه بمختلف الوسائل ، ولذلك تزوج بالست الحرة التي كان لها مقام

---

4) هو جوان الثالث وقد تولى حكم البرتغال من سنة 1521 الى سنة 1557 .
5) دوحة الناشر ص 19 طبعة فاس سنة 1309 هـ .
6) مرآة المحاسن ص 216 طبع فاس سنة 1324 .
7) ج 2 ص 177 .

معينة بصفة مباشرة بحيث يمكن قياس مدى الاستفادة بسهولة لانها خدمات خاصة تقدم لهذه الطائفة . . ولذلك نجد فى دول كثيرة تقوم اذاعات خاصة (شركات) بمثل هذا العمل لانه يعتبر عملا تجاريا غايته الاخيرة الربح . .

وبالاضافة الى الخدمات السالفة الذكر والتى تعتبر جماعية لاتكون الغاية من ادائها تحقيق الربح او حتى تغطية النفقات فان الحكومة تقوم بخدمات من صميم النشاط الخاص مقابل اثمان زهيدة وذلك تحقيقا للعدالة الاجتماعية ورفعا لمستوى الشعب المادى والمعنوى . . وتتدخل الحكومة لتأدية هذه الخدمات فى الحالات الآتية :

1 — عندما يعجز الافراد عن تقدير اهمية بعض الحاجات تقديرا صحيحا مثال ذلك حاجة المواطنين الى التحصين ضد الامراض والحاجة الى التثقف والاطلاع عن طريق المكتبات فلكي تغرى الافراد وتحملهم يلجأون الى اشباع هذه الحاجات التى غفلوا عنها فانها لاتعتمد على سلطانها فى الزامهم واكراههم على القيام بها . بل تعمد الى عرضها عليهم بالمجان او اثمان مخفضة . فيكون ذلك تشجيعا لهم على الاقبال عليها والانتفاع بها .

2 — واذا كانت الحالة الاولى يفترض فيها ان الافراد يعجزون عن تقدير اهمية بعض الحاجات التقدير الصحيح فاننا نجد فى حين آخر أن عدم الاقبال على اشباع حاجات اخرى لايرجع الى عدم الشعور بالاهمية بل الى قلة الموارد التى لديهم . رغم الشعور الجارف بضرورتها واهميتها . . مثل الحاجة الى التعليم والحاجة الى مياه صالحة للشرب — فالعدالة الاجتماعية تقضي فى هذه الحالة بان تقوم الحكومة بتقديم ما يلزم لاشباع هذه الحاجات باثمان زهيدة لاتتناسب مع تكاليف تأديتها . . .

3 — وعند ما ترى الحكومة انه بالرغم من كون الخدمات يعتبر الانتفاع بها مباشرة (بحيث تستطيع المنشآت الخاصة ان تؤديها للجمهور) الا انها تلجأ الى اسدائها اذا كانت هناك منفعة عامة مشتركة تعود منها ، كما هو الحال فى التعليم الجامعي . اذ ان مثل هذا التعليم كما يعود على الفرد بما يرفع من مستواه العلمى والاجتماعى ويحقق له مركزا يزيد من مقدرته على الكسب . . فانه فى الوقت نفسه يفيد الوطن الذى يفخر بوجود اخصائيين يرفعون من مستواه العلمى ويؤدون له خدمات صالحة .

وكذلك حال بعض المشروعات العامة التى تقوم بها الحكومة بالرغم من وجود عنصر الاستفادة المباشرة التي يمكن تقييمها الا انه نظرا لوجود مصلحة عامة فان الحكومة لاتتخلى عن القيام بمثل هذه الوظيفة مثال ذلك السكك الحديدية فبجانب الخدمات الخاصة التى تقدم للمسافرين لقاء ثمن تذاكرهم فهناك مصلحة عامة تتمثل فى تيسير طرق المواصلات بين انحاء البلاد المختلفة وبينها وبين الدول الاخرى مع رفع مستوى البلاد المادى . .

ومن هذا نرى ان الحكومة لم توجد عبثا فهي تقوم بوظائف لها من الاهمية مالها بحيث تحقق العدالة الاجتماعية وترفع من مستوى الشعب المادى والمعنوى وتكفل اشباع الحاجات والرغبات التي يعجز عن تقديمها الافراد المتملون فى الشركات والمؤسسات الخاصة لو تركوا احرارا فى تصرفاتهم .

وسواء اكانت تلك الخدمات اساسية كالدفاع الوطنى والامن الداخلى والقضاء او كانت اجتماعية كالاجراءات الصحية والتعليم والتامين الاجتماعى او كانت اقتصادية كالتى تؤديها مصالح وزارات التجارة والصناعة والمواصلات . . . فان تاديتها بواسطة مصالح حكومية معناه قيام الحكومة بوظيفة اقتصادية باعتبار انها تشبع بعض حاجات المجتمع وتساهم بذلك فى معالجة المشكلة الاقتصادية . .

على ان هذه الخدمات ليست كل ما تقوم به الحكومة فى وظيفتها بل بجانب تنظيم هذه الخدمات العامة التى تعتبر المجال الاول لنشاطها الاقتصادى فهناك وظيفة اقتصادية اخرى وجدت لمعالجة العيوب التى يتسم بها النظام الرأسمالي .

فالراسمالية بالرغم مما حققته لبعض الدول من تقدم مادى لانظير له فى النظم الاخرى الا ان لها من العيوب ما جعل الاقتصاديين يولونها جانبا كبيرا من الاهتمام رغبة فى تجنب اضرارها .

وترجع عيوب نظام الراسمالية الى الاسباب الآتية :

الملكية الفردية — الحق فى الميراث — المنافسة — عدم استجابة عوامل التوازن للتغيرات التي نظرا على الظروف الاقتصادية الا بعد مضي مدة من الزمن .

فالملكية الفردية بجانب الحق فى الميراث تؤدى الى وجود تفاوت كبير فى الدخول بتركز اموال طائلة

هل للحكومة وظائف إقتصادية ؟

للأستاذ محمد الصادق البقالي

ان الحكومة تحت ظل النظام الرأسمالي تقف جانبا تاركة ادارة الافراد حرة في معالجة مشاكلهم الخاصة باشباع ما تتوق اليه انفسهم ورغباتهم من حاجات . فيتجه المنظمون (اصحاب المشروعات) الى انتاج تلك الانواع من السلع والخدمات التي يرون جانب الطلب عليها قد مال بها الى ضرورة احداث المزيد منها — وباتخاذ المنظمين لهذا السلوك الطبيعي يحققون لمشروعاتهم الربح (الذي هو غايتهم من اهدافهم الانتاجية) وللمجتمع فائدة الحصول على تلك السلع والخدمات التي كانت في طريقها الى النضوب . . .

وبذلك يتحقق التوازن بين ما يطلبه الافراد وبين ما يعرضه المنظمون الذين اتخذوا من جهاز السوق مقياسا وميزانا يهتدون به في معرفة رغبات الافراد .

غير ان هذا النظام الذي يترك المنظمين احرارا في معالجة مشاكلهم الاقتصادية لا يعني انه يلغي او يوقف الحكومة عن تقديم خدماتها وانتاج سلع بجانب ما ينتجه الافراد ، اذ هناك من الحاجات ما تقصر المنشآت الخاصة عن اشباعها بل قد لاتكون من اغراضها التي من اجلها وجدت . . فالخدمات التي يحصل عليها الافراد من الدفاع الوطني والامن الداخلي والقضاء خدمات اساسية تتصف بطابع جماعي بمعنى انها لازمة لكل الأفراد ولا يمكن ان يقتصر اداؤها لفرد دون الآخر ما دامت رابطة الوطن تجمع بينهم تحت منظمة اجتماعية واحدة . . وهي اذ تؤدى لافراد المجتمع لاننتظر ثمنا يتناسب مع استفادتهم منها ، ويرجع ذلك الى عدم امكان حصر او قياس ما يصيبه فرد ما من وجود المحاكم او رجال البوليس من منافع . . وهي بطبيعة الحال من مقومات ومقتضيات وجود الحكومة ، بوجودها تكتمل الاطار السياسي للدولة . .

وبجانب هذه الخدمات التي تعد من مقتضيات وجود الحكومة توجد مرافق اخرى تستند فكرة قيام الحكومة بأدائها الى كونها خدمات جماعية يصعب مطالبة من ينتفع بها مباشرة بدفع المقابل كالطرق العامة التي تربط بين انحاء البلاد داخليا وبينها وبين البلاد الاخرى . . فهي خدمات غير قابلة للتجزئة بمعنى اننا لايمكننا ان نطالب المستفيد منها بجزاء يتناسب ومدى ما يحسه من فائدة في استعماله للطرق . . وان كانت — قديما — تدفع اتاوات عن استعمال الطرق فانه في عصرنا هذا يصعب اتخاذ هذا الاجراء وذلك راجع الى تقدم العمران وازدحام السكان وقد يظن البعض ان الضرائب التي تدفع عن السيارات ما هي الا ثمن مقابل استخدام الطرق لكن هذا غير صحيح ولو انه في غالب الدول تستخدم حصيلة هذه الضرائب في الانفاق على انشاء الطرق وتعهدها . لانه لو كان الامر كذلك لكان هناك تعسف في تقدير مقدار هذه الاستفادة نظرا لتباين المسافات التي تقطعها السيارات ، اضف الى ذلك ان الدواب والعربات تطرق هذه الطرق دون ان تتحمل معظمها بضريبة ما .

وهذه الحالة تنطبق كذلك على الاذاعة ما دامت لاتذيع الا البرامج العامة دون قيام بدعاية واعلان ففى هذه الحالة تكون الخدمات جماعية اي عامة بينما ان كانت تتخلل هذه البرامج برامج تجارية اعلانية فان هذه الاخيرة تكون قابلة للتجزئة اي انها تفيد طائفة

بمناسبة ذكرى تأسيس القرويين

إنبعاث مجد في إقامة مهرجان

للأستاذ احمد زياد

حينما احتفل المغرب باحياء الذكرى المائة بعد الالف لجامعة القرويين كان يحتفل برمز خالد رمز شخص بعض مقوماته الاساسية .

فالقرويين كانت في العصور السالفة ملاذ اللغة العربية وملاذا للدين الاسلامي . وكانت تشكل منذ نشأتها قلعة حصينة رابط فيها كثير من العلماء الذين ابلوا البلاء الحسن في الدفاع عن حمى العروبة والاسلام . وذلك بالاضافة الى ما اسهمت به في نشر العلم والمعرفة الامر الذي جعل الحضارة الاسلامية تمتد في هذا الجزء العربي من العالم العربي والاسلامي ومن ثم كان الاحتفاء بذكرى القرويين يعتبر صورة من صور الوفاء لاولئك العلماء الذين سلخوا اعمارهم سنين طوالا في نشر هذا الاشعاع الروحي والفكري من القرويين حتى امتدت انواره الى كافة ارجاء افريقيا التي ما يزال الاسلام الى يومنا هذا منتشرا فيها رغم ما توالى على هذه القارة من محن واهوال . وكلنا على علم من تلك الحملات المتوالية التي توالت على القرويين بعد الاحتلال في السر حينا وفي العلن حينا آخر ، ولكن القرويين صمدت في وجه تلك الحملات طوال نصف قرن من الزمان وظلت تواصل رسالتها وترسل اشعاعها الروحي والفكري وكانت مصدر قوة لكفاح المغرب ضد الاحتلال والاستعمار .

ومنذ ان تولى صاحب الجلالة الملك المعظم محمد الخامس امر هذا الشعب وهو يولي عنايته الكاملة للقرويين فكانت احدى الواجهات التي صارع فيها جلالته الاستعمار الذي كان يحاول ان يجردها من كل روح ويتركها اثرا تاريخيا لا يتعدى ان يكون داخلا في منطقة نفوذ (بوزار) . وان نحن استعرضنا مواقف جلالته المشرفة ازاء القرويين ايام العهد البائد فنجدها مواقف تتسم بالايمان والجراة وبالغيرة على مقومات الشعب المغربي ، الامر الذي جعلها تتدرج في مراحل تطورية على قدر ما كانت تسمح به ظروف ذلك العهد ، فكان التنظيم الذي سعى صاحب الجلالة بادخاله عليها في ذلك العهد النواة الاولى لتطورها تطورا لم يكن محققا لجميع الغايات التي ارادها صاحب الجلالة الملك المعظم ، حتى اذا جاء عهد الاستقلال انصرفت همة جلالته مرة اخرى الى العناية بالقرويين واضفاء حلة جديدة عليها تتلاءم مع عهد الاستقلال .

والحقيقة ان من يستعرض ضروب الاصلاح التي ادخلت على القرويين بامر من صاحب الجلالة الملك المعظم خلال هذه المدة التي عاشها المغرب حرا مستقلا فانه سيلمس اثر هذه الاصلاحات في كافة الميادين . سيلمسها في رفع مستوى حياة الطلبة والعلماء وسيجدها ماثلة في التطور الهائل الذي تبدو مظاهره جلية واضحة عند المقارنة فيها بين عهدين . ومنذ بزوغ فجر الاستقلال والقرويين تتدرج في مراحل التطور والتقدم تمشيا مع تعليمات صاحب الجلالة الملك المعظم وارشاداته . تلك التعليمات التي كانت ترمي لان تجعل منها جامعة تحتفظ بمركزها التاريخي من جهة وتساير تطور العصر الحديث من جهة ثانية .

لقد مر على بناء القرويين الف ومائة سنة ولقد اراد صاحب الجلالة ان يجعل من هذه الذكرى فرصة اخرى تظهر فيها مرة اخرى عناية جلالته بالقرويين ، وهكذا فقد قبل ان يفتتح بنفسه المهرجان الرائع الذي اقيم بهذه المناسبة في مدينة فاس .

لقد كان يوم المهرجان من ايام فاس الخالدة . كان يوما لتمجيد الثقافة والفكر اللذين تعد القرويين رمزا لهما ، وكان يوم حماس شعبي تسنى فيه لسكان مدينة

فى ايدى قله – فى غالب الاحيان – وهذه الثروات تعطى نتيجه استغلالها عائدا عاليا مما يزيد من مضاعفتها ، فلا يرجى بذلك لتلك الكثره الغالبه ممن قدر لهم الا يتمتعوا (بما تتمتع به الاقلية من ثروات ودخل) بدخل يرفع من مركزهم . لان مضاعفة اموالهم لايكون بنفس السرعة .

واذا نظرنا الى تصرفات المنظمين ازاء تلبية رغبات الافراد فاننا نجدهم يولون الاهتمام الاكبر الى تلك الحاجات التى يطلبها الاغنياء . لانها تعود عليهم بارباح تثريهم وتفقدهم (فى الغالب) عن انتاج تلك الحاجات الضروريه التى يشعر الفقراء بضرورتها ، فحرم بذلك هذه الطبقة الفقيرة نتيجه هذا التصرف التلقائي من طرف المنظمين .

وعلاجا لهذا العيب (الحق فى الميراث – الملكية الفرديه) تتدخل الحكومه لتقليل التفاوت بين دخول الافراد عن طريق فرض ضرائب تتناسب ومقدرتهم على الدفع ، وتكون هذه الضرائب بالطبع تصاعديه (أى انها ترفع من سعرها كلما زادت قيمة الدخل – وقد تصل فى بعض الاحيان ارتفاع سعر الضريبة الى حد مصادرة ما زاد عن قدر معين من الدخل) وذلك باعتبار ان الضريبه لاتعتبر موردا من موارد الدوله فحسب بل هي اداه تستعين بها لتحقيق العدالة الاجتماعيه . وكذلك حال الضرائب التى تفرض على الثروات التى يرثها اقارب المتوفى بحيث يرتفع سعرها كلما بعدت درجة قرابه المتوفى او كانت قيمة الثروة الموروثه كبيره . .

وبجانب فرض الضرائب لتقليل التفاوت فان الحكومة تعمل على تحسين حالة الطبقة الفقيرة بما تقدمه من خدمات وسلع باثمان منخفضه حتى تضمن مستوى ملائما للمعيشة لهذه الطبقه الكادحة . .

اما المنافسه كعيب من عيوب الرأسمالية فهى تتمثل فى تلك الاتحادات الاحتكارية (المسماة بالترست والكارتل والشركات القابضة) والتى تنافس المشروعات الصغيره . وتضغط عليها بشتى الاساليب المعروفه لدى المنظمين ، حتى تقضوا عليها فيخلو لهم الجو للتمتع بالسوق بما تشبه الاحتكار .

ولكى تحد الحكومة من تمادى مثل هذه المشروعات أو التكتلات فى سياستها التحكمية تفرض عليها ضرائب مناسبة على منتجاتها أو تنشيء مشروعات عامة تنافسها فى انتاجها وتحد من سلطانها .

وبالنسبة لمدى سرعة اعادة حالة التوازن بعد اختلال النشاط الاقتصادى فان الامر ان ترك بيد الافراد (المنظمين) ليعيدوه الى حالته الطبيعية بعد احتلاله فان ذلك قد يتحقق ولكن بعد أن تمضي مدة من الزمن تكون الازمات قد تمكنت من معظم فروع الانتاج وزعزعت الكيان الاقتصادي . . . لهذا فان الحكومة – بما لها من سلطة مطلقة – تستطيع ان تعجل باعادة الحالة الى طبيعتها عند الشعور بأول بادرة من بوادر الازمة او هزة من هزات الكساد ، فتسعى الى علاج هذه الحالة بايقاف الازمة قبل استفحالها والكساد قبل تفشيه فى سائر الميادين . . وذلك باتخاذ اجراءات معينة كتخفيض عبء بعض الضرائب والتوسع فى الانفاق او التحول من نشاط الى آخر كل ذلك وغيره حسب ما تقتضيه ظروف الحال . .

كانت هذه نظرة خاطفة على الوظائف التى تقوم بها الدوله تحت النظام الرأسمالى الحديث وهى بطبيعة الحال تستلزم اموالا طائلة لاتحصل عليها الدوله بتلك الوسائل التي تستخدمها المشروعات الخاصة (اي الفردية) ، وذلك راجع الى كون الدولة لا تريد ان تحصل من افرادها المنتفعين مباشرة من خدماتها على المقابل (الثمن) بل تلجأ (بما لها من سلطة) الى مطالبة رعاياها القادرين على الدفع من اموالهم بالمساهمه فى تلك النفقات التى تكلفها هذه المشروعات بغض النظر عما اذا كانوا سيستفيدون منها ام لا وتتمثل هذه المساهمة فى تلك الضرائب التى يقدمها القادرون على الاداء . .

يمكن لنا ان نستخلص فى النهاية ان الخدمات العامة او الوظائف الاقتصادية للدولة تتميز بخصائص ثلاثة :

العمومية : بحيث لايقتصر على تاديتها لفئه معينةدون اخرى لاعتبارات سياسية او حربية بل تؤدى لجميع المواطنين .

الاهمية : وهذه الصفة كفيلة بتبرير قيام الهيئات العامة بتاديتها اذ لو لم تكن هناك أهمية لما كان لزاما على الحكومة ان تضطلع بمهامها

الاستمرار : مادامت هناك حياة منظمة فى المجتمع فلا يعقل ان تتوقف لانها مرتبطة بوجوده . وباقية مابقي نظام المجتمع . .

الصلات الثقافية بين المغرب والاسكندرية

للدكتور جمال الدين الشيال

باسم جامعة الاسكندرية الفتية احيي جامعة القرويين العريقة فى هذه المناسبة السعيدة ، مناسبة الاحتفال بمرور احد عشر قرنا على تاسيسها ، وجامعة الاسكندرية احق الجامعات ان تكون لها الصدارة عند تقديم هذه التحية : فلقد كان لموقع مدينة الاسكندرية الجغرافى اثر كبير فى توثيق العلاقات بينها وبين بلاد المغرب والاندلس فى العصور الوسطى الاسلامية . فالاسكندرية ثغر من الثغور الاسلامية الهامة ، وكانت رباطا كبيرا يرابط فيها — منذ دخلها الاسلام — حامية مسلحة كبيرة . فقد خصص عمرو بن العاص ربع جيشه لرباط الاسكندرية يقيمون بها ستة اشهر ، ثم يستبدلون بربع آخر . وكان عمر بن الخطاب يرسل كل سنة غارة من اهل المدينة ترابط فى الاسكندرية . وذلك لان العرب لم يكونوا يامنون عليها من غارات العدو بعد ان نقض الروم الصلح مرتين . وحاولوا الهجوم عليها واستردادها .

وكتب عثمان الى عبد الله بن سعد بن ابي السرح بعد نقض الروم :

« قد علمت كيف كان هم امير المومنين بالاسكندرية وقد نقضت الروم مرتين . فالزم الاسكندرية رابطتها ، ثم اجر ارزاقهم ، واعقب منهم فى كل ستة اشهر » .

ومن الاقوال الماثورة ان الاسكندرية « كنانة الله يحمل فيها خير سهامه » .

وقال عبد الله بن مرزوق الصدفى : « لما نعى الى ابن عمي بن يزيد — وكان توفى بالاسكندرية — لقيني موسى بن على بن رباح وعبد الله بن لهيعة ، والليث بن سعد متفرقين . كلهم يقولون : اليس مات فى الاسكندرية ؟ فاقول بلى ، فيقولون : هو حي عند الله يرزق ويجري عليه اجر رباطه ما قامت الدنيا ، وله اجر شهيد حتى يحشر على ذلك » .

فالمسلمون الاول كانوا يعتقدون ان الاقامة فى الرباطات والحياة فى الثغور نوع من الجهاد ، ومن يموت اثناء مقامه بها فهو شهيد ، ولهذا جذبت الاسكندرية اليها فى العصور الاسلامية عددا كبيرا من المسلمين ، ومن العلماء بوجه خاص ، ومن علماء المغرب والاندلس بوجه اخص .

كما ان مسلمي المغرب والاندلس كانت تتطلع نفوسهم وتهفو ارواحهم دائما الى المشرق : مبعث الدعوة الاسلامية ، ومقر البلدان المقدسة مكة والمدينة وبيت المقدس ،وموطن العلم الاسلامي . ودار العلماء والمعاهد العلمية المختلفة . فهم كانوا فى شوق دائم الى الرحلة الى هذا المشرق . وهدفهم الاول اداء الفريضة والحج الى بيت الله . وزيارة قبر الرسول عليه السلام . والالمام بالمساجد ومعاهد العلم ، ومقابلة العلماء والاخذ عنهم .

وكان المحط الاول لرحلتهم المشرقية هو مدينة الاسكندرية — الرباط والثغر الاسلامى الكبير — يصلون اليها بعد رحلة طويلة شاقة مضنية ، عبر الصحراء فى المعتاد ، وعلى ظهر السفن فى القليل النادر ، وهم كانوا اذا وصلوها اقاموا فيها فاطالوا الاقامة طلبا للراحة من عناء السفر ، ولزيارة معالمها التاريخية التي كانت تبهر انظارهم وقتذاك ، مثل المنارة — احدى عجائب الدنيا — ، وعامود السواري ، والمسلات ، والقصور

فاس ان يعطوا صورة من صور الوفاء والولاء لصاحب الجلالة الملك المعظم كما انه قد تجلى من خلال هـــذا المهرجان احتفاء الشعب بموكب جلالة الملك الذي كانت تعلوه يومئذ هيبة العلم ووقار العلماء حيث سار هذا الموكب من باب الجلود ليقطع المسافة الطويلة التي تفصل فيما بين هذا الباب وجامع القروبين محاطا بهــــذه العواطف التي تجمعت فيما بين شوارع فاس الضيقه لتظهر في بهجة وروعة ما عليهما من مزيد ، الامر الذي جعل السادة العلماء والادباء وغيرهم من الضيـــوف المشاركين في هذا المهرجان يعجبون ايما اعجاب بهذه الروعة التي تجلت في هذا الاحتفاء العظيم الذي كانت تتعالى فيه الاصوات بحياة الدول العربية والاسلاميـة والافريقية من افواه الرجال والنساء والشباب والاطفال وفي قاعة المطالعة بخزانة القرويين القى صاحب الجلالة الملك المعظم خطابا اشاد فيه برسالة الجامعة مبرزا الدور الروحي الذي قامت به طوال قرون عديدة ومبينا في الوقت نفسه ضرورة تطور الجامعة حتى تصبح منسمسه في اداء رسالتها مع روح العصر .

فرسالة القرويين لم تتغير ولن تتغير في جوهرها ابدا . انها رسالة تقوم على اساس المحافظة على المقومات الروحية وعلى الاحتفـاظ للغة العربيـة والثقافـة الاسلامية بمركزهما الذي يعد جزءا لايتجزأ من عوامل تقدم الكيان المغربي . ولكن ينبغي للقروبين ان تتطور من حيث الاساليب التي تؤدي بها هذه الرسالة حتى تكون لدورها اثره الفعال في الناس على الجيل الناشىء الذي تتجاذبه مختلف التيارات والاهواء . اذ كلمـــا تجددت اساليب تبليغ رسالة القرويين الا واستمرت هذه الرسالة وكان لها أثرها الفعال في الجيل الجديد. واذا كان صاحب الجلالة الملك المعظم قد أمر بتيسير جميع الوسائل المادية التي تتطلبها اداء هذه الرساله

واعطى توجيهاته التي ترسم الخطوط الاساسية للاسلوب الجديد الذي ينبغي ان تصاغ فيه هذه الرسالة فان من واجب العلماء ان يجعلوا من هذه الخطوط الاساسية برامج موسعة ويسهرون على تطبيقها حتى تستطيـــع رسالة القرويين ان تواصل مهمتها التي قامت بها عبر القرون وفي مختلف انحاء الدنيا .

هذه هي نقطة البداية ونقطة النهاية فيما تخص رسالة القرويين وهي نقطة واضحة كل الوضوح سواء في البداية او في النهاية ، انها تنحصر في تمطيط جوهر هذه الرسالة حتى تصبح لهذه الرسالة رايها في مظاهر التطور الحضاري الذي اثر في كل شيء بما في ذلك الثقافة بمعناها الواسع العام .

وفي غمرة ذلك الحماس الذي عاشته مدينة فاس في ذلك اليوم الخالد اجتمع في احدى قاعات الحـــي الجامعي الجديد كبار العلماء والباحثين ليبرزوا مـــن جديد الدور الذي قامت به جامعة القرويين في الماضي والدور الذي ينبغي ان تقوم به في الحاضر .

ولقد كان مهرجان القرويين فرصة طيبة لالقاء بحوث قيمة حول القرويين كما كان فرصة لاظهار بعض الجوانب من الحضارة العربية والاسلامية التي تجمع فيما بين اقطار العـروبة والاسلام في مشـرق الارض ومغربها كما كان فرصة سنحت فيها لبعض كبار الادباء والباحثين القاء محاضرات تناولت مواضيع مختلفة من شؤون الفكر والثقافة. واننا لنرجو ان تبادر الدوائر المختصة بنشر كافة البحوث والمقالات التي اعدت لهذا المهرجان العظيم الذي بعث مجد القرويين وبعث معه الدور الفكري والانساني الذي ادته الثقافة العربية والاسلامية عبر قرون خلت .

عن سفيان بن عبد الله الثقفي قـال قلت يارسـول الله قـل لي في الاسـلام قـولا لا اسأل عنـه احـدا بعـدك وفي حـديث ابي اسامـة غيـرك قـال : قـل آمنت ثـم استقـم .

ومنهم ابو الوليد يوسف بن المفضل الفبدافي ، ولم يقنع بالاخذ عن السلفي بل ساله ان بكتب باجاره لسلطان المغرب فى ذلك الوقت تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فكتبها له .

واخد عنه من علماء بلنسبة بالاندلس ابو الحسن طارق بن موسى بن يعيش البلنسي ، فال السلفي فى برجمه : « كان من اهل الصلاح ، وفد اقام بالاسكندرية مدة مديدة ، وسمع على جماعه من سيوخها بقراءي وبقراءة غيري ، وكنب عنى كنيرا ثم رجع الى الاندلس وروى به ما سمعه على وعلى غيري » .

وفى رحبات جامع القرويين ، وفى ربى مدينة فاس الخضر وفى كهوف جبالها كان يتنقل ويتعبد فى اواخر القرن السادس الهجري الصوفي الكبير الشيخ ابو يعزي يلنور ، وكان الناس يفدون اليه من جميع انحاء المغرب والاندلس ، ياخذون عنه ، ويسمعون اليه ، ويلتمسون عنده البركات ، وفى مقدمه من وفد عليه القطب الغوث ابو مدين التلمساني فعاش معه يقتبس من طريقته بالاقبال كل الاقبال على الصوم والزهد والصلاة والتقشف والعبادة ، حتى اذا احس قبسه من روح استاذه ابى يعزى رحل الى المشرق ليقبس قبسات اخريات من شيوخ المتصوفة هناك ، ومن سيدى عبد القادر الجيلاني قطب العراق بصفة خاص ، وعاد ابو مدين الى المغرب فاقام فى بجاية ، وفاقت شهرته شهرة استاذه ابى يعزى ، ولقبه القوم هناك بالغوث ، وتتلمذ عليه العشرات من كبار العلماء ، وفى مقدمتهم الفيلسوف المتصوف الكبير محي الدين بن عربي والشيخ ابو عبد الله محمد بن حرازم ، احد شيوخ ابى الحسن الشاذلى .

وقد ولد ابو الحسن الشاذلي فى اواخر القرن السادس الهجري فى سنة 593 هـ فى قرية غمارة بالقرب من مدينة سبتة بالمغرب الاقصى ، وينتمى الى قبيلة غموان احدى قبائل المغرب ، واليها ينتمى كذلك ولي الله سيدي عبد الرحيم القناري ، قطب مدينة قنا بصعيد مصر .

وقد بدأ ابو الحسن الشاذلي فتلقى الطريقة على يد شيخه واستاذه ابى عبد الله محمد بن حرازم احد تلامذة ابى مدين ، ولبس على يده خرقة التصوف .

وانتقل ابو الحسين الى تونس فدرس بها مده ثم دخل مدينه الاسكندرية وطوف فى بلدان الشرق العربي ، وكان اثناء تقلبه فى هذه البلدان المشرقية لا يسعى لطلب العلم وحده ، ولكنه كان يبحث عن ضالته المنشوده ، يبحث عن القطب الغوث ، فلما اطمأنت نفسه فى العراق الى شيخه ابى الفتح الواسطي ، شيخ الطريقة الرفاعيه — فاتحه بدخيلة نفسه وحدثه عن امنيته ، ولكن الشيخ ابا الفتح اخبره ان القطب فى وطنه الاصلي ، فى المغرب ، فان كان يبحث عنه حقيقة فليعد الى المغرب ، واستمع ابوالحسن الى نصيحة شيخه وعاد الى المغرب ، وظل يوالي الرحلة والبحث الى ان التقى بالقطب ، الى ان التقى بشيخه واستاذه الاكبر الذى اخذ عنه الطريق ولبس على يديه خرقة التصوف ، والذى ظل ينتسب اليه ، وهو الشيخ عبد السلام بن مشيش . واقبل الشاذلي — على العبادة ، فطهر نفسه من حب الدنيا ومن الاقبال على الخلق ، واقبل على حب الله وفنى فى حبه ، فلما صفت نفسه واصبح اهلا للولاية ووراثة القطبانية امره استاذه ابن مشيش ان يرحل عن فاس الى تونس ثم الى الشرق ، وينبأ له بما سيحدث له فى مستقبل ايامه ، فقال له : ارحل الى افريقية واسكن بها بلدا تسمى شاذلة ، وان الله يسميك الشاذلى ، وبعد ذلك تنتقل الى مدينة تونس ، ويؤتى عليك من قبل السلطنة ، وبعد ذلك تنتقل الى بلاد الشرق ، وترث القطبانية .

واقام الشيخ ابو الحسن فى تونس وقتا ما ثم تركها الى المشرق واستقر فى مدينة الاسكندرية ، وفيها بدأ يلقى دروسه ويعقد الحلقات بعظ الناس ويدعو الى طريقته ومبادئه ، وجذبت اليه هذه الدروس والمواعظ الجلة من علماء المدينة وفقهائها فلازموها ملازمة تامة ، وسيكون هؤلاء التلاميذ فيما بعد . قادة الحياة الفكرية والروحية فى المدينة ، نذكر منهم تلميذه الانبر وخليفته فى القطبانية ابا العباس المرسي ، والشيخ مكين الدين الاسمر ، والشيخ ابا القاسم القبارى ، والشيخ ابن المنير ، والشيخ امين الدين جبريل وكثيرين وغيرهم .

وحدث الشيخ ياقوت العرش رواية عن شيخه ابى العباس المرسى ان الشيخ ابا الحسن الشاذلي كان يحج فى كل سنة ويجعل طريقه على صعيد مصر ويجاور بمكة شهر رجب وما بعده الى انقضاء الحج ، ثم يزور القبر الشريف ويجعل طريقه على صعيد مصر ويعود على الدرب الكبير الى الاسكندرية .

والكنائس القديمة ، والاسوار الشاهقة وما يتخللها من ابراج وحصون وابواب ، واخيرا المساجد التي بنيت فى العصر الاسلامى لتكون معابد تذكر فيها اسم اللـه كثيرا ومدارس تعقد فى جنباتها حلقات العلم والتعليم .

وكان هؤلاء المغاربة والاندلسيون يستأنفون رحلتهم بعد ذلك فيؤدون الفريضة . وقد تتشوق البعض منهم الرحلة ومباهجها فينتقلون فى مدن الشرق وامصاره الكبرى مثل بغداد ودمشق وبيت المقدس وغيرها ، لزيارتها والافادة من علمائها . ثم يعودون بعد هـذه الرحلة الطويلة الى الاسكندرية ليستأنفوا منها طريق العودة الى بلادهم . ولكن كثيرين منهم ــ وخاصـة العلماء وطلاب العلم ــ كانوا يؤثرون البقاء فى الاسكندرية واتخاذها وطنا ودار اقامة ، لينالوا شرف المقام فى هذا الثغر والرباط العظيم وليستزيدوا من علم يطلبونه . ولينشروا علما حصلوه واصبحوا فيه ائمة وفقهاء وقـادة .

وقد زادت صلة الاسكندرية بالمغرب توثقا منذ اتى الفاطميون بجيوشهم من المغرب وفتحوا مصـر واتخذوها مقر الخلافة . فقد اصبح المغرب كله ومصر والشام دولة واحدة . ونتيجة لهذا كثرت رحلـة المغاربة والاندلسيين الى مصر ، والى الاسكندريـة بوجـه اخص .

ورغم ان المذهب الرسمي للدولة فى العصـر الفاطمي كان هو المذهب الشيعى . ورغم ان الدولـة بذلت جهودا كبيرة لنشر هذا المذهب بين المصريين جميعا . فقد ظلت مدينة الاسكندرية مدينـة سنية . وكان المذهب المنتشر بين الاسكندريين والمعمول به بينهم هو مذهب الامام مالك منذ انتشر هذا المذهب فى المغرب وبين المغاربة ، وبتأثير الجوار والرحلـة انتقل الى الاسكندرية وساد فيها ، ولهذا نرى ان عددا كبيرا مـن علماء الاسكندريـة فى العصر الاسلامـي ــ المصريين منهم والمغاربة ــ كانوا مالكى المذهب .

من كبار هؤلاء العلماء المالكية الذين رحلوا مـن والاندلس الى الاسكندرية واستقروا بها فى القـرن الخامس الهجري ــ اي فى العصر الفاطمي ــ واتخذوها وطنا ودار مقام الفقيه العالم الصوفي الكبير ابو بكـر الطرطوشـي .

ولد هذا العالم الجليل فى مدينـة طرطوشة فى سنة 450 هـ واخذ العلم اولا على علمـاء المغـرب والاندلس ، وخاصة ابا الوليد الباجي ، ثم شاقته الرحلة الى المشرق فرحل الى مكة وادى فريضة الحج وجاور بها وقتا ثم زار بغداد وقت ان كانت تبنى بها المدرسة النظامية فتتلمذ على اساتذتها ، وزار مدنا اخـرى كبيـرة فى العراق والشام . وانتهى به المطاف الـى مدينة الاسكندرية حوالي سنة 490 هـ فطاب له المقام بها وتزوج من سيدة موسرة مـن اهلها اهدتـه دارا فاتخذ من الطابق العلوي سكنا ومن الطابق السفلـي مدرسة كان يدرس بها العلوم الاسلامية المختلفة وخاصة علم الحديث والفقه المالكى . وتتلمذ عليه الكثيرون من اهلها ومن الوافدين عليها مدة ثلاثين عاما نشر فى خلالها علما كثيرا واصبحت الاسكندرية بفضله محجا يحـج اليها طلاب العلم من كل حدب وصوب . الى ان توفـى الى رحمة الله سنة 520 هـ ودفن بمدينة الاسكندرية ولا زال قبره بها معلما من اهم معالمهـا .

وعاشر الطرطوشى فى مدينة الاسكندرية عالـم كبير آخر اتى الى المدينة سعى من اقصى الشـرق . من مدينة اصبهان . ذلكم هو الحافظ ابو الطاهر احمد ابن محمد بن احمد السلفى . واحد من كبار علمـاء الحديث الذين عرفهم تاريخ الفكر الاسلامى .

واشتغل السلفي منذ نزولـه بالاسكندريـه بالتدريس . وتدريس الحديث بوجه خـاص . وكـان يعقد حلقاته اول الامر فى مساجد المدينة . ولم يلبث ان اقبل الطلاب عليه من جميع انحاء العالم الاسلامي . وفى حدود سنة 540 هـ بنى له العـادل بن السـلار ــ الوزير الفاطمي ــ مدرسة خاصة بـه عرفت اول الامر بالمدرسة العادلية ــ نسبة الى بانيها ــ ثم عرفت فيما بعد باسم المدرسة السلفية ــ نسبة الى استاذها وشيخهـا ــ .

وفى « معجم السفر » للسلفي تراجم لكثيريـن ممن تتلمذوا عليه من اهل المغرب والاندلس . وكـان بعض هؤلاء وسيلة طيبة لنشر علم السلفى فى بلادهـم بعد عودتهم ، من هؤلاء : ابو محمد عبد الله بن سليمان ابن منصور التاهرتـي . قـال السلفي فى ترجمتـه : « كان من الفضلاء فى الفقه والادب ، وله شعر . وكتب عني من الحديث كثيرا بعد رجوعه من الحجاز ، ثـم رجع الى المغـرب وروى عنـى هنـاك » .

خشبة النجاة

لسعادة سليم حيدر

يجب ان يفهم الديـن ان العلم ليس كفـرا
ويجب ان يفهـم العلـم ان الدين ليس خرافـة

فـي عالم السياسة معسكران جباران يتقابلان . ومعسكر ثالث — يتطاول ظله يوما بعد يوم — يحاول ان يجد لنفسه بينهما مدى حيويا ليثبت وجوده . هذه المعسكرات الثلاث تشكل البشرية بوجه عام : البشرية التي تقتتل طمعا بالسيطرة على المادة .

وفي عالم القيم ، جماعات هنا وهناك ، في المعسكرات الثلاثة . جماعات قليلة العدد ، قوية التأثير ، تؤلف ، من شتات البشرية الجائحة ، معسكر الانسانية .

واذا كان الصراع شديدا ، في عالم السياسة ، بين المعسكرين الجبارين ، حتى انه جاوز حدود الارض الى متاهات الفضاء . . .

واذا كان اهل المادة يقتتلون على المادة ، ويوشكون بذلك ان يمحقوا الارض ومن عليها . . .

فان الصراع الحقيقي ، الصراع العميق ، الصراع الثاني هو في عالم القيم ، بين اهل الروح واهل المادة . بين معسكر الانسانية ومعسكر البشرية .

الصراع الاول ، الاقتتال على المادة ، يضع العالم اليوم في مهب عاصفة الفناء .

والصراع الثاني ، مجابهة الروح للمادة ، هو خشبة النجاة في مضرب الانواء الثائرة .

ويحق لنا ، اكثر من أي زمان مضى ، ان نقول مع شكسبير ، بشيء من التوسع ، ان القضية الكبرى ، القضية الاساسية هي قضية الكينونة : ان يكون الانسان او لا يكون !

فاطمة الفهرية ، تلك التي وهبت للروح ، سماحة نفس وصفاء ايمان ، نصيبا مهما من ارثها ، فبنت — منذ الف عام ومائة عام — في عدوة القيروانيين ، المسجد الاول لجامع القرويين . . . تلك كانت اول من زكى ماله الزكاة المثلى .

من لفظة القيروانيين — تخفيفا وتليينا — نشأت لفظة القرويين ، جبارة منذ نشأتها ، متمردة على صيغ الاعراب ، متشبثة بالياء والنون حالا واحدة ، ايذانا بانها ستكون هي المحافظة على القيم الحقيقية ، لا تأخذها ، على بريق العصور ، بروق التحول الخلب !

ولقد خلبت بروق في سماء القرويين وقصفت رعود . من الادارسة ، الى الزناتيين ، الى المرابطين ، الى الموحدين ، الى المرينيين ، الى الوطاسيين ، الى السعديين ، الى العلويين ، فضلا عن مؤامرات المطامع الاوروبية . . . عهود لم تكن كلها صفاء . ولكن روح القرويين — معمده حينا ، مسلولة احيانا — بقيت صافية خالصة ، يتألق فيها العطاء ، خلال تهجم الايام ، كما يتألق السيف الصقيل في دبيب الفرند !

نحن اليوم ، في هذه الذكرى المجيدة ، امام تاريخ جهاد حافل : جهاد ديني ، جهاد فكري ، جهاد ثقافي ، جهاد اجتماعي ، جهاد سياسي . . . وفوق كل شيء ، وقبل كل شيء ، جهاد روحي ! واذا كنت افرق بين الدين والروح ، فلأن الروح ، بالمعنى الانساني ، طليقة من قيود الدين ، بالمعنى الاجتماعي . وشعلة الروح هي الشعلة التي ما خبا نورها يوما في القرويين ، في ميادين جهادها المختلفة .

ففي مدينة فاس جمع الشيخ ابو الحسن العلم من اطرافه ، وورث روحانية اساعها في جنبات المغرب شيوح اجلاء : ابو مدين ، وابو يعزي بلنور ، وابو عبد الله بن حرازم وعبد السلام بن مسيش .

وفي الاسكندريه نشر الشيخ ابو الحسن هذا العلم كله واشاع هذه الروحانية ونحرج على يديه طبقات من العلماء والزاهدين وتكونت في المدينة مدرسة دينية صوفية تمتاز بطابع خاص ، بدات بتلميذه ابى العباس المرسي ، ثم خلف من بعد ابى العباس تلاميذ كثر ، نذكر من بينهم ياقوت العرشي والاباصيري — صاحب البرده — ، وابن عطاء الله السكندري .

ولابن عطاء الله فضل كبير على الطريقة الشاذلية. فهو الذي ترجم لاستاذه ابى العباسي المرسي ولاستاذ استاذه مؤسس الطريقة ابى الحسن الشادلي وهو الذي سجل عنهما معظم مبادئهما واقوالهما في كتابه المشهور « لطائف المنن في مناقب ابى العباس المرسي وشيخه ابى الحسن » .

واشهر كتبه جميعا كتاب « الحكم » . وبلغ ابن عطاء الله بأسلوبه في الحكم الذروة القصوى من الابداع والتركيز والتحليل وشرح آداب الطريقة . فان له فيها منهجا خاصا ، لهذا فهو لا يعنى بالمعنى وحده ولا بالاسلوب وحده بل هو يعتقد ان للبيان سحرا خاصا ، لهذا كان يتخير الالفاظ ذات الجرس الخاص والنغم الموسيقي المؤثر ، ومن هنا كان لاسلوبه سحر يؤثر في قارئي الحكم وسامعيه ، ولهذا ظل كتاب الحكم يقرأ قرونا طويلة في الجامعتين الاسلاميتين العريقتين : الجامعة الازهرية وجامعة القرويين وقد انتشر كتابان من كتب تلميذين من تلاميذ ابى العباس المرسي في المغرب ما لم ينتشر اي كتاب ديني آخر وشرحهما الكثيرون من الشراح المغاربة من شيوخ القرويين وتلاميذها ، ذلكما هما كتاب الحكم لابن عطا الله السكندري وقصيدة البردة للاباصيري السكندري.

ايها السادة

هذه لمحة خاطفة اردت بها ان اضرب المثل . ولا يتسع المقام للافاضة ، فالحديث طويل والعلاقات الثقافية بين المغرب والاسكندرية تحتاج الى سفر متعدد المجلدات ، وعند ما جثم العدو الغاشم على هذه البلاد ابان عهد الحماية انقطعت هذه العلاقات او كادت ، ثم توجت جهود الملك المجاهد محمد الخامس وشعبه الكريم بالنجاح ، واشرقت على البلاد شمس الاستقلال والعزة ، وعادت اواصر الاخوة اقوى مما كانت ، وافتتحت الجامعة المغربية الحديثة ، ووجهت النداء الى المشرق تطلب اساتذة يتعاونون مع اخوانهم المغاربة على النهوض بهذه الجامعة الفتية فكانت جامعة الاسكندرية اول جامعة لبت النداء ، وكان اول استاذ انتدبت من المشرق للعمل في جامعة الرباط هو الزميل الدكتور مختار العبادي مدرس التاريخ الاسلامي بجامعة الاسكندرية ، ثم اكرمتني دولتي ، فاختارتني — وكنت اشغل من قبل كرسي التاريخ الاسلامي بجامعة الاسكندرية — لاكون مستشارا ثقافيا بسفارة الجمهورية العربية المتحدة ، ومهمة المستشار الثقافي الكبرى هي العمل على توثيق العلاقات الثقافية بين البلدين ، فالله اسأل ان يوفقني لتحقيق هذا الهدف السامي حتى تعود العلاقات الثقافية العربية الاسلامية بين المغرب والجمهورية العربية المتحدة مزدهرة قوية كما كانت بل واكثر ازدهارا واعز قوة مما كانت والله ولي التوفيق .

تاريخ التعليم الاسلامي بالمغرب

للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله

ان جامعة القرويين قد اسستها فاطمة أم البنين بنت محمد بن عبد الله الفهري عام 245 هـ .

في حين تأسس جامع الزيتونة عام 141 هـ (758م) كما ذكره الشيخ بيرم في صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار (ج 1 ص 122) وبنى الازهر عام 359 او 360 على يد جوهر الصقلي .

وكان في قرطبة جامعة واربع كلية زيادة على المدارس الاعدادية والابتدائية العديدة .

واول جامعة تأسست في اوربا الغربية هي جامعة سالرن عام 1050 جنوبي ايطاليا ثم اصبحت معروفة بمدرسة نابولي ثم جامعة بولونيا للحقوق ثم جامعة باريس التي اعترف بها لويس السابع عام 1180 وجامعة بادوا عام 1222واكسفورد عام 1249 وكمبردج عام 1284 وسالامانكا في اسبانيا عام 1243 وجامعة مونبلي للطب .

وقد اغلق قياصرة الرومان جامعة اثينا عام 529 بعد الميلاد على اثر انتشار الدين المسيحي في عهد جوستينيان لانها كانت مركزا للمدنية اليونانية الوثنية ولعل دراسة غير منظمة قد بدات في القرويين منذ تأسيسه وكان جامع الاندلس الذي بنته مريم اخت ام البنين في نفس الوقت ينافس القرويين حوالي القرن الرابع الهجري وصار بعد ذلك اكبر فروعه وذكر دلفان في كتابه حول فاس وجامعتها والتعليم العالي (مطبوع عام 1889) ان مدينة فاس هي دار العلم وان القرويين هي «اول مدرسة في الدنيا» (ص 12) كما اكد باديا لا بليش المعروف بعلي باي العباسي (الذي مكث في المغرب اربع سنوات (1803—1807) وكتب عنه رحلة في ثلاثة مجلدات طبعت في باريس عام 1884) ان مدينة فاس هي في افريقيا اشبه باثينا (عاصمة الفكر) في اوربا . ويذكرون ان البلجيكي اكلنار اقام بفاس عام 1540 ايام ابي العباس الاعرج السعدي (948 هـ) وكتب رسائل باللاتيني يصف فيها القرويين ودروسه بها وعوائد الطلبة والمدرسين واسلوب التدريس وانواع العلوم المدروسة وكانت العلوم التي تدرس بالقرويين هي التفسير والحديث والاصول والفقه والنحو والبيان والمعاني والبديع والمنطق والعروض والحساب والتنجيم والكلام والتصوف واللغة والتصريف والتوحيد والتاريخ والجغرافيـة والطب والقضاء والاحكام والادب .

اما الاجرة على التدريس فالغالب انها كانت معدومة او تكاد . فقد كان يشتغل بالعلم ارباب الهمم العلية والانفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به واذا صار عليه اجرة تدانى اليه الاخساء وارباب الكسل فيكون ذلك سببا لمهانته وضعفه (كشف الظنون ج 1 ص 15) .

على انه يحكى ان محمد بن علي بن اسماعيل المعروف بمبرمان كان قيما بالنحو لا يقرىء سيبويه الا بمائة دينار (بغية الوعاة ص74) كما كان شمس الدين السيوطي يقرىء كل بيت من الفية ابن مالك بدرهم (البغية ص 37) .

وقد كان اساتذة الجامعة يتقاضون علاوات من لحم وحبوب وزيوتوسمن وصابون اي كل ما يحتاجون اليه طوال السنة بل كانوا يتمتعون بحق السكنى مجانا كما ورد في بحث لأحد علماء الجزائر الذين درسوا بفاس في القرن الماضي وهو محمد الحرشاوي الذي ينقل عنه دلفان وكان الاساتذة ملزمين بالسكنى في فاس .

سمعتم وستسمعون الكثير في هذا المهرجان الفكري الرائع عن تاريخ القرويين . وانتم تعلمون ان ههنا في القرويين ، خزانة التراث المغربي العربي الاسلامي . وان من هنا ، ابدا من هنا ، كانت الانطلاقات الفعالة في هذه الرقعة الخيرة من تراب العرب . ولكني لن احدث عن كل ذلك ، لاني ، منذ البدء ، وضعت الامر على الصعيد الاوسع ، على صعيد الانسانية .

واذا كان المغرب كدولة لا يزال بحاجة الى روح القرويين ، تذكي في صدور الشباب شعلة الحماس للحياة الحرة الواعية . فان العالم قد اصبح بحاجة ماسة الى روح جديدة لا نستطيع بنها واذكاءها والحفاظ عليها الا القرويين ومثيلات القرويين .

في هذا الصراع الشامل بين الروح والمادة ، الذي يهدد العالم بالدمار ، موكول الى القرويين والى مثيلاتها حيث كانت ، ان تنتصر للروح انتصارا غلابا .

والنصر الحقيقي في الحرب ليس العمل الماحق ولا الذي يفضي الى تسلط سيد على مسود . كل حرب تنتهي الى مثل هذه النتيجة تزرع ، في حنايا السلم ، بذور حرب جديدة .

النصر الحقيقي توصل الى تفاهم دائم ، يقوم على طبيعة الاشياء ، لا على حكم الغرائز البشرية .

النصر الحقيقي الذي ننشده ، في الصراع بين الروح والمادة ، تفاهم كلي ، تفاهم بمعنى الكلمة اللغوي: ان تفهم كل منهما الآخر ، فيعيشا متعاونين ، تعاونا تكون المادة فيه وسيلة لانتعاش الروح ، وتكون الروح فيه حافزا لازدهار المادة .

النصر الحقيقي هو ان نرفع البشرية الى شرفة الانسانية ، وعند ذلك تتسع الارض للعالمين جميعا . ولا يبقى حاجة الى غزو السماء !

ولتتمكن القرويين ، ومثيلات القرويين في العالم ، من اداء هذه الرسالة الفضلى ، لا بد من اعادة النظر في بعض القيم ، في مفهوم بعض القيم :

يجب ان يفهم الدين ان العلم ليس كفرا

ويجب ان يفهم العلم ان الدين ليس خرافة

وهذا لا يتم الا اذا « تعلم » الدين و « تدين » العلم .

ولست اقصد من ذلك ما قصده الفلاسفة العرب ، وعلى اثرهم فلاسفة الفرنجة وفلاسفة الكنيسة بشكل خاص ، من التوفيق بين الدين والعلم على الصعيد العقائدي الفلسفي الماورائي . . . لست اقصد حل معضلة المعضلات .

وانما اقصد امرا بسيطا : ان نفهم الحياة ، وان نؤمن بالحياة .

ومن فهم الحياة « آمن » بالعلم

ومن آمن بالحياة « علم » ان الانسان اخو الانسان ، وان الحياة تكون انسانية بقدر مايكون فيها من الايثار وعمل الخير .

موكول الى القرويين والى مثيلاتها في جميع انحاء العالم — الى اي دين انتمت — ان تذكي في المرء روح الانسانية ، بافهامه الحياة ، اي العلم الحديث ومعنى الحياة ، اي فلسفة وجود الانسان اخا للانسان .

لقد ادت القرويين ، في مراحل حياتها الطويلة المشرفة ، رسالتها الوطنية بشكل رائع . واليوم يرجى لها ان تساهم في اداء رسالة انسانية شاملة .

فاطمة القيروانية كانت اول من زكى ماله الزكاة المثلى . . . والزكاة لغة ودينا انماء للمال وتطهير . ولقد نما مال فاطمة خلال العصور وتطهر ، فأفاء على المغرب علما وحكمة وايمانا .

واليوم يطلب الى القرويين ، في هذه العاصفة الهوجاء التي تجتاح العالم ، ان تكون احدى خشبات النجاة .

والامل بالله ، والامل بالقرويين ، والامل بحكومة صاحب الجلالة الا تنطفيء جذوة الروح التي الهبت ، منذ الف عام ومائة عام ، صدر فاطمة القيروانية !

العمر كله يا جامعة القرويين ، والى الامام !

اما جامع الازهر فقد نشأت صفته الجامعية ايام العزيز بالله الذي هو اول من أقام الدرس فيه بمعلوم اي قبل المدرسة النظامية التي بناها نظام الملك صديق عمر الخيام ووزير السلطان السلجوقي الب ارسلان عام 547 هـ وقد ادخل النظام للازهر فى 23 ذي القعدة 1287 الموافق 3 يبراير 1872 م . وقد انحصرت الجامعة فى البداية على العلوم الاحد عشر فى الامتحانات وصارت شهور العمل ثمانية بعد ان كانت اربعة ويوزع الازهر ارغفة على الطلبة وقد رفعها الشيخ محمد عبده من خمسة آلاف رغيف يوميا الى خمسة عشر الفا . وتوجد بالازهر مراحل ثلاثة وصدر قانون عام 1911 اسس بموجبه قسم التخصص ثم ادرجت علوم حديثة فى النظام مثل تاريخ التشريع والنظام الدستوري ومبادىء الاقتصاد ونظام التربية والاخلاق وعلم النفس واللغات الاجنبية والشرقية وتأسست فرق رياضية .

وكانت الى جانب جامعة الازهر مساجد تقوم بنفس الدور مثل جامع عمرو الذي كانت تنعقد فيه قبل وباء 749 (بضع واربعون حلقة لاقراء العلم لا يكاد يبرح منه) (المقريزي الخطط ج 2 ص 246 الى 250) وفيه زوايا ثمان لشتى العلوم منها زاوية الشافعي (ص 256) .

وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير ان علماء بغداد منعوا فى بعض السنين تعليم الاطفال فى المساجد (الانيس المطرب ج 2 ص 10) .

ولكراسي العلم بفاس وغيرها من المغرب اوقاف خاصة وقد اشار صاحب نشر المثاني الى الاحباس المخصصة لكراسي التفسير وصحيح مسلم وابن الحاجب وصغرى السنوسي والرسالة ونظم ابن ذكري (ج 1 ص 38) .

ولعل اول مدرسة بنيت بالمغرب يرجع عهدها الى القرن الخامس حيث اسس واجاج بن زلو اللمطي تلميذ ابى عمران الفاسي دار المرابطين لطلبة العلم (الانيس المطرب ج 2 ص 10) .

واول من نعلمه امر ببناء مدرسة مستقلة عن الجوامع فى بغداد هو احمد بن طلحة الموفق الملقب بالمعتضد المتوفى عام 289 هـ .

ويقول ابن خلكان ان نظام الملك هو اول من انشأ المدارس فاقتدى به الناس (الوفيات ج 1 ص 202) ولكن ابن السبكي (الطبقات ج 3 ص 137) والمقريزي (الخطط ج 3 ص 363) يلاحظان انه ليس اول من انشأ المدارس فهناك المدرسة البيهقية بنيشابور والمدرسة السعيدية بها كذلك بناها الامير نصر بن سبكتكين اخو السلطان محمود ومدرسة ثالثة بنيشابور لابى اسحاق الاسفراييني ويقول ابن السبكي (ج 3 ص 137) ان نظام الملك كان اول من قدر المعاليم للطلبة مع ان العزيز بالله الفاطمي سبق نظام الملك بقرن تقريبا فى تقدير هذه المعاليم للطلاب (الخطط ج 2 ص 341) .

وقد ذكر كلبنار الذى زار مدينة فاس بعد الحسن الوزان بخمسة عشر عاما ان فاسا كانت تحتوي اذ ذاك على مائتي مدرسة (ولعله يدرج الكتاتيب القرآنية) .

وذكر النعيمي فى كتابه الدارس من المدارس انه كان فى دمشق عام 927 هـ 320 مدرسة فى المجموع من بينها اربع مدارس للطب ومدرسة للهندسة انشأها نجم الدين اللبودي من اهل القرن السادس ولكل مدرسة خزانة كتبها وكانت الطبيعيات والرياضيات والفلك والادب تدرس فى فصولها .

وقد ذكر ابن جبير انه شاهد 20 مدرسة فى دمشق و30 فى بغداد وروت كتب فرنجية ان غرناطة كان بها 17 مدرسة كبرى و120 صغرى .

وذكر دوزي ان الاندلسيين كانوا يعرفون عموما القراءة والكتابة سوى القليل بينما كانت اوربا امية اذا استثنينا رجال الدين .

وقد عين الحكم الاموي المؤدبين لتعليم ابناء المعوزين حول المسجد الجامع وبكل ربض من ارباض قرطبة واجرى عليهم المرتبات وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون (ابن عذارى البيان المغرب ج 2 ص 358) .

وقد بلغ عدد مدارس (مكاتيب) بالرم عاصمة صقلية ثلاثمائة وقد تكاثر عدد المعلمين فى هذه الجزيرة لانهم معفون من الجهاد (معجم البلدان ج 5 ص 377)

والتعليم مجاني بالقرويين وقد سبق لنظام الملك ان اعلن فى القرن الرابع ان التعليم بمدارسه حق للجميع بل عين مرتبا للطلاب المعوزين (طبقات ابن السبكي ج 3. ص 137) وفى نظامية بغداد كان 6000 طالب يتعلمون بالمجان (الاسلام والنصرانية محمد عبده ص 98) وقد انشأ يحيى بن خالد الكتاتيب للايتام بالمجان (الجهشياري الوزراء والكتاب ص 212) واسست كذلك محاضر مجانية فى سوريا ايام نور الدين ابن واصل (مفرج الكروب مخطوط) وفى بغداد ايام شمس الملك بن نظام الملك (تاريخ آل سلجوف ص 136) وصلاح الدين (ابن جبير ص 52 و 272) .

ولم يكن يجري اي امتحان للطلبة بل كان الشيوخ يعطون الاجازة لتلاميذهم المبرزين والى جانب هذه الاجازة الخاصة كان ينتظم حفل الى عهد السلطان مولاي عبد الرحمن بحضره الاساتذة والطلبة بالقرويين فيلقى كل استاذ على الطالب المنتهي اسئلة فى مختلف العلوم فاذا وفق فى اجوبته عينه القاضي فى الطبقة الرابعة للعلماء .

وتعطل الكلية يومي الخميس والجمعة وقد ذكر دلفان عن الحرشاوى وابن ثابت وهما عالمان جزائريان تخرجا من القرويين ان يوم الثلاثاء كان يوم عطلة فى هذه الجامعة وذكر النعيمي فى الدارس ان الدروس كانت تعطل يوم الجمعة والثلاثاء فى دمشق (ص194).

ويقال بان جيلبير وهو البابا سلفستر درس بالقرويين وادخل الارقام العربية الى اوربا والارقام الهندية اطلع عليها العرب وكونوا منها سلسلتين احداهما الارقام الهندية التي شاعت فى بغداد والجانب الشرقي من العالم الاسلامي والثانية وهي الغبارية فى الاندلس وافريقيا والمغرب الاقصى وهى المستعملة الآن فى اوربا ولم يستطع الاوربيون استعمالها الا بعد انتهاء القرن السادس عشر للميلاد .

وقد درس بالقرويين طلبة موفورون يواردوا فى مختلف العصور من طرابلس وتونس والجزائر والسودان .

وكان عدد طلبة القرويين الافاقيين (من جزائريين ومغاربة) يبلغ سبعمائة بينما لم يكن عدد الاساتذة يتجاوز فى الغالب الاربعين .

وكانت سوق العلم نافقة فى عهد المرابطين والموحدين والمرينيين .

وفى ايام ابي عنان المريني كانوا اعز الناس واكثرهم عددا واوسعهم رزقا (نيل الابتهاج للسوداني ص 260) .

وبدا المغرب ينحل فكريا ايام الوطاسيين ثم عاد الى الانبعاث فى عهد السرفاء فتطورت حركة البحث والتأليف وتخرج من القرويين علماء افذاذ لا تزال آثارهم الرائعة تشهد بقيمتهم العلمية الفذة وفى ايام المولى اسماعيل كانت اسواق العلم عامرة ونجوم افلاكه نيرة زاهرة (تاريخ الضعيف) .

ويسكن الطلبة فى احدى المدارس الاربعة عشرة (السراطين والمصباحية وباب الجيسة والصفاريين والعطارين) ويتقاضون خبزة فى اليوم وقد جرت العادة منذ اواخر القرن الماضي بان يشتري الطالب غرفته فى المدرسة وله ان يبيع المفتاح عند انتهاء مدة الدروس .

وقد لاحظ ابن مرزوق ان انشاء المدارس (اى مساكن الطلبة) كان فى المغرب غير معروف حتى انشأ مولانا المجاهد الملك العابد مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس (وهي مدرسة الصفارين المؤسسة عام 670هـ) ثم ابو سعيد مدرسة العطارين ومدرسة البيضاء ثم مدرسة الصهريج ثم مدرسة الوادي ثم مدرسة مصباح ثم انشأ ابو الحسن .. فى كل بلد من بلاد المغرب الاقصى وبلاد المغرب الاوسط مدرسة (تازة ومكناسة وسلا وطنجة وسبتة وانفا وأزمور وآسفي واغمات ومراكش والقصر الكبير والعباد بتلمسان والجزائر (المسند الصحيح الحسن هسبريس 1925) ويقال بأن يوسف بن تاشفين اسس مدرسة الصابرين وعرفت فى القرن الثاني عشر بمدرسة بومدين (الاخوان فى شرفاء وزان لعبد السلام القادرى) .

اما عند الخصوص فمفضل العذري صاحب الشرطة والحسبة بفاس هو اول من سن سنة بناء المدارس بفاس اذ على يديه بنيت المدرسة القديمة بالحلفاويين (الجذوة ص 220) .

وقد قام ضد بناء المدارس محمد الابلى العبدرى شيخ ابن خلدون فلاحظ ان العلم قد اذهبه بناء المدارس وايده بابا السوداني حيث ذكر ان ذلك ادى لذهاب العلم بهذه المدن كفاس حتى صار يتعاطى الاقراء على كراسيها من لا يعرف الرسالة فضلا عن غيرها بل من لم يفتح كتابا للقراءة قط حيث صارت بالتوارث والرياسات (نيل الابتهاج ص 246) .

وذكر المؤرخ جيبون ان الافرنج نهبوا مكتبة طرابلس الشام اثناء الحروب الصليبية وكان فيها ثلاثة ملايين مجلد كما ذكر كندي ان الاسبان احرقوا ثمانين الف سفر عام 1499 م . (905 هـ) بربسكوت) ـ فردناند وانزابلا ـ (ص 451) .

وقد اشترط ابو يوسف المريني على ملك اشبيلية منحه جميع المخطوطات العربيةالتي انتزعت من المسلمين وحمل منها الى جامعة القرويين ثلاثة عشر حملا كما في القرطاس .

وكانت خزانة المولى اسماعيل بدويره الكتب بمكناس وقد فرقها على جميع مساجد المغرب وكانت تربد على 12.000 مجلد .

وفى الشرق احتوت مكتبة الفاطميين على اربعين خزانة كل واحدة تتسع لـ 18.000 مجلد (المقريزي ج 1 ص 408) .

وروى ابو شامة (الروضتين ج 1 ص 200) ان هذه المكتبة كان بها مليونان اثنان من الكتب وذكر المقريزي عدة روايات نميل منها الى ان العدد كان 1.600.000 كتاب (ج1 ص 409) .

وقد اسست بفاس بامر من سيدي محمد بن عبد الرحمن المطبعة الحجرية التي نشرت عدة مخطوطات على نفقة الدولة فكانت اداة جوهرية فى نشر العلم بازاء جامعة القرويين العامرة .

سيف المولى ادريس بمنار القرويين

ذكر المؤرخون ان الأمير احمد بن ابى بكر الزناتي كان رجلا فاضلا صالحا من اهل الدين والورع اختصم اليه بعض حفدة المولى ادريس فى سيف جدهم وطلب كل واحد ان يحوز السيف لنفسه وطال نزاعهم فيه فقال لهم الامير احمد بن ابى بكر هل لكم ان تبيعوه مني وتتركوا النزاع فيه ؟ قالوا له وما تصنع به ايها الامير ؟ قال اجعله فى هذه الصومعة التي بنيت تبركا به . (يعني منار القرويين) فقالوا ايها الامير ان كنت تفعل هذا فخذه نهبه لك بطيب نفوسنا فوهبوه له فجعله فى اعلى المنار وذلك سنة 345 هجرية

وقد راجت اشاعات فى العهود الاخيرة بان وضع ذلك السيف اشارة الى ذل واهانة تلحق اهل فاس فنظم بعضهم ذلك فى بيتين فانبرى الشعراء لسجيل وضع هذا السيف والرد على عائب وضعه فنقل الاديب ابن الاحمر فى كتابه فرائد الجمان اربد من عشر قطع شعرية فى ذلك مما يدل على توقد قرائح الشعراء فى ذلك العهد منها قول الاستاذ منديل بن آجروم

سامـوا بفـاس سيـف ادريسهـم
فـوق منـار لا لأمـر مخـوف

بـل اشعـروا بقـول خيـر الـورى
جنتكـم تحـت ظـلال السيـوف

ومنهـا قـول محمـد الحاجـرى

يقولون زجرا ان فاسا قضى لها
بـذلتهـا سيـف المنـار المسـدد

لقد اخطأوا في زجرهم ضل سعيهم
هـل العـز الا تحت ظـل المهنـد

وكان بالمدرسة المستنصرية ايوان لكل مذهب من المذاهب الاربعة وفى كل ايوان مدرس و75 طالبا (العبري تاريخ مختصر الدول ص425) وفى دمشق ومصر 20 طالبا (الدارس ج 1 ص 303) وفى المدرسة المجدية بمصر مدرس شافعي ومعيران اثنان و20 طالبا (المقريزى ج 2 ص 400) وكانت حلقة امام الحرميين بالمدرسة النظامية بنيسابور تضم 300 طالب (طبقات الشافعية ج 2 ص 252) .

وتأسست مدرسة للفنون ايام المولى عبد الرحمن بفاس الجديد تخرج منها فئة توجه بعضهم لاتمام دروسهم باروبا منهم محمد الجباص بانجلترا وعبد السلام العلمي بايطاليا وذلك فى حدود 1300 هـ (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 367) والمدارس منتشرة بكثرة فى حواضر المغرب وبواديه وقد احصوا مائتي مدرسة فى دكالة ويلاحظ ذلك حتى فى سواهق الجبال ، ففى بقراماواس بالريف توجد مدرسة للحساب (مولبيراس المغرب المجهول ص 113) .

واول مدرسة للصم فتحها القس ابى عام 1755 واول مدرسة للعميان أسسها هوى عام 1783 وتوجد بواشنطن كلية للعميان تدعى كلية كالودبت .

وقد ذكر احمد زكى ان العرب سبقوا الفرنج الى اختراع كتابة العميان .

اما من حيث الاسلوب فقد اوصى الغزالى بان يتعلم الطفل فى المكتب القرآني ثم القصص الاخلاقية ثم الاحكام الدينية فالشعر على ان يحفظ الطفل من الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله (الاحياء ج 3 ص 57) .

وقد اضاف ابن مسكويه الى هذا البرنامج مبادىء الحساب وقليلا من قواعد اللغة العربية (تهذيب الاخلاق ص 20) ويقول الجاحظ (ولا تشغل قلب الصبي بالنحو الا بقدر ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللحن) (رسالة المعلمين مخطوط) وقد اقترح ابو بكر ابن العربى المعافرى البدء بالشعر حتى يتمكن الطفل من من الاداة اللغوية وايده فى ذلك ابن خلدون وكان احيانا معلم القرءان فى الشرق هو غير معلم القراءة والكتابة (رحلة ابن جبير) بخلاف المغرب .

وقد شعر المغاربة بقيمة الاستاذ والشيخ فأولوه كامل الاعتناء والتبجيل وكان لمدرسي العلم الحظوة الكاملة عند الدولة والشعب وقد شعرت اوربا مؤخرا بقيمة المعلم الاجتماعية حيث لوحظ ان اعداد المعلم الكامل كان هو السبب فى نهضة المانيا وانتصارها فى حرب السبعين حتى قال بسمارك (لقد انتصرنا على عدونا بمعلم المدرسة) .

والاضراب ابتكره رجال الجامعات الغربية وكانوا يلجأون اليه اذا وقع المساس بحقوقهم واحيانا كانوا يعمدون الى الهجرة كما حدث عام 1229 عندما وصل قسم من اساتذة جامعة باريس وطلابها الى اكسفورد لتدخل السلطة فى شؤون الجامعة .

وقد قدر عدد محتويات مكتبة القرويين آخر القرن الماضي بنحو الثلاثين الف مجلد ، ولعل عدد المصنفات التي يقال ان المولى عبد الرحمن وزعها على علماء المغرب لا تعدو الالف .

واعتناء ملوك المغرب بجمع الكتب معروف وقد وصف المراكشي ولوع يوسف بن عبد المومن بذلك فذكر انه لم يزل يجمع الكتب من اقطار الاندلس والمغرب ويبحث عن العلماء وخاصة اهل النظر الى ان اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك المغرب (المعجب ص 145) .

وبلغت هذه الخزانة الموحدية اهمية جعلتها تعادل مكتبة الخليفة الاموي الحكم الثاني وذكر جوستاف لوبون فى حضارة العرب (ص 408) ان مكتبة الحكم الثاني احتوت على ستمائة الف مجلد فى حين ان شارل الحكيم لم يستطع ان يجمع بعد ذلك العصر باربعة قرون فى المكتبة الوطنية بفرنسا اكثر من تسعمائة سفر .

وغالب المخطوطات الموجودة فى مكتبة الاسكوريال اصلها من المغرب وذلك ان زيدان السعدي كلف قنصلا فرنسا عام 1617 بنقل اربعة آلاف مخطوط عربي الى اكادير فحول شراع مركبه نحو فرنسا حاملا معه المخطوطات النفيسة فأسره القرصان الاسبان ونقلوا الكتب الى الاسكوريال .

لموظفين الحكوميين وقضاة الدولة المبجلين . وهؤلاء لخريجون هم الذين تسترشد بهم السلطة الحاكمة لتثبت من مطابقة ما تنوي فرضه من ضرائب واتخاذه من اجراءات . ومن هنا كان لطائفة المثقفين المنكونه من جيل لآخر اثرها المعنوي في حياة المدينة كما كان تعاضدهم الثقافي والتقائهم عند مبادىء واحدة اثرهما الكبير في دوام الوطن .

لقد كان الالتحاق بالقرويين وما يزال حتى الآن يعني الانتماء الى هيئة مبجلة لها قيمتها . فالدراسة فيها تعني الاشتراك في طريقة حياة معينة واشغال مكان معين في احضان الحضارة . وتنفرد الجامعة بمزايا عديدة نذكر منها اهمية المثال الشخصي والتعليم الشفوي المباشر والاتصال القائم بين المعلم وتلميذه وحياة التلاميذ المشتركة وكافة الاجتماعات والعلاقات الانسانية التي تنسج خيوط التعاضد العاطفي والعقلي فتؤلف نوى من الشعور بالانتساب الى كيان كامل يشكل ثقافة قائمة بذاتها . وما احرانا ان نذكر في هذا المقام ان الفضل في تعريف طبيعة هذا التعاضد وبراعه تحليلها انما يرجع الى ابن خلدون العظيم : اشهر كاتب للدوله ومؤسس التاريخ الثقافي الذي ولد بين ظهرانكم .

ان هذه الوحدة العميقة والرابطة القويه التي تسعب تاريخكم وتحفظ كيان مجتمعكم ومظاهر ثقافتكم وتقوم شاهدا على ايمانكم تطبع جامعتكم بطابعها الفريد الذي ما تزال متحفظة بقيمه حتى الآن بما قد ينطوي عليه من اهداف جديده .

واي موضوع في الحقيقه يفوق في اهميته موضوع تسيير الجامعه في حياة الجماعة لا ان توسيع التعليم وزيادة المقاعد المخصصة للتعليم العالي لتؤدى بطبيعتها الى القضاء على كل عزلة ثقافية ، كما ان احتياجات الدولة ومطالب المؤسسات بل الآفاق المترتبة على تعبير الوسائل التقنية تحتاج جميعها الى الاستفادة من مجهودات الجامعة . والحق انه يتعين على الجامعة بالاضافة الى المهام الرئيسية الملقاة على عاتقها من اعمال البحث وتخريج الاشخاص ، ان تتحمل مسئوليات جديدة ذات طابع اقتصادي واجتماعي وثقافي . اضف الى هذا ان الجامعة تحتل مكانا مطرد الاهمية في صرح التطور الاقتصادي بالنسبة لبلد ناشىء منطور ثري بتقاليده العريقة مثل بلدكم الكريم . فالجامعة مطالبة اذن باعداد صفوة المستقبل ، كما انها مطالبة ايضا بجمع التراث الثقافي وتسليمه الى الاجيال اللاحقة ، ذلك التراث الذي يضفي على المجتمع سماته الخاصة به ويكسبه الاحساس بدوامه كما انه يكشف له في رحاب العلاقات الدولية عن النصيب الثمين الذي اسهمت به الحضارة الاصيلة . ففي ممكنة الجامعه باعتبارها من دعامات الثقافة ان تكفل دوام الوطن . ومن هنا يكتسب عيد القرويين الالفي مغزى آخر غير مغزى التذكرة التاريخية البسيطة .

وفي وسع مبادئكم التربوية ايضا ان تؤدي ثوبا جديدا في وقت يظهر فيه من كل جانب خطر تعليم يقتصر على اعداد المتخصصين او التقنيين او المتفقهين . فمبادئكم كانت تهديكم دائما لا الى نقل المعارف الى الانسان وحسب وانما الى اعداد هذا الانسان بكليته وجعله ممتلكا لجميع قواه وملكاته . وتقاليدكم لم تعرف ابدا التفريق بين الجانب النفسي والجانب العقلي وقد كان بحث معلميكم عن الحقيقة يتميز في الوقت نفسه بالبحث عن الحق والعدالة . ولقد علمت ان لفظة « العلم » باللغة العربية تعني العلم والحكمة معا ، وان لفظة الحق تجمع بين مفهومي العدالة والحقيقة .

واذا اعوزنا المثال في هذا المجال ففي وسعي ان اذكر ابن طفيل ابن هذا البلد الذي كتب الرواية التربوية المعروفة باسم « حي بن يقظان » . فكان اول ملهم لجميع ما كتب من هذا القبيل من روايات وحكايات تربوية . وقد اظهرنا ابن طفيل في روايته على تفاصيل « اعوام التحصيل » التي قضاها شاب مراهق ولم يكن هذا الموضوع قد طرق في اوروبا من قبل فكان رائدا للكتابات التربوية التي كتبها رابليه وقصة روبنسن كروزو وقصة اميل . واشير بوجه خاص الى ان موضوع هذا البحث كان اهم المظاهر الرئيسية للقصة التي كتبها جينه مصورا فيها بطل القصة وقد استند الى تجربته الشخصية والى ارشادات معلمه كي يتعلم مهنة الرجال، ثم اخذ يشحذ همته ومواهبه ويعيد اختراع التقنيات الى ان بلغ مستوى التحكم في امور الطبيعة . ولقد اجتمعت لدى المفكر المغربي الذى عاش في القرن الثاني عشر جميع هذه العبر والعظات الانسانية . وهي تعبر عن ثقته البالغة في صفات الشخص الانساني وفي اتساع مجال قدرته على الانباء والحوادث .

على ان هناك مظهرا آخر يتميز باهميته الخاصة بالنسبة لي كممثل لمنظمة دولية . الا وهو تقليدكم الخاص بصفات الكلية والعالمية التي تظهر تعبيرها في

رسالة القرويين

رينيه ماهيه
نائب مدير منظمة اليونيسكو

انه لشرف عظيم لي أن انقل الى جامعة القرويين آيات تقدير منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. واني الى جانب هذا الشرف الذى توليني اياه هـذه المهمة الجليلة ، لاشعر بسعادة شخصية عظيمة بداعـي الذكريات التي تربطني بهذه المدينة الفريدة التي يزيدها مرور السنين قيمة وجلالا .

ان جامعة القرويـين ومدينة فاس لم نعرفا منذ اكثر من الف عام الا حياة مشتركة واحدة ، ومن النادر حقا ان نشهد ارتباطا متينا كهذا بين جامعة ومجتمع ، او بين جامعة وشكل من اشكال الحضارة الانسانية . وتظهر معالم هذه الرابطة الوثيقة في كل شيء يحيـط بنا اليوم ، فهي تطل علينا من علياء المكان الذى نجتمـع فيه الآن ، متمثلة بفنه المعماري وبالذكريـات التـي تثيرها في النفـوس .

ولعل السبب في ذلك هـو ان هذا المكان كان في الاصل دارا للصلاة والعبـادة ، فامتزجت فيه فيمـا بعد عقائد الايمان والدين بالمظاهر الثقافية . وممـا يجدر ذكره انه منذ ان امر نبي الاسلام ، عليه الصـلاة والسلام ، ببناء « الصفة » في المدينة المنورة وجعلها مقرا للدراسة والمناقشة اخذت كافة المساجد والجوامـع تسعى طوال اربعة عشر قرنا الى السير على الـدرب نفسه كي تصبح اماكن للتعليم والتحصيـل بجـوار رسالتها الروحية . وقد تمكن بعض هذه الجوامع مـن نشر نفوذ وافره واضافـة دروس الادب والتاريـخ والفلسفة والعلوم الى دروس الدين والشرع . وهكـذا ظهرت المستنصرية في بغداد والعدليـة في دمشـق وجامعة قرطبة ، ثم الجامعات الاسلامية الكبيرة التـي ما تزال ثلاث منها باقيات حتى الآن ، وهي الازهر في القاهرة والزيتونة في تونس ثم جامعـة القرويـين في فاس . ولقد ازدادت معارفنا اليوم عن اثـر هـذه الجامعات العميق في تطور العلوم والحركـات الفكريـة ابان العصور الوسطى الاوروبية كما اتضحت لنا اكثر من ذي قبل معالم الدور الذي ساهمت به في نهضـة الجامعات الغربية . ومن ثم ، فان احياء ذكرى جامعـة القرويـين يتيح لنا اليوم فرصة الاعراب عن مشاعـر التقدير لهذه الجامعة والاعجاب بهـا ويذكرنا باقـدم تقليد عرفه التعليم العالي في مختلف مراحل تطوره حتى بلغ مرحلته الحاضرة دون انقطاع .

والى جانب كون القرويـين مسجـدا جامعـا وجامعة ، فهي في الوقت نفسه مكان لالتقـاء الاهلين . فمقاعدها الروحية تنطوي على تعاليم اجتماعية ، كمـا ان ركن علمائها مفتوح الابواب دائما امام كافة الناس . ويعج هذا الركن بالحركة وبغدوات وروحات الحيـاة اليومية . فهو المكان الذي يستطيع المرء ان يفنس فيـه عن استاذه او صديقه للمشورة او الحكمـة او المعونة . وتشير الرواية المثيرة التي تسرد عادة عن ايام القرويين الاولى الى التكاتف الاجتماعي ومشاعر الاخوة الانسانية التي كانت سائدة في ذلك الوقت . اذ يقال ان اختيـن صغيرتين قدمتا ما تملكه يداهما لتشييد هذا الصـرح الذي اضفى عليه ملوك المغرب فيما بعد سمات العظمـة والجمـال .

والوظيفة الاجتماعية التي تقوم بها جامعة القرويين تصل في النهاية الى اداء دور وطني . فهي الجامـع الرسمي الذي تعلن فيه المراسيم ، في حين تـؤدي الجامعة دورها الخاص بها فيما يتعلق بالشئون العامة. وقد تخرج في هذه الجامعة خلال تاريخها الطويل كبـار

يقول مؤلف « القرطاس » في هذا المجال ان : « فاس كانت على الدوام عطوفة على الاجانب الذين استوطنوا فيها ، ومن ثم اصبحت المدينة المذكورة كالدار الكبيرة التي يجتمع فيها عدد كبير من الحكماء والمشرعين والادباء والاطباء وغيرهم من العلماء » . اما عصر النهضة الايطالي فقد عرف عن طريق حسن الزياني الذي كان يطلق عليه اسم ليون الافريقي ان مدينة فاس كانت في القرن السادس عشر « عاصمة للاسلام الغربي ووريثة للحضارة الاندلسية » . ولذا كان البحاثة يأتون اليها من اقاصي الارض بحثا عن المؤلفات والدراسات العلمية المجهولة . **يعد المغرب اذن بهذا المعنى البلد الذي نستطيع ان نلحظ فيه اكثر من غيره تلك الحيوية البالغة التي اسهمت بها الحضارة الاسلامية في جميع مجالات التبادل بين الشرق والغرب .**

على ان هذا الدور الرابط بين ثقافات الشرق والغرب ما يزال الى اليوم دوركم انتم . وهو الى هذا يعطي اهمية خاصة لتعاونكم مع منظمة اليونسكو في تحقيق نشاطها . فمن المهام الرئيسية المدرجة في برنامج منظمتنا ما يعرف « بالمشروع الكبير الخاص بالتقدير والتذوق المتبادل لقيم الشرق والغرب الثقافية » الذي يستند في تطوره ونموه الى ثلاثة مستويات مختلفة هي — مستوى الدراسات والبحوث التي يجريها المتخصصون . ومستوى التعليم المدرسي والتعليم خارج المدرسة ثم مستوى تعريف الجماهير وتثقيفها . اذ يتعين تدعيم وتحديد المعارف الرئيسية الخاصةبمختلف الثقافات عنطريق الاجتماعات الدولية واجتماعات العلماء ودراسات علماء الاجتماع وخصوصا عن طريق المعونة المتوقع تخصيصها لانشاء شبكة من معاهد البحوث يكون الغرض منها عرض خطوط الحضارات العريضة . وسيترتب من ناحية اخرى على مراجعة البرامج والكتب المدرسية واعداد هيئة المعلمين وانتاج المواد التربوية المناسبة والتعاون مع منظمات الشباب ان يفتح هذا النشاط كله الابواب امام التفاهم ويبعث على احترام القيم الخاصة بمختلف الثقافات . واخيرا فان نشر الاعمال الادبية والفنية والموسيقية على نطاق واسع واستخدام وسائل تعريف الجماهير وانبائها كالصحافة والسينما والراديو ستفضي كلها ولا ريب الى تنوير الراي العام واعطاء مجموع هذه الجهود كل قيمته الحية .

هذا ، ويتركز قسم كبير من الوسائل التي تستخدمها اليونسكو على هذا النشاط الذي يحظى بالاولوية . غير ان اعمال دول المنظمة الاعضاء واشتراكها الكامل في هذا المشروع يتميز في هذا المجال بمقدار حيوية اهتمامها بتنفيذ نواحي برنامج المنظمة الاخرى . واليونسكو لعلى استعداد لتقديم خدماتها في هذا الصدد ، **ومن ثم يسعدها ان تقدم للمغرب تسهيلات لدراسة وحفظ الفن الموسيقي الذي يعد اصل الغناء الاندلسي ، كما يسعدها ان تعين بوسائلها الفنية المضبوطة اولي الامر الذين يعنيهم جمع وثائق المحفوظات** في شكل افلام مصغرة بوجه خاص ، وهي وثائق تقوم شاهدا على تاريخكم الثقافي .

انكم بعملكم على ريادة التعريف بتراثكم الثقافي لا تؤكدون الشخصية المغربية في المحيط الدولي وحسب ، ولكنكم تبرهنون بهذا العمل ايضا على ما استطاعه بل وما يستطيعه التعاون الثقافي مرة اخرى بين الشرق والغرب . فمشروع اليونسكو يفقد ولا شك غرضه الاصلي في تعزيز التفاهم المتبادل للقيم الثقافية في الشرق والغرب اذا اقتصر على تقويم كل ثقافة منفردة بذاتها دون ان تفتح بينها وبين الثقافات الاخرى بابالتبادل والتذوق المشترك لعموم الثقافات. المختلفة والى اوجه النشاط الخاصة بتعريف بعضها ببعض . ومن هنا كانت الاهمية المثالية التي تسهم بها في هذا المشروع دول اعضاء واقعة مثل مملكة المغرب عند مفترق طرق الثقافات وتلاقيها .

هذه هي بعض الاسباب العديدة التي تدفعني في مجال نشاط الخدمات الدولية المتجدد دائما الى الاهتمام الكبير بجميع الانباء التي تصلنا من المغرب حاملة معها رصيد مجهوداتكم ومجالات نجاحكم . فاذا كان اجتماع جامعة القرويين هذا يعد من احد هذه المجالات وبالنسبة لكل فرد منا اجتماع الذكرى والوفاء للعمل المستكمل ، فاسمحوا لي ان اعرب لكم في النهاية عن ان ذكريات سني الدراسة والصداقة بل وذكريات التجارب الكبيرة التي مرت بي في هذا المكان ما تزال نابضة بالحياة في قلبي وسابقى لها وفيا مخلصا .

افكاركم وتتضح آثارها في نظريات مفكريكم وفي اعمالكم . لان صفات الكليــة والعالمية ترمق تاريخكم باكمله .

فقد كان البحاثة الاوائل لديكم يقبلون بولع علـى جمع معارف زمانهم كلها دفعة واحدة . امـا اعمـــال المتخصصين المعاصرين في العصور الوسطى فانهـا زادتنا معرفة بتلك القفزة الرائعة التي حققهـا شعب باكمله في ميدان العلم . لقد كان هذا الوضـع منصبـا على المعرفـة ولا ريب ، ولكنه كان يمتد ايضا الـى المعرفة الكلية الشاملة . ومن اين لنا لولا ذلك ، هـذه المؤلفات الغزيرة التي تناولت جميع النواحـي ، دون ان يستغرق اصدارها وقتا طويلا ؟ انها في الواقـــع مجموعات ضخمة من التقاليد ، فهـي تضـم مختارات تقارن بين المدارس الشرعية وتضم قواميـس تعرف باسم « المحيط » لاتساعهـا ، كما تضـم مجامع مـن العلوم الاغريقية ومؤلفات في الجغرافيا وروايات عـن رحلات تصف نصف العالم الذي كان معروفا في ذلك الوقت . ان **حضارتكم القديمة هي في الواقع حضارة كلية شاملة كما انها هي نفسها التي نقلت الاحساس الذوقي الـى اوروبـا ابان العصـور الوسطى .**

كانت حضارتكم تهدي بالبحث في الطبيعة كمـا تهدي بالوحي في اكتشاف نظام للعالم . وكانت تلهف على جمع معطيات العلم الاغريقي المبعثرة . وقد امتدت نحوها حتى اراضي ما بين النهرين والهند ومـا وراء الهند نفسها محققة بهذا الحكمة التقليدية القائلـــة « اطلب العلم ولو في الصين » . **وكان كافة المفكريـــن لديكم من المحيطين بعلم الفلك والشرع والادب والفيزياء** فاذا كنت اشرت من قبل الى ابن طفيـل كفيلسـوف ومرب ، كان علي ان انوه به ايضا كعالم موسيقي ورجل من رجال الدولة . ومن الممكن في الحقيقة العثور علـى **اروع مثال عن التطلع العلمي الكلي الشامل لدى ابـن خلدون الـذي جمع بين صفات المؤرخ والفيلســوف والسياسي ورائد** علم الاجتماع . كما يمكن ايجاد مثل ذلك ايضا في شخص ابن رشد **الذي كان قاضيا لقرطبة وطبيبا للمغرب . وقد كان اسم ابن رشد خلال سنوات طوال مقرونا بفكرة التأليف والتركيب في الفلسفة ، تلك الفكرة الحية التي تربط الآن بيـن آثار ارسطاطاليـس وبين النقد الحديث** . اما الكتاب الطبي الكبير الـذي الفه ابن رشد فقد تمت ترجمته في البندقية خلال عـام 1490 بعنوان يطابق عنوانه الاصلي العربي : « الكليات » .

على ان هذه الارادة الكليــة العالمية لم تكن لتجـد تأكيدها بمثل هذه القوة لو لم يكن المغرب قد وجد نفسه خلال حقبة من حقبات تاريخـه الفاصلة عند مفتـرق الطرق الرئيسية المؤدية الى رحاب الثقافة . ومن هنا كان بلدكم مركزا من مراكز الحضارة التي تعرف باسم الحضارة الاندلسية او الحضارة الاسبانيـة المغربية . فثقافات الشرق والغرب لم تعرف اتحادا مثل هـذا الاتحاد الذي وجدته في احضان الحضارة المذكـور بشكلها التأليفي الكامل الفني بثمراته . **اما الاختلاف في الطبائع او الاديان او حتى اشتعال الحروب نفسها فلم يستطع ان يسد المنافذ التي تنبعث منها هذه الحضارة. كانت كل هدنة يتم الاتفاق عليها فرصة للتبادل الثقافي . واشير في هذا المجال الى مثل واحد مـن بين امثلـة عديدة ، يتصل بمكتبتكم التي وسعت من رفوفها الخاصة لاستقبال مجموعات الكتب العربية الهامة التي قدمهـا دون سانشي ملك اسبانيا بمناسبة الهدنة التي جـرى الاتفاق عليها خلال عام 1285 . وعلى هذا النســق كانت المؤلفات الادبية والعلمية تنتقل على الدوام بيـن المغرب واسبانيا . وقد اصبحنا اليوم نعرف معرفـة كاملة القسط الوافر الذي ساهم بـه اجدادكـم في الحضارة الاندلسية التي انتقلت باجمعها الى البـلاد المغربية فيما بعد** . كان تأثير اعمالكم يبلغ كافة المجالات. من الحضارة المادية الى تأملات الرياضيين والصوفيين المجردة ، فتشمل مقدمات العلوم والتقنيات الجديدة والاشغال العامة وتعبيد الطرق وتشييد الجســور والمستشفيات وانشاء المصانع المختلفـة واستحداث طرق التجارة وترقية الاداب الاجتماعية حتى الازياء بل واداب المائدة .

اما التأثير المتسم بالرفعة والعمق فنجـده في المجال الفني المتمثل في الفن المعماري وفنون النقـوش والزخارف ، ونجده في المجال الموسيقـي في الاغانـي العميقة التي ما تزال تطبع اغاني الاندلس بطابعهـا المعروف حتى الآن ونجده كذلك في الشعر الغنائي الذي رأى فيه بعض البحاثة مصدرا من مصـادر المشاعـر العاطفية الغربية عند دراستهم للعلاقة القائمة بين ادب الغزل في لغة جنوب فرنسا التي كانت منتشرة وقتئذ.

وهكذا كانت مدينتكم من الاماكن الخالدة بفضل هذه الثقافة . ذلك لان الروابط الثقافيـة لم ينفصم عراها مع اسبانيا حتى بعد سقوط مملكـة غرناطة . وكانت مدينة فاس تستقبل العلماء والكتاب الذيـن كانوا يفدون اليها من الاندلس او من الشرق الاسلامي.

ن الجبناء ، والاجواد من البخلاء ، والكسالى من النشيطين ، والخونة من المخلصين) «بنصه من خطه»

لقد استكثر بعض الناس ثمانية اسفار فى تاريخ مدينة متوسطة لم يصل عمرها الى خمسمائة سنة . وتنادر مجان بلهو الحديث فيما يمكن ان يقول فى هذه الاسفار . وتناظر ناس آخرون بقول فيه شك وفيه يقين ، وفيه ما هو حق وما هو باطل ، وانا لا احب ان ادخل – مع القوم – فى مناقشة اقوال المستكثرين والمتنادرين والمتناظرين ، لان هذا الكتاب هو الذي سيكم افواه المرتابين بالحجج اليقينية ، وهو الذي سيرسم ابتسامة الرضى على شفاه المنصفين .

نعم ، احب ان اقرر حقيقة ثابتة ثبوت القطب فى مركزه ، وواضحة وضوح الالوان تحت ضوء النهار . . وهي ان تطوان مدينة لم تتدرج كغيرها من المدن الناشئة من مدشر الى قرية ، ومن قرية الى مدينة ، وانما هي مدينة ولدت كاملة ، فمن اول يوم جدد فيه بناؤها الاخير كانت مركزا للحضارة الاندلسية ومهدا للرقي المهذب ، لان المؤسسين او بالمعنى الصحيح المجددين كانوا من ارقى البشر الموجودين فى ذلك العصر ، اذ من المعلوم والمعروف ان « كورة » غرناطة شرق الاندلس كانت قد جمعت – يومئذ – خلاصة الخلاصات من العلماء والفقهاء ، والصيادلة . والاطباء والصناع والمفننين ، والفلاحين والمهندسين ، والابطال من رجال الفكر واهل النجدة ، الذين جاءوا اليها من كل بقعة خانها الحظ ووقعت تحت سيطرة الانسان . حتى اصبح بها خيرة ورثة عظمة قرطبة الاموية ، وفنون اشبيلية العبادية فكان نور المعرفة يشع من مدارسها بالوانه وجلاله ، وجمال الفردوس يرسم فى رياضها بشذا عطره وروعة ظلاله .

فلما اختل الامر بين امراء الحمراء الزاهرة ، وظهرت الخيانة والتكالب على الحكم بين اصحاب المطامع الغادرة ، واتحدت النصرانية ضد الاسلام بزواج ملك راغون بملكة قشتالة ، ولعب القوم بمستقبل الامة واستهانوا بحقوق الشعب ، بدا المومنون الذين ينظرون بنور الله ، يهاجرون بالدين والعرض والولد والعلم والمال والفن الى عدوة المغرب .

هاجروا ثم استقروا بسيف البحر بين مصب نهر « مجكصة » ونهر « هليلة » واستأذنوا فاذن لهم ، وجددوا المدينة فى سفح « درسة » محافظين على اسمها القديم « تطاون » .

ولم يتم التسوير والتبريج ، والخندقة والتحصين حتى اوفد اليهم سلطان المغرب محمد الشيخ الوطاسي جماعة من اهل فاس ليعمروا معهم المدينة الجديدة .

وكانت فاس يومئذ – وكما هي دائما – موطن العلم والمال ، والصناعة والفن ، والنبوغ والعبقرية ، والفكر والدقة ، تمد المغرب وغير المغرب بفيض مما رزقها الله من الخير ، فجاء الفوج الاول من الفاسيين ليشارك فى التأسيس ، وليكون على بصيرة من امر المهاجرين الاندلسيين .

وتأسست تطاون فكانت بنت غرناطة وفاس ، وهما – يومئذ – عاصمتا المغرب والاندلس اللتان انحصرت فيهما حضارة القرن التاسع الهجري ، بما فيها من متانة ودقة ، ولطافة ورقة .

وتكاتب اهل الاندلس مع بعضهم وتراسلوا ، فوفدت على تطاون الوفود وقصدها القصاد ، واصبحت مهجرا لارقى مدنية عرفها التاريخ . ومعقلا لابطال الجهاد ، وحصنا من حصون الاسلام ، صمدت فى وجه الاسبان والبرتغال والانجليز الذين عاثوا فى شواطىء المغرب من شمال وغرب ، تصد الغارة ، وتبيد الهاجمين ، وتجيش الجنود فى البر والبحر للغزو والدفاع والتطهير ، ورفع اسم المغرب عاليا بين الدول، ولم يستطع شرلكان وخلفاء شرلكان – وهم الذين غزوا شواطىء افريقية وغير افريقية – ان يحدثوا انفسهم بالقرب من شواطئها ، وهي اقرب اليهم من تونس ووهران ، لما عرف به اهلها من شدة الشكيمة والاستبسال فى الدفاع عن الكيان ، واتقان فنون الحرب والجهاد ، وظلت كذلك اربعة قرون ونبع نهضتها لا ينضب ، وبوارق نجدتها لا تخبو ، فهي التي فتحت طنجة وطردت منها الانجليز ، وهي التي حمت شواطىء مرتيل من دنس الاحتلال ، وهي التي حصرت البرتغال ثم الاسبان فى صخرة سبتة . وهي التي اخرجت الابطال المجاهدين كآل النقسيس واضرابهم .

هذا الى تمهيد مبادىء المدنية . وتأصيل معالم الرقي من حسن التنسيق فى المفروش والملبوس ، وكثرة التنويع فى المطبوخ والمشروب ، وروعة التفنن فى المنقوش والمخرور مع سلامة الذوق فى العرض والدقة فى الترتيب . . الى المحافظة على الموسيقى الأندلسية التي اتى بها مؤسسوها الاولون معهم من غرناطة ورندة وفاس . . فاذا اضفنا الى هذا كله ما كان لها من العلاقات السياسية والاقتصادية والفنية مع الجزائر ، نجد انها كانت همزة وصل الحضارات ، بل انها كانت بوتقة تنصهر فيها الحضارات المختلفة ، وتنصبغ باللون المحلي الاندلسي الفاسي ولكن فى صورة تطوانية بحتة ، وذوق تطواني صميم .

إقرأ هذا الكتاب

تاريخ تطوان

للأستاذ محمد داود

صدر الجزء الاول من تاريخ تطوان الحافل للاستاذ الجليل السيد محمد داود وقد قدمه للجمهور زميلان ورفيقان للمؤلف في الدراسة العلمية هما الاستاذان المؤرخان الحاج محمد بن العربي بنونه وشيخ المعهد العالي بتطوان التهامي الوزاني

ومجلة ـ دعوة الحق ـ تقدم مقتطفات من مقدمة الحاج محمد بنونه للتعريف بهذا الكتاب القيم حيث قد تضمنت جملة من كلام المؤلف تبين مذهبه في كتابة التاريخ . والكتاب قيم وجدير بكل اهتمام وما تقديمه بهذه المقتطفات الا ترغيب لاقتنائه ودراسة ما فيه من طرائف عن الحياة الاجتماعية بكل الوانها لجزء هام من بلادنا العزيزة

هـــذا الكتاب هو في الواقع صور لالوان الحياة بمدينة تطوان هو صور لشخوص حية تتحرك في الحياة التطاونية من رجال ونساء يصنعون احداث التاريخ ، فالبيوت والشوارع ، والمدارس والمحاكم ، تزخر بشتى الالوان من الحيوية المتدفقة التي ترسل الدماء حارة في الشرايين ، الى الالوان الهادئة التي تبعث الاطمئنان الى القلب . صور تجعل القارىء يعيش فترة من الزمان مع الذين سبقوه لرؤية النور ، فيتوقع معهم الحوادث المفاجئة ، ويترقب مثلهم نتائج المقدمات المعقولة ، لان المدينة في جهاد دائم ، وصراع مستمر ، على لقمة العيش ، وسعة النفس ، وادراك العلى ، ورغبة السكان ورهبتهم هما اللتان تصنعان حياة الانسان في الكوخ والقصر وفي المصنع والحقل ، وفي السوق والمتجر ، وكل ذلك في المدينة وفي سكانها ، ففيها الصالح القوي ، والجيد النبيل ، والكريم الرضي، وفيها المشبوه في السلوك ، والمدمن للاثم ، والجبار في الليل من حثالة المجتمع ، وصعاليك الاسواق ، وضعفاء الاخلاق . وهذا الكتاب ينقل للقارىء الكريم هذه اللوحات واضحة الظلال ، ناصعة الالوان بما فيها من الخير والشر ، والقبح والجمال ، لا يتعمل ولا يتزيد .

ولقد يكون احوننا المؤلف اشار في مقدمته الى ما اوردنا هنا بقوله : (لقد كتبت ما كتبت . وجمعت ما جمعت ، وعلقت بما رأيت . بناء على مذهبي في كتابة التاريخ العام . ذلك المذهب الذي يرى ان يثبت المؤرخ المعلومات ويصور الحوادث كما هي او كما يراها دون تزوير او تضليل . ثم لكل قارىء ان يستفيد ويستنبط على حسب ذوقه ومذهبه واستعداده . واذا كان للمؤرخ الحق في ان يعلق بما شاء كما يشاء . فان للقارىء ــ ايضا ــ ان يقبل او يرفض . والحق حق دائما احب من احب ، وكره من كره ، والباطل لا يخفى ولو موهه صاحبه تمويها ، ان الامة تختلف طبقاتها كما تختلف صور افرادها ، واذا كان المصور الماهر هو الذي يرسم الصورة رسما مطابقا للاصل فان المؤرخ الحقيقي « الذي لا يكتب للدعاية ولا يتاثر برغبة او رهبة » هو الذي يسجل ما يقف عليه من **المعلومات غثها وسمينها** ، كلياتها وجزئياتها ، فيكتب من الاقوال ما يدل على الذكاء وسعة الصدر وحسن التدبير ، وما يدل على الغباوة والجهل وفساد الرأي وسوء التقدير ، ويسجل من الاخبار ما يعرف منه الجهال من العلماء ، والضعفاء من الاقوياء ، والابطال

مآسيه من الوان الظلم والطغيان ، على يد المستعمرين الفرنسيين القساة ، وقد بلغ الى سمع كل احد ما يكرر حدوثه صباحا ومساء من الفظائع الوحشية على حدود فرنسا ، ليس فى ارض الجزائر فحسب ، بل فى ارض القطرين الشقيقين المجاورين ، حيث ينال العدوان الفرنسي سكان البلاد الاصليين واخوانهم من اللاجئين الجزائريين ، من حين لآخر وتسقط الضحايا البريئة اثر كل اعتداء ..

ان الرجال الاحرار الذين أخذوا على أنفسهم مناصرة الحرية فى كل مكان ، قد ابلغوا الى آذان الضمير العالمي فى غير ما مناسبة انين المعذبين ، وشكاوى المظلومين ، وتوجعات المنكوبين ، التي تتوالى منذ ست سنوات فى الارض الجزائرية المحترقة بنار الحرب العدوانية الفرنسية .. فهل لهذا الضمير ان يبرهن على وجوده . بالعمل على وقف اعداء الانسانية ومجرمي الحرب عندحدهم، اينما كانوا وحيثما وجدوا، والتمكين للسلام ان يسود بين الامم والشعوب المستضعفة . حتى لا يتزعزع ثقة هذه الشعوب والامم بهذه المنظمات الدولية . التى تأبى بعض الدول الاستعمارية الا ان تتجاهلها وتدوس على قراراتها ...

فالى متى يستمر هذا العدوان الفرنسي الصارخ على شعب أعزل لا ذنب له الا ان يروم حياة العزة والحرية والكرامة فى وطنه . الذى ورثه عن آبائه واجداده ! الى متى يتجاهل ساسة فرنسا ميثاق حقوق الانسان الذي وقعوا عليه مع بقية الامم ! والى متى يدوسون باقدامهم على كل قانون سماوي او وضعي في حربهم الاجرامية . التي لا يراعون فيها حرمة امرأة . ولا طفلا رضيعا . أو شيخا هرما . او محاربا جريحا . كما تقضي بذلك قوانين الحرب ، التى اتفقت على العمل بها كل الاديان والاجناس .

اننا نأمل ان يعلن الضمير العالمي فى هيئة الامم المتحدة جهارا هذه المرة عن ادانته لفرنسا جراء وفاقا لما ترتكبه من منكر ضد ابناء الانسانية فى الجزائر . وان يكشف عن أساليب الابادة الجماعية التي تطبقها فى السجون والمحتشدات، ومراكز التجمع المحاطة بالاسلاك الشائكة ، والموجودة فى مختلف انحاء القطر . ان كل الاحرار فى العالم يريدون من المنتظم الدولي ان يصدر حكمه العادل على المجرمين ، ويقرر حق هذا الشعب المجاهد فى أن تعاد له سيادته المغتصبة ، التى لم يبخل فى سبيلها بأعز ما يملك من الانفس والاموال . وان يترك وشانه يقرر مصيره بنفسه ، عملا بدستور هيئة الامم المتحدة ، التي عليها ان تتحمل مسؤليتها أمام التاريخ، وامام الاجيال البشرية المقبلة ، فتلزم المتمردين — بكل الوسائل — باحترام قراراتها والتزام جادتها ، اذا كانت هذه الهيئة جادة حقيقة فيما تصدر من قرارات ، عاملة بحق على ابعاد أسباب الحروب ، وتدعيم قواعد السلم فى جميع أطراف العالم على السواء ...

ان فرنسا بانسحابها من هذه المحكمة الدولية ، وجبنها عن ان ترى نفسها فى قفص الاتهام ، والعالم يطالبها بتقديم الحساب على ما جنت يداها فى حرب الجزائر ، وعلى اهمالها الفاضح لقرارات الهيئة الدولية، ان فرنسا بصنيعها هذا تريد أن تتمادى فى حربها التي أهلكت بها الحرث والنسل فى وطننا ، وتريد ان تلتجيء الى المناورات والمؤامرات مرة أخرى ، كما فعلت فى سنوات خلت . عسى ان تتمكن من تحقيق ما يحلم به ساستها . من تطبيق سياسة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب . تلك السياسة التي خلفها الزمن ، وأصبحت أسطورة سخيفة ، لا يؤمن بها احد ، لانها منافية لتطور الزمن ، وسير التاريخ ، ومجافية لروح العدالة والحرية ، اللتين اضحتا مطمح كل شعب يصبو الى حياة العزة والرقي والازدهار . ان الاستعمار يريد ان يستمر فى خداعه وتضليله للرأى العام ، ولكنه لا يخدع الا نفسه ، انه يريد ان يتخذ من مبادىء هيئة الامم لعبة وسخرية . كما اتخذها بالامس ، ويريد ان يواصل سفك الدماء البشرية . والتحكم فى رقاب ابناء الانسانية .ارضاء لاغراضه ومطامعه الاستغلالية ، غير مبال بتلك المبادىء والقوانين التى تجتمع ممثلو الدول والشعوب تحت لوائها ، ويعملون لحل المشاكل على هديها .

هذه هى الفكرة الرجعية التى ما زال يتشبث بها اقطاب الاستعمار الفرنسي المحتضر ، وتلك هى نواياهم السيئة ، ضد وطننا المكافح . ولكنهم لن يجنوا منها غير الخيبة المرة .

ان الشعب الجزائرى الباسل ، الذى آمن بحقه فى ان يعيش سيدا فى بلاده ، حرا فى وطنه ، قد عقد العزم على ان يواصل جهاده المظفر ، بقيادة حكومته الفتية ، وجيشه الوطنى المقدام ، حتى ينتصر الحق على الباطل ، ويتحرر شعبنا المناضل .

وانا لنرجو ان تكون لجميع الاحرار يد فى تقريب هذا الانتصار ، وتعجيل الهزيمة للاستعمار .

المأساة الجزائرية أمام الضمير العالمي

للاستاذ : أحمد مراد

لا يسع المرء الا أن يأخذ منه العجب مأخذه، ويتألم من أعماق ضميره . ويكاد يكفر بهذه الديمقراطية المزيفة، التي طالما لهجت بذكرها الالسن ، ونفثت بمحاسنها الشفاه . بعد أن يمعن التفكير في استمرار هذه المأساة . ويرى كيف يشخص أدوارها على مسرح الانسانية المعذبة . ويقوم بدور البطولة فيها احدى الدول الكبار، التي ما فتئت تتبجح بوضعها لحقوق الانسان ، وانها ما بعثت الى هذا العالم الا لتكون رسولة الحرية والتمدين ... ومع ذلك فهي ما انفكت تقترف أفظع ما عرفته البشرية من غرائب الاجرام ضد الانسانية في ارض الجزائر، وتمارس هذا العمل المزري لمدة ستة اعوام أمام الضمير العالمي . وعلى مرأى ومسمع من الهيئة الاممية، دون أن تستطيع هذه وضع حد لهذا المنكر ...

اجل . لقد وضعت المأساة الجزائرية من جديد أمام الضمير العالمي الممثل في تلك الوفود الدولية المجتمعة في هيئة الامم المتحدة . وقد استمعت او ستستمع تلك الوفود وشعوب العالم كله الى بيانات وافية ، وتفاصيل كثيرة ، حول استمرار تلك المأساة البشعة ، التي يقوم بتشخيصها على مسرح ارض الجزائر الاستعمار الفرنسي واعوانه وحلفاؤه في الدول الغربية ، والحلف الاطلسي منذ ست من السنين .

ولعل الضمير العالمي سيستفيق هذه المرة من سباته العميق ، ويجلو عن عينيه الغشاوة التي حالت بينه وبين رؤية الحقيقة الناصعة ، وسماع الصرخة المدوية بعدالة قضية الشعب الجزائري . الذي صمد في النضال البطولي من أجل استرجاع حريته واستقلاله طيلة هذه المدة المديدة .

ان الضمير العالمي قد عرف وسيعرف الكثير عن فظائع الاستعمار الفرنسي حاضرا ومستقبلا . ولعله يحاول اليوم أكثر من الامس ان يفهم المشكلة الجزائرية على حقيقتها ، كما تبدو من خلال الصراع الذي يدور بين فئة قليلة مؤمنة بقداسة جهادها في سبيل الحق والواجب ، ولحماية القيم والمثل التي ظلت وستظل موضع الاجلال والاحترام لدى الانسان المدرك العاقل وبين فئة كثيرة باغية ، تنكرت لكل المعاني والقيم الانسانية . فالمعركة — اذن — تدور رحاها بين الحق والباطل ، وبين العدالة والبغي . وبين الديمقراطية الصرفة والاستبداد الذي يريد ان يخمد أنفاس شعب عريق في ماضيه . متطلع الى استرجاع عزته وكرامته .

وسيقوم نواب أحرار يمثلون شعوبا حرة بشرح وجهة نظر هذا الشعب وحكومته الفتية . تلك الوجهة المتمشية مع مقتضيات العدالة والانصاف ، ومبادئ الامم المتحدة التي تخول لكل شعب أن يقرر مصيره بنفسه دون اجبار او اكراه ، كما فعل اولئك النواب في اجتماعات الهيئة الاممية في الاعوام الفائتة . ولا يشك أحد في أن الوفود الدولية في هيئة الامم المتحدة قد احاطت علما هي وشعوبها بما يعانيه الشعب الجزائري الابي من ضروب النكبات والمآسي والاحزان ، وما

ولم يكتف سارتر بذلك بل شارك فى العريضة التى وقعها مائة وواحد وعشرون اديبا من الفرنسيين تؤيد الشباب فى رفض قانون التجنيد .

يضاف الى هذا كله المقررات التي صوت عليها المجلس الوطني للسلم Le comité national de la paix ونقابات المعلمين والعمال ، والتي تطالب بوضع حد لمأساة الجزائرية والاعتراف بحق تقرير المصير .. باجماع شامل من جميع الطبقات وعلى اختلاف الاتجاهات يطالب بمحو عار فرنسا فى الجزائر .. فالى أى حد تستطيع المشكلة الجزائرية ان تؤثر على الادب الفرنسي ؟

الواقع ان نوع التأثير سيكون ايجابيا الى ابعد حد لان الازمة الجزائرية ستؤكد للادباء والفنانين والمفكرين مرة اخرى ان تخليهم عن رسالتهم القيادية واهمالهم الدفاع عن المثل الانسانية التي نبعت من ثورتهم المقدسة معناه اضمحلال فرنسا وتشويه فهمها لحريتها .

وهذا النوع من التأثير قد ظهرت بعض بوادره فقرأنا مذكرات صريحة لفرنسيين احرار عاشوا الحرب المريرة فى الجزائر فكتبوا يفضحون الاساليب اللاانسانية المتبعة لابادة شعب اعزل ، ومن ذلك ما كتبه هنري البغ تحت عنوان : جلادون . وما كتبه سارتر بعنوان : عارنا فى الجزائر . وكتاب حرب الجزائر لجول روي (Jules Roy) ... وكلها صفحات مشرفة تعيد للفكر الفرنسي اعتباره .

ونشرت ايضا بعض القصص لادباء فرنسيين صوروا فيها انطباعاتهم عن الحياة التي يعيشها الانسان الجزائري نهبا للقلق والضياع والجوع والاحتقار ، من ذلك قصة « دريس » (Driss) للكاتبة الشابة « جانين اوربانو » ، وقصة زيتون العدالة (Les oliviers de la justice) لجان باليكرى.

ولعلنا ندرك اهمية التأثير من خلال الموقف الايجابي الذي اتخذته فى هذه الايام الكاتبة فرانسوار ساجان التي عرف عنها اهتمامها بقلقها الذاتي وبتصوير الجوانب العبثية لجيلها .. هذه الكاتبة قد ادركت اخيرا ان الحرية كل لا يتجزأ وان الحرية اوسع من المفهوم البسيط الذى يحصرها فى نطاق مجتمع واحد . فكتبت مقالها الرائعة بمناسبة اعتقال جميلة بوباشا منددة بالطغيان وبخنق الحريات .

وانا اعتقد — الى جانب هذا التأثير — ان انعكاس الازمة الجزائرية على الفكر الفرنسي سنجد طابعا اخلاقيا فى اوسع معنى لهذه الكلمة اى انه سيدفع الادباء والمفكرين الى ايقاظ الضمائر الغافية والى مراجعة القيم ومحاولة القضاء على التناقض الحاد الذى يوزع الشعب الفرنسي ويجعله حائرا مترددا بين الحالمين بعهود الامبريالية والعظمة الجوفاء ، وبين الطليعة الواعية التي تعيش عصرها وتؤمن بامكانيات الشعب الفرنسي فى خدمة الحضارة وحماية الحرية .

واذن فممكن ان نقول ان المشكلة الجزائرية كحدث حاسم بالنسبة للشعب الفرنسي قد اصبحت — اكثر من اى وقت مضى — محكا للطليعة المفكرة والجماهير الشعبية لتبرهن عن وعيها وعن قدرتها الاستمرارية فى حماية القيم الانسانية . وان هذه الارهاصات الادبية فى فرنسا بالاضافة الى ما كتبه ادباء احرار مثل برنارد شو ويوم بن وريتشارد رايت وجان بول سارتر ، وبالاضافة الى ما كتبه ادباء الطليعة فى آسيا وافريقيا ... كل هذا الانتاج يؤكد لنا ان عصرنا ادبيا قد دخل فى مرحلة التبلور يمكن ان نسميه : « ادب الثورة الانسانية على الاستعمار ».

الأدب الفرنسي ومشكلة الجزائر

للأستاذ محمد برادة

ان فهم الوضع الفكري في فرنسا اليوم يجب ان يلمس في اطار اعم من اطار الكتب والمحاضرات والمسرحيات ، ذلك ان عنصرا هاما يهيمن على الحياة الفرنسية كلها ويحتل الصدارة سواء في الحياة الفكرية او السياسية ، واقصد مشكلة الجزائر التي تكون قرحة يصعب التئامها اذا لم يوجد لها حل عادل .

ان مشكلة الجزائر بالنسبة لفرنسا تقيم الدليل مرة اخرى على ان الاحداث السياسية — او على الاصح — الاحداث الحاسمة تؤثر تاثيرا مباشرا على الشعب وبخاصة على ادبائه ومفكريه الذين يكونون القوة الطلائعية في المجتمع . ومشكلة الجزائر تطرح اليوم بشكل جدي لم تطرح به من قبل طيلة الست سنين التي خاض خلالها الشعب الجزائري معركة الحرية ، ولعل هذا يدفعنا الى التساؤل : على عاتق من تقع مسؤولية هذا التاخر في مواجهة المشكلة الجزائرية بصراحة وشجاعة ؟

وللجواب على هذا التساؤل نتجه الى احدى الشخصيات البارزة في عالم الفكر الفرنسي الاديب جان بول سارتر الذي اعلن في محاضراته التي القاها اثناء جولته في امريكا اللاتينية بان المسؤولية تقع على اليسار الفرنسي اذ ترك للمصالح السياسية العاجلة ان تجرفه في تيارها . .

ولسنا الآن بصدد دراسة مواقف اليسار الفرنسي في السنين الماضية ، و لكننا نحاول ان نسجل صورة موجزة لرد الفعل القوي الشامل الذي انبثق في هذه الايام داخل فرنسا والذي استطاع ان يطغى على كل ما عداه من المشاكل بما فيها مشكلة اثمان الخضر واللحوم التي يعاني منها الشعب الفرنسي الكثير .

وقبل ان نستخلص تاثير المشكلة الجزائرية على الادب الفرنسي يجب ان نذكر اهم الاشكال التي تجلت فيها ردود فعل المثقفين الفرنسيين .

كلنا سمع او قرا عن شبكة جانسون التي جرت محاكمتها في هذه الايام بتهمة التعاون مع جبهة التحرير الجزائرى . وهي شبكة نظمها اساتذة فرنسيون وقاموا بنشاط ايجابي واسع النطاق بعد ان يئسوا من التصريحات والوعود التي كثيرا ما افضى بها الساسة المحترفون ، وقد كان اعضاء هذه الشبكة يقدمون المعونة للفدائيين الجزائريين ويوزعون مجلة سرية يفضحون فيها جرائم الاستعمار ويهيبون بالرأى العام الى الضغط على الحكومة لتعترف للشعب الجزائرى بحق تقرير المصير .

ولاول مرة يقف الفرنسي والجزائري جنبا الى جنب امام المحكمة ليعلنا انهما متفقان على ضرورة منح الشعب الجزائري حريته ، وعلى ان سفح الدماء البريئة من الجانبين وسيلة دنيئة لخدمة اغراض الراسماليين .

واثناء محاكمة هذه الشبكة ارتفع صوت سارتر — في رسالة بعثها الى محامي الشبكة — ليعلن :

« ان خنق الحريات المتزايد وتعميم التنكيل . وعصيان القوات العسكرية وعدم خضوعها للسلطة المدنية . . كل هذا يسجل تطورا في حياتنا السياسية يمكن ان نصفه دون مبالغة بالفاشستية ، وان اليسار الفرنسي سيظل عاجزا عن مواجهة الموقف ما لم يوحد جهوده مع جبهة التحرير الجزائرية ، القوة الوحيدة التي تكافح اليوم ضد عدو الحريات الجزائرية والحريات الفرنسية الذي هو عدونا المشترك » .

اي انثى تلك التي شيدت للدين والعلم أقدس البنيان !
رفعت فأسها تشق به الارض وفى جفنها دموع امتنان لا
تفل الصخر للبنا وهي تتلو فى خشوع مقاطع القرآن
اي انثى تلك التى أسست لله بيتا كمسجد الرضوان
وأرت للرجال كيف تشد المجد ــ ان شاءت ــ ناعمات البنان !

*

حدثني الجيل عن مآثرك الغر وقصي روائع الامجاد
حدثني عن مواكب العلم تسعى زاحفات الى سناك الهادي
تتهاوى الى رحابك كالسيل لتروى منها النفوس الصوادى
وجدت قبلك بنت بعرب حصنا منمحرا بصد عنها العوادي
ورأت فى رحابك القبح ما لم تره فى حلقات بغداد !
يوم لا موئلا يلوذ به الضاد ولا حافظا لمجد البلاد
يوم ان كنت معقلا لانطلاق الشعب يهز من رصاص الاعادي
تحضن الشعب وهو كالموج ، يغلي حقده من حمايه الاوغاد
وحراب الدخيل تحوك يومي زاحفات الى مفر الجهاد
كم اريقت من الدماء على بابك يا مذبح الفداء الصادي
كنت نورا ، فكيف صرت على الغاصب نارا يا ملتقى الاضداد ؟ !
ذاق منك المرائر السود احقابا والبسته ثياب الحداد !
ان تكوني قد حاربتك فرنسا وتجرعت ظلمها فى عناد
وتخلفت فى الطريق عن الركب لفرط العناء والاجهاد
فاطمئني فقد اظلك عهد ذهبي معطر الابراد
قد طردنا الدخيل وهو مهين وتولى الاحرار حكم البلاد
سوف يبنون ما اضاعت فرنسا واضاعت عناصر الافساد
ذكرى من نسوك انك أم برة رغم جفوة الاولاد

*

اترى ينكرون فضلك وهو الشمس ؟ او ينكرون ذاك البلاء ؟
اتراهم يعمون عنك وقد فتحت منهم بصائر عمياء ؟
ورفعت العقال عن السن خرس ولولاك لم تزل خرساء ؟
وهديت المختار منهم الى الله وقد كان ناقة عشواء !



ذكريات مجد

للشاعر الأستاذ: محمد الحلوي

شاعر العيد والهوى ما الذي أعددت العلم والهدى من معاني ؟

حطم الكأس واكسر الناي لا يأسرك سحر الطلى وسحر المغاني

وانتفض كالهزار بلله القطر فغنى في الروض كالهيمان

غن في (عيد درة العرب) لحنا عبقريا معطر الألحان

يغمر الخافقين طيبا وينساب رفيفا في مسمع الأزمان

هو عيد يمجد الشعر فيه مشعلا من مشاعل العرفان

رفعته أنثى تشرف حواء ويزهو بها بنو الإنسان

باركته يد السماء فشادته بعزم يفور بالإيمان

وأقامته معبدا ورباطا وارف الظل فارع الأغصان

فجرت أرضه منابع تجري دافقات كذائب العقيان

فبدا جنة مفتحة الأبواب ممنوحة القطوف الدواني

جنة الكوثرين ، للعقل فيها مرتوى مثل مرتوى الظمآن

لم يزل منذ باركه الله ضياء يشع في الأكوان

ومقاما مقدسا أصبح الحج إليه من غاليات الأماني

يرزح للجلال فيه جمال غارق في روائع الفنان

يزأر الدهر حوله وهو كالأطلس مستكبر على الحدثان

قد شب الزمان وهو وليد من شباب الحياة في ريعان !

يا ابن شعبي

للشاعر الجزائري :
صالح أبي عبد الله

حي في « الاطلس » الاسم رجالا   بهم صال في الكفاح وجالا
صنعتهم يد الظلوم ، وقدما   صنع الظلم قادة ابطالا
سورة في الظلام أعلنها الشعب   فباتت بها الليالي حبالى
وموالبدها مواقف أحرار تفا   نوا بسالة ونضالا
باعت صاحب البلاد وعفت   أجنبيا أقام داء عضالا
تصبغ الفجر كل مطلع فجر   بدم في العلا اربق وسالا
مقله الافق كلما انبه الافق   بلف من البرود اكتحالا
كم معم ومخول أفقدته   سطوة المعتدين عما وخالا
ودع البيت قائما وأبا نبحا   وأما دموعها تتلالا
وجد البيت حين عاد بواسي   والديه ــ عليهما أطلالا
أين أمي ؟ أبي ! أجبني الهي   أي صوت يجيب هذا السؤالا
فاجابت جبال « أطلس » عنه   برصاص يحطم الانذالا
وستفنى يجيب حتى نراها   في اعرار سهولها والتلالا
ذبذبت ساسة الفرنسيين حتى   ورسوا نوبة بها وخبالا
سيق هذا الى السجون ، وذاك   اعتبل غدرا بها وذاك استقالا
ونفط الفلاة جنوا فهلا   جرعوا سمه فبنووا ارتحالا
فانابيبه افاع برامت   وبح من غره السراب فمالا
فالافاعي تمج ان مسها الذل   لعابا بقطع الاوصالا
وأقاموا الحدود بين بلاد   وقلوب بوحدت آمالا
أو نخشى الاسلاك كهربها النور   لنفصى عن (الجزائر) آلا
وعروق الاباة أسلاك نار   كهربتها حمية لن تنالا
كان قطرا على الخريطة مبتا   فتجلى دما بها يتلالا

لا تهوني اذا الزمان تحداك بشر ونازعيه البقاء
لا تخافي ان يستحيل ثناء القوم او عطفهم عليك رثاء
ان فى عهدك المجيد وفى الحاضر عزا يهزنا خيلاء

*

عيدك اليوم للعروبة والضاد وللمومنين اكبر عيد
عيدك اليوم فاصل بين عهد مكفهر وبين فجر وليد
قصة العلم والبطولة فى شعب عريق فى العلم ، شهم مجيد
نظمتها يد الحياة عقودا ثم حلت بهن اكرم جيد
لو تغنى الزمان يوما لكانت فى ركاب الزمان احلى نشيد
حوم الشعر فى سمائك نشوان رخيم الانغام والتغريد
قابسا من سناك اقدس لحن انت طغراؤه وبيت القصيد
فاسلمي للاسلام حصنا ، وللضاد ملاذا ، وابقى لعمر مديد

على المومن ان يؤدي حق ربه ، وحق نفسه ، وحق اهله

روى البخاري قول سلمان لابي الدرداء ان لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولاهلك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم « صدق سلمان »

وصـــديــق الجميــع انــت بـبـأس   يهــز القلــب منهــم فــاستمــالا

بنــت حــواء فى هــواك تفانــــــت   ليتها فى هواك حازت مجالا

وتفانت على (جميلــة) عطفــا   وهــي تشكو من الطغاة نكــالا

يا ابــن شعبي ، اليك مني قصيدا   يــورث العزم حدة وصقــالا

ان طــربنــا فنشــوة برصــاص   رن فى مــسمع الظلام (مــوالا)

ان بسمنــا فــللفــد المتــرجــى   بسمــه فى القلــوب بعــث فــالا

واصل الحرب يا ابن شعبي بعشــق   لــذة العشق ان تكــون وصــالا

قــد سالنا الاله عونا فكان العــون   عــزمــا يقلقــل الاجيـــال

وسالنــا فى الحــروب نصيـــرا   فمنــى نحونــا الوجــود امتثــالا

لو تخلى الوجود عنا حمانــا اللــه   منــه بقــوه لــن تنــالا

فـى الترمذي عن معاد بن جبل قال : كنت مع رسول الله (ص) فى سفـر فاصبحت يوما قريبا منه وانا اسير فقال : ألا أدلك على ابواب الخير . الصوم جنـه والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفيء الماء النار وصلاه الرجل فى جوف الليل شعـار الصالحيـن . ثم تـلا : تتجافى جنوبهم عن المضاجـع يدعـون ربهم خوفا وطمعـا ومـمـا رزقنـاهـم ينفقــون .

ذرة كان فى الفضا وهباء   فارتمى فوق وجنة المجد خالا
ونرامى ينمه فى نحور الصحف   ميرت نفاسة وجمالا
وسوار بمعصم الشرق امسى   وبرجل الطغاة أمسى عقالا
اي طرس بحسنه ما تحلى   وكتاب ما صاغ منه مقالا
وعلى الالسن الجزائر ، كانت   عثرة فى بيانها لن تقالا
لم امست فصاحة وبيانا   وجرت فى الشفاه ماء زلالا
ساجلت صاحب القصيد فغنى   وتملى بها الخطيب فقالا
يا ابن شعبي .. بد الينا نرامت   تقتدينا شجاعة ونوالا
حبها يا فتى الجزائر بالباس   وحيي الجميل منها نضالا
(نيل مصر) لو استطاع لجاب البيد   شوقا اليك تغرو الرمالا
عله بالنمير يطفي غليلا   فى بنامى ورضع وتكالى
و (حلبيا) بنساب فى فم طفل   حرم الثدي فاستمات هزالا
برغم القطن كم نحن لتضميد   جروح سكبت الاغلالا
و « ابو الهول » لو نطيق حراكا   كان هولا على العدا وبالا
ان نكن جاثما فما جثمت مصر   وقد عززتك روحا ومالا
أطلس « المغرب » الابى لو ارتد   خداعا فحاد عنك ومالا
ياابن شعبي .. وجدت أطلس (خوفو)   مستظلا اليك يبغى اتصالا
(بردى) كم يحن أن لو يراه   احمرا من دما عدوك سالا
سال شهدا على شفاهك يا شعبي   وصابا على الطغاة اسحالا
وخرير (الفرات) رجع حنين   لم نكن ابا معالا
كم تمنت تلوح (لبنان) لو تخضب   من جرحك الزكي قذالا
وعلى « الكعبه » الحرام دعاء   يا ابن شعبي بنصرنا قد تعالى
وهتافات انفس طاهرات   يا ابن شعبى بنصرنا سوالى
انت قلب (مراكش) و « الخضرا »   ضلوع ترد عنك النصالا
واستفن (ليبيا) تجبك بشعب   قطع العهد فى فداك وآلى
هذه يا جزائرى وبة الاحرار   تطوى لنصرك الامثالا
وتحطى اخا هنا عربيا   تجدي الكون أفريقيا وآلا
تجدي آسيا بمد وافريقيا بعون   منحت فيه اكملا
يوم نصر كأنه فلك الصبح ولو   ظننه الدخيل خيالا
انت عذراء انجبت حر جيل   خاض حربا فكان فيه مثالا

فصابرت واستسهلت كل كريهة واعلنت ان الحق لا يرهب القهرا
وان بني الانسان في الحق اخوة فليس يفوق البيض سودا ولا حمرا
وليس لغير الله جاه وسطوة وحسب الورى ان ينشدوا الحق والحبرا
وكل امرىء ياتي الحياة محررا وان ضلت الاقوام فاستعبدوا الحرا
ونادبت ان الفقر ليس جريمة وان على المثرين ان يصلحوا الفقرا

وليس بفقر العقل والعلم عبرة وان زور الاقوام من طمع نكرا
ارحت عن النسوان هضما وذلة فصرن عونا يرسل الرفق والطهرا
وقد كن — للاجرام — دهرا — صحبه فاصبحن في عز وفي نعم تترى
مددت الى الاقوام كف مسالم ولكن حرب الشرك قد آثروا الشرا
وما جئت هذا الكون الا مسالما تسوق اليه الطهر والنبل والخيرا
فآمن قوم ان بعثك نعمة فقالوا : اطعنا الله وامتثلوا الامرا
وذادوا عن الاسلام كل مراوغ فكانوا لجند الحق قدوته الكبرى
وقد بذلوا لله مالا ومهجة ولم يسلموا المختار في الوقعة الحرى
فدوك بما لا يفتدي المرء نفسه به في سبيل الحق واستسهلوا الوعرا
اولئك اهل الحق من خير امة اولئك جند الله اعظم بهم قدرا
اولئك من والوك في وقت شدة اولئك من آووك في طيبة الزهرا
وهم صحبك الاخيار والعصبة التي اباحت لدين الله ان يحرز النصرا
فكسرت الاصنام في كل بقعة وحطمت الاغلال واجتاحت الكفرا
اذا ما مشوا تحت اللواء تهللت وجوههم البيضاء والتمعت بشرا
سراعا الى الرحمن دون تريث قلوبهمو تهوى الشهادة والاخرى
اولئك احباب النبي محمد مهاجرهم والناصرون حووا فخرا
عليهم سلام الله ما دام ذكرهم يلقننا صبرا وينفحنا عطرا
فيالهمو للدين والحق والهدى وقد صير الجهل معروفها نكرا
وغير جيش الملحدين منارها وبدل شرع الله من شرعه عسرا
وقالوا : حدود الله اصر وغلظة واهواؤهم اهدى وتحليلهم احرى
وقالوا : لسان العرب فيه ركاكة يقصر عن تبليغ ما يملأ الصدرا
وان لسان العجم ابين منطقا واسلوبه اجلى وتبيانه ادرى
وقد كشفوا النسوان حتى تمايلت على الطرف من ابدت لنا الظهر والنحرا
وصالت بحسن قد تجرد باديا نرى الجيد والاعضاء والسوق والشعرا

من وحي الرسالة المحمدية الخالدة :

نهوض الصحراء

للشاعر المدني الحمراوي

تبارك من اصفى مواهبه الغرا … على الارض لما ارسل الرحمة الكبرى
فاورق غصن الحق بعد ذبوله … بمبعث من احيى العدالة والخيرا
بمبعثه الاسمى طوى الله ليله … واطلع من اسرار حكمته الفجرا
فكان على الدنيا سلاما ورحمة … ونورا وأمنا جاء فى موكب البشرى
وقام به للناس هدى فاسرعوا … الى قبس التوحيد واستقبحوا الكفرا
فقام بامر الله دين محمد … يخط لهذا الكون تاريخه الحرا
رسالته الغراء خير تحية … الى عصبة الاحرار شدت لهم ازرا

*

نبي الهدى مالي بمدحك طاقة … ولكنني ارجو قبولك والسترا
اذا خلصت من سر قلبي محبة … فليس على جسمي ان يعبر البحرا
وما مدحك الميمون الا وسيلة … يصيب بها ذو الحب عاقبة الاخرى
لقد رامت الدنيا مديحك فانثنت … وقد قطع التقصير من قولها الظهرا
وكيف يروم المرء ما لا يطيقه … ويستسهل الحمياء ان تحكي الدرا ؟
اذا خير الرحمن مدحك جامعا … فما لجهود الخلق ان يبلغ القعرا
وعذر بني الانسان حب وانهم … حسوا من رحيق الحب ما يفضح الخمرا
وانك رائد الانام ونورهم … ونجم الهادى اضاء فى افق الغبرا

*

هتفت بصوت الحق والجور راسخ … وجئت بشرع الله لا تبتغي الاجرا
تلوت حكيم « الذكر » فى العرب داعيا … الى السمحة الغراء والثورة الكبرى
فكان لحزب الشرك سخط وضجة … يخاف على اصنامه الهون والكسرا
ولكنك الهادي الامين فلم تلن … وقد اعلن الاشراك جملته النكرا

بها ادرك التمدين شأوكما لــــه … وانبت سيل العلم فى الانفس الزهرا
فاشرقت الدنيا بعـدل وحكمـــة … وفاض معين العيش مسترسلا ثــرا
ورنت مثاني الفــن فى عرصاتهـــا … وابدع عقل العرب ما ادهش الفكرا
مآثر مــن غــرس النبي محمـــد … ومعجزة عصماء احيى بها القفـــرا
فشيد صرحا للعروبــة خالـــدا … على اسس القرآن يصطحب الدهرا
ولولا رسول اللـه جـاء بحكمـــة … من الله للانسان ما احكم الامـــرا
ولا كان ذاك المجد للعــرب بفتــة … ولا اسرعوا فى مهيع العزة السيـرا
وكيف وهــم اوزاع كـل ضلالـــة … وجهل ونبديل يحملهــم اصـــرا
فتلـك لعمــر اللـه منه احمـــد … ونعمة رب العرش تستوجب الشكرا
واعجوبة القــرآن فى هدى امـــة … توزعها الفريق فانخذلت عصـــرا
فيا امة الاسلام عــودي رشيـــدة … الى شرعة القرآن سترجعي الفخرا
وحيدي عن الاهواء فهي ضلالـــة … وبلبلة توهي العزائـم والفكـــرا
ووحــي الـه العالميــن مؤيـــد … بعصمته من سار فى ظلـه فــورا
وما لمريد الهدى من غيــر نـــوره … نجاح وان غطب جحا فله البحـــرا

❋

فجــارى الـه العالميـن حبيبــــه … فقد نال اهل الارض من هديه ذخرا
وبلـع ديـن اللـه غير مقصـــر … فمـد بـه ظـلا وحـط بـه وزرا
وقوض صرح الشرك فى خير بقعـة … وسيد للاخلاق هيكلها النضـــرا
فطاب رسول الله روحا وهيكـــلا … ومن طيبه مسك الورى اخذ العطـرا

❋

بحــر فكـري فى مدبـح محمـــد … فلم يحص من معناه شفعا ولا وتـرا
وكل لسان الشعر فبه فلم يجـــد … من النفس المأمول بيتا ولا شطـــرا
ولكـن جهـد الخلـق دون كمالـــه … وفى القلب ما ستنفد الشعر والنثرا
وما مدحــه الا رحيـق مختـــم … يدد شجوا فى الفؤاد قد استشرى
ويعمر ارواح المحبين نشـــــوة … واعماقهم نـورا وانفسهـم طهـــرا
وسنوهب الالطاف والفتح والرضى … من الحضره العليا ويستوجب البشرى
مدبحك يا نور الوجـود سعـــادة … فطوبى لمن فى مدحكم قطع العمـــرا
فيا مصطفى الرحمن من خير خلقـه … اليك اسوق المدح من مقولي شعـــرا
تقبل ثنائـي وهـــو نرر مقصـــر … فكل مديح فيك لا يبلـغ القـــدرا

ولم يستر الافخاذ غير غلائل   رقاق تحد الشيء او تفضح السرا
فياضيعة الاسلام بعد كماله   وقد اخمد الاعداء ما كان قد اورى
وسرهمو ان ينكر الدين اهله   وان يطرحوا القرآن والسنة الغرا

❋

فيا سيد الارسال هذه حالنا   تضرم في الاحشاء من وقعها جمرا
فسل خالق الاكوان تفريج كربنا   وكن شافعا يا خير من يجبر الكسرا
فانت حبيب الله صفوة خلقه   وانت على الرحمن اكرمهم طرا
وانت امان الله نور جماله   وانت سراج الكون والرحمة الكبرى
وانت الذي اوتيت كل كرامة   وكل كمال جاوز الحد والحصرا
وانت من الرحمن فيضة نوره   وسيد اهل الارض والقبة الخضرا
ومعدن اسرار الحقيقة والهدى   وبحر هبات الله اعظم به بحرا
ومنفجر العرفان والعلم والتقى   ومنبجس الاحسان عم الورى برا
ومنبلج الاشراق عم ضياؤه   وطبق هذا الكون بحره والبرا
ودائرة الاخلاق والبرزخ الذي   اليه انتهت آمال من ينشد الطهرا
وحامل بند الحمد في كل موطن   ومعقد آمال الورى ان اتوا حشرا

❋

خرقت الطباق السبع نورا مجسما   فاشرقت الافلاك في ليلة الاسرا
وعطرت ذاك الكون والارض كلها   ونلت الذي تبغي فتمت لك البشرى
تشرفت بالتقريب من حضرة الرضى   وخضت بحار النور تسمع الامرا
تلقيت من رب الجلال بلاغة   فجئت به تتلوه في خلقه ذكرا
كتاب من الرحمن فصل حكمه   عهودا من الرحمن لا تقبل البترا
تضمن للانسان خير هداية   فمن حاد عن هدى الكتاب يجد عسرا
شريعته يسر ونور وحكمة   فلا حرج تصلي نفوس الورى قسرا
شفاء لامراض القلوب وعصمة   وسيف صقيل يحسم الشر والجورا
بآياته جاء الامين محمد   فداوى به الارواح واستنهض الصحرا
فوحد اهواء الجزيرة وانبرى   يسددها بالوحي حتى استوت قطرا
يوحد بالايمان والعدل اهله   فسادوا وشادوا العز وامتلكوا الفخرا
بنوا دولة القرآن والعرب حسرة   موطدة فوق السماكين والشعرى
اشاعت على الغبراء هدى محمد   فلا فدفدا ابقت ولا اغفلت بحرا

في طية الجمال

للأستاذ
أحمد سعيد النازي

فـوق الذرى عبر التلال الزاهيـه ... وعلى سـرى تلك الروابى العاليـه
فى بسمة الافـق البعيـد الحـالـم ... وعلى اديم سما الوجـود الصافيـه
فى لحظـة الالهام فى سطـ الهـوى ... حيث الملائك والبلابـل شاديـه
فى حـبة بيـن الظـلال الرافـلـا ... ب على الجـداول والمياه الجاريـه
فى دوحـه الامـل الوليد المنتفـى ... حيث المسـره والمباهـج باديـه
فى مهبط الانغام فى روض الوجـو ... د من الهضاب الشامخات الرافيـه
فى موجـة الطود الممدد فى الفضـا ... فى مسهى دنيـا الخيـال النائيـه
فى حمرة الشفق الجميل المرتـدى ... ـوب الغرالـه والورود الفانيـه
فى روضـه الفردوس عبر تموج الـ ... ـافراح فى مرآى الجنـان الزاهيـه
فى ملتقـى ربـا الزهـور المائـدا ... ت وبين موجـات الغصون الدانيـه
ولـد الجمـال فمرحـبا بنهـاره ... بضيـائـه بشموسـه المتواليـه
بوداعه لـه صفقت أيـدى المنـى ... وسدت برنـات الفـؤاد الرابيـه
سنـى ويلمع فى الـورى كأهلـه ... سكرى بضـىء سما الليالى الداجيه
يخطـو فيتـرك فى الانـام روائـه ... لايمحـى ابـد الدهـور الماضيـه
سـدو على خـد السنين كطائـر ... سـدو ويكتب فى القلـوب معانيـه
يتلـو على سمـع الزمـان رسالـة ... والاذن مـا بين الاحبـة صاغيـه
يمضى بروتقه الوسيم بلحظـه الـ ... ـواعى الذى ملك النفوس الساخيه
متنقـلا مثـل الفراشـة سحـره ... يجرى ويلفظ فى الجنـان اغانيـه
ومتى أصيب بسهمه يومـا غـدا ... يأسى ويرسل فى الخدود سواقيـه
محراب هاتيك النفـوس وقبلـة ... لذوى الصبابـة والجراح الداميـه
لـولاه ما نسـد الغـريب ولا قفـا ... اثـر المحبـة فى الاراضى الخاليـه
لولاه ما بـزغ الحنـان ولا سـرى ... ضوء المـودة فى القلـوب القاسيـه

كفى ان قلبي بالمحبة عامر   وان بحور الشعر لا تطفيء الجمرا
فانعش زهور الشوق منك بنظرة   تروح قلبا لم يجد عنكمو صبرا
وتعصمني من كل زيغ ومحنة   وتملأ صدري من حقيقتكم خبرا
وتكلأني من كل داء وذلة   وهول عصيب الروع يستوعب الحشرا
وتنهلني كأسا من الحوض حلوة   دهاقا فلا اشكو أواما ولا حرا
وتسمع لي في موقف الفصل ان دعا   حساب فلا القى نقاشا ولا عسرا
فيا احمد المحمود في كل موطن   تدارك محبا مد يمناه واليسرى
وحل يا رسول الله بين شؤونه   وبين الذي يبغي بها الكيد والمكرا
ويارب بالمختار ثبت عقيدتي   واكرم لقائي ان حللت غدا قبرا
ولا تخزني يا رب في اي موقف   وجاوز عن المحجوج واقبل له عذرا
وحطني من الارزاء واسبغ سكينة   علي وهب لي العون والحفظ والسترا
ووفق الى الاصلاح امة احمد   وصن حومة الاسلام واكتب له النصرا
وصل على قطب السلام محمد   صلاة تفوق الكيف والكم والحصرا
وآله والاصحاب والعترة التي   رفعت لها في « ذكرك » المجتبى ذكرا
ووال عليهم من سلامك نفحة   الهية الانفاس تستنفد الدهرا
وقدس مدى الآباد في الخلد رفعة   سنا بضعة المختار فاطمة الزهرا

في الترمذي عن ابي هريرة عن النبي (ص) قال : السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار . والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار . ولجاهل سخي أحب الى الله تعالى من عابد بخيل .

الى الشباب القوي

للشاعر المدني الحمراوي

يا شباب البلاد مهلا فاني — قد رايت الشباب في استهتار
لا ارى نجحكم اذا لم تصونوا — شر فالنفس من فسوق وعار
قد رأينا جموعكم تتهاوى — في حياض الخنى بدون اصطبار
فاستطابت من الهوى كل لون — يتنافى مع الحيا والوقار
واستحلت من الفجور صنوفا — حرمتها « شرائع » الكفار
كم رأينا على الطريق شبابا — فتل العرض جهره في نهار
فاذا ليم قال : حرا اراني — أين فحش من عفة الاحرار ؟
انما الحر من يصون عفافا — ويجافي مخازي الفجار
انما الحر من تحرر — حقا — قلبه من قبائح الاوزار
فأعد ايها الشباب صوابا — كاد يفني في غمرة التيار
وتعلم من الحياة دروسا — تنذر المرء ان لها باندحار
انما هذه الحياة صراع — لا يرى الفوز فيه غير الخيار

*

ويح من غره الشباب فامسى — يتلف العمر بين حان و « بار »
يرشف « السم » من شفاه مراض — ويضيع الرشاد حول القمار
فاذا ادبر الشباب توالى — غمه بين علة وافتقار

*

يا شباب البلاد مهلا فهذي — ادمع « القطر » كالسيول الغزار
قد بكى اذ راى الشباب طريحا — تحت اقدام منكرات كبار
يتلهى عن المعالي بلهو — لم يزل في قيوده والاسار
يحسب العيش شهوة وانطلاقا — وهو بالجد واجتناب الشنار
فاذا ما دعاه فرض توانى — ثم ولاه جانب الادبار

لولاه ما برع الاديب ولا شدا   ولما تالقت العقول الواعيه
لولاه ما عرف الضياء من الدجى   ولما بنى حب عليه أمانيه
حتام والانسان يعبد لحنه   وفنونه وزهوره المتباهيه
ويرتل الانغام فى الجو الوضيـ   ـيء مرددا شعر الطيور الناغبه
يسعى لاغنيه الحياه لرقصة الـ   ـحب المفرد فى الصدور الذاويه
ولنعمة الاوتار حين ترافصت   امواجها بين النجود الراسيه
يا آية الخلد الموشح بالهوى   وبنور بسمة فجره المترائيه
انثر على صبح الوجود لآلئا   وابعث مفاتن فوره المتعاليه
ابل المتيم واستمع لندائه   حتى يحقق فى الحياه مساعبه
أفرغ كؤوس مراره العشق السحيـ   ـق من الصدور من الجفون الباكيه
واكتب على لوح القلوب حكايه   نمضى ونبقى مدى العصور الآتيه
وانفح بروحك فى العرائس نغمه   تحيى هوى تلك الامانى الغاليه
انفظ بمنطقك الجميل بروحك النـ   ـشوى الزهور الذاويات الفانيه
اطفيء حراره أنفس ولهيبها   وادفن مدامع حبها المتراميه
سكن نشطا يا منى الحياه وشعله الـ   ـحب المصعق كالرعود الداويه
فى القلب فى الانفاس فى مهج الصدو   ر الباكيات النادبات النادبه
واضمد كلوم صدى القلوب النائحا   ت من الاسى ومن الشجون الضاريه
وابسط رداءك للذى ظل يتفى   روض الرؤى وطيوره المتناجيه

قصة العدد

ورقات في عرش واحد

للأستاذ محمد الأموي

يا الهي انها الخناجر تمعن فى تمزيق ساعدى ، ساعدنى على الاضطجاع قليلا ، فقد مللت الجلوس . . آه ، بارك الله فيك . . انك لا تتصور مقدار فرحي عندما ياتى دورك فى الحراسة الليلة ، لانك تمضي معي شطرا من الليل تخفف عني باحاديثك اللطيفة ، اما الممرض الآخر فلا تفتر شفتاه عن ابتسامة ، وليلته اعدها بالعسرات تطول وتتثاقل ، كل الثانية ساعة ، ابيت اجتر آلامي مرات ومرات ، واتدحرج بين الام الجسم وعذاب الروح والقلب ، وانات المعطوبين مثلى تبيت الليل كله تخترق سمعي فتمثل لي المأساة من جديد .

ــ تابع قصتك ، فحكاية مكنونات الصدور تخفف نفس العبء ، وانت كمعلم لا شك انك علمت ذلك فى علم النفس .

ــ نعم اعرفه ، ولا اخال الامر صحيحا بالنسبة لي .

ــ لا تقل هذا فهنا تكمن الداء ، لان شقاء الانسان يتضاعف عندما يخال انه اكبر الاشقياء تابع قصتك ، واذكر دائما انك أسعد من كثيرين .

ــ آه . . بل سترى اني لست مجازفا . . ماذا كنت اقول ؟

ــ ذكرت انها لم تجبك عن رسالة البشرى خطبتها فى العطلة القريبة المقبلة .

ــ نعم لم تجبني عزيزة عن رسالة البشرى قدرت انها ضاعت بالبريد ، فأرسلت اليها رسالة اخرى بالبريد المضمون ، ومر اسبوع ولا جواب ، وبرت واتهمتها بالخيانة ، وتخيلتها مرتمية بين احضان غيرى من ذوى الحطام او الجاه ، قد يكون قائدا ممتازا او ضابطا للشرطة او الجيش فقتياتنا اصبحن يهمن بذوي السيارات المجنحة الفخمة والبذلات الرسمية . ومر اسبوع آخر وفى نهايته جاء الجواب ، لكنه كان هذه المرة بخط غريب عني ان الغلاف يحمل طابع بريد مكناس ، وفضضته رفقا باعصابي ، وبنفس الخط الغريب قرأت ما اذهلني واساع الحزن والخيبة فى نفسي . . . انها الرسالة التي احفظها عن ظهر قلب .

عزيزي حسين :

لن اكون لك بعد اليوم ، فابحث عن فتاة غيري تستطيع اسعادك اما انا فلم اعد لك ولم يعد بوسعي ان اسعدك لانني اصبحت لغيرك ، نعم لغيرك ، نعم لغيرك يا حسين ، وليس لى اختيار فى ذلك ، واقسم لك باغلظ الايمان على انني مرغمة يا حسين ، لقد اصبحت لغيرك ، وغيرك هذا اصبح جزءا من كياني لاينفصل عني طرفة عين ، انه الجسم والروح والقلب انه سنتمتع به كما نشاء وانا المسكينة لا املك ان اعترض ، وكل رجائي ان تملك اعصابك وتتحمل الصدمة فى شجاعة فانتم الرجال تمتازون علينا برباطة الجأش كما تزعمون ، ورجائي ان تذكر شيئا واحدا هو انني لا ازال احبك بالرغم من كل ما حدث ، ومع ذلك لا املك ان اتزوجك ، لاتذهب بك الظنون بعيدا فعائلتي لا بد لها فى الامر وعندما ترجع الى مكناس فى العطلة التي لن يتأتى لك ان تخطبني فيها ستعرف كل شيء وارجو لك كل ازدهار وسعادة .

يا شباب البلاد هذا زمان لا يعير الغواه أي اعتبار
بش الناس كل ارض وطاروا ثم غاصوا في مظلمات البحار
ونفضوا عجائب الفكر حتى صار كالشمس مبهم الاسرار
ونجدوا طبيعه الكون حتى سخروها بثاقب الافكار
ادركوا بالعلوم والجد مجدا دونه كل رفعة وفخار

*

هكذا ايها الشباب فكونوا مثل شبان ناهض الاقطار
وارفعوا شان قطركم بالمعالي انه في تحرف وانتظار
انما تنهض الشعوب وتسمو بمزايا شبانها الابرار

عمر بن عبد العزيز يعظ

كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول فى خطبته : ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه ، للحكم فيكم والفصل بينكم فخاب وشقى عبد اخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التى عرضها السماوات والارض وانما بكون الأمان غدا لمن خاف الله تعالى واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقاوة بسعادة ، الا ترون أنكم في أصلاب الهالكين وسيخلفكم الباقون ، الا ترون انكم فى كل يوم تشيعون غاديا رائحا الى الله قد قضى نحبه وانقطع امله فتضعونه فى بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب .

ـ هذا صحيح ومع ذلك فتغيير الحياة مستحيل قد يستطيع الانسان ان يخفف عنه من اعبائها ، ولكنه لن يقوى ابدا على تركها بدون مصاعب ، اما نحن فبسعنا ان نغير انفسنا ، ان نوفر عليها كيد بعضنا للبعض الآخر . . علينا فقط ان يمارس احدنا حريته في نطاقها المحدود وسوف تنتهي المشكلة عندما ندرك هذه الحقيقة ، وتصير عادة راسخة فينا ، وطالما لم ننضج الى هذا الحد فسوف لايجدي الجزاء ، ستحكم المحكمة على بعض مخترعي الداء ـ بتعبير عزيزة ـ بالاعدام وآخرين بالاشغال الشاقة ، فهل تعتقد ان هذه الاحكام ـ ان وقع تنفيذها ـ ستضع حدا للمشكلة . . مسكله الحاق الاذى بالآخرين ؟ انني اشك في ذلك كثيرا ، لاننا هنا لم نستطع بعد ان نربي انفسنا على ممارستنا حرياتنا في نطاقها المحدود .

ابنتي زينب ، ولدي سعيد ، اريد ان اراهما . . دعوني ابحث عنهما ولامت بعد ذلك .

ـ اطمئن بالا ، سوف نراهما ، وسيزورانك صحبة امهما ، لاتتحرك من مكانك ، ان ذلك يؤذيك كثيرا ، خذ هذه القرص ونم لتستريح .

ـ هو هكذا لايكاد يفيق من غشيته حتى يبحث عن ابنته زينب وولده سعيد .

ـ وكذلك الآف غيره رجالا ونساء ، لقد كانت نكبة حقا وما اسعد امثالك من الذين قدر لهم البقاء .

ـ بل ما اشقاهم ، لقد استراح اولئك من عبء الحياة الى الابد . اما نحن فيبدو اننا ندفع ثمن راحتهم ببقائنا ، خذ لك مثلا اغنياء اصبحوا فقراء واصحاء غدوا معطوبين ، وابناء مدللين صاروا بين عشية وضحاها يتامى .

ـ ومع ذلك فسوف يشقون طريقهم الى الحياة ، وسوف يسعدون بلحظات سعيدة ينسون معها انهم نكبوا ذات يوم ، كل واحد منا لاشك انه فقد انيرا الى قلبه ، فكانت الصدمة عنيفة في نفسه ، وخيل اليه ان الفرح سوف لايعرف من يومها سبيلا اليه ، ولم تمض ايام حتى الفى نفسه يضحك بملء فيه مع الضاحكين كأن شيئا لم يحدث وكأن الامر على مايرام.

ـ تلك حقيقة مرة يبدو ان الدنيا في غنى عن اي واحد منا مهما يكن شأنه فيها ، فالشمس والقمر لا يغيران شيئا من نظامهما ، وكل شيء يسير كالمعتاد .

ـ وماذا يضيرنا من ذلك ؟ علينا ان نمارس حياتنا بما فيها من الوان ، فاذا انتهينا فليكن ما يكون . . . .

ـ هذا صحيح . . لكن . . ماذا كنت اريد ان اقول . . نعم ارجوك ان تكتب ما امليه عليك ، فهي لم تعلم بعد فيما اذا كنت نجوت من الزلزال .

ـ ارجو الا يكون فيما ستمليه شيء من التشاؤم، فهي بحاجة الى ما يخفف عنها وقع الصدمة .

ـ ساحاول ذلك اكتب . . . « عزيزتي لقد وحد الحب قلبينا وها هو الألم يوحدهما مرة اخرى ، لقد وقعت ومعك عشرة الآف ضحية فقدان الامانة وطغيان الريب ووقعت مع عدد اضخم ضحية قدر خفي ، واذا كان مصدر ألمنا فقد اصبحنا ومعنا غيرنا كثير في عداد المعطوبين . فهل يخفف من المنا اننا لسنا وحدنا في النكبة ؟ وهل يقوى الأمل في نفوسنا ان يصلح الانسان ما افسد الانسان ، وان يبسم القدر بعد ان عبس ؟ انني لم افقد الأمل بعد ، وعباس الممرض الذي سهر علينا بالليل وبخطه تقرئين هذه الرسالة يزيد من نفوبة هذا الأمل في نفسي ، سنلتقي ياعزيزتي ونحن على اتم صحة ، وسنحقق املنا العذب بعد ان نكون قد انتصرنا على ريف الانسان وثورة الطبيعة . انا بمستشفى ابن سينا بالرباط فكاتبيني ، والى اللقاء على مشرف الأمل الباسم .

« حبيبك الدائم حسين »

تلك رسالتها لم اذهل عن حرف واحد منهـا ، فلقد قراتها عشرات المرات ، ولن استطيع ان اصـور لك وقع الصدمة في نفسي ، لقد كانت عنيفة افقدتني الرشد ، وجعلت مني ذلك المحزون الـذي فقد نقتـه بكـل شيء ، وتحرك في نفسي ذلك المارد الذي لايعرف طريقه الى الخير . انتقم لشرفك . . لرجولتك . . لكبريائك التي مرغتها في التـراب . . وكتبت اليهـا يدفعني المارد الخفي : « انتظري الجزاء ايتها الخائنة اللعـوب . . سوف اخنقك وانت بين احضانـه . . سوف اخنقكما معا واشرب نحب الانتقـام لشرفـي الجـريـح » .

— آه ساعدني على الجلـوس مـرة اخـرى . . الله . . الله . . لقد قدر علي ان انتشل مـن بيـن الانقاض لاعاني كل هذا العذاب ، لماذا لم اكن بين الذين استراحوا الى الابد ؟ استراحوا من عبث الحياة ، الا تومن معي بان الحياة عبث ، واننا في هذا العبث نافهون نفايات . . آه ليتني ما حييت .

— دعني اساعدك على الحلوس . . سوف تكـون هكذا افضل . . انها الجـراح تلتئم وسوف تغـادر المستشفى في اتم صحة ، وسوف يحيي بك الربيـع ونستقبلك الخطاطيف . . فاستعد يا صاحبي لتمـلأ رئتيك من هواء الربيع ولتستنشق اريج الازاهير . . ان الحياة جميلة ، ويجب الا نقلق اذا ماعاكستنا ذات يوم علينا ان نقبلها على علاتها وحينئذ سنـدرك اننـا سعـداء .

— ذكرتني بخطاطيف « ارسطيبس » لقـد كنـت اؤمن بذلك في زمن مضى . . لا علينا ناولني سيجـاره وسأتم لك قصتي . . وحلت العطلة فعدت من اكادير الى مسقط رأسي بمكناس لانتقم ، وهناك عرفت كـل شيء ، وادركت حقيقة مرة ، ادركت انـني لن يكـون بوسعي ان اخنقها وصاحبها . . ادركت انني عاجـز عن ذلك وانني مشفق عليهـا وان كنت خانقـا علـى صاحبها . . وحدثتـني عندما زرتهـا بالمستشفـى ، فقالت : اراك لم تقدم بعد على تنفيذ تهديدك ، فأنت لم تخنقني بعد الا تراه يضاجعني ؟ ماذا تنتظر لتخنقه وقد صممت العزم على ذلك من قبـل ؟ ارايت انـك لا تستطيع ، لقد عجز جميع نطاسيي الدنيا عن خنقه وانتشالي من بين احضانه . . ها انت ترى انامـل متقلصة . . متشنجة . . انك امام عزيزة الكسيحة احدى ضحايا الداء الذي اخترعناه بانفسنا وعجـز وعجز معنا اطباء الارض عن علاجه . . هكذا انا كما ترى ضجيعة الحزن وقد امتلك مني كل شيء ، وانتزع منك كل شيء ، ومع ذلك اريد منك ان تسعد ، وسوف اسعـد بسعـادتـك .

— اذا فانت تجردينني من كل عاطفـة انسانيـة فضلا عن حبي اياك . . تصمينني بالانانية والنرجسية .

— اننا نغالط انفسنا عند ما ننكر ان فينا شيئا — قل او كثر — من الانانية والنرجسية ، ان احدنا عند ما يحب انما يرضي انانيته ونرجسيته ، لماذا ثـرت اذن عند ما كتبت اليك بانني بين احضان غيرك وقررت ان تخنقني وضجيعي ؟ اليس ذلك انني طعنت انانيتك ونرجسيتك ؟ . . لقد ذوى عودي وانـا في العنفوان . فلم اعد عزيزة الجميلة التي فتنك جمالها ذات يـوم . ولا تلك الرشيقة التي كانت تستطيع ان تجاريك فـي خطواتك السريعـة عندما تؤذن صفارة حارس الحديقة باغلاق الابواب وتخف لتلقى بعض الدروس المسائية . ولا عزيزة التي قطفت بأناملها ذات مساء وردتين فـي عرش واحد ، ولا تلك التي كان يحلو لها ان تمر بأناملها على شعرك الاملس الفاحم انهـا لن تقوى على فعل كل ذلك الآن . . لان تلـك الانـامـل . . تقلـصت . . تشنجت . . عقدتها انامل الفشل والتزييف . . وقتل عنـا مزيفون غشاشون . . نهمـون . . واصبحنا ميدانا لتجربة العبقرية الاوربيـة وقـد اكتشفنـا لها ميدانـا للتجـربـة . .

— ثق ياعزيزة انني سأكون ذلك المخلص الـذي لايغيره الايام . . سابقى وفيا لحبك رغم كل ماحدث .

قلت لها ذلك وانا اودعها عند ما اعلنت احـدى الممرضات انتهاء وقت الزيارة ، هكذا انهارت آمالـي العذبة . . واصبحت انسانا بلا امـل . . وحينئـذ فقط آمنت بعبث الحياة وقسوتها . . انها مدمرة . . صاعقة تسحق كل من تجد في طريقها ، انها لاترحم . وليتنا جميعا ادركنا هذه الحقيقة لكـي نوفـر علـى بعضنا المآسي التي يسببها فريق منا للبعض الآخـر ، ولكننا نعينها علينا ، فهي تدمر من جهة ونحن ندمر من جهات وفي كلتا الحالتين نحن الضحايـا اليس كذلـك يا عبـاس ؟ .

المغرب العربي ، ومع المسؤولين فيها ، وقدموا قانونهم الى رجال السلطة ، وسيعلنون اخيرا عن موعد مؤتمرهم العام الذي سيعقد بالرباط .

* توالي لجنة التاليف والترجمة المغربية نشاطها بترجمة واعداد كتب مغربية للنشر .

* تبرع نادي النساء الاميركيات في الرباط بمبلغ مالي لمنكوبي زلزال اكادير قدره اكثر من نصف مليون فرنك ، بالاضافة الى مليون فرنك سبق للنادي المذكور أن تبرع به في شهر يونيو الماضي لبناء دار حضانة خاصة بالاطفال الذين نكبو من جراء الزلزال .

* في منتصف الشهر الماضي غادر الرباط موجها الى موسكو وفد من المغاربة يتكون من السيد محمد السرغيني مدير مدرسة المهندسين الاعدادية ، والسيد محمد الحلو مدير المدرسة الفلاحية ، وذلك تحت اشراف قسم العلاقات الثقافية بوزارة الخارجية السوفياتية ، وبناء على دعوة وجهها مجلس الدولة السوفياتية للتعليم المهني والفني . وسيقوم الوفد بجولة دراسية في المعاهد المختلفة بالاتحاد السوفياتي . كما توجه كذلك الى موسكو وفد ثقافي آخر استجابة لدعوة تلقتها الحكومة من لجنة العلاقات الثقافية مع الخارج في الحكومة الروسية .

* جاء في بيان سمو ولي العهد أن الاحصائيات الاخيرة أثبتت أن سكان المغرب المحرر يبلغون احد عشر مليونا وستمائة الف نسمة . ولا يدخل في هذا العدد سكان طرفاية ، ولا المناطق الغير المحررة من المغرب .

* صدر في الدار البيضاء في الايام الاخيرة العدد الاول من جريدة « الفن » التي تعنى بشؤون السينما والفن على العموم .

* صدرت في المغرب اخيرا الكتب الاتية : « سوس العالمة » للاستاذ العالم السيد المختار السوسي و «الطب والاطباء بالمغرب » للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله و « القصة والرواية في المغرب » للاستاذ الحسن السائح. نرجو لهذه المؤلفات الازدهار والرواج .

* قامت دار « الكتاب اللبناني » ببيروت باعادة طبع سلسلة الذكريات لمشاهير رجال المغرب لمؤلفها الاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون. وقد وصلت بعض حلقاتها الى المغرب فنهنىء مؤلفها الجليل ، ونرجو لسلسلته ما هي أهل له من بعد الصدى والانتشار .

* سيعقد قريبا مؤتمر عام للفنانين المغاربة . وسيضم جميع عناصر الفن الموجودة في بلادنا من كتاب وموسيقيين وممثلين ورسامين .

* بتاريخ 18 و 19 من الشهر الماضي عقد بنزل بالما بالرباط مؤتمر علماء المغرب تدارسوا فيه شؤون البلاد بصفة عامة والمشاكل الاجتماعية بصفة خاصة . ومن بين من تكلم فيه من العلماء السادة : الرحالي الفاروقي ، عبد الله كنون ، التهامي الوزاني .

* يقوم السيد كوبطو رئيس ديوان السيد فيرونيز المدير العام لمنظمة اليونيسكو بجولة عبر الدول الافريقية الحديثة العهد بالاستقلال . ويهدف من وراء هذه الرحلة تلقين هذه الدول الجديدة اجراءات انخراطها في اليونسكو ، والقيام مع الحكومات الافريقية باقرار برنامج للمساعدة التقنية الممنوحة من طرف هذه المنظمة، وعلى الخصوص في ميدان التعليم .

* تأسست في بحر الشهر المنصرم في غانا هيئة نسوية جديدة تحمل اسم « المجلس الوطني لنساء غانا»

* سيعقد قريبا في كوناكري مؤتمر للشبيبة الافريقية .

* صدر كتاب « الشعراء الفاوون » للناقد السوداني منير صالح عبد القادر .

* ستصدر الندوة الادبية في ام درمان كتاب « الشعر الشعبي في السودان » محتويا على جزئين .

* صدرت في القاهرة مؤخرا رواية سودانية كتبها الاستاذ خليل عبد الله الحاج من السودان بعنوان : « انهم بشر » .

* احدث كتاب صدر للاستاذ محمود كامل المحامي هو « لوحات وظلال » .

* صدرت في القاهرة المؤلفات الاتية : « عجائب الآثار في التراجم والاخبار » المعروف بتاريخ الجبرتي تعليق وشرح حسن جوهر وعبد الفتاح السرنجاوي والسيد ابراهيم سالم . « الديناميكا الهندسية »

أنباء ثقافية

✻ بمناسبة انعقاد المؤتمر التاسع لطلبة العرب فى جامعة هاورد بواشنطن ، والذي انتهى من اعماله بتاريخ 3 شتنبر الماضي ، بعث صاحب الجلالة محمد الخامس رسالة الى هذا المؤتمر هذا نصها : « نحيي بمزيد الغبطة والسرور المؤتمر التاسع لمنظمة الطلبة العرب فى اميركا، معتقدين أن اختياره موضوع « العالم العربي فى العهد الحديث » ليكون محور مداولاته لهذه السنة لما يضفي عليه أهمية حسنة ويضاف الى ما هو جدير به من الاعتبار ، اذ ان الامة العربية جاهدة لتعزيز استقلالها وتدعيم كيانها غير مدخرة وسعا لبلوغ اقصى الغايات فى حياة العزة والكرامة والسعادة » . والجدير بالذكر أن قضية موريطانيا كانت موضوع بحث هذا المؤتمر . وسيقوم الطلبة العرب ببث الدعاوة لهذه القضية فى مختلف الجامعات الاميركية .

✻ من بين الاتفاقات التي عقدت مؤخرا بين المغرب والفيتنام اتفاقية ثقافية تنص على تبادل الاساتذة والطلبة والعلماء والفنيين بين البلدين .

✻ فى منتصف شهر شتمبر الماضي اقيم مهرجان كبير لموسم مولاي ادريس الذي حج اليه عدد كبير من الزوار والسياح شاهدوا فيه ألعاب الفروسيه والرقصات الشعبية لسكان القبائل المجاورة لضريح المولى ادريس .

✻ يعكف الاستاذ سيدى الحسن بن عبد الوهاب على مراجعة مخطوطته « المذكرة القضائية » ليقدمها للطبع وتشتمل على مذكراته أيام عمله الذى مارسه عند ما كان مفتشا للعدلية بتطوان .

✻ وصل الى المغرب اخيرا وفد من الاتحاد العام لطلبة ج . ع . م . وآخر من شبيبة الاتحاد السوفياتي وقد أقام الوفدان مدة طويلة فى المغرب تعرفا فيها على أهم مرافق الحياة .

✻ فى اواخر الشهر الماضي زارت المغرب شخصيات علمية ثقافية تنتمي الى جمعية « اصدقاء الشرق الاوسط » فى الولايات المتحدة برئاسة الدكتور فليب حتى . وقامت بجولة عبر المدن المغربية الكبيرة . والقى الدكتور حتى محاضرة قيمة فى كلية العلوم بالرباط عن « الطلبة العرب فى الولايات المتحدة » .

✻ اصدرت دار « الكتاب اللبناني» للطباعة والنشر ببيروت الطبعة الثانية لكتاب « اللهاث الجريح » لمؤلفه محمد الصباغ .

✻ من المعلوم ان الدورة الاولى للجان الاقليميه التابعة لمنظمه اليونيسكو قد انعقدت بمدينة فاس سنه 1958 . وقد عقدت الدورة الثانية لهذا المؤتمر فى بيروت فى اواخر شهر غشت . ومثل المغرب فيها عميد الجامعة المغربية الاستاذ محمد الفاسي .

✻ عقد بتاريخ 7 اكتوبر الماضي بباريس مؤتمر المنظمة العالمية للصحة . وشارك فيه باسم المغرب الدكتور احمد فرج . وكان موضوع المؤتمر « داء السل فى الاقطار العربية »

✻ غادرت المغرب بعثة ثقافية مغربية متوجهة الى جمهورية الصين الشعبية للقيام بزيارة دراسية بدعوة من حكومة بيكين . ويضم هذا الوفد السادة : الدكتور محمد عزيز الحبابي الذي يراس الوفد، وابا بكر القادري ومحمد الفياتي ، وعبد الكريم حجي . وسيدرس اعضاء الوفد اثناء اقامتهم فى الصين الشعبية النظم والوسائل هناك فى ميدان التعليم والثقافة .

✻ قام اعضاء رابطة كتاب المغرب العربي بنشاط كبير خلال الصيف ، فعقدوا اجتماعات تدارسوا فيها شتى شؤون الرابطة ، وقاموا باتصالات مع رجال القلم فى

* تقوم دار المعارف بالقاهرة باعادة طبع ديوان «اصداء النيل» للشاعر السوداني عبد الله الطيب .

* صدر بالقاهرة للدكتور مصطفى سويف مدرس علم النفس بكلية الآداب بالقاهرة كتاب بعنوان « العبقرية والفنية » .

* صادرت وزارة التعليم اللبنانية كتاب «التعايش السلمي» لمؤلفيه كارل ريمين وسان يوادي وقد تولت تعريبه دار الفكر الحديث ببيروت .

* دعت الجمعية اللبنانية للعلوم والسياسة الى عقد مؤتمرها الثاني ببيروت في منتصف شهر يناير من السنة القادمة ستبحث فيه موضوع « التمثيل الشعبي والانظمة الانتخابية » .

* يعد الشاعر فؤاد الخشن ديوانا للطبع سيصدر في بيروت .

* طبعة جديدة صدرت لديوان « رندلي » للشاعر الرمزي اللبناني الاستاذ سعيد عقل . كما ستصدر طبعة مماثلة لديوانه « المجدلية » وزيادة على الديوانين المذكورين فقد صدر للشاعر « قدموس » و « بنت يفتاح » و « لو حكى لبنان » .

* مثل للطبع الاستاذ فؤاد كنعان رواية تحت عنوان « نفوس من تراب » .

* اصدر الاستاذ يوسف ابراهيم يزبك كتاب « ولي من لبنان » يروي فيه سيرة العارف بالله الامير السيد جمال الدين عبد الله التنوخي وصدر في بيروت .

* صدر للشاعر الاردني حكمت العتيلي في بيروت ديوان شعر بعنوان « عيون النساء والليل » .

* قدم للطبع الشاعر خليل الخوري مجموعة شعرية بعنوان « شهوة » .

* « النهر العريض » مجموعة قصص جديدة صدرت للاستاذ جان الكسان .

* خصصت حكومة الجمهورية العربية المتحدة مبلغا محترما في كل شهر تقدمه للشاعر اللبناني القومي رشيد سليم الخوري المعروف بالشاعر القروي .

* صدر للشاعر اللبناني المهاجر شفيق معلوف ديوان جديد بعنوان « عيناك مهرجان » ويعد هذا الشاعر من فحول شعراء المهجر الاميركي . فقد صدر له حتى الآن الدواوين الآتية « الاحلام » . « عبقر » « لكل زهرة عبير » . « نداء المجاذيف » . وله عدة كتب مخطوطة .

* كان للمهرجان الموسيقي الذي اقيم في أواخر هذا الصيف في بيروت نجاح كبير . فقد قصده اكثر من 50.000 نسمة من شتى الاقطار العربية والاوربية .

* صدرت للدكتور شكيب الجابري رواية جديدة بعنوان « وداعا يا افاميا » وسيمثل للطبع رواية أخرى بعنوان « ثلاث فارات صغيرة » .

* اصبحت قصيدة الشاعر نزار قباني « العودة » التي لحنها عبد الوهاب وتغنيها نجاة الصغيرة موضع نقد واستنكار الاوساط النسائية في الشرق العربي ، باعتبارها قصيدة تصور المرأة بصورة الخنوع والتذلل للرجل . فجاء الشاعر اللبناني ادوار ابو حمد يناقض موضوع الشاعر نزار . ويقول بان العكس هو الواقع . . ان الرجل هو الذي يتذلل أمام المرأة ، ويظهر بمظهر الخنوع مهما اساءت اليه او فعلت به . وقد عبر ابو حمد عن رأيه بقصيدة عنوانها « ماذا جنيت » راعى فيها الوزن والقافية اللذين اعتمدهما نزار في قصيدته .

* سيصدر قريبا ببيروت للدكتور احسان عباس كتاب « تاريخ الادب الاندلسي »

* « قال الراوي » مجموعة قصصية صدرت للاستاذ عبد الرحمن فهمي تضم بعض انتاجه في مجال القصة القصيرة .

* ينوي الشاعر خليل فرحات اصدار ديوان باسم « من الاعماق » .

* في سلسلة الفنون الادبية عند العرب صدر كتاب « فن الهجاء » لايليا حاوي ، كما صدر عن نفس الدار كتاب « خلاصة العالم » للكاتب الغربي المعاصر تيبور ماني .

* ستقوم مديرية السياحة بسوريا بتشييد ضريح ضخم للخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان الذي جعل

للدكتورين ابراهيم رفعت وحماد يوسف حماد الاستاذين بجامعة الاسكندرية . « الدواجن » للدكتور حسين الابياري استاذ انتاج الدواجن بجامعة الاسكندرية « سواحل البحر الاحمر » للدكتور جلال يحيى . « العلاقات الانسانية في حياة الصغير ومشكلاته اليومية » للدكتورة رمزية الغريب . « ثلاث تمثيليات للتليفزيون » تأليف بادي تشايفسكي وترجمة صلاح عز الدين . « جبهة يسوع المسيح » للاب لوبس . « تحت لواء العروبة » مجموعة شعرية لعامر محمد بحيري « القصة السيكولوجية » تأليف ليون ايدل وترجمة محمود السمرة . « حياة محمد » تأليف واشنطون ارفنج وترجمة الدكتور حسني الخربوطلي . « المذهب العقلي في الادب » لمحمد مصطفى عطا . « الشخصية العربية في الادب والتاريخ » لانور الجندي . « البحث عن اليقين » تأليف جون ديوى وترجمة الدكتور احمد فؤاد الاهواني

❊ في اوائل هذا الشهر ظهرت نتائج مسابقة « نادي القصة » بالقاهرة . وكان عدد المشتركين فيها يقرب من 650 مشاركا .

❊ قررت البلدان السكندنافية ارسال بعثة الى مصر للعمل مع علماء الابحاث الاثرية الاجانب على سلامة آثار وادي النيل عند بناء سد اسوان .

❊ يقوم الدكتور شوقي السكري بترجمة « نظرية الادب » لرينيه .

❊ تشتغل الدكتورة نعمات فؤاد باعداد تراجم ادباء القرن العشرين بتكليف من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة .

❊ ابتداء من هذا الموسم الدراسي تقرر توحيد الزي بين طلبة الجامعات وطالباتها في الجمهورية العربية المتحدة . وقد روعي في اختيار الزي الموحد أن يليق بالجامعيين .

❊ اجاب العقاد حينما سئل عن جائزة نوبل بمناسبة فوزه بجائزة الدولة بما ياتي : « ان اللجنة المشرفة على جائزة نوبل في استكولهم تخضع النفوذ الصهيوني في تلك البلاد التي تحتفل كل سنة بذكرى قيام دولة اسرائيل . فكيف نتوقع ان يلتفتوا الى اي انتاج عربي ليمنحوه جائزة نوبل » .

❊ قدم للطبع الاستاذ اسماعيل مظهر كتابا مصورا يشتمل على دراسات لمائة وخمسين شخصية علمية من بينها خمسون شخصية عربية .

❊ صدر للدكتور زكي المحاسني كتابا نقديا بعنوان « نظرات في أدبنا المعاصر » .

❊ سيصدر للشاعر حسن كامل الصيرفي مجموعة دواوينه المخطوطة في مجلد واحد باسم « صدى ، ونور ، ودموع » .

❊ « وطني وحبي » عنوان ديوان جديد للدكتور عفيفي محمود يشتمل على نماذج من شعره التقليدي وتجاربه الجديدة في مختلف الاتجاهات الوجدانية والوطنية .

❊ تركت وفاة الشاعر المصري احمد فتحي اسى عميقا في قلوب المعجبين بشعره الرقيق ، ودماثة اخلاقه

❊ اصدر الاستاذ عبد العزيز الدسوقي كتابا بعنوان « جماعة ابوللو واثر ابي شادي فيها » بتقديم الدكتور محمد مندور .

❊ صدر قرار جمهوري بتعيين الدكتور يحيى الخشاب مديرا للادارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

❊ تقوم احدى مؤسسات الاخراج السينمائي العربية في الوقت الحاضر باخراج بعض روايات الكاتب المصري عبد القادر المازني .

❊ الدكتورة سهير القلماوي ستظهر على الشاشة في فلم يروي قصة حياتها .

❊ اصدر الدكتور طه حسين كتابا بعنوان « من ادب التمثيل العربي » ويضم 16 تمثيلية حديثة منها « مدرسة ابناء الخمسين » و « كارل وانا » ، و « كنت انتظرك » ، و « لم نبق بعد ابطالا » .

❊ ذكرت جرائد القاهرة أن الاستاذ العقاد استقال من عضوية المجلس الاعلى للآداب والعلوم والفنون .

❊ نعت القاهرة الكاتب المصري المعروف شهدي عطية الشافعي .

* بمناسبة انعقاد مؤتمر العلماء النفسانيين ـادس عشر ، منحت مؤسسة « علم النفس الالمانية » دالية « ولهلم فوفت » للعالم النفساني النمسوي روفسور كارلي بولر . وتعتبر هذه الميدالية اعلى ـدالية تمنحها هذه المؤسسة . ولم تمنحها الا مرة ـحده منذ الحرب العالمية الثانية .

* صدر فى الولايات المتحدة طابع بريدي تذكاري ـيما للموسيقي البولوني انيياس جان بادربفسكي ـطابع من وضع الفنان تيفاستيكا .

* صدر فى ليدن ـ هولندة كتاب عن العراق وضعه ـف من الاساتذة الجامعيين العراقيين .

* مات فى مدينه مونيخ اشهر طباح اوربي، ويدعى ـربد ولنربل . وخلف مكتبة تعد بأكثر من ثلاثة آلاف ـتاب تتحدث كلها عن الطعام وانواع الاطباق الفاخرة.

* عقد بجامعة ماربوغ ما بين 11 و 17 من الشهر ـنصرم المؤتمر الدولي لتاريخ الديانة ، شارك فيه 500 عالم يمثلون تقريبا جميع الجامعات الدينية الهامة ـلعالم .

* تاسست مؤخرا بفرانكفورت جمعية « الفن ـحديث » وتنوي القيام باحياء الفن المعاصر من فنون ـميله ومعمار ورقص وموسيقى . وسيقوم الفنانون ـناشئون بتنظيم معارض فنية ومحاضرات ومهرجانات ـخرى .

* بدات جل الجامعات الالمانية تدريس اللغات ـافريقية والاسيوية الى جانب اللغات الاخرى .

* فى اوائل هذا الشهر افتتح فى « دار الفن » ـونيخ « المعرض الكبير لفن 1960 » حيث عرضت فيه 750 لوحة لـ 473 فنانا .

* عقدت جمعية الفانون الدولي مؤتمرا كبيرا فى ـمبورج اخيرا بحضور 750 مندوبا يمثلون 37 بلدا من ـنها عدد من البلدان الاسيوية والافريقية وثلاث دول ـن الكتلة الشرقية . وتضمن جدول اعمال المؤتمر الذي دام ستة ايام مناقشة المسائل القانونية المتعلقة بسيادة الدول فى عالم الفضاء والوضع القانوني لها فى هذا المجال .

* فى الصيف المنصرم انهى « معهد الابحاث للاتحاد السوفياتي » بمونيخ عشر سنين من حياته . ويشتمل هذا المعهد على نسخ هامة من وثائق المكتبات الروسية بالاضافة الى انه يصدر 16 مجلة بعدة لغات .

* احتفلت فى شهر شتمبر الماضي الاوساط الثقافية بفرانكفورت بعيد الكتاب .

* ذكر مكتب الاحصائيات الاتحادي بانه خلال نصف السنة الدراسية الشتوية المنصرم بلغ عدد المسجلين من الطلبة فى المدارس العلمية العالية فى الجمهورية الاتحادية الالمانية 202 الف طالب منهم 18.800 من الطلاب الاجانب وهناك 6516 طالبا اجنبيا حجزوا المقاعد لاستماع مختلف المحاضرات و 8048 طالبا منهم 862 اجنبيا يدرسون فى 42 معهدا عاليا للفنون الجميلة والموسيقى وفى معهد الرياضة العالي فى كولون . وبالمقارنة مع نصف السنة الدراسية الشتوية لسنة 1958 ـ 1959 ازداد عدد الطلبة بمقدار 16156 طالبا اي بنسبة 3 و 4 بالمائة .

* أصدر الناقد المعروف ج . اس . ريس كتابا بعنوان «التفكير السياسي للرومنتيقيين الالمان» ويبحث الكتاب فى مؤلفات ونتاج اقطاب الادب الرومانسي الالماني .

* اجتذبت مدينة ماربوغ الجامعية الادباء البورمين لدراسة المخطوطات البوذية باللغة البالية . وكانت هذه المخطوطات محفوظة فيما سبق فى مكتبة الدوله البروسية فى برلين قبل نقلها الى المكتبة الالمانية العربية فى ماربوغ . هذا وسيبحث مدير المكتبة مع الضيوف البورمين امكانيات الشروع فى تبادل الكتب العلمية والادبية بانتظام بين بورما والمانيا .

*** يقوم عدد كبير من المستشرقين الالمان بوضع « قاموس العربية الفصحى » وساعدتهم على وضعه من الناحية المادية منظمة اليونيسكو . ومن بين هؤلاء المستشرقين « شبيتالر » و « كريمر » و « جاتجي » . ويقع القاموس فى عدة مجلدات . وهذا العمل هو استئناف للمشروع الذي كان قد بدأ به المستشرق**

من دمشق عاصمة لدولة عربية كبرى، ومركزا للحضارة العربية .

* اصدر الشاعر القومي المعروف سليمان العيسي مؤلف « رسائل مؤرخة » والكتاب عبارة عن رسائل يبلغ عددها ما يقرب من عشرين رسالة .

* روعت الاندية الادبية السورية بحادثة انتحار الشاعر السوري عبد الباسط صوفي .

* كتاب جديد صدر لمطاع صفدي بعنوان «العربي الثوري » يتحدث عن الرجال الثوريين عبر التاريخ .

* « المواطن » اسم جريدة يومية مسائية صدرت مؤخرا في بغداد يقوم برئاسة تحريرها الاستاذ عبد الله عباس .

* يقوم الدكتور ناصر الحاني الاديب العراقي بجمع وتحقيق ديوان الراعي النميري الذي عاش في القرن الثاني للهجرة في البصرة . وقد جمع الحاني زهاء سبعمائة بيت لهذا الشاعر الذي كان له تاثير كبير في الشاعر ذي الرمة . ويجدر بالذكر ان كتب الادب القديم لم تشر الى الشاعر النميري . وسيقدم الدكتور الحاني هذه الدراسة الى المجمع العلمي العراقي لاخراجها في كتاب .

* أصدرت جامعة الملك سعود العدد الاول من السنة الثانية من مجلتها الدورية التي تصدرها كل عام وقد اشتمل هذا العدد على مجموعة من الدراسات والمحاضرات القيمة .

* يوجد في الباكستان 31 كلية لتعليم الفتيات في البلاد وان هناك 12 الف مدرسة وعددها في ازدياد مستمر كل عام بينما الحاجة تدعو الى 22 الف و 500 مدرسة .

* في العاصمة الجديدة لباكستان « اسلام اباد » تقرر انشاء كلية للمناجم لتخريج المهندسين في المناجم وعلماء طبقات الارض .

*** أصدر رئيس الجمهورية الهندية مرسوما يقضي بتعميم اللغة الهندية وجعلها اللغة الرسمية لجميع الدوائر الحكومية في البلاد بدلا من اللغة الانجليزية التي كانت تطغى على جميع مرافق الدولة .**

* من الروايات الكبيرة التي صدرت مؤخرا في الصين الشعبية رواية « الشعب المر » للكاتب فنغ ته هواي . وهو قائد سرب جوي عمره 24 عاما. وقد لقيت هذه الرواية انتشارا واسعا في الصين ، وتدور احداثها حول نضال الشعب الصيني ضد العدوان الياباني .

* احتفلت الجامعة اليابانية في طوكيو احتفالا كبيرا بالشاعر والفيلسوف الباكستاني الدكتور محمد اقبال

* فرغ الدكتور اكرم فاضل من ترجمة عدة قصائد الى العربية لرئيس الفيتنام هوشي منه .

* ان عددا كبيرا من الرسوم المنقوشة في الصخور والتي يعود تاريخها الى القرنين السابع والثالث قبل الميلاد قد وجدت في جبال كونفي الاتاو القريبة من شاطىء بحيرة اسيك في اواسط آسيا ، ويعتقد الخبراء ان الصور ترجع الى فترة كانت فيها القبائل المعروفة بقبائل ساكاس تعيش في تلك المنطقة على تربية المواشي. وهذه الرسوم هي رابع اكتشاف من نوعه من حيث الاهمية يعثر عليها في قيرفيزيا وهي جمهورية في اواسط آسيا .

* اشترك مائة عالم في اعمال فرع التاريخ العربي في المؤتمر الدولي الخامس والعشرين للاستشراق في موسكو وقد تراس فرع البلاد العربية لويس ماسينيون وقدم العالم المصري امين الخولي الخبير في المخطوطات العربية والاستاذ في جامعة القاهرة تقريرا عن العلاقات بين النيل ونهر الفولغا .

* بدعوة من اتحاد الكتاب الروسيين سافر الاستاذ محمود تيمور الى روسيا وبقي فيها 15 يوما القى خلالها عدة محاضرات عن الادب والفن العربيين.

* قامت مؤخرا دار منشورات الادب الاجنبي في موسكو باصدار مسرحية « الصفقة » لتوفيق الحكيم باللغة الروسية .

* توفي في نيويورك الاديب النمساوي اريني ليز عن 61 سنة . وكان قد التجأ الى اميركا هاربا من النازية .

* من المقرر أن تصدر صحيفة الديلي تلغراف في اائل العام المقبل صحيفة جديدة تصدر يوم الاحد يطلق عليها اسم « صند أي تلغراف » .

*** اصدر الكاتب الايرلندي ارسكين شيلدرز مؤخراكتابا عن العرب ، يعتبر من احسن الكتب التي عرضت لتاريخ الدول العربية ، ولمشكلة فلسطين عرضا عادلامنصفا. وارشكين. شيلدرز هو ابن الثائر ارشكين شيلدرز الذي أعدمه الانجليز عام1918 لانه كان من الثوار الايرلنديين ضد الحكومة الانجليزية . ونشأ ارشكين الابن وفي عروقه نجري الكراهية للاستعمار والسيطرة ، ولذلك كانت كتبه كلها فيها عدل وانصاف .**

* اصدر الكاتب الانجليزي المعروف مالكولم كارلي كتابا جديدا بعنوان « الوضع الادبي » وهو عرض تاريخي اجتماعي لظروف الكتاب الامريكيين المعاصرين وطبيعة مجتمعهم الحالي ، ويتعرض الكاتب الى الاتجاهات الادبية الحديثة مثل القصص التي تعمل على ... الاذهان للحروب العدوانية ، وكتب الاثارة ... ، والمؤلفات الواقعية النزعة .

*** اكتشفت فضيحة جامعية كبيرة في نيويورك اذ اعترف 25 طالبا بانهم اشتروا الاطروحات التي قدموها باثمان بلغت في بعض الاحيان 3.000 دولار . وقد امر النائب العام باعتقال اربعة رجال وامرأتين كانت تستخدمهم احدى « الوكالات » لكتابة الاطروحات . ومثل هذه الوكالاتمنتشرة في البلدان الاوربية والاميركية التي تكثر فيها الجامعات .**

*** عين العالم الاثري الدكتور سليم حسن عضوا في اكاديمية العلوم بنيويورك .**

* انهى الكاتب فرج جبران من ترجمة مذكرات « آدم وحواء » للكاتب الاميركي الساخر مارك توين .

* سيعقد من 15 الى 22 شتمبر المقبل مؤتمر دولي لبحث الآثار الاجتماعية للتصنيع وذلك في شيكاغو

* منذ ايام القى الفيلسوف الفرنسي – سارتر محاضرة بعاصمة البرازيل شبه فيها الوضع الجزائري كالوضع في كوبا . وقال ان النظام الاستعماري الذي استقر في البلدين يحمل في طياته نص الحكم عليه فهو في المنطقتين اعتنى خاصة بتنمية الاستثمار الاقتصادي موسعا الشقة بين المستعمر والاهالي جاعلا الاصطدام بينهما عنيفا حتما . وختم المحاضرة قائلا « يجب على الراى العام أن ساهم مساهمة فعالة في مقاومة الاستعمار . وهذا ما جعلني انا الفرنسي احدثكم عن عبء قومي لاينبغي ان نسكت عنه . واذا كنا نحن الاوربيين نريد ان نحافظ على صداقة القوميات فيجب علينا ان نسترجع تقاليد القومية الدولية بينما يجب على البلدان الحديثة العهد بالقومية ان تعزز قوميتها قبل كل شيء .

الالماني الشهير « اوغشت فيشر » الذي توفى بعد الحرب العالمية الاخيرة . وتوجد المواد التي كان قد اعدها هذا المستشرق فى المجمع اللغوي بالقاهرة. وكان فيشر عضوا فيه ويزود المجمع المذكور .

❋ اصدرت مصلحة سك النقود الاميرية فى شتوتجارت ميدالية ذهبية وفضية بمناسبة مرور 100 عام على وفاة فريدريش زيلنر الموسيقي الالماني الذى اشتهر بتاليف الاغاني الالمانية الشعبية .

❋ اخرجت احدى الشركات الدنمركية فيلما موضوعه « ستة جنود فى غزة » .

❋ منعت الحكومة السويسرية طبع وبيع جريدة « المجاهد » الجزائرية الناطقة بلسان جبهة التحرير الوطني الجزائري فى جميع انحاء البلاد السويسرية .

❋ وقع مائة وعشرون جامعيا من كتاب فرنسا واساتذتها وفنانيها تصريحا حول حق عدم الاستسلام فى الجزائر . وهذا مما جاء فى التصريح « ان المعركة القائمة الآن سواء بالوسائل العسكرية او الديبلوماسية لا لبس فيها ولا غموض بالنسبة للجزائريين . انها حرب من اجل الاستقلال الوطني . اننا نحترم ونقر الحق فى رفض حمل السلاح ضد الشعب الجزائري . ان قضية الشعب الجزائري التي تساهم فى الاطاحة بالنظام الاستعماري لهى قضية جميع الرجال الاحرار » ومن الاسماء الموقعة على هذا التصريح يوجد اسم الكاتب الفرنسى الحر جان بول سارتر .

❋ يعمل الفيلسوف والكاتب المسرحي الفرنسي سارتر على اعداد سيناريو لفلم سينمائي يتضمن هجوما على فرويد .

❋ ترجم السيد خالد السلام مسرحيه «المتوحشه» للغة العربية لمؤلفها الكاتب الفرنسي جان انوي .

❋ بيعت مجموعة ضخمة من المخطوطات القديمة واللوحات فى معرض شاربنتيه بباريس ، وقد اشترت المكتبه الملكية البلجيكية كتابا عن حياة المسيح بمبلغ 64 الف دولار ويرجع عهده الى سنة 1461 ، واشترت المكتبة الفرنسية كتابا عن تاريخ الكون فيه 23 صفحة فقط بمبلغ 12 الف دولار ، ويرجع تاريخه الى القرن الخامس عشر .

❋ آخر ما صدر للكاتبة العربية التي تكتب بالفرنسية اندرية شديد رواية باسم « اليوم السادس » وقد صدرت لهذه الكاتبة روايتان « التحرر من الناس » و « حاناتان » .

❋ سيعقد فى روما فى 14 يناير المقبل المؤتمر الدولي العاشر للخدمة الاجتماعية .

❋ ظهرت فى لندن الكتب الآتية : « حدود الله » لمارين ديسكالزو . « مؤامره فى السكون » لجيمس ليزور « هذا الذي ركب النهر » للكاتب الهندي بهباتي باتشاريا . « معبر فرنسا » لجاك فوقيه .

❋ اعلنت جامعة ماسيشستر انه يوجد خمس مخطوطات تامه عن البحر الميت معروضه للبيع عند جماعة من البدو الاردنيين. والملاحظ ان العلماء اكتشفوا لحد الآن تسع مخطوطات كاملة ، وما يقرب من 500 مخطوط غير كاملة .

❋ ستصدر قريبا فى لندن كتاب بحجم طابع البريد وهو عبارة عن «ميكروفيلم» ويحتاج القارىء الى مجهر خاص لقراءة هذا الكتاب الذى تطوى صفحاته بصورة آلية فور الضغط على زر .

❋ ستصدر فى لندن مجله جديده بعنوان « عصر الآلة » تضم جميع الاختراعات التي تنجز فى العالم . وستكون بلغات عديدة وسنوزع منها 50.000 نسخه مجانا على المهندسين والمختصين فى حقل العلم .

❋ احتفل فى ايرلندا فى الايام الاخيره بالاسبوع المسرحي الدولي للاطفال حضرته عشر دول اوربية .

❋ اصدر المركز الاسلامي بلندن العدد الاول من مجلة « لاتيتيود » باللغة الانجليزية ، وقد تولى رئاسة تحريرها الاستاذ علي عبد القادر مدير المركز الاسلامي ، وتصدر عن كل ثلاثة أشهر .

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

عدد خاص
February 1961

25/7/61



محمد الخامس في ذمة الله والتاريخ

العدد الخامس - السنة الرابعة
رمضان 1380 - فبراير 1961
ثمن العدد: درهم واحد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى

فهرس العدد الاول - السنة الرابعة

الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

تعزية... من خديم وفي

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الله اكبر. وانا لله وانا اليه راجعون!

انه لينقبض الصدر، وينحبس اللسان، وان ادق الكلمات واصح التعابير وان بحث عنها في صفحات المعاجم وبطون الدواوين والمصنفات، لتبقى عاجزة عن الافصاح عما يختلج في النفس، وما يحترق به الفؤاد، امام الخطب المهول والفاجعة العظمى، والكارثة التي حلت من غير ميعاد.

نعم انها كارثة وفاجعة وخطب جلل، ولكنها ليست كغيرها من الكوارث والفواجع والخطوب. انها في الواقع كالصاعقة التي تاتي بعد ان يكون الجو صحوا، والسماء صافية الاديم، فتنطلق الرياح، وتتلوها الرهيبة فيقع الاعصار، وتنزل الصاعقة، لاتبقى ولا تذر، وتصرع كل من اصابته شظاياها. لقد كانت الصدمة عنيفة لما بدأت الاخبار تتسرب وتنتقل تنقل النار في الهشيم: ان محمدا الخامس قد لفظ نفسه الاخير، أن محمدا الخامس قد التحق بالرفيق الاعلى، ان محمدا الخامس قد مات!

سمعت هذه الكلمات، وكنت متاكدا ان لها مدلولا، وانها تعبر عن شيء واقع، ولكني كنت لا اصدق. كنت اود ان يصبح الصدق كذبا. وكانت نفسي من شدة الاسى والالم تعاني ازمة نفسية امتزجت فيها تيارات مختلفة متعاكسة، فتتراءى لها الحقيقة الدامغة، ثم الامل في ان تكون هذه الحقيقة مجرد شبح عابر. وهكذا انسكبت دموعنا، وانفطرت قلوبنا، وحل الحزن العميق محله من افئدتنا.

ان الامة جمعاء تندبك ياسيد البلاد، وحامي حماها. ان الشعب باسره خرج يفترش الغبراء ليعبر لك عن جزء ضئيل من مدى تعلقه بك وحزنه على فراقك.

وان الخديم الذي تشرف بخدمتك منذ ان بوأك الله عرش هذه الامة، وفيضك لاعلاء كلمتها، واعزاز جانبها، فاستطاع بفضل ماحباه الله من نعمة القرب منك، والعمل تحت اشرافك، والانضواء تحت لوائك ان يلمس فيك « العزيمة التي لا تفل، والارادة التي لا تلين » والذب عن حياض الوطن، والسعي المتواصل في تحقيق رفاهية الشعب، ولم شعثه وتقويم منآده، ونصرة المظلوم، واسعاف المنكوب، والاخذ بيد

« تعزيـة المجلـة »

تتقدم اسرة تحرير هـذه المجلة الى حضـرة صاحب الجلالة الحسن الثاني والعائلة الملكيةالكريمة والشعب المغربي الوفي باحر تعازيها فى الفاجعة المؤلمة التي اصابت الوطـن بفقد قائده ورائده البطل الملهم محمد الخامس قدس اللـه روحه ضارعة الى الله العلي القدير ان يلهمنا الصبر والثبات وان يحقق على يد خلفه العظيم جلالة الحسن الثاني كـل ما تصبو اليه هذه البلاد من وافر العزة وكامل الازدهار .

كلمة العدد

عطاء محمد الخامس

تلقى الشعب المغربي بحرقة ومرارة بالغتين نبأ وفاة محمد الخامس ولطالما جرب الناس كثيرا من المحن والخطوب وصادفتهم في حياتهم ضروب شتى من الرزايا والنكبات فغالبوها وتغلبوا عليها ؛ أما ان يموت محمد الخامس فهذه صدمة لم يقو احد على تحملها وبتا لم يكن اى شخص يرغب في تصديقه ؛ ان اسم محمد الخامس لم يقترن ابدا في ذاكرة الشعب المغربي بالموت بل كان رمزا خالدا للحياة الخصيبة الطافحة بالامل والبشر الغنية بكل لون من الوان الحركة والخلق والابداع . لقد احسسنا جميعا ونحن نبتلع الخبر المرير ان شيئا تمزق في صدورنا وان غصة ثقيلة تحتبس في حناجرنا . خانتنا كل وسائل التعبير فاجهشنا بالبكاء . وتعالت اصواتنا بالتهليل والتكبير وخرجنا جموعا الى الشوارع نتواصى بالشيء الذى فقدناه جميعا بالصبر، ان وقع الفاجعة كان اقوى من قدرتنا على التحمل واشد من طاقتنا على التجلد والثبات لقد سلخ محمد الخامس منذ ان تولى عرش هذه البلاد ثلاثا وثلاثين سنة من عمره في الكفاح والتضحية ربط خلالها مصيره بمصير شعبه ، لم تثنه الخطوب ولم تفت في عضده النوائب، بل كانت تزيده دوما ايمانا واقتدارا . ولقد اعطى المثل في كل مناسبة امتحنه الاستعمار فيها . وسجل اروع بطولة في التاريخ يوم تنازل عن العرش الذى أراده الاستعمار ان يكون عرشا على الشعب ولم يرده محمد الخامس الا عرشا للشعب .

لقد كانت حياة محمد الخامس تقوم كلها على العطاء فقد اعطى شعبه البطولة في اجل واقدس معانيها، اعطى شعبه الوحدة في اجمل صورها اذ لم يعرف التاريخ ملكا من الملوك تجمعت حوله الامة بكل طبقاتها وطوائفها مثل محمد الخامس ، واعطى شعبه الاخلاص والمحبة فلم تترك فرصة من حياته الا واستثمرها واستغلها لصالح هذا الشعب فكانت كل طبقة وكل فئة من هذا الشعب تشعر من صميمها ان محمد الخامس يمنحها كامل رعايته ووافر عنايته ويعطيها من وقته وتفكيره ما هي جديرة به .

فاذا بكى الشعب المغربي اليوم بجميع طبقاته وطوائفه محمدا الخامس فلان هذا الملك لم يكن ملكا لطبقة معينة ولا لفئة خاصة بل ملكا للجميع ملكا للانسانية التي فقدت بموته احد انصار الحرية ومحبي السلام .

واذا كان هناك من عزاء للامة في هذه الفاجعة المؤلمة والخسارة الفادحة فهو صاحب الجلالة الحسن الثاني الذى حرص جلالة والده المرحوم حرصا شديدا على تربيته تربية ثقافية وخلقية كاملة واعداده اعدادا جيدا لهذا اليوم بالذات لقد ترك له الملك الراحل زادا وافرا من التجارب وتراثا قيما من الدروس والعظات، وان الشعب الذى بادل والده حبا بحب واخلاصا باخلاص مستعد بنفس القوة وبنفس الحماس للمضي معه في سبيل اتمام الرسالة التي بدأها محمد الخامس ومواصلة السير والزحف نحو الاهداف الكبرى التي تتطلع اليها هذه الامة . ولنا كامل الثقة ووطيد الامل في ان همة ملكنا الشاب وعزيمته في مستوى تلك الرسالة وهذه الاهداف .

تغمد الله الفقيد الراحل بواسع رحمته والهم اسرته الكريمة وشعبه الوفي الصبر والثبات وحقق على يد خلفه الصالح الملك الحسن الثاني كل خير ويمن وبركات .

دعوة الحق

الضعيف . ورفع صوت الحق ، لايجد الا الحزوله والاسترجاع وسيلة لتخفيف الحزن الذي ألم بـه ، واللوعة المستعرة التي اصابته من جراء فقدك .

لقد ألفك شعبك دائما قريبا منه فى جميع الظروف ، واجهت معه المحتلين الاجانب ، وقدته بمهاره وحنكة واراده ، من نصر الى نصر . واستعذبت بالقرب منه المحن ، وذقت فى سبيل تحقيق امانيه النفي والحرمان ، الى ان اينعت شجرة الحرية على يدك ، فانبثقت من الارض باسقة خضراء ، وارفة الظلال . لقد كانت حياة محمد الخامس كلها عبرا ودروسا ، تملى لا للجيل الحاضر فحسب ، بل ستبقى نبراسا للاجيال القابلة . ومرآة صافية ، ينعكس عليها كل ما فى الخلود من نقاء وصفاء وطهر ومثالية وبطولة وادراك .

وان الخديم لينحني بكل خشوع واجلال امام هذه الروح الزكية التي رجعت الى ربها راضية مرضية . مات محمد الخامس . ولكن مناهجه واعماله وفلسفته لم تمت . وانا على يقين من ان صاحب الجلالة الملك المعظم . مولانا الحسن الثاني . سيقود بنا السفينة بما عرف عنه من عبقريه ونبوغ وتفان فى خدمة الدين والوطن .

فجلالته كان مشاركا لوالده المقدس فى ادق اطوار كفاحه للاستعمار والمستعمرين : فقاسمه البلوى فى المنافى السحيقة . وكان مستشاره وعضده وانيسه ، بحيث كون الاب الماجد والابن البار وحدة متكامله . وان انصهار هذين البطلين فى بوتقة واحدة ، بوتقة الايمان والوطنية ، بوتقة العزة والكرامة ليجعل الامة تنظر الى المستقبل بعين ملؤها الامل والتفاؤل ، فخيط الرجاء مازال مستمرا ، حيث ان مصير البلاد وضع فى يد امينة طاهرة . تضيف الى حزم الشباب وعزمه حنكة المجربين ، ونبوغ العلماء العارفين ، واخلاص المؤمنين المحتسبين . فالى حضرة جلالتكم يامولاي ، يتقدم خديم اعتابكم الشريفة . والدموع ماتزال تنسكب من عينيه . ليرفع الى مقامكم الاسمى الرفيع عبارات التعازي . فى فقد والدكم المعظم ، قدس الله روحه وطيب ثراه . طالبا من المولى جل وعلا ان يرزقكم الصبر والسلوى . ومبتهلا اليه سبحانه وتعالى ان يجعلكم خير خلف لخير سلف .

فلتهنئوا يا مولاي بالجلوس على عرش اسلافكم المقدسين . فان امتكم تبادلكم حبا بحب . واخلاصا باخلاص . وان شعبكم ينظر فيكم بسمة امله ، وضمان مستقبله . فسيفتح الله بكم لهذه الامة ما اغلق وسيجعلكم من المصطفين .

واننا موقنون يامولاى بان عهدكم سيكون عهد يمن وبركه ، وانكم ستحققون للبلاد كل متمنياتها واهدافها . فما خاب شعب تقوده الحسن بن محمد بن يوسف . سدد الله يامولاى خطاكم . وجعل التوفيق حليفكم فى حلكم وترحالكم . انه سميع مجيب .

أحمد بركاش

واكبر الظن ان محمدا الخامس لم ييئس لما رأى ولعله قد رحب في نفسه كبيرا باقدام اولئك المجرمين على جريمتهم فيما كان يرقب اثرها في الامه . انه قد اخذ منها العبرة الاولى اذ حزم امره على سياسة اخذ سلكها تدريجيا منتهجا لها كل فرصة سانحة ليتطور بها ويريد معالمها ابرازا وتبيينا ففني بادىء الامر بطفله الصغير الحسن تتعهده منذ نعومة اظفاره بالتثقيف ويجلب له الصفوة المختارة من الاساتذة يلقنونه الخالد من ماثور ثقافة العرب وحضارتهم والطريف مما استحدثته الحضارة الغربية من الوان الثقافة والمعرفة وكان سببا في نهضة اوربا وما يهىء لها من الوان العزة والسيطرة والرخاء .

على حين مضى الانبعاث الشعبي في تطوره آخذا طريقه الطبيعية حتى اذا كانت الحرب العالمية الثانية قد تبلورت مفاهيم الانبعاث الوطني في الشعب تبلورا ظهر في تعدد هيآته الوطنية لتعدد آراء تلك الهيآت في اقوم الاساليب واقربها لتحقيق الهدف المنشود . عندئذ اخذ محمد الخامس يظهر شيئا فشيئا وبصورة علنية في الميدان العام .

كانت الحرب قد بلبلت الاذهان فمالت بمشاعر الجماهير الى مظاهرة دول المحور شماتة بفرنسا وحقدا على الدول التي حالفتها ولكن محمدا الخامس كان يقيس الاحداث ويرصد تطوراتها بمقياس الرجل المسؤول الحصيف الذي يدرك ان الفرصة لما تسنح للمضي في مغامرة فرص الفشل فيها ارجح من حظوظ النجاح . وكان فضلا عن ذلك يدرك انه ما من امل يمكن ان يتحقق للشعوب المستضعفة على ايدي انظمة قامت على الدكتاتورية والحكم الفردي فقد كان بحكم نشأته وفطرته الاولى ديموقراطي الطبع لايؤمن بغير الديموقراطية وسيلة الى التحرر ولا قسطاسا للعدل ولا سبيلا الى رخاء الشعب لهذا وذاك كان اول عمل برز به محمد الخامس في المحيط الدولي وفي ميدان التوجيه السياسي الداخلي دعوته الصريحة الحازمة شعبه الى الانصات لمقتضيات الحصافة والاناة والعزوف عن نزوات العاطفة والمشاعر العارضة والوقوف الى جانب الحلفاء ، وان تكن منهم فرنسا لان منهم هو معقد آمال الديموقراطية في العالم آنذاك ولان الوثوب على فرنسا يوم خرت صرعى تحت اقدام هتلر ليس من الشرف الذي يرتضيه تاريخ المغرب المجيد لامة ما عرفت في السراء ولا في الضراء مع خصومها او مع اصدقائها الا البطولة المكينة والتصرف الاصيل

وكان بين الحلفاء من له بصر نافذ او من مصلحته ان يكون له بصر نافذ كان منهم فرنكلن روزفلت . وللولايات المتحدة من يوم فرضت الحماية على المغرب راي خاص في هذا التصرف الشاذ الذي اقدمت عليه فرنسا واسبانيا ولروزفلت رئيسها ابان الحرب راي يمكن ان يوصف بانه حر في الاستعمار عامة وفي الاستعمار الفرنسي خاصة

وشاءت اوضاع الحرب وظروف السياسة ان ان يختار اقطاب الحلفاء مدينة الدار البيضاء مركزا لاحد مؤتمراتهم فسنحت الفرصة للرئيس الامريكي لان يقدم للمغرب يدا قد تفيد بلاده يوما من الايام وكان لديه من العلم بمحمد الخامس وما يتصف به من حصافة وذكاء وسداد راي . ما شجعه على اهتبال هذه الفرصة فدعاه الى الاجتماع به ولاول مرة منذ فرضت الحماية على المغرب يتاح لملك المغرب ان يجتمع برئيس دولة اجنبية او بمندوب لها بعيدا عن رقابة المقيم العام الفرنسي او من يقوم مقامه وتحدث كلا الزعيمين الى بعضهما بعضا حديثا لايزال اغلبه مكتوما ونخشى ان يكون صدر محمد الخامس وصدر روزفلت قد انطوى على جانب منه الى الابد ولكن فرنسا وجدت في اجتماع الرجلين بعيدا عن رقابتها ما اقض مضجعها وما فتئت يومئذ اشلاء ممزقة تحت اقدام هتلر وشبحا يحاول ان يصل الماضي بالحاضر فيما يضطرب من لندن واليها ممثلا في شخص رئيس فرنسا الحرة يومئذ الجنرال شارل دوكول غير انها اسرتها في نفسها ولبثت ترصد الفرصة الملائمة بينما بقي محمد الخامس بعد الاجتماع كما كان من قبل يصانع فرنسا ويرفق بها ويستنكف ان يشتد عليها في محنتها وان يكون عليها بعضا من محنتها

واوشكت الحرب ان تنتهي وضاق صدر الامة عن مزيد من الصبر والانتظار واخذت تتجمهر هنا وهناك لتعبر عن ارادتها لقد اعلن الحلفاء انهم انما يحاربون اعزازا للحرية وتمكينا لها وان الشعوب يجب ان تتعايش على اخوة والا تستذلها القوة فماذا يقعد بهم عن ان ينصفوا المغرب من فرنسا ؟ لئن كانت فرنسا

صور من كفاح محمد الخامس

من الصعب ان يجهل المرء ان العلماء الذين اجتمعوا في فاس عقب وفاة المغفور له مولاي يوسف ابن الحسن ليقرروا اختيار صاحب السمو الملكي محمد ابن يوسف خليفة لوالده الفقيد على عرش المغرب قد استطاعوا ان يتوسموا في مخايله ملامح صحيحة لما شاء الله ان يكون واقع المغرب خلال اربع وثلاثين سنة قضاها في ظل هذا الرجل الذي وقع عليه اختيارهم فعقدوا له البيعة بالملك وامارة المومنين . ولكن ما من شك في ان التوفيق كان رائدهم في ذلك الاختيار وفي انهم او ان بعضا منهم قد توسموا سمات ميزت الابن الثالث للملك الفقيد عن سائر اخوته وجعلته في رأيهم الاحق بوراثة عرشه وتحمل العبء الذي كان يضطلع به .

ذلك بان طفولة صاحب السمو الملكي محمد بن يوسف وحداثته اظهرتا منه نجابة وذكاء وشخصية قوية كانت منذ بواكير نضجه تبرزه باعتباره مؤهلا للاعباء الجسام وقد كان اساتذته الذين جلبهم والده المنعم لتثقيفه وتثقيف اخوته ومن اليهم من افراد الاسرة المالكة في المدرسة الملكية الخاصة بالاسرة والتي انشاها في فاس . كانوا يرصدون بكثير من الاعتزاز ظاهرتين كانتا تميزانه عن اخوته واترابه اولاهما الذكاء والمقدرة الفائقة على استيعاب ما يلقى اليه من الوان الثقافة التقليدية والحديثة وثانيتهما الشغف بالدراسة والعكوف عليها والدأب في السعي الى الاستزادة منها سعيا لم تكن تعوقه اعتبارات الامارة وما تقتضيه من طقوس وشكليات وانما كان ينطلق به انطلاقا حرا لا يكترث بشيء يحبسه عن غايته التي وقف عليها نفسه .

ويوم ولي عرش ابيه كان لا يزال في عرف القانون ينبغي ان يعتمد على اوصياء لمساعدته على الاضطلاع بما سار اليه من تبعات جسام وما من شك في انه كان رضي النفس بهذا الوضع القانوني وآية ذلك انه حتى بعد ان اصبح المهيمن المباشر على شؤون الملك بعد ثلاث سنوات من ولايته للعرش، كانت عنايته بسياسة الدولة موازية لعنايته ببناء الامة . فقد كان يدرك انه من السهل ان تساس الدولة سياسة تتجه بها الى ان تكون اداة لاسعاد الشعب والتقدم به واعزازه . ولما كان السياسي يعتمد في عمله على شعب يعي ماله وما عليه وعما يصدر عن الادراك لا عن مجرد الاحساس والعاطفة ويشعر اعمق الشعور بانه ينبغي له ان يستكمل في نفسه ما يريد ان يندب اليه امته فقد انصرف محمد الخامس يدرس ويستوعب كل ما من شانه ان يتصل بالملك وسياسته من قريب او بعيد . على حين كانت الاحداث تترى في اسرته وفي شعبه فما لبث ان رزق بولد بكر صاحب السمو الملكي الحسن ابن محمد . بينما بدا شعبه يكتشف وضعه ويتحسس الطريق الى تطوير هذا الوضع والخلاص من الشذوذ الذي كان يومئذ قد قضى ثمانية عشرة سنة وهو يعانيه وكان هذا التطور الذي حدث في شعبه نتيجة لتصرف خائن اقدم عليه من كانوا يومئذ اوصياء على العرش ذلك هو اصدار الظهير البربري المشؤوم وما من شك في ان الذين اصدروه والذين اوحوا اليهم باصداره لم يقدروا ان يكون هذا الظهير اداة لبعث روح الوعي واليقظة في الشعب المغربي : فالذي حدث بالفعل هو ان المغاربة قاطبة شعروا يوم اعلن عن هذا الظهير ان يد المستعمر الغاشم قد تجرأت هذه المرة فتجاوزت سياسة الملك والاستحواذ على الثروات الى النيل مما هو من صميم الوحدة الدينية التي تنهض عليها وحدة الشعب المغربي فكان هذا الشعور بمثابة نفخة بعث شملت الامة باسرها ابتدأت من المساجد وكان صداها الاول يرتفع بترديد اسم اللطيف ثم ما لبث ان تطور الى تجمهر ومظاهرات احتشدت لها الامة من مختلف انحاء الوطن المنكوب

المرن وجاء (الجنرال جوان) وابتدأ عهد الازمات والاصطدامات المتوالية ذلك العهد الذي اثبت فيه محمد الخامس انه يملك من الصلابة العنيدة مقدار ما يملك من الاناة الحصيفة وازمة فبراير 51 وما عقبها من ازمات انعكاس ظاهر لصلابة الملك الشاب ومضاء عزيمته ورسوخ ارادته

على انه فيما يواجه مؤامرات المستعمرين بالصلابة كان يحتفظ بنفس المستوى الذي عهد فيه منذ ولي العرش من الحصافة فى مناورة الدبلوماسية الفرنسية ومماكريها يعكس ذلك تصرفه فى باريز يوم سافر اليها لمحاولة اقناع الدوائر الفرنسية العليا بخطأ الاتجاه الذى اخذ يومئذ يظهر ويشتد فى الدوائر الاستعمارية بالمغرب وخاصة فى دوائر المقيم العام الجنرال جوان

وقد كان يستطيع لو شاء ان يتجنب الكثير من الازمات بان يصادق على بعض رغبات الاقامة العامة منتظرا فرصا افضل لنسخ ما صادق عليه من قبل ولكنه كان يربأ بنفسه وبشعبه ان يعترف وان يصفه ويقبه بما من شأنه ان يتيح للفرنسيين حقوقا دستورية ترقى الى اشراكهم فى السيادة والمواطنة

وامام فشل الجنرال جوان فى اقناع محمد الخامس واخضاعه وخاصة بعد ان وقف الملك الشاب سلبا عنيدا فى اقحام المغرب فى الحلف الاطلسي لم تجد حكومة باريز مناصا من عزل مقيمها فى الرباط وتعويضه بمقيم جديد ابعد عن الوعي السياسي وامكن من طبائع المتعجرف المستبد ، وكان تعيين الجنرال كيوم مقيما عاما بالمغرب بداية النهاية لحكم فرنسا ولم تكن ازمة عشري غشت 53 ونفي صاحب الجلالة الى كورسيكا ثم الى مدغشقر الا عنفوان المعركة الفاصلة ذلك ماقدره محمد الخامس وذلك ماحققته الاحداث

وعاد محمد الخامس من منفاه وفى يمينه الاستقلال ، وفى عزمه الدخول فى معركة جديدة ، معركة بناء الدولة لقد استطاع ان يبنى الامة التي خاضت لعشرين سنة او تنيف معركة الاستقلال فى ميادينها المرنة والدامية وهو اليوم يريد ان يبني الدولة التى تعود على الاجيال المقبلة من هذه الامة بالعزة والرخاء

وما من احد الا وتبادر الى ذهنه ما انجزه محمد الخامس الملك المستقل من يوم 16 نوفمبر 1955 يوم عاد مظفرا من منفاه الى يوم 26 فبراير 1961 يوم لحق بجوار ربه راضيا مرضيا . ان منجزاته هي التي جندت الشعب يوم فاجعته مخلوب اللب منهار القوى يوشك ان يفقد كل صواب بل انه قد بدا وكأنما استحال الى سيل من العبرات المفجوعة المجزوعة تنسكب من مختلف الفجاج والسفوح والسفوع لتتجمع فى الرباط آية من اصدق آيات الولاء والاعتراف بالجميل

انها اربع وثلاثون سنة قضاها محمد الخامس على العرش وان ما انجز خلالها لشهادة لا سبيل الى الغمز فيها على انه لم يستمتع بأبهة العرش وانما اضطلع بأعباء الزعامة لان العرش كان فى تقديره القاعدة الحقيقية والاصيلة للزعامة الصادقة .

احدى الدول الحليفة فانها ما كانت لتستطيع ان تصبح شيئا بعد ان داست عليها سنابك الفرماخت لولا ان امدها المغاربة واشقاؤهم الجزائريون والتونسيون بقوة من الرجال والمؤن . فالشعب المغربي اذن ليس باقل من فرنسا ان لم يكن اكثر حظا في مظاهرة قضية الحلفاء ومناهضة اعداء الحرية والديموقراطية ، واجتمع الشعب المغربي حول اقطابه الذين وضعوا عريضة الاستقلال الشهيرة وتهيأ لمحمد الخامس المحيط الذي كان ينتظره فاعلن مساندته للعريضة ومضى مع شعبه في الطريق التي اختارها ومرة اخرى تنمرت فرنسا وهي ما تزال كيانا ملفقا من اشلاء وقابلت الشعب المغربي الذي اسال من اجلها دماءه بالقوة العارمة وكان محمد الخامس يستطيع ان يستنجد روزفلت وعدا ما من شك في انه قطعه على نفسه ولو فعل لكان روزفلت في موقف يتيح له ان يبر بوعده فالجنرال ايزنهاور هو القائد الاعلى يومئذ لقوات الحلفاء قاطبة في شمال افريقيا ولكن محمدا الخامس كان يكره ان يستعين على فرنسا بغير شعبه كان يرفض ان يقبل الاستقلال الممنوح ولذلك جنح الى المفاوضة

ويلوح ان حكومة الجمهورية الفرنسية الموقتة التي كانت يومئذ مستقرة في الجزائر شعرت بانها لاتستطيع ان تتحدى صبر ملك المغرب الى ما لا نهاية له فجنحت الى المسالمة وبذلت الوعود واستطاع محمد الخامس ان يميل بشعبه الى التربص والانتظار فالشعب المغربي مهما تأججت مشاعره اعظم ثقة بعاهله وزعيمه منه بتقديراته ومداركه هو

وفيما كان محمد الخامس يطاول الفرنسيين ويداورهم كان ماضيا في النهج الرئيسي لسياسته الذي رسمه منذ اول يوم اضطلع فيه باعباء الملك وتبعاته كان ماضيا في تثقيف ابنائه وبناته وكان صاحب السمو الملكي الامير الحسن قد قطع مرحلة الدراسة الابتدائية بتفوق ظاهر وكان الفرنسيون وبعض بوقاتهم قد اخذوا يحاولون اقناع الملك والده بان مقتضيات التطور الحديث تقضي بأن يبعث بابنه البكر الى بعض المعاهد في اوربا ليستكمل دراسته الثانوية على احدث اسلوب ولكن محمدا الخامس كان يريد ان يعد من هذا الفتى الدارج الى الحداثة وليا لعهده ولعهد المغرب ولكي يجعله مؤهلا لهذه المسؤوليات ينبغي ان يوفر له اسباب الاتصال بامته في ماضيها وحاضرها وهو ما يزال فطري النفس طري القريحة مستعدا لان يتأثر تأثرا عميقا بالمحيط الذي يعيش فيه لذلك اصم اذنيه عن نصح اولئك الناصحين وانشأ للامير الحسن ولاخوته مدرسة ثانوية داخل القصر الملكي جلب اليها الصفوة من الاساتذة المغاربة والفرنسيين

وتمضي الايام وتقتضي خطة محمد الخامس ان يستحث الفرنسيين ودول العالم قاطبة وخاصة تلك التي وقعت على معاهدة الجزيرة الى العمل من اجل تطوير الوضع السياسي والدولي للمغرب ويبتغي لهذا الهدف وسيلة بارعة اذ يقرر ان يكون اول ملك يزور طنجة التي كانت دولية يومئذ منذ فرضت الحماية والتجزئة على الوطن المغربي وتصعق الدوائر الاستعمارية الفرنسية وتحاول ان تضطر المقيم العام الفرنسي الى تعويق الارادة الملكية ولكن سياسة المقيم الفرنسي كانت يومئذ سائرة على نسق مرن قاصد الى التفاهم والوفاق فيرجعون الى انفسهم ويدبرون مؤامرة حوادث الدار البيضاء الشهيرة ليستفزوا محمدا الخامس والشعب المغربي . غير ان فألهم يخيب لان الملك الشاب كان اسد رأيا وابعد نظرا وامضى عزيمة من ان ينال منه مؤامراتهم لذلك اغضى عن كل ما حدث ومضى في تنفيذ خطته

وفي طنجة صدم المستعمرين بثلاث صدمات فأعلن وحدة المغرب وضرورة تسيير الاوضاع عندئذ فيه وعروبته وقدم الى الشعب ولي عهده خطيبا فصيحا ثم قدم اليه والى العالم ابنته الكبرى خطيبة فصيحة ثائرة على التقاليد داعية المرأة المغربية الى القضاء على تلك التقاليد التي جعلت نصف الشعب المغربي لعدة قرون شبه مشلول

ثم عاد من طنجة ومضى قدما في سياسته الاساسية : بناء الامة قبل بناء الدولة . فراح يشجع بناء المدارس الحرة . ويتولى بنفسه احيانا وبواسطة ولي عهده احيانا اخرى الاشراف على تدشينها كما يسهم في نفقاتها بمبالغ قيمة على حين مضى ولي عهده وابنته الكبرى الاميرة عائشة في قيادة شباب المغرب وفتياته في مختلف الميادين السياسية والاجتماعية

واحست الدوائر الاستعمارية بالخطر من هذه الزعامة التي اقامها الملك الشاب للشعب المغربي واخذ يمارسها بنفسه وبواسطة ابنه وابنته فزعزع مقعد الاقامة العامة الفرنسية من تحت (ايريك لابون) المقيم



جلالة المغفور له محمد الخامس بعد ان تربع على
عرش اسلافه المقدسين سنة 1927 وبجانبه وزير
القصور الملكية العلامة السيد محمد معمري

للخلد والرضوان

لمعالي وزير القصور الملكية
محمد سعيد الزواري

للخلد والرضوان اذ ناداك   داع الى الفردوس من مولاك
بين الملائكة الألى لايذنبو   ن وما عصوا ربا برا الافلاك
اوقفت عمرك فى اتباع اوامر الـ   ـرحمن دوما منجدا لسواك
وسموت بالوطن العزيز الى العلا   ففت اعتلاء انجما وسماكا
لا راعيا فى حقه اهلا ولا   مالا كبرا انفقته بيداك
لا خوف اعداء اذا ما اسدلوا   حجب الخداع نراكمت احلاكا
بل سرت متكلا على الله القو   ى الى الامام مجاهدا نساكا
حتى اثاب الله صبرك بالرضى   والفور اد حمد الورى مسواك
وحدت سأن المغرب الاقصى نظا   ما فاق حسنا للحلى اسماكا
فى ثلث قرن ما فتئت مجاهدا   بالصالحات مواصلا لخطاك
نحو المحامد والمفاخر والعلا   عجز المحاول ان ينال علاكا
جمعت لك العلياء اوصاف الهدى   ارضيت ربا للصلاح هداك
كل اللسان عن اكتناه كمالها   من ان لى شعر يجيد رثاك
نم هادئا محفوظ ذكر خالد   وسط القلوب مرددا مسعاك
ان كنت فى هدي الحياة محمدا   فالله هيء فى الجنان رضاك
والشعب ان يرد الفخار بمقصد   حسب انجاهه اقتفاء لواك
مولاي كنت رفيق والدك المقـ   ـدس حازم السراء مع ضراك
شاركته المحن العديدة فى ابتعا   دكما عن الوطن الذي انشاك
يلقي عليك دروسه ونتائج التجـ   ـريب خير مثقف لصباك

مذهبية محمد الخامس

ان من يستعرض حياة محمد الخامس واساليبه فى الحكم والسياسة ويمعن النظر فيها امعانا دقيقا وعمقا لابد ان يخرج منها بمبادىء ومقاييس تصورها مدرسة مذهبية تقوم على قواعد واصول ، ففي العهد البائد كان صاحب الجلالة الملك الراحل لا يتوفر الا على جزء محدود ومحدود جدا من السلطة ، غير انه استطاع بهذا الجزءالمحدود الضيق ان يقاوم الاستعمار،واستطاع ان يوسع دائرة هذه السلطة وان يستخدمها فى مصلحة الشعب ، وكان فى ذلك الوقت مخيرا فيما بين اتجاهين اثنين . فاما ان يستخدم هذه السلطة على شدة ضيقها فى مصلحة شعبه فيدخل مع الاستعمار فى صراع عنيف يهدد الجانب المادي فى الجاه الذي كان الاستعمار مستعدا لان يجعل مجاله فسيحا لجلالته ، واما ان يعرض الاعراض كله عن مثل الجاه المادي الممنوح ويصبر على مضايقات الاستعمار لمدة قد تكون مراحلها شاقة وعسيرة ، فاختار هذا الاتجاه الاخير واعرض كل الاعراض عن الجاه المادي الممنوح الذي كان الاستعمار يغوي به الاقطاعيين من كبار القواد الذين دبروا معه فيما بعد المؤامرة المشهورة ضد محمد الخامس. ومما لا شك فيه ان الملك الراحل قرر من اول وهله ان يغامر بهذه السلطة المحدودة ، لانها سلطة بتراء من جهة ، ولانها لا تتفق مع كرامة الشعب الذي تحمل مسؤوليته من جهة ثانية ، وقد ابانت جميع الوقائع ان محمدا الخامس كان ملكا يقدر المسؤولية لانه كان ملكا يخاف الله ، وكانت له نفسية الرئيس الذي يأبى ان يكون رئيسا اسميا . وهكذا ظل محمد الخامس يصاول الاستعمار بهذه السلطة المحدودة الضيقة حتى استطاع بكفاحه ان يكتسب سلطة على هامش تلك السلطة التي كان الاستعمار يضع تقنينها وتشريعها .

فحينما كانت الاقامة العامة تريد وضعه امام الامر الواقع بتسميتها بعض الموظفين كان جلالته يرفض هذا الامر الواقع ويقف مواقفه المعروفة التي كان يظهر بها امام الاستعمار انه هو المشرع ، ولئن لم يستطع ترويض الاستعمار ترويضا كاملا فانه استطاع ان يغير القاعدة الاستعمارية التي تعود عليها الاستعمار لا فى المغرب فحسب ، ولكن فى سائر البلاد التي ابتليت بالاستعمار، وابتليت مع الاستعمار بمسؤولين مسيرين لا مخيرين يستهويهم الجاه المادي الذي يقدمه الاستعمار لهم كرشوة فى مقابل ان يكونوا سامعين مطيعين وان يتنازلوا له عن سلطاتهم التي يمنحها حتى ولو كانت سلطات ضيقة وعلى غاية ما يمكن عليه الضيق

ان محمدا الخامس قد اظهر فى ممارسة السلطة الضيقة التي قبل الاستعمار ان يتركه يمارسها انه ملك من نوع آخر ، ملك لا يقبل رشوة الجاه المادي فى مقابل ان يكون سامعا ومطيعا. وظل يطاول الاستعمار فى دائرة هذه السلطة الضيقة الى ان كانت ازمة سنة 1953 فضرب الاستعمار على وجهه بهذه السلطة التي ارادها الاستعمار ان تكون ضيقة ثم يستغلها ولو انها ضيقة ضربه بها واتجه نحو الطائرة محاطا بزبانية الاستعمار ليهاجر فى سبيل الله بعقيدته وايمانه وكرامته ، كان فى امكان محمد الخامس ان يستخدم سلطته الضيقة ليعين الاستعمار على تكبيل الشعب مثلما فعل ملوك وحكام آخرون لينعم بالجاه المادي ، غير انه استخدم هذه السلطة وكان يستخدمها احيانا مع الاستعمار وهى مجردة عن التساهل والحلم اللذين عرف بهما فيما بعد حينما قبض على السلطة كلها وحينما تسلم مقاليد الدولة كلها بعد الاستقلال .

كي يصبح الشبل المحنك بعده ... لنواصل الاعمال والادراك
وبعد نجدنك الفنية موقنا ... ان البلاد ستحتمي بحماك
حقق باخلاص الجهود رجاءه ... اذ للتفاني في الصلاح رجاك
واجهد لادراك البلاد سعادة ... بجهود بر مزهر مغناك
كن مثله مأوى البئيس وملجأ ... المعوزين اذا النداء اتاك
برهن لشعب المغرب الاقصى على ... ان ابن يوسف منبت جدواك
مولاي هذا الشعب رهن مودة ... وبكامل الاخلاص قد وافاك
من كل فوج قد اتاك مبايعا ... لتنيله ما تستطيع يداك
حقق رجاء جميعهم بعواطف الل ... ـه الكريم به الكريم حباك
مهد له العمران في طرق الهدى ... حتى يكون ملبيا لنداك
وتراه مبتهجا بنيل مراده ... دينا ودنيا وهو كل مناك
واهنأ بعرس كرام اسلاف بنوا ... بالمكرمات قصور عز علاك
للمغرب الحسنى بحسن تفاؤل ... باسم شخص للهدى معناك



جلالة المغفور له يؤدي صلاة الجمعه بمسجد اهل فاس بالعاصمة .

لقد آلت السلطة كلها الى يد محمد الخامس بعد الاستقلال ، ولكنه لم يستخدمها شأن المتكالبين على السلطة ولا فرضها فرضا على المواطنين ، ولا اشتط فى استعمالها، وفضل ان يتظاهربالسلطة ليعرف كل مواطن بحقوقه وواجباته لان مدرسة محمد الخامس فى الحكم والسياسة ترتكز على الحلم والتساهل وعلى الجاذبيه الروحية فى الاضطلاع بمسؤوليه الحكم . احسن من ان ترتكز على الرعب والسلطه الجامحـــه . وكان محمـــد الخامس مومنا بمبادىء مدرسته، واظهرت هده المبادىء ان نظرية محمد الخامس فى الحكم تقوم على اختـــــار عميق للنفسيه المغربية والبيئة المغربيه . وهى نظريه ترتكز على اساس «أكرم الكريم تملكه» ومحمد الخامس كان يومن كل الايمان بان الشعب المغربى شعب كريم وان الحلم والتسامح والتساهل هي العوامل الـــتي ينبغي ان يرتكز عليها اساس الحكم فيه ، ومن ثم كانت نفسية محمد الخامس لا تجد ابة صعوبه فى ان تلجـ الى الصفح والتسامح حتى مع اولائك الذين كادوا لـــه مع الاستعمار واعانوه على مضايقته واضطهـــــــاده واضطهاد شعبه ، لان مدرسة محمد الخامس ترى ان كسب الاعداء كلما امكن كسبهم افضل بكثير مـــــن تركهم اعداء، خصوصا اذا تحرك فى هؤلاء الاعداء وازع الضمير. ومن فلسفة محمـــد الخامس انه يمكن غزو الاعداء والمنحرفين بالتغاضي عما قد يصدر عنهم مـــن تصرفات عدائية او انحراف اصيل او طارىء .

وتشهد بعض الوقائع الخاصه ان هده النظريه تستند على مبدأ فلسفي . وتستند كذلك على صـــدق الفراسة ، ومن ابرز صفات الملك الراحل صـــــــدق الفراسة والالهام اللذين يكونان معا دعامتين اساسيتين تقوم عليهما مذهبيته فى الحياة وفى الحكم والسياسة . ومن هنا اتسمت سياسة محمد الخامس بمثاليـــــــه نادرة ، ومن شأن كل سياسة مثاليه ان تكسب صاحبها طول النفس فى معالجة الامور وعدم الاستعجـــــــال والانسياق مع العواطف المجردة . وكذلك تبدو بعض المواقف فى حياة جلالته وهى مواقف تحكم فيها الرأى الذي قد يعده البعض بطئــا بينما هو فى واقع الامـــر التدبر الواعى الذي يسبق القرار الخطير .

كتب بعض الاوربيين من الذين اتصلوا بصاحب الجلالة الراحل يقول : « ان الشعبية التي يتمتع بها جلالته ترجع الى صفة الملك الملهم الذي يعالج شؤون الحكم بوحي العقل الباطن وكذلك اكتسبت علاقته مع شعبه صبغه يغلب عليهـــا الجانب الروحـــي » وهـــي ملاحظة تنطوي على حقيقة بارزة فى حياة الراحل الكريم ولعل هذا الجانب هو الذي جعل جلالته يجعل مـــــن المكان الذي نفي اليه فى ساعة الشدة موضعا يحج اليه ، لان الانسان لا يريد ان يتذكر المحن التي مر بها ومرت به . ولكن محمدا ابن يوسف كان يصر على احياء ذكرى المحن ليستوحي منها العبره وليعيش فيها ردحا من الزمن فى هده العبرة الروحيه التى كان جلالته يحن الى العيش فيها حينا بعد حين . ولقد تجلى هدا الجانب الروحى الجاذبي ــ ان صح هدا التعبير ــ من خلال الصور الرائعة والرهيبة التي ظهر فيها الشعـــب المغربى امام المصاب فى جلالته . انها صور لم يستطع احد من الملاحظين تعليلها بتعليل مادي، لان التعليل المادي اعجز من ان يعطي لهذه الصور مدلولها الحقيقـــــي ، وتجلى منها كذلك ان مذهبية محمد الخامس فى الحكم وفى السياسه كانت مذهبية واقعية بالنسبة للبيئـــــة المغربيه وللواقع المغربي وبيئته . وعلى ضوء هـــذه النظرية العميقه كان جلالته يعد شعبه اعدادا متزنـا ودفعا لحياة عصرية تقتبس من العصـــر الحاضـــر احسن ما فيه . وتعدل وتكيف ما هـــو فى حاجة الـــى التعديل والتكييف . لانه من السهل جدا ان يتمنـــى الانسان حياة خاصه لشعب من الشعوب ، وانما الصعب هو التدرج فى مراحل هذه الحياة دون ان يصطدم هذا الاعداد بصدمة قد تنقلب الى نكسه . ونعوذ باللـــــه من النكسات التى تمنى بها الشعوب وخصوصا منهـــا الناشئـــه .

ومما لا ريب فيه ان هـــذه المذهبيـــه قد ربـــي عليها صاحب الجلالة محمد الخامس قدس الله روحه ابنه جلالة الملك الحسن الثانى ، ومما لا شك فيه ايضا ان تأثيرها سينعكس على اعمال جلالة الملك الشـــاب فى سياسته واضطلاعه بمسؤولية الملك ، بل ان هــــذا التأثير اخـــد يظهر بالفعل . ومن تخطيـــط سياســـة الملك الراحل وتطبيق جلالة الملك الحســـن الثانـــي ستستمر هذه الرابطة فيما بين العرش وتنمو وتقوى وتحصن الملك وتركز كيان الدولة على اسس متينــــة لتحتفظ بحصانتها امام جميع المؤثرات التي تتنافـــى مع واقع المغرب وبيئته وخصائصه ومميزاته . وتلك هي القواعد التى تقوم عليها مذهبية محمد الخامـــس والتي ستقوم عليها مذهبية خلفه جلالة الملك الحسن الثانـــى .

وبلا الخطوب فكان ليث عرينة ... وجلا الكروب فكان سيفا ماضيا
وغزا القلوب فكان اطهر مالك ... ساس البلاد فكان برا حانيا
سقوا له فى كل قلب روضة ... واسقوه من فيض الولاء هواميا
انفقت عمرك فى الجهاد فلم تهن ... يوما ولم تنعم بعيشك صافيا
ونهضت تسبق الزمان فقصرت ... خطواته فبقى ، وكنت الماضيا
اعزز على بان توسد فى الثرى ... وبلف فى الاكفان نضوا عاريا
بعد المواكب والرفاهة غضة ... والحب فيضا والجلال مواتيا
لولا يد الله التى نوهى القوى ... مدوا الى النعش المهيب اياديا
لو دام للمفجوع عقل لاحتمى ... بالصبر واحتمل المصاب الداهيا
ولقن الصبر الحزين اذا ارتجى ... بعد الفقيد منى وعيشا باقيا
كيف السلي عن حبيب خلفت ... اثاره اعمالا تعيد الماضيا
هذى مآثره ستبقى بعده ... لذعا وزندا للفجيعة واريا
من بات بعدك من عواقب دهره ... فى مامن كان الغوي اللاهيا !
لا العيش بعدك يا بن يوسف سائغا ... رغدا ولا الايام بعد زواهيا

* * *

يا قصر ودع من ألف لقاءه .... يودبع حب لن يزورك ثانيا
كم رجعت ابهاؤك الفيحاء فى ... اعياده الكبرى خطابا واعيا
وشهدت افواج الوفود تعج فى ... جنباتك الخضراء سيلا طاغيا
من للمحافل لامعا فى افقها ... تضفي عليها من حجاه معانيا ؟
من للمنابر يعتلي صهواتها ... رعدا يجلجل او هزارا شاديا ؟
من للعروبة والحنيفية التى ... اعززت جانبها وكنت الحاميا ؟
من ينصر الضاد التي اعليتها ... ورعيتها ويصد عنها العاديا ؟
انت الفقيد وكل شيء فاقد ... يستوكف الدنيا عليك مآقيا ؟
علمت شعبك كيف يبني مجده ... الغالي لانك كنت فيه البانيا

وداع

القصيدة التي ألقيت بين يدي جلالة الحسن الثاني بكاء على والد الشعب الراحل المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه.

للشاعر : محمد الحلوي

لاتفل بعد اليوم دمعا غاليا ... فالكون اصبح ادمعا ومراثيا
عمبب جفونك ان حبست دموعها ... ونكلف نفسك ان رأيتك ساليا
انى لاسمع كل صوت زفرة ... حرى وانظر كل شيء باكيا
والموت افجع مايكون اذا عدا ... فاصاب من قهر الزمان العاديا
وبنى فاخلص فى البناء لامة ... كان الامين لها وكان الهاديا

* * *

خف النعاة بمونه وكانهم ... موتى فكذبت النفوس الناعيا
حتى رأت الارض مادت رجفة ... والفوم صرعى والعبون سوافيا
فجنوت افتبل المصاب بعبرتي ... واحمل النفس القضاء القاضيا
لله داء حل جسمك لم يكن ... الا الحمام له دواء شافيا
لهفى على الملك المسجى حوله ... نطس الاساة يجيل طرفا ساجيا
دبت اليه مباضع مسنونة ... أدمت فخلفت الفلوب دواميا
اعجزت آي الطب بعد ظهوره ... بالمعجزات وما عدمت الفاديا
لو تفتدي لفداك شعبك كله ... مسترخصا فيك النفيس الفاليا
لكنه الموت الدي نسقى به ... قسرا ونعجز أن نرد الساقيا

* * *

حجوا اليك – كما عهدت – ليرفعوا ... بدل التهاني الخالصات تعازيا
حجوا اليك – كما عهدت – ليرفعوا ... بقلوبهم نعش الجلالة عاليا
يا رافعين رفات اعظم ماجد ... سكن القلوب وظل فيها ثاويا
أيضم هذا القبر من ضاقت به الـ ... ـارض الفضاء بطولة وتفانيا ؟



ربنـــا ونقبــل دعـــاء

هكذا قال جلاله المغفور له وهو يقبل الحجر الاسعد

ما زلت تخترق الصعاب محصنا — بالله والايمان درعا واقيا

حتى بلغت بنا مقاما اصبحت — تهفو العيون الى سناه روانيا

فوضعت اعباء الجهاد امانة — حملتها الحسن المليك الثانيا

وجمعت هذا الشمل بعدك ملما — جمعته حبا فكنت الواقيا

سيظل فقدك فى القلوب مرارة — منسوبة مادام ذكرك باقيا

وتظل روحك مشعلا يقتادنا — ويضيء للوطن الظلام الداجيا

ما كنت احسب ان اقوم بموقفي — هذا لانسدك القوافي راثيا

وانا الذي خلدت شعري باسمكم — ووضعته بفم الحداة اغانيا

* * *

ابا المحاسن لن تخفف فقدنا — لابنك الا ان نراك الواليا

فتقود شعبا لابقيم على الاذى — يوما ولا تخشى الظلوم الباغيا

يبكي على الملك الفقيد منيعا — ويزف للحسن الملك تهانيا

فعلى ابنك المرتضى من ربه — رحماته الكبرى تسح غواديا

ولاسرة الملك الفقيد وشعبه — وبني العروبة فى المصاب تعازيا

في 1961\2\28 — محمد الحلوى

من اقتدار . لقد رايت منه اثناء ازمات العهد البائد والاصطلاء بحر المكائد والشدائد ، ما يثلج الصدور ، ويبهر الناظر ، من غيرة على الوطن ، واخلاص للشعب ، ودفاع عن الحقائق ، وذياد عن الكرامة ، وكفاح من اجل السياده ، ثم وجدت منه اثناء المحنة الكبرى خير معين على اجتياز صراطها ، واكبر مساعد على حمل اثقالها ، فكان البار باخونه ، الحاني على اسرته يؤسيهم في الوحشة ، وينسيهم الم البعاد والغربة ، ويجد اللذة في مرضاتهم ، وينشط في قضاء حاجاتهم ، ويزيدهم بثباته وصبره ايمانا مع ايمانهم ، كل هذا مع شديد حنينه الى بلاده ، وتتبعه لسير الاحداث فيها ، ويقينه بان العاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين . ولا غرو فقد ربيته على تعاليم الاسلام ، وطبعته بمكارم الاخلاق ، وادخلته في روعه الجد والرجولة ، وعلمته ان اللذة الحقيقية انما هي في خدمه الوطن ، والسهر على مصالح سكانه ، ثم اخذته بالتدريب ، وعجمت عوده بالتجربب ، فلم تخب فيه الظنون ، ولا بدا منه غير المرجو والمامول . ورأى الشعب منه ما رأيت ، وعلم مثل ما علمت ، حتى قسم واياي فيه الراى وشاطرني النظر ، فنما في قلبه حبه ، وعظمت في نفسه الثقة به . واني في هذه الساعة العظيمة ادعو الامة الى شد ازره ، وتعليق الامل عليه ، فقد اعطى القوس باريها ، واسكن الدار بانيها . ولنجعل من تفتها بنا ثقة به ، ومن التفافها حولنا التفافا حوله وتوجيها اليه ، فانا شهيد على اخلاصه ، ضامن لنصحه وجميل وفائه .

عنوان اشراق البداية

وان بشائر الرضى وآيات القبول ان تقترن في هذا الحادث السعيد ثلاثة اعياد ، وتلتئم ثلاث مسرات : مسرة بعيد الاضحى المبارك الذي هو عيد الاسلام الاول ، وموسمه الاجل ، ومسرة بعيد ميلاد الامير الذي كان فاتحة نهضة وبادرة يقظة ، ومسرة بعيد تنصيبه الذي طالما كان امنية البادي والحاضر ، ورغبة القاصد والصادر . ولا جرم ان اجتماع هذه المسرات بهذه الاعياد سينسيكم ذكرى الواقعة التي حلت بنا في هذا العيد منذ اربعة اعوام ، يوم نفينا من البلاد ، وابعدنا من عرش الآباء والاجداد . فالحمد لله الذي مسح ءاية الباطل باية الحق ، ومحا بصبح الحرية والانعتاق ظلام العبودية والرق .

وها نحن باستجابتنا لرغبتك ، خطونا خطوه كبرى في تقعيد قواعد الملك ، واقامة بنيانه على اساس متين . فهذا التنصيب الذي لن يخفف شيئا من عبء الامانة التي طوق الله بها عنقنا ، سيزيد ولا شك من مسؤولية ولي العهد ، ويقوي عونه على خدمه البلاد واهلها اكثر من ذي قبل . وهو داخل في اطار تنظيم الدولة العام الذي كنا وما نزال حريصين على تحقيقه ، وابرازه في احسن مظاهره واكمل وجوهه . فقد عاهدنا الله على ان لا ندخر وسعا في تحسين احوال الامة واصلاح نظم الحكم فيها ، وآلينا على نفسنا ان نصل سواد الليل ببياض النهار في العمل على نفعها ، والسعي في جلب الخير اليها والى آخر رمق من حياتنا ، محافظين على ما انحدر الينا من ماضينا المجيد من القواعد السليمة ، والعادات القويمة ، ومقتبسين من احسن ما اهتدى اليه المصلحون في الحاضر من القوانين التي تبسط الاحكام ، وتقيم العلائق بين الرئيس والمرؤوس على صرح التعاون والمودة والاحترام ، بهمة لا تعرف الملل ، وعزيمة لا يتطرق اليها الكسل ، حتى نصل بشعبنا الوفي الى دروة الكمال ، ونبلغ به مصاف الدول الديمقراطية العظيمة .

الوصية : عليك بسنة رسول الله

وانت يا بني ،

ها قد افاء الله عليك من عوارف انعامه ، واضفى عليك سوابغ قبوله واكرامه ، والف بين القلوب على حبك واطلق الالسنة بمدحك والثناء عليك، فاحمد الله الذي شرح للايمان صدرك ، ورفع بالاخلاق قدرك ، ونشر بالتضحية في الخافقين ذكرك . واياك ان تحيد عن صراط الاسلام القويم ، او تتبع غير سبيل المومنين ، فانه لاعدة في الشدائد كالايمان ، ولا حيلة في المحافل كالتقوى . واعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وتقرب منه بالاعمال الصالحة ذراعا، يتقرب منك توفيقك باعا ، واجعل القرآن المصباح الذي تستضيء به اذا ادلهمت الدياجي واشتبهت عليك السبل ، وليكن لك في رسول الله وصالحي الخلفاء اسوة حسنة ، اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده .

جلالة محمد الخامس يلبي رغبة شعبه باسناد ولاية العهد الى ابنه سمو الامير مولاي الحسن

في يوم الثلاثاء 10 ذي الحجة 1376 الموافق 9 يوليوز 1957 القى جلالة الملك محمد الخامس الخطاب التالي بمناسبة تنصيب صاحب السمو الملكي الامير مولاي الحسن وليا لعهد المملكة المغربية ، ويتضمن هذا الخطاب وصية خالده من جلالته الى ابنه وولي عهده .

شعبنا الوفي

نتوجه اليك بالخطاب في هذه اللحظة السعيدة من تاريخنا الوطني ، فنشكرك على ما اعربت عنه ونعرب في مختلف المناسبات من تعلق باهداب العرش الشريف ، والالتفاف حول ملكك الذي استحوذت على جملة تفكيره ، وهيمنت على كافة نشاطه . فاصبح لا يفكر الا فيك ، ولا يسعى الا في اصلاح حالك ، واعزاز جانبك ، ورفع مستواك . وان هذه الثقة التي ما زلت توليننا اياها لهي النبراس الذي نهتدي بسناه في حل ما يعترض من المشاكل ويواجه من الازمات ، متفائلين معها بالمستقبل السعيد والعيش الرغيد ، متحققين من الوصول بالبلاد الى ما تصبو اليه من ازدهار ورخاء ، وتتوق اليه من مجد وعظمة ورقي وكمال .

رغبة شعبية تلقائية

ولقد سرنا كل السرور ما تقدمت به من ممنيات وافصحت عنه من رغبات ، باسناد ولاية عهدنا الى نجلنا البار الامير مولاي الحسن اصلحه الله . وكان السرور اتم ، والفرح اعم ، لكون هذه الرغبة جاءت تلقائية عاطفية وجدانية ، دفع اليها شعور باطني عميق واحساس نفسي نبيل ، وان الامة المغربية اجمعت عليها من غير استثناء ، ممثلة في مجلسها الوطني ، واحزابها السياسية ، وهيئاتها العلمية ، ومنظماتها النقابية ، ومؤسساتها المهنية ، وجماعاتها الشعبية . فطيلة اسابيع ، تلقى القصر الملكي ءالاف العرائض والرسائل والبرقيات ، في تأييد الملتمس الذي تقدمت به حكومتنا في هذا الشأن ، حتى صارت قضية ولاية العهد بمثابة استشارة شعبية تلاقت فيها اماني الملك والشعب في نقطة سواء . فازاء هذه الرغبة الملحة والملتمسات القوية ، قررنا تنصيب ابننا الامير مولاي الحسن فيما رشحناه له صغيرا تنصيبا شرعيا قانونيا ، فهو ولي عهدنا ، ووارث عرشنا ، والقائم بامر الملك ، والمضطلع برئاسة الدولة من بعدنا .

مولاي الحسن اهل للاضطلاع بمسؤوليات ولاية العهد

ولم نكن نشهد الله لنقدم على توليته واسناد بيعة العهد اليه ومسؤوليته ، لو علمنا انه غير اهل له ولا كفء للنهوض باعبائه ، فاننا ان فعلنا ذلك نكون مسؤولين امام الله والتاريخ عما يظهر منه من تهاون ، ويقع من اخطاء ، ولكننا رشحناه لولاية عهدنا منذ الصغر ، لما لاح لنا فيه يومئذ من مخايل الصلاح وبوادر الاستقامة ، ثم التقت اليوم رغبة الامة مع رغبتنا فيه بعدما لمسنا جميعا فيه من حزم ، وانسنا من عزم ، وعلمنا ما له من غيرة ، وعرفنا ما له من حنكة ، ورأينا

دافع عن حوزة الوطن

اوصيك بالمغرب بلدك الكريم ، ووطنك العظيم ، مستقر الجد والوالد ، ومستودع الطارف والتالد ، خميلتك التي ارتاضت بنسائمها رئتاك ، ونعمت من محاسنها مقلتاك ، ونعمت بالحانها شفتاك ، فحافظ على استقلاله، ودافع عن وحدته الجغرافية والتاريخية. ولا تتساهل في شيء من حريته . ولا تتنازل عن قلامة ظفر من تربته . واياك ان تقبل المساومة على امنه وسلامة سكانه . واذا داهمته الاخطار ، او تهددته الاعداء . فكن اول المدافعين ، وسر في طليعة المناضلين. كما ارتني يوم تعرضت معي للبلاء ، فبدوت بطلا كامل الرجولة ، شهما تام المروءة . واخترت معي من اجل هذه البلاد شظف حياة الشرف على رغد عيشة الاستخذاء . وارجع بين الفينة والاخرى الى التاريخ يحدثك عن همم اجدادك ، وعزائم اسلافك . وكيف اخلصوا النية لله في هذا الوطن وحياطته من الاهوال والاخطار ، فجندوا الجنود ، واعدوا العدد لاسترجاع مراسيه وتحصين ثغوره ، ودرء الطامعين وصد المغيرين . فكن يا ولدي خير خلف لخير سلف . ولتكن عملك لوطنك ومحافظتك على استقلاله ووحدته امرا تقتضيه منك شرف المسؤولية وتفرضه عليك تقاليد الاسرة في آن واحد .

كن من الشعب والى الشعب

وكن يا بني ديمقراطي الطبع سمح الميول والنزعات فانت تعرف ان اسلافك الاكرمين ما وصلوا الى الملك قهرا . ولا اقتعدوا العرش قسرا . وانما كان تقدمهم الى السلطان ضرورة دعت اليها مصلحة الوطن العليا آوى منهم الشعب الى ركن ركين . ولاذ بحصن حصين . واجتمعت عليهم كلمته بعد ما وزعتها الاهواء . وشتتها الفتن . فحموا الذمار . ونفوا العار . واجتهدوا في رتق الفتوق . ورأب الصدوع . وحماية البلاد من المطامع ، ووقايتها مما يهددها من اخطار . متعاونين مع امتهم . مقتسمين واياها الحلو والمر . والسراء والضراء . فاحرص يا ولدي على تتميم رسالة اسلافك ، والمحافظة على الامانة التي من اجلها دعوا الى الملك ، وتبوأوا اريكة السلطان ، وكن من الشعب والى الشعب ، يسعك ما يسعه ، ويضيق عنك ما يضيق عنه . ولا تبخل عليه براحة ، ولا تضن عليه بمجهود . وآثره على قرابتك الوشيجة ، وبطانتك المقربة ، فانه اسرتك الكبرى ، وعشيرتك العظمى . وتذكر جدك الحسن الاول كان عرشه على ظهر فرسه، لكثرة تنقله في البلاد ، ومشيه في مناكبها ، متفقدا للرعية ، سامعا للشكاة ، مستأصلا لجراثيم البغي والفساد .

زلة الملوك لا تقال

فكن للناس بمثابة الاب الرؤوف ، والام الرؤوم، ترحم الكسير ، وتحنو على الصغير ، وتقضي الحاجات، وتعين على النائبات ، وتدخل الفرح بالرعاية والعناية على القلوب .

واعلم يا بني ان الحكم خطة يبتلي بها الله من يشاء من عباده ، فواجد قدرها ورعى بها الحقوق وصان الحرمات ، فرجحت بها كفته ، وكان من المفلحين ، وآخر بطر بها واستأثر ، وطغى واستكبر ، فخف بها ميزانه ، وكان من الاخسرين اعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ، فكن من الذين رجحت كفتهم ، ولا تكن من الذين خفت موازينهم ، ولن يتأتى لك ذلك الا اذا اخذت من امرك بالحزم ، واستعنت على الرأي بالعزم ، وعملت عمل اليوم في يومه ولم تؤخره الى غد ، وعظم من عظم في عينك بالحق ، وصغر من صغر بالباطل ، وبدأت بالاوكد قبل الاكيد ، وقدمت الاوجب على الواجب ، فانه لا تقبل النوافل حتى تؤدى الفرائض ، وبدأت بنفسك قبل ان تتجه بالنصح الى غيرك ، وكنت مخلصا في سرك وعلانيتك ، عادلا في رضاك وغضبك مقتصدا في يسرك وعسرك ، مسويا بين الرعية في الحقوق والواجبات ، فانك منهم بمنزلة الاب وهم بمنزلة الابناء . واحذر من المزالق قبل وضع القدم ، فان زلة الملوك لا تقال .



جلالة الملك الراحل فى طريقه لاداء صلاة الجمعة ـ يحيي بيده الكريمة
ووجهه الطلق جماهير شعبه الوفى

والنجم الذي هوى

للشاعر
إدريس الجائي

ما رعزع الارض نـاع مىلما فعـــلا   لما نعى النجم ىهوى والقضـآ نــزلا
ىا لىت ىنعري ـ وقد جلت مصيبتنا   من ىملك الصبر ؟ ـ انالصبر قد حذلا
لـو اسعف الدمع اطفانـا بـه لهبا   بين الضلوع ـ ولكن دمعنـا جفـلا
نمىنى الهونىا من الهـم الـىقيـل ولا   ندري الى اىن اذ نزجى الخطى عجلا
لم ىحمل النعس ملكـا كان سيدنـا   بل الحبىب الآب الرحمـان والبطـلا
ولا طوى اللحـد فى احنىائـه ملكـا   بـل كوكبـا قدسيا فجـاة افــلا
كـم لىلة من لىالـى النحس قاتمـة   حنـا علىنـا بىنوشا يبعث الامــلا
فبدد النحس وجـه مىنرق ويـــد   بىضـاء نمحق فى ظلمائـه زحــلا
فعاودنىا مـن الآمـال بارقــة   وسـاغ مـر المئاسـى غبهـا وحـلا
وكـم سلونـا بـه عن كل فاجعــة   فكيف نلقـى بهـا فى فقـده قبــلا
لا ما طوى اللحد ملكا بل طوى ملكـا   سـواه ربـك مـن انـواره رجـلا
طوى الحلىم على بـؤس ومقــدرة   طوى الكرىـم الذي بالروح ما بخـلا
طوى النقـي النقـي الذيـل طهـره   مـن طهر الانبيـاء الغـر والرسلا
طوى الحكيـم الدي يهديـه بارئـه   بىن المهاوي فـلا يخشى بها الزلـلا
طوى الحبيب حبيب الشعب اسكنه   من الفـؤاد سواد القلب والمقــلا

كن باسرتك الصغرى بمنزلتي منهـا

يا بنــــي

وانت اليوم كبير الاسره المالكه وعماد صرحها وكما تقتضي ولايتك لعهدي ان تخلفني في الامة تقتضي منك ان تخلفني في اسرتي. وان لهذه الاسرة عليك من الحقوق مثل الذي للامة عليك ، فكن امينا على مجدها ، غيورا علـى شرفهـا . حفيظا لسؤددها وعزها ، وصل رحمها وحقق امانيها . ولب في دائرة المعروف رغائبها و مطالبها ، واعمــل على ان تكون مثلا اعلى لامتك علما ونبلا ، واستقامة وفضلا ، واوصيك على الخصوص باسرتك القريبة . وبطانتك الوشيجة ، من اخوان واخوات ، وامهــات . وكل مــن يلابسنا في حياتنا الداخليــة ، ويقاسمنــا معيشتنا البيتية الخاصة ، فهؤلاء كن منهم بمنزلتــي منهم . تجبر خواطرهم ، وتدخل السرور على قلوبهم ، وتجعل عزك عزهم ، وسناءك سناءهم . ولا تستأثــر بشيء مما افاء الله عليك الا ما جعله القانون خالصــا لك من دونهم ، ولا تنس يا ولدي ان المغرب من بلدان الاسلام وانك واحد من المسلمين ، فضع نصب عينك تلك الاخوة السامية التي بشر بها الاسلام ودعا اليها ، وبين حقوقها وواجباتها ، وبــذر حباتهــا في قلــوب معتنقيــه ، حتى اصبحوا بنعمته اخوانا ، وان تباعدت انسابهم وتناءت ديارهم . ولا تنس ما حاط دينـــك هذه الاخوة به من سماحة وسجاحة ورحابــة صدر . وسعة فكر وبر واقساط حتى مع الذين لا يعتنقونه . فاحرص يا بني على تثبيت دعائم هذه الاخوة وتقويــة اواصرها ، وكن والمسلمين كالبنيان المرصوص يشــد بعضه بعضــا ، وكن شديد الاهتمــام بقضاياهــم . تنصرها في المحافل الدولية ، وتدافع عنها في المجامع الاممية ، واعمل على ان تجعل من المغرب بحكم موقعه الجغرافي صلة وصل بين الشرق والغرب واداة ربط بين الحضارتيـــن العربية والاوربيـــة .

يا بنــــي ،

هذه نصيحتي اليك اقدمها لك امام الملا جهارا بعد ما اسررت بها اليك مرارا وتكرارا ، ويقينــي انك ستعمل بها لما اعهده فيك من حسن السمع وجميــل الطاعة ، ورضاي يا ولدي يحفك في حالــك ومآلك . ودعواتي الصالحة تلاحقك في حلك وترحالك ، ورجائي في الله سبحانه وتعالى ان ينير بصيرتك ، ويطهـــر سريرتك ، ويسدد خطاك ويهديك سبيل الرشاد .



منحت جامعة القاهرة جلالة المغفور له اثناء زيارته الاخيرة للجمهورية العربية المتحدة شهادة الدكتوراة الفخرية ويرى جلالته فى الصورة يلقـي خطابا بهذه المناسبة جاء فيه :

« انكم بهذا تجددون عهودا زاهرة للتعاون العلمي بين بلدينا يوم كانت جامعة الازهر وجامعة القرويين نلقيان اشعتهما القوية على العالم » .

غبظ العدى من تساقينا محبته — وفاض قدرهم من غيظهم وغلا
فدبروا امرهم واستكبروا وعتوا — لكن راحلنا للخطب ما انخذلا
استعذب النفى والتشريد محتسبا — ماكان للخطب هيابا ولا وجلا
بل كان يومن بالله القدير وبالشعب — الكبير دعاه دعوة الجفلى
فكان ان كتب النصر المبين له — وغاص اعداؤه فى خزيهم خجلا

لله يوم اتى الشعب منتصرا — سوف اغلى امانينا لنا ذللا
لله خمس سنين حلم ثانية — ما ان رأيناك حتى قيل قد رحلا
فى ذمة الله والتاريخ مضطجع — فى كل قلب يناجى الله مبتهلا :
رحماك ربي – لو حملتنا جبلا — لكان اهون عبئا للذى حملا
ولو بلينا باكباد لنا مزقت — لما عدمنا الى بعض العزا سبلا
لكنما ضعضعتنا اليوم داهية — ام الدواهى – فامسى خطبنا الجللا

يا راحلا عقد الامجاد الوية — وكان للمنقذى اوطانهم مثلا
هبت للدخلاء الشعب اذ رجعوا — واليوم نخرج منهم كل من دخلا
رحلت عنا قرير العين اذ رحلوا — فكان يوم الجلاء المرتجى اجلا
هى المنية ما ابقت على احد — ممن اساء وممن احسن العملا
وما خلقنا لنبقى خالدين هنا — فطين آدم فان مثلما جبلا
لكنما المثل العلياء خالدة — خلود راحلنا من جسم المثلا
لم يقطع الموت حبل الله من يده — بل بابنه الحسن الثاني قد اتصلا
ومن يمت تاركا للشعب عاهلنا — ما مات لكن توارى اذ سما وعلا

مليكنا المجتبى ، نحو الامام بنا — حتى نشيد مجدا فى العصور خلا
الحب يجمعنا ، والعزم يدفعنا — والرزء الف شمل الشعب اذ شملا
انا جميعا يتامى ، فالعزاء لنا ، — صبرا جميلا ، وخير الصبر ماجملا

وما نشأ عن ذلك من اتحاد في القلوب ، وتجاوب في الافكار ، وتوافق في ميادين التضحية والاستبسال في سبيل المثل العليا ، وان الملك الذي يقف اليوم فخورا بما قام به من واجب نحو وطنه وامنه ، ليشعر بعظيم الغبطة وكبير الاعجاب بمواقف شعبه النبيل ، وما بذله هو الاحر من عمل دائب ، وجهاد مستمر ، في سبيل القضية المقدسة ، قضية الوطن وحريته واستقلاله » .

(18 نوفمبر 1956)

جلالته ينصح الوزراء ...

« على وزرائنا الكرام ان يتقوا الله في الرعية ، ويدبروا شؤون البلاد على اساس فصل السلط والعدل والمساواة ، واحترام الكرامة الشخصية ، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، والقضاء على الامتيازات بجعل القيمة الشخصية والكفاءة والنزاهة اساس الوظيفة العامة » .

(17 دجنبر 1955)

... والعمال ...

« هدفكم الاول ان تعملوا على استئصال جذور الجور والاستبداد ، اذ بهما هلاك الامم وخراب العمران (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون) وتعملوا كذلك للقضاء على كل نوع من انواع التفرقة حتى يسود الاتحاد والتعاطف والاخاء بين الافراد والجماعات ، وليعلم كل واحد منكم انه راع في عماله ، وكل راع مسؤول عن رعيته ، تعرفوا حاجيات الشعب ورغائبه واسعوا في ارضائها ، فالرفق والعدل والاحسان تستمال القلوب ، وتتمكن الطاعة في النفوس » .

(19 دجنبر 1955)

... والقضاة ...

« اذا كنتم مطالبين بان تكونوا مثالا للاستقامة والنزاهة في وظيفكم كقضاة ، فانتم مطالبون اكثر من ذلك بان تكونوا مثالا في التقوى والورع لبقية الناس ، حتى تقوموا بمهمتكم الدينية احسن قيام وتكونوا قدوة لغيركم ، واذا كان اتصافكم بوصف القضاء يوجب عليكم الاتصاف بالنزاهة والاستقامة ، فانكم في العهد الجديد مطالبون بذلك اكثر من ذي قبل ، لانكم تمثلون الشرع الشريف الذي يتعين على القائمين بشؤونه ان يكون لهم مركز في الاجتماع لا يجاريهم فيه احد ، وذلك بالقيام أحسن قيام وعلى اكمل وجه بخدمة مصالح الناس ، وخصوصا مصالح المحاجير والايتام والعجزة من النساء والرجال »

(19 مارس 1956)

... والنظار

« لا يخفى عليكم ما هي قداسة مؤسسة الاحباس التي احاطها السلف الصالح بسياج من الوعد والوعيد، ولذلك جمعناكم بمناسبة تعييناتكم في مناصب النظارة لنذكركم بهذه القداسة التي يتعين ان لا تغيب عن اذهانكم طرفة عين .

فالحبس كما لا يخفى عليكم نوع من الصدقة ، والصدقة قربى وزلفى من الله تعالى ، وهو عمل تعبدي لا يراد به الا وجه الله سبحانه ، يستمر به نفع الناس على توالي الايام ، وتعاقب الاجيال .

وليس الناظر الا الحارس الامين على الشيء المحبس ، فاذا كانت الشريعة تطالبه بصيانة متمولاته الخاصة ، فانها بالاحرى تطالبه بصيانة متمولات المحبسين الذين حبسوها وقفا على مصلحة العباد ، من طلبة العلم والقائمين بشعائر الدين ، والمعوزين والفقراء وعابري السبيل .

فعليكم بالسهر على صيانة الاحباس صيانة تحفظها من الضياع والتداعي واغتصابها من طرف الغير ، وعليكم سلوك النزاهة في امر مستغلاتها وريعها حتى يتوصل من حبست عليهم بحقوقهم في ذلك الريع، حسبما تتلقونه من وزارتنا الخاصة بذلك » .

(29 مارس 1956)

جلالته يدعو الى تشييد صرح الاستقلال الاقتصادي والعدالة الاجتماعية

« يجب علينا أن نذكر دائما ان الاستقلال السياسي انما هو وسيلة لبلوغ غاية ابعد واسمى الا

من تراث محمد الخامس

منـذ تبوأ الملك الراحل ــ قدس الله روحه في الجنة ــ عرش اسلافه الاكرمين وهو يواصل العمل ليل نهار لاسعاد شعبه ، والنهوض بوطنه ، مهتما بكل قضية من قضاياه ، دقيقة كانت او جليلة ، فكان كما قال ، وحقا ما قال ــ **« عندما حملت امانة قيادة الشعب المغربي ، وجدت نفسي مضطرا للعمل في عدة ميادين ، سياسية واقتصادية واجتماعية ، وقد خضت المعركة في كل هذه الميادين دون تردد ، واستطعت بتوفيق الله وتأييد شعبي ان اتغلب على كل العراقيل التي اعترضتني ، والصعاب التي واجهتني ، واخط لوطني مستقبلا واضحا سويا »** .

وكان جلالته ــ طيب الله ثراه ــ الى جانب اهتمامه بشؤون بلاده وامنه ، يولي نفس العناية لقضايا التحرر والعدالة والسلم في كل مكان ، لا يفتأ يناصر هذه القضايا ويدافع عنها بكل ما اوتي من حول وقوة ، في جميع المحافل وفوق كل المنابر التي اتيح له ان يتسنم ذروتها .

وحسبنا ان نأتي في هذه العجالة للذكرى والتاريخ بمقتطفات ــ هي غيض من فيض ــ من تصريحاته الذهبية وكلماته المأثورة ، برهانا على ان خطبه ورسائله تشكل لامته من بعده سجلا خالدا ينم عن مدى الغيرة التي كانت تعتلج في صدره الكريم ، **« فالايام** ــ كما قال نور الله ضريحه ــ **نمر ، والاشخاص فانون غير خالدين ، وافضل الناس من خلف بعده ذكرا حسنا واثرا طيبا تذكره به الاجيال القادمة ، والتاريخ شاهد عدل ، ولسان صدق ، فليعمل كل واحد على ان يتحدث عنه التاريخ اطيب حديث »** .

ومن اولى في عصرنا الحديث ان يتحدث عنه التاريخ اطيب حديث من محمد الخامس؟

محمد الخامس يزف الى شعبه بشارة الاستقلال

« جرت ونحن في ضيافة فرنسا مذاكرات بيننا وبين حكومتها حول القضية المغربية في جو من الود والتفاهم وحسن الاستعداد ، افضت الى اتفاق على المبادىء العليا ، والى الحكومة المغربية المقبلة ستسند مهمة التفاوض مع الحكومة الفرنسية ، وتلك بشرى يطيب لنا ان نزفها اليه في هذا اليوم الميمون : بشرى انتهاء عهد الحجر والحماية ، وبزوغ فجر الاستقلال والحرية »

(18 نوفمبر 1955)

جلالته يحدث شعبه عن مسؤوليات الاستقلال

« يتحتم ان لا يغيب عن اذهاننا جميعا ان ما احرزنا عليه من مقومات السيادة والاستقلال يكلفنا اعباء ثقيلة ، ومسؤوليات جسيمة ، يكلفنا الاتزان والتبصر في شؤوننا ، صغيرها وكبيرها ، ويقتضينا ان لا نخل بما لنا من حقوق او علينا من واجبات ، ويتطلب منا اكثر من ذلك العزم الذي لا يفل ، والارادة التي لا تلين ، في حفظ كيان الدولة ، سواء بالسهر على سلامة ترابها ووحدته ، او بالسعي لتبوئها المقام اللائق بها بين دول العالم واممه ، ولن يتحقق لنا هذا الا اذا كان رائدنا في جميع حركاتنا وسكناتنا خدمة الوطن ، وهدفنا السعي وراء مصالحه » .

(7 مارس 1956)

جلالة يشيد بتجاوب العرش والشعب

« ان الله لم يتم علينا وعليكم هذه النعم الا بما كان من الانسجام الكامل بين العرش وبين الشعب ،



جلالته يقتبل زعماء موريطانيا ، ويباحثهم فى مشاكل هذه القطعـة العزيزة من تراب الوطن التي اغتصبها الاستعمار .

وهي الاستقلال الاقتصادي والتحرر الاجتماعي ، وان التحرر الاجتماعي الذي ننشده لامتنا يهدف الى حماية الفرد من البؤس والبطالة وآفات الشغل والمرض وعوارض الشيخوخة ، وتلك اهداف لن نتوصل الى تحقيقها الا بانتهاج سياسة التشغيل ، والعمل على تنمية الموارد الاقتصادية ، واستثمار الاموال المتجمدة ، وتنظيم الاعمال الانشائية فى دائرة تصميم محكم يراعى حاجيات البلاد فى الظروف الراهنة، كما يحسب لازدياد عدد السكان حسابه فى المستقبل ، ومن جهة اخرى لابد من ايجاد تشريع اجتماعي يبين حقوق الماجورين ويضمنها ، ويرمي الى نشر العدالة الاجتماعية فى الحواضر والبوادي » .

(1 ماي 1956)

اهتمام جلالته بالاصلاح الفلاحي ...

« لعل ابرز مظهر من مظاهر الثورة الاجتماعية التي نود تحقيقها فى البلاد ، هو الاصلاح الفلاحي بما فيه توزيع الاراضي على صغار الفلاحين ، والتجهيز الفلاحي الفني المتمثل فى استخدام احدث الوسائل العصرية وجلب المياه باقامة السدود ومد القنوات وما الى ذلك » .

(27 شتنبر 1956)

... والشؤون الصحية ...

«ليس بخاف على احد ما للصحه من اهمية فى بلد فتي كالمغرب، يسير قدما فى طريق الرقي الاجتماعي والتقدم الاقتصادي ، ويتطلع الى مستقبل باسم سعيد ، فالصحة بالنسبة الى وثبته الجديدة ضرورة حيوية ، اذ لا يمكنه ان يترقى ويزدهر ، ويحقق كل امانيه الغالية ، ومطامحه العزيزة الا اذا كان مستواه الصحي رفيعا ، وكان ابناؤه ذوي بنيات قوية سليمة تمكنهم من التفكير الصائب والعمل المنتج ، وتتعهد اسباب النهضة بالتجديد والتحسين ، لذلك اولينا قضايا الصحة كل ما تستحق من عناية » .

(18 ابريل 1959)

... وتعميم التعليم الديني ...

« منذ نيطت بنا مهمة قيادة هذه الامة ، ونحن كما تعلمون جادون دون فتور فى اعطاء الناحية العلمية ما تستحقه من عناية فائقة واهتمام كبير ، على انه اذا كان اهتمامنا يتوجه بصفة عامة الى تعميم التعليم بجميع انواعه وفروعه بمملكتنا الشريفة ، فانه بصفة خاصة يرمي الى تعميم التعليم الديني وبسطه فى كل ناحية من نواحي البلاد ، خدمة لديننا الحنيف ، وقياما بالواجب المفروض علينا فى نشره على اسس متينة من المنطق الصائب والمعرفة الصحيحة ونور اليقين » .

(25 شتنبر 1956)

... وتوفير الثقافة ...

اذا كان المغرب فى حاجة الى ثقافة تشمل سائر الميادين ، فان الجهود تتبذل دون فتور لتهييء جميع الوسائل الضرورية لذلك ، وسيظل عاملا على ايجاد الاطار الكافي المتلائم وعهد الاستقلال القادر على الاضطلاع بمهام الادارة والتسيير ، لا فى الميدان الاداري فحسب ، بل وكذلك فى غيره من بقية الميادين الصناعية والاقتصادية والفنية ، ضمانا لحياة البلاد وانتظام سيرها ، وتحصينا لسيادتها واستقلالها ، كما ان من واجب المغرب ان يتوفر على رجال البحث والاختراع، حتى يساهم فى تقدم العلم والحضارة ولهذا فنحن عازمون على ان نقيم بجانب الجامعات المغربيه مؤسسات ومعاهد للابحاث العلمية والتقنية وبذلك يتدارك المغرب ما فاته فى الميدان العلمي والتقني ، ويعيش حياة مسايرة للعصر الذري . ولتحقيق هذه الاهداف ، صار من الضروري اعادة النظر فى التعليم ومناهجه، بما فيه التقليدي والحديث ، لان كليهما اصبح فى الحقيقة قديما لا يفي بمتطلبات العصر الحاضر ، ووجب علينا ان نصرف الجهود الى اقامة تعليم يعطي الاسبقية للعلوم التقنية التي اصبح لها المقام الاول فى عصر الكواكب الصناعية » .

(21 دجنبر 1957)

تاييد جلالته للجامعة العربية

« غني عن البيان ان المغرب دوله عربيه ، صلتها وثيقه بالشرق العربي . فمن الطبيعي ان يزداد هذا الاتصال متانه وقوة ، سيما وقد اصبحت الجامعه العربيه تقوم بدور مهم في السياسة العالمية » .

(10 ابريل 1947)

جلالته يدعو لتحرير القارة الافريقية

« ان القاره الافريقية التي تنتمي اليها مملكتي ، تعتبر يقظتها اعظم حادث وقع في القرن العشرين ، وقد اخذ شعورها الوطني ينمو ويتمكن . وهذا أنسب وقت يتعاون معها العرب فيه على اساس من الحريه والمساواه . ولكنه اذا اراد الاستمرار في حكمها بالاساليب الاستعمارية العنيفه ، فسيضيع فرصة من من الفرص الحيويه بالنسبه لتطور هذه القاره والمصالح العليا للطرفين »

(9 دجنبر 1957)

... ولقيام علائق طيبة بين الدول

« نحن المغاربة نقدس قيام العلائق الطيبة بين الدول والشعوب ، ونستمد هذا التقديس من ديننا الحنيف الذي ينظر الى الناس على انهم سواسية ، لا تفرق بينهم سوى اعمالهم الحسنة ، سواء باعتبارهم افرادا او مجموعات .

واذا كانت العلائق الدولية ما تزال تتعرض للارتجاج من آن لآخر ، واذا كان التوتر يبلغ في بعض الاحيان مبلغ تهديد البشرية كلها بالشر المستطير ، فان القيم الروحية التي تدعو الى سيادة التعاون والمحبة والتسامح والخير هي الرجاء الذي يعلق عليه الناس اكبر الآمال » .

وان في طليعه المبادىء التي يقوم الاسلام على اساس منها والتي ترتفع في عيون المغاربة الى مقام التقديس الروحي ، المحافظة على السلم وتوطيد العلاقات الودية بين الناس والامم ، واحلال التعاون والموده في سائر الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية محل التطاحن والتباغض والتطاول » .

(4 دجنبر 1957)

وهذه المجلة ...

لقد كانت هذه المجلة التي توجد بين يديك ايها القارىء الكريم محط تقدير وعنايه فائقين من جلاله الملك الراحل محمد الخامس رحمه الله الذي كان يولي لشؤون الفكر والثقافه حظا وافرا من عنايته واهتمامه . وما هذه المجله الا ثمرة من غرسه المبارك ، ونورد فيما يلي نص الكلمه القيمة التي صدر بها جلالته العدد الاول منها .

... والقضايا الوطنية الكبرى
وحدة التراب

« انه لا توجد بالنسبه الينا اية حرية جديرة بهذا الاسم ومقبولة من النفوس الا في دائرة وحده التراب القومي وعدم قبول اي تجزئة فيه » .

(15 فبراير 1956)

... الجــلاء ...

« ليس يخاف اننا لم نفتأ ـ منذ استرجع المغرب استقلاله ـ نضع في مقدمة اهتمامنا قضية وجــــود الجيوش الاجنبية المختلفة فوق تراب مملكتنــــــا ، عاملين على جلائها دون قيد ولا شرط » .

(24 مارس 1960)

... مــوريطــانيـــا ...

«اننا لم يكن يخامرنا شك في تعلق اهل موريطانيا بنا وحنينهم الينا ، فمنذ قرون طويلة ونحن واياهـــم شيء واحد ، الف بين قلوبنا الاسلام، ووحدت السنتنا اللغه ، وجمعتنا سلالة واحده ، وعوائد وطبائـــــع متشابهة ، وضمنا جميعا وطن مشترك بيننا : هــذا المغرب العزيز .

ولقد اتى علينا حين من الدهر طغى فيه على بلادنا عوامل خارجية . فمزقت وحدتها، وقسمتها الى شمال وجنوب وصحراء ، ومناطق اخرى مختلفة الاسمـــاء والتبعيات ، ولكننا بدأنا اليوم ـ ولله الحمد ـ نجمع الشمل ، ونوحد الكلمة ، ونصل ما أمر الله بــــه أن يوصل » .

(28 مارس 1958)

... الصحراء المغربية ...

« اننا سنواصل العمل بكل مـــا في وسعنـــــا لاسترجاع صحرائنا وكل ما هو ثابت لمملكتنا بحكـــم التاريخ ورغبات السكان ، وهكذا نحافظ على الامانــة التي أخذنا انفسنا بتأديتها كاملة غير ناقصة ، الا وهي ربط حاضرنا بماضينا، وتشييد صرح مستقبل مزدهر ينعم فيه جميع رعايانا بالسعادة والرفاهية والهناء » .

(25 فبرايـــر 1958)

... تزويد البلاد بالمؤسسات الديمقراطية

« ان تاسيس هذا المجلس (المجلس الوطنـــي الاستشاري) لحدث عظيم بالنسبة لبلادنا بل انه مــن اهم الاحداث التي تمت في عهد الاستقلال ، ونحن لا ندعي له اكثر من كونه خطوة اولى نحو الهدف العالي المنشود ، أما هذا الهدف الذي لن ندخر جهدا مـــن تدبير الشؤون العامة ، في دائرة ملكية دستوريــــة ، تضمن المساواة والحرية والعدل للامة افرادا وجماعات حتى يتم بذلك خلق ديمقراطية مغربية بناءة تتفق مع ديننا الحنيف الذي جعل الناس سواسية كاسنـــــان المشط ، ومع القرآن الكريم الذي جعل الامر شـــورى بين المومنين ، ومع تقاليدنا الوطنية التي لم تعرف مـــن انظمة الحكم غير أمامه الاسلام القائمة على العـــــدل والمعاملــة بالحسنى للجمـــع »

(12 نوفمبر 1956)

دفاع جلالته عن الجزائر الشقيقة

« ما أشد الالم الذي يغمر الانسانية اليوم ممـــا يجري في الجزائر الشقيقة . ان عقلاء الفرنسييـــــــن والعقلاء في كل مكان والضمير العالمي ليستصرخــون الذين بيدهم حل المشكل الجزائري ليعجلوا بايقـــاف اراقة الدماء والشروع في ايجاد حل لذلك المشكل يمكن من بناء علاقات قويمة بين الطرفين، قوامها تلبية مطامح الشعب الجزائري في الحرية . واحترام المصالـــــح العليا لفرنسا وضمان مصالح الفرنسيين الذين اتخذوا من الجزائر دارا » .

(25 سبتمبر 1956)

اهتمام جلالته بقضية فلسطين

« نحييكم اخواننا (اللاجئين) ونجدد تأييدنـــــا وتضامننا معكم . ونعلن لكم ان قضية فلسطين التـــي نعدها من قضايانا الوطنية ستبقى كما كانت في طليعةما نهتم به من قضايا العروبة والاسلام » .

(29 يناير 1960)

بنيت بروح شعبك عرش ملك

لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء

الى م تظل تلسعنا الجراح ؟ ؟ — وفيم تبيت تنهشنا الرماح ؟ ؟

وهل فى المغرب العربي يوما — سينقطع التوجع والنواح ؟ ؟

وهل من بعد ضائقة وعسر — بما قد نشتهي تجري الرياح ؟ ؟

لنا فى كل زاوية نحيب — لنا فى كل حادثة صياح !

الا يا خطب ، هل عقباك نعمى ؟ ؟ — وهل يا ليل يصدعك الصباح ؟

روابا .. بعضها برقاب بعض — توالى ، ما يرد لها جماح !

نفوس بالجزائر عانيات — تمزقها البنادق والصفاح !

وفى الخضرا (حدود) لا تراعى — وفى الخضرا ، (عهود) تستباح ؟

وليث الاطلس الجبار يطوى ؟ — فتطوى فيه ءامال فساح !

قضى ، فتخاله ما عاش يوما — كأن الموت فى الدنيا مزاح !

كأن غدوه ما كان الا — مداعبة يكدرها الرواح !

* * *

امير المومنين ، غدوت شلوا — ولم تفد المروءة والسماح !

امير المومنين ، قضيت لما — قضى بحياة امتك الكفاح !

وانك ما تركت الشعب حتى — تركت الشعب يحميه السلاح !

وانك ما تركت الملك الا ... — لمن يسمو بهمته الطماح !

الحمد لله

إنه من آكد الواجبات المنوطة بنا في نهضتنا الشاملة أن نضاعف عنايتنا بالناحية الروحية والفكرية، ونعمل على تحرير العقول من قيود بعض التقاليد والأوهام التي لا تتلاءم والمفهوم الصحيح لتعاليم ديننا الحنيف

إن حرصنا على الاعتصام بحبل الدين والتشبث بمبادئه والسير على سننه ليعد أهم العوامل الأساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين، بالرغم مما اعترض سبيلنا من عراقيل وما منينا به من أهوال وخطوب، وسيظل عاملا أساسيا في تحقيق أهدافنا المنشودة كأمة تتوق إلى حياة راقية كريمة

ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا وطيد الأمل في أن يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء

وعسى أن تسلك مجلة «دعوة الحق» سبل النجاح والتوفيق والسلام

محمد بن يوسف

صدى الفاجعة في صحف العالم

في الصحافة العربيـة

كتبت جريدة الايام التي تصدر بالاقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة مقالا طويلا حول جلالة الملك الراحل محمد الخامس بقلم الاستاذ سعيد التلاوى جاء فيه ما يلى :

فجع العالمان العربى والاسلامى فاجعة اليمة بانتقال حضرة صاحب الجلالة الملك محمد الخامس يوم الاحد الماضى الى الدار الآخرة فى سن مبكرة وعلى غير انتظار . فجمدت الدماء فى العروق وزاغت الابصار فى الرؤوس من هول الفاجعة وعظم المصاب وتلفت العالمان العربى والاسلامى . وتلفت الاحرار فى كل مكان نحو المغرب الاقصى فى حرقة ولوعة لما حل بذلك القطر المجاهد ولما حل بالشمال الافريقى الذى كان الراحل العظيم من دعائمه القوية بل لما حل بالحرية . والانسانية والعدالة التي كان ملك المغرب قطبا من اقطابها البارزين فى زماننا الحاضر وجيلنا المعاصر .

لم يكن ساكن الجنان محمد الخامس ملكا من الملوك الذين نعرفهم فى الزمن القديم بل كان ملكا من الملائكة ولم يكن له من الملك سوى سهر الليل وعذاب النهار وثوب من الملبس الخشن وسبحة من الخشب يذكر بها اسم الله عز وجل ويستعين به على مقارعة الاستعمار فى المغرب وتدبير امور الرعية . وكان من السلف الصالح فى صلاحه وخروجه من الدنيا ، وكان من بقية السيوف فى بطولته ورجولته وكان العنوان الفاضل لقادة الامم والشعوب وطنية وحماسة وحزما واقداما . كان الملك الذى اشتمل عليه الموت فى لمحة خاطفة مجموعة من المزايا والسجايا لو اجتمعت فى امة من الامم لكانت خير امة اخرجت للناس .

فى الصحافـة الفرنسيـة :

نشرت جريدة لوموند فى احد اعدادها الاخيرة مقالا تحت عنوان « لم يسبق لمحمد الخامس ان كان اكثر شعبية مثلما ظهر بعد موته » نقتطف منه ما يلي :

لقد تجمع الشعب المغربي عن بكرة ابيه ليلتقي اللقاء الاخير بملكه . وكانت طبقات الشعب كلها ملتفة حول النعش .. كان هناك التاجر الصغير ، وفلاح الغرب . والضرير الذى يتسول عند مدخل الحي العربي .. كانوا كلهم يذرفون الدموع الغزيرة ويندبون عزيزهم داخل السور وخارجه ، فى الشوارع وفوق السطوح والنوافذ وحتى فوق الاشجار .. لقد ظهر الم رجل الشارع وحزنه من خلال نظراته وعبراته المنهمرة وكأنه وجد نفسه فجأة بدون سند ..

انه المغرب فى حداد .. انه حداد الطبقات البورجوازية والفلاحين ، وصغار الصناع .. حداد استوى فيه جميع المواطنين .

وعندما تعالت اصوات المصلين فى مسجد حسان امام نعش الملك الراحل ، كانت جميع المساجد فى المدن والقرى والسهول والجبال تردد صلاة الجنازة .. لقد كان ذلك هو الفوز الثاني لمحمد الخامس بعد ان حقق ظفرا مجيدا عند رجوعه من المنفى ، ولم يخطر ببال احد ان يتجدد فى يوم من الايام ذلك الظفر بمثل تلك الروعة . لكن موت محمد الخامس ابرزت بصورة ساطعة هذا الفوز الثاني الذى فاق كل فوز وتعدى كل نصر .

وكتب الاستاذ شارل اندريه جوليان Charles André Julien العميد السابق لكلية الآداب وصديق المغرب . مقالا عن شخصية جلالة الملك الراحل فى صحيفة France Observateur نقتطف منه هذه الفقرة :

بنيت بروح شعبك عرش ملك (دعامته) العدالة والصلاح !
وسست بحكمة وسداد رأى بلادا ظل بكلؤها النجاح !
وواتتك الحظوظ فلم نضعها .. واسام الدنيا .. فرص تتاح !

* * *

امير المومنين – لو استطعنا – لكان لنا على القدر افتراح ! !
فكل الناس فى بلواك خرس وكل الناس السنة فصاح !
فان تدع الجزائر فى سقاها فليس عليك فى هذا جناح
لنا – فى المغرب الاقصى – جناح و – فى الخضرا – لنا ابدا – جناح !
فنم بجوار ربك مستريحا مع الشهدا – هناك – كما استراحوا

« في سنة 1927 اختير الملك الشاب محمد الخامس من طرف المقيم العام الفرنسي تيودور ستيك Theodor Steeg ليخلف اباه على العرش ، وكان المغرب آنئذ في مفترق الطرق ، فحرب الريف اظهرت بوضوح المطامح الوطنية وتصميم المغاربة على تحقيقها ، وليوطي قد رفض خضوعه لادارة رصيف اورسي في باريس ، ودعم سيطرته على البلاد ، وكان النظام الذي وضعه ليوطي يستبعد الاهداف الروحية ويتشبث بالوسائل لذلك اصبحت الحماية في الواقع استعمارا، ولكن عظمة محمد الخامس تتجلى في حفاظه على كرامته كانسان وكملك طيلة حياته وخلال احلك الساعات ، وفي الحقيقة كان العامل الذي حدا بالمقيم « ستيك » الى اختياره اعتقاده بأن محمد الخامس هو « العلوي » الاكثر مسالمة وانصياعا الا ان محمدا الخامس ظهر مهتما بالسياسة ومتعاطفا مع مطامح شعبه ، واذ كان من المتعذر عليه المطالبة بالاستقلال في اول الامر فقد حرص — في ظل الحماية — على الدفاع عن امتيازات العرش وسلطانه رغم الضغط والتهديد الذي كان يتعرض له من طرف الجنرالين : جوان وكيوم ، وكان سنده في مقاومته ايمانه القوي العميق ، لقد كان محمد الخامس يعتبر نفسه اماما وخليفة لله بجانب شعبه .

واني لاذكر الآن مقابلتي له خلال شهر مارس 1953 عندما كان ماسكا سبحته وكأنه يبحث عن الوحي الالهي ليحدد اختياره ، لقد كان ملكا واماما في نفس الوقت ، والواقع ان النفوذ الواسع الذي كان يتمتع به الملك محمد الخامس يرجع في اساسه الى الكيفية التي كان يستجيب بها لاداء رسالته بصفته شريفا من سلالة النبي محمد .

وبقدر ما كان — رحمه الله — متشبثا بالتقاليد ، بقدر ما كان متفتحا متقبلا للافكار الجديدة ، وان التعليم الذي اتاحه لابنائه — وبخاصة لبناته — غير مبال بمعارضة الرجعيين ، ليدل دلالة قوية على سعة بالتقدم العلمي » .

وعندما تقابل مع الرئيس روزفيلت في الدار البيضاء اظهر له حزنه لكون بلاده لم تتوفر بعد على مهندسين واختصاصين تقنيين ، مما يظهر تعلقه بالتقدم العلمي » .

وقد نشرت صحيفة الاكسبريس L'Express مقالا لمبعوثها الخاص كلود كريف تحت عنوان : «موت الاب » جاء فيه :

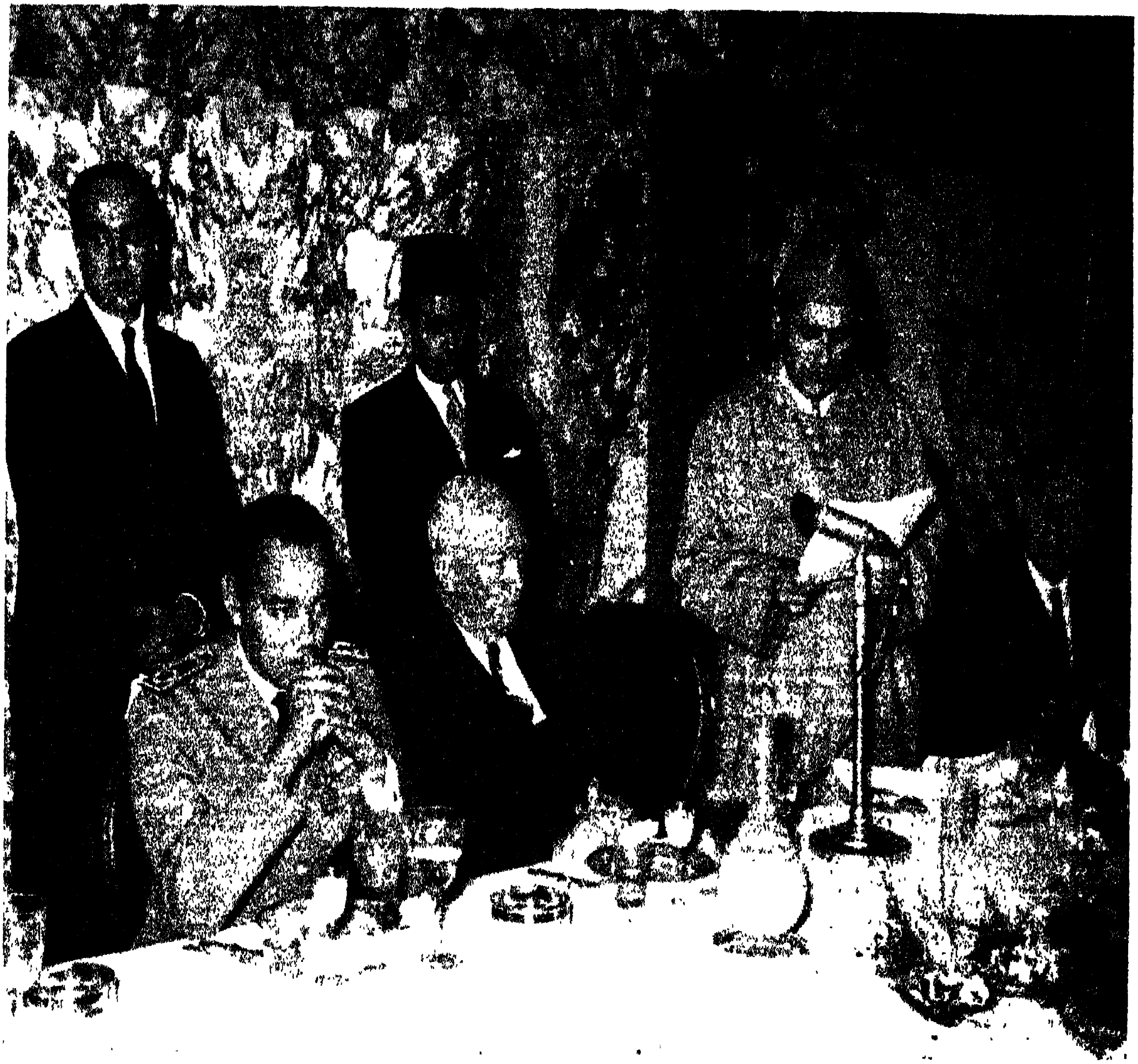
« عاشت مدينة الرباط منذ يوم الاحد الماضي في جو كله حزن ولوعة وحسرة ، وكانت الرباط مقصد الآلاف من الفلاحين والعمال الذين غادروا البادية وتوجهوا راجلين او على الدراجات والسيارات نحو قصر محمدالخامس، اما بقية الشعبالتي لم تكن تتوفر على وسيلة للتنقل فقد تجمعت وبكت محمدا الخامس الذي ادمت وفاته المفاجئة قلب المغرب .

لقد امتلأ المشور — رغم الحرارة والصيام — بجماهير غفيرة كانت تتزاحم متجهة نحو ضريح مولاي الحسن حيث وضع جثمان محمد الخامس ، في هذا المكان بالذات استقبل الشعب المغربي منذ خمس سنوات خلت عاهله العظيم الذي عاد منتصرا من منفاه السحيق بمدغشقر اما اليوم فان الحزن يجثم على كل القلوب ، وقد تجمعت النساء سافرات في نفس الساحة يندبن ملكهن الراحل ، وقد افقدتهن الفاجعة السيطرة على حواسهن — .. فكنت ترى الشيوخ يضربون الارض بارجلهم ، والنساء يسقطن مغميا عليهن وكانت سيارات الاسعاف تطوف دون توقف لتحمل المئات من الاشخاص الى المراكز الصحية التي نصبت في كل مكان .

وانه لمن الصعب معرفة ما اذا كان قد تقدم في التاريخ مثل لهذا الحداد .. ولكن الشيء المؤكد هو انني كنت امام شعب فقد اباه .

والواقع ان محمد الخامس كان بالنسبة لشعبه الملك الذي يكفل له العيش ويسهر على راحته ، ويحميه من قساوة الحياة ونوائب الدهر ، ويمكن القول بأن محمدا الخامس اصبحبالنسبة لشعبهقديسا تملأ ذكراه كل الافئدة .

ولفهم مكانة محمد الخامس — يجب الوقوف عند شخصيته ودوره التاريخي ، فقد استطاع عندما نفي الى مدغشقر ان يجسم — في نظر شعبه — ثورة الاسلام وتقاليده وان يحمل لواء الحرية والتقدم ، كما كان يمثل بلاده في وضع اسس متينة لحياة جديدة .



جلاله المغفور له محمد الخامس أثناء اجتماعه بايزنهاور الرئيس السابق للولايات المتحدة الامريكية عندما زار المغرب في السنة الماضية ، والجدير بالذكر انه قد تم خلال هذا الاجتماع القصير الوصول الى اتفاق حول جلاء القوات الامريكية عن المغرب جلاء تاما ، ويرى جلالته يلقي خطابا فيما بعد مأدبة الغذاء التي اقامها جلالته على شرف الضيف الكبير جاء فيه:

« نأمل ان تكون رحلتكم عاملا فعالا في زيادة التقارب والتفاهم والتعاون بين الامم وان يكون من عواقبها تثبيت السلم وتحقيق مطامح الشعوب المكافحة في سبيل حريتها وكرامتها » .

كان يحتل فيه العاهل الراحل مكانا ممتازا وكذا العالم الاسلامي بأسره الذى كان من اوفى ابنائه واكرهم بدينا وتمسكا باهدبه .

ان التاريخ لن ينسى هذا الرجل الافريقي العظيم انه لن ينسى انه كان صانع الاستقلال المغربي وانه استطاع ان يجمع حوله شعبا بكامله .

لقد كان رمزا للوحده الوطنيه كما كان ملكا حكيما تمكن من قياده شعبه والسير به وسط الاعاصير فى عالم تتنازعه المذاهب المتناقضه .

وكان دبلوماسيا مبصرا استطاع ان يحمل العالم على احترام دوله الفتية وان يفرد لها فى المحافل الدوليه مكانا قمينا بنضجها وان يضعها فى الاطار الافريقى الذى ينتمى اليه بالقلب والروح .

فى الصحافــة الامريكيــة

كان لنبا وفاه المغفور له محمد الخامس صدى الم فى جميع ارجاء الولايات المتحده . وقد اعربت كبريات الصحف الامريكية فى مقالاتها الافتتاحية عن اساها لهده الفاجعه وعن املها فى ان تستمر الصداقة والعلاقات الوديه بين الولايات المتحده والمغرب

ومما قالته صحيفه ـ واشنطن بوست ـ فى مقالها الافتتاحى :

ان العلاقات التي تربط بين المغرب والولايات المتحدة الامريكية هي علاقات ودية كما تشهد بذلك الزياره التي سبق ان قام بها لامريكا فى عام 1957 الملك محمد الخامس رحمه الله وكذلك زيارة الرئيس ايزنهاور للمغرب فى 1960 .

ولقد اظهرت الولايات المتحده اهتماما انسانيا فى مساعده المغرب على الفور باستقلاله . ان الملك المغفور له محمد الخامس كان رجلا وطنيا وقائدا متبصرا حكيما . ولا شك ان الجميع يشاطرون اسى جلالة الملك المغربي الجديد الحسن الثاني الذي اصبح يضطلع بمسؤوليات جسيمة ويجابه عددا من المشاكل الباهظه

وكتبت صحيفة ـ نيويورك تايمس ـ تقول :

كان الملك محمد الخامس رحمه الله يحظى باحترام الملايين من ابناء شعبه ولئن عاونه آخرون فى تكوين صوره المغرب المستقل الحديث فانه يمكن القول ان الحماية الفرنسية قد تحطمت على صخرة صبره وايمانه وثقته . وقد قيل انه كان يحب ان يذكر للفرنسيين انفسهم مواقف كبار المفكرين الفرنسيين المتحررين عن موضوع احترام الحرية الانسانية

لقد كان الملك الفقيد حس فطري للقيادة الرشيدة وخاض مع شعبه كفاحا مريرا استمر سنوات عديدة فى سبيل الاستقلال .

فى الصحافة الانجليزية

علقت جريده (التايمس) الانجليزية على وفاة جلالة محمد الخامس فوصفته بانه الرجل الذي يدين له المغرب باستقلاله وبانه من بين الملوك القلائل الذين لم يملكوا فحسب . بل امسكوا بايديهم زمام الحكم كذلك .

وفى مقال اخر كتبت نفس الجريدة تقول : لقد غدا الملك محمد الخامس احد الاعمده التي يقوم عليها الصرح الافريقي ، ليس فقط بسبب انتمائه الى اسرة عريقة فى الملك وبعوده ممارسة السلطان او لكونه كان فى نفس الوقت ملكا وحاكما ، بل لكون سمعته كانت ترتكز على مواهبه الشخصية .

ووصفته جريده (الدايلي تلغراف) المحافظة بانه كان وطنيا وبانه لعب دورا كبيرا فى حصول بلاده على الاستقلال .

اما جريدة (الكواردبان) الحره فقد قالت من جهتها ان الملك محمدا الخامس كان هو الزعيم الدي لا ينازع احد فى زعامته . والدي كانت تتجه نحوه انظار الاقطار الحديثة العهد بالاستقلال .

فى الصحافة الاسبانية

تحدثت جريدة (أ.ب.س.) عن الالم العميق الذى اصاب الشعب المغربى من جراء وفاة ملكه محمد الخامس وقالت فى معرض حديثها عن جلالته ان جلالته كان يشكل بالنسبة للمغرب عنصر الاستقرار السياسى وان وفاته حلت فى وقت يجتاز فيه القارة الافريقية فترة عصيبة وان الشعب المغربي كان يبتهل الى الله ان يشد ازر جلالة الحسن الثاني ويعينه على اقتفاء اثر والده المعظم الدى لاند له ولا نظير

وخصصت جريدة (اريبا) مقالا ضافيا لحياة محمد الخامس . كانت عباراته ، كلها اطراء وثناء . ومما جاء فى هذا المقال ان اسبانيا كانت الى جانب الاقطار الاسلامية فى مقدمة الدول التي حزنت لموت محمد الخامس .

وقالت فى مقال آخر . ان محمدا الخامس اعد ابنه مولاي الحسن ليخلفه بعد موته وأشركه فى ادق القرارات التى اتخذها لانه كان يريد ان ينقل اليه دوره كرمز للوحدة الوطنية . وان يهيئه لمواجهة المشاكل التي عليه ان يواجهها من مشاكل اقتصادية ورفع مستوى الحياة وتكوين الاطر الادارية والساسة الافريقية العويصة الخ . . .

اما جريده « اسبانيا » فقد افردت احد مقالاتها لجانب من جوانب حياة الملك الراحل هو حلمه وروحه المسالمة وطيبوبة نفسه . فكتبت تقول ان محمدا الخامس كان منذ ان خرج الى الدنيا رجلا مسالما وانه استطاع ان يواجه ادق الحالات واعوصها بصبر عظيم المنال وانه كان يعف عن مقابلة العنف بمثله .

فى الصحافة النمساوية

كتبت جريده (كوريير) النمساوية تقول : ان موت محمد الخامس خسارة عظمى منى بها العالم العربي وخاصة الشعوب الافريقية واضافت تقول كان محمد الخامس من اكبر القادة المحبوبين فى افريقيا وكان يتوفر على نفوذ لاحد له ولا حصر ليس فى المغرب فحسب بل وايضا ابعد من حدود بلاده .

فى الصحافة الالمانية

كتبت جريده (نيوزدويتشلاند) وهى اهم الجرائد التى تصدر فى الجمهورية الالمانية الديموقراطيه تقول ان محمدا الخامس كان يناصر سياسه التعايش السلمي وكان من بين رؤساء الدول والحكومات الافريقية الذين اتخذوا فى مؤتمر الدار البيضاء خلال شهر يناير الاخير مقررات هامة بصدد الكفاح التحررى الذى تقوم به القارة الافريقية لتتحرر من ربقة الاستعمار والاستعباد ولتاييد الشعب الكونغولي فى كفاحه من اجل الاستقلال .

فى الصحافة الافريقية

كتبت جريدة (الوحدة الافريقية) التي تصدر بالسنغال تقول . لاسع المرء وباللاسف الا ان يتأسف على هذه الخسارة العظيمة التى اصابت الدولة العلوية الشريفة والشعب المغربي وجميع العالم العربي الذي

جلالة الحسن الثاني خير خلف لخير سلف

في الخطاب الذي ألقاه صاحب الجلالة المنعم محمد الخامس عند ما زار طنجه لاول مره سنة 1947 ورد ذكر سمو الامير الحسن ملقبا بولي العهد للمره الاولى وما من شك في ان الدوائر الاستعمارية التي اهتزت حنقا يومئذ لتلقيبه بولي العهد من غير ان تكون لها في ذلك رأي قد كانت تظن انه حتى وان آل اليه العهد فعلا في يوم من الايام سوف تكون في وضع لا يختلف عن وضع ابيه الدولي حينئذ . واقصى ما كانت تخشاه ان تواجه منه جلالته اسد اذ انه من جيل احدث يجمع الصفات من الحلم والمروءه قل ان اجتمعت في فرد .

ومن عجب ان اغلب تلك الدوائر لا تزال موجوده والتي انتقلت من الرباط الى باريس او غيرها من المناطق الفرنسيه والخاضعه للنفوذ الفرنسي . وان هذه الدوائر هي اليوم تتظاهر بالافتنان في تقديم مواعيد التأييد لجلالة الحسن الثاني الذي اهتزت حنقا منذ اربعة عشر عاما ... بمجرد ان لقبه والده وليا للعهد في دوله ما فتئت يومئذ تحت الحماية .

على ان طائفة اخرى من الفرنسيين وان تكن قليلة معدودةالافراد، تشعراليوم من غير شك بهذاالفرح الغامر ونخوة الاعتزاز الذي يوشك ان يبلغ مستوى الغرور ان اصبح عرش المغرب وهو قاعدة من القواعد المهيمنة على مصائر افريقيا والمؤثرة تأثيرا ظاهرا وارنا في تطورات العالم العربي واحداثه يتبوأه الملك الشاب الذي منحه بعض هؤلاء شهادة الباكالوريا بتفوق منذ اربعة عشر عاما . ومنحه بعضهم الآخر شهادة الليسانس في الحقوق منذ عشر سنوات ثم الدبلوم الاول في القانون الدستوري بعد ذلك بعام واحد ، ذلك بانه عندما يقول الناس فيما يتحدثون عن شؤون المغرب وعن الشؤون الدوليه : فعل جلالـه الملك الحسن الثاني او قال ، لا يملك كل واحد من هـذه الطائفة ان يمسك نفسه من ان يستحوذ عليها غامر من البهجـه والنخوة . فالذي يتحدث عنـه لـه في تكوينه عمل واثـر .

وما من شك في ان جلالته الملك الحسن الثاني يشعر من جانبه بالكبير من الفخر والاعتزاز كلما تذكر احد اولئك الاساتذة الذين استمع اليهم فيما بين سنة 1941 وسنة 1947 ، في المدرسة التي انشأها والده له ولاخوته واخواته ولمن يتصل بهم من ابناء الاسره والشعب الى جانب القصر او استمع اليهم بعد ذلك في السنوات الاربع التي قضاها في كلية الحقوق بجامعة « بوردو » فهو منذ ان تفتحت عيناه الى النور وهو يدرك ادراكا ينمو مع مداركه وينضج مع وعيه ما للعالم من مكانة دونها كل رفعة وعزه . وآية ذلك انه ما كاد يبلغ بواكير الحداثة حتى اخذ يستقبل الحياة العلمية موجها من والده العظيم . بالسعي من اجل تعميم الثقافة في وطنه وتيسيرها لابناء امته . وذلك بتدشين المدارس الحره ، واتخاذ حفلات تاسيسها وافتتاحها مناسبات يتصل فيها مع مختلف طبقات الشعب لينشر فيها من وعيه ، ويبلغها ما حمل من رسالة والده العظيم ، في بيان اعتزت العربية بفصاحته ونصاعته واهتزت الدوائر والعقول الاستعمارية لاصالته وبعد مقاصده وكانت مواقفه هذه من بين العوامل التي ملأت صدور الاستعماريين حنقا عليه وحقدا ، بقدر ما ملأت قلوب الشعب اعزازا لـه واعتزازا بـه .

قد عاد للقمر

للشاعر
مفدي زكرياء

مرتجلة في السفارة المغربية بتونس يوم الاثنين ١٢/٣/١٩٦١

قالوا ابن يوسف مات قلت.. وهمتم ... أيموت من حفظ البلاد من الفنا ؟
قد عاد للقمر الذي فيما مضى ... قد كان عنه انشق وضاح السنا !
ورأى البريئة لاتفي عن غيها ... فاختار في دار الخلود المسكنا !
ورأى الطغاة بأرضنا لاتنثني ... تستعبد البشر المعذب فانثنى !
ورأى المواطن تستباح ذمامها ... فاختار في قدس الملائك موطنا !
واتم في ارض الكرام بناءه .... فمضى يواصل في السموات البنا !
سر يا محمد حيث شئت فاننا ... في نيل ما سطرته لن نجبنا !
(دنيا المطامع) خلها لذئابها ... واحتل في ملكوت ربك مأمنا
واقرع محمد باب ربك ينفتح ... وادخل رضيا مطمئنا مؤمنا

ويشاء القدر ان يلهم والده وهو يتلقى البسرى بولادته فى 9 يوليوز 1929 ان يسميه باسم جده الحسن . الذي شهد المغرب لعهده حربا عوانا بين الدول التي كانت اليها مقاليد العالم وقواه فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر من اجل الاستيلاء عليه واقتسام النفوذ فيه. فكان القائد المحنك الحصيف الذي جنب وطنه وشعبه ان ينخدع او يخضع وأرى الدول المتكالبة ان المغرب لا يزال يحفظ بسيادته واعبه حصيفه تعرف كيف تحفظ له سلامته وكرامته فى تلك الحرب السياسية العوان .

وقد كان من الممكن ان يقال ان تسميه محمد الخامس ابنه باسم جده لم تصدر فيها الا عن عاطفه تقليدية . فمحمد الخامس يومئذ دون الرشد القانوني وكان لا يملك من الملك الا اسمه الذي يوقع به نيابة عنه من اقامتهم فرنسا اوصياء على عرشه . لولا انه قطع المجال على مثل هذه الظنون بان قال لفتاه فيما يسهم مع اساتذته فى تربيته ويعمل بطريقته الخاصة فى تنشئة مشاعره وانماء مداركه : —

« يا بني لقد اخترت لك من الاسماء الحسن . لاربط بين حاضر البلاد وماضيها القريب والبعيد ولتكون لك فى جدك المولى الحسن خير اسوة واعظم قدوة » ويسمع الفتى الى والده يهمس اليه بمثل هذا القول او ما يشبهه ، ويشهد منه فى بعض الاحيان حزما صارما يأخذه به اذا مال لبعض صبوات الصبا . او غفل عن واجب من واجباته الدراسية .. وما يلبث ان يباكره النجاح فينال الشهادة الابتدائية وهو فى الثانية عشرة من عمره ثم ينال الباكالوريا الثانية وهو فى الثامنة عشرة ويفرغ من دراسته العليا وهو فى الثانية والعشرين ، وفيما كان يدرج مجدا فى معارج الدراسة الثانوية والعليا كان يستوعب مشاكل وطنه واحداث العالم ويسهم مع بني قومه كواحد منهم فى ابراز تلك المشاكل ومدارستها والعمل على انهائها ، بل انه وسنه فى نحو الخامسة عشرة بدا يقوم بدور دبلوماسي دقيق اذ كان الوسيط الامين بين والده العظيم وبين الهيئات والعناصر الوطنية التي كانت يومئذ تستمد من العرش قوتها وهداها فيما تخوض معاركها الاخيرة مع الطاغوت الاستعماري العتيد ، حتى اذا كانت ازمة فبراير سنة 1951 الشهيرة وتطاول جوان على العرش بحشود من مرتزقة الغوغاء تولى الفتى الذي تخرج محاميا من كلية (بوردو) مهمة مفاجأة الاقامة الفرنسية بتدخله الشخصي وهي التي لم تجرأ ان تواجه القصر فتقنعت من دونه بالمخزن وتذهل الاقامة العامة من جراه الفتى . ثم يستبين عميدها بعد حين ان الامير الشاب الذي هتف اليه بانه قادم عليه من غير دعوة انما جاءه مدججا بسلاح قطعه مستورده من جامعة (بوردو) هي تلك المعارف القانونية التي حذقها هناك . وتصميمه موروث وراثة شرعية من جده الاكبر اسماعيل الذي حفظ التاريخ بكل تقدير واعجاب ما كان بينه وبين لويس الرابع عشر من مماكرة وقراع .

ويلج الطاغوت فى طغيانه ، وتمضي الاحداث على قدرها ويذهب الجنرال جوان ليترك مركزه للجنرال كيوم حين يبقى الشعب المغربي والعرش المغربي قوة كاسحة جارفة فى الميدان ، لا تزيدها الازمات الا احتدادا واستدادا ، ويبلغ الاحداث منتهاها فى ازمة 20 غشت 1953 ، ويركب الطاغوت راسه فيتطاول على الشعب المغربي فى مليكه وولي عهده ويجد محمد الخامس نفسه فى المنفى لا يملك من اسباب القوة الا ايمانه بالله وامله فى ولي العهد ، ويدرك ولي العهد عظم التبعة التي اصبح عليه ان يضطلع بها .. فيقوم بجانب والده العظيم التحقيق الواقعي لامله وامل الشعب المغربي جميعا ، ثم يأذن الله بانفراج الازمه ويعود الملك وولي عهده من المنفى يحملان للمغرب فى شخصيهما طوايا مستقبل عزيز كريم .

ويقدر الشعب لولي العهد ما اسداه اليه فى الميدان من كريم الجهود ويشعر بانه لو لم يكن اهلا لعهده بكفاءته الشخصية لكان حقيقا به لما بذل فى سبيله من عظيم الجهود فيلحف على والده العظيم فى ان يكمل الاجراءات الدستورية لاسناد العهد له ،



جلالة الملك الحسن الثاني أمل الشعب وعزاؤه الوحيد، وبجانبه الاميرة
للا أمينة بمنحها من عطفه ورعايته ما فقدته بوفاة والدها ووالد الشعب جلالة
محمد الخامس قدس الله روحه

الخطاب الأول لجلالة الملك الحسن الثاني

شعبنا العزيز

اخاطبك والجرح لا يزال طريا . والنفوس مـــا فتئت تذوب حسرة وكمدا على فقد جلالة ملكنا المقدس وابينا المرحوم محمد الخامس اسكنه الله فسيح جنانه الذي فاجانا المنية باختطافه ونحن احوج ما نكون اليه لاكمال الرسالة السامية التي وقف حياته على تبليغها . ولكن (اجل الله اذا جاء لا يوخر) فلا يسعنا الا التسليم والرضى بقضاء الله لننال ثواب المحتسبين الصابرين (وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انـــا لله وانا اليه راجعون) .

وبعد اليوم العظيم الذي خرجت الامة جمعـــاء تبكي فيه وتندب فقيدها الحبيب وتشيعه الى المـلاء الاعلى . وفى هذه الاوقات الرهيبة التي تتحد فيهـــا مشاعرنا . ونتجه بقلوبنا نحو الرجل الذي قاد كفاحنا . ووهب حياته لتحريرنا وترقيتنا واسعادنا، ويظهر فيها بمظهر الوفاء والجلال تفانيا فى حبه ووفاؤنا لذكـــراه - اعلن لك شعبي العزيز انني امسكت معتمدا على الله مقاليد الملك ، وتربعت على عرش اسلافي المنعمين تلبية للارادة الاجماعية التي تمثلت فى بيعتك لي ، وتنفيذا لعهد جلالة ملكنا المرحوم ، وارضاء للواجب الوطنـــي المقدس .

معاهدة الله والشعب

واننى اعاهد الله واعاهدكم على ان اضطلـــع بمسؤولياتي واؤدي واجبي طبـق مبادىء الاســلام وقيمه السامية، وتقاليدنا القومية العريقة، ومقتضيات مصلحة الوطن العليا ، كما اعاهد الله واعاهدكم علـى ان ادافع عن حوزة الوطن واستقلاله وسيادتـــــه ، واحرص على وحدته واعلاء شانه بين الدول .

المحافظة على المكاسب القومية وتنميتها

وساسعى كل السعي لاحذو حذو جلالة والدي المرحوم فى خدمة الشعب ورعاية حقوق ابنائه وحرياتهم ومصالحهم ، والمحافظة على المكاسب القومية والعمل لتنميتها ، وبذل كل جهد لتحقيق تقدم الامة وتمهيـد سبل النهوض والسعادة والرخاء امامها .

التزام وصايا وتعاليم الملك الراحل

وانه لعبء ثقيل اقدره حق قدره ، ولكني عازم على النهوض به بما يجب من الجد والحزم ، والحكمة والتبصر ، مستوحيا من روح والدي المنعم ، مقتبســا من اشعة رسالته الخالدة ، متخلقا بالاخلاق التي رباني عليها ، ملتزما وصاياه وتعاليمه سالكا مسلكه فى الحلم والعدل ، وجلب كل خير لكم ، ودفع كل اذى عنكم . واعتباري اياكم ابناء قبل اعتباركم رعايا ، مستقويـــا الضعيف حتى آخذ الحق له مستضعفا القوي حتـى آخذ الحق منه ، معتنيا بشؤونكم مدافعا عن مصالحكم وانا ملككم ، مثل عنايتي بها ودفاعي عنها وانا امير بل فرد منكم نشأ وترعرع بينكم ، وقاسمكم مشاعركـــم وعواطفكم ، وشاطركم السراء والضراء .

كل واحد خير معين

وان الذي يقويني على النهوض باعبائي ، ويجعلني اواجه مسؤولياتي متفائلا مستبشرا هو يقينـي بـان محبتكم لي ستقوي باضافتكم محبة والدي اليها ، وان كل واحد منكم سيكون لي خير معين .

ويستجيب الوالد لرغبة شعبه فيوليه العهد . وهنا يظهر المشهد البديع الذي يصور غاية الوفاء والاعتراف بالجميل فى الامير الشاب ومنتهى الاخلاص فى النصح والارشاد فى الملك الذي جمع الى حصافته الاصيلة رصيدا من التجارب هو خلاصة ما خاض من معارك مهولة وخرج منها مظفرا منصورا ، فيقول الامير لابيه مصورا كيف كان ينشئه وكيف كانت هذه التنشئه تفعل فى تكييفه وتوجيهه ..

(لن انسى ما حييت الدرس العملي الذي تلقيته منك . وانا اشرف على امتحان القسم الاول من الباكالوريا . فقد ادركت اني قد قصرت بعض التقصير فى واجباتي المدرسية فدعوتني لتلقنني درسا عظيما ، اذ سألتني عن تاريخ اجدادنا من الملوك العلويين وعن تاريخ الملك الصارم مولاي سليمان وكيف ابعد ابناءه جميعا عن ولاية العهد ، لانه لم يجد فيهم رجلا صالحا للقيام بشؤون الامة ، وعين لذلك اصلح ابناء اخيه . وقلت لي يا صاحب الجلالة لن اكون اقل صرامة وشدة من مولاي سليمان ولذلك فالطريق امامك واضحة ، وساساعدك على سلوكها ، ان امامك ثلاثة اشهر سجنا داخل المدرسة لن تبرحها ولن ترى احدا من افراد عائلتك واصدقائك حتى تؤدي الامتحان بنجاح) لقد كان هذا الدرس من اعظم الدروس التي تلقيتها فى حياتي ، علمني الاعتماد على اليقين والانقطاع الى العمل والتخلق والصبر وامتحان الضمير ..)

ويقول له الوالد : (يا بني ها قد افاء الله عليك من عوارف انعامه ، واضفى عليك سوابغ قبوله واكرامه والف بين القلوب على حبك ، واطلق الالسنة بمدحك والثناء عليك . فاحمد الله الذي شرح للايمان صدرك ورفع بالاخلاق قدرك ونشر بالتضحية فى الخافقين حسن ذكرك) ثم يمضي فى رسم معالم السلوك له يهتدي بها فى معاملة رعيته وممارسة واجباته بما يهتدي بها فى معايشة اسرته ، وما من شك فى انه اليوم وقد صار اليه الامر ، وانتقل والده العظيم الى الرفيق الاعلى يستعيد تلك النصائح فيما يستعيد غوالي الذكريات ويتمثلها دستورا لحياته كما عاهد اباه يوم صدع اليه بها وهو يوليه عهده اذ قال : اليك عهد الله يا مولاي وعهد النبوة ان اجعل ما تكرمت به علي دستوري الذي اتقيد به وديني الذي احافظ عليه الى ان القى الله) ، وانه لدستور خليق بان يملأ القلوب وهو يطبق ايمانا وفخرا ، كما ملأها يوم كان يرسم ويصدع به املا وحبا ، لذلك كان عزاء الشعب فى مصابه بالفقيد العظيم صاحب الجلالة محمد الخامس هو امله الكبير فى الوارث العظيم صاحب الجلالة الحسن الثاني .

من الذكريات الطيبة التي تحتفظ بها المجلة وتعتز بها صورة اهداها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني للمجلة فى عددها الثاني بتوقيعه الكريم مصحوبة بكلمة قيمة عن الاسلام والنهضة المغربية نورد فيما يلي نصها الكامل، اعترافا من المجلة بالجميل الذي تدين به للعاهل الكريم منذ بداية عهدها .

الحمد لله — والصلاة والسلام على رسول الله

الإسلام والنهضة المغربية

تعتبر المرحلة التي يجتازها العالم الإسلامي في الوقت الحاضر، من أهم المراحل في تاريخ الإسلام وعلاقته بالتقدم الفكري والحضاري،

فالمسلمون من جهة أخذتهم الغرة بأنفسهم نظراً لما أسداه أسلافهم الأولون بينما كسلوا فاشتد احساسهم بقيمتهم الروحية والتاريخية، وأهملوا الجهود لاستغلال مكانتهم المرموقة القديمة، والمساهمة من جديد في تطور البشرية وتقدمها مثلما فعل آباؤهم الأولون في القرون الأولى التي تلت ظهور الدعوة الإسلامية، والغربيون من جهة أخرى عُنوا عناية فائقة بدراسة الدين الإسلامي، وما يكمن فيه من قوى وإمكانات تحمل حملها في أفكار مستقبلية فريدة، فجعلتهم يخلدون ذكرا وأي ذكر في التاريخ، ويتوقعون الآن نهضة كبرى لم تعد بوادرها تخفى على أحد، ولا يلبث حتى نسمع لها صدى يعبر في نهاية هذا القرن والله يعلم،

مثل ما كان له ، اننا سنواصل السير الحثيث بالمغرب العزيز الى الامام فى طريق التقدم والازدهار ، ونحن متمسكون بما خلفه جلالة الملك المرحوم وبثه فينا من وحدة فى القلوب والصفوف وانسجام فى الفكر والعمل ، وصفاء سريرة وخلوص نية ، تلك الخصال التي ذللنا بها تحت قيادته الرشيدة كل صعب واجهناه وانتصرنا فى كل نضال خضناه وشيدنا للوطن صرح المجد والعزة والكرامة .

الشعب المجيد العظيم

شعبنا العزيز

لم تفتأ وقائع التاريخ تبرهن على ان الشعب المغربي شعب مجيد عظيم ، تزخر عبقرياته . وتترادف معجزاته ، وتتوالى آياته ، واذا كان من تعليل لبقائه على الدهر وصموده امام جميع العواصف وخروجه منها عالي الرأس موفور الكرامة فهو ما يتحلى به ابناؤه من فضائل ومروءات ، وما يسودهم على الدوام ولاسيما فى الاوقات العصيبة من اخاء وتعاطف ، وتراحم وتسامح، وتضامن وتعاون ، واجتماع كلمة ووحدة صف ، واحترام للكبير ، وحنو على الصغير ، وشدة باس وبعد نظر ، ونمسك بالقيم الروحية السامية والتقاليد السليمة ، فليحافظ كل فرد من شعبي على هذه الاخلاق ، وليبرهن على وعيه ونضجه ومعرفته بحقوق المواطنة وواجباتها ، وليحب لاخيه ما يحب لنفسه ، وليجعل الاخلاص شعاره فى العمل سواء كان موظفا او مثقفا او تاجرا او فلاحا او صانعا او عاملا ، فانما الامم باخلاقها لا بوفرة اعدادها .

وذلك ما يوجبه علينا حق الوفاء لذكرى فقيدنا العزيز . والمحافظة على التراث العظيم الذي خلفه امانة بين ابدينا .

اسأل الله ان يتغمد فقيدنا الحبيب فى اوسع رحمته ورضوانه ، ويرزقنا عليه حسن الصبر وجميل العزاء ، ويحفظ امتنا وبرعاها ، ويكون لي ولكم وليا ونصيرا .

(واعتصموا بحبل الله جميعا) (ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم)

الرباط 15 رمضان المعظم 1380 الموافق 3 مارس 1961

فهناك تشابه بين العالمين الاسلامي والمسيحي في دراسة التعاليم الاسلامية وءاثارها في أفكار المؤمنين بها، والرغبة في الاستفادة منها لايجاد الحلول الصالحة وتحقيق المثل العليا التي تسعى المفكرون الحرون في تسيير البشرية بها،

والناظر في نهضة المغرب الحديثة، المرافق لظهورها، يرى أنها نهضة تهدف الى اقامة مجتمع سليم على مثال ما دعت اليه تعاليم الاسلام النقية الطاهرة، تلك التعاليم الداعية الى الايمان بالله، والعمل على ما فيه سعادة الدارين والحكم العادل الذي يجمع الحاكمين والمحكومين من تآلف الالفة والمودة، والتعاون على تحقيق الخير للمجموع، وضمان حرية العقيدة والفكر والتصرف في حدود القانون وحماية كل ما يعتز به الانسان من أسرة ووطن وتراث مادي ومعنوي، واستثمار الموارد الطبيعية التي سخرها الله لنا، وجعل الجميع بها خلائف للانسان،

وهذه التعاليم كلها مبنية على ما ورد في القرآن من آي وأثر عن الرسول الكريم من حديث، ومتجلية في سيرة خلفائه الاسلام الأولين من خلفاء، وأئمة ومفكرين أفادوا الانسانية شتى الافادات، فما حافظوا على آثار الحضارات التي تقدمتهم وادخلوا عليها من تنقيح وتكميل، ساعد على قيام الحضارة الكبرى التي تعيش العالم في كنفها الآن،

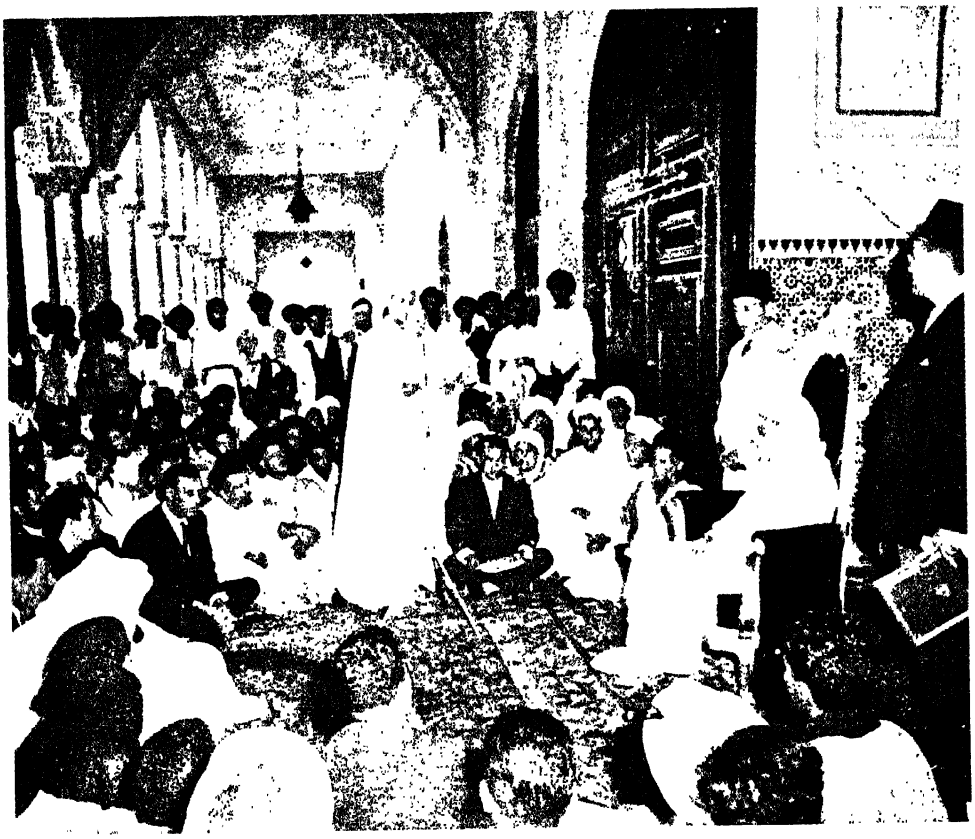
وقد وجد جلالة والدي، عاهله – وهو قائد النهضة المغربية الكبرى – الى احياء التعاليم الاسلامية النقية وبناء المجتمع المغربي الجديد على أسسها ومحاربة ما شابها وشانها أثناء فترة الركود والخمول، من أفكار رجعية



دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد الثاني - السنة الرابعة
جمادى الثانية 1380 - نونبر 1960
ثمن العدد درهم واحد

ودعايات وثنية، بعد كل الغزوات تكون ذات صلة بالإسلام، فحارب البدع
والإلحاد، ونشر المعرفة ومهد السبيل للعلم، وحمى الحريات في الاتجاهات التي
تحترم الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، وقرب المسافات بين الطبقات
الشعبية حتى لا تطغى واحدة على أخرى، ودعا إلى الأخوة الإسلامية التي لا
تميز بين الألوان واللغات والأوطان، وإلى التسامح المثالي للشعوب المختلفة بين الملل
والمعتقدات وبث روح التآزر والتعاون في نفوس جميع المواطنين، وعزم على إنشاء
حكم ديمقراطي صالح، لا غنى عنه للأمم التي تنشد هناء الأمن وعيشة الاستقرار
والشباب المغربي الذي يحيى في عصر تجدد فيه المواهب وانطلقت
الرغبات من عقالها إلى الخير ستلمع في حلبة مجالس الإسلام، ورفع الحجب عن
عن قواه المشلولة، وتيسر أن يبني تربية لصور المجهودات أعلى بكثير من الأمور
التي تروج لها الدعاة في هذه الأيام، وبهذا نستطيع أن نشارك مع المخلصين من
الشباب الإسلامي في العامل في حل أسس الأمة الإسلامية المزدهرة التي لا تسودها
بها الاختلافات، ولا تذهب بها الفتن والثورات،

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

العبرة من عيد العرش

العـــرش كان ولا يزال سندا للشعب . اكتسب نفوذه الروحي في المغرب عبر قرون واجيال بصفة امامة اسلامية ، ترعى العقيدة وتحمي الشريعة فتدين لصاحبها الجماعة بحسن الولاء والطاعة ، فتوحدت به الميول والنزعات ، فكان عنوان توحيد الكلمة ، والقطب الذي التف حوله الامة ، ورمز كفاحها وسر نجاحها . وقد كانت الميول الوطنية التي اختارت ان تجعل للعرش عيدا قوميا توحد به كفاح الشعب مع العرش بتوطيد دعائمه ونفوذه لمصلحة الشعب وضد الاستعمار الذى اراد ان يستغل نفوذ العرش للقضاء على الاماني القوميه ، نقول كانت الميول الوطنية التى اختارت هذا السبيل موفقة غاية التوفيق . فلم تضع هذه الهبة الاجماعية سدى بل صادفت محل القيادة والزعامة والبطولة والوفاء والامامة ، ذلك المحل الذى هيأته الاقدار الالاهية لقيادة هذه الامة وانقاذها من ذل الاستعمار والاستعباد هو محمد الخامس ابو النهضة ، وبطل تحرير المغرب الموفق فى قيادته وزعامته وامامته الذي ضرب بنفسه المثل ، وحقق بسعيه مع الشعب الامل ، واخذ يبني صرح المغرب المستقل بالقول والعمل ، والحقيقة ان كفاح العرش مع الشعب كان نتيجة ارتفاع المستوى الروحي الذي عمل الاسلام على تمكينه فى هذه الامة منذ قرون ، ذلك المستوى الذى يعتمد قبل كل شيء الايمان والاخلاص فى ايثار المصلحة العليا على مصالح الافراد ، وتلك هي الميزة التي ساد بها الاسلام ولا زالت سر قوته الى اليوم .

العدد الثاني
السنة الرابعة
جمادى الثانية 1380
نونبر 1960

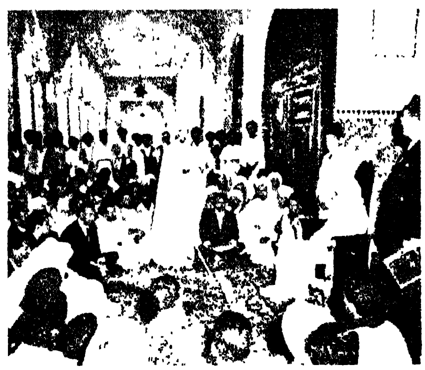
دعوة الحق

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



وفود الموريطانيين تعرب عن ولائها وطاعتها لجلالة الملك عقب مؤتمر موريطانيا الذي انعقد بالرباط

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك العادى عن سنة 1.000 فرنك ، والشرفي 2.000 فرنك فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية . وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تلفون 308.10 - الرباط

المسلمون فى فتوحاتهم الا بعزائم الايمان ودون التكافؤ فى المعدات والجيوش ، روى مالك فى الموطا عن زيد بن اسلم : كتب ابو عبيدة بن الجراح الى عمر بن الخطاب يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم ، فكتب اليه عمر بن الخطاب أما بعد فانه مهما ينزل بعبد مومن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين وان الله تعالى يقول فى كتابه يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فأوصى عمر سعدا بالصبر ومصابرة العدو والرباط والتقوى شدا لعزيمته وتقوية لمعنوياته وروحه حتى يقابل العدو برباطة جأش ووثوق بالنصر ، وكان الاستشهاد فى سبيل الله واعلاء كلمته امنية القواد الابطال فى الفتوحات لان المومنين الصادقين باعوا انفسهم من الله ومن تتبع تاريخ هؤلاء العظماء علم انهم سباقون لايلحقون فى ارتفاع مستواهم الروحي وكما كان هذا المستوى عنصرا فعالا يظفر هؤلاء فى الميدان الحربي كذلك كان عاملا هاما فى شده رغبتهم فى نشر الدعوة وتعليم المسلمين امر دينهم ابتغاء وجه الله واخلاصا للاسلام واداء للامانة العلمية التى يحملوها ، حتى يتخلصوا من وعيد كتمان العلم الذي تواترت به الأحاديث وافصحت عنه الآيات وبذلك نعلم ان انخفاض المستوى الروحي فى المجتمع الاسلامى على العموم يتحمل منه العلماء الذين لم يؤدوا مهمتهم فى تعليم المسلمين وارشادهم سخطا وافرا من المسئولية حيث صاروا يكتفون بالتاسف والشكوى على شيوع المناكر وانحلال الاخلاق ومظاهر التنكر للقيم الروحية دون ان يقوموا بما يفرضه عليهم الدين من تعريف به ونصح وارشاد لعامة المسلمين ، وان يكونوا هم القدوة الحسنة بحسن سمتهم واستقامة سلوكهم ، وان كثيرا من جماعات المسلمين تطلب من يهديها ويرشدها ، ولكنها لاتجد ممن يسمون انفسهم بالعلماء الا الاذن الصماء واذا ظهرت من عالم بادرة نصح وارشاد فان القليل من هؤلاء هم المخلصون والكثير يعيش فى الكسب من وراء عمله غافلا عن خطاب الله لنبيه بقوله « قل ما اسألكم عليه من اجر » وعن قوله « ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين » ، ان المصلحة فى الدين ايها العلماء تتطلب بذل جهود متواصلة لتدارك الحال التى فرطتم فيها انتم قبل كل احد ، ان الاسلام عاد غريبا فى ديارنا وهو يحتضر بمحضركم وانتم لاتبذلون جهودا لانقاذه واحيائه انه قد احتضر فى الاندلس ورحل عنها لما كثر الفساد والانحلال وسيرتحل عن هذه الديار — لاقدر الله — ان لم تقوموا بالدعوة والارشاد وترفعوا من مستواكم الروحي حتى تؤدوا المهمة واذكروا قول الله لرسوله المربي العظيم للامة عليه السلام « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا » ونختم هذه الكلمة بدعاء الفرقان « ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من امرنا رشدا » .

دعوة الحق

فقد جاء الاسلام بمقاييس جديدة لم تعرفها البشرية منذ امد بعيد ، جاء بقوة ترفع من شأن الروح ، وتعمل على تزكية النفوس وتطهيرها من عبادة المادة والهيام بها . وهذه القوة هي عقيدة الايمان ، فكان الايمان بالله كالغيث نزل على النفوس فاحياها فاورقت وازهرت واتت اكلها ثمرا شهيا ، وعملا رضيا ، جعل هذا الايمان من الامة العربية التي كانت موزعة الاهواء بالنزعات القبلية والشرك والوثنية ، والحياة الجاهلية ، جعل منها الايمان خير امة اخرجت للناس تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتومن بالله وكان ذلك برفع المستوى الروحي للامة فالدنيا في نظر الاسلام ماهي الا بلاغ . فقد كان الرسول يخشى على امته الفتنة في مكاسب الدنيا دون خشية الفقر مع يقينه ان الدنيا ستفتح عليهم ، كما قال عليه السلام والله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى ان تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتلهكم كما الهتهم . فكان هم المسلمين انما هو في توحيد الله وعبادته وجعل كلمة الله هي العليا . وعظمة المومن بايمانه تزداد بزيادته وتنقص بنقصانه وقوته كذلك فالايمان يتفاوت بالزيادة والنقصان حتى يوزن الرجل بعشرة من امثاله وباضعاف ذلك حسب قوته ، وتظهر قوة هذا الايمان في وقت الشدة والبلاء اكثر مما تظهر في وقت السراء والرخاء ، فآية ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين يرينا ما تفعله قوة الايمان في النفوس من رفع مستواها ومعنوياتها الى ارقى الدرجات وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ، ومعنويات الجيوش المحاربة لها وزن عظيم في الوقت الحاضر في كسب المعارك او خسرانها كما كان لها ذلك في الماضي .

ونقيم المغاربة في هذه الايام افراحا بمناسبة ذكرى الاستقلال وعيد العرش المغربي المجيد الذي اشرنا اليه ، واولى ما ينبغي لفت النظر اليه في هذا العيد الأغر هو العزائم التي عملت وثابرت على العمل حتى ادركت هذا الاستقلال ، ان هذه العزائم هي القوة الحية في الشعب التي ارتفع مستواها الروحي الى حد استرخاص النفوس وبذلها بالتضحية والفداء من اجل ادراك هذه الغاية حتى ادركتها ، والمساعدة بالمال ومواساة المنكوبين في الكفاح هي دون بذل الارواح ، واننا نسأل الذين يهيمون في هذا الشعب بخصوص رفع المستوى المادي ويرددونه في كل حين كأنه السعادة الكبرى التي يحلم بها الفلاسفة والمثاليون نسائل هؤلاء هل فكر الذين احرزوا على هذا الاستقلال في الامكانيات المادية التي توسلوا بها الى ادراكه وقاسوها ووزنوها بما كان عند المحتلين للمغرب من جنود ومدافع ، وطائرات ودبابات ، وحصون ومعاقل ، وسلطة واموال ، اظن اننا لو قسنا امكانياتنا المادية بامكانيات اعدائنا وعملنا على مقتضى وجوب التكافؤ في المعدات لما اقدمنا على خوض معركة الاستقلال ولا كسبناها ، ولكننا اعتمدنا على الله وعلى ايماننا واخلاصنا لقضية نراها من حقنا ، واعتمدنا على عزمتنا . فارتفع مستوانا المعنوي في هذا الشأن ، فادركنا النصر ، وكسبنا المعركة . والعبرة في هذا هو اننا نريد ان نعمل على احياء هذه الخصال المعنوية في نفوس الشعب حتى يحافظ على القيم الروحية التي هي عدته في الشدائد ، والتي يحافظ بها على هيبته ومكانته في التاريخ وبين الاعداء الذين يتربصون به الدوائر ، وما انتصر

ووضحنا ذلك لكثير من رؤساء الدول والحكومات وقادة الشعوب اثناء اجتماعنا بهم داخل المغرب او خارجه ، كما وضحه لهم وزراؤنا ومندوبو حكومتنا فى شتى المناسبات ، ومختلف المؤتمرات الدولية والشعبية التي حضرناها ، سيما على لسان ولي عهدنا من فوق منبر الامم المتحدة اثناء الدورة الحالية لجمعيتها العامة.

بينا للعالم اننا امة تنشد السلام ، وتسعى لتوطيد الامن فى العالم ، ونؤثر حل المشاكل وحسم الخلافات بالتفاهم .

بينا اننا متعلقون كل التعلق بالمبادىء والاهداف التي تضمنها ميثاق الامم المتحدة مؤازرون لها فى اداء رسالتها السامية .

بينا اننا من انصار الحرية لجميع الشعوب ، والمساواة بين كافة الدول ، والتعاون الحر بين الامم على ما فيه خيرها المشترك، واننا خصوم لفكرة السيطرة على الشعوب واستغلالها ، ولا نقبل مطلقا أن ينفرد الاقوياء وحدهم بتقرير مصير العالم .

بينا أننا نريد التعامل مع الجميع على اساس التساوي واحترام السيادة ، وعدم تدخل دولة فى الشؤون الداخلية لدولة اخرى ، واننا اوفياء لسياسة عدم التبعية التي لا تشايع الكتل والمعسكرات المتطاحنة.

كما برهنا للعالم على اننا امة مسلمة عربية افريقية حريصة كل الحرص على أن نتعاون مع جميع الشعوب تعاونا صادقا مثمرا .

قضيـــة الجـــلاء

شعبنا الوفي .

ان من بين القضايا الكبرى التي ظلت تشغل بالنا، ونالت حظا وافرا من اهتمامنا ، قضية جلاء الجيوش الاجنبية التي يتنافى وجودها فوق ترابنا مع سيادتنا. لقد اعطينا الاولوية لهذه القضية المهمة ، واتجهنا الى تصفيتها بحزم وجد مع الدول التي يعنيها الامر ، فكان من نتائج جهودنا المبذولة فى هذا الميدان ان تم اتفاق بيننا وبين الرئيس ايزنهاور اثناء اجتماعنا معه بالدار البيضاء حول الجلاء عن القواعد الامريكية ، وصدر بلاغ مشترك تعهدت فيه جمهورية الولايات المتحدة بان تشرع فى سحب قواتها سحبا كاملا يتم قبل نهاية سنة 1963 ، وغداة صدور البلاغ المشترك شرع فى تطبيق الاتفاق وفعلا تسلمنا قاعدة ابن سليمان ومطار سلا ومركز الردار بالسعدية ومشرع بلقصيري .

كما وقع الاتفاق مع الحكومة الفرنسية على جلاء قواتها عن بلدنا جلاء تاما قبل الثاني من شهر مارس 1961 ، وتحويل قواعدها العسكرية الجوية الى مدارس لتعليم الطيران موضوعة تحت مراقبتنا ومفتوحة أمام طلبتنا ، وستصفى هذه المدارس بدورها قبل نهاية سنة 1963 .

والى يومنا هذا احتل جيشنا جل الثكن الفرنسية السابقة بالدار البيضاء ومديونة وجميع ثكن عين حروده والقنيطرة ، كما احتل مطار مدينة الرباط وكافة المنشئات العسكرية التي كانت موجودة بعاصمتنا ، ومنها مركز القيادة العليا الفرنسية .

وقد عينا لجنة وزارية تسهر على تطبيق اتفاقية الجلاء ، وتراقب المدارس الجوية التي فقدت كل صبغة عسكرية ، والتي لن يسمح للقوات المنسحبة أن تتجمع فيها ، ولا أن تستعمل كقاعدة لاعمال حربية ، كما عينا لجانا من القوات المسلحة الملكية تقيم داخل هذه المدارس ، للسهر على تطبيق مقتضيات الاتفاقية تطبيقا تاما .

اما الجيوش الاسبانية فقد اجرينا مع حكومة مدريد مخابرات ومفاوضات فى شأن جلائها ، والى الآن لم تسفر هذه المخابرات والمفاوضات عن نتائج ايجابية مع الاسف الشديد . واننا لا نقبل ان يكون هذا الجلاء محل مساومات ، كما أننا عازمون على تحقيق مطامحنا فى هذا المضمار بأنجع الوسائل .

موريطانيا والاراضي المغتصبـة

والى جانب قضية الجلاء شغلت قضية اخرى جزءا كبيرا من نشاطنا ووقتنا ، الا وهي قضية الاراضي المغتصبة من بلدنا ، وفى طليعتها موريطانيا العزيزة التي تتعرض الآن لمكيدة استعمارية خطيرة ترمي الى فصلها عن المغرب وطنها الاصلي الذي عاشت منه واليه طيلة تاريخها ، والتي لا يريد اهلها عنه انفصالا .

خطاب العرش



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

شعبنا الوفي .

نحتفل اليوم بالذكرى الثالثة والثلاثين لجلوسنا على عرش اسلافنا المنعمين ، ونقف فيها مثلما وقفنا فى نظيراتها بنفوس متآلفة ، وافكار متجاوبة ، ومطامح واماني متحدة، لتجسيم ما يتبادل الملك والشعب من حب مكين ، وتاكيد ما بينهما من تضامن وتعاون قوي متين ، وننظر جميعا فى القضايا التي تواجهنا ، والشؤون التي تشغل بالنا ، ونستعرض الاشواط التي قطعناها خلال سنة فى سبيل تقدمنا ، واللبنات التي وضعناها فى صرح نهضتنا ، والبرامج والمخططات التي اعددناها لاعزاز جانب وطننا ، وضمان سعادة اجيالنا الحاضرة والمقبلة.

ولئن كان عيد العرش يوم راحة وافراح ومسرات، فقد كان ايضا – وسيبقى – يوم محاسبة النفس وامتحان الضمير ، وتوضيح المناهج وتحديد الاهداف وتقوية العزائم وتعبئة الطاقات ، والتعاهد على مواصلة العمل لتكميل وحدة المغرب وسيادته ، وجعله وطنا راقيا عظيما يحيى اهله عزيزي الجانب ، موفوري الكرامة .

فعلى ضوء هذه المعاني التي برزت بمناسبة عيد العرش من يوم تأسيسه ، وجريا على عادة صالحة الفناها منذ سنة شعبنا وجعله عيدا قوميا ، نريد ان نعلم اليوم اين وصلنا والى اين نسير ؟ نريد ان نعرف ما أنجزنا من أعمال وما ينبغي ان ينجز، نريد ان نستوعب احتياجاتنا وما أعددنا من عدد لتلبيتها ، نريد أن يطلع كل فرد من امتنا على الجهود المبذولة لتحقيق رقي المغرب فى جميع الميادين كي يكون على بينة من الحقيقة ولا يضل الصواب ، بل نريد الى جانب ذلك ان نبين وجهة نظرنا فى القضايا الدولية، والاتجاهات التي نتجهها فى سياستنا الخارجية ، تلك التي نعتقد انها انسب لنا كشعب عربي مسلم ، وكعضو عامل واع فى الاسرة البشرية .

لقد اسمعنا العالم صوتنا ، واطلعناه على وجهات نظرنا فى كل القضايا التي تهم المغرب بصفة خاصة ، والاخرى التي تستأثر باهتمام العالم بصفة عامة .

كما نامل ان يزداد ما بين شعوب افريقيا وآسيا من تعاون لتسمع كلمة القارتين اكثر مما مضى ونضطلعا بمسؤوليات اكبر فى حفظ السلم ونشر الثقافة وخدمة الحضارة .

ونحن عازمون على زيارة بعض البلدان الاسيوية فى مطلع العام المقبل بحول الله تلبية لدعوة اخواننا واصدقائنا ملوكها ورؤسائها مثلما لبينا فى مطلع العام الحالي دعوات اخواننا ملوك ورؤساء دول الشرق العربي لزيارة بلدانهم حيث قوبلنا بحفاوة كبيرة وتمكنا من زيارة الاماكن المقدسة وتعرفنا على المراحل التي تقطعها شعوبهم فى سبيل المجد والتقدم والرقي ودرسنا معهم كثيرا من القضايا التي تهم العرب والمسلمين واصدرنا بلاغات مشتركة فى شانها .

شعبنا الوفي .

تلك مبادئنا واهدافنا واعمالنا فى الحقل الخارجي اما فى الميدان الداخلي فان الاعمال التي باشرناها ظلت تستمر بالسياسة التي شرحناها فى كثير من المناسبات واكدناها فى البرنامج الوطني الذي املناه للامة يوم ثالث وعشرى ماي بمناسبة تاليف حكومة نتراسها وتنوب عنا ولي عهدنا فى تسييرها .

ففى هذه السنة واصلنا العمل لاقرار حياة ديمقراطية وتزويد رعايانا بمنظمات تمثيلية منتخبة . فجرت الانتخابات البلدية والقروية فى جو من الهدوء والنظام دل على ما يتحلى به شعبنا من نضج ووعى . واصبح رعايانا يشاركون مشاركة فعلية فى تسيير الشؤون المحلية بكيفية عصرية منظمة . كما جرى انتخاب الغرف التجارية والصناعية .

وتحقيقا للرغبة التي طالما عبرنا عنها فى انشاء نظام ملكية دستورية احدثنا مجلس الدستور لوضع مشروع دستور للمملكة يراعي خصائص المغرب ويساير روح العصر ويكفل ايجاد تعاون بين الشعب والحكومة. وانا لننتظر ان ينجز هذه المهمة السامية فى الوقت المحدد حتى نتمكن من عرض الدستور على الامة لتعبر عن رأيها فيه .

ان استقلال امة من الامم لا يكون فى مأمن من الاخطار الا بوجود جيش قوي يسهر على حمايته ويقف على قدم الاستعداد للذود عنه ولهذا استمرت العناية بالقوات المسلحة الملكية ، وضوعفت الجهود لتحسين تدريبها ، وتكميل تنظيمها ، وتقوية تجهيزها، وانشاء نواة للاسطولين الجوي والبحري .

كما ان الاستقلال لا يكون ذا مدلول حقيقي الا اذا كانت سياسة الامة وبرامجها تخطط وتنفذ بايدي ابنائها ، وهذا ما دعا الى مواصلة الجهود فى ميدان التكوين الفني والمهني ، حيث انشأت جميع الوزارات هذه السنة مدارس ومراكز جديدة للتكوين وخصصت لشبابنا منحا كثيرة تمكنهم من مواصلة الدراسة والتخصص والتدريب .

ونشير على سبيل المثال الى مدرسة المهندسين التي دشناها منذ ايام ومدرسة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية ومدرسة تكوين الفنيين للطيران المدني ، ومركز التكوين الاداري ، ومراكز التعليم والتكميل التابعة لوزارة المالية ، والمدارس العشر التي اسستها وزارة الصحة لتكوين الاطر الصحية .

كما نشير الى ان وزارات الاشغال العمومية والفلاحة والبريد كونت هذه السنة نحو ثلاثة آلاف من الموظفين ، من بينهم عدد كبير من المهندسين وكبار المختصين فى الاعمال الفنية ، وان 103 من المهندسين اوفدوا فى اول اكتوبر الى كبريات المعاهد الفنية بالخارج للدراسة من طرف وزارة الاشغال العمومية .

وبفضل هذه العناية المتضاعفة ، والافواج المتلاحقة ، صار فى امكان المغرب ان ينظر الى مستقبل مغربة ادارته بثقة واطمئنان .

وحيث ان المغربة لا يمكن فصلها عن التعريب بدات وزارة الوظيفة العمومية والاصلاح الاداري فى تنفيذ مشروع اعدته لتعريب الادارة ابرازا لاحد مظاهر قوميتنا ، واعدت من جهة اخرى مشروعا لتبسيط النظام الاداري مراعاة لامكانيات البلد واحتياجاته .

لقد دلت التجربة الاقتصادية فى العالم على ما للتصميم من جدوى فى نجاح الاعمال ، اذ به يجتنب من جهة اضاعة الوقت وبعثرة الجهود ، وتحدد الاهداف من جهة اخرى وتعد الوسائل المادية والمعنوية وتعبا الطاقات لانجازها ، ولهذا قررنا جعله القاعدة التي يرتكز عليها عملنا فى المستقبل ، فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية .

وان الذين دبروا تلك المكيدة ويشرفون على تنفيذها ليعرفون أكثر من سواهم ان موريطانيا لم تكن الا جزءا من المغرب ، وان مغربيتها مؤيدة بالوثائق التاريخية والاوفاق الدولية التي خرقوها خرقا صريحا ، كما تؤيد مغربيتها الحقيقة والواقع ، وارادة سكانها الذين يأبون الا ان يشاركوا كباقي رعايانا فى الاحتفال بهذا العيد الذي هو عيد الوحدة والاستقلال ، ويعبر ممثلوهم الحقيقيون فى منظمة الامم المتحدة و فى كثير من الاقطار عن ارادتهم فى ان يبقوا مغاربة كما كان آباؤهم الاولون ، والذين يستميت احرارهم فى مناضلة الاستعمار فى عين المكان ، تشبثا بقوميتهم ، ودفاعا عن الوحدة الترابية لوطنهم ، ورفضا للانخراط فى جامعة لا تربطهم بها رابطة دين ولا لغة ولا أصل ولا مصير .

واننا فى هذه المناسبة نعبر لابنائنا فى موريطانيا عن رضانا ، ونبارك كفاحهم ، ونحضهم عن الصبر والثبات فى انتظار فرج الله الذي وعد الصابرين بالفتح القريب والنصر المبين ، ونعدهم ان نبقى بجانبهم حتى يكلل الله جهادهم بالنصر ، وتتحرر جميع اجزاء وطننا العزيز .

ان الاستقلال الممنوح لموريطانيا ما هو الا استقلال مزيف يريد منه مانحوه اغتصاب جزء من وطننا ، واستغلاله لصالحهم ، وجعله حاجزا بيننا وبين اخواننا الافارقة مع انه كان على الدوام صلة وصلنا بهم . وانشاء قواعد عسكرية فيه تهدد كيان المغرب العربي مثلما تهدد كيان الدول الافريقية على السواء .

استمرار الحرب فى الجزائر يعرض السلم العالمي للخطر

ومن قضايانا الكبرى قضية استقلال الجزائر التى دخلت حربها التحريرية فى سنتها السابعة ، لقد كنا ننتظر مثل باقي شعوب العالم ان تقف الحرب فى هذه السنة بالاعتراف للشعب الجزائرى المكافح بحقه فى الحرية والاستقلال ، ولكن عظمت الخيبة عند ما رأينا الحرب تستمر رغم ما ابدته الحكومة الجزائرية من حسن استعداد لحل المشكل عن طريق المفاوضات ، وان هذا لا يعرض الشعب الجزائرى للابادة فحسب ، ولكن يخشى ايضا ان تتسع هذه الحرب وتنتشر ، وقد أصبح هذا الخطر امرا واقعا بالنسبة لاقطار المغرب العربي ، فلم يبق الا ان تتدخل الامم المتحدة فى المشكلة قصد ايقاف الحرب وتمكين الشعب الجزائري من التمتع باستقلاله وسيادته .

سياسة المغرب الافريقية

لقد كنا فى السنة الماضية اعربنا من فوق هذا المنبر عن أملنا فى رؤية الاقطار الافريقية تتحرر وتسترجع سيادتها ، وحيينا الشعوب التي كانت يومئذ تكافح فى سبيل حريتها ، وقد حقق الله جل ذلك الامل فى هذه السنة التي يمكن اعتبارها بحق سنة انبعاث افريقيا ، واننا نكرر التهنئة للدول الافريقية التي استعادت حريتها ، ونتمنى لها التوفيق فى حياتها الجديدة ، ونرحب باحد رؤسائها السيد محمدو ضياء رئيس حكومة دولة السينغال المسلمة الحاضر معنا الآن ، كما نعلن تضامننا وتأييدنا للشعوب الاخرى المناضلة ، متمنين لها الفوز فى كفاحها ليكمل بتحريرها تحرر القارة الافريقية ، ويعزز جانب شعوبها ، ويقوي تعاونها فى كل ميدان ، وتصبح عاملا من عوامل التوازن فى العالم .

ان المغرب الذي هو قطر افريقي ساهم مساهمة ملحوظة فى النشاط الافريقي هذه السنة ، فشارك فى كل المؤتمرات والاجتماعات التي كان موضوعها حاضر افريقيا ومستقبلها ، بل كان له السبق أحيانا فى ابتكار الحلول لقضاياها واقتراح التدابير لحفظ كيانها ، وعند ما نشأت ازمة الكونغو غداة اعلان استقلاله بادرنا بارسال وحدات من جيشنا — فى نطاق مقررات الامم المتحدة — لدعم استقلاله ، والمحافظة على وحدته الترابية واعانة حكومته الشرعية على ممارسة سلطتها بمجموع اقاليمه . فقامت بمأموريتها على وجه نال اعجاب العالم وتقديره وثناءه ، كما قدمنا اليه مساعدة فنية وادارية .

وان ما لنا من مطامح مشتركة مع شعوب افريقيا ليدعونا الى تقوية روابطنا بها فى الميادين الروحية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، ولهذا اتخذنا قرارا بفتح سفارات لدى بعض اقطارها المستقلة وتقديم منح الى طلبتها وفتح كلياتنا ومعاهدنا ومدارسنا الدينية والعلمية والتقنية والعسكرية امامهم ، واننا لنأمل ان تتاح الفرص لعقد اجتماعات دورية بين رؤساء الدول الافريقية لدراسة القضايا ، والاهداف المشتركة .

مبالغ عظيمة من المال ، لتوظيفها في بعض مشاريع التصنيع على انها تعتمد ايضا على توظيف الاموال الوطنية . ولا سيما الوفر ، وتنوي الاستفادة من كل مشاركة مادية او فنية من اي جهة كان ورودها . فهي تشجع توظيف الاموال الاجنبية ، وتمنحها كل الضمانات اللازمة في نطاق احترام سيادتنا واتجاهاتنا الاقتصادية .

وقد جرت في هذه السنة حركة مباركة لتطبيق السياسة الخاصة بالتصنيع . سواء ببناء المصانع والمعامل . او باعداد مشاريع صناعية جديدة . ففي المحمدية تسير الاشغال قدما لبناء مصافي سمير لتكرير النفط . تلك المصافي التي تفوق انتاجها ما تستهلكه المغرب . وفي الدار البيضاء بدأت الاشغال في بناء مصنع للسيارات الصغيرة . وفي آسفي ستنشأ مجموعة من المعامل للصناعات الكيماوية . وفي فاس سيشرع في الاسابيع المقبلة في بناء معمل للنسيج اميم بمال مغربي صرف ؛ وفي سيدي قاسم سيبدأ قريبا في بناء أول مصنع وطني للسكر ؛ وتتابع في اقليم الناظور الابحاث والدراسات والتحليلات قصد انشاء مجموعة الصناعة الحديدية .

وستجد الترشيحات في جهات اخرى لاقامة مصانع متنوعة . منها مصنع لانتاج دقيق السمك وهو اول معمل من نوعه يحل مشكلة سوء التغذية .

ويدرس بانتظام مشاريع التوظيف في مختلف القطاعات . ويقدر رؤوس الاموال المزمع توظيفها سنويا بعشرة ملايير فرنك .

وتدل جميع القرائن على ان القطاع الصناعي استأنف نشاطه في الوقت الراهن . ومن بين هذه القرائن ارتفاع ما تستهلكه المصانع والمعامل من كهرباء ووقود . وازدياد مراسلاتها البريدية ، ومكالماتها الهاتفية .

اما الصناعة التقليدية التي يعيش منها عدد كبير من رعيتنا . فهي ايضا محل عناية واهتمام . وتعمل الحكومة جاهدة لانعاشها وتيسير اسباب ازدهارها بالمحافظة على خصائصها . وحمايتها من المنافسة . وفتح مكاتب للدعاية لها بالخارج . وانشاء مدارس نموذجية لتعلمها ، ومراكز لتكوين صناعها ، وتعاونيات تجمع شتاتهم ، وتقديم سلفات اليهم ، وسيحدث لهذا الغرض بنك مركزي للقرض الشعبي . لكن المساعدات والتوجيهات لا يمكن ان تؤتي ثمرتها المنشودة في هذا الميدان الا اذا اتقن الصناع العمل، ولهذا نهيب بصناعنا ان يلتزموا الجودة فيما يصنعون وان يحافظوا لصناعتنا التقليدية على خصائصها ومميزاتها الدالة على عبقرية المغاربة . واصالة حضارتهم ، وغنى ماضيهم .

ومن دواعي السرور ان نسجل في باب التجارة ، فتح اسواق جديدة امام البضائع المغربية، وعقد اتفاق تجارية مع عدد عديد من الدول، وتجديد العمل بالقديم منها . فقد زادت التجارة الخارجية ايرادا واصدارا. ولوحظ ارتفاع في الايراد على الخصوص بسبب نمو وارداتنا من المواد الاولية وادوات التجهيز والتصنيع الامر الذي يدل على حيوية صناعتنا الجديدة . ومع هذا فان مجموع تجارتنا الخارجية زاد في الشهور الاخيرة بنسبة 38 في المائة . ونحن حريصون على تقوية اسطولنا التجاري وتعزيزه بوحدات جديدة .

والجدير بالذكر ان الفوسفاط الذي يكون اهم صادراتنا واكبر موارد دخلنا القومي اصبح الاتجار فيه مغربيا صرفا ، فبعد ما كان المغرب ينتج هذه المادة فقط صار الآن ينتجها ويستغل ايضا بوسقها والاتجار فيها في الاسواق العالمية بكيفية مباشرة بعد استرجاع المكتب الاجنبي الذي كان يتولى ذلك سابقا وجعله مغربيا خالصا .

ولما كان التجهيز الاساسي مما يسهل التصنيع. ويعجل بخلق ازدهار اقتصادي تابعنا الجهود لبناء الطرق وتعهد المراسي والمطارات والسكك الحديدية . وتوسيع السكة الكهربائية ، وتقوية اجهزة المواصلات السلكية واللاسلكية ، ومن منجزاتنا هذه السنة في هذا الميدان . بناء مطار فاس ومد 700 كيلومتر من اسلاك المواصلات . وبناء 600 كيلومتر جديدة من الطرق الكبرى والثانوية وكهربة 23 قرية .

تعليمنا الوطني

لما وقفنا فوق هذا المنبر في مثل هذا اليوم سنة 1955 نعلن انتصارنا في معركة التحرير . وخروجنا من عهد الحجر الى عهد الاستقلال . لم تكن بمدارسنا الا 250 الف تلميذ . ويسعدنا ان نعلن بافتخار ؛ ان مدارسنا تضم اليوم بين جدرانها مليون تلميذ ؛ فنكون حققنا في خمسة اعوام من عهدنا الجديد ؛ اضعاف ما حققه العهد البائد في ثلاث واربعين سنة ، وذلك بادخال

ويسرنا ان نبشر شعبنا الوفي في هذا العيد القومي بان التصميم الخماسي وضع في قالبه النهائي، وصادقنا عليه بظهير.

وتجدر الاشارة الى ان الهدف الرئيسي منه، هو تحسين مستوى الامة ماديا ومعنويا برفع الدخل الفردي والقومي. وان وسائله تتلخص في الاصلاح الزراعي، والتنمية الصناعية، وتكوين الاطارات، وتكييف الجهاز الاداري بما يكفل انجاح هذه الاهداف

وستلزم تحقيق هذا التصميم توظيف اموال تقدر بـ 850 مليار فرنك. منها 250 مليارا تتحملها ميزانية الدولة الخاصة بالتجهيز.

ان الاصلاح الزراعي يبقى في طليعة اهدافنا كما كان في السنين الماضية، نظرا الى ان الزراعة هي المورد الاساسي للثراء الوطني، والمصدر الرئيسي لعيش 80 في المائة من المواطنين.

ويرتكز هذا الاصلاح على ثلاث دعائم:

اولا — انشاء وحدات زراعية كافية تمكن فلاحتها باحدث الطرق الفنية.

ثانيا — تجديد اساليب الاستثمار تجديدا يهدف الى القضاء على الوسائل العتيقة التي تحول دون ازدهار الزراعة.

ثالثا — توجيه الدور الذي تقوم به الدولة في البادية توجيها جديدا، وهذا يستلزم احداث مكتب للري. وآخر عقاري يناط به مهمة تنظيم وتوزيع اراضي الدولة، واراضي الاستعمار لصالح الفلاحين المعوزين. واعادة تنظيم مؤسسات القرض الفلاحي على اسس تكفل للفلاح مساعدة فعالة لاستثمار اراضيه.

وقد سرنا هذه السنة اشواطا في تطبيق الاصلاحات المشار اليها. فبدىء في توزيع 13 الف هكتار على الفلاحين بمختلف الاقاليم، واقترن هذا التوزيع بانشاء وحدات زراعية، يعمل داخلها المستفيدون عملا جماعيا مع احتفاظ كل مستفيد بانتاج القطعة المخصصة له، وتوبعت عملية الحرث طبق خطة جديدة في صالح الفلاحين، واتسع نطاق عملية التشجير، التي تهدف الى حماية التربة، وصد الصحراء التي تكتسح كل سنة اربعين الف هكتار، وتحيلها ارضا قاحلة، وانشىء مكتب الري الذي يسير وينسق بكيفية اجدى وانفع اعمال جميع المصالح التي تعني حاليا بالسقي، وتواصلت الاشغال في بناء السدود ومد القنوات وحفر الآبار، وقد تم بناء سد النخلة، الذي يسقي دائرة تطوان، وشرع في بناء سد القليلة الذي سترتفع به دائرة السقي بشرق المغرب الى 65 الف هكتار، وتتابع وزارة الاشغال العمومية لنفس الغاية، بناء عدد من السدود الصغيرة بالاقاليم الشمالية، واقاليم قصر السوق. وورزازات واكادير.

ان نجاح الاصلاح الزراعي رهن بحماس الفلاحين وتفهم ومساهمتهم في تطبيقه، وتولي حكومتنا اهمية كبرى لتعبئتهم واقبالهم على العمل بتعاليمها وارشاداتها. ولئن كان من المسلم به ان توظيف المال يحابي العمل. فان التجارب العصرية دلت على ان العمل في الحقيقة هو راس مال الدول المتخلفة، سيما في الميدان الزراعي.

ولكن الفلاحة وان كانت نامية مزدهرة لا تكفي وحدها لحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، سيما في بلد كالمغرب ينمو عدد سكانه باطراد، اذ لا يحرر اقتصاد الامم، ولا يخرجها من التخلف ويقيها اخطار البطالة وقلة التشغيل مثل التصنيع. لهذا كانت التنمية الاقتصادية من اجل ما صرفنا اليه عنايتنا خلال هذه السنة.

وقد اتجهنا في هذا الصدد اتجاها جديدا يرمي الى خلق صناعات كبرى. مندمجة تمام الاندماج في عموم الاقتصاد الوطني، حسب خطة معينة يحقق بها في الميدان الاقتصادي الاستقلال المحقق في الميدان السياسي، ونستغل بها خيرات الوطن الطبيعية لصالح ابنائه.

وانتم تعلمون ان بلدنا يتوفر باطنه وشواطئه على امكانيات ومقدرات تسهل تحقيق هذه التنمية، كما انه يتوفر على اجهزة اساسية مهمة متنوعة، تفوق بكثير ما هو موجود عند الامم التي تسير نحو التقدم والازدهار.

ونتيجة لهذا راينا من الضروري انشاء صناعات اساسية واخرى للتحويل.

وان عملا من هذا القبيل ليستدعي تدخل الدولة اذ هي القادرة وحدها في المرحلة الحالية على ايجاد

ولتقريب الثقة على المتقاضين قررنا احداث محكمتين استئنافيتين احداهما بمراكش والاخرى بفاس زيادة على المحكمتين الاستئنافيتين الموجودتين الآن .

شعبنا العزيز :

لئن كانت هذه السنة حافلة بما يبهج ويسر من تحقيق آمال وطنية ، والقيام بأعمال عظيمة لخير الوطن والشعب ، فقد كانت ايضا سنة حزن واسى . اذ كتب علينا فيها ان نواجه كارثة عظيمة عمت بلواها جميع السكان .

ففي يوم 29 فبراير الماضي حدثت رجة كبرى باكادير . خربت عمرانها وقضت على حياة الالوف من سكانها .

واننا نترحم على جميع الضحايا . سائلين الله ان يرزق ذويهم جميل الصبر وحسن العزاء .

ومع ما اقترن به الزلزال من هول ادهل العقول . واسى كسر النفوس . فاننا واجهنا الكارثة بصبر وثبات . معلنين من الساعة الاولى عزمنا على بناء المدينة من جديد . واعادتها الى سابق نشاطها الاقتصادي والسياحي .

وقد كانت الكارثة مناسبة ظهر فيها ما بين سكان المغرب من تعاطف وتضامن . وابدت فيها كافة الدول عطفها ومواساتها . وساهمت مشكورة مساهمة مجدية في اعمال الانقاذ والاسعاف . معطية بذلك المدلول الحقيقي للاخوة البشرية .

ويسعى ان ننوه بالاعمال التي قامت بها المنظمة العالمية للصحة ، والعصبة الدولية للهلال والصليب الاحمرين . ونشيد بالدور الحاسم الذي قامت به القوات المسلحة الملكية . ومنظمة الهلال الاحمر والتعاون الوطني .

وقد تقرر اعطاء تعويضات للمنكوبين عن الخسائر التي لحقتهم ، ويواصل العمل لرفع الانقاض . حتى يتأتى لكثير من الاسر والافراد ان يستعيدوا مالهم ومنافعهم . كما تجري اشغال كبرى في التشييد والترميم والاصلاح . وتتحسن مظهر المدينة المنكوبة يوما بعد يوم ، وبعد ما عادت اليها المصالح الادارية اخذت تدب فيها الحياة رويدا رويدا .

ابناءنا البررة :

ها نحن عرضنا عليكم بصدق ونزاهة خلاصة سياستنا . وثمرات مجهوداتنا ، ويجب بعد هذا ان يمتحن كل واحد منكم ضميره بدوره . لا فرق بين مثقف وفلاح وتاجر وصانع وعامل ، ليعرف هل ادى في محيطه الخاص جميع واجباته نحو وطنه .

اننا نحث جميع الذين يتولون مهام الحكم والادارة على ان يواصلوا العمل بجد ونزاهة واخلاص . ويتجردوا لخدمة الصالح العام . ويعتبروا انفسهم دوما في خدمة الامة . ويجعلوا من ضمائرهم عليهم حسيبا كما نهيب بجميع افراد شعبنا وخاصة شبابنا الذي هو مناط املنا وعماد مستقبلنا ـ ان يحافظوا على الاخوة والاتحاد . ويبقوا متعاونين متضامنين متحدي القوى ، وان يتصرفوا على قدر الثقة الموضوعة فيهم . وان تكون اعمالهم في مستوى الآمال المعلقة عليهم .

ان الدولة ـ مهما كانت امكانياتها ومجهوداتها ـ لا يمكن ان تؤدي رسالتها . وتحقق جميع ما تسطر منها تحقيقه في ميادين البناء والتشييد الا اذا كان يؤازرها شعب مؤمن واع متحمس . ولنا عبر ـ واي عبر ـ من تاريخنا الطويل . ومن امسنا القريب ايضا يوم كنا نخوض معركة التحرير . فاستطعنا بقوة ايماننا واجتماع كلمتنا ووحدة صفنا وتعلقنا بفكرة الاستقلال . ان نكسر القيود ونتخطى السدود . ونخرج من المعركة ظافرين منتصرين .

واننا اليوم لاشد احتياجا الى التحلي بهذه الفضائل في المعركة التي نخوضها لدعم حريتنا . وتعزيز استقلالنا ، واستكمال وحدتنا الترابية . واقامة مجتمع فاضل تسوده الاخوة والمساواة والعدالة الاجتماعية .

فلنعمل من غير توان ولا انقطاع بحزم وعزم واخلاص . متمسكين بتعاليم ديننا وتقاليد قوميتنا ملتزمين جادة الاخلاق القومية متحلين بالشيم النبيلة . لايصال المغرب ماديا وادبيا الى ذروة المجد وقمة الكمال . عملا بقول الله الكريم في كتابه المبين .

وان ليس للانسان الا ما سعى . وان سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الاوفى .

نسأل الله العلي القدير . ان يلهمنا رشدنا . ويوفقنا في اعمالنا . ويكون لنا ولسائر المسلمين وليا ونصيرا . ويبسط على العالم ظلال السلم والصداقة والوئام . انه ولي التوفيق .

سبعمائة وخمسين الف تلميذ جديد الى المدارس ، رغم الامكانيات المحدودة ، والصعوبات العديدة التي واجهتنا ، وفي طليعتها قلة المعلمين .

لقد تضاعفت بكيفية محسوسة في هذه السنة الجهود المبذولة في الميدان التربوي وتواصلت باستمرار الاعمال لتشييد المدارس وتكوين المعلمين من جهة ، وتوحيد البرامج واصلاح المناهج من جهة اخرى ، وزادت الاعتمادات المخصصة لهذا الميدان الحيوي 15 في المائة على اعتمادات السنة الماضية ، حتى صارت نفقات التعليم وحدها تمثل 20 في المائة من مجموع الميزانية ، ومع ان هذه النسبة تعز نظيرها في العالم ، فاننا ننوي رفعها باستمرار ، حتى نلبي جميع احتياجات شعبنا الى العلم والثقافة ، فقد كان من اهدافنا الاساسية ولا نزال ان تضم المدارس جميع اولادنا الذين هم في سن الدراسة ، وتلقنهم تعليما مستمدا من ديننا ولغتنا وواقع امتنا ، مسايرا لروح التطور والتجديد ، كفيلا بان يحقق مطامحنا وامانينا في التقدم والازدهار .

وان الموسم الدراسي الحالي ليكتسي حلة خصوصية ، لانه يشهد الشروع في تنفيذ التصميم الخماسي .

ويسعدنا كل الاسعاد ايضا ان نخبر شعبنا العزيز ، ان مدارسنا ستكون في استطاعتها سنة 1963 ، ان تقبل جميع ابنائنا الذين يصلون يومئذ الى سن الدراسة بالرغم من ان عددهم يزداد كل سنة خمسين الفا .

ومما سجلته السنة في هذا الميدان استقلال جامعة الرباط عن الجامعات الاجنبية ، وانشاء كلية للشريعة ، ومعهد للدراسات الاجتماعية ، وآخر للدراسات السياسية .

كما شاهدت السنة الاحتفال بذكرى مرور أحد عشر قرنا على تأسيس جامعة القرويين ، تلك الجامعة التي كانت أكبر سند للاسلام والعروبة في هذا الجناح العربي من بلادهما ، والتي ستبقى محل عنايتنا ورعايتنا لتواصل اداء رسالتها التاريخية وخدمة الحضارة الاسلامية والثقافة العربية .

وفي الميدان الاجتماعي كذلك وجهنا اهتمامنا الى توفير سكنى سليمة للطبقات المحتاجة من شعبنا مقابل كراء معتدل ، وقد خصصنا هذه السنة لشؤون السكنى بالمدن والقرى ما يفوق خمسة ملايير فرنك من ميزانية التجهيز .

وصرفنا من جهة أخرى عناية بالغة لشؤون الصحة ، فانشأت وزارة الصحة 42 مستوصفا ومركزا صحيا جديدا ، وضاعفت حملاتها ضد الامراض الفاشية في المجتمع ، وبثت وسائل الوقاية منها في كل مكان .

وجريا على عادتنا في العناية بالطبقة العاملة والسهر على ضمان حقوقها وصيانة مصالحها اصدرنا ظهيرا ينشىء الضمان الاجتماعي الذي لا يوجد الا في البلدان التي قطعت أشواطا بعيدة في الرقي .

والى جانب هذا أعد ظهير يقضي بتنظيم وضعية عمال المناجم ، ويضمن لهم حقوقا خاصة ، رعيا لما يكابدونه من مشاق ، ويتعرضون له من آفات واخطار وبهذا تكون حققنا خطوة جديدة ينشرح لها عمالنا ويرتاحون .

وما زالت وزارة الاوقاف تواصل نشاطها في خدمة الدين الاسلامي واللغة العربية ، وتساهم في الاعمال الاجتماعية والعمرانية ، وقد بنت في هذه السنة عدة مساجد واصلحت اخرى ، كما بنت قرى ومتاجر وشجرت مئات الهكتارات من الاراضي الحبسية ، وهي الان بصدد انشاء مدارس لتلقين احكام الدين وقواعد العربية وتكوين الموظفين الدينيين

شعبنا الوفي .

اذا كانت العدالة الاجتماعية نالت حظها وافيا من العناية والاهتمام ، فاننا نعتقد ان الديموقراطية الحقيقية لا تكون مستوفية لجميع معانيها الا بصيانة حقوق الفرد وكرامته وحرياته ، ولاجل هذا واصلنا الجهود التي لم نفتأ نبذلها منذ سنين طويلة لتنظيم الجهاز القضائي وتكوين رجاله ، واصلاح قوانينه ومساطره وتكميلها وتوحيدها ، ورغبة منا في ان يجري العمل في جميع انحاء مملكتنا بقانون جنائي واحد ، فنحن بصدد اصدار هذا القانون مع مواصلة العمل في تدوين القانون المدني .

الفت ونظمت على غاية التناسب والتناسق والكمال بعضها مع بعض وكلها مع انسان العين ، ولكن كلهـا قد ولت ظهورها الى انسان العين وتوجهت الى الداخل لا الى الخارج ، ولو استطعت ان تنظر من خلال الانسان لرأيت عدوك مقلوبا اسفله اعلاه ويمينه شماله وذلك امر بوقعك فى ارتباك اذا حاولت ان تدافع عن نفسك .

وقد علم الله ما كان سيحدث لو لم يجعل تلك الاجزاء التي تتالف منها العين على ذلك الترتيب الخاص قبل ان تبصر العين بالفعل ، ولذلك رتب الله سبحانه الابصار بواسطة ملايين الاعصاب الدقيقة التي تشبه الخيوط وهي متصلة بالدماغ وهو نظام يحير العقول فى اتقانه واحكامه ، وقد رفع ادراكنا بواسطة ذلك من الحراره الى الضوء ، ولذلك صارت العين شديدة الاحساس باللون . ونحن لذلك نرى صورة ملونة ، للدنيا من الجانب الايمن الى الاعلى ، وهو ترتيب يجرى فى غاية الاحكام والانضباط . وطبقات انسان العين التى تسمى بالعدسات تختلف فى الكثافة .

وبذلك تجلب الاشعة الى البؤره ، ولا يستطيع الانسان ان يجد مثل ذلك فى جنس واحد كالزجاج مثلا ، وكل هذا النظام العجيب فى العدسات من الخيوط غير المخروطية والمخروطيه والاعصاب وغير ذلك ، لابد انها وجدت فى وقت واحد ، اذ قبل وجود كل واحد منها على الترتيب المذكور يكون الابصار مستحيلا . فكيف استطاع كل عامل متحتم الوجود من تلك العوامل العديدة ان يعرف ما يحتاج اليه فى خاصة نفسه ، وما يحتاج اليه ليتفق مع العوامل الاخرى فى العمل المشترك وينظم كل واحد نفسه مع شركائه ليتم العمل المطلوب وهو الابصار .

وهنا استاذن القارىء فى التعليق على ما تقدمت ترجمته فاقول : لعل هؤلاء السفهاء الذين يجحدون تصرف الله فى ملكه وينسبون كل ما راوا من عجائب صنعه الى الطبيعة العمياء الصماء البكماء التي لا وجود لها الا فى مخيلاتهم يظنون ان خلق الحيوان ناطقه وصامته انما هو مثل صنع لعبة او دمية تصنع تجيئها الحياة بعجائبها ودقائقها من سمع وبصر وتفكير ودورة دموية وتنفس وهضم الى غير ذلك بلا علم ولا تقدير ولا تدبير !

وقد اجاب الله بهم لو كانوا يسمعون او يعقلون فقال جل من قائل فى سورة الحج : **(يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز)** وقال تعالى فى سورة الحج ايضا : **(ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير)** هذه الآية تنطبق انطباقا تاما على مطايا الاستعمار الروحي المادي ، فانهم يجادلون بغير علم واذا سئلوا عن الدليل احالوا السائل على مسيو فلان ومستر فلان من اسماء سادتهم المستعمرين وزعموا كذبا وبهتانا ان ائمه الاستعمارين الروحي والمادى تركوا الايمان بالله فبلغوا ما بلغوا من الرقي فيجب علينا ان نترك الايمان بالله لنصل الى ما وصلوا اليه وفى كلامهم هذا من الخداع والبهتان ما لا يخفى على عاقل ــ اولا انائمه الاستعمار لهم دينهم وعقيدتهم ولنا ديننا وعقيدتنا . فلو فرضنا انهم تركوا دينهم ونجحوا بتركه فلا يلزم من ذلك اننا نحن ايضا ننجح بترك ديننا . ثانيا انهم كذبوا فى زعمهم ان ائمة الاستعمار تركوا دينهم ، فهذه كنائسهم وارسالياتهم ودعاتهم قد ملأوا بلادنا الافريقية وملأوا البلاد الاسيوية وسائر القارات ، وهم ينفقون على ذلك اموالا طائلة عزيزة عليهم يحبونها اكثر من انفسهم فلماذا يفعلون ذلك اذا تركوا دينهم . ويفعلونه فى بلادنا بعد ما فعلوه على اكمل وجه فى بلادهم . وهذه الضاحية التى اسكن فيها من ضواحي مكناس تسمى المنزه فيها كنيسه يدبر شؤنها قسيس وهي مجهزة احسن تجهيز قائمة بواجباتها ، ولا يوجد في هذه الضاحية مسجد اصلا مع ان عدد المسلمين من سكانها اكثر من عدد النصارى ، وهم يشتكون لبقائهم بلا مسجد ، ونحن نهيىء عريضة نوجهها الى وزاره الاوقاف المحترمه لعلها تتلافى هذا الفريط النائن وتبني لنا مسجدا يرفع ويذكر فيه اسم الله. ولولا كراهية الخروج عن الموضوع والاسهاب فى الاستطراد لذكرت من شواهد عناية الشعوب الاوربية المفصلة بدينها مايمسخ الله به كل مطية من مطايا الاستعمار قردا او خنزيرا . ولقد صدق الله العظيم فانهم يجادلون فى الله بغير علم ويتبعون كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ، هذا بعد عذاب الدنيا كما قال تعالى فى سورة الرعد : **لهم عذاب فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اشق وما لهم من الله من واق** ، ومن عذاب الحياة الدنيا الاستعمار الذي اذاقنا ولا يزال يذيقنا الامرين بسبب تركنا الاسلام لا بسبب التمسك به كما تزعم مطايا الاستعمار ، ولله الحجة البالغة ولكن اكثر الناس لا يعقلون .

دواء الشاكين وقامع المشككين

للدكتور تقي الدين الهلالي - 9 -

غرائز الحيوان ودلائلها على فاطر السموات والارض

قال المؤلف كريسي موريس : ان تطور الانسان قد بلغ في التقدم مرتبة عاليه من الوجهه الطبيعية ، ويظهر انه لم يبق هنالك امل في تطور جديد بالنسبة الى تكون جسم الانسان . اما تقدمه من الوجهه الصحية فمؤمل بسبب تحسن الغذاء وعجائب الطب والجراحه التي لا تزال في اطراد مستمر ؛ وذلك يقتضي زياده كمال وتطور في جسم الانسان ، ويستلزم ذلك زياده تحسن في عقله وتفكيره ، وهناك — امل على الاقل في ان يزداد الانسان قوه في الذهن ليعرف نفسه ويعبر عما اودعه الله فيه من حكم واسرار ، وبذلك يرتقي الانسان ويتقدم في الكمال من الوجهين المادية والعقلية من حيث الفرد ومن حيث الجنس — ان المدنيه والاخلاق تسيران تاره الى الامام ، وتارة الى الوراء . الا ان هناك دائما ربحا في الجمله وتطورا ملحوظا في تقدم الانسان . ولكن عليه ان يسير الى الامام مسافات ابعد ، ومن حسن الحظ انه لا يظهر ان هناك حدا لامكان تطور جديد وتحسن في دماغ الانسان بمرور الزمن الذى هو المؤثر الاساسي .

لقد وهب الله الطير غريزة الاهتداء الى الرجوع الى اوكارها ، فالعصفور المعروف بالربن الذى يعشش في ابواب بيوتنا ، يذهب عند انقضاء فصل الخريف الى البلدان الجنوبية فرارا من البرد وطلبا للدفء . ولكنه يرجع في زمان الربيع الى عشه القديم ، وفي شهر ايلول — شتنبر — نرى اسراب الطير معظمها تطير الى الجنوب ، واحيانا كثيرة تطير فوق البحر مسافة الف ميل ولا تضل طريقها ابدا ، والحمام الراحل اذا حمل في قفص الى مكان بعيد قد يتحير احيانا بكثرة الاصوات الطارئه عليه في سفره البعيد ، ولكنه يحوم هنيهة ثم يأخذ طريقه مستقيما تقريبا حتى يعود الى وطنه . والنحلة لا تضل في عودتها الى خليتها ؛ ولا يصدها عن ذلك هبوب الرياح العواصف التى تحرك الاشجار وسائر النبات وتطمس اعلام طريقها ، اما الانسان فحاسة الاهتداء الى العوده الى وطنه ضعيفة فيه . ولكن الله وهبه عقلا استطاع به ان يصنع آلات الملاحه التي يهتدي بها في ظلمات البحر والجو فكان ذلك عوضا له عما فقده من تلك الغريزه التي منحها غيره . والحشرات الصغيره لابد ان تكون لها عيون ؛ مكروسكوبيه اي مجهريه ، ولكن الى اى حد تبلغ هذه العيون في كمال الابصار ؟ لا ندري . والنسور والبزاة لابد ان تكون لها عيون مجهرية ايضا لم يهبها الله الانسان .

وفي هذا ايضا فاق الانسان الحيوان بادواته الميكانيكية ، فتلسكوبه يستطيع ان يبصر سديما تبلغ في الدقة الى حد ان البصر يحتاج الى ان تضاعف ملايين من المرات ليقدر على رؤيته ، والانسان بمكروسكوبه يستطيع ان يرى مكروبا لا يرى بالبصر المجرد . ويرى زيادة على ذلك مخلوقات صغيره جدا ساطية على تلك المكروبات بعضها .

ولو تركت الفرس وحدها فانها تسير في الطريق في اشد الليالي ظلمة ، وتستطيع ان ترى ولو في شيء من الابهام اختلاف درجات الحراره في الطريق وجانبيه بعينين متأثرتين تأثرا خفيفا بالاشعه تحت الحمراء التي في الطريق . والبومة تستطيع ان ترى الفأرة الجميله في نظرها حارة الجسم تجري على العشب البارد في اشد الليالي ظلمة ، ونحن نقلب الليل نهارا باحداث اشعاع في تلك المجموعه التي نسميها بالضوء.

وهل تعلم ان انسان عينك يلقي صوره على الشبكية ، وحينئذ تعمل العضلات عملها فترتب الانسان بطريقة آلية وتوجهه الى بؤرة متقنه الوضع ، وتتألف الشبكية من تسع طبقات تنفصل بعضها عن بعض ، ومجموعها لا يزيد في الغلظ على قرطاس رقيق جدا ، والطبقة الاخيرة من الداخل تتألف من مادة تشبه الشعر او الخيوط الرقيقة بعضها مخروطي الشكل ، وعددها يبلغ ثلاثين مليونا من الخيوط غير المخروطية وثلاثة ملايين من المخروطية ، وكلها قد

موثبوا ونبة افضت مضجع الاستعمار التائه ، وزعزعت اركانه واوضاعه ، وثاروا ثورة لايدرى اولها من آخرها، ولا فرعها من اصلها ، واشتبكت الامور وارتبكـــت ، واختلط الحابل بالنابل ، والخاثر بالزباد .

وكان المثنا مرون بظنون أن هذه الثورة لا تلبث أن يصيبها الاعياء والكلال ، وبانيها الضعف والانحلال ، ولكنهم كانوا مخطئين ، وفى امرهم مرجين ، فدامت وامتدت فروعها ، وتعددت شعبها ، واسست مراكزها ، وضبطت معاركها ، وامدها الله بقوته ، ونعجها بنفحته . فكانت الثوره مباركة وكان الجهاد عزة ونعمة .

وكلما ضاق الامر على الاستعمار وضاقت عليه الارض بما رحبت تلون فى منطقه، وجدد دواليب حركاته، وكان اسد باسا واشد تنكيلا .

وبالرغم من تشدده وبطشه فقد الم به الدعـــر والقلق ، واستولى عليه اليأس والفرق . واندهش امام حرارة الشعب ورباطة جاشه ، وموالاه جهاده مع تفوقه عددا وعدة واسلوبا وفنا ودربه .

وما وسعه بعد أن قلب واحتال . وبغى واغتال ، وشرد ونهب ، وساوم وارهب ، الا ان سيتحقق مـــن تمرنه ، ويستيقن انه اخفق فى مغامرته ، ويعترف انه اتى شيئا نكرا ، وارتكب خطأ فادحا لاتغفره السياسة ولا تنتجه الكياسة .

وبعد ما استفحلت الثوره وامر امرها راجعـــت السياسه النكراء حسابها ، وعادت تعمل لنشر جرمها ـ فعقدت المؤتمرات ، ودعت الـــى هدوء الاعتـــداءات واستدعت من ظنت أنهم بيدهم دولاب الحركه وســـر المحنه ، ولهم الحل والعقد فتعلقوا بملكهم ووقفوا فى طريق استقلالهم .

ولما لم تفلح فى مؤتمراتها ، ولم تنجح فى برامجها ، واعيتها الحيل ، ولامتها الدول ، تبين للدهاة انه لا علاج لخطورة الحالة ، الا بتحول السياسة والساسه واقتفاء مذهب التفهم والتقرب ، بدلا من القمع والتعصـــب . فقررت حكومتهم آنذاك اعادة الملك المجاهد من منفاه الى فرنسا لا الى المغرب املا فى تخفيف حدة الازمة وتثبيتا لوجود المعارضة الخائنة التى خلقتها واسمتها ـــــم دعمتها باموالها الكاذبة ، ودعاتها المرتزقة ، ولكن طائفة الاستعمار المستخدمة فى هذه المؤامرة الشنعاء سخطت واثمت فما كان من امرها الا ان حملها الحنق على من استعملوهم فى هذه المحنة ، وأطمعوهم بتسلم النعمة ، فجهروا لذلك ولغيره من الدواعى بطاعتهم لجلالـــه محمد الخامس ـ فانتصر فجأة على ايدى المبطلـــين والمجرمين وبمرأى ومسمع من غلاة المستعمرين ، ـ

وتلك معجزة من معجزات الزمان ، قلما تثبت لذى ملك وسلطان ، فكانت ضربة قاسية على طغاة الاستعمـــار وخاب سعيهم وسعي سفهائهم ومثل هؤلاء الضالـين ومثل ادعيائهم المسخرين كما قال الله تعالى : « وقال الشيطان لما قضى الامر انالله وعدكم وعدالحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكـــم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انــــا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم » .

كذلك نشأ طل الاستقلال ، وبدأت هزيمـــة الاستعمار من اجل الاعتداء على العرش المغربي العزيز وقد وجدت اعتداءات من قبله ولكن لم يبلغ امرها فى النفوس ما بلغه امر الاعتداء الشنيع الواقـــع فى 20 غشت 1953 .

وكل اعتداء على المقدسات لايكون عاقبته الاسيئة، ولا تتبعه الا الهزيمة والخيبة والاستسلام سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وكذلك كان الوفاء للعرش كما كان العرش وفيـا لمصالح شعبه ، واثقا بانجاز رغباته فما قرفراره حتى بشر بالبشارة الكبرى ولم تمض قليل من الزمن حتى حقق النعمه الاولى ـ واردف ذلك باعلان جمع التراب ووحدة الاجزاء ـ فازداد الحب والولاء ، وتضاعف الاخـــلاص والوفاء ، ثم رفع مستوى الادارة بما اسداه من ارشادات نافعه وتوجيهات صالحه واتخذ جيشا ملكيا لحمايـــة الاستقلال وضمانه الاستقرار .

وهكذا كان العرش عمدة الكفاح وسر النجاح من قبل ومن بعد وكان عمله عظيما ورائعا اولا وآخرا .

بيد انه يجب للارتباط بالوجود الصحيح وللاغتباط بنظام الاستقلال ان نشكر لله نعمته الوافية ، ونجاهد فى سبيله باخلاص ونركز الحياة على ما تأصل من تاريخنا ونعلم اننا عشنا مومنين مسلمين ، ورفعنا راية الاسلام وكنا له ناصرين ، وتبوأنا مقاما ساميا بين العالمـــين ، وتدرجنا فى الحضارة قرونا طويلة لكن تخللتها فترات اضعنا فيها الحق العام ، وأخللنا بتعاليم الاسلام ، من جراء الغرور والجهل والانحراف عن الحق والعدل .

كما يجب ان نتضافر مع اخواننا فى العقيدة سرا وجهرا قولا وفعلا لاسيما الجزائريون الذين احيطوا من سائر جوانبهم بحرب كافرة ساخطة .

وبتضافر المسلمين وتضامنهم فى الحق يؤيدهم الله بروح من عنده ويزلزل اعداءهم فى كل مكان « والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولي الابصار» .

وذكرهم بأيام الله

للأستاذ
الرحالي الفاروق

من ايام الله التي تذكر بما مضى من نوادر الاحداث وروائع الكفاح ، وبما كان من صنوف الآلام والاحزان ، وصور المآسي والطغيان ، يوم الانبعاث — ويوم الانتصار — ويوم الجلوس على العرش — وهي حقا ايام ماجدة ، واعياد منتصرة ، تبعث روح الامل ، وتدفع الى حب العمل ، وتتحدث بلغة الاستقلال ، وتتعمد خطة الاعتدال ، وتتحمل بمرارة جراة اعداء السلام . وتهمس في اذن الشعب المستقل ان لا يتنازع في امره . ولا يتخالف في قصده ، ولا يتخلى عن حقيقته واصله . « وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » اما سنة الحياة والحضارة فتقتضي ان تكون ذكريات الشرف وافية بانجاز المطامح وادراك المصالح ، قائمة باعتبار المعاني الروحية ، والفضائل الخلقية ، كما تقتضي ان تتفاضل فيما بينها بحسب الغايات والاهداف تفاضل الانسان والزمان والمكان .

الا انه لا يراد من اقامتها ان تكون مظهرا من مظاهر الحفاوة ، ومعلما من معالم الزينة فحسب — ولا ان ترى موضعا للتنطع في القول والخروج عن الطور — والتفنن في الادب المكشوف — فتصير فرصة لاطاعة النفوس الفاجرة واستقصاء الشهوات الكافرة ، واكتساء الملابس الساحرة .

ليس كل ذلك من وحي الاعياد — ولا من قصد الاوضاع انما العيد كان لاستخلاص النتائج واستجلاء الحقائق ثم التعبير عن معاني السمو في الامة والتصوير لنظامها ، المطبوع بطابعها ، المبين عن ارادتها ونشاطها . والنطق لوسائل الاخوة الشاملة ، وبرامج العيشة الراضية ، وقواعد العزة الكاملة حتى تكون الحياة في الذكرى حياة نظام واستقرار وفكر وامعان ، لاحياة شهوة وغفلة ومظاهر والوان . حياة تنشر معاني الحب والايمان والرحمة والاحسان لا حياة كراهة وقسوة وكفر ونسيان ذلك — ولعل اغلب الناس وسوادهم يفهمون من عيد العرش مثل ما يفهمونه من مطلق الاعياد الجارية ، وان كان ذلك فهم واهمون ، وعن الحقيقة ناكبون . فعيد العرش ينطوي على الذكريات جميعها وينطوي على المعاني باسرها — والعرش يطبع بطابع الخلافة القائمة مقام الرسالة وله معنى ادق واعمق ، وموضوع اهم واعم ، ومرمى اسمى وابعد ولذلك ترنو اليه العيون ، وتحدق اليه الابصار في مصالح الدنيا ومصالح الاخرى . فبالعرش تصان عقائد الايمان ودعائم الدين ، وتحفظ مصالح الحياة وفضائل الانسان . وبالعرش طويت صحف الاستعمار بالامس وبه ان شاء الله تستخلص موريطانيا وما سواها من الاجزاء التي اغتصبها الاجنبي الجائر من ارض الوطن وتقصها من اطرافها .

وبالعرش تجاهد الامة وتحافظ على كيانها الذاتي ووجودها المادي ونفوذها الروحي — وما هو الا قلبها النابض وعقلها المدبر وروحها الساري في جسمها . الا ترى ان المغاربة قضوا سطرا من الزمن وهم في محن الاستعمار وفتنه عائشون ، وفي امواج ظلمه وعسفه غارقون ، وقد غير عاداتهم ومصلحتهم وتناسى مجدهم وتاريخهم ، وتعامى عن الحقيقة وكاد لهم . — وذهب هذا السلطان مذهبه ، واغرى اصحابه واذنابه ، ومع ذلك سكتوا وصبروا غير راضين ولا طائعين لانهم يرون العرش قائما ويرمقونه سالما فكانوا يتعزون بقيامه ويتسلون بسلامه — ولما اهين العرش واخرج ربه من اريكته خاب ظن المغاربة واشتد غضبهم ، وازداد قلقهم فهاجوا وماجوا ثم اجتمعوا على الكفاح لان دليل عزهم ورائد مجدهم قد اعتدى عليه ، وحيل بينه وبين بلاده ،

القاعده الاساسية فى فهمها للمواقف الانسانيه وتقديرها فمقياسها فى الحكم هو ما ينبض به قلبها وتطرد به عواطفها ووجدانها ، فان عدمت تلك المشاركه الوجدانيه فانها لن تستطيع تحديد مواقفها ولا تقديرها للموضوع المعروض امامها . . .

وبما ان الشهاده تتطلب الثبات، فانه لابد من تغيير الموقف اذا لم يوجد ذلك الثبات ، فماذا تقول العلم فى ثبات المراة ؟ : انه يصرح انه من صفات المراة عدم الثبات عموما . الشيء الذي يعوقها عن تنفيذ كثير من مشروعاتها ، وهذا راجع لعجزها وعدم قدرتها على ضبط نفسها ومواصلة نشاطها .

والرجل ازاء الموقف يحرص عموما على تطبيق المبدأ . المبدأ العام ، اما المراة . فانها – تبعا لذلك – تختلف ازاءها ، فالرجل لا تستولي عليه منطق العاطفه فيلون حكمه ، وذلك لشخصيته الطبيعية التي تختلف عن شخصية المراة (اذن هو لا يفكر ازاء هذه الحالة الا ان القانون قد خرق وخولف بينما المراة لا تفكر الا فى مصير فرد معين) .

وقد راينا بعض العلماء ممن تخصصوا فى المشاكل النفسية القضائية يؤيد هذه النتائج يمثلها معتمدا على الملاحظة الواقعية المتكررة فيقول : « اذا حللنا نفسيه المراة وجدنا قوتها العاطفية اعظم بكثير من قوتها العقليه . . . كما اننا نشاهد فى المراة ضعفا مريعا عندما تبدى شهادتها . فهي تمثل طباع الطفل تماما . اذ انها تؤدى شهادتها على ما تصوره لها تخيلاتها الشخصيه او بناء على دافع او اغراء من غيرها . وكثيرا ما تكون المراة مصابة بمرض من الامراض العصبية تكون سببا فى عدم ثبات شخصيتها . واحيانا تجد اقوالها فى الشهادة ناقص بعضها البعض تبعا لتأثراتها العاطفيه والوجدانيه المختلفه . كما لوحظ عليها احيانا المغالاة فى ابداع الغير استجابة لعواطفها الخاصه التى تملى عليها ذلك . وليس معنى هذا ان الرجل لا يتعرض لذلك ، وانما المراة اكثر استعدادا لذلك . ونحن عندما نتكلم عن خصائص كل من الجنسين فاننا نتكلم عن (المثال الوسط) حسب تعبير غوستاف لوبون » .

ولما تقدم . ينصح بعض العلماء – بنتيجه لتجارب علماء النفس – وخصوصا فى ايطاليا بان لا يعتمد على اقوال المراة ، وان لا تؤخذ شهادتها مسلمه . فلابد من جانب الحذر والبحث عما يؤيد كلامها من غيرها وما وصل اليه العلم فى هذه الناحية هو ما تصرح به القرآن الكريم « ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى » وليس الكلام الذي سقنا بعضه سابقا صادرا من فقيه مترمت ، ولا مسلم متعصب ، ولا جاهل مغرور. وانما هو من رجل خدم القضاء وخبر مشاكله واشخاصه سنين طويله ، ومارس كثيرا من الحوادث التى كانت المراة تقوم بدور الشاهد فيها ، واستطاع – هو وعلماء آخرون – ان يستخلص تلك النتائج التي تتفق مع وجهه نظر الاسلام فى شهادة المراة ، وان كان الاسلام لم يفصل تبرير موقفه ذلك ، ولكن ترك لعلماء الاسلام وغير الاسلام مهمه البحث فى تلك المبررات ليصلوا حتما الى تلك النتائج .

ولنقرأ الآن مايقوله العلامه « فيري » فى هذا الموضوع. انه يقول : ان ما وصل اليه العلماء من اختباراتهم العمليه ومن القواعد العلميه فيما يختص بموضوع الشهاده عشر نتائج ، منها :

(ان شهاده الطفل ، والرجل العجوز ، والمراة ، كثيرا ما تبعد عن الحقيقه . ولذلك يجب الحذر منها وعدم اعتبارها الا اذا تعززت بقرائن وبينات اخرى) .

ويهذا يبدو جليا ان الاسلام عندما تناول مشكله المراة فى الشهاده لم ينظر اليها نظرته للرجل كما تفعل القوانين الحديثه حيث تسوى بينهما على الرغم من حقائق العلم الثابته . كما انه لم ينظر اليها على انها كائن مهمل يجب الا يلتفت اليها ولا يسمع الى اقوالها والى شهادتها كما كانت تفعل اوربا سابقا . فلقد كانت المراة فى القرون الوسطى لا يسمع شهادتها كما تنص القوانين المدنيه لذلك العهد . كما ان المراة لم تستحق لقب (المواطنه) فى القانون الانجليزى حتى سنة 1765 م ويقول « بلاكستون » : (ان القانون قد حرمها كل حق تقريبا) ، والعجيب انهم يبررون ذلك بقولهم (ان القيود التى ترزح تحتها المراة زاد بها فى الغالب حمايتها وخيرها) . وهذه النظره متأثرة الى حد كبير بتعاليم الكنيسه حيث كانت ترى ان المراة شر لابد منه ، وفتنه مهلكه وانها اقل بكثير من بعض الحيوانات منزله .

شهادة المرأة
بين الاسلام وعلم النفس

للاستاذ
عبد السلام الهراس

سبق ان كتبنا في السنة الماضية عن موقف الاسلام من المراة ، وعن علاجه لمشكلتها ، وعن تاييد العلم والواقع للنتيجة التي انتهى اليها الاسلام . وقد كان علاج الاسلام لمشكلة المراة مبنيا على ظاهرة موضوعية ، اي على خصائص كل من الرجل والمراة ، وعلاقة هذه الخصائص بالمصلحة الاجتماعية . وذكرنا التعدد والاختلاط كمثالين لتطبق الفكرة العامة للاسلام ازاء المراة ، والان ، نذكر مثالا آخر وهو موقف الاسلام من شهادة المراة . وسنرى انه كان متمشيا على اساس تلك الفروق التي ذكرناها مما يحتم توزيع الاختصاصات وتنويع الوظيفة الاجتماعية لكل من الرجل والمراة .

المراة كائن اساسي تتمتع بالتكريم من لدن الاسلام لقوله تعالى « ولقد كرمنا بني آدم » وهذا الحق ، او بالتعبير الاسلامي ، هذه النعمة تجعل المراة على قدم المساواه مع الرجل مشاركة له في الكرامة ، فاذا اختلفت وظيفتها عن وظيفته فلن تكون ذلك سببا في امتياز احدهما على الآخر .

ولاختلاف الخصائص بين الرجل والمراة كان موقف الاسلام من شهادة المراة موقفا يستجيب لمقتضيات تلك الخصائص ، فعندما يحتاج القضاء المراة لكي تكون شهيدة ، نرى الاسلام لا يضع المراة كالرجل تماما ، لان الاسلام دين العدالة باوسع ما في هذه الكلمة المقدسة من معنى . والعدالة تقتضي وضع الشيء فيما يستحقه وعدم اعطائه ازيد مما يتفق وطبيعته او انقص من ذلك، يقول تعالى « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرانان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ... »

فالمراة اذن لابد ان تقوى باخرى في الشهادة حتى لا تضل ، ويفسر الحديث الكريم هذه الاية ، فيقول رسول الله (ص) ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم منكن . قلن : يارسول الله وما نقصان ديننا وعقلنا ؟ قال: اليس تمكث احداكن الليالي لا تصوم ولا تصلي ؟ وشهادة احداكن على شهادة نصف الرجل » .

فنقصان عقل المراة هو الذي جعل شهادتها غير مساوية لشهادة الرجل ، وليس هذا النقص عيبا في المراة لان المجتمع يحتاج المراة اغزر عاطفة ، لان مهمتها تحتاج الى الحنان والشفقة . فما نقص من عقلها زيد في عاطفتها ، وهذه الحقيقة يؤمن بها المسلم الذي يعتقد في عدالة الخالق وفي رعايته لمصالح العباد . فالقضية اذن مسلمة من جانب المؤمنين . لانها مؤيدة بالنصوص من الكتاب والسنه ، ولكن هنالك من لا يقتنعون بالدين . ولهذا سيكون العلم فيصلا بيننا وبينهم . فماذا يقول العلم ؟ يقول : ان اجزاء جسم المراة تنساب بعضها على بعض ... كذلك نجد انه من حيث تركيبها العقلي لا توجد عندها فواصل قاطعة بين عالم الفكر . وعالم الحس ، وعالم العاطفة ، وعالم الحكم الاخلاقي والاجتماعي . فكل هذه النواحي مندمج بعضها في بعض، ومصبوغة كلها بصبغة عاطفية ، ووجوب التفريق بين الرجل والمراة في الشهادة يتضح فيما يقوله العلماء : « انه اذا كان منطق الرجل يتميز بنزعته العقلية الاستدلالية فان منطق المراة هو في صميمه منطق العاطفة، كما ان المراة عندما تبدي حكمها على الاشخاص يكون ذلك من خلال مشاركتها الوجدانية والتعاطف ، اي انها تحكم حسب ما تشعر به من جاذبية نحو موضوع الحكم او النفور منه ، وهذا التعاطف بشكل لدى المراة

وبعده صفا الافق

بحث

للأستاذ
التهامي الوزاني

يقــول الصوفية ليس المريد بمريد ، ان لم يجد في القرآن كل ما يريد . وقال حكيم قديم « النعمه تــاج يبصره من فقدها ، وربما لا يشعر به من يرتــع في بحبوحتها ... ومن عرف حقيقة المنه ، وعــرف حقيقة نتائج فقدانهــا فذلك الحكيم الذى اوني خيرا كثيــرا » .

ان لكل كائنة حسناتها وسيآتها وليــس فى دار الدنيا حسنة لا تصاحبها سيئة ، ولا سيئة لا ترافقهــا حسنة ، وانما الحكم للغالب ، والا فان الذهب لابد ان يختلط باجزاء مجهولة القيمة اما الندرة فشــذوذ عارض . ولقد كنا معشر المغاربة قبل مصيبة الحمايه فى نعمة الاستقلال والحرية ، فكفرنا بانعم الله ، وبذرنا تبذيرا ، ولم نشكر النعمة باتخاذ اسباب المحافظــة عليها ، فابتلينا ببلاء الاستعباد والتبعية ، وباض وافرخ ، وكان غازيا خبيثا ، لم يكتف باستعباد الاجساد ، بــل استعمر حتى الافكــار ، ودس السم فى العسل ، أمــا عسله فمظاهر الحضارة المحبوبــة . واما الســم فاختلاق فريه ان الاسلام ينافي التقدم ، وان لا سبيل لحياة صحيحة مركزةالا بعداوة كل ماهو اسلامي وعربي . وكان الاستعمار مسيطرا فى امة مغربية وديعة ، كــان من كفران الذين استكبروا فيها انهم لم يعلموا جمهورها ، ولم يحيطوا الحرية بسياج تتبع الثغرات التي تهاجم منها هذه الحرية ، وبدلا من العمــل للقضــاء علــى الحزازات ، والتقريب بين وجهات النظر المختلفــه . وافهام الشعب فهما كاملا بان دينه ودنياه فى خطــر ان لم يقم دعائمه الاجتماعية ويصن حريته واستقلاله بدلا من هذا كلــه تركت السيادة للانانية الجامحــة . وما خدم الاستعمار شيء كما خدمته الاقطاعية التي شعرت بحاجتها الى الاسناد الجهنمــي ، والا فــان السعوب الهمها الذي الهمها فجورها وتقواها ان تكــره التفاوت العظيم بين الطبقات ، والقت الفطرة فى روعها الاشرئباب الى العدل والمساواة والحريه فاذا بالنتائج المفجعة تتوافر والنكبات تترى ، واذا بامم تطورت مع الزمان . تضع يدها على المغربي الحيران المضطهــد ، حيران ، لانه لم يهتد الى العلاج ، مضطهــد ، دون ان يضطهده الا جهله وفساد الفلسفة التي كان يبني عليها نظرياته فى الاخد بالعزله ، وغلق الباب فى وجه الصحافة والاقوال الحره . . واقبل ليل البلاد فى ظلمات ثلاث : الجهل والفقر والاستعباد . وكان وجود الليل بشيرا بانفلاق الفجر ، كما ان الزوبعة العاصفة مبشرة بالجو الصحو والبحر الرهو ، لان الاشياء كامنة فى اضدادها — كما يقول الصوفية — . ويقول الفــلاح المغربي (ان الشتاء يولد فى السمائم ، وان الصيف يولد فى الليالي) وقياسا على هده النظريــة ، فان الحربــة نبتت مــع الاستعمار فانه كان صفعة هائلة تنبــه منها الغافلــون

وجاءت الحرب العالميه الاولى (1914 / 1918) فهدمت اسوار العزلة ، وركب الجندي المغربي السيارة والباخرة والقطار ، وقاتل فى كل مكان ، واسر منه من اسر ، فاذا بالجيش المغربي يعود ويحكي مغامراته فى البر الكبير وبلاد الفرنجة ، واذا بفريق تعلموا اللغــات الحية ، واذا بالاوروبيين يشعرون بالحاجة الى توسيع نطاق اللغة العربية ، فاخذت الافكار تتنبه وطفــق المغاربة ينحللون من عزلتهم . ولرغبتهــم فى معرفــه شؤون العالم صاروا يلتهمون قراءة كل ما وصــل الى يدهم من مؤلفات ونشرات ، فاذا هم فى عالم حقيقــي لا خيالي ، واذا بهم تتنازلون عن كثير من آرائهم ، كما تتناثر اوراق الشجــر فى فصل الخريف ، استعــدادا للاكتساء بحلة ربيعية جديدة ، وقارنوا بين وضعيتهم

فنحن اذن هنا امام تفريط او افراط ناشئين عن جهل او تجاهل بحقيقة المراة والرجل ، وهذا هـــو احد الاسباب الكبيرة فى اختلال القوانين الوضعيـــة وخضوعها للاحداث والتطورات . وان كان التطور احيانا سنه حميدة ، فهو فى بعضها الآخر سنة سيئة ، اذ يكون علامة الجهل والانحراف والانسياق للظروف بالخصوص فيما يتعلق بالامور الثابتة كطبيعة الرجل والمراة ، ولذلك وقف الاسلام امام هذين الموقفين المرضيين موقفا يتسم بالعمق فى فهم الطبيعة الانسانية وايجاد ما يناسبها من الحلول : (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فهو لم يحرم المراة من ان تكون شاهدة ، لان فى ذلك افتياتا على كرامتها الانسانية التي اكتسبتها بالصريح القرآني، كما لم يجعل مكانتها فى الشهادة كمكانه الرجل لان فى ذلك افتياتا على حق المجتمع ، بل اوجد نظام شهادتها على نحو يتفق وفطرتها وتكوينها وليس فى ذلك انتقاص لحقها او انسانيتها ، وتكريم للرجل واعلاء من شانه ، وانما روعي فى ذلك مصلحة المجتمع الانساني حتى لا يتعرض فى هذه الناحية الى الاختلال والاضطراب ، وفى ذلك تمام العدل ، وليس للرجل الحق فى ان يشعـــر بافتخار وامتياز عن المراة ، لان الكمال فى نظر الاســلام ليس هذا مجاله بل مجاله الطبيعي هو : «التقوى» (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) « لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » .

وهكذا نرى النقاء الدين بالعلم فى هذه النقطة ايضا، وان كان الدين لا يحتاج فى تقرير حقائقه الى شهـــادة العلم ، وانما نسوق هذه المقارنات لنؤكد نحن لاولئك الذين ما زالوا يتأثرون بوجهة نظر الحاقدين علـــى الاسلام من الاوربيين وغيرهم من انصاف المتعلمين الذين يهاجمون الحقائق عن عجز عن التعمق فى المشاكـــل الاجتماعية وعن جهل بعلم النفس والاجتماع .

نظـر عمـر فى اخـلاق المومـن وبعـض غرائـزه

روى مالك فى الوطا ان عمر بن الخطاب قال كرم المومن تقواه ، ودينه حسبـــه ومروءته خلقه ، والجراة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء ، فالجبان يفر عن ابيه وامه والجريء يقاتل عما لا يئوب به الى رحله ، والقتل حتف من الحتوف والشهيد من احتسب نفسه على الله .

مع ذلك راض مطمئن ، لكن تناقض افكاره ، ووسوسة ما تلقفه من جو الاستعمار تملكه تملكا تاما ، فلا عجب ان يقبل على الخمر والميسر ومطاردة الفتيات ، لانها مقوماته المادية ، ومغريات الاباحية ، وانما يتجرع هذه الغصص لانه لا يملك قوة تعود به الى احضان وطنه وقوميته ، واذا كان مجلس جدل فى الدين او الاجتماع اقبل على الموضوع اقبالا جنونيا ، وبينما تأخذ انت وآخذ انا الموضوع فى شيء من قلة الاكتراث اذا به يدخل فيه دخول المتخوف الراجي للامن ، والظالم المؤمل للعفو ، والضال الراجي للهداية ، فما احراك بالعطف والحنان يا شباب المغرب فى هذه الفترة العصيبة ، فلقد كان شبابنا المتفرنج فى ايام الاستعباد ناسيا لنفسه ، منغمسا فى حماته يخفيه ستار السيطرة الزمنية ، اما وقد جاء الاستقلال ، واشرقت شمس الحقيقة ، وغدونا نسير على الجادة ، فقد تبدلت الارض — فى نظر الغرباء بين قومهم — غير الارض ، ومن اسهل السير ان نقول له : ان العلاج سهل قريب وهو ان تومن بمغربيتك ، وتعتز بعروبتك ، وتعود الى اسلامك ، فى نفس حماس رجل الشارع ، وعقلية الرجل المهذب العالم بان الحياة لن تستقر بدون مثل عليا ، منسجمة مع واقع الحياة العامة ، غير متناقضة الوضعية الاجتماعية الخاصة ، هذا سهل لمن كان خالي القلب ، غير متسمم بآثار الافكار الاستعمارية ، اما الذى امتلأ دماغه حتى لم يبق فيه متسع فان تنقية عقله من السلوك امر فى غاية الصعوبة ، ولطالما علم اخوانى رأيي فى الشعوب المتوحشة وبعدهم عن الحضارة ، فقد حدثتهم ان هنالك فرقا عظيما بين حياة التوحش والبشرية البدائية ، فان الانسان البدائي ورقة بيضاء قابلة لان يكتب فيها كل خير اذا وجدت التوجيه التربوي الرشيد ، اما الوحشية ، فلها قوانينها، ولها خرافاتها ، ولها سحرها وشعوذتها ، ومن العسير كسر الاباطيل والاوهام لبناء المثل العليا الصالحة ، ولهذا فان الفكر الاسلامي فى مجموعه مرن سهل ، لان مثله العليا مركزة متشعبة فى كل منحى من مناحي الحياة ، فانه ما كاد المسلمون يسمعون صيحة الاصلاحيين حتى استجابوا وساروا فى طريق الهداية .

انه ليس من الحق فى شيء ان نزيد شبابنا عقدا نفسية على عقده ، والنفوس البشرية لا تعالج بالعنف، وقد قال الله سبحانه مخاطبا لرسوله (ص) **(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)** فكفى من رمي الشباب بالكفر والالحاد ، فانه فى الم نفسي لا يبالي بعد ان ينتصر للكفر ضد الايمان ، وللالحاد دون الاعتقاد

الصحيح، كالمريض الآيس من العلاج يعمد الى الانتحار ولنرفق بالشباب فلا نامره ولا ننهاه ، ولنتقدم لبناء مجتمع مغربي على اسسه التي بها قيام كيانه ، فلنكن عربا مسلمين فى غير تردد ولا هوادة ، ولنتق الجدل مع ابنائنا ، فانهم ان راونا عاملين فى بناء متماسك على اسس عتيدة فانهم يقبلون ، وهذا وحده هو الذي ينعش مثلهم العليا ، وينقي من ضمائرهم رواسب الاستعمار الفكري ، ولكن قلما وجدنا ابطالا صرحاء نادوا بالحق فى غير مواربة ، على اننا بحمد الله وجدنا بالمغرب بقية رزقها الله سبحانه قوة المناعة ، فلم تتلوث بأوبئة الاستعمار ، وان كانت تعيش فى جسمها ، وقواها القوى المتين حتى اكلت كرباتها النافعة كل ما خالطها من جراثيم الطواعين ، فتحولت الى غذاء ينفع ولا يضر، يوم اسلم شيطانهم فلا يأمرهم الا بخير ، وكلنا نتذكر الانهيار النفساني الذي كان شائعا فى الايام الاولى للاستقلال ، والحيرة الفكرية التي كانت منتشرة بين الشبان ، حتى كانت بعض الاندية تتبرأ من العروبة والعربية ، تجاهر الاسلام بالعداء ، الى الحد الذي اخر انضمام المغرب للانخراط الرسمي فى جامعتنا العربية. .
وما هو الا ان تعين فى سفارة القاهرة الاستاذ الطريس، الذي كان تعيينه فى منصبه احدى كرامات مولانا محمد الخامس ، حتى اخذ المغرب ينقه من داء مركب الشعور بالنقص ، ثم انضم المغرب للجامعة العربية وكان انضمامه لها امنية حقيقية للمغرب الحقيقي ، ورضي عن هذه الخطوة كل مغربي ومغربية ، لان الجميع يعتقد ان الوجود الدولي للمغرب محتاج الى اسناد حقيقي ولا يرتكز على العلاقات المادية وحدها ، فاذا بالمغرب يجد هذا السند فى العالم العربي الذي ينتمي اليه المغرب سدى ولحمة ، وكان تعاضد المغرب مع اخوانه اقطار العروبة من خيرة العوامل فى قدرته على مجابهة مشاكل سياسية داخلية وخارجية ما كان يستطيع ان يتغلب عليها لولا قوة التآزر الاخوي ، وكان المغرب بدوره قوة ضخمة فى بناء الجامعة العربية، وهكذا يكون التآزر ، ينتفع منه المتآزرون كلهم فى نسبة واحدة .

لعل بعض القراء يحسب جعلنا للاستاذ الطريس فى صف الابطال ، بمجرد تحمسه لقضية ضم المغرب للجامعة العربية ، من باب التراشق بالزهور ، والعذر بين لمن تخيل ذلك ، لكن الامر اكبر من هذا الاعتبار ، فان وقوف رجل من رجال الدولة فى قضية ما موقفا صارما لابد ان يكون معتمدا على يقين من رضى الجانب الذى

ووضعيات الامم المتقدمة ، فقرروا في واعياتهم الخفية ان يسيروا بالمغرب الى حياة منسجمة مع الواقع الحضاري ، ولم يكن لهم موجه يوجههم .

واحسن ما فعلوه انهم لم يقفوا مترددين ، بل تحركوا بعد ركود واخذوا في المسير لا الى جهة معينة وانما لغاية معينة هي حياة محترمة في اطار محترم : واختلفت تعابيرهم فمن داع الى الرجوع الى سلفية الاسلام ومن صارخ بتطبيق الشريعة على طريقة فهم المالكية ، ومن داع الى التخلص من ربقة الدين بالجملة، ومن مستحسن للنصرانية ، واختلفت التعابير والقصد واحد وهو النهوض والترقي بالمغرب وما كان اختلافهم الا كاختلاف اصحاب التعاريف في تعريفاتهم فبعضهم يرسمه رسما ناقصا ، وبعضهم يحده حدا غير مطرد ولا منعكس ، ومن مجموع التعاريف سنستخلص حقيقة المعرف ، ومن جملة الافكار تتكون الفكرة ، حيث ان هنالك نقطة التقاء هي القدر المشترك .

وفي هذا الظلام من الحيرة والارتباك ، برقت بارقة الوطنية المباركة ، ثم اخذت تتألق نجما ساطعا في عبارة موجزة ، وهي التحرر من سيطرة الاستعمار . فمعه لا يمكن اي نهوض ولا اي تقدم . وبهذا نحدد المثل الاعلى ولكنه مثل اعلى يمكن الحصول عليه . ومن شأن الشيء اذا وقع عليه الحصول ان يفقد قوته كالسيارة تقف في سيرها وكالكهرباء تسيطر عليها وكالمحبوبة تصبح زوجة ، وكالطفل يصير رجلا . فقد نادت الغاية ونفذت قوة المثل الاعلى . لكن الاسلام نقل المثل العليا من الدنيا ووضعها في الآخرة . وجعل المثل الدنيوية وسائل الى غاية لا ندرك ما دام الانسان على قيد الحياة ، وعليه ان يظل عاملا دائما الى ان يلفظ نفسه الاخير ، وما دام المثل الاعلى يطير باجنحة من ذهب في عالم الاحلام فهو طاقة جبارة ، حتى اذا وضع في قفص الامكان شأن اسد البادية يسجن في القفص . صار هملا وذكرا من الذكريات . فمن الحق ان نرفع الفلسفة المنطقية بالمثل الاعلى الى الحد الذي يستهلك العمر كاملا ، خشية نفاذ الطاقة قبل نفاذ العمر ، وهذا يوجب ان نكون مسلمين لنؤمن بالحياة الآخرة التي يسمو فيها من يتوسلون بجلائل الاعمال في خدمة المجتمع البشري الى ان يتم قصد من مقاصد الاسلام في ان نصطبغ بفكرة اخوة بشرية لا شائبة فيها للطبقية ولا للعنصرية ، وان افضلنا واكرمنا على الله هو اكثرنا استقامة وتمشيا مع قوانين الاخوة في اخلاق متينة وحياة مسبطة مركزة لا حقد فيها ولا حسد .

وان اردنا ان ننتمي الى خير امة اخرجت للناس، فعلينا ان نبدأ العمل من النقطة التي نشغلها ، دون ان نتقهقر الى الوراء ، فان الله لما اراد بالناس خيرا ، بعث في العرب رسولا منهم يفكر تفكيرهم وينطق لغتهم ، وما كانت لغة علم ولا حضارة ، ورغم ذلك فبها كانت قيادة العالم بما فيه من مفكرين وفلاسفة ومهندسين ، ولم يجنح سيدنا محمد (ص) في دعوته الاسلامية الهائلة القادرة على احتضان البشرية في رفق وطمأنينة الى الانسلاخ عن قوميته ولغته وعقيدته ، بل ارسلها فطرية نقية في اطار لا اثر للتصنع فيه ، وانما اخذتنا الحيرة — معشر المغاربة — بعد اندحار السيطرة الاجنبية البغيضة ، لان تفكيرنا في العمل الايجابي لم يبلغ درجة النضوج ، فان التفكير الصحيح لا يوحي مطلقا بالتنكر للغة من اللغات ولا لدين من الاديان ، فاحرى به ان لا يتنكر للاسلام والعروبة ، ولكن بقية غساوة الاستعمار اخفت المعالم الواضحة في ضباب كثيف ، لم يطل امرها حتى سطعت الشمس وانضحت المسالك . وهذه الغساوة ناتجة عن مذهب الاستعمار الذي نشره عقول محضرة ، في نفوس جنسية جشع وحوش الغاب ، لان الحضارة في الامم ، شأنها شأن الدباغ في الجلد الحسن سرى فيه شيئا فشيئا ، ولن يصل الدباغ الى جميع اجزاء الجلد ، دون بقية من السيء الا في ايام وعصور طويلة ، وهؤلاء المستعمرون في حضارتهم كالجلد الغير كامل الدبغ ، فاعمالهم في التسميد والبناء من باب الحضارة ، وامعانهم في العنصرية واستعباد الضعاف بقية انسان الغاب ، واذن فالحضارة خير لا شر فيها ، وما يظهر فيها من شر فانه من بقية الهمجية المستترة خلف البدلة ووراء اللغة والفكرة ، ويكفي الاستعمار بداوة سوء تنبه في الوجه ، حيث اطلق المستعمرون على سلب الشباب شحنة طاقة الايمان، فافقدوه وطنيته وحرموه الحماس لدينه . وعوضوه عن المثل العليا القمينة به ، افكارا لا صلة بينها وبين تاريخه ، ونوموه تنويما مغنطيسيا لقنوه ابناءه احتقار قومه وقوميته ، ففزع لذلك عقله الباطن فزع المنوم المسحور ، وانقادت جوارحه لانه لا يملك قبلا ولا دبيرا ، وعاش في ألم نفسي ، وفقد راحة الضمير ، فليس بقادر على ان يعود الى جوه الصالح له من الاعتزاز بمقوماته والتمسك بآرائه تمسك البخيل بماله، وليس بقادر على ان ينحل من الخزعبلات التي لقنها اياه اساتذته الاستعماريون فحاول ان يهرب من هذا الالم الذي وضعه في صف الموسوسين ، وود ان لو كان في هناء ضمير رجل الشارع ، حين يتوسل بالصالحين ، ويلتجيء الى المشعوذين ، وهو

وانقين من اننا سنلقى تعبا عظيما، فقبل الاستعمال يجب التعهد ، ولن يستجيب المسلمون لما يخاطبهم به خطباؤهم من بيان شعب الايمان ، الا اذا استطاعوا ان يحيوا فى القلوب نور الايمان ، وعندئذ تكفي الاشارة الخفيفة ، والالماعة العابرة ، ولعل البعض منا حين يقرأ فى كتب الوعظ ان رجالا ماتوا وآخرين غشي عليهم ، وطائفة تابت الى الله التوبة النصوح بمجرد سماع آية او حديث او موعظة حسنة ، لعل اولئك البعض يكادون لا يصدقون بهذا الواقع ، وعليهم لكي يعرفوا السر فى ذلك ان يتذكروا ان النفوس التي انقادت ورجعت الى الله بسهولة ، لم يحصل ذلك منها الا بعد مران طويل ، بوسائل متعددة مختلفة ، حتى ساروا لا يحتاجون فى تجريب هممهم الا الى شرارة مهما كانت ضئيلة من الازجاء بالموعظة والذكرى ، وهذا يفسر لنا شدة اقبال الناس على الخمر والفسوق وبقية المعاصي ، فى نفس الوقت الذي يكثر فيه الوعظ والارشاد ، فقلما جلسنا مجلسا الا وسمعنا فيه التنديد بتزايد انتشار الفسوق ، فالناصحون الاذكياء عليهم ان يفسدوا الآلة التي تنتج الشرور والفسوق ، وهذه الآلة هي المادية وقلة تعهد الايمان بزيت الايقان ودهن التقشف والورع ، بصفة تتناول رجال الحكم قبل افراد الشعب ، ولتعلم الحكومات ان الامن العام ، واستقرار الاوضاع لا يتم لهما امر فى شعب كله متبلبل الافكار ، نسي الآخرة واغفل المثل العليا فى الرحمة والشفقة والاخوة والعمل الايجابي لرفع الآلام عمن لا يقدر على دفعها ، فيجب ان يكون الطب والدواء مجانين للجميع ، ويجب ان نحارب العطلة ووجوه الخصاصة ، ويجب ان نبحث عن عمل منتج تشتغل به الامة جمعاء فيدر عليها الارباح وتأتيها الرفاهية ، واذا لم يكن من رفاه فلا اقل من تقريب جدي بين مختلف طبقات الامة حتى لا يبقى فيها جائع ولا عريان ولا جاهل ولا مريض ، وليست هذه المهمة مهمة الحكومة وحدها ، بل انها مهمة جميع الناس ، فكل واحد منا يخصص جزءا من قوته للمعوزين ، وجزءا من وقته لخدمة العاجزين ، وبيتا من منزله لايواء من لا مأوى لهم ، وعلى الحكومة ان تحدد وجوه الترف للاغنياء ، فلهم اموالهم ، ولكن ليس لهم ان يتظاهروا بالترف الكبير فى الملبس والمطعم والمسكن ، فان كل وجه من وجوه التفاوت البعيد بين طبقات الامة يخلق العقد النفسية الصعبة العلاج فى نفوس الفقراء والمحتاجين .

ان الذين يعالجون المشاكل الاقتصادية عليهم ان يدرجوا فى الحساب الاعتماد فى جانب عظيم من اعمالهم على نفسانيين يعالجون العقد النفسية بترضيتها من جانب وبازالة الاسباب الرئيسية التي تخلفت عنه من جانب آخر ، فاذا شفي استعصب من امراضه البدنية والفكرية ، فاذ ذاك تنفع الموعظة ، واذ ذاك نجد امة تصيخ لاقوالنا ، لانها اقتنعت بان واعظيها يقصدون توجيهها توجيها صالحا دون أن يكون قصدهم اظهار مخازيها وعيوبها ، ودون ان يكون الواعظ قصده ان يتحمل بالقول الحسن لينبت براءته من العيوب .

لست ادري كيف ذهب بي القلم هذا المذهب ولكنني اعتدت ان اسلس له قيادي ، فيتصل بقلبي ولهما ان يتناجيا فى نجوة مني ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

من عناية الرسول بالخيل وترويضها

صح عن الرسول انه قال الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامة وهو مروي فى الصحيحين وغيرهما ، وورد عن الرسول فى المسابقة بينها « انه سابق بين الخيل التي اضمرت من الحفياء وكان امدها ثنية الوداع وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية الى مسجد بني زريق » وقوله الخيل التي اضمرت كان من عادة العرب اضمار الخيل وذلك بتقليل علفها وادخالها بيتا كنينا تجلل فيه لتعرق ويجف عرقها فيخف لحمها وتقوى على الجري .

يمثله ، وهذا صحيح ماًلا ، ولكنه في حق الطريس غير منطبق ، فقد وجد عدة دوائر تكره اثارة هذا الموضوع وتود ان لا تمسه بنفي ولا باثبات ، فاطلقها مدوية ، وكانت جراة نادرة في باب الاصلاح السياسي والاجتماعي ، ولن يقدر على ذلك الا بطل من ابطال الكفاح الوطني . وهكذا قيض لهذا البطل ان تكلل دعوته بالنجاح ، شأنه في ذلك شأنه في القضايا الوطنية التي امتلأ بها تاريخه النقي الوطني ، فاذا بالمغرب كله يسنده ويؤيده ، واذا به يستحق بذلك من مليكه وشعبه كل وجوه التقدير والاجلال ، وبموقف الطريس ومداخلته للساسة من المغاربة والعرب تخلص المغرب من موقف الحيرة ، وسار في طريقه التاريخي ، المتناسق مع امجاده في الماضي وآماله في المستقبل ، ولنا بطل آخر ، هو الاستاذ بوستة وزير الوظيفة العمومية والاصلاح الاداري : فقد وقف موقفا عظيما في ارجاع المغرب الى شخصيته الحقيقية ، حيث شن حملة شعواء في سبيل تعريب الادارة بصفة عملية منتجة . فكان تصريحه الاول في هذا الميدان قبسا من نور الهي اضاء جانبا من ظلمة الحيرة التي تخبط فيها المغرب وهي عملية هدم وبناء في آن واحد ، عملية هدم ، لانها ستطرد السيطرة الدخيلة من الادارة بما فيها من دسائس وجرح للكرامة الوطنية ، وعملية بناء لما اشتملت عليه من مسطرة اللغة العربية في ربع عظيم عزيز من ربوعها ، فاذا مجدنا ابطالنا كان علينا ان نجعل في صفهم الطريس وبوستة .

ولعل احسن ما استفدناه — نحن مغاربة شمال المغرب — من الاحتكاك بالاسبانيين ، اننا تأكدنا من وطنيتنا ، وعرفنا آفة الدعوة الانفصالية : فلقد شاهدناهم يبذلون في سبيل وطنتهم كل مرتخص وغالي ، ففكرنا وعلمنا ان القوم على صواب ، فازداد حماسنا الوطني . ورايناهم يشرحون آفات الانفصال، حيث كانت الدعوة الانفصالية تهدد بعض الجهات الاسبانية ، ففكرنا فوجدنا القوم على حق وازددنا تمسكا بالوحدة القوميه . مهما كلفت هذه الوحدة من ثمن حتى اذا من الله على المغرب بنعمة الاستقلال . كانت وطنية الشمال وطنية ناضجة تمقت الانفصال الى درجة انها ننكره ولا نكاد نعرفه ، وكانت الوطنية الخاصة تعم المغرب بالجملة ، فلما جاء الاستقلال سترت لالأة الكراسي العيون عن رؤية نور الوطنية : وعلينا ان نعود الى الوطنية كلنا سواء منا اصحاب المناصب الكبرى وغيرهم ، وان نجعلها وطنية عملية فعالة ، مثل ما سيصبح التعريب والعروبة عنصرين عاملين يؤديان وظيفهما في الجهاز الحيوي للمغرب . فنصبح : عربا ، مغاربة ، لا بالقول فقط ، ولكن بالفعل ايضا اما ثالثة اثافي القومية واعزها واكرمها وامتنها فهي الدين .

ان الفترة الاستعمارية افسدت علينا كل شيء حتى شؤون ديننا ، ولنبدأ في الدين من اسسه الاولى، واحسب ان علينا في نهضتنا الدينية الى جنب نهضتنا العربية والوطنية ، ان تشن غارة شاملة لتركيز قواعد الاسلام الخمس عن طريقة استعمال الطرائق الحديثة، والتخاطب الى العقلية الجديدة المتكيفة بما ساد في عصر انفلاق الذرة ، وغزو الفضاء ، ولقد شاهدنا الاسلام في بنائه الاول ، فاذا حياة الكفاح المرير في سبيل تطهير الفكر العربي من الاوثان والارلام وانكار البعث من فترة الاسلام المكي ، اما تحريم الخمر فانه احدى عمليات الكمال ، لانه لم يشرع تحريمها الا بعد فترة استقرار الاسلام في المدينة ، وقد مات قوم مجاهدين وهي في بطونهم . فعلى الوعاظ ان لا يركزوا وعظهم في ذم الخمر ، فان تحريمها يحتاج الى صدور ممتلئة بالايمان ، فليكن عملنا الاساسي في الوعظ والدعوة للسنة هو العمل على انعاش المعتقدات وتقويتها ، وايما امرىء قوى ايمانه فانه ينزع عن شربها في اول ما يعمل .

ان الدعوة الاسلامية يجب ان تقوم اولا على التقشف والتقلل من الدنيا . وعلى العمل المنتج . ومعنى هذا ان كل واحد منا عليه ان ينتج مائة ، وان لا يستهلك اكثر من عشرة . واذا كان انتاجنا اكبر من استهلاكنا فقد اصبنا هدفا من اهداف الاسلام ، فهو عمل كثير لفائدة المجموع . وقناعة الفرد بما لا يزيد عن الحاجة ، والى جنب دعوة الدعاة يلزم ان يتعلموا مبادىء العلاج ، ليعالجوا المرضى ، وان يعرفوا العلوم ليعلموا الجاهلين ، وان يصلحوا بين الناس ، وان يؤسسوا جمعيات للخير . ومشاريع للتعاون . وعليهم ان يكونوا رياضيين جغرافيين ليتدبروا آيات الله . وان يسيروا في الارض سائحين ليروا امما اشد منا قوة ، فاذا كانت الدعوة بهذه الدرجة . فان المعاصي سوف تقل جدا ، والمشاكل الاجتماعية ستخف الى حد بعيد ، وتصبح الجرائم شيئا غريبا قلما يقع ، وعلينا ان نفهم جيدا اننا اذا اردنا ان تكون السيارة مثلا تؤدي وظيفتها اتم الاداء ، صحيحة الاجزاء ، سليمة التركيب، سواء في ذلك اجزاؤها الظاهرة او الباطنة . اما ان نريد ان نستعمل آلة عطبة في استخدام اغراضنا ، فلنكن

فالقاريء الكريم يفهم من قوله تعالى : (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) . ان هذا الامر غير محدود ولا مقيد الاباستطاعة الانسان فهو ساير كل عصر من عصور الدنيا ، من عصر الترس والقوس ، والسيف والرمح ، الى عصر بناء معامل القوة الذرية وصنع القنابل الهيدروجينية الى ما لا يزال مستورا من وسائل القوة عند ما ينكشف ويصبح فى مستطاع الانسان ان يعده ، فدين الاسلام قد لفت نظر الدنيا اليه وقت ظهوره بكثرة اتحاد اهله وتمسكهم بشريعته ، واقامتهم لها فى انفسهم وبين الناس وهو كذلك حتى الآن لازالت امكاناته الكبرى سنحث جمع المسلمين للتسابق فى حفظ كرامتهم وقوتهم والعزة التي كتبها الله للمومنين ، والمسلمون الاقوياء خير عند الله من المسلمين الضعفاء ، وان كان الخير موجودا فى جميعهم فهم فى الخير درجات .

وقد روى الامام مسلم فى صحيحه عن الرسول الاكرم عليه السلام انه قال المومن القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، فان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا لكان كذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان . وفى هذا الحديث الشريف ما يفتح الآفاق امام المسلمين للانطلاق فى سبيل اكتساب القوه التي تحفظ لهم العزة والكرامه ، وتبوئهم المكانة الرفيعة بين امم الارض ، حتى يكونوا من المومنين الذين يشملهم قول الله تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمومنين) .

من عدل عمر وحبه للمساواة

روى مالك عن زيد بن اسلم عن ابيه قال خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب فى جيش الى العراق فلما قفلا مرا على ابي موسى وهو امير البصرة فرحب بهما وسهل . ثم قال لو اقدر لكما على امر انفعكما به لفعلت . ثم قال بلى ها هنا مال من مال الله اريد ان ابعث به الى امير المومنين فاسلفكماه فتبتاعان به متاعا من متاع العراق ثم تبيعانه فى المدينة فتؤديان رأس المال الى امير المومنين ويكون الربح لكما فقالا وددنا ذلك ، ففعل وكتب الى عمر بن الخطاب ان ياخذ منهما المال فلما قدما باعا فاربحا فلما دفعا ذلك الى عمر قال **اكل الجيش اسلفه مثل ما اسلفكما ؟ قالا : لا** فقال عمر ابن الخطاب **ابنا امير المومنين فاسلفكما اديا المال وربحه** . فاما عبد الله فسكت واما عبيد الله فقال ما ينبغي لك يا امير المومنين هذا **لو نقص هذا المال او هلك لضمناه ،** فقال عمر **ادياه** فسكت عبد الله وراجعه عبيد الله ، فقال رجل من جلساء عمر يا امير المومنين **لو جعلته قراضا** (يعني العمليه التجارية التي يقسم فيها الربح بين العامل ورب المال) فقال عمر قد جعلته قراضا فاخذ عمر راس المال ونصف ربحه واخذ عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب نصف ربح المال » وان المتامل فى تحري عمر فى هذه القضية مع ابنائه يجد من عدله واخلاصه ما يكاد ينفرد عمر به فى تاريخ البشر بوجه عام فقد كان فذا فى التاريخ واتعب من بعده كل من حاول اللحاق به .

الإسلام وقوة الدولة

للأستاذ محمد الطنجي

الاسلام دين ودوله ، وعزة وقوة وصوله ، هو دين لانه عقيدة توحيد وتنزيه لله سبحانه ، يعتقدها القلوب، وتدين بها لعلام الغيوب ، وينطق بها الالسنة في كل صلاة وذكر ، تزكى بها النفوس ، فتنجلي عنها كل شدة وبؤس ، والاسلام طاعة تعمل بها الجوارح ، فتكون مظاهر لكل عمل صالح ، والاسلام شريعه تنظم شؤون الحياة ، وترفع من شأن المجتمع ، فكان لذلك هو القوة الحية في الشعب ، والمصدر الوحيد للسلطه الروحية والزمنيه .

فقد اكتملت سطوة دين الاسلام بشتى العوامل والعناصر ، بوحدة العقيدة ، وبالقانون المشترك، وجامعه اللغة وباشتراك المجتمع في مظاهر العبادات والعادات والتقاليد زيادة على توحيد الاهداف والغايات من الحياة فتوحدت بذلك الوجهة الى الله كما قال سبحانه في أمر أهل الكتاب (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) . وهذه الغاية الشريفة هي التي ارسل الله رسول الاسلام سيدنا محمدا عليه السلام لتحقيقها كما قال سبحانه : (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

فكانت قوة الاسلام الروحية التي جمعت قلوب العرب هي اساس دولتهم ومنبع صولتهم كانت القوة في قلوبهم بالايمان وفي ابدانهم بقوة العضلات المكتسبة من القيام باعمال الفروسية وركوب الخيل والمسابقات عليها، وبالتمرن على اعمال الحروب ومباشرتها فعلا في كثير من الاحيان ، وكانت القوة في المعاونة من خارج بالنصرة واسداء المعونة مع كل عامل لخير المجتمع وعزة المسلمين وكرامتهم في الوجود ، وقد تكون القوة نابعة من بذل الاموال في سبيل الغايات الحميدة اذ المال من انفع الوسائل للوصول الى كل طائل .

والقوة على اختلاف انواعها عنوان البأس والشدة، وخير ما يتخذه الشعب الذي يريد الحياة الكريمة من عدة، وابطال الرجال في كل زمان هم اصحاب القوة الذين يسترخصون نفوسهم في سبيل ادراك المجد ، وفي التفاني في خدمة المبادىء والقيم العليا . وقد كان للاسلام ابطاله الخالدون الذين لا زالت اعمالهم تملأ سمع الدنيا فقد فتحوا الامم والشعوب بعدة زهيدة ، هي عبارة عن افراس واقواس ، وسيوف ورماح ، وادرع واتراس ، وذلك غاية ما امكنهم ان يمتثلوا به امر الله في قوله (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الا ان نفوسهم كانت اقوى عزما واشد حزما ، فحققوا من المكارم على قدر تلك العزائم . وقد عملوا جهدهم في اتخاذ الخيل ، رجاء المثوبة والاجر ، والغنيمه والوفر ، فكان لكل قادر على اقتناء الخيل مركوبه الجميل يباهي به الافراس ، وكان فوق ذلك لامير المومنين عدد وافر من الخيول يحمل عليها في سبيل الله ضعفاء المجاهدين ، فقد قرأت في كتاب الخراج لابي يوسف انه كان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه اربعة آلاف فرس موسومة في سبيل الله ، فاذا كان في عطاء الرجل خفه او كان محتاجا اعطاه الفرس وقال له ان أعييته أو ضيعته من علف او شرب فانت ضامن ، وان قاتلت عليه فاصيب او اصبت فليس عليك شيء) انتهى .

ومن فضل الله علينا وعلى الناس ان عبارة التنزيل التي امر الله المومنين فيها باعداد القوة لاعدائهم لم تحد هذه القوة بشكل ولم تكيفها بزمان ، بل اناطها باستطاعة الانسان ، وبما يتطلبه ارهاب العدو ورد العدوان ، من التفوق في كل ميدان ، حتى تستقر العدالة وشريعة الحق بين بني الانسان .

العربيـــة ؛ وهم يتجهون بنفس الصـــلاة لنفس الالـــه ويخضعون بنفس الروح لنفس القانون الذي ينظـــم حياة الشخص من الشروق للغروب ، ومن الولادة الى الموت ــ وابعد من ذلك ــ فانه يدير حياة المجتمـــع بأسرهـــا .

ان الاسلام ليس دينا فحسب ، آخر الادبـــان التي ظهرت فى التاريخ ، انه ايضا ، وبصفة خاصـــــة . مجتمع روحي واشتراكي ، ونظام سياسي ، واسلـــوب للعيش وكما حدده روني كروسي : « اخوة نتوازنها الامم والاجناس ، فى مجتمع متحد تحت رعاية اللـــه . لانجاز ارادة الله » ، وهذا منذ 1300 سنة .

وخلف هؤلاء 350 مليونا من المسلمين النائمين منذ ثلاثة عشر قرنا (1) ، مغامرة من اعظم مغامرات الانسانية : امبراطورية فاقت امبراطورية الاسكندر ، وحضارة هيأت للنهضة . ودين قام فى الشرق ، مقام المسيحية فى الغرب .

لقد كانوا فى سرقسطة وفى سمرقند . وكانوا فى بواتيي ؛ كانت امبراطوريتهم تمتد من اسبانيا الـــى الهند ، ومن روسيا الى اندونسيا ؛ وكان لابد مـــن ثمانية عشر شهرا لقطعها على ظهر الجمال ، وكانـــت قوافلهم التي تجوب نصف العالم المعروف . لا تحمـــل فقط الى العرب ، الحرير والتوابل وحكايات الشـــرق ، فبين شيلان كسمير ، وعطور البلاد العربية، **كانت توجد الرسائل الرياضية من الهند ، والتراجم الاولى لافلاطون وارسطو ، والاشعار والمذاهب الفلسفية من فارس . ان الطلبة الغربيين كان يجب عليهم تعلم العربية ــ اللغة العلمية فى القرون الوسطى ــ لحل رموز رسالة بقراط، احد الكتب الستة الاولى التي كانت تملكها كلية الطب بمونبوليي .**

هذه الامبراطورية المهوله ، مع عواصمهـــا ذات « الف ليله وليلة » التي تملك كل واحده منها ما تكفي لحد مملكة : بغداد مع 27000 من مساجدها وملايينها الثلاثه من السكان . القاهره مع القصر الذهبـــي لهارون الرشيد (2) ، و 000 500 1 مجلد بمكتبته . قرطبة مع جامعتها التي جاء احد البابوات (3) ليدرس فيها ؛ هذه الامبراطورية ،**وهـــذه الحضارة اللتـــان غمرتا العالم ، وفتحتا عهدا جديدا فى تاريخ الانسانية ، ان كل هذا خرج من كتاب صغير يتكلم عنه جميـــع الناس ، ولم يقرأه احد (4) : القـــرآن .**

هذا الذي املى هذا الكتاب ــ لا يمكن القول بانه كتبه لانه لم يكن يعرف لا القراءة ولا الكتابة ــ كان جمالا يعيش منذ 1300 سنه ، فى اوحش صحاري البـــلاد العربيه .

كان يسمى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، نسميه نحن ماهومي . ولكن الرجـــل كالاسم ، هو من نماذج الشرق .

انه بدوي . رجل رمال . روح من نار (5) وفى دمه حراره هذه الارض المحترقة العربية . التي يقرعها الله فى كل مرة يريد فيها نبيا . ان مكة التي ولد فيهـــا عام الفيل (571 م) ليست الا على بعد عشرة ايـــام بالقافلة من جبل سيناء ، حيث استلم موسى الـــواح القانون ، وعلى بعد اثنى عشر يوما من القدس ، حيث اعلن عيسى الخبر الطيب ، ولكن سيناء هي الجبـــل ، والقدس هي بالتقريب ايضا البادية . ومكة ، انها الصخر المحترق ، الاتون . لا نهائية الرمال تحت نقمة السماء النارية ، ان مكة هي الصحراء .

ان ابراهيم الباحث عن الارض الموعوده ، قـــد توقف هناك ، تاركا ولده اسماعيل على حجرة ، ومـــن اسماعيل ولد جنس العرب ، ومن الحجرة ظهر الاسلام .

وعند ما وضع ابراهيم الطفل على الحجـــــره ــ منقطعين ، هذا وذاك ، الى الالاه الواحد ، الى الالاه الحنيفي ــ كانت الحجرة بيضاء ، وبعد ذلك بألفي سنة عندما شاهد محمد الحجرة ، كانت قد اصبحت سوداء: « سوداء من جميع ذنوب الناس » ، بيد ان البدويـــين الناسين لالاه ابراهيم ، كانوا قد جعلوا منها هيكـــل معبودهم ، الكعبه ، حيث يضحون بالجمال والتيـــوس ــ والاطفال ــ لـــ 360 من آلهة ضريحهم الجاهلي .

---

1) هذا غير صحيح بدليل ما سيذكره الكاتب نفسه فتراجع المسلمين لم يبدا الا فى عصور اخيرة . ولكن ما هي الدولة التي عمرت فى التاريخ اطول مما عمرته دولة الاســــــلام ؟! .
2) كانت بغداد ــ لا القاهره ــ هي عاصمة الرشيد .
3) يعني سلفستير الثاني وهو الذي نقل الارقام العربية المستعمله فى المغرب العربي
4) يعني من الغربيين .
5) بل من نور لو كان يعلم .

كبار رعاة العالم

محمد صلى الله عليه وسلم

للمستشرق : الأستاذ جورج ريير
تعريب : الأستاذ إدريس الكتاني

منذ ثلاثة عشر قرنا صنع الاسلام ـ آخر الاديان التي ظهرت فى التاريخ بعد اليهودية والمسيحية ـ ايضا امبراطورية هائلة فاقت امبراطورية الاسكندر . واليوم لايزال الاسلام بمثل ثلاثمائة وخمسين مليونا من الرجال موزعين على العالم اجمع . هذه القوة الخارقة النائمة خلال قرون ، والتي تستيقظ موشكة ان تصبح احدى المشاكل العامة للعالم الحديث . هي ثمرة كتاب : « القرآن » . هذا الذي املاه ، مجرد جمال ، لم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة . انه يسمى محمد ، ونحن نسميه ماهومي (1).

هذا الرجل المحيف ، الذي خرج على نفسه هو ، هذا العلاقة ، يجب ان نراه بوجهه ، وان نفهمه؛ بالامس فقط كان فلاحا عندنا ، جاني عنب فى كرمه ، والآن انه هناك ، ظهره للحائط ، وعيونه طافحة بالغضب ، أي دوار زلزله ، اقتلعه من حقله ، ليقذف به فى الثورة ، ثملا لا يحس بأي عنف .

ماذا يوجد وراء هذا المجهول ؟

انه شيء فسيح ، غامض ، لا يكاد يفهم ، انـه : الاســـلام .

اسلام يعني : خضوع ، مفهوم ضمنيا : لارادة الله . فالمسلم اصله واحد ، انه الرجل الذي يخضع(2)

ذلك انهم 350 مليونا فى العالم (ثمن سكان الكرة الارضيه ، من رمال الاطلس الى صحراء جوبي (3) ومن المحيط الاطلسي الى جزائر اندونسيا ؛ يخضعون خمس مرات فى اليوم . كل يوم ، يجددون قيامهـم بالخضوع متجهين لنفس النقطة فى العالم ، مكة ، ماسين الارض بجباههم ؛ انهم ينتسبون لثلاثين امة ، وعشرين جنسا ، يتكلمون مائة لهجة ، ولكنها فى لغة واحـدة

---

(1) نشرت هذا العرض القيم اكبر المجلات الفرنسيه المصوره باري ماتش «Paris Match» التي توزع نحو مليون نسخة ، والمعروفه بنزعتها الاستعمارية ، بتاريخ 11 يناير 1958 . والفضل فى نشرهـا لهذا البحث النزيه ـ فى الجملة ـ بالنسبة لما تنشره الصحافة الغربية عادة عن الاسلام ، يرجـع للثـورة الجزائرية التي هي فى نظـر الفرنسيين ثـورة شعب مسلم . ونظرا لاهميته التاريخية ، ورغبـة فى اطلاع الراي العام العربـي على مايقولـه كتـاب الغرب عن الاسلام ، والحضارة العربية ، والنهضـة العربية المعاصرة ، فقد عربته لمجلـة « دعـوة الحـق » التي حصلت على اذن بترجمته ونشره من مجلة « باري ماتش » وعلقت فى طرة المقال على اهم الانحرافات والاخطاء التي اشتمل عليها .
« المعرب »

(2) لا يعيب المسلم انه يخضع لارادة خالقه ، ولكن يعيبه ان يخضع لاراده النفس الامـارة بالسوء .

(3) وتسمى ايضا شامو وهي صحراء منغوليا الكبرى بين سيبيريا ومنشوريا .

لسان ، منذ قرون ، حكايات عن التلمود والتوراة والاناجيل ؛ ولكنه كان يحس برغبة كالظمأ ، يزداد نموها ، وشيئا فشيئا ، اخذ يبتعد عن أهله ، ليذهب وحيدا فى الصحراء ، نحو الاحشاء المحترقة بجبل حراء ، غير البعيد عن مكة ، فهناك غار تجتذبه اليه وحشته ، سوغل فيه ويقيم اياما واحيانا اسابيع كاملة ، يعيش وحيدا بالتمر ولبن المعز ، ينتظر شيئا لا يعرف ما هو .

وفجاة ، يحدث الشيء ، فعند غروب الشمس ، حيث تكون السماء خضراء ، ورياح الرمل تثير غبار المساء الاكلف ، كان يخرج من غاره حينما انقض عليه الشيء الوهاج طارحا له على الارض فى سرعة البرق ، وعندما فتح عينيه كانت السماء تتلألأ بالنجوم ، ماذا حدث له ؟ انه مثل كرة من النار تنفجر من الراس ، ثم شيئا فشيئا يعود كل شيء اليه ، ففي ثلاث مرات كان « حامل الاجنحة » يأخذه من الحلق ويهزه حتى يكاد يختنق ، قال له : « اقرأ ! » ملوحا امامه بطريقة الراية حيث كانت تسطع حروف من نار (1) ولمرتين تأوه الرجل الطريح نصف مختنق (ما انا بقارىء) ولمرتين اعاد الآخر : « اقرأ » وارتفع الصوت المفزع . وكل حرف من الراية يوغل فيه كسيف من اللهب : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »

وينهض الرجل مفزوعا ، ويفر الى منزله ، ولكن ، بينما هو يعدو كان الصوت يتبعه : « يا محمد انت رسول الله ، وأنا الملك جبريل » .

ليلة الوحي هذه — التي يقع احياء ذكراها منذ 1300 سنة فى صيام وصلوات شهر رمضان — هي ليلة القدر ، الليلة المقدسة فى الاسلام .

وخلال وقت طويل ، ظل يشك فى مهمته (2) ؛ ولكن خديجة زوجته ، وورقة المسيحي ، هدءا من روعه بلطف ، وقالا له : ان الله هو الذي ارسل اليه الملك جبريل . كان يظن انه وقع فريسة الجن ، عفاريت الرمال ؛ وخلال ثلاثة اعوام (3) كان يصمت ، ويختفي ، خجلا من المغامرة التي ذهب ضحيتها ، « متكلما ككاهن ، أو ساحر ، هو الذي يكره الكهنة والسحرة » — غير عارف من اين ياتي الصوت ، لم يعد يأكل ، وينام بشق النفس ، وبلغ من ألمه انه كان يفكر احيانا فى الانتحار . ما اجمل عنده العودة الى الصحراء وحيدا ، « نحو شجرة العناب » فى الساعة التي تضاعف فيها الشمس — أو القمر — سرابهما ، ان النهار فارغ ، والليل بدون صوت ، واخيرا فى ذات مساء ، بينما كان يرتعش من الحمى والضعف ، وقد ترك طريحا على الرمل ، وراسه مغطى بعباءته ، وعلى حين فجأة ، انزل « الشيء » تحته مفزعا :

« يا أيها المدثر ، قم فانذر ، وربك فكبر » .

ووقف الرجل مستقيما امام الاله ، لقد زال الكرب والشك ، انه يعلم بانه النبي ، وانه يأخذ بمقبض سيف الملك فمن اجل الله ، وبواسطة السيف والنار ! (4) مهمته ؟ انه يعرفها ، انها جلب الفضيحة والخراب الى قبيلته اولا ، ومدينته ثانيا . ماذا يجب ان يفعل ؟ اسقاط الاصنام . واستئصال الوثنيين الذين يكونون الثروة من مكة ومن قبيلته ، مهمته ؟ انها الجهاد ، الجهاد المقدس .

---

(1) تخيل الكاتب ان جبريل عندما كان يطلب من الرسول ان يقرأ ، كان يحمل راية كتبت عليها الآية الكريمة بحروف متوهجة ، كان يشير اليها طالبا قراءتها .

(2) هذا الشك فهم من قول النبي لخديجة : « لقد خشيت على نفسي » فاختلف فى معنى هذه الخشية ، وقال الحافظ الاسماعيلي انها كانت قبل ان يحصل له العلم الضروري بان الذي جاءه ملك من عند الله .

(3) يعني المدة التي انقطع فيها الوحي حسب بعض الروايات ، وبعضها يقول انها 40 يوما فقط .

(4) يريد ان يقول ان الاسلام قام بالقوة . ولكن فى اي بلد وفى أي تاريخ انتصر الحق بدون قوة ؟ ! واذا كان من طبيعة الانسان ان يذعن للحق بدون قوة فما هي البلد التي لا تحتاج محاكمها الى الاعتماد على قوة الدولة فى تنفيذ احكامها ؟ ان القوة التي استعملها الاسلام لم يستعرها من احد ، وانما انبعثت من ايمان المومنين به ، أى من عقيدته ومبادئه وحدها .

كان ذلك بعد « التصليب » بستة قرون ، بعيدا عن الحضارات السامية لمصر وفارس ، في هذه الليلة حيث وفاة المسيح ، وانهيار الامبراطورية الرومانية ، وانشقاق الكنيسة الشرقية ، كانت قد تركت شعوب الصحراء تسقط من جديد في وثنيتها الغابرة ، في هذا العالم المتوحش ، الثائر كالرمال ، الذي يمتد من البحر الاحمر الى الخليج الفارسي ، حيث فكرة الجريمة نفسها لم تعد موجودة : والبنات اللواتي كن اسباب الحسرة ، اغلبهن يدفن حيا بمجرد الولادة .

وحول الكعبة قامت مدينة ، ولم تلبث مكة ان اصبحت المدينة المقدسة لعبادة الاوثان ، فمن جميع اركان الصحراء ، من مصر الى فارس ، ومن اليمن الى جده ، يتجه البدو نحو مفترق طرق الحرير والبخور هذه ، حيث تلتقي القوافل الكبرى ابان الموسم السنوي؛ ففي خلال ثلاثة اشهر ، تتحول المدينة الى سوق تتراحم فيها عشرة آلاف جمل ، وعدد من ادلاء القوافل والحداة والباعة ، ويقال ، اكثر من مائة الف حاج ، دون عدد السحرة والكهنة والمشعوذين والعاهرات ، الذين يجتذبون الناس بقدر ما تجتذبهم عبادة الاوثان واشغالهم ، والمباريات الشعرية التي يتنافسون فيها ، اذ جميع هؤلاء الجاهليين شعراء ؛ ان مكة مدينة مقدسة للوثنية وعاصمة للفساد ، تعيش سخاء من آلهتها وبوادي قمارها التي تستغل احتكارها اسرها الكبيرة .

ان محمدا ينتسب لاقوى هذه الاسر وهي قريش التي كان لها منذ قديم امتياز بيع الماء المقدس من بئر زمزم الى الحجاج ؛ وهو غني ، ليس لانه كان وارث احتكارهم وثروتهم ، ففي السادسة من عمره كان يتيما ، وجده ثم احد اعمامه ابو طالب هما اللذان رباه بالاحسان ، ولكن في السنة الخامسة والعشرين قام محمد الجمال الفقير بزواج غني ، تزوج خديجة الايم التي كان زوجها قد ترك بعد وفاته احدى قوافل مكة الكبرى .

هذه الزوجة الصالحة ، جعلت منه واحدا من اكبر اصحاب القوافل بالبلاد العربية ؛ وعند ما بدات الرجفة (رجفة الوحي) تنزل عليه ، في عامه الاربعين ، كان احد الاعيان ، زوجا طيبا ، وابا طيبا لعائلة (كان عنده 8 اطفال ، 4 بنات و 4 غلمان ، ولكن الاخيرين ماتوا في سن صغيرة) وعضوا في مجلس المدينة ، شديد الامانة ، كثير التفكير ، محترما لتقاليد ومصالح المجتمع يضحي للاصنام ، ويقتسم فوائد الطقوس الدينية (1)

ان اليقظة سوف تكون مدمرة .

ومع ذلك ففي هذه القفوة الكاملة لا يعلم في اي قلق كان ؛ فمنذ الطفولة كان موضوعا للتأملات والاحلام وكثيرا ما يذهب وحده في الصحراء ، نحو هذا العناب (2) ، حيث تحدث لكل صبي مغامرة مستغربة ؛ لقد كان هناك ، راعيا لنعاج مربيته وعنده نحو خمسة اعوام ، عندما ارسلت عليه السماء « طائرا كبيرا من اللهب » . فاغمي عليه من الفزع ، وعندما استعاد وعيه ، حكى وهو يرتعش ان هذا « الشيء الوهاج » شق صدره بسيف « وغسل قلبه » . ومنذ ذلك الحين ، يحب السماء اللافحة ، او يحب النجوم ، في كل مرة يذهب الى الصحراء ، بخطوات وئيدة من جمله ، فان هذا « الشيء الوهاج » هو الذي يترصده ؛ وفي ذات يوم ، بجانب سيناء — قد يكون عنده اربعة عشر عاما — خيم هو وعمه قريبا من مجلس رجل منعزل مسيحي : هو الاب بحيرا : فقص عليه محمد تاريخ « طائره » فقال له بحيرا : انه من غير شك ملك — من يدري ؟ لعله رئيس الملائكة جبريل ، وتحدث معه عن عيسى ، ولم ينس محمد بعد هذا الاسم . ففي كل مره يلتقي باحد المنعزلين ساله هل يعلم شيئا من تاريخ النصارى وبعد ذلك بسنوات عديدة ، بعد زواجه ، اتصل في مكة مع « الرجل الذي يعرف المسيح » ، انه ورقة الصائغ الاعمى ، الوثني (3) ورقة الذي اعتنق اولا اليهودية ، ثم المسيحية ، وبواسطته عرف ، نقلا من لسان عن

1) هذا من الكاتب مجرد استنباط — وليس بصحيح — من كونه كان يحترم تقاليد قومه ، اذ لا يلزم من احترامها العمل بها ، فالذي ثبت في التاريخ ان الله حفظه منذ صغره من اعمال الجاهلية ، وبغضت اليه الاوثان فلم يكن يحضر حفلاتها واعيادها الدينية . وقد نص النبي — ص — على هذه الحقيقة في حديث له .

2) شجر الفاكهة التي نسميها في المغرب الزفزوف واحدته عنابة .

3) ان اتصاله بورقة بن نوفل لم يقع الا بعد نزول الوحي عليه للمره الاولى كما هو معروف ، بواسطة خديجة ، ولم يتردد ورقة نفسه بعد ان سمع قصة الوحي في تصديق رسالة النبي ص .

يبتدىء بالجهاد : الحرب المقدسة . ان العدو هو الوثني ، وضد هذا العدو اخذ النبي يلوح بالسيف ويرفع العلم الاخضر للجهاد .

فى هذا الكفاح ، الرجل الحنون الحالم الذي هو محمد اصبح شديد البأس (1) ، وليس هو الذي يرمي انه الله (2) ويعد انصاره الثلاثمائة ــ وهم كل جيشه ــ بالنصر حيث « الجنة تحت ظلال السيوف » . ويقول لهم : هؤلاء الذين لا يعودون سيجزون احسن الجزاء ، وسيحملون اسم الصالحين (3) ويقول ايضا : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء ، عند ربهم يرزقون) . ان فقد الحياة معناه ربح الخلود : « ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة » ، ويقول لهم : ان هذه هي الاقامه فى النعيم الخالد ، فى « جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها . . » حيث الحور العين والكواعب والاتراب ستقبلن الابطال فى ظل النخيل ، اما الجبناء فسيذهبون الى جهنم (4) « فى سموم وحميم ، وظل من يحموم » .

ان معركته خالصة ، فليست المدن والبلاد هي التي يطمع فيها ، ولكنها الارواح ، وهو يعارض مقدما حملات الاحتلال والسلب من هؤلاء الذين سيدعون القتال باسمه : « ان جندي الله هو الذي يقدم حياته لا للاستيلاء ، ولكن فى سبيل الله » (5) . وهو لا يريد جنودا مرتزقة بل شهداء .

وعند العودة من كل غزو يكرر : « لقد عدنا من الجهاد : الحرب الصغيرة المقدسة ضد الكفار ، والآن يبدأ الجهاد الاكبر: الحرب الكبيرة المقدسة ضد النفس»

ان المعركة المزدوجة ــ الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر ــ هي التي سيقوم بها اثناء العشرين عاما حيث هو مع قبضته من الانصار ، سيطهر الجزيرة العربية من الوثنية وسيجعل من مكة مأوى الجاهلية، المدينة المقدسة للاسلام .

وفى المدينة ، كما فى مكه ، ظل عرضة لهاجمات الاعيان الذين الفوا ، للقضاء ، عليه ، حزب المنافقين ، وبقوة الدبلوماسية ، نجح محمد فى تخفيف وطأة المتعصبين منه ، ومنح البلد ميثاقا حل محل النظام القديم القبائلي ، مصدر الخلافات الدائمة ، وجعل منها مجتمعا الاهيا ، حيث القبائل المتنازلة عن منافساتها المتوارثة ، يجب ان تتعاون وتتبادل المساعدة للدفاع عن البلد (6) وميثاق الدولة هذا هو فى آن واحد ديني وسياسي ، انه سلفا القرآن ؛ فهذه الاخوة تحت رعاية الله ، لرجال متحدين لتنفيذ ارادة الله ، دون تمييز بين الاجناس او القبائل ، هي الاسلام .

ويهاجمه اليهود بدورهم ، رافضين الاعتراف بانه النبي المخبر عنه فى الكتب فيقاطعهم ، ومنذ الآن لن يتجه المسلمون نحو القدس لاقامة الصلوات اليومية الخمسة ، ولكن نحو مكة ، متخلصين من اليهودية (7) ذلك ان المذهب اصبح دينا قائما بذاته : الاسلام .

---

1) يستغرب الكاتب ان يحارب النبي اعداءه ، لانه يريد ان يفهم الاسلام كما يفهم المسيحيه : من لطمك على خدك الايمن فادر له خدك الايسر ! .

2) يشير لقوله تعالى : وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى .

3) يشير لمضمون آيات فى هذا المعنى .

4) من البديهي ان الاسلام لم يهدد الجبناء بجهنم ، فالجبن ليس جريمة فى حد ذاته ، ولكن خيال الكاتب الشعري جعله يحكم على الجبناء بجهنم، ما دام الابطال يدخلون الجنة !

5) عبارة مقتبسة من مضمون بعض الآيات .

6) يشير الى معاهدة « عدم الاعتداء » التي ابرمها النبي (ص) مع يهود المدينة الذين كانوا يتعاونون سرا مع منافقيها ضد المسلمين .

7) ظل النبي بالمدينة يستقبل بيت المقدس 16 شهرا قبل ان ينزل عليه الوحي بتحويل القبلة الى الكعبة ، وفى ذلك نزل قوله تعالى : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب » « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » وكان الرسول يتمنى هذا التحويل يدعو لذلك متجها للسماء : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

لم يكن بجانبه الا خديجة زوجته ، وعلي ابن عمه ، وزيد ابن المتنى ، وابو بكر صديقه ، وعثمان زوج ابنته البكر ، هؤلاء الخمسة ــ اوائل الاسلام ــ سيكونون اتباعه .

ولكنه وجد فى ساحة الكعبة ، فى الساعة التي يتراحم فيها جمهور الحجاج لاهراق دم الضحايا على حجرة الهياكل ، انه وحده الذي فضح خداع الاصنام واعلن انه « لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله » .

قالوا انه احمق . هل من الممكن ان اعقل الرجال واغناهم فى المدينة يصبح هذا المهرج ، هذا الرجل الذي يسقط من الذعر ، ويتكلم فى نوع من الهذيان ويعتبر نفسه رسول الله ؟

ويسخرون منه : « اذا كنت نبيا يا محمد ، فاصنع لنا على الاقل معجزة ــ كالآخرين ــ ويجيب « ان كلاما كهذا الذي اخاطبكم به ، انا الامي ، انا عديم المعرفة ، الىس معجزة ، اكبر المعجزات ؟ »

ويتهمونه بالتدجيل . هذا الاله الوحيد الذي يتكلم عنه ، انهم يعرفونه ، انه هو الذي اخبر عنه جميع الانبياء ، وآياته المصوغة فى نثر موزون ، يخطب بها منطلقا فى الارض ، واللعاب فى الشفاه ، انها « مقاطع » العهد القديم والعهد الجديد التي علمها له هؤلاء الكلاب من اليهود والمسيحيين ، لكي يخلق الفوضى والخراب فى المدينة .

ومع ذلك فان حجاجا بدأوا فعلا يستمعون اليه ، وبعضهم اخذ يتحول عن الاصنام ، واذن فقد وقعت الواقعة . ان اعيان المدينة يريدون تصفية الحساب مع هذا الثائر ، هذا العدو العام ، فان صلى على حدة قذفت احشاء النعاج على وجهه ، وان اراد ان يعظ بصق فى اتجاهه . ولم يتجرأ احد على قتله ــ قانون الصحراء يمنع قتل رجل من القبيلة (1) ــ . وقد عامل القرشيون بوحشية هؤلاء الذين يستمعون اليه : الفقراء والمتسولين والعبيد ــ انهم انفسهم الذين كانوا قبل ستة قرون يستمعون الى عيسى .

وان ما يقوله ، لهو تقريبا هذا الذي قاله عيسى مع هذا الفارق القريب من انه لا يقبل الوهية المسيح ، اذا كان يقبل ادراكا غير مدنس ، بأن الله ــ الاله الذي اخبر به جميع الانبياء ــ احد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا احد ، وليس محمد الا آخر رسله « خاتم النبيئين » . ولم يأت الا ليذكر الانسان بما اخبر به هؤلاء الذين سبقوه ــ من ابراهيم الى عيسى ــ : « كونوا مستقيمين ، اتقوا الله ، تذكروا يوم الحساب الاخير » .

ومع ذلك فانه يشتم ، ويرجم ، ويقبض على اتباعه ، فيمدون عراة على الرمال المحرقة ، رءوسهم تحت الشمس ، وصدورهم تدق بكتلة من الحجارة ، ويتركون الى ان تأتي الكلاب لتنهش عظامهم ، انهم اوائل الشهداء ، اوائل الصالحين فى الاسلام ، ان اسم واحد منهم وصل الينا ، كان يسمى بلالا ، وكان زنجيا ، كاد يموت من العذاب والعطش ، لقد سحق صدره ، كان يردد ليل نهار دون ان يشتكي : «الله احد ! الله احد !»

وكان محمد قد افتدى العبد من سيده (2) وعالجه حتى شفي ، وجعل منه اول مؤذن : الرجل الذي سيظل حتى آخر ايامه ينادي المسلمين الى الصلاة ، خمس مرات فى اليوم .

وتتضاعف الاضطهادات والامتحانات . وفى عام الحزن (620) فقد محمد خديجة ، زوجته المخلصة ، واولى اتباعه . وفى حالة الالم الذي كان يعانيه وقعت له رؤيه : المعراج : فقد رأى نفسه محمولا على البراق فرسه البيضاء قاطعا الصحراء ، ومن القدس مرتفعا الى عرش الاله . انه هناك تلقى اولى الفرائض الخمس ــ الدعائم الخمس للاسلام : شعيرة الصلوات الخمس اليومية ، حيث تتجه الوجه نحو المدينة المقدسة التي ليست ايضا مكة ، ولكنها القدس « مدينة اله ابراهيم »

ان عنف ايمانه هو سبب انذارات الخطر للقرشيين الذين قرروا قتله ، وينجو من عدالتهم ويلتجيء الى الطائف ــ التي طرد منها ــ ثم الى يثرب (واحه على بعد 400 ك . م . من مكة) ، المدينة النائية فى الحجاز . وهذا الخروج من مكة الى يثرب التي ستسمى منذ الآن بالمدينة (مدينة النبي) هو الهجرة .

وان يوم 25 شتنبر 622 هذا من التاريخ المسيحي هي السنة الاولى للاسلام . ان عهدا جديدا يبتدىء .

---

1) ما دام فى جوار القبيلة او جوار احد زعمائها ، والا اصبح دمه هدرا .
2) بل ابو بكر هو الذي اشتراه من امية بن خلف الذى كان يعذبه واعتقه كما هو معـــــروف .

الحجر الاسود ، ويحتفظ من جديد بالمقام لعبادة اله ابراهيم « الاله الحق » .

وفي السنة التاليه ، كان على راس تسعين الف رجل ، يعود الى مكة ليحتفل فيها باول حجة اسلاميه ، ويحدد فيها الشعائر التي لا تزال تطبق حتى اليوم ، من طرف مآت الملايين من المسلمين ، الذين يقومون كل سنة في شهر ذي الحجه بالسفر الى مكه .

وهذه هي حجه الوداع . ان النبي الذي انهكته المعارك التي قام بها ضد الوثنيين ، وجسد نفسه هو ، كان يشعر باقتراب اجله . كان يوجه وصاياه الاخيره الى اصحابه ، عاري الراس تحت الشمس ، لابسا كفنه ، لقد حثهم قبل كل شيء على البقاء متحدين ، ثم اخذ يذكر بحقوق وواجبات الارواح ، وابطال الربا ، والاخذ بالثار ، ولمرتين طالب الجمهور : « الا هل بلغت ؟ » وان المومنين الواقفين امام الله ، كما هم اليوم حجاج مكة في سهل عرفات ليهتفون له ، في الوقت الذي كان يرى فيه شاحبا مريضا ، وفي رجعة كان الرجل يعلن آخر كلام تلقاه عن الله : « اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

ويعود الى المدينه فيقع مريضا — بسال بذات الجنب — ويموت بين يدي عائشة ، زوجته الشابه ، وبجانبه فاطمه ، احب بناته اليه . كان ذلك يوم الاثنين 13 ربيع الاول من السنه 11 من الهجرة (8 يونيه 632) وعنده واحد وستون سنة (1) .

هكذا ذهب هذا الذي كان « اكثر من رجل ، واقل من اله : كان نبيا » لقد مات محمد ولكن رساله محمد بدات ، هذه الرسالة هي الاسلام ، والاسلام هو القران

ها هو ذا الكتاب ، انه مفتوح على سفينة بجانب القبلة (النافذه الرمزيه المتجهه نحو الكعبه) في اقدم المساجد الخمسه بجامعه الازهر ، بالقاهره . اننا هنا في قلب الاسلام ، ان الازهر هو فاتيكان العالم الاسلامي . ومن هنا منذ الف عام يقوم بلاسون دكتورا في العلوم القرانية — هناه كبار العلماء — يجهل العالم (2) دائما اسماءهم ، بضمان استمرار الاسلام ، وادارة المجتمع الاسلامي بواسطة البحث والتفسير ونشر القانون .

ان القانون هو القرآن ، والقرآن يعني : التلاوة القرآن ليس فقط توراه (كتاب) المسلمين ، انه صوت وكلام الله ، انه عبقريه الاداب العربية ، ولا يمكن اعتباره كعمل ادبي دون المساس بحرمته ، انه نص مقدس «غيرمخلوق ، ازلي الوجود ، تلقاه النبي» (3) ان القرآن هو « خطاب الله للانسان بلغة العرب » وتلاوة القرآن هي القربان المقدس الوحيد في الاسلام ، وقراءة آية من القرآن هي توسل ، وهي غذاء رباني ، وبمعنى ديني : الاتصال بالله .

ان القرآن ، شريعة الديانة الاسلامية ، هو ايضا القانون المدني ، والقانون الجنائي ، وميثاق هذا « المجتمع العالمي الذي تتوازنه الامم والاجناس » الذي هو الاسلام ، انه القانون المدني الذي توجه في ادق الجزئيات حياة الشخص ، وحياة المجتمع باسرها . انه دين وحياة يوميه ، ايمان وسياسه ، كلها مرتبطه ارتباطا عبر قابل للتفكك في المائه والاربعه عشرة سوره . والستة الالف والمائتين والستة والثلاثين ايه من « كتاب الحياه » هذا ، الذي هو بالنسبة للمومن المستنيرة المتلقيه التي لا يمكن مخالفتها ولا مناقشتها لان كل كلمة من سبعة وسبعين الفا وستمائة وستة واثنين من الكلمات التي تتالف منها هي كلمة الله .

القران انه البازار (4) كما يقول (هو حو) ، فيه كل شيء . ولكن تحت هذه الكثرة وهذا الاختلاط يحتمي قاعده الاسلام : الوحده . اله واحد ، كتاب واحد ، قانون واحد ، لغة واحده ، شعب واحد .

ان الاسلام ، آخر الاديان الكبيرة التي ظهرت في الوجود ، هو اكثرها بساطة على الاطلاق . الاهه « الله ، الواحد ، اله ابراهيم » ، هو اله المسيحيين واليهود . عقيدته تتلخص في هذا التاكيد : « لا اله الا الله ، ومحمد رسول الله » وشعائره تعود الى اركان الاسلام الخمسه :

---

1) يعني شمسية ، أي 63 سنه قمريه .
2) يعني العالم الاوربي ! والا فاسماؤهم لم تكن في وقت من الاوقات سريه .
3) الغريب ان الكاتب هنا يقول براي اهل السنه في مسالة خلق القرآن .
4) كلمة فارسية الاصل تطلق على السوق العمومية المغطاه في الشرق ، وتطلق بالفرنسية لتطلق على المتجر الكبير الذي يبيع كل انواع السلع ، وتطلق عندنا في المغرب على المتاجر الخاصة بالتحف والصناعات الوطنية .

وتزداد المعركة اتساعا ، وان مكة التي اصبحت المدينة المقدسة للاسلام ، لا يمكن ان تظل بين ايدي الجاهلين ، ان فرسان الله سوف ينتزعونها من عبدة الاصنام . هذه الحرب التي تستمر عشر سنوات ، انها حرب الصحراء ، الهجوم على القوافل ، السلب والقتل ؛ ففي بدر ، وفى المدينة معارك شديدة ، ان جنود النبي المتسابقين فى ضراوة (1) مع القرشيين الوثنيين ، ينصرفون كعفاريت حقيقيين ، ففي نار المعركة، محمد نفسه ، المنتصب فوق ناقته ، يستثير الحماس الحربي لانصاره ، ملوحا بالسيف ، انه الجهاد : الحرب المقدسة . ولكن عند الرجوع يبدا الجهاد الاكبر ، المعركة ضد النفس التي يجب ان يقوم بها المومن ليلقى الله ، الله الذي املى على رسوله « انظمة القتال » هو الذي املى « انظمة السلام » انه يكرر « افضلكم الذي يبدا بالصلح » . ــ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ــ « المسلم من اجتنب ما حرم الله » . ويقول متذكرا عيسى : « من قتل رجلا فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن انقذ رجلا فكأنما انقذ النوع الانساني » وايضا : « احسن الى من اساء اليك نجده قد تغير الى حام وصديق » . ولكن عندما يقع الهجوم لاجل الله ، فان كل شفقة تزول ، فالعلم الاخضر يرفرف ، واسنة الرماح تتوهج فى الشمس ، والدماء تسيل والجرحى يحتضرون ، والاسارى مبتورون بشناعة (2) .

وباستثناء مكة ، فقد فتح لاله الحق جميع الصحراء العربية ؛ ان محمدا الذي اصبح ملك الرمال وامير المومنين ، يعيش مثل افقر رعاة الجمال ، لقد رفض تياب الصوف الرقيقة والخضاب ، ويرى لابسا جلبابا مستعملا ، وجالسا القرفصاء على عتبة بيته ، برقع ملابسه ، وفى المساء يذهب لجلب الماء من الآبار ، ثم يتكيء على نخلة ، يتكلم عن الاله الحق ــ اله ابراهيم ــ الى الباعة والى القوافل .

وفى ذات مساء يقول لاصحابه : « اعملوا لدنياكم كأنكم تعيشون ابدا ، واعملوا لآخرتكم كأنكم تموتون غدا » (3) ومن المعتقد الاصغاء الى سينيك (4) .

ولكن عندما « يكلمه الله » فذلك الرعد والصاعقة حينئذ ، انه يرى شاحبا مرتعدا ، يتفصد جبينه عرقا ، ثم يسقط الى الارض كحيوان مذبوح ، ويستلقي على ظهره مزبد الشفاه ، وينط بـ « هذا الذي يتلقاه » انها رسائله التي يتلقاها عنه اتباعه ، ثم تنسخ على اوراق من سعف النخل ، او على عظام كتف الجمال ، والتي اصبحت فيما بعد القرآن .

وهو خارج المعركة ، اكثر الكائنات لطفا ، واكثرها وداعة ، انه لم ينس قط خديجة ، خديجة النبيلة ، لقد ترمل بعدها فتزوج اخريات ، بعضهن معمرة مثل سودة ، وبعضهن صغيرة كعائشة ؛ والتاريخ يحفظ اسماء حفصة وزينب وام سلمة وريحانة وصفية وام حبيبة وميمونة ، وثلاث حظايا منهن مارية القبطية التي انجبت له طفله الوحيد الذكر ، الذي مات فى سن صغيرة . وفى نهاية حياته سيقول : « حبب الى من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني فى الصلاة » .

ان النصر يقترب ــ والنهاية .

ان مكة التي يهاجمها منذ سنوات ، تعود فى النهاية ، ففي يناير 630 (السنة 8 من الهجرة) كان محمد راكبا على ناقته يدخل دخولا رسميا الى مدينة مولده ، يتبعه عشرة آلاف من الحجاج ، ويزور الكعبة، ويأمر باسقاط الثلاثمائة والستين صنما ؛ ويقبل

---

1) انه يسمي البطولة والتضحية بالوحشية ، كما يذكر كلمات الذبح والنهب ، ناسيا انها حرب وغنائم مشروعه . ولذلك اضطررت لحذف عبارات مفرضة او قليله الادب من هذا النوع ، لا يستغرب ان تصدر عن كاتب فرنسي لا يجرؤ ، فى نفس الوقت ، ان يسمي مذابح الجزائر وعمليات التعذيب والتشويه ، وقتل النساء والاطفال ، باسمائها الحقيقية ، بل ينعتها كزملائه بعمليات « التهدئة » !!

2) لعله نسي انه يتكلم عن حرب لم تكن فيها قنابل ولا متفجرات ، وانما هي نبال وسيوف تقتل او تجرح دون ان تبتر الاعضاء فى الاغلب . والاسلام هو الذي سن قانون حماية الاسرى . ولكن الكاتب يريد ان يعرض بان هذه الحرب تتنافى مع الشفقة والرحمة التي جاء بها الاسلام ، وهو بذلك لا يريد ان يفهم الاسلام الا كما يفهم المسيحيه .

3) لفظ الحديث غير صحيح وينسب ايضا الى علي بن ابي طالب .

4) سينيك احد بلغاء اللاتين ولد حوالي 61 قبل الميلاد ، والحملة فى معرض المثل .

اعمدة : معرفة الحكيم ، وعدالة العظيم ، وصلاة التقي وبسالة الشجاع (1) .

ولكن هذه الامبراطورية قد حكم عليها سلفا ، فالصليبيون سيتحطمون عليها ، ومع ذلك فستكون هي التي ستنهار ؛ ان صلاح الدين ـ المعادل في الشجاعة والفروسية ـ سيستطيع سبق سان لوي ، ولكن الشوط قد خسر ، وافلس .
وافلس خلفاء النبي (2) في مهمتهم ، فلم يعودوا يحاربون قط من اجل الله ، بل لانفسهم ، ولم يعودوا قط حواريين وشهداء ، ولكن اجراء ، اجراء لمطامحهم ، وقد تنبأ محمد نفسه بخسارتهم .

ان « الشيعة » ولدت من المنافسة بين خلفاء النبي ، وقد اخذ النزاع يستمر ايضا بين الهاشميين سلالة علي ، والامويين سلالة عثمان ، الصهر الآخر للنبي .

لقد قاد امويو دمشق الامبراطورية الى اوج قوتها؛ فافريقيا الشمالية خاضعة ، واسبانيا مفتوحة ، ونصف فرنسا محتل ؛ وفي الشرق ، اصبحت فارس وافغانستان والبنجاب الهندية ، والتركستان الصينية ، اراضي اسلامية ، والاسرة العباسية التي جاءت بعد ذلك تسود في بغداد نصف العالم المتحضر ، وهارون الرشيد ، خليفة الف ليلة وليلة ، يتعامل على قدم المساواة مع شارلمان امبراطور الغرب ؛ ولكن الترف ، والتهاون ، والمؤامرات ، تقود هذه الامبراطورية العظيمة التي لا يمكن ان تحكم ، الى حيث تنتهي لتفترس نفسها ، فالشعوب المفتوحة تتحرر الواحد تلو الآخر (3) ، والطوائف ـ القرامطة والمعتزلة والصوفية ـ والمذاهب المتكاثرة ، تنجز تفكيك اوصال الجسم الكبير المنهوك ، وان الاسلام الذي انقذ العرب من هجوم المغول ، تبدد تحت وطأة البرابرة الذين قضوا على سمرقند ودمشق وبغداد ، وسودوا مياه دجلة بملايين الكتب والمخطوطات التي رميت فيها » . هذا الهيجان العنيف الماضي ، هذا الشعب ، شعب الفاتحين ، الموقع على ورقة بيضاء ، ناضج لكل سيطرة (4) ، فسيطرة العثمانيين ستستمر عشرة قرون (5) وامبراطورية صلاح الدين المهولة اختفت من العالم .

وخلال قرون ، انه النوم .

ان الامبراطورية العربية لم يعد لها وجود ، ولكن الاسلام لا يزال ، متفرقا في الصحراء ، عائشا في مخدراته او في عظمة عواصمه الضائعة ، ناسيا مجده ، يحس على مضض بوجوده الخاص ، خاضعا لاسياد آخرين ، مطيعا لقوانين اخرى ؛ ولكن خمس مرات في اليوم تتلى نفس الصلوات في نفس اللغة ، ونمس الارض بالجبهة في نفس الساعات مع الاستدارة نحو نفس النقطة من العالم . ومن بعيد الى ابعد يقام الحج الى مكة ، وكل حاج يذهب الى مكة يتوقف في القاهرة ، ويقيم في هذه المحطة (خان القوافل) التي هي جامعة الازهر . وهناك ، في صمت جامعهم العتيق ، يجاهد العلماء الكبار ، في خلال جميع الانقلابات ، للمحافظة على الاستمرار الحي للاسلام ، محاولين على الدوام ان يوجدوا الانسجام بين العقيدة والتشريع والفقه ، وبين مقتضيات الساعة ، وعاملين على تكوين البعوث : اساتذة ، وعلماء شريعة ، ومجرد ائمة ، الذين سيذهبون في اطراف الارض يسمعون الناس كلام الرسول ، وكل حاج يعود لمحله مع لقب حاج ، يصبح شيخا لهذه « الخلية » الاجتماعية ، الدينية ، والسياسية ، التي هي كل الخلاصة الاسلامية

هكذا استمرت ، تحت انقاض الامبراطورية العربية ، هذه الامة الاساسية ، هذا « المجتمع الديني العالمي » الذي ظل الحج الى مكة رمزه الحي ، حيث يجتمع المسلمون كل سنة من العالم اجمع ، دون تمييز بين العناصر والطوائف والجنسيات او الثروة ، ارجل حافية ، وجماجم محلقة ، يلبسون اكفانهم ، « كلهم متساوون واخوة امام الله » .

---

1) هذه الجمل وجدت مكتوبة على ابواب معاهد العلم في الاندلس وقد اشار اليها الدكتور فيليب حتي في كتابه « العرب » .
2) يعني المتأخرين .
3) من حكم الخلافة وحكومتها المركزية الضعيفة ، لا من الاسلام .
4) هذا حكم مفرض ، اذ اثبت التاريخ ان الشعوب الاسلامية قاومت باستمرار جميع المهاجمين والمسيطرين ، واستقلال هذه الشعوب اليوم اكبر دليل على بطلان ما يزعمه الكاتب .
5) مجرد خطأ اذ لم تطل اكثر من اربعة قرون (922 ـ 1343 هـ 1516 ـ 1924)

1) اقرار العقيدة : الشهادة بالله ثم برسوله .

2) الصلاة ، خمس مرات فى اليوم ، فى اتجاه الكعبة .

3) صيام شهر رمضان .

4) الاحسان الاجباري « الزكاة » .

5) الحج الى مكة .

ان اقرار العقيدة وحده هو المفروض اجباريا ، فالذي ينطق به مرتين (1) امام شهود هو مسلم ، اما الفرائض الاربعة الاخرى فانها تحتوي على تسامح واسع . « اذا تركت الصلاة فتب » ـ اذا لم تستطع ان تصوم فكفر » . « اذا لم تستطع ان تساعد اخاك ، قل له كلمة طيبة » . ـ « قم بالحج مرة فى عمرك اذا كانت وسائلك تساعدك » .

وليس للاسلام كهنوت (رجال الدين) ، فالامام الذي يؤم الصلاة فى المسجد ليست له ابة صفة كهنوتية و «العلماء الكبار» سادة الاسلام الحقيقيون ـ هم اجتماعيون وسياسيون بقدر ما هم لا هوتيون .

« وعلى كل الاحوال ، ابذل ما فى وسعك » .

ان هذه البساطة ، هذه المرونة ، هي التي تفسر النجاح الذي عرفه الدين الجديد ؛ ففي اقل من عشرين عاما بعد وفاة محمد ـ الذي لم يترك عقبا من الذكور ـ فتح خلفاؤه ابو بكر وعمر و عثمان للاسلام سوريا والعراق وفلسطين ومصر ـ وبعد قليل الامبراطورية الفارسية ؛ انها ليست فقط ممالك قام بفتحها هؤلاء « أمراء المومنين » الاوائل ، والاوفياء لكلام النبي : انها شعوب اقتلعوها من الوثنية ليقدموها الى الاله الحق ، وبواسطة امم كاملة ، قام هؤلاء : صيادو الارواح بهذه الانقلابات ، ان كل شعب تكتسبه العقيدة الجديدة يمنح للاسلام مع ثقافته ، وعبقريته . وهكذا يتأسس مجتمع روحي شاسع الاطراف ، سوف يصبح بالنسبة للشرق ، مثلما هي المسيحية بالنسبة للغرب . وخلال قرون سوف تقوم هاتان القوتان ـ المسيحية والاسلام ـ بتنازع العالم ، وفى ذات لحظة ، فى بواتيي Poitiers كان العالم على وشك التراجع ، لو ان فرسان النبي عبروا هذا الخط من الاشجار ، التي وضعتها المسيحية ، ولكنهم لم يعبروه، لقد اوقفهم ابطال شارل مارتل اقل مما اوقفتهم اشجار التفاح واعشاب فرنسا ، فالاسلام ، دين الصحراء ، رد الى الصحراء ، ان المسلمين الذين لا يقهرون ما داموا يجاهدون ابتغاء مرضاة الله ، اخذوا يهيئون لسقوطهم ، بفعل انتصاراتهم نفسها ، منذ ان هاجموا « اهل الكتاب » (اليهود والمسيحيين الذين احاطهم النبي بحمايته وذمته) للاستيلاء على اراضيهم واموالهم (2) .

وخلال القرن التاسع والعاشر والحادي عشر ـ العصر الذهبي للاسلام ـ كانت امبراطورية العرب عظيمة الاتساع ، فمن الهند الى اسبانيا يعبد نفس الاله ، ويتكلم نفس اللغة ، ويطاع نفس القانون ، لقد طهر المسلمون الشرق الاوسط كله من الوثنية ، وهم يسودون نصف العالم المتحضر بأشعة الفكر ، بقدر ما يسودونه بقوة الاسلحه . وان كل وثني أسلم لفخور بان يقول انه عربي ، وان يحمل الى الامة (المجتمع الديني العالمي) معرفته وخبرته ؛ فمصر ، وفارس ، والمغرب ، واسبانيا ، تقدم نفسها للاسلام مع علمائها ، واطبائها وفلاسفتها وشعرائها : فابن سينا ، والغزالي ، وابن رشد ، وعمر بن الفارض ، وابن خلدون ، وابن العربي الحاتمي ، « أمة وسطا » بقول القرآن ، وان الاسلام بانقاذه لروائع آداب اليونان والروم، والبزنطيين وفارس والهند ، من الضياع ، وبترجمته ونشره لها . اصبح المركز الدولي العظيم للثقافة ، فالى جامعات القاهرة وقرطبة وفاس ومراكش ، سيذهب الغرب ليعترف من هذه العبقرية للعصور القديمة التي سوف تزدهر فى عصر النهضة (3) .

لقد استطاع الاسلام فى ذلك الحين ان ينقش على راس واجهة امبراطوريته : « العالم مسند على اربعة

---

1) تكفي مرة واحده كما هو معلوم .

2) لاشك ان تجاوز حدود الاسلام ، ونسيان مبادئه ، كان السبب الاصيل فى تأخر المسلمين ، ولكن الكاتب نسي ان رسالة محمد عامة لا تخص الوثنيين وحدهم وانما تشمل « اهل الكتاب » ايضا ، ولم يهاجم المسلمون هؤلاء الا بدافع نشر الاسلام وليس للاستيلاء على اموالهم واراضيهم ، ولم يحدث هذا الا فى حالة الحرب التي يجوز فيها مصادرة اموال المحاربين كغنائم حرب .

3) هو عصر الاصلاح فى اوربا وكان حوالي القرن الخامس والسادس عشر .

في مهرجان القرويين

كلمة وزير التربية الوطنية

الأستاذ عبد الكريم بن جلون

مولاي صاحب الجلالة

خلال القرن الثالث الهجري ، وفي مبادرة سمحة سلفية تجعل من المسجد النواة الاجتماعية الاولى لانبثاق حياة اسلامية حقة ، انبعثت همة امرأة مؤمنة بسمو الرسالة المحمدية وبقابليتها لانتشال البشرية من ظلام الجهالة ، الى تشييد بناية تبسط العبادة بمعناها العام ، المتضمن لاقامة الشعائر الدينية وتزويد العابد في هذه الحياة بوسائل عملية تجعل منه عضوا عاملا في مجتمعه ، قائما بمسؤولياته حق قيام ، مدربا على مقارعة كل شرك وضلال وعاملا على ابادة كل جرثومة من جراثيم الضلالة والانحلال .

ولم تزل جوانب هذه البناية تمتد ، واشعاعها العلمي يتسع ، الى ان اصبحت بمثابة انطلاق لنشاط علمي عم سائر مرافق المعرفة البشرية ، ومكنت المدينة المغربية من ان تسهم بحظ وافر في ازدهار الثقافة الاسلامية وانتشارها ، بحكم ان كانت هذه الثقافة تحمل مشعل الحضارة في العالم اذ ذاك حيث كان سائر المتعطشين الى العلم مهما اختلفت دياناتهم ولغتهم ، يؤمون العواصم الاسلامية ، لدراسة العلوم ، والفنون ، والفلسفة بما في ذلك التراث الكلاسيكي القديم الذي قام الاسلام على رعايته احسن قيام ، حتى استطاعت اوربا ، مرة اخرى ، ان تفهمه وترعاه بعد ذلك .

وكيف لا تحييه ذاكرتنا استخلاصا للعبرة والموعظة ، ونحن نعيش لحظة عابرة مضت عليها مئات السنين ، نحو ما قدمته المدينة المغربية الاندلسية ، خصوصا بعد ان اصبح المغرب قاعدة لحكم الاندلس ، الى الحضارة الانسانية من ايادي في شتى الميادين ، وما كان يتوفر عليه المغرب من مؤسسات علمية ومدارس متخصصة .

على ان الرجوع بذاكرتنا الى الوراء في مثل هذه اللحظات الميمونة لن يكون مجديا ، بل ولا باعثا على الافتخار والتنويه ، الا اذا استخلصنا منه عبرا تعيننا على مواجهة هذه الازمة البشرية العاتية ، وتمكننا — نحن المسلمين بصفة خاصة — من التغلب على مختلف الصعوبات التي تقف دون تحقيق الغايات تنير امامنا السبل في اتجاهنا العام والخاص .

وان اول عبرة يتعين علينا استخلاصها ، ونحن نشيد بفضل هذه المؤمنة ، التي ترجع اليها فضيلة الاسهام في احداث النواة الاولى لجامعة القرويين ، هي ان المسلمين في الوقت الذي كانت تتوجه فيه همتهم الى تكوين الفرد ، دينيا ، واخلاقيا ، كانوا يعملون ، كذلك ، على تمكينه من سلاح العمل المثمر ، حتى لا يبقى عضوا اشل في المجتمع ، وحتى يتسنى له ان يشارك بعمله الفردي في المجهود الجماعي للامة ، استجابة لقوله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى » اذ ان « كل ما للمخلوق فيه مصلحة في دينه ، او ما لا غنى للمرء عنه في دنياه فهو بر وتقوى » كما قال ابن حزم عند تعليقه على هذه الآية الكريمة في رسالة مراتب العلوم .

ولعل هذه الظاهرة هي التي جعلت المعاهد العلمية ، ايام ازدهار ثقافتنا اكثر ارتباطا بالحياة

ومنذ ان بدا الغرب بعطي الاشارات الاولى للانقسام والضعف ـ مع الحملة المصرية وسقوط الامبراطوريه النابوليونيه ـ فان الازهر هو الذي دق اجراس يقظه الاسلام .

لقد اراد القضاء التاريخي ان يتجه الامتداد الاستعماري مرارا نحو البلاد الاسلاميه ، ويرى زعماء القومية الاسلامية والقوميه العربية في ذلك الفرصة لفضح « الاستعمار المسيحي » ـ « الموجه ضد الاسلام » وايقاظ الوطنية العربيه ـ مع الامل في تحقيق هذا الحلم الالفي : وحده العالم الاسلامي .

فبعد الحربين العالميتين ـ حيث فقد الغرب الواجهة متخليا عن مستعمراته واحده بعد اخرى ، خرج الاسلام فجاه من سريته ـ وله الآن حليف قوى : النفط ـ ولكن . . . « الله السباق » هذا : ان فرنسا العرسين ؛ فانه اوقع مرة ثانية في التاريخ « امبراطورية المومنين » عندما حتى قبل بعدها ، هذه الامبراطوريه التي نذرت الى « السبعه » بمجرد ميلادها .

ـ ان الاستعمار المسيحي هو عدوك ! يصيح القاده (1) ملوحين بالعلم الاخضر للحرب المقدسه .

ولكن النبي قال : « ليس لك الا عدو واحد : عدو الله ! » ذلك ـ ان المسيحيين واليهود ـ « أهل الكتاب » ـ لن يكونوا اعداء الله (2) .

ذلك الرجل الذي هناك ـ **هذا الارهابي ، هذا** الخارج على القانون ـ **هل يعلم ذلك ؟** (3) .

بالامس كان فلاحا عندنا ، **جاني عنب في كرمه ،** والآن انه هناك ظهره للحائط ، **وعيناه طافحتان بالغضب** ما ا حدث له ؟ سيء مريع ، **ذات مساء ، قال له صوت** صادر من اذاعة : « **ان اخاك المسلم قد ظلم ، يجب ان** تساعد اخاك » .

هذه الكلمات ـ انه يعرفها ، **انها كلمات القرآن ،** هذا الصوت الذي كلمه في لغة صلاته ، **انه يعرفه ، هو** صوت الله ، وكلام الله لا ينافس ، **انه يثني ركبتيه ،** ويمس الارض بجبهته ، ويذهب ليقتل ـ **او ليتسبب** في القتل ـ من اجل اخيه المسلم .

لقد اطاع الرجل .

ولكن كان يطمع بنفس الروح ، ويظل مقيما بين أهله ، لو كان الصوت أسمعه **كلام الرسول الحقيقي** ـ مكملا استشهاده بالقرآن بالاستشهاد بالسنة ـ : « واذا كان اخي المسلم هو الظالم ، يسأل **المومن ، هل** يجب على ايضا ان اساعده ؟ ـ نعم ، **يجيب الرسول ،** يجب ان تساعده بمنعه من **فعل الشر** » (4) .

---

1) يعني الجزائريين
2) **هذه** سفسطه من المؤسف ان يلتجيء اليها الكاتب في خضم بحثه القيم ـ فالمسلم ليس من الغفله بحيث يعتقد بان المسيحيين واليهود الذين يحتلون بلاده بالحديد والنار ليسوا اعداء !!! لمجرد انهم من « أهل الكتاب » . !
3) هناك فلاحه فرنسي خرج على القانون سنة 1940 وثار ضد المسيحيين الالمان الذين احتلوا بلاده معتبرا اياهم اعداء الله ـ رغم انهم من « اهل الكتاب » بل من معتنقي دينه الخاص ، الم يكن الجنرال دوكول في حاجه ـ هو الاخر ـ الى ان يعلم ذلك ؟ !
4) الاستدلال بهذا الحديث مغالطه مكشوفه قد ينطلي على الفرنسيين الذين يعتقدون بان في امكانهم تضليل الجزائريين ـ ولكن يستحيل ان ينطلي على أي مسلم جزائري مخلص ـ فهذا لا شك في ان الظالم الوحيد والعدو الوحيد في الجزائر هو المستعمر الاجنبي لا المجاهد المسلم .

مصانع الرجال

للدكتور : سليمان الحزين

حديث اليوم عنوانه « مصانع الرجال » وهوعنوان قد يبدو غريبا بعض الغرابة ، ذلك اننا اعتدنا ان نقرن الصناعة بالمادة ، فهناك مصانع نعرفها جميعا تتناول المادة الخام فتصقلها وتحولها صناعة او مادة مصنوعة ، وكلنا يعرف ان المعدن الاصلي يستحيل مادة مصنوعة تتأثر باصلها من جهة وتتاثر بيد الصانع من جهة اخرى . والحديث عن صناعة الرجال حديث قديم جديد ، صناعة الرجال او صناعة الانسان او المواطن رجلا او امراة ، صناعة تختلف بعض الشيء بل قد تختلف كل الشيء عن صناعة الاشياء . هذه الصناعة ساحاول ان احدثكم عنها الليلة ، لا حديث الكتب فذلك امره معروف لكثير منا ، وانما ساحاول ان احدثكم حديث التجربة ، التجربة الواقعية ، ثم ساحاول قدر الامكان ان اتناول هذا الموضوع من وجهة نظرنا القومية في البلاد العربية .

التاريخ يعلمنا اننا بلاد عريقة في صناعة الرجال ، ويعلمنا ايضا ان معاهدنا العلمية قبل ان تتخذ اسم الجامعة وبعد ان اتخذت هذا الاسم كانت مصانع الرجال والنساء من طراز يميزها بين مصانع الرجال والنساء في العالم ، لاننا في المشرق العربي كنا دائما نتناول الخامة التي نكون منها الرجل او المراة المواطن او المواطنة ، نتناولها لا على انها مادة خام ، ولكن على انها حياة مجسمة في مادة ، وحياة انسانية قبل ان تكون حياة حيوانية . والذي يتابع تاريخ هذه المصانع او يحاول ان يتابع هذا التاريخ يستطيع ان ينسق صفحاته المتتابعة في نواح ثلاث .

الناحية الاولى هي هدف هذه المصانع ، ما الغاية التاريخية من جهة ، والمعاصرة الحديثة والمقبلة من جهة اخرى ، واذا اتفقنا على تحديد الغاية في ضوء تاريخنا ذاته فاننا نستطيع ان نتبين طريقنا من الحديث .

ساتحدث اولا عن الغاية ، ما الهدف الذي سعى اليه اجدادنا في مصانعهم ونحاول نحن جهد طاقتنا ان نحاكيهم في مصانعنا الجديدة .

الناحية الثانية : الوظيفة ، ما وظيفة هذا المصنع ؟ اهو مصنع يصقل المادة الخام صقلا خاصا يتناول مظهرها ام مصنع يحول المادة الخام في صميمها وفي عنصرها ليتخذ منها مادة جديدة؟ ما هي وظيفة الجامعة في تكوين الشباب ؟

ثم اخيرا الوسيلة ، ما هي الوسيلة او الطريقة التي نمارس بها الوظيفة لنصل الى الهدف .

هذا الاختصار ملخص هذا الحديث ، ومن عادتي كمعلم قديم ان ابدا بالملخص ثم ادخل الى التفصيل . لندخل معا اذن الى التفصيل، ساتحدث اولا عن الهدف، ثم عن الوظيفة ، ولعل حديث الهدف والوظيفة أن يشير الى الوسيلة فنختصر ختام المحاضرة .

الهدف الاساسي من التربية والتعليم هو ان تمر في مراحل ويخطيء من يتصور ان صناعة الرجال في الجامعات يمكن ان تتم مستقلة عما سبقها من مراحل التربية والتعليم، ذلك خداع للنفس عند المعلم، ويخطيء من يظن ان الجامعة في مرحلتها النهائية العليا تستطيع ان تصلح ما افسد او ما اعوج في يد المعلم في المراحل السابقة ، ويخطيء من يظن انه ان ظهر رجل في مصنع الجامعة ، فان الفضل في ذلك يرجع الى رجل الجامعة واستاذ الجامعة ، العملية كلها عملية متصلة الحلقات : والتربية والتعليم في الجامعة ان هي الا ختام لمرحلة التعليم العام قبل ذلك. وهدف التربية ايضا له مراحل، مراحل تقف عندها الاهداف ويتابع بعضها البعض

الواقعية للمسلمين ، تساير التطورات العلمية ، والتقلبات الفكرية ، بل انها كانت تسبق الاحداث في كثير من الاحايين ، وتتبنى ، مقدما ، كل الحركات التي من شأنها ان تحقق للفرد السعادة المثلى ، والاطمئنان التام ، وهذا ما ضمن لها الاشعاع والاستتباب حقبة طويلة من الزمن ، وحتى اذا ابتعدت هذه المعاهد عن الحياة الواقعية ، اصابها التدهور ، والانحلال فكم من معهد كان مصدرا للعلم والعرفان ، ثم آل الى درجة من الانحطاط ، اداه اليه خموده واقتصاره على التلقين والترديد ، بينما العالم باجمعه يقطع اشواطا بعيدة المدى في ميدان البحث والاكتشاف والمعرفة .

ولقد كان انعزال المعاهد العلمية عن معترك الحياة مدعاة لهذا الصراع الحاد الذي شاهدنا الوانا مختلفة منه في كثير من الاقطار .

واذا كان هذا الصراع لم يخرج في الماضي عن النطاق الجدلي ، فقد بلغ اليوم من الخطورة درجة قصوى اذ ان ابتعادنا عن الواقع سيقضي علينا ، لا محالة ، بالعزلة والركود ، في عالم متحرك متجدد يفرض علينا فرضا تغييرات دافعة تقتضي منا مزيدا من اليقظة ومزيدا من العلم والعمل .

وان مسايرة الواقع الحاضر واعطاءه الحظ الضروري من العناية والاهتمام لا يتنافى مع السهر على استرسال المقومات الذاتية للامة ، فالمحافظة على القديم من جهة ضروري لاسترسال كيان الامة وقيمها اذ فيه بتجسم شعورها الديني ومطامحها الانسانية ، والاخذ باسباب العلم الحديث ومقتضيات التقنية والصناعة لا ينبغي من جهة اخرى ان يتخذ هدفا ومقصدا في حد ذاته بل على انه وسيلة تيسر الحياة ونمكن من وسائل العيش اللائقة بكرامة الانسانية ، اذ هذه هي الوسيلة الوحيدة التي تمكن الفرد المقدر لمسؤوليته من القيام بوظيفته الاجتماعية . في جو تسوده الرفاهية ، والعدل ، والاحسان ، وهذا بالذات ما عمل الاسلام على تحقيقه ، جاعلا من كل مظهر من مظاهر النشاط وسيلة لسعادة المجموع بسعادة الجميع ، ساعيا في تحقيق التوازن بين متطلبات الحياة . فلا قديم ، ولا جديد ، ولا جحود ، ولا جمود ، وانما هي مجموعة جهود واعية يكمل بعضها الآخر ، رغم اختلاف مظاهرها واسبابها . اذ الهدف واحد متحد الا وهو الرفع من قيمة الانسان والمجتمع البشري الى المكان اللائق بما كرمه الله به ، تمكينا من القيام بما خلق من اجله الا وهو عبادة الله عبادة تامة مطلقة .

وان نشبثكم المتين — يامولاي — بتعاليم الاسلام ، وحرصكم الشديد على ان تحيا امتكم حياة اسلامية صحيحة ، لهو السر في اختياركم للاهداف التي تتوخونها من جميع المشاريع الاصلاحية في ميدان التعليم . فلقد ابت همتكم الاقتصار على تمكين هذا الوطن السعيد من اسباب التطور والحضارة ، ووطدتم العزم على ان تجعلوا ، من هذه الاسباب مطية لاسترجاع مظاهر ذلكم العصر الذهبي للحضارة الاسلامية والثقافة العربية ووسيلة لاشراك المغرب في المجهود البشري لصالح الانسانية وسعادتها ، فليست الصدف وحدها هي التي جعلت عامنا الدراسي هذا يشهد ، في الوقت نفسه ، ميلاد كلية الشريعة بفاس ، ومدرسة المهندسين بالرباط ، بل ان الكل ينجز تنفيذا لخطة رشيدة محكمة .

وان اقامتكم لهذه الذكرى المباركة في مثل هذا الحفل البهيج الذي استدعيتم له من مختلف اقطار المعمور اقطاب الفكر ، ودعائم الحركات العلمية ، لما نظهر بكامل الوضوح والجلاء بانكم قد صممتم العزم على ربط حاضر امتكم بماضي الاسلام المجيد ، يوم كانت البشرية بجميع عناصرها ومختلف دياناتها تتبادل العون في سبل ازدهار علمي ، ينعم في ظلاله مجموع بني الانسان مهما اختلفت اجناسهم ودياناتهم .

فاجتماعكم اليوم هنا — ايها السادة الكرام — هو في الواقع امتداد لهذه التقاليد السامية ، مما يجعلنا نقدم اليكم احر الشكر على تلبيتكم دعوتنا وحضوركم في هذا المهرجان الذي نامل ان يكون نقطة البداية لحركة نتكاتف فيها سائر قوى الخير من ابناء البشر ، وتتساند فيها العزائم الطيبة ، من اجل الذود عن الكرامة الانسانية ، واقرار التوادد ، والتآخي بين بني البشر ، في جو يسوده الامن ، والسلام ، والاطمئنان ، وفي مجتمع تعمه الرفاهية ، والعدل والاحسان .

برزوا بالتاديب (ادبني ربي فاحسن تاديبي) تاديب النفس في الجامعة ، هذا هو الذي يخرج صفوة الانسان من الانسان ، او هو الذي يخرج الانسان من الانسان ، هذه هي اذن مراحل فلسفة التربية الجامعية ، واظن انني لست بحاجة اذا او الى ان اذكركم بان تاريخنا وتاريخ مصانعنا تمثلت فيه هذه الاهداف ، اوربا التي قال لنا قلدوها ، اوربا هذه بمصانع البشر فيها لم تسر في طريقنا ، سارت في طريقها الخاصة قد تكون لذلك اسباب ، قد يكون سر ذلك ان اوربا لم تعرف تربية الضمير للنفس عاره ، اما نحن فنحن موطن الديانات السماوية المنزلة ، وختام هذه الديانات الاسلام الذي قام اساسا وبدأ حيث ينبغي ان تنتهي التربية الجامعية ، فبدأ بتهذيب النفس وبتهذيب الروح وبحساب الضمير للانسان ثم انتهى بعد ذلك الى العقل الذي تابع تاريخنا الاسلامي الاول ، اذا نظرنا الى الاسلام ذاته على انه الجامعة الكبرى للبشر الذي يريد ان ينتقل من مرحلة البشرية الى مرحلة الانسانية ، اذا نظرنا الى الاسلام على انه الجامعة الكبرى لتلك الصفوة التي يريد ان تجد طريقها لان تحقق عن طريقها حكمة الله ، المدرسة الكبرى التي تسعى فيها الصفوة لان تخرج الانسان من الانسان في ذات نفسها ، اذا نظرنا الى الاسلام على هذا النحو فانما نرى روعة نرى حكمة الله في انه اختار هذا الدين وارتضاه لنا وارتضاه للانسان ، نرى حكمة الله في انه جعل هذا الدين ختام الاديان التي تربي الانسان وتخرجه من الانسان ، هذه هي صورتنا نحن ، وواجبنا ان نعمقها ، ليس في التربية الجامعية تعليم مدرسي ولا قواعد تملى او توجيه ، ذلك شأن المرحلة السابقة التي تعنى بالصغار ، اما نحن في الجامعة في هذا المصنع فنتناول الشباب وهو في عهد الثورة في عهد التفتح في عهد الانطلاق في عهد البحث عن الحقيقة والبحث من وراء ذلك عن الله ، في العهد الذي يبدأ الضمير فيه يستيقظ بعد ان تفتح العقل ، في العهد الذي يسعى فيه كل طالب او طالبة الى ان يحقق في نفسه وعن طريق ذاته اروع ما يستطيع الانسان ان يحققه كمخلوق على الارض .

التربية الجامعية اذن شيء آخر يجب ان نتناولها في ضوء هذا الهدف الفلسفي العميق نحن الذين انعم الله عليهم بنعمة التربية الجامعية ، وانعم عليهم بان يتأملوا هذه المرحلة ان هذه النعمة الكبرى من الله سبحانه وتعالى علينا ان نحقق عن طريقها آياته في الارض ، هذه النعمة سيترتب عليها حساب عسير ، لست اشك في اننا سنكون اول من يحاسب في الآخرة ، ولست اشك في ان حسابنا سيكون عسيرا ، ولولا لطف الله لاصابنا ما اصابنا في دنيانا وفي آخرتنا ان نحن قصرنا ، صحيح ان علينا ان نسعى لنكشف عن الحق وعن الخير وعن الجمال في ابداع الله في هذا الشباب الذي هو فيء بين ايدينا ، **ولكن السعي وحده لا يكفي ، علينا ان نؤمن بهذه الرسالة فالايمان اساس النجاح ، الاستاذ الذي لا يومن بالله ولا يومن بحكمة الله في الخير ولا يومن بان لهذا الشباب رسالة ولا يومن بان هذا الشباب ورسالته هو امانة في عنق الاستاذ ، هذا الاستاذ لا يصح ابدا ان يؤذن له في ان يتولى التربية الجامعية** ، فالمسالة اذن — وهذا ينقلني الى الوظيفة — ليست مجرد وظيفة تؤدى ، ليس الامر مجرد ان تقيم قاعة او قاعات او معملا او مختبرا ثم تأتي بأي استاذ ليعلم ويربي ، شأن الجامعة اذن في هذه الحالة لن يختلف عن شأن المدرسة العالية او المدرسة الثانوية ، فيكون الامر مجرد تعليم لا تربية ، وفرق كبير جدا بين التعليم والتربية ، التربية هي التي تتناول الانسان في مجمله ، في جسمه ، وفي عقله ، وفي ضميره ، وفي ادب نفسه ، اما التعليم فيقف عند العقل ، لا ينطلق الى الضمير ، وبعض الناس يتصور خطأ ونقلا عن بعض معاهد اوربا الجامعية اننا نستطيع في الجامعة ان نكتفي بالمحاضرات او ان ندرس المادة ، او ان نربي الشخص على ان يكون صاحب حرفة ممتازا فيها دون ان يكون صاحب روح ، ذلك خطأ كبير ، وذلك لا يساير تاريخنا ولا يتفق معه ولا تقاليدنا ولا ينمي هذه التقاليد ولا يثبت جذورها في الارض لتكون اصلها ثابتا وليرتفع فرعها الى السماء ، تربيتنا الجامعية اذن مختلفة كل الاختلاف ، وظيفة الجامعة عندنا في عالمنا العربي وبحكم اسلامنا وبحكم رسالتنا في الارض وبحكم ان الله تعالى جعل منا خير امة اخرجت للناس ، تعليمنا الجامعي وتربيتنا الجامعية يجب ان تسير في الطريق الشامل ، وطبيعتنا ان نتناول الشباب في كله لا في اجزائه ، تربيتنا الجامعية يجب ان تكون تربية شاملة ، ولكن يسبقها ان يربي الانسان نفسه قبل ان يتصدى لتربية الآخرين ، هذا سر الاستاذ الناجح ، الاستاذ الذي اذا نصح تلميذه بشيء اخذ به قبل ان يتصدى الى النصيحة ، اذا نصحه ان يقرأ وان يستزيد من العلم وجب عليه ان يستزيد من العلم قبل ان ينصح الطالب ، اذا نصحه بان يحاسب نفسه على ما آتاه الله عليه من نعمة وجب عليه ان يبدأ نافعا او جامعا للخير لنفسه ، هذا الاستاذ يجب ان يبدأ بحساب نفسه هو ، اذا طلب الى الطالب ان يكون في خدمة غيره من الناس وان تكون حياته حياة تقوم على الايثار لا الاثرة ، وان يكون نافعا لغيره قبل ان يكون نافعا او جامعا للخير لنفسه، هذا الاستاذ يجب ان يبدأ بذاته ، هذا الاستاذ ان بدأ بذاته فانما هو يسعى الى نجاح نفسه ، هذا الاستاذ في الجامعة لم يبلغ ما بلغ الا بفضل

الانسان يختلف عن الحيوان فى نواح مختلفة ، يشترك مع الحيوان فى الجسم من حيث انه حيوان يسعى على الارض ، ولكنه يختلف عنه اختلافات تظهر فى مختلف نواحى حياة الانسان. الاختلاف الاول فى العقل ، الانسان حيوان ناطق عاقل ، ولكن اختلاف الانسان فى العقل عن الحيوان ليس اختلاف نوع بقدر ما هو اختلاف كم ومقدار . وليس من شك فى ان الحيوانات تسير اساسا بالغريزة ، ولكن ليس من شك ايضا فى ان الانسان غير المتعلم يسير اساسا بالغريزة ، وليس من شك ايضا فى ان بعض الحيوانات لها قدر من العقل متصل بالغريزة ، وان بعض الحيوانات يمكن ان نعلمه شيئا ويمكن ان نفهمه واياه عن طريق ملكة تسمى العقل او تقاربه ، ولكن الانسان يختلف فى ان الله سبحانه وتعالى وهبه قدرا اكبر كثيرا ، قدرا من العقل اكبر كثيرا مما وهب غيره من الكائنات ، ولكن العقل ليس هو الذى يميز الانسان من الحيوان المميز الظاهر ، ولعل كل من اشتغل بالتربية والتعليم او كل من عاش الحياة ومارسها ممارسة تنطوى على الفهم والادراك الصحيح، لعله تدرك ان العقل ليس اجل ما يميز الانسان . عن طريق تربية العقل نخرج البشر من الحيوان . والبشر لا يمثل الا مرحلة من مراحل الحياة الحيوانية على الارض . العقل ذاته قد يجعل الانسان يفكر ويسير فى اتجاهات معينة يستغل بها الطبيعة التى حوله فيما لا يفيد او فيما يضر وامثلة ذلك ظاهرة بيننا . والجامعات الاوربية مثلا تعنى اشد ما تعنى بتربية العقل عند الحيوان الذى نسميه الانسان ، وهى بذلك تربى البشر . هدفها اخراج البشر من الحيوان. الشيء الذى يميز الانسان حقا عن الحيوان ، الشيء الذى ميز الله به الانسان حقا ، والشيء الذى يحاسبنا الله عليه هو الضمير . الضمير هو الذى يميز الانسان . الضمير هو الذي لا نجد له مثالا فى اى حيوان آخر . ليس هنالك حيوان له ضمير يؤنبه اذا اخطأ او اساء الى غيره ، ليس هناك حيوان له ضمير نعلمه هذا الندم الذى ينطوى على حساب النفس ، على ان يحاسب الشخص او الفرد او الكائن الحي نفسه ، الضمير هو الذى يعلمنا حساب الله . العقل يأذن لنا فى ان نرى خليقة الله فاذا ما تأملنا وتفلسفنا فانا نرى الله عن طريق ما خلق الله على الارض ، اما الضمير فاننا نتعمق به ذات نفوسنا ونرى الله سبحانه وتعالى وقدرته فى انفسنا فنخشاه ، هذا هو الانسان . تربية الضمير هى التى تخرج الانسان من البشر ، وهدف الجامعات كما عرفناه نحن فى هذه المصانع الرائعة التى عرفها العرب فى تاريخهم قديما وحديثا . الجامعات وظيفتها ، هدفها الـذي يتمثل فى الوظيفة فيما بعد ، هو ان تخرج الانسان من البشر ، ولعل هذا هو الدرس العظيم . لعله ان يكون الدرس العظيم الذي نتلقاه ويتلقاه العالم وتتلقاه الانسانية كلها عن العرب ، ولكن الوصول الى مرحلة الانسانية ، هذا الوصول الى مرحلة الانسانية بمرحلة البشر ليس هو كل شيء بالنسبة للجامعات اذا ما نظرنا اليها على انها المصانع التي تخرج الرجال لان الله لم يخلق الرجال متساوين فى القدرات ولا متساوين فى الاستعداد ، الله خلق الناس مختلفين لحكمة خاصة عنده ، حكمة نلمسها فى حياتنا وفى حياة العالم كله ، وفى حياة الانسانية كل يوم ، هناك نفر من الناس قليل جدا حباهم الله بقدر اوفر من العافية فى الجسم بوصفهم حيوان ومن الصحة والذكاء والبصيرة فى العقل بوصفهم بشر ، ومن الحساسية فى الضمير بوصفهم انسان . هذا النفر القليل فى عهود ماضية كان الله يصطفي منهم الانبياء الذين يصطفون اصطفاء من عند الله . ولكن هذا الزمن انقضى لم يعد فى عهد نبوة . كانت هناك وسيلة اخرى تبرز بها هؤلاء الرجال هى العبقرية . ولكن العبقرية لا تتوافر ولا تبرز الا اذا اتيح لها الوسط الملائم ، الوسط الذى يتطلبها فتبرز . او الذى يعاكسها ليسيطر عليها فتتحداها فتبرز ايضا . ولكن اللجوء الى هذه الوسيلة، وسيلة انتظار العبقرية حتى تظهر نفسها تحت رحمة ظروف لا نتحكم فيها دائما ، وكثير من العبقريات ولد ومات دون ان يحس به الناس ، وكثير من العبقريات تحداها الوسط فغلبها فماتت او اتهمت بالمروق او الجمود. لذلك فان هذه الوسيلة فى ابراز هذه القلة وتقوية الصفوة بالاعتماد على العبقرية لا تفيد كثيرا . اذن فان الاعتماد على اصطفاء الله للانبياء امره قد انتهى. فالاعتماد على العبقرية لتبرز امر غير مضمون . فلم يبق الا الوسيلة الاخيرة وهى اتاحة الفرصة عن طريق هذه المصانع التى تنمى الرجال وتنقى النساء تصطفيهم وترعاهم وتهيىء لهم فرصة النبوغ . وفرصة البروز ، وفرصة العمل الناجح فى خدمة انفسهم وفى خدمة اهلهم وفى خدمة اوطانهم وفى خدمة الانسانية .

الجامعات اذن هى مجال اصطفاء الصفوة من الانسان ، تربية العقل تخرج البشر من الحيوان ، وتربية الضمير تخرج الانسان من البشر ، والتربية الجامعية الشاملة التى تشمل الجسم وتشمل العقل وتشمل الضمير والتى تهذب النفس وتتناول ناحية التاديب الناحية التى تختلف عن ناحية التعليم ، فالله علم الانسان ما لم يعلم ، ولكن عند ما جاء الحديث عن الانبياء ، الانبياء لم يبرزوا بالتعليم وحده ، وانما

الحديثة مضطرة اضطرارا الى ان تنقل العلم الحديث من الخارج ، لا نستطيع ان نقاطع هذا العلم لان فيه نفعا لنا، لا نستطيع ان نقاطع العلم الاجنبي عنا ، العلم الحديث ، ولا ان نقاطع اهله ، لابد لنا من ان ننقل عن اساتذة الجامعات في الخارج ، اما ان ننقل عنهم نقل الكتب عن طريق القراءة ، واما ان ننقل عنهم نقدا نقل الاتصال الشخصي عن طريق ايفاد البعثات الى الخارج لتتعلم في جامعات اوربا ، واما ان ننقل عنهم عن طريق نقلهم هم الى جامعاتنا ، فلا شك في ان هذا امر ضروري للغاية ليستقيم المصنع ويستطيع ان ينتج وان يعمل ، وان يعمل في خبرة لان الامر في الجامعات — وقد اكون انا احدثكم حديث خبرة — ليس امر ارتجال وانما هو امر خبرة طويلة واعداد طويل وعمل شاق ، ولكن جامعاتنا اذا بقيت عند هذا فانها لن تستطيع ان تضيف جديدا الى ما خرجت به على العالم جامعات اوربا . ونحن نعرف ما خرجت به تلك الجامعات على العالم . الجامعات التي عنيت اول ما عنيت باخراج البشر من الحيوان . الجامعات التي وقفت او وقف اغلبها عند ذلك . لن نستطيع ان نبلغ غاياتنا ، ولا ان نحمل رسالتنا ، ولا ان نحقق كلمة الله في الارض ، لن نستطيع ان نعمل شيئا من هذا اذا ما اعتمدنا اعتمادا كليا على اساتذة مستوردين او على علم مستورد ، او على كتب نقرأها . او على آراء نستجلبها من الخارج ، اننا يجب ان نضع خطتنا وان نكون تخطيطها في انشاء هذه المصانع تخطيطا عربيا اسلاميا ينبع عن ذاتنا ويراعي ظروفنا ويستجيب لاحتياجاتنا ، ويحقق اهدافنا في الحياة ، يجب ان تكون جامعاتنا عربية . يجب ان يكون القوام الاول للاساتذة في جامعاتنا الحديثة هو الاستاذ العربي .

ولانتقل من الاستاذ الى الطالب . وليس احب الى نفسي من ان احدث عن الطالب . أؤكد لكم انني انفعل امامكم الان انفعالا عميقا حين ارى بعض هذه الوجوه التي هي وجوه المستقبل ، الطالب . ليس احب الى الاستاذ من ان يرى احد فردين احسن منه في الحياة ابنه وتلميذه ، هذه حكمة الله اودعها انفسنا . والاستاذ الصادق مع نفسه المستجيب لحكمة الله فيه هو الاستاذ الذي يحب دائما ويعمل دائما على ان يصبح تلميذه خيرا منه في الحياة خيرا منه بكل معاني الكلم . خيرا منه عقلا مصقولا صقيلا ، خيرا منه ضميرا حيا . خيرا منه ادبا في النفس ، الطالب نريد ان نعلم فيه هذه النواحي المختلفة وان نصقلها ، لا صقل اوربا الذي يتناول المادة في ظاهرها ، ولكن صقل الاسلام وصقل العروبة الذي يتناول المادة من الداخل ، نريد ان نصقل هذا الطالب ، ننمي جسمه وعقله ، ونحيي ضميره ، ونؤدب نفسه ، ولكننا الى جانب ذلك نريد ان نخرج منه الى جانب الانسان الفاضل مواطنا صالحا ، نريد ان نكون عمليين ، فهذا المصنع لا يتناول الافراد ولا يتناول هذه الصناعة هواية لوجه الهواية ، انما يتناول هذه الصناعة لفائدة . العلم الذي لا يفيد ليس علما يحقق رسالة الله في الارض. العلم يجب ان يفيد ، يجب ان يفيد صاحبه ويجب ان يفيد الناس ، وهذا ما يجعل تربية الطالب في هذا المصنع تتجه اول ما تتجه بالنسبة لظروفنا الحالية الى تكوين ما نسميه المواطن الصالح .

ولاحاول ان انقل اليكم صورة بسيطة جدا عن مفهوم هذا المواطن الصالح في رايي وفي تجربتي التي اسير عليها الان في جامعتي الناشئة ، العلم يستطيع ان يعقد الامور وان يجعل التعريفات صعبة المفهوم ولكن هذا ليس علما انما القدرة العلمية حقا هي في التبسيط . وكلما كانت الامور بسيطة كلما اصبحت في متناول الناس جميعا ، المواطن الصالح في رايي هو بكل بساطة المواطن الذي يعطي امته اكثر مما ياخذ منها ، لابد لكل مواطن من ان ياخذ في الحياة قبل ان يعطي . ياخذ ابناء طفولته من امه اولا ثم من ابيه ثم من اهله ثم من المجتمع المدرسي ثم من الدولة ، وقد ياخذ من الانسانية كلها ان اتيحت له الفرصة ، ولكنه حين يبلغ اشده ويبلغ مرحلة الرجولة يجب ان يبدأ العطاء ، ويجب ان يكون العطاء اكثر من الاخذ ، انا اخذت فرصة الفين فيجب ان اعطي على اقل تقدير الفي فرصة لاشخاص ليبلغوا ما بلغت اذا اردت ان اكون انسانا نافعا في الحياة . علمني اهلي لانهم كانوا اقدر من غيرهم على تعليم ابنائهم . وعلمتني الدولة لانني نشأت في دولة سمحت ظروفها بذلك . انفق علي المجتمع ورعاني. ثم اعطاني عملا طويلا قد يكون متعبا من ناحية الضمير ولكنه مريح من ناحية الجسم . اعطاني عملا ويعطيني مرتبا ويعطيني مكانا مرموقا . تحترمني تلاميذي وتقدرني الدولة ويحبني الناس وهذه كلها نعم مضاعفة . فخرجت بي هذه النعمة من النطاق الضيق الذي اعمل فيه الى نطاق واسع ، خلقني الله في امة عربية تمتد وطنها الكبير من الخليج الى المحيط ، ويتآلف الناس فيها ويقدر بعضهم بعضا ويحب بعضهم بعضا . هذه كلها نعم كبرى لم تتح لغيري من الاساتذة في اجزاء اخرى من العالم . علي اذن ان ارد الجميل مضاعفا ، علي ان ارده لاهلي . وعلي ان ارده لوطني الصغير ، وعلي ان ارده لوطني الاكبر الوطن العربي الكبير . صدقوني انه ما ضر الامه

الاخرين ، الا انه اتيحت له الفرص متجمعة حينما حرم غيره منها ، فتصوروا ان التعليم الجامعي ومن يصل اليه تسبقه مراحل ، المرحلة الابتدائية يقدر ان سبعة عشر فى المائة من ابناء اية امة هم الذين يجب ان تتاح لهم فرصة التعليم الابتدائي لخمس او ست سنين ، فاذا كانت هناك امة مثلا تعدادها عشرة ملايين ، فهذه الامة ، فيها على وجه التقريب مليون ونصف يجب ان يكون فى المعاهد الابتدائية ، وما اظن ارضا عربية واحدة بلغت فيها نسبة التعليم الابتدائي هذا القدر الملائم ، كلنا فى البلاد العربية لانتيح الفرصة لجميع الصبية ان يدخلوا المدارس لاسباب مختلفة قد يرجع الى قدرة الدولة وقد يرجع الى سوء تصرف الدولة ، يجب ان نكون صرحاء مع انفسنا فالعلم يعلمنا الصراحة والصدق ، ولا يجوز حين نتصدى لحقائق كالتي سأحدثكم عنها ان نخفي الحقائق لان هذا لا يتلاءم وطبيعة الاستاذ ، اذن هناك جانب كبير من الصبية تضيع عليهم الفرصة لايتعلمون لا لذنب جنوه ولكن لان الظروف لا تواتيهم قد تكون بينهم كفايات تولد وتموت قبل ان تتاح لها الفرصة ثم من هذا العدد خمسة عشر فى المائة من المليون ونصف المليون تتاح لها الفرصة للانتقال الى التعليم الثانوي الى المرحلة الوسطى فى تعليمها العام او فى تعليمها الفني ، تعلم الحرف وغيرها ، فاذا كانت الامة تعدادها عشرة ملايين فستكون نسبة من يصلون او يجب ان يصلوا الى المرحلة الوسطى اكثر من مائتي الف، وما اظن بلدا عربيا قد بلغ هذه النسبة فهناك اذن من هذه القلة خمسة عشر فى المائة من خمسة عشر فى المائة ، هذه القلة لا تحصل كلها على فرصة التعلم فى المرحلة الثانوية او الوسطى ثم من هذه القلة تخرج قلة القلة ، خمسة عشر فى المائة اخرى من الخمسة عشر فى المائة ، من الخمسة عشر فى المائة من الاصل تبلغ المرحلة الجامعية ، فمن العشرة ملايين يبلغ حوالي ثلاثين الفا الى الجامعة او المرحلة العليا فى الجامعة او ما يعادلها من المعاهد ، وما اظن بلدا ايضا عربيا اتيحت فيه هذه الفرصة ، اذن هناك تنازع ، ثم من قلة قلة القلة خمسة فى المائة ، من الخمسة عشر فى المائة ، من الخمسة عشر فى المائة ، من الخمسة عشر فى المائة من الاصل ، تحصل على مرحلة اتاحة الفرصة للصفوة ، الصفوة التي تخرج بها الانسان من الانسان ، صفوة انسانية فى هذا المجتمع الصفوة التي تبلغ مرحلة الاستاذية او مرحلة القيادة ، تقود الامة فى كفاحها وفى حياتها ، فى مختلف النواحي ، تقودها فى ميدان الانتاج مهندسين وغيرهم ، تقودها فى ميدان رعاية الصحة الاطباء وغيرهم ، تقودها فى ميدان التربية والتعليم الاساتذة ، تقودها فى الميدان الجامعي البحث العلمي الذي هو من اخص خصائص الجامعة ، هذه قلة القلة ، نعمة كبرى بالطبع ان ياخذ الانسان فرص غيره فى الحياة .

احب ان اعترف بين يديكم اني اخذت فرصة ما لا يقل عن الفي فرد من المواطنين فى الوطن الصغير فى الاقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة اخذت هذه الفرصة منهم ، لم تتح لهم واتيحت لي لاستزيد من العلم ولتتاح لي فرصة التأمل فى خلق الله وفى نفسي ، ولتتاح لي الفرصة لاعرف تاريخ امتي وتاريخ الانسانية ، ولتتاح لي الفرصة لاحكم حكما مستنيرا وحكما يحدده العقل، ولكن يحدده ايضا ويوجهه الضمير، هذه الفرصة نعمة كبرى ، ولكن هذه النعمة قادرة على ان تنقلب بلاء وشقاء ، معناها انني على الاقل ساحاسب كما يحاسب امثالي اي اخواني المواطنين يوم لا ينفع مال ولا بنون ، سيكون الحساب عسيرا ، والاستاذ الذي يريد ان ينجو بنفسه فى الجامعة هو الاستاذ الذي يحاسب نفسه فى الحياة الدنيا قبل ان يحاسبه الله فى **الآخرة ، هذا حديث قد يبدو حزينا، او حزينا !** (1) ولكنني **ان كنت صادقا فيه بيني وبين نفسي فانني لا احب ابدا ان** ينطلق الحزن من نفسي اليكم ، وانتم ليس لكم ذنب لاني لم انتزع فرصة الاخذ منكم ولم ينازعني احد منكم فرصتي .

اردت بهذا ان انتقل الى اننا اذا اردنا ان نمارس فى الجامعة وظيفة الجامعة بمفهومها العربي الاسلامي الذي هو اقرب المفاهيم الى الانسانية، والى تحقيق كلمة الله فى الارض ، اذا اردنا ذلك فيجب ان نبدأ بالاستاذ، اذا اردنا ان ننشىء مصنعا ، مصنعا للرجال ، مصنعا يخرج الانسان من الانسان او على الاقل يخرج الانسان من البشر ، فيجب علينا ان نبدأ بالاستاذ ، ولن تقوم قائمة لجامعة لبس فيها شيخ او استاذ ، هذا هو الاساس وهذه نقطة البدء ، اذا ربينا الاستاذ حقا ، اذا وجدنا من الرجال من يقومون على هذه الصناعة حقا فى مصانعنا فاننا نضمن النجاح للجامعة ، وهذا ينقلني الى امل آخر هو جامعاتنا الحديثة .

فى جامعاتنا القديمة كنا نحصل على اساتذتنا من بيننا ، كان شيوخ تلك الجامعات فى القرويين وفى جامع الازهر وفى الزيتونة وفى غيرها من المعاهد ، معاهد الدراسة كانوا عربا ومسلمين ، كانوا منا ، جامعاتنا

---

1) بتشديد الياء المكسورة ، يريد المحاضر نفسه

علم العرب

للأستاذ سعيد العريان

الحديث الذي اريد بي ان اتحدث فيه ولا ادري من اراد ، هو الحديث عن علم العرب ، ولا اظن ان للعرب علما غير علم الناس ، ولا اظن انه ينبغي ان يكون للناس علم ليس مثله عند العرب ، فان العلم كما قال الاخ الاستاذ الدكتور سليمان الحزين امس ، لا وطن له ولا جنس له ، الا ان يكون المراد ثقافة العرب لا علم العرب ، ومع ذلك فاني ارجو ايضا ان تكون الثقافة لا وطن لها ولا ارض ولا جنس وان يكون مستقبل الثقافة اساسا للناس جميعا لا لشعب دون شعب ولا لارض دون ارض ولا لوطن دون وطن .

واظن ان هذا الامل او هذا المعنى هو الذى قصده الله تعالى حين جعل الكتاب الكريم آخر كتبه الى البشر ، وحين جعل محمدا (ص) آخر انبيائه الى الناس ، فلم يجعله نبيا للعرب ولم يجعل قرآنه للعرب وانما اراده للعالمين ، يعني انسانيا ، واراد نبيه للعالمين يعني نبيا انسانيا .

وجاءت تعاليم الاسلام مصدقة لذلك فجاءت انسانية لا عربية ، ومعنى هذا ان الله فيما اظن وفيما يظن كثير من الذين يستمعون الي ، يحرص على ان تكون الثقافة انسانية وتعاليم الاسلام نفسها انسانية ، لانها تريد للسلوك الانساني وللشعور الانساني وللضمير الانساني ، في كل ارض ولكل جنس ولكل قوم ، مبادىء لم يختلف عليها حتى اليوم احد من اهل الفكر في اي بلد من بلاد الله ، الحرية ، كرامة الانسان ، العزة في النفس، الشعور بالواجب لنفسه ولكل من حوله ، التكافل الاجتماعي ، لا خوف الا من الله ، لا رجاء الا من الله ، البشر امة واحدة لاب وام ، هذه المثل الانسانية التي جاء بها الاسلام وجاءت في القرآن نصا وروحا لم يختلف عليها مفكر ومفكر في اى بلد من بلاد الارض ، فهي مبادىء انسانية عامة خالدة لكل زمن ولكل شعب ولكل ارض ولكل وطن ، فهي مبادىء انسانية عامة خالدة ، واظن ، واعتقد ان كثيرا منكم يظنون ان هذه المبادىء هي اطار الثقافة الانسانية التي يجب ان تكون للناس جميعا فهي ليست ثقافة العرب وانما ينبغي ان تكون ثقافة البشر او ثقافة الانسان على حد الفصل الذى فصل به الدكتور سليمان الحزين امس بين البشر والانسان .

لكني احس ان الامة العربية اليوم في مرحلة من مراحل القلق العلمي ، مرحلة من مراحل القلق العلمي تجعلها بين طريقين او بين عدة طرق ، تصدر مرة الى يمين ومرة الى شمال ومرة الى امام ومرة الى خلف ، لا تكاد تعرف في مجموعها اى طريق تسلك ، وهي تصف كل طريق من هذه الطرق الاربع وصفا ، تسمي طريق اليمين ثقافة كذا وثقافة الشمال ثقافة كذا وثقافة الامام ثقافة كذا وثقافة الخلف كذلك ، هذا الموقف القلق بين طرق اربع لشعب مؤمن صاحب مثل يعرف نفسه ويعرف مكانه ويكاد يعرف غده ، هو الذي انشأ حالة القلق العلمي الذى وصفته . والقلق العلمي لا يعرض الا لاصحاب المثل ، لان الذين يعيشون كما تأتي الحياة ، كما تأتي العيش ، لا يقلقون ، وانما يمضون كما يمضي بهم التيار لا يحاولون مقاومة ، وانما يقاوم الذين تتعارض ارادتهم مع التيار ، ومن ثم ينشأ القلق .

فالقلق العلمي اذن فضيلة من فضائل اصحاب المثل ، قد يكون هذا القلق العلمي سببا لانزعاج كثير من المهتمين بشؤون الامة العربية ، يخشون ان تنحرف عن طريقها الذى رسمه الله الى غيره ، فينظرون

العربيه والامة الاسلامية شيء كما ضرها ان المواطنين والمتعلمين منهم بصفة خاصة لم يكونوا مواطنين صالحين تقوم حياتهم على العطاء بعد ان قامت على الاخذ فى الصغر ، حاول كل منا ان ياخذ اكبر قدر ممكن فى الحياه ، اصبحت فلسفة التربية والتعليم فى بيئتنا العربية فى وقت من الاوقات فلسفة منعكسة، يعلم الرجل ابنه لا ليعمل ولينتج وليخدم الناس ، وانما ليستغل المجتمع عن طريق التربية والتعليم . يستغل غيره ، ليعيش حياة هينه لينة ، ليتوب الله عليه من الشقاء فى عبارة واضحه ، هذه فلسفة معكوسة ، تقلب النعمة نقمه ، ليس هذا اسلام — اؤكد لكم — وليس هذا عروبة تقوم على الشهامة التي نعرفها والعطاء والبذل ، انما هو لون من الوان الكفر بنعمة الله ، وهو لون من الوان الكفر بالعروبه وتنمر لها . ليس هذا تربية ولا هو تعليم ، انما يجب ان نربي فى الجامعات المواطنين الصالحين ، وما احوج مجتمعنا هذا الى العطاء لانه اذا ما حاول كل منا ان ياخذ اكثر مما يعطي فلن يكون هناك شيء يعطى ، سنستنفد قدراتنا وسنستنفد خيراتنا وستبقى غالبية عظمى من شعبنا العربى لاتجد ما تاخذ لان كل شيء يؤخذ منها اخذا ، والمعلم اقدر على ان يستغل غيره من الجاهل وبذلك تصبح الجامعات على الامة العربية بدلا من ان تكون لها .

هذه وظيفة الجامعات فيما يتصل بالاستاذ من حيث انه يمارس وجوده كاستاذ اصطفاه الله واتاح له الفرص بين الناس واختارته الامة وحبته بعطفها واكرمته ، ثم من ناحية الطالب الذي تتيح له مزيدا من الفرص فى الجامعة ، فاذا ما عودناه فى الجامعة على ان يستمر فى الاخذ فانه لن يكون مواطنا صالحا ، ولن ينفع امته ، انما يجب ان نربيه على اساس العطاء على اساس ان يكون مواطنا صالحا حقا ، هذه هي الوظيفة فلننتقل الى الوسيله ، ما وسيلتنا فى هذه المصانع حينما تتناول الرجال حينما نتناول الشباب من البنين والبنات وهم ذخيرتنا وعدتنا للمستقبل ، ما الوسيلة ؟ الوسيلة يجب ان تكون صورة منعكسة من الهدف واننا اذا اردنا ان نحقق الهدف فيجب ان تكون الوسيلة مكافئة له ، من هدفنا ان نربي جيلا ثمينا صحيحا ، فالجامعة يجب ان تتناول الطالب فى جوانبه الجسمية ، الملاعب التي ننشئها للرياضة البدنية هي جزء من كيان الجامعة، وقد تعجبون اذا ما ذكرت لكم انني فى جامعة اسيوط انشأت الملاعب الرياضية قبل ان انشيء شيئا آخر ، هذا هو اساس التربية . عنيت بتغذية الطلاب لان كثيرا منهم فقراء من بيئة فقيرة على حظ كبير من الذكاء ، ويعوق ذكاءهم عن ان ينطلق من قلة اليد فى التغذية ، شاعرين بهذه الناحية . الحياة المريحة حياة الطالب فى الجامعة حياة الاروقة التي عرفها اجدادنا حين اقاموا المساكن للطلاب وحين اجروا الارزاق على الطلاب ، وحين هيأوا لهم فرص الحياة المريحة نوعا ما ليستطيعوا ان يتفرغوا للعلم .

هذا اساس عرفه اجدادنا ويجب ان نعرفه فى جامعاتنا الحديثة فى هذه المصانع ، وسبيلنا بعد ذلك ان نربي العقل لنخرج البشر من الحيوان ، هذا الحيوان الشاب الذي نحسن عشرته والذى حين نختلط به فى الجامعة نحس اننا عدنا شبابا ، هذا الشباب له عقل متفتح فى هذه المرحلة لابد ان نفتح هذا العقل على منافذ الخير ، لاننا ان لم نفعل ذلك فانه سيتفتح بنفسه وقد يتفتح على نوافذ لا تؤدى الى خير .

افضل النـــاس واعلم النـاس !

روى ابن عبد البر عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله « ص » يا عبد الله بن مسعود قلت لبيك يا رسول الله قال اتدرى أي الناس افضل قلت الله ورسوله اعلم قال فان افضل الناس افضلهم عملا اذا فقهوا فى دينهم قال يا عبد الله بن مسعود اتدرى أي الناس اعلم قلت الله ورسوله اعلم قال اعلم الناس ابصرهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقصرا فى العمل وان كان يزحف على استه .

اجتماعيا نريد وما نوع المرشد الاجتماعي الذي نريد ، ثم هؤلاء المتخصصون جميعا انريدهم كما قال الاخ الدكتور سليمان الحزين الامس اختصاصيين فى الحرفة او اختصاصيين انسانيين معا .

فى المغرب مثلا ، واسمحوا لي ان اضرب المثل ببعض ما رايت ، وان كنت لا اعطي تمام الوصف كما يراه اهل الدقة ، لان نظرتي قصيرة ، قصيرة الزمن وقصيرة المدى ايضا ، عندنا جامعة القرويين ، جامعة القرويين هذه عريقة قديمة قامت على اساس راسخ من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، قامت على ايمان كامل بان رسالتها هي حياطة هذا الدين وحياطة اسبابه حياطة كاملة شاملة توجه به من حولها ومن وراءهم التوجه الانساني الذي اراده الله ، ومضت الى غاياتها احد عشر قرنا ، وادت رسالتها اداء كاملا وانتشرت رسالتها فى الشرق والغرب ، وتعلم منها علماء فى مصر ، وعلماء فى باقي شمال افريقيا وعلماء فى الشام وعلماء فى العراق ، وعلماء فى بلاد الخليج وعلماء فيما وراء الحدود العربية منذ احد عشر قرنا ، وحين اقول تعلم منها هؤلاء لا اعني فى كل حالات التعلم المباشر ، فان الجامعة ليست هي المكان ولا الرواق وانما هي العالم والكتاب والعلم نفسه ، ليس هذا وحده ولكن جامعة القرويين فى موقفها الاخير خلال قرون المقاومة كانت حصنا من المع حصون العروبة والاسلام ، وقفت راسخة فى مكانها كالطود لاتزحزح ، منها كل القادة ومنها كل الزعماء ، منها مباشرة او بطريق غير مباشرة ، تخرجوا منها ليقودوا ويتزعموا ويوجهوا امتهم الى مستقبلها ، او خرجوا ليعلموا قادة ، هم القادة وقادة القادة ، ووقفت فى مكانها كما قلت فى حديث مضى وقفة الحارس على رباط ، والحارس على رباط لا ينبغي ان يتقدم ولا ان يتأخر والعدو بازائه ، وقد وقف العدو بازائنا هنا قرونا عدة ، سلاحه مشرع فى وجوهنا والشرر يتطاير من عينيه الينا وصيحات الحرب فى فمه تنصب فى آذاننا ، ولم يكن ثمة الا رجال القرويين والذين علمنهم القرويين والذين قادهم قادة القرويين ليكافحوا ويدفعوا ، وقفوا وقفة الحارس على الشاطىء يدفعون ذلك العدو المتربص خلال تلك القرون ، ولم يكن موقفهم فى الدفاع سمح لهم ان يتحركوا من مكانهم ، ثبتوا ، وقفوا فى مكانهم ، لانهم كان يجب ان يقفوا ، ثبتوا لانهم كان لابد ان يثبتوا ، جمدوا لانهم كان لابد ان يجمدوا ، كان جمودهم ذاك جمود مدافع ، فهو جمود الفضيلة لانه جمود الاستبسال فى الدفاع عن الشرف .

فلما مضى ذلك العدو او اوشك ان يمضي ، اخذنا ننظر الى هذه الجامعة القائدة الرائدة الموجهة التي صنعت تاريخ المغرب ونصف تاريخ العرب ، فرأينا المغرب فى حاجة الى قادة يوجهون مرافقه وادارته واعماله ، يرممون ما تهدم من جوانب تلك المرافق ويسيرون بالحياة مسيرها الى غايتها .

من هؤلاء الذين يديرون ويرممون ويسيرون بالحياة الى مسيرها ؟ ذلك الجندي الذي انتزع من بيئته ومن اسرته وقت المعركة ليقف فى وجه العدو كل ذلك الزمن المتطاول لو يؤت به بعد الحرب الى الحياة المدنية لاحتاج الى تدريب طويل حتى يضطلع باعباء الحياة المدنية . واذا فقد كان لابد من رعاية هذا الجندي الذي حفظ الوطن وحمى الوطن وبذل دمه لاجل الوطن وجمد فى مكان الدفاع عن الوطن حتى نجا الوطن ، كان لابد حين يعود الى الحياة المدنية من ان يهيأ للاضطلاع باعباء الحياة المدنية ليضطلع بها على الوجه الكريم الكامل الذي اضطلع به فى حياة الدفاع ، ولكن الامم فى سرعتها الى طلب الصلاح قد لا تلجأ الى هذه الوسيلة الدائمة ربما تأخذ قصدا من لم يحارب ، لم يكافح ، لم تثبت قدماه على الارض ، لم يثبت نعله على التراب ، لم يثبت ثبات القرون ، لم يزل فى مرونته ومطالعته ليضطلع باعباء الحياة المدنية ، هذه ايضا نظرية معقولة ومنطقية ، ولكن هناك مبدأ ، سننظر الى الوظيف ، ماهي الوظيفة ، ما هي وظيفة الذي يتولى ترميم المرافق وادارتها وتسييرها مسيرها الى غايتها ، هل وظيفته ان يضع القفل فى المفتاح ثم يدخل ويجلس ويترك الحياة تمر امامه كما تمر على اي وجه تمر ، كل ما يعنيه ان لا تتوقف ، دون ان يحدث فيها تجديدا او يحول لها اتجاها ، لو ان الامر كان كذلك لما كنا بحاجة الى قرون المقاومة الطويلة لنستقل ، لنشعر بكياننا ، لنشعر بوجودنا ، لنشعر باننا هنا شيء لانفسنا ولمن حولنا بارادتنا لا بارادة غيرنا ، هذا الذي عاش حياته كلها فى الحياة المدنية لم يتمرس بجندية الدفاع والمقاومة يمكن ان يكون مدنيا اصيلا كل الاصالة ولكنه ايضا بحاجة الى ان يتعلم بعد قرون المقاومة ، هو ايضا بحاجة الى ان يتدرب ، بحاجة الى ان يحسن استعمال السلاح ، بحاجة الى ان يدرب على ان يقف مثل وقفة اولئك الجامدين على الشاطىء سنين وقرونا حتى اذا ما دعا الداعي الى الدفاع امكن ان يكون المدني وغير المدني كتفا الى كتف فى صف المعركة ، والمعركة هنا ليست معركة سلاح ودم ولكنها معركة الروح والنفس،

منزعجين متألمين خائفين متشائمين ، وقد اكون انا واحدا من هؤلاء ، ولكني مع ذلك احس ان القلق العلمي ظاهرة من ظواهر المثالية النفسية ، لولا مثاليتنا ما قلقنا .

قبل ان يحملني الجناح الى بلدكم هذا الكريم لم اكن اتخيل ان هنا مثل هذا القلق الذي سمعت بعضه واحسست بعضه وسمعت بعضه ولمست بعضه ، كنت اظن ان اخواني العرب المغاربة — الذين استعصوا على كل انواع الاستعمار ثلاثة عشر قرنا كاملا فلم يستطع مستعمر من اي لون ان يقبض راحته على بلدهم الا في نصف القرن الاخير — ابعد عن ذلك القلق الذي احسسناه يوما ما في القاهرة ، ولكني لم اكد اطأ هذه الارض الطاهرة حتى رايت وسمعت وشممت ولمست ، وباحساسات اخرى غير هذه الاحساسات الخمس عرفت معرفة اليقين ان في نفس كل مغربي قلقا علميا مؤرقا من اجل مستقبل العلم في المغرب ومستقبل الثقافة في المغرب ومستقبل المغرب نفسه ، لانه لا انفصال البتة بين مستقبل الثقافة ومستقبل الوطن .

وجامعة القرويين المباركة في الاحتفال بذكراها الحادية عشر من القرون هي منبع هذا القلق لانها في هذه اللحظة نفسها بدأ تطورا جديدا ، واراها في هذا العيد في قلق لا يكون مثله في الاعياد ، وارى المحتفلين بها في قلق كذلك لا يكون مثله في نفوس المحتفلين بالاعياد . واسأل نفسي اهو خير ام هو شر ، واسأل عواطفي وقلبي ثم اسأل عقلي ورأيي ، فاسمع جوابا يخالف الجواب ، ولكني انتهي آخر الامر الى الاطمئنان كل الاطمئنان، لان الامر كما قلت ينبع من مثالية، من ايمان، من يقين ، من معرفة كاملة لكل قلق بمكانه وامكانه وامله في نسبه ، وحين يكون الامر كذلك فهو مظهر يقظة واعية لا خوف من نتائجها .

استمر هنا الكفاح خلال قرون اربعة ، وبدا الكفاح هنا في هذه المنطقة حيث بدا الغزو الصليبي في الامة العربية بدأ واستمر ، واستمر اربعة قرون ، ثم جلا العدو مكرها او كاد ، وتحررت ارضنا ، وتحرر بحرنا او كاد وتحرر جونا او كاد ، ولكن العدو لم يجل بعد عن نفوسنا، عن ضمائرنا ، لم تزل مؤثراته كامنة فينا وبعض الضوء يختزن وبعض الظلام يختزن ايضا . ولم يزل في نفوسنا ظلام مما اختزنا من عهود الاستعمار ، لم نزل رواسب ومؤثرات اجيال وقرون تغطي على حقائق كثيرة لا تكاد تنكشف لنا او للكثرة منا ، فحاولنا ان نستأنف الزحف ، الزحف الانساني الذي بداه العرب منذ بضعة عشر قرنا ، وكان لابد ان نستأنف الزحف ، لابد ان نستأنفه ، لان رسالتنا ليست لنا ولكنها للبشر عامة للانسانية كلها، كان لابد ان نستأنف الزحف، ولكي نستأنف الزحف يجب ان نحدد طريقنا ، ولكي نحدد طريقنا يجب ان نتعرف غايتنا ولكي نتعرف غايتنا ونصل اليها يجب ان نعرف وسائلنا ، واخذنا نبحث الوسائل . وحين بدانا التفكير في الوسائل وجدنا الخلف معقدا اشد التعقيد لا نكاد نعرف له اولا ، اذا عرفنا له اولا لم نستطع ان نصل الى آخره ، كانت العقدة ملففة تلففا شديدا لا يستطيع ان يحلها الا صاحب الصبر وصاحب العزيمة ، وصاحب القوة ، وصاحب الايمان . ولم نكن جميعا اصحاب عزم ولا اصحاب قوه ولا اصحاب ايمان ، ولا اعتذر الى نفسي ولا اعتذر اليكم ، انما يمضي بنا الى غايتنا التي نريد ، ان نكون صرحاء مع انفسنا ، لا يجب ان نتجامل على حساب الحق ، لم نكن جميعا مؤمنين ولم نكن جميعا اصحاب عزيمة ، راينا مظاهر اوربية امامنا، فيها حضارة ، وفيها نعمة ، وفيها ترف وفيها جمال، فبهرتنا ، نسينا اونسي اكثرنا — لحظة ما — الغاية العظمى والطريق الامثل والبدء النبيل الذي بداته الامة العربية ، نسينا ذلك ونحن نفكر في الوسيلة ، اتخذنا وسيلة اخرى ، وسيلة تنبع من قاعدة مشهورة هي : الوظيفة توجه المتعلم نحو العلم الذي تتوجه اليه الوظيفة . واقصد الوظيفة بمعناها العام .

ما هي وظيفتنا التي نتعلم من اجلها ؟ هل نتعلم لنكون لانفسنا ، او نتعلم لنكون لقومنا ، او نتعلم لنأكل ونشرب ونستمتع بالحياة ، او نتعلم لنؤثر في الحياة وندفعها الى الامام ، هل نتعلم كعرب ومسلمين ، او نتعلم كبشر يعيشون على قطعة من ارض البشر اسمها وطن العرب ؟ لو استطعنا ان نحدد لانفسنا بدقة وظيفة المتعلم هذه ، لعرفنا الوسيلة .

ان الوظيفة توجه المتعلم نحو العلم ، ولكل بيئة عربية في كل قطر عربي حاجات ، ومع ذلك فاننا حين نلمس بعض الخطوات التي نخطو في اقطار شتى من الوطن العربي ، لا نكاد نتبين التخطيط الكامل للنتيجة التي نريد ان ينتهي اليها الخريجون .

كم طبيبا نريد ، وما نوع الطبيب الذي نريد ، كم مهندسا نريد وما نوع المهندس الذى نريد ، كم معلما نريد وما نوع المعلم الذي نريد ، كم مرشدا

ثم اننا نطلب وحدة ، نطلب وحدة ثقافية ، وحدة فكرية وحدة عربية كاملة بكل معناها ، وحدة توجهنا الى الاهداف الانسانية السامية التي ارادها العرب منذ كانوا والتي ارادها الاسلام .

في البلاد العربية القدر المشترك الذي تتحدد به خصائص الامة العربية والذي يتفق مع اهداف الامة العربية والذي يمكن ان يصنع مواطنين للامة العربية في غدها المامون ، هذا التوحيد لابد منه ولكننا لابد قبله من البحث والدرس والاستفادة بالتجارب وانشاء تجارب جديدة لاختيار نوع التعليم الذي توحد عليه البلاد العربية ثم الذي يوحد عليه كل قطر عربي معاهد تعليمه ، هذه المعاهد العربية الاسلامية في مستوياتها العالية ليست ملكا للبلد الذي قامت فيه وانما هي ملك الامة العربية المسلمة او ملك المسلمين في كل ارض . الازهر اثر في حياة العرب والمسلمين تأثيرا ضخما تحول به تاريخهم وتاريخ عدوهم . القرويين اثرت تأثيرا ضخما جدا في حياة المغاربة والعرب والمسلمين واثرت في تاريخ عدوهم كذلك . الزيتونة اثرت في تاريخ العراق وفي تاريخ العرب وفي تاريخ المسلمين وفي تاريخ اعدائهم كذلك ، الزيتونة اثرت في تاريخ اعداء الزيتونة وفي اعداء تونس واعداء العرب كما اثرت كل هذه المعاهد ، هذه المعاهد كلها معاهد دولية انسانية غيرت من تاريخ الانسانية كلها ـ تأثيرا ايجابيا في جانب ، وتأثيرا سلبيا في جوانب اخرى ؛ اثرت فينا ورفعت معنوياتنا واعطتنا المثل وكونت نفوسنا وربتنا التربية التي اشعرتنا مكاننا وحياتنا ووجودنا وحرياتنا وكرامتنا ، واثرت في حياة عدونا لاننا نحن بكفاحنا الذي تعلمناه منها استطعنا ان نفرض على عدونا تاريخا آخر . فقد غيرت هذه المعاهد تاريخنا وتاريخ عدونا معا ، غيرت في تاريخ البشر قطاعا كبيرا ، هذه المعاهد التي تركت هذه الآثار لا يمكن ان تكون لارض ولا لوطن ولا لاحد ، وانما هي لكل الذين يتأثرون بها ويتأثرون منها ، من اجل ذلك اعطيت لنفسي الحق كانسان وكمسلم وكعربي وكمغربي ايضا ان اتحدث هذا الحديث الى رجال القرويين ، وشيء آخر هو ان هذا القلق العلمي الرفيع الذي يدور في نفوس الذين يحبون القرويين ويحبون المغرب ، يدور قلق علمي مثله حول الازهر ويدور قلق علمي مثله حول الزيتونة ويدور قلق علمي مثله حول النجف ويدور قلق علمي مثله حول كل معهد عربي اسلامي في كل قطر من اقطار الوطن العربي ، واذا فهو قلق مشترك يفرض على كل ذي راي ان يقول رايا لان رأيه لا يؤثر في معهد منها دون سائر المعاهد وانما يؤثر فيها جميعا ، فانا حين اتحدث عن القرويين انما اتحدث عن الازهر وعن النجف وعن الزيتونة ، وحين يتحدث متحدث عن الازهر هناك فانما يتحدث عن القرويين واخوانها كذلك ، واذا كانت هذه المعاهد بهذه الصفة لهؤلاء جميعا وكان لها هذا الاثر كله لا اقول ، وقد سمح لي ان اقول ما قلت ، وانما اقول فقد وجب ان يقول فيها كل عربي وكل مسلم في كل ارض رأيا ، ومن اجل هذا اقول مرة اخرى انني احس بواجب عميق يثقل كاهلي وضميري ، اريد ان اتخفف منه لاقوله لادعو الى اقتراح ، لاقول كلمة . ايها العرب ، ايها المسلمون ، ايها الاخوة الذين تحرصون على عروبتكم وعلى اسلامكم وعلى ان تظل جذوركم راسخة في الارض وعلى ان يظل حاضركم وماضيكم ومستقبلكم على نسق ، لا تحاولوا احداث تغيير في حياة القرويين ولا في حياة الازهر ولا في حياة الزيتونة ولا في حياة النجف الا في مؤتمر عام يضم المعنيين بشئون الازهر وشئون النجف وشئون الزيتونة وشئون القرويين فانها لهم . فالمؤتمرات لا يدعو اليها فرد ، ولكننا ، كل صاحب رأي فرد . دعوة ادعوها الله وارجو ان يستجاب لها ، ارجو ان يستجيب لها مستجيب يوفقه الله ليحمل هذه الراية لبجدد علم العرب وعلم المسلمين ويردنا الى الطريق السوي والسلام عليكم ورحمة الله .

هذا المدني الذي حرج من بيئه اخرى وربى نربية اخرى وبدأ تاريخه نحت ظل آخـر . وطني مخلص ، جزء من شعب هذا الوطن ، مرموق الغد لامته ، قوي القلب والنفس ، والساعد والاراده . ولكنه لم يهيأ لاسباب الدفاع الكاملة ليعرف انه في امة عربية مسلمة يربدها العدو بكل انواع الشر والفساد . واذا فلابد لكي يتمرس هذا الذي لم يتمرس قبل للدفاع لكـي يتمرس بالحياه المدنية على الوجه الذي اراده الـذى دافع حتى احترق ويبست قدماه وجمد في مكانـه كصخرة على صخرة يجب ان يتدرب ايضا ، يجب ان يكمل نفسه كما يكمل نقص الاول . واذا فهناك نقص مشترك قطعا . هناك نقص حقيقي في ذلك الجندي المرابط الذى وقف صخره على صخرة قرونا لم يتقدم خطوة الى الامام . وهناك نقص آخر قـد يكون اشد منه في الذى عاش تحت ظل غابة اخـرى ويثقف ثقافة اخرى وقطعه الاستعمار قطعة كامله او شبه كاملة عن ماضيه ، عن امته ، عن لسان وطنه . عن دين قومه ، عن مثل اهله ، عن تاريخه ، انتزعـه من الارض كما تنزع شجرة ثم نضعها من غير ان تحفر لها لتنمو مره اخرى في نفس الارض . ابدا ابـدا ، لا يمكن ان تستقيم الحياه اذا تولاها ذلك الذى يبس على مكانه ولا يمكن ان تستقيم الحياة اذا تولاها ذلك الذى انتزع من بيئته ليصنع صنعة اخرى ، لا نـدرى اى بيئـه بعـد ذلك يستعها .

بعد اليوم وحين تكون وظيفه الطبيب للطبيب . وحين تكون وظيفه المهندس للمهندس . وحين تكـون وظيفه المعلم للمعلم . وحين تكون وظيفة كل متخصص في تخصصه . ما وظيفه خريج القرويين ؟ قيل لـي تكون وظيفه خريج القرويين انه حامل ديـن . صاحب دين . واعتقد ان الاسلام لا يعرف صاحب دين وانمـا يعرف المسلمين جميعا اصحاب دين . يجب ان يتعلم جميع المواطنين الدين ويجب ان يتعلم جميع المواطنين حرفة مع الدين . حرفه على تخصيص . لماذا لا يكون طالب القرويين طالب طب وطالب ديـن معا ؟ ولماذا لا يكون طالب الحقوق في جامعة اخـرى طالب حقـوق وطالب دين معا ؟ لماذا لا يكون هناك قدر مشترك مـن المعرفة العربيه الاسلامية لكل معلم ولكل متخصص لا التخصص قبل القدر المشترك بناء على غير اساس . ما هو القدر المشترك من علم العـرب ، ما هو القـدر المشترك من علم المسلمين ، ما هو القدر المشترك مـن المعرفة بالمثل العربية الاسلامية التي يعرفهـا الطالب قبـل ان يتخصـص فـي القـرويـيـن أو فـي غيـر القـرويـيـن ؟ مـا هــو القـدر المشتـرك الذي يلقفه التلميذ منذ السنة السادسة او السابعـة في المدرسة الابتدائية ؟ ما هو القدر المشترك من علم العرب وعلم المسلمين الذي يتعلمه التلميذ في المدرسة الثانوية ، ما هو القدر المشترك الذي يريد ان يبنـى عليه المتخصص في الدين بناءه العلمي ليصل معـارف عامه بمعرفه متخصصة في كلية القرويين ؟ ما هـو القدر المشترك من علم العرب وعلم المسلمين الـذى يبني عليه طالب الطب معرفته ليكون طبيبا عربيـا مسلمـا ؟

لا نريد . لا نريد الامة العربيه ولا يريد المغرب ولا نريد اى قطر من اقطار العـرب ان يكـون نصف المجتمـع العربـي متلـولا . ولا يعـرف العـرب ولا يعـرف المسلمـون محترفيـن بالدين . يجب ان يكون الدين الكل مواطـن ويجب ان تكون الحرفة لكل ذى دين في وطنه . لا نريد ان ينظر رجل الدين الى نفسه كأن دينه هو مصدر رزقه نزولا بالدين الى المستوى الذى نزل بالدين في نفوس كثيـرة نرونهـا ويحسونهـا .

ايها الاخوه .

هناك نكته مهمه جدا حين نتحدث في هذا الموضوع لنصل علم العرب بعلم الحياه التي يحياهـا العـرب في هذه الايـام نكته مهمة جـدا لا يجب ان نقف عنـدا هي ان كل مواطنـين في وطـن يجب ان يكون لهـم انفعال مشـترك واحساس مشترك ومثل مشتركـه وشيء من الثقافه مشترك يجعـل انفعالهـم واحـدا واحساسهم الوطني واحدا وتفكيرهم في الغد واحدا

طالب القرويين وطالب غير القرويين يـدرس تعليما عاليا ؛ غالبا في آخر مراحله . في المرحلة التـي قبل ذلك او التي قبل قبلهـا يجب ان يكون موحدا . ولكن على اى نظام يكون موحده ؛ فما دام لابد من ان نراوح بين علم الدين وعلم الدنيا لاخراج ذوى حرفـه وذوى مثل في كل حرفة ؛ ما دام لابد ان يسبق ذلـك نوع من توحيد التعليم فلا بد ان يسبق ذلك اختيار نوع التعليم الذى نوحد عليه المدرسة المشتركه ، مـا لم نوحد على نظام مجرد سليم مأمون العاقبة فان الاخذ بأي نظام غير ذلك معناه ان نلغـى احـد الناقصيـن لنضع مكانه انقص الناقصين ، ينبغي ان نوحد التعليم ؛

تمثل الجزء الاكبر من اراضي النفوذ الفارسي ، وكذلك فى البنجاب ، وقد آلى على نفسه ان يقوم فى كل سنة بغزوتين مقدستين لمحاربة الكافرين من الهنود وتمكن من غزو البنجاب سبعة عشر مرة، ووصل بذلك الى البحار الغربية .

فى السنة التي توفي ناصر الدولة سبكتكين كان ابنه محمود اول من لقب بالسلطان ولم يلقب به احد من قبل (1) . اوصى ابوه سبكتكين بالملك لابنه اسماعيل، فبايعه الجند والقواد ، واخذ يبذر اموال الدولة ويغدق على القواد حتى كادت الخزينة ان تمنى بالضياع ، والتجأ الى حياة ملؤها الدعة ، بينما كان محمود بعيدا عن الدولة بنيسابور ، فنعي اليه خبر وفاة ابيه فارسل الى اخيه يعزيه ، وبدات بينهما سلسلة من المراسلات السرية مفادها اقناع اسماعيل باحقية اخيه فى الملك نظرا لانه اكبر منه سنا ، كما طالبه بنصيبه فى تركة ابيه ، ويظهر ان هذه الوسيلة قد فشلت ، فخرج محمود من نيسابور يريد غزنة ليسوى الامر مع اخيه ، فاجتمع بعمه (بغراجق) وساعده على اخيه ، كما التف حوله الامراء والقواد وذلك بعد ان شجعوه بالمجيء الى غزنة ، وانتهى هذا الاستعداد بالاصطدام بين الاخوين فانهزم اسماعيل ، واعتصم باحدى القلع ، فامنه اخوه محمود ، فلما نزل منها اكرمه واحسن وفادته ، واخيرا اشركه فى الملك مده سبعة اشهر (2) .

الفتوحات العسكرية : تظهر شخصية محمود الغزنوي قوية فذة فى الميدان العسكري خصوصا مع ابيه سبكتكين ايام توطيد سلطانه وتوسيع فتوحاته ، فكان ابنه محمود الساعد الايمن خصوصا فى المعارك التي دارت بين ابيه وبين ابي علي بن سيمجور ، وفخر الدولة بن ركن الدولة البويهي فتم له امر نيسابور ، وتسلم ادارتها بعد ان قضى على نفوذ السامانيين ، وولى ابنه القيادة العسكرية فى خراسان ، ولقبه بسيف الدولة .

وبوفاة ابيه سبكتكين سنة 387 ه بعد ان وضع الاسس القوية للامبراطورية الغزنوية نتيجة لتوالي الانتصارات فى عهده سواء فى الشرق او الغرب، وما اوثر عنه من الصلابة وقوة الارادة ، فقد تمكن ابنه محمود ان يرث ما لابيه من تلك الخصائص والصفات التي هي حجر الاساس فى القيادات والزعامات .

وبتسوية امر النزاع مع اخيه اسماعيل كما راينا استتب له الامر ، هذا فى الوقت الذي كان يطمح الى ان يكون الوريث الحقيقي للسامانيين ، وهذا ستفسره الاحداث والحروب المتوالية التي عرفت بها شخصية محمود ، فبعد احتلال نيسابور وضم مرو التي كانت آخر معقل للسامانيين ، اتخذ نيسابور عاصمة له ، وتودد للقادر الخليفة العباسي فأخذ يخطب له فى المساجد خصوصا بعد ان أبطل الخطبة السامانيون فى اواخر عهدهم (3) ، ولم يكن من القادر الا ان بارك اعماله وفتوحاته فلقبه بمين الدولة واصبح بذلك عند حسن ظن الخليفة العباسي .

فتح خراسان : يعتبر فتح خراسان من اهم الفتوحات التي خاضها محمود حيث قدر له بواسطتها ان يؤمن هذا الجانب فيتفرغ الى فتوحاته بالهند، ذلك ان بكتوزون حاكم خراسان عند ما سمع بمسير محمود اليه جمع انصاره امثال عبد الملك بن نوح وبالرغم من ذلك فقد انهزمت جيوش بكتوزون وفر مع انصاره الى بخارى واعادوا تنظيم جيوشهم بتغيير خطط الهجوم فسير اليهم جيوشه بقيادة قائده الشهير ارسلان ودانت له بذلك الامارات الموالية كامارة آل فريغون وامارة غرشتان وخراسان بما جاورها من الامارات الموالية لها تعتبر آخر الاماكن التي اعتصم بها السامانيون ، وانقذت بذلك من الاسراف والظلم الاجتماعي والانحلال الذي سادها بفساد آخر الامراء الذين حكموها ، وفيها اعيد الاعتبار الشرعي الذي فقدته الخلافة العباسية (4)

---

1) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج 9 ص 54
2) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج 9 ص 57
3) الصابي : تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء ص 372
4) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ : ج 9 ص 67 .

محمود الغزنوي

٣٨٨ - ٤٢١ هـ

للاستاذ عبدالصمد السرايري

تمهيـــــد :

في الفترة التي اخذت قـوه الحلفاء العباسييـن الاواخر في التداعي السياسي وضعف نفوذهم العسكري اذا بالقومية تاخذ اتجاهها البارز لدى الشعوب التي فتحها العرب واهتدت الى الدين الحنيف ، ولعل من ضمن هذه الممالك الشرقية التي اصبحت مستقلة عن الخلافة هي فارس والسامانيون الذين كانت عاصمتهم بخارى ، وبعد نهوض هذه الممالك المستقلة ، بلا دلك ايضا قيام الممالك الاخرى التي نهجت نفس السبيل ، فالاتراك اصبحوا يمثلون عنصرا اكثر نشاطا ، واقوى فعالية في مماليك الحلافة الشرقية ، فكان يغلب عليهم الطابع البدوي ، من خشونة وعدم تحضر ، الا انهم بتدرجهم نحو الاسلام بداوا يتفقهون في تعالىم الدين الجديد ، واكتسبوا بذلك طابعا جديدا مكنهم مـــن الظهور في الميادين السياسية والعسكرية ، ومن الممالك الاخرى التي حظيت بالاستقلال غزنة التي نحن بصدد البحث فيها عن شخصية فذه سنتناولها بالـــدرس والتحليل فيما بعد ، وهي شخصية يمين الدولـــة محمود الغزنوى .

ذلك ان البيت الغزنوي استقل نهائيا عن البيت الساماني سنة 976 م وقدر لهذه المملكة ان تعيـــش قرنين كاملين ، وكان مؤسسها الب تكين حيث كان مملوكا تركيا تربى في احضان السامانيين ببلاطهم ، والملاحظ ايضا في امر هذه الامارات انه بالرغم مـــن استقلالها عن الدولة العباسية سياسيا وعسكريا ، فانها اعترفت بها للخليفة من آثار التبعية ويظهر ذلك في ذكر اسمه بخطب الجمع ، ونقش اسمه على النقود ، ولم يكن الغرض من ذلك سوى حرص الامراء في الابقاء على المظاهر التي تكسب حكمهم الصبغة الشرعيـــة فبباركه الخلفاء العباسيون ببغداد ، وما دمنا بصـــدد البحث عن هذه الامارات وخاصة السامانيين فالذي يهمنا انه نتيجة للافة التي تعرضت لها الخلافـــة العباسية حيث استـلم زمامها السياسي والعسكري القواد الاتراك ، فانه بتعيين البكتكين حاكما علـــى خراسان ابتغاء اقصائه عن العاصمة العباسية لاسيما بعد ان استفحل امره وعظم خطره فسرعان ما استقل بغزنة من جبال سليمان بافغانستان ، حيث تولى حكمها ابوه من قبل ، فتوفي فجأة وتسنى لمملوكه سبكتكين الذي تصاهر معه ان يستولي على زمام الامـــور ، فامتدت فتوحاته الى بست وسجستان واعتبرت هذه الفتوحات من الممهدات التي سهلت لابنه محمود عمليات الفتوح فيما بعد ، كما ان سبكتكين امتاز بحملتيـــن هامتين خلدت اسمه من بين الفاتحين المظفرين وخاصة في الهند وذلك عندما استغـل نزاع الامراء الهنـــود ، وكذلك انتصاره على ملك البنجـاب (جيبال) حيـث اكرهه على ان يخلي اقليم (كابل) الذي يعتبر مـــن اهم الممرات الاستراتيجية والمؤدية الى الممالك الهندية كما انه اشتهر بانه بطل الاسلام والمجاهد المسلم ضد الكافرين (1) .

اما محمود الغزنوي فيعتبر من اعظم وانصـــع الصفحات في التاريخ الاسلامي بالنظر لما ملكه مـــن العظمة حيث استمر اثنين وثلاثين سنة، يوسع مملكته ونفوذه في الاراضي المعروفة بافغانستان والتي كانـت

1) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج 2 ص 119 .

بلاده ، ومنها الى المولتان فلم يقبل ذلك منه فبـــاداه محمود الغزنوي قبل مملكة المولتان ففر اندبال الــى كاشمير وضاعت مملكته امام زحــف المسلميـــن العظيم (1) . ولما سمع صاحب المولتان بخبـر اقبـال يمين الدولة اخلى المدينة ونقل امواله الى سرنديب ، فافتتحها يمين الدولة والزم اهلها دفع عشرين الف درهم عقوبة لعصيانهم .

حدث اثناء هذه الغزوة ان « ايلك خان » استغل خروج يمين الدولة من خراسان وملك ابك خان وهي تقع ما وراء النهر ، هذا بعد ان جرت مراسلات سابقة بينهما توثقت اثرها عرى الصداقة ونتجت عنهـــا مصاهرة فارسل قائده سباشبى تكين الى خراسان واخاه جعفر الى بلخ وكان حاكمها انذاك ارســـلان الجاذب ، فطلب منه ان ينحاز اليه ضد غزنة ولمـــا استولى سباشبي تكين على خراسان سار ارسلان الى غزنة، ومهد السبيل لاحتلال نيسابور من لدن سباشي تكين ، بلغت يمين الدولة هذه الاحداث وهو بالهند واخذ يستعد للمعركة الفاصلة وذلك بعد ان قوى من معنويات الجند ووزع عليهم الاموال والغنائم ، وادخل عنصر الاتراك في صفوف الجيش وتحركت هذه الجموع الضخمة تريد «بلخ» ومنها الى بهراه فاصطدم بالتركمان الغزية وقتل منهم جموعا ضخمة وطهر هذه المـــدن فعادت الى نفوذه السياسي وباسر القائد سباشي تكين وجماعة من قواده ، عادت الى حوزته خراسان للمرة الثانيه ، ولم يقف ايلك خان عند هذا الحـــد خصوصا بعد ان تساعب من يده خراسان فاخذ يراسل قدر خان بن بغراجان ملك الختل وكانت تجمع بينهما قرابه . ومنذ سنه 397 هـ بدأ يلح في طلب معونته ضد يمين الدولة فلبى الدعوة قدرخان ، فعبآ جيوشهمـــا لملاقاة محمود الذي كان موجودا آنــذاك بطخارستان فسبقهما الى بلخ بعد ان ادخل في جيشه عنصــــر التركمان الغزية وقامت الحرب بين الفريقين عنيفة استعمل فيها يمين الدولة فرق الفيلة حيث هاجم بها قلب جيش ايلك خان ، وكان هذا النصر لمحمود من بين الانتصارات التي حركت همم الشعراء وقنفـــت قرائحهم (2) ، واثناء هذه السنة عاد الى الهند مـــرة اخرى ذلك ان احد ملوك الهند المعروفين « بنواســه شاه » كان قد اسلم على يده فصار يميل الى اهل الكفر ويعلن الحاده بعد ارتداده عن الاسلام ، فسار اليـــه يمين الدولة واستعاد ولايته منه ، بعد ان ارجع اهلها الى الاسلام وخلف احد اتباعه ليفقه اهلها في الديـــن الحنيف ، وبسبب توالي هذه الانتصارات المظفرة امكن لعدد من ملوك الهند ان يعقدوا حلفا للدفاع ومقاومة نشاط محمود الغزنوي فعبر هذا الاخير نهر السنـد حيث التقى بقوات ابرهمن بن اندبال ، وراجـــات اوجين ، وجواليار ، فانتصر عليهم وكاد ان يفلـــت الزمام من يـــده (3) .

وفي سنه 398 هـ اخذ يستعد الى حرب اخرى وفيها انهزم الهنود بقيادة بال بن اندبال بعد التجاء الهنود الى قلعة « بهيم » وكانوا ينقلون اليها نفائسهم واعلاق الجواهر قرنا بعد قرن ، وكان هذا على سبيل اعتقادهم الديني الخاص ، فاجتمع مع توالي هـــده القرون ما لا يقدر بثمن . فاستماتت الهنود في الدفاع عن القلعة استماتة الابطال ، واستسلمت القلعة فغنم المسلمون من الجواهر ما لا يحصيه العد ومن الاواني الذهبية خصوصا من خزانة الصنم الاعظم ، وبيت مليء بالفضة طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ، فعاد الى غزنة بعد هذه الغزوة المظفرة حيث فرش الممرات في قصره بالجواهر ، وذلك لكي يظهر عظمته امام الملوك الذين يفدون اليه (4) . وبقى الطريق مفتوحـا بهـذا النصر الى البنجاب ، اما ملوك الحلف فقد ضعـــف امرهم وتمزق حلفهم وتعهد اندبال ان يرسل سنويا جزيته الى غزنة .

وعاود صاحب الملتان الكره من جديد فاعتنق مذهب القرامطة، وتمكن يمين الدولة من فتح بلاده مرة ثانية واحتل نادرين سنة 404 هـ ، وهدم الصنـــم المعروف بها ويسمى « سومنات » وكان مقدسا لدى الهنود حيث يجمع حوله مائة الف من الحجيج سنويا، وكانوا يعتقدون بان الارواح اذا فارقت الاجســـاد فانها تتقمصه على مذهب التناسخ وان عملية المـــد والجـــزر ما هي الا عبادة لهذا الصنم (5) ، وكانـــوا يقدمون اليه اعظم التحف وانفس الهدايا ، كما تحمل اليه مياه نهر « كنك » المقدس لتغسل بها الصنـــم المقدس ، واشرف على سدانته الكهان البراهمة، وكانوا يحلقون رؤوس حجيجه وتقام له طقوس خاصة يتخللها

---

1) و (2) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج 9 ص 78-79

3) الدكتور حسن ابراهيم حسن . تاريخ الاســـلام السياسي : ج 3 ص 91

4) و (5) ابن الاثير الكامل في التاريخ : ج 9 ص 77 – ج 3 ص 142

فتح سجستان : استغل خلف بن احمد فتوحات يمين الدولة فاستولى على تهستان وبوشنج وكانت بوشنج وهراة تحكم من قبل يفراجق عم يمين الدولة محمود ، واراد الاخير ان يوقف بوسعات خلف ابن احمد فاصطدم بيمين الدولة خصوصا بعد ان تم له امر القضاء على عم يمين الدولة ، وهذا ما اثار محمودا فى الانتقام من خلف خصوصا بعد ان تحصن الاخير بحصن اجبهذ وهو موقع ممتاز بتحصينه ، وبازدياد الضغط والخناق عليه تمكن من القضاء عليه وتم له هذا فى سنة 391 هـ ، وعادت سجستان من ضمن ممالك يمين الدولة .

الفتوحات فى الهند : اسبابها : من الاسباب التي يسوقها ابن الاثير فى فتوحات الهند انه باستتباب امر خراسان وما جاورها من الامارات الاسلامية اراد السلطان محمود ان يكف عن حروبه مع اخوانه المسلمين فى الامارات الاسلامية وذلك بتحويل دفة هذه الحروب الى الهند التي شاع بين اهلها الكفر ومعاداة الدين الاسلامى (1) . وسبب آخر يسوقه بعض المؤرخين وهو ان طابع الحملات التي قادها بنفسه فى الهند كانت تهدف الى الجهاد الديني ونشر الدعوة الاسلامية تتميما للمحاولات الاولى التي بداها العرب المسلمون.

ومن المؤرخين المغرضين من يحلو لهم ان يشوهوا هذه الفتوحات وذلك باكسابها صبغة المجازر الوحشية التي كان لها ابلغ الاثر فى اقرار الدين الحنيف بالهند . اننا نرى من المؤرخين من يفند هذا الرأى امثال المؤرخ الانجليزي الكبير السير توماس ارنولد حيث يقول : « على اننا نجد بين الستة والستين مليونا من المسلمين فى الهند (احصاء قديم) عددا هائلا لم يكن للقوة والعنف نصيب فى تحويلهم أو فى تحويل ذريتهم الى الاسلام بل كان التعلم والاقناع وحدهما اللذان كان لهما ابلغ الاثر فى هذا السبيل » (2) .

وسبب آخر يمكن اللجوء اليه فى تفسير هذه الفتوحات هو ما اشتهرت به ممالك الهند الغنية وقصورها ببدائع التحف ونفائس الجواهر وما اشتهرت به من غنى قد تكون له من العوامل المحفزة لتجهيز هذه الحملات ، وما يمكن ان تدره من المبالغ العظمى والاسلاب والغنائم وهذا العامل الاقتصادي لا يمكن اغفاله بتاتا .

وفى مقدمة هذه الفتوحات هي فتح مملكة البنجاب التي كان ملكها « جيبال » فانهزم فيها هذا الاخير سنه 392 هـ وتم اسره هو واسرته ، وغنم منها غنائم عظيمة القيمة وجواهر نفيسة حيث قدرت القلادة التي كانت فى عنقه وحدها بمائتي الف دينار (3) بالاضافة الى خمسمائة الف راس من العبيد ، واراد يمين الدولة ان يعيد اليه اعتباره فاطلق سراحه ، الا انه لم يرض بوضعه مهانا ذليلا بين قومه فآثر الانتحار، وباختفاء شخصية جيبال من عالم الحكم امكن ليمين الدولة ان يضم اماره « ويهند » .

وفى سنة 395 هـ قرر غزو « بهاطية » وتقع وراء المولتان وكان يحكمها « بيجرا » وامتازت بتحصين اسوارها العالية ، واحيطت بخندق عميق فاعتصم بها صاحبها واستمرت حروبه ثلاثة ايام ضد المسلمين وانهزم فى اليوم الرابع ، وكان هذا بظاهر المدينة حيث اراد ان يدخل المدينة المحصنة من احدى البوابات الضخمة الا ان المسلمين سبقوه الى ذلك فاعيته الحيلة والتجا اخيرا الى الجبال لينظم المقاومة فسرعان ما طوقه المسلمون فآثر الانتحار بخنجر .

عمل بعد ذلك يمين الدولة فى اصلاح احوال بهاطية ونظم احوالها وعاد الى غزنة بعد ان ترك من المسلمين من يفقه اهلها الدين الحنيف (4) .

وأثناء رجوعه الى غزنة صادفته أمطار طوفانية حيث فاضت الأنهر وضاع قسم من جيشه .

وفى سنة 396 هـ قرر يمين الدولة فتح المولتان وسبب ذلك ما نمى اليه من شيوع الفساد فيها، وكثرة البدع ، واراد بدافع دينه ان يحارب هذه الامارة وصادف ان كانت بعيدة عنه مسافات طوالا، ونظرا الى ما اعترض جيوشه فى الطريق من كثرة الاودية طلب من صاحب مملكة يسمى « اندبال » ان ياذن له بالعبور فى

---

1) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ : ج 9 ص 70 .
2) توماس ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص 70 .
3) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ : ج 9 ص 71 .
4) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ : ج 9 ص 77 — 78 — 79

مواصلاتها وكثر انهارها ، وامتداد سلاسل جبالها ، كل هذه العقبات قد ذللت بفضل قوة عزمات المسلمين بزعامة هذا القائد المسلم الحديدي الارادة ، هذا الى جانب ارساء قواعد الايمان والعقيدة الاسلامية مكان تلك المعتقدات البالية ، كما ان نتائج هذه الفتوحات العسكرية ، ومدى الغنى العظيم الذي عرفته الدولة ، امكن ان تزدهر ازدهارا عظيما فى مجال العلوم والفن والعمران ، وترتقي الى ارقى المراتب فى معراج الحضارة الاسلامية ، وهذا ما اود شرحه الان بايجاز .

ظهر تشجيع محمود الغزنوي الرائع للادب والعمران بحيث لم يكن اقل اعتبارا وتقديرا اذا ما قورن بعبقريته السياسية والعسكرية كزعيم مؤسس لهذه الدولة (1) ، وحامي ذمارها ، فلقد حظيت جامعة غزنة باعظم ازدهار عرفته فى ايامه ، وازدهرت كذلك حركة بناء القصور والمساجد والمآثر الهامة ، وامتدت الحركة العلمية فى امبراطوريته من لاهور الى سمرقند واصفهان ، وتم له ذلك فى سنوات معدودات وبذلك يكون محمود اول سلطان آسيوي استطاع ان يتزعم هذه الحركة العلمية فى عهده بمثل هذا الازدهار (2) .

كما ان قصره كان كعبة القصاد من العلماء وجهابذة الفكر ، وفحول الشعراء ، وكانت اواخر ايامه بالبلاط حافلة بنشاط العالم الفذ ابي الريحان البيروني الشهير حيث وقع اسيرا عند ما فتح يمين الدولة خوارزم ، واتهم اهلها بالزندقة وكاد ان يهلك عالمنا العظيم ، ولم يشفع له سوى مكانته العلمية الممتازة التي يتصدرها فى تاريخ الفكر العالمي ، وبلغ تعشقه للغة العربية حيث قال : (خير لي ان اهجو بالعربية من ان امدح بالفارسية) ولعل اعظم خدمة قدمها يمين الدولة للفكر الانساني هو احتفاؤه البالغ واهتمامه بعالمنا البيروني هذا .

كما ان هذا العصر حفل بنشاط جم عظيم ابداه لنا شاعر كبير ونعني به الفردوسي فسعى الى يمين الدولة لينال حظوته عنده ، وتقدم اليه بتلك الملحمة الرائعة التي تعد من غرر الملاحم العالمية والتي بلغت ارقى الاساليب فى فن الملحمة (3) ، وسميت « بالشاهنامه » أي سير الملوك ، وفيها مجد الشاعر محمود الغزنوي فى كثير من ابياتها فعدد مناقبه كفاتح وبطل مسلم عظيم .

ويظهر ان محمودا تباطأ فى مكافأة شاعرنا وكانت جائزته لا تفي بالغرض ، فتحركت عوامل النقد اللاذع فهجاه بابيات تعارض الاولى التي مدحه بها واضطر الى الفرار لبلاط بهاء الدولة البويهي ببغداد خوفا من بطشه به ، وفيها نظم ملحمته « يوسف وزليخا » التي تماثل فى قوة اسرها ونفسها الياذه هوميروس وسرعان ما ضاق ذرعا بالحياة فى بغداد فارتحل الى طوس .

تلك صفحة رائعة من صفحات سيرة هذا المسلم البطل وددت من عرضها هنا اعطاء ما تستحقه من جليل التقدير وعظيم الاعتبار .

---

1) و (2) و (3) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج 2 ص 121 .

الطرب ، وكلما فتح يمين الدولة مملكة من ممالك الهند الا واعتقد الهنود بان هذه الممالك واصنامها المقدسة قد غضب وسخط عليها (سومنات) وانه اهلكها اذ لم يكن راضيا عنها ، ان جانبا من هذا الاعتقاد الذي يسوقه لنا ابن الاثير هو الذي سيفسر لنا مدى تاثير هذه الاسطورة فى عقلية الهنود واستماتتهم فى الدفاع عن هذا الصنم ، ومدى كره يمين الدولة لمثل هذه الخرافة فجهز جيشا قوامه ثلاثون الف جندي وابتدات عملية فتح القلع والحصون المؤدية الى هذا الصنم فاخضعها ولقي فى « سومنات » 120 الفا من السكان وظن اهل سومنات بان الصنم المبارك سيرد عنهم هذا الزحف التحريري لمعتقداتهم ، وبالاضافة الى ذلك فان موقع سومنات بني على شكل حصن عال يشرف على البحر فتسلق المسلمون الاسوار عن طريق سلاليم وضعت لهذا الفرض ، واشتد الحماس الديني بين الفريقين فاخذ الهنود يعفرون وجوههم فى التراب ، ويسألون الصنم سومنات النصر بينما المسلمون استولوا عليه بقوة ايمانهم . وفر الكثير من الهنود الى البحر بعد ان يئسوا من امر صنمهم (1) ، وكان مصير الصنم ان اخذ يمين الدولة فى تكسيره واحراق اجزاء منه ، والبعض اخذ الى غزنة حيث جعله عتبة للجامع الذي بناه ، هذا الى جانب التحف والجواهر مما يبهر العقول ويجل عن الوصف ، والطريف فى الموضوع انه بعد سقوط الدولة الغزنوية لم يبق من آثار محمود غير مئذنة جامعه وضريحه حيث امر الانجليز بنقل ابوابه الخارجية الى الهند سنة 1842 م ظنا منهم انها اجزاء من هيكل « سومنات » (2) .

وفى سنة 407 توجه يمين الدوله من خوارزم فذهب الى غزنة ومنها الى كاشمير ذلك الاقليم الساحر الجميل بمفاتنه وطالت غيبته فيها ثلاثة اشهر فلما اجتاز سيحون وجلوم وهما نهران عظيمان اتى صاحبها اليه معلنا اسلامه واتجه الى ما حول كاشمير كاقليم « ماجون » وفتح ما حوله من الحصون ، والولايات الفسيحة حتى وصل الى « هودب » وارعب صاحبها استعداد المسلمين بعد ان راى جموعهم من احدى القلاع فاعلن اسلامه .

وهناك بعض الحملات الاخرى التي اتخذت طابعا تحريريا من مظاهر الالحاد كما حدث له مع الفور الذين اشتهروا بعدم ميلهم الى الاسلام وعرفت بلادهم بوعورة مسالكها فلقي منهم مقاومة عنيفة ، نظرا لمعرفتهم باحوال منطقتهم واوهم يمين الدولة زعيم الفور بان جيوش المسلمين بدات تتقهقر ، واعاد المسلمون الكرة مهاجمين بلاد الفور فتم لهم النصر نهائيا .

والملاحظ ايضا من خلال سياسته الحربية فى الهند انه كان يميل حينا بعد آخر الى تصفية مشاكله مع الامارات الاسلامية والتي كانت تنازعه فى النفوذ السياسي ، فمثلا عندما توفى ايلك خان سنة 403 هـ تولى بعده اخوه طغان فاخذ يراسل يمين الدولة وطلب مصالحته قائلا : (المصلحة للاسلام والمسلمين ان تشتغل انت بغزو الهند وانا بغزو الترك وان يترك بعضنا بعضا فوافق يمين الدولة على هذه السياسة) وهذا فى رايي يدل على مدى التسامح الذي جبل عليه يمين الدولة ، فسياسته كانت دائما تهدف الى الصلح والمهادنة وتوجيه اهتمامه الاكيد نحو الامارات التي تدعو للكفر وتؤمن بالالحاد ، فالحافز الديني يكون لديه العنصر الغالب فى محاربتها ، وهذا لا يعني اهمال العناصر الاخرى المفسرة لتوالي حروبه ، هذا الى جانب اهتمامه بازالة نفوذ البويهيين فى الري وبلاد الجبل ، فلقد استغل استنجاد مجد الدولة بفخر الدولة وتمكنت امه من تسيير دفة امور الدوله بعد ان اخلد الى اللهو والكتب ، فقبض عليه يمين الدولة وهو بالري سنة 420 هـ وامتد نفوذه بعد ذلك الى بحر قزوين ، ثم ما عرف عنه من مناهضة فرقه الباطنيه ونفي المعتزلة الى خراسان واحراق بعض كتبهم فى التنجيم والفلسفه ونقل بعضها بما يقدر بمائة جمل ، وغلب على يمين الدولة تفهم وتقبل العقيده الاسلاميه مجردة من تلك النزعات والافكار الفارسية التي علقت بالاسلام وهذا سر قساوته فى حروبه مع فرق الرافضة والاسماعيلية والقرامطة والجهمية ، وحاول الفاطميون بدورهم انقاذ اخوانهم من الاسماعيليين بالتودد الى يمين الدولة فلم يجدهم ذلك نفعا .

والنتائج التي يمكن استخلاصها من هذه الفتوحات ان محمود الغزنوي يعتبر فاتحا فذ الطراز، فبنى للدولة الاسلامية اساسها الركين ، وامتدت الى ربوع الهند بالرغم من شساعة اطرافها وتشعب طرق

---

1) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ : ج 9 ص 143

2) بروكلمان — تاريخ الشعوب الاسلامية الجزء الثاني ص 121 .

ثم انشده حسان بن ثابت الانصاري :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
واسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق
واكرم بنا خالا واكرم بنا ابنما

فقال له النابغة : « انت شاعر ولكنك اقللت جفانك واسيافك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن انجبك » .

في« الشعر والشعراء » ان الخنساء انشدته في هذا المجلس قصيدتها في رثاء اخيها صخر :

قذى بعينك ام بالعين عوار
ام اقفرت مذ خلت من اهلها الدار

فقال لها النابغة : « والله لولا ان سبقك ابو بصير انشدني آنفا لقلت انك اشعر الجن والانس » فقال حسان : « والله لانا اشعر منك ومن ابيك ومن جدك » فقبض النابغة على يده ثم قال : يا ابن اخي انك لا تحسن ان تقول مثل قولي :

فانك كالليل الذي هو مدركي
وان خلت ان المنتأى عنك واسع

ثم قال للخنساء : « انشديه » فانشدته فقال : « والله ما رأيت انثى اشعر منك » . فقالت الخنساء : « والله ولا رجلا » .

من بين هذه الامثلة الموجزة نستطيع ان نتبين مظهرين للنقد في هذا العصر : اولهما : ذاتي يمثله حكم ام جندب الطائية ليس مؤيدا ولا مدعما وبالرغم من انها عللت رأيها في بيت امرىء القيس كما اسلفنا فهي لم تحاول امعان النظر في القصيدتين لتوازن بينهما وتستقرىء ما جاء في الفاظهما ومعانيهما . فكرهها لامرىء القيس وحبها لعلقمة وطلاقها من الاول وزواجها من الثاني كل هذا دليل على ان حكمها كان ذاتيا صادرا عن شيء في نفسها هو هواها . وفي هذا اللون من الاحكام يشترك العرب جميعا يستمعون الى الشعر ، يتذوقونه ويطربون له ويقدرونه فيستحسنونه او لا يكون شيئا من ذلك فيستقبحوه والثاني موضوعي يمثله حكم النابغة حين يعلل رأيه في شعر حسان . ولكن موضوعيته جزئية لا تبحث ولا تتعمق . وهذا اللون هو لون الاخصائيين من الشعراء الذين كانوا يبدون الملاحظات لا يكتفون بالاعجاب او السخط .

ومع هذا فالذاتية اهم صفة لهذه الآراء النقدية الساذجة التي ليست وليدة نظرة فاحصة او دراسة ممعنة . ولعل السبب في ذلك ان حياتهم العقلية اولية . بل وبيئتهم الطبيعية والاجتماعية وما فرضته من تنقل وعدم استقرار لم تجعل الامن يعرف سبيله الى عقولهم وقلوبهم لتنظر في العلوم والفنون وتبحث وتفكر فجاءت لذلك آراؤهم تجمعها كلمات موجزة سريعة لم تكن لتصدر الا ارتجالا وعن سليقة وملكة . ولا غرابة فحتى هذا الشعر الذي استطاعوا ان يرسلوا القول فيه لم تصدر عنه الا ارتجالا وعن هذه الملكة نفسها .

وجاء الاسلام فخرج بالعرب من ظلمات الجاهليه واضاء لهم اجواء جديده لم يكن لهم عهد بها ونفذ الى نفوسهم النافره فاعاد اليها الامن والى عقولهم فارتقى بها وهذبها وكان ان حل الاستقرار والهدوء محل التنقل والاضطراب فنشطت حركة الشعر يمثلها طائفتان من الشعراء – فاما الاولى فكافرة تعادي الاسلام – وتخاصم اصحابه يمثلها شعراء قريش ويردون على اباطيلهم . وكان النبي عليه السلام المهاجرين والانصار ويرثون قتلى المشركين من اهل مكة واشهر هؤلاء عبد الله بن الزبعري والحارث بن هشام بن المغيره وابو سفيان بن حرب وامية بن ابي الصلت الثقفي الذي كان الرسول ينهي عن روايته شعره وخاصة قصيدته التي ضمنها في قتلى بدر . واما الثانية فطائفة شعراء الرسول امثال كعب بن زهير وحسان بن ثابت وغيره من شعراء الانصار الذين كانوا يقفون في صفه يدافعون عن الاسلام ويناهضون شعراء قريش ويردون على اباطيلهم . وكان النبي عليه السلام يعتز بهم ويحثهم على تأييده ويطلب منهم ان ينصروه بالشعر كما نصروه بالسيف . وفي الخبر انه قال لحسان – (اذهب لابي بكر وخذ عنه ما تريد من معرفه مثالبهم ومواضع الذم فيهم) وكان يقول له – (اهجم ومعك جبريل روح القدس) .

واذن فقد نشطت حركة الشعر ونشطت معها حركة النقد واصبح الدين ميزانا يقيس النقاد به الشعر ينظرون فيه على هديه يستحسنون منه ما لاءم روحه ومبادئه ويستقبحون ما خالف هذا الروح وهذه المبادىء . فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نابغة بني جعدة يقول :

من النقد الى البلاغة

بقلم كاتب المقدمة والمقال الأستاذ عباس الجراري

مقال يبحث فى تاريخ النقد الادبي عند العرب ، منذ أن نشأ ساذجا مرتجلا لا يعتمد على غير الذاتية فى اصدار الاحكام ، الى ان تطور بارتقاء الذوق واتساع الثقافة ، ليسير على منهج علمي دقيق ، لم تلبث ان غلبت عليه الصبغة التعليمية ، فحولت النقد الى بلاغة جامدة ، لا نزال اليوم نسرح قواعدها واصطلاحاتها وتقسيماتها التكلفة

فتن العرب بشعرهم فعنوا به ورواوه وتدوقوه وعرضوه فى عكاظ وغيرها من الاسواق ، حيث كان يلتقي الشعراء ورجال القبائل ، لينظروا فيه مستجيدين او مستقبحين ، ويصدروا فى عبارات موجزة بسيطة احكاما سريعة مرتجلة ، صادرة لا عن دراسة وتحليل ، وانما عن فطرة وذوق ساذج لم يتعقد بعد .

وبالرغم من انها آراء ذاتية خالية من التعليل ، فى اغلبها صائبة . ففى « موشح المرزبانى » ان امرؤ القيس لما كان عند بنى طيء ، زوجوه منهم ام جندب ، وجاءه يوما علقمة بن عبدة التميمي وهو قاعد فى خيمته وخلفه زوجته ، فتذاكرا الشعر فقال امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها :

خليلي مرابى على ام جندب
نقضى لبانات الفؤاد المعذب

ثم قال علقمة فى نفس القافية والروى قصيدته التي اولها :

ذهبت من الهجران فى غير مذهب
ولم يك حقا كل هذا التجنب

واستطرد كل منهما فى وصف ناقته وفرسه ، فلما فرغ علقمة ، فضلته ام جندب على زوجها فقال لها : « بم فضلته على ؟ » فقالت : « فرس ابن عبده اجود من فرسك » قال : « وبماذا » فقالت : « انك زجرت وحركت ساقك وضربت بسوطك » تعني قوله فى قصيدته حيث وصف فرسه :

فللزجر الهوب وللساق دره
وللسوط منه وقع اهوج مهذب

وقال علقمه :

فادركهن ثانيا من عنانه
يمر كمر الرائح المتحلب

فادرك فرسه ثانيا من عنانه لم يضربه بسوط ولم يتعبه ، فقال : « ما هو باشعر منى ولكنك له عاشقة » وطلقها فخلفه عليها علقمه الفحل .

وفى نفس المصدر انه كانت تضرب لنابغة بني ذبيان قبة حمراء من ادم بسوق عكاظ ، فتأتيه الشعراء فتعرض اشعارها ، فكان من اول من انشده الاعشى ميمون بن قيس ابو بصير انشده طويلته التي اولها :

ما بكاء الكبير بالاطلال
وسؤالي وما ترد سؤالي

والغناء كان يصدر عن ذوق واحساس . ولكنه ذوق راق طريف واحساس مرهف مصقول .

وفى العراق نرى لونا من الوان الشعر يزدهر تحت تأثير الثقافة الحديثة هو الشعر السياسي الذي نظم فى خصومات الخوارج والشيعة مع بني امية وانصارهم . وقد بدات تظهر للخوارج فى النقد الادبي نزعة تهزأ بالشعراء الذين يقفون بابواب الخلفاء والولاة ليمدحوهم سعيا وراء الشهرة والعطاء ميزانها الدين والاخلاق ومقياسها « ان الشاعر الحق من صدق فى قوله واتقى الله فى شعره » فقد مر عمران بن حطان على الفرزدق وهو ينشد والناس حوله فوقف عليه ثم قال :

ايها المادح العباد ليعطى
ان لله ما بأيدى العباد

فاسأل الله ما طلبت اليهم
وارج فضل المقسم العواد

لا تقل فى الجواد ما ليس فيه
وتسم البخيل باسم الجواد

ولكن هذه النزعة لم تدم طويلا ولم تكتب لها البقاء فقد ضاعت مع ضياعهم .

وفيما عدا هذا فقد كان الشعراء يسيرون على نهج فحول الجاهلية يفخرون ويهجون ولكن فى معان جيده والفاظ مهذبة تأثرت بأسلوب القرآن . وكان طبيعيا ان يتبع النقد فيسير كذلك على هذا النهج . فقد كان الشعر ينشد فى المربد وغيرها من الاسواق فيعرض له النقاد ليصدروا فيه عن ذوق حضري مهذب احكاما بين ميزة الشاعر ووجوه ضعفه وقوته . واخرى تتجه الى التفضيل بين الشعراء فأي الثلاثة اشعر : جرير ام الفرزدق ام الاخطل . واذا نظروا الى المعاني فالى الجزئية منها . اما فى الشام فبالرغم من اننا لا نجد فيها شاعرا مشهورا غير عدي بن زيد الرقاع شاعر الوليد بن عبد الملك . فقد ازدهر فيها المديح بسبب الشعراء الذين كانوا يزورون دمشق ليمدحوا الخلفاء متنافسين وراء العطاء والشهرة ، فقد كانت مجالس الخلفاء تعمر بالشعراء والادباء الذين كانوا يجدون فى القصر منتدى لهم يتناشدون فيه الشعر ويتدارسونه ، مما جعل لهذه المجالس اثرا كبيرا فى الادب والنقد ، ولا غرابة فهي عند العرب كالصالونات عند الغرب . ففي العقد الفريد ان عبد الملك بن مروان سمر ذات ليلة وعنده كثير فقال له : « انشدني بعض ما قلت فى عزة » فانشده الى هذا البيت :

هممت وهمت ثم هابت وهبتها
حياء ومثلي بالحياء حقيق

فقال له عبد الملك : « اما والله لولا بيت انشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك » قال :

« ولم يا امير المومنين ؟ » قال : « لانك شركتها معك فى الهيبة ثم استأثرت بالحياء دونها » قال : « فأي بيت عفوت به عني يا امير المومنين ؟ » قال « قولك :

دعوني لا اريد به سواها دعوني هائما فيمن يهيم »

واجتمع مره فى مجلسه جرير والفرزدق والاخطل فامر باحضار كيس فيه خمسمائة دينار . وقال لهم : « ليقل كل منكم بيتا فى مدح نفسه فايكم غلب فله الكيس » .

قال الفرزدق :

انا القطران والشعراء جربى
وفى القطران للجربى شفاء

وقال الاخطل :

فان تك زق زاملة فاني
انا الطاعون ليس له دواء

وقال جرير :

انا الموت الذى آتي عليكم
فليس لهارب مني نجاء

فقال له عبد الملك : « خذ الكيس فلعمري ان الموت يأتي على كل شيء » .

فعبد الملك فى الشام كابن ابي عتيق فى الحجاز ناقد خبير يتذوق . ويتعمق . فلقد عاب على بعض الشعراء عدم براعتهم فى الاستهلال وعاب على آخرين اطالتهم فى مدح انفسهم . وفى رايه ان المدح يجب ان يكون خالصا للممدوح .

انيت رسول الله اذ جاء بالهدى
ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فيسأله وقد احس انه يفخر فخر الجاهلين : (الى اين يا ابا ليلى ؟) فيقول (الى الجنة ان شاء الله).

ثم يزداد اعجاب الرسول به ويدعو له بقوله : (لا يفضض الله فاك) حين ينشده :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له
بوادر تحمي صفوه ان يكدرا

ولا خير فى جهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

ناظرا الى قوله تعالى : (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين) والى قول الرسول : (ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد من تملك نفسه عند الغضب) .

وهذا عمر بن الخطاب ينشده سحيم عبد بني الحسحاس قوله :

عميرة ودع ان تجهزت غاديا
كفى الشيب والاسلام للمرء هاديا

فيقول له : « لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك » .

ونظروا الى مسألة اخرى فى النقد هي مسألة الطبع والتكلف فاستحسنوا كل كلام يجاري الطبع ويساير الفصيح المعروف واستقبحوا كل كلام فيه الغلو والتكلف والغريب . وهذه نزعة جديدة فى النظر الى الكلام لم يعرفها الجاهليون . فقد سأل سائل عمر بن الخطاب : « يا امير المومنين ايضحي بضبي ؟ » قال : « وما عليك لو قلت ضحى بظبي ؟ » قال : « انها لغة » قال : « انقطع العتاب ولا يضحى بشيء من الوحش » هذا من ناحية اللفظ اما من ناحية المعنى فكانوا يحبون القصد والاعتدال ولم يكونوا يحبون الغلو والاسراف فعمر بن الخطاب كان يعجب بشعر زهير لانه لم يكن يعاظل بين القول ولا يتبع حوشي الكلام . ولا يمدح الرجل الا بما فيه . وهذا نقد جديد يعتمد على تعليل الاختيار والتفضيل بناء على مقاييس تتناول كما رأينا الالفاظ والمعاني ، ولا نبالغ اذا قلنا انه اساس للنقد الموضوعي الذى يتعمق فهم عناصر الفن الادبي . وبصفة عامة فقد بقي النقد فى هذا العصر الاسلامي الاول قريبا من نقد الجاهليين فالنقاد يجملون فى كلمات موجزة سريعة احكاما يصدرون فيها عن اذواقهم التي لا زالت قريبة من الفطرة لا يبحثون عن العلل والاسباب ، وكأن انصراف المسلمين للفتح والجهاد لم يترك لهم مجالا لاطالة النظر فى الاديب واستقراء الفاظه ومعانيه ، واستخلاص عناصره وخصائصه والوقوف على عيوبه وتعليلها .

وفى العصر الاموي تلونت الحياة بالوان جديدة وتغيرت المظاهر وتحولت الاهداف بعد ان استقر العرب فى المدن والامصار وتأثروا بحضارات مختلفة صقلت عقولهم وهذبت اذواقهم فتطور شعرهم ونما وازدهر فى بيئات لم يكن يعرفها قبل الفتح الاسلامي فقد اخذت الشام والعراق والحجاز تزاحم بيئة نجد التي نبغ فيها اكثر الشعراء وكانت الحجاز اسبق هذه البيئات الى التطور بظهور ادب جديد فيها اهم ما يميزه انه يدور حول الحب وحوادثه مما كان له اثر فى النقد الذي اتخذ مظهرين :

اولهما يمثله النقاد من الشعراء امثال كثير الذي سمع مرة عمر بن ابي ربيعة يقول :

قالت تصدى له ليعرفنا
ثم اغمزيه يا اخت فى خفر

قالت لها قد غمزته فأبى
ثم اسبطرت تشتد فى اثري

فقال له : « اتراك لو وصفت بهذا حرة اهلك الم تكن قد قبحت واسأت وقلت الهجر ؟ وانما وصفت الحرة بالحياء والخجل والامتناع » .

والثاني يمثله النقاد من غير الشعراء كابن عتيق فقد ذكر بحضرته شعر عمر بن ابي ربيعة والحارث ابن خالد فقال رجل من قرابة الحارث : « صاحبنا اشعر » فقال ابن ابي عتيق : « دع قولك يا ابن اخي فلشعر ابن ابي ربيعة نوطة بالقلب . وعلق بالنفس ودرك للحاجة ليس لشعر الحارث ، فخذ عني ما اصف لك : اشعر قريش من رق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه وتعطفت حواشيه وانارت معانيه واعرب عن صاحبه » وقد تحدث بعض المحدثين عن ابن ابي عتيق، فقال عنه انه لم يكن فى نقده يقصد الى الالفاظ والتراكيب ولم يكن يطلق الاحكام اطلاقا من غير تعليل. والحق ان هذا النقد الذي ازدهر فى مجالس الشعر

لتحقيق نسبتهـا وفى ظواهـر الصحـة والانتحـال وتفسيرها منقبا عن العوامل ومدللا علـى الاسباب فى روح علمية ونهج قويم . والدارس لطبقات ابن سـلام يلاحظ انه اسس نقده على عناصـر اربـع : عنصـر ذاتي فى نظرته الى الكثرة والجودة ، وعنصر اجتماعـي فى تفريقه بين الجاهليين والاسلاميين وعنصر تاريخي فى تحقيقه فى صحة الشعر ونسبته . ثم عنصر موضوعي فى تقسيمه الشعراء الى بدو وحضر . ولعـل هذه اول مرة يلاحظ فيها الناقد العربي اثر البيئة فى اسلـوب الشاعر كما فى تعليله لسهولـة شعر عدى بن زيد بان كان سكن الحيرة ومراكز الريف .

وبالرغم من ان ابن سلام عاش فى اواخر القـرن الثاني واوائل القرن الثالث فانه لم يعـرض بالنقـد والتحليل لشعر معاصريه امثال ابى نواس وبشار وابى تمام ولعله لم يتصد لهم خشية ان يصاب يهجوهـم المقذع ولعله كذلك لم يكن يعتد بشعر المحدثين جريا على ذوق اللغويين المحافظيـن . وابن سلام وان لـم يبعد كثيرا عن حدود المنهج الفني ، ولم يعتمـد علـى منهج مستقيم فقد اصاب فى التبويب وتحقيق النصوص واستطاع ان يعطي صورة للنقد العربي وتطوره منـذ الجاهلية حتى اوائل القرن الثالث ضمت اذواقا مختلفة وافكارا مبعثرة لم شتاتها ووطد اصولها . ولعل هـذا كفيل بان يجعل كتابه من اهم ما كتب فى النقد الادبي عند العرب افاد النقاد بعده كثيرا مما جاء فيه .

سياسة علـي كـرم اللـه وجهـه فى قبـض الخـراج

روى ابو يوسف عن رجل من ثقيف قال استعملني علي بن ابي طالب رضي الله عنه على عكبراء فقال لي واهل الارض معي يسمعون : انظر ان تستوفي ما عليهم مـن الخراج واياك ان ترخص لهم فى شيء واياك ان يروا منك ضعفا . ثم قال رح الي عند الظهر ، فرحت اليه عند الظهر ، فقال لي : انما اوصيتك بالذي اوصيتك به قدام اهل عملك لانهم قوم خدع ، انظر اذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتاء ولا صيف ولا رزقا ياكلونه ولا دابة يعملون عليها، ولا تضربن احدا منهم سوطا واحدا فى درهـم ولا تقمه على رجله فى طلب درهم ، ولا تبع لاحد منهم عرضا فى شيء من الخراج ، **فانا انما امرنا ان ناخذ منهم العفو ، فان انت خالفت ما امرتك به ياخذك الله به دوني** وان بلغني عنك خلاف ذلك عزلتك ، قال : قلت اذن ارجع اليك كما خرجت من عندك ، قال وان رجعت كما خرجت ، قال فانطلقت فعملت بالذى أمرني به فرجعت ولم انقص مـن الخراج شيئا .

واذن فالنقد فى هذا العصر لم يبعد كثيرا عن النقد الجاهلي والاسلامي فهو لا زال يعتمد على الفطرة والذوق والشعور ، ولا زالت احكامه بسيطة غير معقدة ولا معللة تتأثر فى اغلبها بهوى الخليفة او الولي وان كانت فى اكثرها صادقة مؤيدة . وحتى الموازنة التي رايناها تنتشر فى مربد العراق لم تكن تعتمد على دراسة او بحث وانما كانت تتأثر بفكرة المنافسة بين القبائل .

ثم وضع العلماء النحو فى آخر العصر الاموي وضبطوا قواعده فظهر لون جديد من النقد كانوا يلاحظون فيه على الشاعر اخطاءه النحوية وعدم مسايرته لمنحى الاعراب . فقد نقدوا النابغة فى بيته :

فبت كأني ساورتني ضئيلة
من الرقش فى انيابها السم ناقع

وقالوا ان الصواب ان يقول ناقعا بالنصب على الحال . وهو لون قد اخذ يظهر فيه عنصر الموضوعية وان كانت موضوعية جزئية . فالناقد لا ينظر الا من زاوية معينة ، لا يحاول ان يفحص النص او يبحث فى جوه وما جاء فيه من معان وخيال وابتكار وتقليد ، مما يجعلنا لا نغلو اذا قلنا ان النقد فى عصر بني امية كان لا يزال فى طوره البدائي ولم ينتقل بعد الى طور التعمق فى فهم الادب .

اما فى العصر العباسي فقد ازدهرت الحضارة وانتشر الترف واتسعت الثقافة لتشمل جميع الوان المعرفة وقد نضجت آداب العرب ونقلت علوم غيرهم الى لغتهم بعد ان نظمت الترجمة وشجعتها الدولة فاسس المامون فى بغداد مدرسة للمترجمين تضم مكتبة وتشرف عليها هيئة نظامية وجمعت مادة اللغة كما جمعت مادة الشعر الجاهلي والاسلامي وما اصدر عليه النقاد من احكام . وتأثرا بهذه الثروة العلمية والادبية ، تحول الذوق الفطري الى ذوق مثقف وتشعبت فنون الادب لتشمل الرسائل والخطب والحكم والوصايا والامثال ، الى جانب الشعر الذي لم يعد يصدر عن الطبع والسليقة ، وانما اصبح فنا وصناعة . واتخذ النقد فى تناوله لهذه الفنون اتجاهين مختلفين :

فأما الاول فتقليد لنقد الاقدمين من جاهليين واسلاميين ولكنه اوسع واعمق ، فقد اخذ علماء اللغة ينظرون فى شعر السابقين ويبدون رأيهم فيه ، فأبو عمر بن العلاء يقول فى ذي الرمة : « ان شعره نقط عروس تضمحل عما قليل او ابعار ظباء لها شم فى اول شمها ثم تعود الى ارواح الابعار » وتنازعوا فى افضلية شاعر على آخر ، فعلماء البصرة يقدمون امرأ القيس وعلماء الكوفة يقدمون الاعشي وعلماء الحجاز يقدمون النابغة وزهيرا . ونظروا فى شعر الشعراء وبحثوا الموضوعات التي نبغوا فيها واتقنوها والموضوعات التي فشلوا ولم يوفقوا فيها فقالوا : « امرؤ القيس يحسن وصف المطر ، وعنترة يحسن ذكر الحروب وطفيل الغنوي يحسن وصف الخيل وعمر بن ابى ربيعة يحسن ذكر الشباب » . ثم نظروا فى المعنى الواحد عند اكثر من شاعر وفى الالفاظ ما يستحسن منها وما يستقبحوالى اخطاء النحو والاعراب والى ما وقع فى الشعر من اخلال بالوزن والقافية وكان الخليل بن احمد قد وضع علم العروض وحدد اوزانه وقواعده ، ونظروا الى ناحية الدين والاخلاق فعابوا على الشعراء الذين يمدحون ويسرفون ورأوا انهم بغلوهم يجاوزون حدود الدين كما نظروا الى الشعر من زاوية عناصره الفنية الخالصة كالخيال والاستعارة والكفاية والمجاز والابتكار والتقليد .

واما الثاني فاتجاه علمي ، لم يسبق اليه القدماء يعتمد على المناهج ويقوم على التأليف ووضع الكتب . ولعل اقدمها كتاب : (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحي وقد تناول فيه طبقات الشعراء فجعل الجاهليين عشر طبقات وكل طبقة اربعة شعراء وزاد على هذه الطبقات العشر طبقة اصحاب المراثي ثم شعراء القرى العربية وجعلها خمسا مكة والمدينة والطائف واليمامة والبحرين ثم شعراء المدينة الفحول من اوس وخزرج . ثم قسم شعراء الاسلام فجعلهم كالجاهليين عشر طبقات وكل طبقة اربعة شعراء ، وقد اعتمد فى تقسيمه على كثرة شعر الشاعر وجودته وتعدد اغراضه دون احصائها كلها مقتصرا على المجيدين فى المراثي وكأنه رآها اغزر الاغراض بالعاطفة . والذى يؤخذ عليه انه غلب الكثرة فجعلها مقياسا لقيم الشعر دون ان ينظر الى التوفر الفني فيه فى وقت لم يوفق فى حكمه بالقلة على شعربعضالقرى كمكة مثلا وكأنه لم ينظر الى شعر عمر بن ابي ربيعة وغيره من الغزليين . كما انه لم يقف طويلا عند النصوص التي اوردها لينقدها ويدقق البحث فيها ويكشف عنمواطن الجمال والقبح فيها . وابن سلام فى نقده يعتمد على الذوق فى تقدير القيم الفنية والاحساس بالجمال ، وعلى الدربة والبصر بالشعر وعلى النظر فى النصوص

فشعراؤنا فى هذا المضمار ساروا فى الاتجاه المعاكس الرومانتيكيين فى اوربا حيث كان هؤلاء يؤثرون التحدث عن الجانب الموحش والمتجهم فى الطبيعة وقد استوحى منه كتاب امثال « شاتوبريان » و «لامارتين» و « وبايرون » و « فيكتور هوجو » صفحات تعد من اروع ما كتب فى الادب الاروبي .

ولهذا فقد كان الربيع وهو الفصل الذي يغلب فيه جانب الانس فى الطبيعة على جانب الوحشة ، موضوعا مؤاتيا لميول شعرائنا او بالاحرى موضوعا منجانسا مع الذوق العام للمجتمع العربي فى ذلك العهد ولما كان ينشده من انواع المتعة فى الحياة ، فقد نظموا فيه شعرا كثيرا ، فوصفوه ومدحوه واستفصوا فى البحث عن جوانب جماله وتفننوا فى تصوير كل ما ينم عنه او يرمز اليه من زهر وريحان وطير ونسيم .

الا ان الاقبال على الربيع وتذوقه واتخاذه موضوعا من مواضيع الشعر لم يظهر طفرة فى الادب العربي ولم يرافق هذا الادب منذ نشأته الاولى ، وانما نما وترعرع فى ظروف طبيعية ، تبعا لتطور الحضارة العربية وتعدد مراكزها وتنوع مشاربها .

فنحن اذا انصرفنا الى الشعر العربي الاول من جاهلي ومخضرم لا نجد شيئا ذا بال نظم خاصة في الربيع ، وانما هى صور عن الطبيعة تجيء فى عرض القصيدة او فى مستهلها عند ذكر منازل الاحباب ، كما جرت بذلك عادة الشعراء العرب ، او عند التعرض لوصف سفر من الاسفار ، وتلك ظاهرة نعللها فى نظري الاسباب التالية :

اولا : من المسلم به عند نقاد الادب ومؤرخيه ان الشعراء لا مندوحة لهم عن التأثر بالمناخ الذي يعيشون فيه وبالطبيعة التي تحيط بهم بحيث تظهر لذلك انعكاس واضح فى شعرهم ، وبما ان شعراء الجاهلية والصدر الاول من الاسلام لم يعرفوا فى الغالب الا المناظر الصحراوية الخالية من سمات الربيع ، فانه من المنطقي ان يكونوا امسكوا عن وصف شيء لم يروه ويحسوا به ، ويزيدنا اقتناعا بهذا الرأى علمنا بانهم كانوا وصافين الى حدود المبالغة حتى قبل ان ابرز ظاهرة تلمح فى الشعر الجاهلي هي الاغراق فى الوصف والتصوير ، اجل ، لقد وصفوا الناقة ووصفوا الفرس ووصفوا الرمح والسيف لان كل هذه اشياء كانوا يعرفونها ،ولكنهم لم يعتنوا بوصف الربيع لان الربيع ما كان يثير شيئا فى مخيلتهم .

ثانيا : يظهر ان تذوق الطبيعة له ارتباط بمستوى الحضارة ، فالبدوى الذى يعيش دائما وسط الهواء الطلق وبين احضان الطبيعة والذي يكابد ما يكابد من متاعب الحياة ومشاكلها لا يستهويه ما يالفه من مشاهد وما يراه كل يوم من مناظر ، فليس لديه ذلك التهيؤ النفسي والاستعداد الفكري اللذان يلهمانه الى جمال الطبيعة وبحببانه اليه، فى حين نجد الحضري يشتاق من حين لاخر الى النزهة فى البساتين وفى الحقول ، واذا ما وقف امام بطحاء مخضره تتمايل فيها الاشجار على هبوب النسيم تراه يتحرك ويتململ من شدة الطرب ، وكل هذا معناه ان التأثر بمنظر الطبيعة ليس من المشاعر البدائية ، بل انه عنوان عن مستوى فكري وروحي رفيع .

ثالثا : هنالك ظروف ماديه ما كانت لتساعد الاعراب على الاحساس بجمال الربيع ، فالفقر والبؤس حجاب بينهم وبينه ، وهم قبل ان يفكروا فى اخذ حظهم من الكماليات يجدون انفسهم دائما فى مصاعب مع ضروريات الحياة ، بحيث يمكن القول ان الاستمتاع ببهجة الربيع نعمة مقصورة على طبقة محظوظة من الناس المترفين الذين يملكون الحدائق والبساتين والرياض والذين يساعدهم الفراغ على اخذ حظهم من جمال الفصول كلها شانهم فى ذلك شان السواح الموسوين فى عصرنا هذا الذين يقطعون الاف الاميال ليقضوا سهرة عيد الميلاد فى بلد آخر .

ومع ذلك ، فمن الواجب علينا ان نعترف لشعرائنا الاقدمين بانهم كانوا صادقين فيما صوروه من مناظر طبيعية فلم يحاولوا ان يزخرفوا ولا ان يصنعوا ولا ان يغرقوا فى الخيال ، وهم من هذه الناحية اقرب الى روح الشعر العصري الذى تأثر بالواقعية الى حد كبير .

فهذا امرؤ القيس حين يصف تهاطل الامطار وتدفق السيول ، نجد نفسك امام شاعر لا يهمه الا ان يصور لك روعة المنظر ورهبته، نحس بذلك سواء فيما يسرده من احداث او فيما ياتي به من تشبيهات او فيما يستعمله من لفظ ليعبر عما يشعر به ، وله فى هذه القطعة المشهورة من معلقته ترتيب عجيب يكاد يشبه ترتيب المسرحية من نوع المأساة حيث نشاهد منذ البداية الاهواء (!) تطغى رويدا رويدا . فتصطدم ارادات الابطال وعزائمهم حتى اذا بلغ العراك ذروته ووصل توتر النفوس الى منتهاه ، اتجهت المأساة نحو حلها المحتوم ، هذا الترتيب المسرحي ادركه امرؤ القيس بغريزته البدوية ، فصور لنا منظرا من مناظر الطبيعة القوية ، فنرى البرق يلمع ثم تهطل الامطار وتتدفق السيول وتطغى قوى الطبيعة ويصبح مرآها رهيبا

الربيع في الشعر العربي

للأستاذ محمد زنيبر

من احسن ما يستوقف القارىء في الشعر العربي بعض القصائد والمقطوعات التي تتغنى بالطبيعة وجمالها وجلالها ، فتنقل النفوس الى عالم كله طراوة وبهجة وانسجام والوان زاهية واصوات غردة منعشة. فالشعور بالطبيعة كان من الينابيع الغزيرة التي وقف عليها شعراؤنا فرووا ظمأهم واستقوا بعض ما قالوا من اجود القريض واحبه الى النفوس . ونحن بدون ان نتناول الموضوع من وجهة تاريخية ، يجب علينا ان نلاحظ بادىء ذي بدء ان الشاعر العربي ، بالرغم من الظواهر ، قد تطور في تذوقه للطبيعة وتصويره لها ، تبعا لتغير ذوقه بالاحتكاك والاقتباس ، وبانتقاله من مكان الى غيره ، فبعد ان كان شاعرنا وهو في جزيرته العربية لا يعرف غير مناظر الصحراء القاحلة الجرداء. نراه ، وقد مكنته دولة الاسلام الفتية الناهضة بفضل فتوحها وتوسعها من الاستيطان بكل الاقاليم والقارات المعروفة في ذلك العهد ، اصبح واقفا على كل اسرار الطبيعة ، عارفا بمناظرها المختلفة ، من فيافي مقفرة الى غابات وآجام ومن بطاح مخضرة شاسعة الى جبال مكسوة بارديه الثلج البيضاء ، ومن بلدان شمسها مشرقة وسماؤها صاحية الى اخرى ترى الغيوم متراكمة فيها طول السنة .

الا ان الفلسفة الابيقورية التي كان يعيش عليها المجتمع العربي في مختلف العواصم ، او بالاخص الطبقة المترفة فيه ، جعلت الشعراء ، وهم الصوت الطبيعي لذلك المجتمع، يغلبون جانب الجمال والمتعة في شعورهم بالطبيعة على الجوانب الاخرى ، بحيث نجدهم — وذلك باستثناء شعراء الجاهلية — قلما تغريهم المناظر المهولة والقوية ، مثل انفجار البراكين وتلاطم الامواج في عرض البحار وتدفق السيول في الاكام والبراري وغير ذلك من مشاهد العظمة في هذا الكون الذي نحيا فيه ، بل انهم يعربون عن كراهيتهم لمثل تلك المناظر، واذا اوردوا ذكرها ، فانما بقصد الهجو ، فهذا ابو تمام لم يرقه الشتاء بخراسان ولا مرأى الثلوج بجبالها يقول :

لم يبق للصيف لا رسم ولا طلل
ولا قشيب فيستكسى ولا سمل

عدل من الدمع ان يبكي المصيف كما
يبكى الشباب ويبكى اللهو والغزل

يمنى الزمان طوت معروفها وغدت
يسراه وهي لنا من بعده بدل

ما للشتاء وما للصيف من مثل
يرضى به السمع الا الجود والبخل

اما ترى الارض غضبى والحصا قلق
والجو بالحرجف (1) النكباء يقتتل

من يزعم الصيف لم تذهب بشاشته
فغير ذلك امسى يزعم الجبل

غدا له مغفر (2) في راسه يقق (3)
لا يهتك البيض فوديه ولا الاسل

اذا خراسان عن صنبرها(4)كشرت
كانت قتادا لنا انيابها العصل (5)

1) الحرجف : الريح الباردة القوية 2) المغفر : مثل الخوذة التي يلبسها المحارب
3) يقق : ابيض شديد البياض 4) الصنبر : شدة البرد 5) العصل ج اعصل : معوج .

أصول الثقافة المغربية

للأستاذ: الحسن السايح

- 2 -

ورغم المقاومة الصارمة التي ابداها البربر ضد الاحتلال الروماني (يوقرطا) الى عهد القائد تاكفاريناس Tacfarinas الذي استسلم باطرة للرومانيين الذين تعاون معهم ملوك برابرة وبالأخص يوبا الثاني صديق كايوس الذي حمله معه الى المشرق وزوجه من ابنة كليوبابرة (يوبا هذا هو مؤسس مدينة القيصرية وهو فنان مثقف ومهندس بارع الذوق ، الف في مختلف شعب العلوم ويعتبر يوبا الثاني هو الرائد الرئيسي للحضارة الرومانية في المغرب)

لقد انتشر المعمار الروماني وتجلى في هذه المدن الرومانية التي ما تزال معالمها في المغرب كوليلي (1) ولسنا (2) وسلاكلونيا وطنجة وروسادير (مليلية) وربما كانت سجلماسة (3) من بينها بل ان مدينة وليلي ما تزال تحتفظ بهيكل المدينة الرومانية من باب الشمال الى باب الجنوب وما تزال عرصاتها معبرة عن معالم هذه الحضارة ، ويخطىء كثير من المؤرخين حين يزعمون ان البربر لم يتأثروا بالحضارة الرومانية ، بل كان من طابع البربر قوة استعدادهم للاخذ والاقتباس في اسرع وقت ممكن وكفى ان نذكر ان الفتح العربي بدأ بعرب الجزيرة وحدهم واستمر الى الاندلس بعرب الجزيره وبرابره الشمال الافريقي ، وهذا لا يدل على فقدان الشخصيه بمقدار ما يدل على طابع هذا الشعب الذي يمتاز بقوة قدرته على استيعاب مختلف عناصر الحضارات مع الاحتفاظ بمقوماته الذاتية ، بل من دواعي عظمة هذا الشعب ان يكون (ابليوس) وهو اعظم مؤلف روماني من مواليد افريقيا وهو مؤلف كتاب الحمار الذهبي والنوادر ، وازهار الفلسفه الخ ... وان يكون من القياصره كورديان Gordien وسبتيم سفير Septime Severe وهو سوري ينتمي الى عنصر بربري وولي حكم روما بصفته قنصلا من سنة (193 / 211) (انظر كتاب فيكتور دوري Victore Doury في كتابه القيم Histoire Romaine ص 526 .

ويمكن ان نحصر تأثير الثقافة الرومانية في النواحي الآتية :

1 — في النظام العقدي والقانوني .

2 — في اللغة وآدابها .

3 — الفنون المعمارية والهندسية .

اما النظام العقدي والقانوني ، فقد اجتهد الرومان انفسهم للقضاء على الاثر الفينيقي في سائر الميادين فاحتلوا المدن الفينيقية التي كانت تشمل افريقيا الشمالية من افريكا الى نوميديا (مركز مسينيسا) الى موريطانيا وهي المغرب التي كانت تحت نظر القائد البربري بكوس ، وحرس الرومان حدود (الليماس) Limes بالليفيف (ليجيون) Legion واذا فقد استولى الرومانيون على نوميديا واربوا بكثير على القاعدة الجغرافية التي اختصها سيفاكس Syphax وماسنيسا Massinissa الى ناحية

---

1) اسم شريح احد القادة الذي سرعان ما استحال الى مدينة كسرى .

2) وقع العثور على ست عمارات تحت هذه المدينة الرومانية وفي (تمودا) قرب تطوان امكن الكشف عن مدينة برمتها كانت قد تحطمت عند الغزو الروماني (انظر خطاب (ازونا) في متحف الاثار بالرباط)

3) يظن بعض المؤرخين ان سجلماسة رومانية من الاسم Sigilme - Massa أي Sean - Messa

حيث ترى جداول المياه المتسارعة تخرب كل ما صادفت فى طريقها :

فاضحى يسح الماء حول كتيفه
يكب على الاذقان دوح الكنهبل
ومر على القنان من نفياته
فانزل منه العصم من كل منزل
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة
ولا اجما الا مشيدا بجندل
كأن ثبيرا فى عرانين وبله
كبير اناس فى بجاد مزمل
كأن ذرى رأس المجيمر غدوه
من السيل والغثاء فلكة معزل

وبعد هذه المشاهد القوية الرائعه المرعبة ، تصور لنا الطبيعة وقد عادت الى حياتها العادية والى هدوئها ووداعتها ، فيصف لنا الطيور وقد اصبحت فرحة نشوى والسباع وقد غرق اكثر اجسادها فى المياه فيقول :

كأن مكاكي الجواء غدية
صبحن سلافا من رحيق مفلفل

كأن السباع فيه غرقى عشيه
بارجائه القصوى انابيش عنصل

ومما يدل على واقعيتهم انك قلما نجد وصفا مسهبا للنبات فى قصائدهم ، لان مناظر بلادهم كما قلنا آنفا خالية فى الغالب من النبات . فهذا زهير ابن ابي سلمى حين يقف على منازل الاحباب ويصف آثارها يذكر كل شيء ما عدا النبات . فهو يشير الى آثار الديار ويصور الفرالوحشي والرئام واولادها وهي تجوس خلال تلك الاثار ، ثم يتكلم عن الاثافى التي كانوا ينصبون عليها القدور عن النؤي وهو الحاجر الذي يبني حول البيت ليقيه من السيول ، ولكنك لا تجد اثرا لنخلة او سدره او تينة او غيرها من الاشجار . فالمنظر لا يشمل الا الحيوان والجماد :

امن ام اوفى دمنه لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلم
ديار لها بالرقمتين كأنها
مراجع وشم فى نواشر معصم
بها العين والارام يمشين خلفة
واطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقفت بها من بعد عشرين حجة
فلأيا عرفت الديار بعد توهم
اثافي سفعا فى معرس مرجل
ونؤيا كجذع الحوض لم يتثلم

وهذه المناظر الجافة الموحشة كانت فى الواقع من الاسباب التي جعلت العربي يشيد بالشجاعة ويعتز بها ويرى ان الطبيعة ان كانت بخلت عليه بالارض الخصبة وبالعيش الرغيد فقد وهبته الصبر والثبات والقوة وكلها مزايا روحية تضفي على الانسان رداء الكرامة والهيبة ، ولهذا ، فاننا نرى شعراء الجاهلية يفتخرون بكونهم يعيشون وسط هذه الطبيعة المخيفة ، فامرؤ القيس يقدم لنا نموذجا من ذلك حيث يقول :

وواد كجوف العير قفر قطعته
به الذئب يعوي كالخليع المعيل

وكذلك يصف لنا تأبط شرا صعوده الى جبل وسط النهار تحت هاجرة الشمس المحرقه :

وقلة كسنان الرمح بارزة
ضحيانة فى شهور الصيف محراق
بادرت قنتها صحبي وما كسلوا
حتى نميت اليها بعد اشراق
لا شيء فى ريدها الا نعامتها
منها هزيم ومنها قائم باق

هذه نظره خاطفه على الشعر العربي الذي نظم فى جزيره العرب وهي تبين لنا ان الربيع لم يحظ بالتفات الشعراء فى ذلك العهد .

والواقع ان شعر الربيع والطبيعه . بصفه اعم ، لم يصبح بابا مهما من ابواب القريض الا يوم اصبح للحضارة العربيه الاسلاميه تمكن واستقرار وامكن للشاعر العربي ان ينسلخ عن بداوته وينسى جو الصحراء ومناظرها ليندمج بجسمه وروحه وعقله فى حياة العواصم الزاهره الملونه ، تلك العواصم التي لم تستمد عظمتها وثراءها الا من المناطق الزراعية الخصبة التي كانت تحيط بها ، مثل منطقه ما بين النهرين دجلة والفرات فى العراق ومنطقه وادي النيل فى مصر ومناطق اخرى باسبانيا وفارس والشام والمغرب .

هذا الشعر الجديد الذي اوحته تلك المدنية الجديدة ، هو الذي سنلقي عليه نظرة فى مقالاتنا المقبلة .

تتبع

احياها ونفخ في قومه روح العـزة الوطنية واستقـل باقتصاد بلاده فطبع السكة باسمه وحسن مسائـــل الفلاحة بارضه ووحد البلاد سياسيـــا ورغـــم ان البرابرة كتبوا المسرحيات وصنفوا الكتب باللغـــة اللاتينية فان طابع التفكير البربري ظل بـــارزا في انتاجهم (فابوليوس) المؤلف القصصي له طابعه الخاص (وفلوروس) المؤرخ الكبير له فلسفة في التاريـــخ وخاصة فيما يتعلق ببلاده .

وما كادت ستة قرون تنصرم على الاستعمـــار الروماني حتى شعر الرومان بخيبة استعمارهـم لان اللغة الفينيقية لم تمت وانما بقيت لسان الشعب يرتل بها اناشيده الكنسية ويعبر بلغته القومية في ثورته ضد الاستعمار الروماني ، فكان الانتصار للفينيقية البونيكية والانهزام للرومانية المتغطرسة .. وبانتهاء حكم الرومان يتعرف المغرب على حضارة جديدة او بعبارة ادق على لون باهت من الحضارة التي كانت تنسب للونداليين فقد وصلت جحافل جنود جنصريق بعد ان مهد لــــه الكـونت بونيفاص الطريــق ليستولـي على افريقيـا الرومـانيـة وقـــد شيـــد هـــذا الفائـــد الروماني مملكته على انقاض المملكة الرومانية في افريقيا وضرب النقود باسمه ونظم المحاكم على غرار ما فعل الرومان من قبله وشجع المذهب المنتمي الى (اريوس) وبنى له المعابد ، ظهر ادباء باللغة الونداليه منهم الامير حاليما Jélimer الذي نظم مرتبات في الدولـــة الوندالية .

ولكن البربر لم يستفيدوا من الوندال شيئا ، لان الوندال كانوا اقرب الى الوحشية منهم الى الحضارة ، فلذلك لم يفيدوا ولم يستفيدوا .

واذا كان البربر قد استفادوا شيئا من الوندال فهو تجريبهم لصمودهم واختبارهم لبلائهم في الدفاع عن ارضهم والتمسك بقوميتهم .

ولا اشك ان تكون تبقت هناك رواسب لغويـــة قليلة جدا في اللغة البربرية ، واقول قليلة لان الوندال لم يتمكنوا من التوغل في البلاد ، ولم تطل اقامتهم بها ولم يطل عهد الوندال فقد دخلت بيزنطة في حـــروب طويلة ضدها واعان البربر الجنرال باليزار Bélisair على احتلال قرطاجنة ومطاردة الوندال ، والذي يهمنا هو الاثر الذي خلفه البزانطيون (5) في بـلاد البربر ، والطابع الخاص الذي طبعوا به هذا الشعب العظيم ، لقد غير البزنطيون نظام تقسيم البلاد ، فجعلوها سبع مناطق على كل منطقة عامل يصل الى هذه الوظيفة عن طريق الارتشاء ، وكانت هذه هي النكبة الاولى التي حلت بالاقتصاد المغربـي اذ تنافس القـواد في شراء هـذا الوظيف السامي واستثمروه عن طريق الضرائـــب والاتاوات حتى اثقلوا كاهل الشعب وافقروه على ان هؤلاء الرؤساء استخدموا العمال في بناء الحصـــون وتشييد القلاع لحماية البزنطيين من هجوم السكـان الثائرين ولحراسة الموانىء والمرافىء لحماية تجارتهم حيث كانوا مستعمرين تجاريين كالفينيقيين من قبـل وكذلك شيدوا الكنائس ذات شكل بيزنطي لطيف كان العمال هم بناتها ومشيدوها .

غير ان البربر شاهدوا ازمات متوالية نظـــرا لسوء الادارة والانتفاضة البربرية ضد الحكم الاجنبي، ولولا ان جان تروجبلطة Jean Troglita ثبت اقدام البزنطيين لعصف بهم البربر .

واما التاثير الروماني من الناحية الدينية ، فقد وهنت سلطة الكنيسة ، وذلك لان البزنطيين انقسموا شيعا دينية وحاربوا الدونانزم كما حاربوا الديانـــة اليهودية ، فضعفت سلطة الدين .

وعرفت افريقيا البزنطية حركة ادبيه وعلميـــة ومدارس متعددة، وقد برز في عصرهم الشاعر الافريقي كوريبوس Corripus صاحب منظومة La Johamide (اليوحانية) نسبة الى ممدوحة جان ترويسلطة وهي ملحمة تاريخية مهمة جدا .

واما الفن المعمـاري فهو ما يزال ماثـلا في اثـار سفيطلة Sefétula وفي الكنائس الفخمة وفي الحصون المنيعة والذي لاشك فيه ان اجدادنا البرابرة تاثـــروا بهذه الفنون والاداب الى حد ما ولكن استمرار الثورات والقلاقل عفى على هذه الاثار .

ولم يكن المغرب بمعزل عن التيارات الفكريـــة في بلاد المشرق ، فقد تعرف اليها في مناسبات عديـــدة تعرفوا بها عند ما ظهر الاسلام في جزيرة العرب، واخرج الخليفة عمر يهود خيبر عن الجزيرة فقصد معظمهـــم

5) البزنطيون هم المعروفون بالامبراطورية الرومانية الشرقية او الامبراطورية البزنطية او دولة الروم كما يسميهم القرآن الكريم .

(تانجيتين) (4) وحولوا الحياة البربرية من التاثير الفينيقي الى التاثر بالحياة الرومانيه سواء فى تفكيرها او نظامها وقد حولوا الحياة الاقتصادية نفسها يوم ادخلوا الجمل فتغيرت الحالة من نظام نوميدي اي الرحالات الى حياة الرعي والانتجاع سيما فى بلد الساوبة التي معناها (رعاة الغنم) والتي كانت تشمل حدود نوميديا الحالية ثم انتقلت الى اقليم (تانجينين) .

ومن المعلوم ان العقيدة الرومانيه كانت قبل ظهور المسيحيه عقيدة وثنية متغطرسه قامت على انقاض الوثنية الفينيقية ، فهدم الرومان معبد بعل وعوضوه (بايلون) كما هدموا (تانيث) وعوضوه (بسيلستيس) ثم تمسح الرومان بعد انتصار المسيحية فى بلادهم وحملوها الى افريقيا حين كانت ذات اثر قوي فى البربر الذين راوا فيها عقيدة الخلاص مما يعانون من تعسفات الرومانيين وارهاقهم للشعب البربري ، ولم يلبثوا ان تركوها يوم اعتنقها الرومان كدين رسمي واصبحت لا تقيم فروقا بينهم وبين اعدائهم .

واذا كان البرابرة تاثروا بديانة الشرق التي حملها الفنيقيون فعبدوا اوثانا تمثل الالهه بعل وتانيت ، فانهم كذلك تاثروا بالوثنيه الرومانيه ثم بالمسيحية لما انتشرت فى بلاد الرومان وانتقلت الى افريقيا حيث تزعمها الراهب القديس سبيريان Saint Cyprian وقد ظل البرابرة اوفياء للمسيحية الى عهد الامبراطور قسطنطين سنة 312 حيث اصبحت المسيحية دين الدولة الرسمى وراى البرابرة انها لم تعد متنفسا لثورتهم ضد الرومان فانشقوا عن الكنيسة تحت شعار دوناتزم نسبة الى راهب فرنسه بربرية سمى دونات Donat وقد برز من زعماء المسيحيه الراهب الكبير اوغستان Augustin المولود بعنابة سنه 430 والذى حارب الدوناتزم جهدالمستطاع وسجل آراءه فى كتابه مدينه الله واعترافاتي ولا شك ان اوغستان كان محركا لنشاط فكرى ديني فى عصره مما خلق فى البلاد المغربية نشاطا عقليا حادا . . . وقبل اوغستان بكثير عرفت قرطاج اسم الكاتب الكاثليكي ترتوليان من مواليد 150 م وهو من دعاه المسيحية بين البربر .

تأثرت الفلاحة البربريه بالفلاحة الرومانية وما تزال فى الاصطلاحات البربريه عبارات رومانية مثل كلمة (اكر) المحرفة عن اكر والتي معناها الفدان ؛ وكذلك عدة مفردات نباتية .

اما عن التاثير العرفي ، فقد يكون فى ازرف بعض الانظمة ذات الاصل الروماني ، ويظهر ان نظام (الجماعة) فى الحكم قد يكون مستوحى عن نظام الحكم النيابي الروماني والذين يريدون دراسة تفصيلية لهذه النواحي انصحهم بمطالعة ما كتبه Basset فى (محاولات فى الادب البربري
Essai sur la littérature berbère
وما كتبه لاوس فى كتابه مسميات واشياء بربريه وفى الدراسات البربرية التي كتبها Gearny اما الاقتصاد فان شبكة خطوط المواصلات التي انشأها الرومان والتي كانت عبارة عن طرق عريضة مرصفة تربط ما بين طنجة الى سلا ماره بالعرائش ومن طنجة الى وليلي وبين تلمسان ووليلي عن طريق تازة ، بل ان هناك طريقا تربط بين طرابلس (وتافنة) وقد اقتفى الرومانيون اثر الرحلة الطويلة التي قام بها (هانون) فاستقروا بالشواطىء المجاورة لتطوان براس (سارطيل) وبقلعة لكسوش المترفة على مبناء العرائش ، فلا شك ان هذه الشبكة كانت معبدة لحمل البضائع ونقل الصادرات الى العاصمة (الام روما) وحمل الواردات الى الرؤساء والاغنياء ، وبذل نشاط تجاري استفادت منه كل الطبقات .

اما التاثير الروماني فى المعمار والفنون الجميله ، فان ذلك يظهر فى القناطر القديمة الموجودة فى المغرب ذات الاقواس المتداخلة الاحجار وقناطر حمل المياه وفى الحمامات المبلطة بالفسيفساء واما الفن فيظهر فى صناعة الخزف ، وصناعة المصابيح بمدينة (شرشال) القيصرية وبعض صور الزرابي البربرية القديمة .

هذا هو التاثير الروماني اما الحياة الروحية والنعرة القومية فقد كان التاثير فى اخمادها ضعيفا ، انما يستطيع ان يؤدي اثره تحت الضغط والتعسف حتى اذا وجد السكان متنفسا لهم ثاروا من جديد ، اذ ان اللغة البربرية ظلت قوية طيلة العهد الروماني بل انتشرت هذه اللغة القومية فى عهد (مسنيسا) الذي

---

4) اطلق الرومان كلمه موريتانيا Mauritania على شمال افريقيا باستثناء طرابلس وقسمها الامبراطور (كلاوديو) Claudiu الى قسمين التانجتية والقيصرية وفى سنة (361) قسموها الى عمالات وهي بدورها الى (ابرشيات) ثم الى مقاطعات وصارت موريتانيا التانجتية تابعه لاسبانيا .

اجمعين واعطى الاسلام للدنيا حقها وللآخرة حقها فلا ترهق الروح على حساب البدن ولا يرهق البدن على حساب الروح فالازدواج كامل بين الروحية والمادية فى شخصية المسلم وحمل الاسلام الى الفرد العزة والكرامة فليس فى الدنيا الا مخلوقات متساوية عقلا ونفسا وتتفوق فى ميدان التقوى فقط ، ليس هناك حاكم مستبد يجبرك الاسلام على احترامه وليس هناك ما لقيصر فيعطى وما لله فيعطى اى ان السيطرة والهيمنة انما هي لله تعالى وليس فى العالم قوة ثانية يجور لها ان تتحكم فيما حلل الله وحرمه وجاء الاسلام ليحث الفرد على العمل ولا يدعوه الى القنوط والاتكال وكان رايه فى القضاء والقدر اعظم حافز للمسلمين فى صدر الاسلام ان يجتازوا معالم بلادهم الى العالم اجمع وهم يسترخصون نفوسهم فى سبيل الله وما ساء فهم الناس لفكرة القضاء والقدر واصبحت فكرة جامدة حتى فسدت القيم الاسلامية واصبحت معانيه تفسر تفسيرا جامدا مشوهة ولم يكن الاسلام دين فرد من الافراد او طائفة من الناس او شعب من الشعوب وانما كان دين الناس كافة لايفرق بين الابيض والاسود ولا بين السامي والآري والحامي ولا بين الاسيوى والافريقي والاوربى وانما هو دين المساواة لايحفل باللونية والبقعة والبيئة وانما هو رسالة للناس اجمعين .

وكان الاسلام بعد كل هذا دين الحرية والاستقلال فلا يقيم العراقيل فى وجه الشعوب التي تحاول اعتناقه ولا يجبر احدا على اتباعه فهو دين متسامح رحيم ، يحرر الفرد من الخرافة ويحرر الشعب من الرق ويسامح كل الاديان لايعادي عقيدة من العقائد السماوية وانما ينكر الوثنية ولا يحتمل وجودها لانها عقيدة بدائية لايؤيدها عقل وتقود الانسان لكل شر ، ثم هو بعد كل هذا نظام تام يتناول العقيدة والمجتمع والاخلاق فيقيم وحدة شاملة بين طبيعة الفرد وسلوكه ونظامه الاجتماعي فى تحرر كامل وانعتاق شامل لايمنع الفرد من التطور والتقدم ، ثم ان المتساكنين المغاربة وخصوصا سكان المغرب القديم قرباء من الشعوب السامية وان لم يكونوا ساميين فى نظر اغلبية علماء النسب فهم ابناء عمومة العرب ، والساميون على العموم يعبرون عن نزوع نحو الاندفاعات والحماس والتأثر العاطفي ، ووحدة الطبع ولا يحفلون بالمفاهيم ذات المعاني الكلية والبراهين العقلية فى الغالب ، وعالمهم حافل بالرموز والاحاسيس والصور ، عالم الآراء المنسقة الهادئة التي تعتمد على العقل ولا تحفل بنزوات العاطفة واللهفة الى التطلع على الغيب لذلك ما كاد الاسلام يظهر فى جزيرة العرب حتى انساب فى سرعة التيار الى بلاد المغرب التي لايبعد عنه جغرافيا ولا عن اهله جنسيا ولا عن طبيعته عقيدة . واندفع البربر اليه متلهفين وقد وجدوا ضالتهم الروحية وطمانينتهم العقلية ومتنفسهم الاجتماعى فحررهم وتحرروا به واعتنقوه مومنين به مخلصين له .

مصادر البحث

المسالك والممالك	البكري
نبذ تاريخية فى اخبار البربر	لمؤلف مجهول
البربر	عثمان الكعاك
مظاهر الحضارة المغربية	الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
دائرة المعارف الاسلامية	
تاريخ افريقيا الشمالية	الاستاذ اجوليان
مؤسسات واعراف البربر	الاستاذ سوردون
حقائق الاسلام	الاستاذ العقاد
مراكز الثقافة فى المغرب	الاستاذ عثمان الكعاك
الثقافة الانسانية وفلسفة التربية	مباحث اعدتها اليونسكو
قرطاجنة فى اربعة عصور	الاستاذ توفيق المدني

مع مصادر اخرى سنذكرها فى آخر البحث

شمال افريقيا التي كانت ارضا فلاحية خصبة كما ذكر ابن خلدون وبذلك جددوا الصلات بين اللغة العربية وبين البربرية والفينيقية وتعرف سكان افريقيا على الحركة الاسلامية في الشرق .

ويذكر بعض المؤرخين ان وفدا من البرابرة ذهبوا الى الجزيرة العربية وتشرفوا بالحديث مع رسول الله وجاء في كتب الحديث ان نفرا من البربر ذهبوا الى جزيرة العرب لما سمعوا بالنبي عليه السلام وتكلموا معه بلغتهم البربرية فاجابهم بلغتهم واسلموا على يده فكانوا في عداد الصحابة ، ولكن المحدثين ينكرون سند هذا الحديث ويستبعدونه وهم يطعنون فيه من الوجهة الحديثية اي من ناحية الفن الحديثي ، والواقع ان متنه لايقبل الاستبعاد وهو بعيد ان يتكلف تصنعه سيما ونحن نعرف الاتصال القديم بين البربر والروم والبزنطيين وقوة البربري على الرحلة والسياحة وهم ان انكروا سنده فلست استبعد متنه بل يقال انهم رجعوا الى بلادهم مسلمين وماتوا بها حيث دفنوا بالشياظمة في جبل الحديد . . وهناك من يرى ان هذه القصة وقعت في زمن الخليفة عمر رضي الله عنه فقد نقل مؤلف الاستقصا عن صاحب (كتاب الجمان) انه لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستفتحت مدينة مصر — وكان عليها عمرو بن العاص — قدم عليه ستة نفر من البربر محلقين الرؤوس واللحى فقال لهم عمرو من انتم وما الذى جاء بكم ؟ قالوا رغبنا في الاسلام فجئنا له لان جدودنا قد اوصونا بذلك ، فوجههم عمرو الى عمر رضي الله عنه وكتب اليه بخبرهم ، فلما قدموا عليه — وهم لايعرفون لسان العرب — كلمهم الترجمان على لسان عمر فقال لهم : من انتم ؟ قالوا نحن بنو مازيغ ، فقال عمر لجلسائه : هل سمعتم قط بهؤلاء ؟ فقال شيخ من قريش : يا امير المومنين هؤلاء البربر من ذرية بر بن قيس بن عيلان خرج مغاضبا لابيه واخوته فقالوا بربر اي اخذ البرية ، فقال لهم عمر رضي الله عنه : ما علامتكم ؟ قالوا : نكرم الخيل ونهين النساء ، فقال لهم عمر : الكم مدائن ؟ قالوا : لا ، قال : الكم اعلام يهتدون بها ؟ قالوا : لا ، قال عمر : والله لقد كنت مع رسول الله (ص) في بعض مغاريه فنظرت الى قلة الجيش وبكيت فقال لي رسول الله (ص) : يا عمر لاتحزن فان الله سيعز هذا الدين بقوم من المغرب ليس لهم مدائن ولا حصون ولا اسواق ولا علامات يهتدون بها في الطرق ، ثم قال عمر فالحمد لله الذى من علي برؤيتهم ثم اكرمهم ووصلهم وقدمهم على من سواهم من الجيوش القادمة عليه ، وكتب الى عمرو بن العاص ان يجعلهم على مقدمة المسلمين ، وكانوا من افخاذ شتى .

وقد اتصل بالمغرب في هذه الحقبة شعب آخر هو الشعب القوطي ابناء عمومة الوندلبين من الجرمان فقد طارد القوطيون البيزنطيين وعبروا بوغاز جبل طارق واحتلوا سبتة سنة 547 م وسنرى ان المسلمين في عهد عقبة بن نافع لما وصلوا سبتة وجدوها تابعة للقوطيين حكام اسبانيا حيث شجعهم حاكمها القوطي على التوغل في بلاد المغرب والابتعاد عن اسبانيا ثم ان حاكمها شجع من بعد موسى بن نصير على حكم اسبانيا واعانه على ذلك للخلاف الذى كان بينه وبين لودريق .

وفي هذه الحقبة المريرة من تاريخ المغرب حين كان يعاني ظلم الوندال او الفندال واحتلال الرومان كانت الجزيرة العربية تتمخض عن ثورة كبرى ستقلب العالم راسا على عقب كانت الثورة العظمى هي ظهور الاسلام الذي كان دينا ساميا جاء للناس اجمعين ولعل قابلية الشعوب السامية والحامية لاعتناق هذا الدين الذي يساير نزعتها الفطرية واهدافها الانسانية كان عاملا على انتشاره بسرعة في بلاد افريقيا وآسيا واتاح الوضع الجغرافي لبلاد المغرب ان تكون من اهداف الحركة الفتوحية الاسلامية ولذا فمن الواجب ان نبحث في روح الاسلام باعتباره مصدر الثقافة المغربية بعد وصوله الى بلاد المغرب لنقف على مجال الاتفاق بين طبيعته وطبيعة الشعب المغربي . حمل الاسلام الى الفرد استقلال شخصيته فلم يربطه بالمعبد او الكاهن ولا بالكنيسة والايقونة وانما المسلم فرد حر يتحمل مسؤوليته وحده ويخاطب ربه بدون واسطة من الوسائط فهو في صلاته يتوجه الى ربه وهو في حجه يطوف ويسعى لا يلتمس الغفران من اي شخص عليه واجبات وله حقوق عليه احترامها واداؤها وهدى الاسلام الشخص الى الكمال فاذا اقتفى المثل العليا السامية التي سنها الاسلام كان خليقا ان يصبح السوبرمان المسلم الذي لا يتطوع الزمان ولا تسعى الانسانية جهدها لتراه في يوم من الايام وفي سيرة الرسول عليه السلام نماذج الشخصية الاسلامية السامية التي تتفانى في الخير والمحبة والصلاح ، والتقوى وحدها هي ميدان المفاضلة بين الناس

ان نعمم هذا المفهوم ليشمل جميع انواع الاحتكاك الدولي بشؤون القارة والتفاعل الاجنبي مع احداثها وتطوراتها فانه سيكون علينا حينئذ ان نصنف مظاهر التدخل واهدافه كما يلي :

1) التدخل الذي لا يعدو نطاق الوسائل المشروعة العادية كزيادة توثيق الروابط الديبلوماسية ومجاراه التيارات السياسية المحلية واستغلال ذلك كله للاغراض التجارية العادية : ومثال ذلك — كما يبدو — اليابان .

2) التدخل المصلحي الذي يبلغ الى درجة التصارع الحاد ويستهدف الاغراض النفوذية والاستثمارية معتمدا فى الغالب على وسائل الحرب الباردة واساليب الغرو المعنوي (الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفياتي، الصين الحمراء) .

3) التدخل الذي يعتمد الوسائل الوديه والتفاهمية ولكن اهدافه قد توجد متاثرة احيانا بالمشاريع الاحتكارية الدولية كمشروع السوق الاوربية المشتركة ولهذا يكون منطويا على بعض الاغراض الاستغلالية غير المباشرة (المانيا الفيدرالية) .

4) التدخل الاخوي الذي يحتمه واجب التضامن والتساند ويستند على الوسائل الدولية المشروعة منجسما فى الغالب مع المعطيات المبدئية التي اقرها مؤتمر (باندونغ) وما فى نوعه (الهند ، اندونيسيا) وعلى ضوء هذا يمكننا ان نجد بعض التعليل لكثير من العوامل المتخفية التي تشكل وجه الاحداث فى افريقيا وتحدد المواقف الدولية من هذه القارة وشؤونها ، فى امكاننا اذن ان ندرك اسباب حرص اليابان على تمتين الروابط بالدول الافريقية الناشئة واضطرار طوكيو نتيجة لذلك الى تعديل موقفها لفائدة القضايا الافريقية التحريرية كالقضية الجزائرية مثلا ، كما يجوز لنا ايضا ان نكتنه بواعث الحملات الغربية المشنة على الوضع السياسي — الحكومي بغينيا وعوامل الصراع المرير بين نظام احمد اهيد جو وحزب الدكتور مومبي بالكامرون والمشادات السياسية الحادة بين نظام لومومبا فى الكونغو (ليوبولد فيل) والمسؤولين فى الكونغو الفرنسي السابق (برازافيل) وغير ذلك من التعقيدات السياسية المحلية والدولية بافريقيا . ان وراء هذه الظواهر الافريقية المعقدة عوامل دولية وتيارات مذهبية واتجاهية اخرى اكثر تعقدا وتشعبا، هناك التصارع الحاد بين مبادىء الحياد الايجابي الذي تتبناه اغلبية اعضاء الكتلة الافريقية الاسيوية وبين نزعات الانحياز للمعسكرات تلك النزعات التي تغذيها مختلف القوات الدولية الكبرى وتجتهد كثيرا لاصطناع الانصار من الافارقة لها (الكونغو — ليوبولدفيل — مثلا) .

هناك ايضا مجال التصادم بين النزعات الافريقية الضيقة الانطوائية كنزعة تضامن الشعوب السوداء الناطقة بالفرنسية وبين الاتجاهات الافريقية الواعية المتفتحة على العالم والمتفاعلة مع احداثه وتطوراته كالاتجاه العام الذي يمكن ان يلاحظ فى غينيا مثلا .

هذه المصادمات الاتجاهية والفكرية توجد فى اساس كثير من الاحداث والتطورات فى افريقيا ، ومن البديهي ان مداخلات القوات الدولية الكبرى فى القارة كان من شانها ان تزيد فى حدة المصادمات وتضاعف من مفعولها ونتائجها ، ولهذا جاز للدول الكبرى مثلا ان تحيل معركة الاستقلال فى الكونغو « ليوبولدفيل » الى حركات صراع مرير بين الشرق والغرب من جهة وبين الدول الافريقيه من جهه اخرى ، ولهذا ايضا جاز للاوساط التوسعية ان تؤثر احيانا على حركات الوحدة الافريقية وتدس لها حتى تكاد تصبح — فى بعض الصور — عبارة عن تنازع على الاسماء والعناوين . . . (1) .

على ان الصراع الدولي حول افريقيا لا ينحصر فيما يوجد من تنافس حاد بين الدول الجديدة التي لم تكن لها صلة بالانظمه الاستعمارية الغربية فى القارة ، الواقع ان هذا التنافس يوجد على اشده ايضا بين الدول التوسعية التقليدية التي هيمنت من قبل على مصاير الافارقة حينا من الدهر واضطرها سير التاريخ الى التخلي عن سيطرتها المباشرة القديمة ويوجد فى مقدمة هذه الدول بالطبع فرنسا وانجلترا .

لقد احرزت جل الاقطار الافريقية الفرنسية الانجليزية على مظاهر السيادة الوطنية جزئيا او كليا ، الا ان التفكير التوسعي الفرنسي الانجليزي لم يتمكن من هضم مبدأ التخلي عن مماسة السيطرة المباشرة فى هذه الاقطار الا على اساس انتهاج اساليب جديدة فى

---

1) كالنزاع الموجود بين الكونغو الفرنسي السابق والكونغو البلجيكي السابق حول من هو احق بهذا الاسم

العالم العربي والأوضاع الجديدة في افريقيا

للأستاذ: المهدي البرجالي

كانت السنة الماضية بحق سنة تحرر القارة الافريقية ، فقد انقلبت فعلا مختلف الاوضاع السياسية التي كانت تسود القارة السوداء ولم يعد في مستطاع الاستعمار الغربي – وليد حركات الغزو والتوسع خلال القرون الاخيرة – لم يعد في مستطاعه ان يحتفظ بوجوده المباشر الا في اجزاء قليلة منها هي على عتبة التحرر الآن .

واذا كانت موجة الحرية في افريقيا قد ساعدت هكذا على تقليص رقعة التوسع الغربي بل والاجهاز عليه اجهازا حاسما فانها قد اعانت – الى جانب كل ذلك – على بروز كثير من المعطيات الهامة في العالم الدولي وساهمت في امتداد رقعة الحرب الباردة بين الشرق والغرب احيانا وبين الدول الصناعية والتجارية الكبرى في العالم احيانا اخرى وذلك لما هو محتوم من اشتداد التنافس والتزاحم بين هذه الدول على الاستفادة من الاوضاع الجديدة في القارة واستيفاء النفع من الاستقلالات الافريقية الناشئة

والواقع ان اشتداد المنافسة الدولية حول افريقيا ليس شيئا غريبا او مفاجئا ، فقد كان من المتوقع جدا – والقارة على عتبة عهد جديد – ان تصبح ميدان سباق دولي حاد وذلك بالنظر لما تنطوي عليه من امكانيات مادية ضخمة وما تكتسيه من اهمية موقعية واستراتيجيه بعيدة المدى بالاضافة الى ما يتوفر عليه سكانها من استعدادات فريدة في مجال الصراع الفكري والمذهبي العالمي .

لهذا كان طبيعيا اذن ان يحتد التنافس الدولي من جديد حول قارتنا الفنية وان كان هذا التنافس لا يتخذ اليوم سبيلا له حركات الفتح والغزو كما كان الشأن خلال القرون الاخيرة يوم كانت القارة مرتع السباق التسلطي الحاد بين دول الاستعمار الغربي كفرنسا وانجلترا والبرتغال والمانيا وايطاليا وغيرها، ان التسابق الدولي الحالي حول افريقيا يستمد اهدافه ومظاهره من الحقائق البارزة التي تنطبع بها الحياة الافريقية الحديثه ومن طبيعة الجو الدولي الحاضر وظروفه وملابساته .

وتتجلى من استقراء كل ذلك الظواهر الاتيه :

1) ارتكاز التدخل الاجنبي الجديد في افريقيا على اساليب الغزو الفكري والمعنوى ووسائل الاستغلال الاقتصادي غير المباشر .

2) ظهور قوى دولية جديده في الميدان الافريقي كاليابان والصين الشيوعية وغيرها .

3) بروز نوع من التدخل الدولي يمكن ان نسميه ب « التسللي » ذلك الذي تمارسه اسرائيل منذ سنوات على اوسع نطاق ممكن وتنفذ بواسطته الى آفاق اقتصادية واسعة في قلب افريقيا .

ولكن هل يكتسي التنافس الدولي حول افريقيا صبغة التدخل الواقعي بما لهذه الكلمة من مدلول سياسي مألوف ؟ هل يجوز ان نسمى الارتباطات الدولية الحالية بافريقيا تدخلا مباشرا في شؤون القارة والى أي حد يجوز لنا ان نقول ذلك ؟

ليس من الانصاف ان ندرج في مفهوم التدخل الاجنبي كل ما يتم في القارة من نشاط دولي عادي او له اهداف عادية مألوفة ، واذا جازلنا – على العكس –

وليس هناك – فى الواقع – ما يوجب كل هذا الاكتراث للشؤون الافريقية لو لم تكن كثير من الاحوال القائمة فى القارة مما يمس المصالح العربية ويتهددها احيانا فى الصميم بل ومما يرتبط بمستقبل الوطن العربي وضمان سلامته واستقراره وتطوره .

ان هناك الكثير من الصور التي يتمثل فيها هذا الارتباط بين المصالح العربية وبين تطورات الاوضاع العامة فى افريقيا السوداء ، ومن بين هذه الصور :

1) التسلل الاقتصادي الاسرائيلي الى الدول الافريقية الجديدة

2) التمركز السياسي الغربي فى القارة وتقمصه اشكالا جديدة اكثر خطورة واهمية .

3) التهديدات الاقتصادية الناشئة عن تضخم الاحتكار الغربي لافريقيا (السوق الاوربية المشتركة)

4) النظريات الايديولوجية الاجنبية المضادة فى الغالب لمبادىء القومية العربية والحياد الايجابي وقد بدا الراي العام العربي يحس فعلا بالاهمية البالغة التي تكتسيها المناورات الدولية فى اقطار افريقيا السوداء وما تجسمه من اخطار على المصالح الجوهرية للعالم العربي ، وقد تركز الانتباه خاصة حول النشاط الصهيوني المتزايد فى ربوع القارة فاتخذت الجامعة العربية فى شانه سلسلة من التدابير المضادة التي ستهدف مقاومته وتحديد خطورته تحديدا حاسما .

ان القرارات المتخذة لا تعني – فى الواقع – شيئا اذا لم تكن خاضعة لمنهج تطبيقي صارم واضح المعالم مضمون النتائج ، وعلى افتراض ان القرارات العربية المتعلقة بالنشاط الصهيوني بافريقيا يمكن ان تكون كفيلة بتحقيق نتائج ايجابية فى هذا السبيل فهل يجوز ان تكون هذه القرارات كافية للحفاظ على مجموع مصالح الامة العربية وسلامتها الاقليمية والدولية وخاصة فى القارة الافريقية ؟ كان من الممكن ذلك لو ان النشاط الصهيوني كان كل ما يهدد العرب فى افريقيا السوداء ، لقد رأينا – فيما تقدم – ان هناك مصادر اخرى لتهديد المصالح العربية فى افريقيا لا تقل عن التسلل الصهيوني اساءة وخطورة ، ومن ابرز مظاهر هذا التهديد : المناورات الدولية الرامية الى اصطناع الثغرات فى الوحدة الاتجاهية بين الشعوب العربية والامم الافريقية الملونة والتواطؤ الدولي المكشوف الرامي الى تصفية الوجود الفعلي العربي فى الصحراء الافريقية الكبرى والاستحواذ على ينابيع الثروة والرخاء فيها بالاضافة الى الاعتماد عليها كمركز انطلاق لتهديد البعث العربي المتوثب واستخدامها اداة لعزل الشعوب العربية فى الشمال الافريقي عن الشعوب الافريقية الملونة فى الجنوب .

والواقع ان سياسة العزل هذه قد غدا لها وزن كبير فى مخططات التآمر الاستعماري على روح التضامن العربي الافريقي ، وقد كانت هذه السياسة – فى الواقع – ذات مقام كبير فى الاساليب الاستعمارية الكلاسيكية التي تمت تجربتها من قبل فى المغرب وسوريا ولبنان وغير هذه الاقطار ، الا انها تعتمد اليوم فى افريقيا لتطبق على نطاق واسع الهدف منه عزل الشعوب العربية فى الشمال الافريقي عن الشعوب الافريقية الملونة فى الجنوب .

ان هناك من الشواهد ما يدل على ان هذا العزل بين الكتلتين الافريقيتين العربية والسوداء قد غدا من اكثر الضرورات الحاحا واستدادا فى وجهة النظر التوسعية الغربية ، وذلك بالنظر لما يسيطر على اذهان التوسعيين من اقتناع بخطورة الدور القيادي والتوجيهي الذي تمثله الشعوب العربية والاثر الكبير الذي تحدثه الثورة الفكرية والحضارية العربية فى كثير من بقاع القارة الافريقية .

وعلى ضوء هذه الملاحظة يمكننا ان نجد بعض التفسير لما يمكن ان نسميه بسياسة « الحاجز الاوسط » بين الشمال الافريقي والاقطار التي الى الجنوب تلك السياسة التي يبدو ان الغرب يعتمدها كثيرا فى مخططاته المقبلة فى القارة الافريقية ، وتهدف هذه السياسة الى اصطناع « جدار » سياسي واقتصادي يمتد على جنوب الاقطار العربية فى افريقيا ليساعد على تكوين نوع من الانفصام والانقطاع بينها وبين الاقطار الواقعة فى الجنوب ، وفى سبيل ذلك نلاحظ ميل الغرب وخاصة فرنسا الى زيادة تركيز النفوذ السياسي والاقتصادي الاجنبي فى مناطق الصحراء الكبرى وفى بعض الدول الافريقية حديثة العهد بالاستقلال حتى يتم بذلك كله احكام «الجدار» وتعزيز حصانته على اوسع نطاق ممكن

ومن هنا يبدو احدى العوامل التي تحدو بفرنسا الى الاصرار على حماية نظام ابن دادة فى موريطانيا المغربية وتدفعها الى التعاون المطلق مع اسبانيا فى

الابقاء على استمرار هذه السيطرة ولو فى اشكال غير مباشرة ودقيقة وقد نجم عن ذلك نشوء حالات من التنافس الخفي بين الدولتين الاستعماريتين تبرز مظاهره احيانا وتدق احيانا اخرى ولكنه — على كل حال — تنافس فعلي يمكن على اساسه تفسير بعض الظواهر السياسية التي تتراآى احيانا فى الميدان الافريقي .

ومن المعقول جدا ان تؤدي هذه الاحوال الجديدة من التنافس الدولي حول افريقيا الى نشوء اوضاع سياسية فى القارة تختلط تارة بمفهوم الحرب الباردة العالمية وتمترج تاره اخرى ببعض الصور الافريقية المعقدة كالصراع الطائفي والقبلي الذي تختفي وراءه كثير من الحقائق الدولية المثيرة .

ان المناورات الاجنبية لها اكبر الارتباط بهذه الاوضاع ، اما الهدف الرئيسي من كل هذه المناورات فهو ضمان استمرار افريقيا مورد طاقة لا ينضب للاحتكارات الصناعية الكبرى ، هذا بالنسبة الى الغرب اما بالنسبة للعالم الشيوعي فتهدف المناورات الى تهيىء القارة كمجال رحب لاستقبال الايديولوجيات الاجنبية وجعل القارة ميدانا واسعا للصراع بين هذه المذاهب وبين خصومها الراسماليين والبورجوازيين .

بقي علينا الآن ان نتساءل : هل من الضروري للشعوب العربية ان تعنى بمراقبة التطورات الجارية فى افريقيا وتشارك بدورها فى تعديل مجرى هذه التطورات ؟ واذا كان الامر كذلك فما هو واقع السياسة العربية العامة فى القارة السوداء ؟ وما هو دور هذه السياسة ومدى كفاءتها فى مواجهة الحقائق التي تحدد مستقبل القارة وتساهم فى تكييف مصيرها؟ واذا كان للعرب دور فى السياسة الدولية الافريقية فما هي القيمة الفعلية لهذا الدور ؟ وهل يمكن ان تكون فى مستوى الاهمية التي تكتسبها علاقات العرب بالقاره الافريقيه ؟ .

اما ان على العالم العربي ان يعني شديد العناية بتطورات الاحداث فى افريقيا السوداء فهذا شيء يبدو طبيعيا ومعقولا جد ، فاذا كانت مختلف الدول فى اوربا وآسيا وامريكا تبدو مقتنعة بان مستقبلها يرتبط فى بعض النواحي بمستقبل علاقاتها بافريقيا فان من حق العالم العربي ان يبالغ فى تقدير قيمة الارتباطات التي يجب ان تصله بهذه القارة فاكثر من نصف ابناء الامة العربية يعتبرون مواطنين افارقة ، وكذلك فان ملايين الكيلومترات المربعة من الاراضي العربية توجد فى صميم القارة الافريقية ، هذا بالاضافة الى اتحاد مصالح العرب بمصالح الشعوب الافريقية وارتباط قضاياهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بقضايا هذه الشعوب وانتساب الجميع الى عالم الامم الشرقية والى دنيا الامم المتخلفة التي تربط برباط متين كثيرا من شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، ولهذا كان من البدهيات الاولية ان تكون عناية العرب بالشؤون الافريقيه اكثر من عناية اية امة او مجموعة من الامم الاخرى بمشاكل هذه القارة ، ولكني لا اظن ان واقع السياسات العربية فى افريقيا السوداء يوازي هذه الاهمية التي تكتسيها مصالح العرب فى هذه المنطقة الهامه من العالم ، فالحكومات العربية ليست على درجة واحده من الاهتمام بالقضايا السياسية والانسانية الكبرى فى ربوع افريقيا الزنجية ، ويكاد يكون مقياس عنايتها بمشاكل هذه المنطقة الموقع الجغرافي والارتباطات السياسية المباشرة فقط ، وهكذا نجد الدول العربية الافريقية اكثر اهتماما من شقيقاتها الاسيويات بالقضايا الافريقية العامة وذلك بالطبع نتيجة العامل الجغرافي لا غير ، بل ان البعض من هذه البلاد العربية الافريقية كليبيا لا نجد من موقعها الجغرافي ايضا ما يحفزها الى تحديد سياسة خاصة تتفق ووجهتها الافريقية الطبيعية ، واذا كان لنا ان نشعر بكثير من الاعتزاز والتقدير للسياسات الايجابية التي تنتهجها المغرب والعربية المتحدة والجمهورية الجزائرية وتونس فى المضمار الافريقي فاننا نلاحظ — مع ذلك — ان مجموع الدول العربية الاخرى وخاصة الجامعة العربية لا تتوفر على تخطيط منهجي واضح يبين الاتجاه العربي العام من المشاكل الافريقية السوداء ويضمن سلامة المصالح القومية والدولية للامة العربية فى ربوع القارة الافريقية ، وليس من حاجة للتاكيد بان الكتل الدولية قد اضحى لها من الوزن فى العمليات السياسية العالمية اكثر بكثير مما يمكن ان تاتي به السياسات المنفردة الخاصة ، والكتل الدولية اليوم تقوم فى ربوع افريقيا السوداء بعمليات واسعة تستهدف فرض انماط من التبعية السياسية والفكرية والاقتصادية على الجماهير الافريقية المتونبة ، واعتبار هذه الحقيقة يحتم على الدول العربية ككتلة دولية لها وزنها فى هذا المضمار ان تضاعف من اهتماماتها الافريقية وتزداد شعورا بمسؤولياتها ازاء تطور الاحوال العامة فى الدول الجديدة بافريقيا السوداء .

السياسي المفعم بالمغالطات ذلك الذي يصطنعه التوسعيون الفرنسيون فى افريقيا لم يكن من شأنه الا ان يساعد على امكانية وقوع غلط فادح من هذا النوع ، وقد اعترف السيد هوفويت بوانيي رئيس حكومة ساحل ألعاج البلاد التي تم فيها انعقاد المؤتمر ـ اعترف فيما بعد ـ لوفد الصداقة المغربية بما سماه هو نفسه غلطا صادرا عن حسن نية ، ونحن نـدرك مقدما ان الاخوان الافارقة ينطوون على كثير من حسن النوايا نحونا ، كما نفهم جيدا ان العديد من الاغلاط التي قد يرتكبونها فيحقنا لايكونمصدرها ـ في الغالب ـ الا حسن الارادة وسلامة الطوية ، غير ان هذا لا يجوز ان يصرفنا ـ نحن العرب ـ عن ادراك الحقائق الدولية القاسية التي يفاجئنا بها الغرب احيانا فى افريقيا . والامكانيات السيئة التي تصطنعها التوسعيون العالميون فى القارة ، فادراك هذه الحقائق وتقدير تلك الامكانيات يمكننا ـ ولا شك ـ من التمرس على اساليب الكفاح الدولي ضد الاشكال الجديدة من التوسع الاجنبي فى عالمنا العربي والافريقي . هذا التوسع الذي يأخذ شكل تغلغل اقتصادي وسياسي وفكري يعبد الاثر والمفعول بالاضافة الى امتزاجه احيانا بحركات التسرب الاقتصادي الصهيوني وامتدادها في مختلف شرايين القارة واوردتها . ومن مظاهر هذا التمازج بين الحركات التوسعية الغربية والصهيونية ما امكن استشفافه من عزم الادارة الديموقراطية المقبلة فى امريكا وتصميمها على استغلال التسرب الاقتصادي الاسرائيلي للقارة الافريقية لاغراض دولية واسعة النطاق ، فقد بدأ يلوح فى الافق ان الدبلوماسية الامريكية قد تتبنى ـ فى هذا الموضوع ـ وسائل متعددة تستهدف فى جوهرها توسيع رقعة الاختلافات النظرية بين العرب وبعض البلدان الافريقية حول موضوع التعاون الاقتصادي مع اسرائيل واستغلال ذلك كله لنسف الوحدة العقائدية والمصلحية التي تربط بين وحدات المعسكر الحيادي الدولي فى القارتين الافريقية والاسيوية .

على انه ليس من المعقول ـ بالرغم عن ذلك ـ ان تعزى جميع هذه المداخلات الاجنبية التي تعقد الجو السياسي بافريقيا ـ الى المعسكر الراسمالي الغربي وحده او الفوات الاستعمارية القديمة بمفردها ، ان الكتل الدولية الاخرى وخاصة الكتلة الاشتراكية الماركسية لها هي الاخرى تأثيرها الفعال فى هذا المجال. هذا بالاضافة الى الآثار الناشئة عن استمرار بعض الاوضاع العتيقة التي لا تزال طافية على سطح افريقيا المستقلة كالوضع فى « انكولا » و « غينيا » البرتغالية واتحاد جنوب افريقيا وافريقيا الشرقية البريطانية وغير هذه المناطق .

ان التسابق نحو القارة السوداء على اشده اليوم بين مختلف الدول ذات المطامع والاغراض المختلفة وليس من ريب فى ان الدوافع الاساسية التي تتحكم فى تحديد مواقف الدول الاجنبية من القارة ليست على اية درجة معقولة من التجرد والنزاهة لانها تتصل فى الغالب عند البعض بالاغراض الاحتكارية الاستغلالية وعند البعض الاخر بمبادىء التغلغلالسياسي والتبعية الايديولوجية والفكرية وما اليها .

اما الخط الذي نود السير فيه نحن العرب فى علاقتنا مع القارة السوداء فلا يمت طبعا بأية صلة الى هذه الميادين وانما هو طريق التعاون الخيري والتفاهم المثمر والتضامن الايجابي فى سبيل العمل من اجل القارة وضمان حمايتها من شرور المنافسات الاجنبية المفسدة والمناورات الدولية المحبوكة والمشاريع الاستغلالية العدوانية كمشروع السوق المشتركة والتجارب الذرية الفرنسية فى الصحراء وغير ذلك .

ان سبيل التعاون بين العرب والافارقة لا يخلو من عراقيل وصعوبات ولكنه بالرغم عن ذلك ممكن وجائز الى اقصى الحدود ، بل انه تتوفر له كثير من الفرص والامكانيات التي لا تتوفر لامم اخرىتبدو اشد طموحا فى سياستها الافريقية واكثر حماسا واندفاعا .

على ان كل ذلك لايجوز ان يصبح حقيقة دولية واقعية الا اذا اهتمتالحكومات العربيةجميعها فى آسيا وافريقيا على السواء بمراجعة سياستها الافريقية العامة وعنيت بتخطيط مناهج تطبيقية مشتركة لها القدر الكافي من القدرة على مواجهة الحقائق الافريقية الجديدة بكل ما تتطلبه ذلك من فاعلية وضبط واحكام

ومن الضروري ـ لكي تتوفر للسياسة العربية فى افريقيا مثل هذه المقتضيات ان تلزم فى تطبيقها المقتضيات الاتية :

1) تقدير الرسالة التاريخية التي على العرب ان يواصلوا تأديتها فى افريقيا كما فعلوا من قبل خلال العصور الخالية .

سياستها التوسعية بالمناطق الجنوبية للمغرب والواقع ان السياسة الفرنسية ليست معزولة فى هذا الميدان من الناحية الدولية بل انها تنعم بتأييد شركائها الغربيين بصورة علنية اوخفية ، ومن دلائل ذلك اسراع المصرف الدولي الى منح القروض للشركات الاحتكارية التي تحظى برضى ابن دادة وذلك فى سبيل استنزاف الثروات الطبيعية التي تزخر بها موريطانيا وربطها بعجلة الاقتصاد الاستعماري الغربي ، واذا تذكرنا جيدا قصة هذا المصرف الدولي مع مصر فى قضية تمويل السد العالي وعلاقة ذلك بموقف الشقيقة العربية من الاستعمار الغربي ادركنا جيدا حقيقة العوامل التي ساعدت ابن داده على الحظوة برضى المصرف ومسيريه والاسباب التي جعلت هذا القرض الغربي شيئا ميسور المنال .

واذا كانت موريطانيا تهيأ هكذا لتكون اوثق الحلقات فى سلسلة التطويق الاستعماري لاقطار المغرب العربي فان هناك مجالات اخرى للعمل تستغلها القوات التوسعية فى الغرب كثيرا لاحكام العزلة بين شطري القارة فى الشمال والجنوب ومن ذلك ما يجتهدون فى بثه من افكار انطوائية وانعزالية بين بعض الزعماء الافارقة السود وما يصطنعونه من اجواء الريب والحذر بين الكتل الديموكرافية الافريقية وخاصة بين الشعوب العربية والشعوب الملونة فى القارة . وقد اتخذت هذه الخطة اشكالا متعددة من قبل وكان آخر مظهر لها ما لاحظناه خلال مؤتمر الشعوب الافريقية الناطقة بالفرنسية .. ذلك المؤتمر الذي تم انعقاده فى « ابيدجان » عاصمة ساحل العاج فى اواخر اكتوبر الماضي . لقد كان المؤتمر بادرة افريقية محدودة يبدو انها قد اتخذت لمحاولة العثور على حل سلمي لقضية الجزائر فى نطاق الجامعة الفرنسية ، وعلى الرغم من انه لم يتوصل الى نتائج ايجابية معينة فقد كان مجرد انعقاده اساسا لانبعاث الاحاديث فى الغرب عن الفروق بين شعوب الشمال وشعوب الجنوب فى القارة الافريقية وتكاثر الاشارات فى اقوال المعقبين الفرنسيين خاصة عن « التضامن الاسود » ضد الانتشارية العربية و « التوسع » المغربي فى الصحراء واشياء من هذا القبيل ..

وقبل ذلك بكثير كانت العلاقات بين غانا والجمهورية العربية المتحدة هدفا لبعض المحاولات « التسممية » من هذا النوع ، بل ان الامر بدا يعدو ذلك عند البعض الى حد القيام بالمقارنات الخيالية بين الخطر الذي يمثله الزحف الشيوعي العالمي فى القارة الافريقية وبين المخاطر التي تتمثل فى انبعاث الروح الاسلامية وانتشارها فى ربوع القارة .

ان هذه المدعيات والتقولات الغربية لا تنحصر فى ضمن الحدود اللفظية المجردة فقط ، بل انها تمثل فعلا الواجهة السطحية لمنهج تطبيقي منظم لاشك ان القوات الاستعمارية العالمية تعتمده لتصفية بذور التضامن الافريقي العربي ونسف قواعده من الاساس ، وتعتمده هذه المناهج — فى جوهرها — على اصطناع انواع من التناقض فى المصالح والرغبات بين بعض الدول فى الشمال والاخرى فى الجنوب .

وتجتهد المصالح الدبلوماسية الغربية بالفعل فى الحصول على نتائج ايجابية فى هذا المجال ، وتبدو قضية موريطانيا — فى الوقت الحاضر — التجسيم الفعلي لهذه السياسة التي تقتفيها فرنسا فى القارة الافريقية . فهذا الاستقلال الوهمي الذي منحته لهذه المقاطعة المغربية الصرفة لا يستهدف فقط اقامة الحواجز المادية دون امتداد الصلات المباشرة بين المغرب والشعوب الافريقية فى الجنوب ، بل ان الوضع الدولي الناشيء عن هذا الاستقلال يستخدم وسيلة لاخلاق جو من الاختلاف فى الرأي والتناقض فى المصالح والتباين فى الاهداف بين المغرب وبعض البلاد الافريقية المتأثرة باتجاهات الجامعة الفرنسية .

وقد اتى مؤتمر « ابيدجان » فى اواخر اكتوبر المنصرم ليؤكد ان هذه الاحتمالات السيئة قد يوجد هناك احيانا ما يبرر امكانية وقوعها على شكل من الاشكال ، فقد استطاع ابن دادة ان يتسرب الى المؤتمر واستطاع بذلك ان يغالط — بعض الشيء — قطاعا دوليا افريقيا له وزنه وقيمته ، على الرغم من انه لم يحصل فى الاخير على اية نتائج ايجابية تهم قضية الاستعمار الفرنسي فى موريطانيا ، وقد كان من الممكن ان لايتسلل العميل الموريطاني الى مؤتمر من هذا النوع يضم دولا مستقلة ومتمتعة بسيادتها ومعترفا بوجودها قانونيا ودوليا ، كان من الطبيعي الا يتم هذا لسبب بسيط وهو ان المقاطعة التي يحتكر ابن دادة لنفسه تمثيلها لا يستطيع وجودها الدولي بأية صبغة قانونية ما دام ان استقلالها الوهمي — فى حالة انعقاد المؤتمر — لا يزال دائما موضوع مؤاخذات قانونية خطيرة ومحط حقوق وطنية ثابتة ومثار نزاعات دولية جدية وواسعة ، كان معقولا اذن الا تكون موريطانيا ممثلة فى مؤتمر ابيدجان ، الا ان الجو

رسالتنا في افريقيا

للأستاذ أبي فهد

غدت اولى خواص العمل الفكري ان يكـــون معبرا ورابطا بين مختلف الشعوب ، ودافعا بها الى الوعي والتواصل والاحتكاك ورسالة هذه المجلة هي ان تخلق وعيا فكريا وتغذي الطبقات المثقفة اولا ثم تحمل هذه الرسالة الى الجنوب مساهمة بالقدر الذي تخوله وسائلها في التحرير الفكري وفي خلق وعي افريقي .

ففي طليعة الواجبات التي شعر بها مجلـــة « دعوة الحق » الاتصال بابناء هذه القارة الجديـــدة التي تربطنا بها وشيجة الجـوار ، ولحمة التاريـــخ المشترك ، والتي نجتمع واياها في حومة الكفاح مـــن اجل التخلص من التسلط ، ورواسب عهود الضعف والخضوع ، والتي نضع يدنا في يدها للخروج مـــن التخلف والانعتاق من مظاهر التبعيـــة الفكريـــة والاقتصادية والدولية ، لبناء مستقبل سعيد متطور .

وفي هذه الظروف الصعبة التي تواجه فيها القارة الافريقية صعوبات من مختلف الاشكال والالوان، حيث لا تزال هناك شعوب تعاني من الاحتلال، واخرى تجابه الاستعمار الجديد ، وثالثة لا تجد سبيلا الى التخلص من وكلاء الاستعمار الوطنيين ، ورابعة تفرض عليهـــا توجيه خارجي لا يتلاءم مع مصلحتها او مع ضروريات تطورها . في هذه الظروف تعقد المجلة هذا الركـــن مساهمة منها في معركة المواطن الافريقي الذي يروم الاستقلال ويهفو الى الوحدة وتعشق العيش الحر .

وهذا المجهود المتواضع ستوحيه هذه الندوة الفكرية من الدور الذي لعبه المغرب ولا زال يتحمـــل مسؤوليته في مختلف ادوار التاريخ مما تفرضه وضعه الجغرافي وامكانياته النضالية والحضارية .

فقد كان المغرب اول دولة عانت من تسلـــط الاستعمار الاوروبي عندما اقتحمت اساطيل البرتغال والاسبان سواحله بدافع من حب الانتقام والتاديب ، واعتقادا منها بان باب افريقيا اذا ما انفتح فسيمكـن لقوات الغزو من التغلغل والنفاذ .

نعم قام المغرب بدور المدافع تقديرا منه لـدوره الذي حدده موقعه الجغرافي كجسر للعبور ، في نفس الوقت الذي كان تنمي صلاته بالاقطار الافريقية فيما وراء الصحراء فهذه الهدايا تتبادل بين امراء مالي وغانا القدماء وملوك المغرب في العصر الوسيط وهـــذه مدينة تنبوكتـــو وغاو تسع منهما بريـــق الحضـــارة المغربية والسودانية وهذه التجارة تنشط قرونـــا متواصلة بين المغرب وغرب افريقيا فيحمل الجنوبيون النحاس والعاج والحديد ليبدلوه نسيجا وملحا وأواني للزينة عند الشماليين .

ويأتي بعدئذ فترة الضعف والعزلة التي فرضت على المغرب ان ينكمش داخل حدوده ، ويأخذ في علاج الجراحات الداخلية التي عمقها الغزاة . وفي تـــدارك التدهور وتفادي السقوط .

وتنطلق حينذاك جحافل الاوروبيين — بعـــد ان فلت شوكة جبهة افريقيا الامامية — تقسم الغنائم ، وتنزل جيوشها هنا وهناك محددة لنفسها مجالاتهـــا الحيوية ، وتمعن في القتل والاحراق والابادة الجماعية، والتجويع ونشر الاوبئة الفاتكة ، ثم تأخذ في اصطياد الافريقيين كما تصطاد الوحوش وارسالهم الى امريكا للعمل كرقيق للبيض ، وفي البحث عـــن الامكـــانيـات المعدنية والحيوانية والنباتية تسلبها لاصحابهـــا الحقيقيين وتدخل ريعها في جيوب السيد الاوربي .

2) وضع مشاكل المداخلات الاجنبية في القاره في اطارها الحقيقي الواسع الذي يشمل جميع انواع التسلل السياسي والاقتصادي وكافة الوان التسرب الايديولوجي والفكري والحضاري سواء كان مصدره الشرق الاشتراكي او الغرب الرسمالي او من يدور في فلكهما .

3) تقييم اهميه القضيه العربيه في القاره الافريقية وتوسيع النظرة الى هذه القضية توسيعا يتناول جميع نواحيها الحضارية والفكرية والروحية وغيرها ، وبهذا نخرج بها عن النطاق التقليدي — الممثل في النضال ضد الاستعمار العادي — الى آفاق واسعة تشمل جميع انواع الكفاح من اجل القيم العربية الخالده ومن اجل المثل الحضاريه الشرقيه الرفيعة ومن اجل السلام الافريقي المتحرر من الرقابة الاجنبية ومن المؤثرات المعنوية والمادية الدخيلة .

4) اعتبار قيمه الامكانيات المعنوية التي تتوافر لنا في مجموع القاره الافريقية واعتماد هذه الامكانيات في تحقيق الرسالة السلمية التي تفرضها علينا مركزنا الدولي والاقليمي ومن بين هذه الامكانيات :

ا — الروابط الجغرافية والسلالية والروحية التي تلحم وحدتنا العاطفية والمصلحية .

ب — الروح التحريرية اللا استعمارية التي وحدت بين كفاحنا في الماضي وتوحده في المستقبل .

ح — الاهداف المشتركة التي تجمعنا على صعيد الكفاح من اجل النهوض الاقتصادي والتقدم الاجتماعي والانعتاق السياسي والنفوذ الدولي .

ان الامه العربية — في انطلاقتها الفكرية المعاصرة لم يعد يعوزها الادراك الواعي لمثل هذه المسؤوليات الضخمه التي تنتظرها في جميع الميادين ، لكن على هذا الوعي ان يخرج من النطاق الفكري المجرد ليتبلور في تخطيطات عمليه منهجية يمكننا تطبيقها من الوقوف على اقدامنا في خضم المعركة الحضارية الكبرى التي تصطخب بها جو الحياة العالمية في عصرنا الحاضر .

فهل يمكن ان تكون اهتماماتنا الافريقية الحالية مقدمة لانطلاقة شاملة تستهدف تصفيه تخلفنا الدولي في الميدان الافريقي وفي غيره من ميادين الصراع العالمي الحالي ؟ .

ذاك ما ننتظر

وصية عمر بن الخطاب الخليفة الراشد بعد انفاذ مقاتله يوم اغتياله

قال رضى الله عنه : اوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله ، واوصيه بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم وكرامتهم ، واوصيه بالانصار الذين تبوأوا الدار والايمان من قبل ، ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم .

واوصيه باهل الامصار فانهم ردء الاسلام وغيظ العدو وجباه المال ان لا يأخذ منهم الا فضلهم عن رضى منهم ، واوصيه بالاعراب فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان يأخذ منهم حواسي اموالهم فيرد على فقرائهم .

واوصيه بذمة الله وذمه رسوله ان يوفي لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم .

ماذا بعد استقلال موريطانيا؟

للأستاذ : أبي فريد

فى الساعات الاولى من صباح يوم الثامن
ـرين من شهر نوفمبر انتهى آخر مشهد من
ـة المخزية التي حيكت ضد الشعب الموريطاني
التاريخ الموريطانى وضد العروبة والاسلام .

وفى هذا اليوم بالذات يركب العميل ابن داده
ويقدم لأعداء التحرر واعداء العروبة بلادا
ـها افندارا وشعبا لم يقبل فى يوم من الايام ان يكون
لخائن هو المتحدث باسمه او المعبر عن آماله
ـحه .

فى هذا اليوم الاسود يبيع ابن داده القطر
ـطانى لجلاديه السابقين لينولوه برعاينهم وينفحوه
ـم ، ويحولوه ــ بالمقابل ــ الى حاجز خطير منيع
حائلا بين اتصال شمال القارة الافريقية بغربها
ـبها . ويجعلوا منه (ثانيا) منطقة عسكرية تحشد
الجيوش والطائرات لتهديد استقلال الدول
ـثة العهد بالانعتاق من السيطرة الاجنبية ويتخذوا
ثالثا) مركزا للتجسس على الدول التي رفضت
وشمم ان تنقاد وراء التوجيه الخارجي الاجنبي
ـت ان تسلك طريق التحرر الكامل وان تباشر
ـليتها الدولية وشؤونها الداخلية بمقتضى
ـحها وحاجاتها الحقيقية واهدافها المرسومة
ـوا بواسطته (رابعا) الزحف الاسلامي وانتشار
العربية فى مجاهل افريقيا ذلك الانتشار الذي كان
حوافز على اتباع سياسة التبشير الموجهة
ـها ــ احيانا بمظاهر الاحسان والشفقة واحيانا
، بالتخويف والارهاب ولينفردوا (خامسا)
ـلال خيرات هذا الاقليم من حديد ونحاس وبترول
ـل حيث ان انضمام موريطانيا الى المغرب سيسخر
هذه المطامع ويجعل خيرات موريطانيا فى خدمة
ـطانيين انفسهم ومسخرة لرفاهية هذا الشعب
المتخلف .

ان المؤامرة التي تحاك آخر خيوطها فى هذا اليوم يراد بها فى الواقع تامين الاهداف الخمسة الرئيسية السابقة ، لا ابراز شخصية موريطانيا او الاخذ بيدها لتحتل مكانها فى الاسرة الدولية كما يحاول الاستعمار ان يوهم الافارقة والعالم الخارجي .

فاقامة دولة مستقلة رمزيا بصحراء شنقيط يمنع تماس المغرب العربي مع اقطار افريقيا الغربية السوداء ، ويبعد حدودها عن بعضها بمقدار الفي كلمتر ، وهذا الابعاد عرقلة حقيقية فى طريق تعاون المنطقتين فى الميدانين التجاري والاقتصادي، وفى طريق تطوير القارة الافريقية لان المغرب الذي يتوفر على تجهيزات اقتصادية مهمة والذي قطع اشواطا بعيدة فى مجال التطور الاقتصادي ، فى امكانه ان يضع خبرته وتفوقه عن صدق واخلاص فى خدمة الاسرة الافريقية ولان الدول الافريقية الغنية ذات الانتاج الخام فى استطاعتها ان تعتمد ــ اذا ما كانت مجاورة ــ على هذه الخبرة فى تحويل انتاجها محليا او تصديره الى السوق المغربية القريبة منها ، الامر الذي ينجح المجهودات الاقتصادية ويخلق وحدة افريقية حقيقية ويبعد الافارقة عن التبعية والارتباط .

هذا من الناحية الاقتصادية البحتة اما من الناحية السياسية فان خلق هذا الكائن الغريب فى قلب افريقيا الغربية يباعد جغرافيا بين دول تدين بمبدأ عدم التبعية وهي المغرب من جهة ومالي وغينية وغانا من جهة اخرى ، والخطة المرسومة بعناية من الاستعمار هي منع هذه الجبهة المتحررة المحايدة من الالتحام والتجاور حتى لا ينتج عن ذلك تساند موضعي للتيار المعادي للاستعمار من شانه ان يؤثر فى التوازن الاستعماري بهذا الجزء من القارة ، وان يقضي على الترتيبات والتقديرات التي تراود المحتلين السابقين .

ولا يمكن لفرنسا ومن ورائها مصالح الغرب كله ان تجد ميدانا للتربص والانتظار احسن من هذه المنطقة

ولكن الافريقي فى كل مكان لا يلبث وهو يئن تحت السياط وتقطر الدماء من يديه المكبلتين ، ان يستجمع قواه الخائرة ليصرخ بصوته المبحوح افريقيا لـــي لا احجار فى التاج البريطانــي او ملك خاص لبلجيكــا او امتداد تحت البحر لفرنسا او عمالة من عمـــالات البرتغال .

ويزداد حماسه وتصميمه وهو يرى اشقــاءه فى الشمال يفلون الجيوش التي كانت تذيع بان كلمـــة « النصر » من صنعها واختراعها ، ويسفهون التفوق الذي كانت تعتقد انه احدى صفاتها الأزلية ، فتتوالى الثورات فى المغرب والجزائر وتونس ومصر ، ويحمل الاستعمار البريطاني عصاه ليغادر وادى النيل . وتندحر فرنسا امام الثورة المسلحة فى المغرب وتونس وعند ما تجرب الدولتان الاستعماريتان وسيله القوة فى قنـاة السويس تعودان وقد تيقنتا ان معركة افريقيا العامه لا معركة مياه السويس فقط قد تقرر رمانها وحددت نتائجها .

وهكذا فان شمال القاره الافريقيه عندما حمـل السلاح فانما كان يعمل من اجل الحرية له وللمواطنين الافريقيين جميعا ، ويريد ان ينتفض واياهم ليمضوا جميعا فى صنع تاريخهم المشترك ويفتحوا فى هـــذا التاريخ صفحة التحرر الكامل والاشراق الافريقـــي والنضال من اجل العيش الكريم والحياة الافضل .

ولا تلبث القارة برمتها ان تسير وراء هذه الغايات وتعتنق الكفاح من اجلها ، ولا تلبث حصون الاستعمار وقلاعه ان تتهاوى الواحدة تلو الاخرى امام تيـــار التحرر الجارف والانطلاق فى طريق التضامن .

ويعيش ـ المغــرب افراحــا متتاليــة ، افــراح الانتصار الاول لافريقيا فى السودان والمغرب وتونس . وتغمره فرحة اخرى بانتصاب الرجل الافريقي فى غانا ويهتز للصرخة التي دوت فى غينيا حيث هتف الرجل الافريقي « لا حياة فى ظل العبودية » ويعتبر انتصارات هذا الرجل نفسه فى مالي والكمرون والكونغـــو ومدغشقر والصومال ونيجيريا وافريقيا الاستوائيـة ودول الوفاق تحولا جذريا فى تاريخه الحديث .

ولكن المغرب لا زال يوقن بان المعركة يجب الا تقف او تتوانى ضد قوى التسلط والاسترقـــاق والاستنزاف التى ما فتئت تمعن فى غيها فى كثيـــر من بقاع القارة .

فالاستعمار لا زال يحلم بالامجاد الاسطوريه فى كينيا وطانغانيكا ومزنبيق وانجولا ووادي الذهـــب وسييراليون وغيرها .

والرجل الاروبي لا زال ينكر على المواطن الافريقي العيش الكريم تحت سمائه ويعمل على الا تسطـــع شمسها الا على محياه الابيض وعرقه المختار بـــل وينكر عليه حتى حق الحياة فوق أرض آبائه واجداده والرجل الاروبي يريد بعد ان طرد من بعض الاقطـار وغلبته قوة التصميم الافريقي ان يخرج من البـاب ليدخل من النافذة ، فهو اذا لم يثر الاضطرابات ضـد الحكومات الشرعية الوطنية ويقذف بجيوشه ضدهـا ويخلق لها الاشكالات والمتاعب كما يفعل الآن فى الكونغو، واذا لم يغذ طاحن الطوائف الدينية كما تشهده اليوم جمهورية نيجيريا ، واذا لم يشجع الاقطاعية المتعاونة المنحـرفـة كمـا هو صنيعــه فى كينيـا وموريطانيـا واذا لـم يسنـد الاتجاهـات الانفصاليـة كمـا هـو الحال فى كاتانغا وكاساي ووادي الذهب والكمرون الشمالي ، اذا لم يفعل ذلك فى بقية الاقطار الافريقيـة الفتية فهو قد ابتدع على مستوى القارة ـ نوعـــا مستورا من الاستعمار يمكن ان نسميه « الاستعمار الجديد » أي الاستعمار الذي يقوم على الارتبـــاط الاقتصادي والفني والثقافي والابقاء على اعتمـــاد الافارقة على الخبرة والاموال والاسواق الاجنبية . والاستعمار قد اخترع اقنعة جديدة يحكم البلاد التي غادرها باسمه ، وتضفي صبغة المشروعية علـــى استثماراته ومصالحه الاستراتيجية والتجسسيه . ففرنسا قدمت فى هذه الايام استقلالا مزيفا ممسوخـا لقطعـة من صحـراء الشمال الافريقـي هـي اقليم موريتانيا ، متعمدة خلق دولة ليس لها من مقومـــات الحياة الا ما يدفعه الاستعمار لاذنابه وحراس مصالحه

ان العفريت الآن قد حرج من القمقم ليـــدوس الاحتلال ، الاحتلال بجميع اشكاله والوانه ولباسه . وليبني هذه القاره التي اراد الاستعمار ان تكون قارة مظلمة ، وليخط لها طريقها للخروج من نطاق التخلف الذي فرضته احقاب من الاسترقاق والتجهـــــل والتفرقة .

فرسالتنا فى هذا الركن يحددها حاجيات الافارقة الى حركة هادفة وبعث جديد ، ويؤكدها اكثر من ذلك الافتقار الى حضارة فكرية جديدة على مستوى القارة تجمع بين الاستعدادات المبدعة فى جو من الاخـــلاص والجدية .

ولا ينسى هذا الركن ان يحيي كفـاح ابناء هذه القارة ويزكي تطلعهم الى التحرر الثقافى والانعتاق والوحدة .

اقرأ هذا الكتاب

المعسول

بحث

محمد المختار السوسي

قضى العلامة الكبير والاديب المبرز السيد الحاج محمد المختار السوسي عده سنوات في البحث والتنقيب عن احوال المجتمع السوسي والحركة العلمية والادبية فيه ، وانتشار الزوايا والطرق الصوفية وكانت نتيجه هذا المجهود المتواصل هي اخراج كتاب « سوس العالمه » الذي قدمته « دعوة الحق » لقرائها في عدد سابق ، وكتاب المعسول الذي تم طبع الجزء الاول منه وغيره من الكتب القيمه التي ستكشف نواحي من هذا الصقع الفاضل ، وقد اختارت دعوة الحق نشر مقدمة كتاب المعسول لانها تبين الخطوط الرئيسية لموضوع الكتاب والفكرة النبيلة التي حملت المؤلف على مواصلة بحوثه في حله وترحاله حتى اثمرت جهوده هذه الثمار الشهيه ، وسيزداد المطلعون على الكتاب يقينا بان المجتمع الذي انتج يوسف بن تاشفين وعبد الله بن ياسين والمهدي بن تومرت وعبد المومن بن علي وغيرهم من العظماء النبلاء هو مجتمع فاضل لشعب عظيم في التاريخ ، وعسى ان تغير دراسات هذه الكتب فكرة شبابنا في الحياة فيشمر عن ساعد الجد ليكون عظيما كاسلافه الذين بنوا عظمة المغرب في ظل الفضيلة والدين .

بين الامس والغد

من طبائع الايام التحول من حال الى حال ؛ ففي كل يوم طلوع جديد لم يكن معروفا . او افول معروف كان لم يكن في يوم ما جديدا . فما يألفه الاجداد حتى يكون جزءا من حياتهم قد يكون عند الاحفاد منكورا . وما يكون منكورا عند جيل قد يكون عند جيل آخر مألوفا . وهذا ما يراه الانسان في نفسه . فيكون في كهولته غيره في شبيبته فكرا وذوقا ورغبة في شيء او رغبة عنه ؛ وهي اطوار جبلت عليها هذه الحياة . سنة الله في الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا .

والتحول في الهيأة الاجتماعية في غالب الازمنة ؛ يعهد منه ان يتتابع ببطء : حتى لا يكاد يفطن له الا الألمعيون ؛ حتى جاء هذا العصر ؛ عصر الذرة والصواريخ ، فاذا بها تكاد تتحول من حال الى حال في طرفة عين . خصوصا في بعض الاقطار كقطرنا هذا الذي هجم عليه هذا العصر المسرع هجوما مباغتا ؛ فاذا به بين عشية وضحاها كأنما انقلب رأسا على عقب .

امس

اننا اليوم في (المغرب) لفي عهد يعده من يعيشون قبله ؛ ثم يمتد بهم العمر الى ان يعيشوا فيه عهدا غريبا عجيبا . فقد شاهدنا كل شيء الى تحول سريع فقد كنا نحيا في بيئة لا تكاد تمت اليها هذه البيئة الجديدة بأي لون . كنا في دين وفي عادات وفي هيئات وفي افكار وفي مقاييس وفي اوضاع . ثم ها نحن اولاء مندفعون الى ما يعاكس كل ما الفناه على خط مستقيم .

امس كان الدين ومثله العليا . والتخلق به . والتحاكم اليه . والحرص على علومه . واحترام حملته . هو المعروف المجمع عليه لا يختلف فيه اثنان لان ذلك راسخ في النفوس ؛ وتواترت عليه

التي تحتل قلب افريقيا الغربية ، وهي اذا حشدت اربعين الفا من الجنود بمعداتهم خلال الشهرين الماضيين وهي اذ تركت ابن دادة وكلا عاما « دائما » عنها فهي متيقنة من ان هذه القوة الضاربة بمقدورها ان تعمل بسرعة وتتجه الى اي مكان نجد فيه فرصة للتدخل واعادة السيطرة من جديد .

وهكذا فان ايجاد كيان مموه لما تسميه فرنسا بالجمهورية الاسلامية هوالخاتم السحري الذى تنتصب عند ادارته الطبع الاستعماري وينشب اظفاره اذا ما اقتضت الظروف في اي جسم من هذه الاجسام الفتية التى فتحت اعينها اخيرا على النور .

فتحويل مليون كلمتر مربع من الاراضي ذات الاهمية الاستراتيجية القصوى الى قاعدة حربية هو احد الدوافع الحافزة بالاستعمار الى الاستماتة في في « اجهاض » هذه الدولة وفيالمبادرة الى اتاليها الحربية لتقول انني في خدمة مصالح الاستعمار .

وتأتي بعد ذلك قضية التجسس على الاقطار « المتنطعة » كما سميها غلاة الفرنسيين وهذه القصة شرحها بوضوح القرار الذى اتخذه برغارال المشرف الحقيقي على الشؤون الداخلية في اقليم موريطانيا، فهذا القرار يعطى للمكتب النقابي الفرنسي الذى طردته حكومة مالي من ترابها ترخيصا بالعمل — في الاقليم — ومكتب من هذا النوع لا يهتم بشيء اهتمامه بتنظيم حرب الاعصاب وجمع المعلومات بواسطة العيون واقلام المخابرات وازاء هذا فليس هناك ما يحملنا على الاعتقاد بأن مؤامرة الاستقلال ستوجه قبل كل شيء لضرب الثورة الجزائرية التي تجرى عملياتها الحربية قريبا من حدود موريطانيا .

وتأتي بعدئذ الدوافع الاخرى ذات المدى البعيد من حيث النتائج المتوخاة ، وهنا نتذكر المؤامرة الاستعمارية في كاطانكا التي سعى البلجيكيون واصحاب المصالح من الراسماليين الى فصلها عن جمهورية الكونغو للاستئثار بخيراتها ، وسلب معادنها تحت قناع المشروعية والتعاون الطبيعي مع المالك الحقيقي .

وهنا نتذكر كذلكالخوف الذي ساور المستعمرين من امكانية استئناف الانتشار الاسلامي داخل القارة ، وعودة المنبع الذي يقع في الشمال الى ارسال موجات الدعوة كما كان الحال قبل التسلط الاجنبي . فالاسلام الذى لم يعرف توقفا او انحسارا كان دائما عرقلة اساسية في اخضاع الافارقة وادخال الثقافة الاجنبية والعادات الاجتماعية الاوربية في حياتهم . والملاحظة التي ادهشت المستعمرين هي ان الدول الاسلامية في افريقيا اكثر من غيرها مجافاة للرجل الاروبي والتقاليد الغربية ، واكثر من غيرها اخذا بمبدأ الحياد .

واذا فاذا تمكنت الجمهورية « المجهضة » من الوقوف ولو بعض الوقت على قدميها فذلك سيصرف الجوار الى تطاحن فيما بينهم حول الحدود وتسارب في ميدان الاجتهاد القانوني مماسيسمح بالمضي بالمؤامرة الى نهايتها هذه المؤامرة التى ستستهدف كما مر بنا المغرب والقارة الافريقية والقيم الروحية واخيرا الشعب الموريطاني . ولكن هل ستستمر الاحداث على هذا المنوال ؟ هذا السؤال سيجيب عنه عمليا الشعب الموريطاني ، والتاريخ ينتظر من هذا الشعب الابي الواعي لخطورة ما سيقوله ان يكتب فيه صفحاته وان ينسى صفحات اخرى كانت قد سرت منه طيلة نصف قرن .

ارادة الشعب الموريطاني هي التي ستقرر كل شيء .

ومعلوم ماللمغراويين والمرابطين والموحدين والمرينيين من تمجيد هذه اللغة وهي دول بربرية صميمة وذلك هو موضع العجب . واما ان يحافظ الادارسة والسعديون والعلويون عليها فان ذلك امر طبيعي . لان الجالسين منهم على العرش عرب اقحاح . هكذا اصبحنا نرى كثيرا من تراثنا يضمحل بكل سرعة . ثم لا يطمع ان يتراجع اليه الاخلاف الا بعد زمان نطلب الله ان لا يطول .

الــغــد

نحن نوقن انه سيأتي يوم ينور فيه اولادنا او احفادنا ثورة عنيفة ضد كل ما لا يمت الى غير ما لآبائهم من النزوع المحمود . ثم يحاولون مراجعة تاريخهم ليستقوا منه كل ما في امكانهم استدراكه . فلهؤلاء يجب على من وفقه الله من ابناء اليوم ان يسعى في ايجاد المواد الخام لهم في كل ناحية من النواحي التي تندثر بين اعيننا اليوم . وما ذلك الا بايجاد مراجع للتاريخ يسجل فيها عن امس كل ما يمكن من الاخبار والعادات والاعمال والمحافظة على المثل العليا . بل تسجل فيه كل ما كان ولو الخرافات او ما يشبه الخرافات ؛ فان نهم من سيأتون في الغد سيلتهم كل ما يقدم اليه كيفما كان ؛ لتستنتج منه ما يريد ان يعرفه عن ماضي اجداده . وهذا احد مغازي هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء .

فكـرة جمـع الكتـاب

كنت مرة زرت الزاوية الدلائية من ايت اسحق في سفح الاطلس الكبير . فصرت ابحث هل اجد هناك اثرا من آثار اولئك العلماء الادباء العظام ؟ فلم اقع على اي اثر . فاغمضت عيني برهة فصرت استحضر كل ما كنت قرأته من الكتب التي تحدثت عن هذه الزاوية . وعن اعمال رجالاتها . فاذ ذاك عرفت ان الخلود لامثال هؤلاء لا يكون الا بالتسجيل بالاقلام فاختمرت هذه الفكرة في نفسي عن ناحية سوس التي اعرف فيها من امثال الزاوية الدلائية عشرات فعشرات كادوز وتيمكيدشت واكنسيم وطاطة وتانلت والمعدر وبادرارت واسرير وناكوشت وتيفيراسين واغبالو ماسه وتامانارت واقا وتازموت واكرار وتاغاتين والمحجوب وامثالها . فمنها ما اندثر قبلنا . ثم لا نجد عنها الا مثل الوشم على ظاهر كف العجوز وذقنها . ومنها ما لا يزال فيها رمق . يعرف منه ماضيها المجيد . فكنت اتمنى وانا اذ ذاك في مراكش في موالاة الدروس لمن يحلقون حولي لو اجد فراغا لما يختمر في نفسي حتى اؤدي هذه المهمة التي كانت عندي اذ ذاك كفكرة حديثة بسبب الاخ البونعماني ابى هذه الفكرة . ثم جاء النفي مخنم 1355 هـ. الى مسقط راسي حيث التزمت القبوع والانحياش والبعد عن المجمعات . فامتشقت القلم فاتخذته انيسا في اليوم الثاني لنزولي في (الغ) . وحين لم اجد من اخالط الا من في زاويتنا قنعت بتسجيل ما يتيسر من بعض اذكيائهم . وفي عشية يوم كنت مع اخي احمد رحمه الله ؛ فقال لي وقد رآني مكبا على تسجيل كل ما اسمع مما جمع في كتاب (من افواه الرجال) ولا انظم ما اسوقه فيه ولا اختار ؛ ماذا تصنع الآن ؟ فان كنت لابد كاتبا ؛ فهيىء لنا كتابا عن (الغ) وعن كل من مر فيه من العلماء والادباء والحوادث . ليكون لنا ككتاب آل زاوية تيمكدشت الذي الفه العربي المسرفي الفاسي ؛ فكانت هذه الكلمة من الاخ هي البذرة الاولى لهذا الكتاب . ثم نظمته تنظيما يكاد يستوفي كل أعمال زوايا سوس ومدارسها مع الالمام باخبار بعض رؤسائها والحروب بينهم . وجمع رجالات الاسر العلمية تفصيلا . وقد رتبت الكتاب على خمسة اقسام . فاشترطت انني كلما ذكرت رجلا ممن كانوا على شرط الكتاب ان اذكر كل ما حواليه من رجالات اسرته من العلماء ومن تلاميذه ومن اساتذته وبهذا استطعت ان احشر في الكتاب كمية عظيمة من زوايا العلم بسوس وبعض ديار الرياسة . فطال الكتاب بذلك حتى كانت مجلداته تنقسم الى هذه الاجزاء .

3 في الالغيين العلماء والرؤساء .

5 في اساتذتهم كالجشتيميين والادوزيين والتيمكدشتيين وآل ماء العينين والمزواريين والتامانارتيين والافارضيين .

3 في تلامذة مدرستهم كالبزيديين والساميين والحضيكيين والبادرانيين والناصريين والوهداويين الاساويين .

6 في الآخذين عن زاويتهم كالاكراريين والمحجوبيين والكرسيفيين والمعدريين والركنيين والتانلتيين .

3 في اصدقائهم السوسيين منهم رؤساء كالجراريين والتامانارتيين والقائد المدني والقائد الناجم وغيرهم . وبهذا صار الكتاب عن سوس موسوعة فيها

القرون ؛ منذ عرف المغرب الاسلام فى القرن الاول الهجري الى ان ادركنا نحن ذلك فى اوائل القرن الرابع عشر .

امس كانت الحضارة الشرقية هي المعروفة وحدها عندنا باذواقها وآدابها والوانها وهدوئها واسماع ساحتها . وهي التي استطاعت ان تلتهم حضارة فارس وبيزانطة . ثم تبلورت في دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة . ثم كان مغربنا هذا ممن له من ارث هذه الحضارة كنوز كاد يحافظ عليها وحده منذ ان انهارت الاندلس . واستولى التركيون على الشرق الادنى كله ما عدا هذا القطر السعيد . الذي لم يعرف الا الاستقلال منذ عرف الاسلام الى الآن . فكان يعرف مقدار كنوزه هذه ويعتز بكل ما فيها من الوان وافكار وفلسفة وعلوم وآداب ومعمار .

امس كانت عندنا تقاليد محترمة في اللباس وفى اختيار التأثيث وفى هيأة الجلوس وفى اقامة الحفلات وفى مزاولة الاعمال . فتكونت لنا هيأة اجتماعية توافقنا لانها كانت مسلسلة عن الاجداد . لا يحس فيها بانها تتغير فى كل جيل ، وان كانت فى الحقيقة لابد ان تكون فيها تغير ما فى كل جيل - فكانت لها موازين خاصة مالوفة . اليها يتحاكم ذوو الاذواق والافكار عند الاختلاف . فيتحد حكمها مسمطا . وقانونها مرتكز فى اعماق النفوس لا مسطر فى الطروس . تلائمت فيه مقتضيات حياتنا وديننا وعادات مجتمعنا تلاؤما تاما . دين العربية ولغة الدين . وعادات تكونت تحت نظرهما فى قطر امتزج فيه العرب والبربر تمازج الماء القراح بالراح .

هكذا كنا امس نعيش عيشة راضية نقر بها عينا ونرضى عنها كل الرضا لا نرى بها بديلا . بل لا نظن ان هناك من يحيا حياة طيبة مثل حياتنا التي نحياها فى امسنا الحلو اللذيذ ؛ يوم كنا فى عزلة عن العالم . فى قطرنا هذا المحاط من جميع جهاته بسدود طبيعية . فمن الجنوب بالصحراء الكبرى ، ومن الغرب والشمال بالبحر الواسع الذى لا نكاد نملك فيه ولو سفينة واحدة لركوبه . ومن الشرق بالجزائر التي سدت ايضا دوننا منذ ان استعمرها الفرنسيون من عقود من السنين . فهذا هو محيطنا الذي لا نعرف سواه قد الفناه وسعدنا فيه سعادة من ينشأ فى محل خاص فى عمره كله . فلا يتصور ان هناك حياة اخرى غير ما هو فيه .

اليوم

وفى هذا اليوم دهم علينا الاستعمار بخيله ورجله . بلونه وفكره . بسياسته ومكره . بحضارته المشعة . بعلومه الحيوية المادية . بنظامه العجيب ؛ بمعامله المنتجة السريعة؛ بكل شيء يمت الى الحياة الواقعية. فوقع لنا كما وقع لاصحاب الكهف يوم رجعوا الى الحياة ، فوجدوا كل ما يعرفونه قد تغير تغيرا تاما . وحين كان المغرب لقنا حاذقا سريع التطور . مندفعا الى كل ما يروقه . اقبل بنهم شديد على التهام كل ما فى هذه الحضارة الغربية العجيبة . التي تغير على جميع نواحي الحياة . فتحدث من التغيير ما يجرف التقاليد والافكار وكل ما يمت الى العادات . فاذا بالمغرب يتحول فى عهد قصير الى مغرب آخر يغاير كل ما كان معروفا منه في الامس . فاذا بامثالنا نحن الذين كنا نعيش فى شرخ شبابنا فى المغرب المستقل قبل سنة 1330 هـ. قد كدنا نكون غرباء فى طور شيخوختنا فى المغرب المستقل من جديد 1375 هـ. لقد حرصنا ان لا ننكر الا ما يستحق ان ننكر . وان نحمد كل ما يمكن ان يحمد واجتهدنا ان نساير العصر. وان نفهمه فلا ننكر اخذ ما لا بد من اخذه من اساليب الحضارة ونظمها وعلومها - لان الحكمة ضالة المومن يلتقطها انى وجدها - ولكننا مع ذلك نشاهد اسرافا فى التحول السريع الذى لم يراع فيه - حسب انظارنا نحن المسنين - حكمة ما بين التفريط والافراط ؛ فنحاول ان نجمع بين محاسن امس واليوم . ناصبين ميزان القسط . فاذا بنا نكاد نعيش الآن على هامش الحياة العادية التي اندفع اليها هؤلاء الذين يملكون ناصية الحياة الاجتماعية بعد الاستقلال . واعظم ما يهم له شيئان : احدهما التفريط في المثل العليا التي لا ترسخ فى الشعوب الا بعد جهود قرون ؛ ومتى اجتثت من اي شعب بمثل هذه الاندفاعات العمياء فان ابناء ذلك الشعب سرعان ما ينحرفون عن الصراط المستقيم فى الحياة . وثانيهما التفريط فى المحافظة على اللغة العربية وآدابها التي هي شعار المغرب وكنزه الموروث المحافظ عليه كلغة رسمية حتى يوم عممت تركيا لغتها فى جميع انحاء بلاد العرب منذ اوائل القرن العاشر الهجري . وليت شعري لماذا كنا نحرص على الاستقلال ان لم تكن اهدافنا المحافظة على مثلنا العليا المجموعة فى اسس ديننا الحنيف ؟ والمحافظة على هذه اللغة التي استماتت المغاربة كلهم عربهم وبربرهم فى جعلها هي اللغة الوحيدة فى البلاد .

الجزائر في طريق الاستقلال

ذكرياتنا القومية

للأستاذ أحمد مراد

اشرقت الشمس فى الافق ، فى صبيحة يوم عيد العرش المغربي ، مع شروق بسمات الفرحة والبهجة على شفاه كل فرد مغربي ، وفى قلب كل عربي ، من ابناء هذا المغرب العربي .

وذهبت بي الذكريات ضاربة فى اعماق الاحداث القريبة والبعيدة ، معيدة الى الذهن تلك الايام الغابرة .. التي كان خلالها المحتل الغاصب ، فى ارض وطننا المغربي ، يحاول بكل قواه ان يخمد الانفاس المتحركة ، ويكبت العواطف المتجاوبة ، ويخرس الاصوات المتعالية فى شرق الوطن وغربه ، مندذدة بجبروته ، مستنكرة لسعيه فى الحيلولة دون جمع الشمل ، ورص البنيان ، وتوحيد الصف ، ودفع الموكب ـ موكب الحرية ـ الى الامام ، يسير فى نهج واحد ، نحو هدف واحد واتجاه محدد . .

لكن تلك الايام السود ، قد ذهبت ولن تعود ..

وهكذا بتنا واصبحنا ، فاذا بنا نسعى ونجد فى سبيل موحد ، وطريق قاصد ، بغية ادراك الاهداف القومية ، وتحقيق القيم السامية ، والمثل العليا ، التي خضنا ـ وما زلنا ـ من اجلها المعارك ، ضد العدو المشترك .

هذه الانغام المعبرة العذبة تحدو مواكب الابطال فى ارض النضال ، وهذه اناشيد الاخوه والتضامن ، فى ربوع الوطن المغربى ـ كما فى كل انحاء الوطن العربى ـ تشدو بكفاح الاحرار ، وجهاد الابرار ، فى ارض الوطن الجزائري ، جباله وروابيه ، وسهوله ، وتغنى ببطولتهم وشجاعتهم ، احياء ليوم فاتح نوفمبر ، وتخليدا لذكرى الثورة المباركة فى الجزائر ، وهي تطوى صفحات ، ست سنوات ، من الكفاح المرير ، والجهاد الكبير ، وتفتح صفحة سنتها السابعة ، لتسجل فيها آيات جديدة من آيات التضحية والفدى .

مهرجانات تقام ، فى يوم التضامن ، واحاديث تذاع من اجل التضامن مع شعب عربي ابي ، وشعبنا فى المغرب ينهض عن بكرة ابيه ليساهم بقدر ، فى ذكرى ثورة التحرير الجزائرية ، اسوة بملكه الهمام ، وقائده المقدام .

فأي برهان اقوى من هذا على وحدة الاهداف ، ووحدة الغايات ، التي تجلت فى وحدة ذكرياتنا القومية .

والواقع ان اواصر هذه الوحدة لم تزدها الايام الا قوة ومتانة ، ولم تزدها الاحداث الا عمقا وصلابة

تسجيل كل ما امكن من اخبار بعض العلماء ، وبعض الصوفية ؛ وبعض الرؤساء . وانما قلت البعض لان هناك كتابا خاصا بعلماء سوس . وآخر فى رؤسائهم . والمقصود ان اسجل اكثر ما يمكن لي تسجيله للغد بهذه الكتب عن هذه الناحية من المغرب .

هذا وقد يجد القارىء من ابناء اليوم مما اكتبه ما يعده من سقط المتاع ومما لا ينبغي ان يهتم به مما يعده عند نفسه فى ذوقه من الخرافات ولكن لا ينسين انني مؤرخ ؛ وقلم المؤرخ الجماعة كعدسة المصور تلتقط كل ما امامها حتى ما نقذى به الاعين . فكما تلتقط الاشعاعات الساطعة تلتقط الظلال القاتمة فان لم يكن قلم من يجمع للتاريخ كذلك ، فانه قلم التضليل والمسخ للحقائق . لان واجب المؤرخ ان ينقل قارئه بواسطة براعته الى الذي يتحدث عنه حتى كانه يشاهد عيانا . واما ان يهذب او يشذب ويحذف ويزيد حتى يضلل القارىء عن الحقائق فذلك هو الزور بعينه ولهذا احرص انا فى التراجم ان اذكر كل شيء مدحا وقدحا وان كنت اعمل فكري واختار وارجح . لان هذه ايضا من وظائف المؤرخ . ولا خير فى مؤرخ حماع فقط من غير ان يظهر اثر فكره فيما يكتب .

وبعد فها انذا اجعل امام القارىء بعض ما سودته عن سوس فى هذا الكتاب الذي هو احد تلك الكتب . وسيجد فيه احيانا تكرارا فى التحدث عن شيء واحد فى مختلف التراجم . والمقصود ايجاد الصور المختلفة باختلاف الروايات لحادثة واحدة . ليستطيع من سيدرس الحادثة غدا ان يستوعب كلما حواليها . فينظم الكلام فى صعيد واحد . وانا لا ازعم فى هذا الكتاب الا انه مجموعة مهياة لمن سيستقي منها غدا ما يريد . ولذلك احرص على ذكر العادات وطرائف الاخبار . والنكات الادبية . والقوافي وان لم تكن بمستساغة عند الاذواق العالية فى الادب ؛ كما لا ادعي انني بلغت الغاية او اتبعت المنهج العلمي فى الدقة . وانما ادعي انني حرصت على امانة النقل عن المصادر – وغالبها من افواه رجالات الاسر – واجتهدت على ان اتبع الترتيب المنطقي ان حاولت الاستنتاج. باذلا جهدي ما استطعت – لان المقصود اولا وآخرا ان يرى القارىء مشاهدة ما يقوم به جانب من جوانب المغرب . يضم طائفة من ابناء امازيغ الشلحيين البدويين . من نشر اللغة العربية وعلومها وآدابها وقد اولعوا بذلك ولوعا غريبا . فقاموا باعظم دور فى ذلك بجهودهم الخاصة من غير ان تعينهم الدولة .

ومن مفاخر المغرب ان هذا العمل بنفسه او اكثر منه كان فى بوادي درعة وفى تافيلالت وفى دكالة وفى الريف . ولكن اين من يجمع لنا مما هناك مثل هذا الجمع . وان لم يكن جمعا واسعا كما ينبغي . ولا مستوعبا كما كان يجب .

ثم انني ابن زاوية وابن بيئة امس . مومن بالروحيات الصادقة . فأقبل خرق العادة ان صح ان ذلك واقع . ولذلك يعذرني من ليس له هذا الايمان ان وجد فى بعض التراجم من الكتاب مثل ذلك فله دينه ولي ديني .

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف

فليعلم المطالع لهذا الكتاب باجزائه العشرين انه سيخوض فيها اخبار الفقهاء والادباء والرؤساء والصوفية وكل ما يعن من احوال البادية وسيكون كالداخل الى السوق التي تجمع كل شيء . فليأخذ ما يعجبه وليعرض عما لا يعجبه . فان ما لا يعده الا شيئا تافها ؛ ان كان لا يذوق حلاوته . قد يكون ازاءه قارىء آخر لا يعجبه هو الا ذلك . فالكتاب كما يقولون كالمائدة الطافحة بانواع الاطعمة ، يأكل كل واحد منها ما يستهيه فمن ليس باديب لا يرتاح للادب . ومن ليس بفقيه لا يرتاح لاحوال الفقهاء . ومن ليس بصوفي يستنكر حتى ما هو حق من احوال الصوفية . نعم ان من يكون مؤرخا يريد ان يستنتج يفرح بكل شيء ولو الخرافات فضلا عن الحقائق .

واخيرا

فقد وضعت امس كتاب (سوس العالمة) امام القارىء . وهو كالنافذة لهذا الكتاب واخوانه من الكتب الاخرى . وهاك الآن (الجزء الاول من هذا الكتاب الثاني الذي ستعد من اجزائه الى العشرين ان شاء الله . فالله ييسر بفضله ؛ فان لم يخرج القارىء بكل ما يريد من الكتاب عن (سوس) فانه على الاقل يخرج بفائدة كانت عنده قبل الكتاب من المجهولات . نطلب الله ان ياتي بمن يستتم ما ينقص فى الموضوع . او يصحح الاغلاط . وما ذلك على شبابنا الذي نراه يشارك اليوم فى هذا الميدان ببعيد .

للآخر ، تجنى لهمامها وحارنها ، وصور من عز الملك يجلى ، وسور من مكارم الاوبة تتلى ، وشمائل من باني البيت اسماعيل تجلت في محمـــد .

تلك هي الجمل التي شرحها عبد العرش المغربي فأبان ، ورفع احاديثها مسندة الى ابان ، وفرع بهـــا الشماريخ الباذخـــة من ابان .

والعرش المغربي ، همك من عرش ، ررت ازراره على ادريس في الأولين ، وعلى الاباة بني علي في الآخرين ، فرست رواسيه في طينة الشرف الارفـــع ، وبسقت افنانه في جوه الصافي الانصع ، وأوطأ منونه ، ذوائب لمونـــه ، ومد بمنانه ، على واحد هنتانه ، وارث الارين ، بمساعير مرين .. همك من عرش مد ظلالـــه علـــى المفراب احقابا ، وحط رحاله على عتبات برقة مرات ..

فاذا شاركنا اخواننا في البشرى بعيده ، فانمـــا نفي بعهد قل الاوفياء به ، وننعم بخيال طاف طائفـــه بنفوس مترقبة لمســـراه ، متعرفة لمجراه ، وما زال الطيف كالضيف ، محببا الى الكرام ، مبغضا للئام .

ومن حكم الله في هذا العرش انه لم يزل حارسا للغة الضاد ، من الاضداد ، حاميا للدين ، من المعتدين ، ولم يزل في مقتعده امثال مضروبة ، في النضج عـــن الاسلام والعروبة ، اخلفت بهم الانساب ، بين يعرب ومازيغ ، ولم يختلف بهم الاسباب في رعاية العلم وتقدير البيان ، فكم ولدت دولهم من اعلام في الادب والبيان ونوابغ في الفقه والتشريع ، واساطين في الفلسفـــه والحكمة ، وآسات في التاريخ والخبـــر ..

وما زلنا ننكر على المسلمين في زمننا هذا اقامتهم لهذه الاحتفالات ، ونعدها عليهم في باب المجانة واللهو ، ونقول ان معظمها محاكاة لا تأتي بفائدة ، وتقليد للاقوياء لا يعود بعائدة ، وانها تتنافى مع الجـــد والشهامـــة ، وتلهي عن الواقع والواجب ، وان الاليق الاشبه بنـــا عقد مناحات نندب فيها الجـــدود العاثـــرة ، والاشلاء المتناثرة ، ولكننا حين نصل الى هذا النوع الذي ينبه ويوقظ ، ويحرك الذكرى ويدعو الى التأسي بالعاملين ، نسلم انها دروس تلقى على الجاهلين ، ونؤمن بانهـــا تاريخ يحيى ، واجيال تنشر ، واعمـــال تبعث ، ومـــا احوج الامم الغافلة النازلة بالسافلـــة ، المنقطعـــة عن القافلة ، المشغولة عن الفرض بالنافلة ، الى امثال هذه الدروس الحافلـــة .

ايها الاخوان بالمغرب الاقصى ، نحييكم على بعد الدار ، وحيلولة الجدار ، ومعاكسة الاقدار ــ تحيـــة ود ، لا تقابل بالرد ، ونهنئكم بهذا العيـــد السعيـــد ، تهنئة الفريق لمن بالساحل ، والمبعـــد لمن طويت لـــه المراحل . وندعو للجالس على العـــرش بالتأييد مـــن ذي العرش ، ونسمى لكم ــ كما تسمنون لنا ــ سعادة يطـــرز حواشيها النعيم ، وسيادة تدفـــع الـــى حـــرم العز من بيئة النعيم .

انا لمسنا من السنان صفحته ، وشممنا مـــن الريحان نفحته ، فتعاطف الارحام ، وتداعت وشائـــج القربى الى الالتحام ، وهزتنا الاريحية ، الى هذا النزر القليل من التحية ، تحملها عنا الكم ريح الصبا كلما هبت ، وبرد الصحائف كلما خبت ، فاعذرونا فاننا لا نبلغ في هذا المقام ــ وان اطلنا ــ القلامة من اصبع ، والدقيقة من اسبوع والقطرة من ينبوع .

ايها الاخوان : ان العروش لا تثبت ما لم تكـــن رواسيها القلوب والمهج ، فكونوا دون العرش صفا ، وجمعا ملتفا ، وساعدا وكفا ، ودفعا للباغي وكفـــا ، وذودوا عنه كل مريب ، والقريب منهم قبل الغريب .

(عن صحيفة « البصائر » عدد 58 في 48/11/29)

رغم كل ما بذله الاستعمار من جهود ، فى وضع الحواجز وبناء السدود ، ان وحدتنا كانت ـ وما زالت ـ عميقة الاركان سامقة البنيان ، لان دعامتها تقوم على الدين واللغة والتاريخ ، وبهذه الخصائص اصبحت سبيلنا الى النجاة ، ورائدنا الى القوة والعزة ووسيلتنا الى الرفاهية والازدهار .

ومن اجل ذلك ظل الجزائريون ـ وما فتئوا ـ يسيرون فى طليعة المعركة التي خاضها ابناء المغرب العربي ، ضد النظام الاستعماري ، وافتكاك سيادتنا القومية من بين مخالبه ، وكان تجاوبهم مع احداث القطرين تجاوبا قلبيا عميقا . كلما الم باحد الاخوين ملمة ، أو نزلت بساحته نازلة ، وهذا امر طبيعي ناتج عن صدق الاخوة ، المستمدة من وحدة الآلام والآمال، ووحدة المصير والمال .

ويوم اقدمت فرنسا على اقتراف فعلتها النكراء ضد العرش المغربي ، اهتزت الجزائر المتحمسة للحادث من اقصاها الى اقصاها ، احتجاجا واستنكارا ، وامتنع المواطنون من ذبح الاضاحي تضامنا مع الشعب الشقيق فى محنته ، وظلت ذكرى العدوان على العرش المغربي مثار حزن ، ومبعث اسى، كلما آن اوانها ، وعاد يومها .

ولكن ذكرى يوم عشرين غشت 1953 كانت لها ميزة خاصة ، ومظهر فريد فى نوعه ، لان تلك الذكرى قد حلت بين ظهرانينا ، فى الوقت الذى كانت فيه الثورة الجزائرية مشتعلة الاوار ، فى طول البلاد وعرضها ، فاعلنها المجاهدون ـ فى تلك المناسبة ـ صيحة مدوية فى وجه الطغاة : افصحت عنها البنادق الرشاشة ، وعبرت عنها القنابل المدمرة لمراكز جنود الاستعمار ، فى مدينة سكيكدة ، وقسنطينة ، وعين عبيد ، ووادي الزناتي ، والملية وغيرها .

وكان ابطال جيش التحرير يومئذ يتمثلون فى هجوماتهم على العدو ، بقول احد شعراء الجزائر :

فيها قذائفنا الاولى قد انطلقت
كما تحطم للطغيان بنيانا
وعندها نارت الرشاش قاذفة
عليهم من لظى البركان نيرانا
فاسمعت منهم من كان فى صمم
وبصرت منهم غلفا وعميانا
فلم تزل ثورة الاحرار كاسحة
بالنار كل عدو اينما كانا

وقد ذهب ضحية الفتك الاستعماري فى هذا اليوم نحو عشرين الف من الابرياء العزل ، الذين لا يدلهم فى الحرب ، وانما ذهبوا ضحية الانتقام الوحشي ، بيد ان تلك الدماء الطاهرة ، لم تذهب ولن تذهب سدى ، ما دامت قد اريقت من اجل تطهير الوطن المفدى من رجس الاستعمار المقوت . .

واستيقظت صبيحة يوم عيد العرش ، على اناشيد البطولة والخلود ، تشيد بيوم هذا العيد المجيد ، وتنوه ببطولة وعظمة الرجل الفذ ، الجالس على هذا العرش الرفيع ، وبدا لي ان اسهم بكلمة فى احياء هذه الذكرى الجليلة ، وفكرت : وطال بي التفكير ، ثم قر قراري على ان خير هدية اقدمها لقراء (دعوة الحق) بهذه المناسبة ، وابلغ تحية نحيي بها عيد العرش ، هي هذه التحفة السنية ، والدرة اليتيمة ، التي دبجتها يراعة العلامة الجليل ، فضيلة الاستاذ الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، تحية لعيد العرش العلوى ، فى احدى ذكرياته الخالدة ، وياما اكثر ما حبر قلم الابراهيمي ، فى ميدان الدفاع عن القضية المغربية ، وخاصة خلال الازمة الشهيرة . . والى القارىء هذه الكلمة القيمة ، بعنوان :

عيد العرش المحمدي العلوي

« آمال فساح ، فى الفوز والنجاح ، وبواسم صباح بالبشر والانشراح ، وتوق وطماح ، الى السؤدد اللماح ، وكد والحاح ، من اصلاء فى العز اقحاح ، وعزمات صحاح فى الجهاد والكفاح ، ومفدى ومراح ، فى الحق الصراح ، وشباب نصاح ، عن الشرف الوضاح ، وملك سمسماح فى العلم والاصلاح ، وامامها تاجها العمامة ، صدفت عن المظاهر ، وعرفت عن المزاهر، لحظ الاسوة ، ولحظ التجربة والقسوة ، واعلام من علماء الاسلام ، حافظوا على الارث وطهروه من الدم والفرث .

تلك هي حيلة الصدور ، وزينة المجالس ، فى عيد العرش المحمدي العلوي ، وذكريات من المجد التلد تثار ، وآفاق من الفخر الطريف تنار ، وسمات من مخايل البطولة تشهر ، وصفحات من تاريخ العظمة تنشر ، ولمحات من الشرف العلوى الفاطمي ، تشع فتسطع ، ونفحات من الغر الجلائل ، من اعمال الاوائل ، تضوع وتذيع ، وذخائر من اخلاق الطيبين الاخاير ، تجبي لوارثها ، ومفاخر ، مما ترك الاول

قد ساءه غضب الهمام لشعبه   ورأى الدفاع عن البلاد تهورا

فاختار من مكر النفوس سلاحه   وأتى الخبيث جريمة لن تغفرا

طاشت لها منا العقول وأوشكت   من هولها الأكباد أن تتفطرا

ونفى إلى الملفاش أسره ملكنا   متفننا في خبثه متجبرا

ظن الغبي بأنه بلغ المنى   وقضى بحنكته على أسد الشرى

ما ظن أن الشعب يرفع رأسه   بعد الجريمة أو يسير منكسرا

لم يدر أن الملك قد شرع الفدا   متقدما جيش الخلاص محررا

حتى رأت عيناه ثورة أمة   هبت تناضل في المدائن والقرى

ألقت على جيش الضلال قنابلا   غسلت جفون الجنرال من الكرى

وقضى الإله لعبده وأعاده   للعرش موفور العطاء مظفرا

عادت بعودته الشعوب إلى الهنا   وطغى السرور على القلوب فأسكرا

ألقى إلى شعب الإباه بشارة   أضحى بها بعد القيود محررا

أضحى بها الشعب الوفي بفرحة   وغدا بها بعد الأسى مستبشرا

من راقص هز السرور قوامه   ومحرك بين الأزاهر مزهرا

ومغرد يشدو بمجد محمد   خير العظام سياسة وتبصرا

مولاي شعبك قد أثيرت طربه   لتواصل السعي الحثيث متمما

والشرق هلل يوم زرت وزغردت   آماله ورأى المنى فتحررا

واهتز من طرب لمقدمك الذي   جعل العسير من الأمور ميسرا

ووفدت إليك حماته وعظامه   والكل يفصح عن هواه معبرا

واستقبلتك شعوبه بحفاوة   ورأتك أهلا أن تجل وتشكرا

وتدفقت منه الجموع تشوقا   شوق تأجج في القلوب وسعرا

جاءت إلى البطل الهمام ترى الذي   كسر القيود عن الشعوب وحررا

وهفت إليك قلوبها وترنحت   سوى تحيي بالهتاف غضنفرا

تهدي إليك من القلوب تحية   وتضوع من حسن الثنا لك جوهرا

لله ما أبهى الكنانة تحتفي   وتجل الملك المعظم الخبرا

والنيل يوم عبرته متحولا   غنت جوانبه تباهي الكوثرا

وماثر الفرعون رغم جمودها   كادت تقبل راحتيك وتحصرا

ولو استطاعت أن تكلم زائرا   لسمعتها تبدي الثناء معطرا

ومناهل التقوى ودين محمد   غبطت لأجلك يا مليك الأزهرا

وينابع العرفان راق نميرها   لما نثرت بها النصائح جوهرا



تحية محمد الخامس

للشاعر: محمد بن علي العلوي

من حق شعبك ان يتيه ويفخـرا ... وبميس فى حلـل الرقي نبختـرا
ويجـرر الاذيال مبتهجا بمـا ... قـد حقق العرش العتيد وقـررا
فلقـد كسرت قيوده ورفعتـه ... حتـى بلغت به الى اوج الـذرى
وأريتـه معنى البطولـة رائعـا ... لمـا قهرت عـدوه المستعمـرا
افـلا يحق لمن كسـرت قيـوده ... فى عيـد عرشك أن يتيه ويفخـرا
وبمجـدك الركبان سار حديثهـا ... وبملكك الامثال تضرب فى الـورى
بظلالـه نقضي الحيـاة لذيـذه ... والعيـش ريان الجوانب اخضـرا
ونفاخـر الدنيـا بملـك محمـد ... ولتاجـه نزجي الثناء معنبـرا
وبعهده الميمون نسعـد كلنـا ... وننـال ما نصبـو اليـه واكثـرا
عهـد بـه دنـت القطـوف لطالـب ... وبـه ازدهى غرس العلوم واثمـرا
وتفتقـت فيـه القرائـح بالـذي ... بـرت به عند التنافس عبقـرا
ونمت عقول الناشئين واصبحـت ... كالروض داعبه النسيم فازهـرا
للـه مـا ابهـى مواقفـك التـي ... املت على التاريخ ما بهر الـورى
للـه مـا اسمـى صمودك عندمـا ... قاد الخسيس جيوشه ليسيطـرا
(كيوم) كم دخل البـلاط مهـددا ... متجبـرا متنمـرا مستهتـرا
فرأى على عـرش الاباة غضنفـرا ... يأبـى الخضـوع وقـوة لن تقهـرا
كـم مـرة خرج الخسيس بخيبـة ... متلفتـا مـن ذعـره متعثـرا

عـــادت بفضلــك للبــلاد قواعـــــد
وبه غدا امر الجــلاء مقـــــــررا

ورايت ان تسعـــى لخير جزائـــر
حتى ترى القطر الشقيق محـــــررا

ارسلــت للكنغــو جنــود محبــــة
تحمي الحقوق كبيرها والاصغـــــرا

وعرضت مسألة الشناقط تبتغــي
من مجلس الامم الموقر ان يـــرى

شنقيط جــزء لا يلـــن لغاصـــب
ما كان يرضى أن يباع ويشتـــرى

شنقيط تطلــب ان يرد لاصلهـــا
وترى القيود جديرة ان تكســــرا

وتثور كالبركـــان تنـذر معشــــرا
جعلـوا الخيانــة للمواطــن متجــرا

هيهات ان يدع الاشاوس خائنـــا
ارض الشناقط ملت المستعمـــرا

سعطت الى الجزء المحرر حالهـــا
كيما يدافع عن حماه وينصـــــرا

مــولاي يـــا خير الملوك تحيـــة
اهدي اليــك اريجهـا المتعطـــرا

والى ولــى العهــد ارفع مثلهـــا
فواحة الانفـاس تحكـي العنبـــرا

الاسلام مبني على الاحسان وعدم استغلال حاجة المحتاج فلذلك حرم الربا بالشرط

روى مالك في الوطا عن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استسلف رسول الله بكرا (هو بفتح الباء الصغير من الابل) فجاءته ابل من الصدقه ، قال ابو رافع فامرني رسول الله ان اقضي الرجل بكره فقلت لم احد في الابل الا جملا خيارا رباعيا . فقال رسول الله (ص) اعطه اياه فان خيار الناس احسنهم قضاء . ومن فتاوى ابن عمر في هذا الموضوع ما يتضح به كيف كان السلف يفهمون منع استغلال حاجة المحتاج من مثل هذه النصوص الشرعية فعن مالك انه بلغه ان رجلا اتى عبد الله ابن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن اني اسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه افضل مما اسلفته . فقال عبد الله بن عمر فذلك الربا . قال فكيف تامرني يا ابا عبد الرحمن فقال عبد الله : السلف على ثلاثة وجوه . سلف تسلفه تريد به وجه الله « يعني ابتغاء رضى الله » فلك وجه الله ، وسلف تسلفه تريد به وجه صاحبك فلك وجه صاحبك ، وسلف تسلفه لتاخذ خبيثا بطيب فذلك الربا . فقال (أي السائل) فكيف تامرني يا ابا عبد الرحمن ؟ قال : ارى ان تشق الصحيفة (أي تبطل ما فيها من الشرط) فان اعطاك مثل الذي اسلفته قبلته وان اعطاك دون الذي اسلفته فأخذته اجرت . وان اعطاك افضل مما اسلفته طيبة به نفسه فذلك شكر شكره لك ، ولك اجر ما انظرته .

وغدت دمشق وقد حللت ربوعها　　تختال في حلل البهاء تبخترا
وجرى بها بردى بمجدك شاديا　　مترنما في سيره متبخترا
والمسجد الاموي يوم حللته　　ذكرته المجد القديم فكبرا
ذكرت باليرموك امة يعرب　　بابن الوليد به يوحد عسكرا
وازينت بغداد والنجف الذي　　ضمت جوانبه الكريمة حيدرا
وتبسمت بيروت وافتر ثغرها　　عما تكن لك القلوب معبرا
ولو استطاع المشي أرز جبالها　　لسعى اليك مع الاباة لتشكرا
وتبرجت عمان تظهر حسنها　　وتضوعت مسكا يفوح وعنبرا
واهتز من فرح اللقا لك اردن　　وبدا لفرط سروره متأثرا
ورايت اسد العرب قد ربضت على　　خط الجحيم مرادها ان تثأرا
سترد كيد الغاصبين وتقتفي　　سرطان صهيون الى ان تقبرا
في كل ركن للعروبة شامخ　　يلقاك شعب للجهود مقدرا
[illegible] لمقدمك الرياض وهللت　　ارض الحجاز ورحبت ام القرى
ومواطن التنزيل هلل ركنها　　وتذكرت عمرا تطوف وحيدرا
ذكرتها الصديق يعمل مخلصا　　ولجمع شمل العرب تصعد منبرا
ذكرتها عمرا تقيم عدالة　　وابا الحسين بها يهاجم عسكرا
ودخلت بيت الله معتمرا وقد　　خشع الفؤاد مهللا ومكبرا
لله ما احلى سويعة ان غدا　　فرع تشاهد في المدينة عنصرا
طوبى لمن يقضي بيثرب ساعة　　ويرى بها القبر الشريف معطرا
مولاي هذا الشعب يظهر حبه　　في عيد عرشك مبرزا ما اضمرا
ويراك اعظم منقذ ومحرر　　ويراك بين المصلحين الاكبرا
البسته العز الرفيع قلادة　　وكسوته المجد العظيم مجوهرا
وجهت للاصلاح كل عناية　　في كل ناحية نراك مشمرا
والمغرب الاقصى نكبته التي　　هزت جوانبه اسى وتحسرا
الفى من البيت الشريف مفكرا　　ومساعدا ومضمدا ومدبرا
بالله لا تجدي المدامع والاسى　　احدا ولا يجديه ان يتحسرا
حكم الاله فلا مرد لحكمه　　وجرى القضاء منفذا ما قدرا
اودت بجوهره المحيط زلازل　　هابوا السواعد تبتني ما دمرا
في كل ركن قد اقمت معاهدا　　تسقي العقول زلالها المتفجرا
واقمت للتقوى مساجدها التي　　تهدي النفوس صراطها المتنورا

انه مولد البطولة في الشعـ ـب وذكرى جهاده الشبطانا
موسم تلتقي الاماني فيه وهي نشوى قد عانقت نشوانا
فرحة ترقص الجبال وذكرى ملات من جلالها الآذانا
وانتشى من دبيبها كل ميت فتمنى لو مزق الاكفانا !
هكذا حبكم تغلغل في الشعـ ـب فهز الارواح والابدانا
لقننه الاباء دبنا من اللـ ـه مصونا وارضعه لبانا

نابن من دوح البلاد ومن شـ ـد للدبن والهدى بنيانا
انت أعلى من ذب عن لعه الضا د وأعلى من قدس الاديانا
فاعدها سمحاء ننتظم الشمـ ـل جمعا وتقتل الاضغانا
واحصنها رعية عرفت فـ ـك شفوقا يوطىء الاحضانا
وأقمها على الجهالة حربا وعلى الظلم والفساد عوانا
ان للنسر في الظلام جرابـ ـيم ستفدوا ان اهملت أفعوانا
فضع السوط وارفع السيـ ـف حتى لا نرى فوق ارضنا فتانا !
كل شعر الى علاك سامي فكلام نعده هذيانا
فسلام عليك اذكى من الزهـ ـر واركى من الجنا هانا
وعلى قائد الشباب العصامـ ـي الذي بذ رايه الشجعانا
سامي الى العلا حيث كانت وبوافيه بالمنى حيث كانا
علوى سيف السمع بالـ ـد وسهم يشرف المدانا
وخطيب احيا الخطابه في الملـ ـك وهز القلوب والاركانا
وابى من شم عطفه عزه الملـ ـك وساق الفخار من عدنان
وعلى الانجم اللوامع ما غـ ـرد طير وعانق الافنانا
وهنيئا بالعيد يا منه العيـ ـد وعيشم لمثله ازمانا

تحية

للشاعر: محمد الحلوي

يا سليل الملوك موقفك الخا لد هز الدنا وأحيا الزمانا
موقف طارت النفوس سماعا لصداه وأدهش الشجعانا
لو وعاه الملوك هان عليهم أن يضحوا العروش والتيجانا
كان للشعر مطمع فيك يوما كنت فيه مليكه الانسانا !
وقديما سما لعلياكم الشعـ ـر وغنى أمجادكم ألحانا
وغدا فيك شاعرا كل من لا يحسن الشعر او يطيق بيانا
وجدير بصانع المجد والتا ريخ ان يلهم الهدى والبيانا
ومدى الشعر في سماء معاليـ ـك مجال قد اعجز الكيوانا
همة أعيت الليالي أمانيـ ـها وعزم ألقى اليه العنانا
ودهاء تحوطه حكمة الملـ ـك تجلي الظلماء والاحزانا
وضمير اذا الضمائر أغفت واستكانت للفتنة يقظانا
شيم هاشمية وجلال ملكي وغيرة لا تدانى
ان يك الدهر قد أساء فقد خفف الكلم بسمح الغفرانا
قد رآك العداة كالجبل الرا سي ثباتا وكالحديد جنانا
فجثوا خشعا يقرون بالذنـ ـب جهارا وينشدون الامانا
كان صوتا من السماء دعاكم فاستجبتم دعاءه واستجابا
واذا الشعب من ورائك كالسـ ـيل أتيا يزلزل الاكوانا
منذرا بالفناء يقذف بالمو ت ويصلي عدوه النيرانا
حدث كان فاصلا بين عهديـ ـن وخطب قد حرر الاوطانا
غمرة خضتها وانت عظيم فتجليت وانت اعظم شانا !

يا سليل الاباة عيدك هذا جدد الذكريات والاشجانا
وجلا للشعوب ثورة شعب وملك قادا هدما الطغيانا

من وحي جامعة ابن يوسف

لفضيلة الاستاذ
مبارك احمد

طيب الله تربة الحمراء ... وسقاها دوما ندى الانواء
وحباها من الجمال فنونا ... وكساها محاسن الاغراء
سميت بهجة الجنوب ولكن ... هي ابهى واجمل الانحاء
منحتها يد الطبيعة وضعا ... فائقا مشرقا على الارجاء
تتباهى بحسنها في وقار ... وسموح وعزة العظماء
وصدى مجدها فشا وتناهى ... منذ بانت في ساحة الصحراء
دبجته اليراع في كل عصر ... من اديب ونابه الشعراء
كم اياد لها على العلم تترى ... قدمتها لخدمة السمحاء
شيدت دوره معاهد تزهو ... بجلال الابداع والاعلاء
شيدت هذه المعاهد تروي ... من اتى ظامئا من الاذكياء
وترامت لها الرواد تباعا ... من جميع البلاد والانحاء
انجبت سابقا وتنجب دوما ... عددا وافرا من العلماء
حملوا راية العلوم واذكوا ... شعلة النور في دجى الدجناء
نهضت بالفتاة نحو المعالي ... لتصون التهذيب للابناء
فدعتهن للمدارس طرا ... فتسابقن عن رضا واعتناء
تلك اسرابهن في كل فج ... لارتياد المدارس الفيحاء
فتراهن في الفصول حريصـ ... ـات على درسهن بالاصغاء
تتسابقن للنجاح بجد ... وطموح وهمة وذكاء
ومنى فزن بالشهادة جدد ... ن طموحا لرتبة علياء
ويدرجن في المعارف ترقيـ ... ـن ذراها لغاية قعساء

من سفح أجياد

للأستاذ: خير الدين الزركلي

من سفح اجياد ، ومن يثرب
علوية النفحة قدسية
للوحي في اشراقها ومضة
يعرب عن عدنان ، وواحة
يحيه النائي ، على وجده ،
ما مشرق الضاد ، وما غربها ؟
من دوحة اغصانها طللب
الاخوان انضم صعاهما
عيشان في وجه الزمان النفى
قل لفتى « الجلباب » في شرقه
لا تامن الاقرب في بحره
سرنا معا . اعناقنا في السرى
اين مدى الانسان في ونبه
ضاق به الارض . فمد الخطا
ما نعصه اليوم نطمه غدا
وما يوارى عنه بادٍ له
ام البنين ازداد مجدا بها
ارست صحراء فكن الهدى
وكن للاجيال احدوثة
القرويون التي نحتفي
ليست بذكرى او باسطورة
الدرة الغراء لما نزل
وروضة المرتاد ، بل كعبة الـ
أملى عليها الدهر اسراره
سيري بابنائك مهدية
آمنت بالعلم وما بعده ،

تحية المشرق للمغرب
من طيب نهدى الى طيب
من صادق البارق لا الخلب
انسامها ندا ، وعن يعرب
* ومن يقربه الهوى يقرب
كلاهما شرق على الاجنب
شعبا على الايام لم يشعب
والصف المنكب بالمنكب
صواهما في المأمل المخصب
احاك في « سلهامه » فاصحب
واستوحى بالابعد في السبب
* دهر معا ، وانطلق المجتبى
مطوفا في العالم الارحب
من كوكب ينزو الى كوكب
يذلل المصعب بالمصعب
* يوما ، يبدو النور من غيهب
فهر ، وفهر من بنيه النبي !
للناشيء اليافع والاشيب
* المفصح الموجز والمطنب
بيومها الخالد في الاحقب
نحن امام الهيكل الاعجب
مصونة اللألاء ، لم تنقب
قصاد ، لم توصد ولم تحجب
في الاعصر الاولى وقال : اكتبي
* وشرقي بالرشد او غربي
وما وراء الله من مذهب

يا ابنتي

للأستاذ ابراهيم الهواري

هذي يدي
للسعدي

... بالزحف المقدس .. بالفدا
بالحقد غلغل في فؤادي المجهد
بالدمع بلل جفن قاصرة البلد
ار ... الحسرة لي انا

وحدي انا
ابني هنا

ا سهب هنا واخفطي عني القسم
ولتسمع الليل المدلهم والحمم
ولتهيء الاحرار في ساح العدم
لن اشكي ولن اخاف انا ابني

اسمي
في سوري

انا لم اكن بدلا يداس كرامتي
انا لم اكن طعما تلذ بلقمه
هذي مشاعري لم تزل مثل التي . . .
تحريني حتى تباركه السما

والانتما
لشنا دمي

هذي الاراضي ارضنا حتى الدما
حتى الاباه اوفاهم صوت الحمى
اورثها لنا .. وطن الجدود المنعما
اورثها لنا .. باوتحهم فلتحذوا

من عنده
انا ابني

قسما بقلبك طاهرا .. بالنسمه
بالحب رفرف حانيا .. بالثوره
ان تهدي النشء الكريه ببلدي
تحريري
لك يا ابنتي
ولامتي .

ويذوقن لذة الادب الحيـ ... ـي وقدرن قيمة الادباء

ها بنات الحمرا نخطبن طورا ... ثانيا في كلية الحمراء

وانتزعن النجاح منه غلابا ... رغم انف العيون والرقباء

فان عرفن بالجد والخلـ ... ـق شريفا وعفة وحياء

تتباهى بهن جامعة الحمـ ... ـرا وكل المدارس الفيحاء

فهنيئا لكن يا طالبات ... ببلوغ المنى ونيل الرجاء

وهنيئا لكل ناجحة في ... اي طور او معهد بناء

لم اخصص بذاك اي فتاة ... من ربا ملبكة زهراء

فلتواصل فتاتنا سيرها النا ... جح نحو الوصول للجوزاء

كي تضاهي فتاة شرق وغرب ... ونتال الرضى وحسن الثناء

* * *

انه كلية ابن يوسف انا ... قد عهدناك منبع العظماء

فاستمري في نشر نورك انا ... في احتياج لقادة اكفاء

ولتعش معهد ابن يوسف دوما ... حاملا راية الهدى والضياء

للشاعر الاسلامي سالم بن وابصة

احب الفتى ينفي الفواحش سمعه
كأن به عن كل فاحشة وقرا

سليم دواعي الصدر لاباسطا أذى
ولا مانعا خيرا ولا قائلا هجرا

اذا شئت ان تدعى كريما مكرما
اديبا ظريفا عاقلا ماجدا حرا

اذا ما اتت من صاحب لك زلة
فكن انت محتالا لزلته عذرا

غنى النفس ما يكفيك من سد خلة
فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

حبات سبحتي

للأستاذ : محمد الصباغ

النسر المرفرف فى رفيف النجوم ، لا يثقله ظله الملقى على الارض .

★

البذرة عندما ترسل جذورها الى جوف التراب، واغصانها الى ملاعب النسيم ، لا تفكر فى الجفاف الذي يميتها ، والصيف الذي يحرقها ، والمنجل الذي يحصد اوراقها ، والدودة التي تعبث بجذورها ، والنحلة التي تقتات من رحيقها . كل هذه الظروف من حياة البذرة ، بل هي البذرة نفسها .

★

صحراء يسكنها السلام ، خير من قصر تقيم فيه الشر والآثام .

★

اطلبوني ان شئتم من الكلمة التي لا تكتب ، ومن النبع الذي يفور ، ولا يفور الا بالظمأ . اطلبوني على حقيقتي من موقد الشفق الشفق الذي يحترق فيه النهار . فيهمر وكأنه وبر الفحم .

★

من يعش فى السلام ، ويلباس السلام . وقلبه فى سلام ، لا ولن يموت ابدا .

★

لولا احساسي بمحبة وجه بلادى الحلو الظريف . لما تعرفت على شعورى وعواطفي .

★

لو عرف الانسان قيمة الصمت . لادرك عندئذ ثرثرته التي يصبح ويغدو عليها من سامعيه وخجل منها ، ومن نفسه . الا ليته تغذى مرة واحدة بالصمت فيتشبع حتى يتخم ، فيصوم عن الكلام ! .

★

الا الا اجعل لحمى يارب طعاما للحرف . ودمي شرابا له ، وضوء عيني وقودا لسراجه .

اللهم اني آمنت بك وبسطوتك .

★

كل ما تؤلفه الطبيعة فى حضنها الام ، برحمة . وعدل ، وانصاف ، ومحبة ، تفرقه الحياة فى شعاب سراديبها بقساوة ، واجحاف ، وكراهة .

كم تمنى السهاد ان يظل طول حياته مستيقظا ، خيفة من ان تحلم زهرات الدفلى انها ورود .

★

ما اجهل الانسان بكل ما تناوله اصابعه ، ويدركه خياله ، وتراه عينه ، وما اجهله ايضا باصابعه نفسها !

★

ان مجدا تتكىء على القصور . لابد ان تهوي من قبابها فيمسي خرائب واطلالا وجثة كبرياء تضحك منها الرياح .

★

كل ما تحسبه الليل فى سكينته . تقتله النهار فى ضوضائه .

★

الشمس تصطدم بذاتها كلما اتمت دورة من دورانها ، وكذلك الشأن فى القمر . والارض . والافلاك الاخرى .

★

من المستحيل ان تضبطوا معلوماتكم عن تاريخ اى عبقرى .

★

كلما حسبت اصابع يدى . الا وحسبت معها اصابع جميع الناس . الذين ولدوا وماتوا ، والذين سيولدون .

★

الفن هو ان ترى مثلا تلك الشجرة النابتة فى قارعة الطريق ، فتحسها نابتة فيك . كلاكما نابت فى الآخر . وكلاكما له جذور . واغصان . وعصير وثمار .

★

هكذا تقول اوراق الخريف . فى وداعها :

اموت شهيدة الجمال ، وضحية الغرام

ومن يمت فداء الربيع يولد كل ربيع

عين أسردون

بجيو

للاستاذ

نيازي احمد نديم



غازل عيني مباها كالـدرر
يمشي فى دلال نـاعم
خطرت مثل مها مذعـورة
يا لـه من منظـر ايقظني
كيف استخدم شعري واصفـا
كيف استخدم حسي شاعـرا
تحفه ابدع من صورهـا
ان شعري عاجز عن وصفهـا
انها حقـا – وربي – درة ...
درة لابد من تخلدهـا
فيك يا عين اسردون اقـو
ربما امكنني اوفيك بـها
ابدع الرحمن تكوينـك فى
جنة ضمت عبيرا وشـدى
وزهـورا عبقت انفاسهـا
كل من باتي الى واديـك لا
بل يرى زهرا ندبا كلما
ويحس الانس والامن معـا
ايها الروض هنيئا بالجمـا
وانعمي عين اسردون فقـد
واغفري لي ان كبا شعـري فى

عذبـة تجري بتيـه وخفر
وصفـاء ناعـس بين الحجر
او غـزال اذ راى القـوس نفـر
فغـدا شعري وحسي فى خطـر
هذه الانسام فى شتى الصـور
بجمال حسنه يسبـي البصـر
فى اطار مـن لجين قـد سحـر
وكذا حسي مـع الشعـر استقر
فى ربى المغرب نفري مـن نظـر
لبنينـا ... ليغنـوا بالاثـر
ل قصيـدا فاض عفـوا وانهمر
دربى حقـك فى احلـى السيـر
صـوره تمسـح آلام البشـر
وجمالا يانعـا بين الشجـر
جوك النـادي بعطـر معتبـر
يعرف الضيـق ولا ادنـى ضجر
مر فى روضـك يوما او عبـر
فى صبـاح او مسا حيث خطـر
ل مـع الشمس وفى ضي القمـر
همت حبا بـك فى يوم اغـر
سحرك المطبوع يا احلى الـدرر

وغامضة تعيش ثم .. هي عرائس النهر ، تغني او تضحك فتذهب اصواتها مع صوت الماء الجاري الذي يسمع في هدوء وصمت ، كأنما الصمت يحاول ترجمة ذلك الصوت .. في السحب ، وفي الهواء ، وحلال الغابات ، وفي فجوات الصخور ، كان يتخيل انه يرى اشكالا او يستمع الى اصوات غامضة .. اشكالا ليست آدمية .. واصواتا لا تكاد تفهم ..

الحب .. لقد خلق الحب لكي نحلم به ، لا لكي نحسه .. ومن اجل هذا فقد احب « مانريكي » كل النساء فيره ما .. احب هذه لانها شقراء .. واحب تلك لان لديها شفتين حمراوين ، واحب ثالثة لانها تتأود في مشيتها كغصن البان .. وقد يصل به اضطراب الخيال الى حد ان يظل ليلة كاملة ناظرا الى القمر السابح في السماء في هالة فضية ، او الى النجوم الخافقة في افقها البعيد كأنها الدرر ..

ذات ليلة من لياليه الشاعرية الناعمة الارقة تمتم فيما بينه وبين نفسه : نعم انه حق .. كما قال لي هاتف الصحراء .. انه من الممكن ان تكون تحت الضوء هذه عوالم .. وان تعيش اناس في تلك الهالة المحيطة بالسحب ، وستكون فاتنة تلك النساء التي تعيش في تلك المناطق المشرقة ... سوف لا استطيع ان اراها ولا ان احبها .. الى اي مدى ستكون ساحرة ؟ وكيف تكون حبها ؟ .. على ان « مانريكي » لم يكن مجنونا الى حد ان يتبعه الصبيان ، ولكنه كان من الحمق بحيث يقوم بحركات تعبيرية اشارية اذا خلا بنفسه ..

— 2 —

فوق النهر الذي تجري ممهدا طريقه بين الجنادل والاحجار السوداء القائمة على ضفافه ، تقوم قنطرة تؤدي الى المدينة بطريق تقود سالكها الى تلك الدار القديمة التي تقطنها جماعة من رجال الدين ولهؤلاء ممتلكات تمتد بعيدا على جانبيه النهر . وفي الفترة التي تتصل بحديثنا هذا كان رجال السلطة قد تخلوا عن سلطاتهم التاريخية ، ولكن كانت هناك بقية من جدران قلاعهم العريضة لا تزال قائمة وقد غطت اصولها بعض الحشائش وبعض الازهار البيضاء ، واذا هبت ريح حركت الحشائش والازهار فاحدثت صوتا كأنه النشيج ...

ومن حول تلك القلاع نرى بعض الحدائق اهملت طرقاتها فلم تصلح منذ اعوام طويلة ولم تعن بالزروع ، كأنما تخشى ان تشوهها الايدي الادمية لو مستها ، وكان يعتقد انها هكذا جميلة ، اما الزروع المرتفعة المتسلقة جذوع الاشجار فقد كانت ظلالها تنعكس على الطرقات ، كما كانت تعلو حينا حتى تختلط باغصان الشجر ، وكانت هنالك بعض عيون يفيض ماؤها بين الزروع والحدائق ، كما كانت طرقات الحدائق مغطاة بالرمل ، وترى هنا او هناك ازهار جافة متساقطة ، تعلن انتصار الزمن على الكائن الحي ..

كانت ليلة من ليالي الصيف المعتدلة تضوع عطرا وتهمس نجوى ، تزينها قمر مشرق ابيض في وسط سماء شفافة مشرقة .. عبر « مانريكي » القنطرة بعد ان تأمل برهة بخياله الشاعري المدينة من خلفه وقد بدت سوداء شاخصة ، تحيط بها مجموعة من السحب البيض الخفيفة المتناثرة في الافق ، ثم ما لبث ان لجأ الى تلك الانقاض حيث كان يقيم رجال الدين من قبل .. بلغ الليل منتصفه وكان القمر في سيره الهادي الرتيب قد وصل الى اعلى مكان في السماء فانعطف « مانريكي » في سيره الى اكمة على جانب النهر حجبت عنه الأغصان فيها ضوء القمر ، ثم ما لبث ان ارسل صيحة خفيفة مخنوقة ، هي خليط من الدهشة والخوف والفرح ، فقد رأى تحت ظلال الاشجار شيئا ابيض يتحرك ، بدا ثواني ثم اختفى في الظلام ، وقد رأى بعين خياله ان هذا الشيء هو طرف ثوب ابيض .. ثوب امرأة ما لبثت ان اختفت بين الاغصان المتشابكة ..

— 3 —

وصل « مانريكي » الى الحد الذي اصبح فيه ضائعا بين الاشجار والاغصان في البحث عن المرأة الغامضة ، لقد اختفت .. ولكن .. في اي مكان ؟ هناك بعيدا .. اعتقد انه رآها بين الاغصان ولو انه لم يرها بوضوح تام ، رآها كشيء ابيض يتحرك .. انها هي .. انها هي التي لها في قدميها اجنحة ، وقد هربت كالظلال ، اندفع يبحث عنها ممهدا بيديه طريقا لنفسه بين الاغصان المتشابكة ، حتى وصل الى مكان مضيء تظهر فيه السماء وجعل يقول : لا احد ! آه من هنا ذهبت انني اسمع وطأ اقدامها فوق الاوراق الجافة ، وحفيف ثيابها وهي تجرها فوق الارض فتحتك بالكلأ وجعل يجري ويجري من هنا الى هناك كأنه احمق ولكنه لم يرها وناجى نفسه ثانية قائلا : ولكن لا زال وطأ اقدامها مسموعا ! . . اعتقد انها تكلمت . . لا شك في انها تكلمت .. ولكن .. الريح التي تصفر بين الاغصان وخشخشة اوراق الشجر التي تبدو كأنها

قصة العدد

شعاع القمر

للأديب الإسباني غوستاف بيكير

ترجمة محمد الأمين محمد

لست ادري ان كان هذا تاريخا يبدو قصة ، او قصة تبدو تاريخا . بيد ان ما استطيع قوله هو ان في اعماقه حقيقة ، وان تكن حقيقة جد حزينة . وربما اكون احد من سيفيدون منها ان واتتني ظروف الخيال . وان فكرة كهذه لكفيلة بان تكون مادة لسفر من الفلسفة الباكية . . . كتبت هذا الى اولئك الذين ان فاتهم ان يكتنهوا الحقيقة . فلا اقل من ان يستمتعوا بالقراءة فترة ما :

— 1 —

كان نبيلا ، وله بين قعقعة السلاح . وبين موسيقى الحرب التقليدية المؤثرة ، ولم يكن بمستطيع ان يرفع راسه او يفارق عيناه لحظة ما كتاب الاناشيد ، حيث يقرأ آخر نشيد لشاعر حماسي .. ولم يكن من اللازم على من يريدون لقاءه ان يبحثوا عنه في فناء برجه الفسيح ، حيث يعنى السيوس بصفار الخيل ، او حيث تقوم الخدم بتدريب الصقور على الطيران او حيث يقضي الجنود اوقات فراغهم في شحذ حرابهم فوق الاحجار ..

ولقد كانت امه احيانا تسال عنه خدمه : اين « مانريكي » ؟ اين سيدكم ؟ وكانوا يجيبونها : لا ندرى . ربما يكون هناك قرب الصخرة جالسا على حافة حوض وقد ارهف سمعه الى ما عساه ان يدور بين الموسى من احاديث ، علّه ان يفاجىء بسماع احدى كلماتهم او يكون فوق قنطرة النهر جالسا يتأمل جريان الموج طائفة اثر طائفة وهى تعبر القنطرة ، او مستلقيا فوق احدى الصخور منصرفا الى احصاء النجوم خلال سحابة يرقبها في الفضاء .. او متأملا اللهب المتواثب من العشب المحترق هنالك قرب البحيرة .

يكون في اي مكان ، ما عدا الامكنة التي الف الناس جميعا ان يرتادوها .. فقد كان « مانريكي » يحب الوحدة .. يحبها كثيرا .. لدرجة انه في بعض الاحيان كان يتمنى لو لم يكن له ظل .. لان الظل يتبعه في كل مكان .

احب الوحدة كذلك لانه في اعماقه كان يطلق اخيلة الفنان ، فيتصور عالما خياليا يسكنه مخلوقات عجيبة، هى من نسج خياله، وبنات احلامه الشاعرية .. اذ كان شاعرا يعجبه تلك الصور التي تركز امامها تفكيره ، وان كان يعجز عن تركيز فكره عندما يكتب .. كان يعتقد ان ارواحا نارية ذات الف لون تكمن بين الجذوات الحمراء لجذوع الاشجار المحترقة .. ارواحا تسبح كأنها حشرات ذهبية .. وهكذا كان يقضي الساعات جالسا بلا حراك مركزا بصره نحو الضوء .

كان يعتقد كذلك ان في امواج النهر . وبين الاعشاب الطافية فوق البحيرة نساء خيالية مرحة

وما كاد « مانريكي » يراه حتى انطلق نحـــوه مسرعا وبدأ يسأله : من يعيش فى هذه الـدار ؟ ومــا اسمها ؟ من اين هي ؟ لماذا جاءت الـى هذه المدينة ؟ اهيمتزوجة ؟ أجب..أجب ياحيوان ! ثم لطمه بقوة .. وبعد ان نظر اليه الخادم فترة ما بعينيــن خائفتيــن ملهاوين اجابه فى صوت متقطع بما فاجأه :

فى هذا الدار يعيش السيد العظيم « السونسودي مالديكويس » الرائد الاكبر لمولانا الملك ، وقد جرح فى احدى الحروب وهو هنا للاستدواء والاستجمام ..

ففاطعه « مانريكي » فى قلق : ولكن ابنته .. او اخته . .او زوجته .. او كائنة ما كانت ؟ فاجابــه الخادم : ليس معه ابة امراة . اذن فمن الذي ينـام هناك ؟ هناك فى تلك الحجرة حيث رايت الضوء طـول الليل لم ينقطع ؟ هناك ؟؟ .. هناك ينام سيـدي .. ولانه مريض يترك الضوء حتى يطلع النهار .. فلو ان صاعقة نزلت على « مانريكى » لما سببت له ما سببته هذه الكلمـات ..

— 5 —

يجب ان القاهـا .. يجب ان القاهـا .. واذا لقيتها فانا على يقين من انى ساعرفها بماذا ؟ ذاك هو الذي لن استطيع قوله .. ولكن .. يجب ان القاهـا .. صدى خطواتها او كلمة واحدة من كلماتها اعـود الى سماعها من جديد .. او جانب ثوبها اراه نائـة شيء من هذا يكفيني ان الاحقها ..

فى الليل والنهار سراءى امـام ناظـري طيـات ثوبها الابيض الناصع .. فى الليل والنهـار ينعكس فى راسي حفيف ثوبها .. وهمساتها الخافتة التي لا يفهم .. ماذا قالت ؟ ماذا قالت ؟ آه .. لو انني استطعت فهم ما قالت .. ربما .. ولكن من غير ان اعرف مـا قالت سألقاها .. قلبي يحدثني بذلـك ، وقلبـي لا يخدعني ابدا .. حقيقة انني قد جبت كل طرقـات المدينة بلا جدوى .. قضيت ليالي وليالي كانني عمود مقام على ناصية الطريق ، وانفقت كثيرا من النقـود الذهبية فى سبيل كسب معرفة وخلق احاديث مـع ربـات الدور والخدم فقد لقيت مرة سيدة عجـوزا مدثرة بثوب صوفي من ذلك الذي يستعمله رجـال الدين ، فاعطيتها ما كان معى من ماء مقـدس نظيـر مباركتها لى .. وعند خروجي من احدى الكنائـس ذات ليلة تابعت بحمق محفة يحملها خادمان ويبـدو منها طرف ثوب نسائي ابيض معتقدا انه طرف ثوب مجهولتي .. ولكن لا يهـم .. يجب ان القاهــا .. وستفوز لذة لقائها على متاعب البحث عنها ..

كيف ستكون عيناها ؟ يجـبان تكونا زرقاويـن .. زرقاوين منعشتين كالسماء الصافيـة فى الليل ، اذ يعجبني كثيرا ان تكون الاعيـن فى هذا اللـون .. ستكون عيناها معبرة جدا .. وحيوية .. بلا شـك زرقاوين يجب ان تكونا ، وهما زرقاوان بالتأكيد .. وشعرها فاحم فاحم جدا وطويل قد استرسلت غدائره هنـا وهناك يبدو لي انني رايته على هذا النحو تلك الليلة .. لست مخدوعا .. كان شعرها اسود .. وماذا تحس به عينان زرقاوان ناعسنان ؟ وخصائل من الشعر مطلقة فاحمة ؟ وامراة فارعـة ؟ لماذا ؟ لانهـا فعلا فارعة معتدلة القوام جذابة .. كانها ملك مـن الملائكة . .صوتها ! قد سمعته . . صوتهـا هـادىء كانه همس النسيم فى اوراق الشجـر ، ومشيتها ، مشيتها رتيبة كانها رجع الالحان الموسيقية .. هذه المراة الجميلة كاجمل مادار فى احلامي هي فى ربيع العمر مثلي ، تفكر كما افكر .. وتعجبها ما يعجبني ، وتكره ما اكره ، انها روح آدمية من روحي ، انها متممـة لوجودي .. لست ادري اى شعور يجب ان يخامرها عند ما تلقاني ؟ سوف لا تحبني كما احبها .. وكمـا احبها فعلا بكل كياني وبكل قوى روحي .. هيا .. هيا الى المكان الذى رايتها فيه لاول مرة .. وهى المرة الوحيدة .. من يعلم ؟ لعلها مثلي مولعة بالوحـدة والغموض ككل الارواح الحالمة ، لعلها محبة للتجـول بين الانقاض فى هدوء الليـل ..

مر شهـران بعد الحـوار الذى وقـع بيـن « مانريكي » وبين خـادم السيـد السونســودي فالديكوس) شهران شيد خلالهما « مانريكي » قصـرا فى الهواء ما لبثت الحقيقة ان ذهبت بـه فى نفخة .. شهران قد بحث خلالهما عبثا عـن تلك المجهولـة ، وكان حبه الموهوم خلالهما ينمو فى روحه بفضـل خياله الواهم حتى اصبح ضائعا فى خيالاته واوهامه .

— 6 —

كان الليل هادئا جميلا ، والقمر يتـلألأ فى كبد السماء وقد بدأ فى اكتماله ، والنسيم يداعب اوراق الشجر فتنبعث منها حفيف كأنه الهمسات الحلوة ..

صلاة فى صوت خافت قد منعاني ان اسمع ما قالت .. لاشك فى انها تكلمت .. قد ذهبت الى هناك .. قد تكلمت .. باية لغة تكلمت ؟ لا ادري ! انها لغة اجنبية .

ورجع الى التجوال بانيه عدة مرات باحثا عنها . حينا يعتقد انه سيراها ، وحينا يفكر انه سيسمعها متأملا الاغصان التي اخفت خلالها ، متخيلا انه يستطيع ان يميز آثار اقدامها الخفيفة فوق الرمل .. وانه قد استنشق عطرا خاصا فى فترات متقطعة هو عطر تلك المراة التي سخرت منه ، وكان يجد لذة فى هربه بين تلك الاشجار .. ولكن بلا جدوى .. ولقد ظل يتسكع بضع ساعات من مكان الى آخر .. وهو ذاهل عن نفسه ، وكان يتوقف متسمعا او يزحف فوق الحشائش فى هدوء وحذر كبيرين .. هي جولة لذيذة ولكنها يائسة دائما يرى مصعدا بين الحدائق التي لاتحصى .. تلك الحدائق التي كانت بمثابة حاشية للنهر وفى النهاية وصل الى مقبرة « سان ساتوريو » المنعزلة .

وذات مرة وهو يثب من صخرة الى صخرة معتمدا على عصاه تمتم قائلا : من هذا المرتفع سأستطيع متابعة بحثي عبر تلك الطرقات الغامضة .. ثم تسلق القمة حيث استطاع ان يكشف ببصره المدينة وما هو ابعد منها وما لبث ان كر راجعا فى طريق متعرج مظلم .

ومرة اخرى كان فوق مكان عال من الصخور فأرسل بصره وانعم النظر فيما حوله ، وثبت عينيه عند نقطة لم يستطع عنها حولا .. كان ضوء القمر يسطع منعكسا صغيرا على المنارة التي وضعت قرب ضفة النهر كي تهتدي بها السفن . وقد رأى خلف المنارة زورقا صغيرا يتحرك مجدافاه فى عنف متجه نحو الشاطىء الآخر للنهر ، فاعتقد انه ميز فى الزورق شكلا ابيض .. انها امراة .. ومن غير شك المراة التي سبق ان رآها من قبل ، انها امراة احلامه .. ثم انحدر من القمة فى خفة الغزال والقى بغطاء راسه وبحذائه الطويل على الارض وشرع يجري نحو القنطرة كأنه قذيفة منطلقة فكر ان يعبرها وان يصل الى المدينة قبل ان يصل الزورق الى الضفة الاخرى .. انه احمق ! وعندما وصل الى مدخل المدينة ينهج تعبا ، ويتصبب عرقا ، كان ذاك الزورق قد عبر النهر من جهة « سان ساتورلو » ودخل من فيه المدينة من باب آخر يخترق السور المحيط بها وقد كان سور المدينة فى ذلك الحي يصل الى ما يجاور النهر .

ومع ان امله كان ضعيفا فى ادراك من كانوا فى الزورق ، وانه لم يستطع ان يعرف اية دار من دور المدينة ستكون نزلا لهم ، الا ان فكرة دارت فى رأسه جعلته ينخرط بين جماعات الناس ويتجه نحو حي « سان خوان » ليبدأ فى التجوال بين طرقاته على غير هدى ، وقد كانت طرقات المدينة ضيقة مظلمة ، متعرجة يخيم عليها صمت عميق ، صمت لا يقطعه الا عواء كلاب يأتي من بعيد بين الفينة والفينة ، او صرير باب يغلق ، او صهيل فرس يتجاوب مع سلسلة من الصهيل تتصاعد من اسطبل ..

اما « ما نريكي » فقد كان يسمع من طنين يسمع عادة فى سكون الليل ، يهيأ له انه يسمع خطوات شخص ما .. خطوات تأتيه من منعطف طريق خال .. واحيانا كان يخيل له انه سمع خلف ظهره اشخاصا يتحدثون باصوات مبهمة ، وانه يتوقع ان يراهم الى جانبه ، هكذا قضى عدة ساعات يسعى على غير هدى .. وفى النهاية توقف عند باب دار قديمة مظلمة، وما كاد يقف حتى لمعت عيناه بانطباع من الفرح لا يكاد يوصف ، فقد راى من نافذة عليا للدار التي يمكن ان يسميها قصرا .. ضوءا هادئا يتراقص شعاعه فيخترق ستائر حريرية فى لون الورد وينعكس على الدار المقابلة ، فهمس فيما بينه وبين نفسه : هنا تنزل مجهولتي .. هنا تعيش .. ولم تبرح عيناه النافذة لقد دخلت المدينة من باب « سان ساتوريو » ولابد انها جاءت الى هذا الحي .. ولا زال بعض الناس ساهرين .. اناس ساهرون ماعداها .. اناس يأتون من عملهم او من جولاتهم الليلية ، وسيقضون فضاء الساعات الباقية من الليل هنا .. ليس ثم مزيد .. انها دارها بايمانه بفكرته هذه وبخياله الاحمق انتظر مطلع النهار امام تلك النافذة التي لم ينطفىء ضوءها طيلة الليل ، كما ان بصره لم يتحول عنها لحظة ما .

وعندما طلع النهار كان من السهل ان يرى السعار الذي يميز صاحب الدار منقوشا على الحجر الذي يغلق الباب بواسطته .. الباب العام المؤدي الى الدار . . تحركت الابواب فى ثقل محدثة صريرا لفترة ما .. وقد ظهر خادم يحمل فى يده حزمة من المفاتيح تقدح عيناه بالشرر وهو يتثاءب فيبدو فمه وكأنه علبة من الاسنان رؤيتها كفيلة بأن تبعث الغيرة فى قلب تمساح ..

قراء العدد الماضي

تعليق على مقالين في العدد السابق

للدكتور
تقي الدين الهلالي

أمـــا المقال الاول فهو بقلم الكاتب العبقري الذي قل ان تفري فريه كاتب لا في المغرب العربي وحده بل في البلاد العربية والاسلامية بأسرها، مقال كحد السيف بين القبائل اذا بان لم يترك مقالا لقائل والمقال الثاني في الجزء نفسه للاستاذ محمد بن احمد بن عبد الله في توحيد الصوم والاعياد .

وابدأ بالمقال الاول الموسوم : بالدراسات الاسلامية للاستاذ عبد الله كنون فاقول : ان الاستاذ كنون في ذلك المقال قد تكلم بلسان اثني عشر مليونا كما قال بحق وصدق . ومن شذ شذ في النار ، وتكلم كذلك بلسان الاسلام الذي يدين به مئات الملايين . وتكلم بلسان العرب وعددهم سبعون مليونا وعزز كل ما ادعاه بالبراهين القاطعة والادلة الساطعة كما يفعل المحامي القدير امام القضاء . فسد على خصمه كل طريق . وقعد له بالمرصاد . والجمه بموكله فسجنهما جميعا في قفص الابهام . وكل من قرأ هذا المقال وكان عنده من العربية ما يمكنه من فهمه ومن الانصاف ما يجيب به الحق ويبغض له الباطل يصل الى النتيجة التي وصلت اليها . وما دام في النواب الذين سيصدرون لوضع الدستور مثل هذا البطل فلا خوف على الحق واهله من سطوة المبطلين وتلبيس الملبسين وخيانة الخائنين . ونلخص هذا المقال القيم في الحقائق التالية :

1) ان المغرب قطر يسكنه اثنا عشر مليونا من الناس كلهم يدينون بالاسلام ويقدسون العروبة ويتمسكون بمغربيتهم اعظم تمسك . وهذا باستثناء اقلية صغيرة من اليهود كانت قبل هجرة الكثير منهم الى فلسطين المغتصبة تعد بمائتي الف نسمة . وبعض ذوي الافكار المضادة لهذه المبادىء وهم مهما بالغنا في تعدادهم تصديقا لدعواهم فلن يتجاوزوا بضع مئات .

2) اسلام المغاربة واخلاصهم فيه لا يحتاج الى اقامة دليل لا عند المغاربة وحدهم بل عند كل من زار المغرب واطلع على احواله وهذه حقيقة مسلمة لا تحتاج الى مراء ولا جدال .

3) يقول الاستاذ كنون : اما الصيام فلم يكن احد يحلم به حتى طفت علينا هذه الحرية الموبوءة التي نرجو ان يكون الدستور وقاية لنا من عقابيلها الفاتكة ، اقول : سمى الاستاذ كنون هذا التفسخ والفوضى الخلقية حرية موبوءة . وهي في الحقيقة عبودية للشهوات والاغراض الفاسدة . وقوله : نرجو ان يكون الدستور وقاية لنا من عقابيلها الفاتكة . العقابيل جمع عقبول وهو ما يخلفه المرض من العواقب والنتائج وما يظهر على الشفة بعد الحمى . وتشبيهه لعواقب الفوضى الخلقية بالعقابيل من ابلغ التشبيه وغريبه . ونحن نرجو كما يرجو الاستاذ كنون ان يكون الدستور المرتقب واقيا وشافيا للمغاربة من هذه الامراض الاجتماعية المهلكة . فان لم يكن كذلك فوجوده وعدمه سواء . وقد امر جلالة الملك محمد الخامس ايده الله ان يبنى الدستور على الاساسين العظيمين كتاب الله وسنة رسوله فاذا كانت الكلمة لممثلي الشعب الحقيقيين الاحرار المخلصين كالاستاذ عبد الله كنون فسيكون الدستور بلسما شافيا وحصنا واقيا من تلك الامراض . قوله : فالمغربي بلى العربية واذا تعارضنا فرضا وتقديرا فهو عربي فكرا وشعورا وانف الوطنية الاقليمية الضيقة راغم ، تماما كما لو تعارض العربية ــ وهي لا تتعارض ــ مع الاسلام فهو مستعد للتضحية بها والتنكر لها ؛

وصل « مانريكي » الى تلك الدار التي كان يسكنها رجال الدين . وجال ببصره في فنائها . ثم مد عينيه بعيدا خلال الاعمدة الصماء التي تتناثر هنا وهناك في فناء الدار . فقد كانت الدار خالية . ثم خرج واتجه نحو اكمة مظلمة تؤدي الى النهر ، ولم يكد يدخلها .. حتى ندت من شفتيه صيحة فرح ، فقد رأى شيئا تراءى لناظريه هنيهة ثم تلاشى .. جانب ثوب ابيض .. هو ثوب رباة احلامه .. ثوب المرأة التي احبها بجنون .. جرى هنا وهناك يبحث عنها .. ووصل الى المكان الذي اختفت فيه من قبل ، دقق نظره الخائف في الارض وظل فترة بلا حراك ، غشيته رعشة عصبيه هزت اعضاءه ، غضبة تزايدت كأنها ناتجة عن حمى تدب في جسمه ثم ارسل ضحكة عالية وقبيحة.. ذلك الشيء الابيض الذي تراءى له من قبل قد عاد يلمع ثانية تحت قدميه هنيهة .. لم يكن ذلك الا شعاع القمر ، شعاع القمر الذي تسلل من بين اغصان الاشجار عندما حركت الريح هذه الاغصان ..

مضى بعد « ما نريكي » بضعة اعوام وهو يجلس في مكان معين من برجه بلا حراك تقريبا ، ينظر نظرات بلهاء قلقة كنظرات المعتوه . ولم يكن يعير اهتماما لا الى حب امه له وعطفها عليه ولا الى تفاني خدمه في خدمته ..

قالت له امه ذات يوم : انت شاب جميل . فلماذا تنفق وقتك وحيدا ؟ ولماذا لا تبحث عن امرأة تحبها وتحبك وتستطيع ان تجعل منك انسانا سعيدا؟ فهمس كأنه يحدث نفسه : الحب .. الحب انه شعاع القمر .

وقال له احد ذويه مرة : لماذا لا تفيق من هذا الوهم ؟ لقد البست نفسك ثوبا حديديا من قدمك الى رأسك ، فلماذا لا تأمر بأن ينشر في الهواء علم سلالتك النبيلة فنذهب الى الحرب وفي الحرب المجد ؟ المجد .. المجد .. انه شعاع القمر .

هل تحب ان اسمعك انشوده في النبل هي من آخر ما انشده الشاعر الفنان (ارنالدو) .. فاعتدل في جلسته في حركة عصبية وقال : لا .. لا .. لا احب شيئا .. اعني اذا كنت احب شيئا فانما احب ان تدعوني في وحدتي .. شعر غنائي .. نساء .. مجد .. سعادة .. كل هذا كذب وخيال لا طائل تحته ، شيء نتصوره في اخيلتنا ونضفيه على امزجتنا ثم نحبه ونجري وراءه فلماذا ؟ لاجل ان نجد شعاع القمر .. مانريكي .. كان احمق .. او على الاقل كل الناس قد اعتقدوا انه كذلك .. اما انا فعلي الضد من ذلك .. وما قام به هو في رأيي فلسفة للواقع ..

رأي الشبلي في المعاشرين

قيل للشبلي من الرفيق ؟ قال : من انت غاية شغله . واوكد مرسه وبغله . قيل له فمن الشفيق ؟ قال : من ان دهمتك محنة قدتت عينه اليك . وان سملك محنة حرث عينه لك ، قيل له فمن الوافي ؟ قال من يحكي بلفظه كما لك . ويرعى بلحظه جمالك . قيل له فمن الصاحب ؟ قال من ان غاب سوقت اليه الاحباب . وان حضر تلفحت به الالباب ، قيل له فمن النديم ؟ من ان تأى ذكرك عند الكاس . وان دنا ملك الايناس

قراءات أبحاث العدد الماضي

بقلم

للدكتور فؤاد البهي السيد

التقـويـم العام :

احتوى هذا العدد على سبع مقـالات وابحـاث تناولت موضوعات دينية ولغوية وشرعية وتاريخيـة واقتصادية ، وهي بهذه الصورة تتسع وتمتد حتـى تكاد تستغرق النواحي المختلفة للدراسات الاسلامية والثقافية الفكرية ، وهكذا تسـاير هذه الخصوبـة ، هدف المجلة ، واطارها العام . وهدف هذه المجلة كمـا تحدده صفحتها الاولى ، هو « مجلـة شهريـة تعنـى بالدراسات الاسلامية وشؤون الثقافة والفكر » .

التقويم الخـاص :

الاصل في البحث ان يتناول مشكلة ويعالجهـا معالجة فكرية منطقية ، أو تجريبية علمية ، حتى يصل بها الى حلها المناسب، والاصل في المقال ان يتناول موضوعا لـه وحـدة فكرية واهميـة نظريـة او عمليـة ، ثم يستعرض جوانبه الرئيسية حتى ينتهي الى تكـوين الصورة العامة ، او المقترحات الخاصة بهذا الموضوع . والابحاث والمقالات التي نشرتها ـ مجلة دعوة الحق ـ في عددها الاول من سنتها الرابعة تقترب الى حد كبير من هذا التحديد العلمي للابحاث والمقالات ، ويبعـد البعض الآخر عن الصورة الصحيحة للبحث او المقال .

وقد توفرت اغلب هذه الشروط في بحث السيد حسن الحجوي الثعالبي وعنوانه ثقافتنا القضائية يجب ان نوحدها ، وهو تحليل ممتاز للعوامـل والتيـارات التي تؤثر في القضاء المعاصر في الدول العربية اذ يعالج ويقارن التيار الاسلامي والتيار الاوربي في القضـاء ، وقد وفق الكاتب باختياره للمشكلـة ومعالجتـه لها توفيقـا كبيـرا .

كما وفق ايضا السيد المهدي البرجالي في مقالـه عن حياة الاسلام المعاصر واثر هذه الحياة على الافراد وعلى العلاقات القائمة بين الدول ، هذا . وقد عالـج السيد محمد الصادق المالي الوظائـف الاقتصاديـة للحكومة ويعرض للنظم المالية المختلفة وعلاقتها بالنظم السياسية ، وهكذا تحقـق هذه المقـالات والابحـاث الفكرة التي تدعو اليها المجلـة .

لكـن المقالات الاخـرى لم تصل في مستواهـا التحليلي الى ما كنا نرجوه لها . فالمقالـة التي تناولت معهد ام درمان العلمي ليست الا تقريـرا حكوميا عـن المشكلات والمظاهر الادارية للمعهد بما في ذلك مكافأة المدرسين ، واضواء سريعة على تاريـخ المعهد وكنـا نرجو من الكاتب الفاضـل ان يعطينـا صورة اخصب واعمق عن هذا المعهد الجليـل .

وكنـا نود ايضا للبحث الـذي تناول الالفاظ الاسلامية ان يتسع ويمتـد ويوضح الاسس اللغويـة الاسلامية التي قامت عليها المصطلحات الدينية ، لكـن هذا البحث اقتصر في جوهره على المقارنة بين كلمتي : صومعة ومئذنة . وقد استغرق الكاتب في مقدمة هذا

يشتمل هذا الكلام على قضيتين ، الاولى هي تنافر المغربية مع العربية قال الاستاذ كنون : انهما لا تتنافيان ولو لم يمكن الجمع بينهما لتنازل المغاربة عن مغربيتهم ونمسكوا بعروبتهم . اقول : ان سكان المغرب قسمان او غصنان من شجره واحدة وهم العرب والبربر ؛ والبربر شعب يتصل بالعرب فى النسب ، وقد ضرب بسهم وافر فى بناء مجد العروبة والاسلام لا يستطيع العرب ان يدلوا باكثر منه ، وان علماء اللغات المعروفين فى اللغات الاوربية بلفظ (الفيلولوجيين) مجمعون على ما يعلمونه علم اليقين ان البربر وقدماء المصريين يتصل نسبهم بالعرب . فلا شك عندهم ان اصلهم واحد . وقد اخبرني البروفسر شرماك : مدير المعهد الافريقي فى جامعه فيينا انه القى محاضرات فى الجامعة المصرية اثبت فيها بالبرهان القاطع من طريق علم اللغات ما ذكرته آنفا . اذن فالمغربية والعربية شيء واحد . والقضية الثانية . هي فرض اختلاف العروبه مع الاسلام وانهما لو اختلفا لنبذنا العروبة وتمسكنا بالاسلام فاننا مسلمون قبل ان نكون عربا كيف وقد قال الله تعالى فى الكتاب الكريم : «انما المؤمنون اخوة» . وقال تعالى فى آخر المجادله « لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه » .

ونحن نعيد تأكيدنا للشعوب العربيه التي تتالف منها الامة العربية انها لن تفلح ابدا ولن تعود لها السياده والمجد اللذان سعد بهما العرب فى صدر الاسلام الا بالرجوع الى الاسلام . ولا اقصد الاسلام اللفظي ولا الاسلام المنسوب بالبدع والخرافات والشرائع المحرفة . وانما اقصد الاسلام الذى كان عليه النبي والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار بلا زيد ولا نقص ولو مثقال ذرة . وما اجمل واصدق قول الاستاذ كنون : فالذي يريد ان يسوس المغرب ويحظى بثقه المغاربه عليه ان يرعى هده المبادىء الثلاثه فى كل عمل يعمله وكل سياسة ينهجها ، والا فانه سيبوء بالفشل الذريع والخذلان الشنيع . وبقية مقال الاستاذ كنون ليس عندي ما ازيده عليها الا اني اعيد هنا ما قلته من قبل ما دام الرجال المنتخبون لتاسيس الدستور يوجد بينهم مثل هذا الرجل الحر فلا خوف على الدستور ولا خوف على المغرب ان شاء الله .

واما المقال الثاني فى توحيد الصوم والاعياد فليس عندي ما اعلق عليه الا اني اقول ان الاستاذ ابن عبد الله قد استوفى الكلام على هذه المسألة من جميع الوجوه اصولا وفروعا وجمع خلاصة مذاهب اهل السنة من زمان السلف الى يومنا هذا ، وخرج بنتيجة حاسمة لاتبقى شكا عند من له ادنى نصيب من الفقه بمعناه الحقيقي المقصود بقول النبي (ص) (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) ومن سوء الحظ ان الفقهاء بهذا المعنى عددهم قليل فى المغرب فى الوقت الحاضر فكثر الله من امثاله . فعلى وزارة الاوقاف ان تتلقى هذه الفتوى بما تستحقه من العناية والاعتبار وتسعى للعمل بمقتضاها فان القول بتعدد المطالع اوقع المسلمين فى فوضى عظيمة حتى صار اهل القطر الواحد يختلفون فى الصوم والعيدين وصار الحجاج يقفون بعرفات يؤدون مناسك يوم النحر على حكم المملكة السعودية . وكثير من الاقطار الاخرى تخالفهم فى يوم العيد . وان علم الفلك ليؤيد ما جاء عن الفقهاء الثلاثة ابى حنيفه ومالك واحمد واحدى الروايات عن الشافعي كل التاييد . ولو كان المفتون من المسلمين يبحثون ويفكرون بالطريقه التي سلكها الاستاذ ابن عبد الله ويتجنبون الجمود والتعصب والتقليد الاعمى لاتحدت افكارهم وزال الاختلاف بينهم فى كثير من المسائل ولاجتمعوا على مذهب واحد كما كان الامر فى زمان النبى (ص) والصحابة والتابعين ، وتلك هي القرون المفضله بنص الرسول (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) . فنسأل الله ان يجمع كلمه المسلمين على اتباع كتاب الله وسنه رسوله ويشفيهم من داء التفرق فى الدين انه سميع مجيب .

استشر فى امرك الذين يخشون الله

عن الزهرى قال قال عمر رضي الله عنه لا تعترض فيما لا يعنيك واحتفظ من خليلك الا الامين فان الامين من القوم لا يعادله شيء ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تفش اليه سرك واستشر فى امرك الذين يخشون الله .

القصة

للأستاذ ب. ك.

ان اول ما يثير الانتباه الى قصة الاستاذ محمد الامري والتي سماها (وردتان في عرش واحد) هو العنصر التراجيدي فيها .

فموضوع القصة : شاب في مستشفى الرباط من ضحايا زلزال اكادير كان يأمل ان يتزوج فتاة يحبها وتحبه . في الصيف القادم .

وقبل ان يقع الزلزال يعلم منها بصورة غامضة انها لن تتزوجه وانها الآن مع واحد آخر يلازمها ويسيطر عليها . فتثور ثائرته ويقرر قتل غريمه . وعندما يتوجه اليها يفاجأ بان هذا الغريم الذي سلب فتاته منه هو الشلل الذي تسببت فيه كارثة الزيوت المسمومة والذي كانت فتاته احدى ضحاياه .

تنتهي القصة بكون الشاب ضحية للزلزال والفتاة ضحية لكارثة الزيوت . وهناك ثورة على الحياة الظالمة وامل في مستقبل باسم مع كثير من التشاؤم .

ان فكرة القصة . في حد ذاتها انسانية ومن واقع الحياة المغربية . بل انها فكرة رائعة تصلح لقصة من النوع الطويل . فالكاتب كان موفقا في اختيار الموضوع الى ابعد حد . وهو امر يجعلنا نقدر هذا الاختيار في وقت نلاحظ فيه اهتمام الادباء في البلاد باختيار المواضيع الفردية البعيدة عن حقائق وواقع الحياة المغربية .

واذا انتقلنا من مضمون القصة الى طريقة عرضها ، لابد وان نتساءل : هل عرف الكاتب كيف يسرح هذا المضمون ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تبدو محرجة الى حد ما . فبغض النظر عن العاطفة الصادقة المؤثرة التي تصرخ بها عبارات القصة والتي توحي وكأن الكاتب فعلا بطل القصة واحد ضحايا الزلزال . رغم هذا .. فان عرض الفكرة لم يكن عرضا قصصيا كاملا . انه اشبه ما يكون بالمناجاة النفسية الذاتية والحوار الطويل الزاخر بالافكار .

بينما لم نحصل على اية رؤيا واضحة لجو المستشفى الذي يعيش فيه والضحايا الذين حوله وظروف الزلزال اننا نظل مسجونين في عبارات بطل القصة ومحاورته دون ان نعرف شيئا عن الجو المحيط بهما والاحداث التي أدت الى الكارثة .

ولا شك ان المحاورة في حد ذاتها وقد سيطرت على طابع القصة تضمن عناصر جيدة ، فمنها ندرك وقع المأساة على نفس بطل القصة وتكوين عقليته وشخصيته . فهو انفعالي غضوب سريع التأثر تتردد نفسه بين الشر والخير والعطف والحيرة والغيرة المتبعة والثأر والتشاؤم والامل .

وهي الصفات العامة للمواطن المغربي والذي جعلته البيئة الخاصة يتطبع بها .

كما ان هناك افكارا ايجابية في الحوار تدعو للتفاؤل رغم مرارة المأساة التي يعانيها البطلان . وتربط كارثة الزيوت بمخلفات الاحتلال من حيث تسببه في قتل ضمائر بعض المواطنين . ولكن بنفس الوقت هناك افكار سلبية . كالقول بان تغيير الحياة مستحيل مثلا . وكالتصريح بافكار وجودية تقول بانه يكفي ان يمارس الانسان حريته في نطاقها الفردي المحدود لتصلح احوال الحياة . دون التنبه الى ضرورة ارساء قواعد الحريات العامة الكبيرة التي بوجودها نتأكد معنى الحريات المحدودة .

فالكاتب اذن لا يصل في قصته الى نهاية ايجابية تجعله لفلسفة الحريات المحدودة حلا للمشاكل والكوارث الاجتماعية ، كما انه ينهي القصة بعنصر تشاؤمي (فالحياة تسير بلا معنى اننا نعيش فيها ثم نموت واذا انتهينا فليكن ما يكون ...) .

ان المساعدة التي منحتها سائر الشعوب للمغرب بعد الزلزال وتضامن الشعب مع الضحايا . ليوحي بأن للحياة معنى بعيد المدى وان وجودنا فيها ليس عبثا .

ان قصة (وردتان في عرش واحد) محاولة جدية في القصة المغربية طالما انها استقت موضوعها من واقع الحياة الحي .

البحث 76 سطرا ، ثم عالج المشكله في 54 سطرا ، هذا، ولا اظن اننا ما زلنا نعيش في عصر المقدمات الطويله . فالكاتب المعاصر يميل في اسلوبه الى ان يواجه المشكله مباشرة في السطور الاولى من مقاله ويحدد بذلك اهدافه ووسائله ونتائجه .

والمقال الذى يتناول مشكله الاجتهاد في الاسلام لخص موقفا لكاتبه اثناء الاحتفال بعيد القرويين ؛ فقد اراد الكاتب ان يدلي برأى فحبل سه وبين مايريد. ثم اطمأن عند ما عالج باحث آخر نفس المشكلة التي كان يريد هذا الكاتب تنبيه الاذهان اليها .

ويتناول المقال الاخير في هذه المجموعة فصلا من كتاب تاريخ تطوان يدور حول قصة السيدة الحره حاكمة تطوان ، وهو بحث لا باس به في تصويره للفردية في التاريخ ، هذا ويميل اغلب علماء التاريخ الآن الى دراسة التيارات الكبرى التي تصنع التاريخ ويتخففون كثيرا من الدراسات الفرديه .

تحية تقدير :

نرجو للمجلة في طابعها الجديد ان تسير قدما نحو اهدافها التي ارتأتها لنفسها ، ونرجو ان يكون هذا النقد تحية متواضعة الى — دعوة الحق — ولا شك ان هذه المقالات جميعا صورة رائعة للتقدم الثقافي في المغرب العربي والعالم الاسلامي لان اغلبها تحية من الامم الاسلامية لجامعة القرويين في عيدها .

من هو الفقيه في نظر الرسول ؟

روى بن عبد البر عن علي كرم الله وجهه ان رسول الله ص قال : الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه ؟ قالوا بلى . قال من لم يقنط الناس من رحمه الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولا يدع القرآن رغبة عنه الى سواه ، الا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه ، ولا علم ليس فيه تفهم ولا قراءة ليس فيها تدبر .

* اجتمع اخيرا فى كوتونو فريق من الخبراء جمعتهم اليونسكو لبحث مشكلة تعليم المرأة فى افريقيا الاستوائية . وفى هذا الاجتماع اشتركت مفتشات وناظرات التعليم من البلاد التالية : الكمرون ، والكونغو ، وداهومي ، واثيوبيا ، وجامبي ، وغانة ، والفولتا ، ومالي ، ونيجيريا ، واوغاندا ، وسيراليون ، والصومال ، والسودان وتنجنيقا ، وتوجو . وقد اتخذ الاعضاء عدة قرارات ستناقش فى حلقة دراسية حول « اشتراك المرأة فى الحياة العامة » تنظمها الامم المتحدة فى اديس ابابا فى شهر ديسمبر المقبل . وقد اوصى الخبراء بصفة خاصة بان تعمل حكومات افريقيا الاستوائية على تشجيع الحاق الفتيات بالمدارس الابتدائية والثانوية والفنية ، ومساواتهن بالبنين فى حقل التعليم . كما اوصى الخبراء باتخاذ قرارات عاجلة تكفل توفير المدرسات اللازمة ، ولذلك اوصوا ايضا بمنح بعثات دراسية لاعضاء التدريس وتنظيم حلقات للتدريب وحلقات صيفية ، مع التوسع فى تكوين مدرسات متخصصات فى التعليم الفنى والمهني ، وفى تعليم الفنون والتدبير المنزلي ، فضلا عن انشاء معاهد لتدريب مدرسات رياض الاطفال . ولتشجيع اقبال الفتيات على التدريس اوصى الخبراء فى اجتماع اليونيسكو بضرورة المساواة فى مرتبات المدرسين رجالا ونساء . ومن التوصيات ايضا تنظيم حلقات تعليمية شعبية يحضرها الآباء والامهات بوجه خاص ، ليدركوا منها قيمة تعليم الفتاة واثر ذلك فى تطور الجماعة . واقترحت اللجنة بناء مدارس داخلية وبيوت لطالبات المناطق النائية .

* قررت حكومة الشمال اعارة اللغة العربية اهتماما خاصا . وجرى ادخالها فى جميع مناهج الدراسة الثانوية فى هذا العام . كما تقرر انشاء معهد للدراسات الاسلامية العليا على مستوى جامعي .

* صدر اخيرا فى السودان ديوان « غدا نلتقي » للشاعر السوداني سيد احمد الحردلو .

* تقوم الجامعة الفرنسية ببناء متحف الثقافة العربية فى مقرها الجديد بميدان التحرير بالقاهرة على اسس فنية حديثة . وسيضم المتحف الوثائق المتعلقة بشؤون الثقافة ونظم التربية والتعليم فى مختلف الاقطار العربية .

* غادر الدكتور صلاح الدين المنجد القاهرة قاصدا الولايات المتحدة لالقاء عدة محاضرات فى جامعتها لمدة سنة .

* اتمت وزارة الثقافة بالقاهرة تعريب المصطلحات الغربية ونشرته فى كتاب وسيكون من اهم المراجع التي سيعتمد عليها فى هذا التعريف المؤلفات العديدة التي تركها العالم الموسيقى النابغة الفقيد اسكندر شلفون صاحب مجلة « روضة البلابل » الموسيقية ومدير المعهد الموسيقي المصري الذي ترجم الى العربية « دائرة المعارف الموسيقية وقاموس المعهد » الصادر عن المعهد الموسيقى الفرنسي بادارة البير لافينياك .

* يصدر الدكتور محمد شكري عياد قريبا كتابا جديدا عن تطور القصة العربية القصيرة .

* ثلاث راهبات من دير سانت درسن القرآن والتفسير والنحو والفقه بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

* من المنتظر ان يبحث المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة اقامة حفلة تذكارية للعالم الموسيقي الاديب الشاعر اسكندرشلفون الذي اول من وضع دعائم وركائز الموسيقى الشرقية فى العالم العربي على اسس علمية واعادة طبع مؤلفاته وكتبه العديدة وجمع مخطوطاته التي تركها .

* باع احسان عبد القدوس روايته « لا تطفىء الشمس » باربعة آلاف جنيه .

* وافق المجلس الاعلى للفنون على تشكيل لجنة لوضع المعجم الاثري للعمارة والفنون فى الدول العربية فى سنة واحدة .

* كتاب «المعذبون فى الارض» للدكتور طه حسين سينقل فصوله الى السينما .

* ستوجه الدعوة الى المجامع العلمية فى الخارج لحضور احتفال المجمع العلمي بالقاهرة بعيده المائوى فى 16 ديسمبر المقبل .

* سافر الدكتور على الراعي وصالح عبدون واحمد سعد الدين موفدين من وزارة الثقافة بالقاهرة الى يوغسلافيا وايطاليا فى زيارة استطلاعية للثقافة .

أنباء ثقافية

* اوفدت اليونسكو الى المغرب الدكتور البهي السيد الاستاذ المساعد بجامعة عين شمس بالقاهره واحد مؤلفي كتب علم النفس التربوي. وتستغرق مهمته عاما واحدا يقدم خلاله مساعداته الفنية للهيئات التربوية المغربية في مجال انتاج كتب المطالعة لمن تعلموا القراءة حديثا. ويتولى الاستاذ المذكور مساعدة مدرسي المغرب في وضع نصوص عربية سهلة تستخدمها الحكومة في حملتها لمكافحة الامية، على ان يراعى في هذه النصوص نفعها في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والمدنية والزراعية والصحية والمهنية. وللاستاذ البهي السيد خبرة في ميدان التربية، فقد عمل خبيرا محاضرا في مركز التربية الاساسية للعالم العربي في سرس الليان وساهم هناك في وضع سلسلة من المطالعات لمن تعلموا القراءة حديثا. هذا وقد اصدر سلسلة من اربعة مؤلفات تحت عنوان « مشاكل سيكولوجية ».

* يستعد المشرفون على منشورات « الروائع » ببيروت لاصدار اجزاء منها على ادباء المغرب والأندلس وسيكون من بينهم ابن زيدون، وابن رشيق القيرواني، وابن هانيء، وابن حزم، وابن قزمان، وسواهم.

* في مطلع السنة القادمة سيعقد في المغرب مهرجان مسرحي لدول البحر الابيض المتوسط وافريقيا.

* بمناسبة مرور 25 سنة على تأسيس « المعهد الحر » بتطوان، اقيم احتفال كبير بهذه المدينة دام يومين 5 و 6 من هذا الشهر، وذلك تحت اشراف الاستاذ عبد الخالق الطريس الذي يعتبر احد مؤسسيه اما المؤسسون الآخرون فهم الاساتذة : محمد الطنجي، الشيخ المكي الناصري، الطيب بنونة، محمد مصطفى افيلال، المرحوم محمد ابن الابار.

* سيطبع كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الافاق » لابن عبد الله الادريسي العالم الجغرافي الشهير. ويستند في طبعه الى خمسة عشر مخطوطة منها واحدة في لننغراد.

* وصل الى المغرب مؤخرا الاستاذ حفيظا توفيك الخبير في منظمة الصحة العالمية بدعوة من وزارتي الصحة العمومية والتهذيب الوطني لدرس مشروع تأسيس كلية الطب مع الوزارتين.

* خصصت كلية الآداب بالرباط اعتمادات لنشر مؤلفات لكتاب مغاربة. وستقوم خلال هذه السنة الدراسية بنشر كتب للاساتذة السادة : الدكتور محمد عزيز الحبابي، عبد العزيز بن عبد الله، علال الفاسي، الحسن السائح، محمد الفاسي.

* اهديت خمس نسخ من دائرة المعارف الامريكية لجامعة الرباط، مع خمس نسخ من الاطلس العالمي. وبهذه المناسبة اقام عميد الجامعة المغربية حفلة.

* فاز السيد هنري دوساي بجائزة هنري مانجان للتصوير الزيتي البالغة قيمتها الف درهم.

* وصل الى تونس مؤخرا المهندس زرفوس كبير مهندسي المباني المدنية والقصور القومية في الحكومة الفرنسية موفدا من منظمة اليونسكو لوضع مشروع شامل لبناء الجامعة التونسية الجديدة في عاصمة تونس حيث خصصت الحكومة التونسية مساحة 200 هكتار لبناء هذه الجامعة. وقد تقرر ايفاد هذا الخبير على اثر عودته من بعثة استطلاعية كلفته بها منظمة اليونسكو في تونس، حيث التقى بالسيد رئيس الجمهورية التونسية وبوزيري التربية والاشغال في تونس للمداولة في هذا الشأن.

الشعر الحديث » لعبد العزيز الدسوقي « الست عليه » مجموعة قصص لعباس خضر « عالم اليوم » سلسلة جديدة يصدرها عبد المنعم حسن صدر منها الكتاب الاول « الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة » للدكتور سيدنوف « رياح المغيب » مجموعة شعرية لمحمود حسن اسماعيل .

✻ يعد الموسيقار محمد عبد الوهاب اطروحة لنيل الدكتوراه في الفن في موضوع « اثر الاغنية العربية في تقارب الشعوب العربية » وقد جمع عبد الوهاب كل المصادر التي سترتكز عليها اطروحته .

✻ ستصبح القاهرة اول مركز للدراسات الاسلامية في العالم بعد انشاء نظام للوثائق الاسلامية تحت رئاسة وزير الاوقاف . وصادقت على مشروع انشاء مركز للوثائق الاسلامية ، وسيجمع فيه جميع المطبوعات والمخطوطات الاسلامية المبعثرة الآن في العالم . وذكرت جريدة الاهرام ان العمل يجري الان لتكوين مكتبة اسلامية ستكون اكبر مكتبة من نوعها في العالم . وستجعل رهن اشارة جميع المستشرقين والمستعربين .

✻ نشر معهد الدراسات العربية التابع للجامعة العربية كتابا عن الامير شكيب ارسلان .

✻ تم في الايام الاخيرة التوقيع على الاتفاقية الثقافية بين الجمهورية العربية المتحدة ويوغسلافيا .

✻ الدكتور ابراهيم بيومي مدكور يرأس اللجنة التي تقوم بتحقيق كتاب « الشفاء » للفيلسوف العربي ابن سينا .

✻ هاجم الاديب المهجري نظير زيتون في مقال مطول نشر بجريدة الايام بدمشق قصيدة للشاعر نزار قباني عنوانها « ابظن » من حيث قيمها الادبية والفنية .

✻ نعت دمشق القاضي الكبير بهجة مردم الاستاذ في معهد الحقوق سابقا .

✻ سافر الدكتور هاشم رئيس جامعة دمشق الى لندن ، ومنها الى المكسيك للاشتراك في مؤتمر جامعات العالم .

✻ تعد الاديبة وداد سكاكيني كتابا عنوانه « القومية العربية بين الشعوبية والوصولية » كما تشتغل ايضا في كتاب آخر عن « شهيرات الشرق »

✻ في مطلع السنة المقبلة سيصدر كتاب « ابو القاسم الشابي شاعر الحب والحياة» من تاليف الدكتور عمر فروخ الذي اصدر عليه من قبل كتابا دراسيا .

✻ صدرت في بيروت مجموعة شعرية لتامر نصر عنوانها « عرائس الشعر » .

✻ ستخصص الحكومة اللبنانية 125 منحة دراسية للطلاب المغتربين منها 50 منحة لافريقيا الغربية يقدم بعضها لابناء المغتربين والبعض الاخر لطلاب افريقيا .

✻ يصدر قريبا عن دار المعارف بلبنان مجموعة قصص للكاتب السورى مظفر سلطان عنوانها « ضمير الذئب » .

✻ ستصدر منشورات مجلة «شعر» ديوانا جديدا للشاعر اللبناني الرمزى المعروف اودونيس بعنوان « اغاني مهيار الدمشقي » . وقد سبق لهذا الشاعر ان اصدر ديوانا آخر بعنوان « قصائد » .

✻ انهى انطون الناس صابات من كتابه اوبريت « من القمر الى جهنم » .

✻ ظهر ديوان توفيق الصائغ بعنوان « القصيدة »

✻ قدم للطبع الاستاذ جورج هارون رسالة جامعية عنوانها « التيارات الفلسفية عند الكتاب اللبنانيين في القرن التاسع عشر » يتناول بالدراسة اثار شبلي الملاط واحمد فارس الشدياق واديب اسحاق ، وفرح انطون . ونقولا الحداد وسواهم .

✻ اصدر الشاعر اللبناني جوزيف نجيم ديوان « الحسد » .

✻ تعد دار ريحاني – بيروت بالاشتراك مع عائدة لبكي لطبع كتاب عن الآثار الادبية التي خلفتها الاديبة اللبنانية سلمى صائغ ، وعائدة لبكي هي ابنة المرحومة ، وزوجة الشاعر المرحوم صلاح لبكي .

والدكتور الراعي يترجم الآن احدى كوميديات نولستوي وسينشرها بالعربية تحت عنوان « المستنيرون » .

* بعد الآن الدكتور زكريا ابراهيم مدرس الفلسفة الحديثة في كلية الآداب بجامعة القاهرة الكتاب الخامس من سلسلة « مشكلات فلسفية » وعنوانه « مشكلة الحب » . واما الكتب الاربعة الاولى فهي « مشكلة الحرية » و « مشكلة الانسان » و « مشكلة الفن » و « مشكلة الفلسفة » .

* « اللغة الشاعرة » آخر كتاب صدر للاستاذ عباس محمود العقاد . ويعالج فيه المزايا الفنية والعبقرية للغة العربية .

* « حركة التجديد في الشعر العربي » آخر كتاب ألفه الناقد الدكتور عبد القادر القط يتحدث فيه عن الحركة التجديدية الاولى في الشعر التي قام بها ابو نواس ثم ابو تمام كما يتحدث عن حركة الشعر الحديث

* سيقام في القاهرة في يناير المقبل مؤتمر ثاني اسلامي عربي .

* سافر الشاعر عادل الغضبان الى الكويت لزيارتها بدعوة من رئيس مجلس الشيوخ وقد حمل معه ثلاث نسخ من كتاب « النبي » لجبران خليل جبران الذي ترجمه الى اللغة الانجليزية وقدم له الدكتور ثروت عكاشة . وهذه النسخ مهداة من الوزير عكاشة الى رئيس جمهورية الكونغو ورئيس مجلس شيوخها ووزير معارفها . وستستغرق مدة رحلة الغضبان شهرين .

* سافر ستة من اساتذة الحقوق بالقاهرة للتدريس باول كلية للحقوق في جامعة ليبيا ، وبذلك تكون جامعة ليبيا قد اكتملت فيما عدا كلية الطب .

* ترجم الدكتورة عقيلة متولي قصة يوسف السباعي « ابي راحلة » الى اللغة الانجليزية .

* اصبحت « شجرة المعرفة » الشعار الرسمي لوزارة الثقافة بالقاهرة . الشعار يمثل شجرة ثمارها « الادب ، والشعر ، والمسرح ، والسينما والبالية ، والموسيقى ، والآثار » .

* قام الاستاذ غالي شكري مؤخرا بترجمة هامة للدراسة التي كتبها الاديب الانجلبزي دزموند اسيوارت لرواية الاديب المصري عبد الرحمن الشرقاوي وعنوانها « الارض » .

* ترجم الدكتور طه حسين مسرحية سوفوكلس « انتيغونا » الى اللغة العربية .

* يجري في القاهرة الآن تنفيذ مشروع يهدف الى ترجمة عدد من المؤلفات اليونانية الى اللغة العربية .

* جاء في صحف القاهرة في 26 يوليو من السنة المقبلة سيعقد مؤتمر عام لعلماء العالم العربي بمناسبة حفلات ذكرى الثورة المصرية . وقد وجهت وزارة الاوقاف في حكومة الجمهورية العربية المتحدة دعوة الى الآف من العلماء ليقوموا بتمثيل بلدانهم في هذا المؤتمر .

* صدرت في القاهرة الكتب الآتية : « الشاعر ابو تمام » لمحمد عطا في سلسلة كتب ثقافية . « الناس معادن » للدكتور ابراهيم عبده « المنظمات الدولية » للدكتور محمد حافظ غانم استاذ القانون الدولي العام « الاتحاد الفرنسي . الجماعة الفرنسية . فرنسا فيما وراء البحار » للدكتور محمد محمد حسنين رئيس النيابة العامة « رسالة الى امراة » ليوسف الشاروني « يوميات آدم وحواء » تاليف مارك توين ترجمة نزيه جبران تصدير محمود تيمور « الالعاب الاولمبية » لمصطفى السهاني في سلسلة اقرأ لدار المعارف « الشخصية الافريقية » لرئيس جمهورية غينيا ترجمة كامل زهيري مسرحية « ضربتنا كتيب العمل والاثارة للدفاع » للسيد مصطفى حرم المفتش الاول لديوان المحاسبة « الاخبار الطوال » لابي حنيفة « الدينوري » تحقيق عبد المنعم عامر وراجعه الدكتور جمال الدين الشيال « ليالي الغربة » مجموعة شعرية لعلي عبد الفتاح عيسى بتقديم الشاعر عبده بدوي « العلم القديم والمدنية الحديثة » تاليف جورج سارتون وترجمة الدكتور عبد الحميد صبره « ميلاد افريقيا » لمحمود الشرقاوي « الجيوبوليتكا » تاليف فيلد ويرسي وترجمة يوسف مجلي ولويس اسكندر « حرية الفكر في الاسلام » للشيخ عبد المتعال الصعيدي « بورصات الاوراق المالية والقطن » لابراهيم محمد ابو العلا استاذ البورصات بالدراسات التكميلية سابقا « انطلاق العمالقة » تاليف م . بانيكار سفير الهند الاسبق بالقاهرة وترجمة العميد محمد عبد الفتاح ابراهيم « جماعة ابو لو واثرها في

❋ بدا العالم يهتم بآثار فيلسوف الهند طاغور . فقد اقامت الحكومة الهندية منحفا لدراسة حياته واثاره لتعرض فيه مختلف لوحاته التي رسمها كما اقامت مسرحا للمحاضرات ملحقا بالمتحف لعرض اعمال طاغور . اما في روسيا فقد اذاعت وكالة طاس ان العلماء الروس والتنسيك والهنود يعملون معا في موسكو على اصدار مؤلف ضخم عن حياة هذا الفيلسوف . وسينشر المؤلف قريبا باللغتين الروسية والانجليزية ، كما يجرى العمل الآن على اعداد وثائق جديدة تتضمن رحلات طاغور وخطبه .

❋ تكتب المستشرق الايراني حسين ايراني كتابا لتدريس اللغة الايرانية في ايران ، واختار بعض انتاج الادباء الكبار لتطبيق تلك الدراسة .

❋ تبدي الصحافة اليونانية اهتماما خاصا بالقضية التى اثارها الاستاذ مالمو من اكسفورد حول التاريخ الحقيقي للحضارة القديمة في جزيرة كريت .

❋ اصدرت ادارة البريد في الاتحاد السوفياتي مجموعة جديدة من طوابع البريد خطط رسومها طلاب المدارس . وقد اخذت التخطيطات شارات مختلفة منها « في حديقة الحيوان » « الصداقة بين الاطفال من مختلف اجناس العالم » . وقد تم اختيار الرسوم في مسابقة نظمتها في العام السابق وزارة المواصلات بالاشتراك مع صحيفة « بيونيوسكايا براغدا » .

❋ صدرت مجموعة اعمال الكتاب الشرقيين وعددها 104 مؤلف ، وتحتوي المجموعة على اشعار شرقية فارسية . وقد نشرت في جورجيا اروع مؤلفات روداكي ، وعمر الخيام ، والسعدي .

❋ توفى في موسكو عن 74 عاما العالم الزراعي ايفان ياكشين العضو الفخري في اكاديمية العلوم الزراعية للاتحاد السوفياتي .

❋ حاز على جائزة لينين ميرزا طورسون زاده شاعر طاجكستان .

❋ بمناسبة مرور 25 سنة على وفاة القاص الروسي مكسيم كوركي سيصدر الاتحاد السوفياتي اول دائرة معارف عالمية يكتبها كبار الفنانين والسياسيين والادباء في العالم .

❋ انشئت اخيرا في همبورج جمعية المانية للموسيقى الشرقية لدعم تبادل القيم الموسيقية الفنية بين شعوب الشرق والغرب . ويتضمن برنامج هذه الجمعية تنظيم حفلات يديرها موسيقيون شرقيون في المانيا وحفلات يديرها موسيقيون المان في بلاد الشرق . وتستغرق هذه الحفلات مقطوعات من الموسيقى الكلاسيكية والموسيقى الشعبية . ومن ناحية اخرى تقوم « جمعية الموسيقى الاسيوية » بانشاء مقر لها في نيويورك برعاية « جمعية آسيا » وسيكون الهدف من نشاطها تعريف شعوب الولايات المتحدة بموسيقى الشعوب الاسيوية .

❋ اصدر معهد العلاقات الاجنبيةفي ستوتوتجارت كتابا بعنوان « اناشيد العالم القومية » الذى يجمع الاناشيد القومية في جميع بلاد العالم والنص الموسيقي لكل نشيد مع لغته الاصلية والترجمة الالمانية له .

❋ انعقد في بون مؤتمر دولي للعلماء النفسانيين اشترك فيه نحو1800عالم من45دولة والقيت فيه400 محاضرة ترجمها ونقلها لاسلكيا 24 ترجمانا الى الالمانية والانجليزية والفرنسية والروسية . وارتكزت ابحاث العلماء الى التسليم بالظاهرات النفسانية وقرائنها لدى الانسان والحيوان .

❋ عقدت الصحيفة الالمانية « دي فيلت » عدة فصول تناولت فيها حياة الدكتور طه حسين .

❋ نظمت جامعة جنيف مؤخرا حلقة دراسية عن المؤسسات الدولية . وتتضمن هذه الحلقة القاء محاضرات وتنظيم زيارات الى المنظمات الدولية التي اتخذت جنيف مقرا لها كهيئة العمل الدولية ومنظمة الصحة الدولية . وقد تقرر القاء المحاضرات باللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية والايطالية وذلك بطريق الترجمة المباشرة .

❋ طلبت السويد من الدكتور القوصي ان يلقى عددا من المحاضرات في علم النفس في استكهولم ، وهو يمثل الجمهورية العربية المتحدة في المركز الرئيسي لليونيسكو في باريس ، وحل محل توفيق الحكيم الذى شغل هذا المنصب لمدة عام قبله .

❋ اصدرت السويد مجموعة طوابع تذكارية بمناسبة الذكرى المائوية لميلاد الشاعر جوستاف خرونج .

* كانت شقيقة جبران خليل جبران اقامت الدعوى في نيويورك على ريع مؤلفات شقيقها الخالد . وكانت النتيجة اعطاء لجنة جبران 47 الف دولار مع ربع مؤلفات جبران تنفق على الاعمال الخيرية .

* تستعد مجله « الحكمة » البيروتيه لاصدار عدد خاص ممتاز عن القصة العربية .

* صدر في بغداد كتاب « سبط بن التعاويذي » ليوسف يعقوب المسكوني .

* يغادر بغداد الى لندن الدكتور داود سلوم لمراجعة بعض المخطوطات التي يقوم بدرسها وتحقيقها .

* غادر بغداد الى اوربا الدكتور يوسف عز الدين للاطلاع على بعض المخطوطات . وسيمر في طريق عودته ببيروت للاشراف على طبع كتاب جديد وضعه عن الشعر في العراق .

* « التضامن » مجلة ادبيه ثقافيه يصدرها نادي التضامن العراقي ببغداد .

* اكتشفت بعثه اميركية من جامعة كولومبيا اخيرا في جنوب العراق ثلاثة هياكل بشرية لا يكاد يطرأ عليها تغيير ، واعلنت المؤسسة الوطنية للعلوم في وشنطون بان احد هذه الهياكل يظهر بانه يرجع الى 45.000 سنة خلت بينما يرجع عهد الاثنين الآخرين الى 60.000 سنه .

* انتهى الاستاذ خليل ابراهيم العطيه مؤخرا من تأليف كتاب عن « المقام العراقي » وسيصدر قريبا وقد اثبت فيه ان المقام العراقي هو اول الغناء العربي، واوضح تاريخه من عهد اسحاق الموصلي حتى العصر الحاضر ، وذكر اسماء البارزين في غناء المقام .

* انتهى الاستاذ كوركيس عواد من وضع عدد من فصول كتابه الجديد « تواريخ البلدان العراقية » ويتناول فيه المدن العراقية المهمة منذ اقدم العصور ولا سيما العصر الاسلامي .

* استأنف المجمع العراقي بحث المصطلحات التربوية .

* شرع الاستاذ زكي جميل بوضع دراسة عن الخدمات الاجتماعية في الاسلام .

* احتفل في العراق بذكرى الشيخ محمد باقر الشبيبي .

* صدرت أول مجلة فنية في الاردن باسم « الفن والسينما » صاحبها محمد سعيد اشكنتنا .

* من اخبار الكويت ان الدكتور صباح محي الدين مؤلف قصة « خمر الشباب » يهيء الآن دراسة طويلة عن الشاعر الاسباني لوركا مع ترجمة من نماذج شعره نقلها رأسا من الاسبانية .

* ترجمت مجموعه قصائد الشيخ احمد عبد الجبار وكيل وزارة الخارجية السعودية الى اللغة الايطالية باشراف معهد الدراسات الشرقية العالية بروما . ويقوم الآن الكونت ماريو باولوشي بنظمها شعرا باللغة الايطالية لاصدارها في كتاب مع دراسه وافيه عن الشاعر .

* « شعراء نجد المعاصرون » كتاب يقع في 400 صفحه من الحجم الكبير للشيخ عبد الله بن ادريس مدير التعليم الفني بوزارة المعارف السعودية سيطبع قريبا في دار المعارف بالكويت .

* فصلت السلطات التركية 138 استاذا ومعيدا عن الجامعات التركية الخمس . وقد احدث هذا القرار قلقا وانزعاجا في اوساط المثقفين الاتراك وادى الى استقالة رئيس جامعة استنبول ، ومدير المدرسة الفنية .

* تلقى الاستاذ عباس محمود العقاد هدية من سيدة كويتية تتضمن مصحفا مطعما بالعاج داخل كيس حريري .

* وقع العثور اخيرا في مدينة بهامبور القريبة من كراتشي على اثار مسجد . وتدل الخطوط الكوفية التي ظهرت انه انشيء سنة 1090 هجرية وطول هذا المسجد 128 قدما وعرضه 122 قدما . وعثر على ثمانيه خطوط كوفية في منطقة المسجد .

سته عشر منحة دراسية لاساتذة الصحافة فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان ، وتونس ، والعراق ، والمغرب ، والبانيا ، والنمسا ، وبلغاريا ، واسبانيا ، والحبشة ، وغانا ، وليبيريا ، وافغنستان، وسيلان ، والهند .

* اصدرت اليونيسكو كتابا بعنوان « دراسات ووثائق تربوية » تتضمن المراجع التربوية الصادرة عن الامم المتحدة والمنظمات الدولية المتخصصة .

* كتب ميشال باردو والمستشرق المعروف فى المجلة الفصلية التي تصدر فى فرنسا بعنوان «المشرق» ان القصة الحديثة فى الادب العربي بلبنان يضطلع بها هؤلاء الكتاب : « سهيل ادريس ، جميل جبر ، حليم بركات ، جورج سامي » .

* صدر بباريس كتاب لفوران راسين بعنوان « الخط الاخير » وهو مجموعة مذكرات مريض يتسم بطابع المرارة

* ستصدر الكاتبة سيمون دى بوفوار خلال فصل الربيع المقبل كتاب « شهرات النساء فى العالم » .

* نعت باريس شاعرها شارل دودينه ، وهو حفيد الكاتب القصصي الفونس دوديه .

* فاز بجائزة نوبل للاداب لهذا العام الشاعر الفرنسي سينت جون بيرس .

* تعد مدينة برشلونة ـ اسبانيا ـ متحفا خاصا يعرض فيه اثار الرسام الاسباني العبقري بابلو بيكاسو .

* اجتمع اخيرا فى جزيرة بالمادى مايوركا ـ اسبانيا ـ فريق من كبار الناشرين فى ست دول وقرروا انشاء جائزتين ادبيتين هامتين . وستمنح الجائزتان ـ وقيمتها عشرة آلاف دولار ـ للمرة الاولى فى اول ماى من السنة المقبلة . وقد اطلق على الجائزة الاولى اسم جائزة فورمنتور ، وتمنح لاحسن قصة لم تنشر من قبل تقدمها احد الناشرين من بعض الدول التي شاركت فى هذا الاجتماع . وسيختار الفائز بجائزة فورمنتور كل عام فى الاسبوع الاخير من ابريل ويمنح مقدما عشرة آلاف دولار من حساب حق التاليف . وتنشر قصته فى العام التالي فى الدول الست التي ينتمي اليها الناشرون . واما الجائزة الثانية وتطلق عليها اسم « جائزة الناشرين الدولية » فستمنح لاحسن قصة نشرت من قبل او لم تنشر ، دون تمييز فى الجنسية او اللغة ، ويمكن ان تقدم القصص من اي ناشر فى اي بلد من بلدان العالم . وسيعهد بالتحكيم الى هيئة دولية .

* اشتركت الجمهورية العربية المتحدةفى مهرجان اغنية البحر الابيض الذى عقد فى برشلونة فى 25 من الشهر الماضي .

* رواية « الاجنحة المكسرة » للمفكر اللبناني جبران خليل جبران قد ترجمت الى اللغة الاسبانية ، وصدرت فى اسبانيا .

* اصدرت مجلة « كراكولا » التي تصدر بمالقة ـ اسبانيا ـ ، عددا خاصا ممتازا فى 140 صفحة بمناسبة الذكرى الثانية لوفاة الشاعر الاسباني المالقي منويل الطولاكرى .

* « المراعي الخضر » مسرحية وضعها مارك كونلي سنة 1930 ، وفازت بجائزة بولتزر . وستجرى تمثيلها هذه السنة فى المهرجان المسرحي بالبندقية .

* تمكن مرصد جامعة كمبردج من اكتشاف سديمة تبعد مسافة 5 الاف مليون سنة ضوئية عن الارض . ولقد اطلق عليها اسم (3 س 295) وهي ابعد سديمة استطاع الفلكيون اكتشافها فى هذا الكون . وتعرض فى المعرض الذى يقام بلندن الآن بمناسبة الاحتفال بمرور 300 سنة على تاسيس جامعة العلوم البريطانية .

* تم فى لندن صنع مسرح كامل من البلاستك او مادة المعجنات القابلة للنفخ . وذلك لكي يكون بالامكان اعداد مسرح جاهز فى مدة قصيرة من الزمن وهو يتسع لخمسمائة نسمة من النظارة . وتتوفر فيه غرف الالبسة والتجميل واعداد الممثلين وتحضيرهم بشكل مريح وسريع .

* ستتوجه فريق بريطاني من عدة اعضاء من الخبراء الى افريقيا القيام بدراسة واسعة النطاق

* ارسلت محطة الاذاعة السويدية مائة جنيه الى توفيق الحكيم مقابل اذاعتها احدى مسرحياته .

* عقد بعض الطلاب الفرنسيون والاجانب حلقة لدراسة آثار « جان راسين » . وقد عقدت في قرية « اوزيس » ، وطن الشاعر ، قرب « نيم » في الجنوب الشرقي من فرنسا . واشتركت فيها اكاديمية راسين .

* في مدينة « بلاك » تبرع ابن الكاتب جان جيرودو بالبيت الذي ولد فيه والده للمدينة. المدينة التي قررت ان تجعل منه متحفا ومكتبة ، كما انها قررت منح جائزة سنوية لاحسن دراسة يكتبها طالب عن هذا الاديب .

* عقدت اليونسكو في مونتريال — كندا — مؤتمرا خاصا بحث موضوع تربية الراشد . اشترك فيه ما يقرب من مائتي مندوب عن الدول اعضاء اليونسكو وعن المنظمات التربوية العالمية الخاصة . وقد الح المؤتمرون على المسألة التالية ، وهي ان التربية لا تنتهي بانتهاء المدرسة ، بل يجب ان تمتد طيلة الحياة . ومما قاله امين سر المؤتمر ما يلي : « ان انسانا أنهى دراسته منذ خمس عشرة سنة وانقطع تماما عن متابعتها ، ثم عاد الى علم ما ، ان مثل هذا الانسان ليجد ان ما يعلمه قد اصبح واهيا لكل قيمة »

* سيقام في البيت الذي يعتقد ان فيه ولد « دانتي » متحف يضم جميع آثار الشاعر الايطالي .

* عقدت الهيئة الدولية لشؤون الصحافة والانباء مؤتمرها لهذا العام في استكهولم . وكان مخصصا لتاريخ الصحافة . واشترك فيه مندوبون عن الشرق والغرب .

* تعاقد احد المخرجين الامريكيين مع فرانسوا ساكان على اخراج روايتها « قصر في السويد » على مسرح من مسارح « برودواي » خلال موسم الشتاء .

* اصدرت اليونسكو الجزء الحادي عشر من سلسلة « معرفة الفن العالمي » ويحتوي هذا الجزء على 32 لوحة يابانية وضعت بين القرن السادس والقرن الثاني عشر ، قدمها الاستاذ « سرج الزيف »

* نظمت الجمعية الدولية لعلم الاجتماع برعاية منظمة اليونيسكو حلقة دراسية في دار اليونيسكو تناولت خلالها موضوع « بطل الفيلم وفكرة النجاح في الحياة كعاملين للاكتشاف عن القيم الاجتماعية » وقد اشترك في الحلقة مجموعة من علماء الاجتماع في اوربا والهند برئاسة جورج فريدمان وادجار مورين . وقد وضع هؤلاء استفتاء يمكن تطبيقه في كل بلد لمعرفة المعنى الاجتماعي لرسالة الفيلم السينمائي .

* منذ عشرة اعوام اقر مؤتمر اليونسكو العام في اجتماعه بفلورانسا اتفاقية خاصة باستيراد ادوات الثقافة والتربية والعلم . واليوم في 32 دولة تطبق هذه الاتفاقية التي تكفل حرية استيراد الكتب والصحف والمجلات والاعمال الفنية والكثير من الادوات ذات الطابع التربوي او العلمي او الثقافي . كما تعفي الاتفاقية من ضرائب الجمارك الصحف السينمائية والافلام الثقافية والتسجيلات الموسيقية والادوات المخصصة للمكفوفين وغيرها من اجهزة تستوردها هيئات علمية معترف بها . وقد اعلن نائب مدير اليونسكو بمناسبة هذا الاحتفال بمرور عشرة اعوام على اقرار هذه الاتفاقية ان هنالك اليوم حوالي مليار فرد في جميع انحاء العالم يتمتعون بمزايا هذه الاتفاقية الدولية . كما قال ان الرسوم الجمركية التي تقدر بملايين الدولارات انما تضحي بها الدول في سبيل اراداتها في تنمية روح التضامن العقلي بين الشعوب عن طريق وسائل التربية والعلم والثقافة .

* « امراة ، وبطل ، وشرير » هذا عنوان كتاب اصدرته دار النشر الجامعية بفرنسا ضمن مجموعة اليونسكو عن التراث العالمي . والكتاب يضم قصيدة شعبية تتناول احداثا جرت في مطلع القرن السادس عشر وتناقلتها الاجيال حتى جمعها الملك راما الثاني في اوائل القرن التاسع عشر ، ووضعها الشاعر سنتوب في صيغتها الشعرية الحالية . وتعتبر هذه القصيدة من اشهر القصص الشعبية في سيام . وقد قامت بترجمتها الى اللغة الفرنسية السيدة سمونروانج الاستاذة بجامعة سولانجكورن في بانكوك ، والعضو في سكرتيرية منظمة اليونسكو .

* خلال هذا الشهر نظم المركز الدولي للتعليم العالي للصحافة في ستراسبورج حلقته الدراسية السنوية الرابعة التي دعا اليها اساتذة الصحافة من جميع البلدان . وقد قدمت اليونيسكو

فهرس العدد الثاني ـ السنة الرابعة

لمشكلة الصمم فى عدة بلدان افريقية . وسيصرف هؤلاء الاخصائيون ستة أشهر يدرسون خلالها هذه المعضلة الاجتماعية فى 8 مناطق .

* « على ابواب الموت » قصة جديده لعارف تامر صدرت اخيرا مترجمه الى الانجلبزية فى لندن.

* اشترك كاتبان هما روبرت كراف وايغور سترافنسكي بوضع كتاب جديد بعنوان « ذكريات وتعليقات » .

* ظهر فى بريطانيا كتاب عن حياه ونستون تشرشل السياسي الشيخ .

* اصدرت مصلحه البريد الاميركية طابعين تذكاريين تكريما للمثل الفنلندي جوستاف منير هيم من سلسلة اعلام الحرية . ويحمل الطابع صوره الممثل المذكور وتاريخ ميلاده ووفاته .

* حقق العلماء الامريكيون حدثا علميا عظيما عندما حصلوا على صورة فوتغرافية تبين تكوين البقع الشمسيه وهي تلك الزوابع من الغازات الساخنة التي تهب على صفحة الشمس ، وتعرقل الاتصالات اللاسلكية على الارض . وتظهر الصورة التي التقطت بواسطة « كامبرا » خاصة بعيدة المدى عن ارتفاع 15 ميلا داخل منطاد لم تكن فى داخله بشر .

* افتتح فى غاري بولايه انديانا مركز اسلامي ومسجد فى الولايات المتحدة . افتتحه سام حمود رئيس الجمهورية العربية الاميركيه . واطلق على المسجد اسم « مسجد المؤمنين » وبني باموال جمعت نتيجة حمله تبرعات ساهم فيها المسلمون والمسيحيون فى المدينة .

* تباع فى اميركا اسطوانات شعرية تنقل الى المستمع مختارات شعرية للشاعر عمر الخيام .

* عقد فى منتصف اكتوبر الماضي بنيويورك المؤتمر الثالث للتاريخ الامريكي ، بحث موضوع « استقلال العالم الجديد » ومن بين الدول التي شاركت فيه : اسبانيا ، فرنسا ، الارغواي ، براكواي، شيلي .

* ستحتفل مدينة بمبرغ فى اميركا . وهي مدينة الفولاذ باليوبيل المائوي الثاني لتأسيسها . وبهذه المناسبة وضع الموسيقار الكبير بول هندمث اوبرا غنائية .

* احيت جامعة بابل بمناسبه مرور 150 سنة على مولد ادغار الن بو حفلة تذكارية عرضت فيها مخطوطات لاشهر قصائده المسماه « الغراب » . وقد ظهرت فى المعرض صورة غراب محنط كان من قبل فى حيازة تشارلز دكنز ، وهو الذى اوحى لبو قصيدته الخالدة .

* اعلنت صحيفة (الاسيون) التي تصدر فى بوينوس ايرس عن جائزه قدرها 70.000 بيزوس ما يعادل 1.200 دولار لمن يقدم باحسن مجموعة قصص صغيره مكتوبة باللغة الاسبانيه لاى مؤلف من اي بلد فى العالم . ويشترط الا تكون القصص قد نشرت من قبل ، والا تزيد كل قصة عن 5.000 كلمة . وان تشمل المجموعه من خمس الى عشر قصص . وقد حددت الصحيفة 31 يوليو من سنة 1961 كآخر موعد للاشتراك فى المسابقة . وستعلن النتيجه فى 15 اكتوبر من نفس السنة .

* منحت جائزه نوبل للكيميا هذا العام الى الاستاذ ويلار ليبي من جامعة كاليفورنيا بلوس انجليس . وقد منحت الجائزه لهذا العالم مكافأة له على الطريقة التي وضعها فى تحديد عمر الاشياء الجامده عن طريق استعمال الكربون 19 . وتبلغ قيمتها 2187000 درهم .

* نعت الارغواي شاعرها الريكي اموريم صاحب « النصر لا يأتي ابدا وحده » .

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى



العدد الثالث . السنة الرابعة
رجب 1380 دجنبر 1960
ثمن العدد درهم واحد

الصفحـــــــه

الجزائر فى طريق الاستقلال

ديـوان دعـوة الحـق

قصـــة العـــــدد

قـــرات العـــدد المـــاضـــي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

الثقافة والمثل الأعلى

يعيش المغرب في الوقت الحاضر مرحلة ثقافية ضحلة ليس فيها انتاج فكري او ثقافي رفيع يمكن لنا ان نفاخر به ، ولا مجال هنا الى تعداد العوامل التي يعدها بعض الناس مسئولة عن هذا التوقف الفكري الذي نعانيه ، ربما كان صحيحا ان الوظيفة تستأثر بالنخبة المثقفة من شعبنا وتستبد بكل وقتها ولا تترك لها مجالا تحقق فيه اثارا جيدة جديرة بالخلود ، وربما كان صحيحا ان الجمهور المغربي المثقف ذاته لا يقبل على القراءة ولا يشجع بالتالي المفكرين الذين تراودهم الرغبة في الانتاج ويئسون من انفسهم القدرة عليه ، قد يكون هذا كله صحيحا لولا اننا نريد ان نتجاوزه الى القاء ضوء على الواقع الحقيقي الذي يعيش عليه الفكر المغربي هذا الواقع الذي يعطل في رأينا كل خلق وابداع اذا لم نبادر باصلاحه والوقوف على العناصر الضرورية الحيوية التي تنقصه.

لقد انسحب الاستعمار من المغرب تاركا وراءه اتجاهين او طرازين من التفكير ، الطراز الاول تمثله طائفة من الناس ترى ان تراثنا الاسلامي العربي يغنينا عن اي اقتباس من الغرب وتعتقد ان ذاتية الامة العربية ينبوع ثر يمكن للمرء ان يستقي منه ما يشاء دون اللجوء الى عون خارجي ودون الارتماء في احضان اية ثقافة او مدنية اخرى ، اما الطراز الثاني فتمثله طائفة تذهب هي الاخرى مذهبا قصيا اذ يتراءى لها انه ليس بالامكان ان نحيا الحياة

العدد الثالث
السنة الرابعة
رجب 1380
دجنبر 1960

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة عموم الأوقاف

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

صورة الغلاف



موكب صاحب الجلالة والرئيس جمال عبد الناصر يجتاز احد شوارع الدار البيضاء فى حماس منقطع النظير

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 1.000 فرنك ، والشرفي 2.000 فرنك فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا فى حواله بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنيه والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 308.10 - الرباط

وهذا المثل هو الذي جعل العربي يحرص اكثر من غيره على القيم الخلقية السامية القيم التي لا تشوبها مصلحة ولا بداخلها نفع ، القيم التي تتجاوز الثروه والجاه وتتجاوز حتى المعرفه (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

ومن هذا المثل الاعلى ايضا كان اعتقاد العرب انهم خير امة اخرجت للناس ، واختارها الله لا لينقل بها ارادته الى هذا العالم ، بل ليحقق بها هذه الارادة ، فنصرة الضعيف ، وحماية المظلوم ، وعدم التميز بين الناس ، في العرق والدين واللغه كلها مبادىء كانت تلهب حماس الانسان العربي وتدفعه الى القيام باروع البطولات لانها كانت تتجاوب مع مثله الاعلى الذي علق عليه كل وجوده ووقف حياته كلها لتحقيقه .

ليس معنى كلامنا هذا ان الامه العربيه ليست في حاجة الى الاقتباس ، ان الامة العربية خلال تاريخها الطويل لم تنكمش على نفسها ؛ بل ان عبقريتها تجلت في تمثلها لحضارات مختلفة نتج عنها تركيب نوعي جديد يختلف عن العناصر التي كونته واسهمت فيه ، وذلك لسبب بسيط هو ان الحضارة العربية كانت دوما نسيجا متجددا ينمو حول نواة ثابته خالدة هي المثل الاعلى الذي حدد نظرة العرب الى الوجود .

ان الاتصال والاقتباس ليسا سوى تجاوب حي مع المرحله التاريخية الحاضره وليسا سوى تفاعل ضروري مع التجارب الانسانية ، والامة التي تريد ان تعطي لابد ان تأخذ .

دعوض الحوق

الحقة ولا ان نبدع الابداع الصحيح الا بالسير في ركاب الحضارة الغربية وطرح هذه التقاليد والافكار والعادات التي ورثناها عن تراث لم نعد له سوى قيمة تاريخية محض .

ان وراء الموقف الاول وان كان يبدو فيه تصلب وجمود رغبة صادقة في المحافظة على كياننا ومميزات شخصيتنا ، وان وراء الموقف الثاني وان كانت تبدو عليه مسحة من اليأس والانهيار ميلا الى الاخذ بالاساليب الحديثة في الخلق والابداع.

بيد ان الذي تجدر الاشارة اليه — ما دمنا في بداية الطريق وما دمنا لم نتجاوز مرحلة التفكير الصامت الى مرحلة العمل الجاد — هو ان نذكر جمهور المثقفين في بلادنا بعنصر هام لابد منه ليس فقط لبناء نهضة سليمة بل ولكي نستلهم منه القوة والحماس على البناء ونستمد منه صور الابداع ومعاني الخلق ، انه المثل الاعلى الذي نرمقه ونتطلع اليه . لقد كان الاستعمار الذي منيت به الامة العربية بمختلف الوانه يركز اهتمامه ويوجه كل فعاليته للقضاء على الشخصية الفذة التي تتميز بها هذه الامة ، فلقد ادرك منذ الوهلة الاولى التي بدا يتغلغل فيها في بلادنا ان لهذا الشعب تراثا وحضارة وقيما خالدة ومثلا عليا ، لذلك بيت الخطة واعد العدة لتجريد هذه الامة من شخصيتها واقامة سد منيع بينها وبين تاريخها الحافل بالامجاد والذكريات ، على هذا الاساس كان الاستعمار يرسم برامج التعليم ، وعلى هذا الاساس كانت تحارب اللغة العربية ، وعلى هذا الاساس حيل بيننا وبين الاتصال باخواننا العرب . ولكن هل كان للاستعمار ما اراد ؟ ان الشخصية التي اراد الاستعمار تحطيمها هي الشخصية ذاتها التي حطمت الاستعمار . ومع ذلك فلسنا مكابرين حتى نزعم باننا خرجنا من هذه المعركة سالمين كل السلامة فما زلنا نعاني من آثار المعركة ما نعاني، وما زلنا نرفع عن شخصيتنا ما تراكم عليها من انقاض، ونعتقد ان عمل المخلصين الذين يريدون ازدهارا لهذه الامة في مختلف الميادين ينبغي ان ينحصر في تنقية الشخصية العربية من رواسب الاستعمار والتخلف وربط هذه الشخصية بالمثل الاعلى الذي علقنا عليها وجودنا في الحياة منذ ان كان لنا وجود ، المثل الاعلى الذي ظل خلال حقب التاريخ المديدة يجول في ضمير امتنا وامانها ، ويفجر امكانياتها في الخلق والابداع .

لن نبدع شيئا جديدا اذا قلنا ان مثلنا الاعلى كامن كله في الرسالة الخالدة التي حملها العرب . رسالة الاسلام ، وما رسالة الاسلام سوى هذه الآية الكريمة التي يتفتق مضمونها عن اروع مثل اعلى (اني جاعل في الارض خليفة) فكان الانسان العربي والمسلم بوجه عام ما وجد الا ليحقق صورة الله على الارض ، ان هذا الكمال المرموق هو الذي ظل ينفخ في العرب روح الحرية ، روح الاعتزاز بالحرية والاصرار على التشبث بها ، بل ان هذه الروح هي التي تلقي ضوءا على ضروب الشجاعة والبطولة التي عرف بها العرب وتعطي معنى للكفاح الطويل المرير الذي خاضته الامة العربية ضد الاستعمار من اجل التحرر والانعتاق .

الاستعمار يتزيا بزي جديد في الكونغو

لقد استعاد شعب الكونغو استقلاله يوم فاتح يوليوز الماضي بفضل كفاحه ومؤازرة الشعوب الافريقية له، ووقوفها الى جانبه في نضاله؛ ويوم التحق بركب الدول المتحررة، غمرت الفرحة قلوب جميع الافارقة، وقويت آمالهم بتحرر الاقطار التي ما تزال مستعمرة بقارتهم؛ ولكن لم تكد تمر أيام قلائل على هذا الحادث حتى لاحت في الافق بوادر سيئة، فقد وجدت حكومة الكونغو نفسها أمام مشاكل ومصاعب متنوعة متعددة، ناتجة عن الفراغ الذي تعمد الاستعمار خلفه في كل ميدان، كما وجدت نفسها أمام مكايد ومؤامرات تهدد كيان الكونغو نفسه، وتشكل خطرا على استقلاله الوليد، لان الاستعمار التقليدى المبني على الحكم المباشر والسيطرة الكاملة — وقد عرفناه جميعا — أبى، بعد هزيمته، أن يسلم بها ويعترف بالامر الواقع، واصر على ان يجعل من الكونغو حقلا تجريبيا لاستعمار جديد شر منه، فعمد الى وسيلة ماكرة لفرض نفسه وتوطيد اركانه مرة أخرى، بتجزئه البلاد واضعاف سكانها، وخلق حركات انفصالية فيها وتشجيعها، واقامة حكومة صنيعة تعبد الاستعماريين، وتمكنهم من مقاليد الامور، وتمنحهم من الامتيازات الاقتصادية والعسكرية والسياسية تحت ستار الحرية والاستقلال أكثر مما كانوا يتمتعون به من قبل باسم الغزو والاستعمار.

ولقد كانت استغاثة حكومة الكونغو بمنظمة الامم المتحدة يوم سابع يوليوز خطة قويمة، وسياسة رشيدة، استحسناها لاعتقادنا ان تلك المنظمة هي الهيئة الجديرة بحل مشاكل من النوع القائم بين الكونغو ومستعمريه السابقين، واملنا ان يكون حلها لها سابقة حسنة، وتجربة مشجعة يستفاد منها في حل ما بقي من نظم الاستعمار، وتطلعنا الى أن تقوم الامم المتحدة في تحرير ما بقي مستعمرا من افريقيا بدور قيادي في مستوى الآمال التي تعلقها البشرية عليها، وتطبق رسالتها السامية التي هي حبل النجاة في عالم كثير الاضطراب.

مبادرتنا الى نجدة الكونغو

ولما وصلتنا دعوة رئيس الحكومة الكونغولية السيد لومومبا، ثم رسالة الامين العام لمنظمة الامم المتحدة، للمساهمة في تنفيذ مقررات مجلس الامن الخاصة بالكونغو، لم يتردد واحد منا في تلبيتها، وفاء بالتزاماتنا نحو المنظمة، وقياما بواجب التضامن الافريقي، وسعيا في خنق الاستعمار المقنع في المهد، حتى لا تنتقل الى اقطارنا المحررة عدواه، وتصيبنا بلواه، وحرصا على ان لا تكون قارتنا بضاعة للمساومة، وميدانا تصطرع فيه النزعات، وتتصادم التيارات.

وكانت المهمة التي قبلنا القيام بها، وفهمنا أننا نرسل جنودنا ورجالنا الاداريين والفنيين من اجلها، تنحصر في دعم استقلال الكونغو وصيانة وحدته الترابية، ومساعدة حكومته الشرعية على تذليل المصاعب الطبيعية التي تواجهها وتواجه كل امة في فجر استقلالها الباكر، والمشاكل التي أثارها الاستعمار وخلفها عمدا.

ولقد كانت قضية الكونغو من جملة الفرص التي سنحت لمنظمة الامم المتحدة لتخليص العالم بكيفية سلمية ناجعة من شر الاستعماريين السافر القديم، والمقنع الجديد، وانقاذه من ويلات الاستغلال البشري ونحن الذين نؤمن برسالة الامم المتحدة وصلاح المساعدة الدولية، ونريد القضاء على الاستعمار في مختلف اشكاله، وتخفيف حدة التوتر بواسطة المنظمة العالمية، وضعنا انفسنا رهن اشارتها تلقائيا وبدون تحفظ، لاننا من ذوي النيات الحسنة، همنا الوحيد محو الاستعمار والعنصرية ورواسبها، ومؤازرة الامم المتحدة على تبليغ رسالتها وتحقيق عالميتها، وان ينشر عن طريقها بين البشر عدالة وديمقراطية عالمية تجعل الشعوب كلها متساوية متضامنة، يعين غنيها فقيرها، وياخذ متقدمها بيد متخلفها، وان لا تتكتل الدول الا للسلم والخير والتعاون النزيه؛ وهذا مذهب تشاطرنا فيه جميع الدول المستضعفة الموجودة في مثل مستوانا الاقتصادى والاجتماعى، والتي تكون الكثرة الكاثرة من سكان المعمور.

وعندما وصلت النجدات العسكرية والبعثات الفنية والادارية الى الكونغو تحت راية الامم المتحدة، وجدت حكومة شرعية قائمة، ومؤسسات تمثيلية تباشر عملها، وشعبا مصمما عزمه على استكمال تحرير سيادته، ومصاحبة ركب التحرر الافريقي الزاحف الى الامام، كما وجدت الخلاف منحصرا بين شعب الكونغو والاستعمار. وكان المظنون ان الدول التي ظلت مسيطرة على افريقيا ازمنة طويلة فهمت الوضعية الجديدة في العالم، وان عهود الاستعمار

خطاب حضرة صاحب الجلالة

بمناسبة افتتاح مؤتمر القمة بالدار البيضاء

منذ أن ابتليت قارتنا الافريقية بالاستعمار ، وهي تعاني من ويلاته الامرين ، فهو اما يسومها سوء العذاب بالفتك بأبنائها ، وحرمانهم من ابسط الحقوق الانسانية ، والحيلولة بينهم وبين الاندراج في معارج الرقي والتقدم ، الى جانب استحواذه على ما تزخر به قارتهم من كنوز وثروات ، أو يدس لها ويكيد ، ويمشي بين طبقاتها بالوقيعة ، مؤلبا هذا الجانب على ذاك ، ومحرضا فريقا على آخر ، سعيا منه في تمزيق شمل الوحدة وتفكيك عرى التضامن ، وهو في كل الاحوال يسلك نحو الجميع سياسة عنصرية مقيتة ، جاعلا من بلادنا ميدانا لتجربة أسلحته الجهنمية الفتاكة .

وقد سنحت الفرصة لكثير من الاقطار الافريقية فتحررت بفضل كفاحها من اغلالها ، واندفعت في حزم وايمان تصلح حالها ، وتبني مستقبلها ، وترأب ما انصدع من وحدتها ، لكن عز على الاستعمار ان يراها منهمكة في اعمال التشييد والبناء ، فجنح من جديد الى عرقلة جهودها ، وبث الاشواك في طريقها ، مستترا تارة وكاشفا عن وجهه طورا .

ولما لم يرعو الاستعمار عن غيه ، بل تمادى في مكره وصلفه في غلو وعناد ، كان لابد من اتخاذ انجع الوسائل لايقافه عند حده ، واحباط خططه ، وفضح مؤامراته ودسائسه ، ولهذا ارتأى جلالة الملك أعزه الله ـ وهو الموفق السديد الراي ـ ان يدعو زمرة من اخوانه رؤساء الدول الافريقية المتحررة الناهضة لعقد اجتماع في مستوى عال ، تبحث فيه الوسائل العملية الكفيلة بأن تدرأ عن قارتنا الافريقية أخطار الاستعمار في شكليه القديم والجديد ، وتعزز جانب الوحدة الافريقية ، وتزيد اواصر التضامن الافريقي قوة ومتانة واحكاما .

وقد استجاب الاقطاب الافارقة لهذه الدعوة الملكية الكريمة ، فانعقد مؤتمر القمة بمدينة الدار البيضاء من يوم الاربعاء 16 رجب 1380 الى يوم السبت 19 منه (4 ـ 7 يناير 1961) وافتتح جلالة الملك جلسات المؤتمر بالخطاب التالي :

أصحاب الفخامة

اصحاب المعالي

حضرات السادة

سرنا أن نرحب بكم في مملكتنا ، ونعبر لكم عما نشعر به نحن وشعبنا وحكومتنا من فرح وارتياح بوجودكم بين ظهرانينا ، وما نعلقه من آمال على هذا الاجتماع الذي تتطلع جميع الشعوب المحبة للحرية والسلام الى أن يسفر عن نتائج ايجابية لصالح التحرر الافريقي والسلم العالمي .

لقد كان بودنا أن يكون نطاق هذا المؤتمر أوسع ، فتشترك فيه جميع الدول الافريقية ، لان معركة افريقيا واحدة ، ومصيرها واحد ، ومطامح شعوبها وأهدافها مطامح واهداف مشتركة بينها جميعا . ولكن خطورة الحالة الراهنة في الكونغو ، وما تكتسبه مجابهتها من صفة استعجالية ، جعلت الحضور فيه قاصرا علينا نحن الذين كنا في طليعة الدول التي قبلت تحمل مسؤوليات مباشرة عظيمة في ذلك القطر ، وظهر من خلال نشاطنا الدبلوماسي داخل منظمة الامم وخارجها ما بيننا من انسجام في السياسة ، ووحدة في الراي ، وتجانس في الموقف ، وتحرر من التبعيات ، واننا نستهدف أهدافا افريقية محضة ، ونعمل لتحرير قارتنا من مختلف أشكال النفوذ الاجنبي تحريرا حقيقيا .

ضرورة تحديد سياسة افريقية مشتركة

هذا ولكي لا نقف مكتوفي الايدي ازاء الحوادث الجارية ، ولكي نحول دون امتداد عدوى الاستعمار الجديد الى اقطارنا المستقلة ، كان من الضروري ان نلبي الرغبة التي طالما خامرتنا جميعا للاجتماع قصد دراسة الحالة الراهنة فى الكونغو ، وتحديد سياسة افريقية مشتركة لمعالجتها، والسعي لحمل منظمة الامم المتحدة على القيام بالمهمة التي التزمت بها بناء على طلب حكومة الكونغو الشرعية ، ومبادلة الراي لوضع اسس سياسية تحرر افريقيا وتشييد وحدتها وتامين مستقبلها .

ففيما يخص الكونغو نرى انه ينبغي خلق اجواء سليمة لوضع حد لازمته ، بما يتلاءم ومصالح الشعب الكونغولي والقارة الافريقية والمجموعة الدولية ، وذلك طبقا لمقررات مجلس الامن والجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة .

وفى هذا الصدد ، نريد ان نتدارس خلال مؤتمرنا هذا المقترحات التي من شأن تطبيقها بكامل الحزم والاخلاص ان يعين على اعادة الاستقرار الى البلاد الكونغولية ويرد اليها نظامها وامنها ووحدتها . ومن جملتها على الخصوص الرجوع بالكونغو الى الوضع الشرعي الدستوري الذى كان عليه ، واعادة جميع المؤسسات الدستورية التمثيلية الى نشاطها الطبيعي اعادة تمكن البرلمان من استرجاع مهامه ، والحكومة الشرعية من ممارسة سلطتها من جديد ، واطلاق سراح كافة المعتقلين السياسيين وخصوصا اعضاء البرلمان الذين يتمتعون بالحصانة ، وعلى راسهم السيد لومومبا رئيس الحكومة .

وبالاضافة الى ذلك ، نقترح تجريد سائر العصابات المسلحة التي تهدد الامن العام فى البلاد . ولضمان نجاح هذه التدابير ، وتمكينا للامم المتحدة من القيام بواجبها فى الكونغو ، ينبغي ان تكف جميع الدول عن امداد العصابات وسائر الانفصاليين بأية مساعدة كيفما كان نوعها ، وذلك محافظة على وحدة التراب الوطني للكونغو ، وسعيا لضمان النظام والامن فيه .

ومن جهة اخرى يظهر ان من المتعين التعجيل باجلاء جميع القوات البلجيكية المرابطة فى مختلف انحاء البلاد الكونغولية اجلاء كاملا يتناول بادىء ذي بدء القواعد العسكرية هناك ، طبقا لمقررات هيئة الامم المتحدة ، كما يتأكد تجريد جميع المدنيين البلجيكيين من الاسلحة التي يتوفرون عليها ؛ والى جانب هذا كله ، يجب التنديد بكل حركة انفصالية ، ووضع حد لكل عمل يقوم على اساس احترام الوحدة الترابية للكونغو . واذا ما تحققت هذه الاهداف ، فمن الضروري ءانئذ العمل على تيسير اسباب التعاون المثمر بين السلطة الشرعية الكونغولية وبين ممثلي المنظمة الاممية فى الكونغو ، سواء منهم المدنيون والعسكريون ، اذ ذلكم التعاون هو الكفيل بطي المراحل نحو تحقيق ما ينشده كل منا لهذه البلاد من استقرار وامن ورفاهية وازدهار .

نقترح لمعالجة الحالة بالكونغو :

ولتجسيم هذا التعاون المنشود ، نقترح ان تكون ضمن ما نتدارسة فى اجتماعنا هذا **انشاء لجنة قارة فى الكونغو ، معينة من طرف الجمعية العامة للامم المتحدة ، تستمد سلطاتها من هذه الجمعية وتكون مؤلفة من الدول الممثلة فى اللجنة الاستشارية المكونة بجانب الامين العام** قصد ابداء الراي فى المشاكل الكونغولية ، والادلاء بما يلائمها من حلول .

كما نقترح من جهة اخرى سعيا وراء تصفية الجو الداخلي للكونغو من كل ما يعكره من تطاحن ونزعات ، التداول حول فكرة**توجيه نداء عام لجميع الزعماء الكونغوليين لعقد مؤتمر وطني للتوفيق ، بمحضر اللجنة الاممية الآنفة الذكر** ، بهدف الى ايجاد تقارب بين وجهات نظرهم ، وقطع دابر كل نزاع يفرق كلمتهم . ومن الواجب ان تتحقق أثناء انعقاد هذا المؤتمر هدنة سياسية تساعد على المضي فى طريق اصلاح ما فسد ، ورأب ما انصدع . ولا ينبغي ان يعزب عن اذهاننا ما يواجه الكونغو من مشاكل مختلفة يجب ان يتغلب عليها ، ولذلك نناشد الامم المتحدة ان تنوي من مساعدتها اياه لانقاذه من الحالة المؤسية التي هوى اليها ، واغاثته حتى يتمكن من تلافي الخصاص الذي يحسه من الناحية المادية والفنية .

ونرى من واجبنا ان ندعو الدول الافريقية على الخصوص لبذل الحظ الوافر من هذه المساعدة ، ولتتقدم الى الشعب الكونغولي الشقيق قبل غيرها

ومخلفاته ادبرت الى غير رجعة ، لتدع المجال فسيحا للتساوي والتراضي والتعاون في الميادين البناءة ، واقامة العلائق على اساس الاخوة والمودة والاحترام المتبادل ؛ ولكن الاحداث توالت بسرعة مدهشة وتطورت من سيء الى اسوا ، وظهر استعمار جديد بأساليب جديدة واشكال متنوعة ، وتبين ان سلفه لم يسامح في السيطرة الادارية والسياسية السافرة ، الا للمحافظة على الامتيازات الاقتصادية ، والاستحواذ على المواد الستراتيجية، والابقاء على القواعد العسكرية وتكثير عدد التوابع التافهة الدائرة في فلكه . وبالطبع وقفت الدول الاستعمارية صفا متراصا ترعى الوليد الجديد ، فكان الذي شاهده العالم بحسرة ومرارة من تمزيق وحدة الكونغو ، واقامة حكومة صنيعة في اجزاء منه ، وتشجيع حركات الانفصال والعصيان على سلطته الشرعية ، وتعطيل المؤسسات التمثيلية والحياة الدستورية ، واقصاء الحكومة الوطنية المتمتعة بثقة البرلمان وتاييد الشعب ، واعتقال رئيسها الوطني السيد لومومبا ، ومعاملته معاملة مزرية ، وتأجج نار الحروب الاهلية بالبلاد ، وتعرض سكانها لمجاعة فتاكة، اخذت تنشب فيهم بالفعل مخالبها وتفرز برائنها .

اخلال الامم المتحدة بواجبها

ولقد كان من المنتظر ان تقوم منظمة الامم المتحدة برد فعل شديد ازاء التآمر السافر على شعب الكونغو واستقلاله ، لانها هي الحكم في النزاع بواسطة السلطة التي وكلت اليها مهمة تنفيذ مقرراتها ، ولانها هي التي تملك في عين المكان الوسائل المادية التي لا يجرؤ الاستعمار الجديد على الاصطدام بها ، ولانها هي الهيأة التي استغاثت بها حكومة الكونغو ، ووضع شعبه فيها كامل الثقة ، وعلق عليها كل آماله ، وفتح ذراعه لرجالها المدنيين والعسكريين مرحبا مستبشرا ، كما رحب ويستبشر الغريق بوصول زورق الانقاذ ؛ ولكن منظمة الامم المتحدة لم تقم – ويا للاسف – بمواجهة الحالة بالوسائل المطابقة لالتزاماتها ، ولم تنفذ حتى القرارات التي اتخذتها ؛ وهكذا راينا حكومة الكونغو الشرعية تمنع من حقها في الاتصال بالخارج ومخاطبة الراي العام في بلادها ، في الوقت الذي كانت اصوات الاستعماريين معبأة للدعاية ضدها ، وطياراتهم تتدفق بالمال والسلاح والمسيرين على المطارات الخاضعة لسيطرة الانفصاليين على مرأى ومسمع من ممثلي الامم المتحدة دون ان يحركوا ساكنا .

فبسبب هذه المواقف التي شجعت الاستعماريين على الاستمرار في تصرفاتهم ، تمكن الاستعمار من العودة الى الكونغو والقبض على أزمة اموره من جديد. وحادت الامم المتحدة عن الخطة التي حددت لها ووكل اليها تنفيذها ، فأصبحت بذلك متعرضة لامتحان شديد من شانه ان يضعضع كيانها ويفقدها نفوذها ، ويقضي على الثقة الموضوعة فيها .

نداء الى رؤساء الدول

واننا بهذه المناسبة ، نهيب بالضمير العالمي ، ونلفت انظار رؤساء الدول والقابضين على ازمة السياسة العالمية بالخصوص ، لينظروا نظرة جديدة في المأزق الحرج الذي توجد فيه المنظمة الآن بسبب ذلك الانحراف ، ونذكرهم بما آلت اليه جمعية الامم السابقة ، عندما عجزت سنة 1936 عن ايقاف العدوان على الحبشة وسلمت بالامر الواقع ، ونحن اذ نوجه هذا النداء ، انما يدفعنا اعتقادنا بضرورة بقاء منظمة الامم المتحدة لخير البشرية ، وتشبثنا بمبادئها السامية واهدافها النبيلة ، ورغبتنا في ان تستمر منبرا تتبادل الدول فوقه الرأي واداة لتقارب الشعوب وتعاونها والدفاع عن الحق والعدل ومقاومة الطغيان والعدوان ، اذ في عجزها عن القيام بواجباتها ، واخفاقها في اداء مهامها ، خطر كبير على العالم . وقد اخذت اشباح ذلك الخطر تتراءى وتبرز بوضوح ، بعدما انتهت مداولات الجمعية العامة ومجلس الامن دون اتخاذ أي قرار ايجابي ، رغم استفحال الحالة في الكونغو وازديادها تأزما . وانه ليخشى ان يجتمع غدا لاعادة النظر في الموضوع ولكن بعد فوات الاوان .

الاسباب التي دعتنا لسحب قواتنا من الكونغو

فازاء هذه الحالة التي تتجسم خطورتها في تمزيق وحدة الكونغو وتعطيل حياته الدستورية ومؤسساته التمثيلية ، واقصاء حكومته الشرعية واعتقال رئيسها ، وانقاد نيران الحرب الاهلية فيه ، وتعرض سكانه لاخطار المجاعة ، قررنا يوم 12 دجنبر سحب القوات المغربية العاملة هناك تحت راية الامم المتحدة ، حتى لا نكون مشاركين في سلوك سياسة مضرة بشعب الكونغو ، منافية لمصلحة التحرير الافريقي ، مخالفة لمقررات منظمة الامم المتحدة ، مصادمة لضميرنا ومثلنا العليا .

افظـــع مظاهـــر الاستعمـــار في القـــارة الافريقيـــة : الميـــز العنصـــري

ان القارة الافريقية هي الجزء الوحيد في العالم الذي ما زال مسرحا للميز العنصري كمذهب ونظام . ذلك الميز الذي هو افظع مظاهـــر الاستعمـــار وامقت بقية من بقاياه . واذا كان الاستغلال البشري في حـد ذاته جريمة لا تغتفر ، فان اشنع من تلك الجريمـــة واقبح ، ان ينكر على الانسان انسانيته . ويعامـــل معاملة مزرية من اجل لونـــه او عقيدتـــه او لغتـــه . وستبقى البشرية في الحضيض الاسفل من التاخـــر والانحطاط ، ما دامت فيها طائفة تحمل رؤوسا تؤمن بالعنصريـــة وتتعصب لهـــا .

وانا لنهيب بالشعوب الافريقية ان تتزعم حركة المساواة بين البشر ، وتجعـــل من نفسها قدوة للغير ، في الدعوة الى احترام كرامـــة الانسان ، والدفاع عـــن حقوقه . وتقدير قيمه المنبعثة من صميـــم تكوينـــه . والتي لا اثر لللغات والالوان فيها .

على الاقطار الافريقية ان تعبىء طاقاتها لـــدرء الخطـــر عنهـــا

كما نهيب بها ان تعبىء قواها بغية جعل حـــد لاستعمال افريقيا حقلا للتجارب الذرية . وتعريـــض سلامة سكانها لاخطار محققة بسبب ذلك . ومنذ ايام اقدمت الحكومة الفرنسية على اجراء تجربتها الذريـــة الثالثة بجزء من تراب مملكتنا واقع بقلب افريقيـــا . عابثة بتوصيات الامم المتحدة . مستفزة الشعـــوب الافريقية . متحدية الانسانية والضمير العالمي . ولكن ذلك الاستمرار وهذا التحدي لن يزيدانا الا عزمـــا على مواصلة النضال ضـــد الاستعمـــار . والسعـــي لاستخلاص فلسطين العربية من براثـــن الصهيونيـــة المعتدية . وتحرير الكونغو والجزائر وكـــل شبـــر في العالم ما يزال تحت سيطرة الاستعمـــار . اذ ليست هناك قوة تستطيع ان تفل من حد عزائمنا ، او تواجه قوانا المعنوية وطاقاتنـــا التحرريـــة . أو تسد افواهنـــا عن التنديد بهذه التجارب العدوانية والفتاكـــة .

اصحـــاب الفخـــامـــة
اصحـــاب المعـــالـــي
حضـــرات الســـادة

اني على القارة الافريقية حين من الدهر عاشت فيه مستعمرة مقسمة مستغلة مهينة مهضومة الحق مهيضة الجناح ، ولم يكن هناك ما تستاهل عليه عيشة الشقاء والحرمان الا لون بشرتها في نظر الاستعماريين ، ووفرة خيراتها التي استحلوا في سبيل استغلالها ما حرمته الشرائع السماوية والقوانين الارضية مـــن عنف واضطهاد . ولقد كان من الظواهر الكبرى التـــي امتاز بها النصف الثاني من القرن العشرين يقظـــة افريقيا ونمو وعيها وبروز شخصيتها . وتصميم عزمها على كسر الاغلال التي تصفدها والمساهمة في خدمـــة السلم والحضارة ، واحتلال المكان الجدير بماضيهـــا وموقعها وطاقاتها الانسانية وثرواتها الطبيعية فـــوق الصعيد الدولي . ولقد قطعت افريقيا اشواطا كبيرة في طريق التحرر والانعتاق . وسجلت الشهور المتوالية والسنون المعاقبة لها نصرا بعد نصر ، حتى عـــدت سنة 1960 بحق سنة انبعاث افريقيا . ولكن هـــذا الانبعاث هال الاستعمار العنيـــف ، وجعلـــه تتشكـــل في شكل جديد . ويتخذ اساليب جديدة . ويمهـــد لمستعمراته سبلا مضللة يكمن في ثناياها الخطر . ولا تفضي بسالكيها الا الى حربة بتراء . ولهذا يجب على الشعوب الافريقية ان تضاعف انتباهها وحذرها . وتعد العدد . وتهيىء الاسباب الكفيلة بكشف الاستعمـــار الجديد واستئصـــال اخطاره .

ميثـــاق افـــريقيـــا الجـــديـــدة

اصحـــاب الفخـــامـــة
اصحـــاب المعـــالـــي
حضـــرات الســـادة

ان هذه اللحظة التي نجتمع فيها الآن لحظـــة تاريخية حاسمة في حياة افريقيا . فبعـــد مـــا عاشت شعوبها سنين طويلة مستعمرة مقسمة محالا بينهـــا وبين الاتصال الحر المباشر ، ها هي ذي طائفة مـــن دولها المستقلة بشرقها وغربها ووسطها . تجتمع لتضع ميثاق افريقيا الجديدة ، وتعبـــد سبـــل التحـــرر والسعادة لاجيالها الحاضرة والمقبلـــة .

وان هذا المؤتمر لاحسن ما يسنح من الفـــرص لوضع ذلك الميثاق ، وتقرير العمل الايجابي الذي يجب القيام به لتحقيق الاهداف التاليـــة التي نتطلع جميعا اليهـــا :

1) القضاء على النظام الاستعماري وذلك بتحرير الاجزاء التي ما تزال مستعمرة بافريقيا تحريرا حقيقيا

لشد ازره والاخذ بساعده ، اذ بذلك تؤدي احسن اداء رسالة التضامن والاخوة الافريقية التي تعتبر شرطا اساسيا لبناء افريقيا مستقلة موحدة كريمة ، رغم ما تحسه دولها نفسها من خصاصة وما هي عليه من احتياج . وهنا نرى لزاما علينا ان نعلن ان افريقيا تجتاز اليوم في القضية الكونغولية امتحانا عسيرا ، فاما ان نعمل على حل هذه القضية حلا سريعا ناجعا يضمن تحقيق مطامح الشعب الكونغولي تحقيقا كاملا . وذلك هو الفوز المبين لا للكونغو فحسب ، بل لجميع شعوب افريقيا ، والا فستتعرض سائر شعوب هذه القارة الى اخطار استعمار جديد ، من شأنها ان تمزق وحدتها ، وتعبث بسيادتها واستقلالها، وتعرقل تطورها المنشود نحو ما تصبو اليه من رقي وازدهار ، كما ستحول بينها وبين تأديتها للمهمة المنوطة بها في المجال الدولي . فمن المتعين اذن ان نعمل جميعا على احباط مساعي الاستعمار بنوعيه الجديد والقديم بهذه القارة ، وذلك بتعاوننا جميعا على معالجة المشكل الكونغولي تعاونا صادقا ، وبالعمل على خلق وعي افريقي ووطنية افريقية .

محنة الجزائر الشقيقة

اصحاب الفخامة

اصحاب المعالي

حضرات السادة

لقد عاشت افريقيا ردحا من الزمن تحت نير الاستعمار ، ولئن تحرر بعض اقطارها فان بعضها الآخر احد فريقين : فريق ما زال يعيش تحت وطأة استعمار مقنع ، وفريق ما انفك يعاني ويلات الاستعمار العتيق ، وكلاهما يعتبر في الحقيقة خطرا مهددا لافريقيا ، وحجر عثرة في طريق تحررها ونهوضها . واذا كان الواجب الانساني وواجب الاخوة الافريقية قد دفعانا الى بذل قصاري الجهود لحل المشكل الكونغولي ، فان ذلك ايضا لا ينسينا بل انه ليفرض علينا بازاء هذا المشكل ان نواجه بجوارنا في الجزائر الشقيقة استعمارا تقليديا لدودا يذيقها منذ اكثر من ست سنوات مرارة حرب ابادية ، لا لشيء سوى أن شعبها يطالب بحقه في الحرية والكرامة والاستقلال .

وبالرغم مما ابدته الحكومة الجزائرية من حسن استعداد لحل المشكل عن طريق المفاوضات ، نجد الطرف الآخر لا يعير — مع الاسف الشديد — هذه البادرة الحسنة أي اهتمام - ولا يقيم لها وزناً . وليس خطر هذه الحرب في الحقيقة قاصرا على الجزائر الشقيقة وحدها ، ولكن يخشى ان يمتد نطاقه فيشمل الاقطار المجاورة ، ولذلك ناشدنا الامم المتحدة لتتدخل في الامر ، وتعمل على تمكين الشعب المكافح من التمتع باستقلاله وسيادته .

ولقد اظهرت الحوادث الدامية التي كان القطر مسرحا لها اخيرا مدى تشبث الشعب الجزائري بمطالبه العادلة ، والتفافه حول حكومته الوطنية ، ورفضه البات لكل شكل من اشكال المؤسسات الممنوحة التي يراد ارغامه على قبولها .

واننا نغتنم فرصة هذا المؤتمر وحضور اخينا فخامة الرئيس السيد فرحات عباس رئيس الحكومة الجزائرية ، لنتوجه في شخصه تحية المؤتمر الى الابطال المكافحين في سهول الجزائر وجبالها وصحرائها، ونؤكد لهم وقوفنا بجانبهم موقف التاييد والمؤازرة لان قضيتهم قضيتنا ، ونضالهم نضالنا ، مطالبين بمنح الجزائر حقها في الحرية والاستقلال بدون قيد ولا شرط ، ومنددين في الوقت نفسه بكل محاولة آثمة ، ترمي الى تجزئة التراب الوطني للقطر الشقيق ، كما سبق لنا ان نددنا بها في كل مكان حاول الاستعمار ان يفرضها فيه .

اننا من اعرف الناس بهذا الاسلوب الجديد من الاستعمار ، الرامي الى تجزئة التراب الوطني لبعض الاقطار ، اضعافا لشأنها ، وتفريقا لكلمة اهلها ، وذلك ابتغاء ارضاء رغبته في استغلالها ، وتركيز نفوذه فيها. فلقد تعرض وطننا كما تعرضت فلسطين الشقيقة والكونغو في كاطانغا ، واندونيسيا في ايريان الغربية وغيرهما لخطر تجزئة ترابه ، وحاول الاستعمار ان يغتصب من بلادنا موريطانيا التي تكون جزءه الجنوبي، خارقا بذلك التزاماته وعابثا بالمعاهدات الدولية .

ولكننا ازاء هذا الاعتداء ، سنواصل الدفاع عن حقنا حتى يستكمل وطننا وحدته التامة كما عرفها التاريخ ، وكما هي رغبة السكان في شمال البلاد وجنوبها .

خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر

بمناسبة انتهاء مؤتمر القمة بالدار البيضاء

خصص مؤتمر القمة الافريقي جلسته الختامية التي عقدها يوم السبت 7 يناير للاستماع لكلمات رؤساء الوفود ، وقد كان من بين هذه الكلمات التي اعلن فيها الاقطاب الافارقة امانيهم بمستقبل القارة الافريقية وشعورهم بالمسؤوليات الملقاة على عاتقهم نحوها الكلمة التالية للرئيس جمال عبد الناصر ، رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

وفيما يلي نصها :

الحمد لله وحده

يا صاحب الجلالة

لقد كانت الايام القليلة الماضية ايام الفة ومودة . فلقد عشنا معكم هنا في جو افريقيا الواعية التي احست مسؤولياتها تجاه نفسها وتجاه السلام العالمي . ولقد كان في فكري دائما انه اذا كان العام الذي مضى ، عام 1960 ، هو عام اعياد الاستقلال في افريقيا . فان هذا العام الذي بدأناه ، 1961 يجب ان يكون عام سيادة الاستقلال ودعم معانيه الحقيقية ، حتى لا نكتفي من الاستقلال بالعيد ، بينما ينقض الاستعمار في نفس يوم العيد ليسلب القوى الوطنية اكبر ثمرات نضالها بعد وصبر السنين الطويلة في مقاومته .

فلقد رأينا في الكونغو ان ما تصورناه عيدا للانتصار ، كان في واقع الامر يوم الخطر الاكبر . وفي رأيي ان هذا المؤتمر الذي ننتهي اعماله بهذه الجلسة انما هو بداية لها قيمتها في عام حاسم خطير ، من اجل تدعيم الحرية وتعميق اسسها في افريقيا ، سواء بحمل اعلام الاستقلال الى الشعوب التي ما زالت تناضل لترفعها ، او لحماية هذه الاعلام في يد الشعوب التي امسكت بها وانطلقت نحوها الى الاهداف التالية من كفاحها ، واخطرها واهمها عملية التطوير الاقتصادي والاجتماعي ، لتكون النتيجة ذلك المواطن الافريقي الحر الذي نتمثله جميعا في آمالنا . وبعد هذه البداية الهامة في هذا العام الحاسم ، فان هذا المؤتمر كانت له دلالات اخرى : فان اجتماع دول افريقيا الحرة هنا ، كان معناه انها في نفس الوقت الذي تملك فيه حريتها ، تحقق ان هناك وحدة تربط اسباب الكفاح بين شعوبها جميعا كذلك فقد انهارت في هذا المؤتمر اسطورة الاستعمار في تقسيم القارة وفصلها بالصحراء الافريقية الكبرى الى افريقيا عربية في الشمال والى افريقيا سوداء في الغرب والى الجنوب .

وتأكد في هذه الاجتماعات التي عقدت ان الصحراء الكبرى كانت جسرا ولم تكن فاصلا ، وليس معنى ذلك وانا اريد ان اكون واضحا يا صاحب الجلالة اننا وجدنا التماثل شاملا في وجهات نظر كل من التقوا حول هذه المائدة . والحق ان المناقشات الطويلة بيننا دليل على واقعية النضال الافريقي وعلى ابراره ، وان جديته وامانته الى ابعد الحدود هي ارجح الاحتمالات لنجاحه .

2) القضاء على العنصرية بجميع مظاهرها ونظمها

3) محاربة الاستعمار الجديد في جميع اشكاله ومختلف الوانه ، وفضح اساليبه التضليلية الجديدة .

4) دعم استقلال الاقطار الافريقية المحررة والدفاع عنه .

5) تشييد وحدة افريقية .

6) اقرار سياسة عدم التبعية بالاقطار الافريقية.

7) انهاء كل احتلال عسكري لافريقيا ، ومنع استعمالها ميدانا للتجارب الذرية .

8) معارضة كل تدخل اجنبي في الشؤون الافريقية .

9) العمل على تثبيت دعائم السلم العالمي .

ان هذه الاهداف التي نريد خطها للمستقبل لا ترمي الى عدوان ، ولا تصطبغ بعنصرية جديدة ، وليست موجهة ضد دولة ولا قارة . كما انها لا تعني انزواء او انعزالا . بل هي مستوحاة مما لنا جميعا من رغبات ملحة في حفظ السلم وتقوية اسباب التقارب بين الشعوب والتعاون بين الدول . القائم على اساس الاحترام وضمان السيادة وصيانة الكرامة . ومن شأنها — اذا تحققت — ان تكون من افريقيا وحدة من اجل السلام والرقي . وتجعلها موطن الامل الباسم . والاستقرار الدائم ، والعمل المنتج المفضي الى التقدم والرخاء .

ونظرا لنيل هذه الاهداف وما لها من اهمية لا تخفى على احد منا . وضرورة تحقيقها بسرعة ، فلعل الوقت يكون قد حان لايجاد الخطوات العملية التي يجب اتباعها لتطبيقها . واقامة بعض المؤسسات التي نسهر على تحقيقها **كتأليف مجلس استشاري افريقي ، وانشاء لجان تجتمع دوريا لتنسيق سياسة الاقطار الافريقية في الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية** ، واتخاذ التدابير اللازمة لتأمين سلامتها ، وتقرير المساعدة التي يجب ان تقدمها لبعضها اذا وقع الهجوم على احدها .

اصحاب الفخامة

اصحاب المعالي

حضرات السادة

اذا كانت الاقدار اتاحت للدول الافريقية المجتمعة في هذا المؤتمر السبق الى الاستقلال والحرية، فانه دين عليها ان تمد يد المساعدة الى الشعوب الافريقية الاخرى حتى تتمتع بنفس الحرية والاستقلال . وحتم عليها ان تخطط من الآن المناهج الواضحة التي تنفي لافريقيا الجديدة ان تسلكها ، والسياسة التي يحسن ان تتبعها ، فلا ينبغي ان تعالج مواضيع هذا المؤتمر على اساس الاعتبارات الخاصة بالدول المشاركة فيه فحسب ، بل على اساس الاعتبارات العامة والمصالح العليا لافريقيا . وان لنا اليقين بأن المؤتمر المقبل سيحضره عدد اوفر من الدول الافريقية . واننا لنتطلع بمنتهى الامل الى اليوم الذي يجتمع فيه المسؤولون عن دول افريقيا كلها شرقها وغربها وشمالها وجنوبها . للنظر في شؤون قارتهم . وقد اختفت منها اشباح الاستعمار والعنصرية والانقسام . واشرقت عليها شمس الحرية والوحدة والرخاء والسلام . واشتدت اواصر تعاونها على ما فيه خير الانسانية مع القارة الاسيوية التي تغتنم هذه الفرصة فنحيي شعوبها الناهضة ، ونعبر لها عن تمنياتنا بتمام التحرر . ومواصلة السير في سبيل الرقي والازدهار .

دواء الشاكين وقامع المشككين

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 10 -

قال المؤلف متابعا كلامه في فصل غرائز الحيوان: «والمحارة العادية التي تأكل عضلاتها تحتوي على «دورنات» عدة من العيون الجميلة – الدوزنة اثنى عشر كما هو معلوم – وهذه العيون الجميلة شديدة الشبه بعيوننا. وهي تلمع لأن كل عين منها تشتمل على عدد لا يحصى من العاكسات الصغيرة التي يظن أنها تمكنها من رؤية الأشياء من الثمن الى الأعلى. وهذه العاكسات لا وجود لها في عيون البشر. فهل خلق الله تلك العيون الكثيرة في المحارة لأنها ليس لها قوة دماغ كالإنسان ؟ ولما كان عدد العيون في الحيوان ما بين عينين اثنتين الى آلاف العيون في المخلوق الواحد، كان على الطبيعة أن تلاقي مشقة عظيمة لا قبل لها بها في تطوير علم المرئيات. إلا إذا صنعها صنع الله الذي اتقن كل شيء. ان النحل التي تخرج من بطونها العسل لا ترى الأزهار الجميلة بالعين التي نراها بها نحن. لكنها تراها بالضوء الذي فوق البنفسجي وهو يجعلها في نظرها أجمل مما نراها نحن. ان بين أشعة الموجات البطيئة وبين اللوحة (الفوتوكرافية) التصويرية عوالم من الجمال والبهجة والإلهام التي قد بدأنا نقدرها حق قدرها ونسيطر عليها، فدعونا نؤمل أن نقدر في يوم من الأيام على الاستمتاع بعالم الضوء الواسع، بواسطة النبوغ في الاختراع. وها نحن منذ الآن نقدر أن ندرك تموجات الحرارة في كوكب يبعد عنا بمسافة عظيمة. ونقيس قوتها.

ان العاملات من النحل تصنع بيوتا مختلفة الحجم في القسم الذي يستعمل لتربية الصغار. وتصنع بيوتا صغيرة للعاملات، وتبني بيوتا أكبر للعاسيب. وتعد بيوتا خاصة للملكات الحوامل. وتضع ملكة النحل بيضا ناقص التغذية في الخلايا المعدة للذكور. غير أنها تضع بيضا كامل التغذية في البيوت المخصصة للإناث العاملات والملكات المنتظرات، ثم ان العاملات اللاتي هن إناث قد انتظرن من زمان طويل الجيل الآتي واستعددن أيضا لإيجاد الغذاء للنحل الصغار بمضغ العسل، وتيسير هضمه. وإعداد النوع الآخر من الغذاء المسمى باللقح. ثم ينقطعن عن المضغ وتيسير الهضم في مرحلة معينة من تطور الذكور والإناث. ويقدمن لهن عندئذ العسل واللقح بلا مضغ ولا تيسير للهضم. والإناث اللاتي يعاملن بهذه المعاملة يصرن عاملات.

وأما الإناث اللاتي في بيوت الملكة فان غذاءهن يستمر مضغه وتيسير هضمه قبل تقديمه لهن. وهذه الإناث التي تعامل بهذه المعاملة يصرن ملكات وهن وحدهن اللاتي يضعن بيضا كامل التغذية. وتكرار النتاج هذا يستلزم بيوتا خاصة وبيضا خاصا. وإجراء عجيبا في تيسير الغذاء. وذلك يدل على التوقع وسبق العلم بأثر الغذاء. هذه التغيرات تنطبق بوجه خاص على حياة الجماعة وتظهر أنها ضرورية لوجودها. ولابد أن هذه المعرفة والمهارة قد تم اكتسابهما بعد ابتداء هذه الحياة الجماعية. وبذلك يظهر أن النحل قد فاق الإنسان في معرفة تأثير الغذاء في أحوال خاصة.

تعليق على ما تقدم:

1) نسأل الماديين وأذنابهم وعباد المستعمرين من أوجد للمحارة هذه العيون الكثيرة ؟ ومن الذي زودها بتلك العاكسات التي لا وجود لها في عيون الناس؟ فهل الطبيعة العمياء البكماء الصماء هي التي علمت حاجة المحارة الى تلك العاكسات فزودتها بها وعلمت أن الإنسان لا يحتاج اليها فلم تزوده بها ! إذن فالطبيعة عليمة حكيمة قادرة مدبرة لها إرادة ومشيئة، فان

ولقد كان من ابرز معاني المؤتمر الافريقي انه خلال هذه المناقشات بيننا تبدت ارادة عمل افريقي ظاهرة ، ارادة شخصية افريقيه محرره ، ارادة مسؤولية واقعية وجادة . فلسطين هي اعظم مشاكل مؤتمرنا هذا في رأيي ، كما ان اهم واجباتنا بعده هو ان نصون هذه الارادة ، ارادة العمل الافريقي وان نفتح الطريق لها .

يا صاحب الجلالة

لقد منحني هذا المؤتمر فرصة لتاكيد صداقات قديمة اعتز بها وربط اواصر صداقات جديدة فتحت لها قلبي دون تحفظ . ولقد اتيح لي ان التقي بجلالتكم وان اعزز معكم ذكرى لقائنا في القاهرة اثناء الاحتفالات بتدشين العمل في سد اسوان العالي ، كذلك فقد التقيت مرة اخرى بصديقي العزيز الرئيس كوامي نكرومة ، الذي تربطنا به اعمق الود واخلصه . ومن ناحية اخرى اتيح لي ان التقي بالرئيس احمد سوري وموديبوكيتا . وهو لقاء طالما تطلعت اليه مع بطلين من ابطال الكفاح الافريقي .

يا صاحب الجلالة

بقي ان استاذنكم بتوجيه الشكر الى شعبكم الذي كانت رعايته الواعية لهذا المؤتمر ومنها كان ترحيبه الكريم بالمشتركين فيه ، من اكبر دعامات نجاحه . لقد كان هذا الشعب ، صديق الحرية العريق وسندها الطبيعي . يجدد امامنا جميعا في طريقنا الى جلسات المؤتمر وعودتنا منه عزيمة الجماهير الافريقية وتحفزها وايمانها غير المحدود برسالتها وبأهدافها ، ومن هنا فان هذا الشعب لم يفتح بيته لضيافتنا فقط ، وانما منحنا طاقة دافعة حققت اثرها .

يا صاحب الجلالة

انني اوجه لكم صادق الشكر وعميق التقدير لمبادرتكم الاستجابة الى دعوة المؤتمر . فقد لمسنا جميعا مدى الجهد المتفاني الذي واجهتم به رئاستكم لجلساته واننا لندرك جميعا ان هذا الجهد كان من اهم مقومات نجاح العمل الذي تصدينا له . واذا كانت لي كلمة اضيفها بعد ذلك . فهي الامل في مؤتمر آخر يعقد على ارض قارتنا الافريقية لتجمع الينه ومعنا قادة الشعوب الاسيوية الحرة . واننا لنؤمل ان مثل هذا المؤتمر في هذه المرحلة من كفاح آسيا وافريقيا سيكون له مثل الاثر الذي كان لمؤتمر باندونغ سنة 1955 .

شكرا لكم جميعا . والسلام عليكم ورحمة الله .

بوجه محكم تنقل كل ضجيج او صوت صغيرا كان ام كبيرا من صوت الرعد المجلجل الى حفيف الشجر ، وتنقل تلك الحنايا نغمات آلات الموسيقى الممتزجة ، واصواتها المختلفة مما يتضمنه الجوق الموسيقي . لو كان المراد خلق الاذن ان تحس خلاياها الاصوات بالقدر الذي يحس معه الانسان فقط ، فلماذا امتد مداها الى ان وصل الى ارهاف السمع ؟

لعل القوة الكامنة وراء هذه الخلايا ، قد توقعت حاجة الانسان الآتية في المستقبل الى الاستمتاع بالاستماع العقلي ، ام كان خلق تلك الخلايا على وجه افضل مما يحتاج اليه على سبيل المصادفة ؟

تعليق :

بعد ما شرح المصنف تكوين الاذن العجيب وبين كيف تنقل المسموعات منها الى الدماغ القى سؤالا على الماديين بطريقة اللطيفة احرجهم فيه وشدد عليهم الخناق وهو قوله : فلو كان المراد عند (خلق) الاذن ان تحس خلاياها الاصوات ، بالقدر الذي يحس معه الانسان فقط فلماذا امتد مداها الى ان وصل الى ارهاف السمع . ثم جعل الجواب في امرين اثنين لا ثالث لهما احدهما قوله : لعل القوة الكامنة وراء هذه الخلايا قد توقعت حاجة الانسان الآتية في المستقبل الى الاستمتاع بالاستماع العقلي . اشار في هذا الجواب الى ان الله العليم الخبير حين خلق سمع الانسان لم يخلقه على القدر الذي يحتاج اليه ليعيش فقط . بل خلقه بقدر ما يحتاج اليه الانسان في كل وقت لعلمه بتطور حياة الانسان وتجدد حاجاته . وذلك يستلزم الاعتراف بعلم الله . بجميع احوال البشر من اول خلقهم الى فنائهم ويبطل مزاعم الماديين . والامر الثاني ان يكون ذلك كله وقع على سبيل المصادفة بلا علم ولا تقدير ولا تدبير رميه من غير رام وقد علمت بطلان هذا القول فيما مضى من هذه المقالات .

ثم قال المؤلف : والصغير من الحوت المعروف سلمون يقضي سنين في البحر ثم يرجع الى نهره الخاص به . واعجب من ذلك انه يصعد جانب النهر الذي يصب فيه الجدول الذي ولد فيه، وقد تكون قوانين الولايات المتحدة الامريكية التي على احد جانبي النهر شديدة وقوانين الولاية التي على الجانب الآخر متساهلة ولكن هذه القوانين لا تسري الا على الحوت الذي يمكن ان يقال فيه انه يخص الجانبين كليهما ، فما الذي يجعل السمك يرجع الى مكانه بالتدقيق التام ؟ فلو نقل حوت من نوع سلمون الى نهر آخر . والقي فيها لادرك في الحال ان ذلك النهر ليس نهره ، ورجع بكل قواه شاقا طريقه الى نهره الخاص به ولا يصده عن ذلك التيار المعاكس . وهناك مشكلة اشد استعصاء وصعوبة على الحل وهي قصة ثعابين البحر . فان هذه المخلوقات العجيبة متى تم نموها ترحل من مختلف الحياض والانهار ، في كل مكان .

فاذا كانت في مياه اوربا مثلا تقطع آلاف الاميال في المحيط متجهة الى الاعماق البعيدة المدى جنوب نهر برمودا وهنالك تضع بيضها وتموت . ان صغارها التي لا تملك اي وسيلة من معرفة اي شيء غير انها وجدت نفسها في تيه من الماء، فانها تتوجه راجعة لا تصل طريقها الى الشاطىء الذي جاءت منه امهاتها . ثم تتوجه كل منها الى النهر او الحوض او البركة الذي جاء منه اصله، وبذلك يبقى كل بحر محتويا على ثعابينه . فما عجبا كيف تناولت التيار وغالبت العواصف ومدود البحار . وهزمت الامواج المتلاطمة في كل شاطىء ! ثم بعد ذلك تنمو . فاذا بلغت منتهى نموها . يهيجها قانون خفي من اسرار الكون . فترجع لتتم رحلتها . فمن اين جاء هذا الدافع الموجه الذي ساقها ؟ ولم يتفق قط ان ثعبانا اوربيا من هذه الثعابين قد صيد في المياه الامريكية، ولا صيد قط ثعبان امريكي في المياه الاوروبية ! ومن عجائب صنع الله ان الثعبان الاوربي يتأخر نموه سنة او اكثر ليكون ذلك عوضا عن زيادة مسافة الرحلة التي يقطعها . فهل تملك الذرات التي يتألف منها الثعبان قوة الاهتداء ومعرفة اماكن امهاتها ؟ وهل تركت تلك الامهات لابنائها وصية مكتوبة ومنهاجا مرسوما وامرتها ان تنفذه ؟ فلو ان جماعة من البشر هاجروا من اوربا الى امريكا وولدوا اولادهم وتركوا لهم وصايا مكتوبة وزودوهم بالخرائط اللازمة والارشاد الكافي لشق عليهم بل تعذر عليهم ان يقرأوا تلك الوصايا . ويفهموا ما تضمنته وكيف ينفذها . فيجب على الماديين ان يحلوا هذه الالغاز قبل ان يخوضوا فيما لا علم لهم به . فسبحان الله الخلاق العليم .

آمنتم بذلكم فكيف تجحدون خالقكم وهو الخلاق العليم العظيم الذى احسن كل شيء خلقه . وبدا خلق الانسان من طين . وان لم تؤمنوا به . فاجيبوا عن السؤال الاول . ولن تستطيعوا له جوابا حتى تلجي سهيل والثريا، وحتى تجيبوا على جميع الاسئلة التي نحدثناكم بها في المقالات التسع الماضيه . وهيهات ليس امامكم الا احد امرين اما الرجوع الى الحق والايمان بالحق والندم على ما ضاع من اعمالكم في ظلمات الجهل وخبطكم خبط عشواء في ليله ظلماء او المكابره والمغالطه والوقاحة .

اذا رزق الفتى وجها وقاحا
تقلب في الامور كما يشاء

2) لقد اجاب المؤلف وهو من هو ! رئيس المجمع العلمي في الولايات المتحده . اجاب بقوله : فهل خلق الله تلك العيون الكثيره في المحاره لانها ليس لها قوة دماغ كالانسان ؟ الجواب نعم ، فتبارك الله احسن الخالقين .

3) ثم اشار المؤلف الى ان الطبيعه لا تستطيع ان توجد لانواع الحيوان تلك العيون المتعدده من عينين اثنتين لكل مخلوق الى عده ءالاف من العيون للمخلوق الواحد ، وهذه العيون تختلف في كل مخلوق على حسب ما تناسبه . اذا فالخالق البارىء المصور هو الذى فعل ذلك وانف المادي واذنابه راغم .

4) ومن الذى علم حاجه النحل الى عيون تنظر بما فوق البنفسجيه لتبدو لها الازهار . اجمل مما تبدو لنا . فتجذبها الى اخذ ماده العسل منها لتخرج لنا عسلا لذيذا نستمتع باكله . ونستشفي بخواصه . هل تقدر الطبيعه ان تعلم هذه الحاجه وتسدها فاين تذهبون ؟ .

5) يقول المؤلف : « ان بين اشعه الموجات البطيئه وبين اللوحه الفوتوغرافيه الحساسة عوالم من الجمال والبهجه والالهام التي بدانا نقدرها حق قدرها ونسيطر عليها . فدعونا نؤمل ان نقدر في يوم من الايام على الاستمتاع بعالم الضوء الواسع بواسطة التنوع في الاختراع . هكذا يعترف العلماء المحققون انهم لا يزالون في بدايه الاطلاع على عالم الضوء وعجائبه، ويؤملون ان يزدادوا علما ويتوصلوا الى النتائج العظيمة بخلاف الطائشين الذين يصدرون احكامهم جزافا . ويقنعون باول تصبص ويزعمون انهم احاطوا بكل شيء علما وذلك هو الجهل المركب .

6) ان تصرفات مملكة النحل ، واعداد العلامات منها من البيوت والتغذيه لكل صنف ما يناسبه لا للموجود منها فقط ، بل لما سيوجد لبرهان قاطع على تدبير رب العالمين وتصرفه في خلقه بحكمته البالغة . قد اعترف المؤلف ان تدبير هذه المخلوقات الملهمة لملكتها يفوق تدبير البشر ، وما اجمل قوله تعالى : **« واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** .
لا جرم ان تفوق النحل الضعيفة على الانسان في بعض النواحي سببه ذلك الوحي الرباني ، ولذلك نوه الله به ممتنا على عباده ، ومنبها لهم على كمال حكمته وعظم قدرته ليعتبروا ، وقد سميت السوره بسوره النحل لوجود هذه الآية فيها ، وما يعقلها الا العالمون .

ثم قال المصنف : والكلب بانفه الذي لا يفتر عن السعي في استنباط المعلومات بما اوتي من قوة الشم يستطيع ان يعرف الحيوان بعد مروره بالمكان الذى هو فيه . ولم يستطع الانسان حتى الآن ان يخترع آله تقوي حاسه الشم عنده الى ان تساوى هذه الحاسة عند الكلب . ونحن لا نكاد نعلم كيف تبتدىء في فحص امدادها ، وعلى ذلك نرى ان حاسه الشم على ضعفها عند الانسان قد تطورت الى حد انها تدرك اصغر الذرات المجهريه (المكروسكوبية) وكيف نعرف اننا جميعا نتاثر تاثرا واحدا تقريبا برائحه بعينها ؟ والحقيقه اننا لا نتاثر تاثرا واحدا . وكذلك الذوق فانه يعطي كل واحد منا شعورا خاصا . والعجب ان اختلاف احساساتنا هنا هو وراثي . وكل انواع الحيوان تسمع الاصوات التي كثير منها خارج عن دائرة ادراكنا . ويسبب ذلك دقه السمع عندنا بكثير . وقد توصل الانسان بالوسائل التي اخترعها في هذا الزمان الى انه يستطيع ان يسمع حركه ذبابه وهي تمشي على مسافة اميال بعيده منه . كما لو كانت تمشي على صماخ اذنه .وبمثل تلك الالات يستطيع الانسان ان يسجل وقع سماع عالمي .

ان جزءا من اذن الانسان هو سلسله من نحو اربعه آلاف حنيه دقيقه . ولكنها معقده . مندرجه بنظام دقيق في الحجم والشكل ويمكن ان يقال ان تلك الحنايا نسبه آله موسيقيه . ويبدو انها قد نظمت تنظيما محكما ، بحيث تدرك الاصوات ، وتنقلها الى الدماغ .

يسمونه بعصر النور والعلم ناشره ما تلقفه اهل الجاهلية الاولى من مذهب المادية العمياء القائلة ما هي الا ارحام تدفع وارض تبلع ، وما يهلكنا الا الدهر ونبع هذه الميول الفاسدة حب الجاه والرئاسات والمال الى درجة العبادة والتقديس ، فخرجت الجحافل مدججة بالسلاح وبالحديد والنار تغزو الامم الضعيفة المطمئنة بغية المال والسيطرة ضاربة عرض الحائط بمبادىء العدالة والقيم الاخلاقية ومرتكبة شر انواع الظلم والعدوان من قتل الابرياء وتكثير الأيامى وتشريد اليتامى الى ما ينتشر من محرمات وموبقات من خمور وقمار وفجور ولهو ومجون وقضاء على البقية الباقية من رصيد روحي وحياء ومروءة بين المستضعفين : فاين المفر من مخزيات الاستعمار ومن رواسبه وسمومه في النفوس والافكار ؟ وكيف الخلاص من تقاليده المادية الضارة في امم عاشت بروحانية طاهرة ، حلقت بها نفوسها في اوج القناعة والرضى والاطمئنان وسلامة القصد وراحة الضمير ؟ فاصبحت الامم الشرقية بهذا التعدي والاستعمار الاوربي المحض فاقدة لاستقلالها السياسي وفاقدة للتحرر الاقتصادي وفاقدة لشخصيتها الفكرية والاجتماعية . بل اصبحت في خطر يهدد عقيدتها الدينية . فكان لزاما على مختلف طبقات الامة ان تكافح للخلاص وتحطيم كل هذه القيود . فتعاونت جميعها في مغربنا على الخلاص السياسي حتى وقع الاعتراف بالاستقلال رسميا . وتحرر بعضه ولا زالت للاستعمار ذيول نرجو الله ان يعين على تطهير البلاد منها في القريب . وقد اصبحت الرغبة في التحرر الاقتصادي والفكري واحياء مقومات الامه وتقاليدها الصالحة في الحياة بعد هذه النكبات المخلفة التي تشغل بال اكبر المسؤولين وبال المفكرين المصلحين في هذا البلد الامين . اذ يصعب على

اية امه من الامم ان تنسلخ من تقاليدها ومقوماتها لتتقمص تقاليد غريبة عنها ، كما يريد ان يلبسها هذا اللون من الحياة بعض المتشايعين للاستعمار او خلفاؤهم في هذه الديار ، لان هذه الحياة الغربية ستجعل الامة بعيدة عن تقاليدها وروحانيتها الشرقية التي استقرت اوضاعها فيها منذ قرون واجيال ، وكانت راسا فيها بامجادها وتاريخها وفتوحاتها وصلاتها المتعددة باسم الشرق من رحم وعقيدة وتشريع ولغة واخلاق وتقاليد . وفي وقت انسلاخ الامه عن كل هذه المقومات يريد تلك الفئة الشاذة ان تجعلها ذنبا تابعا لاوربا . وامة دخيلة عليها . ولصيقة فيها . فتبرأ الامة من شقيقاتها الشرقية والعربية وتصبح عالة على اوربا في كل مقوماتها وهذا ما لا يريده لهذه الامه مخلص لامته ودينه ووطنه .

وهذه الحالة المنذرة بالخطر هي التي بعثت عاهل المغرب مولانا محمد الخامس نصره الله على توطيد دعائم الصداقة مع دول الجامعة العربية بواسطة سفراء المغرب بالرحلة الميمونة التي قام بها بطل تحرير المغرب بنفسه في اول العام المنصرم الى تلك الدول ودرس قضايا الاسلام والعروبة معهم عن كثب ، ومن المناسب هنا التنويه بجملة المغرب الاداري الواسعة التي تقوم بها الحكومة المغربية وعلى رأسها جلالة الملك .

واننا لنرجو ان نجد في القريب العاجل سياجا من الاحتياطات يحفظ القيم الروحية وارشدة المغرب الروحية من الانهيار كما نجد الوسائل الاقتصادية لحفظ كيان المغرب الاقتصادي وبذلك يمكن المغرب ان يحتفظ بجميع مقوماته معنويا وروحيا واقتصاديا ويصبح دولة لها وزنها التام في الميزان الدولي العام .

بمناسبة ذكرى ميلاد المسيح عليه السلام

تعاليم الرسل بين أتباعهم

للاستاذ
محمد الطنجي

ليس التاريخ الا احداثا منتظمة فى حلقات من الزمن . تشرف الزمان شرفها وتضع بضعها . فيكون زمان خيرا من زمان بالاعمال النافعه للانسانية الواقعة فيه . كما تكون نفس اركى من نفس حيث تكون عنصرها خالصا ومتمخضا للخير ، او يكون الخير غالبا على بقيه صفاتها ، فاذا اشرف فى الزمان نفس خالصة بعنصرها للجمال والكمال الانساني ، وتجلت بافعالها لخير الانسانية ، فذلك الزمن من خير الازمنه أو هو خيرها على الاطلاق، والمكان الذى تنبعث منه اشعاعاتها النورانية لهداية البشرية وخيرها هو خير الامكنة . وهذا هو المقياس المناسب لخير الزمان وشرف الانسان . والا فالزمان المنسوب لحركات الفلك فى حد ذاته ليس فيه جزء اشرف من جزء كما ان الانسان لا يفضل اخاه من جهة حقيقته المحدوده بالحياة والنطق والمنسافه للفناء والموت . وعلى هذا كانت ازمنة بعثه الرسل والانبياء مشارق انوار . ومطالع اسرار . ومنابع ارشاد وهداية . ومهابط خيرات وبركات الاهيه . تنبئك عنها قول الله لسيدنا نوح « اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك » الى ما قاله عيسى فى مهده : انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتى ، ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا .

كما قال الله فى حق نبيه محمد : وما ارسلناك الا رحمة للعالمين . وقال ايضا : هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . وقال فى اخلاقه : وانك لعلى خلق عظيم . وهكذا فضلت امم الانبياء وفق اتباع تعاليم انبيائها على الامم التي لم تتمسك بتلك الهداية .

وعلى ذلك قال رسول الاسلام فى حق اصحابه المحافظين على شريعته وعهده : خير القرون قرنى ثم الذى يلونهم ثم الذى يلونهم فلم يتجاوز كل هذا صحائف التاريخ التي كتبها الانبياء بتعاليمهم وسيرهم واعمال اتباعهم من البشر . واذا تكلمنا على ذكرى ميلاد المسيح فاننا معشر المسلمين نومن به كرسول من اولى العزم جاء داعيا لتوحيد الله ولشريعة الاخاء والمحبة بين البشر وقد اثمرت دعوته حتى غمرت قلوب اتباعه الحقيقيين الصفات التي ذكرها الله فى قوله : وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله . فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون .

ومن هذا السياق الذي الفتنا اليه يتضح ان للاسلام والمسيحية هدفا مشتركا يجب ان يتعاون عليه المسلمون والمسيحيون وهو العمل لخير الانسانيه ونشر السلام فى الارض كما اشترك الاسلام والمسيحيه فى ان كلا منهما مبنى على الاسس القويمه التي تحفظ المجتمعات البشريه من الانهيار والانحلال كنظام الاسره ومكارم الاخلاق من الصدق والوفاء والمواساه والاسعاف والاحسان وما الى ذلك .

وقد اصبح هذا التعاون لازما امام تفشى الالحاد والمبادىء الهدامة التي استفحل امرها فى اوربا واخذت تغزو البلاد الاسلامية بتيارها الجارف . وقد استهوت الماده والشهوات كثيرا من نفوس المسيحيه فتركت تعاليم المسيح وراءها ظهريا ورتعت فى حماة الشهوات وميدان ارضاء الغرائز ونشأ المذهب الوجودي قبل اعلانه رسميا بين احضان الهادمين لتعاليم المسيح فبعثت الجاهلية الاولى حيه تسعى فى الزمان الذي

وترويضهم على استحسان ما يحسنه لهم واستهجان ما يهجنه ، والحق يقال لقد صدق ابليس الاستعمار ظنه على شعوب افريقيا السوداء ، دخل اوطانهم فاتحا بالجيوش والرشاشات ، ومن ورائه جحفل المبشرين . شاهدت بعيني هذه الحقيقة المرة اثناء رحلة قمت بها الى سويسرة في جمعيات عمومية ثم من سويسرة الى امريكا ، وهل في تمسيح امثال هذه الشعوب الساذجة ما يدعو الى العجب اذا فكرنا فيما يجنده الاستعمار من مرتزقة المبشرين ، وما ينفقه من الاموال ، وينشئه من المؤسسات على حساب الشعوب المحتلة نفسها ، وبعبارة جامعة ان الغاية التي يرمي اليها الاستعمار هي تذليل ظهور الاهالي لاجل استخدامهم في مصالحه الخاصة والعامة اولا ، ثم الاجلاب عليهم بخيله ورجله لاجل تمسيحهم (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) لكن لكل غائب قفول ، ولكل نجم افول ، لقد طلع النهار، وارتفعت الشمس في الافق ساطعة وهاجة ، واخذ زبد الباطل ينبجر والسحب تنقشع، فاصبحنا نرى الشعوب على تفاوت درجاتها في الوعي والاستعداد تتسابق مثنى وثلاث ورباع الى الدخول في حظيرة الامم الحرة ، ونرى الحواجز من حولها تهوى وتتساقط . تلك الحواجز التي كانت بالامس تحول بين امثال امير البيان شكيب ارسلان وبين الدخول للمغرب .

على هذا الطريق درج الاستعمار من اول نشأته الى اليوم بالرغم عما لا يزال الزمان يمليه عليه من الدروس، ويسديه اليه من العبر ، وبالرغم مما وصل اليه المجتمع البشري من معارف وتجارب ، لا يزيد هما كر الغداة ومر العشي الا انسجاما واحكاما ، حتى كان الزمان اصبح يتكلم بجميع الالسن مثل المجانة التي تتكلم حلقها النحاسي جميع اللغات يفهمها كل احد .

بعد هذا الاستعراض الوجيز لدولة ابي هول الاستعمار وملتويات طرقه واساليبه اقول ان اجل نعمة نذكرها لهذا العهد الجديد اننا اصبحنا نرى فيه صروح الاستعمار تتقوض الواحد بعد الواحد ، وانجلى ليله البهيم عن شعوب هبت متسابقة في حلبة الاستقلال بعد ان نسفت نطاق الحصار الذي كان مضروبا عليها ، حصار كان اقفل الابواب وسد النوافذ للحيلولة دون كل ما من شأنه ان يبعث على اليقظة وينبه الشعور بالقومية والجنسية . والآن وقد اصبحت جنة الحرية مفتحة ابوابها ، فسيحة رحابها ، دانية قطوفها ، يحق لنا ان نقول للاستعمار :

ان قاضي الزمان قد سوى بين الخصمين كنت بالامس انت الآمر الناهي كنت كما تقول دهاقنك انت الدماغ المفكر ونحن الاعضاء العاملون الكادحون ، لقد نفضنا ايدينا من تراب دفن الاستعمار ، واصبح السائد والمسود على قدم السواء ، نزولا على حكم الفطرة ، وتحت سمائها ، وفوق ارضها تكون المسابقة بين الجميع في الخيرات يحفزنا نحن معاشر المسلمين ما امر به كتابنا الذي يقول : (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات) ونبينا من جهته يقول (اليوم الرهان ، وغدا السباق ، والجائزة الجنة . الناس رجلان ، رجل يعمل لمحو السيئات ، ورجل يعمل لعلو الدرجات ، ولا خير في سواهما) .

قلت فيما تقدم ان الاستعمار بالغ بنفسه وبلغ امنيته من افريقيا السوداء فعمم التمسيح بين اهلها، والتمسيح كما هو معلوم في عرف الاستعمار بمنزلة الجنسية الروحية . اعانه في هذا السبيل عدم المزاحم بسبب التطويق المضروب على تلك الشعوب . الامر الذي مكنه من بسط شبكة التبشير بكل اطمئنان ، وبكل ما لديه من وفرة الامكانيات الحسية والمعنوية . فجال ما شاءت غفلة الشعوب ان يجول، وصال ما شاء له دهاؤه وحنكته ان يصول . تلكم صفحة طواها الزمان ، فما طوى ولم يبق لها ذكر ، اللهم الا ما كان من امر تصفية الاستعمار الحساب ، يحكى عن اهل البادية ان ذئبا من الذئاب كان يأتي لاولاده مرة بخروف يخطفه ، ومرة بجدي . فقال له احد اولاده يا ابي هذه اللحوم هل تدفع ثمنها فاجابه: اذا لم ارجع فذاك وقت الاداء .

تقديما للاهم افتتح تصفية هذا الحساب بالكلام على انكى واعمق طعنة وجهها الاستعمار للمسلمين في دينهم ، وهي ما شاهده اهل الجزائر اثناء احتفال القوم باحتلال الجزائر سنة 1830 شاهدوا يومئذ اللافتات في ايدي رجال الكنيسة موشاة منمقة بما لفظه: (اتدرون مغزى هذا الاحتفال ؟ مغزاه تشييع جنازة الاسلام في هذا القطر ! !) بمثل هذا نطقت السنة القوم جهارا علانية . وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون . ان الاسلام يحتكم :

هي الشمس مسكنها في السماء
فعز الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع اليها الصعود
ولن تستطيع اليك النزولا

هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

للأستاذ أبي العباس احمد التيجاني

سابق الشعوب الى خلع ربقة الاستعمار من اعناقهم يعد فتحا لطريق انجاز ما وعد به الله سبحانه من ظهور دين الحق على الاديان كلها ، بيان ذلك ان الاستعمار في جوهره نظام حربي في الباطن ديموقراطي في الظاهر ، ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب، المحور الذي يدور عليه هذا النظام (ارادني هي القانون) والهدف الذي يرمي اليه تذليل ظهور الاهالي واسلاس قيادهم ليصيروا مجرد فلاحين عند الحكومة بشهادة ما كتبه مشاهير مؤرخي القوم انفسهم ، اذكر من بينهم الكاتب الكبير اوجين كاط واقتطف من كتابه تاريخ افريقيا الشمالية ما نصه : « ان سياسة فرنسا (ولا مفهوم لفرنسا اولاد عبد الواحد كلهم واحد) تحذو حذو السياسة الرومانية التي رسمت خطة لها تصيير الاهالي فلاحين واجراء عند الحكومة » .

لذلك كان من اصول هذه السياسة ضرب نطاق الحصار على البلاد الواقعة في ثقاف جدول القوم ثم السعي كل السعي الى اقامة نظام يضمن الراحة والهناء للدخلاء واعقابهم واعقاب اعقابهم هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى اخماد كل ما من شانه ان يحفظ للاهالي تقاليدهم ومقدساتهم ، لهؤلاء الراحة والاحترام مع الوسائل التي تكفلها لهم ، ولاولئك الكد والامتثال :

ولجند سهل البلاد وعذبها
ولي السباخ وحزنها المحدب

على حد ما قال احد دهاقنة الاستعمار المعتمد السابق اربا بلان اثناء جلسة المجلس الشوري بمسمع من جميع الاعضاء مغاربة وفرنسيين : « نحن الدماغ المفكر ، وانتم الاعضاء العاملون » يضاف الى هذا ما هنالك من خبايا في زوايا الاستعمار ، اذكر منها للعبرة اني كنت يوما في القطار ما بين تلمسان والجزائر العاصمة فسمعت من راهبة تقول لرفيقة لها اوروبية عندما رات بعض البنات المسلمات لابسات للزي الاروبي: « وصلنا مع الجزائريين الى طور التجنيس ، ثم ننتقل الى طور آخر طور التمسيح » ، فلم اتمالك ان لاحظت عليها ان التمسيح الذي ذكرت كشف عنه اللثام علماؤكم بكيفية يدعو اهله انفسهم الى الخروج منه اكثر مما تدعو الجزائريين او غيرهم الى الدخول فيه ، من بين هؤلاء العلماء المؤرخ الشهير ببار رهم في كتابه تاريخ الديانات العام ، والفيلسوف لوي دوني صاحب التآليف الجمة ، والفيلسوف ديدرو ، فلاحظت على مقطبة الوجه ان اقل ما يقال عن الديانة المسيحية انها ديانة التمدن والرقي، فاجبتها على الفور بان قولها هذا بان المسيحية هي ديانة التمدن مصادم لتعاليم الكنيسة المدونة في سفر السيلبوس ؛ لائحة الاقوال التي يحكم على قائلها بالردة) ونص ما جاء في هذه اللائحة : « ملعون من يقول أو يعتقد بان البابا رئيس الكنيسة يمكنه او يجب عليه ان يتصالح مع التمدن ويبارك في الرقي » على هذا تفرقنا عندما نزلنا من القطار ، فذهبت مع رفيقتها وهي تلتفت الي من حين لآخر في استغراب وامتعاض .

نظر الذئب نحاجه لم يقصها
نظر المريض الى وجوه العود

اعود الآن الى الموضوع المترجم له في العنوان فاقول :

من وسائل الاستعمار الاساسيه ضرب نطاق الحصار على الشعوب التي وقعت في ثقاف جدوله

موافقة الإصلاح الإسلامي

للأستاذ عبد السلام الهراس

العقيدة السليمة خير مركب لعناصر الحضارة في النفوس واقدر على خلق امة والصعود بها في مدارج الرقي والكمال ، وبما ان الحضارة ليست سلعة تباع في الاسواق ولا حبوبا تستنبت من الارض ولا مركبا كيماويا تصنع في المعامل وانما هي اشعاع روحي ينبثق من اعماق الانسان في صورة مركب من عناصر الحياة : عناصر الحضارة الاساسية التي اشرنا اليها في مقالاتنا عن استاذنا مالك بن نبي ــ بان الدين كان وما يزال ــ هو الشرارة التي يعتمد عليها الحضارة في بناء كيانها وهو الاساس الذي تبنى عليه المدنيات . وسرعان ما يتزلزل البنيان اذا ما ضعف الاساس .

ولاستمرار الحضارة في حالة سليمة وصحيحة لابد من وجود وعي صحيح وحذر دقيق . اذ قد تتسرب الى النفس التي انبثق منها ذلك الشعاع جراثيم فتاكة وافكار خاطئة ، وتساله . فتشوه الفكرة وتسلبها سر فعاليتها ، فتقتل روحها ، وتتركها جثة هامدة . تعبر عن الشكل دون الجوهر . وقد تتعرض الجثة لعوامل الفساد والفناء ، وقد تبقى محتفظة بدماء ، تعطي بعض الامل في الاستعداد لعوامل الحياة والتجدد اذا وجد من ينفخ في ارجاء تلك الجثة نفخة البعث والاحياء . وهذه قصة الدول والامم : منها ما يفنى الى الابد ، ومنها ما يقاومه الفناء ببعض ما تحتفظ به من حصانة روحية ، ولذلك فانها تتجدد في فترات مختلفة . وقد تدخل في مركبات اممية جديدة نتيجة ظهور عقائد او افكار جديدة .

والمسلمون كانوا خير امة اخرجت للناس ، يوم كان للعقيدة الصحيحة دورها الفعال في النفوس تدفعهم الى البناء والتشييد وتقودهم من نصر الى نصر ، وتضع في يدهم الوسائل المختلفة لاستكمال كيانهم وسد حاجاتهم بما يحقق والغاية التي يرمون اليها وتبعثهم على الابتكار والتجديد . والتوسع في ميدان العلم والفن . وتبعدهم عن مواطن الزلل وورطات الغرور والخيلاء . بما رسمت لهم من معالم واضحة واخلاق صالحة وسبل هادية . وبما امدتهم به من علاقات اجتماعية بناءة .

ولما بدات عناصر العقيدة تتحلل في ارواحهم ، ويضعف اثرها الفعال في نفوسهم . بما خالطها من شوائب معوقة للنمو الروحي والفكري . وملوثة صفاء العقيدة الاولى . وملونة سلوك المسلمين بلون هو اقرب الى الجاهلية منه للاسلام ــ حينئذ تمكن الضعف منهم ودب في اعصابهم الارتخاء وفي عقولهم الجمود وفي نفوسهم الوهن . فقعد بهم عن تسيير الحضاري الرائع بل عجزوا عن الاحتفاظ بحضارتهم وفتوحاتهم ففقدوا الاخلاق والارض ، وشاع نوع من الانظمة السياسية بعيدة عن ان تحقق اهداف الاسلام . واستولى العبيد والمغرورون على مقاليد الامة الاسلامية ، واصبحت اهدافهم ومثلهم تنبثق من بطونهم وفروجهم ، وخضع الكل لتحقيق تلك الاهداف ، كما شاعت في المجتمع الاسلامي عقائد تسلبهم عن طريقهم وسلك بهم في مهاوي الانحطاط ومزالق الفناء ، اذ كانت تصادم معاني التوحيد الصافية وغيرها من العقائد التي كانت تشكل منابع السعادة للمجتمع الاسلامي .

ومن الطبيعي ان تكون لعوامل الهدم زمن طويل لتتاح لها القيام بدورها في تهديم ذلك الصرح العظيم ، الذي بني على اسس قوية ، وقيم خالدة ، ومنذ الفتنة الكبرى وتلك العوامل تتعاون وتتفاقم خط هجومها على المجتمع الاسلامي في العقائد والافكار ، وكانت

وان شئتم زدنكم شهادة احد ابنائكم المارشـــال بيجو القائد الاعلى لجيش الاحتلال الـذي يقـــول في مذكراته :« لقد خبرت اهل الجزائر واختبرتهم طيلة سبع عشرة سنة غاية ما اقوله عنهم : انه لو طبخ راس جزائري مع راس فرنسي في قدر واحدة لافترقت مرقة هذا من مرقة هذا » .

وبعد هذا وذاك اقول للقوم : اني آنست من خلال رماد الاستعمار جذوة ستطير منها الشرارة المبشرة بانجاز ما وعد به الكتاب حيث يقول : « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلـــه » والبوادر المبشرة هي ما حكم به الزمان من انهيار صروح الاستعمار وتهافت الحواجز التي سور بها اقطاعاتـــه فنفتحت بذلك الابواب في وجوه الدعايات والاتصالات ليصبح الكلام للحجة لا للقوة ، لاسيما والحجة زيادة على ما لها من قوة وسلطان قد حباها الزمان بعاملين مـــن اقوى العوامل عامل حسي وعامل معنوي : العامــــل الحسي روسيا ومن الى جانبها شاهدنا برهان سطوتها في قضية العدوان الثلاثي حيث كفى مجرد انذار منها لرد المعتدين الثلاثة على اعقابهم بريطانيا وفرنســـــا وبالثهم كلبهم . والعامل المعنوي: ما استفدناه من علمائك انفسهم من تصعضع اسس المسيحية وانكشاف الجرف الهاري الذي تتماسك عليه . كلا العاملين جاءا حاملين لهذه الرسالة من عندكم وهما منكم واليكم ويرحم الله القائل « ولكل شيء آفة من جنسه ❋ حتى الحديد سطا عليه المبرد » وسوف تعلمون ان من كان بيته من زجاج لا يرمي الناس بالحجر . ولا عجب ، بهذا وبمثله جاءت السنن الاجتماعية « بقاء الباطل في غفلة الحق عنه » وكذا السنن الالهية « ان الباطل كان زهوقا » ومثله قول بعض العارفين : « ان الله يدفع في كل زمان مدبرا بمقبل ومبطلا بمحق وفرعونا بموسى ودجالا بعيسى فلا تستبطيء » .

« عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي ص قال : مثل مـــا بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكان منها نقيه قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير . وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا . واصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به » .

تاويلا فاسدا لمهاجمة القيم الاسلامية مهاجمة غير مباشرة حيث لم ينفع الهجوم المباشر ، وكمحاولة للانتقاص من رسول الله (ص) بقلب الحقائق وتجاهل الوقائع وما لديها من ارتباط ، وبالانتقاص من اصحابه الاجلة توسلا للنيل منه ، فهذا احد زعماء القرامطة والباطنية يوصي اصحابه بقوله : لا تشتموا محمدا بل ابكوا عليا وتأسفوا عليه وادعوا انه كان احق بالخلافة من الشيخين واشتموهما فانكما ان شتمتموهما شتمتم صاحبهما ، وهذه خطة الاستعمار اليوم في محاربة الاسلام حيث عجز عن تحطيمه مباشرة . فالاستعمار لا يقول لشباب المسلمين لاتصلوا ولكن يبتدع افكارا ومفاهيم خاصة تتعاون لتضعف الايمان بالصلاة ، فيترك الشاب المسلم الصلاة اعتمادا على افكار اعتنقها وآمن بها وتوهم انها من وعيه وابتكاره فالفكرة المتداولة « بان الصلاة رياضة ابدان » لا يراد منها تبرير الصلاة علميا والرفع من شانها وانما يراد تعليلها تعليلا عاديا وسخيفا ، حتى اذا ما استقر هذا التعليل في النفوس . تلاشى عنها المعنى الديني المراد ، وكان من الهين ان يستغني الانسان عن هذه الرياضه « ما دام يتابع رياضة بدنية منظمة . ولا عجب ان تكون هذه الفكرة وامثالها قد ملات العالم الاسلامي ولقنت حتى للاطفال الصغار . ومن تلك الافكار « الدين لله والوطن للجميع » ابتكرها الاستعمار في الشرق لحمل المسلمين على التخلي عن دينهم من اجل التآخي في القوميه في حين يظل المسيحيون على عقائدهم دون تغيير . فالقومية (1) اذن فوق الاديان . فهي التي تحدد لنا شروط الاخوة دون الدين .

فالفكره اذن موجهه ضد الاسلام : لقطع العلاقه بين العرب وبين فكرة الخلافه وبينهم وبين الشعوب الاسلاميه من جهه اخرى حتى اننا سمعنا مرارا وتكرارا انه لا معنى للتآخي مع الاندونيسي البعيد ، واهمال الاخ العربي المسيحي المواطن ، فالاخوه يجب ان تكون في دائره القومية لا في دائرة الدين . وهكذا اصبحت كتلة من الشبان لايؤمنون باخوتنا نحن العرب مع اخواننا المسلمين غير العرب . ونلاحظ على هذه الفكره التي صنعها الاستعمار وطبخها وجهزها وقدمها سما زعافا لبعض السذج ـ يلاحظ عليها كثير من السذاجة والبلهلة وضعف التفكير لانها تجعل اخوتنا للمسلمين غير العرب شرطا لعداوتنا لاخواننا المسيحيين العرب . والعكس بالعكس . مع ان تعاليم الاسلام ترفع هذا التناقض، فالاخوة الاسلامية لا تعني عداوة احد ، اما موقف الاسلام من المواطنين غير العرب فيتسم بالعدالة والرحمه والعطف مما لايوجد لدى الامم الاخرى والتاريخ شاهد على مانقول . والغربيون انفسهم يعترفون بذلك .

فهذه الافكار وامثالها كثيرة تسربت الى فكر المسلمين وعاداتهم واخلاقهم وكما توجد بعض السموم التي بثها اعداء الاسلام وبعض المخطئين من ذوي النيات الحسنة في ثقافتنا الاسلاميه القديمه فكذلك توجد في ثقافتنا الحديثه من تلك السموم التي يراد بها عرقلة نهضتنا وتضليل خطواتها . ولها دور كبير في انحرافنا عن الجادة الاسلامية وما زالت تلك المفاهيم الخبيثة تتوارد على العالم الاسلامي في اثواب علمية وعادات مدنيه الامر الذى تشوه العقيدة الاسلامية ويشل فاعليتها في النفوس (2) . ولم تذهب مؤامرة الاستعمار الثقافية سدى بل استطاعت ان توجد في البلاد الاسلامية عصابات تشهر السلاح على الاسلام وتهاجمه في كل مناسبة وتعمل على اقصائه واستئصاله من الحياة الاسلامية الحديثه عن طريق استبدال الشريعه الاسلامية بقوانين الكفار وتحطيم الثقافة الاسلامية واهالة تراب النسيان على تراثنا الثقافي واحلال الثقافات الاجنبية محله . غير أن الميدان لم يبق فارغا لهؤلاء طلبة التاريخ الاسلامي بل هناك رجال مؤمنون حاولوا انقاذ العالم الاسلامي مما يتخبط فيه ومقاومة الدجالين والمهرجين والامام الشيخ محمد عبده احد اعلام اولئك الابطال في عصرنا الحديث الذين اثروا في فكره الاصلاح بل تزعموا تلك الفكرة ، وموعدنا العدد المقبل بحول الله لنعيش لحظات مع الفكرة الاصلاحية عند محمد عبده رحمه الله .

---

(1) ان القومية من الناحيه السياسية الرمنية نحبذها ونظاهرها ونعمل من اجلها اما ان تكون هي الاساس في نهضتنا فاني على يقين من انه لاينهض بهذه الامة الاالعقيده الاسلامية .

(2) ان تصفية التراث الاسلامي من الدخيل والسموم المبثوثة فيه لهو أجل عمل يجب أن يقوم به علماؤنا كما فعل اسلافهم الكرام .

نتيجة التفاعل بين العرب وغيرهم ان فقد المسلمون كثيرا من خصائصهم الفاضلة على مر الزمن ، واستطاع الدخلاء والمتآمرون على الاسلام ان يؤثروا على المجتمع الاسلامي في حياته العامة والخاصة وكانت نتيجة ضعف الوعي العام وقلة الحذر مما يهدم الحضارة الاسلامية ان استسلم المسلمون الى نوم عميق واتخذوا المؤخرة مستقرا لهم حيث لا ازعاج هناك ، وجمدوا كذلك قرونا طوالا يتحكم في سلوكهم غرور ارعن: يحجب عن اعينهم حقائق الحياة وسنن التاريخ (وربما كان اشد البلاء الذي نزل بهم انهم لم يفطنوا الى تدهورهم (1) واخطر من المشكلة الجهل بها وعدم تقدير خطورتها او تشخيصها تشخيصا اعتباطيا او مزيفا لان ذلك ما هو الا اعطاء الفرصة لها كي تتعقد ويتراكم عليها غيرها ، حتى تحدث بعبئها الثقيل تصدعا في الصرح وهيئه لان ينهار لاقل صدمة كما تناثر العالم الاسلامي عند ما هاجمه الاستعمار الغربي .

ولكن هذا « العالم الاسلامي » على الرغم مما حل به من ويلات عبر التاريخ : من فتنه كبرى الى انقسام داخلي الى هجوم التتار والصليبيين الى الاستعمار اخيرا ما يزال محتفظا ببقية من الحياة : بشيء ولو قليل من ذلك الاشعاع الرباني ، بخميرة روحية ، وهي ذلك الاستعداد الذي يتجاوب مع صيحة المصلحين الذين لم يخل منهم التاريخ الاسلامي الى اليوم على الرغم مما يلاقونه من مقاومة جبارة من لدن اعداء الاسلام : « المواطنين » و « الاجانب » .

وقد عرف العالم الاسلامي نوعين من القيادة او من مريدي الاصلاح : نوعا مضللا عن سوء نية او عن غفلة ، ونوعا يعتمد على الاسس التي اعتمد عليها المسلمون اول الامر في بناء شخصيتهم، وما جاءت دعوة اصلاحية حقة الا صادفت مقاومة وحربا عوانا من مختلف الجهات ، فعند ما حاول المسلمون النهوض في اواخر القرن الماضي واوائل هذا للتخلص من اسباب الانحطاط ولانقاذ البلاد الاسلامية مما يهددها من استعمار وجدوا امامهم قوة خطيرة تحاربهم ليس في الميدان الحربي بل في الميدان الفكري : فكانت حركة الاستشراق احدى جوانب تلك الحرب بما استعملته من وسائل التضليل وقلب الحقائق والدس والمكر ، وقد وجد الاستعمار في « بعض » المسلمين من هم على استعداد لبيع ضمائرهم وتقديم خدمات جلى في الميدان الديني والعلمي لمصلحة الاستعمار واهدافه .

فتاسست مذاهب وابتدعت افكار وتكونت احزاب و « مدارس » القصد منها مقاومة الاصلاح بوسائل التهريج على المسلمين ، وفي ذلك يقول استاذنا مالك في انشودته الرمزية الرائعة : « ها هم ينصبون الآن على باب المدينة التي تستيقظ ، السوق وملاهيه لكي يميلوا هؤلاء الذين جاءوا على اثرك ويلهوهم .

وهاهم قد اقاموا المسارح والمنابر للمهرجين والبهلوانات لكي تغطي الضجة على نبرات صوتك .

وها هم قد اشعلوا المصابيح الكاذبة لكي يحجبوا اضواء النهار . . .

وها هم قد جملوا الاصنام ليلحقوا الهوان بالفكرة (2) » .

ولهذا كان على الاصلاح ان يحارب في واجهتين ، واجهة الاستعمار الصريح وواجهة الاستعمار الخفي الذي يتقمص « شخصيات اسلامية» وافكارا تجديديه صادرة عن المسلمين ويكمن خلف مؤسسات ومنظمات وكتب ونشرات يوجهها حيث يريد، ولكي يتقن المؤامره يلبس بعلها اثوابا علمية ــ وما العلم حينئذ الا عنوانا كاذبا لا يدل على معناه المقدس ــ وهذه الواجهه اخطر على المسلمين من الواجهة الاولى بما لديها من فعالية مضللة وخداعة ، وبما تتوفر عليه من قوة النفوذ الى نفوس البسطاء والمغرورين والمرضى بحب الظهور عملا بقاعدة « خالف تعرف » وهذه الناحية من المؤامرة على الاسلام لا تزداد الا حدة وتكاثرا مع الايام ، بما نشاهد من سريان افكار غريبة عن الاسلام تتردد في اجواء العالم الاسلامي ويكاد بعضها يصبح قاعدة عامة لا تحتاج لمناقشة او برهان (3) . واذا قمنا بمقارنة تاريخية تبين المؤامرات الحديثة والمؤامرات القديمة على الاسلام فسنجد تشابها كبيرا في الاهداف بل وفي كثير من الاساليب كتزييف نصوص دينه وتاويلها

---

1) الاسلام بين امسه وغده ــ للدكتور محمود قاسم
2) شروط النهضة ومشكلات الحضارة ص 16 للاستاذ مالك بن نبي
3) ان المراكز الثقافية الاجنبية في البلاد الاسلامية اخطر علينا من المراكز العسكرية

المساواة فى القصاص يتحقق على مذهب الحنفية وهذا هو المناسب لحرمة الانفس وحفظ الامن فى البلاد ويؤيده قتل الجماعة اذا اعتدت على الفرد الواحد مشتركة فى قتله . وقد يرد هنا تساؤل عن الرق الذي شرع له الاسلام شرائع فى المعاملات فنقول ان الارقاء هم فى الاصل اسرى حروب يمكن لامام المسلمين ان يحررهم او يقبل الفداء عنهم او يسترقهم اذا كان فى ذلك مصلحة للمسلمين ، وقد شرع الاسلام لهم من الحقوق ان نطعمهم مولاهم مما ياكل ويكسوهم مما يلبس ولا يكلفون من العمل ما لا يطيقون كما فتح لتحررهم وعتقهم فى الكفارات من الايمان وفى غير الكفارات من القربات ما لا يبقى معه اى رقيق مع الايام ، ونحن نعلم ان الحرب الدولية الاولى والثانية فى هذا القرن خلفت من الاسارى العدد العظيم وقد لاقى هؤلاء من الارهاق والقتل بالجملة ما يعد التشريع الاسلامى فى جانبه ارقى ما عرف فى التاريخ الانسانى من الرفق والعطف على هؤلاء .

وقد اعتبر الاسلام مساواتهم فى رواية الكتاب والسنة كما اعتبر شهادتهم فى الحقوق وان الفاها بعض المذاهب فذكر الحافظ بن القيم فى كتابه الطرق الحكمية الحكم بشهادة العبد والامة فى كل ما يقبل فيه شهادة الحر والحرة قال وهذا هو الصحيح من مذهب احمد وعنه يقبل فى كل شيء الا فى الحدود والقصاص لاختلاف العلماء فى قبول شهادته فلا ينتهض سببا لاقامة الحدود التي مبناها على الاحتياط والصحيح الاول .

وقد حكى اجماع قديم حكاه الامام احمد عن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال ما علمت احدا رد شهادة العبد ، وهذا يدل على ان ردها انما حدث بعد عصر الصحابة واشتهر هذا القول لما ذهب اليه مالك والشافعي وابي حنيفة وصار لهم اتباع يفتون ويقضون باقوالهم فصار هذا القول عند الناس هو المشهور ولما كان مشهورا بالمدينة فى زمن مالك قال : ما علمت احدا قبل شهادة العبد ، وانس بن مالك يقول ضد ذلك ، وقبول شهادة العبد هو موجب الكتاب والسنة واقوال الصحابة وصريح القياس واصول الشرع وليس مع من ردها كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس انتهى كلامه.

ونحن نعلم ان عهد الارقاء الافراد قد مضى ولم يبق غير استرقاق الامم التى تمسك بعض دول اوربا به وهو فى طريق الزوال بحول الله ، ولكن يهمنا في الدرجة الاولى ان نثبت سمو التشريع الاسلامى لنبين فضل هذه الشريعة فى الوجود ونسير على مقتضاها فى حياتنا والله ولي المومنين .

اخوانكم خولكم

قال ابو ذر انى سابيت رجلا فعيرته بأمه فقال لى النبى ص : يا ابا ذر أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ! اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم .

مناط التفاضل والمساواة بين الأفراد في شريعة الإسلام

للأستاذ أبي عبد الله

ينحو العصر الحديث نحو المساواة ومحو الفوارق في الاعتبار من اللون والجنس والعنصرية بين بني الإنسان . وإن الباحث في شريعة القرآن يجدها أقرت التفاضل بين البشر في جوهر الفضل . ومحت الفوارق في باب الحقوق والعدل ، إقرارا بالحق وحفظا للأمن ومصالح المجتمع في الوجود . فقالت الآية إن أكرمكم عند الله أتقاكم وقال الرسول عليه السلام لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . فالتقوى يزيد الفضل ويكثر الفرق بين الأفراد وقد بين الرسول الأخيار من الأشرار بين جماعة المسلمين فقال : خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره . والتفاضل في الكمالات الإنسانية الروحانية بتطهير النفس والأعمال الصالحة لا يمكن نكرانه من أي منصف .

أما في باب الحقوق والواجبات فقد سبق الإسلام إلى جوهر المساواة بين جميع المؤمنين في أول ما يشهدون بعقيدة التوحيد ورسالة محمد عليه السلام فكان شعار الدعوة إلى الإسلام من أجاب الدعوة له ما لنا وعليه ما علينا . جاء في رسالة عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص حين افتتح العراق قوله : وقد كنت أمرتك أن تدعو من لقيت إلى الإسلام قبل القتال فمن أجاب إلى ذلك قبل القتال فهو رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم . وله سهم في الإسلام أي وقت قسمة الغنائم بين المجاهدين . انتهى . رواه أبو يوسف في كتاب الخراج .

فهذا المبدأ الذي هو شعار دعوة الإسلام قد محا العنصرية والشعوبية ومحا الجنسية التي صارت الآن ذات قوانين واقتلع جذورها من المجتمع الإسلامي فلا تبعية لقطر من الأقطار ولدولة من الدول بل أوطان الإسلام عامة لجميع المسلمين دون اعتبار لون ولا جنس فالمسلمون إخوة وقانونهم واحد هو الشرع الإسلامي وربهم واحد وأمتهم واحدة . على هذا الأساس السليم عاشت الخلافة الإسلامية في خير القرون فلم يكن لدى الحكومة الإسلامية شروط في الجنسية ولا تعرف لشعبه أفراد معينين غير اتحاد العقيدة والدين .

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا الموضوع بعض الحقوق المدنية والجنائية التي يحصل فيه اشتباه في باب المساواة . من ذلك قضية القصاص في القتلى هذه القضية أقر فيها أئمة المالكية عدم المساواة بين الحر المسلم وبين الكافر بينما أقر فيها المساواة أئمة الحنفية والكل يستدل بالآية يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فالحنفية يقولون بالقصاص في عموم القتلى . ويرون ذكر الأمثلة بعض نص العموم لا يخصص العموم وقد وقعت مناظرة عجيبة بين الزوزني من علماء الحنفية وبين عطاء المقدسي إمام الشافعية بمحضر الحافظ ابن العربي الذي نقل خلاصته من تلك المناظرة عند تفسير آية القصاص فالحنفية يقولون إن المسلم والكافر متساويان في الحرمة التي تكفي في القصاص وهو حرمة الدم الثابتة على التأبيد فإن الذمي محقون الدم على التأبيد والمسلم كذلك وكلاهما قد صار من أهل دار الإسلام والذي يحقق ذلك أن المسلم يقطع بسرقة مال الذمي وهذا يدل على أن مال الذمي قد ساوى مال المسلم فدل على مساواته لدمه إذ المال إنما يحرم بحرمة مالكه وكذلك يرى الحنفية أن الحر يقتل بالعبد لعموم صدر آية القصاص كما يقتل الذكر بالأنثى .

ونحن عندما نذكر صلاحية شريعة الإسلام لكل زمان ومكان لا ننظر إليها من خلال مذهب معين بل ننظر إلى أصولها وجها لوجه من غير تقيد بمذهب خاص ، وعلى هذا فمبدأ

ولما استولى ابو الحسن المريني على المغربين الاوسط والادنى وجه سفيره فارس بن ميمون الى الناصر محمد بن قلاوون ملك مصر والشام والحجاز ليعلمه بارتفاع العوائق عن ركب الحاج في سابلتهم وتيسر المواصلات بين البلدين فعاد برسالة تؤكد روابط المودة ثم ما لبث ملك المغرب ان اقتنى ضياعا بالمشرق واوقفها على القراء ووجه وفدا فيه بعض الادباء مع هدايا ثمينة جدا احتفاء باخيه ملك الكنانة وقد احتفل الشعب المصري بمقدم الوفد المغربي في يوم مشهود وصفه ابن خلدون وابن مرزوق والمقريزي مؤرخ مصر الذي ذكر ان الاسطول السلطاني هو الذي نقل الهدايا المغربية التي كانت عبارة عن ثلاثين قطارا من بغال النقل سوى الجمال قيمتها مائة الف دينار اي مليون ونصف فرنك بالصرف الذهبي لذلك العصر او نحو 300 مليون فرنك حالي وقد بودلت الهدايا بمثلها من منتوج مصر .

وكان للادب نصيب في هذه المناسبات فعندما وجه ابو الحسن مصاحف منتسخة بخطه الى الحرمين والقدس كتب ملك مصر توقيعه من انشاء اديب مصر الشهير جمال الدين بن نباته في الثناء على شقيقه ملك المغرب.

وعندما توفي ابن قلاوون اوفد ابو الحسن عام 745 هـ. بعثا الى ابنه اسماعيل مع رسالة تعزيه طويلة تليها لتجديد « عهود موثقة ، وموالاة محققة والود الثابت الاركان » واخبره بالجهود التي بذلها لانجاد الاندلس ثم اكد ان البلاد المصريه والمغربية هي «باتحاد الود متحده ، والقلوب والايدي منها منعقده» فاجابه ملك مصر برساله بديعة من انشاء خليل الصفدي شارح لامية العجم .

وعندما كان امير الركب المغربي في القاهره حمله ملك مصر الظاهر برقوق هدايا من انتاج الكنانة الى ملك المغرب ابي العباس بن ابي سالم بن ابي الحسن .

ومما يدل على اهتمام ملوكنا بمصر خاصة والشرق العربي بوجه عام ان سيدي محمد بن عبد الله حبس على مصر القاهرة والاسكندرية نسخا من ابن خلدون وابن خلكان وقلائد العقيان والاغاني ونفح الطيب وتآليف ابن الخطيب السلماني (اتحاف اعلام الناس لابن زيدان ج3 ص 251) .

وقد جلب السلطان سيدي محمد بن عبد الله من الشرق كتب الحديث المهمة مثل مسانيد الايمة احمد وابي حنيفة والشافعي وكثير من مهم المتون والشروح كما رتب لاهل الحجاز واليمن مائة الف مثقال في كل عام وفك عام 1200 هـ 48 الف اسير حتى لم يبق اسير مسلم في الشرق ولا في الغرب .

وكان الجيش النظامي الذي اسسه المولى محمد ابن عبد الرحمن يعمل تحت قيادة ضابط مصري (كودار تاريخ المغرب ص 141) .

على ان علماءنا وادباءنا كانوا يلقون نفس الحظوه عند ملوك الشرق فهذا ابو الخطاب ابن دحيه الاندلسي تجول بالاندلس والمغرب واستقر بالقاهره في كنف الملك الكامل ثم زار اصبهان وبغداد ونيسابور وشيراز ودمشق والقدس وسبتة ، وقد اخذ بالقاهره عن ابي اسحق ابن احمد ابن الواعظ . وكان له عند الكامل بمصر جاه عظيم وحظوة علية بعد العهد بمثلها حتى ليذكر انه هم بنصبه خليفة وبعثه رسولا الى الناصر لدين الله ببغداد فبعثه هذا بدوره سفيرا الى بعض ملوك العجم وتوفي بالقاهرة عام 633 هـ (الذيل والتكمله)

والخطيب ابن مرزوق الذي ولاه السلطان الاشرف الوظائف حيث دفن بين ابن الاشهب وابن القاسم (النيل ص 274) وكان يقول « ليس اليوم يوجد من يسند احاديث الصحاح سماعا من باب الاسكندريه الى البرين الى الاندلس غيري » (ص 275) وقد توجه مجتهد المغرب عبد الله الورياجلي القصري لياخذ العلم عن ابن مرزوق فقال له ابن مرزوق « ليس احد اعلم منك فرجع » (دوحة الناشر لابن عسكر ص 26) وقد الف ابن مرزوق لامير مصر كتابا سماه « الاشرف الطرف للملك الاشرف » اكد فيه ان ممالك مصر افضل المعمورة .

وقد دخل تاج الدين بن حمويه السرخسي المغرب من الاسكندريه بحرا ووصل الى مراكش ايام الامير ابي يوسف يعقوب المنصور واتصل بخدمته .

وابو البركات عمر بن مودود الفارسي جال في همذان وبغداد ومرو والشام ومصر والاندلس حيث روى عنه الرعيني وورد على مراكش ايام الرشيد من بني عبد المومن فحظي عنده واجرى له ثلاثمائة درهم وسبعة قناطير ونصف قنطار من الحواري كل شهر سوى الاكسيه والهدايا والتحف (الذيل والتكملة) .

أبحاث ومقالات

عُلماؤنا والتبادُل الفكريّ بين المغرب والمشرق

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

لعل ابلغ الروابط واعمقها بين الشرق والمغرب العربي قد تحققت على يد رسل الفكر الذين كانــوا يتواردون من المغرب بالالاف (1) كل عام علــى مختلف اقطار الشرق فيصلون اسانيد الغرب باسانيد الشــرق ويتبادلون الوان العلوم والفنون ويجددون الاواصــر المتينة التي ما فتئت تتجلى منذ ازيد من الف عــام في الوحدة الفكرية والروحية القائمة بين جناحي العروبــة والاســلام .

وكانت لوفود المغرب الى المشرق اهداف مختلفة فريق عابر يتجه الى الحجاز عن طريق طرابلس ومصــر للحج والزيارة وقد يستفيد من العلماء الذين يجعلهــم الصدفة في طريقه وفريق ثان يقصد علماء معلومين للاخذ عنهم وفريق ثالث يستوطــن الشــرق او يقيم طويلا في رحلات سيقه عبر اسيا والشرق الادنى ثم يعود الــى المغرب وكان ملوك المغرب يوفدون في الغالب ركبا رسميا للحج لتجديد الروابط مع حكومات الدول الشقيقة .

ويحمل هذا الركب هدايا لامراء طرابلس ومصــر والشام والحجاز واليمن وجوائــز سنية لرجال العلم والادب في كبريات العواصم علاوة على الاموال الطائلــة التي توزع على الطبقات العربية المعوزة وكــان الشعب المغربي يسهم بحظ وافر في هذه الاكتتابات الدوريــة ويوقف الاوقاف الضخمة لتركيز هذه المبرة .

وقد ضرب المنصور السعدي المثل الاعلى لتثبيت اللحمة الروحية بين الشرق والغرب فبعث الى علماء مصر يستجيزهم رغبة في توثيق الاسانيد فاجازه محمد البكري وبدر الدين القرافي .

وكان المنصور هذا يكرم العلماء فلذلك كثر عليــه الوافدون من الحرمين وبيت المقدس ومصــر والشام والعراقين والهند فاجتمع لديه مرة مدني ومكي وقدسي (الاعلام للمراكشي ج 1 ص 47)ومن حسن سيرتــه برجاء اهل مصر وغيرهم ان يكون ملكهم (ص 50) .

ومعلوم ان المهدي بن تومرت ملك المغرب اجتمــع في الشرق بالغزالي والطرطوشي ودرس هنالك علــوم الشريعة والحديث والاصول وقد ذكــر ابن ابي زرع ان المهدي لقي مسايخ واخذ عنهم ونبــغ في الاصــول ولازم الغزالي ثلاث سنــين (2) .

ولما توحدت مصر والشام والقدس تحت رايــة الايوبيين عام 583 انقض عليها المسيحيون من كل جهه وتتابعت اساطيلهم لاعتراض الاسطول الايوبي الرابض بالاسكندرية فاستصرخ صلاح الدين بالمنصور الموحدي طالبا اعانته بالاساطيل المغربية بمنازلة عكا وصــور وطرابلس والشام واوفد الى مراكش ابا الحرث عبــد الرحمن بن منقذ الشامي فامده السلطان على قول ابــن خلدون بمائة وثمانين قطعة من الاسطول المغربي في حين انكر مؤرخون ءاخرون هذا الامداد .

---

1) ذكر كودار في تاريخ المغرب المصنف عام 1860 ان ثلاثة ءالاف مغربي يسافرون كل سنة الى الخــارج منهم اربعمائة او خمسمائة الى اوربا والباقــي الــى الشــرق (ص 242)

2) اكد ملاقاته مع الغزالي اصحاب الحلل الموشيــة ورقم الحلل واليوسي في محاضراتــه وصاحب نشــر المثاني وصاحب تاريخ الدولتين والشيخ مرتضى ولم يجزم ابن خلدون في تاريخــه ولا صاحب المعجب وقطــع بنفيــه ابن الابــر في الكامــل

وعبد الرحمن ابن خلدون الفيلسوف المؤرخ الاجتماعي المتوفى عام 808 وقد تولى خططا سامية في تونس وفاس وتلمسان والقاهرة ، وقضى شطرا من حياته في المغرب وقد تحدث في مقدمته عن قواعد النقد التاريخي ودرس اصول المجتمع وتأثير الطقس في الانسان وتطوره الاجتماعي حتى شبه بالفيلسوف مونتسكيو .

والحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي رحل الى فارس وبلاد التتار ثم رجع الى الاستانة عن طريق مصر واختطفه القراصنة الطليان قرب جزيرة جربة ويقال انه تمسح وانه رجع الى تونس حيث مات وقد الف بالعربية وترجم الى الايطالية كتابه في وصف افريقيا

واحمد الكاملي الضرير الدرعي الذي زار المشرق وما ترك بلدة من المعمور الا دخلها برا وبحرا وكتب عدة رحلات وكان يقيم اياما في كل بلدة ثم يرحل عنها ومكث سنة في دمشق وهو متضلع في عدة فنون محدث يحفظ صحيح البخاري ومسلم باسانيدهما وكتب الاخبار والاداب ودواوين الشعراء والمولدين سريع الحفظ كان يسمع القصيدة المرة الثالثة فيسردها من حفظه تلاقى في الهند مع داود الكلكتي الذي عمر 200 سنة وتوفي ودفن بمراكش عام 1315 هـ (الاعلام ج 2 ص 244) .

ومن علماء المغرب وادبائه الذين استوطنوا الشرق او حالوا مدة طويلة في مختلف انحائه فكان لهم تاثير في الاقطار العربية او الاسلامية مروان بن عبد الملك ابن سنجون اللواتي الطنجي الذى اقام في الشرق سبع عشرة سنة يقرر الحديث والذي كان يقول « لم ادخل الى الشرق حتى حفظت اربعة وثلاثين الف بيت من اشعار الجاهلية » وهو من كبار الفصحاء في طنجة (معجم البلدان ج 6 ص 62) .

وذكر ابن دحية في «المطرب من اشعار اهل المغرب» ان عبد الملك بن زهر طبيب الموحدين رحل الى المشرق وبه طبب زمانا طويلا وتولى الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان (الاعلام ج 3 ص 63) .

ومحمد بن احمد بن جراح الجياني المعروف بالبغدادي لطول سكناه ببغداد روى عن علي الطبري وجلب من توالیفه احكام القرآن واصول الفقه والرد على احمد بن حنبل ، حفظ كتاب البرادعي قبل رحلته واستقر بفاس بعد خروجه من جيان اول الموحدين وتوفي بها عام 546 هـ (السلوة ج 3 ص 267) .

ومحمد بن عامر الحمصي رحل الى المشرق واستقر بحلب والشام واقرا هنالك مدة ثم قفل الى المغرب واستقر بفاس وبها توفي بعد 580 هـ (ج 3 ص 267) .

ومحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي اقام بالمشرق خمسة عشر عاما واخذ عن عشرات الاعلام بالقاهرة وبغداد والقرافة ودمشق والصعيد الاعلى والاسكندرية والقدس وطرابلس وافريقيه كما تتلمذ بمصر للاختين ست الكل وست العلم ابنتي عبد الله بن رفاعة السعدي وفاطمة بنت سعد الخير الانصارية بالقاهرة وتقية بنت الخطيب غيث الارمنازي وقد ضمن مشايخه برنامجه الحافل الموسوم بالنجوم المشرقة ، وحدث بالمشرق والمغرب وهو صاحب المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس توفي عام 604 هـ (الذيل والتكملة) .

واحمد التريسي السلوى نشأ بمراكش واستوطن الفيوم بمصر اخذ عن ابي الحسن الابياني بالاسكندرية وهو تلميذ عمر السهروردي وتوفي بالفيوم عام 641 هـ (الاعلام ج 1 ص 351) .

ومحمد بن احمد بن ابي شاكر ابو عبد الله بن الطهر المراكشي المحدث درس بدمشق وقدم مصر وحدث عن كريمة بنت عبد الوهاب وعلى السخاوي وسمع باربل وبغداد وولد باربل عام 602 (الاعلام ج 3 ص 195 نقلا عن بغية الوعاة) .

وجمال الدين محمد بن ابي بكر البغدادي اصله من قصر كتامة له شيوخ ببغداد ودمشق والاندلس ومصر وهو صاحب الوتريات في المدح النبوي وقد ورد على مراكش صدر 655 هـ ثم عاد الى مراكش واقام بها مدة وكان شافعي المذهب نظارا فيه حسن المأخذ توفي بتونس لدى قفوله الى مراكش للمدة الثالثة عام 663 هـ وقد خمس وترياته محمد الفاطمي الصقلي وطبعت بفاس (الاعلام ج 3 ص 152 نقلا عن الذيل والتكملة) .

وعمر بن الطوير السوسي المراكشي شهر بمصر والحجاز بابي الخطاب السوسي تفقه بمراكش اخذ عن الفقيه عبد الوهاب البغدادي اصول الفقه وتعلقه على محمد بن يحيى في مسائل الخلاف وهو اول من ادخلها الى المغرب واخذ بالاسكندرية عن الابياري وكان يحفظ البرهان لامام الحرمين وكان مستبحرا في العلوم توفي عام 622 هـ (الذيل والتكملة) .

وورد على المغرب كذلك محمود بن ابي القاسم الخراساني ايام الناصر الموحدي الذي اجزل صلته وروى عنه علماء مغاربة .

وورد على مراكش وسبتة محمد بن عبد الوهاب الدمشقي الحنبلي لمحمد ابن الجوزي متطوعا على البلاد يعقد فيها مجالس الوعظ وتوفي بمصر عام 657 هـ. (الاعلام ج 3 ص 148 نقلا عن الذيل والتكملة) .

وفي اول ولاية يعقوب المنصور (عام 583) ورد على المغرب امراء الغز من مصر فانخرطوا في الجيش المغربي وجعل السلطان لهم مزية على امراء الموحدين بحيث كانت جامكيتهم شهرية وجامكية الموحدين كل ثلاثة اشهر واقطع اعيانهم اوسع من اقطاع الموحدين اكراما لوفادتهم وتمتينا للروابط بين البلدين الشقيقين (المعجب ص 177) ومن جملة ما اقتبسه المنصور السعدي من الشرق تعيين شيخ للنساخين في العاصمة ومقدم لتعليم الخط وقد قام بهذا المنصب عبد العزيز بن عبد الله السكتاني بجامع الشرفاء بمراكش كما هي العادة بالقاهرة وغيرها من بلاد الشرق (درة الحجال ص 378)

وعندما عجز الاوربيون المجلوبون لعصر قصب السكر وتصفيته واخراجه من القوة الى الفعل عن اتمام عمليتهم جلب السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان الصناع المهرة من مصر القاهرة . (الاتحاف ج 3 ص 552) .

وبالجملة فقد تبلور التبادل بين الشرق والمغرب في شتى المجالي وابسطها حتى ان اقليم قسالة (من تطوان الى سبتو) يسميه الريفيون بالشام الصغير وان سعيد ابن صالح بنى في مدينة نكور مسجدا على صفة مسجد الاسكندرية بمجارسه ومنافعه (المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب وهو جزء من مسالك البكري ص91) وان بصرة الريف سميت بصرة العراق . ومراكش هي بغداد المغرب (نفح الطيب ج 7 ص 174) وفاس هي دمشق الشام .

ولذ لنا هنا ان ننظر بجملة من علماء المغرب دون مراعاة للترتيب الزمني ولكن رغبا لتأثيرهم في الشرق .

فمن كبار الرحالين المغاربة محمد الشريف الادريسي المولود في سبتة عام 494 صاحب نزهة المشتاق واستاذ اوربا في الجغرافية قال في رسائل البشرى انه « طاف بمصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية وفرنسا وانجلترا قبل ان يستدعيه ملك صقلية » (الاعلام لعباس بن ابراهيم ج 3 ص 34) وهو اول من اكتشف ان النيل ينبع من بحيرات خط الاستواء في حين ان الاوربيين لم يكتشفوا ذلك الا منذ عهد قريب (حضارة العرب لكوستاف لوبون الطبعة الفرنسية ص 508) .

والرحالة ابن جبير الذي باع املاكه بفاس ورجع للمرة الثالثة الى الشرق عام 567 هـ وكان يتردد بين الحرمين والقدس والاسكندرية حيث مات بها عام 614 هـ (الاعلام ج 3 ص 90) .

وابن رشيد الذي اخذ بالقاهرة عام 684 عن اعلام مثل خليل المراعي بالقاهرة (درة الحجال ص 138) وذي النون ابن الاسعدي المصري (ص 144) والرتائب الثلاث (ص 150) دخل مصر والشام اخذ بالقاهرة عن عبدالعظيم المنذري وبدمشق عن الدين الحراني وبالحرم عن ابن عساكر كما في رحلته المسماة ملء العيبة واحصار ما جمع بعد طول الغيبة ثم تحول الى فاس ومراكش توفي بفاس عام 721 هـ (ص 201 – 203) .

وابو القاسم العبدري الحاجي الذي رحل الى الشرق عام 688 هـ وكتب رحلته وقف عليها شيوخه بمصر وغيرها واستجسمها شيخه زين الدين بن المنير الاسكندري ومن اسانذته ابن الحسن القرافي الذي له روايه عاليه مسندة ببغداد والعراق ومصر وشرف الدين الدمياطي وابن دقيق العيد قطب مصر وعلمها (الاعلام لابن ابراهيم المراكشي ج 3 ص 197) .

والرحالة ابن بطوطه الطنجي الذي زار مصر وفاس والهند والصين وجزيرة العرب والساحل الشرقي لافريقيا ثم الاندلس والسودان وقد ولد عام 703 ودامت رحلته 28 عاما .

ومن التلمسانيين الذين استقروا بفاس ودفنوا بها محمد بن ابراهيم العبدري الابلي قيل انه اعلم العالم في عصره بفنون العلم دخل اخر المائة السابعة مصر والشام والحجاز والعراق ولقي بالديار المصرية ابن دقيق العيد وصفي الدين الهندي والتبريزي وقرأ بفاس فنون التعاليم حتى مهر فيها ثم لحق بمراكش فتضلع عن ابن البنا في المعقول والتعاليم والحكمة ونظمه السلطان ابو الحسن المريني في طبقات العلماء بمجلسه وهو استاذ ابن خلدون توفي عام 757 هـ (السلوة ج 3 ص 274) .

المشاركة التامة حتى في اللغة والطب والهيئة ولـــي تدريس الفقه بجامع الحاكم والقرانسفرية والحسنيه والحديث بالفاضلية والاعادة بالكاملية والمنصورية وكتب عنه ابن فهد مات عام 872 هـ (الاعلام ج 4 ص 125) .

ومحمد بن محمد بن سليمان الفاسي الروداني وصفه في خلاصة الاثر بانه فرد الدنيا في العلوم كلها ولد بارودانت حصلت له ــ بعد التطواف على مصر والحجاز والشام وبلاد الروم الرياسة العظمى التي لم تعهد مثلها لاحد وكان في الحكمة والمنطق والطبيعي والالهي الاستاذ الذي لا ينال مرتبته بالاكتساب وكان يتقي فنون الرياضة باقليدس والهيئه والمخروطات والمتوسطات والمجسطى ويعرف انواع الحساب والمقابلة والارتماطيقي والمساحة معرفه لايشاركه فيها غيره وكان في العلوم الغريبة كالرمل والحروف والسيمياء حادقا اتم الحذق توفي عام 1094 هـ (الاعلام ج 4 ص 334) وقد نافس الناس في اقتناء الالة التي اخترعها فكان يبيعها بثمن غال وقد الف رساله في وصفها وهي منشورة في الاعلام (ص 350) وهي عبارة عن كره مستديره مسطره دوائر ورسوما وقد ركبت عليها اخرى مجوفه منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف الخ (نشر المثاني للقادري ص 87) .

ومحمد بن محمد بن قدور المراكشي الاصل الاسكندري الفقيه ذكره احمد بن حسون في رحلته التي الفها 1270 .

ومحمد فتحا الدفاف الدغمي السلاوي قام بتدريس الحديث في المدينة اكثر من عشر سنين وكان معظما عند ملوك الشرق وخصوصا السلطان العثماني الذي كان يوجه اليه جائزه سنية في كل عام (الاعلام ج 5 ص 60 نقلا عن فهرسة الحافي) .

ومحمد الوررازي الدرعي الحافظ الشهير بالصغير وبالقاضي اشتغل بالتدريس في مصر وكانت له اليد الطولى في الفقه والعلوم العقلية توفي بمصر عام 1138 (الاعلام ج 5 ص 38) .

ومحمد بن علي المراكشي الاوسي نشأ بسلا وقفل منها عام 618 هـ وجال في الشام والعراق ودخل بغداد وتكريت والموصل ومصر والاسكندرية وروى عن شيوخ عدة ببغداد وحماة ودمشق ثم عاد الى مراكش وشرق ثانيا ولد بمراكش عام 595 هـ وتوفي عام 671هـ (الاعلام ج 3 ص 162 نقلا عن الذيل والتكملة) .

ومن الاطباء المغاربة الذين توجهوا للشرق محمد ابن عبد العزيز المعروف بالحاج عزوز المكناسي احد الحفاظ والاطباء اخذ عن اعلام المشرق ثم عاد الى مكناس (نيل الابتهاج ص 322) وقيل مات في الشرق (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 593) وكذلك علي ابن يقظان السبتي الطبيب الشاعر الاديب الذي رحل الى مصر عام 544 هـ ثم الى اليمن والعراق (القفطي ص 160) وكذلك يوسف بن يحيى بن اسحق السبتي ابو الحجاج نزل حلب ويعرف في سبتة بابن سمعون كان طبيبا من اهل فاس « وقرا ببلاده الحكمة فساد فيها » (القفطي 256) .

وتاج الدين المراكشي وهو محمد بن ابراهيم بن يوسف (701 ــ 752 هـ) ترجمه في الشذرات اخرج من مصر لشراسته وولي تدريس المسرورية بدمشق وقد درس بها بعده تقي الدين السبكي (الـدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمـي ج 1 ص 458) وقد اشار النعيمي في الدارس كذلك الى ابي الحسن المراكشي المالكي المتوفى عام 625 هـ (ج 2 ص 6) والى سالم بن ابراهيم المغربي الصنهاجي الدمشقي المالكي . شيخ المدرسة الشرابشية المولود عام 777 هـ (ج 2 ص 22) والى قاضي القضاة شهاب الدين التلمساني المتوفى عام 873 هـ وقاضي القضاة شهاب الدين احمد ابن المريني المغربي (ص 23) وشمس الدين السلاوي عامل خانقاه خاتون دفين الصالحيه (ص 109) .

والفنان عبد الكريم الفاسي الملقب بالربيع قامت على اكتافه نهضة متواضعه في صناعة الخزف بمصر ابان القرن الثاني عشر الهجري وقد صنع الواح القيشاني لتغطيه جدران العمائر وتوجد الان نماذج من ذلك في دار الاثار العربيه بمصر كما اشار الى ذلك تيمور في كتابه حول التصوير عند العرب .

ومدرسه الشيخونيه هي اكبر مدرسة بمصر كان بها فضلاء مغاربة مشاهده (نيل الابتهاج لاحمد بابا السوداني ص 84 و 96) .

وقد تحدث ابو اليمن مجير الدين في الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل عن زاوية المغاربة بالقدس الذي اوقفها عمر المغربي المصمودي المجرد عام 703 ثم تولاها بعده العلامة جمال الدين عبد الله المراكشي عام 795 هـ (ج 2 ص 505) .

(يتبــــــع)

ومحمد بن المنذر المراكشي المتوفى عام 628 هـ نزيل حلب قدم والده الى بغداد وولد هو بها ولقي مولاي عبد القادر الجيلي وسافر الى الشام وقرا على ابن عساكر تاريخه ودرس ببغداد الحديث والفقه وكان فقيها غزير العلم عالما بالادب (الاعلام ج 4 ص 383 نقلا عن الذيل والتكملة) .

وعلي بن ميمون الحسني المغربي الذي ترك لنا موازنة رائعة بين اقطار العروبة فى اصالة ومناهج التحقيق الفكري حيث اكد انه ما راى احفظ من اهل فاس لنصوص كل علم مثل النحو والفرائض والحساب والتوقيت والتعديل والتوحيد والمنطق والبيان والطب وسائر العلوم العقلية وذكر انه ما راى مثلهم فى ذلك لا فى بجاية ولا فى تونس ولا فى الشام والحجاز ومصر (سلوة الانفاس ج 1 ص 74) وله كتاب فى مفقهة ومتفقرة مصر والشام توفى بالشام (دوحة الناشر لابن عسكر ص 275) .

وعلي الحرالي ولد بمراكش ونشأ بها وتوفي بالشام عام 637 هـ كان يلقى فى التعليم قوانين تتنزل فى التفسير منزلة اصول الفقه فى الاحكام وكان اعلم الناس بالمنطق والطبيعيات والالهيات كان ينقض النجاة لابن سينا عروة عروة (نيل الابتهاج للسوداني ص 187-188) .

ومحمد بن عمر الشريف الكركي ولد بفاس وهو شيخ المالكية والشافعية بالديار المصرية والشامية فى وقته يقال انه اتقن ثلاثين فنا من العلوم بل قال الامام شهاب الدين القرافي « انه تفرد بمعرفة ثلاثين علما وحده وشارك الناس فى علومهم » صحب عز الدين بن عبد السلام واخذ عنه القرافي (الديباج المذهب لابن فرحون ص 286) .

ويونس بن طريبه المصرى (قصر كتامه) الذي تولى قضاء طرابلس الغرب وولى التدريس بدار الحديث الكاملية بالقاهرة سنة 641 هـ (الذيل والتكمله)

ومحمد بن سليمان المراكشي الصنهاجي من شيوخ الاسكندرية ومن المحدثين والمسندين بمصر مات عام 717 هـ (الاعلام ج 3 ص 248) .

واحمد المعافرى المعروف بالوقاد توفى عام 741 هـ انتقل الى الاسكندرية ودرس بها العلم وجده محمد المعافري الرحالة دفين الاسكندرية (السلوة ج 3 ص 86)

واسماعيل السوسي الطبيب ذكر العبدري فى رحلته انه لما وصل الى قاعدة الديار المصرية ونزل بمدرسة الظاهرية مريضا بعث اليه شيخه شرف الدين الدمياطي بالحكيم ابي الظاهر اسماعيل لعلاجه وهو فتى حدث السن رصيف العقل نافذ الفهم ما رايت احفظ منه للطب ولا احسن منه تصرفا ولا اذكر لنصوص كتب ابقراط .

ومحمد بن ابراهيم بن يوسف بن حامد الشيخ تاج الدين المراكشي ذكر ابن السبكي فى طبقاته انه ولد بعد السبعمائة ونشأ بالقاهرة ، وقرا على علاء الدين القونوي اعاد فى القاهرة بقبة الشافعي ثم دخل دمشق ودرس بالمروزية وسمع من الحافظ المزي ثم ترك التدريس وانقطع بدار الحديث الاشرفية الى ان توفي عام 752 هـ (الاعلام ج 3 ص 265) وذكر الحافظ فى الدرر ان اخراجه الى الشام كان بامر من الناصر بعد استطالته على القاضي جمال الدين القزويني ومن مناصحه ابو حيان (ص 269) .

واحمد بن عبد الله الازدى المراكشي نزيل القاهرة ذكره صاحب الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة .

ويحيى بن موسى الرهوني الحافظ الاديب المنطقي استوطن القاهرة وتولى التدريس فى المنصورية والخانقاه الشيخونية توفى عام 774 (الدرة ص 490) .

وجمال الدين محمد بن موسى المراكشي الاصل ثم المكي وصل الى مصر فسمع من شيوخها ثم رحل الى الشام والقدس واليمن حيث ولي مدرسة الناصر واقام بها مات عام 823 (الاعلام ج 4 ص 50 وذيول طبقات الحفاظ) .

ومحمد تقي الدين الفاسي الذي قال عنه الحافظ ابن حجر « وافقني فى السماع بمصر والشام واليمن وغيرها وكنت اوده واعظمه » توفى عام 842 هـ (نيل الابتهاج ص 318) .

ومحمد بن ابراهيم ابن الخضري الهنتاتي المراكشي الموحدي المصرى المولد والدار ذكر المقريزي فى عقوده انه كان يحفظ العقدة والالمام لابن دقيق العيد والشاطبيتين والطوالع فى اصول الدين وابن الجلاب والرسالة فى الفقه والحاجبية والملحة وغالب الفية ابن مالك والتلخيص وحدث وافاد ودرس واعاد وقال الشعر الحسن وطارح الادباء واشتهر بالمجون الخليع مع

وكذلك اعمال الخلفاء الراشدين ، وافكار العلماء المجتهدين الذين لا يخرج اجتهادهم عن قواعد الاسلام الصحيحة ومبادئه الثابتة .

ومما لا ريب فيه ان الاسلام نظام عملي بقوم في سائر الوجوه والاحكام على خلاف ما يظنه الجاهلون انه بعيد من الحياة قريب من العبادة — كبرت كلمة نخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا — بل الكون والحياة والانسان فى نظره وحدة متناسقة متعاونه بحكم صدورها عن ارادة واحدة مطلقة كاملة .

فلا يمكن لمن آمن به ان يخرج عن روحه ونظامه، ولا يصح التبعيض فى احكامه وشرائعه ، ولا يغني التمسك به فى الاقوال دون الاعمال وصدق الله العظيم الذي يخاطب رسوله بقوله « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون » .

والدستور الاسلامي وان كان غير مؤلف ولا مجموع فى فصول معروفة ومواد مخصوصة فهو فى حكم المجموع بمصادره التي توفر على قواعد دستورية، ومبادىء اساسية فى مختلف حياة الانسان .

وقد كتب فيه بعض العلماء كالماوردى فى الاحكام السلطانية — وابن خلدون فى مقدمة تاريخه فصولا عن المميزات العامة للخلافة ، وحدود سلطها ، وكيفية تعيينها واعمالها — اما اعمالها فتقوم على اساس الشورى فى الامور المهمة — والشورى من ابرز التعاليم الاسلامية ومن الانظمة الديمقراطية كما يقال — واما مميزاتها فضرورية — وموحدة — ومطبوعة بطابع الدين . واما سلطها فالاشراف على التشريع — واقامة القضاء — وتأمين الدولة وسلامها .

وعلى ايه حال فيحق استخدام الطاقات ، واستغلال الكفاءات المختلفة لبناء دستور صحيح ومناسب لروح العصر والشرع غير ماخوذ ولا منسوخ .

ومن الاحسن ان يفصل ابوابه تفصيلا يتضمن كثيرا من الموضوعات الهامة حرصا على اعطائها قيمة دستوريه لما له فى النفوس من سطوة وهيبة ولما له من قوة خاصة تجعله يتفوق على ما سواه من القوانين وكلها يجب ان تسير بجانبه ووفق اشاراته وحكمه ، ولان الدوله حرة فى ان تكيف دستورها بما تراه ملائما لمصالحها الاجتماعية — والاقتصادية — والسياسية ، والى ذلك كله فليست العبرة بوجود قانون دستورى وانما العبره بوجود مواطن صالح مومن باحكام الدستور قائم على ترتيبه وتطبيقه باخلاص حتى يتوافق القانون والواقع وتتساوى الامه فى الحقوق الاساسية والمدنية، والله لا يضيع اجر من احسن عملا .

كتب الامام علي رضي الله عنه الى مالك ابن الحارث الاشتر النخعي حين ولاه على مصر : « واشعر قلبك الرحمة والمحبة لهم . والطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان : اما اخ لك فى الدين، واما نظير لك فى الخلق . يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على ايديهم فى العمد والخطأ . فاعط لهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب وترضى ان يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فانك فوقهم ووالى الامر عليك فوقك . والله فوق من ولاك » .

الدستور المنتظر

بقلم فضيلة
الرحالي الفاروقي

من الحركات الموفقة التي دخلت في حيز التاريخ واحيطت بجو من الحماس البالغ والتصفيق المتناهي تنصيب المجلس المعين للاشتغال بوضع مشروع الدستور من قبل جلالة الملك المعظم .

ولهذا السبب القى حفظه الله خطابا حدد فيه الخطط الرئيسية التي يرتكز عليها الدستور المنتظر معبرا بذلك عن حقيقة المغرب ووضعه الصحيح ، وتقدمه المنشود .

كما اوضح جلالته انه بعد الفراغ من صياغته وتقديمه سيتولى عرضه بذاته الكريمة على شعب المغرب ليقول فيه كلمته الاخيرة والمقبولة .

وهكذا يكون القصد الصحيح والعمل الديمقراطي الذي نبرأ من حيف الاستبداد ونحقق به موضوع الصالح العام .

ومما هو ملاحظ انه بعد انسجام هذه الخطوة المباركة اصبح الناس ينظرون الى المجلس بعين مبصرة ويضعونه امام مسؤولية جسيمة ، وتجربة خطيرة في حياة البلاد .

ولا عجب فالمغاربة الذين يرقبون صنع الحقوق الدستورية وهم يعدون بالملايين يعتزون كل الاعتزاز ببيئتهم ، وقوميتهم ، وعقيدتهم ، ويجاهدون في سبيلها بعزيزهم ونفيسهم .

ولذلك فمن العدل مراعاة الشعور الوطني والقومي في صنع الدستور حتى يكون مطابقا لما تجيش به صدورهم ، وتومن له قلوبهم ، وحتى يكون مبنيا على الاسس الطبيعية والتاريخية للبلاد وهي التي نص عليها الخطاب الملكي الشريف — وهي التي عاش المغرب مكافحا من اجلها قرونا متطاولة ومتباعدة — وتاريخه السياسي حافل بمآثر الحضارة العربية والاسلامية وشاهد صدق على تمسك المغاربة بهذه الدعائم وافتخارهم بها طيلة التاريخ — فلا سبيل الى الخروج بهم عن صبغتهم وحقيقتهم ولا الى تحويلهم عن وجهتهم وقبلتهم .

ومن شأن القوانين الداخلية ان تنبت من داخل البلاد لتلتقي مع العادات والطبائع والعقائد فلا ترتبك الحياة ولا تعطل المصالح ولا تتساقط الفضائل .

ونحن الآن بحول الله مقبلون على خوض معركة جديدة ، ونحمل تبعة عظيمة فلابد من شجاعة كافية لتحقيق دستور اسلامي يراعى فيه تاريخ ونظام المغرب العربي المسلم — ويراعى فيه التطور الصحيح والرقي المتين الذي يحمي ساحة الدين والاخلاق ، ويرفع مستوى الحياة والافكار ، ويحفظ الحقوق والواجبات ، ويوضح شكل الدولة والحكومة ، وينظم السلطات المختصة والعلاقات الاجتماعية .

وكل من حاول ان يتنكر لهذه المبادىء النظيفة فانه لا محالة ستطوح به الطوائح ويبوء بغضب الله وبغضب الشعب .

وكتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم هما المصدر الاول للدستور الاسلامي وهما المرجع الحقيقي في حل مشاكل الحياة وفض التنازع الطارىء .

فاقتبس العرب كثيرا من الهندسة الفارسية ، كما اقتبسوا من الفرس ايضا كثيرا من عاداتهم واساليبهم فى ترتيب المنزل وتدبيره وفى طريقة الاستمتاع بالحياة المنزلية .

ولا ادل على ذلك من قصور بغداد التي الهمت مؤلفي الف ليلة وليلة كثيرا من صورهم البراقة وتخيلاتهم العظيمة التي حرص اصحابها على ان تكون مطوفة بالحدائق الواسعة المزركشة بالازهار والاشجار والتي تتخللها جداول المياه ، وحول قصر الخلد . وعلى شاكلته ، تأسس حي عظيم من القصور الشاهقة كقصر ام جعفر زوجة الرشيد الاولى وقصر ابي ايوب سليمان ابن ابي جعفر المنصور وقصور البرامكة وغيرها من القبب والمنازل التي شهدت تنعم ذوى الجاه والثراء فى ظل الخلافة العباسية .

وقد الهمت هذه القصور الشعراء ، فنظموا فيها القصائد والمقطوعات ومن احسن ما قيل فى هذا الصدد هذه القطعة للشاعر علي بن الجهم فى القصر الهاروني . فانها بمثابة الشهادة التاريخية :

صحون تسافر فيها العيون
وتحسر عن بعد اقطارها

وقبة ملك كأن النجو
م تصغي اليها باسرارها

تخر الوفود لها سجدا
اذا ما تجلت لابصارها

وفوارة ثأرها فى السماء
فليست تقصر عن ثأرها

اذا اوقدت نارها بالعراق
اضاء الحجاز سنا نارها

ترد على المزن ما انزلت
على الارض من صوب اقطارها

لها شرفات كأن الربيع
كساها الرياض بانوارها

استقبال الربيع

كما اخذ العرب عن الفرس تقاليدهم فى استقبال الربيع ، فصاروا يحتفلون هم كذلك بعيد النيروز الفارسي ، محتفظين باسمه الاصلي ، والنيروز هو عيد استقبال السنة الجديدة ويقع فى اول ايام الربيع وفيه تقام الاحتفالات وتتبادل الناس الهدايا ، ويكون لهذه الاحتفالات مظاهر اجتماعية قوية يشارك فيها الملوك والامراء وعلية القوم وكذلك عامة الشعب .

والشعراء بالطبع هم اول من يشارك فى استقبال الربيع والاحتفال بيوم النيروز . فيعربون بطرقهم الفنية عن ترحيب الناس بذلك الفصل الجميل وفرحهم بحلوله . وهذه قطعة يصور لنا فيها البحتري اول ابتسامه للربيع :

الست ترى مد الفرات كأنه
جبال شرورى جئن فى البحر عوما

وقد نبه النيروز فى غسق الدجا
اوائل ورد كن بالامس نوما

يفتقها برد الندى فكأنه
يبث حديثا بينهن مكتما

ومن شجر رد الربيع لباسه
عليه كما نشرت بردا منمنما

احل فابدى للعيون بشاشة
وكان قذى للعين مذ كان محرما

ويدعو ابو الحسن الغوري الصاحب بن عباد الى الاحتفال بالنيروز فى هذه القطعة القصيرة التي تنطوي . مع ذلك . على تصوير دقيق وتعلوها مسحة الفن :

ايها الصاحب الربيع تجلى
فى رياض تحار فيها العقول

نرجس ناضر واحمر ورد
وشقيق تزينه التكحيل

وغصون تجر اذيال نور
فى حواشي جداول ونخيل

للزرازير فى خلال الازاهـ
ـر صفير وللحمام هديل

فاغتنم رسمنا صبيحة نيـ
ـروز به ربع انسنا مأهول

الربيع في الشعر العربي

للأستاذ محمد زنيبر

- 2 -

كان اذن للحضارة فضل في خلق حب الطبيعة في المجتمع العربي وفي الهام الشعراء معاني واحاسيس صاغوها فكانت شعرا جميلا وكانت . في الواقع تعبيرا عن اكتشافات وعمليات جديدة بالنسبة لمجتمع في ناهض .

ثم ان حياة الاستمتاع بالملذات والاقبال على الشهوات التي اصبحت ديدن الطبقة المترفة . دفعت بافراد تلك الطبقة الى التفنن في اخذ حظهم من جمال الطبيعة . كامتلاك البساتين في ارباض المدينة وتخصيص بقعة في كل قصر او بيت لاتخاذها روضا واقتناء الطيور اما لحسن الوانها وغرابة شكلها واما للطافة تغريدها . يدل على هذا ما قيل من اشعار كثيرة في وصف الرياض والبساتين . وكلها تنم عن حس مرهف واغراق في الترف والمدنية . وهذه قطعة للشاعر احمد بن خاتمة الاندلسي تبين المدى الذي بلغ اليه هذا التفنن :

ارسل الجو ماء ورد رذاذا
وسمع الحزن والدماث رسا

فانثنى حول اسوق الدوح حجلا
وجرى فوق برده الروض رقشا

وسما في الغصون حلى بنان
اصبحت من سلافه الطل رعشا

فترى الزهر يرقم الارض رقما
وترى الريح تنفس الماء نقشا

فكان المياه سيف صقيل
وكان البطاح غمد موشى

اثر التقاليد الفارسية في تكييف الشعور بالربيع عند العرب

يضاف الى كل هذا عامل آخر مهم كان له الاثر الحاسم على اتجاه ادبنا العربي منذ ان اصبح ادب مجتمع متحضر وامة دخلت الى التاريخ من ابوابه الواسعة . هذا العامل هو تاثير الحضارة والثقافة الفارسيتين في تطور ذلك الادب : سواء من حيث المادة او الشكل او من حيث الموضوع والتعبير . وليس هنا محل تفصيل ذلك . وفي كتب التاريخ وتاريخ الآداب العربية بصورة خاصة . ما يكفي من التفاصيل والايضاحات عن هذه الحقيقة . وانما نجتزىء هنا بالاشارة الى كون الفرس . سواء من قبل الاسلام او من بعد الاسلام ، كان لهم ولوع خاص بفصل الربيع . فهم يحبونه ويحتفلون بمقدمه . ولهم في ذلك تقاليد هي اشبه ما تكون بالطقوس الدينية .

والواقع ان هذه التقاليد ترجع الى معتقدات دينية عتيقة : فقد كانوا يعبدون في جاهليتهم الاولى الهة اسمها « آناهيتا » وهي في عرفهم الهة النماء والخصوبة والتوالد والانوثة ، ومثل هذه العقائد تنم ؛ ولا شك . عن احساس قوي غريزي بجمال الطبيعة وجلالها . فلا عجب اذا رايناهم يعشقون البراري المخضرة والخمائل المزركشة ، وقد حكى مؤلف « قصة الحضارة الفارسية » انهم (كانوا يمتلكون المنازل الجميلة والحدائق الغناء التي تكبر وتتسع احيانا حتى تصبح حظيرة للصيد والقنص او مأوى لمختلف الحيوانات كحدائق الحيوان في العصر الحاضر) .

وقد تركت هذه التقاليد اثرها في المجتمع العربي الاسلامي . فكونت جانبا مهما من جوانب تفكيره وفلسفته ، كما نرى مفعولها بصورة قوية واضحة ، الى الهندسة المعمارية « العربية » وهي في طور نشوئها

ومنها :

مادا افول بروضة عن وصفهـــا
بعيا البيـان ويعجـر التعبيـــر

عني الربيع بوشيهـا فتنوعـــت
للعيـــن انـوار بهـا وزهـــور

مثلت بها الاغصان وهـي منابـــر
وتلت بها الخطباء وهي طيـــور

وكدلك الزهاوي في موشحته « الربيع والطيور » :

حبذا الروض في زمان الربيـــع
ان حسن الازهار فيه طبيعـــي

مر فيه النسيم غير سريـــع
فـوق سطح مثل السماء بديـــع

فيه نزهـو النجـــوم بالانـــوار
وشدا الطير منشدا بالبديـــه

غـزلا رائقـا يفنـن فيـــــه
اـيه يا طيـر ايـه احسنت ايـه

ان لحنا في الروض تسمعنـــه
هـو احلـى مـن نعمـة الاوتـار

والامثلة كثيرة عند شعراء هذا العصر وكلها تدل على ان تقاليد الشعراء القدامي احتفظت بحيويتها على مر القرون وان معانيهم وصورهم واخيلتهم وحتـــى طرائقهم في التعبير لا زالت تستهوى شعراءنا المعاصرين ولا زالت تؤثر عليهم وتلهمهم .

وليس معنى هذا انه لم تكن هنالك محـــاولات للتجديد سواء في الفكرة وفي نظرة الشاعر الى الاشياء او في الطريقة التي تؤدى بها شعوره وتجعلنا نقاسمـــه اياه . ولكن الذى يهمنا الان ابانته هو ان هنالك تيارا في الشعر العربي ظل قويا وسارى المفعول الى عصرنا هذا وتقاليد قديمة لم تستطع اكبر شعرائنا المعاصرين ان يتخلصوا منها ويتناسوها .

ذلك التيار وهذه التقاليد غذيها وظلت تغذيهـــا فلسفة هي وليدة المجتمع العربي الاسلامي الذي لـــم يتغير في جوهره طيلة القرون ، رغم توالي الاحـــداث وتعاقب الثورات والانقلابات . نعم ، لقد ظل المجتمع العربى الاسلامي الى اوائل القرن العشرين لا يختلـــف كثيرا عن المجتمع العربى الاسلامى في العهد العباسي . ولذلك فان المفكر الاجتماعى نفسه لم يتغير وان النظرة الى الحياة بقيت على حالها .

فما هي هذه الفلسفة ؟ وما هى مبادئها وقواعدها الاساسية ؟ ذلك ما سنلقى عليه نظرة في اقرب فرصة.

الرحالة المغربي ابـن جبيـر يصف الشـام

« جنة المشرق ، ومطلع حسنه المؤنق المشرق ، وهى خاتمة بـــلاد الاسلام التى استقريناها ، وعروس المدن التى اجتليناها ، قد تحلت بازاهير الرياحين ، وتجلت في حلل سندسية من البساتيـن ، وحلت من موضـــع الحسن بالمكان المكين ، وتزينت في منصتها اجمل تزيين ، وتشرفت بان آوى الله تعالى المسيح وامه صلى الله عليهما منها الى ربوة ذات قرار ومعين ، ظل ظليل ، وماء سلسبيل ، تنساب مذانبه انسياب الاراقم بكل سبيل ، ورياض يحيي النفوس نسيمها العليـــل ، تتبرج لناظريها بمجتلى صقيـل وتناديهم هلموا الى معرس للحسـن ومقيـل » .

ابن جبير : تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار

ولم يحتفل شعراء المشرق وحدهم بالنيروز ، فهذا ابن شهيد الشاعر الاندلسي يتغنى هو ايضا بالعيد الفارسي ، على بعد الدار ومشقة المزار ، في قصيدة يمدح بها المستعين بالله :

واتاك بالنيروز شوق حافز
وتطلع للزور غب تطلع

وافاك في زمن عجيب مونق
واتاك في زهر كريم ممتع

فانظر الى حسن الربيع وقدجلت
عن ثوب نور للربيع مجزع

فكأن نرجسها وقد حشدت به
زهر النجوم تقارب في مطلع

ولحلول فصل الربيع في شكله الضاحك ، المزدان بالالوان المختلفة ، قصة ، وهي قصة بسيطة يعرفها كل احد ، قصة المطر الذي يحيي الارض بعد موتها ويكسوها ثوبا جديدا ، وقد استطاع الشاعر الاندلسي عبد الملك ابن نقبل ان يصور لنا هذه القصة المعروفة المبتذلة في ابيات اكسبتها طرافة وجاذبية :

انظر الى حسن الزمان كانما
يلقاك عن بشر لوجهك مبشر

بكت السماء على الربا فتبسمت
منها ثغور عن عقائل جوهر

اهدى الربيع اليه سكب سمائه
فكسا الثرى من كل لون ازهر

ضحكت متون الارض عند بكائه
عن ابيض يقق وروق واصفر

وكذاك لم تكشف سريرة روضة
يوما بافصح من غمام ممطر

غيث ارانا كل نور ضاحكا
متطلعا منها بنور انور

متبختر في مشيه فكأنه
نشوان لها عطفا وكاسر محجر

وكانما زهر الرياض كواكب
نثرت لنا عن كل ازهر مقمر

تلك بعض النماذج الشعرية التي تبين لنا كيف كان شعراؤنا الاقدمون يستقبلون الربيع ويهتزون لعودة الطبيعة الى شبابها ويطربون لرؤية الازهار ذات الالوان المختلفة .

تقاليد احتفظت بنوع من الجدة

هذه الطريقة في الاستقبال والترحيب لم تفقد جدتها ولم ينفض منها شعراء هذا العصر يدهم ، بحيث اننا لا نجد كبير فرق بين ما نظمه شعراؤنا عن الربيع في عهد العباسيين وما جادت به قريحة احفادهم في القرن العشرين . فهذا شوقي لا يختلف كثيرا عن ابن زيدون او ابن المعتز حين يقول في ابياته المشهورة :

مرحبا بالربيع في ريعانه
وبانواره وطيب زمانه

رفت الارض في مواكب آذا
ر وشب الزمان في مهرجانه

نزل السهل ضاحك البشر يمشي
فيه مشي الامير في بستانه

عاد حلا براحته ووشيا
طول انهاره وعرض جنانه

لف في طيلسانه طرر الار
ض فطاب الاديم من طيلسانه

ونزداد في تحقق هذه الملاحظة وتمحيصها نحيل القارىء على قصائد اخرى لشوقي مثل « الربيع ووادي النيل » وقصيدته التي يصف فيها مشاهد الطبيعة وهو في طريقه الى الاستانة والتي مطلعها :

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري
حتى اريك بديع صنع الباري

وكذلك الشأن عند ما نلقي نظرة على قصيدة الرصافي « وقفة في روض » والتي يقول فيها :

ناح الحمام وغرد الشحرور
هذا به شجن وذا مسرور

في روضة شجي المشوق برقرق
للماء في جنباتها وخرير

ونسارع فنقول ان مما يهدف اليه هذا البحث ان يبين بشكل لا يقبل الجدال تفوق ابن رشد على سابقيه من الفلاسفة المدرسيين العرب . وان هذه النظرية قد بلغت عنده اوجها ، اذ — كما بين ليون غوتييه — يشترك هؤلاء الفلاسفة جميعا في قولهم بنظرية واحدة فيما يخص التوفيق (3) الا ان عمل ابن رشد الاساسي وعبقريته في هذا المضمار هما في اقامه لهذه النظرية من بناء متماسك وفي عرضه المنظم في مؤلف خاص يقتصر على موضوع التوفيق . وهذا في الحقيقة ما لم يسبق اليه .

وهناك ملاحظة اخرى هامه وهي ان ما يقصده الفلاسفة بكلمة فلسفة عندما يقولون كما سنرى — ان الفلسفة والدين هما وجهان لحقيقة واحدة هو مذهبهم الذي اخذوه عن الفلسفة اليونانية . لاكل فلسفة . ولا الفلسفة الاسلامية مثلا — كعلم الكلام — الذي نشأ في بيئة اسلامية خالصة قبل ان يطلع المسلمون على الفلسفة اليونانية (4) وهذه الملاحظة تشمل ابن رشد ايضا .

الا اننا نعود ونقول ان ابن رشد اقام من هذه النظريه . التي توجد خطوطها العامه عند جميع الفلاسفه العرب من الكندي الى ابن رشد — اقام منها مذهبا متماسك البنيان ذا عناصر محكمه ، اقتبسها لاقامة هذا البناء ، من مصادر يونانيه واسلاميه كما اشار الى ذلك ليون غوتييه . وكما سنرى بعد قليل .

وهناك وجه آخر للموازنه بين هؤلاء الفلاسفه وابن رشد ، ويبدو فيه تفوق ابن رشد ايضا ، وهو انه كان اكثر تمسكا منهم بمذهب ارسطو . كان مذهب ارسطو هو مذهبه ، وكان يعتبر ارسطو المعلم المطلق والفيلسوف الحقيقي ، طبعا ، لقد اضاف الى مذهب معلمه الكثير بحجة شرحه كما اشار الى ذلك رينان(5) وغني عن البيان ايضا . ان مذهب ارسطو الذي كان يعتقد ابن رشد انه كذلك ، لم يكن مذهب ارسطو الحقيقي . لانه كان مذهبا مشبعا بروح الافلاطونية الجديدة التي يتسع فيها مبدا تعدد الآلهة ، عوض ان تتسع فيها روح التوحيد المطلق التي توائم الديانة الاسلاميه ، ولكن ابن رشد وسائر الفلاسفة العرب ، قد اخذوا كل ما ينسب الى ارسطو على انه حقيقي ، ولم يشكوا مطلقا في ان كتاب اثولوجيا هو للمعلم الاول، وعلى ذلك يظل ابن رشد ارسطيا حتى بعد ان يخالف استاذه من دون شعور . وعلى كل حال فالاختلاف بين ارسطو الحقيقي وارسطو المزيف هو في بعض النقاط التي وردت في كتاب افلوطين .

ويبقى بعد ذلك بقيه المذهب حيث الاثنينيه الارسطيه . أي الفصل بين عنصري الوجود المادي والروحي او الصوري . ونظريه ارسطو الاساسية في القوة والفعل والصوره والماده . كل ذلك يبقى محافظا عليه في مذهب ابن رشد . وبالاجمال يمكننا ان نرى في ابن رشد مصداق قول القائل : « ان الفلسفة العربية تطورت في اتجاه المشائية » (6) وابن رشد — كما قال الدكتور جميل صليبا — يظل اكبر مشاء عربي (7) على حين ان الفلاسفه الاخرين جميعا . لم يظلوا اوفياء لمذهب ارسطو كما ذكرنا . خصوصا في الالهيات ، فابن سينا كان اكثر من ينحى عن مذهب المعلم الاول بمذهب خاص كونه من عناصر متعدده افلاطونية وارسطية . ومشرقية . والفارابي جمع بين الحكيمين افلاطون وارسطو (8) والكندي كان اميل في الالهيات الى راي

---

3) هذا هو راي غوتييه . ويلاحظ ان كتابات الفلاسفه العرب في هذا التوفيق تشكل شذرات نادره متفرقه في كتبهم التي تعالج مواضيع فلسفيه بحت ، انظر كتابه الاساسي السابق وانظر كذلك كتابه الحديث نسبيا « ابن رشد » باريز 1948 .
Léon Gauthier Ibn Rochd (Averroès), Paris, 1948

4) انظر ليون غوتييه « ابن رشد » ص 23 .

5) رينان — ابن رشد والرشدية — ص 8 .
Renan Averroès et l'Averroïsme, p. 93 - 7e edition

6) انظر جميل صليبا ص 20 .
Etude sur la métaphysique d'Avicenne, Paris, 1926

7) انظر كتابه « الجمع بين رايي الحكيمين افلاطون وارسطو » .

8) ايجاد الموجودات من العدم .

التوفيق بين الشريعة والفلسفة

موازنة بين ابن رشد وسابقيه

للأستاذ عبد اللطيف ملين

كتب الاستاذ ليون غوتيه فى كتابه « مدخل الى دراسة الفلسفة الاسلاميه » (1) ما يلي :

« ان فكرة التوفيق بين الفلسفة والديانة تبدو كالفكرة الغالبة والاصالة الرئيسة لهذه الفلسفة اليونانية الاسلاميه » ص 121 . وزاد بعد ذلك بقليل قائلا : « جميع مؤرخي الفلسفه الاسلامية قد اخطأوا، من نواحي مختلفة ، فى الكشف عن الروح الحقيقية لهذه الفلسفه التي تكون نظرتنا الاساسيه (اى التوفيق بين الدين والفلسفه) فى رأينا بكل دقه ، اصالتها الرئيسيه . ص 133 .

وقد عزز ليون غوتيه نظرته هذه بدراسة مستفيضه لموضوع التوفيق فى الفلسفة العربية ، وانصب جهده بالاخص . على رساله ابن رشد المسماه « فصل المقال فيما بين الحكمه والشريعة من الاتصال» حيث قدم دراسه لنيل الدكتوراه سنة 1909 (2) .

الا انه فيما يخص النظريه العامه لغوتيه يمكن ان نلاحظ الملاحظة العامه الآتيه : وهي ان نظريته تصح بالنسبة للفلسفة اليونانية العربيه بالمعنى الصرف اكثر مما تصح بالنسبه لمجموع الفلسفة العربية اي باضافه مذاهب المتكلمين والمتصوفين . اذ تعبير « الفلسفه اليونانية الاسلاميه » الذى يستعمله الباحث . خليق بان يعني مذهب الفلاسفة الذين تأثروا باليونان تأثرا عميقا . وليس يحق اطلاق تسميه : (الفلسفة اليونانيه الاسلامية) على جمله المواضيع التى ينقسم اليها ميدان هذه الفلسفه العربية الواسع.

مذهب الفلاسفة اذن وهم المعروفون باسم فلاسفة الاسلام . هو الذي ينطبق عليه تسمية (فلسفه يونانية اسلامية) . والا فهناك خطأ فى التعبير ، اذ محاولة التوفيق عند المتكلمين كانت تخص الدين والنظر العملي . أي رد كل شيء فى الدين الى العقل وتعليله به وحذف كلما يخالف منطق العقل او تاويله . وليس الجمع بين الدين والفلسفة بمعنى ان الفلسفة هي جملة المعارف الفلسفيه التي تلقاها العرب عن اليونان والتي تكون مذهبا مقررا منتهيا اي مدرسيا .

فاذن نظريه غوتييه تصح اكثر ما تصح فى قسم من الفلسفة العربيه وهو مذهب الفلاسفه الصرف ولا نتعداه الى مذاهب المتكلمين مثلا ، اللهم الا اذا فهمنا من لفظ فلسفه « نظرا عقليا مستقلا » غير مقتصر على مذهب الفلاسفه فاننا نلاحظ انطباق نظريه غوتييه انطباقا تاما على هذا المذهب وتعبيرها عن طابعه العام تعبيرا صادقا .

وفى الامكان على ما ارى تعديل كلام ليون غوتيه على الشكل التالي : الطابع العام للفلسفة العربيه هو فى محاولتها التوفيق بين الدين والفلسفة باعتبار هذه الاخيره بحثا عقليا مستقلا، لا مذهبا معينا من المذاهب، وبهذا يمكن ادخال اقسام الفلسفة الاخرى كمذهب المتكلمين والمتصوفين .

ولاتساع موضوع الفلسفة العربية وتشعب نواحيه . سنقتصر فى موازنة نحاول ان نقيمها بين ابن رشد وسابقيه من العرب

---

1) Leon Gauthier Introduction à l'étude de la philosophie musulmane, Paris, 1923

2) Léon Gauthier La théorie d'Ibn Rochd sur les rapports de la religion et de la philosophie, Paris, 1909

آثار الفتح الاسلامي في المغرب

للأستاذ ابراهيم حركات

كان للفتح الاسلامي في المغرب آثار عميقة شملت النواحي الاجتماعية والثقافية والسياسية ، وتجلى بعض هذه الآثار بصفة مباشرة ، عقب الفتح الاسلامي ، كما ان بعضها الآخر ، تجلى فيما بعد في اطوار مختلفة ، ويهمنا في هذا البحث . ان نعرف الآثار المباشرة التي نتجت عن هذا الفتح قبل دخـــول الادارسة .

واذن ، يمكن اجمال الآثار التي تركها الفتح المغربين الادنى والاوسط ، فان طراس يرى ان هذه المقاومة كانت ضعيفة من بربر المغرب . حيث « لم يصطدم العرب مطلقا بمقاومة جماعية . بل يبدو انهم كانوا يحاولون ان يضموا البربر الى صفوفهم . عوض محاربتهم ، ففي نواح كثيرة من المغرب لم يتم الفتح الاسلامي سوى بادخال دين جديد ، واقرار او توطيد سيادة قبيلة او رئيس . دون تغيير عميق في حياة البلاد (1) .

اما ان العرب لم يكن يهمهم اكثر من نشر الاسلام في ربوع الشمال الافريقي . فهذا امر لا يعدو الحقيقة خصوصا في عهد الولاة الاولين كعقبة وحسان . واما انهم لم يقوموا بتغيير عميق في حياة البلاد ، فان تغيير الاوضاع الاجتماعية ، لا يحدث مباشرة بعد امتزاج امة باخرى ، وخصوصا اذا كانت الامتان في وضعية العرب والبربر ، فحياتهما الاجتماعية لا تكاد تختلف مسكنا ومطعما وعادات .

وبعبارة اخرى ، فان العرب خلال قيامهم بفتح المغرب العربي ، لم يكونوا هم انفسهم قد بلغوا من الحضارة درجة تذكر ، ولكننا مع ذلك . لا ننسى الاثر الديني الذي تركه العرب في البربر وهو أثر يستطيع المرء ان يؤكد انه كاد يكون مباشرا ، من حيث اشتراك البربر في فتح الاندلس وظهور المذاهب الخارجية في كثير من اجزاء المغرب العربي .

واذن . يمكن اجمال الآثار التي تركها الفتح الاسلامي في المغرب كما يلي :

1 — بدء انتشار الاسلام في المغرب . لان اقرار هذا الدين في عموم المغرب الاقصى . انما تم على يد الادارســه لكن يمكن القول ان الأثر الديني كان في الشمال اعمق منه في سائر جهات المغرب . اما في الغرب ، فلم يمكن مبادىء الدين الصحيحة من نفوس البربر ، حيث نجد البرغواطيين قد احدثوا بدعا كثيرة في الاسلام . ولم تستطع الادارسة ولا دويلات القرن الرابع الهجري ان تضع حدا لهذه البدع ، حتى قضى عليها يوسف بن تاشفين .

2 — اشتراك البربر في فتح الاندلس : كانت اربعون سنة من استقرار العرب بالشمال الافريقي منذ قدوم عقبة كافية لجعل كثير من البربر يعتنقون الاسلام عن عقيدة واقتناع . وكان من بين هــؤلاء المؤمنين . طارق بن زياد الذي تم بفضله اقرار الاسلام في الاندلس .

وقد اختلف في نسب طارق بن زياد (2) ، حتى ان بعضهم عده فارسيا . على ان اغلبية المؤرخين عدوه بربريا . والمهم انه لعب دورا رئيسيا في فتح الاندلس ،

---

1) طراس : ج 1 ص 88 .
2) ابن عذاري : 2 ص 7 .

افلاطون . وكان يعتنق فكره خلق العالم من العـــدم « نايبس الايسات عن ليس » (9) وان للزمان بدايــة ونهاية وكذلك وبالتالي بدء الحركة ، اما ابن باجة وابن طفيل فكانا أميل الى التقليد الشرقي وخصوصا الى راي ابن سينا (10) فابن رشد اذن وحده يتميز بهذه الميزة وهي انه ارسطي خالص — بالرغم من مخالفتـه مذهب ارسطو فى كثير من المسائل — اي ان فلسفتـه مشائية ، ولذلك كان على اولئك الفلاسفة السابقين على ابن رشد ان يوفقوا بين فلسفتهم التي كثيرا ما كانت تكون بعيدة عن ارسطو — وبالتالي قريبة مـــن الدين — خصوصا فيما يتعلق بالالاهيات ، وهي البحث الاساسي الذي يهم مشكلة التوفيق بين الدين والفلسفه كان عليهم ان يوفقوا بين هذه الفلسفة والدين الـــذي يعتنقون مبادئه ، فلم تكن مهمتهم بالصعبه ، لانهم كانوا يلجأون فى الغالب الى رأي افلاطون فيما يتعلق بمشكله الخلق والزمان والحركة ويتركون رأي ارسطـــو ، او كانوا يقومون بتنازلات للعقيده كما فعل ابن سينا ، اذ كانت محاولة هذا الاخير ترمي دائما الى ان تكون مذهبه الفلسفي منسجما ومتوافقا مع مبادىء الدين ، حتى انه لم يقر تمييزه المشهور بين الماهية والوجود ، والممكن والضروري ، فى الوجود الواقعي ، الا لكي يوفق بين عقيدة الخلق من العدم وعقيدة ازلية العالم (11) وليرضي بذلك المتكلمين كما اتهمه ابن رشد (12) ومن المعلوم ان رأي ارسطو فى مشاكل خلق العالم والزمان والحركة هو ابعد ما يكون عن الشائع انه ما جاء بـــه الشرع الاسلامي ، وخصوصا كما فسره المتكلمون ، فعند ارسطو الاعتقاد بازلية العالم الى جانب الله ، اي عنده الاثنينيه اثنينية المادة والصورة وعنده قـــدم الزمان ولا نهائيته وقدم الحركة بقدم المتحرك اي العالم وهاته الامور وغيرها مما يصعب على الباحث الجمع بينه وبين الدين ، خصوصا كما يفهمه اكثر الناس ، والمدافعون عن العقيدة وهم المتكلمون .

لهذا كله كانت مهمة ابن رشد فى اقرار التوفيق بين الفلسفة التي يعتنقها والدين الذي يؤمن بمبادئه ، وخصوصا كما يفهمه سائر الناس فى زمن ابن رشد ، كانت هذه المهمة اصعب من مهمة سابقيه .

هذه هي الاختلافات الاساسية التي اراها بين ابن رشد وسابقيه من الفلاسفة العرب فى الموقـــف المشترك الذي وقفوه من الدين ، وفيما عدا ذلك ، تظل نظرية التوفيق فى خطوطها العامة طابعا عاما لفلسفـة هؤلاء الفلاسفة من الكندي الى ابن رشد .

(يتبـــــع)

---

9) انظر جميـــل صليبا المرجع السابق ص 202 .

10) انظر جميل صليبـــا المرجع السابق ص 35 .

11) ان تعصب رجال الدين والمتكلمين ضد الفلسفة ، كان ناتجا فى اغلب الاحيـــــان عن غيرتهم على النظام القائم فى العلم والعمل الذي اتى به الاسلام ، فالاسلام كان عقيدة ووضعا من اوضاع الحياة العمليه . ولذلك لم يقبل هؤلاء ان يتسرب الى النظام الاسلامي ما يعكر صفـــوه .

12) انظر اسباب نشوء نظريه التوفيق عند فلاسفه العرب : لوي غوتيه (ابن رشد) الفصل الثالث ، وكذلك كتابه الاساسي « نظرية ابن رشد فى علاقة ...» السابـــق الذكـــر .

البربر قد اسلموا بالقوة (وهو تناقض مع فكرته السابقة) فان بقاء كثير منهم على المسيحية او اليهودية ، وحتى الوثنية في بعض المناطق ، لقاء خراج يؤدونه مقابل الزكاة المفروضة على المسلمين ، يدل على ان الولاة لم يرغموا الاهالي على الاسلام ، وان كان هذا لا ينفي انهم اساءوا احيانا معاملتهم من غير مراعاة لدينهم .

وقد احاط ولاة القيروان انفسهم بجنود من العرب ، اصبحوا يكونون طبقة ارستقراطية تحافظ على امتيازاتها وعصبياتها القبلية ، ولا تعطينا التاريخ اسماء ولاة كثيرين للاقاليم تابعين لحاكم القيروان ، ونسمع فقط ، عن وال واحد بطنجه ، هو عمر المرادي الذي قتله الخوارج بسبب سوء تصرفاته . كما نسمع عن يليان حاكم سبتة الذي اقره موسى بن نصير (1) عاملا عليها ، ومصير هذا الحاكم تكاد تكون مجهولا بعد تدخله في الاندلس الى جانب المسلمين . كما ان طارق ابن زياد ، قد يكون تولى على طنجة وسائر المغرب الاقصى حسب ما ترويه ابن عذاري (2) .

وتمدنا المراجع القديمة بمعلومات اكثر نسبيا . فيما يرجع الى الناحية العمرانية . فمن المؤكد ان استقرار العرب بالمغرب منذ الفتح ، الى قيام الدولة الادريسية ، كان مصحوبا باعمال عمرانية .

ولا نعرف ما اذا كان عقبة قد قام باعمال من هذا النوع في المغرب ، اذ من المشكوك فيه ان لا تكون قد قام بعمل البتة ، في ميدان العمران ، خصوصا وقد تمكن من بناء مدينة بسائر مرافقها في افريقية ، واقصد بها القيروان ، ومهما يكن من شيء ، فسيصعب على الباحث ان يستقصي اثار الولاة العمرانية واحدا واحدا .

وقد اتجه العرب في البداية الى الناحية الدينية ، فاسسوا مساجد كبيرة ، وحولوا عدة كنائس الى مساجد وجهزوا الجوامع بالمنابر ، وفي سنة 85 هـ اسس مسجد باغمات في عهد موسى بن نصير .

وفيما يخص المدن ، فان « عساسة » الواقعة غرب مليلية ، والتي عثر على بعض آثارها حديثا ، تعتبر من اقدم المدن الاسلامية بالمغرب ، ولا يعرف بانيها بالضبط ، ولكن من المحقق انها تنسب في عهد الامويين ، وكانت ميناء هاما على شاطىء البحر المتوسط ، وقد نزل بها ابو عبد الله اخر ملوك بني الاحمر ، بعد خروجه من الاندلس .

وفي النصف الاول من القرن الثاني الهجري تنبيت مدينة « نكور » بين تمسامان والحسيمة وقد نقل الاستاذ احمد المكناسي عن البيان المغرب ، ما تفيد ان بانيها هو احد احفاد صالح بن منصور ، احد رجالات العرب القادمين على المغرب في ايام الوليد بن عبد الملك، وقد قام صالح بنشر الاسلام بين برابرصنهاجه وعماره في الشمال ، وكان له ثلاثة اولاد ، احدهم تدعى ادريس ، وقد خلف هذا ولدا اسمه سعيد ، من امراة صنهاجية ، وهو باني نكور ، قال ابن عذاري : (وكان لها اربعة ابواب ، منها باب سليمان ، وباب بني ورياغل ، وباب المصلى وباب اليهود ، وبها جامع كبير ، واكثر خشبهم الارز ، وبها حمامات كثيرة ، واسواق عامرة ممتدة ، وهي بين نهرين احدهما اسمه نكور ، وبه سميت المدينة ، ودخلها المجوس سنة 244هـ وتغلبوا عليها وانتهبوا ما كان فيها) .

وقد خرب هذه المدينة يوسف بن تاشفين سنة 473 هـ ولا تزال خرائبها تشهد بماضيها المجيد ، وهي على بعد 26 كم من الحسيمة ، ويقول احد الاثريين المغاربة (3) : انه قد تمكن من استخراج كسرات قديمة من الخزف بنكور ، وتعتبر اقدم خزف اسلامي عرف حتى الآن .

وقد عد الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله « نكور » كاول مدينة اسلامية بالمغرب ، وذلك في الجزء الاول من كتابه « مظاهر الحضارة المغربية » كما انه نسب بناءها الى ادريس بن صالح ، عهد عبد الملك وبناء على رواية ابن عذاري المذكورة ، فان بناء « نكور » لم يشرع فيه قبل نهاية القرن الاول ، كما ان الباني هو سعيد بن

---

1) ابن خلدون 6 ص 437 .
2) ابن عذاري ص 37 .
3) الاستاذ احمد المكناسي في بحثه عن المدن الاسلامية المندرسة في شمال المغرب .

كما ان الجيش الفاتح ، كاد يكون كله من البربر الذين بلغ عددهم اثنى عشر الفا عند اجتيازهم الى الاندلس لاول مرة ، وتمكن طارق من فتح قرطبة ومالقـــة وغرناطة ومرسية وطليطلة على التوالى ، وحصل على مائدة ثمينة من الزبرجد .

واذا كان موسى بن نصير قد حسد طارقا على ما حصل عليه من فتوح وغنائم ، حتى ان الامر ادى به الى اعتقاله ، فان هذا لم يحرك ساكنا ، مع ما كان يتمتع به من نفوذ بين قومه ؛ وقد قيل ان موسى كان قد اوصاه بعدم تجاوز قرطبة في فتوحه فلم يمتثل . وعلى اي ، فقــد كانت المعركـة الحاسمــة ، في وادي البرباط بين جيش طارق وجيش لذريق سنة 92 هـ وكان في رفقة طارق ، جماعة من القواد المسلمين المشهورين كمغيث الرومي وعبد الملك المعافرى .

والواقع ان موسى بن نصير قد اساء الى طارق باعتقاله والتنكيل به ، بيد ان عمله هذا ليس الا حلقة من سلسلة المساوىء التي ارتكبها الولاة الامويون ضد البربر في المغرب ، وقد انتقلت هذه السياسة السيئة الى الاندلس ، بانتقالهم ، خصوصا في ايام عبد الملك بن قطن الذى تولى سنة 123 هـ وفي ايامه قدمت طالعة بلج بن بشر ، فاشتد بهم العرب ، وقاموا ينتقمون منهم في شدونة حيث (لم تكن للعرب فيهم الا نهضة واحدة . حتى ابادوهم ، واصابوا امتعتهم ودوابهـم ، فاكتسى اصحاب بلج ، وانتعشوا ، واصابوا المغانـم) (1) .

مهما يكن من معاملة الامويين للبربر ، فان هؤلاء قد اخلصوا للاسلام ، وبفضلهم استمر الحكم الاسلامي في الاندلس ثمانية قرون .

3 — التاثير الحضارى : استغرقت الفتــرة الواقعة بين قدوم عقبة بن نافع الى المغرب ، وقيــام الدولة الادريسية ، ما يناهز قرنا وربعا ، فما هو مدى تاثير الحضارة العربية في بلاد البربر خلال هذه المدة ؟ وماذا يمكن ان نعرف عن النظم الادارية والمنشــآت العمرانية والحركة الفكرية بالمغرب خلال هذه الفترة ؟

ان المصادر المعروفة لحد الساعة ، لا تفيدنا بشيء كثير عن آثار الفتح الاسلامي من الوجهة الحضارية ، كأن العرب لم يكن يعنيهم سوى ان يفتتحوا هذا الجزء من العالم وان يبسطوا سلطتهم على اخوانهم البربر ، وكأن المؤرخين لم يكن يهمهم سوى الجانب السياسي من التاريخ ، بما فيه من فتــن واضطراب ومساوىء ، من غير ان يهتدوا الى ايفاء الجانب الحضاري حقه من البسط والتوسع ، ومع ذلك فان القارىء الكريـــم يستطيع ان يجد معلومات متناثرة في مختلف الكتب التي عالجت تاريخ المغرب ، وجادت على هذه النقطة الهامة ببضع جمل او سطور .

لم تكن جيوش العرب الفاتحة كثيرة العدد ، اذ لم تكن تتجاوز في الغالب 000 110 رجل ، معظمهـم يظلون الى جانب الوالى العام في القيروان ، او في المدن الكبيرة (2) ، ولذلك ، فلم يتاثر الاقتصاد المغربي على ما يظهر ، بقدوم العرب الاولين ، ولكنه سوف يتضرر الى حد الخطورة ، حينما سيكتسح بنو هلال المغرب ، وفي الغالب كانت الاندلس تابعة للقيروان ، والمرجح انه كان للامويين عمال كثيرون في مختلف اقاليم المغـرب العربي وسلطتهم لم تكن محددة ، ولكن مهمتهـــم الاساسية جباية الزكاة والخراج ، وكان الاتصال قليلا بمركز الخلافة نظرا لبعد المسافة وبطء وسائـــل المواصلات غير ان الولاة كانوا لا يبتون في الشـــؤون الهامة من غير استشارة الخليفة ، فتوسيع مسجـــد القيروان في عهد حسان ، وفتح الاندلس في عهد موسى بن نصير ، من بين الامور الهامة التي استدعت مثـــل هذه الاستشارة ، والى جانب ذلك ، كانت تقع سوابق خطيرة في شمال افريقية او في الاندلس فيقرهــا الخليفة ، كعزل وال وتعيين آخر مكانه من لدن الاهالي

ويعتبر عهد حسان بن النعمان من الوجهـــة السياسية والادارية ، احسن حقبة مرت في تاريـــخ الفتح الاسلامي بالمغرب العربي ، فقد عمل على تنظيم الشؤون الادارية بانشاء الدواوين وكتب الخراج على عجم شمال افريقية (3) ، وكانت النقود تكتب بالعربية واللاتينية ، وقد تشترك غير المسلمين من اهالي البلاد في شؤون الادارة (4) ، وخلافا لما ذكره طيراس من ان

---

(1) ابن عذارى : 2 ص 43
(2) طيراس : 1 ص 91
(3) ابن خلدون 6 ص 219 وابن عذارى 30 .
(4) تاريخ تونس ص 104

أسطورة المسيح في قصة قرية ظالمة

للأستاذ ابراهيم الهواري

تمهيـــد :

دأب الادباء الكبار على اعادة النظر في المواضيع الانسانية الخالدة لخصوبتها ومرونتها فكريا مما يحفز الادباء اللاحقين منهم على تطوير مفهوم تلك المواضيع عند سابقيهم ، ولست قصص : اوديب ، وكليوباترة، وانطونيو ، وبروميثيوس ، واوريست الا نماذج معروفة لهذا المنحى الرائع في الاداب العالمية .

واسطورة المسيح التي نعرض لبحثها اليوم ينسحب عليها ما انسحب على المواضيع الانسانية الخالدة . لكن ، قبل ان نتطرق الى الاسطورة في مختلف جوانبها نرغب في الاشارة الى الشبه الواضح بين حياة السيد المسيح وفيلسوف الانسانية الكبير سقراط . فسقراط – مثل المسيح – قد بدأ يعلم شباب اثينا التفكير السليم المقنع بعد نقاش فردي حر وبذلك حول مجرى التفكير اليوناني – بل الانساني – الى اعماق النفس بدل الخوض في الالهة وما يكتنفها من خرافات وتضليل . وقبض على سقراط – مثل المسيح – بتهمة افساد الشباب والاخلال بأمن الدولة ثم حكم عليه بالموت فتقبله بصدر رحب . ومات سقراط في جلال المفكر فاستمرت مدرسته تتزعمها تلميذه افلاطون مثلما انتشر الحواريون لنشر دعوة السيد المسيح .

*

وقد اخترنا لمعرفة اسطورة المسيح ثلاثة انواع من الكتب كلها تناولت الموضوع بكيفية مختلفة وكنا بادىء الامر نريد الوقوف على الاسطورة بكامل جوانبها اذ هي في الانجيل دينية مقدسة اما عند ارنست رينان الملحد فليست الا حياة مصلح فذ ، بينما يجيء فرانسوا مورياك فيصوغ منها قطعة ادبية ممتعة لم تسلم من بعض نفحات الدين الذي يعتقده موريـاك بصدق ... أما بعد قراءتنا لهذه الكتب فقد خلصنا الى ان الدكتور محمد كامل حسين مؤلف « قرية ظالمة » قد جمع خصائص هذه الكتب جميعا فقدم كتابه الرائع في سماحة رجل الدين ونفاذ المفكر وروعة الاديب ذي الاسلوب الهادىء الممتنع .

اسطـورة المسيـح في الانجيـل

حياة المسيح في الانجيل اسطورة تكتنفها الخوارق والمعجزات منذ بدايتها . وتسايرة الاناجيل الثلاثة : متى ، ومرقس ، ويوحنا ، في سرد الاسطورة تسايرا تاما اما اختلافها فينحصر في الاسلوب والطول والقصر اذ جاء ذكر معجزات ومناقشات في بعضها دون البعض الاخر لكنها اختلافات لم تمس الاسطورة في جوهرها بادنى تغيير ..

بعـد ان اصطفى الله يسوع – تقول الاناجيل – وخصه بالروح القدس احدث معالم النبوة تبدو على وجهه الصبوح وتصرفاته الموحية (1) .. ولما بلغ الثلاثين ابتدأ بنشر برسالته الجليلة في قوة وبسالة فتبعه بعض صيادي السمك من طبريه واخـــذوا يجوبون معه قرى الجليل مثل ناصريه (حيث ولـد) وكفرناحوم (2) ، فاخذ نبأ النبي الجديد يطرق مسامع

---

1) متى : ص 4 .
2) متى : ص 8 .

ادريس ، اما ان نكون اقدم مدينه اسلامية بالمغرب ، فذلك ما يدعو الى الشك اذ نحد انفسنا امام مدينـة اخرى قديمة هي « بليونتس » ولا يستبعد ان يكـون تاسيسها قد تم قبل بناء «نكور» وقد دعيت في البداية بمرسى موسى حيث نزل ابن نصير باحد جبالها قبل العبور الى الاندلس .

وفي سنة 140 هـ بنيت مدينه سجلماسة قبـل حلول الادارسه بنحو ثلث قرن ، وذلك في عهد عيسى ابن يزيد الاسود ، احد زعماء الخوارج الصفريه ، وقد عمرها بربر مكناسة ، واصبحت مستقلة عـن ولاه القيروان ، وبنيت في البداية بدون سور ، ولما تولاها اليسع بن سمغون المكناسي ، احاطها بسور اسفله من الحجارة واعلاه بالطوب . وبنى بها عدة مصانع وقصور، ومن ملوكها محمد بن الفتح الذي دعا لبني العباس ، ثم اعتصم بحصن ناسكرات الفرب من سجلماسة بعد ان طارده القائد جوهر الصقلي . وقد انتهت دوله بني مدرار المكناسية سنه 366 هـ واستمر عمران المدينه بعدهم الى القرن العاشر الهجري . ومن المحتمـل ان تكون سجلماسة اول مدينه بناها البربر بالمغرب منذ قيام الاسلام .

واما اذا اردنا ان نعرف شيئا عن الحياة الفكريه بالمغرب في هذا العهد ، فيكون ذلك اعسر شيء يمكن استنتاجه من خلال المصادر القديمه القليلـه . والظاهر ان معظم العرب الذين دخلوا الى المغرب كانوا اميين او اشباه اميين ، وكان بينهم عدد قليل مـن الصحابه والتابعين الآخذين بنصيب من علوم الديـن ويحدثنا ابن عذارى انه لما تولى اسماعيل بن ابـي المهاجر سنه 100 كان حريصا على دعاء البربر الـى الاسلام ، حتى اسلم بقيه البربر بافريقيه على يديه في دوله عمر بن عبد العزيز ، وهو الذي علم اهل افريقية الحلال والحرام . وبعث معه عمر عشرة من التابعيـن اهل علم وفضل كعبد الرحمن بن نافع وسعيد بـن مسعود النجيبي .

وقد وصف ابن خلدون ، سعيد بن واسول جد بني مدرار بانه من مشاهير حمله العلم في هذه الدوله وانه ادرك التابعين ، واخذ عن عكرمه مولى العباس ، كما اخذ عنه من بربر مكناسه عالم اخر يدعـى بنسمغـو (1) .

على ان الحركه العلمية لم تكن واسعه النطاق قبل قيام الدوله الادريسيه ، نظرا لاسباب عديده منها انه لم ينتقل الى المغرب من علماء الشرق عدد كثير ، ثم ان الاضطرابات السياسية حالت دون نمو هـذه الحركة ، بالاضافة الى ان الدولة الاموية كانت قليلة التشجيع للعلم والعلماء مما لم يتسع معه مجال النشاط العلمي في عاصمتها فضلا عن البلاد التابعة لها .

ومن حيث المذاهب الدينية ، كانت بلاد المغـرب العربي فيما بين منتصف القرنين الاول والثاني تقتدي بآثار السلف الصالح ، حتى اذا بسط العباسيـون نفوذهم على الشمال الافريقي ، اصبح المذهب الحنفي يسود هذه الناحيه من المملكة الاسلاميه ، ومنذ عهد الادارسه تارجح المغرب بين المذهب الحنفي واليسعي بسبب نفوذ الفاطميين ، والمالكي الذي اصبحت لـه السيادة المطلقه منذ القرن الخامس .

ومهما يكن من شيء ، فقد كان تاثير اللغـة العربية قويا منذ البدايه . ذلك لان هذه اللغة ترتبط بالدين ، واختلاط البربر في فتوح الاندلس ، وتسرب الخوارج الى صفوف البربر ، من العوامل التي مكنت اللغه العربيه من السياده مع الزمن ، حتى اتخذهـا البربر انفسهم لغه رسميه في عهد المرابطين وقبلهم .

وقد شك بعض نقاد المؤرخين فيما اذا كان طارق قد القى خطبته المشهوره بالعربية في الاندلس ، واي غرابه في ان يتعلم طارق وغيره من البربر ، اللغة العربيه بعد دخول العرب الى المغرب بنحو 40 سنـه ؟

والمشهور ان صالح بـن طريف قد وضع لبربر برغواطه قرآنا حاول ان ينهج فيه سور القرآن الكريم واسلوبه . والزم البربر بحفظه . وكانت الصلوات تقام باللغه العربيه في جميع المناطق التي امتد اليها الاسلام

ومجمل القول ان اثر الفتح الاسلامي في ميدان المغرب ، اصبح يتجلى في قيام نهضة فكرية طيبة ايام الادارسه . وليس احسن في التنويه بهذا الاثر ، مـن شهاده وليام مارسي التي نقلها عنه « بوسكـي » في كتابه : (البربر) والتي يقول فيها :

قطعت بلاد البربر كل علاقه لها مع الغـرب في القرن السابع ، وذلك لترتبط بالشرق ارتباطا كليا لا رجوع فيه . ومن غير ان يحدث من اجل ذلك نـزاع داخلي او ازمة ضمير . وان العرب سادات البلاد الجدد امكنهم بعدئذ ان يتخلوا عن مزاولة السلطة المباشرة فاستطاعوا بذلك ان يسلموا البلاد الى نفسها ، ولكنهم طبعوها بطابع عربي لن يمحى اثره ابدا ، فقد عربـوا المغرب ، حتى ليمكننا ان نعتبره اليوم في مجموعـه تقريبا كناحيه قاصية من مركز العروبة .

---

(1) ابن خلدون 6 ص 267

فخرج بيلاتوس يسال الجماهير : أي الرجلين يطلق فاجابته : باراباس ، باراباس ، وبذلك سيق السيد المسيح الى ساحة الاعدام بين ضحكات الشامتين ولعنات الضالين السذج ، ونزلت للتو ظلمة دامسة امتدت ثلاث ساعات كاملة ، ثم جاء يوسف وطلب جسده المصلوب ولما اعطيه وضعه في قبر بحضور مريم وغطاه بحجرة عظيمة ، وكان الغد سبتا فلم يمسسه احد ، ولما عاد يوسف في اليوم التالي لم يجد الجسد فقد رفعه الله اليه .

الاسطورة عند ارنست رينان

نهج رينان الاسلوب التاريخي في دراسة حياة المسيح فابرزه في طفولته صبيا ذكيا اتاح له ابوه تعليما فقهيا حسنا كما انه الم بالشرائع الاخرى وخبر الاحكام والنظم السياسية والاجتماعية وقد تأثر في تصوجه الفكري بالكبير من علماء عصره مثل يوحنا الذي اقام عنده بعض الوقت قرب الجليل .

وقد تتبع رينان المسيح في رحلاته التبشيرية ويبدو ان السيد المسيح لم يلق معارضة جادة في المرحلة الاولى من تبشيره الامر الذي شجعه على المضي فيها . ويذكر الكاتب ان الحواريين دفعوا المسيح دفعا الى تلك المعجزات . ثم يحاول ان يخضع هذه المعجزات الى البحث العقلي المجرد من قدسية الدين فيفسر مثلا شبع الحواريين العديدين من كسرات الخبز الزهيدة التي وزعها عليهم بان الحواريين كانوا مؤمنين سلفا بهذا الشبع . ويشرح قدرة المسيح على اخراج الشياطين من اجساد المرضى بقوله : ما زلنا الى يومنا هذا نرى ان الناس في سوريا يعاملون المرضى الاطوار منهم معاملة الحمقى او الذين حل بهم الشيطان . وفي هذه الحالة يكفي كلمة رقيقة لطرد الشيطان .. وما من شك في ان هذه هي الوسيلة التي استخدمها المسيح) .

وبعد موت هذه الوسائل — او المعجزات حسب الانجيل — من خطر صاحبها فانتشرت اخباره في جميع الانحاء . اما في اورشليم فقد تعدى الخطر مرحلة التذمر الى المقاومة والسخرية بتلك التعاليم بغية تشويهها . ومن هؤلاء الساخرين جماعة الفريسيين (فكان احدهم يجر رجليه جرا بين الحجارة المسننة دون مبالاة ، وكان آخر يسير مغمض العينين كي لا يبصر النساء) وقد لقيت هذه السخرية المجسمة رواجا بين افراد الشعب البسطاء واثارت فيهم الحمية والخوف على دينهم من العبث والمس .

وكان يشجع هؤلاء المنافقين جماعة الاغنياء الذين حنقوا على المسيح لانه (اعلى من شأن الفقير الذي يعطي قليلا على الغني الذي يعطي كثيرا) ويرى رينان الى جانب تضافر الفريسيين والاغنياء ان هناك سببا مباشرا عجل بصلبه هو ان قيافا الحاكم كان ذا رشد وحكمة لكن ظروفه الخاصة تدفعنا الى الاعتقاد بان ارادته كانت اسمية فقط ، فنحن نلاحظ ان شخصية معينة كانت بجانبه طيلة مدة حكمه ، ولم تكن هذه الشخصية غير روح امه حنان . وكان حنان هذا رئيسا للحزب الكهنوتي .

فكان من الطبيعي ان يهتم حنان بمصلحة الحزب الكامنة في الخضوع لتعاليمه الدينية .

هذه الاسباب مجتمعة هي الحافز الاكبر لادانة المسيح اما الشعب فتابع لرؤسائه وحكامه ، اذن (فلا بيلاطوس ولا غيره قد حكما باعدام يسوع وانما هو الحزب اليهودي العتيق والشريعة الموسوية) كما يقول رينان .

الاسطـورة عنـد فرانسـوا موريـاك

لم يخرج مورياك عن نطاق الاسطورة في الانجيل ولا عنها عند رينان . واذا كان هذا الاخير قد حاول « تعقيل الاسطورة » وتعليل ظواهرها الخارقة بالتفسير التاريخي والاجتماعي فان ميزة مورياك انه صاغ الاسطورة في اسلوب ادبي فيه من سماحة الدين نفحة لا اغراق فيها ولا تهويل يقول في مقدمة الكتاب (لا اشك في ان حياة المسيح يجب كتابتها في خشوع تملأنا شعورا بدونيتنا الانسانية التي تدفع الى اسقاط القلم من اليد) اما المنهاج فقد تأثر فيه مورياك برينان حتى ان عناوين الفصول لتكاد تتطابق على ان فرانسوا مورياك المحب لدينه لم يجنح الى التحقيق المجرد فاقتصر على اسلوبه المتدفق الخصب في تصوير سيرة المسيح وصوغها في قالب ادبي مليء بالسماحة والاخاء والحب

والخلاصة ان الانجيل ورينان ومورياك اتفقوا على ان الشعب الاسرائيلي لم يستسغ تعاليم المسيح التي حسب فهمها تشتيتا لوحدته ومنافاة لشريعته

اليهود من كل صوب فجاؤوه يلتمسون بركاته ورضاه اما مؤمنين او فريسيين منافقين .

وتتالت انباء السيد المسيح وكثر انصاره خاصة بعد ان ظهرت معجزاته الخارقة في شفاء المرضى وابصار العمي وانقاذ الملاحين الذين نادوا باسمه والنوء يتخطفهم من كل صوب فاذا المسيح يسير على الماء كمن يمشي على الارض فيامر الريح ان تهدأ او الموج أن ينحسر واذا السفينة الى هدوئها تعود فتتابع رحلتها الى شاطىء الامان (1) .

وبلغت معجزاته منتهاها عندما جاءته امرأة ترجوه ان يحيي اخاها (لازار) الذي مات منذ اربعة ايام ولا سند لها غيره، واذا المسيح يلبي رغبتها فيحيي اخاها من بعد موته ويعيد الامل لقلب المرأة المتوسلة المؤمنة به .

وتكاد الاناجيل الثلاثة تفرد ثلاثة ارباعها للتحدث عن هذه المعجزات التي تتشابه احيانا تشابها مملا ، وقد دفعت هذه الخوارق بالكثيرين الى الايمان بصاحبها مما ازعج الفريسيين فاخذوا يهتمون بخطر دعواه على دينهم الذي اعتقدوا فيه منذ عشرات السنين ، وكان الى جانب هؤلاء المنافقين فئة الكهنة والاحبار الذين خافوا على الدين الجديد ان يسلبهم المكانة التي حباهم بها الشعب الاسرائيلي .

هاتان الفئتان كانتا تواكبان فئة ثالثة هي فئة الاغنياء ، فقد حث المسيح على نصرة الفقراء ووعدهم بالجزاء الاكبر في مملكة السماء « قال يسوع لتلاميذه الحق اقول لكم انه يعسر ان يدخل غني الى ملكوت السموات واقول لكم ايضا ان دخول جمل من ثقب ابرة ايسر من ان يدخل غني الى ملكوت الله » وبذلك ازدرى المسيح مالهم وجاههم الذي اعلاهم عن بقية الناس .

اخذ المسيح يجوب القرى كعادته ينشر رسالته في سماحة وحب ، ويحاور الفريسيين في كل ما يعرضون عليه بغية وصمه بالعجز ، فاجأوا مرة — مثلا — ان يدمغوه بتهمة المس بامن الدولة الحاكمة (الرومان) فجاء من سأله : اندفع الضريبة للدولة الحاكمة ام لا ؟ فاجابه : ائتني بالذي يدفعون منه ، فجاؤوه بقطعة نقدية قلبها وجها لظهر ثم ردها اليهم قائلا : (اعطوا ما لقيصر لقيصر واتركوا ما لله لله (3)) . وجاؤوه مرة ثانية بامرأة زانية وهم يسوقونها الى حيث ترجم بعد ان حكم عليها حسب الشريعة الموسوية ، فسألوه ان كان رجمها واجبا ؟ فرد عليهم بهدوء : من كان منكم بلا خطيئة فليقذفها بحجر .

كان السيد المسيح قد زار اورسليم مرات عديده لكنه اذ احس الخطر يحدق به غادرها الى الجليل حيث دأب على التعبد رفقة الحواريين الانصار، فلما احس بدنو اجله — يقول الانجيل — اسر اليهم بموته فلم يفهموه لانه فوق ادراكهم .

وحين اقبل عيد الفصح اجتمع الاسرائيليون في اورشليم كعادتهم لاقامة الزينة ومعالم البهجة والاحتفال فجاء من يقول للمسيح ان الجميع يتربصون به الدوائر ليوقعوه في تهمة مدبرة كي يتخلصوا منه فالتفت الى انصاره يرجوهم ان يذهبوا الى اورشليم بدونه لكنه ما لبث ان تبعهم وهو موقن بخاتمة مطافه .

قال متى : « ... وقال لتلاميذه انه بعد يومين يكون الفصح وابن الانسان يصلب (4) » ثم قال (فحينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب في دار رئيس الكهنة الذي يدعى قيافا وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه ولكنهم قالوا ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب (5)) . ولما اطل المسيح على المدينة المحتفلة ناداها : (يا اورسليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم مره اردت ان اجمع اولادك كما تجمع الدجاجة افراخها تحت جناحيها ولم تريدي . هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا (6)) .

كان دخول المسيح اورشليم ليلة خميس مشحونا بالهلع والفزع فقد ضج الناس حين سمعوا بدخوله الا انهم لم يتبينوا مكانه لولا ان الشيطان زين لاحد انصاره (وهو يهوذا) ان يشي بالنبي الكريم ، وقبض على السيد المسيح وسيق الى الحاكم قيافا ثم الى المدعي العام بيلاتوس ، وكان من عادة اليهود في عيد الفصح ان يطلقوا سراح احد المسجونين ، واثناء القبض على المسيح كان بالسجن المجرم الخطير باراباس

---

1 — 2 — 3 — 4 — 5 — 6) متى : ص 18 . ص : 45 . ص 52 . ص 63 . ص 54 .

آخرين توصلوا الى الايمان فرادى لان فى اعماقهم استعدادا قويا للايمان مثل التاجر الذي تكفل باعداد الصليب فتطاير شرر الحداد على عينه فعميت فكانت حافزا له على الايمان بالمسيحية ، ومثل الجندي المسيحي الذي (ما كاد يقع نظر المسيح عليه حتى احس كأن نورا اضاء قلبه فاستجاب ضميره لهذا الدين الذي جاء النبي الجديد وبدأ منذ ذلك اليوم يفهم الدعوة فهما حقا ودخل منذ تلك اللحظة فى زمرة المؤمنين . .) (1)

2) **الضمير عند الجماعة** : لم يتناول الكاتب الجماعة مستقلة ولم يكن ليستطيع ، وانما اقتصر على ابرازها فى تضاعيف حديثه عن الضمير عند الفرد. ورغم ان الجماعة فى حقيقتها ليست الا مجموعة افراد فان الدكتور محمد كامل كان قد حرص على تبيان ان الجماعة لا ضمير لها بل يذهب فى القول على لسان فيافا بان المسيح (عجز عجزا تاما عن ان يخلق للجماعات ضميرا كأنه يظن ان الجماعات تكون طيبة اذا كان افرادها طيبين وهو خطأ مشهور) (2) فالافراد وان اخلصوا انفسهم من ادران الشهوة والانانية فانهم لن يلبسوا – اي الضمير – يتجنب الاوثان الحسية والمعنوية .

3) **كيف نقوي الضمير الجماعي** : لاحظ المؤلف ان القوى المتحكمة فى الجماعات ثلاثة القوة الحيوية وما فيها من نوازع وشهوات . وقوة العقل وما فيها من قوة على المعرفة وقوة الضمير وما جبلت عليه من تمييز للحق من الباطل ، فاما القوة الاولى فغايتها الابقاء على الحياة وهي لذلك تتعدى حدودها مجازفة كي تبلغ مرماها ، اما القوة العاقلة فوسيلة قويمة للمشاكل والاحداث ولكنها مغرورة بقدرتها ، اما الضمير فخير كله وهو الحكم بين الباطل والحق (3).

والسبيل الاقوم لاحقاق الحق هو ان تحاول كل فرد ان يوجد فى نفسه توازنا لهذه القوى الثلاث حتى لا يطغى جانب منها على الآخر . فالقوة الاولى يحافظ عليها بالنشاط والثانية بالعلم والمعرفة والثالثة – اي الضمير – يتجنب الاوثان الادمية منها مثل الزعماء والحكام والمعنوية كالمصلحة العامة والوطن .

يبدو لنا من العرض السابق « لقرية ظالمة » ان الدكتور محمد كامل حسين قد حرج بموضوع القصة الاسطوري الخاص بظرف معين الى طرف ما نبذل – وبذله الاجيال السابقة – من جهد فى احداث نظم سياسية واجتماعية تهدف لاسعاد المجموعة البشرية . . كما نلاحظ ان المؤلف حاول ان يجد حلا جذريا للشقاء الانساني فجنح الى تلمس الداء فى مكمنه . . جنح الى الانسان نفسه فحصر قواه فى عناصر ثلاثة هي الحياة والعقل والضمير مرتئيا فى توازنها سعادة الفرد والجماعة جمعا .

وفى نظرنا ان المؤلف وقد نصب نفسه مسرعا للانسانية قد تأثر بمفهوم شوبنهور للارادة التي تمور فى باطن الكائن الفرد وتحدد نوع علاقته بغيره ، بل انه تخلص الى نفس تشاؤم شوبنهور فى استحالة وجود عالم نبيل خير (4) والا فكيف نفسر تنبيه المؤلف لنا بوجوب توازن : الحياة والعقل والضمير ونحن نعتقد معه بداهة باستحالة هذا التوازن فى اعماق الانسان العادي الذي لا تقوى على فهم نفسه ؟ اليس هذا عن اعتراف مستتر باستحالة انشاء عالم لا شقاء فيه ولا شر . . ؟

ان هذا الجنوح الى اتخاذ الانسان الفرد مفتاحا لحل المشاكل الانسانية ليس جديدا الا ان الدكتور محمد كامل حسين لم يترك الانسان حرا مسؤولا فى استبطان ذاته كي يشرع للانسانية عبر هذه الذات مثل ما نعرف عن المذهب الوجودي كما انه لم يشعر هذا الانسان بقدرة الله المهيمنة ومغبة المصير كما نعرف عن الديانات ، وانما اطلقه ليمارس تجربة توازنه بنفسه الا انه مشدود منذ البدء بمواد اولية مفروضة هي حياته وعقله وضميره .

ولنتجاوز السؤال عن كيفية الاهتداء الى هذه العناصر الثلاثة دون غيرها ؟ وعن كيفية التمييز بينها ؟ ولنتجاوز مرة اخرى فلا نسأل عن طبيعة الضمير اهو نزوع فطري ام ان للقوتين الاولتين تأثيرا عليه ؟ لان هذه الاسئلة تزعزع مناقشتنا من اساسها ولنمر عليها الى سؤال اخير : اليست هذه المحاولة فى نهايتها غير اجتهاد لخلق مدينة فاضلة

---

1) ص : 111 (2) ص : 62 .
3) ص : 258 – (4) راجع شوبنهور فى تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ص : 277 .

الموسوية الراسخة ، فلا غرو اذن ان يحارب كل من يريد ان يحيد به عن دينه .. ولم يكن السيد المسيح غير واحد من زمره الانبياء والمرسلين الذين قتلتهم تلك المدينة الظالمة : اورشليم .

الاسطورة عند الدكتور محمد كامل حسين

اعتمد كاتبنا العربي الكبير على الشخوص المعروفة باسمائها في كتابه وهي : قيافا وبيلاتوس ولازار ومريم المجدلية ، لكنها شخوص تؤدي دورها بمفهوم جديد لم تتطرق له الكتب السالفة ، ولئن كان المؤلف قد اقتصر على يوم الجمعه الحزينة التي صلب فيها السيد المسيح (1) ، فان هذا لم يمنع المؤلف من الاحاطة بالاسطوره في تفاصيلها اثناء المناقشات المحتدة بين شخوص الكتاب .

تعالج قصه « قرية ظالمة » وهي تسجل اسطوره المسيح — مشكلة بالغة الاهمية هي : ضمير الفرد وضمير الجماعة ، والمؤلف يعرض في كتابه للاسانيه جمعاء في اختلافاتها ونوازعها الفردية بتفكير حصيف عميق الادراك ، وليست « قريه ظالمه » قصة كاملة بالمفهوم الفني المتداول ، وانما هي فكره تتنافس في اطار من اشخاص وامكنه . واختيار الاشخاص والامكنه في مثل هذا النوع من القصص يرتكز عادة على اسطورة او قصه او واقعة تاريخية يحملها الكاتب طاقات من معنى ما يريد ان يحملها به وعلى هذا الاختيار يتوقف الكثير من نجاح العرض وقوه الاقناع (2) بل ان الاسطوره في « قريه ظالمه » ليست الا نموذجا للخطايا الانسانيه المتكرره حتى الآن في الاستعمار والحروب .

وقد عرض الدكتور محمد كامل لمشكله الضمير فاجلاها عند الفرد وعند الجماعة ثم حاول ان يضع حلا دائما لها في آخر الكتاب .

1) **الضمير الفردي** : ففي مطلع الكتاب يعرض المؤلف الاشخاص المسؤولين عن ادانه السيد المسيح وقد انفردوا بعد الحكم عليه الى التفكير الهادىء البعيد عن عيون الجماعة فاذا الحيرة تتخطفهم والادانة التي اتهموا بها المدعى عليه ليست منصفة كما راوها بالامس : فالمفتي مثلا وهو يناقش ابنه يقول : (اني لن افتي بعد اليوم انهم اساءوا فهم فتواي ويريدون ان يقتلوا بها رجلا لا ارى ضميري يرضى عن قتله بل اننا نرى المفتي وقد انقلب الى مكافح مدافع عن آراء المسيح بالتحليل العقلي الدقيق .

ولم يكن رجل الاتهام اقل حظا من البلبلة عندما ناقش زوجته ولكنه لم يذعن لحججها الدالة حتى في بساطتها بل انه ابدى تماسكا مزيفا فسار الى دار الندوة وقد (خيل اليه ان اطمان وان يكن في الواقع انما احاط نفسه بسياج من حججه القديمة حتى لا ينفذ اليها وخز الضمير والم الشك) .

اما قيافا فقد اعترف بينه وبين نفسه ان الكثير من المبادىء الخلقية التي دعا اليها المسيح فوق مناقشة كما لاحظ ان يسوع (لم يؤذ اي فرد من بني اسرائيل ولن يؤذيه اي فرد منهم ولكنه يؤذي بني اسرائيل مجتمعة ، وجماعتهم هي التي ستنتقم منه وان كره كل واحد منهم ان ينتقم منه بنفسه) ثم اخذ يتامل الاتهامات الجائرة التي سردها المدعي العام بالامس فالفاها مفرضة متحاملة ، واخيرا خرج الى الندوة وقد (عزم ان يلزم جانب الحيدة وان يقر ما يتفق عليه اهل العلم وقادة الفكر من قومه وحسابه وحسابهم على الله)

اما بيلاتوس فقد خلص من مناقشته الممتعه مع الفيلسوف اليوناني الى ان الحق والباطل يتساويان دائما لان العقل يضل في متاهات الشك والملابسات وانتهى بيلاتوس الى الياس وكذا الفيلسوف نفسه (فقد اصابه ما اصاب بيلاتوس من الياس) .

الى هذه الفئه من المفكرين الملتمسين لتحاملهم الجائر عند محاكمه السيد المسيح كل معذره ممكنة او راكنين الى اليأس والاقرار بالعجز ، الى هؤلاء نجد

---

1) لم يعن المؤلف بصحه صلب المسيح كما جاء في الانجيل كما انه لم يشر ما جاء في القرآن الكريم من انه لم يقتل ولم يصلب ولكن شبه لهم لان هذه الفكرة لا تعد جوهرية في كتابه اذ المهم لديه ان يوم الجمعة الحزينه كان نهايه تبشير المسيح نفسه برسالته .

2) سهير القلماوي : المجلة عدد 12

القضاء الجنائي بانجلترا

للأستاذ محمد بن تاويت

كل جان يحاكم بواسطة المحلف . الا اذا كانت جنايته طفيفة ، بحيث يباشر الفصل فيها لدى الجلسات الصغرى ، ويعاقب عليها برفق . كان يكون العقاب غرامة مالية ، أو سجنا لمدة لاتتجاوز سته اشهر . وهيئة المحلفين تستطيع وحدها أن تقضي ، ويجب ان تكون قضاؤها بالاجماع بأن المتهم مذنب او غير مذنب ، وحينئذ تمضي المحكمة الحكم . وبعدما تصدر هيئة المحلفين حكمها . وقبل امضاء هذا الحكم ، تطلع المحكمة على لائحة الجرائم . ان كان المتهم قد حكم عليه من ذي قبل فى بعضها . وهذا طبعا . تكون له تاثير فى شدة الحكم الذى ستمضيه المحكمة .

وكل مدعى عليه يعد بريئا . الى أن تقوم عليه الحجه بأنه مذنب ، وعلى المدعين أن يثبتوا أن المدعى عليه مذنب . وليس عليه ان يثبت انه بريء (اذ الاصل فى الانسان البراءة) .

وتبتدىء المحاكمة بسماع ما يقوله المدعي . الذى يعرض قضيته على المحكمة . وعلى المحلفين . ان كان هناك احدهم .

وبعدما يقضي بدعواه ، يحضر حججه . وتتمثل فى الشهود ، الذين سيزكونه فيما ذكر من حقائق .

والقانون صارم جدا فى الطريقة التي سيختبر بها هؤلاء الشهود . وعلى هؤلاء أن يشهدوا بما راوه لا بما سمعوه .

ويجب على المدعين الا يلقوا اليهم بأسئلة توجههم الى اجابات معينة ، فذلك يدعى بالاستدراج leading الذي يحرم فى استنطاق الشهود

مثلا . لاينبغي ان يسأل الشاهد : هل رايت المتهم خارجا من المنزل . وهو يحمل كيسا مليئا من فضة ؟

ولكن فقط يمكن ان يسأل : ايـن كنت فى الوقت الفلانى ؟

الجواب : خارج المنزل

السؤال : ماذا رأيت ؟

الجواب : رأيت المتهم

السؤال : هل كان حاملا لشيء ؟

الجواب : نعم

السؤال : وماذا كان يحمل ؟

الجواب : كيسا مليئا من فضة

وعلى اثر ماينتهي المدعون من توجيه اسئلتهم الى الشاهد . يشرع المدافعون فى استنطاقه مرة أخرى . وهؤلاء يستطيعون ان يلقوا على شاهد الادعاء بأسئلة تتضمن الجواب leading questions كما ان المدعين يستطيعون ان يلقوا على شهود الدفاع بأسئلة تتضمن الجواب

مـثـلا :

هيئة الدفاع : صحيح ، ان تلك الليلة كانت مظلمة جدا لدرجة انه لم تكن فى امكانك ان تشاهد ماكان بالكيس ؟

الشاهد : ان البدر كان فى تمامه تلك الليلة

هيئة الادعاء : ياسيدي . هاهو التقويم calendar الذي يثبت ان البدر كان فى تمامه تلك الليلة

ليست من نوع مدن افلاطون والفارابي ولكنها مدينة جديدة لنوع حديث من البشر يمكن ان نسميهم متكاملين .. ؟

ان هذا النوع من السريع لا يعدو النقاش الفكري اللا منتهى لانه لا يتخذ الواقع البشري الحي ميدانا له ، اما التشريعات السياسية والاقتصادية ـ واحيانا الفلسفية مثل مشروع السلام الدائم لكانط ـ (1) وان كانت تخضع للتطور او التغيير فانها تظل اكثر فائدة واجدى فى التماس الحلول لهذه الانسانية المعذبة .

لكن هل من مهام الاديب ان يبسط الحلول كي ناخذ عليه مثل هذه المآخذ ؟ قد يكون الجواب بالنفي الا ان الدكتور محمد كامل حسين وقد اختار اسطورة المسيح نموذجا للخطايا الانسانية المتكررة فى الحروب والاستعمار والشر الفردي لم يقتصر على اجلائها فى اطار ادبي بل نصب نفسه مشرعا وواعظا يخاطب قراءه مباشرة بافكاره العميقة ، لذلك وجدتني مدفوعا الى منافسته محاولا الاستزادة من الفهم لهذا الكتاب الممتاز الذي لا ابالغ اذا قلت انه احد المؤلفات العربية النادرة فى العصر الحديث .

1) نقل هذا الكتاب الى العربية الدكتور عثمان امين

المصادر المعتمدة

قرية ظالمة : الدكتور مصطفى كامل حسين .

انجيل متى

انجيل مرقس : ترجمة جمعية التوراة البريطانية الامريكية .

انجيل يوحنا

قرية ظالمة (مقال) الدكتورة سهير القلماوي (المجلة عدد 12) .

القرآن الكريم : (سورة مريم ، سورة آل عمران ، سورة القصص ، سورة النساء) .

محاورات افلاطون : ترجمها عن الانجليزية الدكتور زكي نجيب محمود .

القوة فى التضامن

كان فى اجمة اثوار ثلاثة : ابيض واسود واحمر ، ومعهم فيها اسد ، فكان لا يقدر منهم على شيء لاجتماعهم عليه .

فقال الاسد للثور الاسود وللثور الاحمر : لا يدل علينا فى اجمتنا الا الثور الابيض . فان لونه مشهور . ولوني على لونكما . فلو تركتماني آكله صفت لنا الاجمة .

فقالا دونك فكله فلما مضت ايام قال للاحمر : لوني على لونك فدعني آكل الاسود لتصفو لنا الاجمة ، فقال : دونك فكله .

ثم قال للاحمر اني آكلك لا محالة .

فقال : دعني انادي ثلاثة فقال : افعل . فنادى : الا اني اكلت يوم اكل الثور الابيض !

مـن هـم المدعـون ؟

يمكن ان يكون المدعون من اشخاص معنادين ، أو رجـال الشرطـة ، او رئيس المدعيـن العمـوميين the Director of Public Prosecutions أو مـامـور حكـومـي State Official على رأس رجال ادارته . وبخلاف النائب العام ، فانـه لايقابض الحكومة ، ولكنه يكون اكثر شبها بأجير مدني ؛ ويتولى رئيس المدعين العموميين الادعـاء اذا كـانت هناك جريمة خطيرة ، مثل الاتهام بالقتل ، والخيانـة العظمى ، والغدر . وغالبا ، حينما نكشف بعض قضايا الغدر المدنية ، او يدلي بشهادة مزورة في المحكمة ، أو يدلس فيها ، فان القاضي يبعث بالاوراق الى رئيس المدعين العموميين ، الذي يقرر ما اذا كان سيباشـر القضية أو لا . ويسترشد هذا بالشرطة في محاكمـة المتهمين بالقتل والجرائم الخطيرة الاخرى . وفي بعض الاحيان تطلب من النائب العام the Attorney General أن يتولى مباشرة الحكم ، وعموما ، فانه يعرض قضية الدولة على محكمة الاستئناف الجنائية .

محاكـم الاستئنـاف

يستطيع الشخص الذي قضت عليه الجلسـات الصغرى ، او المحاكم ذات القضاة المرتبين في المـدن الكبرى ، بأنه مذنب ، أن يستأنف لدى المحاكم الفصلية . أو لدى قـاض محلـي « المسجـل » Recorder في بعض المدن . ويستطيع هذا الشخص أن ينتقل من المحاكم الفصلية الى محاكم الاستيناف الجنائية . فان نجمت معضلة فقهية ، فان القضية تعرض على مجلس اللوردات the House of Lords كما انـه يستطيع ان ينقـل القضية من المحاكم الدورية او المحاكم الجنائية المركزية ليستانف فيها لدى محكمة الاستئناف الجنائية

وحينما يصدر الحكم بالاعـدام ، فان المتهـم أو ذويه ، لهم ان يستانفوا لدى حضرة الملك . فينصرف هذا في القضيـة حسب ارشادات وزيـر الداخليـة the Home Secretary وحينئذ ، فقد يستمـر الحكم ، وقد يستبدل بمدة من السجن . وفي احـوال خاصة ، قد يمنح الملك عفوه على المحكوم عليه ، فيطلق سـراحـه .

فان ادعى على بريء ، ووجد في هذا الادعاء جورا عليه ، فانه يستطيع أن يقيم دعوى على الـذي اتهمه ، لدى المحكمة العليا ، لأجل ذلك الاتهام الجائر .

فان كان قد جرد من حريته بدون موجب ، ولو لساعة واحدة ، فانه يستطيع ان يدعي بالاضرار التي نالته من جراء حبسه ظلما ، حتى ولو كان ذلك ضد الشرطة .

ملاحظة حول البينـة

هناك في القانون الانجليزي ثلاثة انواع من البينات، وهـذه تدعـى :

1 – بينـة محسوسة Real Evidence
2 – بينـة شخصية Personal Evidence
3 – بينـة ظرفية Circumstantial Evidence

فالبينة المحسوسة هي حالة جثة ، وملابـس ، وسياج ، وجرح ، ورائحة حامض بروسيك prussic acid وندب على وجه شخص ، ونحـو ذلك مـن الاشيـاء المحسوسة التي تستطيع المحكمة أن تشاهدها .

والبينة الشخصية ، مايدل على حالـة انسان ، مثل حمرة الخجل المفاجئة ، وتلجلج مرتبك ، ورسالـة تدل من تعبيرها وخطها ، دلالة واضحة ، على انها قـد كتبت تحت انفعال وتهيج

وما عدا هذا من البينات الاخرى يعـد ظرفيا ، مثلا ، مركز شخص ، وتقارير المرورة ، وافتناؤه لمتاع مسروق ، ونحوذلك .

هـذا وينبغي للشاهد الا يعيـد على المحكمـه ، البيانات التي احدثت بواسطة شخص ثالث ، لاجـل اختبار الحقيقة لمثل هـذه البيانات . وفيمـا يخـص الاعترافات ، فان القانون الانجليزي مرتاب جدا فيها ، بخلاف ما عليه الحال فيما وراء السور الحديدي مـن البلاد التي تعتمد محاكمها هذه الاعترافـات كأنهـا حجج قاطعه . فالمحاكم في بريطانيا ، لاتعتد دائما بهذه الاشياء التي ربما يقضي بها المتهم ، تحت تاثير توتـر في الاعصاب عند محاكمته . وانها لحقيقة عجيبة ، فيما يحدث عندما يرتكب جريمة قتـل شنيعـه ، فيزعـج البرءاء منها تماما ، ويكون النتيجة في بعض الاحيـان ، أنهم يسلمون انفسهم الى الشرطة كقتلـة حقيقييـن . ولهذا فالاعترافات في المحاكم الانجليزية لايؤبه بها ، الا اذا كانت صادرة عن طواعية ، وبدون وعد بثواب ، او ايعـاد بعقاب ، وحتى هذه فانها تقبل بتحفظ عظيم ، فيجب الا يقـع على المتهم اي نوع من انواع التعذيـب الجسمي او الروحي ، بقصد التوصل الى اعتراف منه .

(يتبـــع)

هيئه الدفاع : كيف استطعت ان ترى ماكـــان داخــل الكيس ؟

الشاهد : ان الكيس كان نصف مفتوح ، حينمـا مر بي المدعــى عليــه

هيئة الدفــاع : كم كان بعيــدا عنك ، حينمـا مــــر بــك ؟

الشــاهد : لا استطيع ان احدد ذلك ، انه كان ظلام نوعــا مــا

هيئه الدفاع : ظننت ان البدر كان في تمامه

الشاهد : كــان كذلــك

هيئه الدفاع : اذن ، اذا كان هناك ضوء كـــاف لك ، لدرجه ان تمكنت من مشاهده الفضة التي كانت في الكيس ، فلا بد انه كان هناك ضوء كاف ، تتمكن به من مشاهدة البعد الذي كان عليه المتهم ، حينما مــــر بــك . . الــخ

وهنا تستطيع هيئــه الادعــاء ، ان ارادت ، ان تستنطق شهودها مرة اخرى

هيئة الادعاء : هل وجدت غرابه في تلك الحال ؟

هيئه الدفاع : سيدى ، اعترض ، ان هذا سؤال يتضمن جوابــا

القاضي : يجب ان نعد ذلك محالفا

هيئه الادعاء : ماذا ظننت حينما رايت الرجــل معــه الكيس ؟

الشاهد : كنت في حاله ذعــر

هيئة الادعاء : هل كنت في حالــه تقــدر بهـــا المسافات ؟

الشاهد : ان اقوم باحصاء ؟ لا . .

وبعدما يكون الشاهد الاخير قد دعي ليقيـــم شهادته ، فلهيئة الادعاء ان تترافع مره أخــرى ، وان تكف عن مرافعتها ، وهذا هــو القالب المعتاد

ثم تدعو هيئه الدفاع شهودها الذين يكونون قد استنطقوا اولا ، وثانيا ، وثالثا ، ويدلي المدعــى عليــه بحججه الى هيئة الدفاع . وقد سبق انه غير محتاج لذلك في اثبات براءته . ولكنه قد يسبب وقعا سيئا ، اذا هو لم يفعل ذلك ، بينما من الطبيعي ان تحمل المحكمة تظن انه يخشى استنطاقه مرة اخرى . ومهما يكن فانـــه لايستنطق مرة اخرى فيما فــاه بــه أولا ، اللهم الا اذا كان هو او محاموه قد استنطقوا مرة اخـــرى شهـــود الادعاء فيما سبق ان افضوا به أولا .

وحينئذ ، تترافع هيئة الدفاع مرافعتها الاخيرة

سيدي ، سادتــي رجال القضاء ، قــد سمعتم الشاهد يقول : انه كان مذعورا ، وفي حالة لايستطيـع معها ان يقدر المسافات ، وان عينيه وقعتا على الفضـــة داخل كيس نصف مفتوح . كل هذا قد حدث خــــلال دقيقة واحدة ، فهل يمكن لمثل هذا الرجل ، وفي مثـل تلك الحال ، أن يكون في وضعية يتمكن معها من تمييــز تفاصيل شيء غريب عليه تماما ، الخ ؟

فاذا ما قامت هيئه الدفاع بمرافعتهـــا الاخيرة وانتهت منها ، فان المحكمة تلخص كل شواهد القضية، وتعتمد على اهم نقطها ، وحينئذ تغادر هيئة المحلفيـــن قاعه المحاكمة ، وحينما تعود اليها ، تسأل المحكمـــة هيئـــه المحلفيـــن .

القاضي : هل أنتم مجمعون على فتواكم ؟

رئيس المحلفين : نحن كذلك ياسيدي

القاضي : هل تقضون على السجين بانه مذنب ، ام غير مذنب ؟

الرئيس : مذنب ياسيدي

وبعد ذلك ، تصوغ المحكمة حكمها ،

وطبعا ، ربما لاتتفق هيئة المحلفين فيما بينهــا ، فاذا لم تستطع ان تتفق على الحكم ، فعلى رئيسها ان يعلن ذلك . وفي هذه الحال ، يستطيع المدعــى عليه أن يطلب عرض قضيته على هيئة محلفين اخرى ، ليحكموا فيهـــــا

وطبقا للقانون الانجليزي ، فانه لايمكن ان يصدر في القضية الا احد حكمين في صاحبها : مذنب ، غيــر مذنــب ؛

اما القانون الاسكتلندي ، فان فيه حكما ثالثا ، يعد وسطا بين الحكمين ، فقد يقضي المحلفــون بقولهم غيــر محقــق : Guilty او Not guilty not Proven ويعني هذا ان المدعين لم يقيموا البينـــة الكافيـــة على دعواهم ، على حين ان المحلفين غير مقتنعين بأن المدعى عليه بريء ، وعليه فيخلى سبيله

وقد تؤخذ عليه بعض الاوصاف التي نعت بها التعـر المطبوع وخلطه بين ان يكون الشاعر مطبوعا وان يكون قادرا على الارتجال وقول البداهة وهذا لا يمكـن ان يكون مقياسا لصدق الشعور وهو اكثر دلالة على قدرة الشاعر على النظم . وهو يقرر ضرورة النظر الـى النص نظرة موضوعية لا تتاثر بقائله ومنزلتـه او اي اعتبارات اخرى تعتمد على الدوق الشخصي . فالنظره عنده يجب ان تكون مجردة لا تتاثر بالغير وهذه نزعة تجديدية ترمي الى تحرير النقد من اسباب التقليد .

كما انه تنبه الى حالة الشاعر النفسية واثرها في شعره والعوامل التي قد تعوق الشاعر المطبوع . والملاحظ بعد هذا على ابن قتيبه في كتابه انه لم ياخذ بفكره الطبقات وتقسيمات ابن سلام وكانه لم يكـن مطمئنا الى تلك الاحكام الادبية التي كانت سائـده في عصره ولم يكن مومنا بمقاييسها ليجدها مبدأ يخضع له ولكنه في نفس الوقت لم يستبدلها باخرى يصـدر فيها عن « حكم استقراه من طبيعة الشعر القديـم والحديث ونسبه الجوده في كل منهما او قربهما مـن مثل اعلى في الشعر » وانما كان يعتمد في كثير مـن الاحيان على رايه المستقل ونظرته المجرده وقلما اعتمد على ذوقه وكانه كان تغلب تفكيره على حسه . واذن فابن قتيبة لم يسر في اتجاه ابن سلام ولم ياخذ بفكرة الطبقات ولا بفكرة المكان والزمان كما انه لم يسر في اتجاه جديد تصدر فيه عن منهج في التاليف ولا غرابه فكتابه كما يقول تاريخ « للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل اهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله » فابن قتيبة لم يسطر في الاشعار لينقدها ويحللها وانما اوردها بعـد اخبار شعرائها وقصصهم دون محاوله لمناقشتهـا ونقدها . وقد نجد عنده بعض الاحكام ولكنها في اغلبها لا تبعد قليلا او كثيرا عن الاحكام التقليديه فقد تحدث عن مآخذ العلماء على الشعراء وعن السرقات الشعرية وعن اقسام الشعر وطبيعته واشكاله والفاظه .

ثم جاء المعتز بعد هذا بدافع في « البديع » عـن القدماء ويحبط زعم المحدثين الذين ادعوا التجديد في الشعر واختراع المحسنات البديعية . فالبديع كان موجودا في اشعار الجاهلية وصدر الاسلام « ولكنه كان مفرقا ثاني عفـوا » فجاء بشار وابو تمـام مـن بعدهما فقصدوا اليه . وقد كانت الظاهره السائدة عند هؤلاء ان ياتوا بافكار قديمة في صياغه جديـده فابو تمام حاول ان يجدد ولكنه لم يستطع ان يحيد عن نهج سابقيه وتقاليدهم الشعرية وابو تمام وان كان له فضل كبير على هذا المذهب بان جعله عاما بعد ان غير فيه كثيرا فهو ليس صاحبه الاول فقد سبقه اليه مسلم ابن الوليد وابو نواس وقبلهما بشار بن برد . وقـد تحدث في كتابه عن الاستعارة وانها امر اصيـل في الشعر صدر الشعراء عنها بالفطره وعن طـرف الاداء التي تتعلق بشكله دون المساس بجوهره وهي التجنيس والطباق ورد العجز على الصدر وتحدث عن المذهب الكلامي وهو نوع من الجدل العقلي والقدره على توليد المعاني ثم ذكر بعد هذه الفنون التي اختصها باسم البديـع بعض محاسن الكلام والشعر وجعلها ثلاثة عشر بابا هي الالتفات، والاعتراض، والرجوع، وحسن التضمين والتعريض . والكفاية ، والافراط في الصفه ، وحسن الخروج . وتاكيد المدح ، وتجاهل العارف والهزل الذي يراد به الجد وحسن التشبيه ولزوم ما لا يلزم وحسن الابتداء . والظاهر انه فصل القسم الاول عن الثاني لانه اكثر ورودا في الشعر والكلام . واذن فابن المعتز في « البديع » قد حدد خصائص مذهب البديع وصـاغ مبادئه مما جعله يؤثر في النافدين بعده امثال الصولي والجرجاني . ولعل هذه اول محاوله للبحث عـن خصائص مذهب ادبي وبسط اصطلاحاته وهو بهذا قد « ساعد على خلق النقد المنهجي » وابن المعتز وان ادعى انه لم يسبقه الى عمله احد قد تاثر بارسطو في التوجيه العام وطريقه تحليل الظواهر دون ان يستبعده هـذا التاثر ويفسد نظرته ويبعده عن الحقائق فقد بـذل جهدا في البحث عن تلك الالوان الثابته واستخلاص الامثله من شعر الجاهليين والاسلاميين ومن القرآن الكريم وحديث الرسول . وقد يرد على هذا بان كتاب « الخطابة » لأرسطو لم يترجمـه حنين بن اسحق الا سنه 296 مع ان ابن المعتز قد الف كتابه سنـة 274 ولكنه لا يبعد ان يكون العرب قد عرفوه قبل هـذه الترجمه ففي « الفهرست » لابن النديم ما يفيـد ان كتاب : « الخطابة » نقل قبل حنين وان النقلة القدماء كانوا ايام البرامكه فيكون الكتاب قد نقل كما عنـد الاسناد امين الخولي في منتصف القرن الثاني او على الاكثر في اواخره وبكتاب « البديع » انتقل النقد العربي من تحليل المعاني والافكار والاشادة بقوتها وفخامتها الى العناية بالصورة ودراسة الشكل . وبعد من جهة اخرى اول كتاب في البلاغة العربية التي سنرى بعد سطور كيف تجمدت موضوعاتها عند ابي هلال وتحددت فيما بعده وصارت ثلاثة علوم هي المعاني والبيـان والبديع .

من النقد الى البلاغة

بقلم

كاتب المقدمة والمقال الأستاذ

عباس الجراري

- 2 -

وقد سبق ان قلنا ان فنون الآداب تتشعبت لتشمل الوانا كثيرة غير الشعر . وكان طبيعيا ان يتشعب النقد بدوره ليتناولها بالبحث والدرس فنرى اديبا ناقدا من معاصري ابن سلام واقرانه هو ابو عثمان عمرو الجاحظ يتناول هذه الفنون والخطابه بصفة خاصة ليرسم لها ما يستحسن وما يستقبح وما تتطلبه كل نوع من انواعها . فهو يتحدث عن مخارج الحروف وصحتها وعيوبها . وعن اللغه وسلامتها وعلاقه الالفاظ بعضها ببعض وما ينشأ عن تنافر الحروف من عيوب ثم علاقتها بالمعاني ليتحدث عن الايجاز والاطناب والملاءمه بين الخطيب والسامع وبين الخطيب والموضوع . وهو هنا ينظر بعين الناقد الحر الذي لا يهمه الاديب وانما يهمه علمه الادبي . ثم ينتهي بالكلام على الخطيب وهيئته واشاراته . والناظر في كتاب : « البيان والتبيين » يلاحظ ان الافكار فيه مشتته وموزعه . فقد جمع فيه نصوصا كثيره تصور البيان عند العرب في القرن الثاني واوائل الثالث واورد آراء غيره من الرواه والعلماء والادباء بعد ان مزجها بفكره وشخصيته بل واخذ عن غير العرب من فرس وروم ويونان تصورهم للبيان ناقلا عنهم بعض التعريفات كما انه عالج مشكلة اللفظ والمعنى . فذهب الى الصناعة والصياغة وابان فضل الالفاظ في تاديه المعاني فهذه عنده : « مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي وانما الشان في اقامه الوزن وتخير اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير » ويكاد مقياسه في النقد يتلخص في الصنعة وآثارها من جودة التشبيه وحسن الاستعارة وابتكار الصور ، وهو مذهب دعا اليه وكان به مفتونا . وقد عارضه فيما بعد عبد القاهر الجرجاني ووافقه ابو هلال العسكري كما سنرى بعد سطور . وقد تناول في حديثه عن الصناعة اللفظية وسائلها فذكر البديع وانه مقصور على العرب واشاد باصحابه من الشعراء . وهو الى جانب هذا يومن بالطبع ويبعد عن التكلف ويذم من الالفاظ ما كان غريبا وحشيا . ولا نستطيع ان نقول ان للجاحظ منهجا علميا في التاليف فهو لا يحصر الموضوع ولا ينظم البحث ولا يقسمه ولا يستوفيه فكتابه زاخر بنصوص ادبيه وباراء واحكام وموازنات بين الادب والادباء في اكثر فنون القول وهو مزيج من العناية بالادب ومن التدريب العملي ومن محاولة وضع قواعد للبيان تقوم على اسس فلسفية مقتبسة من ارسطو الذي يسميه « صاحب المنطق » يضاف الى ذلك كله ميل الى الاقتباس من آداب الامم الاخرى التي عرفها العرب في العصر العباسي . وفي اوائل هذا العصر ظهر شعراء مجددون امثال بشار بن برد ومسلم بن الوليد جددوا في المعنى وجددوا في الاسلوب فانقسم الناس طائفتين احداهما تتعصب للقديم والثانيه تضع الفن والصناعه مقياسا للحكم على جودة الشعر ورداءته لا ينظر فيه قديما كان او حديثا. وجاء ابن قتيبه فعرض في « الشعر والشعراء » لهذا الانقسام محاولا ابطال الراى الاول وتاييد الراى الثاني فقد قسم الشعر الى اربعه اضرب « ضرب حسن لفظه وجاد معناه وضرب حسن لفظه وحلا فاذا انت فتشته لم تجد هناك فائده في المعنى وضرب جاد معناه وقصرت الفاظه عنه وضرب تاخر معناه وتاخر لفظه » وهو يجعل المعنى اساسا لابد لكل بيت شعر منه ، يخضع له الالفاظ التي قد تختلف للتعبير عن المعنى الواحد . ثم نراه بعد هذا يترك مقاييس الجوده لينظر في الشعراء ويقسمهم الى متكلفين ومطبوعين معتمدا على تفكيره وتقريره اكثر من اعتماده على ذوقه وحسه .

واكثر من معنى غير ما عند الشاعرين ، غايتــه تحديد خصائص كل منهما وتوضيح مذهبهما .

ثم تقوم الخصومة حول المتنبي وكان في شعره نوع من التجديد فيلاحظ النقاد ان فيه تعقيدا وتكلفا لاعهد لهم به ، يصوغه في « عبارات استمدها من الفلسفة والتشيع والتصوف كما استمد طرفا منها من اساليب العرب الشاذة في النحو واللغة » فهم يلاحظون عليــه سرقاته وفساد معانيه والفاظه . ثم ان الشاعر كان متكبرا شديد الفخر والاعتزاز بنفسه . مما جعل له حسادا كثيرين خاصة بعد ان قربه سيف الدولــــة واجزل له العطاء . وتنطلق الشرارة الاولى لهـــذه الخصومة في بلاط سيف الدولة حين كان يخاصمه ابو فراس وكان ابن جنى من انصاره . وتندلع نيرانهــا حين يتركه الى بلاط كافور بمصر فيكتب ابن وكيـع كتابا في سرقاته سماه « المنصف » . وفي بغـــداد يناظره الحاتمي ويكتب رسالة يكشف فيها عن سرقاته لحكم ارسطو ومعانيه ثم يقصد عضد الدولة وابـــن العميد ليمدحهما فيطلب منه الصاحب بن عــــاد ان يمدحه فلا يجيب . فيكتب رسالة يكشف فيها عــن مساوىء المتنبي يسميها «الكشف عن مساوىء المتنبي» وهكذا اختلف الناس فيه طائفتين : فالاولى تكرهـــه وتحط من شانه وقيمته والثانية تقدره وتكبره وترى ان شعره في المقام الاول الى ان جاء ابو الحسن علي ابن عبد العزيز الجرجاني قاضي قضاة الدولة البويهية في ايران ناقدا معتدلا والف كتابه « الوساطة بيـــن المتنبي وخصومه » كما عند ابن خلكان في وفيـــات الاعيان و « الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقـــد الشعر » كما عند حاجي خليفة في كشف الظنون . وقد جعل كتابه ثلاثة اقسام في الاول يتناول اخطاء الجاهليين التماسا للعذر في اخطاء صاحبه وتفاوت شعر الشعراء تبعا لازمنتهم وبيئاتهم والموضوعات التي يطرقونهــا وتاريخ الشعر العربي وتطوره حتى ظهور البديـــع ويتحدث عن اوجهه . وفي الثاني يدافع عن الشاعر وفي الثالث يدخل في الوساطه فيتناول عيوب المتنبي ومــا اخذ عليه العلماء وفيه يناقش ويحلل في نقد موضوعي دقيق لعله اهم ما في الكتاب . ويبدو الجرجانـــي في كتابه عالما واسع المعرفة يسير في تثبت وحذر وقاضيا عادلا لا يتبجح ولا يفتر وقد جعل اساس منهجـــه في النقد « قياس الاشباه والنظائر » فهو لا ينظر الـــى الشاعر وما عابوه عليه ليناقش اخطاءه وانما هو يحاول انصافه : « ويقيسه باشباهه ونظائره عند الشعـــراء المتقدمين » ولا يلبث ان ينتهي الى : « انهم لم يسلموا هم ايضا من الاخطاء » ومن الاخطاء ينتقل الى تفاوت شعر الشاعر جودة ورداءة وما خالف فيه السابقيــن وهو في هذه المسألة كسابقتها لا يحيد عن منهجه : ناقد نزيه ومؤرخ بصير وهو ينبه الى ان الخلق الفني راجع الى : « الذكاء والطبع والدربة والرواية » التي هي عند العرب بمثابة التلمذة والناس بعد هذا يتفاوتـــون في القدرة على الشعر وان جمعت بينهم القرابة ثم هو بعد هذا سيعرض تطور الشعر العربي ولغته ويورد بعض ما عيب على ابي تمام في شعره ليلتمس العذر لصاحبه فيما في بعض شعره من تكلف واسراف ولئن اتفق مع الآمدي في الحكم على جوهر الشعر ذاته وفي تفضيـــل الشعر المطبوع على الصناعة فهو اكثر تساهلا منه بل اميل منه الى السهولة . ويبدو في نقده نزعة نفسيـــة انسانية قد تغلب على النزعة الفنية الخالصة وهذا بخلاف الآمدي الذي يغلب النزعة الاخيــره . واذا لاحظنا انه اعتمد على المبادىء العامة اكثر من اعتماده على النقد الموضعي وان الروح التعليمية ظاهرة في كتابه وانه في جانب منه يحاول رد الاشياء الى قواعدهـــا العامة عرفنا انه مهد السبيل الى تحويل النقد الـــى بلاغة ، فهو رجل مبادىء وهو في نفس الوقت رجل ذوق سليم وقد كان اميل الى المنطق والقياس ولكنه كان يحكم الى ذوقه في اكثر المسائل التي بحثها واذن فالجرجاني والآمدي يتخذان من تقاليد العرب وما درج عليه الشعراء مقاييس للخطأ والصواب . سيران على نهجها في الدرس والحكم . وبالرغم مما في هذه الطريقة من تضييق فهي تفتح باب تجديد الصياغة .

وقد رأينا قدامه قبلهما يحاول ان يفرض علــى الشعراء طريقة معالجة موضوعاتهم ويحدد لهم المعاني مضيقا مجال الشعر ومحكما قواعده في منهج عقلـــي تعليمي . وقد كادت ان تموت هذه المدرسة التي لـــم تثار بها النقد العربي لحسن حظه لولا ان ظهر ابو هلال العسكري آخر القرن الرابع فبعثها واحياها وفصل القول فيها شارحا وممثلا ومضيفا اليها اشياء اخرى من عنده . فهو وان رفض الاخذ ببعض اصطلاحـات قدامه وتعاريفه وفضل عليه ابن المعتز الذي كان يعتمد آراءه فقد اخذ عنه قواعد واغراض الشعر واشياء اخرى كثيرة . ففي « كتاب الصناعتين : الشعـــر والنثر » يبدأ العسكري بالابانة عن موضوع البلاغـــة لينتقل الى تمييز الكلام جيده من رديئه وينبه علـــى اخطاء المعاني وصوابها ولينحدث عن معرفة صنعـــة الكلام وكيفية نظمه وترتيب الفاظه وما يحتاج الكاتب الى ارتسامه وامتثاله ثم ينتقل للكلام عن حسن النظم

وبترجمة كتب ارسطو فى «الخطابه» و « الشعر» اخذت تظهر مادة جديده فى النقد مادة فلسفية يونانيه لا عهد للعرب بها حاول قدامة بن جعفر تطبيقها على الشعر والنثر بل حاول اخضاع الادب العربي للعقل الفلسفي اليوناني . فقد بدأ كتابه « نقد الشعر » بتعريف الشعر وان فيه الجيد والرديء والوسط وتحدث عن المعاني وانها معرضة للشاعر والمطلوب منه هو ان يبلغ الجودة واقتصر فى اقسامها على المديح والهجاء والنسيب والمراثي محاولا ان يردها جميعا الى المديح والهجاء وذكر عناصرها وهي اربعة اللفظ والوزن والقافية والمعنى ثم تحدث عن محسنات الشعر فى مفرداته ومركباته واخيرا اخذ فى ذكر عيوب كل منهما والملاحظ انه يعود بالجودة والرداءة الى الشعر نفسه دون الذوق ولعل السبب فى ذلك انه قصد الى قواعد ثابتة ولئن استطاع قدامة ان يبوب ويرتب وينظم ويحدد ويضع للنقد العربي اصولا ومعايير يقاس بها الشعر من حيث الجودة والرداءة متاثرا فى ذلك بالطريقة اليونانية فقد احاله الى جفاف افقده روحه الادبيه وخرج به من دائرة الفن الى دائرة المباحث العلميه الفلسفية بعد ان اغفل المنهج الفني والمناهج الادبيه الاخرى . وفى كتابه الثاني : « نقد النثر » ويظن انه ليس له وانما هو لاحد معاصريه نظهر نفس الطريقة ونفس الغاية التي رأيناها فى « نقد الشعر » فهو يحاول اخضاعه لمعايير اليونانيين مضيفا اليها ما تمده من علوم عربية اسلامية لهذا فكتابا قدامة لم يكن لهما تاثير يذكر فى النقد فاصطلاحاتهما التعليمية وتقاسيمهما الشكلية لم تؤثر فى النقاد بقدر ما اثرت فى علماء البلاغه الذين استفادوا من تحديده لبعض الظواهر . ولا نغلو بعد هذا اذا قلنا ان هذين الكتابين ينذران بجمود المصطلحات البلاغيه وتحجرها فهما ابعد ما يكونان عن النقد واقرب الى البلاغه .

وتقوم الخصومه حول البحتري وابي تمام فهذا يسرف فى تطبيق الوان البديع ، ويعمق معانيه متأثرا بثقافته الفلسفية الواسعة وذاك يسير على نهج القدماء وتقاليدهم متأثرا بمذهب البديع ولكن فى حدود ، ودون ان ياخذ من الفلسفة اليونانية والثقافة الحديثة الواسعة ، فالمجددون يقفون فى صف ابي تمام لغزارة معانيه والمحافظون يقفون فى صف البحتري لاتصاله كما يقولون : « بعمود الشعر » وبينهما معتدلون مترددون بين الطرفين فقد كتب ابن المعتز فى بداية الجدال رسالة فى محاسن شعر ابي تمام ومساوئه وقف فيها على مواطن الجودة والرداءة عند ابي تمام ناظرا فى معانيه واستعاراته وصور بديعه وكتب احمد بن ابي طاهر المنجد رسالة فى سرقاته وكتب احمد بن عمار رسالة كلها طعن وقدح لا يقر له فيها بفضل او حق . ولم يسكت انصار ابي تمام فكتب بشر بن تميم يقدح فى البحتري ويكشف عن سرقاته وكتب الصولي كتابه : « اخبار ابي تمام » يدافع عنه فى تعصب ظاهر . ولا نصل الى اواسط القرن الرابع حتى نجد ابا القاسم الحسن بن يحيي الآمدي يقف بين الطرفين ليقارن قصيدتين فى موضوع واحد وروى واحد ثم ينص على ايهما اجود من غير ان ينظر فى العناصر الادبية كالعاطفة والخيال والاسلوب . ولئن كان الصولي يتعصب لابي تمام فالآمدي يفضل البحتري ولكن فى تستر وخفاء فهو فى كتابه « الموازنه بين الطائيين » يبدو بعيدا عن الخصومة يتناولها ويجمع عناصرها ويدرسها فى يقظة وحذر لا يطلق حكما ولا يفضل جملة وانما ينظر الى الجزئيات والتفاصيل فقد يفوق البحتري ابا تمام فى باب من ابواب الشعر وقد يفوق ابو تمام فى غير هذا الباب . فهو اذن لا ينحيز ولا يتعصب يقلب المحاسن والمساوىء عن غير هوى سالكا منهجا علميا سليما ويحقق النصوص وينظر فى صحة نسبتها على طريقه ابن سلام وهو فى موازنته لا يروي احكام السابقين ولا يتاثر بآراء الذين كتبوا فى الخصومة ايام عنفها وتعصبوا لهذا الشاعر او ذاك وانما هو ينظر فيما كتبوه وفى ديوان الشاعرين ويفحص كل ذلك ليقبل ما يراه صوابا ويعيد النظر فيما يراه خطأ وكانه فى هذه الخصومه حكم يعالجها معالجة محقق خبير عادل يمهد لدراسة الظواهر ويفسرها باحثا عن عللها كما يبدو من دراسته لسرقات ابي تمام والبحتري وفى رايه ان سرقات المعاني ليست من كبير مساوىء الشعراء . ومن السرقات ينتقل الى الحديث عن اخطاء الشاعرين وعيوبهما ومحاسنهما ثم ينتقل الى مقارنه تفصيلية بينهما متتبعا معانيهما واحدا واحدا . والآمدي فى موازنته لا يعتمد على ثقافته ومعلوماته فحسب وانما يعتمد كذلك على ذوقه واحساس نفسه التي كثيرا ما يعود اليها « يستجلي خفائقها فيتخذها سبيلا للحكم على اصابة الشاعر او عدم اصابته » وقد كان عارفا بحكمة الفرس وفلسفة اليونان ولكنه لم يتاثر بهما فقد كان ذوقه عربيا سليما ونظرته واسعة صادقة وقد تاثر بابن المعتز فيما يختص بالبديع مما جعله عنصرا هاما فى نقده . ثم ان الآمدي لم يقصد من دراسته مفاضلة بين الشاعرين فحسب يحكم فيها لهذا او ذاك وانما قصد دراسة علمية مقارنة ناقش فيها اكثر من قول

ليكون للنقد اصوله التي تساعد على تمييز الجيد والرديء من الكلام وليكون للبلاغة قواعدها التي تساعد على تمييز الكلام البليغ من غيره. فالنقد ينظر فى الكلام بعد انشائه ويتخذ من قوانينه مقاييس لتقدير ما فيه من محاسن ومساوىء وتضع البلاغه للاديب القوانين التي تساعده على التعبير الواضح الجميل .

وهو قبل ان يحكم بالجودة او الرداءة يتناول الاثر الادبي فى مجموعه اي انه ينظر فى الافكار والتعبير او ما نسميه المادة والاسلوب ثم يلاحظ الصلة بينه وبين صاحبه وظروفه اما البلاغة فتترك المادة للاديب وتتناول العبارة او الاسلوب للحكم المباشر على الاثر الادبي اذا كان جيدا او رديئا. وليس معنى هذا ان النقد لا ينظر فى الاثر الادبي ليحكم عليه وانما هو يحكم متأثرا بطريقة الناقد فى الدراسة فقد يكشف عن قيمة الاثر من حيث موافقته او صدقه فى التعبير عن حال من الاحوال كما ان البلاغة حين تدرس الناحية الفنية اي ناحية الجمال لا تغفل عن دراسة الظروف المتصلة بالاثر الادبي ولكنها لا تنظر فى الاحوال التي يتناولها النقد وانما تعتبر الظروف الوقتية التي قيل فيها الكلام وهو ما تسميه بمقتضى الحال .

واذن فالنقد اوسع من البلاغة فهو الى جانب الحكم الفني يتناول الصلة بين الادب وبين البيئة وبينه وبين صاحبه من حيث حالته وكيفية تأثيره فى القارىء او السامع واما البلاغة فتتناول الجانب الفني وطرق التعبير المختلفة مستعينة باللغة والنحو وهي بهذا اداة للنقد وان خالف فى حكمه بعض قواعدها الفنية .

وبالرغم من كل هذا الاختلاف فغاية العلمين واحدة هي تحقيق الصدق والقوة والجمال فى الاداء والتعبير الادبي .

الثناء بعد البلاء

قال الاحنف لزياد حين قدم البصرة وخطب خطبته المشهورة : اصلح الله الامير ، ان الجواد بشده ، وان السيف بحده ، وان المرء بجده ، وان جدك قد بلغ بك ما ترى ، وان الثناء بعد البلاء ، ولسنا نثني عليك حتى نبتليك فأول خيرا نثن به .

وجودة الرصف وعن الايجاز والاطناب وعن حسن الاخذ وحل المنظوم وفيه يتحدث عن السرقات وعن التشبيه وحده والبيان عن قيمته وعيوبه وعن السجع والازدواج واوجه البديع واخيرا يتحدث عن مبادىء الكلام ومقاطعه . والحق ان كتاب العسكري يعتبر الاوج الذي وصل اليه مذهب البديع الذي كان معجبا به وبقواعده الشكلية المنطقية وبه ينتقل النقد المنهجي الى بلاغة تعليمية لم تلبث ان جففت ينابيع الادب الذي اصبح يعتمد على الصنعة العقيمة « اذ اخذ الادباء والشعراء يستخدمون تلك الاوجه ليحلوا بها اسلوبهم وكانت النتيجة ان ضاع من لادب كل احساس او فكر او حس صحيح وغلبت اللفظية والتكلف حتى اماتت الادب » والغريب ان ابا هلال حين يتحدث عن المسائل الادبية الخالصة كالسرقات تستقيم احكامه ولعل السبب انه لم يتأثر فيها باحد من مناطقة البيان الشكليين .

ثم جاء بعده عبد القاهر الجرجاني وكان عالما من علماء اللغة والنحو ذا فكر حاد وذوق سليم فالف كتابين يعتبران احسن ما كتب فى البلاغة العربية هما : « اسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » وفيهما يحارب تيار اللفظية وينقض نظريتين قديمتين اخذ بهما سابقوه الاولى ان جمال الكلام فى اللفظ والثانية انه فى المعنى فجعله هو فى نظم الكلام اي فى الاسلوب فهو سر اعجاز القرآن وبالتالي سر الابداع فى الفن الكلامي الى النظم او السياق فالسر فى البلاغة عنده ليس فى اللفظ من حيث هو لفظ وانما هو فى هذه الارتباطات والعلاقات التي توجدها الشاعر بين اللفظ وما قبله وما بعده « فالالفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ويعمد بها الى وجه دون وجه من التركيب والترتيب » فاللغة عنده ليست مجموعة من الالفاظ بل مجموعة من العلاقات والروابط التي هي المعاني فالالفاظ لم توضع لتعرف اشياء بذاتها وانما لتستعمل فى الاخبار عن هذه الاشياء بصفة او حدث او علاقة . واذا كانت العلاقات لا تستقيم الا بالنظم فقد جعله مقياسا لنقده اللغوي النحوي اذ النحو عنده هو ذلك العلم الذي يبحث فى الروابط بين الاشياء . ثم هو يدرس الجملة منفردة ومتصلة دراسة مفصلة ليبين مواطن الجمال فى الاسلوب فيبحث فى اهمية حروف العطف وقيمة الايجاز والاطناب وضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهذا اساس علم المعاني فعبد القاهر يحاول التوفيق بين قواعد النحو العربي وبين آراء ارسطو التي درسها فى العبارة فى نهج موضعي دقيق .

وجاء بعد عبد القاهر جماعة نهجوا نهجه وزادوا فى الامثلة والتقسيمات فاتلفوا النقد وافقدوا البلاغة روحها وكأنهم كانوا يحاولون وضع قواعد مركزة للبلاغة همهم فى ذلك ان يفهموا ما وضعه لها عبدالقاهر فالف السكاكي كتابه : « مفتاح العلوم » وفيه يتناول النحو والصرف واوزان الشعروالمعاني والبيان والبديع ملخصا ما قاله الجرجاني دون ان يأتي بشيء جديد . وبالمفتاح وضعت للبلاغة مقاييس ومعايير جمدتها وحجرتها بصفة نهائية .

ولن نصل الى اوائل القرن الثامن حتى ندخل فى عصر التلخيصات والشروح والجدل المنطقي فيلخص القزويني فى متنه : « تلخيص المفتاح » ما جاء فى القسم الخاص منه بالبلاغة يختصر القواعد ويجملها حتى كأنها الغاز مما اضطر العلماء بعده الى شرحه ، فشرحه هو نفسه فى «الايضاح» وشرحه سعد الدين التفتازاني والشريف الجرجاني وابن يعقوب المغربي والسبكي المصري وجاء بعد هؤلاء من شرح هذه الشروح وكتب عليها حواشي وتعليقات **لا شيء من ورائها غير افساد** الذوق وافقاد الملكة الادبية .

اما التيار النقدي فقد استمر قليلا فى القرن الخامس قبل ان يلفظ انفاسه الاخيرة بفضل ابي العلاء المعري الذي لم تفسد الصنعة طبعه ولم تطغ عليه المحسنات البديعية فقد كتب « رسالة الغفران » ورسائل اخرى فى نقد امرىء القيس والنابغة وابي تمام والبحتري والمتنبي . ثم جاء ابن شهيد الاندلسي فكتب « التوابع والزوابع » وكان اهم ما ظهر فى النقد بعد هذا كتاب لابن الاثير تغلب عليه الروح البلاغية وهو « المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر » وكتاب «العمدة فى صناعة الشعر ونقده» لابن رشيق القيرواني وهو ليس بحثا جديدا وانما هو نظرات جزئية ملخصة من ملاحظات النقاد الذين سبقوه ولعل سبب جمود النقد راجع الى فساد الذوق وعدم ظهور اساليب وانماط جديدة فى الشعر تجعل النقاد يلاحظون ويدرسون .

وهكذا سار النقد والبلاغة منذ اقدم العصور الادبية متحدين مختلطين لا يفرق بين مفهومهما فى دراسة النصوص وتحقيقها وظلا على هذه الحال مجتمعين حتى بعد ان نضجت آداب العرب وعلومها واستقل النحو واللغة فى الكتب والمعاجم . ولكنهما فى نحو القرن الخامس الهجري وبعد مشقة وعناء ينفصلان

الزمن وتتبع تطور المؤسسات الاجتماعية والتربية قصد التوفيق بين المقومات الاساسية التي رسخت في اعماق النفس وبين التطور والخلق في الحاضر والمستقبل .

ولا سبيل الى طرح الجانب الفردي النفسي من المفهوم التربوي ــ كيف نربي الطفل اذا جهلنا قوانين النمو الانفعالي والنمو العقلي والاجتماعي وازمة المراهقة وطبائع الافراد والتأثير المتبادل بين الفرد ومحيطه .

علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الحياة تقدم الأركان الاساسية لعلم التربية ولا تقوم لهذا العلم قائمة ما لم تتطعم بهذه المقومات ، ولعل الفرق الجوهري بين التربية القديمة والتربية الحديثة ان التربية القديمة لم تحسب حساب العلوم المساعدة ولم تنفصل عن التجريد الفلسفي الصرف والنظريات العقلية البعيدة عن التجربة . واول مفكر ادخل علم نفس الطفل في المجال التربوي هو « جان جاك روسو » الفيلسوف الفرنسي الشهير في كتابه « اميل » ــ وفلسفة التربية الحديثة ليست فلسفة في الفراغ او في التصورات ذات النزعة الميتافيزيقية بل هي جمع منسق لمختلف فروع العلوم السابقة مضافا اليها مقتضيات العصر والفلسفة السائدة التي تطبع المجتمع بطابع يميزه عن مجتمع آخر فنحن لا نختلف عن الاخرين مثلا الا بفضل هذه الفلسفة بالذات حيث ان قوانين علم الحياة والنفس قوانين نجدها في الصين او في امريكا هي بذاتها .

فاي فلسفة نتخذها نحن العرب المسلمون وندعو لها ونسبغها في مدارسنا حتى نحافظ على هذا التجانس المطلوب والتماثل العام بين العربي المغربي والعربي العراقي والحجازي ؟ سؤال له خطورته وله مسؤوليته لانه سيشمل سياسة البلاد واتجاهها وبنيتها العميقة ولا أحسبني اوفي الموضوع في مقال . ويكفي ان اشير الآن الى ان العناصر الحتمية التي ستتضمن هذه الفلسفة هي بدون شك اللغة والدين والتاريخ والسياسة او بعبارة اخرى على الفلسفة العربية التربوية الا تخرج عن الدعوة الى وحدة اللغة ووحدة المكان ووحدة التاريخ ووحدة الثقافة ووحده الدين ووحدة المصير والمصالح ــ ففلسفة التربية هي الجمع الحكيم لهذه العناصر مع اضافة عنصر التطور الدائم بطبيعة الحال .

ولاشك ان البوتقة الحية لهده الاهداف او لهذه الفلسفة التربوية العربية هي المدرسة العربية اي اننا في حاجة الى تخطيط عام للتعليم وتنظيم فروعه واصوله ــ ولا اشك لحظة ان سبب التباين الشديد بين العرب في عصور الانحطاط والاستعمار هو عدم وجود هذه المدرسة العربية وتضارب انظمة التعليم بين بلد وآخر وبين فرع وفرع بل بين مادة واخرى ، والامثلة عديدة للبرهنة على هذا الرأي ، في المغرب مثلا كان التعليم على قسمين تعليم عربي صرف وتعليم فرنسي خالص وتعليم مزدوج بثقافة عصره ــ والتعليم الفرنسي الصرف تعليم يتجاهل المقومات الاساسية للشخصية المغربية المسلمة والتعليم المختلط تعليم يخرج لنا موظفين للادارة لا المواطنين الصالحين ولا المثقفين الناضجين . وهذا التضارب العام موجود بين القسم الواحد والفصل الواحد ــ والعالم العربي برمته كان يعيش هذا التباين الخطير الذي يغذيه الاستعمار وتشجعه الرجعية المتقهقرة ــ سياسة فرق تسد سياسة حكيمة في الهدم والقتل الفكري ودائمة الاستعمار العريقون وضعوا علما شاملا في اساليب فصل القوة الحية للشعب المستعمر وقد حاولوا تطبيقها في الجزائر حينما احيوا القومية واللغة البربرية وحينما شجعوا فرق الزوايا والطوائف الدينية لمجابهة اللغة العربية الحية وعقيدة التوحيد الصميمة ، وسبب فشل الاستعمار يرجع الى ان الايمان كان اقوى من علم المستعمر ودهائه .

نحن في حاجة ماسة الى التوحيد الثقافي عن طريق فلسفة تربوية عربية قصد التشابه بين العرب في كافة البلاد العربية ، والتشابه هنا ليس معناه النسخه المتكررة والقضاء على الفردية وتجاهل الاختلافات البيئوية ، التشابه بمفهومه العضوي فتل لاشك فيه والتشابه الذي نحن في حاجة اليه هو بمعناه الوظيفي تماما كجسم الانسان المتعدد العضلات المتحد في العمل والاداء . والتماثل الوظيفي العقلي هو هدف هذه الفلسفة التربوية العربية .

والصعوبات التي قد تعترضنا في اتخاذ هذه السياسة الثقافية الموحدة بين البلاد العربية اليوم والبلاد الاسلامية غدا تعتمد اولا واخيرا على الفلسفة المشتركة ــ والدخول في الميدان الفلسفي دخول في صميم المشاكل الفلسفية الازلية فنحن حينما نؤمن بفكرة الوحدة الثقافية نصطدم بمسائل اخرى كالمركزية او اللامركزية وهل نقيد التعليم ونوجهه ام نتركه حرا

فلسفة التربية

بلعيب

للأستاذ جمال الدين البغدادي

نستطيع ان نمير العصر الحديث بانه عصر يبحث على النمط الحياتي والمذهب التربوي الجديد يعتنقه في مكان الفلسفات القديمه التي اظهرت فشلها ونقص نظرتها العامة للانسان والوجود ، هذا العصر المضطرب حائر يعيش في القلق والثوره وكل شيء فيه يدعو الى الشك والريبة . سراب يتلوه سراب فلا استقرار في هذا التبدل الدائم في شتى الميادين نجد ذلك في الفن والادب والعلم والفلسفة، فهذا مذهب سريالي كفر بالمنطق والعرف العام ، وهذا ادب انطباعي لا شعوري يعتنق الرمز والخلجات النفسيه المرضية صورة للادب الرفيع وهذه موسيقى هستيرية تحكي لك الحان الزنوج وايقاع الفجر وهذه روايات واقلام اتخذت المجون والشذوذ الحسي والانحراف الخلقي سبيلا للاثاره للنجاح ومدرسة للاخلاق الابيقورية بعد ان كان الذوق العام ينهج المنطق والاخلاق المثل الرفيعة وفن التوافق الكلاسيكي ، كل هذه المظاهر تعكس هذه الجوانب المضطربة لعصرنا الحديث غير ان هنالك جانبا آخر يكشف بوضوح هذه البلبله الاجتماعيه وهذا السعي للبحث عن آفاق جديده هذا الجانب هو الفلسفات التربويه حول مناهج التعليم ومشاكل التدريس ، مما جعل الكتابة والتأليف حول هذه المواضيع غزيرا دوافا عميقا تاره وضحلا احيانا .

ونحن كعالم عربي له شخصيته وله مشاكله نعيش نفس هذا القلق قلق الحضاره والمعاصرة ونحاول نفس المحاولات بحثا عن مذهب جديد وفلسفة جامعة تشمل التراث القديم ومتطلبات المدنية الحالية فقد خرجنا من ظلمات الاستعمار الى فجر جديد ونحن محملون بالتناقضات العقائدية والفكرية ولابد من الغربلة لاخراج تبر الذهب من الحصى والقشور واجلاء الشخصية العربية المسلمة الناضجة من النفس الجاهلة المعقده ولعل هذه التربية المنتظرة لا تعطي ثمارها اليانعة بالنسبة للجيل المخضرم الذي عاش عهد الاستعمار والاستقلال ، وسيكون ابناؤنا اكثر حظا منا واعزر انتفاعا من هذه التربية التي نعدها لهم وهي خالية من عقد النقص التي كانت تتحكم في التربيه القديمة والتعليم السالف .

التربية اذا وسيلة خلاقه نستخدمها في التطور والتأثير على الجيل الفتي مشيا مع التعريف الارادي « الداركايمي » الذي يرى ان التربية هي تأثير الكبار على الصغار لا يصالهم الى مرحلة النضج العام ـ والتربية مع ذلك معقدة المفهوم متداخلة الجوانب تمت بصلات القربى الى العلم والفن والفلسفه ولو كانت التربية مجموعة من الانظمة والمناهج لهان الامر ولكنها لا تكاد تفترق عن الفلسفة الاخلاقية وفلسفة الوجود البشري ماضيه وحاضره ومستقبله ـ ويمكن لنا مبدئيا ان نربط التربيه من حيث جانبها العلمي الموضوعي بعلم الحياة وعلم النفس وعلم الاجتماع : فروع من العلوم الانسانية اصبحت تجيب على ما هو كائن بعد ان كانت هي نفسها فلسفات ارسططاليسية .

ولا شك ان علم الحياة هو القاعده الاساسية للتربية ـ فالانسان جسم حي وجهاز متحرك ، والجسم السليم يؤثر في العقل السليم ولا سبيل الى تربية الجسم ما لم نعرف اسراره وقوانين الحياة وتكوين الجسم الفسيولوجي والعضوي وشروط النمو العام وتمييز المؤثرات المختلفة الصادرة من المحيط الطبيعي على الجسم .

ومن علم الحياة ننتقل الى المفهوم الاجتماعي للتربية كالتاريخ والسياسة وقوانين المجتمع ـ فالتربية تستفيد من الماضي الذي ينير الطريق للحاضر ، ومعرفة المجتمع هي معرفة لمكوناته العريقة في سالف

عن البعث الاسلامي

انتشار الإسلام في نيجيريا

بقلم الأستاذ ع . س

الايبو (1) يبلغ عددهم تسعة ملايين نسمة حسب المعلومات الاخيرة التي حصلت عليها ، والقبيلة المذكوره كانت وثنية العقيدة قبل دخول الانجليز والارساليات التبشيرية

ولهذه القبيلة عادات قد توارثوها كابرا عن كابر ولم يزالوا يعملون بها رغم ان الارساليات قد تمكنت بمساعدة الحكومة من تنصير تلك الملايين .

ان الارساليات قد لاقت عنادا قويا ببادىء الامر ولكن المال والتنظيم والدأب على العمل كل ذلك جعل النصر حليفهم فافتتحوا المدارس والكنائس والمستوصفات الطبية .

فبالمدارس انشأوا جيلا لا يهمه سوى عقيدة التثليث ويكره كل دين ما عدا ذلك .

وبالكنائس احضروا المارة واجلسوهم على مناضد لم يكونوا يألفونها مما جعل الافريقي يتردد على تلك الاماكن النظيفة .

والمستوصفات اتت بأينع الثمار فكل مريض فيما مضى كان عرضة لطب الدجالين والسحرة ولكن المريض وجد بالمستوصفات حقيقة الطب والشفاء .

بعد سنوات تمكنت الهيئات التبشيرية ان تبسط نفوذها في عموم المناطق بالمدن والقرى وجعلت التعليم وقفا لمن يتبع الدين الجديد فكانت النتيجة ان اقدم الاطفال زرافات ووحدانا وقد اعجبتهم تلك الرطانة العربيه عن رطانة لغتهم وخصوصا انه لم توجد قاعده اساسية للغتهم فكانت لغتهم يستعملونها للتكلم والمخاطبة فقط بينما الانجليز جعل من مدارس التبشير لغة تقرأ وتكتب .

ان الذين تخرجوا من مدارس الارساليات قد وجد كل منهم مساعدة ليتم تعليمه بلندن فعاد الاول بعد ان اتم دراسته ليستلم المناصب الرفيعة بالدولة وهذا بالطبع ليس بمناطق الايبو فحسب بل بجميع مناطق نيجيريا .

فمنذ خمس سنوات لم اجد بقوة السلطة الا الايبو المهيمنين على صغار الامور وكبيرها وفي البنوك منهم المدراء وكبار الموظفين وجميع الوظائف على هذا القياس والسبب ان التعليم بدىء عندهم قبل القبيلتين اليوربة والهاوسا (واقصد التعليم الانجليزي ورسالة الكنيسة) . ان المبشرين قد ادخلوا العقول الناشئة افكارا سيئة عن الاسلام ونبيه محمد عليه السلام وقصصا خرافية لا تمت الى الحقيقة بصلة وقد اوغروا الصدور حتى لا يكون بين الايبو دين آخر ومن شدة التنظيم لم نجد بين الايبو مسلما واحدا حتى اذا سأل الايبو هل انت مسلم يشمئز من هذا الكلام ويقول انني مسيحي ولست بمسلم وثني .

ان الارساليات همها الاول والاخير ان يكون الناس على ملتهم ولا يهمهم التطبيق الديني كما يهمهم الا يكون مسلم بين البشرية .

اصبحت حياة هؤلاء المسيحية خليطا بين تعاليم الكنيسة وتقاليدهم القديمة الموروثة ومن امثلة ذلك ما يحدث عند ما يتزوج مسيحي احدى البنات انه لا يستطيع ان يعقد زواجه في الكنيسة على اكثر من واحدة ، ذلك بالوقت الذي يبيح لنفسه ان يتزوج باكثر من عشر بدون عقد الكنيسة ومن العادة المألوفة والتي لم تزل تسري حتى الآن ان يتخذ الشاب فتاة باسم الصداقة وتأتي له بمولود او اكثر واحيانا يتم الزواج

1) الايبو قبيلة كبيرة في نيجيريا .

طابقا تعمل داخله قوى الانتخاب الطبيعي للابقاء على الاصلح والامكن كما هو الشأن فى انجلترا مثلا — ووضع المناهج والكتب لا يقل خطورة عن الحرية او الجبرية فى التعليم .

نستشف مما سبق ان التعليم والتربية لا يستقيمان فى بلادنا اذا لم نجب على اسئلة تدخل فى صميم الفلسفة وان الفلسفة التربوية هي التي تعطي اللون والشخصية والصفات المميزة لكيانها الاجتماعي والحضاري ، والعالم العربي لم تتوضح معالمه ما لم يزل هذا التضارب بين البلاد العربية فى التعليم . وللاسف ان المدرسة العربية النموذجية لم تتأسس بعد وكذلك المواطن العربي المثالي فى المغرب المسلم ولن يتركنا الزمن نتراخى اكثر مما فعلنا لان القوى المعاكسة والنزعات الانعزالية حية تعمل فى الخفاء والظاهر وهي تحارب الفلسفة التربوية وسوف يزداد الشق بيننا وبين العالم العربي ككتلة موحدة الشعور والثقافة اذا اجلنا تأسيس المدرسة العربية والكتاب العربي والتلميذ العربي والبيئة العربية المسلمة التي لا نزال تحافظ على الماضي وتعرف دورها فى هذا العصر السريع التطور .

ولن يكون العمل سهلا لانه عمل بالدرجة الاولى فلسفي عقائدي ولا شك ان هذه الفلسفة سوف تعتمد اكثر ما تعتمد على فلسفة الاسلام ، والشريعة الحنيفة تحتوي على الخطوط العريضة ولكن علينا ان نوفق وننظم ونقدم صلب الاسلام لا قشوره الى المدرسة الابتدائية اولا والى التعليم العالي بعد ذلك لان جوهر الاسلام خالد وعميق وهذا هو الذي نحن فى حاجة اليه لا المناقشات والخرافات ذات الاصول الهندية والمسيحية — والمدرسة العربية تعرف ان الماضي لا يمكن اخذه جميعا والمحافظة على كل عناصره والا استحال القول على التلميذ فى المدرسة ان يتعلم ما جد فى عصره وهو كثير جدا .

وخلاصة القول ان فلسفة التربية ستكون عربية اذا احسنت دمج الماضي بالحاضر وتوفقت فى اعداد المواطن العربي الصالح للمستقبل الرائع مستقبل البلاد العربية الاسلامية الموحدة .

تعريف التاريخ عند ابن خلدون

« انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس ، والعصبيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض ، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر باعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم الصنائع وسائر ما يحدث فى ذلك العمران بطبيعته من الاحوال » .

ناطقون أو مفكرون !

للأستاذ أبي زيد

يحلو لقادة بعض دول افريقيا الغربية التي نقلت اليها اخيرا اختصاصات الجامعة الفرنسية واصبحت فى العرف الدولي مستقلة وذات سيادة ان يطلقوا على دولهم اسم (الدول الافريقية المعبرة بالفرنسية) ، وخاصة منذ الفترة التي كانت تستعد للاجتماع الى بعضها فى ابيدجان لدراسة بعض المشاكل الافريقية وتحديد مواقفها تجاه القضايا التي تتصل بمستقبل المعركة التحريرية فى القارة الناهضة .

ولم يكلف احد — بادىء الامر — نفسه عناءا فى مناقشة اولائك القادة حول التسمية التي اطلقوها على دولهم رغم ان اكثر من تسعين فى المائة من شعوب تلك الدول لا تعرف حتى الرد بالايجاب او النفي بغير اللغات الوطنية الافريقية ، ورغم ان بعض اللغات المحلية تتكلم بها نسب مهمة من تلك الشعوب ، وبالغة من التطور والانتشار الدرجة التي يمكن معها — متى اخذت بوسائل التشذيب — ان تصبح كلها او بعضها اللغة الرسمية التي تدار بها الادارات والمصالح على اختلافها .

ولم يسأل احد اولائك القادة لماذا لم يطلقوا على انفسهم تسمية اخرى (كدول افريقيا الغربية) مثلا او (دول الجامعة الفرنسية) او (دول ابيدجان) خاصة وان مؤتمرات سابقة اطلق على المشتركين فيها اسم المكان الذي انعقدت فيه كدول باندونغ ودول منروفيا .. الخ

ولكن الالم كان يحز فى نفوس الشعوب الافريقية وهي ترى اشقا لها يؤمنون بمحض ارادتهم وبتلقائية لا يحسدون عليها بالتبعية الفكرية — وحتى لو افترض وجود صلات فكرية قوية — فان هذه التبعية تعد مظهرا خطيرا من حضارة فرنسا ، التي كانت تستعمرهم بالامس ، تلك الحضارة التى تأخذ الآن فى التقلص والافول .

ولقد عقب الماليون — وهم الذين تخلصوا في نفس الوقت من الاستعمار الفرنسي — على تلك التحلية بان دول ابيدجان التي تحولت الى كواكب اصطناعية واخذت تسبح فى الفضاء حول فرنسا تخوفت من ان تسمي نفسها « الدول التي كانت تابعة لفرنسا » حتى لا تظهر بمظهر المنفصلة عنها وهي التي ترتبط معها باوفاق لا تقل عن عقود للحماية ، وتخضع لتوجيهها خضوعا كاملا ..

اما الغينيون فانهم نسبوا ذلك الى الخلافات حول زعامة الاحدى عشر دولة اذ لو نسبت الى العاصمة التى شهدت مؤتمرها لقر فى النفوس ان ساحل العاج اصبحت عاصمة مركزية ومستقطبا لمختلف التيارات التي يريد كل زعيم ان يحولها الى حدوده .

واذا كانت التسمية الملونة قد وقعت من نفوسنا نحن المغاربة موقعا اليما فان ما آلمنا اكثر من ذلك هو الا تكون تلك الدول متحدثة او معبرة باللغة الفرنسية وحسب ولكن ان تكون مفكرة بالعقلية الفرنسية فوق ذلك وقد اقام الدليل على هذا التفكير موقف تلك الدول اثناء وبعد مؤتمر ابيدجان من ثلاث قضايا لا تتعلق فقط بالتحرر ، ولا تقف فيها فرنسا فى قفص الاتهام وحسب ولكنها تقرر مصير القارة ومعركة الجانب المتحرر مع الاستعمار .

فابن دادة الذي ارتضى بان يكون هو الآخر رئيس دولة تتكلم الفرنسية وجد كل تشجيع فى ابيدجان للخطة التي ابدعتها العبقرية الفرنسية والآيلة الى فصل

بعد سنوات من الصداقة ويذهب الى الكنيسة ويكللها ثم تعتبر زوجه وتذهب بعد التكلل الى بيته بينما كانت كل تلك المدة الماضية ببيت اهلها .

ظل شعب الابو مممنسيا مع نقاليده رغم ان اكريبه الساحقة قد آمن بالتثليث والملاحظ من مرشدي الارساليات ان تعاليمهم لا تتفق واخلاق سيدنا المسيح لاننا نجد بمدارسهم لا ينهون الفتيات عن عري الصدور والتحور واظهار المفاتن وبنفس الوقت ليس عندهم تحريم للربا الخ . .

ظل شعب الابو متعصبا للنصرانية منذ ان تم تنصيره وظهر مبشر افريقي قد اتم تعليمه فى الكنيسة واتقن اللغة الانجليزية ونشط نشاطا كنيسيا قويا الى ان اتى عليه وقت لا يعرف لذة النوم فكان يرى فى الحلم شيخا من شيوخ الصوفية يدعوه الى دكار Dakar ارض السنغال ولما تكررت الرؤيا بشكل كبيروأزعجت احلامه شد الرحال الى دكار وفتش عن علماء المنطقة الى ان اهتدى الى شيخ الطريقة التيجانية الحاج احمد ابراهيم نياس الذى يسبه الشيخ الذى وجده بالحلم والشيخ نياس يقيم بقرية اسمها كولاك Kaolack واختلف لدار الشيخ مرات عديده الى ان تأكد من طوية الاسلام الطاهرة فاعلن توبته واسلامه وتتلمذ على الاستاذ نياس ثلاث سنوات فكانت الدعوة الصوفية سببا مع قوتها الجاذبية الروحانية الى ان صار هذا الابو Nwagui مبشرا اسلاميا يدعوالى توحيد الخالق ويكفر بالتثليث.

عاد Nwagui الى نيجيريا منذ سنة ونيف لا ليعظ بالكنيسة كما سبق ان وعظ بها دهرا بل لينخذ مكانا يدعو الناس الى دين غريب بين الابو .

بدأ بنفسه وهذبها لتكون مصداقا لما يدعو اليه وترفع عما كان يقع به من يحرمون الزواج فروج وتفرغ لدعوته حتى اسلم على يديه ستة آلاف من الناس عدا واحصاءا وشاع اسمه الجديد الذي اتخذه تيمنا باسم الشيخ ابراهيم نياس والآن يعرف باسم الشيخ ابراهيم نياس نوشكي .

كثر الاصحاب المريدون فجمعهم منذ اربعة اشهر وطلب منهم ان يهللوا ويكبروا لانه ازمع على احراق الكنيستين اللتين ببلدته لان الناس جميعا بتلك البلدة اصبحوا اتباعا له فمسك بالناس واحرق الكنيسة والاصحاب نساء ورجالا يهللون بالتكبير والتحميد الله اكبر الله اكبر ولله الحمد نصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا شيء قبله ولا شيء بعده لا اله الا هو واخذت له الرسوم قبل احراق الكنيسة ثم اثناء احراقها .

وفى اليوم الثاني قامت ضجة كبيرة من قبل الارساليات على اختلاف مذاهبها ومشاربها تساندها الصحافة تطلب اقسى العقوبة لابراهيم نوشكي .

فاقيمت الدعوى عليه وخرج بعد جلسات من جلسات المحكمة بريئا بحجة انه هو الذي شيد الكنيسة باموال نفوس بلدية وبنفس الوقت انه هو والذين ساعدوه بالبناء هدموا ما بنوه لانهم يريدون مسجدا تقام فيه الصلوات الخمس .

الشيخ ابراهيم نياس (الكولكي) صاحب الطريقة التيجانية ذائع الصيت ومن كبار العباد الذين لا يهجعون فىالليل وله حرمة كبيرة عند اتباعه فى السنغال وشمال نيجيريا حتى ان خصومه يجلونه لعلمه وشجاعته وحسن استقامته وعلو ايمانه فجزاه الله عن الاسلام خير الجزاء .

فى صفر 1379 هـ. قدم الابو المسلم (ابراهيم نياس نواكرى الى كادونا واتصل برئيس الوزراء الحاج محمد سردونا وبحث معه ومع اقطاب البحانه امر الدين وحاجته الى مرشدين ومن حسن حظ الاسلام ان بكادونا سلطان كانو الحاج محمد سنوسى فعند سماعه لهذا النداء ما كان منه الا ان اعطى المذكور سيارة من ملكه الخاص وتلميذا نشيطا يدرس بمدرسة الشريعة الاسلامية بكانو وزودها بمائة جنيه ودعى الله ان يكونوا نواة خير للبشرية والاسلام .

ان الاسلام قد دب بمنطقة الابو الآن لو تيسر لهذا الاسلام وجود مبشرين ينظمون الامور كما تنظم الارساليات امورها لما وجدنا بافريقيا كلها الا الاسلام وكان لسوء الحظ ان الاسلام ينتشر بافريقيا انتشارا واسعا بدون تنظيم او دولة اسلامية ترعى جماعته او هيئته بينما نجد الارساليات تملكالسيارات والمستوصفات والمدارس وتخصص الرواتب الضخمة وكل ذلك لو لا مساعدة امريكا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا لما وجد هذا المال الزاخر .

معرض الكتب

بنية الفكر الديني في الاسلام

تأليف : هـ . ا . جيب

تعريب : عادل عوا

قرأه وعلق عليه
الأستاذ مصطفى الأزموري

لامراء ان الاستشراف فد زود العالم العربي برافدين احدهما واسع ضحل بمد اوربا وغيرها بضلال مقبول والآخر ضيق ولكنه صاف سمي رواده معرفة امينه وبعهما صادقا للاسلام والمسلمين . فلكل من هذين الرافدين - كما يرى الاستاذ اردين كالفرلي - مجال خاص بين الشعوب العربية ، ففي الطبقات الدنيا تسمع الاكاذيب والمبالغات عن الاسلام والتعصب على المسلمين ، وبين الطبقات المثقفة نجد الحقيقه في ذاتها ولذاتها مجالها الواقعي .

من هنا غدا الاستشراق في نهاية التحليل نوعين من اتجاهين متنابذين الاول يدرس - من خارج - خصائص التفكير الديني في الاسلام دراسه قائمة على احكام سابقة مبيتره وافكار مقطوره تكشف عن سوء نية في امتلاك ثقافة متعصبه ، والثاني من اعمال الفكر الجادي في استمراره الموصول لدراسه الحقيقه الاسلاميه - من داخل - وبحاث وتماس مباشر بالبيئة الاسلامية

في هذا الاتجاه الثاني سار امام المستشرقين المعاصرين الانجليز : السير هاملتون ا . ر . جب واضع كتاب : بنية الفكر الديني في الاسلام . ومن النافع هنا قبل ان نفرغ مضمون الكتاب ، ان نشير الى التصدير القيم الذي صنعه استاذنا الدكتور عادل العوا ليوشح به صدر الترجمة العربية . فهو محاولة منظمه اعتمدت الاستقراء التاريخي لتعريف الدين وتحليل الفكر الديني في اطار نزعتين متباينتين : النزعه الاعتقاديه والنزعة العلمية والتاريخيه وضرب امثلة دالة على وجهات النظر المختلفه .

فمن الموقف الاول موقف النزعه الاعتقادية يستدعي الدين تعريفا بانه « وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى الخير بالذات » وثابت ان منحنى التفكير الديني في الاسلام خلال سياقه التاريخي يعتمد التقاء المفكرين المسلمين من الغزالي الى ابن تيميه ومحمد عبده وابي الاعلى المودودي الى تعريف الدين بانه وضع الهي بالضروره ومعطى صادر عن الاعلى الى الادنى .

اما الموقف الثاني موقف النزعة العلمية والتاريخيه فيمكن تعريف الدين بانه « وضع اجتماعي يتميز بوجود طائفة من الافراد تربطهم شعائر منظمة ، وايمان بقيمه مطلقه مقدسة تقيم صلة بين الفرد وبين قدره روحيه متعاليه على الانسان قد تكون متعددة او واحدة هي : الله » .

والخطوط الكبرى للنزعه العلمية والتاريخية في دراسة الفكر الديني هي اولا جملة معطيات علم النفس في البحث عن الناحية الدينية ووصف الهيجانات الدينيه والظواهر النفسية التي ترافق التجربة الدينية وهي ثانيا جماع الآراء الصادره عن علم الاجتماع

موريطانيا عن المغرب وتحويلها الى قاعده عسكريه يتمثل فيها التهديد المستمر لحدود الدول المجاورة وخاصة حدود الجزائر وحدود الدول المتحررة التي خرجت على طاعة فرنسا ، والى حاجز جبار يمنع اتصال شمال افريقيا عن غربها الامر الذي يحول دون تعاون وتساند المنطقتين ويمنع تسرب الثقافه العربية والدعوه الاسلامية الى الجنوب .

ان مؤتمر الناطقين او المفكرين بالفرنسيه كان افضل معبر عن الاتجاه الفرنسي في القضية : وجه تهانيه للمختار ولد داده بمناسبه استقلاله . والكل يعلم ان ابن داده دمية يحركها فرنسا من الخارج ويحركها في الداخل بواسطه جيش الاحتلال والحكام الفرنسيين وانه مبغوض عند شعب موريطانيا . واعلن المؤتمر كذلك اعترافه بما سماه الجمهوريه الاسلامية الموريطانيه والكل يعلم ايضا ان اقامه تلك الدوله هو تآمر على تاريخ وقصم لكيان ، وخنق لصوت شعب لا يريد بغير الوحده بديلا . واخيرا اكد انه يكرس جهوده بحماس للدفاع عن ابراز شخصيه موريطانيا في المجال الدولي .

فهل تجاوز تفكير فرنسا هذه الحدود في اي وقت ؟

ويأتي بعد ذلك قضية الجزائر وموقف مؤتمر ابيدجان من القضية كان يختلف جوهريا عن الاسلوب الذي اتبعته دوله فيما بعد سعيا في معالجه القضيه . ولا يرجع ذلك الى انها وجدت في الجو ما يوجب بعض التعديلات ولكن يرجع الى ان فرنسا عابتها على انحرافها قليلا عن تأييد استعمارها وحسنتها تأييدا مطلقا .

والاحداث تثبت ذلك وتؤيده :

لقد قررت تلك الدول ان تعرض وساطتها على الجانبين المتحاربين ، وذهب ثلاثة من قادتها الى باريس والى تونس للاتصال بالقاده الجزائريين ثم اجتمعت تلك الدول الناطقه بالفرنسية في نواكشوط يوم 28 نوفمبر بمناسبة استقلال احد الناطقين بالفرنسيه ايضا ، وتذاكر الجمع في الموضوع الجزائري ، ثم اخبرت الصحافه انه وقع اتفاق حول الخطة التي يجب اتباعها في الامم المتحدة ، والتي تنبني على اساس تجنيب فرنسا اي موقف حرج في تلك الهيئة الاممية ولم يتحدث اي من اولائك الرؤساء عن الوساطة او عن استئناف مفاوضات مولان ، حيث كانت المناقشة تدور حول صيغه مشروع القرار الذي يجب تقديمه ونصوص التعديلات التي ينبغي ادخالها على اي مشروع آخر يقدم من الكتلة الافريقية الاسيوية .

وهكذا انتهى الامر بتحول في خطة الدول الناطقة بالفرنسيه وظهر جليا عندئذ انها ليست ناطقة بالفرنسية فقط .

وتكلم الرئيس فرحات عباس للمرة الاولى ليصرح بان دول ابيدجان تطلب منه المستحيل ، وكان مؤكدا ان ذلك المستحيل الذي عناه زعيم الثورة الجزائرية هو الموافقه على اجراء الاستفتاء على طريقة دوغول .

وحملت الانباء بعد ذلك تدخل كل من تنساند وكونغو برازافيل هذا التدخل الذي لا يمكن وصفه بانه اقل تطرفا من تصورات المستوطنين الفرنسيين وقدماء المحاربين .

وجاءت النتائج بعد ذلك فيما يخص الكونغو والكل يعلم ان موقف مندوب السنغال الذي تحدث وفكر بالفرنسيه بالنيابه عن دول الجامعة ، طعنه نجلاء لكفاح الكونغوليين وكان يحمل النفي من باريس لومومبا ومن الدول التي ناصرته . والهجوم على الدول التي تتدخل في الشؤون الداخليه للكونغو ولا تترك كازافوبو يعمل لاقرار النظام والاستقرار .

هذه هي مواقف دول تتشرف بتسمية نفسها دولا تتحدث بالفرنسية . وكان يجب ان تكون اكثر شجاعه وتصف نفسها بانها مفكره ايضا بالعقلية الفرنسيه . وهذه هي الدول التي اجتمعت ايضا ببرازافيل وضمت الى طاولتها المستديره زبناء جدد للبضاعة الاستعماريه هما تسومبي والمختار ولد داده .

والامر الذي يبدد تماما التشاؤم من هؤلاء القادة هو ان كل البوادر تشير الى ان شعوبهم تستعد لمناقشتهم قريبا ويقبر اللغة الفرنسية التي يصرون على عدم التكلم الا بواسطتها .

نتج التصوف واذا كان العقل اكبر من العاطفة نتـــج اللاهوت ، فهناك ثنائية قائمة بين الحـــدس الدينـــي والعقل اللاهوتي ، بين الايمان وتعقل الايمان ، بيـــن ايمان العجـــوز التي تـــرى ان الله فى السماء وايمـــان المعتزلي العقلي الذي يرى ان الله فى كل مكان وليس فى مكان وهذه الثنائية لاتتجلى فى التضاعيف التاريخيـــة التي شملت النمو الديني الاسلامي وحسب ، بل انهـــا نتصل كذلك بالوضع الداخلي فى الاسلام على اعتبـــاره دينا حيا حاضـــرا .

ولا بد لتفصيل شامل ان نعود الى حيث نمـــا الاسلام فى احضان مجتمع احيائي من نوع خاص هـــو مجتمع الجزيرة العربية القديم بتاثير اللامرئي علـــى المرئي واضفاء روح وحياة على كائنات وقوى خفية ولاريب ان الاسلام لم يصدر صدورا ضروريا عن هذا المجتمع بل كان الاسلام بالدرجة الاولى ثـــورة على الاحيائيـــة العربية غير ان هذه الثورة ابقت على اشياء بدت انهـــا توافق روح الاسلام ، فالحج القبائلي كان اوج العبـــاده فى الوثنية فابقى عليه الاسلام ولكنه غير معناه وغاياته.

ورغـــم ترسب معطى الاحيائية العربية فى القـــاع العقائدي للاسلام فقد نشأت فى البيئة الاسلامية بعـــد فترة الغزو الاسلامي الاول مناقشات كلاميـــة احدثت ضربا من التوازن فى التفكير الديني الاسلامـــي بتغليب العقل على الخرافة وترجيح الجانب العقلي على الجانب الانفعالي فكان رد الفعل نمو التجربة الحدسية فى حقل التصوف الاسلامي لمعارضة التفكير اللاهوتي ولاحيـــاء العقائد القديمة وطقوس الجاهلية «ص 71» من جديد ، كما ان الاسلام وجـــد فى آسيـــا الوسطـــى والهنـــد واندونيسيه وافريقية احيائية قديمة موروثـــة فلـــم تستطع القضاء عليها تماما وما تزال حتى اليوم مواقف اسلامية مختلطة اختلاطا معقدا بمواقف احيائية ممـــا ادى الى تفهم الدين الجديد على ضوء الدين القديـــم بالضرورة .

2) وفى الفصل الثاني : محمـــد (ص) والقـــرآن ـــ يحـــاول المؤلف ان يربـــط معطيات الاحيائية العربيـــة القديمة بالدعوة المحمدية التي تجلت فى تنقية مفهـــوم الله فى الجاهلية من الغموض وظلام الخرافات واحلال الاله الوحيد خالق السموات والارض ومن فيهما ومـــا بينهما محل الـــه الجاهلية واقامة بناء ضروري يتجـــه من الاعلى الى الادنى ، من تصور الله على انـــه الآمـــر الناهي الى الانسان المخلوق المدعو لتنفيذ الامر والنهي بالانتقال من الشعور بالخوف والاحترام الى الشعـــور بالتقوى والاجلال والوعي بالله .

تلك هي الرسالة التي حملها القرآن الكريم الى الجيـــل الاول من المسلمين والاجيال اللاحقة كلها

فالى من يوجه القرآن حديثه ؟ يجيب الاستـــاذ جيب : ان القرآن ليس بكتاب لاهوت لان اللاهوت تاويل الكون تاويلا فلسفيا عقليا ص 89 . ولكنه كتاب يعتمد بالدرجة الاولى التخيل الديني ولا يعتمـــد العقـــل الا بالدرجة الثانية ص 90 ـــ فكأن الدين الحقيقي ان يحيا الانسان عقائده عمليا دون ان يسأل عـــن ماهية تلـــك العقـــائـــد .

3) وبجانب القرآن الكريم يبدو الحديث الشريـــف نافلا الى الاجيال النابعة صورة محمد (ص) : الانســـان والنبي فى وجوده المليء بالتجارب الحية الرائعة صورة لم تصبح البتة صورة نمطية اصطلاحية وربمـــا لـــن نشتط اذا قلنا ان ناجح هذه العاطفة الشخصية نحـــو الرسول الحبيب هو منذ زمن بعيد اكثـــر العناصـــر حيوية فى دين الجماهير الاسلامية ص 94) تشهـــد بذلك جملة القصائـــد والمدائـــح النبويـــة والاناشيـــد والالحان التي نظمها المتصوفة على شـــرف الرســـول تحمل جميعها تعلـــق المسلميـــن قاطبـــة بشخصيـــة محمد (ص) .

4) واضح الآن اننا انتهينا مما يطابق عصر الرسول والصحابة بتبيان ان القرآن يعرض تجربة محمد (ص) الحدسية من جهة ويعتبر من جهة اخرى الينبوع الذي يرجع اليه المسلم دائما لينعش رؤيته الروحية (فهـــو لاينطوى على عرض فلسفي او عرض منسق فى مجـــال العقيده ص 97) فيبدو من هنا ، المجتمع الاسلامـــي مجتمعا اخلاقيا يعتمد اخلاق الوحي الصادرة عن ايمان غير معقد قائم على الحدس الديني ، ولكن سرعـــان ما شرع ذلك المجتمع يتوسع بدخول مؤمنين كثيريـــن وحدوث مسائل اجتماعية واخلاقية الحث على اعطـــاء حلول لها عاجلة ، وكانت هذه المسائل قد أوحت باعتماد «الاحاديث» والاجماع والقياس والرأي والاجتهـــاد . فدعا كل هذا الى ان تستمـــد الشريعـــة الاسلاميـــة عناصرها من نتاج التأمل وتقويـــة ناحيتهـــا العمليـــة « الفقـــه » بتنظيم الحياة الاجتماعية على ضوء الديـــن دون تمييز سافر بين ما هو واجب نحو الله وواجـــب نحو الناس ودون فصل بين ماهو روحي وما هو زمني

باعتبار ان اي دين هو استجابة لحاجات انسانية صحيحة ؛ ووجود الدين دليل على وجود حاجة الى التدين ، فالدين اذن له وظيفة اجتماعية تنبع من مجموع التصورات الجمعية لكل مجتمع .

بهذا الاعتبار يبدو الدين في ثوب اجتماعي نسيجه الحوادث الاجتماعية والتصورات المركبة المترسبة في الضمير الجمعي المشترك ، وبتعبير آخر ان علم الاجتماع والمدرسة الاجتماعية الفرنسية بالذات تلح على ان الدين وضع اجتماعي في الدرجة الاولى — لا وضع الهي كما تريد النزعة الاعتقادية — وضع تصنعه الضرورة الاجتماعية ولذا ينفرد المجتمع بميزة فذة هي صهر الارادات الفردية في ارادة مركبة من مجموع الارادات ومفارقة لها في ذات الوقت فيغدو المجتمع في آخر الامر : ينبوع القيم كل القيم ومصدر الدين في شتى اشكاله وانماطه .

فهل يعني هذا ان المجتمع هو خالق الدين ؟ .

بين ان التعريف الاجتماعي يباين مباينة فاصلة التعريف الاعتقادي من جهة اولى ويعارض معطيات علم النفس ومذهب تاريخ الاديان من جهة ثانية — ففي اعتقادنا من الوجهة النفسية — ان الانسان بما يحار من وعي لفكرة الله يستجيب لشعور ديني ذاتي يضفيه عملنا على مختلف اشكال الدين ، فالدين في بنيته يتبدى اول ما يتبدى في حلة شعور ديني فردي موصول باحساس الانسان بتبعيته لقوة عليا او بادراكه الفطري الخاص بالسببية والصعود الى سبب اخير اعلى او بحدسه اللانهائي او بزهده في العالم .. وكل هذه عوامل ترجع اليها اصل الدين .

اما ما يحبط ذلك الشعور الديني من ظروف تاريخية معينة محددة واوضاع اجتماعية موائمة فذلك لمنح فرص امام الدين لستطيع ان يبرز كعامل هام في حياة الانسان .

وبتعبير آخر ان اصل الدين هو حاجة انسانية فردية منبجسة من عاطفة دينية ذاتية ولكن في مرحلته النهائية مرحلة التوحيد اصبح سلوكا منظما مسوقا للانسان من الاعلى الى الادنى معطى من الارادة الالهية للقضاء على ضلال الشرك والتعدد ، بساعد على ذيوع هذا السلوك وتثبيت السمات الرئيسية فيه درجة استعداد المجتمع لتقبله وتنفيذه .

وجماع القول : ان مضمون التصدير الذي بذل في ابرازه الدكتور العوا جهدا مشكورا يتفق عن عرض للصفات المقومة للدين كوضع الهي من جهة — وكوضع اجتماعي من جهة اخرى .

ولا بأس من الاشارة الى ان عمل الاستاذ العوا يهدف الى رسم القاع الثقافي الذي نبتت في تضاعيف خطوطه الكبرى دراسة الاستاذ المؤلف جيب ووضع اطارين احدهما للنزعة الاعتقادية والآخر للنزعة العلمية التاريخية في تعريف الدين ، ومن الجلي ان هاتين النزعتين هما بالاصل نزعتان ثقافيتان — الاولى شرقية والثانية غربية — وقد التقتا في تفكير فلسفي عميق ومعاناة جدية لصعاب المسائل في فكر الاستاذ جيب يتلامحان في هذا الكتاب المركز ايما تركيز المكثف اعظم تكثيف كتاب : بنية الفكر الديني في الاسلام .

يقول الاستاذ جيب : (كتبت هذه الفصول لا لاجل التفرير بل لاجل التحريك غرضها البحث واكثر اهتمامها بمواد البحث ووسائله ، فموضوع البحث كما يدخل في الحياة الفكرية العاطفية في كل طبقة منتمية الى الاسلام بشرط الا نتناسي جميعا انها خاضعة لسيادة المباديء الاساسية التي وضعت في القرآن الكريم ص 57) .

والبحث في مناحي الفكر الديني الاسلامي والاتجاهات الاصيلة في استمراره والمواقف الفكرية المتفاعلة في صلبه ، يستدعي دراسة فينومنولوجية يتخطى تنوع المذاهب والحوادث الطارئة على الدين الاسلامي ويضعه بين قوسين — من اجل التوغل الى صميم الدين وبنيته وتحليل المواقف الدينية الاسلامية والمنابع التي منها نستمد والمفاهيم التي تحدد تفكير المسلمين بوجه عام في موضوع الاله ، وفي كيفية تصورهم العلاقات بين العالم اللامرئي والعالم المرئي .

ولهذا جاء مضمون الكتاب مشحونا بالافكار المركزة العميقة تتوزعها اربعة فصول على صعيد التحليل والمناقشة : 1) العامل الاحيائي 2) محمد «ص» والقرآن الكريم 3) الشريعة واللاهوت 4) التصوف .

1 — ففي الفصل الاول يحاول ان يدرس الاسلام من حيث انه تجربة دينية فذة لا تماثلها تجارب دينية اخرى تتبدى احيانا في موقف حدس الدين واحيانا في موقف تعقل الدين فاذا كانت العاطفة اكبر من العقل

تعشش فى صلب المدينة الاوربية وتفوق كثيرا خرافات التصوف ، وهنا يتربص الخطر بتجفيف ينابيع الدين ذاتـــــه .

فاذا نضبت التجربة الدينيـة فى الاسلام فمـاذا سيكون مصيرها فى الاسلام وفى العالم اطلاقـا ؟ ! ان مجرد اثارة هذا السؤال الذي اثاره المؤلف ليدل بقوة على عمـق المشكـــلة .

منـــاقشـــة :

من هذا العرض السريع الذي قدمناه يتبين ان استاذنا الدكتور عادل العوا زين صدر الترجمة العربية بتصدير هام بين فيه تعريف الدين من وجهـه نظـــر النزعة الاعتقادية عبر سياق تاريخي ـ فكري يبدأ من التهاوني الى ابي الاعلى المودودي المعاصر ، وقيمة هذا التصدير فى نظرنا ـ ليس فى وضع تعريف جامع مانـع للدين والدين الاسلامي بالخصوص بل فى اسهام كل من الغزالى وابن تيمية ومحمد عبده وابي الاعلى فى انمـاء التفكير الديني فى الاسلام بكل ما يملكه كـل منهم مـن استعداد شخصي وتفكير ذاتي وموقف خاص امـام مسائـل الدين بالاضافة الى تنوع معطيات العصـور التى برز فيها اولئك المفكرون من علوم وثقافات .

بيد ان الاستاذ العوا بما بذله من جهد مشكور قد قدم للمكتبة العربية ترجمة امينة لكتاب تتركز فيـــه افكار المستشرق الكبيـر هـ جب الـذى يفهـم روح الاسلام عن قرب ـ غير ان لنا بعض الملاحظات فى هذا الفهم لكوننا مسلمين ويهمنا عقيدتنا من جهة اولـى ولاننا نعتقد ان منطق الحروب والخصــومة والتوتـر الارعن من صميم الحياة المادية لا من صميم الاديـان . وفى القرآن الكريم آية سامية تتفتق مضمونها عن مبدا رائع فى المساواة فى الاعتقاد الديني : لا اكراه فى الدين ـ فالجدل بالتى هي احسن اجدى على صعيـد النقاش الفكرى من الجدل المتطرف من جهة اخرى :

فاولا : نعتقد ان قول المؤلف فى الفصل الاول ان الاسلام جاء لينظم الاحيائية العربية ويراقبها ، هـــذا القول فيه اطلاق لان الاسلام فى جوهره ثورة جارفـه على كل احيائية عربية كانت او غير عربية قديمـة او جديدة . وهنا يجب كذلك ان نفرق بين ما هو عـادات اجتماعيه وما هو طقوس دينية اذ ان المؤلف نظر ـ على ما يظهر ـ الى بعض العادات الاجتماعية على اعتبـار انهـا طقـوس دينيـــة .

وثانيا : نرى ان الشعور الديني لم يكن قويا الى الدرجة التي تسمح بتصلب فى المواقف الدينية فالمقاومة التي بذلها العرب لمواجهة الاسلام جاءت على اســاس اعتبارات اجتماعية كالمحافظة على المركز الاجتماعـــي والسعي وراء الشهرة اكثر مما جـاءت على اســـاس ديني ، والعربي كان يؤمن بالصنم ولكنه كان ينفر منه اذا لم يحقق غرضه بل ربما اكل معبوده المصنوع مـن التمر اذا جاع وهذا دليل على فراغ الشعائر العربيـة من معناها وقيمتها .

وثالثا : يرى المؤلف (ان القرآن الكريم مثله مثل كتب الانبياء فى العهد القديم انما تتكلم لغة الشعـــر ص 91) ويعتمد فى المكان الاول الحدس الديني ولكـن القرآن يلح على ناحيتين : ناحية العقل وناحيـة القلب ويحدث حدسا موجها الى العاطفه والعقل معا فطبيعة القرآن الكريم تدعو الى التفلسف واثارة اسئلة فلسفية غايـه فى العمـــق

ورابعا : نقول ان حضور علم الكلام فى التفكيـــر الديني الاسلامي كان طبيعيا ان فى الاسلام أو فى كل دين ففى مرحلة اولى يكون ايمان بسيط بـلا فلسفـة وفى مرحله ثانية يبدأ الناس يتفلسفون ويعقلون دينهـم ، وعلم الكلام الاسلامى جاء نتيجة اسباب داخلية اهمها القـرآن الكريـم والاستقـرار الحضارى والظـروف السياسيه واسباب خارجيه ابرزها وجود عناصـــر تدعو الى اثارة مسائل دينية من ديانات مختلفة . ودفاع الفرق الدينيه وخاصة المعتزلة عن الاسلام والرد علـى المخالفين . فعلم الكلام اذن لم يقف حجر عثره امــام مرونة الدين الاسلامى كما يدعى المؤلف ، ونحن نوافق المؤلف على ان الغلو فى استعمال العقل ومحاكمته فـي الامور الدينية يؤدي الى تجميد تلك الامـور ذاتهـــا فالدين كما يقول الاستاذ احمد امين يتطلب شعورا حيا اكثر مما يتطلب قواعد منطقية الا ان استعمال العقـل باعتدال هو الطريق السوى لفهم الدين .

واخيرا فاننا نرى فى التصوف اسلاميا كـان او مسيحيا او هنديا تجربة حية فردية فى حدود الذاتية يدعو اليها الاسلام فى مجـال لاتتعـدى مبدأ التبايـن الفاصل بين الله والانسان اما ان تكـون تلك التجربـة هى قوام الحياة الدينية فى الاسلام فاننا لن نستطـيع رسم خطة مضمونة لمستقبل الاسلام لان الاسلام هـو اولا وبالذات تقرب الى الله عن طريق التدبر والحدس معا وسائل لذوى العقول والقلوب جميعـا .

ولكن تطور التفكير الديني لم يقف عند هذا الحد بل ظهر ضروريا ان ينتهي ايمان الناس البسيط الساذج الى ايمان معقد قائم على تعقل الدين وفلسفته فجاء اللاهوت او علم الكلام دفاعا عن العقيدة الاسلامية بأساليب منطقية وبرزت فرق دينية حاولت ان تدافع عن العقيدة الاسلامية من وجهة نظرها الخاصة غير ان الاستاذ جيب يعتقد ان : (العصر لم يكن بعد قد بلغ من النضج حدا تظهر معه اللاهوت . وثمة حقيقة راهنة هي ان نمط الفكر الحدسي يعجز عن المحاكمة اللاهوتية وكان لابد ان يتعلم بعض المسلمين على الاقل المنطق والفلسفة قبل انشاء لاهوت اسلامي بالمعنى الدقيق ص 106) خاصة (وان خطر البراعة العقلية لا تنشأ عن استعمال الذكاء بل عن الغلو في استعماله ص 105) ولكن تبقى مع ذلك اللاهوت واللاهوت السني بالخصوص هو العمود الفقري للشريعة الاسلامية رغم اصابته (بضعف في بعض الاحيان لتساهله مع النزعات الصوفية او مع نظريات وحدة الوجود ص 109) .

فهل مذهب التباين والتوحيد المطلق — سواء على اساس عقلي معتدل أو مفرط — تبرر سحابا فلسفية ان الاستاذ جيب يؤكد ذلك اذ ان تبنة الفكر الفلسفي التي ورثها الاسلام عن اليونان تقصر في الواقع عن تفسير التوحيد متنافرا بائنا مما تؤدي الى الاهتمام بالشكل دون المضمون . والصيغ المنظمة دون المسائل الدينية الحقيقية، وعلى هذا فان السعي لفلسفة العقيدة الاسلامية (لم تدفع في الوقت عينه الى الغلو والمبالغة وحسب بل انتهى اخيرا الى التسوية حسن تسمى . او ابعد بدون تمييز . بعض العناصر التي توجد في آن واحد في القرآن وفي الادراك الحدسي للامة ص 115) .

وبتعبير آخر ان مذهب التباين الصارم والتوحيد المطلق اذ تنمي نظريته التعالي عن الانسان وتحذف كل اتصال بين الله والانسان (تسد منابع التجربة الدينية) وتجفف الحدس الديني بصرامته العقلية . لابد اذن ان تحقق رد الفعل ضروري ضد التأويل العقلي . . فجاءت الحركة الصوفية .

5) طبيعي ان تنمو التصوف الاسلامي بالتدريج ففي القرن الاول كان المجتمع العربي الاسلامي مجتمعا اخلاقيا مثاليا تقبل الامر والنهي بايمان بسيط دون ان يسأل السؤال الفلسفي : لماذا ؟ وكيف ؟ ثم بدا اتجاه الشريعة باتساع النشاط العقلي اتساعا متزايدا وتبعه اتجاه علم الكلام والتفلسف في الدين واخيرا جاء التصوف كرد فعل طبيعي وضروري يضاد تجميد التجربة الدينية في قالب عقلي ، جاء على شكل زهد اولا وفي ثوب مذهبي فلسفي ثانيا ، فالتصوف الاسلامي في صميمه نفحة عبقة من نفحات القرآن ، وتطلع مباشر الى الحقائق الدينية ولكن التصوف الاسلامي في ذاته تطور من موقف الزهد والجمع بين الشريعة والحقيقة الى موقف التصوف الفلسفي المبني على الغاء مقولات التوحيد وادخال نظريات فلسفية اشراقية كنظريات حلول اللاهوت في الناسوت واتحاد الذات الالهية ووحدة الوجود او حضور العالم في الله وهما واحد .

وهذا اقصى مرحلة في تطرف التصوف مما ادى الى غلو وشذوذ في الفكر الديني في الاسلام واصابه الاسلام بضرر بالغ في جوهره (الى انحراف التصوف عينه عن معناه الروحي الاول ودخول الخرافات في حركات التصوف الشعبي فأصبح من العسير تمييز الصوفي الحقيقي عن الصوفي المشعوذ ، كما قوى التعلق بالاشخاص اكثر من التعلق بالافكار مما ساق الى (اتباع تعاليم فرد واحد اتباعا اعمى ص 128) والى تقديس الشيخ والاعتقاد بعصمته ونوال بركته باطاعة اوامره .

ورغم كل هذا استطاع التصوف ان يجذب نداؤه الصوفي شعوبا كبيرة استهواها ما في التصوف من انجذاب نحو الله بل ان الاستاذ جيب يؤكد ان الفضل في استمرار الوجود الاسلامي عائد الى الجماعات الصوفية ص 122 بل ان علماء السنة انفسهم بسبب بقائهم حيث هم في عزلتهم — هكذا يعتقد المؤلف — منحوا — التصوف سانحة الانتشار في حركات جماعية

الا انه حدث في القرن التاسع عشر رد فعل معاكس تغذي تيارين متضادين احدهما يتمثل في الحركة الوهابية وانصار القديم والآخر تمثل اهل التجديد وانصار التجديد — محمد عبده في مصر وسيد امير ومحمد اقبال في الهند —

وفي اعتقاد المؤلف ان التيارين اسرفا في نزع البذور الحسنة من قلب الدين الاسلامي وتجميد العاطفة الدينية بل انهما افسحا المجال (لخرافات جديدة هي اعظم ضررا وامضى ابادة ص 135) خرافات

يومنا في الزمان عطر ونور ... وجلال وهيبة وبهاء
سلسل المجد فخرنا فتوالى ... وتوالى له السنا والبقاء
هذه السن التواريخ تحكي ... عن علانا ما ترتضيه الثناء :
كل نصر تعجب الدهر منه ... كل فضل كانه أنواء
كل مجد ورفعة واعتزاز ... كل ذكر له صدى واعتلاء
شرف هز جانب الكون حتى ... غارت الشمس والنجوم الوضاء
وتحدى حوادث الدهر حتى ... انفس الدهر انه الدهياء
وتغنت به العصور سيدا ... أطرب المرهفين منه الغناء
من له في الزمان أيام مجد ... مثلنا ضاق عن صداها الفضاء؟
فاسأل «الارك» و «الزلاقة» عنا ... يأت بالخبر منهما أنباء
واسألن «وادي المخازن» لما ... أسرعت غارة به شعواء
ضعضع الارض جيشنا فهو ان سا ... ر اظلته قتمة غبراء
وركبنا على البحار سفينا ... كالرواسي تظلهن اللواء
موكب سارت العدالة فيه ... والمعالي وسار فيه الوفاء
أشرقت في سمائه شرعة اللـ ... ـه وهدى وملة بيضاء
وزنته العقول بالفكر حتى ... امترعت في جنانه النعماء
وطوى الدهر سحب الذل قهرا ... وتثنى أعطافه الخيلاء
رفرفت حوله ملائكة النصـ ... ـر ابتهاجا وباركته السماء
وبدا فوقه من دوحة الفتـ ... ـح غصون أريجة خضراء
أسكر الكون عطره فتهادى ... خلفه سحره الاغراء
موكب خالف الزمان فسلاه ... فهما في الخلود شيء سواء
ربط الشرق بالمغارب حتى ... لم يحل أبحر ولا صحراء
نحن في حاضر أسد غضاب ... أنجبتنا سيادة قعساء
انما عزمنا حديد وصخر ... يترك الخطب وهو رخو هباء
عزمنا حطم الخطوب وأمسى ... وله في مجالها كبرياء
هذه الارض كلها شهدتنا ... يوم سرنا وسار فينا الفداء
وصببنا على فرنسا خطوبا ... خضتها معارك حمراء
طار من هولها صواب الأعادي ... فتمنوا متى يحين النجاء
فهزمنا جحافلا عطف الأر ... ض وعجت بوقعهن الجواء
ومحونا من فكرهم كل حلم ... حببته لهم الاهواء

نشيد العصور

للشاعر
المدني الحمراوي

يا زمان استمع ، فهذا نداء ... تتحاماه اذنك الصماء
هذه قولة من الأطلس الحـ ... ـر تنادت بوقعها الارجاء:
انما المغرب القصي تراث ... خلفته لنسلها الآباء
انما الأطلس المقدس ارث ... تفتديه الآباء والأبناء
قد من جسم أمة صخره الصلـ ... ـب كأن الاثنين شيء سواء
وسقاها من مائه وسقته ... من دماء فتم ذاك الاخاء
نحن شعب ألفت على الارض نورا ... وجمالا أيامه الغراء
حيرت موكب القرون فكانت ... لعلانا فى جوه أصداء
نتحدى أمجادنا فسوه الدهـ ... ـر ولا نسلم الحمى اذ نساء
شهد الناس أننا امة نحـ ... ـمي حماها وأننا شرفاء
لسنا نعدو على الانام ولكن ... نحن للعز فى الحمى اكفاء
نحن من طينة العروبة روحا ... وجسوما لنا بذاك ازدهاء
انما المجد ظلنا منذ كانت ... ارضنا هذه وهذي السماء
نحن والعز توأمان قديما ... وحديثا لنا به ما نشاء
نحن من دوخ البسيطة فتحا ... نحن فى الفكر والنهى اذكياء

يا ابنة الغاب

للشاعر : احمد سعيد التازي

يا ابنـة الغـاب في ـلاع الزمـان ـس طيف الرؤى وسرب الأماني
انت فوق الجمال والسحر والحسـ ـن وفوق الدمى وفوق الحسان
لا ارى فـى لـمـاك الا فنـونـا رائعـات تصـوغ آيـا لـآن
انـت طيـر الخيال ينشد لحنـا ابـدى الخلـود عـذب الـواني
لعـروس الصبـاح للنـور للغـا ب لضـوء المـنى لـبدر الزمـان
روعـه الفـن فى سمـاك تجلـت ـهـا فـؤادى فى حبهـا ممفـان
هـا يراعـي فى رفـه بهـادى مـع نغـم الصبـا الديـد الاغانـى
ربـه السحـر يا هديـل الرجـاء منك فجـر السنا ونـور الجنـان
جـدول الحب فى جفونـك يبـدو ـالوحـى المهـى وفيض البيـان!
اوراء ابتسام حـرس الفـوافـى تعرف اللحن فى حنايا الجنـان ؟
ام وراء الصباء والنـور والسحـ ـر وبين الربـى وذاك العنـان ؟
حيث تلك الطيـور تشد سكـرى بكـؤوس النـدى على غصـن بـان
وبنثـر الاقـاح والـيـاسمـن دارـح الـورود والاقحـوان
ان حـى ونغمـه الفـن فى فـ ـنك انـى وكيـف يفترقـان
فوق عشب الحياه فى دوحه العشـ ـق ويحـب الظـلال يربوـان
ويوحـى الاصيـل فى مبسم الافـ ـق . . نسوب الهـوى يلتحفـان

*

ايهـا الجـدول المرفـرف فى الـوا دى بلحـن الصفـا لكـل العنـان
لونك العذب عبـر دنيـا السواقـى مثل ام السقـاع فـي اللمعـان
بـك سحـر بهـر اوتـار نفسـى وجمـال بهـاؤه قـد سبـانـي
لك ـ مادمت ـ مهجتـي وفـؤادى وشعـورى ومنطقـى وحنـانـي
لحنك الشادى فى سكون الليالـى لـم يـدر فـى الوجـود اى مكـان
مـلأ الكـون روعـة وبهـاء فسـل اليوم عنـه كـأس معـانـي

فتنادوا الى الرحيل وقالوا : ان بقينا يطبق علينا الفناء

هذه أمة الاباء وهذي أرضها زلزلت فكيف البقاء ؟

كذبتنا احلامنا فانتبهنا يوم ثارت ويوم حق الجلاء

قل لمن غرت الاماني حجاه لا يغرر بك الهوى والرجاء

هذه أمة لها العصر عبد والرزايا من جندها والبلاء

فاذا شئت ان تلاقي محقا فادن منها تكن عليك القضاء

لايرى غير حتفه من يعادي ولو اشتد بأسه والفناء

رضعت في لبانها عزة النفـ ـس فقرت وخالطتها الدماء

اقسمت ان تعيش في كل يوم حرة ما تعاقب آناء

ولها بالخلود عهد وثيق ومع المجد لحمة وولاء

عرشنا صخره يدك الرواسي له كالشمس صولة وبقاء

شيد الله ركنه منذ قامت بيننا شرعه الهدى الغراء

وعلى الحق والعدالة أرسى أصله فاستمر ذاك البناء

اين من عرشنا عروش تهاوى وهو الطود لا تمسه السماء ؟

في جذور القرون أمسى عريقا وعلى الشمس سقفه واللواء

ان يكن للعروش جند فهذا جنده الشعب والهدى والوفاء

وملوك مقدسون اذا ما ذكروا قيل هكذا الأولياء

ان عرشا له ابن يوسف كفء لخليق به البقاء والعلاء

مالك كالملوك شخصا ولكن طهرت عرق أصله الأنبياء

خاتم الرسل والذبيح المفدى وخليل الاله . ذاك السناء

كيف يخزى من كان منهم سليلا ويوالي بمنه النعماء ؟

شرف الطبع والفعال ، وهذا منتهى ما به تناط الرجاء

مدح الناس كل يوم علاه وتغنى بمجده الشعراء

حسبوا المدح فيه مدحا ولكن هو مدح لشعرهم وثناء

اين من قدره القريض ؟ وماذا يبلغ المنشدون والخطباء ؟

يا له من مظفر حير الا ريح عزما فحار فيه الذكاء !

سراب

للشاعر
عبد الكريم التواتي

سحر وددت لو انه   اضحى منالا ، بعبد
فظللت انشده النجا   ة ، وارنجيه فينجد
وبرح قلبا هده   باس ، وحظ انكد
حسب الحياة جميلة   بهب الرجاء ، وتسعد
ورأى السراب ، فظنه   ماء نميرا يورد
ففدا بعب وينثني   والموت يرغي ويزبد
حتى اذا امن العبا   ب دهاه موت اسود

*

انا لنسكب ادمعا   لكنها تتبدد
ونضيع ، بابئس الحيا   ة ، وبيس دمعي الانكد
ما بالنا ابدا نرو   م من الدنى ما نجهد
نهب القلوب فداءها   ولنا دواما نجحد
. . ونحلها مهجا اجـ   ـل من الزمان واجلد
كانما الدنيا غرو   ر دائما يتجدد
نبدي لنا املا فنسـ   ـتنف الخطى نترود
ونهيم يحدونا الحنـ   ـين ورغبة وتجلد
وبحسبنا الامل الصحو   ا ، فننثني نستشهد
حتى اذا خلنا السرا   ب حقيقة لا تنفد
قلبت لنا ظهر المجـ   ـن ، فكل شيء اربد

ان لبـــي بمنظـر الـغـاب دأبــا | مبتــل بالهــوى شغــوف وعــان
اذ هنـــاك الورود مــن كــل لـــون | ليــس برقـــي لـهـــا بهـــاء الفوانـــي
نسمـــة الزهر فيه تحلـم بالعشــ | ـــق وتوحـــي للشعــر بالفيضـــان
هـــي في الحســـن والمفـــاتـــن يـــم | لاتسعهـــا ذخـــائـــر الهمـــــدان!

*

ليتنـــي عشت فيـه احلـم بالعـــ | ـــز بعيـــدا عن الخنـــا والهــــوان
وقريبـــا مـــن الحدائـــق والزهــــ | ــــر بعيدا عن ضوضاء تلك المبانـــي
وبعيـــدا حتى عـــن الناس بعـــدي | عـــن ضـــروب الـــدلال والهـــذيـــان

*

كـــدت ادعو واعبد الـغـــاب لـــولا | كـــل شـــيء اراه لابـــد فـــان

النســـاء ثـــلاث

1) امرأة عفيفة هينة لينة ودود ولود تعين اهلها على الدهر ولا تعين الدهر على اهلهـــا . وهذه قلمـــا تجدهـــا .

2) واخرى وعـــاء للولـــد لا تزيـــد على ذلـــك شيئـــا .

3) واخرى غل يجعلهـــا الله في عنـــق مـــن يشـــاء .

« عمر بن الخطاب »

قصة العدد

ورقة التعريف

بقلم: محمد عبد المالك الكتاني

مهداه الى الذين بحثوا عن وجودهم
من خلال النضال الانساني

كان على عير عادته . بادي الاضطراب سارد النظرات . وعلى وجهه وجوم باهت يعبر عن الم عميق يعانيه . وقد ادركت امه لاول وهلة عند ما عاد عشية امس من عمله في ساعة مبكرة . فسألته عن « النفقة » و « الدواء » فقد اعتاد ان يعرج كل مساء بعد خروجه من عمله على السوق كي ينفق منه للغد . ولما بدا لها شاحب الوجه بادي القلق اتسعت حدقتاها في ذعر ملحوظ قائلة :

ــ ماذا وراءك يا بني ؟ ارجو ان يكون خيرا .

وطاف بخاطرها عدد من خيالات سوداء سرعان ما قطعتها نبرته الحزينة قائلا :

ــ لقد ضاعت محفظة نقودي هذا المساء . لقد افتقدتها قبيل مغادرتي المعمل لاضع فيها اجرة الاسبوع فلم اجدها .

وابتدرته امه قائلة

ــ كم كان فيها من النقود ؟ اذ حسبت ان قلق ابنها يتناسب فعلا مع قيمة هذه النقود الضائعة . ثم ندت منها شهقة الم حزينة . فقال :

ــ لا . لم تكن بها نقود كثيرة . كان بها الف وبضع مئات من الفرنكات . وبعض اوراق من بينها ورقة تعريفي .

وساد صمت كان لا يتناسب حقا مع قيمة هذه الاشياء الضائعة ، ولكن الام سرعان ما ابدت حسرتها على النقود اكثر من اى شيء آخر فلم تنس ان تذكر ابنها بخطئه عند ما لم يشتر الدواء منذ الصباح واذن ، لربح على الاقل ثمنه . ولضاعت الاوراق فقط ، فاغتاظ لغباء امه التي لم تدرك خطورة ضياع ورقة تعريفه وقال :

ــ وورقة تعريفي . نعم ورقة التعريف ، الا يعني ان من لا يحملها يتعرض للسجن لثلاثة اشهر ؟ الا تعرفين اننا نتعرض للتفتيش في الطريق من طرف « البوليس » كل يوم ولا ينقذنا من يد بطشهم الا هذه الورقة ؟ .

شحب وجه الام وعلاه حزن عميق . ونادى احمد اخاه كي يبكره للسوق ليقضي حاجتهم من السكر والخبز والفول واللحم للغد . فلم يعد من الخير ان يخرج هو هذا المساء وهو لا يحمل ورقة تعريف .

كان احمد يركز تفكيره في ضياع ورقة تعريفه ، وكيف يمكن ان يعثر على محفظته . واخذ يفتش بخياله ، ويتساءل : اين ضاعت ؟ كم يتطلب الوقت للحصول على ورقة ثانية للتعريف ؟ وتلاحقت في خياله الاسود صور التفتيش التي تجرى عشية كل يوم او صباح كل يوم هنا او هناك من احياء المدينة الاهلية وشوارعها ، حيث البوليس الفرنسي يحاصر الاحياء بعنف ليملأ الناقلات العسكرية بالناس لاسباب مختلفة ، وعلى راسها عدم وجود ورقة التعريف .

طبول إفريقيا

للشاعر : احمد البقالي

رؤوس كصخر جليد
مقمعة الحديد
على مقلتيها يسيل الصديد

واجسامهم كالبغال
نجر الجبال
على متنها والبطون الثقال

نسير الى غير اين ،
بلا قدمين ،
وقطعة صلب على كل عين .

وفي الافق المعتم
صدى اعجمي
يبشر بالفجر بالانجم

وفي كل دغل وغاب
خلال الضباب
بدت لامعات رؤوس الحراب

ومن كل فج عميق
تعالى شهيق
وصوت هتاف : « بدأنا نفيق »

وصاح الدخيل الطريد
« أفاق العبيد ؟ »
« وعادت طبولهم من جديد » .

الدراجات يسرعون وقد انكمشوا فوقها ورؤوسهم منطامنة الى صدورهم اذ كان الرذاذ يملأ وجوههم بالماء ، وكان المارة جميعا في رايه بلداء ، وكان يقول في نفسه : مساكين هؤلاء المارة انهم مطمئنون لانهم يحملون معهم أوراق التعريف ، هذا سر خطواتهم الرتيبة) . اما هو فكان يذرع رصيف الشارع بثقة جديدة لم يتشك في انها ملحوظة عند كل من يراه ، وكانه كان ينطوي على قوة نادرة ليست لا ي من هؤلاء العابرين ، وقد لاحظ ان انفاسه تتصاعد دافئة كالضباب في جو الصباح البارد فتسيل مع الرذاذ ، وانه ولد من جديد ، فلم ير ابهى من هذا الصباح ، واتجه صوب آخر الشارع كي يمر منه الى المعمل الذي يقع في راس شارع « مدبونه » ولم يدر لماذا اختار هذا الصباح المرور من هذا الطريق الذي لم يعتده من قبل وكانه يلح في ان يواجه بوليس التفتيش ، وكان مظهره ينم عن فقر وعزم اذ كان متلفعا بمعطف خشن من الصوف القديم بدا بعد ان ارتوى من رذاذ ذلك الصباح بحتا داكنا لرح السنايا والطوق. اشعث الرأس قليلا . بادي الشحوب نافذ النظرات . ينتعل حذاء قديما ، وبالجملة فقد كان مهمل الزي لا يكاد يختلف عن هؤلاء الكادحين الذين يمتلىء بهم الشوارع الاهليه كل صباح ومساء في الدار البيضاء .

وفي منعطف الشارع حيث يفضي الى شارع « مدبونه » كانت شرذمة من اولئك الجنود السودانيين المدججين بالسلاح قد وقفوا بابس كالجدارات في وجه كل من افضى به سوء الحظ البهيم من كل مكان من الاحياء الاربعة المفضيه الى هناك . فعلاوة عن البنادق الرشاشه التي بدت فوهاتها من وراء مناكبهم . كانت الفؤوس جامدة ومعلقه من فوق خصورهم المنطقة بالمنسك. والمدى الحادة تلمع مسلوله في الناحيه اليمنى من اوراكهم الثقيلة ، وكانت نظراتهم تلمع بلهيب الحقد اشد وطأة من السلاح نفسه . كانهم كانوا على اهبه شن حملة ابادة على عدو خطير . وكان احمد موقنا انه سيسقط كالدجاجة في ايدي هؤلاء ، بيد انه لم يكترث لذلك ، انه كان يشعر انه لم يعد فريسة ذلك الخوف الثقيل ، وقد يكون مرجع ذلك انه اصبح يحب الوجود والحياة بشكل جديد ، فعبر الشارع دون ان يحفل بهم. وان كانت اذناه مستعدتين اكثر مما سبق لتلقيا اي صوت يصيح به ، غير انه تجاهل هذه الحقيقه . فتابع خطواته باصرار نحو المعمل ، ووجهه يوحي بالرهبة والعزم ، وسلم من تفتيش الجنود . ولما وصل الى باب المعمل وجده قد ابتلع كل العمال ، والدواليب توشك ان تتحرك قاطعة ناشرة الاخشاب على شتى الاحجام .

دخل احمد فاجتاز الدهليز القصير دون ان يكترث للمكتب المفتوح الذي يقع في منتهى الدهليز والذي يدلي فيه العمال باوراق الحضور الاسبوعية ، وانتهى الى مكانه فنزع معطفه ورمى به على رف واطىء وضع عليه مخلف ادوات النجارة الخفيفة ، وتبادل مع جاره الحسين تحية الصباح في ايجاز وحرارة ، وانكب من فوره ينقل الاخشاب المعدة للنشر اجزاء متساوية فقربها من طاولته . وامعن فيها نشرا وتقطيعا .

شعر بحاجته الى الكلام ، فاخذ يحدث جاره الحسين . هذا الرجل الصلب الغامض الذي كان يبدو له قبل اليوم يصطنع الجد حيث لا ينبغي الجد . غير ان حديثه كان مع الحسين اليوم قد اصطنع فيه من الجد ما اثار انتباه صديقه نفسه . والواقع انه حاول ان يكسب كل شيء تافه دار في حديثهما مغزى عميقا اكبر مما يحتمل تلك الاشياء ذاتها ، وبغتة انعطف الحديث به هذا المنعطف الغير المتوقع فقال سائلا صديقه :

— كم احتاج من الايام لآخذ ورقة تعريف جديدة ؟

— ثلاثة ايام . وهل ضاعت ورقة تعريفك ؟

— نعم . البارحه . قالها باقتضاب كانه غير حافل بشيء .

— الا تخشى مغبة ضياعها منك ؟ انهم يحاصرون كل مكان للتفتيش عن امثالك الذين لا يحملون ورقة تعريف .

وجم احمد قليلا ثم ندت منه حركة كانه جرح في كرامته ، وقال :

— لم اعد اخشى شيئا مما تخشون . سوف لا احمل ورقة تعريف بعد اليوم .

فأرسل الحسين نظراته النافذة ليفحص صديقه احمد لاول مره فحصا دقيقا يريد ان يقرا دخيلة نفسه ؛ وظل صامتا كأنما يستزيد كلام صديقه ، فقال احمد :

— يجب ان التمس « هويتي الجديدة » لا هوية ورقة التعريف السخيفة التي لم تورثني الا الخوف من هؤلاء الخنازير .

بالامس فقط حاصرت شرذمة من البوليس الفرنسي بعرباتها الزرقاء المصفحة شارع « السويس » من جميع منافذه . وطفقت تفتش كل المارة . كانوا عند مدخل كل زنقة فيه يوقفون الناس حتى النساء والاطفال ليفتشوهم ، ويشتمون ويبصقون ، وينظرون بحقد . كانوا قد امسكوا بتلابيب احد الشبان ثم صفعوه وخلوا سبيله بعد ذلك . وكان هو نفسه من المحاصرين الذين ينتظرون دورهم في التفتيش من طرف «الحرس المتحرك» هذا الحرس المعروف بوقاحته وصلفه ضد الناس ، وكان يشعر في ذات الوقت بانه خالي الجيوب من اية حديدة او اداة معدنية . وانه بالاضافة الى ذلك يملك وثيقة « التعريف » ابها وثيقة الحرية ، وقد فكر ان يضعها في يده كي لا تترك للبوليس اي وقت لصدور اية حركة اعتدائية منهم عليه . بيد انه شعر بانه جبان لحد كبير . وربما كان مرجع ذلك انه لم يعرف السجن من قبل . او انه سمع الكثير عن اعمال البوليس التعذيبية وتنكيله في المخافر بالذين يلقى عليهم القبض . هكذا حدث نفسه وهو يرى العربة البوليسية الصماء تساق اليها من حين لآخر برجل او رجلين كالخراف الذليلة برفس ولكز من اطراف البنادق لتسجنا من خلف الستارة بمختلف انواع الشتائم .

ثان يستعيد هذه الحادثة بكل تفاصيلها فتنعكس على وجهه اطياف باهتة للبأس الذي ساور نفسه تزيدها الشحوب والارهاق لونا داكنا ، وحدث نفسه : كيف يمكن اجتياز شارع « السويس » هذا الصباح في الذهاب او العودة عند الزوال دون ان يكون ذلك مخاطرة بنفسه . او القاء بنفسه في تلك العربات الزرقاء الداكنة الرهيبة . ان المدينة غدت كلها محاصرة ومكتظة بالجيش والبوليس . هؤلاء الخنازير الذين لا يتوانون من مطالبة الناس باوراق التعريف اولا ثم تفتيشهم ليبحثوا عن « المسدسات » و « الفدائيين » كما يعتقدون . ولم يكن ممكنا ان يظل قابعا في قعر الدار . قرب المعمل الذي يعمل فيه – وهو فرنسي – لا يرحم . فسيظن انه عندما يتغيب انه لبى نداء ما للاضراب دعت اليه في نظره هذه المناشير التي يوزعها «الارهابيون» كما كان يسميهم ، انه لو توقف اليوم عن عمله سيحرمه من العمل . فضلا عن ان ورقة التعريف تحتاج الى انتظار اسبوع كامل ، انه لا يستطيع ان ينقطع عن العمل . بل لا يستطيع ان يتغيب ولو هذا الصباح لانه لا يقدر ان يلقي بمصير امه واخوته بين مخالب الجوع . ويشعر بانه واقع تحت كابوس من التفكير الاسود الثقيل ، وانه لم يعد يشعر بوجوده في غمرة هذه المخاوف التي تكتنفه من كل جانب ، فشعر باحتقار نفسه ، لانه لمس لاول مرة ضعفه المهين فاندفع نحو الباب ليخرج ، وكأنه قرر في نفسه امرا من وحي رد الفعل لهذا الضعف والجبن ، لقد قرر ان يخرج لانه استنفد طاقته في التفكير بخوف فلم يجده نفعا الا تزايد الخوف ، انه كان يعبر الشارع وهو يشعر بانقلاب يوشك ان يحول مخاوفه وضعفه الى شيء صلب ، واخذ يسترجع ايمانه بنفسه ، وبقدرته على ان يذهب الى المعمل هذا الصباح ، وان يعود في المساء دون وجل وحدث نفسه : « ان ورقة مهما تكن قيمتها ليست هي مصدر وجودي او سعادتي » وعجب كيف لم ينتبه لهذه الحقيقة منذ امس . لعله كان مغفلا . بل لعل امه كانت على صواب حين لم تهتم كل الاهتمام لضياع هذه الورقة اكثر من اهتمامها للنقود ، ان المشكلة بكل وضوح كما بدت له : انه انسان بلا تعريف في نظر البوليس . انه بلا حقيقة في نظرهم ، وسخر في اعماقه من هذه السخافة التي كان يحترق في التفكير فيها ، واعتقد ان هذه الورقة التي ضاعت منه انما كانت مصطنعة لاحصاء الناس في بلادنا ليكونوا في قبضة الجلادين متى شاءوا ، واستفظ سخريته بعنف . انها ليست محنتي انا وحدي بل انها محنتنا جميعا . اننا لا نساوي جميعا الا هذه الاوراق الخضراء او البيضاء التي يسلمها « الخليفة » وهو واحد منهم . وبدونها نساق الى السجن كأننا لا نملك وجودا حقيقيا بدونها ، وعادت الى ذاكرته كلمات كان قد سمعها من اذاعة صوت العرب منذ اسبوع « لقد فقد المغرب كرامته بابعاد محمد الخامس » انه يفهمها الآن فهما واضحا اكثر من ذي قبل . ولكن ماذا يمنع ان نبحث عن هذه الكرامة . نعم . ماذا يمنعني من البحث عن وجودي وكرامتي منذ الان ! لماذا تطلب منذ امس فريسة عذاب لا مبرر له من خوف وفوضى في نفسه البوليس الذي لا يعرف شخصي مجردا عن ورقة التعريف .

وتنفس هواء باردا جديدا في ذلك الصباح . فلاول مرة شعر بلذة الايمان بالجهاد والايمان بالوجود يعودان اليه . فوجد فيهما كل سعادة انسانية ممكنة . وكل قوة انسانية ممكنة . كان صباحا باردا من اصباح شهر يناير المقرورة . والرذاذ يرش المدينة كلها رشا خفيفا ، ولكنه كان متداركا كثيفا فالقى على ذلك الصباح غلالة رمادية شفافة تسيل . وكان شارع « السويس » يبدو طويلا داكنا رمادي النور ، والمارة يسيرون ملء خطاهم في جمود وتوتر خاليين من كل معنى . بينما كان اصحاب

آفاق فنية

الفنان المغربي والفن الحديث

للاستاذ ب . ك

الامر الذي لاجدال فيه ان كل قطر يهدف بعد حصوله على الاستقلال الى بلوغ شخصيته الوطنية وتاكيدها فى سائر المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية . ويكون السير نحو هذا التاكيد هو سير نحو التخلص من رواسب الاحتلال الاجنبي

ولكن الكيفية التي يجب ان يتم بها مثل هذا السير من الخطر ان تخضع لاعتبارات عشوائية . واختيار غير مدقق او مدروس . ومن الملاحظ ان بعض البلدان ترتكب اخطاء كبيرة فى هذا السبيل . منها السعي الى ابراز الشخصية الوطنية فى مظاهر عصرية مستعجلة سببه الطموح الحاد الى التخلص من الشعور بالنقص ازاء البلدان الراقية . ويكون هذا المسعى المنحرف على حساب اهمال المقومات الاصلية للشخصية الوطنية للبلاد .

ان اتجاها كهذا لايمثل الوسيلة السليمة للنهوض او التخلص من آثار التخلف ورواسب الاحتلال . واذا اخترنا واقع نهضة فن التصوير فى المغرب ووضعناه فى اطار هذه النتائج . لرأيناه للاسف يسير فى اغلبية اتجاهاته الحالية نحو هذه الطريق الخاطئة ، ان فن التصوير المغربي يرمي الى تاكيد ملامحه العصرية لتصبح مقاربا للفنون العصرية فى دول الغرب . معتقدا ان استقلال المغرب والطموح الى جعله دولة راقية يبرر له ذلك .

والشيء المؤكد ان فن التصوير المغربي فى وضعه هذا انما يعكس مرحلة من مراحل بحثه عن مقوماته . وعلى العموم فهو الآن تائه . . ضائع . . حائر . والمشكلة الرئيسية التي تواجهه هي استغراق اكثر الرسامين المغاربة فى ممارسة اساليب الفنون الحديثة الغربية للاسباب التي شرحت آنفا .

ان اخذ التطورات العصرية والاستفادة منها بالنسبة لبلد حديث الاستقلال كالمغرب . شيء ضروري بلا شك ولكن بشرط ان تكون هذه التطورات حصيلة مقومات حديثة ناتجة عن ينابيع حضارية اتجاهية انسانية ومن الممكن ان تتعدى الى ثقافة انسانية بغض النظر عن موطنها .

فهل الفن الحديث فى المغرب . . نتج عن تطور حضاري انساني ؟ ؟ انه سؤال لابد ان يلقيه على نفسه كل رسام مغربي قبل محاولته للبحث عن الملامح العصرية لانتاجه الفني .

ما هو الفن الحديث فى المغرب ؟ ؟ انه فن يعتمد على الاهتمام الصرف بالشكل فقط بكل ما يتضمنه هذا الشكل من عناصر لونية وخطية وتوزيعات مثيرة ، اما الموضوع . . المضمون . . الفكرة . . فيهمل وينصرف النظر عنه ويصبح عنصرا ثانويا . وقد يهتم الفن الحديث احيانا بالمضمون من النوع الخرافي كما يفعل الفن السريالي مثلا .

والرسام الحديث شبيه فى ذلك . البهلوان . حيث يتلاعب بمهارة بعناصر الشكل ويلجأ الى تجديدات غريبة لظواهر سطحية بعيدة عن واقع الحياة .

ما سبب هذه الظاهرة . ظاهرة تنكر الفن الحديث للمضمون الانساني الحيوي ؟ من الممكن معرفة السبب لو درسناها فى اطار الواقع التاريخي الحالي لحضارة

— ومن اين تريد ان تكسب هويتك اذن ؟ من السجن المدني مثلا ؟ وندت منه ضحكة مصطنعة فاجاب احمد : لم اعد اخشى السجن ولم اعد بحاجة الى هوية « دار الخليفة » لانني املك بعد هويتي ولم تضع مني كما توهمت عشية امس . وانما كنت بحاجة الى نبذ الخوف .

— وهل نبذت الخوف ؟

— اعتقد اني بحاله وعي جديد ، بعيدا عن الخوف .

— اذن انت عازم على فعل شيء ما ؟

اندهش احمد لهذه الجراه التي طرق بها الحسين نفسه ، لقد انقذه من حيرته المربكه مع نفسه ، بيد انه شعر برعدة خفيفه تكاد تشل لسانه ، فاعتزم ان يقطع كل سبيل للضعف على نفسه ، فقال وقد عرته حمى شديدة كان مبعثها حب الانتقام لنفسه :

— هيهات . وشعر بأنه ما زال يختفي وراء كلمات الضعف ، فزاد قائلا : اذا وجدت .. وقبل ان يتمم كلامه وقف رب المعمل وهو في اثناء تطوافه على العمال وخلفه احد العمال وهو منتفخ الوجه بادي الصلف ، ولم ينس ان يبدي ارتيابه من حديث الصديقين في هذه العبارات بالفرنسية :

— اعتقد ان العمل الجدي لا يسمح بالثرثرة .

واخذ اجزاء من الخشب المقطوع وقايس بعضها الى بعض ، ثم تابع تطوافه في اركان المعمل ، وكانما خشي احمد ان يقارن رب المعمل الفرنسي بعض اسرار نفسه من نظرات عينيه فتكلف اللامبالاه به .

بعد ثلاثة ايام كان احمد والحسين في معمل حقير يشاركان في اجتماع سري مع احد الفدائيين بمثل جمعية سرية للمقاومة ، وحاول احمد ان يجد في ملامح الفدائي ، وكان قصير القامة ممتلىء الجذع حاد البصر مهيب الطلعة ، حاول احمد ان يجد فيه شيئا خارقا للعادة كما كان يتوقع ، فلم يجده يختلف عنه بغير انتصاره على الخوف ، وايمانه بشيء جديد يعمل من اجله . وعجب كيف لم يقع في حبال التفتيش منذ ثلاثة ايام ان امه تعتقد ان ذلك بفضل دعواتها، واراد ان يختبر نفسه ، وشعر انه محموم الشعور ، مشتاق للايمان بوجوده اكثر فاكثر كهذا الفدائي للانتقام لنفسه التي كاد ينسفها الخوف ، ولتحرير جميع مواطنيه من كابوس الخوف لفقدان كرامتهم ، حتى ان امه واخوته لم يعودوا يحتلون المكان الاول من اهتمامه بين هذا الحشد الهائل الذي يظل بين ايدي البوليس الفرنسي من تفتيش الى شتم ، الى سجن وتعذيب ، انهم كلهم اخوانه وامهاته .

وفي مساء ذلك اليوم دخل احمد على امه شاحب الوجه ، يجهد في ان يخفي ارتباكه خلف اسئلة تافهة ، ثم اخذ يسترجع انفاسه شيئا فشيئا ، فعتبت عليه امه مره اخرى تأخره في الخارج وهو لا يحمل ورقة « التعريف » . ودخل اخوه الصغير كالسهم وهو يصيح :

— لقد انفجرت قنبلة امام بائع الدخان الذي يوجد في راس شارعنا ، ولقد حاصر البوليس الحي كله للتفتيش .

ذعرت الام ، وهبت واقفه لتحول بين ابنها وبين الخروج ، وكان قد هم به متوسلة :

— ارجوك يا ابني ، انك لا تحمل ورقة تعريفك ، سيسجنونك ، ارجوك ..

اما ابنها احمد فكان ينظر لامه بهدوء ووجهه طافح بنور كنور الانتصار وهو يقول لقد استرجعتها يا اماه ، لا ينبغي ان تخافي على بعد اليوم .

ان كثيرا من المغاربة للاسف يعانون الآن هـذه الازمة ، حيث يتسارعون لممارسة وتقليد الفن الغربـي الحديث دون وعي منظم علمي ، مهملين تماما المضمـون الفكري لاعمالهم جاعلين من الشكـل الاعمى اساسـا وهم بذلك يرتكبون خطأ فادحا في حق الفـن المغربـي الوطني الناشيء الذي يجب ان يعبر عن مقومات شعب يريد المساهمة الجدية في بنـاء الحضارة الانسانيـة الجديدة التي تنشط الشعوب من اجل ابراز معالمها .

ان الفنانين المغاربة يرتكبون خطأ فادحا في حـق ثقافة بلادهم بارتمائهم غير الواعي في غياهب اتجاهـات فنية حديثة تعكس انهيار حضارة يغذيها الاستعمار .

ان المضمون الحياتي الواقعي ضروري جدا للفن المغربي في مرحلة الجنينية الحالية .

ان ثقافة الغرب الآن نتيجة لتحلل النظام الـذي تقوم عليه ، تعاني تمزقا عميقا وامراضا مستعصيـة ، وهي في امراضها هذه تتقيأ كثيرا من القيم الثقافيـة والفنية المخربة وقليلا من القيم الجديدة الايجابية .

والفنان المغربي الذي يبحث (العصريات) ويريد ان يبدد مواهبه البكر في الملامح الفوضوية المظلمة للفن الحديث ، يشبه انسانا يريد ان يتغذى من شيء كائن يحتضر .

وبعد .. فانها حقائق مؤلمة اوحى بها المعـرض الاخير للرسامـين المغاربـة الناشئـين الذي اقيم في الرباط ، والذي كان في اغلب الاعمال التي ضمها احتفالا مريرا بالوجوه المظلمة للفن الحديث .

مـن تأمـلات ((كانـط)) الفنيـة

ليس الفن تمثيلا لشيء جميل ، بل هو تمثيل جميل لشيء من الاشياء تبدو الطبيعة جميلة حين تترك في نفوسنا اثر الفـن .

الغرب الاستعماري التي هي حضارة الفئات البرجوازية في الغرب والتي تحاول ان تستمر بالاعتماد على استثمار الشعوب وسرقة خيرات بلادها ، ان مقومات بقاء هذه الحضارة فقدت بالتالي مظهرها الانساني ، وهذه الصفة البشعة تنعكس بصورة تلقائية على سائر منجزات تلك الحضارة ومنها المنجزات الثقافية التي يمثل الفن احد عناصرها .

ان الحضارة الانسانية التي تسعى لخير البشرية تجعل المضمون الوطني الحياتي للفن اساسا . اما الشكل فهو وسيلة للتعبير وخاضع لمقتضيات المضمون. اما الحضارة الاستغلالية الاستعمارية فانها تحطم المضمون وتهمله وتلفظه وتكتفي بالشكل لتجعل منه الاساس الذى تطرح بواسطته عذابها . وهو امر يزداد استفحالا عندما تشرف هذه الحضارة على الانهيار وتبدأ بمعاناة مخاض مصيرها الاخير . ان الحقيقة التي تدعمها المنطق التاريخي تؤكد ان الاهتمام بالشكل واحتقار المضمون لاى نشاط انساني ظاهرة من ظواهر تحلل الحضارات التي فقدت اسسها البنائية .

ولناخذ كمثال ، منجزات الحضارة العربية عندما احكمت عليها عصور الانحطاط ودخلت في عهود الظلام .

نرى الادب العربي يفقد مضمونه الحي ويصبح بهلوانية شكلية تعتمد على التلاعب بالالفاظ واخبارها والبحث عن موسيقاها السطحية . والمقامات التي اختارت سبيل السجع اللفظي نموذجا لهذا الانحراف المؤلم .

بل وحتى مظاهر الحياة الدينية التي كانت منطلقا للحضارة العربية . فقدت في ذلك الطور مضمونها الديني النبيل لتصبح طقوسا شكلية واوهاما خرافية وتصوفا بليدا .

ان كل نشاط انساني للحضارة العربية وعلى الاخص مظاهرها الثقافية . في عصور الانحطاط ، قد فقد مضمونه الحياتي البناء . وبقي هيكله القشري وشكله الخارجي الاجوف يتفنن المفكرون التشكيليون في تزيينه .

هناك ولا شك اعمال فردية قد تكون شذت عن هذا الانحراف ، كمؤلفات ابن خلدون ، ولكنها كانت تبدو كظواهر شاذة بالنسبة للقاعدة العامة السائدة . ان الفن الحديث في الغرب اذا فهمناه على اساس هذا التحليل الحضاري ، واذا وضعناه في اطار الواقع التاريخي الحالي للحضارة البوجوازية للغرب الاستعماري ، عرفنا انه تعبير عن افلاس ثقافة وتحلل حضارة تشرف على الموت لم تعد تستجيب لما تحتاجه الشعوب من قيم بناءة تعينها على كفاحها في سبيل بناء حضارة جديدة تستمد بقاءها من التعاون والتآخي والسلام وليس من الاستثمار والعدوان والحرب .

ولكن روح الانصاف يجب ان تدفعنا ونحن ندين حضارة الغرب الاستعماري ومنجزاتها الثقافية الى ان نشير الى ناحية ايجابية من هذه المنجزات ، وهي التطورات التكنيكية العلمية التي تنعكس في الفن الحديث بظهور اتجاه منه يعتمد على اسس علمية تخضع لها تنظيم عناصر الشكل ، وهو اتجاه مفيد وضروري للحياة المعاصرة ، كالفن التجريدي العلمي الذى نرى تطبيقاته متداخلة في فنون البناء والعمار والاعلانات وطوابع البريد واثاث المنازل وتنظيم المعارض الدولية ولعل معرض بروكسيل الدولي بالاجنحة التي ضمها كان نموذجا رائعا للتطبيقات الايجابية للفن التجريدي العلمي .

وحتى لو استفيد من اساليب هذا الفن في منجزات فن التصوير . فمن الضروري ان تظل هذه الاستفادة خاضعة لمقتضيات المضمون دون ان تفقد كونها وسيلة للتعبير ولتنظيم عناصر الشكل في الصورة . من توزيع الوان وتنسيق المساحات وربطها وتوازن محتويات المضمون ، الامر الذى يجعله اقوى تعبيرا واصدق تاثيرا .

من خلال هذا المنظور للفن الحديث يمكن للفنان العربي ان يواجهه . اى ان يواجهه عن تفكير علمي تاريخي ليعرف ما يختار منه وما يلفظه .

اما اذا انغمس فيه بدون هذا الوعي ولمجرد الطموح الطفلي المنحرف الى الاخذ بمظاهر عصرية للفن لها وجوه فوضوية كبيرة خادعة ، فانه بذلك سيقع اسير فوضى فنية وهستيريا مؤلمة تحطم الاسس الانسانية الوطنية الاصيلة لمواهبه .

الثقافية . وما من شك ايضا في ان ما نشأ من تعارف فكري وذهني بين شعوب هذه المنطقة يشكل رحما ثقافيا لها ، ليس من الممكن تجاهله ولا من المصلحة عدم الاستفادة منه سواء للشعوب الواقعة الى الجانب الشمالي او لتلك الواقعة الى الضفة الجنوبية من هذا البحر ، بالرغم من اختلاف مستوى الفريقين الثقافي تاريخيا وواقعيا، اذ ان هذا الاختلاف لا يتيح الرجحان لاحدهما على الآخر في المجالين معا . فاذا كان الساحل الشمالي ارجح من الساحل الجنوبي في التقييم الثقافي باعتبار المعادلات الراهنة ، فان للساحل الجنوبي رجحانه بقيمته الثقافية في عهود ازدهاره السابقة ، فضلا عن ان كلا الجانبين قد وصلتهما الاحداث السياسية وصلا مكن لكل واحد منهما من ان يؤثر في الآخر تأثيرا بالغا لامد غير قصير .

غير اننا نشعر بحاجة عميقة الى ان نستقبل بكثير من التحفظ هذا النوع من الهيئات الثقافية ذات الطابع المتأقلم على مدى يساوق بعض النزعات السياسية والاستراتيجية في تأقلمها . فلسنا ندري ان كان مجرد صدفة ان نجد هذه الهيئات منطقة البحر الابيض المتوسط مجالا لها وهي نفس المنطقة التي تتخذها مجالا لها بعض النزعات السياسية والاستراتيجية . وفي وقت اخذ تلح فيه على الاذهان والاسماع ما تدعو اليه ارباب هذه النزعات وخاصة اهل الضفة الجنوبية ، من الوان التكتلات ذات الطابع السياسي او الاستراتيجي مثل حلف البحر الابيض المتوسط .

لا نريد ان نقحم بالسياسة فيما هو من صميم الثقافة ولا ان نتهم بالسياسة مقاصد رجال وقفوا اهتمامهم وجهودهم على الثقافة . ولكنا لا نستطيع ان نرغم لانفسنا ان تكون النزعات الثقافية قادرة على التجرد عن كل مؤثر خارجي عنها وان كان لاشعوريا . وعلى الرغم من تقديرنا وادراكنا ادراكا حسنا على ما نظن للاعتبارات التي ارتكز عليها تحديد منطقة البحر الابيض المتوسط . كمجال وطني لهذه الهيئات ان صح هذا التعبير . فاننا نشعر بالحاجة الى مزيد من وسائل الاقناع لكي نطمئن الى ان هذه الاعتبارات صالحة لتحديد المجال الوطني لجهاز او هدف ثقافي، لسنا ممن يؤمن بعالمية الثقافة كما نحن مؤمنين اعمق الايمان بعالمية العلم ، غير ان الوطن الثقافي في رأينا، لا تحدده الاستراتيجية ، وانما تحدده المقومات القومية وآية ذلك ان الامتداد الفكري والثقافي الذي كان لشمالي افريقيا ، الى الشعوب الواقعة غربي وشمالي البحر الابيض المتوسط ، لم يمنع هذه الشعوب بعد ان بلغت اشدها الثقافي ، من ان تكون مصادر تفكيرها ومنابع الهامها ومحط تفاعلها نازعة الى وسط واطراف اوربا ، بدلا من ان تنزع لو كان لذلك الامتداد ان يهيمن الى شمالي افريقيا والشرق العربي ، ما من شك في اننا ابناء افريقيا لا نزال اكثر قابلية للاخذ عن اوربا وامريكا الشمالية منا لاعطائها ، غير ان هذا لا يعني اننا في مستقبلنا الثقافي سنكون انزع الى الاستمرار على استلهام تلك الشعوب او حتى على مساوقتها فكريا ، اننا اليوم كما كانت هي من قبل نلتمس الطريق ولكننا مثلها يومئذ لا نبحث عن الغاية ، لان الغاية انما تعينها طبيعتنا طبيعة اوضاعنا ، وطبيعة تكويننا البشري والحضري . ولن تكون هذه الغاية الا الانبعاث الحي الفاعل لجميع العناصر التي منها كان تاريخنا القديم ، وهذا ما يبعثنا على التساؤل ان كان اتخاذ منطقة البحر الابيض المتوسط . مجالا للتعاون الثقافي عملا يساوق مقتضيات تاريخنا وطبيعة انبعاثنا وينبعث من صميم حاجاتنا الثقافية الصرفة .

(2) في سبيل التطوير العلمي لسوريا

فرغ المجلس الاعلى للعلوم بالاقليم السوري ، من وضع برنامج خماسي للنهوض العلمي بهذا الاقليم، من الجمهورية العربية المتحدة . نهوضا يساوق حاجات التنمية الاقتصادية والتطور الصناعي له ، وطبقا لهذا البرنامج سيوفد (1000) طالب للحصول على درجات علمية عليا ، من بين الماجستير والدكتوراة في فروع مختلفة من العلوم . وسيجلب (270) خبيرا للاشتراك في تنفيذ خطط التطوير العلمي في الجامعات والوزارات . وفي دعم المعامل اللازمة للبحوث والدراسات . وستنشأ معامل جديدة مجهزة باحدث الاجهزة واحدث المراجع على ان يتم انشاؤها خلال عشر سنوات . وقد اعتمد المجلس لهذا البرنامج (105) ملايين ليرة سورية . ويأمل واضعو هذا البرنامج ان يساعد بعد تنفيذه على حل ما تواجهه الاقليم السوري من مشاكل في الزراعة والري والتعدين والمواصلات واستغلال موارد الاقليم من البترول . والانماء الصناعي . وتحسين الخدمات الصحية . ودعم جامعتي دمشق وحلب .

الحياة الثقافية في الوطن العربي

(1) في المغرب

في فبراير من العام الماضي . انشأ نفر من المعنيين بشؤون الفكر والثقافة . وفيهم مغاربة وعرب مقيمون بالمغرب . وبعض الاجانب من ابناء الاقطار المجاورة للبحر الابيض المتوسط ، هيأة باسم « النادي الثقافي » لسواحل البحر الابيض المتوسط . ومن اسم هذه الهيأة يمكن ان نستبين الاهداف التي تتوخاها والمعالم التي تلتزمها ، وربما الحوافز التي عملت على تاسيسها ايضا . فهي تستهدف العمل المشترك بين سكان البلاد المتاخمة للبحر الابيض المتوسط ، وتبادل النشاط الثقافي . وهي تنظر الى الثقافة . نظرة موضوعية مجردة عن جميع المؤثرات التي لا تتصل بموضوع الثقافة نفسها . الا ما يكون قائما على الاعتبارات الجغرافية الاقليمية . وهذه الاعتبارات ذاتها تكيف نظرتها الى الثقافة من حيث موضوعها . ولكنها تحدد المدى الذي تراه مجالا صالحا لان تستوحيه تاريخيا او واقعيا من حيث مشاهده او حاجاته الثقافية ، والذي ترى ان تقيم منه الرابطة او الوشيجة المعينة لطبيعة تآلف هيأتها وتعاون اعضاء هذه الهيأة .

وعقب تاسيسها وخلال الموسم الدراسي لسنة 1960 بذلت هذه الهيأة نشاطا موفورا في سبيل الهدف الذي تاسست من اجله . واشرفت على تنظيم عدة محاضرات لطائفة من اعلام الفكر . في كل من فرنسا وايطاليا والمغرب امثال دوكوندياك : استاذ الفلسفة بجامعة باريس ودوفينو : الكاتب الفرنسي الاختصاصي في علم الاجتماع . وريكو استاذ الفلسفة بجامعة باريس ودوميناك مدير مجلة الفكر الشهيرة . وسلبم كتان الملحق الثقافي بالسفارة الايطالية بالمغرب .

وكان آخر المحاضرين في موسمها الماضي هذا هو الاستاذ محمد الفاسي عميد جامعة الرباط . وعقب محاضرته التي كانت عن الوزير الكاتب محمد بن عثمان اقيمت حفلة استقبال وتعارف ، حضرها لفيف من رجال الثقافة وانصارها بالمغرب ، وتنهض نشاط هذه الهيأة على جهود مكتب اداري يمثل تكوينه اهدافها ومناهجها العملي . ويتولى تسييره الدكتور محمد عزيز الحبابي الاستاذ بكلية الاداب بجامعة الرباط والذي كان يتولى تقديم المحاضرين الى الجمهور وادارة المناقشات عقب كل محاضرة . وتسيير ندوات ثقافية اشترك فيها اساتذة اجانب . وبعض طلبة الجامعة ، ونفر من المثقفين المغاربة واقيمت كجزء من البرنامج الثقافي للموسم الاول لهذه الهيأة .

وقد ارتأت في هذه السنة . ان تستهل موسمها الثاني بمحاضرة للدكتور جمال الدين الشيال استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الاسكندرية سابقا الذي يتولى الان منصب المستشار الثقافي لسفارة الجمهورية العربية المتحدة بالرباط . وسيكون موضوع هذه المحاضرة التي تقرر ان يلقيها في الساعة السادسة والنصف من يوم الثلاثاء 20 دسمبر الحالي (التاريخ للتاريخ الاسلامي) وترجو هذه الهيأة ان تتاح لها تنفيذ برنامج حافل اعدته لهذا الموسم الثقافي من محاضرات وندوات تشترك فيها طائفة من مفكري المنطقة التي اتخذت منها مجالا للنشاط والاستلهام . منطقة البحر الابيض المتوسط وان كان برنامجها هذا اكثر عناية من البرنامج السابق بالعالم العربي ومفكريه عامة. والمغرب ومفكريه بصفة خاصة .

وما من شك في ان لمنطقة البحر الابيض المتوسط ظروفا واوضاعا لها من الاتصال واحيانا من التشابك ما يجعلها صالحة لان تكون طرازا من الوشائج

أنباء ثقافية

* يقيم حاليا في الرباط الاستاذ محمد صادق عفيفي الذي اصدر اخيرا هو والاستاذ محمد ابن تاويت كتاب « الادب المغربي » الذي تلقته الاوساط الادبية بالترحيب . ويقوم الاستاذ عفيفي باتصالات مباشرة مع ادباء المغرب ليمدوه بانتاجهم وترجمات حياتهم في سبيل اصدار مؤلف عن « الادب المغربي المعاصر » . وقد انتدب للتدريس في مدارس محمد الخامس بالعاصمة . فنرجو للبحاثة عفيفي النجاح في مهمته .

* تصدر قريبا « دار الكتاب اللبناني » الطبعة الجديدة من كتاب « النبوغ المغربي » للأستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون وقد راجعه الاستاذ وادخل عليه تحسينا وتحويرا تناسب ما تجدد من البحث في الموضوع .

* يستعد صاحب « دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر » ببيروت ، لتأسيس مطبعة بالدار البيضاء . لطبع الانتاج المغربي ، وترويجه في البلاد العربية على مستوى واسع .

* أعلن الاستاذ السيد عبد الكريم غلاب ، رئيس تحرير جريدة « العلم » القراء عن اصدار كتاب له في هذه الايام

* كان لصدور كتاب « المعسول » للاستاذ العلامة السيد محمد المختار السوسي ، صدى واسع في الاوساط الثقافية المغربية .

* اكتشف حديثا في قبيلة بني عروس من اقليم تطوان مجموعة من دنانير ذهبية يبلغ عددها 33 قطعة . ويعود تاريخها الى العهد المريني .

* نشرت الجريدة الرسمية للمملكة المغربية في عددها الصادر بتاريخ 16 دجمبر مرسوما يقضي بمنع رواج وبيع وتوزيع وادخال الكتاب الذي يحمل عنوان « اسرائيل » الى مجموع البلاد المغربية . ويعتبر هذا الكتاب من مجموعة ميكروسكوم الفه داويد كاطاريفاس ، وطبعه طاردي في بورج بفرنسا .

* حصل على جائزة المغرب للطب في هذه السنة الدكتور جاكوب الطبيب الداخلي بمستشفى الدار البيضاء .

* اتخذ وزير الانباء والسياحة المغربية عدة تدابير ، ترمي الى بعث صناعة سينماتوغرافية بالمغرب . وتقضي هذه التدابير بتحقيق ما يلي : ابتداء من سنة 1961 سيكتب الحوار السينمائي باللغة العربية على جميع الافلام الواردة على المغرب . سيفرض تسجيل العبارات العربية على جميع الافلام الناطقة باللغات الاجنبية لتعريب الحوار . وستجري هذه العملية بالمغرب . بعد الرقابة السياسية والخلقية ستعرض كذلك على هذه الرقابة من جديد جميع الافلام البسيطة او الرديئة .

* يعتزم الاستاذ حنا الفاخوري وضع تاريخ علمي للادب المغربي منذ اقدم العصور الى يومنا هذا . وقد قرر قبل ان يقوم بالخطوة الاولى ان يزور البلاد المغربية لدراسة الآثار والمخطوطات التي قد تساعده على انجاز الكتاب المذكور .

* سيقوم الدكتور عبد الرحمن بدوي الاستاذ بجامعة عين شمس ، والدكتور محمد البهي مدير الادارة الثقافية بالجامع الازهر ، والاستاذ محمود تيمور عضو المجمع العلمي بالقاهرة ، بزيارة المغرب ، والقاء عدة محاضرات فيه .

والمجلس الاعلى للعلوم هيأة انشأتها الجمهورية العربية المتحدة في اوائل سنة 1959 للعمل على حل المشاكل الصناعية والزراعية والعلمية وزيادة الانتاج القومي ، والدخل العام ، وذلك باحدث الاساليب الفنية ، وقد بدا العمل من اجل تحقيق اهدافه بحصر جميع المشاكل الموكول اليه حلها ، ثم بحصر المراحل والادوار والوسائل التي يتخذها الى اهدافه بما في ذلك الفنيون والمعامل وطرق التوجيه والتخطيط ، ثم تناول كل مشكلة من تلك المشاكل الى عناصرها الاولى ، واحال كل عنصر منها على المختصين حسب اختصاصهم على ان يعملوا في تناسق وتعاون ، بصورة تؤلف منهم وحدة متكاملة .

وفي اوائل سنة 1960 انشأت الجمهورية العربية المتحدة مجلسا مماثلا للاقليم السوري ، وعهدت اليه بمهمة مماثلة لتلك التي يضطلع بها مجلس الاقليم المصري .

ومن قبل انشاء المجلس الاعلى للعلوم في كل من الاقليمين انشأت لكل من الآداب والفنون ثم رعاية الشباب مجلسا اعلى فيهما ، ومن مجموع هذه المجالس العليا تتألف جهاز الاشراف والعمل على التطور الثقافي والعلمي ، والتخطيط الصناعي خاصة ، والاقتصادي عامة لكل من اقليميها ثم وهذا امر له اهميته القصوى لتنسيق التطور القائم في كل من الاقليمين ماديا وفكريا ، تنسيقا تتوخى ان تكون مراحله في نفس الوقت مراحل للالتقاء فالالتفاف فالوحدة بينهما ، وبذلك يصبحان في النهاية بصورة لا تبدو الا انها نهاية طبيعية وحدة متكاملة .

وفي الخطاب الذي القاه السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، في عيد العلم الذي اقيم بجامعة القاهرة في ابتداء الموسم الدراسي 1959/58 ، الح على ابراز مدى حاجة العالم العربي الى طي المراحل للالتحاق بالموكب العلمي العالمي ، الذي يشكل محور التقدم الحضاري للشعوب .

واذا لاحظنا ان هذا النشاط العلمي يساوقه العمل من اجل تحقيق الاكتفاء الذاتي المتمثل في الاكتفاء اللغوي علميا وذلك بجعل اللغة العربية تتسلم الهيمنة شيئا فشيئا على التدريس العلمي ، وعلى العمل في مختلف ميادين العلوم ، استطعنا ان ندرك الى اي مدى سيتاح لاقطار الوطن العربي الاخرى ، وخاصة المتخلفة منها في هذا الميدان عن القاهرة ودمشق مثل المغرب ، ان تستفيد مباشرة في انبعاثها العلمي ، والجهود التي تبذلها للاسهام في نهضة العرب العلمية ، اذ ان منجزات الجمهورية العربية المتحدة في هذا الميدان ، ميدان الاكتفاء اللغوي علميا مع التطور المطرد ستوفر على هذه الاقطار ما تقتضيه جعل انبعاثها الحضاري انبعاثا قوميا في شكله وموضوعه من جهود لا ريب في انها شديدة الاعنات ، ومن هذه الناحية تبرز بشكل اوضح واشد الحاجة الى الصبغة العربية الجامعة لتلك المنجزات التي تحققها دمشق والقاهرة في هذا المجال .

محمد الحاج ناصر

* احتفل بالقاهرة مؤخرا باليوبيل الفضي لتأسيس المسرح القومي بها .

* اصدرت وزارة الاوقاف بالقاهرة مجلة شهرية باللغة الانجليزية واخرى بالفرنسية .

* ستقوم الدار القومية للنشر بالقاهرة باعادة نشر كتب المازني فى سلسلتها « كتب قومية » .

* يحتفل فى هذه الايام بمرور 1100 سنة على وفاة « ذو النون الاخميمي » الرائد الاول فى ميدان التصوف الاشراقي فى مصر فى القرن الثالث الهجرى.

* يقوم انور الجندي باعداد دراسة عن معالم الادب العربي المعاصر فى خمسة اجزاء .

* انتخب عشرون عضوا جديدا فى المجمع اللغوى بالقاهرة .

* سيطلق اسم الفنان احمد صبرى على احد شوارع القاهرة .

*** قررت الجامعة العربية اعتمادا قدره ثلاثة آلاف جنيه للمساهمة فى نفقات حفظ التراث الموسيقي العربي الاندلسي الذي اصبح مهددا بالتلاشي والضياع، وذلك بسبب وفاة اغلب حفاظه .**

* ستصدر مدام فيفي بكهولم استاذة علم النبات بكلية العلوم بالقاهرة كتابا بعنوان « المسجبة فى مصر » .

* اصدر القاص السورى عدنان الداعوق مجموعة قصص بعنوان « زرقاء » وذلك فى منشورات دار الكرنك بالقاهرة .

*** فى شهر ابريل من السنة المقبلة سيعقد بالقاهرة مؤتمر لادباء الجمهورية العربية المتحده .**

*** اتفقت دار « لونج مانز » للنشر فى بريطانيا مع المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة على نشر ثلاثين كتابا لادباء العرب المعاصرين باللغتين الانجليزية والفرنسية لنشرها فى بريطانيا وفرنسا . وستقوم احدى دور النشر فى النمسا بترجمة هذه الكتب نفسها الى اللغة الالمانية ونشرها فى النمسا . والكتب التي وقع عليها الاختيار تترجم تحت اشراف اساتذة الجامعة المختصين فى الأدب .**

* كتاب « تاريخ مصر والفتح العربي » يقوم بترجمته من اللغة الحبشية الى العربية الدكتور مراد كامل

* تقوم لجنة التبادل الثقافي والترجمة بالقاهرة بطبع المقالات الانجليزية التي كتبها مرسى سعد الدين وسجل فيها النهضة الثقافية فى مصر .

*** تالفت لجنة فى القاهرة باشراف وزارة الثقافة لوضع خمسة معاجم عربية مختلفة تساعد الكتاب فى الاسلوب والمعاني اللغوية .**

* اصدرت منشورات فرانكلين طبعة رائعة تولتها مكتبة النهضة العراقية ودار الحياة اللبنانية للترجمة العربية من كتاب « مغامرات الافكار » للفيلسوف الفرنورث وايتهد . وقد كان لهذا الكتاب اثره فى الحياة الاوربية والامريكية عند صدوره . ومترجمه هو الاستاذ انيس زكى حسن .

* نقل الى العربية كتاب هارولد لامب عن سليمان القانوني بقلم محمود نديم .

* تؤلف مفيدة عبد الرحمن كتابا عن تاريخ دخول المراة مهنة المحاماة وتطورها فى المهنة والاعمال القانونيه .

* رشح اساتذة الادب فى جامعات الجمهورية العربية المتحدة الدكتور طه حسين الى جائزة نوبل لسنة 1961 .

* سافرت بعثة مكونة من عدة اساتذة من الاقليم الجنوبي للجمهورية ع. م. الى روسيا لدراسة الاقمار الصناعية والصواريخ لمدة خمس سنوات .

* « القلب المسحور » ديوان جديد للشاعر نجم الدين الصالح عضو مجلس الامة ، وقد ظهر اخيرا فى القاهرة .

* اجتمعت اللجنه التحكيميه التي عهد اليها بالنظر فى القصائد والكلمات والابحاث الواردة على التشريفات الملكية بمناسبة الاعياد الثلاثة المجيدة . وبعد امعان النظر فيها اقترحت ما يأتي : **منح جائزة اولى للشاعر محمد بن علي العلوي . منح جائزة ثانية للشاعر محمد الحلوي . منح جائزة ثالثة لكل من الشاعرين محمد السيداتي بن الشيخ ماء العينين ، وابى بكر الجرني . منح جائزة عن بحث تاريخي للملازم السيد احمد البسيرى .**

* منحت شهادة الدكتوره الفخريه لكل من الاستاذين عباس محمود العقاد ، وتوفيق الحكيم . بعد ان كان رفضها العقاد فيما قبل .

* تجرى مفاوضات بين وزارة الثقافه بدمشق ومحمد ابن تاويت الطنجى حول تصوير المخطوطين الموجودين فى استامبول على الميكروفيلم وارسالهما اليها . اما المخطوطان فهما «مقدمة فى النحو» لخلف بن حيان الأحمري مع رسالتين اخريين فى خزانه شهيد علي ، و «الادوار فى معرفة النغم والاوتار» لعبد المومن المخولى الاسدى فى خزانه الفاتح .

* اقام مدير وكالة المغرب العربى للانباء الاستاذ النشيط السيد المهدى بنونه حفلة فاخرة بمقر الوكالة. وذلك بمناسبة مرور سنه على تأسيس هذه الوكاله الوطنية التي نرجو لها مزيدا من النشاط .

* قدمت مؤخرا الى المغرب شركه فرنسية سينمائية ، وشرعت فى تصوير فلم النقط جل مناظره فى الرباط .

* نظمت جماعه من الادباء المغاربه مهرجانا ادبيا بمناسبة ذكرى مرور ثلاث سنوات على وفاه الشاعر المهجري ايليا ابى ماضي . وقد اقيم هذا المهرجان بتاريخ 2 دجمبر فى قاعة المحاضرات بكليه الآداب المغربية .

* عقدت فى يوم 2 دجمبر فى اديس ابابا اول مناظرة لدراسة مختلف المشاكل الانسانيه وخاصة مشاركة المراة فى الحياة العامة . واشترك فيها وفود من 25 بلدا افريقيا .

* عقد بالقاهره من 12 الى 20 دجمبر المؤتمر الثاني للكتاب الاسيويين والافريقيين . وكان موضوعه « ادب الكفاح لتحقيق العدالة الاجتماعية » «ودور الترجمة فى التقارب الفكري والوجداني بين الشعوب »

* اصدر الاستاذ انيس فريحة كتابا بعنوان « الفكاهة فى الادب العربي » .

* اعلنت الجمعيه الجغرافية القومية ان احد الاثريين البريطانيين فى متحف نيروبى فى كينيا قد عثر على جمجمة يرجع عهدها الى 600.000 سنة ، ويبدو ان هذه الجمجمة هي من الآثار المتخلفة عن اقدم انسان عثر الاثريون على بقاياه حتى الآن ، وقد امكن كشف هذه الجمجمة فى جهة نائية فى شرق افريقيا .

* اعلنت جامعة بنسلفانيا ان احدى البعثات العلمية التابعه لها والمهتمة بالآثار ، اكتشفت مستعمرة فينيقية قديمة على بعد 75 ميلا شرقي طرابلس في ليبيا . وقالت ان هذه المستعمرة ترجع الى القرن الثامن قبل الميلاد .

* جائزة سوفى وقدرها 200 جنيه التي رصدها المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة لاحسن مسرحية شعرية او ملحمة قومية ، تقدمت لها خمسه موضوعات . لم يرق احدها الى مستوى الجائزه التى تقرر حجبها هذا العام .

* يقوم مجلس الفنون والآداب بالقاهرة بجمع آثار دوريس ، وداود حسنى ، وكامل الخلعي ، وتدوينها كاملة

* « كريستيان كولمبوس » هذا اسم كتاب الفه صاموئل اليوت موريسون ، ونقله الى العربية الاستاذ فوزى قبلاوى .

* « تاريخ الزراعة القديمة » اول دراسة من نوعها باللغة العربية نشرها فى كتاب ضخم اخيرا الاستاذ عادل أبو النصر .

* اصدرت منشورات فرانكلين طبعة من كتاب « مغامرات الافكار » للفيلسوف نورث وايتهد الذي ترجمه الى العربية الاستاذ انيس زكي حسن

❋ تلقى الموسيقار محمد عبد الوهاب خطابا من الحكومة السينغالية تطلب منه فيه ان يقوم بتلحين النشيد القومي للسينغال .

❋ بدأ في هذا الشهر بالقاهرة تنفيذ مشروع اختصار حروف الطباعة العربية .

❋ يعد الدكتور عثمان امين كتابا عن الفن من وجهة نظر فلسفته . سيتناول فيه بيكاسو ، والمدارس التجريبية ، كما سيتناول الفن الشرقي ، وسيشرح معنى الرقص الجواني والبراني .

❋ منذ يومين خلا مقعدان في المجمع اللغوي بالقاهره ، احدهما كان يشغله المرحوم حامد ناحوم والثاني المرحوم الشيخ ابراهيم حمروش .

❋ قريبا تصدر الترجمة العربية لبعض القصص الالمانية الحديثة ، ومنها « موت الاعزب » و « امرأة ورجلان » وتصدر معهما مقدمة نقدية بقلم الدكتور طه حسين .

❋ تفسيرات جديدة للقرآن الكريم يعدها الآن الشيخ امين الخولي .

❋ عين الدكتور طه حسين نائبا لرئيس مجمع اللغه العربيه لمدة اربع سنوات .

❋ منحت لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والاداب بالقاهرة 300 جنيه لورثه المرحوم ابراهيم المازني مقابل نشرها لديوانه .

❋ « السلطان الحائر » هو عنوان المسرحية الجديدة التي أصدرها توفيق الحكيم .

❋ احتفلت الاندية الثقافية بدمشق بزيارة الكاتب الجزائري مالك بن النبي لها .

❋ صدر في دمشق العدد الاول من مجلة «النعمة» وهي مجلة شهرية ثقافية .

❋ تمكنت بعثات التنقيب عن الآثار التي تعمل بالقرب من قرية اللطامنة في شمال محافظة حماه في سوريا من العثور على كهف اثري له قيمة كبيرة في حوض نهر العاص ، يرجع عهده الى حوالي 135 الف سنة ق . م .

❋ اعلنت دائرة الآثار السوريه ان بعثة آثار بريطانية اكتشفت مدينة ارامية عمرها ثلاثة الاف سنة في شمال سوريا . وقد عثرت البعثة التي ترعاها جامعتا لندن ، وسيدني ، على المدينة القديمة تحت مرتفع يدعى « تل رفعت » في منطقة عزاز ، في مواجهة الحدود التركية . وقد اتضح ان المدينة تدعى «اربد» ، وهي احدى العواصم الارامية التي يعتقد أنها بنيت في الالف سنة ق.م. وخلال القرن التاسع على الارجح . ويتوقع ان يلقى اكتشافها ضوء على التاريخ الارامي في وادي الفرات .

❋ قرر المجلس الاعلى للشؤون العلمية في دمشق وضع تصميم خماسي للتربية والتعليم في الاقليم السوري .

❋ صدر في بيروت كتاب « غرائب اللغة العربية » بقلم الاب رفائيل نخلة اليسوعي يبرز فيه كل غريبة في لغة الضاد .

❋ تعد نقابه الصحافه في لبنان العده لانشاء معهد الصحافه في بيروت رغبه في النهوض بمستوى المشتغلين بالصحافه وتنشئه جيل جديد من الصحفيين يجمع بين العلم والعمل .

❋ قدر ما يستهلكه تلاميذ لبنان من الكتب في هذه السنة بنحو 3 ملايين ونصف مليون . وما تطبعه دور النشر اللبنانية بنحو 15 مليون و 600 الف نسخة . وهذا مما يجعل لبنان عاصمة فكر وانتاج .

❋ اصدر شيخ ادباء لبنان مارون عبود كتابا بعنوان « ادب العرب »

❋ اصدرت الكاتبة اللبنانيه ليلى البعلبكي كتابا بعنوان « الآلة الجديدة »

❋ انتقل الشاعر نزار قباني من عمله في سفارة الصين الى سفاره لبنان للجمهوريه العربيه المتحدة .

* انتهى حسن نديم من مراجعة ترجمة (التربية العاطفيــة) لجستاف فلوبيــر الــذي تصــدره وزارة الثقافة بالقاهـــرة .

* « فصول من الثقافة المعاصرة » كتاب جديــد لمحمد عبد المنعم خفاجي تناول فيه الوانا مختلفــة من الثقافة المعاصرة وسير الادباء المعاصريــن فى العالــم العــربـــي .

* « الخواطر والسوانح » كتاب من عيون الادب العربى صدر حديثا . وهو من تاليف ابن ابى الاصبــع بتحقيق وتقديــم الدكتور حفنى شرف .

*** تطبع دار المعارف فى سلسلة نوابــغ الفكــر العربي حلقة عن جمال الدين الافغاني بقلــم محمــود أبــويـــه .**

*** انتهى الدكتور سامي النشار من تاليف كتاب بعنوان « نشاة التفكير الفلسفي فى الاسلام »**

*** تعني دار احياء التراث بوزارة الارشاد القومي بالقاهرة بنشر الاجزاء التي توقف نشرهــا مــن كتب « التراث » والتي نشرت بعض اجزائها مثل « النجوم الزاهرة » و « نهايــة الارب » و « مسالك الابصــار » وكذلك بجمع التراث الذي لم يسبق نشره من ديوان البارودي ، ونشر معجم التهذيب للازهر ، وسيصدر منه جزءان ، وهو اصل من الاصول التي اعتمد عليها معجم « لسان العرب » .**

* « ادب المعتزلة » دراسه عن ادب المعتزله الــى نهاية القرن الرابع الهجرى وتأثرهم بالثقافة اليونانيه ومدى انطباعات هذه الثقافه على الانتــاج الادبــي . سيظهــر قريــبا هذا الكتــاب .

* « روبرت بروك شاعر الحب والسلام » هــذا هو عنوان الكتاب الجديد الذى الفــه الاستــاذ كمــال الحناوي . وقد جمع فيه المؤلف قصائد الشاعر بروك وقدمها بدراسة عن شعره . وقد عاش الشاعر المذكور خلال فترة الحرب العالمية الاولى وكتب اروع قصائــد الحب والسلام .

* قررت وزاره الثقافة بالقاهره شراء خمسين فى المائة من انتاج الادباء الناشئين بعد عرضه على لجنة مختصـــة .

*** رخصت جامعة الازهر لفتاة اميركية متابعــة دراستها بها . وقد اعتنقت هذه الفتاة الدين الاسلامي منذ بضع سنين ، ثم تفرغت لدراسة اللغــة العربيــة دراسة عميقة . واستبدلت اسمها الاميركي «فرديكا» بالاسم العربي « خديجة » . وقد قرر الشيخ محمــد شلتوت عميد الجامعة المذكورة ان يخصص لها أساتذة يلقنونها الدروس على حدة ، حتى لا تختلط بالطــلاب الذكور ، وذلك صيانة لتقاليد الجامعة .**

* اصدرت الجمهورية ع . م . طابــع بريـــد بمناسبة المساعدة التي قدمتها اليونيسكو لحمايـــة آثـــار النوبـــة .

* سيؤسس فى القاهره دار اوبرا جديدة بعدمــا ادت الدار القديمه وظيفتها فى خدمة الثقافة الفنيـــة زهــاء سبعــين عامــا .

* تم التعاقد بين الناشر الايطالي والدكتور حامد ربيع استاذ العلوم السياسية المساعد بجامعة القاهرة على نشر مؤلفين خلال هذا العام . الاول بالايطاليــة « كارل ماكس من الخرافة الى الحقيقــة » والثانـــي « الصراع حول قناة السويس لعام 1956 واثره فــي التطور المعاصر للاستراتيجية السياسية » .

* اعد الدكتور محمد مندورا كتابا جديدا بعنوان « فنون الادب » يناقش فيه النظريات الادبية التقليدية ازاء فنون الادب المختلفة .

* استقال انور المعداوي من عمله بوزارة التربية والتعليم بالقاهره ، تمهيدا للتفرغ الذى وافقت عليــه الوزارة المذكورة .

* « محاولة لفهم الشعر الحر » كتاب جديد يعده النــاقــد علي سلس .

*** اصدر الاستاذ احمد حسن الزيات كتابا جديدا بعنوان « عبقرية الاسلام » وضعه على غرار الكتاب الذي الفه شاتوبريان عن « عبقرية المسيحية »**

* اشترى الدكتور محمد يوسف نجم استـــاذ الادب بجامعة بيروت 17 مسرحية مخطوطة كان فقيد الفناء سلامة حجازى يقدمها على مسرحه .

* اعلنت المديرية العامة للآثار العراقية ان بعثة آثار اميركية عثرت خلال هذه السنة على سبعة هياكل عظمية تعود الى العصر الحجري ، وذلك خلال قيامها بالتنقيب عن الآثار في كهوف شانيدا القريبة من راوندوز بشمال العراق . واظهر فحص العظام وغيرها من المواد العضوية ان الهياكل تعود الى50000 سنة مضت ، ويراس بعثة الآثار الامركية الدكتور رالف سولكي احد اساتذه جامعة كولومبيا .

* ستعنى جمعية علوم الآثار اليونانية بحفريات في مقاطعة مقدونيا الغربية حيث ظهرت بعض قطع الرخام التي تعود الى حقبة خلفاء الاسكندر على اثر أعمال حفر جرت في قرية بيرغوس بالقرب من غوزاني . ويبحث ايضا علماء الآثار اليونانيون والاميركيون عن بقايا مدينة « فيا » القديمة التي قامت على شاطيء البلوبيز الغربي .

*** تعاقدت حكومة اندونيسيا مع دار يابانية للنشر على طبع 5 ملايين نسخة من القرآن الكريم .**

* ذكر احصاء الامم المتحدة ان الهند احدى الدول الخمس التي تعد من اكبر ناشرات الكتب في العالم .

*** تنبأت الروائية الاميركية بيرل باك بأن الصين ستصبح اعظم قوة على وجه الارض بالذكاء والحس العقلي والطاقة المتزايدة .**

* « شعراء نجد المعاصرون » هو اسم الكتاب الذي الفه شاعر الجزيرة العربية عبد الله ادريس . ويعرض فيه الوانا مختلفة من الشعر .

* بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الشاعر الهندي طاغور ، نشرت في موسكو مجموعة من كتبه .

*** مائة وعشرون بعثة جيولوجية ارسلت الى جمهورية كازاخستان السوفياتية لدراسة طبقات الارض والتنقيب عن حيوانات ما قبل التاريخ .**

* ذكرت وكالة طاس السوفياتية ان علماء سوفياتيا عثر على آثار اقدام هي الوحيدة من نوعها في العالم لحيوان الديناصور في واد يقع في منطقة بامير .

وقالت الوكالة ان الخبراء في موسكو يعكفون على دراسة صور هذه الآثار ويعتقدون انه حيوان يبلغ وزنه ثمانية عشر «طنا» وهو من نوع الديناصور الذي عاش قبل 200 مليون سنة .

* في 11 نوفمبر الماضي مرت على وفاة الكاتب الروسي الكبير ليون تولستوي خمسون عاما . وبهذه المناسبة احتفلت روسيا والعالم الادبي بهذه الذكرى .

* نشرت صحف القاهرة ان عميد جامعة الازهر سيزور موسكو في السنة المقبلة ، تلبية للدعوة التي وجهتها اليه اكاديمية العلوم بها .

* عثر الدكتور عمانوئيل فلاك عضو بعثة علم الآثار التشيكوسلوفاكية على نسخة من كتاب نادر تعود تاريخه الى القرن الثامن عشر ، وذلك في احدى مكتبات جامعة اللاما بفاغان ، ويتضمن الشروح الوافية والاوصاف عن مختلف الحيوانات وعلى الاخص رسوم واوصاف رجل الجليد . ويتحدث الكتاب كذلك عن رجل جليد ، وجدت اقدامه مرارا دون ان يتمكن احد من القاء القبض عليه . وهذا بسبب وجود هذا الانسان في اراضي آسيا .

* احتفلت المانيا بذكرى فيلسوفها الكبير ارثر شنهاور ، وذلك بمناسبة مرور مائة عام على وفاته .

* اكتشف الدكتور محيي الدين السناوي في برلين مخطوطة عن رسالة « ابن النفيس » في الطب ، الذي يعد اول من اكتشف الدورة الدموية الصغرى في الانسان قبل الانجليزي هارفي بقرون .

*** نظمت كلية الحقوق والعلوم السياسية والاقتصادية بستراسبورغ مناظرة حول الحماية الدولية لحقوق الانسان بمناسبة الذكرى العاشرة لامضاء الاتفاقية الاوربية لحقوق الانسان ، وشارك في هذه المناظرة عدد كبير من علماء القانون والمحامون من مختلف انحاء العالم .**

* احتفلت برلين الغربية أخيرا بمرور عشر سنوات على اهداء « جرس الحرية » الى مجلس برلين، تقديرا لكفاح العاصمة الالمانية من اجل الاحتفاظ بحريتها وسلامتها .

* سيقام في بيروت احتفال كبير تكريما للشاعر اللبناني بشارة الخوري (الاخطل الصغير) . وقد دعا الى هذا الاحتفال الشاعر اللبناني الرمزي سعيد عقل.

* صدر في الايام الاخيرة في بيروت ديوان جديد للشاعر اللبناني الشهير سعيد عقل بعنوان « اجمل منك ، لا ... » وقد صدر لهذا الشاعر حتى الآن الدواوين الآتية « قدموس » « المجدلية » « بنت يفتاح » « رندلي » علاوة على كتابه النثري « لبنان ان حكى » .

* تقوم السيده عائدة ادريس بترجمة كتاب سيمون دي بوفوار « للعمر حكاية » ، وذلك من اللغة الفرنسية الى العربية .

* « لم يعد صدرك مهدي » قصه طويلة للاديبة اللبنانية ليلى بعلبكي ، وقد صدرت اخيرا .

*** منحت الجائزة الادبية الكبرى لرئيس الجمهورية اللبنانية الى الناقد اللبناني الاستاذ مارون عبود المعروف بـ « ابي محمد »**

* اصدر حديثا الاديب اللبناني المعروف خليل رامز سركيس كتابين بعنوان « ايام السماء » و «وصية في كتاب» ، وبالاضافة الى هذين الكتابين فقد اصدر المؤلف من قبل كتابين آخرين بعنوان « من لاشيء » و « صوت الغائب » .

* سجلت مسرحيه «بنفسج» نجاحا كبيرا في اخراجها على المسارح الاوربية ، وهي من تاليف الكاتب المسرحي جورج سحاده ، صاحب مسرحيات « سمر الامثال » « حكاية فاسكو » « السيد بول » .

* اعلن الدكتور عوني الدجاني مدير الآثار الاردنية اكتشاف مقبرة بيزنطية في منطقة الخليل والعثور على تماثيل كثيرة للمسيح على الصليب . وقال الدكتور الدجاني ان الحفريات في البتراء في جنوب الاردن ستستأنف لمدة ثلاثة اشهر بالتعاون بين دائرة الآثار الاردنية والمدرسة البريطانية للآثار في القدس . وسيحاول علماء الآثار ، الحصول على برهان بان افراد قبيلة الانباط العربية قد احتلوا البتراء ، كما انهم سيواصلون اعمال البحث في نظام حكم الانباط خلال القرن الاول بعد الميلاد ودراسة دخول الرومان البتراء ، وصناعه الفخار التي كان يقوم بها الانباط .

* توفي ببيروت المستشرق البريطاني جون فيلبي عن 75 سنة .

*** صدر في عمان العدد الاول من مجلة « رسالة المعلم » عن وزارة التربية والتعليم الاردنية . فنرحب بالزميلة الجديدة راجين لها كل توفيق .**

* اكتشف في عمان ضريح وقارورتان من الفخار وسيف ، تعود جميعها الى 3 000 سنة ق.م. في مقاطعة الزرقاء التي تبعد بـ 30 كلم الى الشمال عن عمان . واعلن الدكتور عوني الدجاني رئيس دائرة الآثار في الاردن ان هذا الاكتشاف ينفي نظرية عالم الآثار الاميركي نيلسون غلوك بانه لم تكن في عمان حضارة قبل 1 900 ق.م.

* اعلنت مديرية الآثار العامة في بغداد موافقتها على طلب تقدم به معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو لاستئناف عمليات التنقيب عن الآثار في موقع نفر بالمنطقة الوسطى من العراق . وكانت بعثة هذا المعهد قد توقفت عن التنقيب في الموقع ذاته في بحر عام 1957 . ويتوقع وصولها الى العراق لاستئناف اعمالها . ومن المنتظر ان تصل في الربيع القادم ايضا بعثة اثرية بريطانية برئاسة ماكس‌ملوان زوج الكاتبة القصصية اغاتا كريستي كما يؤمل ان تصل بعثة يابانية اثرية لاستئناف التحريات في موقع التلالات الاشوري في شمال العراق . وتقوم الآن بعثة عراقية بتحريات في منطقه شهرزور التي‌ستغمرها مياه خزان دربندي‌خان وتقول مصادر دائرة الآثار انه تبين ان بين الالواح الفخارية الثمانية التي عثرت عليها البعثة العراقية ـ وهي ترجع الى عصر حمورابي في القرن الثامن عشر ق . م .

* اوقف الشاعر العراقي المعروف محمد المهدي الجواهري نقيب الصحافيين العراقيين جريدته « الرأي العام » عن الصدور . وقد تولى نجله فرات الجواهري اصدارها .

*** صدرت في بغداد مجلة ثقافية بعنوان «التضامن العراقي» فنرجو ان تؤدي رسالها الهامة**

فهرس العدد الثالث ـ السنة الرابعة

الصفحــــــة

دراســـات اســـلاميـــة

ابـــحـــــاث ومـــقـــــالات

※ ترجمت المستشرقة الالمانيه أنا ماري شيميل مقدمة ابن خلدون الى اللغة الالمانية .

※ بعث خمسون كاتبا فنلنديا رسالة احتجاج الى وزارة الثقافة الفرنسية على اضطهاد موقعي المنشور الشهير بشان الجزائر

※ اصدرت سيمون دي بوفوار كتابا جديدا عن الممثلة « بريجيد باردو » تناولت فيه التركيب النفساني للنساء .

※ أوصى المؤتمر الثقافي الفني لدول البحر الابيض المتوسط الذي عقد في ايطاليا بانشاء مدينة لادباء المنطقة وعلمائها وفنانيها في احدى دول البحر الابيض المتوسط .

※ قررت محكمه لندنيه بعد مناقشات سرية منع خادم الاميرة مرغريت السابق ، السيد جوهن دافيد باين من نشر اي شيء سواء باسمه الخاص ، أو السماح لغيره بنشر مقالات عن العائلة المالكة . وذلك بناء على طلب قدمته الى المحكمه الملكه الأم . كما منعت المحكمة خادم الاميرة البريطانية السابق من اعطاء أية ارشادات للصحافة عن العائلة المالكة . وصرح السيد باين الذى له حق طلب الغاء هذا القرار بأنه في ظنه لايؤثر على نشر مذكراته في فرنسا والمانيا . ويلاحظ أن جريدة « فرانس ديمانش » التي نشرت القسم الاول من مذكرات باين تباع الآن في لندن .

※ اصدر الكاتب الانجليزي فيليب تودى كتابا في منشورات « هامشهاملتون » الانجليزية عنوانه « قضية سارتر » تناول فيها بالبحث موضوع التهمة التي استدعى لاجلها الفيلسوف الفرنسي سارتر الى المحاكمة بسبب دفاعه عن الجزائر . ولاستجوابه عن البيان الذي وقعه مع كل المثقفين والادباء الفرنسيين احتجاجا على سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر .

※ ظهر في لندن اخيرا كتاب جديد بعنوان « نوره في الجنة » يروى قصة امرأة كافحت لتحرير اندونسيا . الفه الكاتب الاندونسي كانوت بانترى .

※ نسخة واحدة من كتاب قديم بيعت في هذه الايام بانجلترا بمبلغ 11 الف جنيه استرليني . وترجع اهمية هذا الكتاب الى انه اول كتاب طبع في اكسفورد سنة 478

※ تعاقدت شركة بارامونت مع تشرشل على انتاج فيلم عن الكتاب الذى أرخ فيه لفترة شبابه . وكذلك المجلدات الاربعة من كتابه « الازمة العالمية » .

※ قررت الولايات المتحدة ان تقترح تخصيص مبلغ ايضافي من المال قدره مليون دولار للنهوض بالبرامج التربوية والثقافية التي تقوم بها منظمة اليونيسكو في الاقطار الناشئة .

※ توفيت في بروكلين بنيورك صاحبة جريدة « مرآة الغرب » السيدة انخلينا دياب عن سبعين سنة

※ الفيلم الروسي « اغنية جندي » فاز بلقب احسن فيلم في مهرجان سان فرانسسكو الرابع للافلام .

※ اجمع النقاد الاميركيون على ان قصة جون ابديك الجديدة « اركض ايها الارنب » . هي من اجمل بل من اعظم القصص التي ظهرت هذا العام .

※ نظمت خمس جامعات اميركية دراسات عن الشرق الاوسط هي ميشيجان ، وجون هوبكنز ، وكولومبيا ، وبرينستون ، وهارفرد .

※ اكتشفت في ارغوس عاصمة ارغوليد القديمة عدد من الاضرحة يعود تاريخها الى نحو 900 سنة قبل الميلاد ، وهي تحتوى على قطع من الخزف وادوات نحاسية وملافظ شعر ذهبية وتشرف على اعمال التنقيب اولغا الكسندرى .

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى



العدد الرابع - السنة الرابعة
شعبان 1380 يناير 1961
ثمن العدد درهم واحد

الصفحة

شؤون افريقية

معرض الكتب

ديوان دعوة الحق

قصة العدد

آفاق فنية

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

حول قضية التعريب

يبــدو ان قضية التعريب فى بلادنا قد بدات تحظى باهتمام متزايد من طرف المسؤولين ، ولعل المؤتمر الاخير الذى عقد بالرباط لشؤون التعريب والمحاولات الاخرى التي سبقته دليل على ان هذه القضية التي كثر الحديث حولها متصلة اتصالا وثيقا بشعورنا القومي ومرتبطة ايما ارتباط بمقوماتنا الاساسية كامة عربية تدين بالاسلام وتطمح فى استكمال اسباب سيادتها لتؤدى رسالتها التاريخية من جديد فى هذه الحياة .

ان سعينا للحفاظ على اللغة العربية والمطالبة بتطويرها واعزاز جانبها تبرره ضرورات قومية لاينكر اهميتها الا مكابر عنيد ، فالشعب الذي يطالب بحفظ لغته انما يطالب فى الحقيقة بحفظ تماسكه ووحدته ويطالب بحفظ استمراره فى الوجود ، وحفظ شخصيته التي تعتبر اللغة عنوانا لها وتعبيرا عنها وتحديدا تستبين من خلاله ثقافة الامة ورسالتها وحياتها الروحية ونظرتها الى الوجود .

ليس هذا الكلام من قبيل الشعر كما يتخيله البعض بل حقيقة اجتماعية علمية تفرض ذاتها بمجرد التأمل فى طبيعة اللغة والوظائف التي تؤديها للفرد والمجتمع ، فحسبنا ان نغترب فى بلاد اعجمية زمنا طويلا لنرى كم يشتد حنيننا الى لغتنا ، وكم تعظم فرحتنا عندما نصادف احد مواطنينا فنتحدث اليه ونستمع منه فنحس فى نفوسنا شعورا قويا باتصال عميق وتفاهما صميما ينبع من داخلنا عكس الذي يحدث عندما نخاطب الاجنبي ، وكذلك الامر بالنسبة لماضينا وتاريخنا ، اننا لم نشاهد ابطالنا وشعراءنا وفلاسفتنا وعلماءنا مشاهدة عينية ولكنا نشعر بألفة عميقة وسحر دافق ونحن نقرأ تراثهم ونتأمل افكارهم ونتملى بمآثرهم وامجادهم ، بل ان اللغة اكثر من هذا رمز حي وصورة شفافة لعقليتنا وكياننا ومظاهر حياتنا اذ عن طريقها نتناقل افكارنا وتصوراتنا ومعتقداتنا واساليبنا فى العمل والسلوك ، والذين خبروا شؤون اللغة يعرفون ان الكلمة ليست مجرد احرف جامدة وانما هي ذات تكمن فى صميمها روح حية نابضة ؛ فالآية الكريمة **(ان اكرمكم عند الله اتقاكم)** تحمل فى كلماتها القليلة المعدودة نظرة الامة العربية الى الانسان والمعيار الذي ينبغي بمقتضاه ان يحدد السلوك البشري ويقوم .

وعليه فان اهتماما بقضية لغتنا ومستقبلها اهتمام بوجودنا ووحدتنا وباستمرارنا وبشخصيتنا كامة هادفة تعيش لتحقيق رسالة سامية فى الوجود ؛ فنتمنى ان يظل هذا الاهتمام مستمرا موصولا ومقرونا باعمال ايجابية ؛ وليست التضحيات التي يمكن ان نتحملها فى هذا السبيل سوى ضريبة تدفع عادة عند التمسك الشديد بسيادة الامة وعزتها وكرامتها .

دعوة الحق

حملة دينية للوعظ والارشاد

تنظمها وزارة الاوقاف بمناسبة شهر رمضان

نظرا لاهمية هذا الشهر المبارك ولمكانته فى نفوس المسلمين ، وبأمر من صاحب الجلالة الملك المعظم الذي ما فتىء يولي عنايته الفائقة لشؤون الدين ، قامت وزارة عموم الاوقاف بوضع برنامج واسع لتعميم دروس الوعظ والارشاد فى سائر انحاء المملكة المغربية .

ففي منتصف شهر شعبان استدعى وزير الاوقاف بعض النظار وباحثهم فى قضايا سير الوعظ والارشاد بالمساجد التابعة لدوائرهم وابلغهم رغبة صاحب الجلالة فى ان يتخذ شهر رمضان صبغة دينية تتلاءم ومعانيه القيمة الجليلة ، وان يكون مناسبة يتبارى فيها العلماء والفقهاء فى حمل الناس على التفقه فى امور دينهم واتباع سنة نبيهم وحث المواطنين على التشبث بالفضيلة ومكارم الاخلاق ، وتحقيقا لهذه الرغبة اصدر وزير الاوقاف تعليمات الى جميع نظار المملكة تقضي بتعيين وعاظ ومرشدين مقتدرين بمختلف المساجد التابعة لنظاراتهم ، وتنظيم دروس مستمرة فى الوعظ والارشاد وتزويد المساجد بكل ما تحتاجه من لوازم .

وقد استدعى وزير الاوقاف من جهة اخرى عدة شخصيات من علماء الدين وحدثهم عن الدور الذي ينتظره منهم صاحب الجلالة فى القيام بسلسلة من الاحاديث التوجيهية خلال هذا الشهر المبارك ، تراعى فيها المبادىء والاهداف التي اكدت عليها ديانتنا السمحة ، وقد اظهر العلماء جميعا استعدادا كبيرا وتطوع معظمهم لالقاء دروس دينية علمية فى المساجد واحاديث اذاعية ، ولهذا سيستمع المواطنون خلال هذا الشهر الى سلسلة من الكلمات الدينية يلقيها كل ليلة وبالتناوب جماعة من اعلام الدين والفكر فى المغرب .

اعاد الله هذا الشهر على صاحب الجلالة والشعب المغربي وسائر المسلمين باليمن والخير والبركات

قبل الأوان حملها وكم من مواطن فقد وعيه غما وكمدا وكم من روح فاضت حسرة ونكدا فلم يشهد المغرب بل العالم كله يوما كيوم فراقك ، كانت الاصوات تتعالى كالرعود القواصف وكانت شهقات البكاء تهدر كهدير البراكين ، لقد فداك الشعب حيا وحاول ان يفديك عندما التحقت بالرفيق الاعلى ولم يسجل التاريخ ان خليفة نعي كما نعيت ولم يتحدث عن ملك او قائد ندب كما ندبت وانا ابنك وارث سرك والمتقرب بك الى ربك والمتبرك بتراب نعلك صعقت اعظم صاعقة وتحيرت بين عاطفة عمر الفاروق الشديد الحازم وبين اطمئنان ابى بكر الصديق المومن الصابر وقد حدا بي الاشفاق على هذا الشعب العزيز وقد برحت به البلوى وعظم عنده بفقدك الخطب ونضب منه امام هول الفاجعة معين الصبر ان اصيح في وجه الجميع بمثل مقالة عمر : من زعم ان محمدا قد مات ولكن اطمئنانا كاطمئنان ابى بكر الصديق غمر قلبي بعد أن تذكرت وصاياك الابوية الكريمة فانزل الله بها السكينة علي ورددت ما ردده جدك الكريم يوم فقد ولده ابراهيم : العين تدمع والقلب يخشع ولا نقول الا ما يرضي الرب وانا على فراقك لمحزونون

ان تلك الطمانينة التي تعمر قلوب المومنين كلما حم القضاء ودعا داعي السماء هي التي الهمت ابا بكر الصديق ان يثبت قلوب المسلمين الهالعين يوم فقد الرسول

ابتاه

وبنفس هذه الطمأنينة استعادت ذاكرتي وصاياك الكريمة التي كنت تزودني بها وفي طليعتها خطابك الذي وجهته لي والذي ضم جوامع كلمك ذلك الخطاب الذي سيبقى لي نبراسا يضيء لي السبيل . ألم تتوجه الي في ذلك الخطاب بهذا القول الحكيم :

اعداد لتحمل المسؤولية

يابني لقد اخترت لك من الاسماء الحسن لاربط بين حاضر البلاد وماضيها القريب والبعيد وليكون لك في جدك المولى الحسن خير اسوة واعظم قدوة فلم تكد تطل على السادسة من عمرك حتى قدمتك للمعلم ليلقنك آيات القرآن وليغرس في قلبك الطاهر الفتي حب الدين وعزة العروبة والاسلام — ولما ترعرعت يا بني اخترت بقاءك تحت سماء المغرب ليتم تكوينك الثقافي في بيئة مغربية فبنيت لك مدرسة خارج القصر لينربى فيك الاعتماد على النفس فحرمتك من مجاملة الخادمات وحنان المربيات حتى تزدهر شخصيتك وتصبح عصاميا بارزا قبل ان تكون اميرا ثم احطتك برفقاء من مختلف طبقات الشعب لاني كنت اريد ان اعدك اعدادا منتزعا من بيئة شعبك فكنت احرص ان يعاملك رفقاؤك كباقي اخوانك التلاميذ تقارعهم الحجة بالحجة فلا يخضعون لك الا بمقدار ما تبديه من تفوق ومعرفة وهذا ما كنت ارجوه من المدرسة المولوية : انعزال عن القصر واعتماد على النفس وخوض معركة الحياة . لقد سهرت يا بني على بناء المدرسة وبرامج التعليم وكنت المفتش فيها والمراقب وكنت افاجئكم فيها واحيانا بالليل فكنت تقوم وتسرع لي باسما مبتهجا كما اني كنت اراقب دفاتر واجباتك فأجازيك اذا تفوقت واعاقبك اذا قصرت ولكن والحمد لله قلما كنت متأخرا

يا بني لقد كنت صارما مع الاساتذة وكنت الح عليهم ان يعودوك الطاعة والامتثال وان لا يتساهلوا معك وان لا يحترموا فيك الا القيم الانسانية المجردة وما افاء الله عليك من ذكاء وعلم وادب وعمل وكان غرضي ان تتعلم الطاعة لتعرف في يوم من الايام كيف تملي اوامرك لان من يلقى الطاعة جيدا املاها جيدا

يا بني ان والدك يومن بأن قيادة الامم وتسيير الدول فن قائم بذاته فلا يكفي فيه التعليم والتربية وحدهما بل لا بد من تكوين عملي يومي مباشر يخرج من القلب فيصل الى القلب

فاعددتك مواطنا مغربيا قبل اعدادك اميرا فقد كنت اقص عليك تاريخ بلادك ومواقف اجدادك كما كنت ألقنك معنى المواطنة حتى تؤدى ولاية العهد التي اطلتها بك . واحرص على أن تومن بالواجب الوطني والصالح العام ، وكنت ادفعك لتتعمق في فهم معنى هم الشعب لتخدمه الخدمة الصادقة

ان مهمتك خطيرة فيجب ان تزداد من العلم والمعرفة . يجب أن تدرس الافراد وان تعرف الشخصيات « يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور »

خطاب جلالة الحسن الثاني في الذكرى الأربعينية

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

« وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا : انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون »

فى هذا الموقف الخاشع الرهيب الذى يرفرف عليه روح امامنا الراحل العظيم وقائدنا المهدى الهادي الى الصراط المستقيم ، فى هذا الموقف الجليل ، وفى هذه الذكرى الاليمة ، ذكرى المصاب الجسيم بفقد ابى الامة المغربية جمعاء ، لاسمعي كابن بار وثمرة من ثمار محمد الخامس ، الا ان اوجه سمعى وجدني وقلبي الى محمد الخامس ، اتوجه باسمى واسمكم الى والدى ووالدكم الى زعيمي وزعيمكم الى قائدى وقائدكم الى الشعلة التي انارت لنا الطريق الى روح محمد الخامس رضي الله عنه وطيب ثراه

ابتـــاه

منذ اربعين يوما مضت وافاك الاجل المحتوم ونودي عليك من الملا الاعلى فلبيت النداء مبتسما لدعوة السماء ابتسام الذين نالوا ارفع الدرجات فودعتنا ولكن بقلب مطمئن ونفس راضية وفارقتنا على نداء : « يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي فى عبادي وادخلي جنتي » ورفعت على اجنحة العمل الصالح الى المقام الاسمى الرابح ، مقام العزة والرضوان واتصلت بالرفيق الاعلى اقتبال العارفين من طرف الملائكة المقربين « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها : سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين »

فهنيئا لك بجوار ربك مع الذين انعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين

هنيئا لك اباه بتحقيق الرؤيا التي بشرك بها الصديق الذى اصبحت له بفضل الله نعم الرفيق ، اذ قد صبرت وصابرت وجاهدت ورابطت وعاهدت فوفيت وقلت فصدقت « من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم »

الفاجعــة المهولــة

ايها الراحـل العظيـم

فارقتنا منذ اربعين يوما فقامت قيامتنا لهول الفاجعة وذهلنا لعظم الواقعة فكم من حامل وضعت

المتعلمين فى المدارس والجامعات بل انك حاضر فى ضمائر المغاربة اجمعين انت حاضر فى قلوب المتقفين وفى عزائم المقاومين وفى ثورة الثائرين وتضحية المضحين حاضر فى نهضة الفن والفنانين اذ انت الذي ابقظ الضمائر واحياها وانار البصائر وارشدها واثار العزائم وشحذها فلقد كنت القائد المغامر السائر فى الطليعة والمجاهد المثالي الذي اعطى فى الجهاد الامثلة الرفيعة فما الوعي الوطني الا ثمرة من ثمار غرسك فلقد خلقته وتعهدته وربيته وغذيته كنت توجه النداء تلو النداء كلما انحرف المواطنون عن الجادة أو كاد تسبب وعهم دخل أو عزائمهم وهن الم تحذر فى خطاب العرش قائلا : فحذار من مثبطات الهمم ومحبطات الاعمال ورجوعا ايها الشعب الى التاريخ القريب لندرك الموبقات التي كانت سببا فى ضياع حريتنا منذ نصف قرن — فانه ما عصف باستقلالنا وما انجح المكائد الاجنبية الا الافتراق والاختلاف والتخاذل والتواكل والتردد والتفاخر بالمدن والقبائل والشح بالنفس والمال ووقوف المواقف السلبية وتقديم المصالح الخاصة على المصالح العامة — « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد » فعلينا ان نتمسك باخلاقنا الدينية والوطنية ، وردت تقول : وان نستديم نعم الله بشكرها ونحذر زوالها بالجحود فينطبق علينا المثل الذى ضربه الله للجاحدين « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف مما كانوا يصنعون »

. ايـــــــاه

انك بهذه الوصايا الحكيمة وبمنجزاتك العديدة — وبروحك الطاهرة المرفرفة فوقنا تجعلنا نومن بانك مازلت بين ظهرانينا ترافقنا وتوجهنا وتحثنا على مواصلة السير ومداومة العمل ومتابعة الكفاح لتنفيذ رسالتك والاقتداء بسيرتك والاهتداء بهديك الذى هو هدى الخلفاء الراشدين من قبلك . « اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده »

عقيــــدة وايمـــــان

ايها المكافح العظيم

لقد قضيت صباك تحت نير العهد الاول للحماية فكنت وانت الطفل الصغير تسمع الآهات على الاستقلال الضائع والمجد الذاهب والحرية السليبة وكنت تتابع اخبار المقاومة المغربية المسلحة فى الجبال والصحاري وكنت تشاهد ما عليه الامة المغربية من التشبث بالخرافات والتعلق بالاساطير والخروج عن طريق الجادة والمحجة البيضاء فكنت تتألم وكنت تحزن — ولم تكد تعدو الحلم حتى تحملت الامانة فشهرتها حربا على الخرافات والطرق الضالة وقضيت على المحاولات العنصرية التي كان يريدها الاستعمار لتفريق كلمة الامة واستغلالها لانك كنت تومن بانه لن يستقيم امر هذه الامة الا بعقيدة مومنة سلفية طاهرة نقية وانه لا تتم اية نهضة صحيحة الا بفكر وطني متجرد يعمل للصالح العام لا يفرق بين اسود وابيض وعربي وعجمي « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . ولقد اتت اعمالك الطيبة نتائجها فتم القضاء على الشعوذة والدجل واتجهت الافكار للتعليم والاصلاح فنظمت الجامعات العتيقة وجددت مدارسها واحييت حرائنها وعمرتها وفتحت المدارس وكونت الكليات والمعاهد ودفعت هذا البلد الامين فى طريق الرقي والمدنية — محافظا على العلوم الدينية والتقاليد الاسلامية . ولقد آمنت يا اباه بانه لا يمكن ان يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها فاخرجت المراة من عهد الجهل الى عهد النور والعلم واعطيت بالاميرات فلذات كبدك أروع الامثلة فتسابق المواطنون لتعليم بناتهم ولم تبق الفتاة المغربية حلسا ستري أو رتبة تدخر بل اصبحت تفاخر بالشهادات والتسابق الى المعاهد والكليات فلقد نجحت النهضة النسوية واحرزت المراة المغربية على كامل حقوقها فلم ترحل الى الرفيق الاعلى حتى عادت المراة الى ما وصفت به فى القرآن « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » . وهكذا اصبحت المراة صنوا للرجل فهي تلميذة بجانب التلاميذ طالبة مع الطلبة معلمة مع المعلمين تمثل امتها فى جميع المحافل فى الخارج — وتقوم بجانب الرجل بجميع المهام بالداخل فلم تبق ميدان من ميادين الحياة الا ولجته ونالت حقوقها الاجتماعية وتوج عصرك الزاهر بان احرزت المراة على اعظم ما وصلت اليه فى اى بلد متمدن الا وهو المشاركة فى الانتخابات والظفر بحق التصويت. لقد كانت المراة موؤودة فاحييتها وكانت اسيرة الجهل والتقاليد فحررتها وكنت الملك الصالح المسلم الاول الذى اعاد الامر الى نصابه ورد شان المراة لطريق سوائه . فلئن امتاز القرن العشرون فى المغرب وغيره فى بقية العالم بعدة معجزات فان من اعظم معجزاته فى بلادنا الانقلاب السريع العظيم الذى حصل فى حياة

الم نوجهني بتوجيهك السديد مخاطبا أباي : ها قد افاء الله عليك من عوارف انعامه واضفى عليك سوابغ قبوله واكرامه وألف القلوب على حبك وأطلق الالسنة بمدحك والثناء عليك ـ فاحمد الله الذي شرح للايمان صدرك ورفع بالاخلاق قدرك ونشر بالتضحية في الخافقين ذكرك

واياك ان تحيد عن صراط الاسلام القويم او تتبع غير سبيل المؤمنين فانه لا عدة في الشدائد كالايمان ولا حلية في المحافل كالتقوى واعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة وتقرب منه بالاعمال الصالحة ذراعا يتقرب منك توفيقه باعا واجعل القرآن المصباح الذي تستضيء به اذا ادلهمت الدياجي واشتبهت عليك السبل ولكن لك في رسول الله وصالحي الخلفاء اسوة حسنة اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . أوصيك بالمغرب بلدك الكريم ووطنك العظيم فكن يا ولدي خير خلف لخير سلف ولكن عملك لوطنك ومحافظتك على استقلاله ووحدته امرا تقتضيه منك شرف المسؤولية وتفرضه عليك تقاليد الاسرة في آن واحد وتذكر ان جدك الحسن الاول كان عرشه على ظهر فرسه لكثرة تنقله في البلاد ومسه في مناكبها متفقدا للرعية ساهرا للنكاية مستأصلا لجراثيم البغي والفساد

بكاء الشرق والغرب

ابتاه

من هذه الوصايا الكريمة ايها الوالد الكريم استمددت العون واستلهمت الرشد واستعدت العزم ويشهد الله اني لاجلها قبلت الامانة وتحملت المسؤولية على غير تطلع مني ولا انتظار . ان دفعه بجانبك وانت حي كانت عندي اسمى من كل عرش واعظم من كل ملك وان نفحة من نفحات رضاك التي كنت انعم بها كانت تكفي لاشعر اني اكبر من ملك متوج ولكن اذا كانت البنوة تفرض طاعة الآباء بتنفيذ اوامرهم وهم احياء فهي كذلك تفرض تنفيذ وصاياهم وهم اموات .

فلقد تجندت بسرعة وتحملت بشجاعة الصدمة واعتمدت على الله مستمدا العون منه شاعرا بان رضاك الدائم يحفني وان روحك الكريمة ترعاني .

ايها الوالد الكريم .

ان مما زاد في سكينة قلبي والهمني الجميل شعوري بانك عند مولاك في مقعد صدق في النعيم المقيم وان روحك الطاهرة بفضل الله سعيدة وان العناية الالاهية صحبتك ميتا كما صحبتك حيا وان موتتك لم تكن الا موتة الابرار وتبديل قرار زائف بنعم القرار واستقرارا لدار البقاء على هذه الدار ، ولقد وجدت حسن العزاء وجميل الصبر في تأثر جميع الشعوب والدول لفقدك وفي عزاء جميع قادة العالم في مصابك ساوى في ذلك العرب والعجم والمسلمون واليهود والنصارى فلقد بكاك بصدق الشرق والغرب وفقد فيك العرب قائدا حكيما والمسلمون ملكا صالحا وابا رحيما وفقدت افريقيا في شخصك محررا مثاليا مقداما متزنا صبورا .

انك لم تكن ملكا كالملوك ، انك لم تكن تحمي العرش بالشعب وتستغل المواطنين والوطن من اجل الولاية والسلطان بل كنت الشعب تحرسك وتناضل عن الوطن بنفسك وكنت لا تسأل الراحة والمتعة لشخصك ولا تسعى في المصالح الرخيصة لافراد كبدك والمقربين من اسرتك وانما كان شعارك الدائم هو شعار جدك يوم الموقف الاعظم : اللهم اني لا اسألك نفسي ولا فاطمة ابنتي وانما اسألك امتي امتي امتي .

ولئن امتاز طغاة الحكام بتجنيد المستضعفين لحمايتهم مصالحهم وتحقيق مطامعهم فلقد امتزت انت وسموت انت بان قدمت عرشك واسرتك ونفسك للدفاع عن هذا الوطن ـ فكان الشعب يتسابق لفدائك وكنت سابقه للدفاع عن حوزته وحماية مكاسبه وبهذا السابق للفداء والتضحية حصل ذلك التجاوب العظيم بينك وبين هذا الشعب فتحققت المعجزات التي اثارت اعجاب العالم وتعددت المنجزات التي عرف بها عهدك العظيم وظلت مقرونة باسمك الكريم .

ثمرات غرسك

ابتاه

ان عزاءنا الوحيد ايماننا بانك لست غائبا عنا فانت حاضر في كل مؤسسة ومنظمة تقترن اسمك بملحمة الحرية والاستقلال وتاريخ الجهاد والنضال ، انت حي حاضر في المساجد التي شيدتها وفي الجامعات التي اسستها وفي المؤسسات التمثيلية التي كونتها انت حاضر في قلوب اليتامى في المبرات وحاضر في قلوب

لجلالتك متحديا لمهابتك يساومنا على ان نرضى بالدنية في وطننا ويراودنا على ان نرهن مصير الامة في عبودية مستمره مستعملا لذلك انواع الوعيد ممتطيا لذلك ضروب التهديد ومع ذلك لم يهن لنا عزم ولا ضعفت لنا قناة ، « فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا » . انك لاتزال امامي يوم ان طوق القصر واصبح محاصرا ساكنا كالقبر وما زلت أتذكر وقد نظرت اليك نظرة اشفاق ــ واراك وانت تبتسم مرددا : « لاتحزن ان الله معنا » . وهجم الظالمون على القصر واخرجنا من اهلنا وديارنا لا نعلم أين المصير وحلقت بنا الطائره وودعنا ارض الوطن الحبيب لاندري ما ينتظرنا

ولن انسى ما حييت تلك اللحظة الخطيرة التي عشتها واياك بين السماء والارض داخل الطائرة العسكرية تلك الطائره التي كان منظرها وحده لا يوحي بثقة ولا باطمئنان وعندما علت في طبقات الجو لم يستطع قلبك ان يتحمل ضغط الاجواء ومع ذلك تجلدت وقبلت المخاطرة في سبيل امتك وما هي الا دقائق حتى اخذ قلبك يرجف كالطائر الجريح داخل قفص فاسرعت الى الربابين اطلب منهم ان يسقوك جرعة ماء فامتنعوا فايقنت بالكارثة وفاضت دموعي تجري وضممتك الى صدري وكان عزائي الوحيد أن نموت متمثلين متعانقين ولقد آلمك أن تراني باكيا فاخذت تطمئنني وتقرأ آيات الصبر : « انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب » ، ان ايمانك بالله لم يضعف قط ولم يصبك قنوط في المنفى لانك كنت وانما ممن يعلم السر واخفى لقد كنت تراها اشبه بالهجرة من مكه الى المدينة وكان لك في رسول الله الذى هاجر وانتصر اسوة حسنة . لقد كنا ونحن في المنفى السحيق نتابع بطوله الشعب الذى جند نفسه لفدائك وكنت لا تشك لحظة في عودتك الى امتك ووطنك وكنا نحتلي الساعات الطوال لنضع التصميمات لمغرب الغد الحر المستقل ولم تمض الا شهور حتى صدق الله وعده ونصر عبده وهزم المستعمرين والعملاء وحده وكانت عودتك الظافرة نكسة الشر التى لم تقم له بعدها قائمة « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا »

ايها المقاوم الاول

بثباتك وصبرك وبتضحياتك بسلطانك وعرشك لقنت للمواطنين دروس التضحية والفداء ورسمت لهم طريق الحرية والسعادة والرخاء فتسابقوا للمقاومة والتضحية وتنافسوا في بذل المهج السنية وتساقطوا شهداء في الميدان واسترخصوا كل غال في سبيل الاوطان وبين عشية وضحاها عدت لهاته الامة وانت رمز فداها بل أنت مبدأ التضحية ومنتهاها حاملا في يمناك اليمن والاستقلال وفي يسراك اليسر والاقبال

الجهاد الاكبر

ايها المنظم القدير

لم تسترح لحظه بعد تلك العوده وانما رجعت من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وابتدأت الكفاح لتوطيد دعائم الدوله وتشييد صرحها ومواجهة مهام الاستقلال وضغطها فاقمت الامر على اساس متين واعليت شأن الدنيا والدين فهيأت للامه قوانينها واطاراتها وكونت لها شرطتها وجيشها واقمت لها معالم الثقافه وارسيتها وأقمت مؤسساتها الممثلة واعليتها وبوأتها المقام الاسمى في المحافل الدولية واسهمت بجهودك المباركة في حظيرة جامعة الدول العربيه ووضعت المغرب في المكان المرموق في الامم المتحده واصبحت رسول الحرية والسلام تدعو لهما في الخافقين وتنشر بهما في المشرقين ولم تمض الا شهور على هذا العمل الدائب حتى اصبحت بلادنا قبلة الوافدين ومحط اهتمام الشرق والغرب تقصدها الوفود من كل جانب وتعترف بفضلها الاقارب والاجانب تعقد فيها المؤتمرات وسجل لها التاريخ أروع الصفحات فلم تغادرنا حتى مهدت لنا كل سبيل ، وتركت لنا الخطه والدليل خلفتنا على المحجة البيضاء لايزيغ عنها الا هالك ــ « هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني »

وقد اراد الله ان يصطفيك لجواره الا بعد أن ختم لك بالحج المبرور وان يمن عليك بفضل الوقوف في البقاع المقدسه وكان في حجك ذاك اعظم مغزى ذلك انك وانت في معترك الحياة العملية لاتنسى ان الى ربك

المراة المغربية بفضل توجيهك ونضالك ، لقد كان سر نجاحك انك لم نكن ملكا فوالا بل كنت ملكا فعالا فدعوت لتعليم الفتاة وكنت أول البادئين وناديت بتحريرها وكنت اول المحررين لقد كنت تملي الاوامر بالمنال فذلك سر نجاحك في كل حال

ابـــــــاه

لقد كانت حطتك في الاصلاح مطبوعة بالحكمة ففد كنت ترىد مدنية في ظل الدين ودينا صحيحا مطهرا من دجل الدجالين والمشعوذين فتحملت في سبيل ذلك المحن والمصائب وسار عليك الدجالون من اعوان الاستعمار ونالبوا عليك باسم الدين والدين منهم براء وحاولوا تالب البسطاء والاغرار عليك ولكن الله كان معك وكان وليك وراعيك فنبتك وايدك ونصرك وكم حاول الاستعمار ان يغريك بجميع أنواع المغريات فكنت تردد مع جدك شعاره الدائم في فترة كفاحه العصيب : والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري

الحرية والاستقلال هدفك الاول

ابنـــــــاه

لقد قضيت سبعه عشر عاما فوق العرش تحاول بكل ما في وسعك ان تاخذ لهذه الامة ما يمكن اخده من المستعمر الغاصب وكنت نقلب الرأى وتعد الخطط للتخلص من سيطرته وتهيىء الاطارات بالداخل والخارج في انتظار يوم الخلاص لكي تحسن المغرب الجديد مواجهه مسؤولياته حتى اذا اشرفت الحرب الاخيرة على نهايتها ووجدت الفرصة موانيه للصدع بما قدرت اعلنتها في شجاعة المقاوم الباسل والبطل الصنديد المقوار فحصرت مطلبك في الحرية والاستقلال لوطنك وافهمت العابثين بحقوق امتك انك لن تحيد عن هذا المطلب ولن تساوم او تهاود فيه وهكذا قدت منذ سنة 1944 امتك في المطالبة بالاستقلال فاستقبلت في شهر يناير التاريخي جماهير الوفود ـ وكنت الزعيم المبرز في ذلك اليوم المشهود .

ومند ذلك اليوم وانت تشجع وتنظم وتعد العدة في السر والعلانيه موجها لجميع الحركات ثابتا في الازمات فكم من عزائم خارت فقويتها وكم من مؤامرات حبكت فاحبطتها ولم تكد تصل سنة 1947 حتى ربطت بزيارتك التاريخية بين اجزاء المملكة المغربية فحطمت الحدود المصطنعة وربطت الحاضر بالماضي فأكدت ارتباط هذا الجناح من وطن العروبة بباقي اطرافه ولفت بذلك الخطاب التاريخي انظار العالم الى ان المغرب الذي لعب عبر التاريخي اروع الادوار في بناء صرح المدنية متطلع الى ان ياخذ من جديد مقامه في المحافل الدولية ويساهم مره اخرى في عظمة وازدهار عالم ما بعد الحرب ومنذ ذلك العهد والاستعمار يوالي مؤامراته عليك ـ ويجند الصنائع والعملاء للنيل منك.

الب عليك جرائده في الخارج وحرك اذنابه في الداخل وحاول ان يسد عليك الآفاق وان يؤثر عليك بالدعايات ويشهد الله انك كنت في كل ذلك ثابتا صابرا مكافحا مناورا متكلا على ربك مستمدا العون من سيرة جدك ، كان ايمانك بالله هو ملاذك عند الملمات وكان ربك معينك وموفقك عند الازمات واشهد يا ولدي انه عندما كانت تقسو الظروف والاوقات كان ايمانك النور الذى سطع فيبدد الظلمات والفجر الصادق الذى كان يقضي على ليل الشبهات وبينما كان الاستعمار واذنابه ينتقلون من خيبه الى خيبة ومن مؤامره الى مؤامره كان الله يرد كيدهم في نحورهم وتدور الدائرة عليهم اما أنت فكنت تنتقل من نصر الى نصر ومن فوز الى فوز ومن مجد الى مجد ـ فما ودعك ربك وما قلى ولا عنك في يوم تخلى شعارك الدائم : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين . يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ، يا ايها الذين آمنوا كونوا انصارا لله ، الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمه الله هي العليا والله عزيز حكيم ، وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » .

لم تقم للشر قائمة

ايها الوالد الحبيب

في هذا الموقف الرهيب اتذكر فترة تاريخية عشتها بجانبك حينما تكالب علينا الاستعمار مهددا

أمانـــة وامتحـــان

ابتــــــاه

لقد فارقتني وخلفت في عنقــي امانتين : القيــام بواجب الاسرة الكبيرة والاسرة الصغيرة ، انها مهمــة خطيرة ، انها مسؤوليــة عظمــى ، مسؤوليــة القيــام بالواجب نحو اثنى عشر مليونا من المواطنين الذين هم جميعا ابناؤك انهم يتامى فقدوا اباهم فجعلنــي الاب الثاني لهم والقائم مقامك في شؤونهم انها مهمه خطيــره ولكن اتباعي لوصاياك والسير في سبيلك ، وحضــور روحك سيمدني بالقوه والمثابره وعنــدي اليقيــن ان اقتباسي هدايتك سينير لي السبيل وان بعد عنــي بجسمك كما كان ينير لي السبيل وانــا منك قريب وساجد في تبادل الاتصال الروحــي والتجاوب بينــي وبينك حلا لكل مشكلة ومخرجا من كل مازق ، فلقــد صاحبتك ورافقتك . وامنت ان العنايــه الالاهيه لــم تفارقك قط ، وعندي الامل في الله قوي انها ستصاحب ولي عهدك من بعدك والقائم بأمرك حتى تكون خير خلف كما اردت لخير سلف

ان هذه الامانة امتحان عسير ولقد تعودت منــك ان تلقاني كلما نجحت في كل امتحان تلقاني بابتسامتك الابويه الطاهره الحنــون وكــل املي في الله سبحانــه وتعالى ان انجح في هذا الامتحان حتى اذا نزل القضاء والتقينا برحمه الله في دار الخلد والرضوان قرت منك تلك الابتسامة مهنئا لــي بالنجاح في الامتحان الاكبر

انني اجتهدت وثابرت دائما لاحظــى بابتســامــة الرضا اثر كل امتحان وسابذل اعظم الجهود واتحمــل كل المشاق حتى اكون اهلا لتلك الابتسامه الخالــدة في فرادس الجنان يوم ينعم الله علينا باللقيا والرضوان

ابــــــــاه

ها انــا امام قبرك الطاهر وتحت نورك الباهــر اعاهد الله واعاهدك واعاهد الشعب على انني سأسيــر على سنتك وسأقتدي بسيرتك سأسهر بعيــن لاتنــام حتى احقق لشعبي العزيز ما يصبو اليه وسأعمل كامل جهدي ، حتى ياخذ كل ذي حق حقه . وسأعبيء الامة من اجل صالحها ولصالحها حتى نلتحق بالركب السائر، وحتى نقضي على التخلف في جميع مظاهره . اعاهدك الله ان اكافح كما كافحت واناضل كما ناضلت واكــون مع الشعب لصالح الشعب ولاجل الشعب متخذا مــن شعبي درعا حاميا للعرش وان اجعل العرش في خدمــة الكفاح من اجل صالــح الشعب حتى نحقــق المجتمــع الاسلامي السعيد الذي كنت تحلم به مجتمعا متقدمــا متزرفها متدينا في ظل المدنيه ممتدا في اطــار الشريعــة الاسلامية ، محافظا على القيم الحميدة سائرا في سبيل الاحراز على فضائل العلوم والمدنية مجتمعا يسعد فيه المواطنون ذلك عهد بيني وبينك والله على ما اقول وكيل

اللهــــم . .

ابتـــــــاه

في هده الساعة المليئة بالخشوع ، وقد كثــرت الآهات وجرت الدموع وأمام هاته الخلائــق المومنــه ، نتوجه الى ربك الرحيم رافعين اكف الضراعة قائليــن : اللهم يا من وسعت رحمته كل شيء ارحم عبدك أميــر المومنين اللهم اجعله في جــوار المحبوبين من الصديقين والشهداء والصالحين

اللهم ارزقه نعم الشهداء المقربين

اللهم استقبله في خلدك باحسن ما استقبلت بــه عبادك المحبوبيــن : « ســلام عليكــم طبتم فادخلــوها خالدين » . اللهم كما شرحت صــدره ورفعت ذكــره اجعل له الآخره خيرا من الاولى اللهم ارفــع مقامــه في المقامات ودرجته في الدرجــات ، اللهم انــه ابن نبيــك وسمي رسولك . فاجعل له بنسبه سببا وباسمه ذمة ونســـــبا

اللهم انه صديق قرآنك والمحافظ على صلواتك ومناجاتك فاجعل القرآن له نورا واجعل صلاته طريقا لرؤيتك ورضوانك . اللهم ان ثقته بك كان لا تحصيهــا عد فاعطه على قدر كرمك وجودك

اللهم اجعلنــا من المهتدين بهديــه ، وثبتنــا على صراطه وسنتــه ، واجعلنا من الوافين بعهده ولا نـــزغ قلوبنا عن وصاياه ونهجــه

اللهم اجعله قرير العين باعمال أمته . اللهم وفقنا للاعمال الصالحة حتى ترضى عنا روحه ، اللهم وفقنا حتى نحقق لهده الامه ما كان يريد لها ، اللهم انــه كان يريد لها الوحده فوحد كلمتها واجمع شملها وألف بين قلوبها . اللهم انه كان يريد لها العلم فعلم جهلها . اللهم انه كان يريد الاخلاق الصالحــة لها فهذب اخلاقهــا ، اللهم انه كان يريدها امة قرآنية مسلمة عربية فوفقنا لخدمة العروبة والديــن

اللهم اعط لوالدنا وزعيمنــا وقائــدنــا احســن ما اعطيت للذين انعمت عليهم ، اللهم كما انعمت عليه بالنسب الاصيل والاسم الجميل والخلق الجليل اجعله في مقعد صدق مــع الذيــن انعمت عليهم مــن النبئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا صدق الله العظيم وهو حسبي ونعم الوكيل انــه نعــم المولــى ونعــم النصيــر

الرجعي وفي جهادك لنبوئه امنك المقام الاسمى لاتفضل عن ان ماقي الآخره خير وابقي وسم رضى الله عنك حينما اختارك بجواره في شهر الغفران الذي انزه فيه القرآن وهكذا رضي الله عنك حيا وميتا . « ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم »

ابتاه

ان الذى يبرد حراره اللوعة ويطفيء نار الفرقة امامنا انك حبيب الله فلقد اجمعت الامة الاسلامية على حبك ويهجد المسلمون في الحرمين يوم وفاتك داعين لك بهما متوسلين لك في المقامين وهكذا عمل المسلمون في مشارق الارض ومغاربها قاصيها ودانيها ومحبة الخلق من محبه الحق ان الله اذا احب عبدا نادى ملك في اهل الارض ان الله يحب فلانا فاحبوه فلقد احبك مولاك واجتباك وجعلك المجدد المصلح في هذا القرن واصطفاك مصداقا للحديث :

« ان الله يبعث على راس كل سنه مجددا » لهذا كانت سيرة كسيره جميع المصلحين وكانت شمائلك كشمائل اصحاب الرسالة والمجددين قضيت الشطر الاول من حياتك في المشاهده والملاحظه النعديه فاطلعت على الحقائق والاسرار ولمست المصائب والاضرار ثم كانت المرحلة الثانية حيث تحملت الامانة وصدعت بالامر وجابهت الظلم والظالمين فتحملت المضايقة والتعذيب بايمان الصديقيين وعزيمة المومنين الموقنين ثم جاءت المرحلة الثالثة النهائية في حياة كل ذى رسالة وهي اقصر المراحل فجاء الفتح والنصر وتحققت الآمال ونالت الامة الحرية والاستقلال « اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا »

ومما زاد يقينا برضى مولاك عنك ومحبته لك ، انه عندما كنت داخلا لقاعة العملية . كانت رايه الاستعمار تنزل من فوق البنايات العسكرية ، وكانت القياده العسكرية الاجنبية بالمغرب تنحل وتسلمت الدوله المغربية ثكناتها وقيادتها وكان آخر ما سمعته هي هاته البشرى ، وكان آخر ما اغمضت عليه جفنيك هذا المنظر السعيد وكانت هذه الحادثة آخر كرامة ظهرت لك في حياتك . فمحمد الخامس الذى حاول الاستعمار ان ينزله عن عرشه يوم 26 فبراير سنة 1951 لم يفارق هذه الديار بعد ذلك بعشر سنوات حتى انزل الاستعمار في صياصيه ، واجلاه عن المغرب ، فكان فاتحة لجلائه عن افريقيا والعالم المضطهد كله ، وكانت المده الفاصلة بين المحاولة الاستعمارية ويوم الجلاء عشر سنوات كاملة كالمدة بين الهجرة والفتح

آمـــال تتحقـــق

ابتـــــاه

هكذا حقق الله آمالك واستجاب لك كل دعواتك لقد كنت تدعوه سبحانه ان ياخذك اليه طاهرا نقيا نظيفا محبوبا حتى تبقى جذوة حبك متقدة في كل قلب ولوعة فراقك متأججة في كل صدر ولقد كان لك ما أردت ، فلقد غادرتنا عزيزا محبوبا نقيا معظما ، واحترقت القلوب لفراقك ، وكل هذا يدل على انك لست ملكا كالملوك . ولكنك مجدد وصاحب رسالة وهبك الله ما اردته حيا وحقق رغبتك عند موتك ، كما حقق لك جميع الرغبات في حياتك

ابتـــاه

لقد ودعتنا وما يشغلك عن الامه شاغل ، لقد كنت تناجيني بانك تطمح للمزيد من تحسين احوال العامل والفلاح ، ولقد كنت متألما للتخلف الاقتصادى والاجتماعي مصمما العزم على ان تبذل في سبيل القضاء عليه جميع الجهود والمساعي وكنت تثور كلما طرق سمعك اخبار عن المسؤولين الذين نأتمنهم على الشعب فيستخفون بالامانه ، كنت تريد ان توفر لشعبك المزيد من الحكم النظيف والعدل النزيه وكنت تسعى جاهدا لرفع مستواه الاجتماعى لم تدخر في ذلك جهدا غير قانع بما حققته ولا راض كل الرضى عما انجزته في تطلع دائم الى الكمال ورغبه صادقه في ان لايشرق فجر كل يوم الا على هدف تحققه او مطلب ترضيه او مظلمة ترفعها ثم فارقتني على غره يا أبتاه تاركا لي العبء الذى تحملته مؤتمنا اياى على الامانة التي قلدتها فلقد قلت لي يا والدى في خطاب ولايه العهد : وكما تقتضي ولايتك لعهدي ان تخلفني في الامه تقتضي منك ان تخلفني في اسرتي وان لهذه الاسره عليك من الحقوق مثل الذى للامه عليك فكن امينا على مجدها وغيورا على شرفها . حفيظا لسؤددها وعزها وصل رحمها وحقق امانيها ولب في دائره المعروف رغائبها ومطالبها واعمل على ان تكون مثلا أعلى لامتك علما ونبلا واستقامة وفضلا واوصيك على الخصوص بأسرتك القريبة وبطانتك الوشيجة من اخوان واخوات وأمهات

حدائق الفطر ويصيد انواعا معينه من الارق ويسمى اليرق ، وبالانكليزية (كربيلر) والدود الذي يسمى بالانكليزية (قمل الاشجار) هذه المخلوقات هي ما تدعى بقر النمل او معز النمل لان النمل يستخرج منها شيئا سائلا يشبه العسل يتغذى به . ومن شأن النمل ان يأسر اعداءه ويتخذهم عبيدا . وبعض النمل حين تعمل اعشاشه بقطع اوراق الشجر على حجم معين . وفي حين تضع بعض العمله من النمل الاطراف في مكانها تستخدم صغارها التي لا تزال في طور اليرق وهي قادره على ان تغزل الحرير ، وتجعله خيوطا لتخيط به تلك الاوراق بعضها مع بعض . وقد تحرم صغار النمل انفسها من عمل بيت تستقر فيه بسبب ذلك النسج الذي يعود بالخير على الجماعه ايثارا منها لمصلحة الجماعة على مصلحتها الخاصه .

فكيف تقدر ذرات الماده وهباءاتها التي تتألف منها جسم النملة ان تقوم بهذه الاعمال المعقده ؟ فلابد ان يكون هنالك خالق عالم مقتدر يدبر ذلك ويقدره . والانسان وحده هو الذي اوتي عقلا يتطور الى حد انه يقدر به ان يفكر تفكيرا عاليا عظيما . فالغريزه نسبته نغمه واحده من نغمات السنابه المعروفه بالناي . وهي نغمه جميله ، ولكنها محدوده . على حين نرى العقل البشري يشتمل على جميع النغمات التي تحتوي عليها كل الالات الموسيقيه التي تتألف منها الجوقه الـذي تسمى (اوركسترا) والانسان هو الذي يقدر ان يؤلف تلك النغمات ويخرج من مجموعها للعالم معزوفات " سمفونيات " موزونه كاملة من الفكر تقارب المعجزه . ولم تخرج العنايه الربانيه مخلوقا حيا من الصخور الطبيعيه الاولى : مخلوقا له عقل مرن مثل عقل الانسان . اذا صار ذلك معلوما فحق تقدر ان تدرك قابليه الانسان ان يتلقى قبسا من رب العالمين يجعله سيدا في الارض ، عجبا في مرآياه خالدا فيما قدره الله له .

ان التطور لابد له حسب القوانين الكيميائيه والطبيعيه ان يقصر اقصى حدوده على اعظم ما يمكن من مناسبه ما حوله ، ولا يتجاوز ذلك . فجمال ريش طائر هو اظهار لجاذبيه التزاوج بين الذكور والاناث . وبذلك يمكن تعليله ، غير ان الطلاء الجميل ليس ضروريا لوجود الانسان . وان كانت المراه الجميلة موجودة ، ان المادة من الذرات والصخور او الماء يمكن ان تتحد ، واذا اعطيت الحياه يمكن ان تتطور الى انسان ، ولكن هذه العناصر بعد ان تتم مناسبتها للبيئة الطبيعية ، ايمكنها ان تسير الى الامام وتنتج استاذا موسيقيا يستطيع ان يكتب نغمات « نوتات » على القرطاس . ويسجل تناسبها الجميل ويصنع « بيانو » يستولي به على الباب المستمعين ويسحرهم بنغماته ، ثم يسجل معزوفاته على اقراص من البلاستيك تذاع في العالم بمحطة اذاعة بواسطة الابر ، ولا تعرف الذرات من امره شيئا غير انها موجودة فيه ؟

ان بعض انواع الحيوان تتعاون في شؤونها وتوحد جهودها فلا تصيد الا في حال جماعات ، فتجمع غذاءها وتخزنه للمستقبل . وتضاعف جهودها الفردية بالعمل المشترك . ولكنها مع ذلك تظهر انها لا تتقدم ولا خطوة واحده الى الامام . اما الانسان فانه ضاعف قوته الفرديه ووحد جهوده حتى بنى الاهرام ولم يقف عند ذلك الحد . بل اكتشف الاله الرافعه . والبكرة المساعدة على رفع الاثقال بالحبال . والعجلة التي تسهل الجر . والنار . وراض الحيوان حتى عوده حمل الاثقال وغير ذلك من الاعمال . واضاف الى قوه الحيوان العجلات . فسهل عليه بذلك العمل وزاد في قدرته وسرعة سيره وقوى ظهره . وتغلب على قوه سقوط الماء فصرفه فيما ينفعه . واستخدم البخار والغاز والكهرباء ، وانتقل من العمل باليد الى اختراع الالات الميكانيكية ، وصار يسيطر عليها ويستخدمها في اغراضه فضاعف بذلك عمله وسهله على نفسه . وكل اولئك من بنات فكره ونور عقله .

ثم هو في تنقلاته من مكان الى مكان قد اخترع آله جعلته يسبق الظبي في سرعه عدوه . ثم صنع عربه وركب لها اجنحه فحلق بها في الجو وسبق طير السماء في سرعه الطيران . فهل وقع ذلك كله بتفاعل مادي على سبيل المصادفه ؟ ويظهر ان الجمال ملازم لطبيعة الكون في كل شيء . فمن ذلك جمال السحاب ، وقوس قزح ، والسماء الزرقاء . والبهجه الرائعه التي تعتري الانسان حين يراقب النجوم . والقمر الطالع والشمس في وقت الغروب . وجمال الطهر وجلاله ، كل ذلك يهز مشاعر الانسان ويسحره .

تعليقات :

1) الزنبور حشره صغيره تشبه النحلة له لسع شديد ومن ذلك المسألة الزنبوريه وهي مسألة يقال ان سيبويه اختلف مع الكسائي فقال الكسائي : بحضره هارون الرشيد كنت احسب ان العقرب اشد لسعا من

دواء الشاكين وقامع المشككين

- 12 -

للدكتور تقي الدين الهلالي

قال المؤلف : الفصل التاسع : تطور العقل

من أعجب العجب أنه لا يوجد في حياة الحيوان على كثرة أنواعه واختلافها ما يسجل له شيئا من العقل فليس له إلا الغرائز . فإذا جئنا إلى الإنسان نجد العقل خاصا به ، فلم يوجد حيوان قط استطاع أن يرفع حجر أو يعد عشرة أو يفهم معنى عشرة .

لقد أتيح لكثير من المخلوقات أن تظهر بغرائز وخواص بلغت فيها إلى درجة عالية من الذكاء . فمن ذلك أن الزنبور يصيد الجندب ويحفر له حفرة في الأرض ، ويخزه في مكان معلوم من جسمه حتى يفقد وعيه ويعيش على شكل اللحم المحفوظ في علبه مثلا . ثم تضع أنثاه بيضا في المكان المناسب بالضبط . ولعلها لا تعرف أن بيضها حين يفقس يخرج أولادا يقتاتون من تلك الحشرة دون أن يقتلوها ولو قتلوها لكان ذلك خطرا عليهم ، ولابد أن الزنابير تفعل ذلك وتكرره من أول خلقها إلى يومنا هذا . ولولا ذلك لما بقي زنبور واحد على وجه الأرض . والعلم يقف حيران أمام هذا السر ولا يجد له تفسيرا . ومع ذلك لا يمكن أبدا أن يكون ذلك قد وقع على سبيل المصادفة . ثم تغطي أنثى الزنابير الحفرة التي تركت فيها أولادها وتنطلق مسرورة بأداء واجبها . ثم تموت . فلا هي ولا أحد من أسلافها الماضيات فكر في ذلك العمل ولا عرفت واحدة منهن ماذا يقع لأولادها ، بل ولا عرفت أن سيكون لها أولاد ، بل ولم تعرف أنها عاشت ولا أنها عملت عملا كفيلا بحفظ نوعها .

أما النحل والنمل فيظهر أنها تعرف كيف تنظم وتحكم جماعتها بنفسها ، فإن لها جنودها وعمالها وقادتها وتعاقبها . ولو أنك التقطت قطعة من الكهرمان على شاطئ بحر البلطيق ، لوجدتها تشتمل على نملة محبوسة منذ أزمنة طويلة تفوق العد ، ولوجدتها نسخة طبق الأصل من النمل الموجود في هذا الزمان . فهل توقف التطور عن سيره في حق النمل حين وصل إلى النظام المناسب لبيئته في الطبيعة ، أم كان ذهن النملة الصغير آلة أقل من أن تصل إلى غرض أعلى مما هو عليه ؟ لا شك أن النملة من حيث هي حشرة اجتماعية قد تعلمت كثيرا . ويظهر أنها ارتقت إلى إدراك النظرية العجيبة وتطبيقها وهي (الخير الأكبر للعدد الأكبر) وتصل بذلك إلى النتيجة المنطقية كما فعل بعض أهل الهند الشرقية في الجيل الأخير ، ففي بعض أنواع النمل تأتي العاملات منهن بالحب الصغير لتغذية غيرها من النمل أيان فصل الشتاء . ويعمل النمل ما يعرف ببيت الطحن . وفي ذلك البيت يطحن النمل الذي أوتي أفكاكا قوية خلقت بالقصد للطحن بتحضير الطعام لسكان تلك المستعمرة . هذا هو شغلهن الخاص . وإذا جاء فصل الخريف وتم طحن الحبوب كلها تحقق المثل (الخير الأكبر للعدد الأكبر) وهذه القاعدة تستوجب حفظ الزاد من الطعام . ولما كان عدد النمل الطاحن سيكثر في الجيل الجديد فإن الجنود من النمل تقتل ذلك النمل الذي طحن الحب . ولعلها تجد في أنفسها مسوغا لذلك القتل باعتقادها أن أولئك الطواحن المقتولات قد أخذن حظهن كاملا من الغذاء في وقت الطحن ، يعني فبقاؤها تضييق الغذاء وتوقع البطالة في الجيل الآتي .

ثم أن بعض أنواع النمل بسبب الغريزة أو بدافع التفكير (أ اختر منهما ما شاء) يزرع الفطر وهو ما تسميه المغاربة (الفگاع) وتعمل منه مزارع تسمى

النظام الجديد للتعليم والتربية

بقلم الاستاذ : أبي الاعلى المودودي

(فى سنه 1959 م ألفت حكومة باكستان الجديده لجنة لتقديم الاصلاحات الجديده لادخالها على نظام التعليم الجاري فى البلاد ، واللجنه لهذا الغرض نشرت طائفه من الاسئله فى الجرائد ودعت من فى البلاد من ارباب العلم الذين لهم خبره فى ميدان التعليم ان يقدموا اليها الاجوبة على هذه الاسئلة ، فهذه الكلمه التي نتحف بها القراء هي جواب الاستاذ ابي الاعلى المودودي على اسئله اللجنه ننشره لتعميم نفعه) .

من اللازم قبل ان نقترح الاصلاحات فى النظام الحاضر للتعليم فى بلادنا ، أن نكون على بينة مما يوجد فى نظامنا الحاضر للتعليم من المعايب والنقائص ، اذ لا يمكن بدون ذلك ان نعرف كيف وعلى أي وجه يجب ان ندخل عليه الاصلاحات والتعديلات .

ان بلادنا يوجد فيها اليوم نظامان مختلفان للتعليم :

نظام يجري عليه مدارسنا القديمة ويقوم بجهته باعداد الافراد لحاجاتنا الدينيه .

ونظام يجري عليه كلياتنا وجامعاتنا العصريه ويقوم بجهته باعداد الافراد لاداره سائر شؤوننا فى الحياة ما عدا ما يتعلق منها بالناحيه الدينيه .

فالمهمه التي تواجهنا اذن هي أن ندرك اولا ما فى كلا هذين النظامين من النقائص والمعايب ، ثم نقترح بدلا منها نظاما للتعليم والتربية موحدا يفي بكل ما لنا من الحاجات فى الحياة الدينيه منها والاجتماعية والمدنية معا ، وينهي — فى الوقت ذاته — هذه الثنوية فى نظام التعليم الحاضر ، التى انما تقوم على النظرية الباطلة القائلة بالتفريق بين الدين والدنيا .

النظام القديم :

اما النظام القديم ، فمن سوء الفهم الشائع عنه ، انه النظام القديم لتعليمنا الديني . وحقيقة الامر انه ما كان نظاما لتعليمنا الديني وانما كان نظاما قررته الحكومات المسلمه الماضية لاعداد الافراد لوظائفها الادارية الرسمية . وعلى هذا فقد كانت حاجتنا اليه قد انتهت يوم قام فى بلادنا الحكم البريطاني . اذ لم يعد للمتخرجين بجهته مكانة ما فى الحكومة الجديدة . ولكنه لما كان محتويا على تراثنا المدني والثقافي منذ عدة قرون ماضيه ، وكان فيه ، ولو على قدر غير كاف ، ما يفي بحاجاتنا الدينية ، فقد عزم عنصر كبير من امتنا فى بدء عهد الاستعمار ، ان يحتفظوا به ولا يدعوه ينقرض مع الايام مهما كلفهم ذلك حتى لا يتشتت شملنا ولا نفقد كياننا القومي بانقطاعنا عن تراثنا القومي انقطاعا كليا . ولهذه المصلحة بعينها فقد استبقوا عليه واحتفظوا به . ولكن مازالت ناحيته للافادة تقل يوما فيوما على قدر ما اعتراه مع الظروف من التغيرات ،

الزنبور فاذا هو اياها ، فقال سيبويه : اخطات . الصواب ان تقول : فاذا هو هي . فقال الكسائي : لم اخطيء . فقال سيبويه : هؤلاء العرب بالباب يعني فصحاء البادية الذين لم يختلطوا بالعجم ولم تفسد لغتهم . فرضي بذلك الكسائي وبعث الى العرب وامرهم ان يصوبوا رايه اذا سئلوا فاستجابوا له لعلو منزلته عند الرشيد واولاده . فدعي العرب فجاءوا وخاف الكسائي ان يطلب منهم النطق بهذه الجملة فينطقوا بها على ما قال سيبويه وهو الصواب ، فقال لهم اسمعوا كلامي وكلام سيبويه واحكموا فقال الكسائي : (كنت احسب ان العقرب اشد لسعا من الزنبور فاذا هو اياها) وقال سيبويه : (فاذا هو هي) فقال العرب : الحق مع الكسائي . فحزن سيبويه ومات غما ، والدليل على ان الحق مع سيبويه ان ضمير اياها من ضمائر النصب . والموضع يتطلب ضمير رفع لانه موضع خبر المبتدا . ثم نعود الى المقصود بالذات فنقول : ان الزنبور حين يقصد الجندب الوثاب الذي يكون في الزرع وتجرى له ذلك العمل الجراحي في مكان معين من جسمه بابرته التي هي جزء من جسمه لم يدرس علم التشريح ولم يتمرن على الجراحة والعلاج في اي مستشفى فكيف عرف الموضع المناسب من جسم الجندب وكيف قدر على اجراء تلك الجراحة بلا تعلم ولا تمرين ؟ وكيف عرف ان الجندب بسبب تلك الجراحة يبقى على قيد الحياة ولكنه لا يستطيع الفرار ؟ وكيف عرف ان بيضه سيفقس بعد ان يصبح هو في خبر كان . وان ذلك الجندب افضل غذاء لاولاده بعد خروجهم من البيضة ؟ وكيف عرف الاولاد ان لحم الجندب انما يكون هنيئا مريئا اذا تغذوا به وهو حي ؟ فاذا اكلوا لحمه وهو ميت يكون سما قاتلا ؟ ان الانسان الذي هو اشرف المخلوقات يعجز كل العجز عن ادراك هذا السر فكيف بالعلم به او القدرة عليه . الا يدل ذلك دلالة قطعية على ان وراء هذا السر مدبرا حكيما عليما بسر كل شيء لما خلق له عرف ذلك ام لم يعرفه فتبارك الله احسن الخالقين .

2) قول المؤلف : كما فعل بعض اهل الهند الشرقيه لا ادرى ما يريد به مع انني اقمت في الهند سنين وجلت في ربعها من بمباى وكراتشي غربا الى كلكته شرقا ولي في تلك البلاد تلاميذ واصدقاء كثير . فالرجاء من كل قارىء يفهم ما يريد المؤلف بتلك العبارة وخصوصا صديقنا الاستاذ المودودي وصاحبه ملبدي البر محمد عاصم الحداد ان يكتب الى مجلة دعوة الحق بما يوضح مراد المؤلف ، واما القاعدة الاجتماعية التي قال المصنف لعل النمل قد توصل الى ادراكها وهي (الخير الاكبر للعدد الاكبر) فبدل قوله تعالى في سورة المائدة : (وتعاونوا على البر والتقوى) وقول النبي (ص) يد الله مع الجماعة . وقوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وقوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم) وقوله تعالى (وامرهم شورى بينهم) الى غير ذلك من النصوص .

3) قال المؤلف بسبب الغريزة او بدافع التفكير (الخير مهما ما شاء) يعني ان تلك الاعمال التى يقوم بها النمل تحيرت الالباب في مصدرها ومنشئها ، فان قلنا انها ناشئة عن غريزة حيوانية فان عقولنا ستنكر ذلك وستعظمه على الغرائز الحيوانية وان قلنا ان ذلك ناشىء عن تفكير فالتفكير يقتضي وجود العقل . لذلك حير المصنف قارىء كتابه ان يختار اي الراين يريد . وهنا يجيء المثل العامي (اخيره تحيره) .

4) كثيرا ما اجد المؤلفين من العرب في علم الحيوان والنبات قد اصطلحوا على الفاظ يزعمون انها عربية . ولا اجد لها اصلا في المعاجم العربية ولم يقوها على لفظها الاعجمي ، فاعدل عن الكلمة التي اصطلحوا عليها عمدا واكتفي بتفسير اللفظ الاعجمي الى الحد الذي اظن معه ان القارىء يفهمه فيتوهم بعضهم انني لم اعرف تلك الكلمات المصطلح عليها . ومن ثم نشا الاعتراض الذي اشرت اليه في الجزء الذي قبل هذا . وسبب هذا الارتباك والفوضى تقصير الامة العربية دولا وجماعات في ضبط الادب العربي واللغة العربية بوضع معاجم وافية شافية لجمع الالفاظ اللغوية والعلمية والاعلام بانواعها فضلا عن موسوعة تجمع الاداب والعلوم العربية .

النظـــام الجـديــد :

ولناخذ بالبحث الآن النظام الجديد للتعليم الذى اقامه الانكليز فى بلادنا

ان اول ما نتساءل عنه بالنسبة لكل نظام للتعليم فى الدنيا هو انه من اى طراز نريد ان نعد الطلاب ؟ وما هو المعيار الانسانى الذى نعتمده عند تربية الطلاب وتعليمهم ؟

فنحن اذا نظرنا من ناحية هذا السؤال المهم الاساسى . وجدنا ان الانكليز ما اقاموا هذا النظام الجديد فى بلادنا بغية المحافظة على ثقافتنا القومية وترقيتها . ولم تكن امام اعينهم . بل لم تكن امام اعين الانكليز عند تعقيده ولا ذلك المعيار الانسانى . الذى كانوا قد وضعوه امام اعينهم عندما نفذوا نظام التعليم فى بلادهم نفسها . فانه انما كان منشودهم ومطلوبهم فى بلادهم لا فى بلادنا نحن . اما الافراد الذين ارادوا ان يعدوهم هنا . فان اول صفة تمنوا ان يروهم متحلين بها هى ان يكونوا لهم كاحسن ما يكونون من الآلات الميكانيكية التى لا ارادة لها ولا ضمير . فقد كانوا هنا بحاجة الى اشخاص يفهمون لغتهم ويعرفون مبادئهم التى كانوا يريدون ان يسيروا عليها نظام حكمهم ؛ ويكونون اهلا لان ينفذوا فى هذه البلاد اراداتهم كما لو نفذوها هم انفسهم . فتلك هى الغاية الوحيدة التى لتحقيقها اقام الانكليز فى بلادنا هذا النظام الجديد . ولذا فان جميع العلوم التى جرت دراستها تحت هذا النظام . ما كانت تمت بصلة الى الاسلام ابدا ولا كان ذلك من الممكن . بل ان كل ما نالته هذه العلوم من الارتقاء فى اوربة نفسها . انما نالته تحت قيادة المنحرفين عن الدين وعقيدة وجود الله . حتى ان الطبقة الدينية التى كانت موجودة هناك . كانت قد ابعدت عن ميدان الفكر والعمل . ولذا فان جميع العلوم — من الفلسفة والعلوم التجريبية (Sciences) والتاريخ والاجتماعيات — ما رزقت النمو والكمال الا على ايدى افراد اذا لم يكونوا منكرين لوجود الله . فقد كانوا لا يشعرون — على الاقل — بحاجة ما الى هداية منه فى حياتهم الدنيوية . فهذه العلوم هي التى جاء بها الانكليز الى بلادنا وبعدوها فيها بعين كتبها وهى التى لا تزال الدراسة بها جارية فى بلادنا حسب هذا المنهاج حتى يومنا الحاضر . ولذا فان الذين تخرجوا تحت هذا النظام ما زالت افكارهم ونظرياتهم تنطبع — بطبيعة الحال — بطابع اساتذه الغرب . فابتعدوا عن الدين وتخلوا عن الفكرة الدينية والاخلاق الدينية ، ولا غرو ، فانه اذا كانت جميع العلوم التي يتلقاها الطالب عن الدنيا منذ التحاقه بالمدرسة الابتدائية الى آخر مراحل تعليمه ، خالية عن فكرة الدين وعبودية الانسان لله تعالى ، فكيف يغدو من الممكن ان تجد الاعتقاد بالله سبيلا الى ذهنه وقلبه ؟ انه لا يسمع بذكر الله تعالى ولا بدينه ولا بشريعته فى كل ما يدرس من الكتب . فاذا درس التاريخ ، وجد فيه الحياة الانسانية تعمل بنفسها لصلاحها وفسادها ، واذا درس الفلسفة وجد فيها لغز الكون يحاول الانحلال بنفسه بدون حاجة الى نوع من الهداية من رب السماوات والارض . واذا درس العلوم التجريبية وجدها تنظر فى هذا الكون كأنه هو يسير بنفسه بدون صانع حكيم ومدبر لشؤونه . واذا درس القانون والسياسة والاقتصاد وما اليها من العلوم الاخرى . وجدها لا تبحث ابدا فى ما وضع رب الناس والهمهم من المبادىء والاحكام للحياة الانسانية . بل وجد من فكرتها الاساسية ان الانسان مالك لنفسه فمن حقه ان يضع لحياته ما شاء من المبادىء والشرائع فلعمري ان من يتلقى مثل هذا التعليم لا حاجة لغيره ان يقول له اكفر بالله . فانه بنفسه يستغنى عن الله ويتخلى عن العقيدة بوجوده .

اضف الى هذا ان هذا النظام للتعليم ما انشأ فى نشئنا ولا تلك الاخلاق الانسانية الاساسية التي من المحال بدونها ان ترزق امة من الامم الحياة فى الدنيا فضلا عن ان ترقى فى الدنيا وتعلو كلمتها وتستقر فى العالم سلطانها . فترى ان النشء الجديد الذى تخرج حتى الآن فى الكليات والجامعات تحت هذا النظام منحل بكل معنى الكلمة بمعايب امم الغرب ولكن ليس عليه اى مسحة من محاسنها . فلا قيمة فى نظره لمعرفة الواجب ولا للنشاط والجد والتعب فى القيام به ولا لضبط الاوقات ولا للصبر والثبات فى وجه الشدائد ولا للتقيد بالنظام ولا لضبط النفس ولا للوفاء لشيء فوق الذات . كأنه شجرة نابتة فى الغابة ليس لها من يرعاها ويتعهدها بالتشذيب والتهذيب . لا يكاد يلمح فيه الناظر شيئا من الاخلاق الاجتماعية ؛ وهو لا يتحرج فى اقتراف اشنع ما يكون من انواع الخيانة والمكر والغش مهما يكن عليه من ارفع المناصب ذات المسؤولية الكبرى ؛ ولنا ان نجد منه فى كل مكان وفى كل شعبة من شعب الحياة آلافا مؤلفة من مرتكبى ابشع انواع السرقة والرشوة والمحسوبية والشفاعة والاستشفاع والسوق السوداء

لان الذين كانوا يتخرجون تحته . ما كانوا يتناسبون مع الحياة الاجتماعية بل كانوا لا يعرفون شيئا عن مسائلها ومشاكلها . ولذا فانه لا مصرف للذين يتخرجون اليوم تحت هذا النظام سوى ان يجلسوا في المساجد يؤمون الناس في الصلاة او يفتحوا المكاتب لتعليم الصبيان قراءة القرآن او يجعلوا الوعظ مهنة يكسبون بها قوتهم ويشعلوا بين المسلمين نيران الخصومات والمشاجرات حول المسائل الاعتقادية او الفقهية حتى تبقى الامة تشعر بحاجتها اليهم . فهكذا وان كنا نستعد بوجودهم بعض الشيء ، اي لسببهم ينتشر فينا علم الدين . ولو الى حد ضئيل . ويحصل للناس بعض معرفة بمبادئ الدين وتعاليمه ويبقى في حياتنا الدينية بعض حرارة . الا ان الضرر الذي يسببنا لاجلهم هو كبير جدا اذا قايسناه بناحية الفائدة هذه . نراهم لا يستطيعون ان يمثلوا الاسلام تمثيلا صحيحا ولا ان يطبقوا مبادئ الاسلام وتوجيهاته على قضايا الحياة العملية ، ولا ان يقودوا الامة وفقا لاحكام الاسلام وتعليماته ولا ان يعالجوا مشكلة من مشكلات حياتها الاجتماعية . بل انني لا افارق الحقيقة اذا قلت ان الدين بدل ان يعلو كلمته ويرتفع راسه . لا يزال راسه ينكس يوما فيوما لاجلهم . وان الطرق التي يتبعونها لتمثيل الاسلام ودعوة الناس الى قبوله . من البشاعة والقذارة حيث لا يزال الناس لاجلها يبعدون عن الدين ويضيقون به ذرعا . وقد اثاروا فينا من المجادلات والخصومات لاتفه المسائل الدينية واهونها ما لا ينقطع سلسلته لان حاجاتهم في الحياة ترغمهم ارغاما على ان يتعهدوا هذه المجادلات والاحتكاكات بين المسلمين بالغرس والري حتى تبقى قائمة على سوقها بل تنمو وتزدهر . فانه لولاها لما شعرت الامة بحاجة الى وجودهم .

هذا ما عليه نظامنا القديم للتعليم . فعنصر التعليم الديني فيه قليل جدا وان المهمة التي يستخدم فيها اليوم . اي اعداد العلماء والائمة للمساجد . ما كان وضع لها في حقيقة الامر . وانما كان وضع . كما بينا آنفا . قبل قرنين او اكثر بقليل لاعداد الافراد للوظائف الحكومية . واما اذا كان قد اضيف اليه تعليم الفقه الاسلامي . فذلك **لان الفقه الاسلامي هو الذي كان قانون البلاد في ذلك الزمان ،** فلم يكن للمسؤولين عن تنفيذه بد من معرفته والالمام باسسه . فاذا كنا نعتقد اليوم انه نظام لتعليمنا الديني . فانما ذلك اكتفاء منا بالناقص الابتر ما دمنا لا نجد الكامل الصحيح ، والا فالحقيقة ان عنصر التعليم الديني فيه قليل جدا ، فلا يهتم فيه بتعليم القرآن والسنة والمبادئ الاساسية للدين على قدر ما يهتم فيه بتعليم الفقه والادب والمنطق والصرف والنحو وما اليها من العلوم الاخرى على ما كانت توجد عليه قبل قرنين او ثلاثة قرون . ليست عندنا اليوم مدرسة دينية يكون تعليم القرآن من اوله الى آخره داخلا في منهاجها للتعليم ، وانما يدرس في اكثر هذه المدارس على طريق منظم سورة او سورتان من القرآن كسورة البقرة وآل عمران فحسب ، واما سائر سور القرآن . فان كانت دراستها داخلة في منهاج بعض هذه المدارس فالى حد ترجمة الفاظها وليس غير . اما الدراسة الوافية للقرآن الحكيم على وجه يجعل من الطالب مفسرا للقرآن . فلا تعرفها هذه المدارس ولا تهتم بها اصلا . وقل مثل هذا في الحديث النبوي ، فانه ايضا لا يدرس في احدى هذه المدارس على وجه مرضي يجعل من الطالب محدثا . وانما الطريق الذي يتبع في هذه المدارس لتدريسه هو انه كلما جاء اثناء الدرس حديث يتعلق بالخصومات الفقهية او الاعتقادية فان درسه يستغرق عدة ايام . واما الاحاديث التي توضح حقيقة الدين او التي قد جاء فيها بيان لنظام الاسلام للاقتصاد او السياسة او الاجتماع والحضارة او الاخلاق او هي تتحدث براي الاسلام في دستور الدولة او نظام القضاء والمحكمة او القانون الدولي . فان الاساتذة والتلامذة جميعا يمرون عليها مر السحاب كأن ليس فيها شيء يسترعي الانتباه ويستلفت النظر . ان هذه المدارس تهتم بالفقه اكثر من اهتمامها بالقرآن والحديث . الا ان الذي يدور حوله همها في معظم الاحيان بل كلها هو تفاصيل الجزئيات الفقهية . واما تاريخ الفقه وارتقاؤه التدرجي والمزايا البارزة لكل مدرسة من مدارسه المختلفة وما لهذه المدارس من المبادئ المتفق عليها او المختلف فيها . وطريق استنباط الائمة المجتهدين الاحكام من نصوص الكتاب والسنة ؛ فاما هذه الامور التي لا يمكن لطالب ان يكون فقيها بدون الالمام بها والتوسع بها في حقيقة الامر ، فما هي بداخلة في مناهج هذه المدارس وبرامجها للتعليم ، بل ان اساتذتها ــ فضلا عن تلاميذها ــ المساكين ــ يكاد يكون نظرهم فيها كليلا . ان تنشئة الملكة الاجتهادية في الطالب غير مقصودة بل يكاد يعد الخوض فيها من الاثم في هذا النظام للتعليم . فمن العبث ان نرجو منها اعداد المجتهدين في الامة .

الفكرة الاصلاحية وجائزة نوبل

للأستاذ عبد السلام الهراس

نشرت الجرائد خبرا مفاده ان النوادي الثقافية قد رشحت الفيلسوف المسلم الجزائري «مالك بن نبي» لجائزة نوبل بعد ان درست مؤلفاته درسا دقيقا فوجدت افكاره تدعو للسلام ولانقاذ البشرية . واعتراف هذه النوادي بفلسفة مالك وبدعوتها للسلام شهادة قيمة على حاجة الانسانية لحل مشاكلها على ضوء افكار مالك بن نبي ، وما افكار هذا الفيلسوف المسلم الا الفيض الاسلامي وتعاليمه التي امتزجت بلحمه ودمه واعصابه . واستحث الوجهه لضميره بعد ان آمن بها عن علم ودرس .

ولم تكن في الخبر غرابة بالنسبة لما يستحقه مالك . فلقد رشح لتلك الجائزة بل اخذها من هم اول منه دعوة الى السلام واكثر الناس انحرافا عن الغايات الانسانية المثلى . ولكن الغرابة ان يرشح من بلد اجنبي في حين تكفر به قومه او بمعنى اصح يجهله قومه جهلا يكاد يكون عاما مع ان الاستاذ مالك نسيج وحده في فلسفته وفي تاريخ امته الاسلامية ، ولقد تحدثنا عن بعض سمات فلسفته في بعض اعداد هذه المجلة ، ونريد اليوم ان نعطي نظرة اخرى عن طبيعة فلسفته ومنهجها ، ففلسفة مالك تمتاز بمواجهة المشاكل مواجهة اجتماعية علمية واقعية تعنى بتحديد الامراض الاجتماعية تحديدا علميا وتعطي بعد ذلك الدواء الشافي بعد دراسة طويلة نالت من اعصابه ودمه ورزقه واهله . ولم تقف فلسفة مالك امام عوارض الامراض التي ضللت كثيرا من المصلحين والهتهم عن حقيقة الدواء بل اقتحمت فلسفته تلك المظاهر الى حقيقة المشكلة التي تتولد عنها جميع المشاكل الاخرى ، فهناك التفرقة والفقر والحسد والخيانة والكسل والجهل والمرض والانحطاط الى آخر قائمة الامراض الاجتماعية والخلقية التي ما تزال تنخر عظام كياننا رغم مجهودات شتى في سبيل مقاومتها تلك المقاومة التي كانت غافلة عن حقيقة المشكل ومكمن الداء .

ومالك ما وقف موقف أولئك من تلك القائمة وانما صرح بان تلك القائمة تحتوي على أعراض فحسب كارتفاع درجة الحرارة نتيجة الحمى واصفرار العين لاضطراب في الكبد ، ولهذا يجب ان يبتر المرض من جذوره وان لا يكتفي بتضييع الوقت في تناول العلاج بالنسبة للأعراض لان هذا قد يفيد في تغطية اعراض المرض . ولكن لا يفيد في القضاء عليه وان كان يتيح للمرض ان يتعمق في كيان الامة وستفحل خطره مما يؤدي الى زيادة الضعف والاضطراب .

ولقد توصل مالك في كتابيه « شروط النهضة » و « فكرة الافريقية الاسيوية » الى تحديد المرض على نحو منهجي لا يدع مجالا للاعتراف به ، وقد اشتق له اسما من طبيعته فاطلق عليه « القابلية للاستعمار » التي ينتج عنها جميع الامراض الاجتماعية ومنها الاستعمار الذي هو النتيجة الحتمية لتلك القابلية ، ولهذا لا يمكن القضاء على الاستعمار وعلى تلك الاعراض الاخرى الا بالقضاء على القابلية للاستعمار ولا دواء لها الا الحضارة .

وهذه الفلسفة التي تعمق فيها مالك واولاها عناية وبحثا مستقاة من تعاليم الاسلام ، ولهذا اتخذ مالك قوله تعالى : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . رمزا لكثير من افكاره ، فالاسلام يرى ان التقدم والحضارة والفلسفة كل ذلك اساسه العقيدة المتينة التي تطهر النفوس وتسمو بها وتمدها بعناصر

ملاحظة : سيتابع الكاتب في العدد القادم نشر مقاله المتسلسل عن منهاج محمد عبده في الاصلاح

والتهريب والاستيراد بالطرق غير المشروعة واضاعة العدالة والتلاعب بالقانون والنظام والتنكب عن القيام بالواجب والغصب لحقوق الناس والتضحية بمصلحة الجماعة فى سبيل الاغراض الذاتية . فالمتخرجون تحت هذا النظام هم الذين كانوا تحملوا اعباء الحكم فى بلادنا بعد ان غادرها الانكليز . ولا يخفى لكل ذي عينين ما تدهورت اليه البلاد فى هذه السنوات الماضية القليلة من الوضع المنحط والحالة السيئة . واما النشء الجديد الذي لا يزال تحت التربية والتعليم فى معاهد هذا النظام وكلياته وجامعاته ، فان لنا متى شئنا ان ننظر ما هو عليه من الفساد والخبث والدناءة والانحطاط فى اخلاقه واعماله فى صفوف التعليم ودور الاقامة والملاعب والملاهي والاسواق والمجالس عند المناسبات الاجتماعيه .

فلماذا لاننسا فى شبابنا المتربين تحت هذا النظام حتى ولا تلك الاخلاق الانسانية الاساسية التي تنشأ فى شبان الانكليز والالمان والامريكيين وغيرهما من الامم المتحضره الراقية الغربية اذا لم نبال بأن ننشأ فيهم الفكرة الدينية والاخلاق الاسلامية السامية ؟

العلة عندى لهذه الظاهره العجيبة انه لابد الاهتمام بتنشئه الاخلاق الانسانية الاساسية فى الشبان الا ذلك النظام الذي تقوم بوضعه امة حرة لتسيير نظام حياتها وفق مبادئها واهدافها ، فانها لا تجد لنفسها بدا ، ما دامت تفكر فى الاحتفاظ بتمدنها والارتقاء به ، من ان تعد لنفسها افرادا من السيرة القوية الموثوق بها . فالانكليز انما كانوا بحاجة الى امثال هؤلاء الافراد فى بلادهم انفسهم لا فى بلادنا نحن ، واما الاخلاق التى كانوا يبغونها فى شبابنا ، فانما هي الاخلاق التى توجد فى المأجورين (mercenaires) الاذلاء حتى بلادهم بايديهم ليسلموا بها الى اعدائهم ولا يقوموا باداره نظامها – ان قاموا – لانفسهم ولكن لغيرهم . فالانكليز ما حاولوا ان ينشؤوا فى شبابنا الا مثل هذه الاخلاق الدنيئه التي كانت تقتضيها سياستهم هذه ، ولننشئنها فيهم وضعوا هذا النظام الجديد للتعليم ، الذى لايزال يسير حتى اليوم كما تركوه عند مغادرتهم لبلادنا . فاذا كان هناك رجل يعلق على هذا النظام املا فى ان يعد لتسيير نظام بلادنا افرادا يعتمد عليهم ويوثق باخلاقهم . فان عليه اولا ان يعرض عقله على الطبيب للعلاج .

(يتبـــــع)

طريـــق الخـــلاص

ان الامه الاسلامية لاتتحقق لها امنية ولا يعيش محترمه الجانب . محققه الرغائب . الا اذا اجتمعت كلمتها وتمكنت وحدتها . واتحدت قلوبها وانعقدت مبادئها واعتصمت بالاخوه ورابطة الدين وتعاليم القرآن المبين .

من كلام الملك الراحل طيب الله ثراه

بل اصبحت القوة تخدم نفسها واصبح الانسان الذي ظن انه يسيطر على المادة خاضعا لهذه المادة عابدا لها تسخره حيث شاءت فنسي سعادته بل فقد الزمام لقيادة نفسه ليرضي هذه القوة الجبارة التي انطلقت من عقالها كمارد جبار تتحكم في مصير العالم . وان ما نعيش فيه الانسانية من شقاء ومن لهاث في دروب الحياة ناشيء عن نضوب في الضمير الاوربي الذي يزعم الانسانية ويقودها . لان قيادته ما تزال متأثرة بفكرة الامبراطورية الرومانية المتشبعة بالروح الاستعمارية — فالعالم غير الغربي مترجم هناك بالارقام والمواد الخام ووسائل استيراد الرفاهية لرجل الغرب . ولكن ضمير هذا الغربي متعفن في علاقته مع الشعوب المغلوبة على امرها بل ان هذا التعفن اثر في علاقة الذئاب مع بعضها مما جعل خط واشنطن — موسكو يعتمد على « القوة » في حل مشاكله في حين يحتاج العالم اليوم لحل ازماته ومشاكله الى قاعدة اخلاقية تحل محل قاعدة القوة التي دفعت بالانسانية نحو خطر يهددها في كل لحظة مما جعلها تقرب من الفناء المحقق في لحظة خاطفة ...

والقاعدة الاخلاقية التي يفتقر اليها العالم توجد في الاسلام الذي كان له دور عظيم في التجربة الانسانية بقيادة محمد (ص) . يقول استاذنا مالك : « وهنا نجد ان المنقذ هو الاسلام حيث وضع علامتين مهمتين على هذا الطريق . فلقد حدد — بصورة ما — خطورته بمبدأين اساسيين . ليؤمن الانسانية ضد جميع اشكال الاضطهاد الديني والرمني . فارسى القرآن اولا في الضمير المسلم تحديدا جوهريا لارادة القسوة . ولم يدع بعالميته في هذا المجال اي لبس او غموض كما تشير الآية الكريمة : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا . والعاقبة للمتقين » سورة القصص . آية 83 . »

فمالك يريد بفكرته انقاذ البشرية عن طريق التجربة الاسلامية التي قام بها الرجل العربي البسيط . وان هذا الرجل الذي ما يزال في اعماقه خميرة الاسلام مدعو لان يتقدم نحو العالم بدينه الاسلامي ليقوده من جديد ، نحو السلام المنشود ، لان الاسلام زاخرا بالمعاني الانسانية الرفيعة التي تحقق للانسانية مرادها — فالاسلام لا يريد انتقاما ولا ثأرا وانما يريد انقاذا وسعادة . وقديما وقف رسول الله (ص) ذلك الموقف الرائع تجاه اعدائه : كفار قريش عندما اقتحم عليهم بلدهم وانتصر عليهم فلم ينتقم ولم يثأر لان اهداف الاسلام اسمى من هذه النوازع البشرية : فلقد قال (ص) : « اذهبوا فانتم طلقاء » وقبل ذلك قال : « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » ..

وهذه الفكرة التي يدعو اليها مالك بكل ما حباه الله من عبقرية وجهود — واستجابة مالك لهذه المحاولة الفلسفية العلمية كانت استجابة عميقة تخطت الغريزة والقانون الى اعماق الاحاسيس الانسانية ، الى جوهر الروح المتشبع بجوهر الدين . فهو لم يستهدف في محاولته الحضارية هذه عدوانا ولا انتقاما ثأرا للضحايا التي تساقط من امته في الجزائر وغيرها . على يد جلادي الحضارة الغربية في صورة وحشية مثيرة . وانما يستهدف انقاذ الانسانية . بما فيها الغرب المتحضر . على يد الانسان البسيط : انسان افريقيا — آسيا بما لديه من رصيد اخلاقي وروحي يؤهله للقيام بهذه الرسالة الثانية التي ترى الانسانية اليوم احوج اليها من اي وقت مضى . لما يهددها من اخطار الفناء . ولذلك لا نرى اي مبرر لتخوفات بعضهم من قيام حضارة افريقية اسيوية لان قيامها لا يعني هدم الحضارة الغربية . وانما يعني انقاذها من اسباب التحلل .

تهدف هذه الحضارة الجديدة المنتظرة انسانيا بحتا . تهدف الى تكوين المواطن العالمي الذي يتمتع بكافة الحقوق الانسانية . كما ان عليه واجبات العمل على المحافظة على هذه الحضارة وتنميتها بكل ما هو انساني ونبيل (1) .

ولهذا كان مالك يستحق جائزة عالمية بل اكثر من ذلك . وان كان استاذنا ابعد الناس عن حب الشهرة وازهدهم في بهرجة الحياة ولا يريد بفكرته وجهاده الا وجه الله .

واعظم جائزة يقدمها الاوربيون والمسلمون على السواء لمالك هي ان يتبعوا طريق الله التي تهدف الى الحق والخير والجمال .

(1) راجع دعوة الحق السنة الثانية عدد 2 رقم 39

القوة والمناعة والحصانة ضد الامراض النفسيه والفكرية ، وان النعم دائما ناتجة عن الايمان بالمنعم والا فان تلك النعم تستحيل الى نقم : وما كان الله مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم . ولقد اوصى عمر جيش سعد بان يكون حذرا من ذنوبه اكثر من حذره جيش العدو وان تكون الخشيه من النفس قبل كل شيء ، فهي سبب البلايا والهزائم . وان الايمان والتقوى والخوف من الله كل ذلك كفيل بتحقيق النصر على العدو مع قلة عدد المسلمين وعددهم اما اذا تجرد الجيش المسلم من ذلك فقد فقد سر تفوقه واصبح ضعيفا امام عدوه . وفى هذا المعنى يمثل الامام الشهيد حسن البنا : « اخرجوا الاستعمار من قلوبكم يخرج من ارضكم » .

ولقد بين مالك هذه الحقيقة فى فلسفته على نحو رائع ومقنع وممتع . ولما كانت القابلية للاستعمار مرضا والاستعمار ظاهره له فلابد من القضاء على هذه القابليه للقضاء بالتالي على الاستعمار ولكن كيف يمكن القضاء على ذلك المرض الخطير ؟ ان هناك مرضا ومريضا . وهناك طريقان فقط لوضع حد لهذه الحالة . اما القضاء على المرض او اعدام المريض ولا ثالث لهما . والواقع ان العالم الاسلامى يشعر بالمرض . ولكن شعوره كان شعور الجاهل بحقيقة مرضه ولهذا لم يستطع قادته ان يحددوا المرض الذى يشعر به الامة الاسلامية فاندفعت هذه الامه البحث عن الدواء دون ان تدرى معنى الداء وفى هذا يقول استاذنا مالك : « ولنا ان نتساءل حينئذ اذا كان المريض الذى دخل الصيدلية دون ان يدرك مرضه على وجه التحديد سيذهب بمحض الصدفه ليقضى على المرض او يقضي على نفسه » .

وهكذا دخل العالم الاسلامي الى صيدلية الحضاره الغربية طالبا الشفاء ولكن من اى مرض ؟ وبأى دواء ؟ وما زال يتعاطى الادويه من هذه الصيدليه بشكل مزر وخطير . وهو — وان لم يجد العلاج — ما زال يموه على نفسه ويعوض نقصه فى الحضارة بتكديس الاشياء فاصبحت الحضاره عندنا شكليات ومظاهر خلابه . ومن الطبيعي اذا كان تحديد المرض سطحيا ان يكون العلاج كذلك : خطبا رنانه . ووعودا خرقاء . وتصريحات هوجاء . وعبثا فى الحكم والادارة . واضطرابا فى التنظيم وتخبطا فى الوسائل وتنافضا فى التسيير والمواقف واستهدافا للسراب ودورانا فى الفراغ واستمرارا فى الاغلاط .. هكذا عاش العالم الاسلامى فترة طويلة شاهد فيها على مسرح السياسه من لهم القدرة على التضليل بحسن نية او سوءها اكثر من لهم القدرة على القياده الرشيده التي تعتمد على رسالة واضحة المناهج ، مشعة الجوانب شريفة الاهداف ، (فالرجل الذى يهمه قيادة الحياه العامه لا يتصور الاشياء لكي يقوم بتحقيقها بل ليقولها) ويتشدق فيها قصائد عصماء ويتخذها ماده للكتابه والحديث والخطابة فى المناسبات دون ان يكون لتلك الاشياء اى مدلول اجتماعي فى ذهنه ، ولقد كنا نتحدث مع بعض القادة العرب فى مشاكل اجتماعية كان يجب ان ناخذ نصيبها من الدرس والعنايه فى العالم الاسلامي فرأيناه يتبرم من الحديث ويفر — اخيرا — من مشاركتنا . وقال فى النهايه : « استبدلوا هذا الحديث بما هو خير » .. وما هو خير يا سيدى ؟ .. انه الحديث — كما قال — فى السياسه . وما السياسه ؟ انها الجدل الفارغ والقدرة على العبث بالمثل . وانتهاك القيم المبادئ تبعا للمصالح والاغراض .. انها فى راي مالك اخطر مؤامرة على الشعوب الاسلاميه لتضليلها عن الحقائق ، والامعان السير بها نحو الاغراق فى القابليه للاستعمار . لان السياسه ستتعقد من انحطاط الافراد لانعدام المقاييس عندهم مما يسهل على المضللين والمهرجين التلاعب بعقول الضعفاء وقلب الحقائق تبعا لحقيقه الانحراف الخلقي الكامن فى السياسه او ما يعبر عنه العوام بلفظة : « بوليتيك » .

وعالمنا الاسلامي مزيج من عناصر ثقافية متنافره فهناك رواسب قديمة فيها الغث والسمين . وهناك روافد جديدة وفيها ايضا الغث والسمين . ولكن الملاحظ ان هذا « الخلط » فى التركيب انتج الخلط فى المقاييس والسلوك . فليس ثمه انسجام لانه ليس ثمه فى الاساس اتصال طبيعي بين هذه العناصر اولا ثم يحتاج هضم العناصر الى غربلتها غربلة دقيقه ونقدها باستمرار لتعيين الظروف التى تعين على ملاءمتها المجتمع الذى تستعمرها ، وكل هذا من اجل تكوين حضارة جديدة فى العالم الاسلامي تفيد الانسانيه جميعها . فالانسانيه تعيش ازمات خطيرة فى عالمنا الحاضر . هذه الازمات التى تولدت من اعتماد العالم المتحضر على مبدا القوة وتوجيه كل الامكانات للتسلح والتقدم فى اختراع المدمرات مما جعل الحياه لا تطاق لما يحيطها من رعب واضطراب . وما ذلك الا من انفصال الضمير عن العلم . وابتعاد الضمير عن التوجيه والقيادة . وتجريد العلم من الضمير دفع العالم الى السير فى طريق غامض مظلم يؤدي فى النهايه الىالاخطار اذ ان القاعدة الملقى لم يعد هدفا للجميع

الحق ان ترجمة القرآن بحث حيوي قام بشأنه النقاش وسطرت فيه البحوث التي اختلفت باختلاف المشارب والمذاهب . فمن قائل بترجمة معانيه واحكامه ؛ خدمة للدين من ناحية وللبشرية من ناحية اخرى . ومن قائل بخلاف ذلك ، يصاحبه الخوف من التحريف والتأويل ، ولكل وجهة هو موليها ، وقد نكون من الحمق ان ننصر فريقا على آخر او ننحاز الى احدهما قبل ان نستعرض آراء الفريقين وأدلتهما ، ثم نناقش اقوالهما على ضوء الواقع والحقيقة ، ثم نعقب بكلمة يستخلص منها الرأى الخاص .

معنى الترجمة

تطلق الترجمة عند العلماء بعدة اطلاقات . فبعضهم يرى انها تطلق ويراد منها التعبير بلغة عن لغة اخرى . وقيل الترجمة تفسير لسان بلسان آخر . وقد تطلق ويراد منها التبليغ المطلق وفقا لقول الشاعر:

ان الثمانين – وبلغتها –
قد احوجت سمعي الى ترجمان

واما في اللغة فتستعمل بمعنى التبيين مطلقا « اتحدت اللغة ام اختلفت » ونظرا لاطلاق الترجمة على مطلق البيان فقد استعملها شراح الحديث وغيرهم في عنوان الشيء وخلاصته والمراد منه . فيقولون وترجم لهذا الباب كذا أى عنون له . ويقال ترجمة حياة فلان أى خلاصتها .

(1) « وقد تكون الترجمة بمعنى التصرف في الحرف . فقد روي ان القبائل كانت ترد على النبي صلى الله عليه وسلم وكان يترجم لكل احد بحسب لغته فكان يمد قدر الالف والالفين والثلاثة لمن لغته كذلك . ويرقق لمن لغته كذلك ، ويميل لمن لغته كذلك ، فقد عبر بالترجمة على التصرف في الحرف بالمد والتفخيم والترقيق والامالة » والخلاصة ان المعنى العام للترجمة هو البيان والتعبير مطلقا .

1) ص 239 ج 6 تفسير ابن كثير والبغوى .

انواع الدلالات

ان هناك دلالات تعبر عنها الالفاظ ويستطيع القارىء لهذه الالفاظ ان يتبين المراد منها فقط دون زيادة على المقصود الاصلى . وان مثل هذه الدلالة الاصلية لاتختص بها لغة دون اخرى بل هي شائعة في مختلف اللغات . يدل لذلك قول الشاطبي : « ومن هذه الجهة يمكن في لسان العرب الاخبار عن اقوال الاولين ممن ليسوا من أهل اللغة العربية وحكاية كلامهم . ويتأتى في لسان العجم حكاية اقوال العرب والاخبار عنها وهذا لا اشكال فيه » كما ان هناك دلالات تابعة خادمة للمعنى الاصلي ولقد تمثلت هذه الدلالات في اعتبارات مختلفة مناسبة لمقتضى الحال من ايجاز الى اطناب ، ومن خفاء الى ايضاح ، ومن تحقير الى تعظيم . ومن تصريح الى كناية . الى غير ذلك من الاعتبارات البلاغية التي تختلف باختلاف الاحوال . « فمثل هذه التصرفات التي تختلف معنى الكلام الواحد بحسبها ليست المقصود الاصلي ولكنها من مكملاته ومتمماته » .

وهذه الدلالات التابعة وتلك الدلالات الاصلية تنطبق تمام الانطباق على ما ورد في القرآن الكريم من مختلف القصص . فالقصة الواحدة ترد في غير موضع مخالفة للموضع الآخر من حيث التشكيل والعرض والاسلوب ، وان كانت القصة في مختلف مواطنها من القرآن تجمعها جوهر واحد . وما دام الاختلاف في العرض والاسلوب ليس سوى لطائف بلاغية اقتضاها الحال « وما كان ربك نسيا » واذا عرفنا ان اللغات العالمية وخاصة العربية تحتوى على كثير من الدلالات التابعة التي يقتضيها الحال . كما انه اذا علمنا ان اللغة العربية غنية بالالفاظ المترادفة والتي يجمعها معنى واحد ولكن اللفظ منها في مكانه لو بدل بغيره لصارت العبارة قلقة . ولما كان هناك اسماع للفظ ولا ظل من الظلال ، اذا عرفنا هذا كان من العسير ان نترجم الكلام العربي بهذا الحال الى غيره من لغات العالم ، فضلا عن ان نترجم القرآن الكريم الى لسان غير عربي . وقد نبه كثير من الادباء والنقاد والمشتغلين بترجمة الآداب والقصص من مختلف اللغات على ذلك فأشاروا الى ان القطعة الادبية تفقد كثيرا من خصائصها ودلالاتها

حول ترجمة القرآن الكريم

للأستاذ: محمد كمال شبانة

« كتاب لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » شريعة الله فى أرضه وقانون السماء الحق، أنزله الله سبحانه وتعالى على خاتم الرسل ليبشر الذين آمنوا به أن لهم قدم صدق عند ربهم. وينذر الذين كفروا به عذابا مقيما، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. جمع بين دفتيه من شريف المعاني وحسن المقاصد ما كان مثلا عليا لجميع الاجيال فى مختلف الاقطار.

(1) « حكى عن الانبياء ما شاء الله ان يقص علينا من سيرهم، وما كان بينهم وبين اممهم وبراهم مما رماهم به اهل دينهم المعتقدون برسالاتهم.

آخذ العلماء من الملل المختلفة على ما أفسدوا من عقائدهم. وما خلطوا فى أحكامهم وما حرفوا بالتأويل فى كتبهم. وشرع للناس احكاما تنطبق على مصالحهم وظهرت الفائدة فى العمل بها والمحافظة عليها، وقام بها العدل، وانتظم بها شمل الجماعة ما كانت عند حد ما قرره، ثم عظمت المضرة فى اهمالها، والانحراف عنها. او البعد بها عن الروح الذى أودعه. فضاف بذلك جميع الشرائع الوضعية كما تبين للناظر فى شرائع الامم.

ثم جاء بعد ذلك بحكم ومواعظ وآداب، تخشع لها القلوب وتهش لاستقبالها العقول وتنصرف وراءها الهمم انصرافها فى السبل الأمم ».

وقد عرف له العرب عامة والمسلمون خاصة تلك الميزات، فاستضاءوا بنوره، واتخذوه نبع الحكمة، وموطن الرشاد، ونشروه فى كل قطر وصلت اليه يد الاسلام، وانفقوا فى سبيل نصره قصارى جهدهم، وبذلك سجل التاريخ صفحة بيضاء نورانية وسطر بقلم الوحي بدا لا تزال الانسانية تعترف بعظمة مقصدها، وسمو غايتها، وفضلها على البشرية التى طمست معالم الحقيقة، واتخذت من التطاحن — فى افظع صوره — وسيلة للمطامع الشهوانية، فاصطبغت بصبغة المادة فى مهامه صحراء الطغيان. هنالك أدركتهم العناية فى ملكوتها، وشملتهم الرحمة من لدن بارئها. وكانت الرسالة المحمدية مشعل النور، ومصباح التحرر الفكرى تحمل قرآنا عربيا غير ذى عوج، يهدى الى الرشد. من وعاه فقد وعى، ومن استهداه فقد اهتدى.

لقد كانت طبيعة الرسالة المحمدية — بعد كونها خاتمة الرسالات — ان تكون عامة للبشرية، وقد عمل الرسول على نشرها فأوفد الوفود، وبعث الرسل وايدهم برسائل حددت مرامى الحنيفية السمحة والدعوة اليها. ولحرص الرسول على تعاليم مولاه كان يكتب رسائله للأكاسرة والقياصرة متخذا لذلك كتابا حذقوا لغة الآخرين.

واذا كان الرسول قد فعل هذا كتابة منه افلا يجوز لنا ان نحذو حذوه، وان ناخذ بتعاليم ما جاءنا به؟ « وما آتاكم الرسول فخذوه » وان ندع ما لم يات به مما يجافى الحقيقة مما نهى عنه « وما نهاكم عنه فانتهوا ».

الا يجوز لنا ان نعمل على توسيع رقعة الاسلام وان ننشر لواءه بين الامم المتحضرة اليس حقا علينا — ونحن بنوه — ان ندفع مفتريات القوم واباطيلهم فنذيع صحتنا القرآنية محور ارتكازنا؟.

---

1) رسالة التوحيد للامام محمد عبده ص 144، ص 145.

وتعاليمه ، ولكنهم اجمعوا امرهم واعتمدوا أربعة منهم ، وقد كتبت بوحي من الله لواضعيها القديسين متى ومرقص ويوحنا ولوقا .

ثم انه يمكن وقاية القرآن من تعدد تراجمه . وذلك باعتماد ترجمة من التراجم فى كل لغة من اللغات ، ويراعى فى الترجمة المعتمدة أن تكون وافية بأحكام الاسلام ، شاملة لمبادئه ، كافيه للرد على من نصبوا انفسهم للدعاية المسيئة ضد الاسلام والمسلمين، وبذلك نقطع خط الرجعة على ضرر تعدد التراجم . وبالتالي لن تكون هناك مجال للطعن فى الاصل .

الشبهة الثانية : يلخصها لنا الاستاذ فريد وجدي فى قوله (1) « اذا ترجم معنى القرآن الى الانجليزية ثم ترجمت هذه الترجمة الى الفرنسية . فما الرأي اذا تغير المعنى الاصلى فى الترجمة الثانية ؟ وماذا تكون الحال اذا تنازع قارآن مسلمان أحدهما معتمد على الترجمة الانجليزية والآخر على الفرنسية . فادعى احدهما أن هذا المعنى أو ذاك غير موجود فى القرآن . وادعى الآخر العكس . افلا يعتبر واحد منهما كافرا لا محالة ؟ كذلك يقال اذا كان فى الترجمة الانجليزية خطأ فاعتمد طبعها وتكرر ذلك الخطأ » .

التعقيب : ونحن نرى أن المسلم أعقل من ان يمسك بترجمة مأخوذة عن ترجمة أخرى . وليست ترجمة مباشرة للقرآن. ثم انه لماذا ينقل المترجم الفرنسي مثلا ترجمة الانجليزي لنفسه اذا أراد معانى القرآن ؟ ولم لا يرجع للقرآن ليترجمه للفرنسية رأسا ؟ ان فى الترجمة من القرآن الكريم مباشرة مسايرة للروح العلمية التي من خصائصها الدقة فى الترجمة والامانة فى النقل . ثم ان لتقدم العلوم والفنون فى هذه الآونة اثرا كبيرا فى دفعه الفكر الانساني والرقى به الى درجة لايتصور معها تلك الحالة التى نعبر عنها بالكسل العقلى . والذي يدعو مترجما فرنسيا مثلا ان ينقل معانى القرآن من الانجليزية لا من العربية مباشرة ، وبهذا ينهار اغراض صاحب الشبهة ، ولا تقف عقبة أمام ترجمة معاني القرآن الكريم .

(1) ص 23 من ــ الادلة العلمية ــ فريد وجدي .

واما أهم ما يتعلق بالقسم الثاني من الشبه فنلخصه فى هاتين النقطتين :

1) اسلوب القرآن وبلاغته ونواحي التصوير الفني فيه .

2) نواحى الاعجاز فيه .

الشبهة الاولى : انه معجز فلا يمكن ان نترجم ، وان فيه كلمات لامقابل لها فى اللغة الاجنبية . فيضطر المترجم ان يضع مكانها كلمات اخرى تدل عليها ، وفى ذلك تغيير وتحريف . وان كلمات الكتب السماوية يستخرج منها اشارات واحكام بطريق الحساب ، ويستخرج منها المتصوفة معارف ولطائف ، كما يستخرج منها العلماء علوم الطبيعة والرياضة ، والترجمة تضيع على الناس هذا كله .

التعقيب : لا شك مسلم مفكر بل عاقل فى ان القرآن الكريم تحدى العرب قاطبة بما فيه من آيات بينات ودلائل واضحات قد اشتملت على شرف المعنى وسمو الغاية . فعجزوا عن الاتيان بمثله ــ استغفر الله ــ بل عجزوا عن الاتيان بصورة من مثله فى البلاغة وشرف المعنى . والعرب هم أهل اللغة العربية . واصحاب اللدد فى الخصومة . واللسن المقاول . لقد جاءهم الكتاب فى ارقى عصور البلاغة عندهم . لهذا كان معجزا .

فاذا عرفنا أن البعض من العلماء يرى أن الاعجاز انما كان لاخبار القرآن بالمغيبات . وطرحنا هذا القول جانبا فلن نلقى عالما ممن يوثق بعلمهم يقول بأن الاعجاز من لوازم معنى القرآن ، وانما نراهم يقولون انه معجز لاشتماله على النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم فى مطالعه ومقاطعه وفواصله . أو لمجيئه على تلك الدرجة العالية من البلاغة ، واشتماله على جميع ضروبها . أو أنه معجز لهذا وذاك »

وخاصة ما يتعلق برونق العبارة وطلاوة الاسلوب » . وكلما ارتفع العمل الادبي من الناحية الفنية عزت ترجمته ، وفقد كثيرا من قيمته بالنقل . والذين كانوا يقولون : (ان مقياس قيمة الادب ان يستطاع نقله الى اية لغة اخرى دون ان يفقد شيئا من قيمته كانوا يقالون ليثبتوا حجتهم في ملابسة معينة) .

ونحن نرى ان كتب التفاسير قد اختلفت في التفسير قصرا وطولا . وليس المفسر في نظرنا سوى الفاظ وعبارات تبين معاني القرآن وتوضح اهدافه ومراميه . ولا فرق بين المفسر والمترجم الا ان هذا يضع في بيان معنى اللفظ لفظا عربيا وذاك يضع لفظا اعجميا . وقد يتاح للغة المترجم اليها ان تقوم باداء بعض الخصائص التي انفردت بها لغة العرب ولكن من الجور في الحق ان نحكم بادائها لجميع الخصائص . فقد يكون للفظ العربي بعد الدلالة الاصلية دلالة على حادثة خاصة . كما ان هناك من الاستعارات والتشبيهات والامثال ما له علاقة خاصة بالحياة العربية واحوالها . وليس لتلك الاحوال شبيه عند غير العرب من الامم والعكس صحيح . وليست اللغة العربية بقادرة على ان توفي في الترجمة خصائص اللغات الاخرى والدلالات التابعة . وخاصة في اللغات الحية الراقية .

ونتيجة لذلك نرى ان الترجمة يزداد عسرا كلما كانت هناك اعتبارات اكثر . وكلما كانت الالفاظ محملة بدلالات تابعة اكثر » وهكذا (1) حتى يصل الامر في بعض الاحايين الى حد الاستحالة المطلقة في نقل الآيات المعجزة من القرآن الكريم . فان نقل الخصائص التي بها كان الاعجاز يقتضي ان الترجمة تحمل خصائص الاعجاز ايضا في اللغة المنقول اليها . والاعجاز في أي لغة من اللغات ليس في استطاعة البشر » .

وعلى هذا فالحق انه يمكن ترجمة القرآن من ناحية الدلالات الاصلية ويستحيل او يكاد ترجمته من ناحية الدلالات التابعة ، فيبطل القول بانه لايجوز ترجمته لانه معجز .

أهم شبه المانعين من الترجمة والتعقيب عليها

نستطيع ان نقسم تلك الشبه التي امسك بها مانعو الترجمة الى قسمين :

1) قسم يلحق الكتاب من ناحية المحافظة عليه والابقاء على سلامته من عبث التراجم وما تجره عليه وعلى الاسلام ــ كما يقولون ــ من عواقب غير محمودة .

2) قسم يتعلق بأساليب القرآن والتصوير الفني فيه ونواحي الاعجاز . .

وسنعرض لبيان القسمين وأهم ما يتعلق بكل قسم ثم نعقب على كل شبهة من شبه القسمين بكل ما نراه مزيلا للبس .

فاما اهم ما يتعلق بالقسم الاول فنلخصه في الشبهتين التاليتين :

الشبهة الاولى : انزل الله سبحانه وتعالى التوراة والانجيل باللغة العبرية فتناولها اهلها بالترجمة الى مختلف اللغات . وفي خلال الترجمة وجدنا انهم اضافوا الى الاصل كما انهم اتوا على الاصل فانتقصوه اشياء . دعت اليها ظروف الترجمة وملابساتها . واذا علمنا انه لم يكن وقتئذ طباعة ورقابة بالشكل المعهود الآن ادركنا مدى الزيادات التي زيدت على أصل الكتاب المقدس من التواريخ والاحكام وما تفرع على ذلك من تعدد الاناجيل . وعلى هذا فهم المانعون أن الامر يتصل بالقرآن الكريم في التحريف والتغيير والتبديل الى ما وصل به الامر بالانجيل من التعدد . وفي ذلك ضرر بالغ بالكتاب وتضييع له .

التعقيب : ونحن نرى أن النصارى يعتقدون اعتقادا راسخا بأن الانجيل أنزله الله تعالى على رسوله عيسى عليه السلام بلغة الهند . اجتمع لترجمته سبعون حبرا . ولكنهم يقولون بوجود عدة أناجيل كتبها جماعة من كبار أتباع المسيح لنشر تاريخ حياته وجمع تعاليمه ووصاياه . وللتدليل على هذا ما جاء في المجموعة الصغرى للعلامة « لاروس » قوله : « الانجيل بل الاناجيل هي الكتاب المقدس المؤلف من أربع روايات وصفها القدس متى والقديس مرقس والقديس لوقا والقديس يوحنا وقد ضمنوها حياة المسيح ومذهبه » .

ومع هذا فلا يرى المسيحيون بأسا من تعدد الاناجيل ، لانها جميعا يربطها وحدة ، هي حياة المسيح

1) ص 6 من بحث الامام المراغي في ترجمة القرآن .

التعقيب : فى الواقع اننا نشهد وكل مشتغل بالآداب العربية لاينكر ان الصور الفنية التي جاء بها القرآن فاقت كل الصور الادبية الاخرى ، وما ذلك الا لان العمل الادبي فى القرآن قد ارتفع من الناحية الفنية الى غاية لايسمو اليها اي عمل ادبي ، وحيث ان الامر كذلك فان الترجمة تعز فى هذه الحالة ، ونفقد كثيرا من القيمة بالنقل « (1) والذين كانوا يقولون ان المقياس لقيمة الادب ان يستطاع نقله الى اية لغة أخرى دون أن يفقد شيئا من قيمته كانوا يغالون ليثبتوا حججهم فى ملابسة معينة »

فنحن ننظر مثلا فى القرآن أجمل كتاب أدبي فى المكتبة العربية بغض النظر عن القداسة الدينية حتى ننقل بعض آياته فنيا الى لغة أخرى ، وحين تتخلف عن الترجمة صوره وظلاله وايقاعه ـ انه يفقد جماله الفنى وان بقيت قيمته المعنوية .

ونستحيل عندئذ بقدر قيمته من هذه الوجهة . اما نقل صوره وظلاله وايقاعه فهو عمل أراه أعسر من العسر ، لدقة هذه الخصائص وسامى آفاقها .

وساعرض هنا اللون من آيات الكتاب الحكيم نلحظ فيه موسيقى وتصويرا للجو العام . كل هذا فى تناسب واقتضاء للحال .

« والضحى والليل اذا سجى . ماودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الاولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى » ثم « الم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى » ؟ ذلك الحنان وتلك الرحمة . وذلك الرضى . وهذا الشجى تتسرب كلها من خلال النظم اللطيف العبارة الرقيق اللفظ . ومن هذه الموسيقى السارية بالتعبير . الموسيقى الرتيبة الحركات . الوئيدة الخطوات . الرقيقة الاصداء . الشجية الايقاع . . . فلما أراد اطارا لهذا الحنان اللطيف . ولهذه الرحمة الوديعة . ولهذا الرضى الشامل ، ولهذا الشجى الشفيف . جعل الاطار من الضحى الرائق ومن الليل السجي . أصفى آنين من آونة الليل والنهار . وأشف آنين تسرى فيهما التأملات ، وساقهما فى اللفظ المناسب . فالليل هو « الليل اذا سجى » لا الليل على اطلاقه بوحشته وظلامه ، الليل الساجي الذى يرق ويصفو وتغشاه سحابة رفيفة من الشجى الشفيف ، كجو اليتم

والعيلة ، ثم ينكشف ويجلو ويعقبه الضحى الرائق مع « ماودعك ربك وما قلى ، وللآخرة خير لك من الاولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى » فتلتئم الوان الصورة مع الوان الاطار ، ويتم التناسق والانسجام .

ولكن ماذا نفعل الآن بصدد تلك الصور الفنية ، والتعبيرات المتسامية الآفاق البعيدة الغور ، والتي تهيء الجو الملائم لكل حالة ؟ أيهمل فى الترجمة اهمالا تاما فنخسر الناحية الفنية فى القرآن ؟ ام ان هناك فى اللغات الاجنبية ما يعوضنا ولو بعض شيء عن مثل هذا ؟

الحق اننا لا نأسى كثيرا على تلك النواحي الفنية فى القرآن عندما نترجم ، وذلك لعوامل نذكرها فيما يلي :

1 ـ ان المقصود الاول بالترجمة تعريف الاجانب بمبادىء ديننا القويم ، وبيان أحكام الاسلام ، وما شرعه المولى للبشرية من قوانين سماوية ، تطاولت اليها الاعناق . فصاغتها فى قالب آخر ، وعبرت عنها بانها من عند أنفسها . والقرآن هو صاحبها منذ القرون الاولى . كما أنه يبغى من الترجمة دحض شبه المفترين على الدين . ويفند أباطيلهم ودعاويهم . حتى تتهاوى واحدة بعد الاخرى .

فلن نأسف على ناحية الايقاع والظلال والاشعاع ، اذا ما فات فى النقل . فحسبنا أن نحقق الرسالة الاولى من مبادىء الاسلام .

2 ـ يستطيع المستشرقون والذين يرغبون فى أن ينهلوا من منابع العربية من الاجانب ان يتذوقوا تلك التعابير الفنية فى القرآن . وأن يحكموا على مدى الدلالات الحقة للمعاني الاصلية ، فيعرفوا ما للقرآن من انفراد بتلك الخصوصيات للتعبير ، ولسنا نغلو فى القول اذا قلنا ان أهالي جاوه وسوماطره والباكستان وما اليها من الاقطار الاسلامية قد لاتقف على كل الصور الفنية فى القرآن ، والتى اتينا منها بنموذج مصغر ، تبينا من خلاله كيف أحاط القرآن فى كلماته المتتابعة بتصوير المواقف تصويرا تنوع بتنوع الحال واختلف باختلاف المجال .

---

1) الديوان للاستاذين العقاد والمازني

أما ان كان اعجازه فى النظم فلا يستطيع المترجم
ـهما اوتي من السعة فى العلم أن ينقله الى اللغة الاخرى
ـحيث تقوم الترجمة بالمعنى والاعجاز . ولكن عدم
ـستطاعته نقل دليل الاعجاز لايستلزم عدم امكان نقل
ـمنى نفسه .

على أن الاعاجم أنفسهم لو امكنهم تلاوة القرآن
ـعربية لما أمكنهم تلمس نواحي الاعجاز فيه ولا فهمه .
ـ ان الامة العربية ظلت ردحا من الزمن تحاول
ـقوف على اسرار اعجازه . فتعثرت كثيرا . ووقف
ـ اليسير منه البعض . وقليل ما هم . وأين نحن من
ـين ادركوا اعجازه عن طريق الذوق فآمنوا به لهذا
ـدراك »

أما اذا كان الاعجاز عن طريق الاخبار بالمغيبات
ـشك ان الترجمة ستحمل معها هذا الدليل . لان
ـك مرتبط بالمعنى لا باللفظ .

وأما اعتراضهم بأنه يوجد فى القرآن الكريم الفاظ
ـمقابل لها فى اللغات الاجنبية .... الخ فنقول :
ـا انه يوجد فى القرآن الكريم الفاظ يندر ان نجد فى
ـات الاخرى ما يضاهيها فى افادة المعنى الذي يفيده
ـظ العربي . كما أن فيه ألفاظا يصعب تحديد معناها
ـ العربية . ولا شك فى ان نقل مثل هذا الى اللغات
ـجنبية يكاد يكون ضربا من المستحيل . وهذه ناحية
ـرد بها القرآن الكريم من بين الكتب السماوية . ولكننا
ـصمد أمام ذلك . بل سنفسح المجال للشاطبي ، للرد
ـ هذه النقطة بالذات . اذ يقول : (1) فاما على
ـجه الاول فهو ممكن . ومن جهته صح تفسير القرآن.
ـان معناه للعامة . ومن ليس لهم فهم يقوى على
ـسيل معانيه . وذلك جائز باتفاق اهل الاسلام .
ـار هذا الاتفاق حجة فى صحة الترجمة على المعنى
ـلي » .

وعلى هذا فما نخافه من الترجمة مما سبق بيانه
ـظه فى كتب التفاسير باللفظ العربي نفسه ، وقد
ـت الامة على عدم التحاشي عن هذه المحذورات ،
ـب الا يتحاشى عنها فى الترجمة ايضا ، اذ لا يوجد
ـ بين التعبير عن آيات القرآن بلفظ عربي او لفظ
ـمي ، متى كان المعبر والمفسر مستكملا للشروط
ـ تؤهله لان يتعرض للتفسير او الترجمة .

واما قولهم : « (2) ان فى الكتب السماوية اشارات واحكاما تستخرج بطريق الحساب ، ومعارف يستخرجها اهل التصوف بالذوق ، وعلوما طبيعية ورياضية ، وان ذلك يضيع بالترجمة » فليس كتاب الله سوى نور يهدى به من يشاء من عباده ، انزله ليكون نبراسا يضيء لمن تاهوا فى صحراء الكفر ، مرشدا لانفع الطرق واقومها ، ولم ينزله تعالى لاستخراج الطبيعيات والرياضيات ، وما الذي يضير لو ان مثل ذلك فات فى الترجمة ؟ أليس النص العربي يحوي هذا وهى باقية فيه ؟

ونحب فى هذا المكان ان نشير الى ما سبق ان قررناه . وهو ان القرآن الكريم غير مرتبط بالعلوم والفنون أيا كان نوعها ووجهها . فالعلم دائم التغير لايبقى على حالة واحدة . ومن الواجب علينا – كمحافظين على كتابنا – ان نصونه عما هو قابل للتغيير . وهذا لا ينفي انه صادق فى كل زمان . وحجة على ممر الاجيال . فتلك خصوصية من خصوصياته التى تفرد بها من بين كتبه تعالى . ومزية لا تعادلها مزية . فسبحان من ضمن له ذلك « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد » .

ولكن هب ان التراجم تغيرت وحدث فيها تحريف فماذا يكون الموقف ؟ والجواب ان النص الاصلى لايزال بحمد الله قائما ، يرجع اليه حين يختصم القوم . او يقوم النزاع فى احدى النواحى . فهو (3) « الحاكم لكل ترجمة توجد . وهو الميزان العدل لكل شيء يقال . والتراجم لايصح أن تسمى قرآنا . ولكن سلب هذه التسمية لا يستلزم سلب جواز استخراج الاحكام منها . بل يجب ان يصح استخراج الاحكام منها ، لان الاحكام تستفاد من المعاني التي هي مدلولات الالفاظ العربية ، والمعاني يصح نقلها الى اللغات الاخرى » .

الشبهة الثانية : **ينفرد القرآن بنظمه الموسيقي ، وطلاوة عباراته . وما لالفاظه من ايقاع وظلال ، يضاف لهذا تأثيره فى النفوس ، وهذا مالا يمكن الحصول عليه من التراجم ، وفى عدم الحصول عليه حرمان للنفس الانسانية من ذلك الينبوع الصافي للمعارف الالهية .**

ـ الموافقات للشاطبي ، من بحث المراغي ص 11
ـ ص 11 من بحث المراغي (3) ص 12 من بحث المراغي

الاسلام والتقليد الأعمى ١

بحث

للأستاذ محمد أحمد الزيتوني

امتاز البشر عن سائر الفصائل الحيوانية بخاصية التفكير والتمكن من ترتيب النتائج الواقعية على المقدمات اليقينية .

فعلى قدر سير الانسانية على ضوء هذه النورانية الكبرى ، ومراعاة تلك الخاصية العظمى ـ خاصية الاستضاءة بمصباح التفكير ـ ومراعاة قواعدها تكون تقدم البشرية وصعودها في مدارج الكمال والرقي المادي والروحي ، وذلك هو السبيل الوحيد الذي بسلوكه يتحقق التعاون الضروري الذي يرجى من ورائه توفير الرفاهية والسعادة الشاملة للاسرة الانسانية وتدرأ المضار وتجلب المنافع العاجلة والآجلة . ويضمن الفوز بالسعادتين الدنيوية والاخروية وتنجز الانسانية القيام باداء رسالتها على اكمل وجه على هذا الكوكب الارضي رافلة في حلل الهناء والسلام .

اما ان وقع اغفال او تغافل لهذه النعمة او تساهل في الاسترشاد بقواعدها او اعترى البشرية الكسل التفكيري في احد الميدانين الروحي والمادي او فيهما معا فان النتيجة الطبيعية هي التباطؤ في السير نحو الكمال المنشود . ثم الارتكاس والانتكاس والركود .

وحيث ان الاسلام هو الدين الوحيد الذي تلائم مبادئه سائر الافراد البشرية وتوافق كل المجتمعات الانسانية في سائر الامكنة وعموم الازمنة ، وهو الدين الذي يبني قضاياه على اقيسة العقل وبراهينه اليقينية ويزنها بميزان المنطق . لذلك فقد كانت مبادئه على طرفي نقيض من التقليد الاعمى والركود الفكري ، والقرآن الكريم قد اكثر من النعي على الاسلاس للتقليد الاعمى ، اذ ليس شيئا اضر على الاسلام من تعطيل موهبة العقل ووأد الفكر ، بل قد اعتبر القرآن الكريم النشاط الفكري من اهم انواع العبادات واشرف انواع القربات الى الله تعالى . ورتب على ذلك استجابة الدعاء ونيل المطالب . اذ قال (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض الآية) . وقد انحى القرآن باللوائم على من رضوا سجن التقليد الاعمى واسلسوا القياد لاغلاله ولاذوا بركوب متن المجازفة في اقتفاء آثار السالفين من الآباء واعرضوا عن نعمة التريث واهملوا مراجعة آراء آبائهم وارائهم هم في تقليدهم لآبائهم حيث يقول تعالى (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون) ذلك الانصياع الى مجرد اعتناق آراء الغير . الامر الذي صيرهم سجناء الترف وغرقى في بحار الشهوات حيوانات في قرونها حبال التقليد لا ينفعون انفسهم ولا تنتفع بهم مجتمعاتهم ولا يفيدون اوطانهم ولا يستفيدون . او هم كالمريض الجاهل الذي يفرق من اجراء عملية جراحية يتحقق من ورائها التخلص من مرضه المزمن . لهذا نراهم كثيرا ما يجعلون من انفسهم حجر عثرة في سبيل ارشاد الرسل واصلاح المصلحين ، ويشكلون اعباء ثقيلة على الانسانية وعلى الارض التي بطنها خير لهم من ظهرها ، وقد قال القرآن في شان هؤلاء المقلدين : (وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) .

ولو قلنا ان التقليد الاعمى منطو على معاني العبودية . وعنوان لضعف الارادة ، ومظنة الاستهانة بالكرامة الانسانية . وعلامة للاستخذاء لما تجاوزنا

3 — هذا ولا يحق لنا ان نسلب ناحية التصوير الفني في اللغات الاخرى والا كان جور في القول وحيف في الحكم ، وانما الذي نريد أن نقرره في هذا المقام هو أن اللغات الاخرى لاتفي المقام التصويري في القرآن حقه ، بحيث يكون صورة ناطقة بالاصل معبرة عنه اصدق تعبير ، ولكن يستطيع المترجم الحاذق ان ينشر حول الالفاظ جوا مناسبا لمختلف الاحوال ، فيعوض ما فاته من فنية التعبير الادبي في القرآن ، ما استطاع الى ذلك سبيلا .

وعليه فلا يصح لنا القول بأن حرمان الترجمة — ان حرمت اصلا — من موسيقى الالفاظ وطلاوة العبارات ان تحرم قارئها من ينبوع المعارف الالهية ، فليس يخفى على عاقل أن ينبوع المعارف الالهية هي معاني القرآن المدلول عليها بالنظم العربي . واذا ذهبنا الى ان المعارف الالهية مرتبطة بالالفاظ فذلك لغو من القول وزور ، لمجافاته أبسط القواعد الادبية العالمية .

شبهة من نوع آخر

« المتشابهات »

لقد وقع في القرآن الكريم بعض آيات توهم ظاهرا خلاف المراد ، ونحن نعلم ان السلف الصالح كانوا يفوضون الامر فيها لعلم الله وحده ، ويحذرون من الوقوع في تأويلها ؛ خشية من عند أنفسهم ، ولئلا يفتحوا بابا للجدل والمنافتة . قد تؤدى بالعقول الى مهاوى الضلال ، ولكن الخلف أبو أن يتركوها بدون تاويل ، فسلطوا عليها ما امكن من التأويلات التي أدت الى المعنى المقصود والمقبول عقلا .

والسؤال الذى نحب أن نورده هنا هو : ماذا سيفعل المترجم ازاء ذلك ؟ في أي صورة سيبرزها حتى تكون القارىء على بينه من الامر لاتخالجه شك او حيرة ؟

والجواب : انه لامناص من كل شيء من التعرض لهذه المتشابهات عند الترجمه والا كانت الترجمة لبعض القرآن دون بعض . وتصوروا الامر في ضرب مثل . قال تعالى : « ماأصابك من حسنه فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك » وقال تعالى : « قل كل من عند الله » لقد وقع الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة ، فقال المعتزلة : الآية الاولى محكمة والاخرى متشابهة ، وقال أهل السنة : بأن الاولى هي المتشابهة .

وليس يعنينا في هذا الخلاف الاخذ بأحدهما بقدر مايعنينا أمر المترجم حيال أمثال هذا .

فواجب المترجم حينئذ ان ينقل الصورة لكل منهما الى اللغة الاجنبية بدون اجراء اي تعديل ؛ اذ كلا الآتين — كما لايخفى — لها معنى يستقل بالفهم ، وتأويل ذلك المعنى لايعني المترجم في شيء ، وسيفهم منها الاجانب وخاصة المفكرون منهم ما يتفق والحقيقة ، وما يتناسب ومعنى الالوهية .

وهناك نوع آخر يقارب هذه المتشابهات وهو الآيات المؤولة ، من مثل « يد الله فوق أيديهم » وهذه أمرها يسير . ففي الفاظ اللغات الاجنبية ما يؤدي المعنى المؤول ، والمقصود في هذا المقام .

أما اننا نكلف انفسنا حيال تلك الالفاظ الموهمة خلاف المراد بأن « تؤول بالدليل العقلي الذي قام على استحالة بقائها على ظاهرها ، وهذا التأويل يسلط على التراجم نفسها اذا أمكن المترجم أن يضع بدل اللفظ العربي مرادفا له من لغة أخرى ، ويسلط على اللفظ العربي نفسه قبل أن ينقل معناه الى لغة أخرى اذا لم يوجد في اللغة الاخرى مرادف ومقابل لذلك اللفظ العربي » فذلك وصول للغاية من طريق أطول ، وتكليف بدون مبرر ، فاننا بدل ان نبحث في اللغة الاخرى عن مرادف للفظ العربي المبهم نبحث عن لفظ يقوم بالمعنى المراد في اللغة الاجنبية ، وفي اللغات متسع لامثال هذا .

ونخيل الي اننا لانضطر الى مثل هذا العلاج الذي جاء بنص الاستاذ الاكبر المراغي الا اذا أعوزتنا الحاجة وأعيانا الوصول الى لفظ يقوم بالمعنى المقصود من الآية ، وأحسب أن ذلك افتراض نادر الحصول ؛ لما عرفنا من ثراء اللغات بالالفاظ المرادة والمطلوبة في مثل هذه المواقف .

(يتبع)

زاهرا حافلا بما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين من الماديات والوجاهة ، وهذا شيء جميل وسعي مشكور ، غير اننا سوف نحرج انفسنا لو واجهناها بالسؤال عن مدى اعتنائنا بالتربية التوجيهية للأولاد ليسبق الى قلوبهم الخير والايمان ويزرع فيها بذور الاعتزاز بالنفس وحب الدين والوطن ، وعن مدى اعتنائنا بتدريبهم على اداء واجباتهم الدينية ، ووضع الاساس المتين الذي يبنون عليه شخصياتهم ، ثم ما هي الوسائل المتخذة ازاء حفظ تلك الفطرة البيضاء الطاهرة والابقاء عليها حتى لا تعكرها اعاصير الزيغ والهواء .

وبعبارة أوجز اذا كان لنا الاهتمام بمستقبل فلذات اكبادنا من الناحية المادية فهل كان لنا نفس الاهتمام بمستقبلهم الروحي . وهل مهدنا للجيل الصاعد الاستعداد للايمان بعظمة دينه وبلاده وقوميته . حتى اذا ما اوفدناه للخارج ليكرع من علوم امته ما رجع لنا بعلم نقي صاف من التلوث بطفيليات وجراثيم قد تكدر علينا الانتفاع بما قد امتاره لنا من بضائع المعارف . فباخذ العلوم لامته احد التنفى الحكم . ويعتبر نفسه كرئيس عائلة يسطر من كاسبها الامتياز ، ام سوف يكون قد جنينا عليه وعلى انفسنا ان لم نمهد له طريق الوثوق بنفسه والاعتزاز بشخصيته وامته . والقينا له ـ منذ نعومة اظفاره ـ الحبل على الغارب . اذا فمن المنتظر ان سوف تلغى ارادته . وتلقى بنفسه في احضان سادات واساتذته فيسلكونه كما يشاؤون . ونكون وكأننا لم نرد على ان نرغما عليهم بيوت يسهرون بها ما لهم وما ليس لهم من المناقب والمفاخر .

جمعتني بعض النوادي ذات ليلة ببعض شبابنا المثقفين ممن يجيدون اللغتين العربية والفرنسية وكنت الاحظ عليهم ان جل حوارهم تؤدى باللغة الفرنسية .

ولما انتهت الندوة سألت احدهم قائلا : بما انكم تجيدون اللغتين معا فلماذا لا تشرفون لغتكم بالتحاور بها ، واظن ـ من سلوككم هذا ـ انكم اخترتم عليها لغة اجنبية ـ مع احترامنا لها كلغة من اللغات الحية ـ ولو في حالة عدم الاحتياج اليها ، وفي وقت تقوم لغتكم العربية مقامها ، بل قد رايت غيركم كثيرا ما يسلك مسلككم ، فاجابني هذا الشاب جوابا صريحا بقوله (اننا عند ما نستعمل في محاورتنا هذه اللغة الاجنبية نشعر في نفوسنا بشيء من الرفعة الامر الذي لا نحس به ان نحن تحاورنا باللغة العربية) .

ولو اردنا تحليل جواب هذا الشاب لوجدناه هكذا : اننا نشك في عزتنا القومية في حين اننا نعتقد بعزة قوم آخرين .

أو ليس هذا معنى ضعف النفس . واهدار الارادة . والغاء الوجود ، بل اليس هذا هو شر انواع الاستعباد .

هذا ولا نعني بذم التقليد الاعمى الدعوة الى ان يركب المرء نفسه ويستبد برأيه من غير ان يطعمه نتائج الافكار الاخرى . فانه من المعلوم بالضرورة ان المدنية البشرية وما نشاهده من التقدم المادي الهائل ان هو الا نتيجة التكاتف الدائم ، والتعاون بين الافكار في مختلف الاجيال والاعصار . والاسلام نفسه قد ضرب لنا مثلا عمليا لوجوب التعاون الفكري بقضية ابني ادم حين قتل احدهما الاخر فلم يهتد كيف يواري جثمان اخيه اذ قال تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه الايه . بل القرآن الكريم نفسه قد فتح باب التعاون الفكري وشجع عليه ونوه بشأنه ايما تنويه حيث قال (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه . اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب) .

صميم الحق ولما اخطانا هدف الواقع. بل يحمل التقليد الاعمى في طياته كل عناصر التشاؤم وجراثيم التاخر ولوافح الفساد وعوامل الاضمحلال وخسران الدنيا والدين ، وقد ذكر الله مثالا عمليا لمن انفلت من شرك التقليد الاعمى بقوله (قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين اذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمدينون ، قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ، افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون) . وقد اعقب الله تعالى هذا المثال العملي بمثال آخر لقوم حرموا من نعمه التامل وضيعوا الاسترشاد بنور العقل ، فقابلوا نعمه الله بالكفران وباعوا الاخرة بالخزي والخسران . فقال تعالى بعد ان وصف ما استقبلت به وفادتهم في الآخرة من الاهانه والنكال ، وما ينتظرهم في الجحيم من الوان الخزي والوبال (انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين) وهكذا يبين لنا القرآن الكريم ان اكثر الامم السالفه والدول المعرفة قد وقعوا في هلاك مؤبد وان سبب هذا الهلاك التقليد الاعمى الذي كان شؤما ووبالا على اصحابه في اولاه وآخره ، فهم قد رضوا بذوبان الشخصيه في المقلد — بقبح اللام — عاجلا ، ومهدوا لانفسهم الولوج للعذاب الواصب آجلا ، كيف لا وفي ذلك تعطيل لنعمه نور العقل وفضيله التفكير التي هي اعظم منحه، واسمى تحفة من ملك الملوك رب السموات والارضين وخالق العالمين .

اجل لقد كان نور الفكر منه جل ثناؤه اعظم منحه واغلى تحفة لهذا الكائن الحيواني . البالغ من الضعف اقصاه اذ لولا تفكيره وعقله لكان من اضعف واحقر الكائنات الحيه .

ولو بحثنا عن الاسباب التي صرفت كثيرا من البشر عن الجادة الموصلة الى معرفة الله تعالى ، ثم اخلاص العبادة له سبحانه . وبالتالي الاهتداء الى احقاق الحق وابطال الباطل لوجدنا ان من اعظمها وابرزها الاسراف في الاخذ بآراء الغير الذي هو التقليد الاعمى ، والدليل على هذا الحديثان القدسيان المشهوران ، وهما قوله جل ثناؤه : (اني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وانهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا) وقوله سبحانه اني خلقت عبادي حنفاء اي مستقيمين على الحق مائلين عن غيره ، والحديث الاخير يشير بمفهومه الى ان بيت الداء انما هو في التقليد الاعمى والا فان كيد الشيطان كان ضعيفا ، وقد قال عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة ، يعني فطرة الله التي فطر الناس عليها اي الخلقه التي خلقهم عليها وهي الاستعداد لقبول الخير — حتى يعرب عنه لسانه ، فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه . ومن هذا الحديث الكريم نعلم فداحة المسؤولية الملقاة على كواهل الاباء والمعلمين مسؤوليه المحافظه على تلك الفطره النقية البيضاء لكيلا تمسخ او تتلقح بجراثيم الفساد او تنصاع لمطلق التقليد والاستجابة لمن تدعوها الى الشر والزيغ والالحاد .

ان الاسلام والمجتمع ليهيبان بالآباء والاساتذة ان لا يدعوا عقول نشئهم تتناهبها الآراء الزائفه او تدنس فطرهم الطاهرة بارجاس افكار تسئ للاسلام والعروبه التشر والابادة والهلاك .

ان جلنا — والحسرة ملء صدورنا — قد اخلى هذا الميدان — ميدان توجيه عقول النشء وتكييفها وتوجيهها وتكييفا يتفق والاسلام الحنيف الذي هو فطره الله التي فطر الناس عليها — وتركناه فسيحا تلقح بعوامل الافكار والآراء الغريبه عن الاسلام والعروبة بل وضعناها بين اصابع التعاليم الاستعماريه والتبشيرية على اختلاف اساليبها واشكالها تقلبها كيف شاءت . تلكم الاصابع التي لا تعرف الفتور في سبيل بث تعاليمها بجميع الآفاق . مستسهلة جميع المشاق . تارة تحت الستار التمدني وطورا باسم التعاون الانساني . والغرض الحقيقي محصور في تكييف عقول النشء وتمهيدها للتقليد تقليدا اعمى لتعاليم الاستعمار والتبشير . اما نحن فحسبنا ان نقف من ذلك النشاط موقف المتفرج الابله الغافل او موقف الذي لا يهمه الامر من قريب ولا من بعيد .

ان من العسير جدا ان ننتظر الاخلاص لديننا ولقضايا وطننا الكبرى ممن تشبع منذ نعومه اظفاره بالتعاليم الاستعمارية والتوجيهات التبشيريه .

ننفق احدنا اموالا كثيرة واوقاتا ثمينه — بسخاء — في سبيل تثقيف ولده وتعبيد الطريق لان تكرع من معين العلوم العصريه ونيل الشهادات والدكتورات — داخل البلاد او خارجها — ويقول ويعتقد انه يبذل تلك المجهودات المضنيه لضمن لولده مستقبلا ماديا

فقد قال الحافظ السيوطي فى الحاوي للفتاوي : ان المفتي حكمه حكم الطبيب بنظرفى الواقعة ويذكر فيها ما يليق بها بحسب مقتضى الحال والشخص والزمان ؛ فالمفتى طبيب الاديان وذاك طبيب الابدان ، وقد قال عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس احكام بحسب ما احدثوا من الفجور ، ثم نقل عن السبكي فى فتاويه ما معناه : يوجد فى فتاوي المتقدمين من اصحابنا اشياء لايمكن الحكم عليها بانهـا المذهب فى كل صورة لانها وردت على وقائع فعلهم رأوا ان تلك الوقائع تستحق ان يفتى فيهـا بذلك ولا يلزم اطراد ذلك واستمراره « انتهى المراد من كلام السيوطي » .

وقال العلامه التسولي فى البهجة قبل المساقاه : وقد نص العلماء على ان الفتوى دائـرة على مقتضى الحال ، وقد اشبع الامام ابراهيم فى كتابه اعلام الموقعين عن رب العالمين الكلام على مسالة تغير الفقه وتطوره بتغير الاحوال والنيات والعوائد والعصور والامكنة بما لايوجد فى غيره .

وقال الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر محمد مصطفى المراغي فى مذكره له فى اصلاح كتب الفقه الدراسه والنظر فى الاحكام الاجتهادية كان رفعها لملك مصر اذ ذاك ونشرها مجلة الفتح الغراء فى بعض اعدادهـا :

« يجب ان يدرس الفقه الاسلامي دراسه حره خاليه من التعصب لمذهب ، وان يدرس قواعده مرتبة باصولها من الادله ، وان تكون الغايه من هذه الدراسه عدم المساس بالاحكام المنصوص عليها فى الكتاب والسنه والاحكام المجمع عليها ، والنظر فى الاحكام الاجتهادية بجعلها ملائمة للعصور والامكنة والعرف وامزجه الامم المختلفه كما كان يفعل السلف من الفقهـاء »

واني ذاكر قصة كان افتى فيها بعض اشياخي بمذهب اشهب : وذلك ان مستفتيه كان حلف على زوجه ان لاتفعل شيئا ولم تبق له الا طلقة واحدة فاحنثته بفعلها لذلك الشيء ، وكان هذا المستفتي فقيرا لايستطيع دفع نفقة اولاده اذا ضمنهم اليها لكون الحضانه لها ، كما انه لايستطيع الزواج باخرى من جديد لقلة ذات يده فافتاه مراعاة لحاله بمذهب اشهب انه لايحنث ، معاملة للمراة بنقيض قصدها مع انه قول ضعيف فى المذاهب .

فالشريعـة والفقـه غير منحصرين فى المذاهب الاربعة فجميع ائمة المسلمين ومجتهديهم قد استقوا مذاهبهم من الشريعة وقواعدها ، فلا يعد احد من غير الائمة الاربعة خارجا عن الشريعة حتى بعد من قلد واحدا منهم فى بعض المسائل خارجا عن الشريعة

واختلاف الائمة رحمه لهذه الامة كما قال ذلك مالك للرشيد لما اراد ان يحمل الناس على موطئه .

فائمه المسلمين ومجتهدوهم كلهم على هدى من الله كما قال علماؤنا فلا يصح لاحد ان يجعل الحق محصرا فى مذاهب الائمه الاربعه وحدهم ولا فى غيرها من المذاهب .

بل ولو قلنا كما قال الجمهور ان المصيب واحد فانه غير معين باتفاقهـم .

فكلهم على هدى ورحمة رحمهم الله وجزاهم عن المسلمين خير الجزاء فاختلافهم ناشئ عن الاستنباط المؤسس على قواعد محكمة استخرجوها من نصوص الشرع العامة والخاصة ، وغير بعيد ان يستخلص منه قانون محكم يساير الظروف ، يفوق القوانين الوضعية ويغني الامة الاسلامية عن غيره من الدساتير الاوربية التي قد تكون مخالفة لهدى الشريعة الاسلامية

يقول الدكتور محمد يوسف موسى استاذ ورئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بجامعة عين شمس بالقاهرة فى كتابه « تاريخ الفقه الاسلامي » ومما يغتبط له ايضا ان يوصي رجل كبير فى عالم القانون وهو الاستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهوري بالعناية بالشريعة الاسلامية ليكون ذلك وسيلة من اهم الوسائل للخروج بالفقه الاسلامي من الدائرة القومية الى الدائره العالمية ، وهو فى هذا يقول من كلمة جد طيبه له (وهذه الشريعة الاسلامية لو وطئت اكنافها وعبدت سبلها لكان لنا فى هذا التراث الجليل – يريد تراث الفقهاء الماضين – ما ينفخ روح الاستقلال فى فقهنا وفى قضائنا وفى تشريعنا ، ثم لاشرفنا نطالع العالم بهذا النور الجديد فنضيء به جانبا من جوانب الثقافة العالميـه فى القانون) .

الفتوى دائرة مع مقتضى الحال

للأستاذ : محمد بن احمد بن عبد الله

كثير من الناس يعتقدون ان الخروج عن المذاهب الاربعة الى غيرها من المذاهب الفقهية في بعض المسائل يعد خروجا عن الشريعة ، كأن الشريعة هي ماقاله هؤلاء الائمة الاربعة وحدهم دون ماقاله غيرهم من ائمة الفقه رضى الله عن جميعهم .

ونقول لهؤلاء الناس : ان الشريعة — ويقال لها الدين والملة — هي ماشرعه الله تعالى لعباده سواء كان ذلك بالقرآن ام بسنة النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير .

فهي بهذا المعنى تشمل اصول الدين مما يتعلق بالله تعالى وصفاته والدار الآخرة وغير ذلك من مسائل العقائد ، وتشمل ايضا ما يرجع الى تهذيب النفوس وما يتعين ان تكون عليه العلاقات الاجتماعية كما تشمل كل عمل من اعمالنا من وجوب وحرمة وكراهة وندب واباحة . وهذا الاخير هو ما نسميه الفقه فهو جزء من الشريعة وجد اصله مع وجود رسالة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهور الائمة الاربعة ، فالقرآن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه الشيء الكثير من آيات احكام الفقه ، والسنة صدرت منه صلى الله عليه وسلم وفيها آلاف الاحاديث في احكام الفقه . والائمة قد استمدوا فقه مذاهبهم من القرآن والسنة والاجماع والقياس على النص وغير ذلك من قواعد الشريعة وكلياتها ، وغير خاف ان الفقيه كثيرا ما يختلف رأيه واجتهاده في المسألة الواحدة ويقول فيها اليوم ما لم يقله بالامس كما نشاهد ذلك في كتب الفقه ؛ فهذه كتب الشافعية طافحة بقولهم في المسألة الواحدة . ومذهب الشافعي القديم فيها كذا ومذهبه الجديد فيها كذا .

وهذه كتب المالكية يروى فيها ابن القاسم عن مالك قولا ، ويروي فيها أشهب وغيره قولا آخر يخالفه ، وهكذا بقية المذاهب . وليبدل آرائهم في المسألة الواحدة عند تجديد النظر فيها مرة ثانية واطلاعهم على ادلة اخرى لم يكونوا اطلعوا عليها من قبل كانوا رضى الله عنهم ينهون عن تقليدهم خصوصا اذا صح من السنة ما يخالف رأيهم .

ويعترفون بانهم بشر يخطئون ويصيبون .

وهذا مالك امام دار الهجرة رضى الله عنه لما اراد المنصور العباسى ثم هارون الرشيد من بعده ان يحمل الناس على « موطئه » امتنع وقال : ان الناس سبقت اليهم اقاويل وسمعوا احاديث واخذ كل بما سبق اليه ، وكل مجتهد مصيب .

وقد قال الامام القرافي في شرح تنقيحه : انعقد الاجماع على ان من اسلم فله ان يقلد من شاء من العلماء بغير حجر . واجمع الصحابة رضوان الله عليهم على ان من استفتى ابا بكر وعمر رضي الله عنهما او قلدهما فله ان يستفتى ابا هريرة ومعاذ بن جبل وغيرهما ويعمل بقولهما من غير نكير فمن ادعى رفع هذين الاجماعين فعليه الدليل .

وقد نص العلماء على مراعاة الشخص المستفتى والحال والزمان ، وعلى انه يوجد في فتاوى المتقدمين اشياء لايمكن الحكم عليها بانها المذهب في كل صورة من كل زمان .

أما ابو تمام فالقدماء مجمعون على خروجه عن عمود الشعر العربي ، هذا مع اطلاعه الواسع على اللغة وعلى أساليب العرب . يروى أن اعرابيا سمع قصيدته:

وللِل الحميع لقد عفوت حميــــــدا
وكفــى على رزئي بــذاك شهيــــدا

وسئل كيف يرى هذا الشعر ؟ فقال : « فيه ما استحسنه ، وفيه ما لا اعرفه ولم أسمع بمثله . فاما ان يكون هذا الرجل اشعر الناس جميعا ، واما ان يكون جميع الناس أشعر منه » .

ويروى أيضا ان اللغوي المشهور ابن الاعرابي سمع شعره فقال : « ان كان هذا شعرا فكلام العرب باطل » .

هذا مع أخبار كثيرة تشير الى تجديد ابي تمام والى تعقيد شعره ، كتعقيد تلك الحضارة التي اتسع سلطانها اذ ذاك الاتساع كله .

وللاتجاه الدياليكتيكي الذى اتجهه ابو تمام استطاع ان يولد كثيرا من المعاني « كم ترك الاول للآخر » كما يقول . وقد عرض ابو العلاء المعري رأيه فيه في رسالة الغفران فقال : « كان صاحب طريقة [illegible] ومعان كاللؤلؤ [illegible] يستخرجها من غامض [illegible] المستلقى من المحار » . ويذكر رأيه [illegible] من الرسالة على لسان عنترة العبسي [illegible] في الجحيم فقال : « واني اذا [illegible] « تل غادر الشعراء من متردم » لا اقول [illegible] وديوان الشعر قليل محفوظ ، فاما [illegible] على القبائل [illegible] وعرفت مكان الجهد الرباب (1) ولو سمعت ما قيل بعد مبعث النبي [illegible] لعتبت نفسك على ما قلت وعلمت ان الامر كما قال حبيب بن اوس :

فلو كان يفنى الشعر افناه ما قرت
حياضك منه في العصــور الذواهب

ولكنه صــوب العقــول اذا انجلت
سحائــب منــه اعقبت بسحــائب

فيقول وما حبيبكم هذا ؟ فيقول شاعر ظهر في الاسلام ، وينشده شيئا من نظمه ، فيقول : اما الاصل فعربي ، واما الفرع فنطق به غبي ، وليس هذا المذهب على ما نعرف قبائل العرب ، فيقول وهو ضاحك مستبشر : انما ينكر عليه المستعار . وقد جاءت العاربة في اشعار كثيرة من المتقدمين ، الا انها لا تجمع كاجتماعها فيما نظمه حبيب بن اوس » .

هذا وقد التزم ابو تمام النهج الذي سلكه في جميع شعره ، ولابد لنا من بيان ذلك في بعض الاغراض الشعرية ولو قليلا لاهميته فيما نقصد اليه . يقول حبيب :

ولكنني لم أحو وفرا مجمعا
ففزت به الا بشمل مبــدد

ولم تعطني الايام نوما مسكنــا
ألــذ بــه الا بنــوم مشــرد

وطول مقام المرء في الحي مخلق
لديباجتيه فاغترب تتجدد

فاني رأيت الشمس زيدت محبة
الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

فالوفر المجمع ، والشمل المبدد ، والنوم المسكن ، والنوم المشرد ، كل منها قرين الآخر . والاقامة والاغتراب والاخلاق والتجدد ، كلها تجري متشابكة متصلا بعضها ببعض . حتى الشمس ينبغي ان تغيب لان تشرق ، وان تظهر وان تحتجب ، حتى تزيد محبتها . التضاد هنا اساس التفكير كما يقول الجدليون .

ويصف ابو تمام الربيع ، فيجلب انتباهه انه حمام الشتاء ، ومقدمة الصيف ، فهو يعرفه بالتضاد ، ويبين ان الشتاء بما احتوى من امطار هو الذي هيأ ثمرات الصيف . فالشتاء محمود برغم عوادي برده ووبله . انما نجد في الربيع مطرا يشتمل على صحو ، وصحوا نشبه في غضارته المطر . فالربيع اذن مطر في صحو وصحو في مطر . والغيث غيثان : غيث ظاهر وهو

---

1) في الطبعة التى حققتها بنت الشاطيء : « وعرفت مكان الجهل الرباب » ولم يظهر معنى هذه الجملة المحققة وربما كانت محرفة عما انبتناه . وانما اوحى الى ابي العلاء بهذه الصورة بيتا ابي تمام الآنيان

فن أبي تمام

بحث للدكتور عبد الكريم اليافي

- 2 -

على أن الخاصة الكبرى البارزة في شعر أبي تمام اعتماده على تغاير الحدود والتضاد . التضاد يتبوأ مكانة كبيرة في هذا النوع من الفن الشعري . انه تلوين بالاضداد اذا أردنا أن نعتمد التشبيه . وانما يحصل الفرص الشعري هنا من تقاطع الفكر المتضادة واشتباكها . ويسمي علماء البديع ذلك طباقا اذا وقع بين لفظين ومقابلة اذا وقع بين جملتين . ولكن القضية هنا أعمق من ذلك بكثير . فتفكير ابي تمام قائم على مراعاة التضاد في أغلب الامور . ان تفكيره يصح ان ننعته في العصر الحاضر بكونه جدليا .

فهو في الشعر يجمع غالبا بين الاضداد والعناصر المتنافرة المتعاكسة .

لنستمع الى هذه المقابلات ذات الاضاءات النسبية المتضادة ان صح هذا المجاز في القصيدة نفسها وهو يصف عمورية :

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى
يشله وسطها صبح من اللهب

حتى كأن جلابيب الدجى رغبت
عن لونها أو كأن الشمس لم تغب

ضوء من النار والظلماء عاكفة
وظلمة من دخان في ضحى شحب

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت
والشمس واجبة من ذا ولم تجب

والقصيدة كلها تتجه هذا الاتجاه ، وتسلك هذا النهج ، وتعتمد في بلوغ غرضها الفني اشتباك المعاني العنيفة ، وتقاطع الدلالات المتضادة ، وتقابل الصور والافكار ، ومراعاة نسبها الفنية ، كما يعمد الى ذلك بعض المهندسين أو المصورين .

ان أبا تمام أكبر مجدد في الشعر العربي القديم . وتجديده هذا انما تناول بنية الشعر وتركيبه أو عموده كما يقول النقاد القدماء الذين انتبهوا الى هذا التجديد ووعوه تماما . فقد تناول أبو تمام الاغراض القديمة فوقف بالطلول وبكاها . وشبب ومدح ورثى ووصف واستعمل كثيرا من الالفاظ العربية العريقة ، وبعض اللهجات القليلة التسوغ . وكل ذلك مما موه على بعض الباحثين الحديثين في الادب العربي فلم يدركوا حركة التجديد هذه العميقة التي حمل رايتها هذا الشاعر . وانما نسبوا التجديد الى ابي نواس الذي اراد ان يعالج بعض الافكار الجديدة الخارجة عن العرف والعادات . ولكنه كان اتباعيا كلاسيكيا في شعره بخلاف ابي تمام .

والدليل هو ان النقاد القدماء كانوا راضين عن أبي نواس جملة ، ما عدا افحاشه في القول ، وجرأته على العرف ، وخروجه عن العادات الحميدة . اذ هو لم يتنكب عن عمود الشعر العربي . ولقد قال فيه الجاحظ « ما رايت رجلا أعلم باللغة من ابي نواس ولا افصح لهجة مع مجانبة الاستكراه» . وقال ابن السكيت معاصر ابي تمام : « اذا رويت من اشعار الجاهليين فلامرىء القيس والاعشى ، ومن الاسلاميين فلجرير والفرزدق ، ومن المحدثين فلابي نواس فحسبك » .

وشعر صدر الاسلام ، كان من اخص صفات هذا الشعر الاتباعي الكلاسيكي . ولكنا نجد هنا في شعر ابي تمام ان اللفظ احيانا يتحمل اكثر من معناه المخصص له ، ولذلك كان هذا الفن قريب الصلة بايحاء شعور الروعة والسمو والفخامة والخطابة ، واشد شفوفا عن المأساة لاصطراع العناصر التي تشتمل عليها . وهذا هو السبب الذي من اجله برز ابو تمام في المدائح والمراثي ، لان الاولى اقرب الى حو الفخامة والروعة ، ولان الثانية ملتصقة بالمآسي اسد الالتصاق . وقد ذكر القدماء قيمة مدائحه ومراثيه ، ونوهوا بها دون ان يبينوا لنا سبب ذلك ، ولا صلته بطبيعة تفكير الشاعر ، ولا آصرته بفنه الذي رفع اركانه . فالمقابلة بين الاضداد والحدود المتغايرة من شأنها ان تظهر مشقة الجهد وبلوغ المدى البعيد

هذه الحدود المتغايرة يؤثر بعضها في بعض . ويشير الشاعر احيانا الى هذا التأثير المتبادل الذي يدعى في الفلسفة الحديثة بالفعل الجدلي وفي العلم الحديث بالفعل ورد الفعل (او الاركاس) .

قال يصف جمله مبينا انه نشأ من رعيه الفيافي والعباص ، ثم نحل وضعف من جوبه تلك القفار والرباص . فكأنما رعته بعد ما رعى نبتها :

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة
رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

وكذلك يصف شعلة الشيب في المفارق . الهموم تستثيرها وهي في المقابل تستثير الهموم :

تستثير الهموم ما اكتن منها
صعدا وهي تستثير الهموما

ولا شك انه كان واعيا لفنه هذا المستند الى الحدود المتغايرة المتقابلة اذ كان يجدها في الواقع حين يصفه . يذكر في مديح له لفظ نوافر الاضداد ليصف مجد الممدوحين الغريب في فن كان حقا غريبا في عصره :

قد بثثتم غرس المودة والشحـ
ـناء في قلب كل قار وباد

ابغضوا عزكم وودوا نداكم
فقروكم من بغضة وداد

لاعدمتم غريب مجد ربقتم
في عراه نوافر الاضداد

ونحب اخيرا ان نؤكد اعتماد ابي تمام للحدود المتناقضة حتى في اغرب الاحوال . فهو في موقف المديح مثلا يتصور الممدوح غريبا وهو بين عشيرته واقربيه وكثرة المحيطين به ، كما يصوره ايضا وهو يقبض بالحياة ميتا . ولولا مهارة ابي تمام وحذقه لسمح ذلك سماجة كبيرة . ولكن فنه الذي نظن انا جلونا اصوله يشفع بذلك كله :

غربته العلا على كثرة النا
س فاضحى في الاقربين جنيبا

فليطل عمره فلو مات في مر
و مقيما بها لمات غريبا

ولا غرو ان يعتمد شاعر فيلسوف مثل الطائي هذا النهج الشعري الفكري القائم على صراع الحدود . في ذلك العصر الذي اشتد فيه التمايز بين طبقات الشعب وفئاته ، على خلاف ما كان الامر عليه في فجر الاسلام وريقه من تضامن عميق بين الناس . فلقد تكونت في العصر العباسي طبقات اجتماعية مستنده الى فروق اقتصادية بارزة ، بعضها متمول مترف مجدود ، وبعضها فقير مكدود مجهود . ولا ننس اننا هنا من زمن ابي تمام في عصر تبدأ فيه فتن وثورات متعددة .

كذلك تكونت طبقات عرقية كانت تتنافس ظاهرا وباطنا على الحكم . واهمها الفرس الذين كانت تتألف منهم غالبية موظفي الادارة والدواوين ، وكانوا يدخلون على الدولة عاداتهم وازياءهم القديمة التي ورثوها عن اجدادهم . وكانوا ينتحلون التشيع كأنما يريدون ان يدلوا على الخلفاء العباسيين ، ويشيروا من طرف خفي الى اغتصابهم حق الخلافة ، وينالوا لقاء سكوتهم درجات اعلى في الدولة .

وقد بدأت تتوطد في زمن المعتصم طبقة الترك التي كانت تؤلف اغلبية الجيش وقواده . اما العرب

المطر ، وغيث باطن مضمر وهو الصحو . اننا فى نثرنا نظم ابي تمام بخيل الينا كانما نلخص كلام هيغل فى الديالكتيك الذي يصنعه ، ولو عالج هذا الفيلسوف هذا الموضوع لما اتى بشيء اكثر :

نزلت مقدمة المصيف حميدة
ويد الشتاء جديدة لا تكفر

لولا الذي غرس الشتاء بكفه
لاقى المصيف هشائما لا تثمر

كم ليلة آسى البلاد بنفسه
فيها ويوم وبله مثعنجر

مطر يذوب الصحو فيه وبعده
صحو يكاد من الفضارة يمطر

غيثان فالانواء غيث ظاهر
لك وجهه والصحو غيث مضمر

وهو برى من خلال هذا التضاد ان الحركة هي الاصل فى حسن الطبيعة وجمال الارض ، على خلاف الاشياء المصنوعة الثابتة :

او لا ترى الاشياء ان هي غبرت
سمجت ، وحسن الارض حين تغير

ابو نمام فى راينا ابو الجدل الحديث المستند الى التغيير والى الحركة . ولكنه اذ انتهج الجدل هذا فى شعره . كان ذا مذهب شعري مبتكر ، وان مس هذا المذهب الشعري الفلسفة ، كما ان هيغل بعده بأحقاب كان ذا مذهب فلسفي جديد ، وان كانت دعائمه تستند الى بعض الاعتبارات الفنية .

ان الشعر العربي فى الحقيقة لم يحل فى يوم من الايام من هذه المقابلات المتضادة التي هي من خصائص الفكر . ولكن الفرق كبير بين ابرازها حين نشف عن حركة طبيعية دون ان يتجاوز التعبير هذه الحركة ، وبين اعتماد التضاد وتصالب الافكار ونقاطعها فى اغلب الاحيان ان لم يكن فى جميعها ، للبلوغ الى الغرض الفني .

ان الشجاع الحق ، والمقدام الواعي ، يلوح له الاحجام كما يلوح له الاقدام . ولكنه بعد التردد الطبيعي ولو كالبرق يرفض الاحجام ، لان فيه الذل ، ولانه يليق بالحياة الكريمة الصحيحة . فالانسان كل الانسان يقدم ولا يفر ولو لاح له فى الخيال امكان الفرار . هذه هي جدلية الاقدام . وقد عبر عنها الشاعر العربي القديم الحصين بن الحمام اجمل تعبير واوجزه حين قال :

تأخرت استبقي الحياة فلم اجد
لنفسي حياة مثل ان انقدما

فرسم الشاعر العربي القديم هذه الحركة النفسية بعبارات دقيقة كاملة الدلالة متقنة الاداء ، وبقي كلاسيكيا فى تعبيره ، لانه كان رفيقا بهذه العاطفة النفسية ولم بصورها بعنف ولا باستعارات متعمدة . كما يصنع ابو تمام .

لقد اراد هذا الشاعر ان يمدح الخليفة المعتصم فى قصيدته التي على اللام وان يصفه بالشدة واللين معا . فهو يعتمد لفظي السهل والجبل مجازا فيقول

سرست بل لنت بل قانيت ذاك بذا
فانت لاشك فيك السهل والجبل

وهذا ما يختلف تماما عن تعبير ابي نواس الذي نظر اليه ابو تمام كما تقول المتقدمون :
كالدهر فيه شراسة وليان .

ان من صفات الديالكتك طرح الفكره ثم نقضها ثم جمع الفكره والنقيض معا فيما ندعى بالتركيب . ومع ان هذا البيت السالف لا يحبه علماء البلاغة لما فيه من تكلف . نجده يشف عن هذه المراحل الثلاث من الايجاب والنفي او الفكرة وطباقها وتركيبها . ونجد مثل ذلك فى هذا الاستهلال :

من سجايا الطلول الا تجيبا
فصواب من مقلتي ان تصوبا

فاسألنها واجعل بكاك جوابا
تجد الدمع سائلا ومجيبا

وهكذا يتجلى الفكر الديالكتيكي بأبرز صوره عند ابي تمام فى اطار فنه الذي رفع لواءه . واذا كان الجمال الفني يحصل من مطابقة اللفظ للمعنى والمعنى للفظ ، وكانت هذه المطابقة حاصلة فى الشعر الجاهلي

ليالي بـات العـز في غيـر اهلـه
وعظم وغد القوم في الزمـن الوغـد

وما قصدوا اذ يسحبون على المنى
برودهـم الا الـى وارث البـرد

وراموا دم الاسلام لا مـن جهالـة
ولا خطا بـل حاولـوه على عمـد

فمجوا به سمـا وصابـا ولو نـأت
سيوفك عنهم كان احلى من الشهد

سممت الى فحطان عدنـان كلهـا
ولم يجدوا اذ ذاك من ذاك من بـد

فاضحت بـك الاحياء اجمـع ألفـه
كما احكمت في النظم واسطـه العقد

وكذلك كانت الغاية مـن الرثاء التنويه بالمجد والبطولـة والقيم الرفيعه . وقد برز ابـو تمـام في مناوحه كما برز في مدائحه . وحسبنا ان نسير ولـو قليلا الى مرثيته في محمد بن حميد الطوسي .

فلقد ارسل الخليفه هذا القائد العربي لمحاربـه بابك الخرمي الذي ثار في الجبال على الدوله العربيـه في حدود جمهوريه اذربيجان الحاليه . فلما بلغ منطقه بابك الجبليه قريبا من « هشتادسر » وزع قسما من جنوده لحفظ المسالك وعبأ جنوده للقتال وتقدم بهم . ولكن العدو علم بأمرهم فكان بابك يشرف عليهم مـن الجبل وقد كمن الرجال تحت كل صخرة . فلما صعد اصحاب القائد العربي في الجبل مقدار ثلاثه فراسخ لاجتياح معاقل العصاه ، خرج عليهم الكمناء ، وانحدر بابك اليهم فيمن معه ، وانهزم الناس ، فامرهم محمد بن حميد بالصبر فلم يفعلوا ومروا على وجوههم والقتـل يأخذهـم .

ويذكر التاريخ ان القائد العربي صبـر مكانه ، وفر من كان معه غير رجل واحد ، ورأى جماعه وقد قصدهم ، فرأى الخرمية يقاتلون طائفه من اصحابه ، فحين رآه الخرمية قصدوه لما رأوا من حسن هيئته فقاتلهم وقاتلوه ، وضربوا فرسه بمزراق فسقط الى الارض ، واكبوا على محمد بن حميد فقتلوه . ولما وصل خبر هذه الهزيمة الى بغداد والى المأمون عظم ذلـك عنـده جـدا .

هنا تأتي رسالة الشعر لبعث الهمم من جديـد، لقد هز مقتل ذلك البطل العربي نفس ابي تمام هـزا عنيفا ، فها هو ذا يغمس طرف ردائه في مداد ، ثـم يضرب به كتفيه وصدره الزاما لنفسه تأبين الشهيد وتخليد اسمه اخرى الدهر ، ولكي يـرى النـاس ان الابطال اذا استشهدوا في المواقع ، فهم احياء عند الله مخلدون في الفن . وها هو ذا ينشد مرثية من اجمـل مراثي قرطبـة :

كذا فليجل الخطب وليفدح الامـر
وليس لعين لم يفض ماؤها عـذر

يقول فيهـا :

فتى كلمـا فاضت عيـون قبيلـة
دما ضحكت عنه الاحاديث والذكـر

فتى دهره شطـران فيمـا ينوبـه
ففي بأسه شطر وفي جـوده شطـر

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة
تقوم مقام النصـر ان فاته النصـر

وما مات حتـى مات مضرب سيفه
من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

وقد كان فوت الموت سهلا فـرده
اليـه الحفاظ المـر والخلق الوعـر

ونفس تعـاف العار حتـى كأنمـا
هو الكفر يوم الروع او دونه الكفـر

فاثبت في مستنقـع المـوت رجلـه
وقال لها من تحت اخمصك الحشر

يصف الشاعر باشارات خاطفه ومجازات معبرة كيف استشهد المرثي ، وسرعان ما يبدل ببراعتـه الفنية ثيابه الملطخـة بالدم الاحمر ويكسـوه حلـلا سنية من السندس الاخضـر :

تردى ثياب المـوت حمـرا فما دجا
لها الليل الا وهي من سندس خضر

هذه القصيدة كان لها وقع ضخم بين الامـراء والقواد . ويؤثر القائد العربي ابو دلف العجلي هـذه على الحياة نفسها فيقول لابي تمام : « وددت والله انها لك في » فيقول ابو تمام : « بل افدي الامير بنفسـي واهلي واكون المقدم قبلـه » فيقول ابو دلف : « لـم يمت من رثي بهذا الشعر » .

فكان منهم بين الخلفاء والامراء والعلماء والفسم الاكبر الاعم من الشعب . واصبح الخليفة القوي بعد ذلك من يستطيع ان يحد من نفوذ الفرس المهيمنين على جهاز الادارة ومن سيطره الترك الذي كانوا يملكون زمام الجيش .

ولم يكن بد لهذا العصر المعقد من ان يلوح صور عناصره المتضادة المتشابكه في فن شاعر صناع ملهم ، عاش حياة عصره واشترك في احداثها ما امكن له الاشتراك . ولقد ادرك ابو تمام رساله الشعر في ذلك المجتمع المعقد ، وفهم غايته السامية النبيلة . فالشعر ليس مجرد فن كملت عناصره واتقنت اداته ، وبلغ الاوج في الابداع والصناعة الفنية ، وانما هو وسيلة للحفز على المعالي ، وحث على تحقيق القيم الرفيعة ، وسعي لتاليف عناصر الدولة واشادة بابطالها الذين يخدمون القضايا العربية . انه شعلة توضح سبل المكارم وطرق التقدم . وهذا يتجلى في بيت ابي تمام المشهور :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بغاه العلا من اين تؤتى المكارم

واذا لجأ شاعر كبير مثل ابي تمام الى المديح والى الرثاء ، فانما مثله مثل النحات او المصور ، يمثل الخصال الحميدة ، والمآثر الكريمة ، ويصور الشمائل الانسانية العالية والمناقب الرفيعة ، لتكون قدوة تحتذى ، واسوة يؤتسى بها ، وسبيلا يسلك . اما الاعطيات فكانت مثوبة للشعراء وتقديرا لفنهم وتوعية الرعاية لهم والرغبة في تفرغهم وانصرافهم الى تجويد فنهم . كان الفن بالنسبة اليهم صنو المجد والبطولة . وكما أن المجد والبطولات تخترع المعالي اختراعا ، وتاتي بالامور الباهرة العظيمة الفريدة ، كذلك ينبغي ان يخترع الشاعر معانيه وصناعته اختراعا ، ويبدع فيها ابداعا ، لانه لا فن الا بالطريف المبتكر .

يقول ابو تمام في ممدوحه :

غربت خلائقه فأغرب شاعر
فيه فابدع مغرب في مغرب

ان الشعراء العرب كانوا متصلين بالواقع معتدين به ، لا يتصورون في الغالب قيمة من القيم الا وهي متمثلة في انسان ، ولذلك كانوا ينوهون بتلك القيم العالية في ممدوحيهم ومرثييهم . كانت هذه طريقتهم في الماضي ولا نستطيع ان نفهم فنهم بدون ذلك .

ولقد كانت المشاعر العربية تملأ قلب ابي تمام ، وهو الشاعر الطائي لا كما يدعي خصومه وبعض المستشرقين ، فكانت تلك المشاعر تتلألأ كالنور من خلال مصوغ شعره الحالي ، ومؤثل بيانه العالي .

وهو لم يترك موقعة خاضها العرب اذ ذاك الا وخاضها بلسانه ، وابدع فيها ما شاء له الابداع ، وحباها صفة الخلود الفني . لم يكن قابعا في بيته ، ولا منزويا في برجه ، وانما كان يطوف في البلاد العربية بالغا الى الثغور البعيدة والخطوط الامامية ، متحسسا رحى الميدان ، مستمعا الهام الواقع ملمسا اصيل البيان . بنى شعره في عمورية اخلد من عمورية نفسها على اهمية هذه المعركة القومية التي كما جاء في قوله عن الروم :

ابقت بني الاصفر الممراض كاسمهم
صفر الوجوه وجلت اوجه العرب

ولقد مدح الافشين القائد الكبير التركي النسب الفارسي اللقب ، حين خدم الدولة والعرب . ولما ظهرت خيانته وقتله الخليفة واحرقه ، نهض ابو تمام فدعم اتجاه الخليفة واحرق الافشين بنار شعره وادخله نار الجحيم قبل يوم الجحيم :

صلى لها حيا وكان وقودها
ميتا ويدخلها مع الفجار

ونجد من ثنايا اشعاره كلها تلك العاطفة العربية العريقة العميقة التي تنوه دائما بجمع قبائل العرب ، وتنبههم على مكائد الاقوام الاخرى ممن لم يبلغ الايمان الى قلوبهم . فهو يمدح حفص بن عمر الازدي الذي كان وجيها من وجهاء العرب في بعض الثغور المتطرفة ويذكر ما لحفص هذا من فضل في جمع القحطانيين والعدنانيين وتوكيد وحدتهم :

واب وقد مجت خراسان داءها
وقد نغلت اطرافها نغل الجلد

واوباشها خزر الى العرب الاولى
لكيما يكون الحر من خول العبد

الربيع في الشعر العربي

للأستاذ محمد زنيبر

- 3 -

تبين لنا في آخر المقال السابق ان الشعر العربي الذي قيل عن الربيع ، من يوم نشوئه الى وقتنا هذا ، ينم في مجموعه عن مذهب فلسفي في الحياة ، وهـذا المذهب هو الذي يضفي عليه شخصية واضحة المعالم ، وهو الـذي ، بالرغم من تباعد العصور واختلاف الشعراء ، يخلق نوعا من التجاوب والتكامل بين الاشعار التي نظمت في الربيع ، وانك لتجد لتلك الفلسفة اثـرا وراء معاني كل قطعة او قصيدة وكأنه صدى يتـردد او نغـم خافت يـرجـع .

فلسفـة استمتاعيـة :

ونخبرنا هذه الفلسفة عما يحبه الشاعر في الربيع وعن اسباب تعلقه به ، ولمـاذا يفرح لقدومـه ويتحسر لفراقه . وما هي طريقته في تذوق جماله ، وهل يحبـه حبا افلاطونيا أم بشريا . وكان من المأمول ان يكـون لكل واحد من شعرائنا مذهبه الخاص بـه في هـذه المسائل حتى تتنوع الشخصيات ويتنوع معها الشعر ، ولكن شعراءنا اخذوا كلهم بمذهب واحد ، او بالاحرى، وجدوا انفسهم مضطرين للاخذ به تحت عوامل قويـة تفوق طاقتهم الفردية .

وقبل ان نلقي نظرة على تلك العوامل ، يكون مـن الافيد ان نطلع على محتوى تلك الفلسـفة .

والواقع اننا لانجدها موضحة في كتاب او رسالة، ولم يجرؤ أي واحد من الكتاب والمفكرين الاقدمين ان يبسطها ويحللها لانها ، كما سنرى ، تتناقض مع مبادىء الاسلام من حيث كون هذه المبادىء تنبني على شـيء من التقشف وكبح جماح النفس بينما هي تدعو الـى نوع من الاستهتار والاباحية ، وانما عبر عنها الشعراء لان الشعراء يتبعهم الغـاوون ولانهـم يستطيعـون ان يضمنوا شعرهم من الافكار الجريئة مالم يكن يستطيع الكتاب الناثرون ان يعبروا عن جـزء ضئيـل منـه . فلنحاول ـ اذن ـ ان نستحضر عن طريـق الشعـر صوره مختصره لتلك الفلسـفة .

انها تقدم لنا الانسان وقد وضع لذته الحسية ، الشهوانية على راس القيم التي يتعلق بهـا في حياتـه ، فاللذه هي الجانب الاول الذي تترتب بالنسبة اليـه جوانب الحياه الاخرى ، ولذلك ، فهو لايحب الطبيعـة لذاتها او لاسباب موضوعية خارجة عنه ، وانما لكـون الطبيعه من احدى لوازم لذته ومقوماتها ، فهي المركـز وهي الاطار لمجالس سروره ولهـوه ، فحبه ليس بحب اذا لم تداعبه النسيم ولم تناغه الطيـور مـن فـوق الادواح ، وسكره ليس بسكر اذا لم يجلس امام روض تفتحت فيه اكمام الورد وسطع نور الاقحوان ، وسروره ليس بسرور اذا لم تتجاوب انغام الاوتـار مـع شدو الاطيار ومبلال الاشجـار ، فالطبيعة هـي ـ بالنسبة اليه ـ ذلك المناخ الدافـيء المنعش الذي يطفـح فيـه السرور وتتضاعف كل لـذة .

تلك صورة موجزة كل الايجاز عن مذهب شعرائنا في الحياة عندما يتغنون بالطبيعـة ويتجهـون اليهـا ، فتصويرهم لجمالها يقترن في الغالب مع وصف الـملاذ والشهوات الحسية ، وترى التجاوب بينهم وبيـن مـا يحيط بهم من صور كونية مبنيا على ارضاء حاجاتهم في التنعم والاستمتاع . وهذا ماحدا بالمرحوم « احمـد امين » الى ان ينعت ، في بعض مقالاته ، الادب العربـي بانه « ادب معدة » ، وقـد اقام بقولـه هذا تاثـرة المرحوم « زكي مبارك » ونشأت بين الكاتبين مناقشة طريفـة في الموضوع .

ملاحظة : تابع لما نشر في العددين الثاني والثالث من مجلة دعوة الحق ـ السنة الرابعـة

ولم يلبث الامراء والقواد بعد امد ان اعادوا الكرة على بابك ، وكان من ابرز هؤلاء القواد الاميران العربيان ، ابو دلف العجلي وابو سعيد الثغري ، الذي اشترك فى المعركة السابقة والافشين التركي قبل خيانته . وكان النجاح الضخم فى القضاء على بابك يرجع الى الخطة التي اقترحها القائد العربي ابو دلف كما ان الذي اسر بابك اذ هرب بعد اجتياح قلاعه اصحاب ابي سعد الثغري . وقد ذكر ابو تمام ذلك كله فى شعره .

كان ابو تمام اذن على حد تعبيرنا اليوم شاعرا ملتزما خدم المجتمع والدولة . ولكن هذا الشاعر الكبير يتجاوز الناحية الادبية الشخصية ، فيرى من جهة ثانية ان الشعراء والادباء يمتون جميعا الى اسرة واحدة ، هي اسرة الادب والفن والفكر ، يفرح احدهم بالآخر فرحا جعله الشاعر مثلا سائرا « وفرحة الاديب بالاديب » .

الادب ابوهم والآثار الفنية ابناؤهم . وهو القائل فى علي بن الجهم الشاعر المشهور :

ان يكن مطرف الاخاء فاننا
نغدو ونسري فى اخاء تالد

او يختلف ماء الوصال فماؤنا
عذب تحدر من غمام واحد

او يفترق نسب يؤلف بيننا
ادب اقمناه مقام الوالد

كل هذا ليس الا جانبا من شخصية ابي تمام الادبية الانسانية العالية الممتازة . يقول علي بن اسماعيل النوبختي : « قال لي البحتري : والله يا ابا الحسن لو رايت ابا تمام لرأيت اكمل الناس عقلا وادبا، وعلمت ان اقل شيء فيه شعره » .

اما الذين لا يفهمون ابا تمام ولا يفهمون الادب العربي ، ويتحدثون عن الآداب الاجنبية دون ان يفهموها ايضا ، فمثلهم عندنا فى الحمق والغباوة والجهل كمثل تلك المراة التي يذكر المؤرخون انها خرجت تستقي ومعها اختها . وكان ابو تمام قد رجع الى ربوع بلده وضرب خباما واظهر نعمة وأثاثا فصادفته المرأة وتأملته زمانا ، ثم التفتت الى صاحبتها وقالت اتدرين الرجل ؟ قالت : لا والله ! قالت : بلى والله انا اعرفه . قالت : ومن هو ؟ قالت : انه والله اقبرع جاسم !

حاجة بحاجة

قال معاوية لعبد الملك بن عامر : ان لي اليك حاجة ، انقضيها ؟
قال عبد الله : نعم ، ولي اليك حاجة اتقضيها ؟

قال معاوية : نعم

قال عبد الله : سل حاجتك ، فأجاب معاوية : هب لي دورك وضياعك بالطائف .

فرد عبد الله : نعم قد فعلت فهي لك منذ الساعة . قال معاوية : وصل الله رحمك فسل حاجتك . فأجاب عبد الله على الفور : ردها الي .

ليت شعـري والنفس تعلـم ان لبـ
ـس بمجد على الفتى: «ليت شعري»

هـل لخالـي زماننـا من رجـوع ؟
ام لماضـي زماننـــا مـن مكـر ؟

ايـــن ايـامنـا وايـــن لـيـــال
كربـاض لبســن افـواف زهـــر

وزمـــــان كـأنمـــا دب فـيـــه
وســن او همـا بـه فـرط سكـر

حيـــن نغـدو الـى جـداول زرق
تتغلغلـــن فى حـدائــق خضـــر

فى هضـاب مجلـوة الحسن حمـر
وبـواد مصقـولـة النبت عفـــر

نتعاطـى الشمـول مذهبـة السـر
بـال والجـو فى مطـارف غبـــر

فى فتـــو توشحـــوا بالمعالـــي
وتـردوا بكـل مجـــد وفخـــر

وضـح تجلـي الغياهـب منهـــم
عـن وجـوه مثـل المصابيـح غـر

كـل حـرق يكـاد تنهـل طـرفـا
ران مــرأى بـه باكـــرم حبـــر

والحقيقة ان ابن زيدون من المبسببات فى هـذا الباب . فقد تفرد بمزية جعلته يسمو بشعره فى الحب والطبيعة الى مستوى عال تكاد تدرك سماء الوجـدان الروحي . فهو فى الغالب يصور لذته الحسية تصويـرا عفيفا تكسوها حلة المثالية وتؤثر المعاني الرفيعة النبيلة . فانظر اليه وقد هاجت ذكريـات حبه امام مناظـر طبيعية رآها بمدينة الزهراء فى هذه الابيات التي تغلب عليها لهجة حزن صادقـة :

انـي ذكرتـك بالزهـراء مشتاقـا
والافق طلق ومرأى الارض قد راقـا

وللنسيـــم اعتـــلال فى اصائلـــه
كأنـه رق لـي فاعتـل اشفـاقـــا

والروض عن مائـه الفضي مبتســم
كمـا شققـت اللبـاب اطواقـــا

يـوم كأيـام لـذات لنـا انصرمت
بتنا لها حين نـام الدهـر سراقـا

نلهـو بما يستمـــل العيـــن من زهر
جال الندى فيه حتى مـال اعناقـا

كـــأن اعينــــه اذ عـاينت ارقـى
بكت لمـا بـي فجـال الدمع رقراقـا

ورد تألـق فى ضـاحـى منـابتـــه
فازداد منه الضحى فى العين اشراقا

ســرى ينافحـه نيلـو فـر عبـق
وسنان نبـه منـه الصبح احداقـا

كـل يهيـج لنـا ذكـرى تشوقنـا
اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقـا

فلسفـة نعرضها وضعيـة الشعـراء فى المجتمـع :

يحق للباحث ان يتساءل عن اسباب غلبة هذه النزعة الاستمتاعية على شعرنا العربي فى الطبيعة وعـن مصدرها . مع ان المجتمع الاسلامي كانت تسرى فيـه تيارات روحية وصوفية قوية انعكست بعض آثـارها على ابواب اخرى فى الشعر وعلى جوانب اخرى مـــن الحياة الثقافية والاجتماعية . وبعبارة اوضـح ، كيف امكن لهذه الفلسفة المادية البحتة ، المنافية مـع روح الاسلام ، ان تنشأ وتنمو فى احضان المجتمع الاسلامـي وان تصبح لها تأثير عميق على الحياة العقلية والعاطفية فى ذلـك المجتمـع ؟

لاشك ان تلك الفلسفة صادرة عن واقع اجتماعي وانها تعبر عن احد الجوانب فى حياة المجتمع ، فهـــل معنى هذا انها انعكاس تام وصادق لنفسية المجتمـع العربي الاسلامي ؟ وهل معناه ان حياة التنعم والالتـذاذ كانت من المثل العليا بالنسبة لذلك المجتمع ؟ ان التاريخ يفند مثل هذا الرأى تفنيـدا باتا ويقدم لنا شهـــادات ناطقة تبين ان اسباب الالم والشقاء والبؤس كانت من الكثرة حتى انها لتمنع معظم افراد المجتمع من التفكيـر فيما يسمى بحياة الدعة والتنعم . مما دعا الى ظهـور تيارات فكرية قوية تدعو الى الزهد او التصوف . وهذا تاريخ الاندلس القريبة منا كله حوادث خطيرة وتقلبات ونكبات بالنسبة لعامة الناس . ومع ذلك ، فان شعـر الاندلسيين تغفل عن احوال المجتمع ومصائبه ولا تقدم لنا الا صورا باسمة مشرقة لحياة كلها استمتاع واخلاد الى الدعـة والرفاهـــة .

ونحن لا يعنينا في شيء ان ندخل في هذا النقاش ، وانما الذي يهمنا هو ان نركز هذه الملاحظة وهي وجود نزعة قوية في الشعر العربي تدعو الى وصف الطبيعة لا لكونها طبيعة ، ولكن لانها جزء من ملذات الانسان ، وما هذه النزعة الا صورة من صور الانانية البشرية التي تريد ان تجعل الانسان محورا لكل الكائنات وتقيس الاشياء بالنسبة اليه .

وهي – بالاضافة الى ذلك – تعبر عن فلسفة مادية في جوهرها حيث انها تقتضي ، كما رأينا ، نوعا من الاستسلام للنشوة الحسية وحيث انها تفصل اللحظة العارضة المختلسة على الزمان وتسلسله وما يتولد عن هذا التسلسل من تطور وتفاعل بين الاحداث ، عملا بقول الشاعر :

ما مضى فات والمؤمل غيب
ولك الساعة التي انت فيها

فهي فلسفة نظر اكثر منها فلسفة عمل ، وهي فلسفة تنعم اكثر منها فلسفة كفاح ، وهي فلسفة سكون اكثر منها فلسفة حركة .

وهذه الفلسفة هي ابعد مايكون عن ما يسمى بفلسفة السعادة ، لان السعادة تدل على حالة روحية قارة عميقة تملأ ضمير الانسان وتصاحبه في كل اعماله ، سواءا كانت شاقة ام مرحة ، بينما اللذة هي حالة عارضة ، سطحية قد يدركها المرء وسط الشجون والاتراح ، كما ان الاقبال عليها قد يكون علامة على نوع من اليأس والتشاؤم في الحياة .

بقي علينا – الآن – ان نقدم بعض النماذج الشعرية التي قيلت عن الربيع وتدعم النظرية التي ذهبنا اليها ، فهذا ابو الحسن الفوزي ، شاعر الصاحب ابن عباد لايرى في قدوم الربيع الا مناسبة يدعو فيها محبوبه لاخذ حظه من السرور :

ايها الصاحب الربيع تجلى
في رياض تحار فيها العقول

نرجس ناضر واحمر ورد
وشقيق تزينه التكحيل

وغصون نجر اذيال نور
في حواشي جداول وتميل

للزرازير في خلال الازاهيـ
ـر صفير وللحمام هديل

فاقم رسمنا صبيحة نيرو
ز به ربع انسنا مؤهول

بكؤوس مملوءة من مدام
انت لمن حساها عذول

ثم تأمل هذه الابيات لابن خفاجة التي تمتزج فيها الاشارات للجمال الانساني مع صور عن جمال الطبيعة ، فلا ندري أي الجمالين اعمق في النفس اثرا :

واني ، وان جئت المشيب ، لمولع
بطرة طل ، فوق وجنة غدير

فيا حبذا ماء بمنعرج اللوى
وما اهتز من ايك عليه مطير

ونفحة ريح ، للربيع ، ذكية ،
ولمحة وجه ، للشباب ، نضير

وتقبيله طرف العين من سنة الكرى،
لرجع خرير ، او لسجو هدير

وقد لاح وجه الصبح ، ندى ، كانه ،
وراء قناع الليل ، وجه بشير

رأينا في القطعة الاولى كيف يقترن عند شعرائنا لذة الشراب مع التملي بمحاسن الطبيعة ورأينا في الثانية كيف يلتقي الحب مع الطبيعة ، وبقي علينا ان نرى لونا ثالثا يقف بين الاستمتاع الحسي واللذة الروحية ، وهذا اللون هو الاجتماع بالاخوان في جو مليء بالصفاء والمحبة ، واحسن من عبر عن هذه المشاعر هو – بدون شك – ابن زيدون شاعر الذكرى ، فهو الذي يقول في قصيدة من اخوانياته بعث بها الى صديقه ابي القاسم :

يا ابا القاسم الذي كان ردئي
وظهيري على الزمان وذخري

يا احق الورى بممحوض اخلا
صي واولاهم بغاية شكري

طرق الدهر ساحتي من تنائيـ
ـك بجهم من الحوادث نكر

واذوب من طرب اذا
ما الصبح جرد منصلا

واهيم في قود الجيو
ش ونبل اسباب العلا

واهز مرتاحا اذا
سرت المواضي في الطلا

قل للذي يبغي مكا
ني هكذا اولا فلا

وهذا المعتمد بن عباد يرى ان الحياة مهما طالت فهي مغنم وان الهم لا مبرر لوجوده :

علل فؤادك قد ابل عليل
واغنم حياتك فالبقاء قليل

لو ان عمرك الف عام كامل
ما كان حقا ان يقال طويل

اكذا يقود بك الاسى نحو الردى
والعود عود والشمول شمول

لا يسلك الهم نفسك عنوة
والكاس سيف في يديك صقيل

بالعقل تزدحم الهموم على الحشا
فالعقل يبدى ان يزول عقول

من شعراء المشرق نورد هذه الابيات لعبد الله ابن المعتز التي تعرب عن الفكرة نفسها :

الا عللاني انما العيش تعلل
وما لحياة بعدها منه طول

دعاني من الدنيا انل من نعيمها
فاني عنها بعد ذلك مشغول

خذ لذة من ساعة مستعارة
فليس لعوبق الحوادث تمثيل

تلك امثلة لشعر الارستقراطية العربية تقدم لنا نمطا من تفكيرها وعقليتها ونظرتها الى الحياة وتبين لنا كيف ان تلك الارستقراطية كانت هي التي تقود ركب عشاق اللذه وتلهب حولها هذا الجو الراقص المرح السادر في نعمائه .

ولا عجب ـ اذن ـ اذا رأينا شعرنا في الطبيعه ، تحت تأثير عوامل اجتماعيه قويه ، ينحصر في نطاق ضيق بعض الشيء ، نطاق التمتع والتنعم ، ولا عجب اذا رأينا تلك النزعه الاستمتاعية تظل علاقته في شعرنا العربي الى اوائل القرن العشرين ، بالرغم من تباعد الازمان وتصرف الاحداث وتعاقب الثورات والانقلابات . ظل كما هو منذ العصر العباسي . لم تدخل عليه تغيير الا في بعض الجزئيات ، ولذلك ، فان المفكر الاجتماعي نفسه لم تتغير وان النظره الى الحياه بقيت على حالها . مما جعل الشعراء يحافظون في اوائل هذا القرن على مفاهيم وتقاليد ترجع الى اكثر من الف سنة .

ولا عجب كذلك اذا رأينا بعض الافاق الانسانية تظل مغلقه على شعرائنا فيما نظموه عن الطبيعه ، هذه الافاق سنجد لها اصداء كبيره في الشعر الاوروبي الذى ترعرع في ظروف اجتماعيه اكثر رحابة ومرونة واوسع حريه . كما سنقف على صور منها في شعرنا العربي المعاصر .

(يتبع)

اذا كانت هذه الفلسفة لا تعبر عن روح المجتمع في عمقه وفي مجموعه فما هو الجانب او المظهر الاجتماعي الذي تترجم عنه ؟ انها تصور جانب الترف والرفاهية في المجتمع ، وبعبارة اخرى ، اذا رجعنا الى التقسيم التقليدي للمجتمع الذي يميز بين طبقتين . طبقة الاغنياء والموسرين وطبقة الفقراء والمعوزين . فان الشعراء كانوا يصورون في قصائدهم حياة الطبقة الاولى طبقة المحظوظين ، طبقة المترفين الذين ينفقون في كمالياتهم اضعاف ما ينفقون على ضرورياتهم ، وما كان لشعرائنا ان يخرجوا عن ذلك النطاق لانهم بحكم تبعيتهم لتلك الطبقة وارتباطهم بها مضطرون لاتباع ذوقها واحساسها الفني ولاشباع رغبتها في ايجاد شعر يكون في آن واحد مرآة لحياتها الباذخة وممجدا لمجالس سرورها وملذاتها .

ومعنى هذا ان معظم شعرائنا كانوا – في الواقع – شعراء قصور وان لم يسكنوا كلهم القصور ، فهم ، بدل ان يصوروا الحياة الاجتماعية من جميع جوانبها ، لم يهتموا الا بالجانب المشرق الناعم المترف ، واهملوا الجانب المتجهم العبوس ، جانب البؤس والحرمان ، وهم بذلك انما يجيبون ، كما رأينا . احدى رغبات الطبقة المترفة ، وطبيعي ان يؤثر المترفون الشعر الذي فيه تسلية ومتعة على الشعر الذي يتعمق في حقائق الحياة وحلوها ومرها والذي يكشف عن صور ناطقة للمجتمع بما فيه من جور ومآس ومهازل ومكر وغدر وخيانة ، والشعراء الذين حاولوا ، مثل المعري وغيره ، ان يقولوا الحق ويصوروا بكامل الصدق ما يقع عليه اعينهم لم يلاقوا من تلك الطبقة الارستوقراطية الا الجفاء والصدود وظلوا يعيشون على هامش عصرهم وربما صادف شعرهم الاهمال والنسيان .

ولذلك فقد حرص الشعراء وهم الذين يعيشون في ظل تلك الارستوقراطية ويستفيدون من رفدها وجراياتها ، على ان يكون شعرهم قبل كل شيء ، محصلا على رضاها واستحسانها منسجما مع مشاغلها ولون عيشتها ، مزكيا ملاهيها وملذاتها ويعجبني في هذا الباب فقرة للاستاذ المرحوم احمد امين في كتابه ضحى الاسلام (ج. 1 ص 125) يقول فيها . في معرض الكلام عن العصر العباسي الاول :

« كثر النعم ، وكثر العنصر الفارسي العريق في المدنية ، الممعن في الترف ، وكثر الجواري يجلبن من الاصقاع المختلفة ، وكثر الجمال وسفر ، اذ لم تكن عامة الاماء يطالبن بحجاب ، فقويت النزعة الى اللهو والخلاعة والمجون التي وصفنا ، وشعر قوم من الشعراء بهذه النزعة من الناس امثال بشار وصريع الغواني وابي نواس ، فقادوا زمامها والهبوها وسهلوا السبيل اليها » .

« ان سكر القوم وشعروا بالحاجة الى ابيات من الشعر تروي عاطفتهم ، وتزين لهم عملهم ، وتحملهم على المضي في شربهم ، راوا في شعر هؤلاء ارواء لغلتهم . وان تغنوا في فتاة او غير فتاة . فشعر الشعراء كفيل ان يجدوا فيه بغيتهم في صريح من القول غير كناية » .

وكيف لا ينساق الشعراء مع تيار اللذة ونخبة القوم من خلفاء وملوك وامراء ووجهاء ومفكرين يقدمون لهم الامثلة الحية على هذا النوع من التفكير سواء في سلوكهم او في شعرهم . اذا ما قدر لهم ان يقرضوا الشعر ! فهؤلاء الشعراء الامراء يرون في الحياة جانبين : جانبا يعرفه الانسان في الهم والتعب والكد وآخر ينال فيه نصيبه من شهوات الدنيا ومغرياتها وهو كالغاية بالنسبة للاول . ولننصت الى الشاعر الملك المعتمد بن عباد يعبر عن هذا المعنى بأوضح تعبير فيقول :

قسمت زماني بين كد وراحة
فللراي اسحار وللطيب آصال

وامسي على اللذات واللهو عاكفا
واضحي بساحة الرياسة اختال

وهذا ابو خالد هاشم بن عبد العزيز وزير محمد بن عبد الرحمان الاموي ملك الاندلس يريد ان يجمع بين صولة الرياسة ولذة الحياة المتنعمة

اهوى معانقة الملا
ح وشرب اكواس الطلى

ويسرني حسن الربا
ض وقد توشت بالحلى

اما فيما يرجع الى النقود ، فقد ضربت دراهم باسم ادريس الثاني سنة 181 و 183 ، والظاهر ان التعامل بالنقود المحلية ، كان يجري الى جانبه ، التعامل بنقود الخلافة العباسية وغيرها ، فقد عثر في وليلي على نقود باسم قيس بن يوسف ضربت عام نيف ومائة وثمانين — بل ان النقود قد بدأ ضربها في عهد ادريس الاول بتدغة سنة 174 ونقش في احد وجهيها : (لا اله الا الله — لا شريك له — باسم الله — ضرب هذا الدرهم بتدغة سنة 174) وفي الوجه الثاني صورة هلال ، ثم : (محمد رسول الله (وتحته) مما امر به ادريس بن عبد الله — جاء الحق وزهق الباطل . ان الباطل كان زهوقا) .

وقال المرحوم عبد الرحمن بن زيدان انه : (راى هذه السكة ، ووزنها غرامان و 69 جزءا من الغرام) .

وقد كان المعتاد في الدولة الاسلاميه ان يضرب بعض الامراء والقادة المحليون نقودا باسمهم الى جانب نقود الدوله ، فقد تأكد ان خالد بن الوليد ضرب نقودا في طبرية ايام عمر بن الخطاب ، ولم يشذ المغرب عن هذه الطريقه ، حيث ان داود بن ادريس ضرب باسمه نقودا بينما كان تابعا لاخيه محمد .

الجيش :

كان يجمع في البادية بين عناصر مختلفة من البربر المتطوعه المنتمين الى عبابه ومسلمة وبني يفرن وسدراته واوربه ورواغة ، ثم اصبح في عهد ادريس الثاني منظما حيث انضم اليه 500 فارس من العرب الواردين من الاندلس وافريقية ، ومن المعلوم ان ادريس الثاني كان قد تلقى تدريبا عسكريا طويلا على يد راشد قبل ان يصبح ملكا ، الا ان جيش الادارسة كان في الغالب قليل العدد .

لغة الادارة :

كانت بدون شك . اللغه العربيه ، بدليل نقوش السكه وخطبه ادريس الثاني عند التنصيب ، والملاحظ ان المناطق التي استقر فيها الادارسه ، انتشرت فيها اللغه العربيه انتشارا واسعا ، وما زلنا نلاحظ هذا الاثر العميق في الريف والسوس ، وهما من مناطق البربر الاصليه ، وحتى احتكاك البربر بالامويين الذين اخضعوا المغرب تحت نفوذهم ازيد من ربع قرن ، كان له اثره في نشر العربية بين السكان .

مذهب الدولة :

دخل الاسلام الى المغرب في القرن الاول مبنيا على تعاليم الكتاب والسنه ، حتى اذا كان مطلع القرن الثاني وبدأ الخوارج يتسربون الى المغرب في صفوف الجيش الاسلامي ، وجدوا المغرب ميدانا خصبا لنشر مذاهبهم ، خصوصا والولاه الامويون لم يعودوا يطبقون تعاليم الكتاب والسنة تطبيقا حقيقيا ، ولما جاء الادارسه ، وجدوا الخوارج في سجلماسه وغيرها ، كما وجدوا البرغواطيين في تامسنا . وقد دخل المذهب الحنفي الى المغرب عندما جاءت جيوش العباسيين الى شمالي افريقية ولكن هذا المذهب لم يكتب له الانتشار، لان الدولة لم تتبنه ، والظاهر ان مؤسسي الدولة الادريسية لم ياخذوا المسلمين بمذهب مالك ، خاصة وان وان مذهب مالك ، لم يصبح مذهبا حقيقيا الا بعد ان انتشر تلاميذه في بقاع المملكة الاسلامية وصاروا يبسطون في كتابه واقواله بالشرح والتدقيق ، ولا يمكن ان نقول على اي حال بان مذهب مالك انتشر في المغرب بفضل الادارسة ، فاصحاب الفضل بحق ، هم المرابطون الذين عملوا على اقرار المذهب في المغرب كله . ومهما يكن من شيء . فان عهد الادارسة قد عرف مذاهب متعددة : الخارجية ، الشيعة ، المالكية، حسب الظروف المكانية والزمانية التي اكتنفت حياة هذه الدولة .

وعلى كل حال ، فان الادارسه كانوا اميل الى المذهب الشيعي منهم الى غيره . حتى انهم كانوا ينتهزون اول فرصة تسنح لهم . ليلغوا الخطبة باسم الامويين . ويقروها باسم العبيديين ولا اظن ان هذا شيء يدعو الى الاستغراب ، فكل من الادارسة والفاطميين يشتركون في شرف النسب ، اذا سلمنا بان الفاطميين من سلالة النبي ، ثم ان الفاطميين يقرون عصمه الامام كشيء واجب . وهذا مما يفيد الادارسة معنويا في اوساط البربر ، ولو انهم لم يتعصبوا للشيعة تعصب الفاطميين انفسهم ، هذا الى جانب اعتبارات سياسيه جعلت الادارسة يميلون اليهم .

ومن المؤكد ان مذهب مالك قد دخل ايضا في عهد الادارسة بفضل الاندلسيين والمغاربه اما في الاندلس نفسها ، فقد ادخله زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون ، ثم تلميذه يحيى بن يحيى الليثي الذي درس بدوره على مالك ، وهو بربري من طنجة قوي نفوذه لدى بني امية في الاندلس اواخر القرن الثاني ، حيث اصبح تعيين القضاة بمشورته . ومع ان الموطأ قد

حضارة الادارسة

للاستاذ ابراهيم حركات

اهمية أعمال الدولة :

من البديهي ان يكون لدولة الادارسة جوانب حسنة ، كما ان لها جوانب من الضعف . وقد برهن الادارسة على شيء غير قليل من الحنكة في استغلال الفرص وحطب ود الفاطميين والامويين تارة أخرى اذ لم يكن ينفعهم امام ضغط القوات التي تصارعهم في الداخل والخارج ، الا ان يسلكوا سياسة المرونة . وكان في دخول الادارسة الى المغرب ، انتصار للعربية لا يستهان به ، ولم يعرف عنهم تعصب جنسي كما ان سيرهم في سياسة الملك على العموم ، كانت طيبة يسودها اللين والتاثر – الى حد كبير – بتعاليم الاسلام ، وما من شك في انهم عملوا على نشر الدين الحنيف في ربوع الصحراء . ذلك لان صنهاجة الجنوب لم يعتنقوا الاسلام الا منذ القرن الثالث . وهو القرن الذي نشط فيه الادارسة للعمل الاسلامي . وخاصة في النصف الاول منه .

وقام الادارسة الى ذلك ، بمجهود مشكور في ميدان العمران ، بتاسيس عدة مدن ، لاسيما فاس التي قدر لها ان تلعب فيما بعد ، اعظم دور في تاريخ المغرب السياسي والفكري ، وبدات فاس ستمد حضارتها في عهد الادارسة من القيروان وقرطبة ، لتصير بعد ذلك . مركز اشعاع حضاري في المغرب العربي .

نظام الحكم والادارة :

من العسير ان يتوصل الباحث الى معلومات وافية عن نظام الحكم والادارة في عهد الادارسة غير انه يمكن ان نستنتج ، اعتمادا على المصادر القليلة جدا في هذا الباب ، ان الوزراء لم يكونوا في عهد الادارسة متعددين ، بعكس النظام الذى كان موجودا لدى الامويين في الاندلس ، حيث وزعوا مهام الدولة على بضعة وزراء .

وقد استعان الادارسة بالبربر والعرب على السواء في تسيير شؤون الدولة ، بيد ان ولاة الاقاليم اصبحوا يعينون من امراء العائلة المالكة ، منذ اعتلى محمد بن ادريس منصة الحكم، وبناء على رواية البكري فان مناطق النفوذ الادريسي اصبحت موزعة في عهد هذا الامير كما يلي :

1 – صنهاجة وغمارة لعمر .
2 – هوارة في ناحية وهران لداود .
3 – البصرة وطنجة وما حولهما للقاسم .
4 – ناحية بني ملال ليحيى .
5 – اركورة وسلا لعيسى .
6 – وليلى وناحيتها لحمزة .
7 – لمطة (قرب كولمين) لعبد الله .

بينما احتفظ محمد بفاس والتسيير المركزي ؛ وعند قدوم العرب ايام ادريس الثاني ، عين منهم عددا كبيرا من الموظفين المركزيين والاقليميين من قضاة وجباة وغيرهم ، بل عين منهم وزيره وهو عمير بن مصعب الازدي ، كما استقضى بفاس عبد الله بن مالك الخزرجي . وقد اعتبر طبراس حكومة ادريس الثاني نواة لنظام المخزن ، وكان من محاسن هذا النظام اللامركزي ان اهتم كثير من الامراء الاقليميين بالعمارة في اقاليمهم ، الى جانب الدعاية لصالح الاسلام .

وكانت مداخيل الدولة من الزكوات والاعشار ، ولم تثقل كاهل السكان بضرائب اضافية .

وفيها حوصر الادارسة الريف في عهد موسى بن ابي العافية ، وقد دافعوا عنها باستماتة ، ومن المرجح ان هذه القلعة تقع قريبا من مضارب قبيلة سوماتة ، بدليل انقاضها التي لا تزال موجودة، اما اهم اثر تركه الادارسة على الاطلاق ، فهو :

جامعة القروييين :

نسب تاسيسها الى فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري احد العرب المهاجرين من القيروان ، وقد بنت القرويين من المال الذي ورثته عن والدها ، وكان الشروع في البناء سنة 245 هـ ، اما مواد البناء نفسها فقد استخرجت من عين المكان ، وحتى الماء استنبط من بئر كانت هناك ، وكان المسجد يتألف من 4 اساكيب و12 بلاطه ، وبلغت مساحه المسجد 1248 م2 ثم زيد فيه لاول مره في عهد عبد الناصر بواسطة الامير احمد الرباني عامله على فاس ، فصار على 13 اسكوبا و18 بلاطه ، بينما بلغت مساحته 4 الاف م2 *

* وفي عهد يوسف بن تاشفين اصبح يشتمل على 16 اسكوبا و21 بلاطه بينما بلغت مساحته 5846م مربع

وفي ايام عبد الرحمن الناصر بنيت الصومعة الحاليه . وتم الفراغ من بنائها سنة 345 على يد احمد بن ابي بكر الرباني . وكان بناؤها من الحجر المنحوت . حتى شرع في تبييضها منذ سنة 688 . وفي ايام يوسف ابن عبد الحق بنيت حجره المؤذنين .

ويعتبر القرويين اقدم جامعه في العالم ، او من اقدم الجامعات على الاقل . وكان المسؤول عن تسييرها قديما قاضي المدينه ، وكانت شؤون المسجد والتدريس تكون جزءا من اختصاصات القضاه . وكانت المواد الدراسيه ترتبط بالدين واللغه العربيه ، من فقه وتفسير وادب الخ .. وعرفت هذه الجامعه نشاطا عظيما في مختلف فروع المعرفه ايام الموحدين والمرينيين ثم الاشراف . وعاشت القرويين منذ البدايه على نظام الوقف الذي اتسعت موارده بعد المرابطين خاصة ، اي بعد ان سادت الروح الدينيه والعلميه في اوساط اهل فاس خاصه ، وعلى العموم فقد كان العلماء متطوعين يلقون دروسهم بينما يشتغلون خارج القرويين بوظائف معينة كالعدالة والكتابه والقضاء . وفي عهد المرينيين بنيت مدارس كبيره لايواء الطلاب . وجهزت بخزائن تعين الطلاب على تحصيل العلم كما اسست خزانه عظيمة في مسجد القرويين ايام بني مرين .

وفي ايام العلويين بدأ ادخال النظام على القرويين بتقرير الكتب والمواد الدراسيه ايام السلطان محمد بن عبد الله ، كما انشئت المطبعة الحجرية التي ساعدت كثيرا على نشر الكتب في مختلف العلوم والفنون ، وفي ايام السلطان محمد بن عبد الرحمن .

اما في العصر الحاضر . فقد ادخل في سنة 1931 اصلاح جديد على القرويين بتقسيم مراحل الدراسة فيها الى ابتدائي وثانوي ونهائي ، في مقابل تجريدها من كل صبغة علميه ، فلم يعد يدرس بها سوى مواد الفقه واللغة . حتى اذا كانت سنة 1942 عين اول مدير للقرويين درس على الطريقه العصرية الى جانب الطريقة التقليدية ، وهو الاستاذ محمد الفاسي الذي وضع نظاما دقيقا للامتحانات والمواد والكتب المقررة ، وان ظل الاصلاح شكليا لا جوهريا .

وفي سنه 1957 وضعت اللجنة الملكيه لاصلاح التعليم برنامجا يبنى على توحيد مواد الدراسة ومناهجها في مختلف معاهد المغرب . ولكن لم يدخل هذا التوحيد في مرحلة التطبيق الا بعد انشاء المجلس الاعلى للتربيه الوطنية الذي خلف اللجنة الملكية لاصلاح التعليم . فاصبح التخصص يبدأ في المرحلة الثانيه من السلك الثانوي . ومنذ سنه 1931 والصراع قائم بين المحافظين من علماء الدين ، والمسؤولين عن شؤون التعليم من متطرفين ومعتدلين ونقطه الخلاف تنحصر حول اعطاء اهميه اكثر للعلوم الدينيه . او مسايرة القرويين لكل مناهج التعليم العصري .

وقد تركت جميع الدول التي تعاقبت على عرش المغرب منذ الادارسة آثارا متعدده ، من بينها في عهد المرابطين . المنبر الرائع الذي صنع في ايام المرابطين وباب الحلفاء الذي صنع في نفس الفترة سنة 531 هـ ويبلغ طوله حوالي اربعة امتار . ومن آثار الموحدين الثريا العظيمة التي ابدع الصناع في زخرفتها ، اما في عهد بني مرين . فقد صنعت ساعه مائية عظيمة ، كما بنيت الحلوة العليا ايام السلطان ابي فارس ، وفي عهد السعديين بنيت القبة الغربيه ذات السواري الثمان وفي ايام العلويين وقع ترميم شامل لمباني القرويين ، وبنيت مكاتب الادارة وقاعة كبيرة للمطالعة .

روى بخمس عشرة رواية ، فانه لم يبق منها الا رواية محمد بن الحسن الشيباني ، ورواية يحيى الليثي وقد توفي سنة 234 هـ. واذا كان الامويون بفضل نفوذهم السياسي قد عملوا على اقرار مذهب مالك في الاندلس، فان المغرب قد ساهم في اقرار هذا المذهب به مجهودات فردية ، فقد قيل ان اول مغربي عمل على نشر مذهب مالك بالمغرب ابو ميمونة دراس بن اسماعيل الجراوي في اوائل القرن الرابع ، وينسب اليه مسجد بفاس ، وهو توفي سنة 357 هـ، وعلى كل ، فان فقهاء المغرب الاولين درسوا اما مباشرة على مالك ، او تلقوا علمهم عن فقهاء الاندلس والقيروان .

الحالة الاقتصادية : كانت الاحوال الاقتصادية تختلف باختلاف الظروف الطبيعية والسياسية ، اما في بداية عهد الدولة فقد كانت الحالة الاقتصادية حسنة بفضل الغنائم التي حصل عليها الامراء في حروب المشركين بالاضافة الى انتهاج سياسة تتفق ومبادئ الاسلام الاساسية . غير انه من الصعب ان ناخذ نظرة مفصلة عن الحالة الاقتصادية لهذا العهد . ونظرا لعدم عناية الدولة بالميدان الصحي فقد كانت الاوبئة تفتك بالسكان فتكا ذريعا ، الى جانب الجراد الذي كان ياتي على المزروعات . فتتقاحش اثمان البضائع والمواد الغذائية . ففي سنة 260 و 285 و344 انتشر الوباء بشكل خطير في الاندلس والمغرب ، وفي سنة 260 ايضا حدثت مجاعة عظيمة مات من اهلها عدد كبير من السكان ، كما ان الطبيعة قست على المغرب ، فحطم البرد في سنتي 339 و 342 الاشجار والثمار وقتل المواشي والطيور وفي سنة 379 استمرت الريح الشرقية ستة اشهر ، وتسببت عنها اوبئة فتاكة ، ولكن كانت تاتي ظروف يعم الرخاء فيها الى حد كبير، حتى كان الفلاحون يضطرون احيانا الى ترك الزرع في سنابله لعدم وجود من يشتريه .

البناء والعمران : انشأ الادارسة بالمغرب مدنا عديدة من اهمها المدن التالية :

1) **فاس :** تقع قرب وادي فاس في موقع يجعلها قريبة من الريف والمغرب الشرقي والمحيط الاطلسي ، وقد سبق اختطاط فاس الحالية ، مشروعان حاول ادريس الثاني انجازهما على التوالي، اولهما بناء المدينة عند سفح جبل زلغ حيث حطم السيل المباني والمزارع ، ثم بناؤها عند وادي سبو حيث لقيت نفس المصير .

وهكذا تم بناء المدينة للمرة الثالثة وبصفة نهائية ، بعد ان وقع اختيار عمير الازدي على مكانها الحالي الذي لم يكن سوى غيضة تكتنفها الاشجار والمزروعات ، ويقطن بها مجوس البربر ، وقد حصل الاتفاق على تنازلهم عن هذه الغيضة مقابل ستة آلاف درهم ، وقد شك طيراس ومؤرخون آخرون ، فيما اذا كان بناء عدوتي فاس كلتيهما في عهد ادريس الثاني ويرجعون بناء احداهما الى ادريس الاول .

وعلى اي ، نمت عمارة المدينة في النصف الاول من القرن الثاني ، بواسطة الاسر الوافدة من الاندلس في عهد الحكم الربضي ، وقد ظلت العدوتان مدة طويلة منفصلتين عن بعضهما باسوار ضخمة حتى حدث عدة مرات ان تنازلت احدى العدوتين امام هجمات الفاتحين بينما يتحصن سكان العدوة الاخرى في مدينتهم لمدة شهور عديدة . كما وقع في عهد الادارسة المتاخرين وفي ايام الزناتيين .

وفي عهد ادريس الثاني ، وهو باني فاس على اكثر الروايات سنة 193 تم بناء اول جامع للخطبة وهو جامع الاشياخ ، كما بني مسجد الشرفاء ، واسست فنادق للتجار وحمامات ومرافق مختلفة خلال حكم الادارسة وادخلت اصلاحات كثيرة على فاس في ايام الدولة المتعاقبة .

2) **البصـــرة :**

تنبت في اواسط القرن الثالث الهجري ، واول من تولاها من الادارسة ابراهيم بن القاسم بن ادريس وتقع بين اصيلا والعرائش بعيدة عن البحر ، وكانت تعرف في اول الامر ببصرة الكتان ، وقد تحرث في وقت مبكر .

3) **جـراوة :**

في الشمال الشرقي من المغرب ، بناها ادريس ابن محمد بن سليمان او ولده عيسى الملقب بابي العيش ، وقد حدد ابن عازي بناءها في عهد ابي العيش هذا سنة 237 وكانت تحتوي على جامع من خمس بلاطات ، وعلى خمسة حمامات ، وكان لها اربعة ابواب وسكن حولها بنو يزناسن ، وزواغة وزناتة ، كما كان يقع بقربها قرى مدغرة على البحر المتوسط .

4) **قلعـة حجر النســر :**

بنيت في الجنوب الشرقي من البصرة سنة 317 على يد ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس ،

اموبي الاندلس على استكانتهم لاستبداد المنصور بن ابي عامر ، وان كان الادارسة يكرهون كلا من الفريقين، بيد ان تدخل المنصور كان اشد عليهم من تدخل ملوك بني امية .

فيما ارى عجبا لمن يتعجب
جلت مصيبتنا وضاق المذهب

اتكون حيا من امية واحد
ويسوس هذا الملك هذا الاحدب !

تمشي عساكرهم حوالي هودج
اعواده فيهن قرد اشهب

وقد اشترك البربر بطبيعة الحال في الحركة الادبية ، وهكذا نرى سعيد بن هشام المصمودي يخاطب البرغواطيين في وقعة بهت التي قتل فيها عدد كبير من البربر ، ونلاحظ في هذه القصيدة الطويلة التي قدم لنا منها ابن عذارى بضعة ابيات ، تقليدا واضحا لمعلقة عمرو بن كلثوم وزنا وقافية ، بالاضافة الى شبابه المناسبين ، بل نلاحظ اكثر من ذلك واهم . اثر القرآن في اسلوب الشاعر الذي يقول :

قفي قبل التفرق فاخبرينا
وقولي واخبري خبرا مبينا

وهوم برابر خسروا وضلوا
وخابوا لا سقوا ماء معينا

يقولون النبي ابو عفير
فاخزى الله ام الكاذبينا

الم تسمع ولم تر يوم بهت
على آثار خيلهم رنينا

رنين الباكيات بهم ثكالى
وعاوية ومسقطة جنينا

هناك يونس وبنو ابيه
يوالون البوار معظمينا

فقد ظهر الالم في شعر الادارسة الذين احس الاولون بحنين الى مواطنهم الاصلية وفي الابيات التالية ياسف ادريس الثاني على فراق احبته ، ولا ادري من هم هؤلاء الاحبة الذين يعنيهم :

لو مد صبري بصبر الناس كلهم
لكل في روعتي او ضل بي جزعي

بان الاحبة فاستبدلت بعدهم
هما مقيما وشملا غير مجتمع

كانني حين يجري الهم ذكرهم
الى جوانح جسم دائم الهلع

ويقول شاعر آخر سكن بين البربر في ورغة وسماهم اعاجم :

الا هل اتى اهل المدينة انني
بورغة بين الاعجمين غريب

اذا قلت شيئا ، قيل ماذا تريده
لهم بين احرار الوجوه قطوب

اما المدح ، فيجري على الطريقة التقليدية من وصف بالكرم والشجاعة وما الى ذلك بل يتجلى فيه التكسب احيانا بشكل يزري بقيمة الشاعر ، من ذلك قول بكر بن حماد في احمد بن القاسم بن ادريس احد ولاة البصرة :

ان السماحة والمروءة والندى
جمعوا لاحمد من بني القاسم

واذا تفاخرت القبائل وانتمت
فافخر بفضل محمد وبفاطم

وبجعفر الطيار في درج العلى
وعلي العضب الحسام الصارم

اني لمشتاق اليك وانما
يسمو العقاب اذا سما بقوادم

الحركة الفكرية :

اذا كانت المصادر توفر نسبيا لمن يدرس تاريخ الادارسة السياسي . فهي لا تكاد توجد بالنسبة لدارس الحركة الفكرية ، ولا يدل هذا مطلقا على انه لم يكن هناك علماء او ادباء ، انما الشيء الذي يلاحظه الباحث في هذا الباب ، ان الادارسة لم يكونوا ذوي ثروة تساعدهم على تشجيع الحركة العلمية والادبية الى حد يكثر معه الانتاج وتنتشر حركة التاليف ، حتى ان تاريخ الادارسة ، كتبه مؤرخون معظمهم متاخر جدا عن عصر الادارسة ، اما المعاصرون ، فليس الا قليل من المغرب الاقصى على ما يظهر ، ونظرة قصيرة على تاريخ الامويين بالاندلس . والعبيديين بافريقيا ، تدلنا على مدى حركة الانتاج الواسعة نسبيا في كل من افريقيا والاندلس ، في نفس الوقت الذي كانت الحركة الفكرية بالمغرب ، مسايرة بدون شك للحركة الفكرية بالقطرين الشقيقين ، وقد حاولت عبثا ان اجد مؤلفا مغربيا مما بقي من عهد الادارسة ، فهل كانت الحركة الفكرية بالمغرب عقيمة الى هذا الحد ؟ بكل تأكيد لا .

غير انه كان من عادة الدول الاسلامية ان تغدق الاموال الطائلة على الادباء والعلماء ، ليتفرغ كثير منهم للانتاج ، مكتفيا في معيشته بما تدره عليه امراء الدولة وكبار المسؤولين فيها ، اما فقر الادارسة اشتغالهم بنشر الاسلام ، وبساطة حياتهم ، فلم يسمح لهم حتى بانشاء جيش قوي لمواجهة الطامعين فيهم فضلا عن القيام بعمل جبار في ميدان الحضارة .

واهم من كتب عن تاريخ الادارسة ابن ابي زرع فهو ينقل كثيرا عن البرنوسي المعاصر لهم ، غير ان كتاب البرنوسي يعتبر لحد الآن مفقودا ، كما كتب محمد بن يوسف الوراق عن المدن التي عرفت ازدهارا كبيرا في عهد الادارسة ، خصوصا سجلماسة ونكور وفاس ، وقد توفي هذا المؤرخ سنة 292 . وكثيرا ما اعتمد عليه ابن عذارى في « البيان المغرب » .

وكانت حركة العلوم الدينية مزدهرة في عهد الادارسة . حتى ان البرغواطيين كان من بينهم من فقهوا في علوم الدين وعاصروا الادارسة . وفيهم من تلقى علومه عن الادارسة كيونس الشذوني الاندلسي الاصل ، وكانت رحلته مع زيد بن سنان الزناتي الواصلي وبرغوث بن سعيد الصفري ، ومن عجيب المفارقات ان تجتمع اصحاب هذه المذاهب المختلفة في رحلة للدراسة معا ، او على الاصح . ان يجتمعوا للدراسة ثم يرجعوا الى المغرب وقد تفرقت بهم المذاهب .

اما الحركة الادبية ، فقد عرفت نشاطا عظيما حفظت لنا منه المراجع نتفا قليلة متفرقة ولكنها تنبيء بحق عن الروح المذهبية والدينية التي كانت تسود الادب في ذلك العصر .

وقد عرف الادارسة معظم الابواب التقليدية ، غير ان الشعر السياسي كان طاغيا على الابواب الاخرى نظرا للصراع القائم بين مختلف النزعات آنئذ . وكان بين امراء الادارسة عدد كبير من الادباء والشعراء ، ومنهم ادريس الثاني ، ومن شعره الابيات التالية التي يعاتب فيها بهلولا الخارجي الذي خرج عن بيعته ودعا لابراهيم بن الاغلب :

ابهلول قد شممت نفسك خطة
تبدلت منها غوله برشاد

اضلك ابراهيم من بعد داره
فاصبحت منقادا بغير قياد

كانك لم تسمع بكيد ابن اغلب
غدا آخذا بالسيف كل بلاد

ومن دون ما منتك نفسك خاليا
ومناك ابراهيم شوك قتاد

وقد حضر داود الجعفري المتوفى سنة 261 الى جانب ادريس الثاني في احدى غزواته مع الصفرية . فلاحظ تقلبه على السرج وقلة استقراره ، فاجابه ادريس بقوله : (ذاك مني رمع الى القتال وصرامة فيه ، فلا تظنه رعبا) ثم تمثل ببيتين نسبا الى الامام علي وهما :

اليس ابونا هاشم شد ازره
واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فلسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولا نشتكي مما يؤول من النصب

وينم ادب المولى ادريس الثاني عن حماسته الفياضة وعزة نفسه وثباته في الحرب . ولدينا ابيات اخرى لابراهيم بن القاسم بن ادريس يعاتب فيها

ابن حبوس

بحث

للأستاذ عباس الجراري

الحديث عن تاريخ الادب العربي عامة معقد وصعب ، وهو عن تاريخ الادب المغربي خاصة اشد تعقيدا واكثر صعوبة ، بل يحس الباحث فى صفحاته شعورين يكاد ان يكونا متنافضين ، فاما الاول فعسر درس وتناؤه ، واما الثاني فمتعه ولذته ، وهو مضن عسير لما يسود هذه الصفحات من غموض نتج عن عدم اعتناء السلف بالتاريخ وعده من قبيل الخرافة، وعن اهمال الخلف لما بقي من تراث تندب حظه على رفوف المكتبات ، لا تريده الاعراض غير نفض من همة نفائسه وذخائره . ثم هو ممتع لذيذ لما يساور دارسه من غبطة في النفس ، ورضى في الضمير . لاشك انهما يخالجان كل من يكتشف مجهولا او يصل الى شيء جديد يضمه الى ما وقف عنده الفكر الانساني في مختلف فروعه .

وبالرغم من ان مغرب ما قبل الاسلام لم يشهد قيام حضارة ثابتة قوية تزدهر فى احضانها حركات العلم والادب والفن ، وبالرغم من انه فى عصوره الاسلاميه الاولى لم يكن له مساركه فعالة فى غير العلوم الدينية دون فنون الادب الذى يكتفى فيه بالتقليد والمحاكاة ، والذي لم يكن مميزا بغير طابع الشرق والاندلس ، بالرغم من هذا وذاك لا يكاد الباحث يصل الى العصر الموحدي (514 — 668 ه) حتى تنتشر امامه صفحات عهد مشرق ينبض بالحياة والحركة فى شتى ميادين الحضارة والثقافة .

فقد اسس المهدي بن تومرت (485 — 524 ه) دولة كبرى تضاهي عاصمتها فى مراكش مدينة السلام العباسية ، وتمتد رقعتها من المحيط الاطلسي حتى حدود مصر ، ومن الصحراء الكبرى حتى بلاد الاندلس . وكان هدفه ان يوحد البلاد الاسلامية تحت لوائه ، فتسمى بالخليفة ، وبعث انصاره ينشرون سرا دعوته فى اقاليم العباسيين والفاطميين ، ولم يكن مطمئنا لما هي عليه . وكان للخلفاء بعده كبير اهتمام بالدين وشؤونه لدرجه ان امروا بقتل شارب الخمر وتارك الصلاة غلوا منهم فى اقامة الحد . وساد عندهم مذهب الأشعرية والشيعة والظاهرية ، ونشرت فكرة المهدوية . ولعل عدم تقيدهم بما وقف عنده فقهاء المالكية ومحاولاتهم فى الاستنباط والاجتهاد يدلان على ما كان لهم من حب لحرية التفكير ، ظهر اثرها فى النهضة العلمية والادبية التي شهدها هذا العصر ، والتي قامت على اساس من المنطق والعقل ، فدرست الفلسفه فى المعاهد والمدارس ، ونوقشت مسائلها فى بلاط الخليفه . . وخاصة يوسف الذى كان يضم مجلسه ابن رشد وابن طفيل . ولا ادل على ازدهار هذا العلم من تلك الاسئلة التي وجهت الى علماء سبتة من طرف فريدريك الثاني ملك ايطالية ، والتي رد عليها الفيلسوف ابن سبعين فى اجوبه يضمها كتاب « المسائل الصقلية » .

وكان لابد للادب ان ينهض وتنفق سوقه ، فاعتنت به الدولة وشجعت اصحابه وزخرت اندية البلاط بالكتاب والشعراء ، وفتحت ابوابها للادباء الوافدين ، وعقد الخلفاء — وكان اكثرهم يتذوقون ويتعاطون القريض — مجالس كانت تحفل بالمناظرة والمساجلة ، بذلوا العطاء لروادها فى بذخ واسراف فكان لهما اثر كبير على تشجيع حركات العلم والادب. ففي « وفيات الاعيان » ان عبد المؤمن (495 — 558ه) منح الشاعر التيفاسي الف دينار على بيت شعر واحد انشده اياه . وفى « نفح الطيب » ان يعقوبا »555 —

فابعث الي بمركب اسمو به
على ان اكون عليك اول قادم

واعلم بانك لن تنال محبة
الا ببعض ملابس ودراهم

ويلاحظ خلل واضح فى الشطر الثاني من البيت الاول .

واما فيما يخص الوصف ، فلا يمكن ان نوخذ عنه نظرة كافية لقلة ما دون منه فى مصادر متفرقة ، وفى البيتين التالين ، يصف احمد بن فتح الناهرى جمال نساء البصرة (المغربية) وقد بلغت بهذا الشاعر ان برع فى جمع اربعة اوصاف لجمال المراة البصرية مع الدقة فى الوصف ، وذلك كله فى بيت واحد :

ما حاز كل الحسن الا قينة
بصرية فى حمرة وبياض

الخمر فى لحظاتها ، والورد فى
وجناتها هيفاء غير مفاض

هذه نظرة موجزة جدا عن الحضارة المغربية فى عهد الادارسة ، وهي ميدان بكر لم يتناوله بعد قلم بالاستيفا ءوالدرس العميق لقلة المصادر مع الاسف .

احب أن يظل السر مكتوما

خرج الحجاج يوما للصيد وانفرد من حاشيته فى الصحراء ، فلقيه رجل وهو لا يعرف انه الامير فقال له الحجاج : ايها الاعرابى كيف امركم ؟ قال : ظلوم غشوم ، فسأله : ولم لا تشكونه الى عبد الملك ، فاجاب : لانه اظلم واغشم .

وبعد قليل لحقت بالحجاج حاشيته فعرف الاعرابي انه الحجاج . فقال : السر الذي بيني وبينك احب ان يكون مكتوما ، فضحك منه الحجاج واعجبته بديهته .

وفى حلقات مساجدها درس . ولكنا لانعرف شيئا عن كيفية نشاته ونوع دراسته واسماء مدرسيه ، سوى ما حكى ابن عبد الملك من انه اخذ عن ابى بكر الابيض ، وكان من فحول الشعراء متفننا فى علم الكلام واللغة والنحو . ومن يدري لعله درس بجامعة القرويين التي لاشك انها كانت فى هذا العصر نموذجا للتعليم الذي كان يطغى عليه طابع الفقه والدين ، ولعله كان يتوق الى سواه ويتصل ببعض احرار الفكر وخاصة دعاة الموحدية الذين كانوا يعملون فى الخفاء .

واكثر من هذا لا نستطيع ان نستنطق المصادر سوى انه سافر الى تلمسان فأقام بها قليلا ، ثم انتقل الى مراكش ، وكانت شهرته ذائعة بالرغم من انه لم يكن فى غمر اول الشباب فاتصل بالمرابطين وحظى عند امرائهم ، وخاصة عند على بن يوسف بن تاشفين ت 537 هـ) وفى (المعجب) « انه كان فى دولة لمتونة مقدما فى الشعراء حتى نقلت التهم عنه حماقات فهرب الى الاندلس » .

والراجح انه لايمثل نوع هذه الحماقات غير فكره الحر الذي دفعه الى الثورة ضد الجمود المرابطي بصفة عامة ، وتحجر عقلية الفقهاء بصفة خاصة . وله قصيدة فى الموضوع نرجح انه نظمها فى هذه الفترة التى قضاها فى مراكش والتي سبقت ظهور الموحدين يقول فيها :

الدين دين الله لم يعبا بمبـ
ـتدع ولم يحفل بضلة ملحد

قالوا بنور العقل يدرك ما ورا
ء الغيب قلت فذى من الدعوى قد

بالشرع يدرك كل شيء غائب
والعقل ينكر كل ما لم يشهد

من لم يحط علما بغاية نفسه
وهي القريبة من له بالابعد

*

اعداؤنا فى ربنا احبابنا
جرحوا القلوب واقتلوا فى العود

*

ستنالهم منا الغداة قوارع
ان لم تقلهم غولها فكان قد

وتصب فيهم سحبنا بصواعق
تلك التي جلبت منية اربد

*

يلقى كتاب الله بين ظهورهم
وجميع مسنون النبي محمد

والقصيدة كما يرى ثورة صريحة ضد الفقهاء الذين تمسكوا بقشور الفروع ، وثورة فى نفس الوقت ضد بعض فلاسفة العصر ممن كانوا لا يقولون بغير العقل . وهي فى الواقع اثر من آثار الدعوة الموحدية تدعو فيما تدعو للرجوع الى الكتاب والسنة . والذى يتضح من ابياتها ان ابن حبوس كان وسطا فى تفكيره ، ياخذ بالمنقول فى غير جمود وفى غير معاداة للتأويل والاستنباط ، تضيء عقله نظرة فلسفية لا غلو فيها ولا مبالغة .

ولعل هذا كله جعله يميل الى التشاؤم فى تفكيره على ما يظهر فى قصيدته التى يقول فيها :

أعد لنابحيك عصا
وأقصم ماضغيك حصا

وعامل بالخديعة من
لقيت وبادر الفرصا

وهز لمعشر سفا
وهز لآخرين عصا

وسوء ظننا بكل اخ
يقاسمك الثنا حصصا

والواقع ان هذا التشاؤم ليس ناتجا عن كره للناس دائم عميق كما عند بشار الذي كان بطبيعته يكره الجنس البشري وكان يضيق صدره حتى باصدقائه واحب الناس اليه يتعمد اغاظتهم والاساءة اليهم حتى يتركوه ، ولا ناتجا عن دعوة الى التقشف والزهد فى الدنيا وذم متاعبها والتقرب الى الله بالابتهالات والعمل الصالح كما عند ابي العتاهية ، ولا عن نقد للحياة الاجتماعية وما يشوبها من اكدار وآلام كما عند المتنبي ، ولا عن وصف دقيق للحياة وما يحفها من عذاب وشر ونفاق وفساد يهاجمها فى نقد ساخر لاذع كما فعل ابو العلاء لم يكن شيء من هذا سببا فى تشاؤم ابن حبوس ، وانما كان سببه كره موقت للناس ، وضيق صدر بمن حوله ، اعتراه فى هذه

595 هـ) اعطى ابن منقذ رسول صلاح الدين اربعين الف دينار على قصيدة مدحه بها بلغت اربعين بيتا .

في احضان هذه النهضة وبين اجوائها قضى ابن حبوس حياته منذ غضاضة شبابه وفورته الاولى بعد ان شهد احتضار دولة المرابطين (462 — 542) وما كان يطبعها من سيطرة فقهاء متزمتين تعصبوا لمذهب مالك ونبذوا ما سواه ، وحرموا المنطق والفلسفة ، وحالوا دون اي تفكير حر ، لدرجة ان سعوا في احراق كتب الغزالي بمجرد وصولها .

وانه لمن المؤسف حقا ان نجهل الكثير عن هذا الشاعر الكبير الذي ذهب ضحية الاهمال ، فضاعت كل تفاصيل حياته وما صاحبها من شعر ، وضاعت معها اكثر الكتب التي تناولت اخباره وادبه بالبسط والتحليل .

ولعل صفوان بن ادريس هو اول من عرفنا به في كتابه « زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر » ويشتمل على اشعار المغاربة والاندلسيين ممن عاصروا دولة الموحدين ، وبالرغم من انه ذكر كثيرا من شعره فانه لم يورد اخبارا عن الشاعر نفسه . ويكاد يكون ما قاله خاليا من اي تعريف به .

واهم كتاب يحدثنا عن ابن حبوس وان في سطور قليلة هو كتاب « الذيل والتكملة على الموصول والصلة » لابن عبد الملك المراكشي (المتوفى سنة 703 هـ) ومع انه ذاع وانتشر في البلاد العربية الاخرى واعتمد عليه كثير من المؤرخين المشارقة ، فقد ضاع اكثره ، ولم يعد محفوظة غير اجزاء قليلة منه ومن الجزء الذي ترجم فيه المؤلف لشاعرنا يوجد نسخة في خزانة المرحوم عباس بن ابراهيم (ت 959 هـ) نقل عنها ترجمته في كتابه « الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام » بما فيها من بياض وبتر يتخللان السطور .

كذلك ذكره عبد الواحد المراكشي (581 — 625 هـ) الذي لم يترك صغيرة وكبيرة عن عهد الموحدين الا سجلها في كتابه « المعجب » كما ذكره ابو الخطاب ابن دحيه (ت 633 هـ) في كتابه « المطرب في شعر اهل المغرب » الذي حققه وقام بطبعه الدكتور مصطفى عوض الكريم معتمدا على نسخة توجد في المتحف البريطاني بلندن . وتحدث عنه من المعاصرين المستعرب بيرس في مجلة (هسبيرس) من غير ان يعتمد على درس او تحليل ، كما كتب عنه الاستاذ محمد الفاسي مقالا قصيرا في مجلة الثقافة المغربية لم يتعمق درس جوانب حياته وادبه .

ومترجمنا هو ابو عبد الله محمد بن حسين بن عبد الله بن حبوس بفتح الحاء وتخفيف ضم الباء . وهو غير محمد بن حيوس بالياء بدل الباء ، وكان من شعراء الشام . وقد لاحظ ابن خلكان عند ترجمته له ما عسى ان يقع من الخلط بينه وبين الشاعر المغربي فقال « وفي شعراء المغاربة ابن حبوس مثل الاول لكن بالباء الموحدة المخففة وانما ذكرته لئلا يتصحف على كثير من الناس بابن حيوس ورأيت خلقا كثيرا يتوهمون ان المغربي يقال له ابن حيوس ايضا وهو غلط والصواب ما ذكرته . » وقد يلتبس اسمه كذلك مع ابن حنون بنونين أولاهما مخففة او مع ابن حبون بباء مشددة . اما بنو حنون فيمتون بصلة الى الاصل البربري . ويعدون في الاسر الفاسية العريقة في النبل والعلم ، ومنهم الفقيه العدل يحيى بن حنون ، واما بنو حبون ويسكنون كذلك مدينة فاس فمن الاسر الاندلسية التي تسربت الى المغرب وانتشرت في مدنه . وابو عبد الله محمد بن حبون يعد في الحفاظ الثقات من قدماء هذا البيت الذي يدل على عروبته ارومته لفظة القبيل .

والذي يظهر من لقب الشاعر وشيوعه بين البربر انه لم يكن في الاصل عربيا كما قد يتوهم من الخلط الذي بينه وبين شاعر الشام . وانما كان بربريا من سكان المغرب الاصليين . ولكننا في عصر تم فيه تعريب المغرب وطبعه بالطابع العربي ، وانطلقت الالسنة البربرية وقد حلت عقدتها تخوض ميادين الخطابة والنثر والشعر في لغة عربية فصيحة وبليغة مما لا يجعل لاصل ابن حبوس اثرا ملموسا على شعره

وفي « الذيل والتكملة » ان حبوسا مولى بني ابي العافية الذين ملكوا المغرب الاقصى ايام بني امية الاندلسيين فمن بعدهم ، واصلهم من بني مفرول بن تسول احدى قبائل حومة تازا ، وكان موضع بني ابي العافية حاضرة سلطانهم الى ايام يوسف بن تاشفين (ت 500 هـ) فانتقض ملكهم وذهبت ايامهم .

وعلى غير ما ورد خطأ في النسخة التي نشرت من « زاد المسافر » من انه « من نظر بجاية » فانه ولد بفاس سنة خمسمائة للهجرة ، بين دروبها الضيقة نشأ ،

والقطعة الى جانب هذا مثال لنثر ابن حبوس ، بل هي كل ما بقي لنا منه واسلوبه فيها ، مرسل لا تعقيد فيه ولا اغراب .

وللاسف الشديد لم تنقل الينا الكتب التي بين ايدينا ولو بيت شعر واحد مما قاله طوال المدة التي قضاها فى الاندلس .

وبالرغم من موافقة افكار ابن حبوس لمبادىء الموحدين ، وبالرغم من مشاركته لهم فى نشر الدعوه السريه لها ، فانه لم يعد الى المغرب الا سنة اربعين وخمسمائة بعد أن تم فتح الاندلس على يد الخليفة الثانى عبد المومن ، وكان قد دانت له قبل ذلك بلاد المغرب الاقصى والاوسط مع ان انتصارات المهدي على المرابطين بدات اربعا وعشرين سنة قبل هذا التاريخ ، وهي المدة التي استغرقتها اقامة الشاعر بالاندلس . ولعله كان يخشى فشل الموحدين فى اقامة الدولة ، ففضل ان يبقى بعيدا عن جو الفتن والحروب .

واذن فقد عاد الى المغرب ليصبح « شاعر الخلافة المهدية (1) » يصاحب الامير فى اقامته ورحلته ، ويشهد معه المواقع والحروب ويمدحه ويصف فتوحه وانتصاراته . وقد تكون قصيدته فى فتح بجاية هى اول شعره بعد عودته وفيها يقول :

من القوم بالغرب تصغى الى
حديثهم اذن المشرق

بايديهم النار مشبوبة
فمهما تصب باطلا تحرق

يسودهم ملك اروع
يفرد بالسؤدد المطلق

الى الناصرية (2) سرنا معا
ولما نفتنا ولم نلحق

ولكنا فى هذا الظرف وبعد العودة من فتح بجاية، نلاحظ ظهور شخصية ابى جعفر ابن عطيه القضاعي الذي كان يشغل منصب الكتابة فى الدولة المرابطة ،

والذي اختفى بمجرد استيلاء الموحدين على مدينة مراكش ، وانضم مستترا الى فرقة الرماة المسيحيين الذين كانوا الى جانب بقية الجيش يحاربون احد الثوار الخارجين عن الدولة . والسبب فى ظهوره انه بعد انتهاء المعركة ، وقع عليه اختيار الفرقة ليصوغ كتابا للخليفة عن هذا الانتصار . فما كان منه الا ان ابدع واجاد مما جعل الخليفة يعجب برسالته ويتوق لمقابلته ويعينه وزيرا . ويغلب على الظن ان علاقة ابى جعفر بشاعرنا لم تكن على ما يرام ، خاصة انه كان يعرف تمرده ايام المرابطين ، وقد يكون فكر فى الانتقام منه ، ولكن ابن حبوس لم يترك له فرصه لذلك فمدحه بقصيدة يقول فى اولها :

ألا زار من ام الخنيف خيالها
ومن دونها البيداء يخفق آلها

وفى آخرها يقول :

وزير العلى عندي من القول فضلة
رويتها فى مدحكم وارتجالها
وما كنت اخشى مده الدهر ان ارى
تمد بى الدنيا وانتم جبالها

وسرعان ما افل نجم الوزير حين احضره الخليفة الى مراكش ، وكان فى طريقه الى الاندلس . وأمر بحبسه وقتله لاسباب منها انه افشى سرا كان قد افضى به اليه . ولم يلبث عبد المومن بعد الحادث ان استدعى الشعراء وامرهم بهجو ابن عطية فلما انشدوه قال : « ذهب ابن عطية وذهب الادب معه » وللاسف الشديد لم يصلنا من هذا الشعر غير بيتين خاليين من كل جودة قالهما ابن حبوس هما :

اندلسي لبس من بربر
يخلس الملك من البربر
لا نسلم البربر ما شيدت
بالملك الفيسي من مفخر

وبقي ابن حبوس محافظا على مركزه فى البلاط لا ينتظر غير الفرصة سنح ليمدح الخليفة ، وبالفعل تهيأت له فى الندوة التي اقامها عبد المومن على ظهر جبل الفتح (3) والتي استدعى لها شعراء العدونين ولم

1) نسبة الى المهدي بن تومرت مؤسس الدولةالموحدية .
2) يقصد بجاية وتسمى الناصرية نسبة لمؤسسها ناصر الصنهاجي .
3) هو جبل طارق وقد سماه عبد المومن جبل الفتحاحتفالا ببيعة اهل الاندلس .

الفترة التي بدأ يضطرب فيها زمام اللمتونيين ، واخذت تنفشى بعض تعاليم الدعوة الموحدية التي كانت تنشر في تكتم وسر . ونخشى ان تكون ما ساقه في قصيدته موجها ضد اولئك الذين ابعدوه عن البلاط وحالوا بينه وبين الوصول اليه ، اما بالوشاية او غيرها ، في وقت كانوا تتمتعون بنعائمه ، ويعيشون في ظلاله .

كل هذا كان دافعا له الى الفرار بنفسه ومغادرة البلاد ، حتى لا يبطش به المرابطون ، وكانوا قساة غلاظ القلوب فهرب الى الاندلس حيث اتصل هنا ولا شك بدعاة للموحدية آخرين ، وعمل على نشر مبادئها في مجال اكثر حرية واتساعا .

ولا نعرف عن مقامه في الاندلس شيئا اكثر مما تفيدنا به هذه الحكاية التي كتبها بقلمه والتي رواها المراكشي في « المعجب » عن عبد الله ولد الشاعر حيث قراها عليه من خط ابيه : قال : « دخلت مدينة « شلب » من بلاد الاندلس ، ولي يوم دخلتها ثلاثة ايام لم اطعم فيها شيئا ، فسألت عمن يقصد اليه فيها ، فدلني بعض اهلها على رجل يعرف بابن الملح ، فعمدت الى بعض الوراقين فسألته سحاءة ودواة فاعطانيها ، فكتبت ابياتا امتدحه بها وقصدت داره ، فاذا هو في الدهليز ، فسلمت عليه فرحب بي ورد علي احسن رد ، ولقاني احسن لقاء وقال : احسبك غريبا ، قلت : نعم . فقال لي : من اي طبقات الناس انت ؟ فاخبرته اني من اهل الادب من الشعراء ، ثم انشدته الابيات التي قلت ، فوقعت منه احسن موقع . فادخلني الى منزله ، وقدم الي الطعام ، وجعل يحدثني . فما رأيت أحسن محاضرة منه . فلما آن الانصراف ، خرج ثم عاد ، ومعه عبدان يحملان صندوقا حتى وضعه بين يدي ففتحته فاخرج منه سبعمائة دينار مرابطية فدفعها الي . وقال : هذه لك ، ثم دفع الى صرة فيها اربعون مثقالا ، وقال هذه من عندي . فعجبت من كلامه ، وأشكل علي جدا . وسألته من اين كانت هذه لي ! فقال لي : ساحدثك ، اني اوقفت ارضا من جملة ما لي للشعراء غلتها في كل سنة مائة دينار ، ومنذ سبع سنين لم يأتني احد لتوالي الفتن التي دهمت البلاد فاجتمع هذا المال حتى سيق لك ، واما هذه فمن حر مالي ، يعني الاربعين مثقالا . فدخلت عليه جائعا فقيرا وخرجت منه شبعان غنيا » .

الذي نستنتج من بين سطور هذه القطعة ان حالة الشاعر بالاندلس لم تكن تدعو الى الرضى والاطمئنان ، لدرجة ان مرت عليه ثلاثة ايام دون ان يتناول فيها طعاما . ولعل مقامه بها لم يستمر على هذا النوع من الحياة البائسة ، خاصة انه قضى فيها اكثر من عشرين سنة . ولا يعقل ان يكون قد امضى كل هذه المدة على نفس الحالة التي وصفها والتي كان عليها قبل ان يتصل بابن الملح . وتدل الحكاية في نفس الوقت على ركود السوق الادبية ايام المرابطين ، وعلى اهمال المغاربة لمن ينجبون من نوابغ وقبرهم لما يظهر في ابنائهم من مواهب وعبقريات ، في حين تدل على ما كان لاهل الاندلس من اهتمام بالغ برجال الفكر والادب . والقصيدتان اللتان قالهما في ذم الشعر والزمان يدلان في وضوح على مدى ما يقاسيه الادب المغربي في حياته من مآسي وآلام . يقول في الاولى :

يا غراب الشعر لا طر ... ت ومليت الوقوعا
واذا استيقظ شهم ... قرم ردت هجوعا
هبك لا تفنص عزا ... لم تقنصت الخضوعا
رمت ان ترقى سريعا ... فترديت صريعا
ربما اسطاد بغاث ... سبعا واصطدن جوعا
ولقد غال حبيبا ... منك ما راع صريعا (1)

ويقول في الثانية :

تعز على النبل اني غدوت ... اكنى اديبا واسمى فقيرا
واني بت لكف الزمان ... يعرق عظمي عرقا مبيرا
وما ذاك اني هيابة ... اخاف الرحيل واخشى المسيرا
ولكن بحكم زمان غدا ... يحط الجياد ويسمى الحميرا

(1) يقصد بحبيب ابا تمام صاحب الحماسة وبصريع صريع الغواني الشاعر المشهور

واذا كان لنــا ان نقول كلمة اخيــره عن ابــن حبوس فهي انه كان شاعر فاس الاول ، وانه كان من فحول الشعراء ، وان لم يرق مرتبة الممازين . وقد قارنه المراكشي بابن هانيء الذي كان معروفا بمتنبي المغرب حين قال : « وكانت طريقته في الشعــر علــى نحو طريقة محمد بن هانيء الاندلسي في قصد الالفاظ الرائعة والقعاقع المهولة وايثار التقعير الا ان محمد بن هانيء كان اجود منه طبعا واحلا مهيعا » .

وابن هانيء تلميذ للمتنبي من غيــر شــك او انكار ، يقلده في تصنعه للافكار ، وفي اسلوبه الضخم وتعبيره الجزل ، وفي تكلفه الحكم والامثال ، وفي تعلقه بالغريب والشــاذ ، وغلوه في المبالغــة . بل ونجــد في شعره ميلا كبيرا الى الالفاظ الغريبــة والقوافــي الشــاذة ، وكأنه يقصد الى اثبات مهارتــه لدرجة ان جاء بعض شعره هزيل المعنى ، ضخــم الالفــاظ . وبالرغم من نفسه الطويل وشاعريته المتينة ، فانــه لم يقف على الطبيعة يصفها ويتغنى بجمالها، ولم يفسح المجال لعاطفته التي تكاد لا تظهر الا في حديثه عن الدين والشيعة الامامية ، في حين أن في شعر ابن حبــوس عاطفة حية تتأثــر بما حولها وتؤثر فيه ، نحس ونحن نقراه نعومة ولينا وسلاسة واسترسالا لا تصنع فيه ولا غرابة ، بل نحس موسيقى حلوة عذبة تصل الى اعماق القلب قبل ان تبلغ آفاق العقل ، ومن غيــر تكلف او اجهاد . والحق ان شعر ابن حبوس وان كنا نجد فيه جمالا وروعة يدلان على قريحة فياضة فهــو دون شعر ابن هانيء الذى يفيض عن عبقرية جياشــة وشخصية قوية وان في اطار التقليــد والمجــاراة .

وخلو شعر ابن حبوس من فنون الزخرف والتصنيــع ليس الا مظهرا لطابع العصر عامة والفكر فيه خاصة . فقد تأثر الادب الموحدي بأدب العباسيين والاندلسيين والمرابطين، ولكنه لم يفقدشخصيته التيميزته بالبساطة وشيوع الادب الديني فيه من دون ادب الخمر والغزل، ولو وصلنا من ابن حبوس شعر اكثر من هذه القصائد والمقطوعات التي اوردنــا من غير ان نطيل بذكر كــل ابياتها والتي هي كل ما ابقت عليه يد الاهمال ، لكانت نظرتنا اليه أدق مما راينا . وعسى ان نعثر يوما على ديوانه ، وتتاح لنا فرصة دراسة عميقة مفصلة نسجل بها صفحة مشرقة للادب المغربي في هــذا العصر ، تضاف وكثير من مثيلاتها الى صفحات الادب العربــي الذى آن له ان يجمع شتات تراثه المتناثر هنا وهنالك.

مــن نعــم اللــه

قــال فيض بن اسحاق : كنت عند عند الفضيل بن عيــاض يومــا اذ دخل رجل وسأله حاجه والح في السؤال ، فقلت للرجل : لاتؤذ الشيخ .

فقال لي الفضيل : اسكت يافيض . اما علمت ان حوائج الناس نعمه الله علينا ؟ فحذار ان نمل النعم فتحول نقما ، الا نحمد الله ، ان جعلنــا موضع منيسأل لا موضع من يسأل .

نكن عادنه ان يستدعيهم ، وانما كانوا يستاذنون فيؤذن لهم . وفيها برز ابن حبوس وكان اول من انشد الخليفة قال :

بلغ الزمان بهديكم ما املا
وتعلمت ايامه ان تعدلا

وبحسبه ان كان شيئا قابلا
وجد الهداية صورة فتشكلا

وفيها يقول :

فلأنتم الحق الذي لا يمترى
فيه ولبس بجائز ان يجهلا

ولانتم سر الالاه وامركم
ملأ العوالم مجملا ومفصلا

الى آخر القصيدة التي نستكشف من بين استعاراتها وتشبيهاتها اساس المبادىء الموحدية ولم يكن الشاعر قد صرح به من قبل .

وبينما الخليفة عائد من رحلته الى عاصمة خلافته ، توقف عند مدينة سلا ، حيث عبر نهر ابي رقراق ، وضربت له خيمة جلس يستعرض فيها فرق الجيوش ، فلم يلبث ان ذهل لكثرتها ودقة تنظيمها ، فخر ساجدا شكرا لله وقد بل الدمع لحيته ، فلم يكن من ابن حبوس فى هذه اللحظة الا ان استوحى من جلال الموقف هذه القصيدة التي انشدها امام الخليفة والتي يقول فى مطلعها :

الا ايهذا البحر جاورك البحر
وخيم فى ارجائك النفع والضر

وجاش على امواهك العقل والحجا
وفاض على اعطائك النهي والامر

ويذكرنا هذه الصورة بالبيت الذى انشده ابن دراج القسطلي أمام المنصور بن ابي عامر :

تحمل منه البحر بحرا من القنا
يروع بها امواجه ويهول

بل وتذكرنا بمدح النابغة للنعمان وتشبيهه له بالفرات الذي ارتطمت امواجه على شاطئيه وقد مدته الروافد فزادت فى فيضانه .

ويستمر ابن حبوس فى مخاطبة الخليفة :

فانت خديم الشمس والبدر عنوة
ونخدمه فى امره الشمس والبدر

وهي صورة غريبة لم يكن منتظرا من الشاعر ان يستلهمها من مظهر البحر .

ونجده فى قطعة مدح اخرى يعبر فى صور متتابعة عما وصلت اليه فتوحه فيقول :

امير المؤمنين لقد اضاء ال
زمان بنور عدلك واستنارا

يسير اليكم من ناء عنكم
يدور اليكم من حيث دارا

فمن قد فر عنكم من عدو
فنحوكم اذا يبغي الفرارا

ولو خوفتم اعلام رضوى
لما سكنت ولا وجدت قرارا

ولسنا نعلم اذا كانت موجهة الى عبد المومن او الى ابنه ابى يعقوب ، ولكن الذى لا شك فيه انه قالها فى اخريات ايامه . مما يجعلنا لا نستبعد انشادها لخليفة عبد المومن .

ولعل ءاخر ما انشأ الشاعر بيتان جميلان لا شك انه يخاطب بهما ابا يعقوب وهما :

عصفت بدعوتك الرياح الهوج
وسطا بامرك دابل ووشيج

وتقدمك الى العدو مهابة
سفني بها فى سده ياجوج

وبين مراكش وفاس قضى شاعرنا آخر حياته يرعاه الخليفة ويجزل له العطاء ، الى ان كانت نهايته سنة سبعين وخمسمائة . وقد حكى ابن دحية — وكان فى رحلة عامية للمغرب — انه قابله فى مراكش قبل وفاته بست سنين ، ثم فى فاس حيث اضافه بمنزله ، واهداه نسخة من ديوانه قدمها بدوره الى الامير الكامل الايوبي وكان مؤدبه . وذكر ابن عبد الملك انه وقف من ديوانه على مجلد متوسط فيه ما يناهز ستة الاف وخمسمائة بيت .

الكبرى للمحتل الاجنبي فيحمل البرتغال على افراغ الجديدة ويحاول دون جدوى ان يخرج الاسبان من مليلية سنة 1784 ، ويتابع تطبيق هذه الخطة الحكيمة وذلك بابرام معاهدات واتفاقات مع كثير من الدول النصرانية مع انجلترا ، واسبانيا ، وامريكا ، وفرنسا ، والدانمارك ، وهولندا ، وايطاليا ، والبرتغال ، والسويد ويعد المغرب من اوائل الدول التي اعترفت باستقلال الولايات المتحدة ، هذا وان هذه الدول حصلت على امتيازات قضائية ما كان القانون الدولي يسمح بها في ذلك العهد ، وامتيازات تجارية ودينية وغيرها ، وكانت صلته مع آل عثمان صلة محكمة .

وقبل ان نتكلم عن علاقة المغرب مع كل دولة من هذه الدول يجب ان الفت النظر الى ان هناك اشياء يجب مراعاتها ، وهي ان كثيرا من الامم في هذا العهد كانت لاتتورع احيانا عن استخدام القوة كلما تونس العلاقات بين امة واخرى ، لذلك نرى انه من اجل حفظ السيادة المغربية ضد الهجومات الاجنبية والدخل الاجنبي الى ترابه كان للمغرب اسطول يحميه من كل عدو يريد اغتصابه ، وبما ان المغرب كان يحمل عليه الهجوم من جهة البحر فقد اعطى سيدي محمد الاهمية الكبرى لهذا الاسطول حتى اصبحت بعض الدول الاوربية تؤدي ضريبة سنوية لتضمن امن سفنها ، وكانت هذه الضريبة تخول لها حق الحماية من هجومات القراصنة الذين كانوا يشتغلون بالقرصنة .

ويحسن بنا ان نشير هنا الى ان جميع الدول عندما تنصب ممثليها في المغرب كان تصحب معه اموالا وهدايا ، وهذه الاموال والهدايا كانت تختلف بالنسبة لعظمة الدولة والاخطار التي تهددها والمصالح التجارية التي تسخرها كل واحدة منها في البحار .

وعلى كل حال فان الدولة في عهد مولاي محمد ابن عبد الله قد تغلغل نفوذها في البحر وامتطى صهوة الامواج ، ولا حاجة بنا في هذه الحالة الى سرد ما بلغته الدولة في هذا السبيل لان ذلك يخرج بنا عن الغاية التي نقصدها من هذا البحث ، فلندخل في الموضوع ولنبدأ اولا بالكلام عن علاقة سيدي محمد بن عبد الله مع لويس الخامس عشر والسادس عشر الفرنسيين .

فالاول لم تبدأ معه العلاقة المحكمة الا بعد واقعة العرائش حيث عقد معه الصلح والمهادنة على عشرين شرطا ، اما الثاني فكان امتدادا للاول ومما يزيد على ذلك هو عقد معاهدة اخرى سنة 1802 وبهاتين المعاهدتين تحكمت روابط المودة والصداقة بين الدولتين على يد سفراء عظام نذكر منهم على سبيل المثل : علي مرسيل والطاهر بنيس ، ومما يدل على تحسين العلائق يومئذ هو الكتاب الذي بعثه الملك لويز السادس عشر للسلطان يعلن فيه ازدياد مولود لـــه .

وكانت بينه وبين دولة اسبانيا علائق متينة ايضا ، ويرجع اصلها يوم ان كتب السلطان مولاي محمد بن عبد الله الى ملك اسبانيا (كارلوس الثالث) يطلب منه اطلاق سراح الاسارى المسلمين لما علم ما هم فيه من الشدة والعنف يقول في ذلك « ومن اعظم هذا كله هي اغفالكم عن البحث في اساري المسلمين حتى يتبين لكم العالم والجاهل بجهله ، فافعلوا مثل ما نفعل نحن باساراكم من الفرائلية لانكلفهم بخدمة ولا نخفر لهم ذمة ولا نحملهم ما لا يطيقون ولا نلزمهم ما لا عليه يقدرون » .

وبمجرد وصول هذا الكتاب الى كارلوس امر باطلاق سراح الاساري وطلب الصلح والمودة ، وكانت تدور المفاوضة بين الدولتين بواسطة السفير المشهور احمد الغزال .

وفي سنة 1780 عقدت معاهدة اخرى ترمي الى تركيز المودة والصداقة والعلائق الطيبة بين الدولتين قال شيني قنصل فرنسا لذلك العهد « ان الخلاف الذي وقع بين فرنسا وانجلترا غير الحالة السياسية باوربا فرات اسبانيا ان ذلك سيساعدها على تجديد العلائق مع المغرب » .

وفي سنة 1782 كتب ملك اسبانيا للسلطان محمد يطلب منه التوسط بينه وبين صاحب الجزائر وذلك في شان تفادي الاسرى .

وفي سنة 1793 عقدت ايضا مع اسبانيا معاهدة صلح من شروطها عقد صلح مع ملك نابولي الذى هو ولد ملك اسبانيا ، وقد ذكر ذلك السفير ابن عثمان في كتابه « الاكسير في فكاك الاسير » .

وفي عهد السلطان مولاي محمد ظهرت دولة جديدة الى عالم الوجود وهذه الدولة هي امريكا ، فبادر المغرب الى الاعتراف بها لاول وهلة مما ادى الى انشاء علاقات دبلوماسية مع كل من جفرسون وبنجامين ، وفرانكلين ، وجون ادوماس ، هؤلاء الذين وقع معهم المغرب وثيقة الصداقة سنة 1787 وجددت سنة 1791 ثم سنة 1837 .

العلاقات الدبلوماسية المغربية في عهد الدولة العلوية الشريفة

للاستاذ الملازم الاول
احمد احمد البسيري

- 2 -

وكما كان الشأن مع دولة فرنسا كان كذلك مع انجلترا مع شارل وجامس وجورج الاول ، هؤلاء الملوك الثلاثة الذين عاصروا مولاي اسماعيل ، وانشأوا معه علاقات ديبلوماسية ترمي غالبا الى اطلاق سراح الاساري الانجليزيين الذين كانوا في قبضة يد السلطان، ولنتحدث من ذلك مثلا اثناء حكم الملك جورج الاول من سنة (1718) الى سنة (1727) بعث سفارة خاصة الى ملك المغرب مهمتها التفاوض في قضية الاسارى الانجليز الموجودين بالمغرب ، ومن اهم رجال هذه البعثة المؤرخ الشهير المستر (جون ويندوس) الذي الف كتاب (رحلة الى مكناس محل اقامة امبراطور فاس والمغرب) .

وعلى الجملة فان هذه العلاقات تشهد بما توفر للملك ولممثليه في جميع الدول من الذكاء والصبر والمثابرة على العمل ، وتمسكهم العظيم بتقاليدهم الديبلوماسية الرفيعة ولا عجب في ذلك فهذا (جون افلن) الشهير بيومياته خلف لنا وصف الرسل الذين قدموا الى لندن للمفاوضة مع الملك شارل فيقول « شاهدت حفلة استقبال لسفير مراكش وحاشيته ليست بكثيرة العدد ، وقد استقبل في بيت الضيافة بحضور صاحب الجلالة الملك والملكة فتقدم الى ان صار امام العرش دون ان يؤدي اى نوع من انواع الرسميات او يطاطىء راسه ، وشرع يتكلم واحد الانجليز المسلمين يترجم ما يقول ، وكانوا جميعا يرتدون الملابس المغربية ، وكان السفير جميل الصورة يبدو عليه الحكمة والدهاء ، وكانت هداياهم مكونة من السباع والنعام ورسالتهم حفظ السلام في طنجة » .

هذه لمحة وجيزة في شان العلاقات الديبلوماسية بين مولاي اسماعيل وملوك الدول الاسلامية والاوروبية ، والدور الذي لعبه في صيانة التعاون القومي ، ورفع المغرب الى المستوى اللائق به ، فما زعزعته العراقيل ولا صدته الحوائل ، ولكن هذا الصرح العظيم ما لبث ان اخذ في التداعي والانهيار بعد وفاته .

وحدث ما لابد ان يحدث من سوء الحال في البلاد التي ذهبت مصالحها هدرا في سبيل مآرب الحاكمين « البخاريين » الذين اصبحوا يتصرفون في امور الدولة كيفما شاؤوا حتى انه حدث في فترة لا تجاوز اثنين وثلاثين سنة بعد موت المولى اسماعيل ان قام هؤلاء الحكام بتولية وعزل اربعة عشر سلطانا حتى ان مولاى عبد الله تردد على العرش سبع مرات غير انه لم يكن خاضعا للبواخرة ولا لغيرهم فكان بينه وبينهم صراع عنيف ادى في الاخير الى تغلبه عليهم واضعافهم .

ويمكن القول بانه قد ترتب عن تدخل هؤلاء الحكام في المغرب احداث الفتن والقلاقل في جميع الانحاء ، وذهب ضحية هذه الفتن كثير من الرؤساء المخلصين ورجال الامة والادارة والحكم الذين كانوا يملكون الكفاءة الشخصية والمقدرة السياسية ، ولما جاء السلطان مولاى محمد بن عبد الله استطاع بشدته وقوته ان يقضي على البخاريين ، وان يمسك زمام الحكم كما كان في عهد المولى اسماعيل ، وان يحطم اصحاب المصالح والاغراض ممن ليست لهم الكفاءة للاستيلاء على مناصب الدولة ، وان يوجه عنايته

ملاحظة : نشر القسم الاول من هذا البحث في العدد الرابع من هذه السنة

مستقبل الصحافة

ترجمة الاستاذ ابراهيم الهواري

ما هو مستقبل الصحافة؟ اذا حاولنا الجواب عن هذا السؤال فاننا نحاول ايجاد حل لمختلف المشاكل التي ولدها تاريخ الصحيفة .

وان اول عامل يدفعنا الى الاعتقاد بمستقبل الصحافة هو تقدمها في مختلف جهات العالم : ففي انجلترا 609 جريده يومية ، اما السويد واللكسمبورغ والنرويج والبلجيك والدانمارك وسويسرا ففيها ما يربو على 300 كما ان الاعداد المطبوعة من هذه الجرائد قد تضاعف منذ سنه 1951 .

وفي امريكا تقدم استخراج العدد المطبوع في كل من امريكا الشمالية والجنوبية والمكسيك بصفة خاصة . . .

اما في آسيا وافريقيا وبخاصة الدول الناشئه بها فان ظاهرة الميل للصحافة تبدو واضحه المعالم . ففي اليابان التي واكبت نفس التطور الصحافي في امريكا الشمالية واوروبا الغربيه وعلى الرغم من انها انقصت من عدد جرائدها اليومية من 186 سنه 1952 الى 179 سنة 1957 ، فان عدد النسخ المطبوعة بها قد ارتفع من 3 الى 4.500.000 اما في الهند فالمطبوع من الجرائد قليل لكن عدد الجرائد في ازدياد كي يصل الى ايدي السكان في مختلف الجهات فيمحو الاميه من جهة وينشر اللهجات المحلية التي طغت اللغة الانجليزية عليها من جهة ثانية ، ونفس ملاحظتنا على الهند تنطبق على الباكستان ، اما افغانستان والشرق الاوسط باجمعه فان التوسع الصحفي يرتبط فيها بالنهضة الوطنية لذلك فان النسخ المطبوعة فيها تنمو باطراد ففي كل من العراق وايران وسوريا ولبنان يطبع من 20 الى 40 جريدة يومية .

وينسحب ما قلناه على الشرق الاوسط على الدول الافريقية ، فالجرائد فيها تغزو حتى المناطق البعيده الشديدة التخلف : ففي ساحل الذهب تطبع 75 000 نسخة يوميا و9 جرائد اسبوعية وفي مدغشقر 27 اسبوعيه و7 يومية ، الا ان الملاحظ ان هذه الجرائد مكتوبة في الغالب باللهجات المحلية ، فالجرائد اليوميه فيطانجنيقا مثلا والجرائد الاسبوعية في اوغندا تطبع بثلاث لهجات محلية متباينة ، وفي اتحاد جنوب افريقيا حوالي 23 جريدة ما بين اسبوعية ونصف شهرية اغلبها باللهجات المحليه والقليل منها بالانجليزيه

وفي عالمنا الحديث تواصل الصحافة تقدمها في البلدان التي قطعت اشواطا في الحضارة، اما في الدول الناشئه النمو فهي تستعمل كاداة لمحاربة الجهل واذكاء الروح الوطنية المحررة . . وان الدور الذي تلعبه الصحافة في افريقيا واسيا اليوم ليذكرنا بدور الجرائد في القرن التاسع عشر في اوربا الوسطى ابان تاجج الحماس الوطني الذي قاد الى تحقيق الوحده الالمانيه والوحده الايطاليه .

الراديو والتليفزيون

لكننا في مجال التوسع الصحفي هذا نلاحظ ظاهرة محيرة لا نجد لها تفسيرا مقنعا ، هذه الظاهرة تتجلى في بعض جزر المحيط الهادي اذ نجدها قد استغنت تماما عن الجرائد دون ان تحس اية ضرورة ملحة تدعو الى خلقها واكتفت في هذا المضمار باعطاء نشره اخباريه غالبا ما تكون رسمية ، كما نلاحظ ان الراديو والسينما فيها قد حلا محل الجريدة ففي جزر هبريد الجديدة Nouvelles Hébrides

وثمة عامل آخر من الترابط المتين بينه وبين باقي الدول الاجنبية منه ما كان مع السويد والدانمارك والبرتغال ، ونابولي ، وانجلترا ودولة آل عثمان السادة القطاربة ففي سنة 1776 عقد الصلح مع السويد على ثلاثة وعشرين شرطا ، ومع (كريستيان السابع) ملك الدانمارك على عشرين شرطا ومع دولة البرتغال على اثنين وعشرين شرطا .

ومع انجلترا ظلت ايضا الروابط موصولة دائما بين السلاطين منذ عهد البعوث التجارية والسياسية في عهد الملكة (اليزابيت) حتى اننا في هذا العهد نجد السلطان مولاي محمد يبني دارا بوادي مرتيل خصيصة لزوار الانجليز ، ومن ذلك السماح لهم بالوسق من موانيء المغرب مدة بدون اداء شيء من الضرائب .

ويمكن القول بان الصداقة والترابط الذي وقع بين المغرب وهذه الدول لم تبلغ الدرجة التي بلغتها دولة آل عثمان بدليل ان سلطان المغرب كان يدعو دائما يوم الجمعة لسلطان تركيا مصطفى الثالث ولاخيه بعده عبد الحميد ، وكان بينهما تحالف متين حتى ان كل واحد منهما تدافع عن الاخرى ولو ادى ذلك الى الموت . والجدير بالذكر ان المغرب لم يحسن علاقته مع دولة روسيا نظرا لجانب الدولة التركية التي كانت علاقتها معها متوترة .

ولقد تبودلت بين السلاطين التركي والمغربي هدايا نفيسة ، ورسل عظام اتصفوا بالعقل والذكاء . ومن اشهر هؤلاء الرسل الحاج الحافظ عديل الفاسي الذي ارسله سلطان المغرب الى مصطفى العثماني بهدية وبرسالة يهنئه فيها بالملك .

وكذلك السفيران الطاهر بناني الرباطي والطاهر ابن عبد السلام السلاوي اللذان ارسلهما بهدية عظمى يقول فيها صاحب كتاب (الاتحاف) « وفيها خيل عتاق بسروج مثقلة بالذهب مرصعة بالجواهروالياقوت ونفيس الاحجار . وفيها اسياف محلاة مرصعة بالياقوت المختلف الالوان ، وفيها حلي من عمل المغرب وبنود منسوجة بالذهب من عمل فاس » .

يقول بعض المؤرخين لما توصل بهذه الهدية ابتهج السلطان ابتهاجا كبيرا بهذه العناية الكبرى ، فراى من اللازم عليه مكافأته بهدية تماثلها .

وفي سنة 1780 ارسل سلطان المغرب السفير عبد الكريم راغون التطواني للتعزية فيما اصاب الاسطول العثماني من دولة روسيا ، واصحبه بهدية نفيسة .

ثم وجه بعد هذه السفارة عبد الكريم العوني بهدية اخرى وبكتاب في شأن اهل الجزائر كما ارسل بعد هذا كاتبه ابا القاسم الزياني سفيرا للاستانة بهدية عظيمة للسلطان عبد الحميد .

من هذا العرض الموجز يتضح لنا ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله اعطى عناية كبيرة في توثيق عرى الصداقة بينه وبين جميع الدول الاجنبية وخصوصا منها الاسلامية ، ولم يترك رحمه الله أي وسيلة الا استخدمها في هذا السبيل ، ولا طريقا الا سلكها حتى جعل من المغرب دولة قوية وراقية ومحترمة في نظر جميع الدول مما نرى ان ديبلوماسيته المجيدة كانت تسير في عهده على روح مسالمة تحررية . ولو ان جميع الملوك عملوا مثل ما عمله هذا السلطان لكان المغرب اليوم من اعظم دول العالم .

الا انه مع الاسف الشديد بعد موت هذا الملك توالت على المغرب احداث مختلفة وهذه الاحداث لم تكن داخلية فحسب وانما ساعد على تجسيمها العامل الخارجي بصفة خطيرة . فلقد جاء القرن التاسع عشر كله هدفا للاطماع ومنافسات الدول الاوربية ، وخصوصا انجلترا وفرنسا واسبانيا وايطاليا والمانيا ، هذه الدول التي ارادت ان تتدخل في شؤون البلاد بشكل اوسع من الناحية السياسية والاقتصادية ، وتتذرع لهذا التدخل باسم التجارة او الاصلاح او انشاء علاقات الى غير ذلك من الاسباب التي كانت تفضي الى التدخل العدائي في النهاية .

وقد تربع على عرش المملكة المغربية خلال هذه الفترة اربعة من الملوك هم :

سليمان بن محمد

عبد الرحمن بن هشام

محمد بن عبد الرحمن

الحسن بن محمد

هؤلاء الملوك الذين عملوا كل ما في استطاعتهم ليقفوا وقوف الابطال في وجه كل خطر يهددهم ويتشئوا علاقات ومعاهدات ترمي الى ارجاع المغرب الى مكانه الدولي ، والى الحيلولة دون تسرب الدول الطامعة فيه كدولة فرنسا مثلا ، هذه الدولة التي كانت اشدهم خطرا ، واكثرهم علاقة منذ ان اصبحت جارة المغرب من ناحية الجزائر ، واوفرهم حظا وتوفيقا .

(تتبــــــع)

القــراء والصحف

فما هي الحلول الموفقة لمشاكل الصحافة اذن ؟ قبل ان نجيب على هذا السؤال يجدر بنا ان نحدد ما ينتظره الانسان المعاصر من الصحافة . هناك نوعان من الصحف : الصحف المهتمة بالــراي والصحــف اللاهية المسلية ، وقد عرفت صحف الرأي وقتهـــا الدهبي فى القرن التاسع عشر فى اوربا الغربية الا ان عصرنا الحديث حيث كثــرت العنايــة بالراديـــو والتليفزيون قد ساعد على ابعاد القاريء الجــاد ؛ لان القراءة الخصبـــة لا تسمع ولا ترى فى الجهازيـــــن المذكــوريــن .

فاذا تحلبنا مؤقتا عن الصحف وما ينتظره الانسان المعاصر منها فى توجيهه وتثقيفه والتفتنا الى القــراء فاننا لن نعفهم من مسؤولية تشجيعهم لاتجاه غير لائق فى جريده او صحيفة معينة .. الا اننا نستطيع خلق قراء ممتازي الاذواق اذا اعتنينا بتربية الجيل ، تلك التربية الضاربة الجذور التي لا تكفي الصحف وحدها لغرسها فى جبلتهم .. فتربية الذوق والحس النقدي هما العاملان اللذان يقدران على قياده القاريء نحــو صحيفة او مجلة ذات مستوى محترم ونافع .

واخيرا ، فان ما قدمنـــاه يكفي ليدفعنا الـــى الاحساس بان مستقبل الصحافة يكمن فى تعاون الصحف والمجلات مع وسائل النشر الاخرى وفى مساعدة القراء ذوي التربيه القويمة والصحفيين الامناء ، لان الصحافه كسائر الاكتشافات الانسانيه الاخرى يمكن ان تتخــذ اداة للنفع او للضرر ، الا انها بتضافر القراء النيريــن ورجال الصحافة المخلصيـــن نستطيع ان تحتفـــظ بمكانتها الهامة فى الدول الديمقراطية الحديثة .

هـ ــ كالفـــي

كثرة الكــلام

قال احمد بن الطيب كنا مرة عند بعض اخواننا واعجبه من نفسه البيان ومنا حسن الاستماع حتى افرط فعرض لبعض من حضر ملل ، فقال : « اذا بارك الله فى الشيء لم يفن وقد جعل الله فى حديث اخينا البركة » .

لا توجد جريدة على الاطلاق بينما بها ثلاث دور للسينما، وفي جزر غينية الجديدة الاسترالية ثلاث نشرات اخبارية صغيرة واربع سينمات ، وهناك جزر في في المحيط الهادي تشذ عن هذه الظاهرة لكنها قليلة .

اما في امريكا الشمالية ففزو الراديو والتليفزيون وزحزحتهما للجريده يظهر اكثر . الا ان في افريقيا واسيا وان كان للراديو اثر بالغ في نشر الاخبار والدعاية فان الحاجة الى الصحافة بقيت ملحة وضرورية .

ومهما يكن من المشكلة الناجمة عن علاقات الصحف ببقية وسائل الدعاية والاخبار التي تزاحمها في العدد والنوع فان علينا ان نميز بين طبيعة البحث عن الحقائق وبسطها عند كل منها : فشاشة السينما رغم التحسينات والتطورات المتتالية التي لحقتها فانها لا تستطيع تعويض الجريدة ، ونفس الحكم يجري على الراديو وخاصة التليفزيون لانه فضلا عن توفره على امكانيات الراديو فانه يمتاز عليه باعطاء الصورة.. هذه الصوره التي يمكن تحسينها في المستقبل القريب بالالوان وتوسيع الشاشة وتجميع الاشعة .

فوجود الراديو والتلفزيون اذن ليس عاملا هداما لقيمة الصحف بل انه كثيرا ما يدفعها الى التنافس المثمر لان الراديو والتليفزيون تخضعان للتسيير المباشر للحكومة .

الوكالات الوطنية

في السنوات الاخيره بدا التفريق بين حرية الاخبار وحرية الصحافة ، فالاولى تعنى بجمع الانباء بينما تنحصر مهمة الثانية في توزيعها على الناس ، ولقد كانت الحريتان مختلطتين في القديم ثم انفصلتا فيما بعد .

وخطورة الاخبار تكمن في ان وكالة الانباء اذا كانت غير امينة او ذات نفع خاص فانها تشوه الراي العام لتحقيق اغراضها الفردية كما كان الشأن في فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية .. ولمحاربة هذا الخطر المحتمل في ترويج الانباء المضللة اهتدى الى انشاء وكالات وطنية او حكومية حيث الصالح العام فوق كل اعتبار ، وقد تأسست اول وكالة وطنية ابان الحرب العالمية الاولى ثم استؤنفت الجهود بين الحربين العظيمتين فانشئت لاول مرة وفي بلدان مختلفة وزارات الانباء .

وليس تأسيس كل من الوكالة الوطنية ووزارة الانباء الا محاولة الدفاع عن الراي العام وحمايته من التسمم . لكن الاخبار السيئة تتسرب احيانا في شكل ماكر مموه وفي هذه الحالة لا نعتمد الا على امانة الصحفي وحدها .

وكلامنا هذا عن الصحفي وامانته يسلمنا الى السؤال التالي : الى اي مدى يمكن للصحفي ان يحتفظ بحريته في الكتابة ؟ لان الصحفي غالبا ما ينزع الى تمثيل دور البطولة فيما يكتب متحدثا عن مغامراته القاسية في استيفاء الانباء والمتاعب الكبرى التي عاناها ليفوز باخبار بعينها قبل غيره .

ولعل هذه الهالة من الانفعال المثير هي التي سوف بعض الصحف الى الانحطاط بالكتابة الى الاهواء الرخيصة والمشاعر المبتذلة اثارة للغرائز وكسبا للقراء من المراهقين الحالمين . ولئن سأل سائل: كيف نحد من حرية الصحفي او الصحيفة التي تعنى بالكتابة في مواضيع مثيرة اذا كانت هذه المواضيع هي السبب الاوحد في رواجها ؟ فان جوابنا اذ ذاك سنحصر ببساطة في القول بأن هذه الصحف تتنكر للدور الهام الذي هي مدعوة للقيام به في عالمنا المعاصر الذي اصبحت فيه الصحف حاجة ضرورية .
الا ان بعض الدول الاحتكارية تعدت هذا الاعتراض الذي اثبتناه ولم تكتف بترك الصحف لضمائر مسيريها بل جنحت الى سن منهاج صارم موجه تنضوى تحته سائر الصحف ، وهو المنهاج المتبع في روسيا ، لكن هذا التخطيط الملتزم الموحد وان امتاز بالحد من متاجرة الصحف والمجلات فهل يعصمنا من خطر التوجيه الاحتكاري نفسه ؟ ان دور الصحف في الدولة الاحتكارية ينتقل من السعي وراء المصالح الخاصة الى الدفاع عن الحزب الواحد او الحكومة المسيطرة فيصبح من المستحيل انتقاد الحكومة او الحزب الحاكم مع ان التنبيه على اخطاء الحكومات من اوجب واجبات الصحافة في الدول الديمقراطية .

ولكنه عندما اكتشف نوايا الاحرار وادرك انهم لا يرغبون فى استقلال مسلول ومشكوك فيه جن جنونه وطاش عقله فراح يبيت المؤامرات ويشيك الطرق امام الناشئين فى الاستقلال ويبيد المتحمسين له ، انتقاما منهم واحتقارا لشأنهم .

فاما ان تتحرك رجالات افريقيا المتحررة وياخذوا على انفسهم تصميما لنجدتها ونصرتها ومساواة عناصرها، كي يتسنى لهذه القارة ان تكسب الاستقلال وما بعد الاستقلال ، فتحيا حياة كريمة وتساهم بفكرها ومادتها فى السياسة العالمية والحضارة الانسانية ، وفى ازالة المسافة الموجودة بين السادات والعبيد ، وبين البيض والسود ، واما ان يستفحل الامر ويعظم الخطر ويستشرى الفساد .

وكان من توفيق القدر ان وضحت معالم الطريق وتبددت الشكوك بمؤتمر الدار البيضاء الذى خطا خطوة حكيمة وضرب وجه الامر وعينه . فعبر بصراحة عن ايمانه بحريتها الكاملة ووحدتها الشاملة . والعمل من اجل الوصول الى ذلك الهدف الاعز بعزم وحزم . وعسى ان تتلوه مؤتمرات تؤكده واعمال ايجابية تحققه لانه اما ان يكون الامر كذلك . واما ان تتمركز الشبح المخيف المضطرب ، وتتربع فى وسط هذه القارة من جديد لتوقع العداوة والبغضاء بينها وتحول دون تقدمها ونشاطها ، تزاوله القيود . وممارسة الحقوق ممارسة كاملة .

واتقاءا لخطر الصهيونية الاستعمارية . والصهيونية المجرمة العاتية . واحتياطا لمساعي المذبذبين والمنافقين . وجب ان يتطور الفكر الافريقى ويتحرر من القيود والرواسب حتى لا تصبح افريقيا ممزقة لاهلها منطوية على صدور غير بريئة قد تطوح بهذه القارة المظلمة فى سبيل الاطماع الكاذبة والاغراض السافلة .

ولسوف يكتب التاريخ ما شاء الله ان يكتب . من وفاء بالعهد وولاء للحق واخلاص للعموم او . . . وما دمنا نتحدث عن وضع افريقيا الحالى فلا يفوتنا القاء نظرة خفيفة على افريقيا الغربية الحديثة العهد بالاستقلال . والتي تصلنا بها صلات وثيقة تقوم على اساس الروح الاسلامية الخالدة . والنزعة الانسانية الخالصة فى عهود متقادمة ومتفاوتة اهمها . عهد المرابطين والشرفاء السعديين .

كانت افريقيا السوداء التي يقع المغرب فى شمالها والمحيط الاطلسي فى غربها — قبل التغييرات السياسية والتقسيمات الاستعمارية — دولة اسلامية فى اكثرها واسعة فى ساحتها وثروتها ، يطلق عليها فى القديم اسم « غانا » . وتداول حكمها ملوك مسلمون كانوا على اتصال دائم بالعالم الاسلامي ولم تنقطع علاقتهم مع المغرب والمشرق اصلا . وقد اشتهر من بين هؤلاء الملوك « موسى كنكان » الذى كان يعمل بهمة وعزيمة على تدعيم الوحدة الافريقية الاسلامية ، وربط اجزائها بعضها ببعض وذلك فى اواخر القرن السادس عشر الميلادى .

وحينما بدت طلائع الاستعمار ، وبدات شياطينه تتسرب الى هذه الرقعة من العالم الافريقي فى القرن التاسع عشر . تصدى الملوك المسلمون للدفاع عن دينهم ووطنهم ، وكان من ابرز الملوك الذين استماتوا فى معاركة الاستعمار الفرنسي « سامور ملك غينيا » . واستمرت محاربته له ما يزيد على ستة عشر عاما حتى احدقت به مؤامرات العدو من كل جهة — بعد ما بذل الاموال الطائلة واشترى الذمم الفارغة ، واستخدم القوة الكاسحة . فتمكن منه حينئذ ، ونفاه الى جهة تبعد . وترك من ورائه ذكرا حسنا وتاريخا ابيض .

ومن ذلك الحين الذى سقطت فيه الممالك ، عمد الاستعمار الفرنسي الى استئصال الاسلام ومحو حضارته ، واهانة رجاله . وقطع كل صلة تربطه بالعالم الاسلامى من الداخل والخارج ، وانتهى بعمله الاجرامى الى تشتيت الشمل ، وتقتيل الروح الاسلامية . وتقسيم البلاد اقساما — كما هو شانه فى كل بلد كتب له الشقاء .

وكفى الاسلام فخرا ان ابناءه هم الذين كافحوا الاستعمار كفاحا شديدا فى كل مرحلة من مراحله . وان الروح الاسلامية ستقضى على اعدائها . وتتعاظم فى اصحابها . كلما جد الجد ونادى النفير . وتحرك القلوب فى كل موطن من المواطن نحو التحرر والاستقلال ونحو الخير والكمال .

ولولا الاسلام الذي كان اقوى عامل فى اثارة القلوب وحصانة الشعوب . لنجح الاستعمار فى مشاريع الادماج ، ومسخ الشخصيات ، وتبديل القوميات .

افريقيا تخطو خطوة حكيمة

لفضيلة الرحالي الفاروقي

يعرف الجنوب العربي من العالم القديم باسم « افريقيا » وهي احدى القارات التى يحدها بحران ومحيطان وهي التى حكمها الاستعمار الاوربي باسمائه المختلفة ، وداس كرامتها بجنوده المعتدية ، وبدل معالمها وغير اسماءها عمدا واستقر باوساطها واطرافها كرها ، وما زال يسفر بها في رعب وقلق غير انه في السنوات الاخيرة : مما بعد الحرب الاخيرة ، استيقظت من سباتها العميق ، واستجابت لوحي التحرر في تيار سريع مثل ما استجابت من قبلها امم اخرى في آسيا : فهبت تحارب عن حرية الوجود وكرامة الانسان لتلاقي مسؤوليتها في الحياة ، وتتخير النظام والمصير ، فتسريح من النفوذ الاجنبي الذي طال عليه الامد وكثر منه الشر ، بان جزأها اعتداء ووضع الحدود افتراء . وحولها الى مناطق استغلال ورواج واستيطان .

وظلت الشعوب معه في حوار مستمر، وكفاح قسى حتى اضطر الى التراجع امام تصلبها والحاحها وتكتلها ، فكان منها من استقل قديما او حديثا ، وكان منها من لا يزال يتطلع الى ذلك اليوم المشهود ويستميت في الكفاح من اجله .

ثم الذين واتتهم فرصة الاستقلال اخيرا ، منهم من حاز استقلاله كاملا ، ومنهم من انخدع وانساق مع الغير فكان نصيبه قليلا .

وبالرغم من استفاقة الشعوب ، وكفاحها الطويل ، واستقلالها المتباين ، فما زال العدو الازرق يكابر في التسليم بحقها ويراوغ في استقلالها ، فتراه يضع الغوامض في طريقها ، ويكيد لها شتى المكايد .

ولقد تحدى الاساءة الى الانسانية ، وتعدى حد القساوة والانانية كما هو بارض الجزائر التي رات منه كل جريمة نكراء وعرفت فيه كل وسيلة لا تشرف الشعوب ولا تكسب العظمة . لان الجزائر ارادت ان تعيش في حدودها حرة طليقة تتنفس الصعداء .

وكما هو بارض الكونغو التى جعل منها ميدانا للتطاحن والتناحر ليفسد سير استقلالها ويلقى بها في احضان فتنة عمياء ، لان هذه البلاد رفضت ان يرتع ويلعب في بحبوحتها .

ونحن لا يهمنا مساوىء الاستعمار فقد ضجت منها الارض ، وانما يهمنا الحديث عن واجب الافارقة في هذه الساعة الفارقة بين عهد الكرامة وعهد المهانة ، وعن العلائق التاريخية والروابط المتينة التي تربط المجموعة الافريقية بعضها ببعض . ونثر الحماس في نفوس القادة والزعماء ان يصمموا راجحا بتفاريهم وتفاهمهم وعلى الاخص في طور كفاحهم وفي فور استقلالهم ، حتى يقطعوا الطريق على العدو الرابض ويسدوا عليه الابواب والمنافذ .

ان افريقيا تنتظر من كل افريقي تضامنا وتآزرا في محنتها ، وتوحيدا للخطة في حركاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية لخلاصها من المتآمرين الذين لا يعجبهم ان تصبح قوة متماسكة تسير بارادتها وتتجه صوب مصالحها .

فان الاستعمار الذي الف استغلال السواعد والموارد ، كان يظن ان استقلالا تحت اشرافه ولو بشكل من اشكاله كاف لترضية هذه الشعوب وتصفيفها .

ماوراء القضية الموريطانية

بقلم الاستاذ المهدي البرجالي

- 2 -

على ان مجرد وجود التناقض فى السياسة الفرنسيه لا يعنينا كثيرا من الناحيه النظريه والمبدئيه، لان هذا التناقض يكاد يكون القاسم المشترك لجميع انواع السياسات التي تتبناها كافة القوى الاستعماريه فى الغرب او غيره ، انما الذي يهم كثيرا هو ملاحظه الظاهرة الغربية التي اشرنا اليها فى مطلع المقال والتي تتمثل فى حرص الحكومة الفرنسيه على استدراج الامم المتحده واغرائها باحتضان العهد الحالي فى موريطانيا وتبني التناقضات الفرنسيه التي تعبر عنها وجوده ، مع كل ما تنطوي عليه ذلك من نتائج سيئه وعواقب خطيرة لها تاثيرها على الاوضاع الدوليه بصفه عامه ومصالح الشعوب الصغيره بوجه خاص .

وهذا ما دعانا فى صدر هذا الحديث الى التمييز بين انواع المؤامرات الدوليه من هذا النوع ، واعتبار القصه التي حيكت فصولها فى موريطانيا واقحمت على الامم المتحدة — من اكثر هذه المؤامرات اغرافا فى الغرابه والشذوذ .

ولو ان هذا الاقحام كان قد استنفد اغراضه بالفعل واصبحت الجمهورية الموريطانية تتمتع بكرسي العضويه فى المنظمة الاممية لكان من ذلك سبيل الى نشوء سوابق دولية خطيرة تضاعف من غرابة الوضع الناشيء عن قبول اسرائيل سابقا فى حظيرة الامم المتحدة .

وفى حالة مثل هذه تغدو مبدا الانفصالات الدوليه المدبرة مبدا مقبولا يتسم بالقدر الكافي من الشرعيـة والمعقولية ، وبذلك يصبح فى امكان القوات الامبريالية العالمية ان تنطلق فى فرض سياسات التجزئة والتقسيم على حساب الكيانات الدوليه المستضعفة ، سيما ومقتضيات المنافسة العالمية فى الميدان الاقتصادي والسياسي والعسكري تدعو الى انتهاج مثل هذه السبل وتحتم سلوكها .

والعالم العربي بالضبط يبدو من اكثر المناطق العالمية تعرضا للاخطار الناشئة عن مثل هذه الاتجاهات وتاريخ التوسع الغربي بالبلاد العربيه حافل بالامثلة الكثيره على ذلك ، بل ان البعض من هذه البلاد لا يزال يواجه الى اليوم اصداء كثير من المحاولات التآمرية الدولية التي لها خطورتها فى هذا المقام ، فالعراق وسوريا تجابهان بالفعل وبصورة دائمة اصداء الدعوة الانفصالية الكردية ، والجزائر هي الاخرى عرضة لمشاريع تقسيمية خطيرة تستهدف العمل على نسف وحدتها الترابية الديمغرافية وذلك عن طريق الوسائل المؤدية الى اصطناع مناطق عربية خالصة ومناطق اخرى متفرنسة تضم الفرنسيين ومن يمكن اصطناعهم من الجزائريين المسلمين . والذي يبدو واضحا ان العملية الانفصالية التي تمت فى موريطانيا قد لا تكون فى اساسها الا مرحلة تمهيد وتجربة لتنفيذ مشاريع تقسيمية جديدة من هذا النوع فى نواح اخرى من الوطن العربي . بل ان هناك من الارهاصات ما يوحي بان الوضع السياسي القائم فى موريطانيا قد يصبح بالنتيجة لكل ذلك قاعدة ارتكاز واسعة لكثير من المصالح السياسيه والاقتصادية التي تهم الغرب فى افريقيا . وارتباط الجمهوريه الموريطانيه هكذا بمصالح الغرب الكبرى هو الذي ساهم فى ضمان مساندة السياسة الغربية — على العموم — لاستقلال موريطانيا وساعد على توفير الاصوات اللازمة لقبول عضويتها فى هيئة الامم المتحدة .

ملاحظة : نشر القسم الاول من هذه الدراسة فى العدد الرابع من مجلة دعوة الحق — السنة الرابعة

وان واجب الاخاء الانساني والاخاء الاسلامي يقتضي مضاعفة الجهود لمساعدة هذا الجزء الافريقي بالامكانيات المعنوية والادبية ، وذلك بارسال بعثات حيه تنير السبيل بوحي المثاني . وتمثل الاسلام باسمى المعاني ، فتنقذ المعرضين من ابناء هذه البلاد لافكار التضليل والشعوذة والالحاد .

فهناك جهل وغفلة لان طبيعة الاستعمار كانت لا تسمح بتنوير العقل وتطوير الفكر ، بل كانت تعمل على التجهيل والتفكير والافقار . وهناك ستند قوى من العناصر المخلصة للاسلام وهم يشعرون ان نفع البلاد في سبيل جارف من الزيغ والفساد ، وهناك فراغ في الافكار ينبغي ان تملأه العقائد الصحيحة والافكار المستقيمة والامثلة الرائعة . واذا كان ثم شيء مذكور فهو من صنع المبشرين والمستعمرين المماثلين .

فمن الضروري — والحالة هذه — الالتفات الى تلك البقاع التفاتة العطف والاخاء ، وتوثيق اواصر المودة بها عن طريق تربية النفس في الاسلام ، وشرح نظره في الحياة . وبيان فضله على الانسان كل ذلك للمحافظة على الآثار الموروثة ، وللمؤازرة الوحدة المرغوبة التي لا تكون قوية سوية الا اذا ارتكزت على قوة الايمان والعقل ، وقامت على الاحساس بالعزة والكرامة .

وكل ما صرفه المغرب من الجهود في هذا السبيل لا يتعدى الجانب المادي . وما احراه ان يضيف الى ذلك عنايته بالتوجيه الديني والادبي ، واعتباره لذلك اعتبارا ضروريا حتى تكون للمغرب سابقة في هذا المضمار ونفوذ معنوي مثل ما كان له من قبل والله ولي التوفيق .

اخرج الطبراني عن ابي هريرة قال :

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم : في ايام التشريق فقال : يقول الله عز وجل يوم القيامة ايها الناس اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فاليوم الآن يقولوا : فلان بن فلان وفلان اكرم من فلان . واني اليوم ارفع نسبي واضع نسبكم . الا ان اوليائي المتقون .

سحراء وموريطانيا ، حيث يصبح من المحتمل اقحام .ه المناطق فى نظام التعبئة العسكرية الدولية وحيث ور على هذا الاساس تحويلها الى قطاع هام من طاعات الستراتيجية المستقلة فى ميادين التجارب لاستعدادات الحربية ذات النطاق العالمي الواسع . د استطاعت القياده الفرنسية خلال السنه الماضية نحبل بالفعل بعض نواحي الصحراء المغربيه الى .ان تجريبي لثلاث تفجيرات نووية متتاليه ، ومن .قع جدا ان تزداد نطاق هذه التجارب اتساعا ستفحالا وذلك بعد اقرار البرلمان الفرنسي للمشاريع .ية الفرنسية وتحويلها الى قوة ضرب رادعه ، س من المؤكد اطلاقا ان يستمر الستراتيجيون سبون فى الابقاء على الصحراء كمجرد ميدان لبات التجريبيه المحلقة ذات الاساس الذري او دروجيني ، ان هناك من الاسباب والعوامل ما ى ان تحفز فرنسا على توسيع آفاق عملياتها النووية صحراء (موريطانيا مثلا) والاقدام على تحويل المنطقه الى ميدان رئيسي لاطلاق الصواريخ ذات وس النوويه . وذلك فى نطاق التعاون مع جهار اع العربي الذى قد تجرأ المسؤولون فيه على اقامه د معينه لانواع من الصواريخ الحربيه العابره ات تجد مناطق لها بعض مناطق الصحراء والاقطار الى الجنوب . ويتفق كل هذا مع المعطيات راتيجيه الدفاعيه فى الغرب حيث تعتبر تصف ه السمالي بمثابه موئل طبيعي لعمليات الدفاع بل عدادات الهجوم ، وذلك فى حاله ما اذا تم فيت اكتساح غربى اوربا واصبحت القوات اء على عتبة الاطلسي وبمواجهه القارة الامريكيه.

وعلى الرغم مما يبدو حاليا من استقلال المشاريع ه الفرنسيه وتميزها عن مناهج التسلح النووى لمنظمة الحلف الاطلسي (مع امكانيه تعاونهما فى لميدان مع بعض الاقطار التابعه للحلف) فانه ليس ما يؤكد حتمية استمرار هذا الاستقلال وعدم . فرنسا ايضا بمشاريع ذريه ذات نطاق دولى قد تجعل من بعض مناطق الصحراء ودول يه موطىء قدم لاستعدادات المسؤولين عنها اهم ، وذاك مصدر الخطوره على مجموع القاره بيه التي لا مناص من اقحام الاجزاء الخاضعه لنفوذ الفرنسي فى المستقبل (بما فى ذلك انيا) ضمن نطاق التخطيطات الدفاعيه العامة تبناها الجهاز العسكرى التابع لسياسه الدفاع .

وفى غمار هذا الجو الذري الغربي الذي اخذ يجتاح القارة الافريقية بصورة عارية مكشوفة وامام اتساع نطاق الاستثمارات البترولية بصحراء الجزائر وتركز القواعد الذريه البريطانيه فى شرقي افريقيا — فى خضم هذه التطورات الضخمة التي تتوالى على مسرح الاحداث بافريقيا وفى دوامة التعقيدات الخطيرة التي اصبحت عليها الحرب الجزائريه واستفحال حركات التوسع الاقتصادي الاسرائيلي فى قلب افريقيا يبرز مشروع استقلال موريطانيا وانشاء كيان دولى متميز فى هذا الاقليم المغربي يتمثل فى جمهورية اسلامية موريطانيه تحتضنها الى جانب فرنسا دول الجامعة الفرنسيه وتنعم بامكانيات الاندماج العضوي الشامل فى نطاق هذه الجامعه وضمن الاطار الفرنسي المحدد لها

ولم يكن من العسير مطلقا استبانه خيوط التآمر الدولى فى بروز هذا المشروع بعد ان تاكدت الوشائج المتينه التى تصله بالدول الافريقيه الاعضاء فى الجامعة الفرنسيه وبعد ان غدا من الواضح ان الجمهورية الموريطانيه مهياه للقيام بدور طلائعي فى غربي افريقيا ضد الامكانيات الثوريه التحرريه التي تزخر بها هذه المنطقه . وقد تاكد تداول هذه الظواهر السياسية الخطيرة — بصفه خاصه — غداه انعقاد مؤتمر (ابدجان) واجتماع « برازافيل » حيث بدا التكتل الدولي بين فرنسا وموريطانيا ودول المجموعه يتخذ شكلا تهديديا خطيرا قد تصبح له آثار بعيده المدى على مستقبل القاره الافريقيه كلها . وقد كان مؤتمر الدار البيضاء مظهرا ايجابيا لرد الفعل العربي الافريقي على هذه التحديات الاستعمارية . ولم يكن امام القيادات الافريقية العربيه المتحرره فى المؤتمر الا ان تعبر عن شعورها بمدى فعالية التضامن الافريقي العربي ومقدار ما يمكن ان يساهم به فى تحديد نتائج هذه التحديات وتقليص ظلال خطورتها تقليصا تاما وحاسما ، ولاشك ان اصدقاءنا من الافارقه واشقاءنا العرب سيعرفون كيف يستخلصون النتائج الكافيه من دراسة هذه الاحوال الملتويه التي خلقها النشاط التوسعي الجديد بافريقيا والتي ترتبط بها الوضع القائم فى موريطانيا ارتباطا قويا ومتينا . وان استقراء الاوضاع الافريقيه على هذا الاساس يساعد فى الواقع على تكوين كثير من الاستنتاجات الهامة التي لها اعتبارها فى الموضوع ، ولعل من ابرز هذه الاستنتاجات ما يمكن ان نجمله فى النقط الاتيه :

وليس من شك في ان هذه العضويه كان من الممكن ان نصبح امرا مقضيا لو لم يقدم الاتحاد السوفياتي على اللجوء لحق النقض واقصاء هذه الدولة المفتعلة عن حظيرة الهيئات الدولية الكبرى وتحديد النطاق الدولي بذلك حولها تحديدا ضيقا وخانقا .

وعلينا الان بعد هذا ان نتساءل : ماذا كان سيتم عليه لو احجم الوفد السوفياتي في مجلس الامن عن اتخاذ هذه المبادرة الصارمة ؟ ليس من الضروري — على ما اعتقد — ان نوغل — اكثر مما فعلنا — في استقصاء مختلف النتائج السياسية والدولية التي قد تترتب عن ذلك ، غير انه يبقى علينا ان نذكر — في هذا المجال — ان طبيعة الموقف السوفياتي من عموم القضيه الموريتانيه والعناصر التي تساهم في تحديد هذا الموقف وتوجيهه لم تنطلق في الواقع الا عن معطيات سياسية ودولية موقفه ليس هناك ما يؤكد استمرارها وثباتها . وقد كان من حسن التوفيق لنا ان استفدنا من هذه المعطيات استفادة تامه ومناسبه . بيد انه يبقى علينا — مع ذلك — ان نوفر في المستقبل على رصيد كاف من الوسائل الدولية الناجعة لمجابهة احتمالات قد تواجهنا على الصعيد الدولي في موضوع المشكلة الموريطانية على العموم .

اننا نتوفر الان بالفعل على مساندة القسم الاكبر من دول العالم العربي وعلى تأييد كثير من الشعوب الصديقة التي لم تتوان مطلقا في تفهم مشروعية القضية التي ندافع عنها واتصال هذه القضيه بصميم كياننا القومي ومصالحنا الذاتية الحيويه . وقد عرفت هذه الدول والحكومات كيف تعبر لنا عن مساندتها المطلقه في جلسات الامم المتحده وخلال المناقشات العلنيه التي جرت اثناء هذه الجلسات في موضوع موريطانيا ، وكان لهذه المساندة بالاضافة الى جهود المغرب الخاصة تاثير بالغ في تنوير الراي العام العالمي وتبصيره بالحقائق الثابتة التي تنبني عليها وجهه النظر المغربيه .

وواضح ان مجموع البوادر التي تبناها المغرب في هذا الصدد بالتعاون مع الاصدقاء والاشقاء قد افضت بالفعل الى نتائج طيبة لها قيمتها وتاثيرها على مستقبل القضية الموريطانيه وحاضرها . الا ان استمرار وجود الكيان المفتعل القائم في الافق الموريطاني المغربي وطبيعة البرامج التوسعية الفرنسية الجديدة في افريقيا وسعة نطاق الدسائس الدولية الناشئة عن تشابك المصالح الاستعماريه وارتباطها بسياسات الاحلاف القائمة ، كل هذا من شانه ان يجعل من تعاون هؤلاء الاصدقاء والاشقاء معنا ضرورة حيويه اكثر الحاحا في المستقبل منها في أي وقت مضى ذلك ان الوضع المصطنع في موريطانيا لا يمكن ان يبقى موضوعا في نطاقه الضيق كمشكلة مغربيـة محدودة بحدود المظاهر السياسيه والترابية التي تميز وجودها ان هذا الوضع يجب ان يوضع — بحق — في اطاره الحقيقي الكامل على اساس انه يكون مظهر مشكلة عربيه افريقيه مشتركة وباعتبار ما لهذه المشكلة من تاثير على مستقبل الاوضاع التحررية بالقارة السوداء والوطن العربي واذا كان من الضروري وضع القضية الموريطانيه في هذا الاطار . وتوسيع نطاق المفهوم السياسي الذي تعبر عنه فمرجع ذلك الى ان هذه القضيه ترتبط متين الارتباط بمجموع الاوضاع التوسعية الجديده في افريقيا ويقوم وجودها كمظهر على زياده تركز هذه الاوضاع وتطورها تطورا خطيرا ومقلقا . ومظهر هذا التطور بدايه تسلسلات الحوادث بالقاره الافريقية غداة نشوب الثورة بالجزائر واعلان استقلال المغرب وعندما بدا تاكد ان الاماني القوميه للشعوب السوداء قد اخذت تتبلور في حركات جماهيريه منظمه ذات نزوع ثوري تحرري واضح ، وكان من الطبيعي الا يتم هذا التطور التاريخي الافريقي دون ان تصحبه تطور آخر في اساليب التركز الاستعماري بالقاره سواء في الميدان السياسي او الاقتصادي او غيره . وقد تعددت مظاهر هذا التطور الاستعماري فبدأت تجد صورا مختلفه متعددة تبدو تارة في شكل سوق مشتركه وتجسم تاره اخرى في اشكال غير هذه الا انها متحده في الهدف والنتيجه ، فمنذ عده سنوات مثلا تمكنت الاحتكارات الغربيه الكبرى من اكتشاف طرق جديده لمد شبكات استغلالاتها الواسعة عبر القاره السوداء . فكان من ذلك مشروع السوق الاوروبيه المشتركة ذلك المشروع الذي يقضي — في جملة ما يقتضيه — ربط مناطق الصحراء الكبرى باقتصاديات الغرب وتعبئة الثروات الهائلة التي تزخر بها هذه المناطق وذلك في سبيل تعزيز جانب الطاقة الاقتصادية الغربيه وتركيز هيمنتها على مقدرات الاقطار الافريقية الفتيه واستدراج شعوب المغرب العربي خاصة بما في ذلك موريطانيا الى الانصهار انصهارا مطلقا في بوتقة التوسع الاحتكاري الغربي في اشكاله التعاونيـة الجديدة .

ومنذ سنوات كذلك والارهاصات تتوالى بامكانية امتداد اجهزة الدفاع الغربي وتغلغلها في قلب القارة عن طريق القواعد الصاروخية والذرية المقامة في شرق افريقيا ومن الممكن اقامة الكثير منها ايضا في مناطق

هذه بعض العوامل الدولية الكبرى التي تكمن وراء قصة الجمهورية الاسلامية الموريطانية ، واستقراء هذه العوامل وتمحيص نتائجها يقود ولا ريب الى ابراز حقيقة اساسية نود نحن هنا في المغرب ان تصبح ماثلة في ذهن كافة الشعوب والحكومات بالعالم العربي والقارة الافريقية . تلك هي المشكلة الموريطانية – كما اكدناها من قبل – ليست في واقعها وباعتبار الظروف الدولية المحيطة بها والنتائج الخطيرة المتاصلة عنها – مجرد مشكلة مغربية محدودة بحدود الاعتبارات القومية الخاصة بشعب المغرب . انها – في الواقع – مشكلة عربية افريقية مشتركة لانها ترتبط وثيق الارتباط بالمعضلة الاستعمارية العامة في الوطن العربي والافريقي ، ولان استمرار وجودها واستمرارها يشكل مظهر انكسار لقوى الوحدة والتضامن في هذا الوطن وتعرض انبعاث شعوبه لتحديات استعمارية جديدة .

واذا صح ان نقدر جوانب القضية الموريطانية على هذا الاساس فانه سيكون من الميسور جدا تقييم الاهداف التي يجب ان تقود الدول المتحررة في افريقيا والعالم العربي الى مساندة وجهة نظر المغرب في هذه القضية وشد ازره في الكفاح من اجلها . وهذا التقسيم للاهداف يعني كذلك نحو تقييم البواعث التي تتحكم في تحديد هذه الاهداف . والبواعث التي يجب ان تقود الدول العربية والافريقية المساندة لنا في موضوع موريطانيا – لا ينبغي ان يكون مصدرها مجرد الشعور العاطفي الذي توجهه مشاعر الاخوة العربية والتضامن الافريقي وغيره . بل يجب ان تكون صادرة عن وعي حقيقي وعميق لواقع المشكلة القائمة في موريطانيا وانعكاسات هذه المشكلة على صعيد الحياة السياسية عند شعوب افريقيا والعالم العربي وامكانات تاثيرها على مصالح واحوال هذه الشعوب. يجب ان تكون هذه البواعث مدعاة الى مساندة المغرب ومؤازرته بصورة تتكافأ مع ما تحرص عليه الجماهير في العالم العربي وافريقيا من مكافحة للمغامرات الذرية ومقاومة لمختلف الدسائس السياسية والاقتصادية الدولية ومناواة للتوسع والاستعمار ، وهذا هو مفهوم المبدا الذي نود التاكيد عليه مرة اخرى والذي يعبر عن وجهة النظر القائلة بوجوب اعتبار المشكلة الموريطانية مشكلة عربية افريقية صرفة ترتبط حلها بصميم القضايا التي تهم الشعوب المناضلة في العالم العربي وافريقيا . واعتبار هذا المبدا يجب ان تؤدي بالقيادات السياسية العربية والافريقية الى احتضان مناهج اكثر فعالية وجدوى في مساندة كفاحنا من اجل القضية الموريطانية . ويقتضي ذلك – بحق – الشعور بقسط اوفر من الحماس لعدالة الكفاح الذي تخوضه المغرب في موريطانيا ، كما يعني ذلك ايضا ضرورة الاهتمام اكثر من اي وقت مضى بتطورات القضية على الصعيد الافريقي والعالمي وتبني وسائل نضالية في غمار المعركة القائمة حولها على الصعيد الدولي . واذا كان مفهوم التضامن الافريقي العربي يقتضي كل هذه الاشياء فانه ستوجب من الدول العربية بصورة خاصة الاضطلاع بمسؤولياتها في هذا الميدان . وتعبئة المزيد من الجهود السياسية والدولية المكافئة لخطورة التوسع المتمثل في تجزئة المغرب وفصم وحدة ترابه لان المشاكل العربية متحدة في الاصول والنتائج . وليس هناك ما يوجب اقامة الفواصل والفروق بينها .

في الميدان الدعائي :

– الصحافة العربية التي تبدو انها لا تعير الموضوع ما تفرضه الواجب من العناية والاهتمام .

– الاذاعات العربية وخاصة الاذاعات الخارجية الموجهة لاقطار آسيا وافريقيا ، وللجمهورية العربية المتحدة امكانات واسعة في هذا المضمار .

– السفارات والمفوضيات العربية التي يمكنها ان تساهم بنصيب طيب في ميدان الدعاية لهذه القضية واظهار الاوساط السياسية والثقافية والنقابية الدولية على مختلف الحقائق التي ترتبط بها .

في الميدان الدولي :

تنظيم الكفاح السياسي الدولي من اجل موريطانيا وذلك بصورة تضمن القدرة على مواجهة المناورات الاستعمارية في هذا الشان وتؤمن وسائل التغلب على هذه المناورات بصورة فعالة واكيدة .

في الميدان العربي :

اشراك الجماهير العربية في الاهتمام بحقائق المشكلة القائمة في موريطانيا ، وتوفير الاسس الضرورية لتصبح وعي الشعب العربي لها وقدرته على استيعاب مضمونها القومي العربي اكثر قوة وعمقا واصالة ومن الوسائل لذلك : المحاضرات العامة . الندوات الشعبية، الاشرطة السينمائية وغيرها .

1 ـ ان البادره الفرنسيه التي تم بمقتضاها عزل موريطانيا عن المغرب لا يجوز ان تعتبر كمظهر استمرار بسيط للاوضاع التقسيمية التي اجبرت عليها هذه البلاد نتيجة اعلان الحماية الفرنسيه والاسبانية ، بل يجب النظر الى هذه البادره باعتبار انها جزء لا يتجزأ من المناهج الامبرياليه الجديده التي يتبناها الغرب حاليا والتي تستهدف اعاده تركيز الكيانات السياسية في افريقيا الحديثه على شكل معين يضمن وقوعها باستمرار تحت مناطق النفوذ ويؤمن ولاءها للمصالح الغربية الدائمة في القاره . وفي اطار هـذه السياسه تم بالفعل تدمير بعض الكيانات السياسية التي لم يكن وجودها مما يستجيب لهذه المقتضيات الاستعمارية الملحة، وهكذا امكن تهييء الجو الضروري لنسف قواعد الاتحاد بين السودان والسنغال ضمن اتحاد « مالي » واقيمت العراقيل ـ من جانب آخر ـ في طريق انجاز مشاريع الاتحاد القديمة بين جمهوريتي غانا وغينيا ، كما تم ايضا فصل الاقليم الموريطاني عن المغرب ، وحصل على هذا النحو تفكيك كثير من الكيانات الاتحادية والقومية الاخرى في القاره نتيجة لما كان يسود اتجاهاتها من حوافز تحرريه استقلالية وبالنظر لما بدا على بعضها من اعتناق لمبادىء الحياد الايجابي والتضامن الافريقي ومناوأة للتغلغل الاستعماري والتسلل الاجنبي .

2 ـ يرتبط الوضع الحالي في موريطانيا بمشاريع الاستغلال المعدني التي تهيمن عليها بعض الاوساط الراسمالية الاحتكارية في الغرب والتي تهدف الى امتصاص الثروات الطبيعيه التي يزخر بها باطن الارض الموريطانيه .

وهذا النوع من الارتباط بين المناورات السياسيه ومشاريع التوسع الاستغلالي لا يختص بالحالة الماثله في القضيه الموريطانية وحدها ، بل انه يمتد على ابعاد اوسع من ذلك ويعكس منهاجا منظما تندرج في نطاقه كثير من العمليات الواسعة الجديده التي سنها الغرب على القاره الافريقية كالوضع القائم في « كاطانكا » حيث يرتبط النظام الانفصالي الذي تبناه البلجيكيون بالاستغلالات المعدنية الكبيره في هذا الاقليم الكونغولي الهام . وكذلك الشأن في الجزائر حيث يزداد التصلب الفرنسي شده وضراوة بقدر ما تزداد اهميه المخزونات البتروليه التي تنطوي عليها صحراء الجزائر ، ويبدو الوضع الحالي في موريطانيا ـ بكل ما ينطوي عليه من ملابسات وتعقدات بمثابة امتداد للحالة المعقده التي خلقها النشاط التوسعي الاجنبي في هذين القطرين الافريقيين ، ولا شك ان استمرار هذا الوضع وامتداد الآثار الخطيره الناشئة عنه من شأنه ان يؤدي الى حدوث مضاعفات استعماريه اخرى تحمل في طواياها كثيرا من التحديات القوية لمبدأ الوحدة الافريقيـة والتضامن العربي الافريقي وتمهد السبيل لمناورات دولية جديده تستهدف بعض الكيانات القوميه الحاليه بافريقيا وتتهدد وجودها ووحدتها في الصميم .

3 ـ يبرهن الظواهر العامة التي تتميز بها الاوضاع الاستعمارية الجديده بافريقيا ان قيام اوضاع انفصالية في كاطانغا وموريطانيا وغيرها قد غدا ضروره اكيده لمواجهه التيارات الحادثة والتحررية التي احدث تكتسح مختلف انحاء القاره السوداء ، ويرى الاستراتيجيون الغربيون في هذا الصدد ان طبيعه التطور الحاصل في افريقيا تحتم اقامه حواجز دوليه متينه لتحديد النطاق حول البلاد التي تحتضن هذه التيارات وعزلها على الصعيد الافريقي والدولي عزلا محكمـا وناجـرا .

ولا جرم ان من بين العوامل الكثيره التي كانت اساسا لاستقلال موريطانيا : الرغبة في تحديد النطاق الدولي حول جمهورية مالي ـ بعد ان تم تفكك اتحادها مع السنغال ـ واحكام اطار العزله حواليها ووضعها في مركز دقيق يسهل وسائل التآمر عليها مثل ما هو عليه الامر بالنسبة لجمهوريه غينيا وغيرها .

وقد تم بالفعل نتيجه لاستقلال موريطانيا ـ انجاز بعض جوانب التكتيك الاستعماري الذي يستهدف الضغط على حكومة « مالي » وتصفيه النظام السياسي التحرري الذي يسود هذا القطر ، وذلك بتعاون وثيق بين حكومة « نواكشوط » وحكومات فولتا العليا والسنغال وساحل العاج وغيرها من اعضاء الجامعه الفرنسيه ، وليس هناك من مجـال للقول بان عمليات التطويق هذه تستهدف خاصه جمهوريه مالي دون غيرها لان طبيعة الصراع القائم في افريقيا والاهداف التي تحدد وجهته ومداه لا تحد ـ في الواقع ـ بحدود قطر معين او حكومة مخصوصه وانما تستهدف اكثر من ذلك العمل على تحديد تيار البعث التحرري في مجموع القاره وعزل كافة المواقع التي تنطلق عنها هذا التيار كالقطر المغربي وجمهورية غينيا وغيرهما ، وقد كان من الطبيعي ان يقوم الوضع الحالي في موريطانيا ليضطلع بدوره الهام في هذا المضمار .

معرض الكتب

إفلاس الحضارة

للدكتور محمد عزيز الحبابي
تعريب: محمد برادة

يسرنا ان نقدم الى القراء فصلا من كتاب للدكتور محمد عزيز الحبابي تحت عنـــوان : Du Clos a l'Ouvert (vingt propos sur les cultures nationales et la civilisation humaine)

تصدره لجنة المغرب للتاليف والترجمة والنشر هذه الايام . وهو اول كتـــاب تدشن بـــه الجمعية الوليدة نشاطهـــا .

والفصل الآتـي من الترجمـــة العربيـــة التـي تنجزها الاستـــاذان : محمـــد برادة وعلم علم ، وستصدر قريبا عن نفس الجمعية .

« ما قيمة الحقيقة التي لاتحولنا الى افضل مما كنا عليــه . . . ؟ ان الفلسفـــة التـــي لا ترفع القيمـــة الانسانية تعتبر لغوا لاطائل من ورائـــه » (1) . هـــذه الارادة القوية فى التعالي على الحاضر والتطلع الى تكوين مجتمع مثالي ، كثيرا ما نجدها فى ايامنا هذه فى اشكال متباينة وباساليب مؤثـــرة . وهـــذه الارادة تتجلى فى الوقت نفسه كرغبة من جهة ، وكتعبير عن الاشياء من جهة اخرى : لأن الانسانية تظهر كانها قد ضلت الطريق نتيجة لخطأ جسيم فى التوجـــه .

فالحضارة قد حادت عن السبيـــل القويـــم ولم تستجب لطمحنا فى الكمال واتمام الصلـــح بيـــن الانـــا وذاتـــه ، ومساعدتها على التفتح التام . ان نظم الحكم المختلفة للحكومات المعاصرة وكذلك لجميع الـــورات والمنظمات النقابية والمذاهب الفلسفيـــة والاقتصاديـــة والاخلاقية ، كلها تنتج عن انعدام التوازن بين نزوعاتنا وآمالنا ورغباتنا من جهة ، وبين اعمالنا والنتائج التـــي حصلنا عليها ومشاريع المستقبل من جهة اخرى ؛ لذلك فاننا اصبحنا نعيش فى قلق عميـــق من خلال تناقـــض وضعنا . ان كلمة « حضارة » لها وقع مؤثر وايحـــاء صوفي فى النفس الانسانية ، لكن اذا ما قابلناها بالواقع المجرد من كل الأصباغ فانها تفقد هذا المعنـــى ونتحـــد معنى آخر يشير الى الانوار الاصطناعية المزركشة التي ترديها الممثل على خشبة المسرح والتي اعدت لتلمـــع تحت شمس ليس مصـــدر نـــورهـــا فى الحقيقـــة الا الكشـــاف (Projecteur) ، ولا تصلح الا فى حياة عالـــم مسرحـــي مصطنـــع .

ان حضارة المدن عندما عوضت مقاييس العدالة والكرامة بمقاييس القوة (2) والدخل ، وصنفت الناس الى « منتجيـــن » و « غير منتجيـــن » وعندما آثـــرت التنافس على التضامن (3) ولم نحسن تنظيـــم تقويـــم

1) هـ. مافيب فى كتابه (رفض العبث) (Refus de l'absurde) ص 5 باريس لاكولمب 1953 .

2) لدرجة ان عظمة الدول اصبحت تقاس فى ايامنـــا بما لها من قوة عسكرية . وقد قال كلود جيليـــان فى تحقيق صحفي كتبه عن الولايات المتحدة مايلي : ان المتحدث تكون له قيمة اذا كان قويا وهذه القاعدة مطبقة فى امريكا) (جريدة لوموند يوليوز 1956)

3) انظر كتابنا حرية أم تحرر (Liberté ou libération) ص 119 الى 181 حيث عالجنا مشكلة التنافس والتضامن (باريس طبعة مونتيني 1956)

على ان وضع القضية فى هذا الاطار الدولي الواسع لا يعني مطلقا اغفال الدور الرئيسي الذى يجب ان يضطلع به المغرب فى مجال الكفاح من اجلها .

ان المشاكل القومية الدقيقة التي يضعها امامنا وجود المشكلة الموريطانية تقتضينا العمل على زيادة تعميق وعي الجماهير وتأصيل ادراكها لهذه المشكلة وهذا التعمق للوعي الجماهيري سيبقى ضروريا لامكان العمل على تركيز الصبغة القومية للقضية الموريطانية وبلورة المفاهيم السياسية التي نعبر عنها هذه القضية وترتبط بها ارتباطا اساسا وجوهريا .

ان من اولى النتائج لوجود الوعي الحقيقي للمشكلة توافر القدرة على مواجهة المسؤوليات المتأصلة عنها وهذه القدرة لها مقومات عدة ، بعضها مادي وبعضها معنوي ، ولكن الجانب المعنوى منها اكبر قيمة واشد الحاحا وتأثيرا ، ويتمثل فى مظاهر اساسية كفوة التصميم وشده العزم وايجابية التفكير ومتانة الوسائل والغايات كما تتمثل ايضا فى الروح المبدعة التي تقود الى تخطيط الحل الناجح للمشكل وتعين على مواجهة الاعباء الناشئة عنه بعقلية نضالية تنظيمية هادفة (1) .

هذه بعض العناصر الضرورية التي يجب ان تساهم فى تكوين صفة الشعب المناضل من اجل الحق . المكافح فى سبيل اقرار الانصاف والعدل ، والواعي للمثل النبيله التي تهديه طريق هذا الكفاح والنضال وتقوده فى النهاية الى باحة الظفر والنصر .

ان المعركة القائمة من اجل موريطانيا هي ذات واجهات متعددة تمتد على ابعاد مترامية فى داخل الوطن المجزا وفى خارجه ولا شك ان ضمان النجاح فى هذه المعركة يتوقف بالذات على مقدار توافر هذه المقومات المعنوية فى جماهير شعبنا واستعداد هذه الجماهير للقيام بدور نضالي طلائعي فى سبيل الدفاع عن محتوياتها الرفيعة وبذلك فقط نكون مؤهلين لمواجهة التحديات الخطيرة التي تهدد وحدتنا القومية والتي يمثلها الوضع الانفصالي فى الجزء الجنوبي من وطننا الغالي .

ومما لا ريب فيه ان مستوى وعي الشعب للمشكلة الموريطانية قد بدا يتخذ مظهرا يوحي بكثير من الامل ويؤذن فعلا بان امكانياتنا النضالية القومية لا تزال — كما كانت — فى مستوى التحديات الدولية التي نواجهنا باستمرار سواء فى عهد ما قبل الاستقلال او فى عهد الاستقلال نفسه .

وكل ما يهم الآن ان ندرك جيدا مدى قيمة هذه الامكانيات وان نعرف كيف نجعل منها قوة انطلاق كبرى نحو القضاء على مظاهر التجزئة والانفصال والانهزامية فى ربوع وطننا الكبير بما فى ذلك موريطانيا وعلى ذلك فقط يتوقف مصير معركتنا الكبرى فى الاقليم الموريطاني ويتوقف ايضا مستقبلنا كامة ذات كيان موحد واستقلال ناجز وسيادة كاملة .

1) لا تتسع المجال لايراد التفاصيل والاستشهادات حول هذا الموطن من البحث ولعلنا سنعود الى ذلك فى مقال آت بحول الله .

ان الثقافة لاتكتسب قيمة الا اذا اهتم المثقفون بمصالح الناس وجعلوها موضوعا لنشاطهم ، وتخلوا عن ابراجهم العاجية ليشاركوا الشعب فى اعماله ومشاكله .

ان التناقض المأساوي مصدره ان الصناعة كلما تابعت تقدمها الهائل كلما نتج عن ذلك تناقض كبير قد يودي بالانسانية جمعاء . ويكفي ان نذكر هنا بعض الامثلة لناخذ فكرة واضحة عن البؤس المفجع الذى عرفناه فى عهد الحضارة الصناعية . ففي ايامنا هذه توجد مدن القصدير فى المراكز الصناعية بافريقيا الشمالية وغيرها . وتوجد أمثله اخرى ليست أقل دلالة مثل البحث الذي أجري سنة 1842 فى انجلترا لمعرفة الاوضاع التى كان النساء والاولاد يعملون فيها داخل مناجم الفحم . وقد أرفق الباحثون تقريرهم بصور تجعل الناظر اليها تصيبه دوار السم وتجعلنا نتساءل فيما اذا كانت الحياة تستحق ان تعاش بالنسبة لهؤلاء الاولاد العاملين الذين قسا عليهم القدر فى مرحلة مبكره . وكذلك بالنسبة لهؤلاء النسوة اللاتى ارغمن على ترك منازلهن واطفالهن للتوجه الى حفر سوداء ضيقه لاتتوفر فيها الشروط الصحيه . وتظهر لنا احدى هذه الصور امرأة تجر عربة من الفحم فى ممر ضيق لايسمح لها ان تعتدل فى مشيتها فتضطر الى السير على يديها وركبتيها لانجاز عملها الشاق (1) . لقد اصبح يتحتم على الانسان ان يسير على اربعة ارجل فى عهد الحضارة الصناعيه ! ان هذه الصوره تذكرنا بعمال آخرين فى مجتمع آخر وهم صناع الزجاج فى مصر القديمه (2500 عام قبل المسيح) . وهذا الماضي ما زال ممتدا فى اشكال اخرى وان كانت اقل ضراوة . واذا كان عدد ساعات العمل قد خفض فى بعض الدول الغربية فان الامر ليس كذلك فى جميع الدول . فمثلا نجد القانون الذى يحرم تشغيل الاولاد اكثر من عشر ساعات فى اليوم داخل فرنسا لايرجع تاريخ صدوره الا الى سنة 1898 وهذا القانون لم يطبق فى المستعمرات الفرنسية حتى ولا فى سنة 1960 ! ومما لاشك فيه ان اخطار العمل قد قلت نسبتها عن ذي قبل الا انه مازال هناك تكديس العمال فى الاماكن غير الصحية وما زال الخطر منتشرا فى المناجم مثل فاجعة (مارسنيل) فى بلجيكا (غشت 1956) وفى كندا (نوفمبر 1956 واكتوبر 1958) .

وحسب المنطق الجدلي لانسجام الشخصية المرجو ، فان هذا الخلل يلقى التبعة على الانسانية والحضارة او على الاصح يعتبرهما اساس المشكل . فقد اصبح الانسان فى القرن العشرين لايقود حياته الاخلاقيه بنفس المهاره التي يدبر بها أعماله وآلاته . ومن ثم فان الوضع يتطلب مفهوما جديدا . موحدا يشع بالحياة ، وأصبح يحتم اتجاها آخر للمصير الانساني .

لقد كان المثقفون فى القرن التاسع عشر والى اوائل القرن العشرين معجبين بالتقدم فعبروا عن حماسهم لهذا النقدم بتأييدهم لافكار (سان سيمون) واتباعه واعتناقهم للمذهب الوضعي (سواء الذى نادى به (أوجست كونت) أو (ستوارت ميل) أو (لبتري) أو (سبنسر) أو (رينان) وأيدوا مذهب التطور والمذهب العلمي ، ثم فيما بعد التفاؤل البراكماتيكي للانكلوساكسونيين وبخاصة عند (تايلر) و (فورد) .

وبالرغم من ردود الفعل التى أبداها (بوترو) و (وبركسون) و (موريس بلونديل) وغيرهم من المفكرين فان طفرة الصناعه والعلم والتقدم قد ظلت مزدهرة الى ان وقعت الازمة المشهوره سنة 1929 (اليوم الاسود the bleck day اكتوبر) التى زعزعت دعائم الرأسماليه الصناعيه .

وفى فرنسا كان (امانيل مونيي) واصدقاؤه الشخصانيون اول من اقاموا وزنا لخطورة هذه الازمه فحاولوا ان يستخلصوا من عواقبها منطقا للعمل . وفى سنه 1932 اسسوا حركة الفكر ومجلة تحمل نفس الاسم (Esprit) وفى نفس السنة ظهر اهم كتاب (لبركسون) « منبعا الاخلاق والدين » الذى ينتهى بفصل عنوانه « ملاحظات اخيرة » وفيه هذا الانذار المتشائم الصادق :

« ان الانسانية تئن ، والتقدم الذى تحرز عليه يكاد يسحقها وهى لم تع تماما ان مستقبلها يتوقف على ارادتها . ان الامر يرجع اليها أولا واخيرا لنرى ما اذا كانت تريد ان تستمر فى الحياة ، وان تختار فيما

---

1) مقال عن الثورة الصناعية فى L'Hutchinson Encyclopédia

الاستعدادات الانسانية . قد عاقت الكائن البشري عن ان يتحرر ويتجاوز ذاته . أي انها قد حالت بينه وبين ان يحقق شخصيته ؛ وهذه الهزيمة المريرة هي المصدر الاساسي للقلق والعبث والسوداوية وغير ذلك من الالفاظ السائدة في الادب والفن الحديثين . ان كتب (كيركجارد) و (كافكا) ونظرية العدم عند (هيدجر) وآراء (ماكيافيل) — والماركيز دوصاد — قد انتشرت على نطاق واسع لانها تتجاوب مع حيرة المثقفين الذين خابت آمالهم . ومع ردود الفعل للوعي الحديث .

وعندما عكس الادب هذا الوعي للازمة فانه امتلأ بالاستبطان الذاتي واصبح عبارة عن عرض للانهزامات الاخلاقية . واظهارا صارخا للقلق والانتقادات الذاتية . واقرارا لمحنة الضمير .. وهي الصفات التي تطبع عصرنا . ويدخل في هذا المجال رغبة جنونية في الهرب من الواقع عن طريق القصص البوليسية والفن المجرد . وقصص نوع خاص من الشباب . ولا ننسى أولئك المختصين في كشف القناع عن الحياة الخاصة للنجوم السينمائيين . وتتبع الفضائح والمغامرات . ولكن علينا ان نستثني من هذا كله الملايين من الرجال البسطاء الذين يمارسون نشاطهم في شجاعة وكرم .. أليسوا هم ايضا ممثلين لعصرنا ؟ ويمكن لنا ان نذكر على سبيل المثال بعض الاعمال الفنية (البابلو بيكاسو) التي انتجها بعد « الفترة الزرقاء » مثل لوحة (كيرنيكا ولوحة (الحرب والسلام) .

وفي الادب نذكر مؤلفات (ادكاربو) و (جورج بيرنانوس) و (وليام فولكنر) و (ودوس باسوس) : و (عبد الرحمن الشرقاوي) و (سهيل ادريس) . وفي الأفلام السينمائية فلم (بذرة العنف) و (جلسة سرية) ونحن نذكر هذه الاعمال دون الحكم على قيمتها . كشواهد لهذه الفترة على هذه الفترة . بما فيها من صالح وطالح .. انها شهادة على عجز الاخلاق في حضارة تلتبس مع احتفاظها بامكانيات ثرة ان المأساة ناتجة من كون وعي الصدمة — الذي ظهر في شكل عدم التكيف — لم يصبح بعد واضحا ومتسلسلا في نفوس الجميع . ثم هناك خيانة المثقفين الذين كان يرجى منهم ان يكونوا في الطليعة (La trahison des clercs)(1) . وفي مقابل اولائك الذين يفضلون « العمل المجاني » الذي دعا اليه (اندري جيد) أو الرفض السهل الذي نادى به كامو) ، وجد من اختاروا الالتزام الذي دعى اليه كل من (مونيي) (وسارتر) ، واذا المعركة لم تعد قائمة بين القدماء والمحدثين او بين انصار الكلاسيكية وانصار الرومانسية . وانما اصبح الصراع بين الذين يعتبرون الثقافة مسألة ذوق شخصي وامتيازا موقوفا على ذوي أرستوقراطية فكرية معينة ، وبين الذين يريدون ان تصبح الثقافة قوة مؤثرة في المجتمع تعمل على ضمان الاستقرار والرفاهية للانسانية جمعاء .

ان دعاة المذهب الانساني في كل العصور وبخاصة في عصرنا يرغبون في ان يتطور الانسانية في ثلاثة ابعاد مرة واحدة وهي الابعاد المادية والثقافية والاخلاقية . الا ان الرغبة في اقامة علاقة وطيدة بين معارفنا وواجباتنا لم تخرج الى حيز التنفيذ . وكان يجب ان تترافق التقدم العلمي والتقني زيادة في نشر العدالة والحرية وتعميق للمفهوم الانساني حتى يستطيع هذا التقدم ان يستجيب لمتطلبات حضارة أصيلة يمكن في ظلها لالتزاماتنا وأعمالنا ان تؤكد — بحرية وتضامن — كرامة الانسان . وحينئذ ان يصبح المثقف هو الذي يتوفر على ثقافة الكتب ، بل هو الذي يستغل ثقافته في جميع ميادين النشاط الانساني وفي جميع المستويات لجعل النوع البشري صالحا في مجموعه . أي ان المثقف هو الذي يربط مصيره بمصير الانسانية . وعلى العكس من ذلك الثقافة التي لا تشجب الحرب ولا تضع خطة لتحقيق التضامن الانساني ، فانها تقود حتما الى الانحطاط والفتنة « والفتنة أشد من القتل » كما جاء في القرآن .

واذا فهناك نوعان من الثقافة : ثقافة جيدة وثقافة رديئة . والنوع الاول هو الذي يدفع كلا منا الى السهر على الاخلاق وتقدم المجتمع . لان التفاوت والظلم يجران الى الفوضى والمصائب كما جاء في القرآن (2) : « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب » وقد اصاب افلاطون (الجمهورية) عندما اعتبر الثقافة خيرا مشتركا بين الجميع وسخر من السوفسطائيين « الذين امتهنوا توزيع الثقافة وكانوا يزعمون بانهم يضعون المعرفة في الارواح الفارغة منها ، شأن من يبعث النور في العينين المطفأتين » .

(1) اشارة الى عنوان الكتاب الذي الفه الكاتب الفرنسي Julien Benda في أوائل هذا القرن .

(2) سورة الأنفال .



رثاء

للأستاذ علال الفاسي

عقد الحزن عن رثاك لساني ... مذ رأى الشعب في الاسى ما عراني
لا يطيق القريض والكلم الفر ... بان الذي يكن جناني
انا حسان مدحكم وفمين ... بي ما قد جرى على حسا
مات خير الورى فلم تلف حسا ... ن رثاء لسيد الاكوان
وعزيز على محبك اهداؤ ... ك شعرا يحد بالاوزان
وفمين بمن يحبك اهداؤك ... شعرا فى النفس كالبركان
عبر الشعب عن رثاك بمعنى ... ليس يقوى عليه كل المباني
هو ذخر من العواطف لا يمليه ... الا تعلق وتفان
كلنا ود لو فداك بما يستطيع ... بالنفس ، بالاماني الحسان
رب حر اصيب باليأس حتى ... طلب الموت فى سبيل التداني
وفتاة تمرغت فى الثرى لا ... تعقل شيئا من الوجود الفاني
ان دنيا تزول عنها لا ولى ... ان نراها فى عالم النسيان
وحياة تركتها نحن اولى ... بالتخلي عنها بدون توان
ذهل الناس من مصابك ... فانسابوا كبحر يعج بالاحزان
لو اصيب الورى باول موت ... فيهم طارىء على الانسان
ما بكوا مثل ما بكوك ولانصاعوا ... الى الحق خاشعي الاذقان
غير ان المصاب فيك جليل ... ما له من نوع المصائب ثان
يحسن الصبر فى النوائب الا ... فيك فالصبر ليس ذا استحسان
ايها العاهل الذي ترك الشعب ... يتيما يتيه كالولهان
كم عزيز على محبك ان يذكر ... ان لست هاهنا فى المكان

اذا كانت تريد مجرد العيش أو بذل الجهد الضروري لانجاز مهمة الكون الاساسية باعتباره آلة لصنع الآلهة » .

غير ان الكون الذي نعيش فيه — وبخاصة منذ مطلع القرن العشرين — لم يعد يتجلى كآلة لصنع الآلهة بل كعالم للعملات البنكية والمبادلات التجارية ، حيث تحبك الأزمات وتقع الحروب الاستعمارية الاهلية ثم حروب المنافسة والنفوذ .. الخ ، دون ان ننسى الحروب البارده ! .

حقا انه تناقض مفجع ، فمثلا في سنة 1815 كان السلم هو الشرط المرتجى ليتسنى للصناعة ان تزدهر وللانتاج ان ينمو ويتضاعف . اما اليوم فاننا نجد بعض رجال الصناعة لايتورعون عن تحبيذ قيام الحرب لأنها في رأيهم فرصة للربح ! ولا يفوتنا ان نشير هنا الى التصريح المشهور الذي افضى به عضو في الكونكرس الامريكي قائلا :

« نفضل الحرب على الازمة » ومنذ هذه الصيحة المؤلمة توالت النكبات .

واليوم تأتي القنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية والانسان الآلي ليطرحوا من جديد قضية قيمة الاخلاق في الصناعة ، او بصفة أعم في الأبحاث العلمية . فهل يجب علينا ان نفرط في التشاؤم لنصرخ مثلما فعل جوزيف كابو : « فبدوا بروميثوس الجديد ، وجهوا دفة العلم » ؟ .

الواقع ان صياغة السؤال على هذا النحو لايضع المشكل في اطاره الحقيقي ، لانه لايمكن ان ندين التقدم احمالا دون ان نقع في الخطا ؛ حقيقة ان العلم بانحطاطه يحدث اثرا سيئا في قيمنا الاخلاقية والاجتماعية ، لكن ليس السبب في ذلك وجود عنصر شرير في تكوينه ، لان العلم وسيلة وليس قدرا حتميا . انها في الحقيقة غلطة متعمدة من رجال السياسة وبعض العلماء ، فالعلم في حد ذاته حقائق محايدة .

ان النازيين كانوا يدركون مايصنعون عندما جعلوا ملايين من الاسرى والمنفيين بمثابة حيوانات يجرون عليها تجاربهم .

فالانسان اذن هو الذي ينحرف بالعلم عندما يسخره لاعمال تتنافى والكرامة الانسانية . ان باستطاعتنا ان نحور الجملة السالفة فنقول : « الانسان هو الذي يعمل على الحط من قيمة العلم عندما يتعامى عن الحقيقة » .

من كلام النبوة

❊ لاتزال هذه الامة بخير ما ان قالت صدقت ، وان حكمت عدلت ، وان استرحمت رحمت .

❊ اشدكم من ملك نفسه عند الغضب ، واحلمكم من عفا بعد المقدرة.

وطردنا جيوشهم وحصونا   حسبوها نفي من الرحمان
وغنمنا استقلال قومك والعزه   والنصر لعرش موطد الاركان
ودخلنا مراحل العمل الحا   سم في عزمة وفي اطمئنان
لم تكن نرتضي التحرر الا   كامل الشكل كامل الاتقان
وطن كله نناضل عنه   من حدود المضيق للمورطان
ورباط بعالم العرب مو   صول بحبل الاسلام والايمان
لرباط افريقي واسيو   ي مداه التحرير للانسان
وجهاد ليصبح الناس في الار   ض سواء في العدل والاحسان
وجهاد ليصبح الناس في الار   ض سواء في العلم والعرفان
وجهاد لينعم الناس بالعيش   رغيدا ويعملوا في امان
حملة اثر حملة اثر اخرى   نحن عمالها وانت الباني
ان في شبلك الهمام المفدى   لامتداد البناء خير ضمان
ان فيه كل الحظوظ لشعب   ينبغي ان يراه رب الصيان
همه كله وعزم شديد   وغناء عند الحروب العوان
حسن من محمد وكفانا   فيه هادان ءاية العنوان
قد رضيناه عاهلا واماما   ومنحناه بيعة الرضوان
ورضيناه قائدا نحن طرا   حمده في الاسرار والاعلان
قد اردناه للعظائم يبنيـ   ـها وللمجد سامح الافنان
واردناه للخطوط التي خطت   تجلي وجودها بافتنان
لارتجاع الحدود للذب عما   لم يزل للعدو فيه يدان
من صحارى ومن مدائن تدعو   ه لانقاذها من العدوان
ولتحرير شعبه من مآسي   الفقر والجهل وظلم الافران للافران
وجدير به الذي قد اردناه   ممن عزمه الاماني دواني
وجدير بنا اتباع خطاه   سنحييه كل يوم اذان
في اتحاد من حوله وسمر   معه في توافق واتزان
يا مليك البلاد يا وارث   العرش ويا حارسا لتلك المغاني
دم عزيزا موفقا ومعانا   في الذي تبتغيه للاوطان
وحماك الاله من كل كيد   وبك الشعب من عوادي الزمان
ورعى الاسرة الكريمة   والام وما انجبت من الاخوان
وسلام على الامام المفدى   وغذته سحائب الغفران
وسلام عليه في مقعد الصدق   رضا في جنة الرضوان

كم عزيز على محبيك ان يذكر … ان قد قضيت قبل الاوان
ان يبكي الناس فيك شهما ابيا … واماما وعالما من معان
فالذي ما بنيت وبنيت ابكيه … لوحدى فى عالمي وكياني
قدر الله ان تموت وابقى … حاسر النفس دائم الهيجان

* * *

انت اما ذكرت يذكر فيك الكل رمز العلا ورمز الاماني
مثلا ساميا يسير اليه الشعب فى عزمه وفي ايمان
علما خافقا لدى قمة المجد اليه النفوس دوما عوان

* * *

ومنارا يهدى السبيل الى الحق … الى الرشد قائم البرهان
طالما قد هدى البلاد الى الخير … ونادى بها لخوض الرهان
وحداها الى مقاومة الظلم … وصد المستعمر الفتان
من رأى مثله مليكا عظيما … خالد العرش ثابت الابوان
علم الشعب ان يناضل فى الحق … ولا يستكين للاطغيان
قد من عرشه لواء كفاح … ومضى فى طليعة الميدان
يوم رام المستعمرون بنا الكيد … وزجوك فى يد السجان
قد تحملت ما لقيت بصبر … وثبات على ابتعاد المكان
وضربت المثال للشعب فازداد … ابدا فاعتلا للذب فى الميدان
بذل النفس والنفيس فداء … للذى قد فداه عن وجدان
وابى ان يرى سواك اماما … وزعيما وصاحب السلطان
ورأى فيك كل معنى شريف … وجميل مجسما للعيان
ورأى فى اسمك النشيد يغنيه … فيزجيه للفدا والتفاني
امل كله تجسم حتى … صار معنى يحس فى الجثمان
قد عرفنا بك الحياة كما نرغب … نفس عزيزة الوجدان
واتخذنا تحرر الرأى نهجا … منه نبني تحرر الاوطان
وجعلنا الاتحاد فى المبادى … اسس الاتحاد فى البنيان
ومضينا الى الكفاح فلم نضعف … ولم نستكن الى خذلان
انت علمتنا الثبات فسرنا … ابدا لا تردد فى معمعان
قد جعلنا الفدا شعارا وخضنا … بجيوش التحرير كل طعان
وطردنا المستعمرين جموعا … حولهم كل خانع خوان

— الثـــورة —

أو هل رأيت السيـل عب عبابـه ... منـدفـق التيـار يهـدر مـاؤه

أو هل رأيت السيـل ؟ ذلك شعبـه ... فـارت مراجلـه وفـاض انـاؤه

شعب تخضب بالـدمـاء كبـاره ... وصغـاره ورجـالـه ونسـاؤه

دوت بكـل محلـة وقبيلـة ... صيحـاتـه وتجـاوبت أصـداؤه

ردوا الـى الاجمـات فسورها فما ... الا محمـدها لـهـا ومضـاؤه

لغـة الرصاص ، متى تعددت اللغى ... حـول العتي ، يكـن لـهـا اصغاؤه

— الظفـــر —

واذا ابن يوسف في العرش ، توحدت ... اجـزاؤه وصفت لـه أرجـاؤه

ومضى الدخـيل المهفري معفـرا ... وجـراء ما اقترفت يداه جلاؤه

— لـلا أمينـــة —

قالت امينـة ، والثواكـل حولهـا : ... أيطـول نـوم ابـي ؟ كفـى اغفـاؤه

قـد كـان عودنـي الصباح لقـاءه ... ومضى الضحـى فمتى يكون لقـاؤه

يـا « آمـن » لاتذرى الدموع فانمـا ... لابيـك قصـر في السمـاء بنـاؤه

هذا خليفتـه ووارث عرشـه الـ ... ـحسن المذكـى غرسـه ونمـاؤه

هذا اخـوك المرتضى لـك حبـه ... وحنـانـه وصفـاؤه ووفـاؤه

— يا صاحب التاج —

يا صاحب التاج ، اصطفاك محمـد ... ليطول فيك مـع الزمـان بقـاؤه

لـك منـه حكمتـه وثاقب رأيـه ... وعليـك منـه جـلالـه وبهـاؤه

حفت بعـرشـك أمـة مكلـومـة ... جـرح المصاب على يديك شفـاؤه

ان جـل مأملهـا فانت مناطـه ... او غـاب كوكبهـا فانت ضيـاؤه

ما مات أمس محمد

للشاعر الأستاذ
خير الدين الزركلي

نطقت مآثره ، فلا خطباؤه … يوفونه حقا ولا شعراؤه
حسب المفوه ان يلوذ بصمته … ويطول من هول الملم بكاؤه
ما مات امس محمد ، ومحمد … في الخالدين سناؤه وغناؤه
ملك يبوأ في القلوب مكانه … عرشا تأصل في القلوب ثواؤه
ما غره صفو الزمان ولم تنل … من كبرياء شموخه ارزاؤه
نتجاذب الاهواء فضل ردائه … ويعف عن ادناسهن رداؤه
وسور لاهبة الخطوب فتتقي … عزماته ما يصطلي غرماؤه
حمل اللواء يذود عن اوطانه … وعلى الكواكب والرياح لواؤه

ـ النفي ـ

قالوا : امتثل او فاعتزل وتنمروا … وأبى عليه عليه الامتثال اباؤه
ايسام موطني الهوان واعتلي … كرسيه ؟ خسفت علي سماؤه !
وطني وديعة امتي في ذمتي … حق علي صيانه وكلاؤه
انا من نبات سهوله ، انا من حصى … اطواده ، لي شمسه وهواؤه
لي يوم يدعى للفخار فخاره … واذا اشتكى ضرا فبي ضراؤه
لاتلمسن يد الدخيل ترابه … فلربما انقلبت لظى حصباؤه
النفي والتشريد في ايديكمو .. … اني اذا عز الفداء فداؤه

ما كنت احسب اني في دياركم — يوما ، سأشهد ـ بعد العيد ـ تأبينا !
ولا علمت بأن الدهر عندكم — من بعد ما سرنا حينا ، سيبكينا !
ويا محمد .. من غرك .. ؟ فانفلتت — للقدس روحك ، لم تحفل بداعينا ؟
ما ضر من جعل الارواح خالدة — لو نال جسمك تخليدا وتأمينا ؟
أفي السماوات عرش انت تنشده — فرحت تسأل في الفردوس (جبرينا) ؟
ام هل سمعت بأقمار مزبعة — تغزو الفضاء ، فسفهت المجانينا ؟
ام ان قانون اهل الارض مفتعل — فرحت تشرع في الخلد القوانينا ؟
ام ثم ما كنت تبنيه وتصنعه — فرحت تنقل للعليا مبانينا ؟
ام قد صعدت قرير العين ذا ثقة — لما تركت الذي نختاره فينا ؟

* * *

يا منقذ الشعب ! قلب الشعب منفطر — والارض ترجف لما صاح ناعينا!
هذي الجماهير ، كالامواج هائجة — والروح قد بلغت منا تراقينا !
تتيه في الارض ، لا رشد ينهنهنا — ولا صواب عن البلوى يعزينا !
وفاتنات عذارى في مقاصرها — ندبن خدا ، ومزقن (الفساتينا) !
وذاهلين حيارى ، لا دليل لهم — يلاحقون المنايا ، لا يبالونا!
من بائس خر في الاسواق منتحرا — وحائر العزم قد شق الترابينا !
لايعدلوا الشعب في تهويل صدمته — فقلما ادرك الخطب المعافونا !
جحافل الشعب جند خلف قائدهم — ان مات قائدهم ـ ماتوا قرابينا !

* * *

يا ضجة في شعوب الارض صاخبة — قامت بها امم الدنيا تواسينا !
الغرب هز عروق البرق فانطلقت — منها الهواتف في الجلى تدارينا !
والشرق يبكي حدادا في رزيتنا — وبالتضامن في البلوى يسلينا !
والمغرب العربي اهتاج أدمعه — وقع المصاب ، وقد جفت مآقينا !
جاء الحبيب يعزينا ويسعفنا — وجاء عباس يوم الهول يأسونا !
مواقف تلك في (الاخوان) ماجدة — زادت وشائجنا عمقا وتمكينا
نم يا محمد ، محسودا فكم مهج — (محمد) صار في اعماقها دينا !
واصعد لربك ، واسعد عند سدرته — وخل روحك بالبشرى تناجينا
وابعث نصائحك الحسنى تراوحنا — واترك تعاليمك المثلى تفادينا !

أفي السماوات عرش أنت تنشده؟

لشاعر الثورة الجزائرية : مفدي زكرياء

ما للجراحات ، نخفيها فنبدينا ... وللحشاشات نأسوها فتدمينا ؟
وللفواجع ، ننساها فتفجؤنا ... وللسهام نفاديها فتصمينا ؟
ولليالي ، نصافيها فتنغصنا ... وللزمان ، نداريه فيردينا ؟
وللسماوات ، ندعوها فتكسفنا ... وللحظوظ ، نداليها فتقصينا ؟
أللمقادير ثارات بمغربنا ... أم للأعاصير ، غارات بوادينا ؟
وأي خطب ، دهى (الحمراء) فانتكست ... تلك المغاني التي كانت تناغينا ؟
وجئت انثر دمعا في مرابعها ... وطالما نظمت شعري تلاحينا !
وكم لهونا ، نشوى ، في مراتعها ... نغرو الظباء التي لم تأل تغرونا !
وكم صبونا بواديها نطارحه ... صرف الغرام ، تندى من تصابينا !
وكم اقمنا سهارى في محاربها ... نتلو التسابيح ، سدوها مفتنا!
وكم غدونا سكارى من مفاتنها ... ان نرج صحوا ، يقل هيهات ساقينا!
يا للروائع ..! كم هاجت مشاعرنا ... فارسلت من فم الدنيا شوادينا !
وللمواسم ..! كم صاغت خوالدنا ... وللمواكب .. ! كم اذكت قوافينا!
وكم (بمشورها) غنت بلابلنا ... فردد المغرب الاقصى أغانينا!
وكم شربنا على نخب (المليك) بها ... صفو الليالي التي كانت تصافينا!

* * *

يا دار ــ والمغرب المكلوم ــ منصدع ... حيران ، يشكو من البلوى أفانينا !
الخطب ما زال يرسو في جوانحنا ... والجرح ما انفك ينزو في جوانبنا !
بالامس كانت توافيكم مدائحنا ... واليوم جاءت تواسيكم تعازينا !

وارحمتاه لشعب!

لأبي مروان عبد المالك البلغيثي

لم يعرف الدهر اهوالا واحزانا   كفقدنا بطل التحرير مولانا
لم يعرف الدهر في دنياه فاجعة   عمت على البعد اوطانا وجيرانا
واذهلت اهلها من هول صدمتها   لانهم فقدوا للعين انسانا
رزء عظيم رأى ان لا يفاجئنا   الا بأخذ مليك كان برهانا
رزء جسيم ، وهل كالموت من خطر   تدمى القلوب وتعمى العين احيانا
لا سيما ملك خير الملوك له   في الشرق والغرب كم ذكر علا شانا
ذكر يردد بالمأثور عن بطل   زاد العروش به عزا وسلطانا
يود جلهم لو كان عاقلهم   هذا الذي بارح الدنيا وخلانا
رزء السم ساوى في تجرعه   شعب بأجمعه شيبا وشبانا
وافى فحطم منا كل قاعدة   من السرور وأشجانا وأبكانا
على ابن يوسف ، لا صبر ولا جلد   كلاهما غادر الميدان أسوانا
وكيف يصبر عمن لا اصطبار له   في النفي عنا وبالتحرير وافانا ؟
والصبر معناه نسيان وسلبته   ننسى العظيم الذي ما كان ينسانا ؟

وارحمتاه لشعب كان في دعة   مليء عن هنيء البال جذلانا
فباغتته يد الاقدار فاجعة   بما به عاد بعد الرشد حيرانا
فلا ترى غير باك خلف نادبة   وحائر عن صواب العقل ولهانا
في كل صوت نحيب عنه ، ما تره   تريد في لوعة المفجوع نيرانا
ترى الصبي وقد أومى بكامله   للنفس والعين تذري الدمع تهتانا
يقول منتحبا ، والصوت لجلجة :   الله الله ! مات اليوم مولانا !
فهل سمعت لهذا الدهر فاجعة   كهذه ، أشعرت بالهول صبيانا ؟!

ورحمتاه لشعب حين مر به   نعش المليك المفدى منه أزمانا !
قد وحد الصف عند الخطب ملتحما   فازداد للعرش تقديسا وايمانا

يا وارث العرش ... تعلوه على قدر — كفكف مدامعنا ، واقبل تهانينا !
من كان في الناس — بعد البأس — يبعثنا — فليس الاك — يوم البعث — يحيينا !
ورثت ملكا ، ابوك الشهم وطده — وراده الشعب بدعما وتحصينا !!!
وهمة — لوراء الغيب — طامحة — وحنكه . لم تزل — كالنور — تهدينا . !
دم الفتوة اذكاها . وطيرها — فذيعه كالردى . تدرو الشياطين .

* * *

جلالة الحسن الثاني .. لنا ثقة — بالعـ . . . . . . ، نبلغ مرامينا !
فمن نشاطك قد قدت . . . . . . — وفي سباقك قد نخطى امانينا !!
ومن حفاظك قد رسخت قوادمنا — ومن نظامك قد مدت حوافينا !!
سس بالعدالة ملكا انت وارثه — وبالمساواة كن (يا شهم) راعينا
وارحم الضعيف ، شعب انت قائده — ما اغبر من بات لا يحمى المساكينا
وكن كما شاء من اولاك امرنا — تسمع ركابك — للاعداء — رافضينا
وامد . يدك نبايع فيك عاهلنا — تحول عرشك قد شدت ايادينا

* * *

جلالة الحسن الثاني شرف كلمي — بمدح آلك — في الدنيا — رياحينا !
لولا اراده شعب في اداركم — ما كنت امدح بالشعر السلاطينا !
حبست شعري والهامي على وطني — فانساب ينشر في الدنيا معالينا !
وهمت بالثوره الكبرى اساوقها — اهز — في الثوره الكبرى — رواسينا !
حلقت كالنسر في افاق حاضرنا — وغصت كالسحر في اعماق ماضينا !
كم صففت لاناشيدي مدافعنا — واطرقت لشابيحي بواديـنا !
فكان شعري والرشاش في مرح — هذا يغني ... وذا يرجي الملاحينا !
وكان للجيش تنزيلا يرتله — وقد ينزل يغنيك الميادينا !
وللجزائر بيانا ، يلقنه — من ليس يفهم في الدنيا معانينا !
وكان للمغرب الجبار ملحمة — نهز افراحنا فيها مآسينا !
وللعروبة في الاجيال مكتبة — اعجازها نتحدى من يبارينا !
ومن روائعها — والحفل منتظم — نزف — للحسن الثاني — تهانينا !
وسمع الشعب ، حول العرش ، يبعثنا — حتى نقول لرب العرش آمينا !

ألم وأمل

للشاعر
صفي الحمراوي

با وسح قلبي من مصاب فجرا
لما سردد فى اصيل شاحب
فال النعاه : فضى ابن بوسف وانطوت
ان كان حقا ما يفال فنكبة
لو شاء ربي ما دهانا حادث

هل مات من ملأ الحياة جلائلا ؟
هل مات من خدم الرمان ركابه ؟
هل مات من شغف الانام بحبه ؟
هل مات من وهب الحياة لامه ؟

اىموت والآمال فيه تجسمت ؟
اواه من رزء تحطف بغتة
اواه من رزء تـوزع امة
اواه من رزء اصاب احبة
اواه من رزء الـم فزلزل
ملأ البلاد عويلها فتخشعت
وقد استوى ليل البلاد ويومها
صام الانام نهارهم ومساءهم

نادى منادي الشعب يا لمحمد
انا بتامى لا نطيق رزية
كيف السلو وقد فقدنا عمدة
افنى حياته فى حراسة امة

دمع العيون فسال ماء احمرا
نبا تغلغل فى المدائن والفرى
ايامه ، با هول ما دهم الورى
الف على الدنيا ستارا اغبرا
جلل اصم السامعين وحيرا

هل مات من حمل اللواء وشمرا ؟
هل مات من احيى البلاد وعمرا ؟
وتعلموا من عزمه ما اثرا
لاسطيع على الفراق تصبرا

نرضي بما حكم الاله وقدرا
امل الفلوب وغال روحا اكبرا
فطر الفضاء فلوبها لما جرى
فتجمعوا يتفطعون تحسرا
كل النفوس فلا نحس ولا ترى
وترنحت مبهورة مما عرا
لا نوم لا افطار لا متسحرا
فالرزء قد ملأ البطون وسعرا

نحن الفدى ان شاء من خلق الورى
ذهب بخير ذخيرة لا تشترى
وابا حنونا ما ونى او قصرا
لم بدر يوما ما الهناءة والكرى ؟

فها هنا ملأ يبكي مئاثره   وها هنا نفر يهديه قرءانا
وها هنا نادب ترثي لحرقته   وناحبات كساها الحزن الوانا
رزية لم يطق شعب تحملها   ومن يطيق على الارزاء خسرانا ؟
لم يلتق الشعب يوما في مشاعره   كما التقى في الاسى شيبا وشبانا

اودى ابن يوسف ، روح الشعب اجمعه   ومن به كان هذا العصر مزدانا
اودى الذي آثر المنفى ووحشته   لصون عزة عرش طالما صانا
وعاد بالامل المنشود منتصرا   مبشرا شعبه المغمور رضوانا
وقال : ها نحن احرار سواسية   مع الذين طغوا بالامس طغيانا

يا راحلا بعد ان ادى رسالته   قد اتخذت الوفا للعهد ديدانا
ما نمت ملء جفون مذ رجعت لنا   بل كنت في خدمة الاوطان يقظانا
وحققت بك آمال لها عظم   سواك ، لو رامها لم يلف اذعانا
لم يخف مجد بلاد انت باعثه   وكيف يخفى وقد اصبحت عنوانا ؟
اعنك نسلو امير المومنين ، وقد   غمرتنا منذ ان توجت احسانا ؟

يا مالكا جل قدرا ان يوفيه   خلق جزاء ، سوى الرحمن مولانا
نم في الجنان قرير العين من خلف   مخلدا في العلى والمجد ذكرانا

ما مات من خلف الشهم الرضى حسنا   على الاريكة ، بشراه وبشرانا
لما تسنم عرشا ثم بايعه   شعب وفي ، وواسانا وعزانا
وقام يخطب هذا الشعب عن كثب   ازال عنا من الاحزان احزانا
وطمن الامل المنشود وانفتحت   منا عيون على عهد به اردانا

حقق الاهي نواياه باجمعها   وانصره نصرا وهيىء منك اعوانا
واجعله خير سليل يقتفي اثرا   لوالد كان راض عنه مذ كانا
لابدع ان يقتفي آثار ناجله   بل سوف يبلغ من توفيقه شانا
يحرر الطرف المغصوب من وطن   وينعم الشعب بالآمال جذلانا
ابا المحاسن ، عش فالعرش مغتبط   بما ستبدي على علياه برهانا

ففدوت مالك امة وزعيمها ... وامام فكر عالمي اشهرا
اما العروبة والجياد فمذهب ... احييته فى المغربيين فأثمرا
ان عدد العرب الاباة مفاخرا ... وجدوك فى سلك المفاخر اظهرا
هذي العروبة قد بكتك حزينة ... وخبا لفقدك انسها وتكدرا

ما كنت حاكم امة بسلاحه ... بل راعيا مترفقا متبصرا
ما كنت مالك امة بل زاهدا ... متعبدا بدعو لها مستغفرا
عرفتك طيبة والمقام مصليا ... ندعو لشعبك ان بصان وينصرا
سجد المحيا فى الحرام مسبحا ... متمرغا فى تربه متعفرا
نبكي ونضرع للاله كما دعا ... من قبل جدك للورى واستغفرا
لا غرو انك من سلالة احمد ... فالفرع طاب كأصله وتطهرا

غادرت شعبك بغتة فأصابه ... جزع واظلم عينه وتمررا
ان المصاب على القلوب لفادح ... والصبر فى حق القلوب تعذرا
لكن امر الله — حتما — واقع ... سر الفتى ام ساءه ما دبرا
وعراؤنا ان الانام جميعهم ... ففدوك وانتحبوا عليك تحسرا
فى ذمة الرحمن انت مودع ... سقى رضاه ضريحك المتنورا
نم مطمئنا فالرعيه اقسمت ... ان لا تعود مدى الزمان القهقرى
ولئن فقدنا نور وجهك اننا ... لم نفقد الامل الضحوك الازهرا
انت الذي علمت شعبك خطة ... ان يستميت لدى الخطوب ويصبرا

ان كان فضلك يا ابن يوسف شاملا ... فالفضل فى ولي العهد تجمهرا
لولا صنيعك فى ولي صالح ... لم نأمن الاهواء ان تتنمرا
لكن سعيك فى الحياة موفق ... عصم الرعية فى الممات وبشرا

فى طلعة الحسن المفدى اشرقت ... انوار سرك حين بات مظفرا
لما تربع فوق عرشك خلته ... اباك لا شخصا سواك تصدرا
ان غبت عنا فالخليفة حاضر ... ملأ الفراغ كما رغبت وشمرا
ترعاه روحك والعهود وامة ... قد بايعته على الولاء مؤزرا
القت اليه قلوبها فى مهده ... طفلا فشب بحبها متأثرا
وتبادلا حبا قويا لم يزل ... يزداد فى محن الحياة سعرا
انت الذي ربيته وصهرته ... حتى استوى شهم الفؤاد غضنفرا

بهت العدا لما راوا عزماته … ارسى من الطود العظيم واكبرا
كم خاتلوه وكابدوه واوعدوا … فسما على اوهامهم وتجبرا
لم يعلموا ان المليك مجاهد … يبغي لشعبه عزة وتحررا
نادى وافسم ان نعبد ساده … موفورة مرهوبة او يقبرا
فمضى بكافح والخطوب عوابس … وتعنت الطغيان قد بلغ الذرى
لم برهب التغريب عن اوطانه … لكن بمكر الظالمين قد ازدرى
نرك المباهج والقصور مفضلا … نلك المكاره راضيا متصبرا
الله اكبر انها اعجوبة … كان المليك لها بحق مصدرا
ما كان نطلب حظه لكنه … طلب المعالي للبلاد وقررا
ما كان الا رائدا متحمسا … عرف الحقيقة فانبرى واستبصرا
ما كان الا امة فى واحد … جمع الخصائص كلها وتخيرا
ما كان الا نسخة من اصله … اكرم باصل بالنبي تأزرا
ما كان الا واحدا من عصبة … عرف الورى من نمنهم ما شهرا
هم آل احمد هم بنوه وسره … وامان اهل الارض ما عاش الورى

نا راحلا جنات عدن قصده … انا لفقدك ذاهلون تحيرا
ان غاب شخصك فالمعانى لم نغب … فيها نراك مدى الحياة تصورا
ما مات من نرك المبادىء بعده … ما مات من شعل الحياه وغيرا
ما مات من نرك الاساس موطدا … وقضى الذي فرض الاله وسطرا
فلئن مضيت الى نعيم خالد … فلقد نركت القطر حرا انورا
ولقد قضيت فرائضا ونوافلا … ونركت شعبا بالعلاء ندثرا
انت الذي اولينه ما ينبغى … من عزة وانلته ما اضمرا
انت الذي اجليت عن اوطانه … جيش الغزاة الظالم المتجبرا
انت الذى علمته حب العلى … فغدا لديه حقيقة لا تمترى
انت الذى ارضعته حريه … فى قوله وفعاله فتحررا
انت الذي مزقت عن افكاره … حجب الخرافة والهوى فتطورا
انت الذي شاطرته الآمه … بل نلت فى الضراء حظا اكثرا
انت الذي حي الانام جهاده … لما تطاول للمعالي وانبرى
ورات شعوب الارض انك فاتح … فى الحكم والتدبير فتحا اكبرا
اصبحت فى الدنيا مؤسس فكرة … ونفلسف سحر العقول وحيرا

سلام الله عليك يا بطل

للشاعر
أبي بكر اللمتوني

تحسبكم عتب ، فكفوا عن العتب ... وخلوه يبكي ، فالبكاء من الحب
اذا استنزف المفقود ماء عيوننا ... فقد كان ملء السمع والعين والقلب
ونقسم لو اجدى عن الراحل الفدى ... اذن لاجبنا دونه داعي الرب

محمد لن ننساك شعب مطوق ... بالائك اللائي تجل عن الحسب
بلوناك في مر الحياة وعذبها ... فلم نكترث للمر أو نهن بالعذب
وسمناك اعباء ثقالا حملتها ... فكنت كريم العهد في البعد والقرب

ملأت فم الدنيا ثناء كأنها ... اذا حدثت صبت تحدث عن حب
ومن عجب ان طاوعتك صعابها ... فدانت ، ولانت في يديك عرى الخطب
وما جئت جورا أو سببت في اذى ... وما كنت مرء الشر أو رجل الحرب
ولكن حنون القلب متصل الندى ... تعين على الجلى وتعفو عن الذنب
ولم تك دون المستبدين قوة ... بعسكرك الشاكي واطلسك الصلب
ولم تك دون المترفين يسارة ... بمرتعك الضافي ومغربك الخصب
ولكن كفاك الحرص روح مطهر ... تبدل اجر البذل من لذة الكسب
واغراك بالايثار حمد رعية ... حكمتهم حكم النبيء أو الصحب

لمـا رات عينـاك فيـه نجابـه   علمتـه حتـى ارتـوى وتبحـرا
وغـدا باعبـاء الامـارة نـاهضـا   ما ضـل يومـا او لـهـا ونهـورا
عرفـ محافـل كـل قـوم تـاوه   في العكـر ان القي الحديث وحبـرا
قـد كل دون ابائـه عـزم العـدى   لمـا بفـوا واستدرجوه فأنكـرا
وتلطفـوه واوعـدوه فلـم يلـن   يوما ولا استحدى ولا فصم العـرى
فتبقنـوا ان الامبـر صـواعـق   نزلـت على طغيـانهـم فنكسـرا
وترصـدوه بمكـرهـم لكـن مـا   مكـروه خيبـه الالـه وبعـرا
ومضـى يعد مـع المليـك مـواقفـا   منحتهمـا شرف الجهـاد ومفخـرا
قـاد الشـباب فكـان شهمـا ملهمـا   ندب العـرائم للعلـى واستنفـرا
خـاض الكفـاح فكللت رايـانـه   بالفـوز وامتلك القلـوب وابهـرا
جعـل الشبيبـة فكـرة وطنيـة   يحمـى البـلاد بقـوة لـن تقهـرا
فتجمـع الشبان حـول ركـابـه   واستراسـوه عليهمـو فتأمـرا
ومضى بهـم للمجـد حتى افلحـوا   لـولاه ما انتبـه الشبـاب وفكـرا
انـا لنـذكـر يـوم حلت محنـه   كـيف استمـروا ببـانـه ونبصـرا
ودعـا الملك وشعبـه ان يصمـدوا   حتى يبيـد الحـق جـورا منكـرا
ونحمـل الابعـاد عـن اوطـانـه   لمـا بطلـب عـزه وتحـررا
متمسكـا بالحـق غيـر مضعضـع   لمـا نعنـت مبطـل وتكبـرا
حتـى تحقـق المنـى وتبلجـت   انـوار فجـر بالكـرامـة بشـرا
وتمـايـل الوطـن المفـدى نشـوة   لمـا تحقـق سؤلـه فتحـررا
واستقبـل البطلـين بعـد شـوق   وشـدا وصفـق للقـاء وكبـرا

ان الامـير لـه البـلاد مـدينـة   لمـا توغـل في الفـداء واكثـرا
فـاذا تولـى العـرش فهـو لمجـده   كـفء تكنفـه الفخـار ودثـرا
يسـرى بـه مـن مالـك متحمـس   بهـج الزمـان بعهـده واستبشـرا
وقـد انتهت آمـال شعب نحـوه   بـذل الـولاء مـن القلـوب وعبـرا
يدعـو ويضـرع للالـه مـرددا   ان يكـلأ الحسن الملـك وينصـرا

قصة العدد

فتنهم الربيع

للأديب الاسباني: كاميلو خوسي ثيلا
تعريب: الاستاذ محمد الامين محمد

كانت الارض مخضلة ، والحقل يتضوع برائحة بادئه مما يكون غب المطر ، انه الربيع ، بعض الازهار العطرة قد بدأت تتفتح ، واغصان الاشجار قد تدلى بعضها على الطرقات .. انه ليلاحظ كما لو كانت الحياة قد صارت اكثر شبابا .. من يدري ؟ لكان كل شيء قد ... على انفاق ايضا لكي يحيا حياة اكثر حرصا .

قد يرفع الشخص حجرا وهنالك يجد جعرانا يلمع كما لو كان من نحاس ، او يجد حشرة ذات ارجل كثيرة تهرب سريعا ثم لا تلبث ان تختفي تحت حجر مجاور . وقد يجد كذلك تحت بعض الاحجار حية صغيرة مختبئة من ذوات الالوان البراقة ، لدغتها كفيلة بان تقتل شخصا .

القمري قد عاد يسجع في قمم الاشجار ، والهزار ... يغرد من حديد فوق الاغصان ، وتلك الطيور السوداء الصغيرة اخذت تحوم زرافات ووحدانا . والعصافير هنا وهناك تتواثب من حجر الى حجر في الوادي .. انه الربيع الذي يبدو كما لو كان قد اجرى في شرايينا دما جديدا .

— 1 —

هناك تقع الدار مختبئة في غابة من اشجار ضخمة ضاربة في السماء ، لا يقل عمر الشجر منها عن مائتي عام ، وقد نمت حول جذوعها نباتات يتصاعد بعضها حتى يختلط باغصان الاشجار نفسها ، والاشجار كثيفة متقاربة بيد ان اغصانها تمتد احيانا اكثر مما ينبغي وتتدلى على الطريق فتكاد لا تسمح بالمرور تحته .

ويقع خلف الدار بناء قد اتخذ اسفله حظيرة للماشية ، واقيمت في اعلاه بعض الحجرات لسكنى العمال ، ولما كان شهر مايو قد اوشك على الانتهاء فقد كان العمال ينامون تاركين النوافذ مفتوحة تماما ..

ويتفرع من بين الاشجار طريقان ، احدهما يقود الى الطريق العام . والآخر يؤدي الى بناء مرتفع تعلوه قبة وبه شرفة حديدية ومقعد خشبي طويل ، وتحيط به بعض الازهار العطرة التي تتضوع روائحها فتغمر الانوف وتكاد تبعث في الرؤوس دوارا ..

ولما كان الوقت مساء ، والاغصان تغلف ذلك البناء المرتفع ، فضوء القمر لم يستطع ان يتسلل الى الداخل ، ولم يكن من المستطاع ان يرى المتكأ الخلفي للمقعد الخشبي الطويل ، ولو كان الوقت نهارا لامكن للناظر ان يرى على ذلك المتكأ صورة قلب يخترقه سهم . وقد كتب تحت القلب هذا الاسم «كريستينا» كان قد نقش هذا احد العمال الاجانب ثم سافر على الا يعود ثانية ..

ولم تكن « كريستينا » لتنام في الحجرات التي فوق الحظيرة والمعدة للعمال ، وانما كانت تنام مع وصيفتي السيدة فوق سطح الدار ، حيث كان لها ثم حجرة صغيرة لها بعض النوافذ المغطاة بستائر كثيفة ، وبها مصباح حوله ستارة كثيفة من نفس نوع ستائر النوافذ ..

وقد كانت « كريستينا » هذه فلاحة مكلفة بجلب الماشية ، بينما كانت الوصيفتان من المدينة ومن ثم فقد كانتا تنظران الى « كريستينا » نظرات ليس فيها

اما والذي يبلو السرائر والذي الـه انتهى علم الشهادة والغيب
لنبكي عليك الدهر ملء عواطف سماف لدان عشن فى فيئك الرطب
لئن عابت الناس الدموع فانني رأيت انحباس الدمع فيك من العيب
لماذا منحنا الدمع ان لم ننح به على الوالد المبرور والسيد القطب
محمد . لانبكي فراقك وحدنا ولكن بكاك الخلق فى الشرق والغرب
ووحدت ابناء العروبة فى الاسى وهل كنت الا قبلة لبني العرب
محمد . لو لم يبكك الناس حسرة عليك ، بكاك الناس من شدة الرعب
فقد كنت نور البائسين وعونهم على مظلم البؤسى ومحلولك الكرب
وكنت تقبل العابرين ، اذا اووا الى ظلك الممدود أو صدرك الرحب
وكنت ملاذ الشعب من كل محنة ومن كل بلوى اقبلت كاهل الشعب
فنم مطمئن النفس غير مضيع بلادا تولى امرهن ابنك الصلبي
ولا زال سر منك يحدو اموره كما حدت الاقمار هادية الركب
رعاياك مفؤودو القلوب توجعا عليك طويلو الليل مستلبو اللب
لقد اودعوك الترب علقا منزعا وكلهم شوق الى ذلك الترب
وناحوا وراء النعش ملء قلوبهم كما ناح يعقوب على صاحب الجب
عليك سلام الله يا بطل الحمى وجادك هامي المزن أو هاطل السحب

من وصية لقمان لابنه

« يا بني من حمل ما لا يطيق عجز ومن اعجب بنفسه هلك ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن لم يشاور ندم ، ومن جالس العلماء علم ومن قل كلامه دامت عافيته » .

وعشرون عاما ، وهذا يعني ان امها كانت تكبر اباهـا نوعا ما .. وكان من عادة الفتاة انها عندما تستيقظ من نومها ترتعش فى قميصها نوعا ما ، ولا تغادر فراشها بل تتقلب فيه ثم تلف نفسها جيدا بالغطاء ثم تتابـع نومها كاشفة وجهها ناظرة الى النافذة ، مستمعة الـى زقزقة العصافير ، وكان من عادتها كذلك ان تـدع النافذة الخشبية مفتوحة بينما تغلق زجاجها اذ كان يسرها ان تشهد مولد النهار كل صباح ..

وصل السيد الى حظيرة الماشية متوكئا علـى عصاه ، وقد سأل « كرستينا » عن الماشية واجابتـه هذه بانها جيده ، وقد احمر وجه « كريستينا » نوعا ما ، ثم تابع سيره نحو الغابة ليرى كيف يسير العمل. ولقد ابتسم لمنظر نوع من النبات رآه غريبا ، ثم تابع سيره، فقد كان رجل عمل لا يعرف التعب اليه سبيلا ، اما « كريستينا » فقد بكت لشيء ما قاله لها السيد . ولكنها الآن سوف لا تقصه على « مارجاريتا » واخذت شيئا من الثمر وضعته فى فمها ثم تابعت حلب الماشية حتى فرغت من ذلك .. فرفعت الجرة ووضعتها بعناية فوق رأسها . وبدأت سيرها عائدة نحو المنزل .

وكان للسيد ابن شاب غائر العينين ، شاحـب اللون ، ممتلىء الوجه بحبوب صغيرة ، يصفر احيـانا قليل ، وكانت امه دائما اثناء طعام الافطار تقول له : انه شيء غريب ، رياضة بدنية اكثر مما ينبغي ، وعلى نحو ينهك الجسم هكذا .. شيء غريب ، وكان الفتى يتعس لسماعه هذا ، لانه وحده ... هو الذي يعلم الى اين يذهب « اسبيرانزا » كل مساء ، وكان والـده دائما يبرى للدفاع عنه قائلا : نحيف .. عيناه غائرتان هو شيء طبيعي .. طبيعي جدا .. ان الفتى فى عمر الـ ... ثم يبتسم السيد قبل ان يختم حديثه بقوله : اوه ... تهم الربيع .

كـان الفتـى يهـرب مـن « كـرستينـا » لانــه يــرى انهــا خشنــة اكثــر من اللازم .. اما الراعى فلم يكن ليهرب منها لانه كان خشنا مثلها ، وكان قد افضى اليها منذ زمن قليـل بشيء ثم احتضنها ، وقد تركته هي يحتضنها ثم قالت له : لا ... ووضعت شيئا من الثمر فى فمهـا .

كان هذا الراعى مختبئا بين زروع مجاورة ، ثم خرج واخذ « كريستينا » من يدها ، وتركا جرة اللبن فى الارض ، ثم حمل هو لها الجرة مسافة طويلـة ، وذهبت بعد الى المنزل مسرورة جدا تتواثب كالغزال ، ولكن عندما وصلت المنزل احست بقشعريرة فى ظهرها وبقيت منهمكة فى تفكير ، فقد خيل اليها ان كل العيون تلحظها بنظرات فيها ظنة .. امر السيد بان يسرج له فرسه وذهب الى المدينة ، وكان على السيـدة ان تضاعف حراستها للخدم ، لان زوجها لم يعد بجوارها لكي يساعدها على رعاية النظام ، ولان اولئك الخادمات لسن شيئا آخر اكثر من طائشات ، ولان العمـال فى كثير من الاحيان يعوزهم الحياء .. ولكن «كريستينا» قد احبت ان تخرج فى المساء لتشم روائح الزهر مـع الاخر ... مع الحطاب الذي يخرج مرتديا ابهى ثيابه ، وكانت تعتمد على كتفه وهي تسير نحو البناء المرتفع ذى القبة لكي تتأمل القمر ...

اما « مارجاريتا » فستبقى نائمة اذ من المعروف ان السيد ليس موجودا ، ولكن عندما يعود من المدينة سيحضر لها قطعة من القماش نقشت عليها ورودحمراء لكي تصنع منها ثوبا ، وقد قدم لها من قبل مثل ذلك..

واما «اسبرانزا» .. فهي تخرج دائما مستخفية عندما تبدأ الصراصير فى غنائها الذى يظل متتابعا رتيبا طول الليل ، حتى ان الشخص الذى تعود سماعه يبدو له انه لا يسمع شيئا وانه صدى لهدوء الليل ..

وصل الطبيب فربط فرسه من لجامه فى شجرة من تلك الاشجار الضخمة المحيطة بالمنزل ، واتجه يمينا نحو المنزل ثم جعل يعد .. واحد .. اثنان .. ثلاثـة اربعة . ولما كان الليل حالك السواد فانه قد اخطأ ودق باصابعه دقات خفيفة على زجاج النافذة ، وجعل ينادي بصوت خافت .. « ماريا » .. ماريا .. ولـم يكن فى حاجة الى ان يرفع صوته لانها هى جيدة السمع، ولقد تعجبت السيدة لسماع صوت يناديها من خلف النافذة ، ففتحت الزجاج واذا برجل يتسلق عليهـا النافذة وينزل عندها فى الحجرة ، ثم يقول لها : «انظرى .. كيف ان هذا هو افضل مكان .. » ولكن السيدة لم تقل شيئا ، لانها ارادت ان تعرف نهاية الشوط الذي سينتهى اليه الطبيب ، ولو انها استنكرت بحواسهـا الخمس ذلك الموقف ، ولم تكن بحاجة الى اكثر ... ومع ذلك فقد عرفت بغريزة المراة كل شيء ... ولكن شيطان البدن ...

ثم قالت فى فزع : ما هذا ؟ .. لا .. ليس مـن الممكن ... فقد ارادت ان تعرف الى اى حد سيتصل بالطبيب جراته ...

تقدير ، ولم تكن هذه لتعيرهما اي اهتمام ، ولم يكن ينام فى الحجرات التي فوق الحظيره غير الرجال وبعض النساء العجائز ممن لايخشى من بقائهن خطر.. وكانت سيده الدار تهتم بالجانب الخلفي كثيرا كسيده قد ودعت الشباب . ولم يكن لها على عمال المزرعة سلطان ، ولو انه كان يسرها ان براهم تحت امرتها ، فكانت تقول : آه .. لو كان هؤلاء الجبناء خاضعين لسلطاني .. وكانت اذا اخذت على احدهم شيئا ابلغته لزوجها ، ولكن كانت تصيب قليلا من النجاح فى ذلك بوجه عام .

اما زوجها الشيخ — وقد كان طائشا ايام شبابه — فقد كان يقول دائما فى شيء من الجدية والموافقة بالرغم من ان العيد قد انتهى « اوه .. تهم الربيع » ثم يدق الارض بعصاه دقات خفيفة : كما لو كان مسعولا ، او ينقر باصابع يديه على جانبي المقعد الذي يجلس عليه فى حركة شبه موسيقية ، وبتلك الاصابع القوية ، اصابع فلاح ، حيث كان يحمل خاتم الزواج ، وخاتما آخر ضخما من الحديد ، كان من اسباب شهرته أيام شبابه ، فقد استطاع بوساطته ان يحطم اضراس ابن عمه « جييرمو » فى لطمه وجهها اليه ، وكان كثيرا ما يروي هذا ثم يخرج ليدور دوره حول تلك الاشجار الضخمة المحيطة بالدار فاذا مر باحدى الفتيات حياها مبتسما .

وقد صاح ذات يوم مناديا « كرستينا » التي وجدها فى ذلك الطريق الفرعى المؤدى الى البناء المرتفع ذى القبة، وجعل يتكلم معها ، والله وحده يعلم ماذا قال لها ، غير ان احدى وصيفتي السيده وتدعى « مارجاريتا » قد ضحكت من « كرستينا » عندما قصت عليها هذه ما دار بينها وبين السيد من حديث ، ولكن فى اليوم التالى وقد كان الجو معتدلا خرجت « كرستينا » وحدها ومن غير ان تقول شيئا لاحد ، وجعلت تسير فى الحقل ، ثم توجت رأسها ببعض الازهار البيضاء والصفراء وثبتت فوق صدرها غصنا صغيرا من النبات ... وكان السيد قد خرج يتمشى فلما ابصرته « مارجاريتا » حيته بتحية الصباح ، فتوقف فى منتصف الطريق ورد عليها تحيتها ، وبقيا صامتين ... ثم سألها السيد عما اذا كانت لاتحس بالبرد وهى تسير فى ثياب خفيفة ؟ وفى المساء كانت « مارجاريتا » تضحك وهي تقص ما وقع لها على الوصيفه الاخرى السيدة والمسماة « اسبيرانثا » .

اما « كرستينا » فقد كانت تتقلب فى فراشها ، ولما لم يداعب النوم جفونها فقد نهضت من فراشها قلقة ثم لبست حذاءها وخرجت نحو الحقل ، ولم يكن الجو باردا ولذا فقد اكتفت بان تلبس « بلوزا » فوق القميص فقط ، وكانت تحاكي غناء بعض الطيور وهي تسير ، ولم تمض خمس دقائق حتى كانت مأخوذة من يدها صاعدة نحو البناء المرتفع ذي القبة ، وهنالك طوق وسطها بيده .. فقالت : ان الرجال يخيفونني.. انني اليوم عجيبة ، ولم يجبها هو ... وعند رجوعها الى المنزل خلعت حذاءها وهى صاعدة نحو غرفتها حتى لاتحدث صوتا ، وبالرغم من ان المساء كان معتدلا ، الا انها احست بالبرد لخفة الثياب التي ترتديها ..

— 2 —

تجمعت الطيور فعمرت اغصان الشجر ثم اخذت تغرد ، كانما ودت ان توقظ النهار بتغريدها ، وخرج الحطابون نحو الغابة ، هذا يحمل فأسه على كتفه ، وذان يحملان فيما بينهما منشارا كبيرا ، او يضعانه فوق عربة يجرها ثور ، ياخذون طريقهم بين حقول الفول والبطاطا ....

هبطت « كرستينا » حاملة فوق خاصرتها جرة كسره ، وسارت فى الطريق الفرعي المؤدى الى الطريق العام ... انها ذاهبة لحلب الماشية فرحة مبتهجة ، ولم تكن لتنظر تجاه الاشجار الملتفة حول الدار حيث الطيور تغرد فى اغصانها ، وحيث الزروع النامية حول مصادر الماء ، ثم وصلت الى حظيره الماشية وبدأت تحلب بقراتها وهى جالسة على مقعد خشبي ذى ثلاثه أرجل كان قد صنعه لها ذلك الاجنبى الذى رحل على الا يعود . ولم تكن لا « مارجاريتا » ولا « اسبيرانثا » قد نهضتا بعد من نومهما ، اذ ان سيدتهما لم تكن من عادتها ان تبكر ، اما السيد فانه سيستيقظ مبكرا ، ويرى متنقلا من مكان الى آخر بين العمال ببطنه الكبير وحزامه الجلدى ، ومع ان عمره قد جاوز الستين ، الا انه كفلاح كان نظيفا ، لحيته ممشوطة دائما بعناية ، ويداه مغسولتان كل صباح .

اما ابنة السيد فلم تكن كذلك لتبكر شأنها شأن أمها ، وقد كانت فارعة سمينة حمراء مثل امها كذلك ، وتحمل نفس الاسم الذي تحمله امها ، وهى تقل عن امها باربعين عاما ، وفرق ما بينها وبين امها فى السن قد جعل عاداتها تخالف عادات امها ، عمر الفتاة اثنان

« مارجاريتا » واتهمتها بالتآمر ضد سعادة المنزل ، ففالت لها « مارجاريتا » بغير اكتراث : حسن .. قولي ما تشائين فانا لن اعير قولك هذا اهتماما ، وامام هذا طردتها السيدة والقت بها الى الطريق ، فذهبت لكي تعيش هناك ... فى الضيعة التي تقع بعيدا عن المنزل ـ والتي يملكها السيد ـ ولكن السيد عندما اطمانت له الامور لم يتركها بل نقلها الى تلك الدار الخلوية الصغيرة الواقعة فى الجانب الاخر من الوادي ، واصبح من الملائم التفكير فى اصلاح تلك الدار والعناية بحديقتها ، كما اصبح السيد يتردد عليها .. وهكذا يستطيع ان يراقب ابنه جيدا ...

اما ابنته فقد اصبحت تعاني ازمات عصبية متوالية ، وقد نصح لها الطبيب ان تغير الجو ، وان تذهب مثلا الى الدار الخلوية الصغيرة حيث تستشفي وحيث تستطيع ان تعنى بابيها الشيخ .. وهكذا جعل الطبيب يزورها بصفة مستمرة ، اما الازمات العصبية التي كانت تنتابها ...

— 4 —

مر الزمن وانقضت ايام الربيع ، واقبلت ايام الشتاء التي تجلب رعشة الابدان وانكماشها وماتت السيدة ، وحملت لتدفن فى المقبرة المجاورة للكنيسة ، وان مطرا لم ير مثله قد هطل بغزارة فبلل المشيعين .

اطوار الشعر العربي

« اذا احدث الشعر العربي كله فعرضت تاريخه كما تعرض تاريخ الكائن الحي وجدته قد تطور فى موضوعه بتطور الامة العربية . وقطع معها مراحل الحياة الانسانية ، فهو فى الجاهلية انغام صبا ، وحماسة فتوة ، وعواطف اثرة ، وفى الاسلام اناشيد جهاد ، وثورات عصبية ، واطماع حياة . ثم استحار شبابه ، واكتمل فى صدر الدولة العباسية ، فظهر فى شعر بشار وابي نواس واضرابهما عبث شباب ، واغاني طرب ، ومظاهر ترف ، ثم عض على نواجد الحلم ، واكتهل فى اوساطها فبدا فى شعر بن الرومي وابي تمام والمتنبي وامثالهم دروس تجربة ، ونتائج حكمة ، وخواطر فلسفة ، ثم ادركه الهرم فى اواخرها فظهر فى شعر المتاخرين تمويه الصنعة ، وخرف شيخوخة ، ومعالجة روح . اما ولادته وطفولته فلم يدركهما التاريخ ولم يدخلا فى علمه » .

الاستاذ حسن الزيات

وفى الحجره المجاورة كانت الفتاة ــ ابنتها ــ ترتعد فى قميصها مع ان راسها يستنكر خوفها المصطنع ثم قالت لنفسها : لم يستطع ان ياتي الى هنا . . .

ولقد ادرك الطبيب حينا انه قد اخطأ الهدف فقال للسيدة : لا ادري كيف استطعت ان ابقى هنا وقتا اكثر مما ينبغي من غير ان احسب لذلك حسابا . . فى الحقيقه هو واجب يمليه الضمير ، لقد قلت : اين ساستطيع ان ارى « ماريا » لكي اخبرها؟ وحينا فكرت . . فى حجرتها ، فقالت له السيدة : ومن اجل ذلك قلت لي عند دخولك : « الا ترين كيف ان هذا هو افضل مكان ؟ » فقال : نعم ، كما قلت لك فى الحقيقة انه واجب . . زوجك . . فقالت زوجي ؟ قال : نعم زوجك . فقالت : ماذا ؟ فاخترع الطبيب خرافة واتهم « كريستينا » . . . وقال : انا رأيتهما ، قال ذلك عندما راى نفسه محرجا ، ثم خرج من النافذة ايضا .

وبحث جيدا هذه المرة ثم دق باصابعه على النافذة الاخرى ، وكان قلقا نوعا ما . . اما فرسه فلكثره ما نازع اللجام المربوط به فى الشجرة ، قطع ذلك اللجام وانطلق الفرس كالشعاع وصادف ان كان السيد عائدا من المدينه ممتطيا فرسه فذعر الفرس ووثب فسقط السيد على جانب الطريق ، فقال وهو مطروح على الارض : « اوه . . . نهم الربيع » .

اما « كريستينا » فقد خرجت مع الحطاب وهو ممسك بيدها وهى تتامل القمر فى طريقها الى البناء المربع ذي القبة ، وهنالك استنشقت روائح الازهار العطره . .

كما خرجت « مارجاريتا » كذلك لتتجول امام الحظيره ، مصعدة هابطة زهاء عشرة دقائق ثم قالت لبائع الخبز لقد تاخرت عن موعدك ، وفى مثل هذه الساعات البارده من الليل تصيبنى الزكام .

طلب الحطاب مقابلة السيدة وقال لها : ان الذي يجب ان يخرج من المنزل ليس « كريستينا » وانما انا ، ورجاها ان تغفر له ، ولكن « كريستينا » كانت قد جمعت ثيابها بعد ان سكبت بحرا من الدمع ، وخرجت فسلكت الطريق الفرعى المؤدى الى الطريق العام . .

جلس السيد منقبضا وقد افهمته ابنته ما وقع ، ثم دخلت السيدة وجلست على طرف الفراش مبتسمة وقالت : ان صديقة السيد قد طردت الى الطريق ــ وكانت توجه الحديث لزوجها ــ فقطب السيد ما بين عينيه ، ثم نظر الى الحقيبة التي احضر فيها الثوب الاحمر لمارجاريتا وفكر . . كيف يصير هذا ممكنا وقد رآها منذ عشر دقائق تمر، فعادت السيدة تقول ــ وهي ما زالت مبتسمة ــ : انني عرفت ان الحطاب قد جعلك اكثر اطمئنانا فقال : من قال لك هذا ؟ فقالت : هو نفسه ، لقد كان معي منذ قليل ، ولكن . . لا . . لا اقول ذلك . . اقول اسم الاخرى . . فقد كان الطبيب مساء فى حجرتي . . وكانت ابنتها داخلة تحمل طعام الافطار لابيها ، فاضطربت لسماع كلمة « الطبيب » وسقط الطعام من يدها ، وقالت : ان نوبة عصبيه قد اصابتها ، وكان عليهم ان ينادوا الطبيب، ولكن السيد لم يحب ان يراه ، وقال لزوجته : لقد خدعك الطبيب ببساطة . ليست « كريستينا » انها اخرى ، فابحثي عنها ان شئت . . . وازاء هذا ارادت السيده ايضا ان تعيد النظر فيما قال الطبيب ، ولو انها فى اعماقها كانت تثق فيما قال ، ولكن ارادت ان تطمئن نفسها ، ولما كان الطبيب بالنسبه اليها موضع ثقة ، فقد اختلت بابنتها واستطاعت ان تزيل عنها النوبه بطريقة اصيلة تعرفها النساء

وصل الراعى يحمل غطاء راسه فى يده ، وتقدم الى الموضع الذي فيه السيدة ، وقد سعل قليلا ثم قال : ان « كريستينا » بريئة يا سيدتى ، واقسم لك على ذلك . . وكانت السيدة قد تغيرت فكرتها ، فامرت بالبحث عن « كريستينا » وقد اصبح المتهم الوحيد فى نظرها الان هو زوجها ، اما اخطاء الاخرين فلم تعد تهمها .

رجعت « كريستينا » فرحه مبتهجة ، وقبلت اقدام سيدتها ، ثم أمرت السيدة بنداء « اسبرانثا » وقالت لها : حسن يا « اسبيرانثا » لكى نتعرف على شيء من السر ــ . . . لقد قررت العفو ولكن عليك ان تقولي لماذا السيد . . ؟ فانخرطت « اسبيرانثا » فى البكاء وقالت : آه يا سيدتى . . ابنك . . فقالت السيدة : كيف ابني . . ؟ فقالت « اسبيرانثا » : لقد امر به ان يرسل الى مدرسة داخلية ولكن فى الطريق قد انقذ من ذلك طبقا لاوامر والده ، وابعد الى تلك الدار الخلوية الصغيرة الواقعة فى الجانب الاخر من الوادى ، ولما كانت السيدة قد ابعدت « اسبيرانثا » فقد عهد السيد الى هذه ان تعني بشؤون ابنه . . . وحينئذ امرت السيدة باحضار

لايريد ان يظل في القطر الطامع فيه اية مظاهر للقومية . وبالتالي فان مخططاته تشمل ايضا تشويه الثقافة الوطنية له ، وتزييف تاريخه وتمييع عاداته الوطنية والشعبية التقليدية التي تشكل الاساس الاخلاقي للسكان .

ولقد اضيف الى تلك الاسلحة الايدلوجية ، الفن السينمائي ، لانه يستطيع في آن واحد وبمجهودات اقل ، التبشير بدعاية معينة في رقعة واسعة من العالم .

السينما الاستعمارية هي الآن سلاح مهم في ايدي اعداء الشعوب ، وتتركز بؤرتها في اضخم عاصمة سينمائية ، وهي هوليود .

والانسان لا يرمي هذه التهم جزافا . كما انه لا ينكر على هوليود تاريخها المجيد في تطوير وتحسين الصناعة السينمائية . ولا ننسى انتاجها السابق الذي بهر العالم ، لكن هوليود الآن فقدت — للاسف — تقاليدها الانسانية الجدية . بعد ان فرض رجال المال سيطرتهم على ارباب الفن . وبعد ان طمعت فيها رؤوس الاموال الضخمة والاحتكارات الكبيرة ولا سيما الصهيونية ، لتخضعها لاهوائها وتجعلها مركزا دعائيا لمصالحها ، وهكذا . . . تصبح هوليود المرحة المشرفة . من الدوائر الرسمية المعقدة التي عليها ان تخدم سياسة الامتيازات التي توجه الدولة والراغبة في تحقيق توسع استعماري جديد بعيد المدى في العالم .

فمن هوليود تظهر الى الدول الفتية والشعوب . افلام تنفث دعاية معادية للكفاح التحرري والازدهار الوطني والسلام والتعايش الاخوي ، والشعوب العربية والافريقية على الخصوص تخصص من اجلها انتاج معين لمحاربة طموحها في اتمام استقلالها .

ان الاوساط الصهيونية في امريكا قبل احتلالها لهوليود واخضاعها بصورة نهائية ، مهدت لذلك بحملة تطهير تناولت جميع العناصر المؤمنة برسالة الفن وانسانيته ، فدبرت للفنانين الاحرار محاكمات بتهم مختلفة ، وتزعم الحملة (مكارثي) رئيس مكتب الاستخبارات ، الى ان تم تجريد هوليود الجميلة من طابعها الديموقراطي في الفن ، وطرد منها من جملة المطرودين الفنان الانساني الفذ شارلي شابلن ، لاصراره على اتباع اسلوبه التقدمي الهادف في الفن السينمائي .

وان كانت قد بقيت هناك الآن رواسب قليلة للاتجاه الانساني فقد قيد الى ابعد حدود التقييد وابعد تماما عن معالجة جذور القضايا البشرية والمآسي الاجتماعية .

ولا شك ان الاوساط (المائعة) في اقطار استعمارية اخرى ، تلجأ بدورها الى انتاج افلام ذات اهداف غير شريفة . لكن الامر في هوليود يختلف ، لانها زعيمة الصناعة السينمائية في العالم الراسمالي ، ولانها تتوفر على امكانات هائلة . ولا يمكن التحدث عن تفاصيل وجزئيات الاساليب التي تمارسها افلامها للتبشير بدعايتها ، انما يمكن القول ان الحملة السينمائية الاستعمارية اصبحت منظمة بدقة متناهية ويشرف عليها خبراء مختصون في سائر الفروع النفسية والاجتماعية والتاريخية ، وسنعرض فيما يلي ملخصا لهذا التنظيم ، ونصنف الافلام الاستعمارية حسب المشاكل التي تتناولها والمواضيع التي تعالجها :

1) **ضد الحركات التحررية للشعوب :** غاية الافلام التي تعرض الى الحركات التحررية للشعوب هو تشويه طموحها الوطني ولا سيما الحركات المنتشرة الآن في افريقيا وامريكا اللاتينية وبلدان آسيا التي لم تتحرر بعد .

ان اكثر الافلام التي تعرضت الى الثورات الافريقية ، صورت الثوار الوطنيين على انهم مجموعة لصوص حفاة ، متوحشون هدفهم السرقة وسفك الدم ، مع التجاهل الكامل للاستغلال الاستعماري المسلط عليهم . والنماذج الاستعمارية تزعم انها عناصر متمدنة سامية راقية متفوقة ، كما يتم انتاج افلام توحي للافارقة بانه لا غنى لهم عن مساعدة (الابيض) الذكي لهم ، ان هوليود تخرج في الكونغو الآن وبناحية كاطانكا . فيلما للتشهير بالحكومة الشرعية والدعاية للخونة الانفصاليين ومناورات هيئة الامم ، وكان قد انتج فيلم عن كوبا صور وطنييها كلصوص افاقين هدفهم العنف الوحشي المجرد ، والاعتداء على النساء ، اما ارهاب (باتيستا) فلا تذكر بطبيعة الحال (ويضرب عليه بسكتة)

2) **التبشير بالغزو الصليبي :** لقد خصص نوع من الافلام هدفه اقناع المواطنين الاوربيين والامريكيين البسطاء ، بانه من حقهم كمتمدنين .. تعمير الكرة

عندما تكون السينما أداة في يد الاستعمار

للاستاذ ب . ك

لقد بدا اكتشاف السينما في بداية الامة كما يتم اللعب ، وكانت التجارب الاولى مسلية . ولم يتنبه الرواد الاوائل الذين سعوا بتحريك الصور الى انهم قد وضعوا بداية فن سيكون له تأثير كبير على الحياة الانسانية وسيصبح في تطوراته من الضرورات الثقافية اليومية للشعوب .

وهكذا .. فاللعب السينمائي الاول اصبح اليوم صناعة ضخمة قائمة بذاتها ، والسينما دخلت حاليا في المقومات التي تتكون منها الحضارة من ادب وعلوم وشعر وفلسفة واقتصاد وتاريخ وسياسة ، بل انها اصبحت بمثابة تلخيص مرئي لهذه المقومات . تنعكس فيها

وفي السينما بحكم خصائصها الحديثة نجد الصناعة العلمية وفنون الادب والموسيقى والتصوير والزخرفة والديكور والضوء والصوت ونجد التاريخ والسياسة والاقتصاد .

وهي زيادة على هذا سعت الى اتجاهات مختلفة ، اسوة بغيرها من الفنون فهناك الاتجاه الكلاسيكي للسينما وهناك الحديث وهناك التقدمي وهناك الرجعي ، كما انها اندمجت في الثقافة الشعبية في الاقطار التي اولت لها اهتماما وطنيا خاصا كما هو الامر مثلا في البلدان الاشتراكية .

ان السينما بدات كامتداد للمسرح . لهذا سيطرت عليها العقلية المسرحية الى حقبة طويلة من الزمن ، لكن بفضل المجهودات الثورية لبعض السينمائيين استقلت تدريجيا بذاتها ، واصبحت تتوفر على اسس وقوانين خاصة . وبعد ان كان الحوار المسرحي هو الغالب عليها . اصبحت الحركة هي الركيزة الاولى لها .

ان السينما اليوم اجتازت مراحل التسلية البحتة واصبحت اداة ثقافية من الطراز الرفيع لها امكانيات هائلة للتثقيف الجماعي للجماهير . ان الفيلم الواحد في ساعة واحدة يمكن ان يعرض في جميع انحاء العالم على ملايين من المتفرجين . لكن ، هل تسير الصناعة السينمائية بامكانياتها الضخمة حاليا في مجموع انتاجها العالمي في الطريق الذي يجب ان تسير عليه ؟

ان مشاهدة افلام اسبوع واحد في مدينة كالدار البيضاء مثلا ، تشعر الانسان ان الصناعة السينمائية – للاسف في بعض الاقطار المنتجة لها – بعيدة كل البعد عن رسالتها الحضارية ، وانها تستخدم في تلك الاقطار لاغراض غير شريفة ، لاغراض تشويه الواقع البشري وتزييف الحياة الانسانية ونشر مفاهيم مخربة للقيم السليمة .

ونحن لن نعرض هنا الآن للجانب الشريف للسينما ، ولن نذكر سائر الاتجاهات غير الشريفة ، وانما سنتناول اتجاها واحدا ، هو بحق اخطر الاتجاهات غير النظيفة في الوقت الراهن ونعني به الاتجاه الاستعماري .

من المعلوم ان الاستعمار ، عندما يريد السيطرة على قطر ، يستخدم – بغض النظر عن قواه العسكرية – رأسماله لضرب اقتصاديات هذا القطر ، وخبراءه لتخطيط سياسة استغلالية مناسبة لمصالحه ، انه

الفاشيستية ، فقد تعرض مثلا مشاكل الجماهير المضطهدة المحرومه من الديموقراطية ، تعرض بواقعية وصدق ، لكن باله من صدق كاذب . . عندما بنتهي الى حلول مفرضة ، ان الحلول الثورية للمشاكل الوطنية شخص ببطل متفوق (سوبرمان) يقلب الاوضاع بعبقريته الخاصة وقوته الخارقة ، اما دور الجماهير ودور العمل الديموقراطي الجماعي فيلغى تماما ، ان الذى ستقصد من ذلك هم بلا ريب الطغاة الذين يحكمون شعوبهم بالحديد والنار . ان الفكرة التي ينشر بها هذه الافلام هي تعزيز القدرات الفردية للحكام وتقديسها وابعاد الشعوب عن التفكير او اللجوء الى امكانياتها الجماعية عندما تحاول تغيير الاوضاع الفاسدة . ان القائد الدون جوان الخفيف الحركة ، هو المؤهل فى زعم هذه الافلام الى حلول الاحداث التاريخية. والى جانب ذلك تنتج افلام تعمد الى تشويه رخيص لكل نشاط ثوري جماهيري ووضع حركات المقاومة فى مقام العصابات التي تاكل الحقد قلبها .

6) تجريد المعاملات الشخصية من انسانيتها :
هناك افلام الاثارات التي تعاظم بشكل خطير ، وفيها نرى ان سلاح المراة الرئيسي هو انوثتها السطحية . وسلاح الرجل هو قواه العضلية العمياء وامكانيات الفتك وسحق الآخرين . فليس من المعاملات اليومية للفيلم المشاهد انه وسيلة للتفاهم الانساني بين الاشخاص . واذا ذكرت فانها تذكر كملحق ثانوي . وعلى هذا الاساس يجب ان يقتنع بان الافاق المجرم كائن محترم . والمراة الحيوان كائن عصرى . ان الذى يتضرر من هذه الافلام بالدرجة الاولى هي الشعوب الفتية التي مازالت طباع افرادها الاجتماعية مرتبكة وغير مستقرة نتيجة للعزلة الحضارية التي فرضها عليهم الاستعمار والتاخر الناتج عنه . بحيث يسم افقاهم بالاحتفاظ باخلاق التاخر وفهم المدنية على انها مجموعة مظاهر قشرية تحتط بهذه الاخلاق .

لاننا نشاهد فى هذه الافلام . القتل والهمجية والغدر واللؤم ، فى السيارات العصرية وناطحات السحاب وانفاق المترو والطائرات والصواريخ . فياله من تناقض صارخ .

ولعل الغرض الحيوى من هذه الافلام ، هو ترسيه نماذج بشرية مثل تشومبي وموبوتو فى الكونغو التى قتلت الرئيس لومومبا وذبحت المواطنين المخلصين وهي ترتدي ملابس القرن العشرين . ومثل المرتزقة والعصابات الفرنسية التي تخوض عمار مجزرة الجزائر ضد شعبها الآمن ، ان الاستعمار فى سبيل اغراضه تزيف لبس اخلاق الشعوب الفتية فحسب ولكن اخلاق مواطنيه ايضا .

7) تحطيم الثقة بالاخلاق القومية : لكل شعب عادات قومية مرتبطة بتاريخه وكيانه الاخلاقي ، وهي لا علاقة لها بعادات التأخر والجهل . هذه العادات القومية تدفعه للدفاع عن كرامته وتراثه وارضه وامجاده ، ان بقاءها وتطورها ضمان لمتين الروابط الشعورية بين المواطن وبلاده وشعبه . اما انهيارها فمن شانه ان تميع مواقف الانسان الوطنية وتسمها باللامبالاة ومن ثم بالخيانة .

لذلك فهنالك صنف من الافلام السينمائية غرضها توجيه الافراد الى احتقار عاداتهم القومية وهجرها . فهي تهزا منها وتضعها فى قالب هزلي يثير الضحك . وتعرضها على المتفرجين كما لو كانت عادات رجعية وذلك تخلطها خلطا متعمدا باخلاق الجهل . وهناك افلام تتم هذه . حيث تصور لنا الجواسيس والخونة الذين يتآمرون مع الاجنبي ضد شعوبهم على انهم ابطال تخلدهم التاريخ وتمجد لهم النساء السفراوات . بل كثيرا ما نرى بدهشة واشمئزاز بالغ كيف توصف الخائن الذى تنكر لكفاح وطنه من اجل ارضاء جاسوسة اجنبية . بالرجولة والذكاء .

هذه الحلقات من الافلام من جهة تهيء الفرد نفسيا للدوس على تقاليده القومية واحتقار بلاده . ومن ثم ترسم له طريق الخيانة محفوفا بأقواس النصر . واذكر من هذه الافلام واحدا ، تعرض لتقاليد الشعب الياباني الاصيلة ومسخها وهزأ منها بصورة فظيعة ، بينما من جانب آخر كان هناك تمجيد واضح للتقاليد الامريكية التي يراد لها ان تحل محل التقاليد الوطنية اليابانية .

8) تمجيد الامبراطوريات والسياسة التوسعية :
للافلام التاريخية ايضا اتجاه آخر لتزييف التاريخ ، هو الذى نراه يهتم بتمجيد الامبراطوريات الرومانية القديمة بعظمتها العسكرية (وفخامة) سيادتها على العالم وترفع قوادها العسكريين ، ان الهدف من هذه الافلام تجديد الاحترام للامبراطوريات الاستعمارية

الارضية والحلول محل شعوب الاقطار المحتلة . لان هذه الشعوب بتخلفها لانستحق الحياة ويجب ان تفسح المجال للشعوب المتمدنه المتفوقة .. كذا .. وفي هذا الاطار يلعب الصهيونيون دورا كبيرا في تحضير افلام تبرر الاحتلال الصهيوني لفلسطين وتشريد شعبهــا .

وقد تم فعلا انتاج العديد منها عرضت في العواصم الاوربية والمدن الامريكية ، واضافة الى ذلك . فهناك الحاح متعمد لغمر الاسواق السينمائية بافلام من نوع الهجرة الى ارض المعاد التي هيأها القدر للجماعات النشيطة وافلام الهنود الحمر على الخصوص تلعب دورا اقناعيا لدعم هذه الفكرة حيث يتم تلقين المتفرجين بان نشر الحضارة الحديثة في القارة الامريكية كان يقتضي تقتيل سكانها الاصليين ، وانهاءهم عن آخرهم ؛ ودفاع هؤلاء السكان عن ارضهم يصور وكأنه اعتداء على المدنية والمتمدنين ومتى اقتنع المتفرج الاجنبي البسيط بالضرورة التي اقتضت افناء الهنود الحمر ، فانه سيقتنع بالتالي بضرورة تشريد لاجئي فلسطين والغزوات الصليبية الجديدة في الجزائر وانجولا وجنوب افريقيا .

3) تزييف التاريخ القومي للشعوب : ان انتاج الافلام التاريخية اصبح يوازي من حيث العدد افلام رعاة البقر ، مع انها افلام لا علاقة لها بالحقائق العلمية الدقيقة للتاريخ وانما تحتوي على مظهر تاريخي ومضمون خرافي خيالي ، تجعل التاريخ تاريخ اشخاص وسلالات واسر حاكمة وتربط الحوادث التاريخية باهواء محظيات القصور وخليلات الحكام ، اما الجماهير فتظهر كمجموعات خلفية (كومبارس) تبدو باشكال غبية مـزريـة .

وان اخطر هذه الافلام بالنسبة الينا ما يتعرض على الخصوص لتاريخ العرب والحضارات الشرقية مثال ذلك ، فيلم تعرض لحياة صلاح الدين الايوبي ، فجرد هذه الشخصية المجيدة ، من سائر الصفات البطولية التاريخية ، واظهرها (كدوى) يصرخ مثل (طرزان) ويركب الحصان ويخطف النساء (كراعي البقر) ويغازل بوقاحة ، ويحب الاميرة الشقراء الاجنبية التي هي اجمل ، ومفضلة على بنات العرب . وفيلم آخر عن تاريخ مصر القديمة ينسب بناء وتصميم الاهرامات بكل نذالة الى مهندس انكليزي قيل انه كان بين الاسرى ، وفيلم آخر عن موسى صور العبريين كأصل للمدنية في الشرق ومعلمي العرب ورواد النشاط الحضاري القديم في فلسطين .

وفي بلد عربي يتم حاليا تحضير فيلم بريطاني عن حياة الجاسوس البريطاني المشهور (لورنس) ولا ندري ان كانت ستنسب اليه الثورة العربية الكبرى التي قام بها العرب ضد الحكم العثماني .

ان مثل هذه الافلام تهدف الى تجريد الشعوب الشرقية من امجادها التاريخية ومفاخرها التقليدية وتحطيم ثقتها بكفاحها التاريخي ودورها الحضاري القديم ، والايحاء لها بانها شعوب (لقيطة) كانت منذ الازل على هامش الاحداث العظمى .. اما المستعمرون فهم في زعم هذه الافلام رسل المدنية منذ الازل .

4) الدعوة للحروب والتشهير بالسلم : ان افلام الحروب لم تعد تحصى ، وهي تملأ السوق السينمائي بوفرة ، فهل تعالج موضوع الحروب التي افنت الملايين، من زاوية اساسية ، كعمل اجرامي يستهدف القضاء على امن ومستقبل العالم ؟ . ابدا ....

بل تعالجه كضرورة حتمية لتقدم وازدهار البشرية ، وتتبع هذه الافلام اسلوبا رخيصا في اقناع الناس على الخصوص بجمال و (روعة) المغامرات الحربية ، بربطها بشكل مباشر بالمغامرات النسائية التي سيصادفها الجندي في مختلف الاقطار التي سيرسل للقتال غير المشروع فيها .

ان انتاج افلام كهذه يتشابك واهداف تجار الحروب الذين يريدون جر العالم الى مجزرة عالمية جديدة ، واخطر من هذا تبرير التجارب الذرية وتصوير الجريمة التاريخية التي تمت في هيروشيما وناغازاكي حيث احترقت مئات الالوف في لحظات ، على انها عمل وطني دفاعي انقذ العالم .

وفي الوقت الذي تتعاظم فيه حركة الشعوب المطالبة بالسلم والكف عن التجارب الذرية ، تنتشر هذه الافلام لتخريب هذه الحركة وتعطيلها .

5) الدعاية للحكومة الفاشيستية : هذا النوع من الافلام له اسلوب خبيث جدا ، في التبشير بالافكار

الحياة الثقافية في الوطن العربي

في الاسبوع الثاني من ابريل (نيسان) شهدت الرباط اول مؤتمر من نوعه للتعريب فقد اجتمعت في كلية الآداب وفود تمثل معظم اقطار الوطن العربي تلبية لدعوة من المملكة المغربية لمواجهة المشكلات المتعلقة بجعل اللغة العربية لغة قادرة على التعبير الدقيق الشامل عن مختلف نواحي الحياة الحضارية الحديثة كما كانت من قبل الى ان بدرت ارهاصات عصر الانبعاث الاوربي .

ومعظم الاقطار التي استجابت لهذه الدعوة قد واجهت كما واجه المغرب وان على مستويات متفاوتة الوانا من الاحتلال اللغوي ما بين انجليزي وايطالي وفرنسي واسباني بل ان منها من اخذت تواجه اليوم شروبا من التسلل اللغوي الروسي والالماني الخ . ولئن كان الجانب الشرقي من الوطن العربي قد استطاع ان يتخلص من الاحتلال اللغوي وان يحرر لسانه في الميادين الاجتماعية عامة والادارية والتعليمية في اغلب مراحله فان هذا الجانب نفسه ما فتىء يعاني على الاقل من عسر التعبير في الميادين العلمية ذات المستوى الاعلى والمتعلقة بتفاصيل وجزئيات التطور الاختراعي وتقدم الاكتشافات في الشؤون الطبيعية والهندسية والكيماوية وفي الآفاق الفلكية . ثم ان تحرر بعض الاقطار العربية الشرقية من التسرب اللغوي او بالاحرى من الهجنة التعبيرية حتى في ميدان التعامل الاجتماعي ، لا يزال متنوبا ، فما من احد زار الجانب الشرقي من الوطن العربي يستطيع ان ينكر انه لا يزال على الالسنة هناك وخاصة تلك التي تزعم لنفسها او للناس انها في اقصى شوط من اشواط الحضارة سوائب لغوية اكثرها من اصل فرنسي صريح او دخيل . وتلك ظاهرة يستطيع ان يلاحظها حتى الذين لم يتهيأ لهم ان يزوروا اقطار الشرق العربي وانما عرفوا بعضا منها بواسطة الافلام السينمائية وحتى بواسطة الكتب والفصول التي يريد اصحابها ان يخرجوها على انها ذات مستوى ثقافي رفيع ، وليس لنصف ان نزعم وان جدلا ان هذه الظاهرة تشكل انعكاسا للوضع الصحيح للغة العربية من حيث المقدرة التعبيرية ، فالتحيات التي تطيب لبعض ادعياء التمدن ان يتبادلوها فيما بينهم او مع غيرهم بغير اللغة العربية مثلا لها تعابيرها الدقيقة العريقة عراقة العرب في الشعوب البشرية في هذه اللغة ، ومع ذلك فهم يصدفون عن هذه التعابير وينصرفون الى الاستعارة من لغات اخرى وكثيرا ما تعجز السنتهم عن هذه الاستعارة فلا تؤدي الالفاظ المستعارة الا في اطار فاضح من المسخ والتشويه صوتا ونطقا ، ومع ذلك فهم يعزفون عن لغتهم الى اللغة الدخيلة وان كان عزوفهم هذا لا يبرر منهم الا ما كان ينبغي ان يعملوا على ستره من الجهل والادعاء لو كانوا يفقهون .

على حين لا يزال العهد قريبا جدا بالتحرر السياسي والانبعاث القومي في الجانب الغربي من الوطن العربي ومع ذلك نلمس خطوات لا ينكر اهميتها من خلص للانصاف واخلص له يزداد على الايام نشاطا وعزما في سبيل التحرر التعبيري على الاقل من الاحتلال وعزما في سبيل التحرر التعبيري على الاقل من الاحتلال اللغوي . ولئن كان من العسير الادعاء بان هذه الخطوات قد اتخذت طابعا عمليا جديا في بعض الجوانب الحساسة كالجانب الاداري مثلا فانها من غير شك قد احدثت هذا الطابع العملي الجدي في الجانب التعليمي وان على مستويات متفاوتة تفاوتا مصدره ما بين الجمهورية التونسية والمملكة المغربية من تمايز في مدى ما توفر لكل منهما من امكانيات واطارات لها الصلاحية الضرورية للعمل على تطوير التعليم وتعريبه في آن واحد . وليس معنى ذلك اننا نشعر بان الجانب الغربي من الوطن العربي قد بذل كلما كان ينبغي له ان يبذله من جهود في سبيل التحرر ولكننا نعني به ان خمس سنوات من الاستقلال في المغرب وفي تونس لم تذهب هباء ولم تكن حصيلتها في ميدان التحرر باقل من حصيلة بعض مثيلاتها في الاقطار العربية الواقعة الى الجانب الشرقي من الوطن العربي .

على اننا لا نريد ان نبرىء الجانب الغربي من وصمة خزية نلمحها فنأسى لها اسى مريرا ونذكرها فنخجل منها خجلا كاسفا وهذه الوصمة هي ان الشعور الغالب على الاطارات العليا وعلى جانب كبير من عناصر الجيل الصاعد هو ان اللغة العربية لغة تمثل وضعا

بعد ان حتم التاريخ في عصرنا هذا زوالها وانقراضهـا، وحكم عليها بصفة نهائية ، ولان الاستعمار يعتقد ان ما فرض التاريخ زواله يمكن للسينما ان تعيد هيبتـه . والآن سعى الاستعمار فعلا لفرض اشكـال جديـدة للتوسع الامبراطوري ، ان عهدنا عهد دول متحـررة مستقلة تتعايش فيما بينها تعايشا اخويا سلميا ، ولم يعد هناك من مكان لامبراطورية خرافـة عسكريـة او سياسية تحكم العالم .

ان ما ذكرناه ، من هـذه النماذج السينمائيـه ، تتبلور الآن في اتجاه سينمائي استعماري يأخذ في النمو والانتشار ، والافلام التي تتعاطى هذه الدعايات تزينهـا بهالة من الجماليات والمثيرات الشكلية والتقنية (اثـارة الاخراج — الوان طبيعة جذابـة — فخامة العرض — سينما سكوب) وبمهارة خبيثة في اخضاع المواضيـع الى اساليب نفسـة وحيل فكريـة تراود المتفـرج البسيط منطقه وتتغلب عليه وتهزمه ، بحيث يتقبـل الفيلم الذي ينفع سما ، بحماس نفسي وتخدير ذهنـي واقتناع تلقائي ، لا سيما اذا ارفقت هـذه المؤثـرات بمظاهر الاثاره الجنسـة النسائية ، فيحب المتفـرج العلاقة الصريحه بين بطل الفيلم الرجل ، وبطلة الفيلم الانثى ، ومن خلال ذلك يحب الدعاية التي توصي بها ؛ لقد انتبهت الى اخطار السينما الاستعماريـة عـدة جماعات متحررة في الحقل السينمائـي ، فهبت تحارب سمومها بانتاج افلام تحترم الصدق والواقع والشرف، لكن رؤوس الاموال التي سيطرت على هوليود قـررت — كما يظهر — القضاء على اية نزعة سينمائية انسانية في اي قطر يمكن ان تتسلسل اليه ، واخضاع الصناعة السينمائية في العالم الى ادارة وتوجيـه هوليـود والامتيازات المالية المتحكمة فيهـا ، وان البحث عـن الربح الفاحش لمـن جملة اغراض هذا التوسع .

ان شركات السينما الضخمة في هوليود تفتـح لنفسها فروعا في العواصم الدولية وتتدخـل لتشـارك الشركات الوطنية الناشئة في الاقطار الراسمالية ومن ثم تمتعها بضخامة راسمالها ، والسينما العربية نفسها مهددة بمثل هذه الاخطـار .

اننا نرى الآن افلاما ايطالية او يابانية او فرنسية او المانية من حيث المظهر لكن باتجاه فرضته عليهـا هوليود وشركاتها ، وهكذا فكمـا يسعـى الاقتصـاد الاستعماري في امريكـا للسيطرة علـى اقتصاديـات الشعوب ، سعى الفيلم الامريكي في هوليود كذلك الى السيطرة على الصناعة السينمائية الوطنية للبلدان .

ان محاربة اتجاه كهذا في الدول التي تتوفر على صناعة سينمائية ، يجب ان تتم في اطـار السياسـة الوطنية للتحرر من التبعة الاجنبية وسيطرة رؤوس الاموال الاجنبية التي لها الآن جانب سينمائي ، ثـم تعاظم حركة نقد سينمائي تفضح باستمرار هذا الاتجاه الاستعماري ، ويحمي السينما الوطنية منـه وتنبـه المواطنين الى اخطاره .

اما في الدول الفتية التي لا تتوفر على نهضـة سينمائية وانما تعتبر كسوق مستهلك للافلام الاجنبية، فيجب تكوين رقابة صارمه واعية على الافلام وتشجيع نهضة متينة في النقد السينمائي ، وادراج محاربة الافلام المسمومة في اطار حماية الثقافة الوطنية من التأثيرات الاستعماريه .

ان جهازا رقابيا متينا لن تقل اهمية عن الدفاع العسكري ، لان التهجم الاستعماري المتمثل في السينما اصبح في خطورته بمستوى الاعتداءات النابية ، لا سيما وانه يدخل البلدان بحرية تامـة وتحت ستار الفـن وتجني ارباحا فاحشة بالاضافه الى ذلك تخسرهـا المواطنون لتذهب الى جيوب اعدائهم .

لقد نص المؤتمر الثالث للشعوب الافريقيـه في القاهرة على ضرورة حمايه الثقافة الافريقية القوميـة من التزييف الاستعماري ، ولعل محاربـة منظمـة للسينما الاستعمارية لتأتي في طليعة الاجراءات الواجب اتخاذها في هذا الصدد ، طالما ان الكفـاح الافريقـي والتقاليد الافريقية وتاريخ افريقيا اصبحت مرمى دائما لهذه السينما التي يتزايد خطرها يوما عن يوم .

أنباء ثقافية

✻ ستتولى منشورات « ادونايس » بمدريد طبع كتاب يضم مختارات ادبية وشعرية من مؤلفات السيد محمد الصباغ التي قامت باختيارها وترجمتها الى الاسبانية المستشرقة الاسبانية الدكتورة لبونور مربيث مرتين استاذة العربية وآدابها بجامعة برشلونة وقد سبق لهذه الدار ان اصدرت الترجمة الاسبانية لديوان « همس الجفون » لميخائيل نعيمة التي قامت بترجمته المستشرقة المذكورة بمساعدة محمد الصباغ ومقدمته .

✻ زار المغرب مؤخرا المستشرق التشيكوسلوفاكي الدكتور هيربيك ايفان ، رئيس قسم الشرق العربي وافريقيا بمعهد الدراسات الشرقية التابعة لاكاديمية العلوم ببراغ ، بدعوة من الجامعة المغربية . وقد القى المستشرق المذكور عدة محاضرات في كلية الآداب المغربية .

✻ فاز الطفل المغربي الضرير محمد بن الحاج البالغ من العمر 13 سنة بالجائزة الكبرى كأحسن طفل يعزف على آلة الاكورديون في مباراة باريس لهذه السنة . وقد سبق للفائز ان احرز على نفس الجائزة في السنة الماضية .

✻ كتب الشاعر الاسباني الكبير خوسي ايبر مقالا في مجلة « البريد الادبي » المدريدية ـ عدد فبراير عن المسرح المغربي ، وخصوصا عن الفرقة الوطنية لوزارة التربية التي صادف ان شاهد روايتها « ملاك الدوبرة » عندما كانت تعرض بتطوان .

✻ يصدر الدكتور محمد عزيز الحبابي ديوانه « بؤس ونور » مترجما الى العربية عن دار « عويدات » ببيروت .

✻ صدر للشاعر المغربي كمال الزبدي ديوان شعر باللغة الفرنسية في باريس .

✻ حضر عميد الجامعة المغربية الاستاذ محمد الفاسي اجتماعات المجمع اللغوي العربي السنوية بالقاهرة التي يحضرها الاعضاء من جميع الاقطار العربية للنظر في تقدم اللغة العربية خلال العام المنصرم وما قام به المجمع من وضع وترجمة مصطلحات علمية جديدة ، وما سيقوم به من اعمال في السنة القادمة .

✻ صدر مرسوم في الجريدة الرسمية للدولة المغربية يمنع بموجبه دخول كتاب « اسرائيل » من تأليف دافيد كاتاريفاس الى جميع انحاء المملكة المغربية ، وكذا ترويجه وعرضه للبيع وقراءته . كما صدر في نفس الجريدة مرسوم آخر يمنع بيع مجلة « اسرائيل » في المغرب .

✻ انشىء بالمعهد الوطني للموسيقى والرقص التابع لوزارة التربية الوطنية بالرباط قسم خاص للفتيات اللاتي يرغبن في دراسة الموسيقى والغناء .

✻ مثل المغرب في مؤتمر همبورغ للعلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في برنامج التعليم الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله رئيس مصلحة التعليم العالي والبحث العلمي . وقد عقد هذا المؤتمر بالتعاون مع قسم العلوم الاجتماعية باليونيسكو ، وشارك فيه ممثلو ثلاثة عشر قطرا ، علاوة على المغرب .

✻ عثر الدكتور حسين مؤنس على ديوان ابن دراج القسطالي الذي يعتبر من شعراء الاندلس اللامعين في القرن الرابع الهجري .

✻ القى محمد الفاسي في مؤتمر المجمع اللغوي بالقاهرة بحثا عن « الامثال العامية في المغرب » .

تاريخيا اكثر مما نصلح لان نمثل صبغة قومية قابلة للاستمرار، فقد كان من المستطاع بقليل من الجراة وكثير من الجد ان نقطع حياتنا الادارية في المغرب العربي وفي المملكة المغربية بصفة خاصة شوطا ابعد نحو التعريب الاداري لو ان هذه الوصمة لم تكن مهيمنة على الايدي التي تمسك بالمقاليد فلم تعد اللغة العربية في مثل القصور التعبيري الذي يحاول البعض ان يصمها به في المجالات الادارية على الاقل بعد ان بذل كل من المجمع اللغوى بالاقليم المصري والمجمع العلمي بالاقليم السورى جهودا طويلة الامد بعيدة المدى عظيمة الخطر واسعة المجال في تعريب الكثير من مستحدثات التعابير الادارية والعلمية والتعليمية وغيرها ، ولكن كلا من مركب النقص الذي يشعر به العرب في المغرب العربي امام الاجانب وامام حضارة الدولة المحتلة بصفة خاصة والمحافظة على النوع والدفاع عن المصالح الخاصة اللذين يهيمنان على تصرف بعض العناصر ذات التأثير السياسي جعل التحرير اللغوى اداريا وتعليميا يصطدم بعقبات ليست اللغة العربية بمسؤولة عنها وانما المسؤول عنها هو الوضع النفسي المهيمن على مراكز النفوذ وقد تكون في هذه الكلمة جراة جارحة ولكنها الحق الذي كان ينبغي ان يتمثله المؤتمرون في صدر ما يتمثلون من مشاكل التعريب وهم يتدارسونها في المؤتمر ، وآية ذلك ان وزارة التهذيب الوطني بالمملكة المغربية قد استطاعت وحدها ودون ان يكون لها مجمع خاص بالتعريب ان تضع مشكورة اجزل الشكر قاموسا ضخما لطائفة كبرى من المصطلحات والتعابير للجانب الاداري منها حظ كبير ، وما من شك في ان الكثير من هذه المصطلحات والتعابير قد سبقت الى وضعه او اقتباسه وما من شك في ان الادارة المغربية كانت تحقق شوطا بعيدا في التعريب لو انها اتخذت من هذه المصطلحات والتعابير اداة تعبيرية لحياتها اليومية ، ولكن الواقع هو ان هذا المعجم الضخم لا نظن انه قد اتخذ طريقه حتى الى غير الادارة التي انجزته من مختلف الادارات التابعة لوزارات التهذيب الوطني ، فالامر اذن كما يشهد الواقع العملي ليس امر قصور في اللغة العربية تحتاج الى الاحتشاد والنفير للعمل على تلافيه وانما هو امر حالة نفسية ، قد نحتاج الى مثل هذا الاحتشاد والنفير للعمل على علاجه ، ولسنا ننكر ان باللغة العربية حاجة ماسة الى الوان شتى من التهذيب والتطوير والاقتباس والوضع لتتوفر لها اسباب السهولة واليسر والطواعية التي تقتضيها حياتنا الراهنة ، ولسنا ننكر ان تعدد المجامع اللغوية ان يكن قد افاد في هذا المضمار شيئا فهو انه قد اعد لنا مجموعات من الالفاظ والتعابير لا نزال بحاجة الى ان تتفق عليها هذه المجامع وان تسيغها بعد ذلك اذواق الكتاب والقراء لتصبح صالحة للاستعمال ، ولذلك فنحن نرى في هذا المؤتمر جانبا هاما واحدا على الاقل يمكن ان نعتبره كنتيجة ايجابية عملية له ، وهذا الجانب هو انه اتاح الفرصة لممثلين لمختلف المجامع ثم لممثلين لاقطار ليست لها مجامع لغوية ولكنها تعني منذ حين او اخذت اليوم تعني بهذه الناحية من نواحي تطوير اللغة العربية لان يجتمعوا ويتدارسوا امر تطوير اللغة وتلقيحها ويعرض كل واحد منهم على زملائه ما تهيأ له او لقطره او للجهاز الذي يعمل فيه ان ينجزه او يحاول علاجه ، وما من شك في ان هذا الاجتماع والتدارس والعرض قد حققت مرحلة من التعارف وربما من التآلف ومن يدري فقد تكون ارهاصا بتجمع الجهود واحتشادها في مجمع لغوي عربي واحد يعمل على مستوى قومي ويتمثل في عمله ما يتمثله من المشاكل في نطاق قومي تترامى حدوده ما بين الخليج والمحيط ، غير اننا نود مخلصين صادقين ان يكون مؤتمر التعريب في المغرب العربي بداية لمرحلة اخرى هي مرحلة الاعتبار بما تسنى انجازه لعرب المشرق في مختلف الميادين والاقتداء بهم فيه حتى لانبتدىء من حيث بدأوا ولكي نواصل معهم من حيث انتهوا والتخلص من داء الشعور بالنقص الذي يقعد بنا كعرب عن ان نظهر في حياتنا الحضارية بصفتنا عربا وينحرف بنا لان نستعير فيها صبغات تفضحنا اكثر مما نود ان نزدان بها وان يكون بداية النهاية لعرب المشرق لمرحلة الهجنة التعبيرية في الحياة الاجتماعية حتى يأتي اليوم الذى لاتخدش آذاننا فيه ونحن نعايشهم او نخايل حياتهم على الشاشة تلك الكلمات المستدخلة المحرفة من اللغة الفرنسية او الانجليزية فليس المهم ان نكتب بالعربية او ان ننطق بها وانما المهم اساسا ان نعتز اعمق الاعتزاز واصدقه باننا عرب وان نؤمن اقوى الايمان ونعكس عملنا ايماننا بان اللغة التي استوعبت الحضارات الانسانية الى ان اخترعت الطباعة وشاعت بين الناس قواذف اللهب واسلحة البارود لن تعجز على ان تستوعب حضارة البخار والكهرباء والذرة والصواريخ وعابرات الافلاك وما لم تفعم نفوسنا بهذا الاعتزاز وبهذا الايمان فاننا سنكون في عروبتنا موصومين بالهجنة وان كشف باننا قسا وامرا القيس .

محمد الحاج ناصر

وهم : يوسف السباعي ، ونجيب محفوظ ، وفكـــري اباظه ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، وكامل السناوي، ومحمد زكي عبد القــادر .

* بعد فاضل السباعي مجموعة قصص جديده جدبده للطبع بعنوان « الليله الاخيره » .

* يصدر قريبا ديوان جديد للشاعره جميلـــه العلايلـي بعنــوان « صدى احلامي » .

* قررت لجنه الترجمة والتبادل الثقافي بمجلس الفنون والآداب بالقاهرة اصدار كتاب عباس حضـــر « قصص اعجبتني » فى سلسله الالف كتاب .

* « عمرو بن العاص » عنوان كتاب صدر للاستاذ المقدم محمد تناول فيه بالدراسه حياة القائد العربـي وشرح بالتفصيل حروبه واعماله .

* « حفنات فلت » مجموعـه قصص قصـــيره صدرت فى كتاب لمؤلفها محمود السرقاوى .

* « الكأس الفارغة » ديوان جديد يصدر قريبـا للشاعـــر رشدي برهـــوم .

* « الى العندليب الاسمر » عنوان الديوان الذي اصدره الشاعر جلال مرسي . وقد صـــدر لهـــذا الشاعر من قبل « اضحك مع الدنيا » و « قصص من الجامعــه » .

* المجلس الاعلى للآداب والفنــون بالاقليـــم المصري الف لجنة برئاســه احمـد نجيب هاشــــم لتحضير حفله ذكرى طاغور فى نوفمبـــر عام 1961 . وتضم اللجنه العقاد وطه حسيـــن وبعض اعضـــــاء المجلس . وستصدر ثلاثة مجلدات عن حياه طاغـــور ومختارات من شعره والمقالات التى نشرت عنه .

* يعكف الاستاذ ابراهيم زكي خورشيد علــــى ترجمة الكتاب الذي اصدره سومرست موم عن روائـــع القصص العالمى . عرض موم فى هذا الكتاب قصـــص « الاخوه كارامـــازوف » و « التبـــغ جديريـــد » و « الهوى والكبرياء » وغيرها من اشهر القصص .

* صدر فى القاهره العدد العربي الاول من مجلـــه اليونيسكو العالمة المعروفة باسم « الكوربي » وهـــي مجله مصوره شهريه تصدرها اليونيسكـــو بالانجليزيه والفرنسيه والاسبانية والروسية والالمانية .

* « الكاتب » اسم المجلة الادبية الجديده التـــي صدرت فى اول مارس الماضي بالقاهره .

* فرانسوا ساغان تعد كتابها الجديد عـــــن مذابح الجلادين فى الجزائر بعنوان «ابصق فى وجوههن» وجوه الجلاديـــن .

* انتهى الدكتور ثروت عكاشه وزير الثقافـــــه والارشاد القومي بالقاهره ، من ترجمه كتاب « عيسى ابن الانسان » لجبران خليل جبران الى اللغه العربية.

* نعت صحف القاهره الشاعر المصري الكبيـــر خـــالـــد الجرنوســـي .

* انتخب ثلاثه اعضاء جدد مراسلين فى مجمـــع اللغه العربية بالقاهرة وهم : الدكتور فؤاد صروف ، والاستاذ بطرس زنتون . والاستاذ واصف بارودى .

* اتجاهات التأليف فى الاقليم الجنوبى عام 1960 مستقاه من احصائيه دار الكتب به هى : ادب 530 ، اجتماع 497 . لغات 132 ، علوم طبيعيه 212 ، فنون جميله 63 . تاريخ وجغرافيه 187 . علوم بحتة 186 ، ديـــن 236 . فلسفه 98 ، معارف عامه 494 .

* تواصل بعثه من علماء المانيا الديمقراطيـــــه برئاسه الدكتور هينتزه مدير معهـــد الدراســـــــات المصريه بجامعه هامبولت فى برلين الشرقيه تنقيبهـــا فى اقليم مصورات الصفره فى جمهوريـــه السودان . ومن المنتظر ان تكشف البحوث التي تقوم بها هـــــذه البعثه عن معلومات قيمة عن الامبراطوريه الافريقيـــه القديمه . وما زالت البعثة تواصل اعمالها .

* اعدت الكاتبة السورية سلمى الحفار كتابـــا يضم بحوثا عن اثنى عشرة سيدة عرفهن التاريـــــخ قديما وحديثا واطلقت على كتابها : « نساء منفوفات » .

* ستصدر الكاتبة السورية وداد سكاكينـــي كتابا عن مى زيـــادة .

* ترجم الاستاذ سامي الدروبي الى العربيه روايتين للاديب الجزائري محمد ديب وهما : « الحريق » و « النول » .

* سيزور المفكر اللبناني الاستاذ الكبير ميخائيل نعيمه الجمهوريةالتونسيه فى شهر ابريل من هذه السنه . وسيقوم بالقاء عده محاضرات حول التيارات الادبيه العربيه . وربما سيزور المغرب .

* من بين مواد الاتفاق الثقافي بين ج.ع.م. وتشيكوسلوفاكيا تبادل الروائع الادبيه المختارة والصالحه للترجمه ، والعمل على تشجيع نشرها . وان يدعو كل من البلدين وفدا ثقافيا من ثلاثه اعضاء لزياره البلد الآخر لمده عشره ايام . وقد اقترح ان يكون من بين الاعمال الادبية التي ترجم الى التشيكوسلوفاكيه : مختارات من الشعر العربي الحديث .

* صدر امر حكومي فى الاقليم المصري بقصي بتحويل المقاهي التي تشملها القاهرة ونواحيها الى مراكز ثقافيه ، واقامه مكاتب فيها . ويقدر عدد المقاهى بـ 3000 .

* زار اخيرا القاهره الكاتب الزنجى الامريكي دنيه ديبوا لكتب مسرحيته عن اضطهاد الملونين فى امريكا .

* نادى نشر من كتاب وادباء الاقليم المصرى حول وضع دراسه تحليليه عن انتاج طه حسين . وقد الف لجنه لهذا الغرض برئاسه الاستاذ العقاد .

* بعث الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي مذكرة الى معهد الدراسات العربيه بالقاهرة اعرب فيها عن استعداده لتلبيه رغبة المعهد فى القاء محاضرات تتناول ادب المغاربة والاندلسيين فى نصوصه العربيه. وتشمل المحاضرات على مقدمه ضافية تحدث الشبيبي عن رحلته الاخيرة الى المغرب والاندلس. ومن المعروف ان الشبيبي زار المغرب اخيرا بمناسبه الاحتفال بذكرى القرويين .

* تعكف اداره الثقافة بالجامعة العربيه على ترجمة الاعمال الادبية الاغريقية التي اثرت فى الفلسفه الاسلامية .

* تقوم اداره الشؤون العامة بوزارة التربيه والتعليم بالقاهرة باعداد كتاب عن المملكة المغربيه يتناول التطورات الحديثه فى نواحي النهضة الثقافيه والاقتصاديه والاجتماعيه .

* تقرر عقد مؤتمر عام للبحث فى وضع خطه جديدة لتيسير قواعد اللغة العربية فى المنهج التعليمي لمختلف المراحل التعليمية ، يشترك فيه المختصون من اساتذه اللغه العربيه فى وزارة التربيه والتعليم فى كل من اقليمي الجمهورية العربية المتحده . وقد قرر مجمع اللغه العربية الاشتراك فى هذا المؤتمر . وتم اختيار الدكتور طه حسين والاستاذ ابراهيم مصطفى لتمثيل المجمع فى المؤتمر ، كما تقرر ان يشترك ايضا فى هذا المؤتمر ممثلون لكليات الآداب فى الجامعات المختلفه باقليمي الجمهورية وممثلون عن الازهر . ويعقد المؤتمر فى هذه الايام .

* فاز السيد الحسين الهنداوي بالجائزة الاولى فى مسابقه القصه القصيرة التي ينظمها نادي القصه ونادى الادباء بالقاهره . وعنوان قصته «بعد العاصفه»

* ستقدم لجنه المؤتمر العربى الاول للفنون الشعبيه مسرحيه غنائية جديده لبيرم التونسي اثناء انعقاد هذا المؤتمر فى ابريل القادم بالقاهره .

* اختارت لجنه النشر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهره نماذج تمثل البيئه المصريه واتجاهها الادبى المعاصر لترجمتها بناء على طلب الدانمرك . والنماذج المختاره من « الايام » لطه حسين ، و « عودة الروح » لتوفيق الحكيم و « كل عام وانتم بخير » لتيمور و « الى الابد » لنعمات فؤاد .

* قررت وزاره الثقافه والارشاد بالقاهره اصدار سلسله كتب تشمل على « مختارات من الادب الافريقي والاسيوى » تنفيذا لقرار المؤتمر العام للاتحاد القومي .

* تقوم الدكتور محمد مندور بترجمة دائره معارف المسرح الفرنسي الى اللغه العربيه .

* « كانوا فى طفولتهم » آخر كتاب اصدرته مجموعة « كتب ثقافية » تناول فيها الاستاذ عباس خضر بالدراسة عددا من الكتاب والصحفيين المعاصرين

* عثرت احدى بعثات التنقيب عن الآثار فى العراق على تقويم لاشهر السنة وايامها مبوبا على اساس ديني يشمل الايام الصالحة للعمل . ويعتبر هذا التقويم من اقدم التقاويم السنوية بالعراق اذ يرجع تاريخه الى عصر حمورابي فى القرن الثامن عشر ق.م. وقد سجل على لوح من الفخار .

* انتخب المجلس العلمي العراقي عشرة اعضاء من الدول العربية ليكونوا مراسلين للمجمع . من الاعضاء المنتخبين : عزيز اباظه ، الدكتور حسين مؤنس ، الدكتور شوقي ضيف ، عز الدين التنوخي ، الدكتور صلاح الدين المنجد ، الشيخ علي الطنطاوي ، الدكتور سامي الدهان ، سعيد الافغاني ، محمد الفاسي عميد الجامعة المغربية ، خير الدين الزركلي .

* وقع اتفاق ثقافى هذا الاسبوع بين الجمهورية العراقية والولايات المتحدة الامريكية « لاستمرار التبادل الثقافي والتعاون الوثيق فى ميادين العلم والتربية والثقافة على اسس متكافئة من اجل زيادة التفاهم المتبادل بين الشعبين » .

* « اسفار من جزائر اللؤلؤ » اسم الديوان الذي اصدره الشاعر السعودي غازي عبد الرحمن القصيبي .

* قررت دائرة المطبوعات والنشر فى الكويت احياء التراث العربي القديم ، عن طريق طبع المخطوطات ذات القيمة الادبية والعلمية الكبيرة . وبعد دراسة واقعية تقرر ان تقوم دائرة المطبوعات بطبع ستة كتب سنويا . ومن المخطوطات التي اختارتها وبدأت فى طباعتها هذا العام هي : « كتاب الذخائر والتحف » للقاضي الرشيد بن الزبير فى ثلاث مجلدات و « العبر فى خبر من غبر » لمؤلفه الحافظ الذهبي و «كتاب الاضداد فى اللغة» لمؤلفه الانباري و «المصون» لابى هلال العسكري و « اخبار البحتري وابى تمام » لمؤلفه ابن الاثير الجزري .

* اعلنت الصحيفة الاسبوعية الهندية « سعد هانا » الى الفنانين فى جميع انحاء العالم الى الاشتراك فى « مسابقة دولية لرسوم الاطفال » وستنشر الصحيفة جميع الاعمال الفنية المختارة فى عدد خاص .

* اصدرت احدى دور النشر اليوغسلافية مجموعة قصص بعنوان « مع المجاهدين فى الجزائر » للكاتب اليوغسلافي ميلوتيني الذي عاش فى الجزائر عام 1959 .

* اثبت العالم السوفياتي البروفسور افيديف ان الاغريق كانوا تلاميذ المصريين . وقال العالم المذكور الذي قضى اربعين عاما فى دراسة الآثار المصرية القديمة : « ان السنين الطويلة التي قضيتها فى دراسة اوراق البردى اكدت لي ان الفلسفة الطبيعية التي تعتبر حتى الآن من مآثر الحضارة الاغريقية قد ظهرت فى اليونان تحت تأثير آراء المفكرين المصريين» وزاد قائلا : « انه عثر على مقالة فلسفية مصرية قديمة شديدة الصلة بما جاء فى تعاليم الفيلسوف الاغريقي هرقليط عن النار » . وتحدث العالم السوفياتي عن العلاقات الثقافية والتجارية بين اليونان ومصر فقال : « انها ترجع الى العصر الهلني ق.م.» وقال كذلك : « انه يستنتج من دراساته الاخيرة ان الاغريق قد اخذوا الحقائق عن الشعوب الشرقية ، ثم عمدوا الى تركيزها ووضعوها فى نظريات واضحة ، ولهذا راجت عنهم ، ونسبت اليهم .

* اعلنت وكالة طاس انه نشرت مؤخرا وثائق فريدة فى نوعها حول الدولة العباسية لمخطوط تجهل مؤلفه ، ويرجع تاريخ هذا المؤلف الى القرن الحادي عشر . واوضحت الوكالة السوفياتية بان الاقسام المهمة من هذه الوثائق التي عثر عليها عام1915 واحتفظ بها فى لننغراد تتعلق بتاريخ الخلفاء والفترة الممتدة من سقوط دولة الامويين وقيام دولة العباسيين .

* تحتفل بولونيا فى هذا الشهر بالعيد المائوي الثالث لصحيفتها « مركور بولونيس » ، وهي صحيفة اسبوعية ظهرت لاول مرة فى الثالث من يناير عام 1661 وكانت بذلك من اولى الصحف التي ظهرت بانتظام فى اوروبا .

* لاول مرة بعد الحرب العالمية الثانية تصدر دائرة معارف جديدة فى المانيا وهى مكونة من 12 مجلدا ، واضيف اليها مجلد يضم 375 خريطة و240 صورة توضيحية . وتعتبر دائرة المعارف الالمانية الجديدة عملا ضخما تم فى سنوات قليلة على ايدي كثير من مؤرخي الالمان الذين قدموا الحقائق فى اسلوب جديد يتلاءم مع حياة المانيا اليوم .

✻ طبع فى موسكو كتاب بالروسية عن الاساطير الشعبية فى سوريا ، ومؤلفة الكتاب هي نينا بيكوليجسكايا التي قالت ان هذا الكتاب يمثل حياة الشعب فى سوريا خلال العصور المختلفة . وقد جمعت المستشرقة الروسية 120 اسطورة وحكاية من سوريا وترجمتها الى اللغه الروسية .

✻ اختتم مؤتمر العلماء لنصرة الجزائر جلساته بدمشق ، واصدر قراراته باعتبار العدوان الفرنسي فى الجزائر عدوانا على الحرية والانسانية واعتبار فرنسا فى حالة حرب مع العالم العربي والاسلامي . وقرر المؤتمر ان الجهاد فى صفوف جيش التحرير فريضه على كل من استطاع بجميع الوسائل .

✻ يقوم فرع مجلس الفنون بالاقليم الشمالي من ج.ع.م. باحياء ذكرى عبد الحميد الزهراوي ، ورفيق رزق سلوم ، وطاهر الجزائري .

✻ صدر لشاكر مصطفى كتاب « القصة فى سوريا » الذى يعرض تاريخ القصة وفنها فى الاقليم الشمالي من ج.ع.م. من سنه 1914 حتى اليوم .

✻ اعد مطاع صفدى كتابين للطبع الاول بعنوان « الثورى والعربى الثوري » وهو يبحث فى النماذج الثوريه كما اتضحت فى الابداع الابداعى لدى العرب . يقارنها بالنماذج الثوريه فى واقعنا العربي ، والثاني بعنوان « حنين الى الانسان » وهو دراسة فلسفيه خالصه تكشف عن لغز الانسان من خلال الفكر المعاصر .

✻ الاديبه الشاعرة كوليت خورى منهمكه فى هذه الايام بكتابة قصتين الاولى للنشر ، والثانيه للسينما . عنوان الاولى « ليله واحده » ، اما الثانيه فلم تعنونها كوليت بعد .

✻ ورثه الشاعر السوري المرحوم عبد الباسط الصوفى ارسلوا الى دار الاداب ببيروت يطلبون منها وقف طبع ديوان الشاعر الراحل .

✻ بحثت جمعيه اصدقاء الكتاب فى لبنان موضوع الجوائز التى تمنح للكتاب والادباء وقد تقرر تخصيص جائزة قدرها خمسة آلاف ليره لاحسن ادب ، وجائزة اسمها جائزة التوجيه الوطني وقدرها ثلاثة آلاف ليرة ، وجائزه الابحاث العلمية وقدرها الف ليره . وهناك جائزة لم نقدر قيمتها بعد ستمنح لاحسن كتاب عربي طبع فى لبنان . والهدف منها تشجيع الادباء العرب على النشر فى لبنان .

✻ ستقدم للطبع الشاعر اللبناني الكبير بشارة الخورى (الاخطل الصغير) ديوانه « الوتر الجريح » وهو الجزء الثاني من ديوان « الهوى والشباب » وكتاب « من بقايا الذاكرة » و « مختارات مقالاته » التي نشرت فى جريده « البرق » .

✻ اصدر الدكتور عبد السلام العجيلي كتابه الثامن « الحائر » وهو عباره عن مجموعة قصص جديده مكتوبه باسلوب شيق جديد .

✻ ترجمت الاديبة اللبنانية ليلى الحافى الى العربيه رائعتين من روائع ادب ايطاليا البيرنومورافيا « العاشق الفاشل » و « شهر العسل المر » .

✻ اقيمت فى قصر اليونسكو ببيروت حفله تذكاريه بمناسبة مرور سنة على وفاة الكاتب اللبناني كرم ملحم كرم ، تكلم فيها : ميخائيل نعيمة ، وسعيد عقل ، ورئيف الخورى ، وعبد الله العلايلى .

✻ صدر فى بغداد الجزء الثامن من كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » لمؤلفه الدكتور جواد علي . وتولى نشر هذا الكتاب المجمع العلمي فى العراق .

✻ تألفت لجنه من اتحاد الادباء العراقيين مكونه من محمد المهدى الجواهرى ، وبلند الحيدرى ، ومحمد صالح بحر العلوم ، ومحمد الحوبى ، وذلك لجمع مختارات من الشعر العربي الحديث واعدادها للطبع .

✻ باشر فى العراق طبع « دليل الجمهورية العراقية » يتضمن تاريخ عمر العراق الجيولوجي ، والحضارات الاولى منذ سكان كهف شاندور حتى اليوم ، سواء من الناحية البشرية او الارضية او الزراعة او الاقتصادية او غيرها الى جانب ما وقع فى العراق من احداث وتطورات ، وبدء استعمار العراق حتى قيام الثورة العراقية سنة 1958 ، كما سيضم خرائط وجداول وبيانات ملونة وغير ملونة .

فهرس العدد السادس ـ السنة الرابعة

الصفحة

تمكن مهندسان فرنسيان من صنع آلة طباعيه جديدة اطلق عليها اسم «لومطيب» ، وهي تعمل بدون حرف، وبدون حبر، اذ تسجل بواسطة عين الكترونيك

* انشات هذا العام مؤسسة « فاليري لربو » بمدينة فيش مركزا ثقافيا دوليا للطلاب الاجانب . وسيعقد في الصيف القادم في هذا المركز مؤتمر لكبار كتاب العالم في موضوع البحث في مؤلفات « فالبري لربو » .

* منحت هده السنة جائزة الترجمه الفرنسيه الى المترجم الفرنسي موريس فوسار الذى نقل الى الفرنسية رواية الكاتب الايطالي فرنسسكوبري « حبائل الكذب » .

* فاز الشاعر الفرنسي بيير جان سوف بجائزه مدينة فلورنسا للشعر ، وهي جائزة تمنحها جماعه دانتي الايطاليه .

* توفي باريس الناقد الفرنسي رينه لالو الذى كان له الاثر الكبير في توجيه الادب الفرنسي ما بين الحربين . وقد توفي عن 71 سنه .

* منح اتحاد العمال جائزته للكاتبه دينيز لجرى تقديرا لروايتها « هكذا ولدوا » ، وهي تمنح لكل مؤلف يبعث الشعور الانساني بحالة الاعمى والاخرس وكل ذوى العاهات . والمؤلفة تروى في كتابها قصة حياتها ، فقد ولدت بدون ذراعين وساقين .

* توفي اخيرا النحات الفرنسي المشهور هنرى بوشار الذى كان عضوا في اكاديمية الفنون الجميلة الفرنسية .

* اصدرت الكاتبه الفرنسيه جبريل استيفال كتابا بعنوان « زبيده » عالجت فيه اوضاع المراة العربيه في الجزائر .

* اهدى الملك سعود مجموعة كتب تعد بـ 226 كتابا في التاريخ والادب والدين والعلوم الى المعهد الاسباني العربي بمدريد .

* صدر في روما كتاب عن الشاعر احمد شوقي من تاليف ثلاثة من المستشرقين الايطاليين .

* عقد المركز الدولي لدراسة وسائل حماية الآثار الثقافية اجتماعه الاول في مدينة روما، واقترحت الجمعية العامة عددا من الاجراءات التي تتعلق بمشاكل الترميم او بالمسائل الخاصة باذاعة المعارف المتعلقه بحماية الآثار . وقدانشىء هذا المركزالدولي فيروما سنة 1959 باتفاق مع حكومة ايطاليا واليونيسكو . وتتعلق الدراسات العامة بحماية الآثار الحجرية من ناحية ، وبالآثار المعدنية او الحيوانية ، او الرسوم الحائطيه من ناحيه اخرى .

* قررت دار النشر البريطانية « هانيمان » نشر رواية عبد الرحمن الشرقاوي « الارض » في السلسله التى تصدرها عن الشرق والغرب بعنوان البستور الازرق .

* اكتشف العالم الايطالي رورند نجما يزيد لمعانه بمائة الف مره عن لمعان الشمس .

* انهار في الايام الاخيرة فجاة برج الكنيسه التاريخية التى تضم مدفن « جوليت » بمدينة فرونا الايطالية . والتى يقصدها آلاف السائحين كل عام خصوصا لزيارة قبر « جوليت » . وقد عزا اهالي فرونا انهيار البرج ــ الذي يبلغ طوله 82 قدما ويرجع تاريخه الى القرن الثاني ــ الى فعل قنابل الحرب العالمية الثانية ، وتسرب مياه الامطار الاخيره الى اساسه .

* لم يحظ كتاب في الآداب العالمية بمثل ما حظى به كتاب « مذكرات جاك كازانوفا » ومن آخر انباء هذا الكتاب انه ترجم ترجمة جديدة الى الانجليزيه .

* ظهر اخيرا ان كريستبان كولمبوس مكتشف امريكا كان يصدر جريدة اثناء اسفاره عبر البحار والمحيطات. وقد استطاع احد البحاث الانجليز الحصول على نسخة من هذه الجريدة ، وترجمتها الى الانجليزية ونشر مع ترجمته صورا للخرائط التي رسمها كولمبوس، وبعض النصوص التى كتبها بيده . ونشرت هذه الترجمه مؤخرا في لندن .

بسم الله الرحمن الرحيم

Mar 1961

كلمة العدد



ما زال شهر رمضان يقابل بكل حفاوة وتقدير واجلال ، وما زال الناس يؤمنون بان هذا الشهر جدير بنوع آخر من السلوك غير الذى جربوه من قبل . سلوك الصدق والامانة والكف عن كل رذيلة فى القول او العمل او النية . وهم لهذا يحاولون جهد المستطاع الا يفوتهم انه فضيلة من فضائل هذا الشهر المبارك . فالصلاة يلتزم بها طواعية غالبية الصائمين يؤدونها بانتظام وبقلوب يعمرها الايمان ونفوس يملأها خشية الله، كما تزداد اقبال الناس على المساجد للتعبد والتامل فى احكام الدين ومعانيه ومراميه ، بل ان كثيرا من المنازعات والمناداة التي تحدث فى هذا الشهر انما تحل بالكلمات الطيبة المستوحاة من شريعة الاسلام وقدسية هذا الشهر العظيم ، ولا نعرف شهرا يهتم فيه الناس باطعام المساكين والعناية بشؤون الفقراء مثل شهر رمضان .

ان الوحدة الروحية التى تربط بين النفوس فى رمضان جديرة بالتامل والاعتبار . انها ترينا الى اي حد نستطيع ان نحقق انسانيتنا والى اى حد نستطيع ان نتجاوز ذواتنا فنتغلب على احقادنا ونقهر غرائزنا الدنيئة الرخيصة . هذه الوحدة الروحية هي ما نحتاج اليه دوما وهي ما ينبغي ان نهتدي منه باستمرار ونحن نحاول بناء نهضة جديدة نسعد بها اعتبارنا .

اما الذين يريدون ان يحطوا فضائل هذا الشهر ويتجاوزوا مزاياه الروحية بدعوى المحافظة على مردود الانتاج . فحسبنا ان نشير الى ان الانتاج كضرب من ضروب الفعالية الاقتصادية ينبغي ان ننظر اليه دوما من زاوية انسانية وان نوجهه طبقا لغاية واحدة هي خدمة الانسان فى مجموعه واخصاب حياته وتفتيح كل ملكاته .

ان الانتاج الذى لا يستهدف تحرير الانسان واطلاق مواهبه ينقلب الى نوع من العبودية ، تضيع معه شخصية الانسان . ويفقد اجمل ما فيها من قيم روحية . وكلنا ندرك اليوم ما تعانيه الحضارة الغربية من ارهاب . نتيجة طغيان الاله الرهيب ، واستبداد الانتاج المادي بكل القيم .

ان شهر رمضان ليس سوى مناسبة ، مناسبة لتوكيد ايماننا بالله ، ومناسبة لتوحيد النفوس على صعيد روحي وقيم خالدة ، ومناسبة لاشعار الانسان بانه وحدة بشرية متكاملة ، ولهذا نعتبره مكسبا خلقيا قيما وزادا روحيا عظيما .

دعوة الحق

الصفحة

رغبة من تلك الاشياء ، فمن ذلك الحشرات التي تحمل اللقاح من زهرة الى اخرى ، والرياح ، وكل شيء يطير او يمشي ليوزع اللقاح ، بل استطاع النبات ان يستخدم الانسان وهو سيد هذه المخلوقات فصار الانسان يحرث ويزرع ، ويشذب كل ذلك بفعله خدمة للنبات لينمو وتتحسن حاله وعلى الانسان ان يخزن الحب والثمار ويحفظها واذا لم يفعل عوقب بالمجاعة ، وانحطت المدنية ، وعادت الارض خرابا .

والطيور التي تؤخذ صغيرة من اعشاشها حين تكبر تصنع اعشاشا كأعشاش آبائها ، وامهاتها ، وللعادات المتوارثة اصول بعيدة في ظلمات القدم . فهل هذه الاعمال نتيجة المصادفة ام نتيجة اعداد حكيم ، ان في هذا لكفاية لاظهار العادات الوراثية التي نسميها بالغرائز ، ولا نجد من بين انواع الحيوان التي جابت الارض طولا وعرضا مثل الانسان في قوة التعليل . فهو وحده الذي نمى معرفته بالارقام . فلو ان احدى الحشرات عرفت عدد ارجلها لما امكنها ان تعرف عدد ارجل اثنين من نوعها لان ذلك يتطلب التفكير وقوة التعليل .

وكثير من الحيوانات هي مثل سرطان البحر ، الذي اذا فقد مخلبا ، عرف ان جزءا من جسمه قد ضاع ، بادر الى تعويضه باعادة نشاط الخلايا وعوامل الوراثة . ومتى تم ذلك كفت الخلايا عن العمل لانها تعرف بطريقة ما ان وقت الراحة قد جاء .

والحيوان المائي المعروف بكثير الارجل اذا قطع نصفين يقدر ان يصلح نفسه بواسطة احد النصفين . واذا قطعت رأس دودة الطعم فانها تسارع الى صنع رأس بدله . ونحن نقدر ان نهيء التئام الجروح ولكن متى يمكن الجراحون اذا كانوا سيمكنون ان يعرفوا كيف يحركون الخلايا لتصنع ذراعا جديدة او لحما او عظاما او اظفارا او اعصابا . وهناك حقيقة مدهشة تلقي بعض الضوء على سر هذا الخلق من جديد : فان الخلايا في المراحل الاولى من من تطورها ان تفرقت تستطيع كل واحدة منها ان توجد حيوانا كاملا ، لذلك اذا انقسمت الخلية الاصلية الى قسمين وتفرقا . استطاع كل نصف ان يتطور الى حيوان كامل وربما يفسر ذلك التشابه الذي تكون بين التؤامين ، ولكن يدل على اكثر من ذلك فان كل خلية في البداية يمكن ان تكون حيوانا كاملا ، وهذا ما يدلنا بلا شك على ان احدنا موجود باكمله في كل خلية ونسيج من جسمه ، وهذه الطريقة العجيبة التي يمكن

الاشارة اليها في سهولة وصدق في المزمور رقم 139 – 16/14 من مزامير داود .

يقول المزمور : «امجدك لاني خلقت بشكل رائع عجيب ، ان اعمالك عجيبة ، وان نفسي لتعلم ذلك حق العلم . ان اصلي لا يخفى عليك حين خلقتني في الخفاء من ادنى اجزاء الارض خلقتني في احسن صورة ، وكانت عيناك ترىان اصلي قبل ان يتم خلقي ، وفي كتابك كل اعضائي كانت مكتوبة واستمر تصويرها ان تتطور بها كل خلية الى كائن حي مستقل قد وضعت بعد ان لم تكن هناك واحد منها » .

ويمكننا ان نكتب صفحات في عجائب الشعور الذي لا يزال في الوقت الحاضر وراء ادراكنا . ولكن هذه الامثلة كافية تماما لتدلنا على انه لا يزال امامنا كثير مما يجب ان نعلمه .

وما دام الانسان لم تكون له حواس جديدة او اخترع آلات ميكانيكية تساوي ما عند الحيوانات من القابلية فان امامه طريقا طويلا للتطور . ان كل قابلية توجد عند الحيوان ولا توجد عندنا هي تحد لذكائنا ونحن لا نزال ناقصي العلم الى ان نجد جوابا لهذا التحدي انا الى الآن لا نستطيع ان نفهم الغريزة فهما تاما . ولذلك لا نستطيع ان نضع اسسا على معرفة ناقصة والى ان نملك كل حاسة ربحتها الكائنات الحية الاخرى ، فاننا سنبقى عاجزين عن ادراك الارتباط الحقيقي الذي بين قوانين الطبيعة ، وسنبقى نتخبط فيما لا نهاية له بفهم جزئي . ان التطور الروحي للانسان هو الآن في البداية . والقبس الالهي قد بدأ يسيطر في بطء على عقله المادي ، واخطاء الانسان التي توصله الى هلاك نفسه بيده . انما هي مآسي طفولته . وربما اذا قيس بالازل الماضي والابد المستقبل . لا يزيد على دقة الساعة ، لكن الروح التي فينا تتعلق بالازل والابد جميعا .

ونحن اذا فكرنا في الفضاء الذي لا يفنا يمتد امامنا ، وفي الزمن الذي لا بداية له ولا نهاية ، وفي القوة الممتدة والمحبوسة في الذرة ، وفي الكون الذي لا حد له بعوالمه التي لا تحصى ونجومه التي لا تعد وفي الاهتزازات التي نسميها بالضوء والحرارة والكهرباء والمغناطيسية ، وفي النشاط المستمر للنجوم ، وفي الجاذبية وسيطرة القوانين الطبيعية على العالم ، اذا فكرنا في ذلك كله ادركنا في الحقيقة اننا لا نعلم الا قليلا . فكم يجب ان يتقدم الانسان قبل ان

دواء الشاكين وقامع المشككين

- 11 -

للدكتور تقي الدين الهلالي

اعترض علي احد الاخوان فقال انك لا تحافظ على الاصطلاحات العلمية ، فقلت له اذكر لي مثالا من ذلك فقال انه لا يحضره ولا مثال واحد . فقلت له ينبغي ان تعلم اني لم اقصد بهذه المقالات بيان المسائل العلمية ، لذاتها فحسب وانما اردت استخلاص العبرة والاستدلال على تدبير الخالق الحكيم ثم انني مترجم فمن اراد ان يعترض علي يجب عليه قبل ذلك ان يستحضر الاصل ويقابله بالترجمة ثم يعترض على ما يراه خطأ . على اني لا احرص كثيرا على التدقيق في الترجمة بقدر ما احرص على سهولة العبارة وتيسير فهمها للقراء ، ثم ان الاصطلاحات العلمية الحديثة كلها الفاظ اجنبية لا يمكننا ان نخطئ فيها ولكن يمكن ان نفسرها ونشرحها .

ثم قال **المؤلف** : يظهر ان الحيوان له مقدرة على تبادل الشعور تقوم مقام اللسان عند الانسان . فمن ذا الذي لم يلاحظ ان جمعا من السمك المعروف ينمو يتحرك كله دفعة واحدة في وقت واحد ؟ ومن ذا الذي لم يراقب باعجاب الطائر المعروف بالطيطوي يطير ويحوم في الجو حتى يجتمع عليه سائر الطير ذوات الصدور البيض في اشعة الشمس فتجتمع كلها في وقت واحد ، فمتى اعطيت الاوامر وتلقيت لا نسمع صوتا يقدر ان ندركه ، ومع ذلك يطيع السرب كله الاوامر كأنه فرقة من جنود امرها ضابطها بأمر فامتثلته ، بعضنا لا يصدق بوجود تبادل الشعور بين افراد الحيوان ، وبعضنا يصدق به ، ولكن لا احد منا يستطيع ان يفسر الاسلوب الذي يتفاهم به السرب .

متى حملت الريح فراشة انثى وادخلتها الى غرفتك من خلال النافذة ، ترسل في الحين باشارة خفية الى الفراشة الذكر وبينهما مسافة بعيدة جدا فتتلقى الفراشة الذكر تلك الرسالة وترد جوابها ، وان احدثت رائحة شديدة في معملك لتمنع تخاطبهما لم يجدك ذلك نفعا ، فهل يوجد لدى هذين المخلوقين الضعيفين جهاز ارسال اي محطة اذاعة يتحادثان بها ، او تراها تهز الاثير فيتلقى هو الاهتزاز ويتفاهمان بذلك ؟ وماذا تقول في انثى الجنادب حين تحك ساقيها او جناحيها في ليلة هادئة فيسمع ذلك رفيقها على مسافة نصف ميل . انها تهز ستمائة طن من الهواء لتنادي رفيقها . والفراشة التي تعمل في عالم من عوالم الطبيعة تنادي رفيقها في سكوت تام . وقبل ان تكتشف الراديو كان العلماء يظنون ان رائحة تنبعث من الفراشة الانثى فيشمها الذكر ويفهم منها مراد الانثى ولو كان هذا صحيحا ايضا لكان من خوارق العادة لان الرائحة اذا انبعثت في الهواء تنبعث في جميع الجهات بهبوب الريح او بدونه فيكون على الفراشة الذكر حين تصلها هباءة من الرائحة ان تبصر من اي جهة جاءت فتبقى المشكلة بلا حل .

ونحن الان نبذل جهدنا في توسيع علم الميكانيك لتطوير المواصلات وتوسيع دائرتها . وسيأتي اليوم الذي يستطيع الشاب فيه ان ينادي محبوبته من مسافة بعيدة بدون استعمال وسائل ميكانيكية فترد له الجواب دون ان يحول بين تخاطبهما جدار ولا باب مغلق . ان التلفون والراديو من الآلات العجيبة نستطيع بهما ان نتحادث من مسافات بعيدة ، ولكننا مقيدون بالسلك والمكان . وعلى هذا نرى ان الفراشة لا تزال متفوقة علينا . ولا يسعنا الا ان نغبطها على ذلك حتى تستطيع ادمغتنا ان تخترع الراديو الفردي وحينئذ نتمكن من تبادل الافكار على الوجه الاكمل . والنبات يحتال في استخدام اشياء لاستمرار وجوده دون

أثر التربية الدينية في أعمال الدولة ورقي المجتمع

للأستاذ محمد الطنجي

لا ينكر منصف ان حسن السلوك والوازع المعنوي لهما آثار جليلة النفع وانهما اذا وجدا يوفران من الاتعاب على الولاة والحكام وادارة الامن ورجال المال والاعمال ما لا توفره القوانين والاجراءات الادارية على الرغم مما تحتاجه من كثرة رجال ووفرة اموال لتطبيقها واجراءاتها . لذلك كان تهذيب النفوس لتحسين سلوكها وتربية الضمائر وبعث الشعور الحي فيها من اهم ما يلزم الامم لتنعم بالحياة الطيبة والاطمئنان في الوجود الانساني ولا تكون المجتمع راقيا حقيقيا الا اذا كان اهله ذوي ضمائر حية وسلوك حسن ليؤدي كل فرد ما عليه من واجبات عن رغبة وطيب نفس ويأخذ ماله من حقوق من المسؤولين وغير المسؤولين بسهولة ويستردون حاجة الى الحاح او اغتصاب او تذمر وشكوى .

وهذا ما يجعل توجيه المجتمع هذه الوجهة الصالحة التي تعود عليه بكل خير من المصالح العامة التي يتعين ان تنفق عليه الدولة قسطا مهما من الاموال والمجهودات وهذا ما تفعله الدول التي تهتم بالمصالح الحقيقية فلو عمت التربية الصالحة في الشعب لاستراحت محاكم القضاة من كثرة المتقاضين ومحاكمة من ياكلون اموال الناس بالباطل كما يقال لو انصف الناس لأستراح القاضي . كما ان ادارة الامن يهدا بالها من كثرة المخالفات وتعقب اصحاب الجنايات وتحسن سلوك الموظفين في جميع الادارات فلا تكون حاجة الى مجالس تاديب الموظفين وتخف كذلك النزاعات بين العمال واصحاب المعامل الى اقل نسبة نظرا لتشبع النفوس بمعرفة الحقوق والواجبات والتعاون على البر والتقوى وان تعاليم الدين السامية تتكفل برفع المجتمع الى هذه الذروة العليا من الصفات الكاملة بتعاون اجزائه وتناصحهم في اداء مهماتها الاجتماعية على احسن الوجوه فقد صح عن النبي (ص) انه قال الدين النصيحة (3) قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم فنصيحة المومن لله تظهر في توحيده واخلاص عبادته . وفي وصفه بما وصف به نفسه من اسمائه الحسنى وصفاته العليا ، ونصيحة كتابه تكون بالوقوف عند احكامه وحدوده والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والاعتبار بمواعظه ونشر علومه والدعاء اليه .

والنصيحة لرسوله تتطلب الايمان برسالته والعمل على طاعته ونصرة سنته والسعي في تعلمها وحفظها وتعليمها والذب عنها .

ونصيحة ائمة المسلمين تكون بطاعتهم في الحق ومعاونتهم عليه وتذكيرهم به واعلامهم بما غفلوا عنه وبما لم تبلغهم من أمور المسلمين .

والنصيحة لعامة المسلمين تكون بارشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم وكف الاذى ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتنشيط هممهم للطاعات واذا حملنا النصيحة على هذا التفسير ببيان جميع متعلقاتها تكون هي مجموع الدين بما فيه من عقائد واحكام وآداب فلا نحتاج الى اي تأويل في هذا الحمل على غرار تأويل « الحج عرفة » واشباهه من الجمل . واذا عمت النصيحة بين افراد المجتمع على هذا النمط لا شك انه يكون افضل المجتمعات لجمعه بين مصالح المعاش والمعاد والنبي (ص) لم يدخر وسعا في ترغيب المومنين في التمسك باهداب جميع الفضائل ليكون المجتمع

يعلم حق العلم وسيفهم وجود الخالق الاعلى . ويحاول ان يرتفع الى اعلى ما يستطيع بلوغه من الفهم . دون ان يحاول تفسير حكمة الله ومقاصده او يحط بكنه صفاته تعالى .

تعليقات

1) ان تحرك سرب من السمك دفعة واحدة في لحظة واحدة لامر عجيب فلو قدرنا ان جماعه من البشر ارادوا ان يفعلوا مثل ذلك لاحتاجوا الى مفاوضات طويله واشارة واضحه يسمعها كل واحد منهم او يبصرها كاطلاق عيار ناري مثلا او ارسال ضوء قوي في الفضاء هذا اذا كانوا مستيقظين او كانت عندهم ساعات دقيقة لا تخطىء كساعة بكبن التي تذيع سرباتها اذاعة لندن فربما يتوفقون مع هذه الوسائل الى التحرك دفعه واحدة في وقت واحد ومن المعلوم ان الحيتان ليست لها لغة كلغات البشر ولا آلات لضبط الوقت ولا اشارات . فماذا يقول المتفلسف الذي ينكر ما لا علم له به وما لم يفكر فيه ولا درسه اخلادا منه الى الراحة وارضاء لسادته ذئاب الاستعمار . يجب عليه ان يفسر لنا هذه الاسرار ويعللها ولسنعن من سماء من سادته ان كان صادقا . وهيهات هيهات ان يستطيع ذلك حتى يلتقي سهيل والثريا . وحتى يصير الباطل حقا والكذب صدقا .

2) الآية العظيمة في اعطاء قائد الطيطوى الامر لسائر افراد السرب دون ان يتكلم بلغة نفهمها ولا نلعة لا نفهمها . فماذا يقول الجاحدون في خطاب نملة سليمان لسائر النمل . هل يستطيعون بعد الاطلاع على هذه الحقائق ان يجحدوا تبادل الشعور بين افراد الحيوان ! لقد قال بعض الاوربيين المنصفين الاحرار ان اول كتاب ذكر فيه ما يدل على ان افراد الحيوان لها وسيلة يتفاهم بها هو القرآن اذ جاء فيه في سورة النمل (قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) فالى القرآن يرجع الفضل في اقبال العلماء على البحث في تفاهم افراد الحيوان ومعيشتهم الاجتماعية وانظمتهم الدقيقة .

3) اما قصة الفراشتين والجنادب : فقد علق عليهما المؤلف بما لا مزيد عليه . ان في ذلك لآيات للمؤمنين وقوارع محجلة للجاحدين .

اتاكم رمضان

عن عباده بن الصامت رضي الله عنه ان رسول الله (ص) قال وقد حضر رمضان : اتاكم رمضان شهر بركه يغشاكم الله فيه فينزل الرحمه ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله الى تنافسكم فيه . ويباهي بكم ملائكته فاروا الله من انفسكم خيرا فان الشقي من حرم فيه رحمه الله عز وجل .

منهاج محمد عبده في

الإصلاح الإسلامي

للأستاذ: عبد السلام الهراس

ان الحديث عن منهاج الامام محمد عبده في الاصلاح يتطلب مجلدات . فالرجل كان امة وحده . وعندما يعيش الانسان معه ومع افكاره ونشاطه يظن ان الامام كان يستخرج من يومه اياما ويمطط وقته ليجعل منه اوقاتا ليستطيع ان يسع مجهوداته الجبارة .

وقد كنت احاول ان اتناول افكاره بكثير من التوسع ، خصوصا وهي ما تزال تحتفظ بقيمتها في كثير من نواحيها في عصرنا الحاضر ، وكأنه يتحدث عن مشاكلنا التي نعيشها في المغرب وفي العالم الاسلامي، على الرغم من التغييرات الكثيرة التي طرأت على حياتنا العامة والخاصة . كنت احاول وارجو ذلك الآن ، غير ان ضيق الوقت سأؤجل تلك المحاولة واحقق ذلك الرجاء في فرصة اوسع من هذه . ولكن هذا لا يمنعني من ان اتحدث عن منهاجه في خطوطه العامة .

ان ظروف العالم الاسلامي التي كان يعيشها امام محمد عبده كانت ظروفا قاتمة في جميع جوانبها . فقد كان المسلمون يؤدون عن يد وهم صاغرون جزية تلك السلسلة من الامراض الاجتماعية المتفشية الكثيرة التي تحدرت اليهم من القرون السالفة . وكانت الدول الاستعمارية تتداعى فيما بينها لتقسيم تركة « الرجل المريض » كما كانوا يطلقون على الدولة العثمانية . وتتخذ مختلف الوسائل لتتميم رسالة اجدادها الصليبيين الذين تركت مغامراتهم الوحشية اقدس الآثار في نفوس اجيالهم الجدد .

وكانت مصر احد الاقطار الاسلامية التي نالت نصيبها الوافر من تلك التركة الاسلامية المشلولة ، وكانت تعيش كباقي الاقطار الاخرى كما يقول السيد رشيد رضى : في ظلمات بحر من الظلم لجى ، يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض : ظلمة الجور والظلم ، وظلمة الفقر والفاقة وظلمة الشرور وفساد الاخلاق والآداب ، وظلمة تحكم الاجانب وسيطرتهم على الحكومة .

وفي هذه الاثناء التي كانت عوامل الهدم تغزو الكيان الاسلامي بقسوة بالغة، والمؤامرات الاستعمارية، تمزق بانيابها الطويلة الحادة الوطن الاسلامي الكبير الذي تساقطت اجزاؤه في قبضة الصليبيين الجدد ، في هذه الاثناء ، انطلقت صرخة الانذار والبعث من جمال الدين الافغاني . فكانت اشد ما تكون قوة وحماسة ، وكأنها استجمعت بقايا قوى الايمان المبعثرة هناك لتفجر في نفوس المسلمين طاقاتهم التحررية من ربقة العبودية البشرية . انطلقت تلك الصرخة توقظ المسلمين من غطيطهم ، وتبصرهم بالاخطار التي تملأ نواحي حياتهم ، وتهيب بهم ان يقاوموا الاستبداد والاستعمار . وكانت لهذه الصرخة اجنحة البرق . فانتشرت في العالم الاسلامي انتشار اضواء الشمس في الظلام . وأزعجت الاستعمار الانجليزي ايما ازعاج . وكان لها اقوى استجابة في مصر . وكان محمد عبده عنوان تلك الاستجابة . وحامل لواء الرسالة من اجل انتشال العالم الاسلامي من عهود العبودية والغرور . وقف جمال الدين الافغاني مشرفا على العالم الاسلامي وهو يصيح في ابنائه : هبوا من غفلتكم . اصحوا من سكوتكم . انفضوا غبار الغباوة والخمول . عيشوا كباقي الامم احرارا سعداء . او موتوا ماجورين شهداء . الى غير ذلك مما من شأنه — كما قال السيد رشيد رضى — ان يحرك

الاسلامي نموذجيا بين كافة البشر ومن ذلك الدعوه الى الخير عن طريق البشاره الكبرى لصاحب العمل الذي يعم نفعه ويعود بالخير على المجتمع مثل ذلك الحديث الصحيح سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد اذا خرج منها حتى يعود اليها ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . فليس المراد خصوص ان هؤلاء المتصفين بهذه الصفات يكونون في ظل الله وحمايته ورعايته آمنين من الخوف والعذاب واهوال الموقف يوم القيامه لانهم قاوموا شهوات النفوس وادوا حقوق الله وحقوق عباده بل النبي (ص) يريد بهذه البشرى ايضا جذب المومنين للتخلق بهذه المحامد والفضائل حتى يكون المجتمع الاسلامي مكونا من هؤلاء جميعا فيكون مجتمعا راقيا فيه العدل والعبادة وعماره المساجد والمحبه في الله والبغض فيه والعفه وترك الزنى والمواساه والاحسان بكثرة الصدقه واخفائها وفيه خشية الله التي تجمع كل خير وتوصل الى كل سعاده . فاول من قدم له الرسول هذه البشرى العظيمه راس الامة وراعيها الامين الامام العادل الذي لا يحكم بالشهوة ولا يبلغ ساحته الرشوه ولا يولي في الوظائف على الرعيه الا نزيها وكفؤا لاعماله شريفا في اخلاقه واحواله فينتشر العدل من الامام ونوابه في كل مكان وقد وهب الله للمغاربه وله الحمد ما وهب واولى اماما ضرب المثل في الاخلاص والتضحيه والعمل قاد السفينه في وقت الاضطراب والاهوال الى ميادين الحريه والاستقلال نصره الله وايده .

الثاني الشاب الذي نشأ في عباده الله حتى يكون قدوه في الخير لاخوانه وفي ذلك كل خير للمجتمع لان الشبان اذا نشأوا على العباده والدين اخلصوا في التضحيه وخدمة امتهم وحازوا قصب السبق في افضل الميادين .

الثالث رجل تعلق قلبه بالمساجد لانه طاهر الروح على قدم المصطفى يرى قرة عينه في الصلاة وبكثره امثاله تقوى الخير والبر في المجتمع لان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فهو وان تناول امور المعاش بالاخذ والعطاء من الدين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

الرابع المتحابان في الله بحيث تكون المبادىء السامية هي التي تجمع بين قلبيهما وعلى هذا الاساس كانت مكانة بلال الحبشي ممتازة عند الصحابة اكثر من قرابة خلف من اعتقاد الحق والعمل به كما قال البوصيري في وصف عمر :

والذي يقرب الاباعد في الله اليه ويبعد القرباء .

وعلى هذا الاساس قال النبي عليه السلام : سلمان منا آل البيت .

الخامس رجل استطاع ان يقاوم الشهوات في ازهى صورها واقوى دواعيها من اجل مخافه الله التي عمرت قلبه وملكت مشاعره ولبه فاجاب المراة ذات المنصب والجمال التي دعته الى نفسها بقوله اني اخاف الله .

السادس الاخلاص في الاحسان واخفاؤه حتى لا يشاب بحب فخر ولا رياء من حظوظ النفوس الشريره .

السابع رجل غلبه الشوق الى الله والتفكر في صنعه وملكوته وعظمته تفكرا يبعث على الخشوع وتفيض من اجله الدموع ولا شك ان المجتمع اذا اشتمل على هذه الطوائف الطيبه النفوس الكريمه المنبت والغروس تكون مجتمع اطهار تغمره السعاده وتمتع نفوس اهله بالرضى والاطمئنان .

وقد مرت في مختلف العهود الاسلاميه في المغرب والمشرق امثلة لامعة بلغت ذروه العلم والرياسة فلازمها الزهد والورع كعمر بن عبد العزيز والحافظ بن حزم الذي تخلى عن الوزاره للاشتغال بالعلم فبلغ فيه المكان الاسمى ويوسف بن تاشفين الذي كان يعتقد ويكثر الصوم وقت جهاده ومؤسس دوله المرابطين عبد الله بن ياسين وحماس بن مروان الذي تولى قضاء افريقيا فجمع الله عليه القلوب واظهر العدل ولم يأخذ عن قضائه اجرا حتى اوصى ابنه وقت احتضاره ببيع كتبه لشراء كفنه . فقد حكى عنه ابن فرحون في الديباج انه خرج ليلة من بيته وابنه سالم يتهجد في بيته والعجوز في بيتها تقرأ وتركع وتبكي والخادم تصلي فوقف في الساحه وقال يا آل حماس الا هكذا فكونوا وتضيق المقام عن كثرة الامثله ومدار صلاح المجتمع على الايمان والتعاون على البر والتقوى وما عدا ذلك فهو كله من لهو الحياه وقد قال الله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر والله يهدي من يشاء الى الصراط المستقيم .

للشعب ليتاح له ان يشارك في حكم نفسه عن طريق الحكومة الديمقراطية . وهو وان كان يرى وجوب بث العقائد الصحيحة في النفوس لتفهم الناس دينهم الصحيح ، الا انه كان يلح على الناحية السياسية والحكومة النيابية ، لانه يرى من الخطأ القول « كيفما تكونوا يولى عليكم » بل « كيفما يولى عليكم تكونوا » . واذن لا سبيل لاصلاح العالم الاسلامي الا عن طريق تغيير نظام الحكم . وكان يرى في الخليفة عبد الحميد العثماني مرضا خطيرا وشللا في رئة العالم الاسلامي ، لانه يمتنع عن تغيير نظام الحكم ويعتمد في عرشه على نظام جاسوسي وعلى دعايات فارغة يشيعها اعوانه بين المسلمين . مما كان يساهم مساهمة فعالة في نومهم وقعودهم عن مواجهة الاخطار بأنفسهم وبمسؤوليتهم . ولعل صحامة الوسائل في تغيير الانفس وتبديل الافكار وايجاد امة جديدة مع الخطر المحدق بالعالم الاسلامي . كل ذلك كان يدفعه لاستعمال الاصلاح السريع عن طريق سياسي .

في الحقيقة ان مجرد تغيير اسماء لا يؤدي الى تغيير افكار وارواح . وما نظن ان الهدف الرئيسي كان تبديل نظام بنظام فقط . بل كان هدفه ايجاد نظام ديمقراطي يساعد على بث الفكرة التي يريدها والاصلاح الذي يرجو القيام به . لان الاصلاح لن يرى النور في ظل نظام دكتاتوري متعفن بسوده حكم فرد يدعي انه خليفة المسلمين . في حين يعمل على عرقلة كل محاولة لاصلاح العالم الاسلامي . خوفا من زلزلة مركزه الذي حسره بعد حين على يد الاجانب وجمعية الاتحاد والترقي الرهيبة ايضا . فجمال الدين مع ذلك يرى وجوب نشر العقائد الصحيحة في النفوس . ولكن هذا يحتاج بالطبع الى زمن طويل نسبيا . وجمال الدين يريد الانقاذ بسرعة فائقة ، لان الخطر داهم وفي حالة الانقضاض . فهو كان يريد الانقاذ والاصلاح في آن واحد . وقد تكون لطبيعته الهائجة الثورية الحادة تأثير في استعجاله الاصلاح عن طريق قلب نظام الحكم في العالم الاسلامي . وقد تكون هي السبب في عدم تخطيط جمال الدين لنظام اصلاحي دقيق ، غير اننا نظن ظنا قويا ان للظروف التي كان يعيشها العالم الاسلامي تأثيرا اكبر في موقفه ذاك ، اذ كانت تلك الظروف تنكر على نفسه شعوره بالمأساة التي آل اليها هذا العالم . انه كان يرى وجوب اجراء عملية لنظام الحكم بتغييره الى حكم نيابي . ليصبح الشعب شاعرا بمسؤولية ، مضطلعا باعبائه ، وليطلع على ما يحاك ضده من دسائس ، وليعيش المشكلة بدايته قبل أن يفوت الاوان ، وقبل ان تلقى الخلافة مصرعها على يد الاستعمار المتربص . ولقد حاول ان يدعو لفكرته في قلب العالم الاسلامي فلم يجد الا التنكر لمبادئه من الملوك واصحاب المطامع وبعض ذوي النيات الطيبة الذين نظروا اليه بعين ملونة بلون الدعايات المغرضة ومن وراء الجميع جهاز الاستعمار الموجه سرا وعلانية . وكان الطرد والتشريد والعنف جزاء وفاقا لافكاره الخطيرة . اذن فليذهب لباريس ، لتصدر مجلة « العروة الوثقى » بالتعاون مع تلميذه محمد عبده ، وقد اتخذها وسيلة لتهييج العالم الاسلامي على الاستعمار الانجليزي . كما الف جمعية سماها باسم المجلة . ووضع لها نظاما حسب تجربته التي خرج منها في كفاحه وفي اتصالاته مع الافراد والهيئات والجمعيات . وبالاخص الجمعية الماسونية التي كان قد انتسب اليها في بعض الايام ، غير انه استقال منها بعد ذلك لاطلاعه على انحرافها ، ويأسه منها في تحقيق امنيته التي من اجلها انتسب اليها . وقد كافحت تلك المجلة وجاهدت وحثت المسلمين — وبالاخص المصريين — على العمل من اجل احباط المؤامرات الانجليزية . وعندما نتصفح عناوين المقالات المحررة في المجلة ، نرى اكثرها سياسيا عنيفا مثل : « حيلة انجليزية » ، « فرصة يجب ان لا تضيع » ، « نكاية الانجليز » ، « كيد الانجليز في مصر » ، « احقاق سعي الانجليز » . وبجانب هذه الموضوعات ومثلها توجد بعض المقالات الاخرى التي تنافس « الطبيعيين » وتبحث في فكرة القضاء والقدر وفي اسباب رقي الامم وانحطاطها . وكان شعار المجلة تحذير الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا . من تطاول الاجانب عليهم والافساد في بلادهم . وقد خص المسلمين بالذات ، لانهم العنصر الغالب الذي غدر به الاجانب واذلوا اهله اجمعين ، واستأثروا جميع خيراتهم . وكان الغرض من تأسيس جمعية العروة الوثقى اعادة الحكم الاسلامي وهداية الدين الى ما كان عليه من الطهارة والعدل والكمال في العصر الاول بتأسيس حكومة اسلامية على اساس الخلافة الراشدة في الدين وما تقتضيه حالة العصر لمجد الاسلام في امور الدنيا .

الماء فتجعله نارا . وتثير نسيم الصبا فيغادرها اعصارا ... ولكن هذه الصيحه لا تعني الا الدعوه للثوره على الظلم والاستعباد . وتمزق ذلك السكون الدليل الذى جثم على ارجاء العالم الاسلامي فى الجملـة . وان كانت تحمل روحا جديدا منبعثا من اعماق شخص قـد استشعرت اعماقه ءالام العالم الاسلامي على نحـو فريد . وادركت النكبه التي سيصير اليهـا . الا ان العالم الاسلامي ليس فى حاجة الى من يثيـره فقط ، لان ادوار البطولات الانفراديه لا تكفي فى حل المشكلـة الاجتماعيه التي تتفرع عنها جميع المشـاكـل الاخرى . بل انه فى حاجه الى من يحدد له الاهداف بوضـوح والوسائل الفعاله للوصول لتلك الاهداف . وتمكنـه من كيفيه استخدام تلك الوسائل على نحو منتج . وفى رسم معالم الطريقة للاصلاح . ادلى المصلحون المجددون بآراء مختلفه . وان اتفقوا على الغايه وهى تحريـر العالم الاسلامي وانقاده من الهاويه . ووجوب عودتـه الى الاسلام . ولنتعرض هنا فقط لفكرة جمال الدين فى عمومها باعتباره استاذا للامام محمد عبده .

ان جمال الدين يرى ان الوحدة الدينيه هـي الاساس الحق لكل نهضة سياسية . بل هي بمثابـه الروح فى الجسد . ولا خير فى تقدم لا يبنى علـى قرآننا وديننا . وبدون دين لا نستطيع ان نتخلص من السيطره الاستعماريه . ويرى جمال الديـن ان اوربا نهضت بسبب الحركه الدينية التي قامت على يـد المصلح البروستانتي لوثـر . وان كان استاذنا مالـك يعزو اصل الحضاره الاوربية الى عهود المسيحيه على ايام شرلمان الذي كان يناصر الديـن المسيحي .

وما يصرح به جمال الديـن هو الذى كان يدعو اليه غاندي بكل قوه والحاح ان الحضاره الغربية شر خبيث لانها تعبد المادة والآله . انه يقول : ولكننا ايضا فى حاجه الى الضوء الثابت المستقر . ضوء الايمـان الديني . ويرى طاغور نفس الرأي . وان كان قد عرف بمسايرته او بنوع من التفاهم مع الحضاره الغربيـة بعكس غاندى كما يشارك جمال الدين فى رأيه الامير شكيب ارسلان الذي يسفه آراء بعض الشباب الذين يظنون عن جهل وسطحيه ان اوربا اسست مدنيتهـا على الالحاد . وقد ضعفت اوربا اليوم بسبب ضعف عقائدها الدينية . وهذا الراي هو الذي توصل اليـه اخيرا العلامة الانجليزي المؤرخ توينبي . فقـد كان لا يعترف بقيمه الدين فى تكوين الحضارات ، ولهذا لـم يعره الاهتمام اللائق فى كتاباته السابقة ، غير انـه اصبح اليوم يعتقد ان للدين القيمه الاساسية فى تكوين الحضارات ، وان الحضارة الاوربية ستنهـار ان لـم تعتمد على دين يمكنها من الوسائل لحل مشاكلهـا المتزايدة . ولكن الدين الذي يريده جمال الديـن للمسلمين هو دين السلف الذي لم تلونه وثنيـة المنحرفين . ولم تفسده عقائد متبطة بثها المفسـدون وضعاف العقول فى ثنايا الثقافة الاسلامية . فاذن لابد من تنقية هذه الثقافه مما علق بها من ميكروبات تنحرف بها عن اهدافها وتبث فى طريقها العراقيل وتقلل قيمتها فى العلاقات الاجتماعيـه وفى العلاقـات بيـن الارض والسماء . ويرى ان الاسباب الآتية كفيله بحفـظ الدوله : الاتحاد وعدم الركون الـى الاجانب واسنـاد الوظائف لهم . والتعاون والقيام بالواجب المفـروض على كل فرد . وعدم الاستبداد بالـرأي . والاعـداد المادى لمواجهه الاخطار . واعطـاء الحقـوق لاهلهـا ، ووضع امور الدولة من وظائف مختلفه فى يد كفء لها صالح للقيام بها . وما وصل المسلمون الى ما وصلـوا اليه من انحطاطات الا بمخالفة تلك المبادىء وتغيير تلك القيـم . استجابـه لشهـوات فى نفـوسهـم . ولانحرافات فى غرائزهـم . تاركيـن بمصالح الامـه العليا لجح البحر . لا يهمهم الا الحصول على لذائذهـم الماديه الحاضره . وان اودت بمستقبل الامه واسلمتها الى الهلاك والفناء . ولسنا فى حاجه الى لفت النظـر الى ان تلك الاسباب كلها او بعضها ما تزال قائمـه فى بعض اطراف العالم الاسلامي : « ذلك بان الله لم يكـن مغيرا نعمه انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم » ولكن تطبيق هذه المبادىء يحتاج الى مجهود كبيـر ، والى تعب متواصل . لان الوصول الى القمم دونـه العقبات والاخطار . ولكن على كل حال هناك فى القمم توجد السلامه والراحه والرضى . (ومن يتهيب صعود الجبال يعش ابد الدهر بين الحفر) .

فالشجاعه شرط اساسي لـدفـع الامه عـبر مبالبه بالاخطار نحو تحقيق اهدافها ومثلهـا .

يرى استاذنا الدكتور محمود قاسم ان جمـال الدين كان يضع حلولا ساذجة لمشاكل ضخمة وان كان لم يوضح هذه الفكرة بحث يقتنع بها . ونستطيـع ان نلخص طريقة جمال الدين فى الاصلاح بانه كان يريد تجديد الامة باصلاح الدولة ، باصلاح النظام السياسي، ولذلك نراه يدعو الشعوب للثوره على الملوك المستبدين ويهددهم ويصارحهم ولو كانوا غرباء ، كما حدث له مع قيصر روسيا ، ويطالبهم بان يعطوا الحقوق السياسية

المغاربة أمة مسلمة واحدة

بحث

للأستاذ

ح محمد بن العربي بنونة

برقت لوامع الهداية تنير السبل للجبل والرجال. فانساب النور من الكعبة المشرفة . والحجرة المنورة . في امواج تلو امواج ، تمنح جميع ما في طبيعة الهداية من الايمان والرحمة . والخير والقوة . وتكسح جميع ما في طبيعة الضلال من الشر والانخذال والكفر والقسوة حتى غسلت بزمزم ما يحك في الصدور من ضغينة . وما يرين على القلوب من آثام . وطهرت بالفرقان مما يهيمن على العقول من تقليد . وما سيطر على المجتمع من استعباد . وما تسلط على الارواح من اوهام .

وكانت هذه الامواج التي تتدفق من البيت الحرام ومن البيت النبوي تعطي المثال لعالميتها السماوية بامثالها وبمثلها العليا باخلاقهـــا .

وتسابق الصحابة وابناء الصحابة ، والتابعـــون وابناء التابعين الى تبليغ الرسالة ، واداء الامانة فابلغوا الى سكان الارض جميع ما نزل من كلام السماء ، وقالوا للناس: ايها الناس . ان الاله الواحد هو وحده فاعبدوه، وان الدين المقبول عند الله هو الاسلام وحده فاتبعوه، وان المسلمين هم : امة واحدة فاتحدوا ، انكـــم متساوون في الحقوق والواجبات وشركاء في الخيـــر والرحمة ، ولا فضل لاحد على احد ، وانما هي اخــوة وحب واعتصام وتعاون ، فلا يكمل ايمانكم حتـــى تتآخوا ، ولا تدخلون الجنة حتى تتحابـوا ، ولا تعزوا في الدنيا حتى تعتصموا بحبل الله . ولا يزدهر حضاركم حتى تتعاونوا على البر والتقوى (ان اكرمكم عنـد الله اتقاكم) .

وسارت هذه الامواج تلو الامواج من بطاح مكة ، وسهول المدينة تتدفق بهذا الخير العميم . حتى خيمت بارضنا ، واستقرت بربعنا . ووقف قطب رحاهـــا . وقائد هداتها على شاطىء بحرنا .

وقف صاحب رسول الله (ص) . . وقف عقبة بن نافع على الشاطىء يدفع بفرسه حتى غاصت قوائمها في ماء الاطلسي — والامواج تلو الامواج تتكسر عليها — وهو يرقب الافاق الواسعة ما بين السماء والمـاء . . انه المحيط . . انه بحر الظلمات . . انه آخر الدنيا . . هذا مغرب الشمس . فرفع كفيه . وطمـح بعينيه ، ودعا ربه باخلاص الصحابي . وقال كلمة المجاهـد في سبيل الله . المستميت لاجل اعلاء كلمة الله : (اللهم رب محمد لو اعلم ان وراء هذا البحر ارضا تغزى في سبيلك لغزونهـا) .

وخشعت الاصوات لصوت عقبــة بن نافع ، لان فيض الايمان تسكن له القلوب ، وتدين له العقول وتهبج له السواكن . وتطمئن عنده الارواح ، فهــو كالغيث المنبجس . كله بركة وكله رحمة ، اينما سقـى انبت واحيى . انه صوت صاحب رسول الله (ص) ، واللـــه ذو الفضل العظيـــم .

فتح ارضنا للاسلام . وللاسلام وحده وتدافعت الامواج تلو الامواج بالاناسي الذين اقتبسوا الانـوار من مصابيح الهدى ، من صحابة رسول الله ، واستقوا الاخلاق من منابع الاستقامة . اتباع نبي الله . فكان لهم في هذه البلاد الجميلة لون لا تضاهيه الالوان ، لانه لون الوحدة التي ارادهـا اللـه للمومنيـن . وبالتوحيـد والوحدة ابتدأت قصة المغرب العظيم ، وردد التاريـخ كلمـة الله الخالدة :

(وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) .

وتدفقت الامواج تلو الامواج . تدخل في دين الله بالافواج ، فقد جاء نصر الله والفتح . وكتب المغاربـة بدمائهم على اراضيهم وعلى صحاريهم وفوق جبالهـم آيات اسلامهم ، ومعجزات ايمانهم ، فعبروا الزقـاق وانشأوا اندلسهم وولجوا في الصحراء وفتحوا سودانهم،

ويبدو من كلام السيد رشيد رضى انه كان للجمعية مبادىء سرية « وغرض بعيد » . وهذه المبادىء القوية لم تكتب حينذاك . وهنا يبدو شابه بين هذه الجمعية وبين جمعية الماسونية التي تعيش فى عالم بين الغموض والستر والمكر والخديعة. ولكن مع ذلك فان جمعية جمال الدين ومجلته كانت تهدف الى ناحية انسانية ايضا كما تصرح بذلك فى المجلة ، اي الى تقوية الصلات العمومية بين الامم . وتمكين الالفة فى افرادها. وهذه من دعوة الاسلام الذي يستهدف التعاون بين الشعوب والقبائل . غير ان المجلة – كالجمعية – لم يكتب لها البقاء لخطرها على الاستعمار الانجليزي والعالمي . وقد عاب الدكتور محمود قاسم على جمال الدين مسالمته لفرنسة . مع ان الاستعمار واحد . ولكن الذي يبدر لجمال الدين ذلك هو انه كان يرى ان قادة العالم الاسلامى قد وقعت فى يد الانجليز وتحت سيطرته . وان الاستعمار الانجليزي يهدد سرا وعلانية الخلافة الاسلامية

وينازعها مصر التى كانت – وما تزال – مركز ثقل الدعوة التحريرية الاسلامية . وزيادة على ذلك فان الهدنة مع فرنسا لا تعني ان جمال الدين كان راضيا عن محاربها ، وانما اتخذ بلادها مركزا لمجابهة اعدائه الآخرين الذين ضيقوا عليه الخناق وطاردوه فى كل بلد ؛ فلم يجد مفرا من الاقامة فى باريس التي سمحت له باصدار مجلته ولو الى حين .

ولنفق (الكواكبي) مع جمال الدين فى كثير من تلك الافكار ، لكنه يلح على الناحية الاقتصادية كتوزيع الثروة والانتاج والعمل ، غير ان ذلك كان فى شكل غير دقيق ولا عميق . اما محمد عبده فكان ذا منهاج خاص يختلف عن منهاج استاذه ، وهو موضوع مقالنا فى العدد المقبل ان شاء الله ، فالى اللقاء .

« ينبوع »

لا رهبانية فى الاسلام

عن انس رضى الله عنه ان نفرا من اصحاب النبي (ص) قال بعضهم لا اتزوج يعني لنفرغ للعبادة ، وقال بعضهم اصلي ولا انام وقال بعضهم اصوم ولا افطر فبلغ ذلك النبي (ص) فقال ما بال قوم قالوا كذا وكذا لكني اصوم وافطر . واصلى وانام . واتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى .

الاسلام ودستورنا القرآن والسنة فلا قانون ولا (يرزق) وانما هو فقه اسلامي وشريعة محمدية سمحاء ، وامة موحدة وثبت المومنون امام المآسي ، والسجون والمنافي وباء الاستعمار وعملاء الاستعمار بالخسران المبين ،.. وتلك نعمة نغبطنا عليها دنيا الناس ، دنيا الذين داقوا ويلات الاختلافات الدينية والمذهبية وتدخلات الاجانب لحماية الاقليات .

وان هذه النعمة التي نمتاز بها المغرب ويحسده عليها كثير من الناس ان هي الا النفحة الرحمانية التي هبت علينا هبوب الصبا على الملفوح يوم قدم المولى ادريس حفيد رسول الله (ص) فجعلنا امة واحدة ، امة وسطا تمثل الخيرية بالايمان والحرية ، وعصمت بالانصاب والصلبان ، والاصنام والاوثان ، فلم تترك لنا اقلية مجوسية ولا نصرانية ، ولا طموثية ولا وثنية ، وانما هي امة مسلمة موحدة ، وانها لنعمة يجب شكر الله عليها بمراجعة بعض الانظمة التي وضعت اخيرا (المغربة) بعض الناس الذين استهواهم جمال بلادنا وروعة طقسنا ، وثراء ارضنا ، فقرروا العيش معنا .

ان حقوق الاجانب القاطنين بالمغرب مضمونة بالكتاب والسنة والذمة الاسلامية النفسة الوفية ، قبل عقد المعاهدات ، وامضاء الاتفاقات ، اما منح الجنسية المغربية للاقليات التي تخالفنا في العقيدة واللغة والميول فانه سيخلق لنا – في المستقبل القريب او البعيد – مشاكل وايه مشاكل .. ! مشاكل قد نجانا الله منها منذ هبت علينا نفحة الرحمان بورود المولى ادريس الفاتح .. ومنذ تدفقت الامواج تلو الامواج من خيرة المسلمين .

« الفرق بين الزاهد والعابد والعارف » عند ابن سينا

« المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد .
والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما يخص باسم العابد .

والمنصرف بفكره الى قدس الجبروت مستديما لشروق نور الحق في سره يخص باسم العارف . والعبادة عند غير العارف معاملة ما فانه يعمل في الدنيا لاجرة ياخذها في الاخرة هي الاجر والثواب وعند العارف رياضة ما لهممه وقوى نفسه المتوهمة والمتخيلة لتجردها بالتعويد عن جناب الغرور الى جناب الحق » .

« الاشارات »

وابتما حلوا حلت الانوار . واستنارت القلوب . وتخلصت الارواح ، وراجت السوق . ونبت المدرسه . وعبدت الطرق وتقعد الفـن .

وتدفقت الاحداث تلو الاحـداث على المشرق . وعلى ما تصل بالمشرق : فمر منه القارون واستشهد المجاهدون . وعصفت العصبيه الجامحـه بـآل البيت واحباب آل البيت فخضبت البقاع بـدم من يبكيهـم الارض والسماء . والى الله المشتكـى .

وطلع النهار واشرقت الشمس علـى دنيانـا . وهبت نفحات النبوه تحمل الرحمه والنور !! واقبـل راشد يقود راحلة ادريس .. بل مولانا ادريس بـن عبد الله بن الحسن بن علي وفاطمة بنت رسول الله(ص)

ان النفحات الرحمانيه اذا خطرت على القلـوب غسلتها ، واذا مرت على الاخلاق هذبتها . واذا مست الارض اخصبتها ، واذا لمست البداوة مدنتها .

وكان المولى ادريس رضي الله عنه احدى نفحات الرحمة عطرت دنيانا ، وارجت ارضنا .. فأسـس دولتنا ووحد قبائلنا .. واعلن استقلالنا . وجعلنـا — كما امر الله — امة واحدة تترعرع اشبالها وتزهـر افنانهـا بعناية آل البيت المبارك . فتجانست الافكار ، وانسجمت الطباع . وتآخت الاقوام . فانصرف همها الى الجهاد والفتح . والبناء والتأسيس .

ولست بمتعرض للاحداث فعيها نفصـل ، وفي التفصيل تطويل ، وللتطويل قلم آخر ، واسلوب غيـر هذا ، اعاذنا الله من الجفـاف والتبوسـة . وزج بنـا في اللبونة والطرواة . وأرانا نور ارلتصره ما في النفحات الرحمانية من الاسرار . وما في هذه الاسرار مـن الحقائـق .

لقد انسجمت ارواح المغاربه مع روح المولـى ادريس حفيد رسول الله (ص) فتكونت الدوله المغربيه العظيمه وقالت للدنيا : الله ربي . والقرآن دستوري ، وحفيد رسـول الله امامـي ، والتوحيـد شعـاري ، فاندكت العصبيات ، وتوحدت القبائل وانبعث الرجولة الممزوجة بالنبل ، وضاع شذاهـا فعطـر سباسب الصحاري ، وادغال افريقيا فكان الصفاء والصفيه ، واذن الله ، فأمن الناس فأمنـوا . واسلـم النـاس فاستسلموا . واخلصوا فعزوا . واطمأنوا فسعدوا .

وتدافعت الامواج تلو الامواج ، والاحداث تتلون بلون الاغراض : فمن مطمح الى دعوه ، ومن دعوة الى راي ، ومن راي الى مذهب ، ومن مذهب الى عقيـده ومن عقيدة الى سيف ، ونحن نحمد الله ، ونشكـر نعمته بالمحافظة على ما به ميزنا ، من وحدة في الدين ، ووحدة في الـراي ووحـدة في المـذهب ، ووحـدة في العقيدة ، فلم نغمس يدا فيما ابتلى به المشرق الحبيب من الاختلاف ولم نشارك فيما تأجج فيه من الحروب .. فبينما (الخوارج) يريـدون الباطـل بكلمـة الحـق ، فيصولون بصوارم البداوة والصعلكة يقطعون الطرق ، فيحرون المشركين . ويقتلون الموحدين .

اذا بفدائيي (الشيعه) يتدرعون (بالتقيه) في نـور الشمس . ويشررون بخناجر الانتقـام تحت احـلاك الليل . فيبعثون القلق والرعب في نفوس الناس اجمعين ، وبينما (محكمه العقل) يقولون قولهم في القدر والقرءان ويجعلون (الاعتزال) العدل والايمان ، فيسلطون علـى الفضلاء اسواط الامتحان .. اذا بالجبريه والمرجئة تتخذون التثبيط والتعطيل سلاحا للتسليم والتخذيل .. وهنالك ابتلى المسلمون بالتأول والتأويل ، والفتنة والتضليل .. حتى المذاهب التي قالت : انها هـي (السنه) كان لها — وباللاسف — شأن في الاختـلاف والقتال . ومقام في المناظرة والجدال .

نقول : بينما المذاهب والنحل تتجاذب اطـراف الحديث المر في معركه (الايمان والكفر ، والاجتهـاد والتقليد ، والتشبيه والتنزيه ، والتفويض والتعطيل ، تارة بالقول الصارم ، وتارة بالسيف القاصم ، اذا في المغرب — كما قدمنا — عقيدة واحدة ، ومذهب واحد ، واتجاه واحد ، وامه واحده .. بل .. وامام واحد ..

واستطاع المغرب ان يحافظ على الاستمتاع بميزته هذه طوال الدهور . وان ينجو من فتنه السيف والجدل اثناء تعاقب الدول والعصور . وما هبت لفحة مـن سموم جهنم الا وقالت وحدة الدين : انا لها . وحتـى في ايام المحنه الكبرى والابتلاء العظيم ، وتحكم الذين يكفرون بالقرءان والاسلام عندمـا اراد الاستعمـار ان يبعث الجاهلية الاولى من مراقدها ، ويحيي العصبية الجنسيه من مقابرها . ويشن حرب (العربية والبربرية) وقف المغاربة صفا واحدا وقالوا قولهم المشهـورة : لسنا بربرا ولسنا عربا ، وانما نحن مسلمون ، ديننـا

« بينما البلدان ذات الطابع النصراني الراجح بها تقاوم الشيوعية وتلبث ملتحفة اشد التحاف بالغرب ومحاسنه الانسانية . من ذلك ان بلدان خليج غينيا والاكواتور قد اتجهت اتجاها تاما نحو الحلول التي ترمي الى الشركة مع البلدان الاوربية ولاسيما فرنسا منها . واما السنغال فانه يعرض نازلة ذات طابع خاص وملئة بمبهم ، بيد انه جذاب . ونريد هذه المستعمرة الفرنسية العتيقة المدمجة سياسيا في فرنسا ، اذ كان لها اعضاء بمجلس النواب الفرنسي منذ عشرات السنين ، من باب العاطفة ان تبقى مرتبطة بفرنسا ، الا ان تأثير السودان وثقل الميول الاسلامية كل ذلك يدفعها الى الاستقلال . ولابد من اضافة مثل غينيا الى ما ذكر مع بعض عاطفة التعالي على البلدان الاخرى ، لعل الحكمة السينغالية ستنتصر ، والا ففي ظرف مدة وجيزة تملك الشيوعية من دكار الى كاوور والحرب في الجزائر لن يسعها الا ان تستمر سنين عديدة (1) » .

ولما انتهى من الطعن في الاسلام تكلم عن الديموقراطية المحررة فقال انها تدفع الى مبادىء القانون الطبيعي ، وانها سبق ان كانت سبب شفاء الامم الغربية وانها قد تؤدي الى الانتثار بهذه الدول الفتية ، وان هذه الدول الفتية لن تستطيع ان تقاوم ممارسة هذه الحريات الغير الطبيعية التي تمنح نفس الحقوق في الخير والشر الى المواطن المحسن والى المواطن المسيء .

ثم ابدى مخاوفه قائلا : لقد آن الوقت لان نفهم ان هذه الدول يجب ان تكون لها سلطة قوية لتدافع عن الحرية الحقيقية وان تمنع مرتكبي الفوضى من ارتكابها مصرحا بما يأتي : « ان السلطة والحرية الحقيقية تتمم بعضها الآخر ، فنحن نرمي في احضان الشيوعية بهذه الحكومات الفتية اذا طالبناها بديمقراطية هي نفس مدلول الديماغوجية والفوضوية » .

« على ان البلدان النصرانية وبالاخص الكاثوليكية لها ان تظهر اتجاها خالصا مشجعا لجميع هذه الدول التي لها حكومات ذات نيات حسنة . وليس عليها ان تتبعها في اية مغامرة » . واستمر كاتبا ما يأتي بعربية :

« ففي بلداننا الافريقية ، الناس يشعرون بالمثالية الدينية والروحية وبالمحبة بين الشعوب وبالعلائق الودية المحافظة على الكرامة اكثر من شعورهم بالمعونة المالية ، ذلك عمل البلدان المتعودة الاكتفاء بالقليل ، الا انها جد سريعة التأثر في ميدان الفضيلة وجد مفتوحة للحقائق الروحية ، فالبلدان النصرانية تكون غالطة اذا غفلت عن هذا المظهر الثقافي والديني الذي يكون احسن سفير يمثلها ، والمجيء الى هذه البلدان بالارصدة وحدها محض خطأ . ان المعونة التي تظهر ان حكامنا الجدد يتمنونها هي تعاون تقني يشمل جميع ميادين النشاط الوزاري » .

ثم اشار الى الخصال المعنوية التي يجب ان تتسبب بها لضمان النجاح .

الشيء الذي يلفت النظر في هذا المقال ، بقطع النظر عما جاء فيه من الحق والباطل والخطأ والصواب هو ان الاستعمار يجد دائما روادا ودعاة دجالين مساعدين من رجال الكهنوت ، يجوبون الدنيا ويعيشون في الفيافي والقفار ، وهم يتوفرون على ثقافة واسعة وشهادات جامعية عليا وتخصص في علمي النفس والاجتماع وطاقة من الصبر والايمان بعقائدهم الفاسدة، وكلهم طمع في ان يكونوا طائفة قليلة من البسطاء وان ينصروها وان يدمجوها وبلادها في حظيرة دولة نصرانية . ولقد كنا نمني انفسنا بانهم لن ينجحوا واعتصمنا نحن بالتواكل والريبة ، ملقين الحبل على الغارب ، غير مكترثين للنتائج التي لم نكن — نحن المسلمين — لنقيم لها الوزن .

ولئن كانت الدول الافريقية الحديثة الاستقلال المنخرطة في الرابطة الفرنسية وقفت موقفها الذي اتخذته في منظمة الامم بخصوص القضية الجزائرية ، فان درك هذا الموقف يرجع الى هؤلاء الدعاة النصارى الذين لا يكتفون بتلقين العقائد بل يتمالؤون وساسة الاستعمار على توحيد جهودهم وخط برامجهم وتنظيم دعاياتهم ضد الاسلام تارة وطورا ضد كل المبادىء السياسية التي يشتمون منها خطر تفويت ما احرزت عليه الدولة المستعمرة النصرانية طيلة القرون الماضية

1) نشر هذا المقال قبل انفصال السنغال عن السودان وما جاء في هذه الفقرة من التنويه بالسينغال والاشارة الى ارادتها البقاء مرتبطة مع فرنسا يؤذن بان حركة انفصاله عن السودان كانت مؤامرة تدبر تحت طي الخفاء بواسطة رجال الكهنوت والساسة الاستعماريين . (ص. م) .

تحامل على الإسلام

للاستاذ محمد المهدي الصقلي الحسيني

سرب مجله «لافرانس كاتوليك» بعددها الصادر في دجنبر 1959 مقالا بقلم اسقف دكار كبير النصرانية بافريقيا السوداء تحت عنوان : هل الدول النصرانية ستعمل على تسليم افريقيا السوداء للنجم الاحمر ؟ وقد استهل الاسقف مقاله بالتحدث عن اعتبار افريقيا السوداء في القديم بكونها قارة غير صحية وغير مسكونه وبلاد الاوبئة والامراض . وبانها تجلب كاهم العوبة للدول العظمى . وانها في ظرف بضع عشرات من السنين صارت اكبر بطل ، واسباب هذا التغير يرجع الى عدة عوامل . اهمها نمو المواصلات بها نموا عجيبا سواء منها :

1 — الطرق او سكة الحديد او الخطوط الجويه .

2 — توسيع المدن الكبيرة توسعا يدعو الى الاعجاب .

3 — تقدم الثقافة الذي قال عنه : ان الفضل فيه يرجع الى الدعاة النصارى وان عاقبته ستكون امكانية انسجام الاجيال الجديدة مع كل ما يروق الروح ان تعرفه . واضاف قائلا : الا انه واحسرتاه . في ذلك من الجيد والقبيح اذ المعسكر مفتوح لكل الدعايات التي يوتى اكلها .

وبعد هذه المقدمة تطرق لما يدخل افريقيا من الجرائد والمجلات المصورة ومن المغوس والدعاة من كل جهة وجانب ، والى تعدد الاحزاب السياسية وما تعد به كل منها من الحرية والمساواة والاموال . والى ما يروج من جمل تدعو الى الثورة : كحق الشعوب في التصرف لنفسها بنفسها . والحق في الاستقلال . والى ان وخز الضمير اخذ يسري في القادة بفرنسا .

واستنتج من ذلك ان ثورة كثورة فرنسا سنة 1789 على الدين والقيم تحضر من جديد في افريقيا ، والى ان سكان افريقيا يعيشون المأساة الدامية وان قادة الحكومات يتساءلون الى اين يسير الناس ؟

ثم فحص الكاتب الاسقف بعض التأثيرات والاتجاهات التي ادت في نظره للخروج ببعض النتائج، فتكلم :

1 — عن السيطرة الشيوعية ووسائلها ومناهجها مستدلا بنجاح الشيوعيين في الانتخابات بتاناريف بمدغشكار وبكون الكامرون يتسلم الاسلحة من غينيا ، وبنمو الثورة والفتنة ؛ وبكون دول الوفاق تجتهد في منع الاستثمار الشيوعي وبكون مالي مهددا اكثر من غيره (وكان مالي اذ ذاك ما زال موحدا على وشك الاستقلال بشطريه السودان والسنغال متحدين) .

2 — وعن الاسلام بقوله ما ياتي معربا عن النص الفرنسي المنشور من غير زيادة ولا نقصان :

« شيء غير مشطر بالنسبة لاولائك الذين يعرفون الاسلام معرفه غير جيده . **فالبلدان ذات الاغلبية الاسلامية هي التي تنشق باكبر سرعة عن الغرب ، وتتذرع بالمناهج الشيوعية الشبيهة في الجملة بمناهج الاسلام ، فالتعصب والجماعة واستعباد الضعفاء كل ذلك ضمن تقاليد الاسلام . وهكذا فغينيا والسودان والنيجريا والتشاد كانت وما انفكت الى الآن من هذا الاتجاه ، على ان السودان قد نظم نفسه داخليا طبق المناهج ذات الروح المركسية . واما نيجريا والتشاد فهما مدينان ببقائهما داخل الرابطة (الفرنسية) الى النشاط المزدوج لاحزاب الاقلية المقتدرة وللادارة الفرنسية »** .

حظ القرويين في الدفاع عن السيادة المغربية

للأستاذ
محمد ابراهيم الكتاني

مقدمــــــــة

الدفاع عن السيادة الوطنية ضد الغزو الاجنبي اول واجب وطني على كل مواطن واشرفه واقدسه ، وقيمة العقائد والمذاهب والمبادىء والافكار والدعوات رهينة بمقدار عملها على الدفاع عن هذه السيادة وحمايتها والمحافظة عليها . وكذلك قيمة الاشخاص – كيفما كانت جنسياتهم – والهيآت والجماعات والمؤسسات . تابعة لمقدار اخلاصها لهذه السيادة ومساهمتها في حمايتها والذب عنها والتضحية في سبيلها بالنفس فما دونها . كما ان خيانة السيادة الوطنية والتآمر عليها مع العدو او التهاون في القيام بواجب الدفاع عنها افظع جريمة وطنية واحقرها واخسها وارذلها ، وهي السوأة التي لا تستر . والجريمة التي لا تغفر . والردة التي تبيح دم مرتكبها وماله ، وتبطل جميع ما يمكن ان يكون له ازاء المجتمع من حقوق وواجبات ، وتهدر جميع ما عساه يتصف به من صفات توجب الاحترام او التقدير . بهذا قضت الفطرة البشرية ، وعلى اساسه قامت المجتمعات الانسانية ، وبه جاء الاسلام الحنيف . وعلى هديه سار سلف المسلمين الصالح .

كيف حافظ الاسلام على السيادة الوطنية ؟

تكفل الاسلام بتنظيم المجتمع الاسلامي – الذى اقامه على اساس الرابطة الاسلامية – وجعل للمسلم رسالة في الحياة ذات مثل عليا ، واتجاهات انسانية وقيم خلقية ، فدفع بذلك العرب الى الخروج من عزلتهم والانطلاق الى العالم لتحريره من الاستعمار والظلم والضلال والجهل ، وحفظ لهم – بعد انتشارهم في اطراف الارض – تماسكهم . ولغتهم واخلاقهم ، فكان – كما لاحظ الاستاذ ساطع الحصري بحق – قوة دافعة بالنسبة اليهم وقوة واقية كذلك .

ان ما يقارب سدس الآيات القرآنية كله خاص بالجهاد واحكامه وءادابه والتحريض عليه والتنويه باهله وتقريع المتخلفين والمثبطين عنه وعرض حوادث بعض غزوات الرسول وسراياه .

فلما اتجه المسلمون الى تدوين ثقافتهم كان لعلماء التفسير والحديث والسيرة النبوية والتاريخ الاسلامي بفروعه المختلفة ، والفقه على اختلاف مذاهبه مجال فسيح في هذا الميدان . اعني المكتبة الاسلامية بآلاف المجلدات التي شغلت المؤلفين والناسخين ، والرواة والدارسين ، والخطباء ، والواعظين وانتقل صداها من حلقات الدرس ومجالس الوعظ ومنابر الخطابة الى مختلف الاوساط الشعبية بدوا وحضرا ، نساء ورجالا ، عربا ومستعربين فعمت المجتمع الاسلامي روح الكفاح والتضحية في سبيل الدفاع عن المجتمع ومثله العليا .

القرويين

وجاء المسلمون الى المغرب فحرروه من الاستعمار الاجنبي اولا . ثم اندفع ابناءه شمالا وجنوبا – وشرقا ايضا – يحملون رسالة الاسلام ويدافعون عنها ويساهمون في الحضارة والثقافة الاسلاميتين بنصيبهم الملحوظ .

وكان تاسيس الدولة الادريسية بالمغرب ، وما صاحبه من بناء مدينة فاس وجامعة القرويين حدثا

اننا منذ وجدنا ونحن نسمع ان عددا من الافارقه الزنوج يعتنقون الاسلام على ايدي بعض المسلمين المخلصين الذين دفعهم ايمانهم الى القيام بالدعوة المحمدية في افريقيا السوداء وان جل هؤلاء المومنين ينتسبون الى الطرق الصوفيه ، وهم اذ كانوا يقومون بهذه الدعوه تلقائيا بصفة شخصيه لوجه الله تعالى كانوا مراقبين من طرف السلطه الاستعمارية النصرانية ايما مراقبه ، فلم تكن في وسعهم ان يشعروهم بالدعوه على حقيقتها اذ كانوا يضطرون الى ان يعرفوا بين الدين والسياسه ، يضاف الى ذلك ان هؤلاء الدعاه لم يكونوا اختصاصيين في سر الدعوه ، ولم يكونوا محررين على المعلومات التي تؤهلهم لاشعار المومنين بان العزة لا تكون الا لله ولرسوله وللمومنين ، على ان هؤلاء الدعاه المؤمنين جزاهم الله خيرا قد بثوا الروح الاستقلالية باعتراف اسقف دكار بان البلدان ذات الاغلبيه الاسلاميه بافريقيا هي التي تسبق باكبر سرعه عن الغرب حسبما سبق بيانه . فاسقف دكار لم يستطع ان يكظم غيظه على الاسلام اذ في الوقت الذي اعترف له بانه هو الذي دفع الناس الى المطالبه بالاستقلال اتهم مبادئه بانها تشبه مبادىء الشيوعيه . وابى غلبه تعصبه وعداؤه للاسلام الا ان لا يعترف بالفضل للاسلام لدفعه المسلمين الى المطالبه بالحرية ، وان لا يعترف بان النظم التي يسعى المسلمون في تطبيقها ببلادهم وهي شبيهه بالشيوعيه لم يات بها الاسلام وانما اتى بها لهؤلاء المسلمين الشيوعيون الذين جيء بهم في صور مختلفه وباسماء متباينة ليفسدوا على الناس دينهم . على ان الاسلام كما هو معروف من مبادئه لا يسير في ركب الرأسماليه الشرهه ولا يسير في ركب الشيوعيه المتطرفه وانما اخذ من كل المبادىء احسنها قبل ايجادها . والسر في كون الافارقة الزنوج اقبلوا على اعتناق الاسلام ولم يقبلوا على اعتناق المسيحية بقدر ما اقبلوا عليه . بالرغم من كون الدعاه النصارى توفرت لديهم الوسائل المالية والعلميه والاجتماعية ، بينما الدعاه المسلمون يقومون بالدعوة الى الله تلقائيا لا يرجون الا الجزاء من الله ، هو ان الاسلام دين بسيط يشتمل على نظام الحياه بجميع انواعها فهو عقيده ونظام ودولة ، دراسته بكل نزاهة تتيح لمن هداه الله اليه والايمان به .

ولو ان المسلمين كانوا مسلمين حقا في هذا العصر الذي طغت فيه الماده على الروح لاستطاعوا ان يضربوا المثل للعالم بنظام لاتاتيه النقد من بين يديه ولا من خلفه وليعلموا كلا المعسكرين الامريكي والروسي ان العظمة هي لله وحده دون غيره . وان العزه لله ولرسوله وللمومنين ، وان السعاده التي ينشدها او يدعيها كل منهما ليست الا خيالا لاحظ لهما به السمادير . وان السعاده في الدنيا انما هي نسبية ، قال تعالى : « لقد خلقنا الانسان في كبد » وان السعاده التي يجب ان يعمل لها الانسان هي التي سيجدها في الدار الآخرة ان كان من اهلها .

على كل حال قد اتضح للمسلمين مما سبق بيانه انهم تهاونوا في الدعوه الى الله . وانهم حادوا عن المحجة البيضاء . وان رجال الكهنوت بالرغم من باطل دعوتهم يؤثرون في السياسه العالمية فيوجهونها لاحقاق الباطل وازهاق الحق ، عاملين على استمرار الحروب الصليبيه باسلوب جديد وقالب يناسب وروح العصر . بينما بعض علماء الاسلام وادعياء الاسلام قد قتل فيهم الاستعمار وحب الدنيا والاثره والانانية والتقليد الاعمى كل فضيلة اسلامية فضلا عن ان يقوموا بالدعوة الى الله وبنشر محاسن الاسلام بين الاجانب . بل ان بعضهم عمل على اطفاء نور الله بدعوى العمل على نشر السلفيه والبعض الآخر قد استغل الطرقيه فافسدها والحاله انها كانت في الاصل متصديه لنشر الدعوه حتى ان دخول الافارقة من السودان في الاسلام يرجع الفضل فيه الى رجال متنسكين فقراء كل زادهم هو الايمان . فعسى المسلمون ان يتعظوا بهذه الاهوال وان يرجعوا الى الله ليتاتى لهم اذ ذاك نصر دينه . ولينصرن الله من ينصره .

فقد كان من فقهاء القرويين من نحوض المعارك الحربية بنفسه دفاعا عن السيادة الوطنية ، ومنهم من استشهد فى سبيل الله .

ومنهم من عبأ الجيوش الى الثغور وشن الغارات على العدو وانتزع منه ما بيده من القلاع والحصون .

ومنهم من وقف نفسه على الرباط وحراسة الثغور استعدادا لرد العدوان المتوقع .

فيهم من فعل ذلك بتعاون مع السلطة القائمة او اتفاق معها ، وفيهم من فعل ذلك ضد هذه السلطة لاتهامها بالتهاون فى القيام باول واجب عليها والذى ليس لاية سلطة أي عذر او مبرر للتهاون فيه . فاذا تهاونت او اهملت فقدت مشروعيتها ووجب على الشعب العمل الايجابي المباشر بكل الوسائل الممكنة للدفاع عن سيادته وحمايتها .

ومنهم من تصدى للتحريض على الدفاع عن البلاد ورد العدوان عنها واسترجاع ما احتله العدو من احرائها والاستعداد لذلك بكل قوة ممكنة .

وقد استعملت فى هذا السبيل مجالس الدروس ومجالس الوعظ والتذكير . وخطب الجمعة. والقصائد الشعرية . والارجال . والمؤلفات . والرسائل . والفتاوى والاجوبة .

ومن ابرز المواقف الوطنية لبعض فقهاء القرويين :

1 – جوابهم لمحمد بن عبد الله السعدى عند استعانته بالبرتغاليين (القرن 10 هـ 16 م) .

2 – ومعارضتهم لمحمد الشيخ فى تسليم العرائش للاسبانيين (ق 11 هـ 16 م) .

3 – وتاييدهم للمجاهد العياشي (ق 11 هـ 17 م)

4 – ومطالبتهم بتحرير بقية المناطق كسبتة ومليلية – بمناسبة تحرير العرائش – (ق 12 هـ 17)

5 – ودعوتهم لتاييد الجزائر تاييدا مسلحا عند الاعتداء الفرنسي عليها (ق 13 هـ 19 م) .

6 – ومطالبتهم بتنظيم الجيش المغربي على النظام الحديث – بعد هزيمة ايسلي (ق 13 هـ 19) .

7 – واستنكارهم احتماء المغاربة بالدول الاجنبية (ق 14 هـ 19) .

8 – ودعوتهم لتحرير وجدة والدار البيضاء ، وغيرهما مما احتله الفرنسيون والاسبان (ق 14 هـ 20 م) .

9 – ومقاومتهم للحماية المفروضة على البلاد ، مقاومة مسلحة احيانا وسلمية احيانا اخرى (ق 14 هـ 20 م) .

وقد جمعنا كتابا فى هذا الموضوع يتضمن بعض الاسماء . والاحداث والتواريخ وبعض المختارات الشعرية والنثرية وتلخيصا لبعض الفتاوى والاجوبة والمؤلفات وخطب الجمعة ونحو ذلك من الوثائق والمستندات ، معتمدين على كثير من المخطوطات التى لم يسبق نشرها . أو التي وقفت للظفر بها أثناء تفتيشي عن نوادر المخطوطات . من غير ان نقف على الحديث عنها او الاحالة عليها فى اى كتاب .

فعسى ان تتهيأ الفرصة قريبا لظهوره مطبوعا بين ايدي القراء .

وكما وقف شاعر فى القرن 7 هـ 13 م ينشد قصيدة فى صحن القرويين يوم الجمعة بعد الصلاة لاستنفار المجاهدين . فبكى الناس وانتدب كثير منهم للجهاد .

ونكست – فى نفس القرن – راية الاعداء فى أعلى منار القرويين احتفالا بالانتصار .

وطاف فى القرن 11 هـ 16 م احد المومنين على مجالس العلم بفاس مناديا بالجهاد والخروج لاعانة المسلمين بالعرائش .

كذلك كانت فى هذا القرن تقع التجمعات فى القرويين للاحتجاج على تصرفات السلطات الاجنبية واعمالها .

وفيها كان الخطباء من متخرجى القرويين وطلبتها يخطبون لاستنهاض همم المومنين وتحريضهم على

هاما له آثاره البعيدة في تطور البلاد واتجاهها ، اذ ما لبث ان اصبحت مركزا لنشر الثقافة الاسلامية ، والحضارة العربية ، يمن نوافد عليها من عرب المشرق والمغرب ، ثم يمن استعرب على ايديهم من ابناء البلاد — بعد ان كانت من قبل مقاطعة تابعة للقيروان التي كانت هي ايضا تابعة لبغداد — وانتشرت مراكز الثقافة العربية في طول البلاد وعرضها في السهول والجبال ، والسواطئ والصحارى ، شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، في صورة كتاتيب ، ومساجد ، ومدارس ورباطات ، وزوايا — وبيوت خصوصية ايضا — تلقى فيها اللغة العربية والثقافة الاسلامية ذكورا واناثا ، اطفالا ، وشبابا ، وكهولا وشيوخا ، من جميع الاعمار ، وعلى جميع المستويات الدراسية ، من دروس محاربة الامية والوعظ والارشاد ، الى الدراسات العالية ، في جميع فروع المعرفة العربية ، كما تأسست الى جانب ذلك المكتبات العلمية ، ما بين خصوصية وعمومية .

وكان مركز جامعة القرويين في هذا الجهاز الثقافي الضخم ، مركز الرأس المفكر ، والعقل المدبر ، والرئيس الموجه ، فيها تكون قادة الفكر ، وبين اساطينها تربى زعماء الرأي ، والى مدرسيها والمتخرجين منها — ومن فروعها — تلجأ البلاد شعبا وملوكا ورؤساء ، اذا حزب امر او دهم خطب ، واليها يرجع الفصل — اخيرا — في جلب كل نفع للبلاد ، ودفع كل خطر عنها .

فكل من تلقى العلم بفاس فهو من القرويين ، وكل عالم ورد على فاس من الاندلس او الشرق او بقية المراكز العلمية بالغرب الاسلامي على العموم او المغرب الاقصى على الخصوص عد من اهل القرويين ، وكل درس بالقرويين ثم انتقل الى مركز آخر داخل البلاد او خارجها ، ليتولى الملك او الوزارة او السفارة او الجهاد او القضاء او التعليم او الارشاد او غير ذلك فهو معدود من اهل القرويين اذ كانت المركز الرئيسي في البلاد للثقافة الاسلامية العربية المغربية التي لم تعرف البلاد في يوم من الايام ثقافة غيرها منذ دخلها الاسلام الى ان نكبت بالاستعمار ففرض عليها ثقافته الاجنبية الاستعمارية الالحادية الاباحية الهدامة .

ولسنا نحاول ادعاء ان جميع من انتسب للقرويين — منذ نشأتها الى الآن — قد قام بواجبه في الدفاع عن السيادة الوطنية خير قيام ، وفق ما تقضي به التعاليم التي احتفظت بقداستها في جميع المجتمعات الاسلامية منذ نشأة الاسلام الى الآن ، كلا ! ومعاذ الله !

فجامعة القرويين جزء من مجتمع واساتذتها وطلبتها من صميم هذا المجتمع ، خضعوا في نشأتهم وتربيتهم وسلوكهم لكثير من العوامل المختلفة التي ليست الثقافة التي يتلقونها في هذه الجامعة الا جزءا منها ، وقد تعاقبت على هذا المجتمع عوامل القوة والضعف والتماسك والانحلال ، والاستقامة والانحراف ، وقد نالت الجامعة ولاشك حظها من ذلك كله .

ولكن فضل القرويين انها نشرت في المجتمع الاسلامي هذا الشعور العام بقدسية السيادة الوطنية قدسية دينية لا مجال للبشر في تحريفها او تأويلها او التسامح في شيء منها فاذا تهاون بعض الناس في القيام بواجب الدفاع المحتوم عنها ، لجبن ، او طمع ، او عجز ، او نفاق ، اصدر المجتمع عليه حكمه الذي لا معقب له .

مظاهر مساهمة القرويين في الدفاع عن السيادة الوطنيـة

تجلت مساهمة القرويين في الدفاع عن السيادة الوطنية والدفاع عنها في مظاهر مختلفة فهناك — اولا — هذه الشريعة الاسلامية التي لا تسمح للمسلم بان يخضع لسلطة غير اسلامية ولا تقبل منه اي عذر في ذلك ، وتوجب على جميع المسلمين في جميع انحاء الدنيا ان يعملوا لانقاذ المسلمين — حيثما كانوا — من كل سلطة غير مسلمة اخضعتهم بالقوة وعجزوا عن التخلص منها ، وكل من اختار من نفسه الرضوخ لسلطة غير اسلامية او استعان بها ضد المسلمين او اعانها عليهم او على انتزاع ارض من سلطتهم فهو مرتد عن الاسلام بفعله ذلك — وان صلى وصام وزكى وحج واعتمر وزعم انه مسلم — ويجب على جميع المسلمين مقاومته مقاومة الاعداء ومن تجسس للاعداء على المسلمين وجب على المسلمين قتله ولا تقبل منه توبة .

فهذه الاحكام — واشباهها تقرر في مختلف دروس القرويين العادية فيها مسلما تؤيده آيات القرآن واحاديث الرسول وحوادث السيرة النبوية والتاريخ وسير السلف الصالح ونصوص الفقهاء .

وهناك — ثانيا — الى جانب هذه الروح النظرية ، الوقائع الوقتية التي تطبق فيها عمليا بعض فقهاء القرويين هذه النظريات الفقهية على الحوادث الواقعية المتجددة .

حول ذكرى القرويين

للاستاذ
احمد بن شقرون

شهد القرن الثالث للهجرة مولد جامع القرويين في قلب فاس عاصمة العلم والعرفان . ذلك الجامع التاريخي العظيم الذي أسسته السيدة فاطمة الفهرية القيروانية في شهر رمضان عام 245 هـ الموافق سنة 859 م . وحظي بما لم يحظ به جامع سواه من عناية فائقة وحفاوة بالغة . حيث اتخذه العباد مركزا هاما لعباداتهم . وخصه العلماء بالقاء دروسهم بين أساطينه وفوق كراسيه . فلم يلبث ان انفرد بدراسات متنوعة وعلوم متعددة من عقلية ونقلية منذ اقدم العصور

ولئن كان مركزا زاخرا بالعلوم الانسانية بما فيها من طب وموسيقى وفقه أسرار — علاوة على ذلك — بالدراسات الاسلامية العليا ذات الطابع العميق في بحث اسرار الشريعة الاسلامية وفلسفة اللغة العربية .

لذلك أمه الطلاب من جميع انحاء الدنيا قصد الاغتراف من معينه الفياض لانه كان الكلية الوحيدة التي ذاع صيتها اذ ذاك وقد اعترف لها بهذه الاولية حتى المؤرخون الاجانب فقد كتب عنها احد علماء الروس يقول :

ان اقدم كلية في العالم ليست في اوربا كما كان يظن بل في افريقيا في مدينة فاس عاصمة بلاد المغرب اذ نتحقق بالشواهد التاريخية ان هذه المدرسة كانت تدعى كلية قيروان ... في الجيل التاسع للميلاد (الثالث للهجرة) وعليه فهي ليست فقط اقدم كليات العالم بل هي الكلية الوحيدة التي كانت ملتقى طلبة العلوم السامية في تلك الازمنة حيث كان سكان باريز واوكسفورد وباردو وبولونيا لا يعرفون من الكليات الا الاسم ولذلك كان الطلبة يتواردون عليها من انحاء اوربا وانجلترا (وبلاد العرب) للانخراط في سلك طلابها وتلقي العلوم السامية باللغة العربية مع الطلبة الطرابلسيين والتونسيين والمصريين والاندلسيين وغيرهم .

وهذه الارقام الحسابية التي تعلمها في القرويين سلفستر الثاني ونقلها الى اوربا لا تزال شاهدة بصحة ما نقول .

والحركة العلمية التي خاض غمارها في القرويين — اعلام الدين والفكر والادب منذ اوائل القرن الرابع للهجرة مثال ناطق بما كان لعلمائها من هيام بالمعرفة وانقطاع اليها حتى ان بعضهم — مثل ابو ميمونة دراس ابن اسماعيل المتوفى عام 357 هـ بني لـه مسجد بحي مصمودة بفاس ما زال يعرف الى الآن باسم مسجد سيدي الدراس لكثرة دراسته للعلم وانقطاعه اليه .

هذه الحركة العلمية النشيطة التي دأب عليها العلماء في الماضي لفتت انظار الدول التي تعاقبت على المغرب فكان لذلك اثره البين في الاهتمام بالقرويين .

فهذه رحابها تتسع وهذه مستودعاتهم تشهد وهذه ابوابها تكثر فباب للقضاة وآخر للموثقين وآخر وآخر للعميان وآخر للجنائز وآخر للكتبيين وآخر للنساء بازاء دار تبهان فيها للصلاة ... الخ .

وهذه زاوية للقراء وهذه خزانة كبرى للتراث وأخرى لحفظ المصاحف . وهذه مياه عذبة جلب اليها من بعيد وهذه غرفة الموقت ومقصورة المفتي ومقصورة الخطيب وهذه مجانات شمسية وغير شمسية للمحافظة على اوقات الصلاة . وهذه ثرياها الكبرى تحتضي

مقاومة العدو وتحديه . فتخرج الجماهير للشوارع منظاهرة محتجة لتصطدم بقوة العدو وبموت افراد منها برصاصه وسياق الباقون الى مراكز الشرطة والمحاكمة والمنافي والسجون .

ومن طلبه القرويين ومتخرجيها كان الدعاة ينتشرون لبث الفكرة الوطنية والتبشير بها وتكوين الحلقات السرية في البوادي والجبال والصحاري والقرى النائية والمناطق المحرمة التي لا يستطيع غير ابنائها الدخول اليها ، معرضين للسجن والضرب والاضطهاد والقضاء على مصالحهم ومستقبلهم .

رد الفعل

ومن الطبيعي — مع هذا التاريخ الطويل ، المتصل قديمه الحفيل . بحديثه المجيد — ان يعرف العدو للقرويين وما تمثله وتحرسه من ثقافة اسلامية ولغة عربية ، هذا المقام المحمود . فيبادلها عداء بعداء ، ومقاومة بمقاومة . ويعمل بجمع ما لديه من امكانيات غير محدودة على تحطيم هذه القرويين وثقافتها ، والقضاء عليها ماديا وادبيا .

ومن الطبيعي — كذلك — ان يشتد الصراع بين من يدافعون عن سيادة المغرب وشخصيته وثقافته ، وبين اعداء البلاد حول هذا المعقل الشامخ وما يحمله من فكرة مقدسة حفظت المجتمع تماسكه عشر القرون ، وحالت دون انهياره امام الغزو الاجنبي الماحق .

والمجال الضيق لا يسمح لنا الآن بالاشارة الى شيء من الكفاح العنيف المتواصل الذي قام به المستنيرون من ابناء جامعة القرويين طلبة ومتخرجين . واساتذة وموظفين سامين ، في الحفاظ على كيان هذه الجامعة وصيانتها من الاضمحلال .

ولكننا نشير — الى ما تضمنته من ذلك خطب صاحب الجلالة محمد الخامس — قائد معركة الكفاح في سبيل المحافظة على سيادة الامة ومقدساتهاومقومات كيانها — فان جلالته ما زال يشيد بفضل القرويين ومهمتها الاساسية في المجتمع ، والآمال العظيمة المعلقة عليها ، والعراقيل التي تعترض العمل لصالحها ، وقد اشار جلالته لذلك في خطبه بتاريخ جمادى الاولى 1360 ه يونيه 1941 م و ج ح 1363 ه يونيه 1943 م وذي القعدة 1365 ه نوفمبر 1946 م ومحرم 1367 ه نوفمبر 1947 م ومحرم 1369 ه نوفمبر 1949 م وصفر 1371 ه نوفمبر 1951 م وصفر 1372 ه نوفمبر 1952 م .

ويكفي ان نورد هنا ما ورد في الاخير منها الذي هو آخر خطاب للعرش القاه جلالته قبل الازمة التي بلغت اوجها بالاعتداء الشنيع على السيادة المغربية في شخص جلالته .

« وقد علمنا ما كان للمعاهد الدينية من اثر في حفظ الشريعة ودفع الشبهات عنها ، وبث الاخلاق الفاضلة ونشر العربية ، فوجهنا عنايتنا لجامعة القرويين التي كان لها الحظ الاوفر في المحافظة على كيان الحضارة الاسلامية ، وامداد البلاد بعلماء اعلام ، كانوا مفخرة في تاريخ الاسلام ، فما تركنا وسيلة ترد لها مجدها ، وتعيد اليها سمعتها الا اتخذناها ووضعنا لذلك نظاما توخينا فيه **ان يساير المعاهد الدينية الناهضة في البلاد الاسلامية** ، وطبقناه في جامعة ابن يوسف وفي معهدي مكناس وطنجة ، وكان املنا ان يزدهر هذا النظام ويعم تطبيقه سائر المعاهد في امد يسير . **لولا ما يعترض هذا العمل من عراقيل ،** نحن جادون في تذليلها » .

وفق الله جلالته للمحافظة على هذه الجامعة الدينية والنهوض بها . فانها مفخرة عظيمة للمسلمين اجمعين ، وهي أمانة الاجيال السابقة للاجيال اللاحقة، وأعان جلالته على التغلب على ما لا يزال يعترضها من عراقيل .

صاحب الجلالة مديريتها للاستاذ السيد محمد الفاسي فازاح عن طريقها الاشواك وخطا بها خطوات موفقة الى الامام .

وقبيل استقلال المغرب كان مدرها وعدد من علمائها وطلبتها رهن المعتقلات والسجون والمنافي لمطالبتهم بعودة الملك الشرعي الى عرشه فاعتراها بسبب ذلك ضعف شديد وانحلال متزايد .

ولما بزغ فجر الاستقلال (2 مارس سنة 1956) واصبح التعليم الاسلامي العالي من مشمولات وزارة التربية الوطنية اسند السيد محمد الفاسي الوزير السابق قسما في الوزارة للعناية بهذا النوع من التعليم العربي في بلادنا لان السنوات العسر التي قضاها على رأسه جعلته خبيرا بمشاكله ومطالبه ومنذ ذلك الحين اصبح المسؤولون عنه في القسم المختص ، امام عدة مشاكل شاملة لشؤون التجهيز والتأثيث والتسيير والموظف واماكن الدراسة وسكنى الطلبة واعاناتهم ومنحهم والبرامج والكتب المقررة والفنون المدروسة وغير ذلك من المشاكل المادية والمعنوية التي شغلت بال اولئك المسئولين فذللوا الكثير منها بمعونة الوزارة في امد قريب سواء في ذلك ما يتعلق بالقرويين او غيرها من باقي المعاهد الاسلامية .

فاذا علمنا ان القرويين اهملت من لدن الاستعمار طوال مكثه في بلادنا ، وعلمنا ان طلبة القرويين كانوا يزدادون في عهد الاستقلال بنسبة مهمة علمنا مدى ما يتطلبه الامر من اهتمام وتخطيط وتدبير ومواصلة عمل حتى يتحقق للقرويين وغيرها جميع ما حرمت منه في العهد البائد .

ولاطلاع حضراتكم على ما تم في القرويين في عهد الاستقلال اسجل ان عدد تلامذها وطلبتها ارتفع من سبعمائة الى اكثر من ستة آلاف . بينما ارتفع رجال التعليم فيها من نحو 50 الى 213 .

واماكن سكنى الطلبة حولت في معظمها الى مأوى صحية خصوصية في حي السراردة. واصبحت لهم منح منتظمة من وزارة التربية الوطنية بدل الاعانة القديمة التي كانت خبزة قفارا من الاحباس بالنسبة للآفاقيين فقط ولا شيء لغيرهم من الحضريين ولهم اليوم داخلية مستوفية الشروط تضم ثمانيمائة تلميذ الى فصول دراسية منظمة بدل حلقات الدروس داخل المسجد . ومستوصفين في كل من معهدي الربطانة والسراردة ، وملاعب للرياضة ، وقاعة للمحاضرات ، وخزانة للكتب الدراسية وغيرها .

اما البرامج الدراسية فقد ادخلت عليها تحسينات عملا بمبدأ الوحدة الذى قررته اللجنة الملكية منذ سنة 1957 على اساس تدريس جميع المواد العربية ودراسة لغة اجنبية كمادة ثقافية . فكان في ذلك فرصة للقرويين استطاعت بسببها احياء مواد رياضية يعبر عنها اليوم بالمواد الحديثة وقد كانت تدرس في القرويين منذ القرن الرابع للهجرة . وبذلك صارت الدروس التي تلقى فيها حاليا تتوفر على جميع المواد الشرعية واللغوية والتاريخ والجغرافية والفلك والمنطق وستشمل الى جانب ذلك العلوم والرياضيات والكيمياء واللغة الاجنبية والرياضة البدنية والتربية الخلقية والوطنية . . . الخ .

ولتدريس هذه المواد باللغة العربية استقدمت وزارة التربية الوطنية عددا من الاساتذة الشرقيين . ولحل مشكلة الكتب التي ينبغي ان تدرس بها جميع مواد البرامج الجديدة . اشعر قسم التعليم العالي جميع مدرسي المواد الاصلية أو الحديثة بضرورة اعداد مذكرات بالدروس التي يلقونها على تلاميذهم قصد اسداء الاصلاح منها بواسطة لجان فنية لطبعه وتقريره وقد شرعوا في اعداد هاته المذكرات منذ السنة الماضية ووصلت بعض النماذج بالفعل الى الوزارة والامل قوي في ان تحل هذه المشكلة العويصة في اقرب وقت ممكن بفضل مجهودات الاساتذة المختصين .

والجدير بالذكر ان القرويين استطاعت بحكم محيطها العربي في العربية ان تحقق ـ بسرعة ـ ما قررته اللجنة الملكية من ضرورة تدريس جميع المواد باللغة العربية والى جانبها لغة فرنسية . وابتداء من السنة الدراسية المقبلة سيضاف اليها اللغة الانجليزية بينما ستفتح في القرويين كلية للشريعة ستشمل على جميع المواد التي كانت تدرس في النهائي القديم من تفسير وحديث واصول وفقه وخلاف عال وتاريخ ونصوص ادبية ولغوية. وتزيد عليها بدراسة مواد اخرى كالفلسفة الاسلامية وتاريخ التشريع الاسلامي ونظام الحكم في الاسلام والفرق الاسلامية والملل والنحل وتاريخ العالم الاسلامي الى غير ذلك من الاقتصاد السياسي والقانون الدستوري والانظمة السياسية وعلم الاجتماع والقانون الدولي العام والخاص والتجاري والادارى والمالية العمومية . . . الخ ولعلماء الشباب الحق في الحصول على شهادة الدكتوره في الشريعة الاسلامية بواسطة شهادة الدبلوم التي ستفسح امامهم المجال الاعداد اطروحه هذه نظرة عجلى عن ماضي القرويين وحاضرها نرجو ان تكون القت ضوءا على بعض جوانب هذه المؤسسة العظيمة .

سدد الله الخطى وحقق الامال في ظل عاهلنا المنصور المظفر والسلام .

جوفها – ولا يملأ قوارير سرجها من الزيت الا خمس
قلل – بفنق السنه الشعراء فينفنون فى وصفها الى نقوش بديعة وآثار فنيه رائعة . الى جانب ما وقف على علمائها وطلبتها والقائمين عليها من محبسات ما فتئت تشهد بما كان لحكومات المغرب وشعبه من عنايه فائقه بالقرويين لان الرساله المقدسه التي استمرت قائمه بها مند عده قرون كانت تفرض هاته العناية .

ولئن كانت الاعاصير الزمنية اوشكت ان تعصف بها من وقت لآخر فانها كانت تصمد ضد تيارها فيكون النصر فى الاخير حليفها لان للبيت ربا يحميه .

ولكنها مند ابتلاء المغرب بالحماية سنة 1912 اخذ ظلها يتقلص من جراء الضربات المواليه الموجهه اليها .

وفى فترة وانيه من فترات حياتها ابى صاحب الجلالة الملك المعظم سيدي محمد الخامس الا ان يرأب صدعها ويلم شعثها ويضم شتاتها ويجمع من بقي من علمائها وطلبتها فيصدر ظهيرا شريفا بتاريخ ذى القعده عام 1394 هـ الموافق 29 مارس سنه 1931 م . فى شان تعيين مجلس اعلى للاشراف عليها و تعيين ضابط كفيل بتحسين حالتها فيما يرجع لانتخاب العلماء المدرسين وتعيين الفنون التى تدرس فيها والتاليف التي تقرأ بها والاوقات التى تلقى فيها الدروس وما يتعلق بذلك صونا لكيانها وحفظا لبهجتها ونظارتها وحرصا على دوام عمارتها وتعظيما لشأنها) .

وبعد ذلك تكون مجلس تحسيني داخل القرويين للسهر على تنفيذ ما سنه المجلس الاعلى من قوانين وما وضعه من ضوابط وبرامج وبمقتضاه اصبح النظام فى القرويين مند ذلك التاريخ مشتملا على طور اول يحتوي على ثلاث سنوات وطور ثان يحتوي على ست سنوات وطور عال يحتوي على قسم شرعي مكون من ثلاث سنوات وآخر ادبي مكون من ثلاث سنوات ايضا . ومن اجتاز المراحل كلها ونجح فى آخر امتحاناتها نال شهادة العالميه . عوضا عن الاجازه القديمه التى كانت تعطى من طرف كبار العلماء لمن حصلت له ملكتهم . وهكذا بدا النظام فى القرويين وتخرج منه 334 عالم من بينهم خمس فتيات وهؤلاء هم القائمون فى التعليم الاصلي والعصرى بتدريس الماده الاسلامية وعلوم اللغة العربية اوتفتيشها وعاملون فى الميدان القضائي والادارى والدبلوماسى فى بعض السفارات ويرجع الفضل فى ذلك لصاحب الجلالة الذي ما فتىء يرعى هاته المؤسسة واخواتها فى انحاء المملكة الشريفة بعناية الملحوظه فيزورها بنفسه الكريمة من آن لآخر ويتحدث عنها فى خطبه السنية كلما عنت مناسبة قال جلالته : (ان من حق هده البلاد ان تعتز بتاريخ ثقافي عريق فمند العهود الاولى لانبثاق فجر الاسلام فى ربوعها ظهرت من بين المغاربة او الوافدين عليهم طائفة من العلماء الدين انصرفوا الى اماطة لثام الجهل عن العقول وغرس مبادىء الدين الحنيف فى النفوس وتبصير الناس بما فرض عليهم دينا ودنيا . ومن هذه الطائفة كانت النواة لاول مركز ثقافى عرفه المغرب وكان من بين المراكز الثقافيه المعدوده على الاصابع آنئد هدا المركز هو الدى عرف باسم القرويين والذي صار مند دلك الحين منهلا دفاقا بشتى انواع العلوم والآداب العربية يسعى اليه المغاربه وغيرهم من كل حدب وصوب ليكرعوا من حياضه ويرتووا من معينه ولعل ما ناله القرويين من عناية اسلافنا المقدسين بها واهتمامهم العظيم بشأنها قد ضاعف عنايه واهتمام جميع الدين سبقوهم ممن تداولوا الحكم بهده البلاد اد كانوا يرونها المنار الدى يشع ضياء المعرفه والايمان والحصن الدى يحمى به لغه القرآن وادابها فى هده الديار ففى عهدهم ادخل عليها نظام اشبه بالنظام الجامعى) .

وهكدا قيض الله للقرويين من رجال الدوله العلويه من يسهر عليها ويدأب فى العمل على رقيها . ولم تكن اهتماماتهم بالمعهد القروي باقل من الاهتمام الدى كانوا يولونه لابن يوسف بمراكش ودلك جريا على مالوف عادتهم رحمهم الله من عدم ادخار أي وسع للنهوض بالمستوى الثقافى بهده البلاد ولاشاعه العلوم والمعارف بين كافه الناس وقد لا نحتاج الى ان نذكركم بما تم على يدنا فى اوائل عهدنا باعتلاء العرش من تاسيس نظام بكليتي القرويين وابن يوسف كان له ابعد الاثر فى ترقيه اساليب التعليم بهما وبما جددناه او احدثناه من معاهد وفروع تابعه لهما كمعهد تطوان ومعهد مكناس وطنجة ووجده وتارودانت ومعهد القنيطره بفاس الملحق هو ايضا بالقرويين وذلك ما ادكى الروح العلمية فى مختلف نواحى البلاد) .

هكدا ابى صاحب الجلاله الا ان ينشر هده الدرر الغاليه تخليدا لتاريخ القرويين المجيده وتاريخ اخواتها .

وقد توالى على كرسي الرئاسة بالقرويين عدد من كبار العلماء وشيوخ الاسلام الدين لا يتسع المقام للتحدث عنهم . وفى فترة حالكة من فترات حياتها اسند

والحافظ يوسف بن موسى السبتي ثم الفاسي روى البخاري عن الزبيدي والحدث عن ابن الفلاح توفي ءاخر المائة السابعة (الدره ص 496) .

وابن المواق احمد النجيبي اسظهر بمصر الموطا فضرب شيوخ المالكية الطبول على راسه اشاده وتنويها توفي بفاس عام 725 هـ (السلوه ج 3 ص 244) .

والشيخ التاودي بن سوده الفاسي الذي قال عنه الشيخ مرتضى الزبيدي في شرحه للقاموس (ماده سود) « شيخنا المحدث الفقيه المغربي ورد علينا حاجا وسمعنا منه وسمع منه ايضا بالمدينة المنوره ومصر خلق كثير » (السلوة ج 1 ص 114) .

وابن زكرى الفاسي دخل لمصر ونافس فقهاءها في مساله شرب الدخان وعقد علماؤها مجلسا لمناظرته في جامع الازهر (السلوه ج 1 ص 83) .

واثير الدين ابو حيان البربري النفزي المتوفى بمصر عام 745 هـ السلوه ج 3 ص 278) .

ومحمد بن سعيد الرعيني الفاسي المسند رحل الى المشرق واخذ عن اعلام مشارقه توفي عام 787 هـ (السلوة 3 ص 278) .

ومن الحفاظ عبد الرحمن سقين الذي ارتحل الى المشرق عام 909 هـ واخذ الحديث عن القلقشندي وزكرياء الانصاري والسخاوي بمصر وعن ابن فهد بمكه وكلهم عن ابن حجر (السلوه ج 2 ص 160) .

وكذلك الكمال ابن ابي البركات المكناسي الذي روى عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني وكان لادريس العراقي فضل على محدثي مصر حيث استدرك احاديث كثيره على الجامع الكبير للسيوطي تنيف على الخمسة ءالاف وكان سيدي عمر الفاسي يقول انه احفظ من ابن حجر (السلوة ج 1 ص 142) .

ومحمد بن عبد الله الرفاق الفاسي اخذ بمصر عن ناصر الدين اللقاني توفي عام 968 هـ (السلوه ج 3 ص 282) .

والسفير محمد بن محمد الجزولي الدرعي اخذ في مصر عن نجم الدين الغيطي ومحمد بن ابي بكر العلقمي وعن ابي فهد بمكة توفي بفاس عام 988 (284) .

ومحمد بن علي الدادسي ليس من اهل العلم ولكن له سند صحيح اخذ عن الصفوي المقدسي عن زكرياء عن ابي حجر وعن زين الدين المرصفي عن ابي حجر وعن موسى النشائي عن يوسف الشريف عن الجلال السيوطي توفي عام 999 هـ (دره الحجال ص 226) .

واحمد بن محمد بناصر الدرعي قرا في مصر على ابي الحسن الزعتري رساله ابي الفتح في العمل بنصف الدائره ورساله في علم الاسطرلاب ورسالة في علم كرة العالم توفي عام 1129 هـ (الاعلام ج 2 ص 161 .

والعالم محمد المجدري اليعقوبي قيل انه اخذ اربعه لم يبلغ في عصره (عصر سيدي محمد بن عبد الله) مبلغهم وقد رحل الى الشرق واكرمه امير مصر (الاعلام ج 5 ص 88) وقد خلف لنا كثير من هؤلاء العلماء ومن بينهم العباسي صاحب الرحلة مصنفات قيمة ضمنوها مشاهداتهم في الشرق ومنهم من ترك وصفا رائعا للحركه الفكريه في الشرق الاسلامي وللتبادل الثقافي مع المغرب وقد صنف حازم صاحب المقصوره وشيخ ابن رشيد السبتي « الدره المضيه في تاريخ الاسكندريه في مجلدات» والمستفاد من شيوخ بغداد (دره الحجال ص 173) .

والملحوظ هو ان معظم العلماء المغاربه الراحلين الى الشرق من مراكش اوفاس . وهذا يدلنا على ان فاسا كانت حقا « حاضره المغرب » اجتمع فيها علم القيروان وقرطبه حيث رحل من كلتيهما العلماء ، فنزل اكثرهم مدينة فاس (المعجب ص 220) وقد انتقد احمد القباب الفاسي علماء افريقيه مثل ابن عرفة ورجع اليه (نيل الابتهاج ص 53) وابن عرفه هذا تلميذ لابن شـــارة الزمـــــــوري (ص 329) .

ولا بدع فقد ذكروا ان عبد الرحمان بن عفـــان الجزولي المتوفى عام 741 كان يحضر مجلسه اكثر من الف فقيه معظمهم يستظهر المدونه (الجذوة لابن القاضي ص 258) وكان في مجلس عبد المومن الجاناتي بفاس 400 من حفاظ المدونه (ص 274) .

وقد تعرض المقري لوجود المصنفات المغربيـــــة والاندلسيه في الشرق فلاحظ أن « أكثرها في المشرق كعنقاء مغرب » (النفح ج 1 ص 40)

وكان الحكم المستنصر الاموي يبعث في شراء الكتب الى الاقطار رجالا من التجار بالاموال الطائلة حتى جلب منها الى الاندلس ما لم يعهدوه وجلب كتاب الاغاني من

علماؤنا والتبادل الفكري بين المغرب والمشرق

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

- 2 -

ومن المغاربة الدين استوطنوا بلد الخليل الشيخ زين الدين عبد الكريم بن علي بن عبد الرحمن المقدسي المتوفى عام 895 هـ (الانس ج 2 ص 549) وابن جبارة الشاعر وعبد الله السكري وخليفه الجابري (ص 583) وابراهيم بن منصور التلمساني (585) ومحمد بن علي الفلاح نائب قاضي القدس واحمد بن عبد الرحمن التلمساني الحريري قاضي المالكية بالقدس (586) وقاضي القضاة محمد بن سعيد المغراوي واحمد الرباحي (587) وابن المغربي ومحمد المصطاوي وشهاب الدين المغربي قاضي الجماعة بالمغرب (ص 642) وعلي الجزولي نائب امام المالكية في المسجد الاقصى وكان يؤم بجامع المغاربة (ص 691) .

وعلي بن حنين الذي استوطن فاسا عام 503 ودرس بها ستا وستين سنة وتلمذ للغزالي في الشرق (السلوة ج ص 349) وقد عاش عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب في تلخيص اخبار المغرب بالشرق حيث الف كتابه المذكور واقام بمصر عام 619 هـ (المعجب 161) كما رحل الى بغداد العالم الكبير ابو عمران الفاسي المتوفى عام 430 هـ (التشوف للتادلي ص 35 مخطوط المكتبة الزيدانية بالرباط) والى الشام ابو محمد صالح ابن حرزهم تلميذ الغزالي (التشوف ص 38) وابو موسى عيسى ابن سليمان الرفروفي من تادلا اخذ عن النسائي وعن الطرطوشي بالاسكندرية (ص 46) .

وذكر ابن عبد الملك في الذيل والتكملة ابن جعفون الازدي المتوفى بفاس عام 580 هـ وعبد الملك بن محمد ابن مروان بن زهر الذي اقام في الشرق طويلا وجلب دواوين من فنون العلم ، وعلي المحاربي وابن حنين الفاسي صاحب الغزالي جال في العراق والحجاز ومصر ، وعلي

الشلطيشي الطبيب دفين مراكش وعلي بن عتيق الطبيب الذي ضمن شيوخه المشارقة برنامجه الذي خرج به عن حد الفهارس الى كتب الامالي المفيدة .

وابو زكرياء يحيى الدكالي الحافظ قدم فاسا وشيخه شيخ ابن دقيق العيد كثيرا (الدرة ص 489)

ومفضل العذري الذي ولاه ابو يوسف بن عبد الحق قضاء الجماعة بفاس وجعل له النظر على صاحبي الشرطة والحسبة ، تتلمذ لعز الدين ابن عبد السلام وبن عساكر وابن خلكان وهو اول من شرع بناء المدارس بفاس اذ على يديه اسست المدرسة القديمة بالحلفاويين بفاس (جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 220) .

وابو عمر ميمون بن ياسين اللمتوني سمع على الطبري صحيح مسلم . ومروان بن عبد الملك الطنجي اللواتي الذي سمع بمصر من ابن نفيس وابن مسر (الذيل والتكملة) .

ومحمد بن عمر بن نصر الفزاري السلاوي قدم الاندلس ورحل الى الشرق وروى عن اعلامه سنة 630 هـ (الذيل والتكملة) .

وابن الحداد محمد الصنهاجي الشاعر المحدث الصوفي المكناسي اسهل للمشرق لامر قام عليه فيه الطلبة بخطبة قال فيها بان الله خلق ءادم على صورته (درة الحجال ص 208) .

ومحمد ابن الحصار الكامي التلمساني السبتي سمع علوم الحديث لابن الصلاح عليه بدمشق عام 634 (درة الحجال ص 282) .

وخاطب ابو العباس الجراوي يعقوب بقوله :

سينظم السعد مصرا في ممالكه حتى يدوح منها حبلة حلبا الى العراق الى اقصى الحجاز الى اقصى خراسان تتلو جيشه الرعبا .

ونظرا لطابع الاستمرار الذي يتسم به تاريخ المغرب ولخضوع الاندلس وافريقية وحتى طرابلس لملوكه اتيح لبلادنا ان تكون صلة وصل قارة بين الشرق والغرب ولا بدع في ذلك فالمغرب جناح ايمن للاندلس كما وصفه علي بن يوسف اللمتوني (النفح ج 1 ص 90) كما انه جناح ايسر للشرق العربي فاكتمل فيه الجناحان ولعل الراحلين الى المشرق من المغرب كانوا اوفر نظــــرا لاستمرار الوجود المغربي منذ ازيد من الف عام وان كان من الصعب الموازنة لان « حصر الارتحال لايمكن بوجه ولا بحال » (النفح ج 1 ص 331) فالمقري نفسه لــم يرد في احصائه لعدد الاندلسيين الراحلين الى المشرق على ثلاثمائة واربعة رجال (راجع الجزئين الاول والثاني من ص 331 الى ص 687) بينما ترجم لواحد وسبعين من المشارقة القادمين الى الاندلس (ج 2 من ص 691 الى ص 762) فهؤلاء المشارقة « قوم كثيرون لا تحصر الاعيان منهم فضلا عن غيرهم ومنهم من اتخذها (ارض الاندلس) وطنا . . ومنهم من عاد الى المشرق (ص 691) هذا بينما نلاحظ ان المشارقة الوافدين على المغرب كانوا قليلين جدا نسبيا منهم علاوة على من ذكرنا جملة أشار اليها المقري منهم الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين البغدادي وصل الى سلا ومراكش (ص 760) .

والمحدث الرحالة ابراهيم بن خلف بن منصـــور الغساني السنهوري المصري من شيوخ ابن القطان قدم مراكش (ص 751) .

والامير شعبان بن كوجبا من عز الموصل وفد على يعقوب المنصور فقدمه على امارة بسطة من الاندلـــس (ص 755) .

وهبة الله بن الحسن المصري الاصولي المحدث الذي قدم الاندلس خوفا من صلاح الدين الايوبي في قوم من شيعة العبيدي ملك مصر ووفد معه ابو الوفــــاء المصري واستصحبه امير المومنين يعقوب المنصور معه في غزوة قفصة الثانية وولاه قضاء تونس وكان قد ولي قضاء فاس توفي وهو متولي قضاء تونس عام 586 هـ (ص 722) .

ولدى حديثه عن تاج الدين بن حمويه السرخسي المولود عام 573 اكد ان له رحلة فيها عجائب شاهدها بالمغرب ولقي بمراكش ابا العباس السبتي كما ذكر في رحلته انه شامي له خؤولة في المغرب دخل مراكش ايـام يعقوب المنصور فاتصل بخدمته وشرح احوال سيرته وما جرى في ايام دولته في تاريخه المسمى « عطف الذيل » وذكر جملة من علماء الاندلس والمغرب لقيهم في هـــذه الرحلة توفي بدمشق (ص 737) .

ومن جملة الاندلسيين الذين ذكرهم المقري فيمن ارتحل الى الشرق :

يحيى الغزال شاعر الاندلس وسفير عبد الرحمن ابن الحكم الى الروم اقذع في هجاء علي بن نافع المعروف بابن زرياب فنفاه الامير ودخل الى العراق توفي في حدود 250 هـ (ص 452) .

وابو الصلت امية بن عبد العزيز الاشبيلي الذي اقام عشرين سنة في مصر محبوسا في خزانة الكتب بعد ما وجهه صاحب المهدية الى ملك الكنانة فخرج في فنون العلم اماما لا سيما في الفلسفة والطب وكان يكنى بالاديب الحكيم وهو الذي لحن الاغاني الافريقية واليه تنسب حسب ابن سعيد وله كتاب الحديقة على اسلوب يتيمة الثعالبي (ص 378) .

والحافظ الحميدي تلميذ ابن حزم والذي الف كتابه « جذوة المقتبس في اخبار علماء الاندلس » ببغداد (ص 381) .

وابن البيطار النباتي الطبيب الذي خدم الكامل ابن العادل فعينه رئيسا على سائر العشابين في الديار المصرية (ص 683) .

واليسع بن عيسى صاحب « المغرب في محاسن اهل المغرب » جمعه للسلطان صلاح الدين الايوبي بمصر بعد ان رحل اليها عام 560 هـ وبها توفي عـام 575 هـ (ص 514) .

والامام الشاطبي المقرىء الحافظ الذي كان يقول عند دخوله الى مصر انه يحفظ وقر بعير من العلـــوم وكان استاذا بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة وقد ملا الشام والعراق بأوابده (ص 340) .

مؤلفه قبل ان يصدر فى العراق وكذلك فعل مع القاضي ابي بكر الابهري فى شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وقد بيعت او نهبت عند حصار البربر (النفح عن ابن خلدون ج 1 ص 182) وحدث ابن حزم ان عده فهارس خزانة المستنصر اربع واربعون فى كل فهرسه عشرون ورقه باسماء الدواوين فقط وكان فى الخزانة المستنصريـــــه اربعمائة الف مجلد (ص 186) .

ورغم ما ذكره المقرى من ان لاهل الاندلس السبق على اهل المشرق فى ميدان العلوم (النفح ج 1 ص 58) .

فقد لاحظ ابن بسام فى الذخيره انهم « ابـوا الا متابعة أهل المشرق يرجعون الى اخبارهم المعادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الافــاق غراب ، اوطن باقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هـــذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما . واخبارهم الباهـــرة.

واشعارهم السائره مرمى القصيه ومناخ المربه لا يعمر بها جنان ولا خلد ، ولا يصرف فيها لسان ولا يد (عن النفح ج 1 ص 581) .

وقد اشار المقري الى بعض خواص علماء الاندلس ــ وهي منطبقه على علماء المغرب ايضا ــ فلاحظ انهم يعنون بالحديث والفقه ويحفظ حواضهم ــ وان كانوا مالكيين ــ من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوي الهمم فى العلوم ، وسمه الفقيه عندهم جليلة سموه الامير الاعظم ينوبها له بالفقيه وهى بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق وان كانت تطلق على الكاتب والنحوي وهم متوسطون فى الاصول اما فى النحو فانهم فى نهايه من علو الطبقة حتى انهم فى هذا العصر كاصحاب عصـــر الخليل وسيبويه مع ان كلامهم منحرف عن اوضـــاع العربية ومن أعرب استثقلوه فى غير المخاطبات (النفح ج 1 ص 104) .

ولاحظ المقري كذلك ان « لاهل الاندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين حتى ان فى سقاء عبـــاس احاديث لم يعرف اهل المشرق النقاد مخرجها » (النفح ج 1 ص 332) .

والملحوظ ان النحاس كان أوثق بين أهل الشام واهل المغرب فالفاتحون للاندلس هم أهل الشام وغالب أهل الاندلس من عرب الشام الذين اتخذوا بالاندلس وطنا مستأنفا وحضره جديده وقد نزل أهل دمشــــق بغرناطة وسموها باسمها (النفح ج 1 ص 62) بينمـــا سميت تدمير بمصر لشبه مادي بينهما حيث يسيح بارضها نهر فى وقت مخصوص من السنة ثم ينضب عنها فيزرع كما يزرع ارض مصر (ص 80) ولا يجهل احد حملات العبدري وابن جبير وحتى ابن سعيد على اهل مصر ولعل الوحشية التى لوحظت بين المغاربة والمصريين فى بعض العصور يرجع لسوء معاملة المسؤوليــــــن للمهاجرين والحجاج المغاربة فقد ذكر ابن سعيـــد ان المصريين يتعرضون لفقراء المغاربة بالقبض للاسطول وان ذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناه الحرب والبحر وقد عم ذلك من يعرف معاناه البحر منهم ومن لا يعرف وهم فى القدوم عليها بين حالتين ان كان المغربي غنيا طولـــب بالزكاة وضيق عليه وان كان مجردا فقيرا حمل الـى السجن حتى يحين وقت الاسطول . (النفح ج 1 ص 498) .

وقد رأينا ابن سعيد يبكي المغرب وهو فى مصر قائلا :

هذه مصر فاين المغرب   مذ نأى عني فعيني تسكب

فى حين نلاحظ ارتياح كثير من علماء المغـــرب الراحلين للشرق الى الشام بصوره خاصه .

وقد قال المقرى (النفح 12 ص 34) :

محاســـن الشــــام اجلـــــى
مـــن ان تحـــاط بحـــــد
لـــولا حمـــى الشـــرع قلنـــا
ولـــم نقـــف عـــنـــد حـــــد
كـــأنهـــا معـــجـــــزات
مقـــرونـــه بـــالتحـــــدى

ولعل الاحتكاك الواقع فى الحدود بين مصـــــر ومغرب الموحدين كان له اثره بالاضافه الى شراســــه رجال الجمارك وقد سرى هذا الشعور فى الحاشيـــــه بالبلاط المغربى حتى رأينا ابا العباس بن عبد السلام يخاطب ابا يعقوب :

سنملـك ارض مصـــر والعراقـــا
ونجري نحوك الامم استباقـــــا

(البيان المغرب ج 4 ص 49) .

فن أبي تمام

للدكتور عبد الكريم اليافي

الدكتور عبد الكريم اليافي احد اساتذة جامعة دمشق البارزين ، له مؤلفات قيمة في علم الاجتماع ، والسكان والفلسفة والمنطق ، تدرس بكلية الاداب ، وتمتاز كلها بالدقة والعمق واشراق العبارة ، وقد استطاع بفضل ثقافته العلمية والادبية الواسعة ان نكتب ويحاضر في كثير من مجالات المعرفة الانسانية وان يثير اعجاب طلابه والدارسين عليه .

وقد طلبت اليه مجلة دعوة الحق ان يبعث اليها ببعض بحوثه ومقالاته الشائقة فتفضل وخص المجلة بهذا البحث القيم عن فن ابي تمام ، والمجلة اذ تتوجه له ـ باسمها وباسم قرائها ـ بالتحية والشكر الخالصين تتمنى ان تظل اتصاله بها دائما ومستمرا .

« دعوة الحق »

عندما نتناول بالدراسة جانبا من الشعر العربي ، ينبغي أن ننبه دائما الى صفتين فيه متلازمتين وهما : انه اولا ذو خصائص ذاتية يحتاج الى ايضاح ، لا يشاركه فيها أدب من الآداب العالمية الاخرى ؛ وانما يمتاز بها ويتفوق بجدارتها على سائر الآداب العالمية .

وانه ثانيا فن انساني عالمي ، وهو من اجل ذلك لابد من ان نتبينه الفنون العالمية الانسانية الكبرى ، ونتبينه من حيث خطوط النمو والتطور الرئيسية .

أما الوصف الاول ، وهو أن الشعر العربي ذو خصائص ذاتية يمتاز بها ، فيأتي في طليعتها استمراره وبقاؤه الطويل الخالد ، مع احتفاظه الدائم بالجدة والنشاط والمرونة الكبيرة . ولم يتح هذا الاستمرار والبقاء لأدب من الآداب الاجنبية المعروفة .

فنحن اليوم في سنة 1961 نحتفل بشاعر عاش قبل اثني عشر قرنا ، ونفهمه بيسر وسهولة ، على رغم صعوبته هو وتعقده . وذلك أننا ما زلنا نستعمل اللغة التي غنى فيها ، ونتداول الالفاظ التي تبرع في طرافة تركيبها وملائمة بعضها لبعض ، كما نفهم بنفس اليسر والسهولة من اتى قبله من الشعراء منذ اكتمال اللغة العربية وانتشارها القديمين ، على حين أن الامم الاخرى ذات الآداب العالمية ، لم تكن لها آداب ولا لغة قبل تسعة قرون . نحن اذن أمام خاصة يمتاز بها الشعر العربي والادب العربي واللغة العربية ، وهي الاستمرار والبقاء بل الخلود . وبرغم هذا التقادم الطويل نستمتع في لغتنا وادبنا واشعارنا بمرونة عجيبة وحيوية طافحة ودقة لا تتناهى ، وخصب وغنى استاثرت هذه اللغة واستاثر أدبها بهما دون سائر اللغات .

واما الوصف الآخر ، فهو ان الشعر العربي لما كان فنا من اعلى الفنون الانسانية وأغلاها ، لزم أن يكون قد مر بمراحل من التطور كبيرة ومهمة . ذلك هو منطق التاريخ المبرم . ولكن التطور الواسع الذي أصاب الشعر العربي كان تطورا خاصا ، كان أفضل أنواع التطور . ذلك أن الشعر العربي قد تطور في غضون الاحقاب المتطاولة الماضية ما شاء ان يتطور ، ولكنه استطاع ان يحافظ مع ذلك على ذاته وجوهره دون ان يلحق به التطور خروجا عن طبيعته الاصلية ، وانما زاده غنى ومرونة وخصبا .

واذا بدا لنا اقتران هذين الوصفين غريبا ، فنحن تجاه شاعر لابد حين ندرس خصائص شعره الفنية من أن نشير تباعا الى ذينكم الوصفين العامين . سيبدو

ومحمد بن لب الذى بولى مسيخة دار الحدبث الكاملية بالقاهرة بعد وفاة ابن سهل القصرى سنه 642 هـ وبقي بها الى ان بوفى بالقاهرة عام 663 هـ (ص 358)

وابو حيان الذى قال ابن مرزوق في حقه شيخ النحاه بالدبار المصريه وسيخ المحدثين بالمدرسة المنصوريه وذكر الصفدي في اعيان العصر انه امير المومنين في النحو (النفح ج 1 ص 599) وسبب ارتحاله الى المشرق الرد على اسناده ابى جعفر الطباع وتكذيب روايته في كتابه « الالماع في افساد اجازه الطباع » فرفع هذا امره للسلطان فنفد الامر بتنكيله فاختفى ثم اجاز البحر الى الشرق (النفح عن ابن الخطيب ص 625) .

وعلي بن موسى بن سعيد مىمم كتاب « المغرب في اخبار المغرب » رحل الى الموصل وبغداد وحضر مجلس خلوه السلطان المعظم بدمشق وكان ارتحاله لبغداد عقب 648 هـ ثم عاد الى المغرب وصنف « النفحه المسكية في الرحلة المكية » « واخبر في رحلته الفضلاء من البحر المحيط الى القاهرة وفد ولي للموحدين بمراكش وسلا (ص 453 هـ الى 492) .

وابو مروان عبد الملك بن زهر الذى تولى رياسة الطب ببغداد ومصر والقيروان (النفح ج 1 ص 445)

والطبيب عبد الله المالقي رئيس العشابين بالديار المصريه (ص 683) وابو الحكم عبيد الله الباهلي طبيب السلطان السلجوقي محمود بن شاه في مارستان المعسكر (ص 655) وحكيم الزمان الطبيب الماهر محمد السابى الذى اعتنى به صلاح الدين الايوبي ومحمد بن عبدون القرطبي رئيس مارستان مصر (ص 444) وغيرهم .

والمقرى نفسه هو احمد بن محمد التلمساني نزيل « فاس التاهرة ثم مصر القاهرة (النفح ج 1 ص 8) رحل الى الشرق عام 1027 هـ وزار الحجاز وبيت المقدس والشام ودرس بالازهر (ص 33) وقد الف كتابه النفح بعد رجوعه من دمشق الى القاهرة استجابة لرغبه المولى احمد الشاهيني رغم « عدم تيسر الكتب المستعان بها على هذا المرام » (ص 39 — 40) .

اما المشارقه الوافدين على الاندلس فقليل منهم من هاجر للعلم في اللائحه التي رسمها المقري امثال ابى على القالى وصاعد بن الحسن البغدادى ومحمد بن موسى الرازى وزرياب المغني .

وهكذا نرى ان رسل الفكر بين المغرب والشرق كانوا اهم عنصر في ترصيص الوصله الروحية بين جناحي العروبه والاسلام : المغرب والشرق .

سل التاريخ ... ؟

سل التاريخ عن رحمه العرب وعدلهم وروح التسامح التي كانت تسودهم ...

سله ينبئك ان العرب لم يستذلوا شعوب العالم ابان قوتهم وبأسهم ولكنهم نشروا رسالة المحبه والتعاون والاخاء ، وقضوا على التفرقه العنصريه ، والاستبداد الطبقي ، وحققوا الديمقراطيه الصحيحه .

فالعرب — بحق — هم الذين ضربوا للعالم المثل في كيفية سياسة الشعوب والامم عن طريق المواساة ، وكفالة الحريات وسيادة العدل وتأكيد الطمانينه والامن ، وتحكيم الاشتراكيه العادلة .

عباس محمود العقاد

وكذلك يقول في النسيب :

وانجدتم من بعد اتهام داركم
فيا دمع انجدني على ساكني نجد

معتمدا على جناس الاشتقاق بين انجاد الاحباء وانجاد الدمع ومكان نجد . وعلى الطباق بين الانجاد والاتهام .

وكذلك يقول في هديل الحمام :

لا تنشجن لها فان بكاءها
ضحك وان بكاءك استغرام
هن الحمام فان كسرت عيافة
من حائهن فانهن حمام

معولا على الطباق بين البكاء والضحك وعلى الجناس المحرف بين الحمام والحمام .

وأما العلم والثقافة والفكر النير في ذلك العصر. فلقد كانت العبقريات تنفتح كالنجوم في كل افق وكانت البلاد كلها تعج بالأئمة في كل ميدان من ميادين المعرفة ، كالفقه والحديث والتفسير واللغة والنحو والادب والشعر والتاريخ والرياضة والفلك والموسيقى والفلسفة وأمثالها . ولا شك أن أبا تمام قد صادف فريقا من اولئك الائمة في دمشق ومصر وبغداد وبقية ارجاء الدولة العربية . واستمع اليهم واستنشدهم من شعره . ويضيق المجال هنا عن الاشادة باولئك الائمة الاعلام .

ذلك عصر عجيب في ثقافته وحضارته وتقدم جميع انواع المعرفة ابانه . ولذلك لا غرو اذا حمل شعر ابي تمام ثمرات تلك المعرفة الواسعة ، والقت في مونق قوافيه ظلال تلك الثقافة المتقنة . وانعكست في مشرق حروفه اشعة تلك الحضارة الوهاجة . واضطر مطالع شعره الى ثقافة كبيرة تتصل بجوانب تلك الحضارة . فشعره يمس ذلك جميعا في الموضع بعد الموضع والحين تلو الحين . وهو مما يسهل العثور عليه وتبينه عند المطالعة ، وان كان يبدو هذا الشعر معقدا وعرا صعبا . ولكنه لا يلبث ان ينجلي لدى الادمان واعمال الفكر .

ويجوز لنا ان نمضي في هذا النحو من الكلام ، ونذكر الامثلة المتعددة على ذلك الغنى الفكري ، وعلى الوان المعرفة والثقافة في شعر ابي تمام . وهذا النحو من البحث سهل ويسير . ولكننا نؤثر ان ندع ذلك ونبين بايجاز جوانب الابتكار وعناصر الطرافة والتجديد في شعر اكبر مجدد في تاريخ الشعر العربي . فمن المعلوم أن أبا تمام كان رأس مدرسة شعرية تركت أكبر الآثار . يقول عنه الصولي الذي جمع اخباره : « رأس الشعر مبتدىء المذهب سلكه كل محسن بعده فلم يبلغه فيه ، حتى قيل مذهب الطائي وكل حاذق بعده ينسب اليه ويقتص أثره » .

وما ذكره الصولي أصبح منذ القديم متداولا متعارفا مجمعا عليه . ونحن نريد هنا أن نبين ملامح هذا المذهب الجديد في ضوء من المعرفة جديد .

فمن أولى خصائص هذا التجديد ، تحميل الالفاظ أكثر من مجرد دلالاتها . وذلك باعتماد المجاز والاستعارات وامثالها . واذا كان المجاز والاستعارة معروفين متداولين عند العرب القدماء ، فان شدة اعتمادهما عند ابي تمام من شأنها أن تخرج اللفظ عن دقيق دلالته ومضبوط معناه ، لتوحي من ورائه بمعنى آخر لمجرد علاقة من العلاقات .

ولايضاح ما اقصده اضرب مثلا بفن التصوير . فبدلا من أن يعمد المصور اذا اراد ان يصور اسرة سعيدة الى تصوير جميع افراد الاسرة في بهو بيت بابتساماتهم واشكالهم وسحنتهم الدقيقة، أصبح يرسم بعض الخطوط التي تدل على البيت ، ويسبغ عليه جوا من ايحاء السعادة ، نشعر به من خلال النور المتلألىء الخارج من النافذة في الظلام ، والدخان المنطلق من الموقد . أو هو يأخذ على طريقة بيكاسو الحديثة مثلا فردا من افراد الاسرة . ويجعله يمثل الاسرة جميعها بادخال خطوط والوان جديدة مغايرة للمألوف، ولكن بينها في حد ذاتها تلاؤما ، كما أن بينها وبين ما تدل عليه من المعاني علاقات ينبغي أن يجدها المتأمل ويكشف عنها بالتدريج . فيجد لذة وخصبا في هذا التأمل والكشف .

وهذا هو الذي صنعه ابو تمام في ميدان الشعر بالنسبة الى دلالات الالفاظ والكلمات . أصبحت الالفاظ والكلمات لا تؤدي دلالاتها ومعانيها بالضبط بل هي تطمح الى شيء آخر . انها اصبحت لا تستعمل لمعانيها الموضوعة لها بالتدقيق . بل لتناسبها ومراعاة نظائرها واضدادها . المعنى الشعري العام لا يحصل كما في الرسم الدقيق من اتصال هذه الدلالات الجزئية بعضها ببعض بدقة ولطف واستمرار ، بل من تقاطع

لنا فى فن أبي نمام عناصر التطور الضخم الذي اتسع له افق الشعر العربي من جهة اولى ، وذلك ان أبا تمام اكبر مجدد فى الشعر العربي ، كما سوف تبدو عناصر الفكر الفنية العالمية فى شعر ابي تمام نفسه من جهة ثانية ، وذلك كله من خلال بيانه العربي الاصيل المتصل بمرحلته التاريخية .

هذا البيان فى عصره جمع رقة بردى ، وعظمة النيل ، وتدفق الفرات ، وغطرسة دجلة ، وزركشة بلاد سيحون وجيحون ، وتهاويل وادى سيحان وجيحان (1) .

وقد اضاف الى بياض النهار وتصوعه سواد الليل وغموضه ، والى تنوع الضحى وتألقه تأمل الاصيل وسحره ، والى روعة العسبات وشجونها انبلاج الاسحار وفتونها .

ثم الى كره صور الارض لألاء القمر ، وبهاء الشمس ، وكبرياء المشترى ، وبأس المريخ ، وظرف عطارد ، وخصائص بقية السيارات والنجوم. كما جاءت أسماء هذه الكواكب جميعها فى شعره .

وقد ورث كنوز اللفظ ، ولؤلؤ الكلم ، وابريز الحرف ، وحلي القريض ، وماس القافية ، وزمرد الظلال ، ووهج الالوان ، وركب ذلك كله وصقله وحلاه فى صنعة جديدة مبتكرة .

هذا فضلا عن كثرة الحركات ، وبراعة الاشارات، وخفاء التلميحات، وندرة اللهجات ، وتنافر المتناقضات ورجع الاصداء القديمة والحديثة .

كان الشعر العربي قد مر نحو ثلاثة قرون على اتساعه واكتماله وتنوع أعراضه وتفنن التعابير فيه . وقد نبغ الشعراء الجاهليين والمخضرمين والامويين وشعراء صدر الدولة العباسية من نبغ ، وغنى منهم من غنىفى أجواز البلاد العربية المترامية ، وكانما كان الشعر ينتظر تطورا جديدا فى العصر وطريقة الصوغ بعد اذ عرف ارهاصات جديدة على لسان مسلم بن الوليد وبشار بن برد . ولكن رسالة الشعر الجديدة اذ ذاك ، انما قدر ان ننهض بها وبؤديها ، ذلك الفتى الناشىء الاسمر اللون ، الطويل القامة ، الاجش الصوت ، ذو التمتمة اليسيرة ، من قرية جاسم على طرف الطريق الذاهب من دمشق الى طبرية .

وكانت البلاد العربية اذ ذاك اغنى بلاد العالم قاطبة واكثرها عمرانا ، واشدها تقدما وآلقها حضارة. كانت كنوز الدنيا تحمل اليها وتجبى لها . وكان عصر أبي تمام عصر خلافة الرشيد والامين والمأمون والمعتصم والواثق ، بلغ العلم والثقافة والفكر فيه اوج الاتساع والرقي والقوة . ويهمنا فى الحين بعد الحين أن نربط بعض الشيء بين خصائص فن أبي تمام وبين صفات العصر العامة الذي عاش فيه ، اما غنى ذلك العصر فربما يكفي ايراد مثل واحد بارز معروف لتذكير أبهة الحضارة وترف المعيشة وتفنن ألوان الحياة . ففي عصر ابى تمام ، فى سنة 210 هجرية ، حصل عرس المأمون على بوران بنت الحسن بن سهل . ويذكر المؤرخون كيف فرش له يوم العرس حصير من ذهب ، ونثر عليه الف حبة من الجوهر ، وأشعل بين يديه شمعة عنبر وزنها مائة رطل ، ونثر على القواد رقاع باسماء ضياع ، فمن وقعت بيده رقعة أشهد له الحسن بالضيعة . وكان أبو تمام متصلا بامراء عصره ورجال الدولة ، وهو الفقير الذى بدأ حياته حائكا بدمشق ثم سار بمصر يسقى الماء فى جامع عمرو ، فاطلع على الوان تلك الحياة المترفة وافانينها . ومن جملة من اتصل بهم ونال جوائزهم الحسن بن سهل هذا ، حمو المأمون ، والخليفة المأمون نفسه ، وكذلك المعتصم من بعده ، ثم الواثق وطائفة من قادة الثغور وامراء البلاد . واذا كان الامر كذلك فلا بد من ان يكون شعره محلى بأنواع الزينة بحلية تلك الحياة التي يحياها أولئك الرجال ، مزخرفا بالوان البديع والصناعة زخرفة محالي العيش الذى يعيشونه . ولا عجب اذا انتبه الشاعر الى تلك المحسنات البديعية فى صنعة متعمدة تظهر فيها أحيانا آثار الدأب والجهد .

فهو القائل فى المديح :

يمدون من ايد عواص عواصم
تصول بأسياف قواض قواضب

مجانسا بين عواص وعواصم وقواض وقواضب جناسا مذيلا .

1) حيث مدينة المصيصة التي انشد ابو تمام المعتصم مديحة فيها بعد معركة عمورية .

على قبر يوسف بن تاشفين

للدكتور عمر فروخ

في صباح الخامس من أيلول (سبتمبر) من عام 1957 ، وكان يوم خميس ، غادرنا الدار البيضاء في سيارة السيد محمد قباج وسلكنا طريقا واسعا حسن التعبيد يمتد مائتين وخمسين كيلومترا ووجهتنا مدينة مراكش . مراكش عاصمة يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين ، ثم عاصمة دولة الموحدين من بعد والعاصمة الشتوية للأسر المغربية المتعاقبة منذ العصور الوسطى الى العصر الحديث . والى ان اختار الفرنسيون مركزا ادنى الى البحر واقرب الى مرامي مدافعهم وايسر وصولا على جنودهم فاتخذوا الرباط وجعلوا منها العاصمة الوحيدة . ومع ان الرباط اقرب بمركزها الجغرافي الى أن تكون عاصمة حديثة ، فان الافرنسيين لم يقصدوا من اختيارها ما قصد رجال الحكم الوطني من الاستمرار فيها عاصمة وحيدة للمغرب .

كان أبرز ما لفت نظري في اثناء الطريق احدى القواعد الامريكية . وكانت ارضا واسعة محصونة بأسلاك شائكة كما كانت تمتد على جانب الطريق العام، الى يميننا ، كيلومترات عديدة ثم تذهب عرضا حتى تكاد تتصل بالافق الغربي . وكان الجانب المحادي للطريق ، من تلك القاعدة ، مخصوصا ببيوت سكنى عادية ، تتوزع فيها وفي جنائنها اشخاص في اللباس المدني ؛ ولا يبعد أن ترى هنا وهنالك اطفالا يلعبون وراء الاسلاك الشائكة أو يتأرجحون على حبال منصوبة بالعراء أو تحت السقوف القائمة على الاعمدة. ان الغاية من الاسلاك الشائكة أن تمنع الذين تحيط بهم تلك الاسلاك من الخروج الى العالم الطليق ؛ أما هذه الاسلاك حول القواعد الامريكية فالغاية منها ان تحول بين أهل العالم الطليق وبين الساكنين فيها .

ليس بإمكاني ، ولا أحسب أن بإمكان أحد مثلي ، أن ينفذ ببصره او بعمله الى ما في داخل تلك القاعدة العسكرية . ولكن الذي نعلمه ونبصره أن الامريكيين مستمسكون بتلك القواعد اكثر من الافرنسيين . ولولا ذلك لما استأجرها اولئك من هؤلاء . ولما أجرها هؤلاء الى اولئك . ولقد حرص المغرب ، منذ انتزاع استقلاله من الافرنسيين ، في الثاني من آذار من عام 1956 ، على استرداد تلك القواعد فكان الامريكيون يحتجون بأنهم استأجروها من الافرنسيين . أما الافرنسيون فكانوا يحتجون بأنهم استبقوا السلطة الاسمية على هذه القواعد ثمنا لقبولهم بالجلاء عن المغرب . ولكن لما قام الرئيس الامريكي أيزنهاور بزيارة للمغرب ، فيما زار من بلاد آسية واوروبة وافريقية ، في اعقاب عام 1959 ، وافق على جلاء القوات الاميركية عن تلك القواعد ؛ الا انه أجل موعد ذلك الجلاء الى عام 1963 . ويبدو أن مفاوضات لاحقة عادت فقدمت هذا الموعد الى عام 1961 .

ثم لاحت لنا قاعدة امريكية ثانية بعد المغيب ، ونحن موغلون جنوبا في شرق متجهين نحو مدينة مراكش . فرأينا القاعدة في الليل شعلة من الاضواء الكثيفة في كل اتجاه . وفي المغرب قاعدتان اخريان لم تكونا في طريقنا الذي كنا نتبعه .

مدينة مراكش واحة في صحراء . انها حارة جافة . ولقد اتفق ان شهدت ، في الايام الثلاثة التي قضيتها فيها ، حرا شديدا ومطرا غزيرا وعاصفة حمراء صبغت الجو كله بلون الدم وكانت تذري الرمال في الوجوه ثم تسد الافق وتظل الارض حتى لا يكاد الرجل يرى صاحبه على بضع خطوات منه .

هـذه الـدلالات تقـاطعـا عنيفـا منضـادا فـي كثيـر مـن الاحيـان . هنـا لا يهـم المصـور بالرسم والخط ، وانما يهتم بلطخات الالوان وتعادلها . وبما تحمله من ايحاء ، وبما يشتمـل عليه مـن ايقـاع وتناسب .

لناخذ قصيده مشهوره من قصائد حبيب ، وهي التي قالها في موقعة عمورية . وهي كلها جديـرة أن يستشهد بها هنا ، ولكنا نتحرىء منها بعض الابيات :

السيف أصدق أنباء مـن الكـتـب
في حده الحد بين الجـد واللعـب

بيض الصفائح لاسود الصحائـف في
متونهن جلاء الشـك والريـب

والعلم في شهب الارمـاح لامعـة
بين الخميسين لا في السبعة الشهب

نجد منذ الاستهلال أن التعبير اختلف تماما عما الفناه عند الشعراء الجاهليين والمخضرمين والذيـن عاشوا في فجر الاسلام . الالفاظ تحمل اكثر من معانيها وكل لفظ ليس مستقلا في حد ذاته ، وانما جاء بـه ما بينه وبين غيره من تناسب وتجانس وتضـاد . فالسيف استعمل هنا رمزا الى القوه والحرب . والكتب وردت رمزا الى التنجيم . والحد الثاني ومعناه الفصل بين الشيئين انما اتى به مجانسه للحد الاول حـد السيف والحد الاول انما أتى به جناس التصحيف مع الجد . ولفظ الجد هذا استدعى اللفظ المضاد وهـو اللعب .

والبيت الثاني توكيد للبيت الاول بشكل مزخرف متالق خطابي جاء بالفاظه الطباق بين البيض والسود ، وتجنيس القلب في الصفائح والصحائف .

والبيت الثالث توكيد جديد للفكرة نفسها ، فهو يقول فيه : صحيح العلم في الحرب لا ما استند للتنجيم عليه بالنجوم . ولكنه يختار للدلاله على النجوم لفظ الشهب التي هي أخص منها ، ويستعير اللفظ نفسه لاسنة الرماح زخرفة وتزويقا ومجانسة . وهكذا نـرى أن الفاظ هذه الابيات مختاره اختيارا خاصا تخرجهـا في كثير من الاحيان عن دلالاتها الدقيقة لتقصد الى ما بينها من تناسب وتجانس وتضاد ، وما تستطيـع ان تضمه من ايحاءات قويه .

ولتحمل اللفظ اكثر من معناه ، عول ابو تمام ايضا في قصائده على التلميح والاشاره الى ايام العرب وحوادث التاريخ والقصص المأثورة وضرب الامثال . وفي ذلك ما فيه من ايحاء وتذكره وارضاء للثقافـة الواسعه . واشعاره حافله بذلك حقولا واسعـا لا تحتاج الى تفصيل . ووضوحه تغنينا عن ذكر الامثلة .

(تتبع)

نصيحـــة

خرج الزهري يوما من عند هشام بن عبد الملك فقال : ما رأيت كاليوم . ولا سمعت كاربع كلمات تكلم بها رجل عند هشام ابن عبد الملك . دخل عليه فقال : يا امير المؤمنين احفظ عني اربع كلمات فهن صلاح ملكك . واستقامة رعيتك . قال : ما هي :

قال : لاتعد عدة لا تثق من نفسك بانجازها . ولا يغرنك المرتقى السهل اذا كان المنحدر وعرا واعلم ان للاعمال جزاء فاتق العواقب وان للامور بغتات فكن على حذر .

كثيرون من الزائرين اذا هم ذكروا انهم يقفون على قبر مستعمر غاشم ، فجعل القبر في منخفض يطيف به جدار مرتفع **حتى يضطر كل من يقف على قبر نابليون أن يحني رأسه**: فإن لم يحنه احتراما حناه ليرى حجارة القبر.

أما شأن يوسف بن تاشفين وشأن قبره فمختلفان من شأن نابليون ومن قبر نابليون! ان قبر يوسف بن تاشفين بنية مستطيلة ضيقة لا ترتفع فوق الارض أكثر من اربعين سنتمترا. ثم ان هذه البنية تفترش ارض مسجد بسيط يتألف من جدران عارية وسقف مطمئن يعلو كثيرا عن مثل قامة الرجل(1) لقد ادركتني صلاة العصر في ذلك المسجد فأديتها ثم وقفت أقرأ الفاتحة حيال القبر. ان بناء القبر لم يشغل شيئا من حواسي: اذ ليس في ذلك البناء ما يشغل حواس أحد، ولكن شغلني ذكرى النازل في بطن ذلك القبر. من اجل ذلك لا يجوز أن نمر بهذه الذكرى العظيمة مرا خفيفا، بل يجب علينا جميعا ان نتريث حتى نستمع الى صوت التاريخ من وراء هذه الحجارة الصم.

في مطلع القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد) كان الاضطراب واقعا في المغرب كله، من القيروان الى المحيط الاطلنطي. كان الفاطميون الذين حكموا المغرب الادنى (القطر التونسي) ثم مدوا سلطانهم غربا قد انتقلوا الى مصر بعد ان تركوا حكم الرقعة التي امتد عليها سلطانهم الاول في المغرب في يد اسرة وطنية أسست الدولة الصنهاجية. ولكن ملوك هذه الاسرة سرعان ما اتبعوا سياسة مخالفة لسياسة الفاطميين وقتلوا انصار الفاطميين (435 هـ — 1043 م) وخطبوا على المنابر للخلفاء العباسيين. وغضب الفاطميون فسرحوا الى المغرب جماعات من قبائل بني هلال وبني سليم ممن كانوا يومذاك في صعيد مصر. هذه القبائل انقضت على المغرب الادنى تعمل فيه تخريبا وتدميرا. وحينما تذكر ابن خلدون العرب في مقدمته القيمة وتذكر الخراب الذي تم على ايديهم فانما يعني بذلك كله بني هلال وبني سليم البدو ولا يعني بذلك الجنس العربي. اما المغرب الاقصى فكان فيه دولة مغراوة وبني يفرن. ولم يكن حال المغرب الاقصى أحسن من حال المغرب الادنى حتى في أيام مؤسسي دولته: زيري بن عطية (368 — 391 هـ) وابنه المعز وحفيده حمامة (417 — 440 هـ) ومع هذا كله فان ملك بني صنهاجة في المغرب الادنى وملك بني مغراوة وبني يفرن في المغرب الاقصى لم يسودا الا على السواطىء. اما الداخل فكان فيه كثير من الفوضى وكثير من الجهل وكثير من النزاع العصبي بين قبائل البربر المختلفة.

أما الاندلس فكانت في ذلك الحين في درك اسفل من الضعف والتنازع والتشتت. مقسمة بين حكام ضعاف سموا ملوكا ولكن لم تكن لهم من الملك الا القابهم وشيء من الترف جاءوا به على أعين الناس في بلاطاتهم. ولم تكن كل دويلة من تلك الدويلات تحكم الا رقعة صغيرة من الارض: مدينة او مدينتين وما حولهما من الارباض. واذا زاد ملك دويلة على ملك اخرى فانما كانت تلك الزيادة تجيء من اعتداء دولة على اختها. وكان الاسبان الذين سموا اصحاب هذه الدويلات «ملوك الطوائف» قد استعبدوا اولئك الملوك وفرضوا عليهم الجزية يأخذونها منهم في كل عام. وفي ملوك الطوائف هؤلاء قال الشاعر الاندلسي:

مما يزهدني في ارض اندلس ... القاب معتضد فيها ومعتمد
القاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد.

في ذلك الحين كانت العصبية في داخل المغرب لقبيلة صنهاجة، وكانت الرئاسة فيها لمحمد بن تيفاوت المعروف باسم تاشرت اللمتوني من قبيلة لمتونة فلما توفي محمد بن تيفاوت خلفه في الرئاسة على صنهاجة كلها يحيى بن ابراهيم الكدالي من قبيلة كدالة — ولمتونة وكدالة شعبان يجتمعان في صنهاجة كما تجتمع عبس وذبيان في غطفان.

في سنة 430 هـ (1039 م) استطاع يحيى بن ابراهيم الكدالي أن يظفر بفقيه اسمه عبد الله بن ياسين الجزولي (الكزولي) فعهد اليه بأن يفقه بربر صنهاجة في الدين. ولم تكن مهمة عبد الله بن ياسين يسيرة. فلم يجتمع حوله في مدى اربع سنوات سوى بضعة آلاف سماهم المرابطين. وسرعان ما ادرك عبد الله بن ياسين ان الدعوة الصالحة لا تكفي في تقويم الناس. وانه لابد لها في سبيل انجاحها من عصبية وجنود. ففي صفر من سنة 434 هـ (1042 م) بدأ عبد الله بن ياسين يغزو قبيلة كدالة، ثم غزا قبيلة لمتونة وقبيلة مسوفة وظفر بهما.

(1) التحرير: نظرا لمكانة هذا البطل العظيم، وبأمر من صاحب الجلالة محمد الخامس قامت وزارة عموم الاوقاف في سنة 1960 باعادة بناء ضريحه بما يلائم وذكره التاريخي المجيد.

ومع أن مدينة مراكش تبعد عن أقرب نقطة تواجهها من جبال الاطلس اربعين كيلومترا في خط مستقيم ، أو أكثر قليلا ، فانها توصف بانها قائمة في سفح جبال الاطلس . ونحن الذين تعودنا ، في لبنان ، رؤية الجمال نماذج مصغرة : نرى البحر المنبسط والبر الأفيح والرمل المترامي الاطراف والجبل الشاهق والغابة الكثيفة والارض القفر والحديقة الغناء ، جنبا الى جنب ، في رقعة لا تزيد مساحتها على عشرة كيلومترات في مثلها ، نستغرب أن يقال في مدينة أنها في سفح جبل تبعد عنه أربعين كيلومترا أو تزيد ، أي بمثل المسافة ، في خط مستقيم أيضا ، بين عاصمة الجمهورية اللبنانية وعاصمة الجمهورية السورية بالامس . على أن دهشتك واستغرابك سيتلاشيان اذا صعدت مئذنة جامع الكتبية .

يرجع بناء هذا الجامع ، كما يرجع بناء مدينة مراكش ، الى أيام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين . ولكن الهياكل العظيمة لا يستقل ببنائها الفرد ولا الاسرة، بل هي من عمل الاسر المتعاقبة في الملك الواحد . ولقد تم تزيين مدينة مراكش ، كما تم بناء جامعها ومئذنته في أيام الموحدين الذين خلفوا المرابطين ، في أيام أبي يوسف يعقوب المنصور أعظم ملوك الموحدين وأحد عظماء ملوك المسلمين .

ليس لمئذنة الكتبية — والمئذنة تسمى في المغرب منارة وصومعة أيضا — درج يرقى بها ، ولكن لها سطوحا مائلة على شكل شبه حلزوني لان المئذنة مربعة وليست مستديرة .

ويبدو أن السير على سطح مائل ميلا معتدلا أهون من التصعيد في سلم طويل . وضلع منارة الكتبية اثنا عشر مترا ونصف ، وأما ارتفاعها فسبعة وستون مترا ونصف المتر . فاذا وصلت الى سطحها الاعلى انبسطت مدينة مراكش تحتك على مثل الكف ، ولا غرو فهذه المدينة قائمة في صحراء . وبعد أن تجاور ببصرك البيوت والجنائن والنخيل من كل جانب تبصر الرمال تحيط بتلك الجنة الفيحاء . ثم تدور ببصرك الى الجهة الجنوبية الشرقية فترى الطرف الغربي من الاطلس الكبير يقوم سدا مرصوصا في الافق القصي .

وبعد أن نستجلي هذا المنظر الواسع الرائع لمدينة مراكش ، كما يراها الطائر من حالق يحسن أن نتفرى عددا من معالمها . فهنالك دار سي سعيد (السيد سعيد) وقصر الباهية وانقاض قصر البديع وقبور الاشراف السعديين . ولكن قد يتفق للزائر أحيانا ما يتفق للساكن . قد يقضي الساكن عمره كله ثم لا يرى كثيرا من معالم البلد الذي يسكنه وهو يمر بها صباح مساء ، أو يكون منه على مسافة يسيرة : في عبر الحي الذي يسكنه او في غير الشارع الذي يرتاده فاذا كانت هذه حال الساكن في البلد احيانا ثم عذرناه اذا حالت العوائق المختلفة بينه وبين مشاهدة الآثار في مسقط رأسه . فالزائر الطارىء احق بالعذر اذا لم يستطع ان يرى كل ما في ذلك البلد في يومين أو ثلاثة أيام .

مررنا بقصر الباهية وبانقاض قصر البديع مرور الكرام ، وقصدنا الى قبور الاشراف السعديين فوجدناها في ذلك الحين مغلقة في وجه الزائرين . ولكن اذا كان قد ضاع علي شيء من زيارة عدد من المشاهد الجليلة في مدينة مراكش ، فلا يجوز أن يضيع علي زيارة قبر يوسف بن تاشفين بحال : قبر ذلك الرجل الذي بنى مدينة مراكش واقام الاسس الاولى لعظمة المغرب . ان الوقوف على الخطوط المتناسقة والنقوش المفوفة يأخذ بالبصر ويملأ النفس روعة وجمالا ، ولكنه كثيرا ما يوحي باجلال اكثر من ذلك الذي يستحقه أولئك الذين خلفوا لنا هذه الخطوط والنقوش . لما كنت في باريس ، قبل خمسة وعشرين عاما ، زرت قصر الانفاليد لاقف بضع دقائق على قبر نابليون بونابرت . الم يحاول بونابرت هذا ان يغزو وطني ثم يرتد خائبا ! الم يحاول ، فيما بعد وبعد ان توج امبرطورا باسم نابليون الاول ، ان يبدل خارطة اوروبة الم يكن نابليون مصلحا على الرغم من كل مساوئه الشخصية واعتداءاته على الشعوب ! فيحسن ان اقف اذن لخطات على قبره التفاتا الى تلك الذكرى التاريخية وحدها بخيرها وشرها . لقد راعني مدخل الانفاليد ، وراعني السلم الذي يصل بالخطى الى قبر ذلك الامبراطور الذي ملأ الدنيا على معاصريه ظلما وحربا ثم زينها بشيء من العظمة الزائلة وبشيء من القوانين الباقية . ولقد راعتني ايضا القبة التي تعلو القبر والرخام الذي صنع به القبر . ولا ريب في أن الذي بنى ذلك القبر قد خطر له كل ذلك ، كما خطر له ايضا ما يمكن ان تشعر به

ونحقق ظنون يوسف وشكوكه كلها : لقد هاجم الفونس المسلمين يوم الجمعه . وكذلك تحقق تقديره في عرب الاندلس : فانهم سرعان ما انهزموا امام الاسبان ، ولكن البربر كانوا وراءهم ، فأبى العرب الدنيه وتشجعوا فعادوا الى الهجوم بدعمهم اخوانهم البربر . وطالت المصارعه . وخارت قوى الاسبان والمسلمين . عندئذ امر يوسف بن تاشفين الجنود الذين كانوا وراء الاكمه ان ينزلوا الى الميدان ، وكانوا مستجمين مستريحين . فمالوا على الاسبان ميلة واحده وهزموهم هزيمه منكره. وتعلق جندي سوداني بفرس الفونس ثم طعن الفونس بخنجره .

وتقطعت جموع الافرنج في معركه الزلاقه ونجت الاندلس من الخطر المحدق المطل . ومدت تلك المعركة عمر الحكم الاسلامي مائه عام جديده . اما يوسف بن تاشفين فانه ترك جميع الغنائم لعرب الاندلس يتقوون بها على الدفاع عن انفسهم . ثم ترك لهم اربعة الاف جندي من جنوده يساعدونهم في ذلك الدفاع . على ان نفرا من المؤرخين . ومن مؤرخي الادب خاصه . يرون أن الجنود الاربعه الالاف الذين تركهم يوسف بن تاشفين في الاندلس لم يكونوا كافين للقيام بالعبء الثقيل . ولما عاد يوسف بن تاشفين الى عاصمته مراكش اتخذ لقب « امير المسلمين » . ولم يتسم بامير المؤمنين اعترافا للعباسيين بسبقهم في الخلافه وبمقامهم في الاسلام وحرصا على الا تنفر انصارهم في الاندلس وفي المغرب نفسه .

غير أن عرب الاندلس عادوا الى التنازع والى استنجاد بعضهم بملوك الاسبان على بعض . ثم بان ليوسف بن تاشفين ان الاسبان سيستولون — اذا استمر العرب في تنازعهم هذا — على البلاد كلها ، فجاز مره ثانيه للدفاع عن الاندلس . ولكنه رأى ان بعض القوم اعداء بعض وأعداء له وأعداء لانفسهم أيضا . فرجع عن الاندلس وقد أضمر في نفسه أمرا .

ثم عاد يوسف بن تاشفين الى الاندلس مره ثالثه . في سنه 483 هـ (1090 م) . ليستولي على البلاد الاسلاميه من ايدي اصحابها ملوك الطوائف لئلا تكون لقمة سائغه لملوك الاسبان . وفي رجب من سنه 484 هـ استولى المرابطون على اشبيلية عاصمه المعتمد بن عباد وحملوا المعتمد بن عباد نفسه مع أهل بيته أسرى واعتقلوهم في حصن أغمات، على مقربة من مدينة مراكش . وتوفي المعتمد بن عباد أسيرا مغموما في أغمات . في سنه 488 هـ ، ولكن الاندلس رأت بعد أسره عزة مستأنفه ومجدا جديدا .

واستمر المرابطون في الاستيلاء على البلدان الاندلسية ، فلم تأت سنه 493 هـ (1098 م) حتى كانوا قد استولوا على جميع ما كان للمسلمين في الاندلس وأخذوا ينازلون الاسبان في بلادهم وديارهم.

وكانت البابوية التي كانت تدفع الاسبان الى مقاتله المسلمين في الاندلس قد ادركت أن لا سبيل الى التغلب على المسلمين في مغرب الارض ما دام فيهم يوسف بن تاشفين وما دام المرابطون أقوياء . فوجهوا وجوههم نحو قتال المسلمين في المشرق . ففي سنه 488 هـ (1095 م) . بعد معركه الزلاقه بتسعه أعوام فقط . عقد البابا أوربان الثاني مجمعا في مدينة كلارمونت فران في فرنسه ودعا فيه الى حرب صليبية على الشرق . وبعد ثلاثه أعوام كانت جحافل الافرنج الصليبيين تتوالى على الشرق موجات متلاحقه وتعمل فيه تقتيلا وتحريقا .

وكان من حظ العرب والاسلام ان عاش يوسف ابن تاشفين في الحكم خمسين سنه ، فقد توفي في الثالث من المحرم من سنه 500 (4 ايلول 1106) وترك ملكا واسعا مكينا راهنا .

ولكن خلف من بعده خلف ضعاف اضاعوا ذلك الملك فورثه منهم الموحدون .

ذلك هو يوسف بن تاشفين صلاح الدين المغرب واحد أعاظم ملوك المسلمين .

ثم أقف من وقفتي هذه بذكرى الموحدين . فان لي وقفة غدا . في السابع من ايلول عام 1957. في تينمل على قبر العبقري الشاب الذي أسس دوله الموحدين : المهدي بن تومرت .

فسارعت عندئذ قبائل صنهاجه الى الانضواء تحت لوائه والدخول في دعوته .

ولما قويت حركه المرابطين عهد عبد الله بن ياسين الى تنظيمها ، فحص نفسه بالرئاسه وبالاداره السياسيه والماليه وعهد بقياده الجيش الى احد اتباعه يحيى بن عمر بن تكلاكين . وهكذا اصبح للمرابطين دوله . ثم توفي يحيى بن عمر في اواخر سنه 447 هـ (اوائل 1056 م) على الاغلب فخلفه اخوه ابو بكر وفتح بلاد السوس (في الجنوب الغربي من المغرب) وتغلب على منطقه أغمات (منطقه مراكش اليوم) وقتل ملكها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي ، في حديث طويل وتزوج امرأته زينب بنت اسحق النفزاويه ، وكانت امراه اصيله الرأي بارعه الجمال ، وقد لعبت فيما بعد دورا كبيرا في ارساء قواعد الدوله المرابطيه .

وفي معركه بين المرابطين وبين قبائل برغواطه ، على الشواطىء الشمالية من المغرب ، جرح عبد الله بن ياسين جرحا بليغا (451 هـ — 1059 م) . وقبل ان توفي عين مكانه شخصا اسمه ابن عدو (بفتح العين وتشديد الدال) . في هذه الاثناء بلغ ابا بكر بن عمر ان عددا من بطون صنهاجه في الصحراء العربيه جعلوا يتنازعون ، فعزم على أن يذهب اليهم ويصلح ذات البين بينهم . وخشي أبو بكر ان يطول غيبته فطلق امرأته زينب وعين لقياده جيوش المرابطين ابن عم له اسمه يوسف بن تاشفين .

وقام يوسف بن تاشفين بامر المرابطين خير قيام وتابع الغزو حتى ادعن له المغرب كله . وفي سنه 453 هـ (1061 م) تزوج يوسف زينب بنت اسحق ثم بدأ يستجمع منها ، يعمل على الاستبداد بحكم المرابطين . ولما رجع ابو بكر بن عمر ووجد الامر على هذه الصوره، وان يوسف بن تاشفين أهل للحكم ، آثر اعتزال الحكم لئلا يختصما فينقسم المرابطون بينهما معسكرين ثم لا يكون لهذا الانقسام نتيجة الا الضعف وذهاب ريح الدوله . عندئذ عاد ابو بكر بن عمر الى بلاد السودان على الاغلب ، وهنالك توفي سنه 480 هـ (1087 م) . وكان يوسف بن تاشفين قد بنى مدينه مراكش واتخذها عاصمة .

في هذه الاثناء كان أمر ملوك الطوائف يزداد ضعفا، وكان الفونس السادس ملك ليون وقشتاله يلح على المدن الاسلامية ويستولي عليها واحده بعد واحدة .

ويبدو ان ملوك الطوائف تناسوا في تلك الحال خلافاتهم وسموا فوق انانياتهم ومنافساتهم الشخصية فجاءوا الى المعتمد بن عباد ، وهو يومذاك اقوى ملوك الطوائف واوسعهم رقعه ، ورغبوا اليه في ان يستنجد بيوسف بن تاشفين . ولم يجد يوسف بن تاشفين وجها لرفض الطلب الذي تقدم به ملوك الطوائف اليه ، ولكنه لم يجد بدا ايضا من استمهالهم حينا حتى يعد حملة يستطيع انقاذ المسلمين في الاندلس مما كانوا فيه .

واستمر الفونس السادس في الاستيلاء على المدن الاسلاميه وفي اذلال ملوك الطوائف حتى لم يبق للمسلمين في الاندلس ملك صحيح ولا كرامه موفوره . وكان يوسف بن تاشفين في تلك الاثناء قد أتم استعداده وحشد جنوده في الجزيره الخضراء ، من جنوبي الاندلس . وفي مطلع رجب من سنه 479 هـ (1086 م) سار الزحف بقياده يوسف بن تاشفين شمالا .

وعلم الفونس السادس بمسير يوسف ، وكان يحاصر مدينه سرقسطة ، فرفع الحصار عنها وانحدر ليصد الزحف الصاعد . وكان مع يوسف بن تاشفين جنود من قومه المرابطين وجنود من عرب الاندلس وحرسه الخاص من السودانيين. اما الفونس السادس فقد كان معه عدد لا يحصى من نصارى الاندلس وسائر اوروبه .

وتراءى الجمعان يوم الخميس في الحادي عشر من شهر رجب (22 تشرين الاول) . فارسل الفونس يقول ليوسف : غدا الجمعه عيدكم ، وبعد غد السبت وهو عيد لليهود ، ثم بعده الاحد وهو عيدنا . فلتكن الحرب بيننا يوم الاثنين . فقبل يوسف بذلك ، ولكنه كان يعرف غدر الفونس فعبأ عدته ورتب المعركه كما لو ان الحرب ستقع في يوم الخميس نفسه .

اختار يوسف بن تاشفين ميدان المعركه في مكان يعرف باسم الزلاقه، على اثني عشر كيلومترا من مدينة بطليوس شمالا في شرق (على تخوم البرتغال اليوم) ، ثم جعل جنود الاندلس في المقدمه واخر جنود البربر قليلا . وقد كادت تحدث فتنة من اجل ذلك ، ظن العرب ان يوسف بن تاشفين اراد ان يجعلهم وقودا للمعركه ودرئه لجنوده المرابطين . ولكن يوسف ردهم الى المنطق والاطمئنان بقوله ان الاندلسيين جعلوا في المقدمة لانهم أعرف بأساليب الاسبان واعرف بطبيعه الارض . . . وكان يوسف قد جعل نخبة حسنه من المرابطين وراء اكمة قريبة ، ولم يكن قد أعلم احدا بذلك .

منهم مكانتهم (كما وقع للكندي) . ويلاحظ ليون غوتييه ان الملك او الخليفه كان عندما يحس سلطان التعصب يهدده في ملكه يرخي العنان للشعب ويرفع حمايته عن الفيلسوف – اذ كان من عادة الملوك ان يقربوا اليهم الفلاسفة ويتخذوهم جلساء لهم وكان يستجيب للدساسين ويوقع بهم نكالا ، بان ينفيهم او يحرق كتبهم كما وقع لابن رشد مع الخليفه المنصور الموحدي . ولكن ما ان يمر وقت قليل وتهدأ العاصفه حتى يعود الملك ويعفو عن صفيه الفيلسوف ويعيد اليه اعتباره السابق – . ففي العصر الذي يوجد فيه ملك متسامح ، قوي حتى لا يعبأ بالجماهير الا عندما تشتد وطأة التعصب . وصاحب امبراطورية او امير مستقل عن الخلافه تحيط به دول اسلاميه متعدده ، حتى يلقى الفيلسوف مقعدا للهروب في وقت الشده ، في مثل هذه العصور والاوضاع كانت تزدهر الفلسفه نموا وتقدما .

هذه العصور القليلة في تاريخ الفلسفه العربيه معدودة يمكن حصرها في العصر العباسي الاول الذي يحوي الخلفاء العشرة الاولين من المنصور الى المتوكل . وفيه نبغ الكندي وترجمت الكتب اليونانية وعبرها ، وعصر سيف الدوله في حلب وفيه نبغ الفارابي . وعصر الدول الاسلاميه في ايران وفيه نشأ ابن سينا . هذا في الشرق . اما في المغرب فان عصر دوله الموحدين تكاد تكون الوحيد الذي كان في ايامه للفلسفه ذكر ورجال . وفيه نبغ الفلاسفه المغاربه الثلاثه : ابن باجه وابن طفيل وابن رشد ، وبعد ذلك انطفأت شعلة تلك الومضات التي كانت تومض كالبرق الخاطف في بعض اوقات من تاريخ الحضارة الاسلاميه الحافل ، انطفأت تلك الشعله ، لتومض من جديد ومضتها النهائيه في شخص ابن خلدون بعد ذلك بفاصل من الزمن كبير ، تصل الى الفرس .

فاذن والعالم الاسلامي هذا وضعه في ذلك الحين كان على من يريد ان يشتغل بالفلسفه والعلوم العقليه ان

يجد سلاحا ضد الاخطار المحدقة به . وكان عليه – كما ذكر ليون غوتييه – ان يكون حذرا والا عرض ولي نعمته الملك او الخليفه لسخط العامه والمتعصبين من رجال الدين والمتكلمين . واستجلب بذلك على نفسه العقاب .

وكان السلاح الذي وجده الفلاسفة العرب ناجعا في اتقاء اخطار هذه الرجعية والتعصب هو نظريتهم التي اتفقوا جميعا في خطوطها الاساسيه اعني نظريتهم في التوفيق بين الدين والفلسفة التي يمارسون البحث فيها .

هذه النظرية التي يرى فيها ليون غوتييه اصالة الفلسفه العربيه . ويرد سبب منشئها الى تلك الاخطار التي تحيق بالفيلسوف المحمي بحمى ملك او خليفة في غالب الامر ، اخطار من جانب الشعب . واخطار من جانب المتعصبين من المتكلمين والفقهاء .

ولكن هذا السبب اذا اقتصرنا عليه قد يوحي بان هؤلاء الفلاسفه العرب لم يكونوا معتقدين لمبادىء الدين اي انهم كانوا يؤمنون بحقيقة واحده هي الحقيقه العقليه او الفلسفيه . وانهم كانوا يعتبرون الدين وهما او خرافه او حيله لاستدراج الناس الى ما ينفعهم في حياتهم الاجتماعيه فحسب او ما شاكل ذلك ؛ مما يجعل الدين بعيدا عن الحقيقه الفلسفيه بعيدا عن التعبير عن حقيقه واقعة . ونحن اذا استعرضنا حياة هؤلاء الفلاسفه – وخصوصا نظريتهم في التوفيق – نجد انهم كانوا مخلصين في موقفهم من الدين واعتبارهم اياه يعبر عن حقيقه واقعه . هو – كما سنرى عند الكلام على نظريه ابن رشد – وجه الحقيقه المطلقه الظاهره . الى جانب الوجه الباطن وهو الحقيقة الفلسفيه التي يطلع عليها الفيلسوف عند اتصال عقله بالعقل الفعال . اي عند مزاولته التفكير العقلي .

ولكن غوتييه لا يخالف هذه النتيجه – اي اخلاص الفلاسفه الديني – ولكن مقدمته لا تتضمنها بل قد توحي بعكسها . . يجب اذن ان نقول : ان سبب نشوء فكره التوفيق بين الدين والفلسفة عند الفلاسفه العرب . راجع الى عدم استقرار الاوضاع بالنسبه لهم وعدم خلو الجو المحيط بهم دائما من المؤامرات والاختلافات في حقهم . وان لا يفهم من هذا انهم كانوا منكرين للدين . بل كانوا مخلصين مؤمنين بالحقيقة الدينية الى جانب الحقيقه الفلسفيه . فكان عليهم لذلك ان يسوغوا موقفهم (مزاولة البحث في الفلسفه) ويدافعوا عن انفسهم . فاضطرهم الامر الى التعمق في الكشف عن الصلات التي تربط الدين والفلسفه وبيان توافقهما . حتى وصلوا في ذلك الى شأو جعل من نظريتهم هذه شيئا فريدا وطابعا اصيلا لهذه الفلسفه العربية خصوصا . كما تكامل مذهب التوفيق عند ابن رشد ووصل على يديه الى ذروته . وبلغ غاية تطوره .

للأستاذ عبد اللطيف ملين

التوفيق بين الشريعة والفلسفة

موازنة بين ابن رشد وسابقيه

- 2 -

والآن ما هي الامور التى اثرت فى تكوين هـذه النظرية التى تمتاز بها الفلسفة العربية على غيرها من الفلسفات .

لاشك ان كل فلسفه وكل شيء من الاشياء يعمل على تكوينه عوامل متعددة . اهمها عوامل المحيط الاقرب اليه . اى عوامل البيئه التي يوجد فيها ، على الا ننسى عمله هو ايضا بعد تكونه فى البيئة نفسها ؛ وعلى هذا ؛ لا شك ان الفلسفة اليونانية قد اثرت فى تكوينها عوامل البيئه اليونانيه السابقه لعصر الفلسفه. الى جانب تاثير المذاهب الفلسفية اليونانيه الاولى نفسها على ما سياتى بعدها من مذاهب ، واذا كانت الفلسفه اليونانية تتسم بطابع ما او تتصف باحدى الصفات المميزة كالوضعية او التجريبيه مثلا فهذا يمكن بكل تاكيد ارجاع اسبابه الى البيئه الخاصه التى نشأ فيها المفكر اليونانى فاذا اخذنا نظريه الاسياد والبرابرة عند اليونان مثلا — اذ كانوا يعتبرون كل ما عدا اليونانيين برابرة متوحشين — فسنجد سبب هذه النظرة فى احساسهم بتفوقهم ابان ازدهار دولتهم واتساع حضارتهم . ثم اذا اخذنا النظريه المقابله التى تسوى بين جميع الناس والتى نجدها عند متاخريهم كالرواقيين ؛ فيمكن ان نجد اسباب هذا الانقلاب فى الانحطاط السياسى — والفكرى الى حد ما — الذى اصاب بلادهم على اثر ظهور امبراطورية روما وافول نجم الحضارة اليونانية .

وهكذا فيما يخص طابع هذه الفلسفة العربيه فى التوفيق ، لا يصعب ارجاعه الى اسباب تتعلق بالبيئه الاسلاميه التي كان يعيش فيها اولئك الفلاسفه . والتى فى محيطها نمت الفلسفه العربيه .

يكاد يجمع مؤرخو الفلسفه العربيه على ان الظروف التى عاشتها الفلسفه المدرسيه العربيه احيانا طويلة ، لم تكن ظروفا ملائمه لازدهار التفكير الفلسفى. فالفترات التى عرفت فيها الفلسفه العربيه الاستقرار والازدهار . قليله وقصيره بالنسبه الى الحقبه التى دامت فيها الحضارة العربيه الاسلامية . والاوقات التى كانت تزدهر فيها هذه الفلسفه هى الاوقات التى كان يتولى الحكم فيها ملوك متسامحون ذوو ذهنيه حرة ومتفتحه للعلوم العقليه . وقد اجمع هؤلاء المؤرخون — وكل ملاحظاتهم صحيحه على وجه الاجمال فى هـذا الصدد — على ان الفلسفه كان يهددها دائما فى المملكه الاسلاميه عدوان لدودان . لم يفترا عن الايقاع بها كلما وجدا سبيلا الى ذلك : الجمهور المتعصب من جهه . والمتعصبون من رجال الدين والمتكلمين من جهـه اخرى (1) وهؤلاء كثيرا ماكانوا يحرضون الشعب على الانتقام من الفلاسفه بوصفهم زنادقه ملحدين . مارقين من الدين . هذا بالرغم من ان جميع الفلاسفـة المعروفين لم يصب منهم احد باذى فى روحه ولكنهم جميعا ما عدا الفارابى وابن طفيل — قد اصيبوا باذى ؛ اما فى سمعتهم ومركزهم الاجتماعى وخصوصا مركزهم القريب من الخليفة دائما او الملك ؛ او نفوا او سلبت

(1) ليون غوتيه ابن رشد « الفصل الثالث »

وابن طفيل بالرغم من أن الفكره الاساسيه في كتابه حي بن يقظان هي محاوله التوفيق فانه لم يعرض للتفاصيل ايضا وانما عرض النظريه في خطوطها الاساسية . ذلك أن كتابه هو قصة قبل كل شيء ، كتبت بعبارة رشيقة سهلة واسلوب لطيف . ولا شك انه راد على الفلاسفة سابقيه بهذا العرض المستقل . غير انه جعل — وذلك بقصد اليه قصدا — الافكار في كتابه مختفيه وراء ستار كثيف من الرموز ولذلك لم يكن كتابه ليعد كتابا علميا بمعنى الكلمة — كما هو كتاب فصل المقال مثلا ؛ اعني كتابا يعرض بطريقه علميه ويقصد الى اقامة الحجج — بالحجج والبراهين العقلية وبصورة مباشرة واضحة الى الموضوع المطروق . الموضوع التوفيق بين الشريعه والحكمه والفلسفه . بالرغم من ان عمل ابن طفيل غير ولا شك يمهد لعمل ابن رشد .

فاذن — يجب ان نفتش عن اسباب اخرى دفعت [illegible] ابن رشد بالذات ان يحاول محاولته الجسارة [illegible] واضحة على [illegible] العرب . [illegible] الى التراث الاسلامي [illegible] حاليا .

[illegible] الفلسفة [illegible] ابن رشد — اولا — من حيث الفلسفة [illegible] ذلك [illegible] الفلسفة العربية الى رحلة المدرسية [illegible] المسيحي . [illegible] العربية [illegible] المدرسية [illegible] . [illegible] على [illegible] ابن رشد [illegible] الفلسفة [illegible] المدرسية ولا عجب من [illegible] بالفلسفة [illegible] . [illegible] الفلسفة والتطور العلمي [illegible] . وقد كانت الهجمات والتشنيعات على الفلسفة قد بلغت ذروتها في العالم الاسلامي على يد الامام الغزالي . كان بعض المدارس الكلامية على الفلسفة المدرسية قد [illegible] ارجاء . وكانه يتبلور في كتاب الغزالي « تهافت الفلاسفة »

اكتسى هذا الكتاب صبغه انذار للمشتغلين بالفلسفة وكان تحديا لهم ، اما ان يجيبوا على ما جاء فيه ويردوا التهم الموجهه اليهم ؛ والا فليعلن الفلسفه نهايتها في بلاد الاسلام . وسلم امرها لاصحاب علم الكلام . ولما كان هذا الصراع قد يبلور على هذا الشكل ولم يعد هناك مجال للتكاسل ، فاما عمل حاسم واما الهلاك . فقد اقدم ابن رشد على خطوته الكبرى — التي تضاف الى امجاده المتعدده — وهي رده الرد المشهور « تهافت التهافت » على كتاب الغزالي الانف الذكر ردا علميا يشير عن الآخر بالروح العلميه . ان يدخل في التفاصيل ومحاسبه دقيقه مستنده الى الحجج والبراهين .

وهذا العمل الذي يستحق كل اعجاب . والذي [illegible] بالفخر الى هذه الايام . [illegible] بالاضافه الى عمل الغزالي . من مفاخر هذه الفلسفه العربيه بلا جدال .

دافع ابن رشد عن الفلسفه في كتابه وحاول جاهدا ان يرد اليها اعتبارها . وان [illegible] المدى . ولا حاجه للتذكير بان الفلسفه التي يدافع عنها ابن رشد هي الفلسفه المدرسيه التي كان [illegible] . [illegible] ابن رشد الذي كان [illegible] هذه المدرسه من الفلاسفه . [illegible] الفلسفه . وقد [illegible] ذلك — ولا [illegible] — الى [illegible] التي [illegible] في [illegible] « فصل المقال » [illegible] « مناهج الادله » . في كتابه [illegible] « تهافت التهافت » .

[illegible] الذي [illegible] الى [illegible] الفلسفه [illegible] الغزالي . [illegible] واضح صريح . [illegible] الامور التي [illegible] المعقده التي [illegible] الدين بالفلسفه . [illegible] القضايا الكبيره التي تنتج عن هذا الارتباط . [illegible] الى جانب غرض اخر — كان يستهدف به ابن رشد [illegible] اذ كان يريد ان [illegible] مبلغ [illegible] الاسلام من هذه الفرق التي يدعي كل واحده لنفسها معرفة حقيقة الدين . ونتطلع بذلك فيما بينها وبين

---

1) انظر كارا دو فو المرجع السابق ص 29 فما فوق

هذه هي اسباب منشأ هذه الفكرة الاساسية في الفلسفة العربية . ولكن ابن رشد قد تفوق على غيره في عرض هذه الفكرة واعطاها اطارا مستقلا داخل بنائه المذهبي ، أي انه اهتم بها اكثر من غيره ودرسها تلك الدراسة الدقيقة ، وتعمق فيها ذلك التعمق الذي جعل منها – كما هي معروضة بشكلها النظري في كتاب « فصل المقال » . ومطبقة على اوامر الدين في كتاب « الكشف عن مناهج الادلة » – جعل منها احدى مفاخر هذه الفلسفة العربية ورائعة من روائعها ، بالرغم من بقاء عمل ابن رشد هذا طي النسيان وضحية الاهمال مددا طويلة ، حتى بدأ يبعث ويلاقي بعض الاهتمام في هذه الايام .

فما اسباب هذا التفوق ؟ ان ليون غوتيه يرى في شأن هذا التفوق ، ان المدرسة الفلسفية المغربية التي تجمع ابن طفيل وابن باجة وابن رشد ، قد دفعت بهذه البحوث في التوفيق الى الامام اكثر مما فعل الفلاسفة المشارقة الكندي والفارابي وابن سينا ، وان ابن رشد قد تفوق على زميليه ومواطنيه ابن باجه وابن طفيل . فهو الذي استطاع ان يعطيها الشكل الملائم اي الاطار والعرض العلمي في مؤلف مستقل فما هي اسباب التفوق من جانب فلاسفة المغرب على زملائهم فلاسفة المشرق من جهة وما هي اسباب تفوق ابن رشد على مواطنيه ابن باجه وابن طفيل وبالتالي على جميع الفلاسفة العرب بالمعنى الصرف في هذا الميدان ايضا ؟ فيما يخص تفوق المدرسة المغربية هذه الاسباب يردها غوتيه الى كون الشرق الاسلامي كان في تلك الايام اقرب الى عدم الانسجام والى التنافر في العقائد والاجناس والطوائف الدينية المذهبية . وكذلك فقدان التجانس في السلطة الحاكمة ، اي ان الشرق الاسلامي كان منقسما الى دول صغيرة بمعنى عدم وجود وحدة سياسية ، فالاديان المختلفة – وان كان الدين الاسلامي هو الغالب – والطوائف المختلفة ، سواء منها الخاصة بالمذاهب الفقهية البحت ، ام الطوائف الدينية الكلامية التي كانت منتشرة في الشرق كالمعتزلة والمرجئة والحشوية وغيرها ، والاجناس والعروق المختلفة ، والسلطان السياسي المنقسم – اي وجود دويلات عديدة – كل ذلك كان له اثره البعيد في خلق جو من التسامح في الشرق لانجده في الغرب الاسلامي ، سهل هذا التسامح على الفلاسفة المشارقة الظهور بما يحبون ان يظهروا به في غالب الاوقات ، اي سهل مزاولتهم البحث الفلسفي . ولما كانت الاخطار المحيطة بهم خفيفة نسبيا للاسباب السابقة وخصوصا لفقدان سلطة قوية تسيطر على العالم الاسلامي الشرقي في الغالب ، فقد وضع الفلاسفة المشارقة خطوط هذه النظرية التوفيقية ولم يتعدوا ذلك الى التفاصيل . كذلك لم يحاولوا ان يكتبوا عنها مباشرة كتابا مستقلا كما سنرى ابن رشد يصنع فيما بعد . فهم لم يكونوا – والامر كما ذكرنا – في حاجة الى ان يدخلوا في التفاصيل الدقيقة لهذا الموضوع او ان يدفعوا البحث فيه الى مستوى عال من العلمية والتقنية كما فعل ابن رشد مكملا عمل ابن طفيل . .

اما الفلاسفة الذين عاشوا في المغرب فقد كان الجو المحيط بهم اكثر تجانسا : دين واحد في الغالب ، وعرق او عرقان في اكثر الاحيان – عربي وبربري – ، ومذهب واحد فيما يخص الناحية الفقهية هو مذهب مالك . ولا مجال للاختلافات الدينية والمذهبية المتعلقة بعلم الكلام كما هو الامر في المشرق . وكذلك السلطان السياسي واحد ممتد على القارتين (اي افريقيا او الاندلس) ، خاصة في العصر الذي عاش فيه هؤلاء الفلاسفة المغاربة وهو عصر دولة الموحدين .

فابن طفيل هو اول من وضع كتابا نظريته الاساسية تدور حول التوفيق بين الدين والفلسفة وهو كتاب حي بن يقظان . هذا الكتاب كان ممهدا لابن رشد . ويمكن تبعا لغوتييه ان نستنتج ان ابن طفيل شعر اكثر من سابقيه الفلاسفة العرب . بالضغط الذي كان تمارسه الشعب بعصبية . والمتعصبون من رجال الدين بتفهمهم للفلاسفة وتآمرهم . وكذلك تقول في ابن رشد .

ونتساءل الآن لماذا كان على ابن رشد بالذات ان يقوم بمهمة وضع هذا التوفيق في قالب خاص وجعله واضحا للعيان ، بابرازه في كتاب واحد مهمته الوحيدة الكشف عن الصلات العديدة التي تربط الدين بالفلسفة ، ومعالجة هذا الموضوع بدقة علمية فائقة ، مكونا مذهبا خاصا كامل الاطر والعناصر ، وكأنه جمع بذلك تجارب الفلاسفة العرب جميعا الى تجاربه في مؤلف واحد .

من المعلوم ان ابن باجه (قد اخترمته المنية قبل ظهور خزائن علمه وبث خفايا حكمته) . ويجزم ليون غوتييه انه ما كان ليشذ عن سابقيه في محاولة التوفيق (1) .

مع أدب الفلسفة

آخر لمحات سقراط

بقلم الأستاذ محمد كاظم سبّاق

لعل اهول ما يواجهه المرء في هذه الدنيا من المكاره هو الموت ، فيبعث منظره رعشة في الجسم ، ويقلق تصوره راحة النفس ، ويكدر لذات العيش ، وقد قابل الموت وجها لوجه كثير من افراد الانسانية ممن قضى عليهم بالاعدام بحق او بظلم ، فاستقبلوه بحالات نفسية مختلفة ، منهم من سيق الى المشنقة وهو ذاهب اللب خوفا من شبح الموت الذي يحدق اليه من امام ، ومنهم من رقى الى المقصلة واجما كئيب القلب اما حزنا على النعيم الماضي واما حسرة على الامل الضائع ، ولكن العظماء من افراد البشر ، كما كانوا عظماء في ميادين الحياة المختلفة ، كانوا كذلك عظماء في ساحة الموت ، وقد خلد التاريخ منهم رجالا صافحوا الموت بالقلب الجريء ، والنفس الرضية ، والثغر المبتسم ، وان الدراسة لهذا السلوك الانساني عند لقاء الاجل ، قد ضمنت من الروعة والعبرة ما حمل بعض الباحثين على ان يقيدوا من احداثه ما عظم في عنهم وجل ، فباللغة العربية من ذلك كتابان لفقيد الادب الاستاذ كامل كيلاني يمثلان للقارئ مصارع المشهورين من الرجال ، وكتب المؤلف في مقدمة احدهما يبين الغرض منه : « لانه ليس اروع للنفس من تمثل مصارع الناس والاستماع اليهم في ساعاتهم الاخيرة ، وتعرف ما قالوه وقت حلول الاجل ، وآخر ما تفوهوا به من الكلم قبل ان يفارقوا هذا العالم ــ خيره وشره ــ فراقا ابديا لا عودة لهم بعده » وباللغة الاردية الف المغفور له الشيخ ابو الكلام الدهلوي ــ الذي مات قبل بضع سنوات وهو وزير المعارف في الهند ــ كتابا سماه : « الانسانية على عتبة الموت » . وكان مراده بالانسانية عظماء الرجال ممن كان لهم عند مقابلة الموت مواقف مشهودة .

على ان المرء اذا استعرض احوال الشهداء والاولياء من اهل الايمان بالله والكتب والرسل واطلع على مواقفهم الجريئة في وجه الموت ، فانه وان اخذته الدهشة عليها يعللها بقوة ايمان اولئك بالله وبالحياة الاخرى بعد هذه الدنيا ، وذلك ان المرء اذا وضع امامه اسوة الانبياء والمصلحين ممن ابتلوا في حياتهم الدنيا بصنوف العذاب حتى نشر بعضهم بالمناشير ، وكان مؤمنا بالله خالق هذا الكون ، وموقنا بان هذه الحياة الدنيا عارضة ان لم تنقض اليوم فقد تنقضي غدا ، وستتبعها حياة اخرى ، حياة الخلد والدوام ، ثم كان اودع في صدره قلبا رابطا ، ونفسا ابية ، فانه خليق بان يلقى الموت كلقاء الند للند ، ويجتاز القنطرة الى الحياة الابدية بنفس هادئة ، ووجه بشاش ، ولكن العجب حين يفعل مثل فعله ، ويقف هذا الموقف العظيم رجل ليس من اتباع الرسل ، ولا من متبعي الدين ، ولا من حملة الكتب السماوية ، وانما هو رجل فكر وفلسفة ، نشأ بين قوم يؤمنون بآلهة متعددة ، وليس ايمانهم بالآخرة كايمان اهل العقيدة والدين من امم الانبياء .

من منا لا يعرف سقراط ، ابا الفلسفة اليونانية ، ولد في اليونان سبعين واربعمائة سنة قبل المسيح ، وقضى حياته في ازهر ادوار التاريخ الاثيني الذي قد امتاز بنبوغ عبقريات متعددة في الادب والفن والسياسة والحكم والخطابة ، اتهم في آخر أيامه بجريمتين ، وحوكم في محكمة الشعب ، فقضت عليه الاكثرية الضئيلة من اعضاء المحكمة بالموت ، فعوقب به بكاس من السم سقيها في السجن ، وفي اليوم الذي انفذت عليه هذه العقوبة اجتمع به في السجن نفر من اتباعه واصدقائه من الشباب الاثيني نعرف فيهم كريتو

الفلسفة ، فى حرب عوان لا تبقي ولا تذر ، تاركه الاسلام والمسلمين فى اسوأ حالات الفرقه والبغضا والشنآن .

وكان من الدواعي المعززه لتلك الاسباب . والتى من شأنها ان تكون ساعدت فيما اكسباه عمل ابن رشد من طابع الدقه والوضوح . منشا الفيلسوف الذى كان على العلوم الفقهية . فهو من الدين تفقهوا فى احكام الدين ووصلوا من ذلك الى مرتبة عاليه فى الاجتهاد ومما يجدر ذكره بهذا الصدد انه تولى القضاء . ووصل الى رتبة قاضي القضاة وهذه الثقافه الفقهيه التى كان يتمتع بها مكنته من القيام بهذا التوفيق بنجاح واضح . واننا لنجد صدى لثقافته الفقهيه فى كتبه كلها سواء منها الخاص بالتوفيق ام شروحه على ارسطو ويمكن ملاحظة ذلك سواء فى تعريفه المسائل على الطريقه الفقهية ام فى ذكره للنص كاملا فى شرح ارسطو واتباعه بالشرح والتفسير وذلك كما يفعل مفسرو القرآن الكريم .

هذه هي على ما ارى الاسباب والعوامل التي حدت بابن رشد لان يقوم بعمله العظيم فى بناء مذهب متماسك ، يحاول اتمامه صلة ثابتة ، او الكشف عن هذه الصلة بين الشريعة والحكمة على حد تعبير ابن رشد ، وبيان هذه الصلة باوضح عباره واسلم دليل .

وسنرى فى فرصة اخرى عند عرض نظرية ابن رشد فى التوفيق بين الشريعة والفلسفة مبلغ غناها وتماسكها ، وسيظهر لنا مقدار ما بذله من الجهد كي يجيء على هذه الصوره الرائعة ، ولا شك اننا لن نحاول الادعاء اننا وفينا حق هذا العمل العظيم وابرزنا كل جوانبه وكشفنا عن جميع خباياه .

قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟

فى نهج البلاغه : الناس عالم ومتعلم وهمج رعاع اتباع كل ناعق . يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم . ولم يلجئوا الى ركن . وثيق.

العلم خير من المال . العلم يحرسك وانت تحرس المال . المال تنقصه النفقه والعلم يزكو مع الانفاق .

العلم دين يدان به . يكسب الانسان الخير فى حياته ، وجميل الا حدوثه بعد وفاته .

لو امكن ان توضع ضابطة خلقية بانفصال تام عن العقائد الدينية ، حرية بان يلتزمها المؤمن والملحد على السواء ، لكان خيرا للامة . لان العقائد عرضة ابدا للتغير والتطور ، ولكن الضابطة الخلقية يجب ان تكون ثابتة لا تتغير ، حتى لا تضطرب كيان الامة في حال من الاحوال .

اما نظام الدولة فكان من رأي سقراط انه اذا كانت الدولة بنفسها عنوان الفوضى والعبث ، تأمر الناس ولا تأخذ بأيديهم ، وتسوقهم ولا تهديهم . فلا يمكنها ان تحث آحادها على ان يتبعوا قوانينها . وان يخضعوا طموحهم الذاتي للخير العام . كان يقول سقراط : انه حينما انعدم الفكر والتأمل كانت الفوضى وعدم النظام . وان المجموع من الناس يستعجل ابدا في الحكم . واكثر ما يحكم بالجهل . ويعود بعد ذلك نادما على ما فرط منه . وكان يتساءل : اليس من الوهم المحض ان يرجى ان اجتماع عدد من الناس تنبعث منه الحكمة والعقل ؟ اليس من الحق ان الناس مجتمعين يكونون ادنى الى الحمق واشد واظلم في حكمهم منهم منفردين

ذلك ان تصور ما كان لتعاليم سقراط هذه من رد فعل عند الحزب العمومي القائم بالحكم والامر . في وقت كانت اقلية من اهل الثروة والثقافة في اثينا تدبر فيه ثورة على النظام القائم . ثم اتت وقعت الثورة بالفعل . وقاتل فيها الناس . هذا بجمعها وهذا بحلافها . ولكنه كانت الغلبة فيها للديمقراطيين مرة اخرى . ولما كان سقراط في رأيهم هو المرشد الروحي لتلك الاقلية الاستقراطية الثائرة . على كونه بقي معتزلا عن الحرب . رفعت عليه القضية في المحكمة الشعبية العليا . فحضر المحكمة سقراط ودافع عن نفسه في القضية . وكان من حضور المحكمة يومئذ افلاطون ايضا . فاستمع لدفاع سقراط ودونه فيما بعد في كتابه (المحاورات) تحت عنوان (الاعداء) وهو فصل يشتمل على ثلاثة خطب للفيلسوف في الدفاع عن نفسه . ومن المعلوم ان اتهام سقراط بما ذكر آنفا من الجرائم انما كان خداعا اتخذوه لاخفاء عداوتهم له وحنقهم عليه . وفي هذا الدفاع لم يعن سقراط بأن يرد عن نفسه التهم مثل ما عنى بأن يفضح ارباب الامر عليه ، وكيف انه اصبح قذى في اعينهم بما انه حض العامة على اصلاح النفس ، وبما انه شهر بجهل المتعالمين من القوم في اثناء بحثه عن الحكمة .

وفي هذه المحاكمة بنيت ادانة سقراط . وقيل له على عادة الاثينيين ان يقترح بنفسه العقوبة التي يرى انه يستحقها . فاجاب ساخرا مستهزئا : اني ارى ان تثيبني الدولة بجائزة لاني ظللت ناصحا لها ووفيا بها طول حياتي . ولا شك في انه لو احسن الدفاع عن نفسه لبرئ ، ولو لم يسخر من القضاة ولم يتهكم بهم في وجوههم على مرأى من الناس لما حكم عليه الا بغرامة يسيرة كان في وسعه ان يؤديها ويتخلص . ولكن موقفه ذلك زاد في سخط اهل المحكمة وحنقهم . وبهذا اجبر هذا الفيلسوف قضاته في المحكمة على ان يرفعوه الى مقام الشهادة ، وكانوا لا يريدون الا ان يرعبوه ويلزموه بالصمت .

فقضى الامر بان يسقى سقراط كأس السم ، وجاءه بعض اصدقائه في السجن وعرضوا عليه الفرار . لانهم قد رشوا كل من كان حائلا بينه وبين تحرره . ولكنه ابى . وكان قد بلغ من عمره السبعين . فلعله رأى انه قد حان الوقت الذي ينبغي له ان يموت فيه . وان موته لن يكون انفع واجدى من موته في ذلك الوقت . ففي آخر يومه في السجن قال سقراط لاتباعه واصدقائه عند خاتمة حواره معهم : هونوا عليهم يا اخواني ! واذا دفنتموني بعد ان مت فأيقنوا انكم انما تدفنون جسدي وحده . لا روحي . لان الروح ليس يلحقها الفناء .

قال افلاطون في حواره (فيدو) وهذا هو الفصل الذي عنيناه في صدر المقال :

« لما ان قال سقراط هذه الكلمات . نهض الى الحمام ليغتسل ، وتبعه كريتو . واوعز الينا ان ننتظر . فتخلفنا من ورائهما واخذنا نتكلم ونفكر في موضوع الحوار الرائع وفي عظم المصاب الذي قد اوشك ان يحل بنا . فكان سقراط عندنا بمنزلة الوالد الذي كنا سنفقده بعد حين . وبقضي حياتنا الباقية يتامى . فلما فرغ سقراط من امره . جيء بولديه ونساء من عشيرته . فتحدث معهم مليا واوصاهم امورا بمشهد من كريتو ، ثم ارسلهم عنه ورجع الينا .

وقد دنا المغيب الآن . لانه غاب عنا وقتا غير قليل . فلما خرج الينا جلس معنا مرة اخرى ، ولكنه لم يجر بيننا وبينه كلام . وعندئذ دخل السجان ووقف بجانب سقراط وخاطبه : انك يا سقراط خير من دخل هذا السجن واشرفهم طينة والينهم جانبا ، فلن اتوقع

وافلاطون . فجرى بينهم وبين سقراط حوار طويل في خلود النفس قدر فيه سقراط ان العوامل الطبيعية والجسدية عملها ضئيل جدا في الوظيفة الحقيقية للحياة الانسانية ، وان الحواس عرضة للانخداع ، والحقائق الثابتة لا يدركها الا الذهن وحده . وجعل الحياة الانسانية سفرا من عالم الفناء الى عالم الحق المقدس . وقرر ان الحياة الروحية في اليوم الآخر — يوم الجزاء والعقاب — هي الحجة الخلقية لوجوب حياة التقوى والصلاح على وجه الارض . هذا الحوار الفلسفي الممتع دونه افلاطون مفصلا في كتابه (المحاورات) تحت عنوان : فيلد . واحسبه يذكر بما شهده هو ومن معه من امر سقراط في ساعاته الاخيرة التي تناول فيها كاس السم . فسر بها كالماء الزلال . وورد حياض المنية بكل طمأنينة ورضى . هذا المثال السادح العجيب لسلوك سقراط في آخر لحظاته في هذه الدنيا هو الذي يريد عرضه على القارئ، في هذه الكلمة .

ولكن قبل ان ننقل عن افلاطون هذا الفصل الرائع الذي هو بعد بحق قطعة من الادب العالمي الخالد . لعله يحسن بنا ان نقف برهة عند حقيقة الجرميتين اللتين اتهم بهما هذا الفلسفي العظيم . وعند دفاعه عن نفسه فيهما . ونستدرج من ذلك الى المشهد الاخير من حياة هذا العبقري .

كانت الجريمتان (1) اللتان اتهم بهما سقراط ثم حوكم فيهما في المحكمة الشعبية الاثينية انه — اولا — لا يؤمن بآلهة اليونان . ولا يدين بالضابطة الخلقية التي اساسها الفزع والخوف من تلك الالهة المتعددة . وانه — ثانيا — قد افسد واضل الشباب الاثيني بافكاره وآرائه المبتدعة . واتضح ان الجريمتان اوثق الصلة بمسالتين هامتين كانتا تواجهان الامة الاثينية آنذاك :

اولا هما ان كان الفلاسفة السوفسطائيون — قبل سقراط — زلزلوا ايمان الشبيبة الاثينية بآلهة اليونان لما بذروا في قلوبهم بذور الشك والارتياب من كل ما هو فوق الطبيعة ومن وراء حدود التجربة والحس . ولما علموهم التساؤل عن حقيقة كل شيء قبل ان يؤمنوا به او يصدقوه . ولما زلزل في قلوب الشباب الاثيني ذلك الايمان بالالهة ، كانوا حريا بان يفعلوا ما يشاء أهواؤهم وانفسهم وان لا يخافوا او يتلجلجوا عند الاقدام على عمل او التفوه بقول ، وكل ذلك معناه ان تنشأ فيهم الفردية المستنة التي تضعف كيان الامة وتجعل المدينة Polis لقمة سائغة لاعدائها من اهل سبرطة المحيطين . فيسال السؤال حينئذ : ما هو البر ؟ وما الصلاح الحقيقي ؟ واى ضابطة خلقية يجب ان يتفق عليها الامة الاثينية حتى يلتئم كيانها وتتماسك بنيانها ؟ .

والمسالة الاخرى كان منبعها النظام الديمقراطي القائم في اثينا عندئذ . وكان هذا النظام قد اصبح عند اهل البصيرة والفكر اضحوكة لسوء بالغة وتركيبه . وأي شيء اعجب في الدنيا من الديمقراطية التي تسيطر عليها الدهماء من الناس. وتكون السلطان فيها للعواطف لا للعقول . وتكون الحكومة فيها بيد جماعة من المناظرين المتاجرين . يغلب على اعمالها واحكامها طابع العجلة والتسرع. وتعجل فيها حتى بمهام الامور بانسحاب القواد وتعطيلهم وتسريب رتبتهم . وتكون المحكمة العليا مؤلفة من الزراع والتجار السذج ممن يتحزبون لعضوية المحكمة بالنوبة حسب الترتيب الهجائي لاسمائهم . فعن السؤال : كيف تصان الدولة من الانحلال ؟ وأي نظام للحكومة هو خير النظم واصلحها لامة اثينا ؟ .

وكان جواب سقراط لهاتين المسالتين هو الذي جر عليه الموت والبسه حلة الخلود .

لو انه حدد في الناس الايمان بآلهة اليونان المتعددة ورجع بالمتدين المحزون المجتمعة حوله الى تلك المعابد والاضرحة القديمة . ليقدموا بين يدي آلهة آبائهم القرابين . لاحترمه شيوخ اثينا وعظمه المجتمع . ولكنه لم يشأ سقراط ان يعود الناس الى ما يعتقد انه خطيئة رجعية وعدول عن القصد .

كان لسقراط عقائده الخاصة . فكان يؤمن بإله واحد . وكان يؤمن — على اسلوبه الخاص — بأن الموت لن يفنيه ، بل ستكون لروحه خلود في الحياة الاخرى . ولكنه كان يرى مع ذلك ان هذه العقائد غير الدقيقة لا تصلح لان تكون قوام ضابطة خلقية مستقلة تبقى على الدهر ولا تتغير . فكان من رأيه انه

---

1) اقتبسنا اعظم ما يتلو من البيان من كتاب « قصة الفلسفة » للكاتب الكبير « ول دوران » .

المحامون الانجليز

بقلم الاستاذ محمد بن تاويت

المحامون والمحاميات فى انجلترا نوعـان . نوع يسمى بالوكلاء Solicitors ونوع يسمى بالمحامين – لدى المحاكم العليـا – Barristers فالوكـلاء يفرض فيهم بادىء ذى بدء ان يكونوا من الاشخـاص المجربين ، العالميـن بشؤون الدنيا . امـا المحامـون المذكورون . فالمفروض فيهـم قبل كـل شيء انهـم علماء ضليعـون فى القانون .

اعمـال الوكـلاء SOLICITORS

حينما يقع انجليزى فى مشكلة قانونية من اى نوع. او يحتاج الى من يرشده فى قضيه قانونيه . من نحـو تفسير لمضمون وصيه . او تحويل عقد ايجار ، فانـه يلجا الى وكيل يستفتيه فى ذلـك .

وربما لا يكون محتاجا الى هـذه الاستشـارة ، فهو يستطيع ان يتصرف وحده فى القضيه ان اراد . ولكنه اعتاد ان يرى من الحكمه استشاره الوكيل فى مثل هذه القضايـا .

ويوجد نحو من 500 17 وكيل فى المملكه المتحده. بمـا فيها اسكتلنـدا .

ولكى يصير الشخص وكيلا ، لابد لـه مـن ان يجتاز امتحانـات : التحضيـرى Preliminary والموسط Intermediate والنهائى . Final ولكنه قبل ان يتقدم الى الامتحانين . المتوسط والنهائي ، عليـه ان يشتغل كاتبا فى مكتب وكيل مـن الوكـلاء . فيكـون بذلك كاتبا تلميذا يدعى الكاتب المشارط articled clerk ووجه كونه مشارطا انه مرتبط بشروط التعلـم التـي bound by articles of apprentice ship عقدت بينه وبين معلمه الوكيل المعين : الا شركة من الشركات وعاده ان هذا التلميذ يشتغل لمـدة خمس سنوات ، كاتبا مشارطا . قبـل ان ترشحه الجمعيـة القانونية the Law Society ليزاول عمله كوكيل .

والامتحان التحضيري الذي لا بد ان يجتـازه قبل ان يصبح كاتبا مشارطا ، يحتوي على ماياتي : امتحان عام فى اللغة الانجليزية والانشـاء ، واللغـة اللاتينيه . وتاريخ بريطانيـا العظمـى ، ثم ثلاثـة موضوعات من المواد الآتية : مبادىء العلوم الرياضية ، الترجمة من لغه اجنبيه حديثه الى الانجليزية ، ومنها الى لغه اجنبيه حديثه ، والجغرافيه . والرياضة العليا، والطبيعه او الكيمياء .

والتلميـذ الذي ادى بعض الامتحانات العامـة بالمدارس . او بالجامعات يعفى من الامتحان التحضري

اما الامتحان . المتوسط والنهائـي ، فيكونان فى الموضوعات الخاصه بالقانون وحده ، ويؤديها الكاتب المشارط خلال مده تمرينـه .

وبعد ما يؤدي الكاتب المذكور عملـه ويجتـاز امتحاناته المذكوره ، فانه يصبح مؤهلا لمزاولة مهنـه كوكيل .

وهذا الوكيل يستطيع ان يمارس كل قضايـا القانون البسيطه . ويترافع كمحام Advcate لدى الجلسات الصغرى ، او فى المحكمة الاقليمية ولكنه لا يستطيع ان يترافع كمحام لـدى المحاكـم الفصليه ، والمحاكم العليـا (بما فيها المحاكم الدورية) ، ومحكمة الاستئناف او مجلس اللوردات the House of Lords

فاذا تناول الوكيل بعض القضايا الصعبة . فانـه يستشير فيها المحامي Barrister ، وهـذا الاخيـر يتولى المرافعه لدى المحاكم التي لا تقبل مرافعه الوكلاء بها ، ولا يمكن اى شخص ان يتصل بالمحامي الا عـن طريق الوكيـل ، اللهم الا فى الاحوال التي لا تتصـل بالدعـاوي .

والوكلاء الذين يسيئون بتصرفاتهم الى القانـون المصادق عليه من قبل جماعتهم ، تمحى اسمهم مـن

ان اجد فيك السخط والغضب الذي عهدته فيمن سواك ممن كانوا يثورون علي غاضبين ويدعون علي بالويل والثبور كلما تقدمت اليهم — بحكم وظيفتي — بكأس السم . واني واثق انك لن تغضب علي . لان اللوم في هذا الامر على غيري لا علي ، فودع نفسك وداعا يا سقراط واحمل الصبر على الامر الذي لا مهرب منه ، ولعلك قد فهمت ما جئت الآن لآمرك به ، ثم اجهش باكيا وانصرف .

وارسل النظر من ورائه سقراط وقال : انني ابادلك اللطف والمودة يا اخي ! وسامتثل امرك . ثم التفت الينا قائلا : ما اطيب هذا الرجل قلبا وما ادمثه خلقا ، انه لم يزل يختلف الي في السجن منذ دخلته ، وكان يتكلمني في الاحايين ويعاملني باحسن ما في وسعه من المعامله . وانظر اليه الآن كيف يحزن لاجلي . انه يحسن بنا — اي كريتو — ان نفعل كما يامر . فليؤت الي بالكأس ان كان السم قد اعد . وان يكن . فقل لخادم السجن ان يعد لي شيئا منه .

قال كريتو : مهلا يا سقراط ! فان الشمس لا تزال فوق ذرى الاكام بعد . واني لاعلم ان كثيرا من المعاقبين في هذا السجن قد اجلوا تناول المشروب الى ما بعد مغيب الشمس ، وانهم بعد ان امروا بالشراب قد اكلوا وشربوا ومتعوا انفسهم بصحبة العشيرة والاصدقاء ما شاؤوا . وقد بقي دون المغيب وقت غير قليل .

قال سقراط : نعم يا كريتو ! ان الذين تذكرهم احقاء بان يفعلوا مثل ذلك لانهم يظنون انهم انما ينتفعون بالتاخير . ولكني حقيق بان لا اتبعهم ولا احذو حذوهم . لاني اعتقد اني ان اجلت تناول السم فلن يغني عني ذلك شيئا . وساكون اضحوكة عند نفسي اذا حاولت ان اطيل او اوفر حياة قد شودرت فعلا ، فتفضل يا اخي بامتثال ما اقول ولا تردني .

فاشار كريتو الى الخادم الذي كان واقفا من قريب . فخرج وبعد غياب قصير عاد مع السجان حاملا بيده كأس السم . قال سقراط : ارجوك يا صديقي الابر ان ترشدني كيف اقدم في الامر . لانك مجرب في هذه الامور . فقال الرجل : ليس عليك . يا سيدي . اذا شربت من هذه الكأس الا ان تمشي على قدميك حتى تثاقلا . فاذا احسست بالثقل في قدميك فاضطجع على السرير ليعمل السم عمله . قال هذا وناول الكأس سقراط ، وتناولها سقراط بكل سهولة وارتياح . بدون ان تعتريه الخوف او يمتقع لونه او تتغير ملامحه ، ونظر الى الرجل بملء عينيه كعادته ثم قال : ماذا ترى في ان اقدم الى الهي من هذا الشراب ، هل انا في حل من ذلك ؟ فقال الرجل : انا نعد من هذا الشراب — يا سقراط — المقدار الذي نحسبه كافيا لشربه واحده فقط ، قال سقراط : قد فهمت . ولكن يجوز لي . بل يجب علي ان اسأل الالهة ان يباركوا في سفري من هذه الدنيا الى الاخرى ، آمين .

ثم رفع سقراط كأسه الى شفتيه وشرب السم بكل رضى وبدون تلعثم . الى هذا الوقت كان كلنا قد استطاع ان يملك حزنه . ولكن الآن وقد رأيناه يشرب من الكأس ، حتى رشف آخر قطره منها . لم نتمالك انفسنا ، ففاضت دموعنا على الرغم منا ، فغطيت على وجهي ابكي وبكيت . لا لمصاب سقراط . بل لمصابي انا في هذا الصديق العظيم . ولم اكن اول من خانه الصبر . فان كريتو لما رأى انه لا يستطيع ان يمنع سوابق عبراته قام من هناك . وقمت انا من ورائه واذا صديقنا ابولودورس الذي كانت عيناه تدمعان في اثناء ذلك كله رفع صوته بالبكاء ، ولم يبق الا سقراط على هدوء النفس وسكونها ، فقال لنا زاجرا : ما هذا الصياح العجيب ؟ انما ارسلت النسوة عني لكيلا يفعلن مثل هذا الفعل الذي لا يليق . لانهم قد قالوا : ان المرء ينبغي ان يموت في هدوء وسكون . دعوا انفسكم من هذا يا احبتي والزموا الصمت والصبر ، ولما سمعنا عنه هذا خجلنا في انفسنا وقمعنا دموعنا . ومشى سقراط في السجن . حتى اخذت قدماه — كما قال — تثاقلان . فاضطجع على السرير مستلقيا كما قيل له . والرجل الذي ناوله السم اخذ ينظر الى رجليه وساقيه . وبعد هنيهة ضغط على رجله وسأل : هل تحس ؟ قال : لا . ثم فعل مثل ذلك بما فوق الرجل من الساق الى الفخذ . واشار الينا ان اسفله قد برد وتصلب . واحس ذلك سقراط نفسه وقال : اذا بلغ السم القلب فذلك هو النهايه .

وكان جسمه قد اخذ يبرد عند السره اذا هو حسر عن وجهه — وكان قد غطاه بنفسه من قبل — وقال : اي كريتو ! اني مدين لاسقليبيس في ديك اخذته منه . فهل لك ان تؤدي هذا الدين عني ولا تنسى . قال كريتو : لاسددن عنك دينك يا صديقي . وهل لك حاجة اخرى ؟ ولكنه لم يات منه الجواب على هذا السؤال الاخير . وبعد دقيقتين او ثلاث كانت حركة تحت الثوب . فاماط الخادم عنه اللثام ، فاذا عينا سقراط قد جمدت ، فقام كريتو واغمض جفنيه واطبق فاه .

وتلك — يا ابنيقراط — كانت نهاية صديقنا الذي اقول فيه بصدق : انه كان خير من عرفت من اهل زمانه واكيسهم واعدلهم . »

وتقع بين المحامين منافسة عظمى على الانخراط في هيئه جيدة من « الغرف » . واعظم توفيق يناله المحامي بجده في الحصول على العمل — ولا ينبغي له ان يعلن عن نفسه — يتوقف على مهاره الكاتب الذي يستخدمه في غرفته .

ويجب ان الكاتب ينال أجره — جزئيا — بحسب حصه لها نسبة معينة من دخل المحامي في الغرفه . فان من مصلحتهما معا ان يجتهدا في القيام باعمال مرضيه .

ويوجد في انكلترا وولز اكثر من 5 000 محام Barrister ونحو 2 000 منهم يزاولون حرفتهم في المحاماه .

واذا كان المحامي قد مارس مهنته لعدد سنوات ، واستطاع في خلالها ان يقوم باعمال جليله وكثيره . فان له ان يطلب من السيد المستشار the Lord Chancellor الاذن له في « اتخاذ الحرير » to take silk ومعنى هذا انه قد ارتقى الى جماعه ممتازه senior group من المحامين تدعى مجلس الملك Q.C.s (Queen's Council) او الملكه (Queen's Council) Q.C.s فهؤلاء هم الذين يستطيعون ان يرتدوا الاردية الحريريه . بدل الارديه والاشرطه المعتاده . التي يتخذها المحامون في المحاكم العليا . والمحامي الذي يسمى الى « مجلس الملك » او الملكه . لا يحرر اي تقرير حول القضايا . فذلك ما يجب ان يكون قد انجز قبل ورود القضيه على المحكمه . وانما يعطي رايه في القضيه ويترافع في المحكمه . وطبعا ان الاجور التي يتقاضاها هذا المحامي تكون أعلى من أجور المحامي الذي دونه junior

أعضاء الحكومه القانونيون

Legal Members of the Government

هناك ثلاثه من رجال القانون يمثلون حلقه اتصال بين الحكومه والقانون . وهم :

السيد المستشار الذي يشرف على مجلس اللوردات . ويكون رئيسا لكل المهن القانونيه . ويعين بواسطة رئيس الوزراء لوقته . وعاده يكون أعظم محام مبرز . يساند الجانب الحاكم . ويعمل كمستشار قانوني للحكومه ، وكقاض رئيس للاقليم . ولكنه حسب لا يجلس أبدا وحده كقاض بمجلس اللوردات . فان رايه قد يكون راي الاغلبية . حقيقة ان وظيفه سياسي . ولكن لا يعني هذا ان الحكومة لها الكلمة الاخيره في الاحكام القانونيه ، بل انه في الواقع لا يمثل جانبا كبيرا في السياسة . لانه اولا وقبل كل شيء محام . ورعيا لممارسته للقانون ووظيفته . فانه في موقعه لا يحيد عن العداله مطلقا ، لدرجة انه قد يقضي بان الحكومه ، التي هو عضو فيها . كانت جائره في نزاع بينها وبين مواطن .

والموظفان الآخران ليسا قاضيين ، بل محاميين ويختاران من احسن المحامين . ليساندا ايضا الحكومة الحاليه . وهما عضوان في البرلمان . ويقاضيان الحكومة واحد هذين العضوين هو النائب العام the Attorney General

الذي يترافع في المحكمة كمحام عن الحكومة . في كل من القضايا الجنائيه والنزاعات المدنية . وضرورة ان يكون ذلك في المهم منها . كما ان الحكومة تستشيره في اصدار الاحكام . والنائب العام هذا هو رئيس هيئة « البار » السالفه الذكر . وبينما تكون حكومه صاحبة السلطة، فانه لا سلطه له يملي بموجبها اوامره على هيئته (جماعه المحامين) .

وثاني العضوين هو الوكيل العام the Solicitor General الذي ينوب عن النائب العام . وليس وكيلا كما يفهم من لقبه . وانما هو محام Barrister وسلطته وواجباته هي نفس التي للنائب العام . ولكنه دونه مركزا . junior ويخرج عنه حينما يكون مريضا او متعبا

واغلب الطقوس والتقاليد يتسم بها المحامون اكثر مما يتسم بها الوكلاء . لان قصور المحكمه المذكوره تحافظ على كثير من العادات القديمه . فالانخراط في سلك المحامين Barristers يتجلى في حفل رائع . يقام بردهه قصر التلميذ the student's Inn ويرتدي المحامون . لدى مجلس اللوردات . والمحكمه العليا . ومحاكم الاستئناف . والمحكمه الاقليميه ، والمحكمه الفصليه . ارديه سوداء . واضعين على رؤوسهم الجمم المستعاره . المعروفه باسم شعر الخيل Horse hair وهو لباس القرن الثامن عشر ، كان قد اتخذ لاول مره شعار الحداد على الملكه آن Anne عقب وفاتها سنه 1714 .

ويستطيع اي محام barrister ان يترافع في محاكم لندن . او ايه محكمه فصليه في الاقاليم ، ولكن لكي يترافع في المحاكم الفصليه او امام القاضي لدى المحاكم الدوريه . فان عليه ان يصبح عضوا في هيئة محامي الدائره Circuit بالاقاليم التي يتردد عليها قاضي المحكمه الدوريه .

والمحامون الذين يسيئون بتصرفاتهم الى مهنتهم يمحى اسمهم من سجل المحامين . وذلك بواسطة هيئة « الاريكه » التي تشرف على المؤسسه المنتمين اليها .

(يتبع)

سجل الوكلاء (struck off the rolls of the solicitors) ولا يمكن ان يعودوا لمزاولة مهنتهم ، وهذا القانون قد وضع بواسطة مجلس الجمعية القانونية the Council of the Law Society الذي انتخبه جميع افراد الوكلاء .

اعمال المحامين Barristers

لكي يصبح الشخص محاميا Barrister فان عليه ان يلتحق باحدى المؤسسات الاربع التي تدعى قصور المحكمة the Inns of Court وهذه الاربع هي قصر لينكولن (1) Lincoln's Inn وقصر كراي (2) Gray's Inn وقصر المعبد الداخلي Inner Temple وقصر المعبد الموسط Middle Temple

وهذه المجموعة قد اسست في لندن ومضى على تأسيسها ست مائة سنة ، وكانت الى عهد مائة سنة خلت ، كليات للقانون ، ولكن حياة الكليات لهذه القصور تعرضت لتدهور منذ ذلك التاريخ .

ولهذه القصور جميعا عمارات من البنايات المنفصل بعضها عن بعض ، واغلبها جميل جدا وقديم ، كما ان لها حدائقها ومكتباتها وكنائسها ، وكانت حتى سنة 1939 من بين الاشياء القيمة المفضلة التي يستطيع الزائر للندن ان يشاهدها ولكنها فيما بعد قد اصيبت الان منها باضرار جسيمة ، وخرب جزء منها بفعل غارات الاعداء الجوية سنة 1940 .

ويرجع قدم بعض البنايات التابعة لتلك القصور، الى اربع مائة سنة مضت ، كان المحامون Barristers خلالها عاملين فيها ، بدون انقطاع ، من جيل الى جيل، كما قد سجل ذلك في بناية اقيمت سنة 1500 . وسيما مضى كان على التلميذ المسجل باحد القصور المذكورة ، لاجل استمراره على اتصال بقصره ، ان يتناول غداءه عدة مرات في السنة بردهة القصر الذي ينتسب اليه ، حتى يكون بذلك معروفا لباقي الاعضاء به ، وللافراد المهيمنين على المؤسسة الذين يدعون بالاركة the Bench ويحضر المحاضرات التي تلقى بقاعات المؤسسة المذكورة .

والشخص الذي يريد ان يلتحق باحدى تلك المؤسسات ، عليه ان يبرهن — من ذي قبل « للاركة » انه على خلق حسن ، كما ان عليه ان يثبت اما اجتيازه لامتحان الدخول الى الجامعة ، او بعض الامتحانات الاخرى بالمعاهد التي هي في نفس الرتبة .

ولا يستطيع التلميذ باحدى المؤسسات ان يشرع في مزاولة عمله ، ما لم يكن قد نال الاذن بالمحاماة لدى المحاكم ، — ويعبر عن هذا بان يكون قد دعي الى البار called to the Bar (اي جماعة المحامين) — من جانب هيئة الاركة المشرفة على مؤسسته . وحينذاك يصبح محاميا Barrister وعادة يستغرق هذا الاجراء ثلاث سنوات على الاقل ، ابتداء من يوم التحاقه بالمؤسسة ، ويجتاز التلميذ خلال هذه السنوات امتحان البار the Bar examination وهذا الامتحان ينقسم الى قسمين ، يحتوي الاول منهما على خمس شعب من القانون ، ويمتحن التلميذ في كل منها على حدة ، وهي

1 — القانون الروماني
2 — القانون الدستوري ، وتاريخ القانون
3 — قانون العقود ، وسبه الجنح
4 — قانون الملكية، او القانون الهندي والفقه الاسلامي او القانون الروماني — الهولندي Roman Dutch Law

ويحتوي القسم الثاني والاخير على خمسة موضوعات اخرى ، من المواد التي امتحن فيها اولا ، وهذه الموضوعات هي :

1 — المرافعات الجنائية
2 — القانون الاعتيادي ، مع شرح خاص منه .
3 — المبادئ العامة للمقاصة [illegible] وموضوعات خاصة في العدالة
4 — قانون الشركات ، وعمل الوثائق في نقل الملكية Practical Conveyancing مع بعض المستندات [illegible]
او الطلاق ، من وجهة القانون والمرافعة ، او شرح مخصوص خاص من القانون الهندي والفقه الاسلامي ، او القانون الروماني — الهولندي
5 — البينة والمرافعة المدنية ، والصكوك العامة في القانون الاعتيادي ، والعدالة ، وتعارض القوانين Conflict of Laws

وقبل ان يشرع في مزاولة عمله كمحام Barrister فان عليه ان يشتغل ستة اشهر على الاقل ، تلميذا لمحام اخر والمحامون — بخلاف الوكلاء — لا يعملون بشركة قانونية، بل يشترك جماعة منهم في هيئة واحدة من الحجرات التي تدعى بالغرف Chambers في قصور المحكمة المذكورة .

---

(1) سمي بذلك لانه كان مسكنا لايرلات لنكولن the Earls of Lincoln
(2) كان منزلا للوردات كراي the Lords of Gray

الاخطار الحرجة التي كانت تلم بـه حيث انتكس انتكاسا خطيرا ، ودب فيه داء الامم : داء الخمول والانزواء والانحلال ، وعلى اثر ذلك اغتنم المستعمرون هذا التدهور بصفة خاصة وتم لبعضهم الاستيلاء على بعض مدن المغرب .

وليس من الغريب اذا نحن نظرنا بصفة عامة الى الوضع الداخلي والخارجي للجناح الايسر من العالم العربي ان نجده فى ذلك الوقت تعرض لعدة نكبات استعمارية منها سقوط دولة بني‌زيان فى الجزائر ودولة بني حفص فى تونس ، ودولة بنى الاحمر فى الاندلس ، واحتلال البرتغاليين والاسبانيين لمعظم شواطىء المغرب ومدنـه وقراه .

ولعل ابرز الاسباب الـذي ضخم الطمع الاستعماري وانفذ فيه الايجابيه العدائية هو السلبية التي كان يعيشها المغرب يومئذ حتى غدت احدى مظاهره الكبرى بيد رؤساء قصيرى النظر اساؤوا الى البلاد ، ورعيه اختشى ان افول دبت فيها روح الخمول حتى ان كيان الدولة كاد ينحطم على سوء التنظيم والاهمال الجماعي والاداري ، وازاء هذه الاخطار التي كانت تحوم بالمغرب لنطويه فى عدم من شخصيته ، ولتكسر فيه قوه من شأنها نغيير بعض من الوضع الراهن انبثقت جماعة من المصلحين ذوي الروح الوطنية والحنكة السياسية ، انبقت كالشهاب الثاقب يبيد الظلام فى طريقه الى تحقيق الهدف ، وكينبوع من الماء العذب تدفق خيرا وبركة على البلاد ، هذه الجماعة الصالحة بعثت فى الامة روحا جديده وعزما قويا وآمالا بعيدة مكنتها من نهضة عظيمة ، وقوة كبيرة .. ونستطيع ان نقول بان السلطان محمد الشيخ الوطاسي تمكن من تجديد الوضع ، وقلب شتى النظم ، وذلك لما توفر له من سداد فى الراي وحنكة فى القيادة حيث انتصر على البرتغاليين انتصارات كبيرة ، وطردهم من حصن فوني ، واسفي ، وازمور شر طردة ، كما انتصر على الاتراك فى وقائع كثيرة ليس مهما هنا ان نفرد لها الحديث لذا اكتفينا بالاشارة اليها مؤمنين بان هذه الاشارة وحدها تعطينا صورة حية وواضحة عن الاحتكاك المباشر وغير المباشر الذي حصل بين المغرب والدول الكبرى نتيجة لتلك الوقائع مما ادى الى تكثير العلائق وتمتينها .

واننا لنجد هذه العلائق قد اكتست شكلا دوليا او يكاد يوم صرع المغرب البرتغال فى موقعة وادي المخازن او الملوك الثلاثة كما يسميها الغربيون ، اذ انتشر صيتها فى الداخل والخارج مثبتا بكثير من الفخر عظمة المغرب ، وصموده ، فسعت الدول صغيرها وكبيرها تطلب وده ، وترغب فى صداقته وتمتين الروابط معه .

فهذا سلطان تركيا مراد العثماني يجدد اعترافه بالمنصور السعدي ،و يرسل له هدية عظيمة لم ير احد مثلها ، وهذه دوله اسبانيا تعترف بعظمة المغرب ، وتقدم له هدية كبيرة من الدر الفاخر، والزمرد البديع ، وهذه اليزابيث ملكة انكلترا تراسل السلطان البطل احمد المنصور ، وتدوم المراسلة بينهما عدة سنوات ، تناولت اثناءها عددا من الموضوعات الهامة ، كما ابرمت معاهدات لها وزنها الدولي ، وليس غريبا ابدا ان نجد البرتغال النيء‌صر عناها بالامس تطلب ودنا اليوم كغيرنا من دول اوربا وتسعى لتحسين العلاقات معنا ، فتبعث وفدا لهذه المهمة يحمل هدية فاخرة على العربات .

وباختصار نجرؤ على القول بان هذه الفترة من تاريخنا تخللتهامظا هر شتى ابرزها اليقظة النفسية ، والمهارة الديبلوماسية التي اظهرها ملوك المغرب العظام فى الوطن من الورطة التي كان مندفعا اليها وحرصهم على حفظ الاستقلال ، وحمايته من الضياع فلم يتوانوا فى تطوير علاقات مسالمة مع اكبر عدد ممكن من الدول ، وخصوصا الدول الاسلامية التي كانوا يحترمونها ويتعاونون معها تعاون الاخ مع اخيه ، والجار مع جاره ، اننا واجدون هذه الظاهرة الطيبة متمثلة فى السلطانين عبد الملك واخيه المنصور مع السلطان العثماني مراد .

وقصارى القول : ان الديبلوماسية المغربية طيلة هذا القرن انصرفت بشكل قوي الى صد عادية التوسع التركي وكبح جماحه والحيلولة دون تسرب الدول الاستعمارية اليـه .

وجاء القرن السابع عشر وبعد مضي ثلاث سنوات منه يعني فى الوقت الذي توفى فيه السلطان احمد المنصور الذهبي ، انتهت عظمة الدولة السعدية وفقدت ما كان لها من العظمة والتبجيل ، ولعل اهم عامل فى ذلك هو التنازع الذي قام به ابناء السلطان السابق ، فقامت بينهم حروب ومعارك تلتها حوادث جسام مما ادى الى ضعف الدولة وضياع ما كانت تتمتع به من نفوذ وصولة .

صفحة من تاريخ

العلاقات الدبلوماسية المغربية في عهد الدولة العلوية الشريفة

للاستاذ الملازم الاول احمد احمد البسيري

يقع المغرب فى الشمال الافريقي بين بحرين عظيمين هما : البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي، وبهذا الموقع الممتاز بكون المغرب ذا اهمية كبرى من الوجهة السياسية والاستراتيجية ، ذلك لانه جاء نقطة اتصال بين العالم الافريقي والاوروبي مما جعله يكتسب مكانة فائقة عند الامم قديما وحديثا ، وقد ادت به هذه المكانة الى ان تكون العلاقة معه مطلبا من مطالب الدول كبيرها وصغيرها .

وليست امة فى الدنيا امتلأ تاريخها بصورة عجيبة من البطولة والتضحية الكاملة منذ القديم مثل المغرب . هذا البلد الوحيد الذي شهد له المستشرق الايطالي الدكتور (انسباطو) بانه ذو الحضارة الوحيدة التي تقبل بصدر رحب كل العقول ، فكانت كلمته محترمة وان جميع الدول كانت تطلب وده وصداقته ، والمغرب بدوره اعترف لنفسه بهذه الخاصية الجليلة حيث كان دائما الحارس الاوفى على التضامن الدولي والعلاقات الطيبة بين جميع دول العالم وذلك لحفظ السلام وخدمة الانسانية والمعاشة الطيبة .

وعلى هذا النحو وبهذا الوصف الذي يصور لنا الموقع الخاص فى الجغرافيا العالمية للمغرب نستطيع ان نحاول درس العلاقات الديبلوماسية المغربية ، ونستطيع كذلك ان نتبين الى اي حد كان تأثير هذه العلاقات فى كل طور من اطوار حياته ، والحق اذا نحن درسنا اخبارها ببصيرة نافذة ، وملاحظة دقيقة ، وحذر طبيعي امام ما كتب فى ذلك فاننا ندرك انها كانت مصدرا عظيما من مصادر الرقي والحضارة ذلك لما توفر للمغاربة من الذكاء والصبر والمثابرة .

وقبل ان نتكلم عن مهارة الديبلوماسية المغربية فى عهد الدولة العلوية الشريفة يفضى بنا الامر الى القاء نظرة خاطفة عن تطورها منذ ان رغبت الدول فى تنظيمها، وتوفير ضمانات استمرارها والى التفكير فى عقد اتفاقات ومعاهدات ومخاطبات بين الملوك والرؤساء .

والمعروف ان الديبلوماسية قوة دافعة نحو التضامن والوفاق ، والتعاون ، ونشدان السلام ، ولا احسب ان الديبلوماسية المغربية جديدة من نوعها بل هي قديمة يرجع اصلها الى القرن الحادي عشر للميلاد عند ما بدات العلائق بين شمال افريقيا واوربا فى شكل مبادلات تجارية وبعثات سياسية الامر الذي دفع المؤرخين الى تسجيلها بكبير اعتزاز ، فظهرت مؤلفات عديدة تتناول هذه اللفتة السياسية الهامة باعجاب وتقدير ، ونذكر منهم على سبيل المثال : طرونسي ، فلامينيو ، برونتشي ، ثم نذكر بعدهم : اماري ، دوماس لا تري . هذا عدا المؤرخين الذين اهتموا بالشؤون الديبلوماسية ، وجمع وثائق هامة يوم كان المغرب يربط علاقاته الديبلوماسية مع الامم اللاتينية مثل جنوة ، وفلورنسا وبيزة الخ ..

ونؤكد ان العلاقات الديبلوماسية المغربية لم تبتدىء بصورة واضحة الظلال الا فى القرن السادس عشر للميلاد عندما تكالبت عليه بعض الدول لاحتلاله كدولة تركيا من الشرق والبرتغال واسبانيا من الغرب .

ومما يجدر بالذكر هنا ان المغرب فى الوقت الذي تكالبت عليه هذه الدول الثلاثة لاحتلاله كان محكوما من سلالة مستضعفة هي السلالة الوطاسية التي لم تستطع ان تقوم باي عمل من شأنه انقاذ الوطن من

هذا وان في سنة 1666 نرى الملك الفرنسي « لويز » يكاتب السلطان مولاي رشيد في شؤون شتى منها ما يتعلق بالتمثيل الدبلوماسي وتفادي الاسرى بينهما .

قضى مولاي رشيد . وجاء مولاي اسماعيل . هذا السلطان الذي انجز من الاعمال ما لم يسمح به الظروف الا لقليل من الملوك . بتنظيمه للجيش واقراره للامن . واهتمامه الكبير بتوثيق العلائق الدبلوماسية بين المغرب وجميع الدول الاجنبية وقد قضى في حكمه ما ينيف على خمسين سنة استطاع خلالها لا ان ينقذ البلاد فحسب بل ان يرجع بها الى سالف ازدهارها وقوتها كما كانت في عهد يوسف بن تاشفين ويعقوب المنصور . واحمد المنصور الذهبي وغيرهم .

والجدير بالذكر ان من اهم اعمال مولاي اسماعيل هو اهتمامه بتطهير الشواطىء المغربية من الاحتلال الاجنبي . وصيانة الامن الداخلي ففي سنة 1692 فتح المعمورة التي تسمى المهدية . وفي سنة 1655 استولى على طنجة . ثم فتح العرائش واصيلا وحاصر مدينة سبتة . يقول مؤرخ فرنسا الشهير (سان الوين) سفير لويز الرابع عشر لدى مولاي اسماعيل « ان مولاي اسماعيل قام بأمر عظيم يمكن ان يسميه باعاظم ملوك تاريخ فرنسا » هذا ويقول المؤرخون انه بعد افتتاح هذه المدن والاستيلاء عليها تفرغ رحمه الله الى ابرام معاهدات واتفاقات مع كثير من الدول الاسلامية والاوربية .

وكل من تتبع ودرس سيرة مولاي اسماعيل في هذه الفتوحات يعلم انه سلك سبيلا واحدا في ذلك . وهي طريقة القوة . الطريقة الوحيدة لاظهار عظمة البلاد . واحياء عزها وكرامتها ما دام في هذه الدنيا اغتصاب ومغتصبون لا يعتمدون الا على قوتهم . ولقد بلغت هذه القوة الى حد كبير مما ادى الى اختلاف الرأي عند بعض المؤرخين الذين عاصروا مولاي اسماعيل. يقول المؤرخ (دوكاستري) : فممن وصف مولاي اسماعيل بالافراط المؤرخ (بوسنو) و (الاب فرنسيسكو) وممن رفض ذلك واعتبره من باب الخرافات المسيو (الامارتنبلان) واقربهم الى الحقيقة المسيو (بودجيت مكين) حيث قال : « ان قساوة مولاي اسماعيل هي نتيجة احوال زمانه الذي يعيش فيه ولئن فات الملوك قساوة فلقد فاقهم قوة » .

بهذا التدبير الجميل الذي اتخذه مولاي اسماعيل في حكمه ثبت الامن في المغرب زمنا طويلا . وامكنته بقليل من المشقة الى ربط علاقاته الدبلوماسية مع جميع الدول . ومن ذلك دولة تركيا . ففي سنة 1689 تبودلت بين المولى اسماعيل وبين السلطان مصطفى العثماني مفاوضات حول الحدود المغربية وتم الخلاف الذي كان بينهما . كما انه من اكبر البراهين واوضح الادلة على ما كان بينه وبين ملوك اوربا من اتصالات ومراسلات هو ما جمعه وكتبه المؤرخ دوكاستري من الرسائل التي تبودلت مع لويس الرابع عشر ملك فرنسا . وجاميس ملك الانجليز ودون كارلوس ملك اسبانيا وغيرهم من الملوك العظام . الا ان علاقته مع لويس الرابع عشر كانت اقوى وامتن . فاستحكمت الى درجة انه خطب ابنته الاميرة (كونتي) وكادت تتم هذه الخطوبة لولا خوف الاميرة من الحريم السلطاني الذي يضم مئات غيرها من حوريات الانس .

ويعد السيد الحاج محمد تميم التطواني اول سفير من المولى اسماعيل الى ملك فرنسا الذي فاوض كلا من الوزيرين الفرنسيين (كولبير دوكرواسي) و (سنيلي) وعقد معهما معاهدة تعرف بمعاهدة (29 يناير سنة 1682 ولما قضى السفير نحو ثلاثة اشهر في فرنسا وعاد الى المغرب وابلغ السلطان نتيجة سفارته قام مولاي اسماعيل بمخاطبة لويس بما نصه « أعلم انه بلغنا اصحابنا صحبة كتابك وذكروا لنا خيرك ومياسرتك لهم وشكروا لنا فعلك معهم واستحسنا برورك بهم وفرحك بجمعهم فلذلك ينبغي لك ان تكون . . »

تتبع

ولقد اغتنم الاعداء فرصة هذه الفتنة الاهليـــة فاحتلوا بعض شواطىء المغرب داخل البلاد على حساب ضعف المغاربة وتخاذلهم . الا ان العناية الالهية هيأت للشعب المغربي من ينقذه ايضا من رجال الدين . ورجال السياسة معا ، وتلك سنة الله في هذه البلاد لا تختلف. فتكونت امارات صغيرة عانيها الدفاع عن المغـــرب وحماية شواطئه . ووقفت في وجه العدو موقفا شديدا حتى اصبحت هذه الدول التي كان لها حب السيطرة وحب التوسع تتوقف عن سيرها . فدولة البرتغـــال اصبحت تحاول الاحتفاظ على ما ملكته من قبل ودولة تركيا هي الاخرى اصبحت لا تفكر الا في القضاء علـى الثورات في ممتلكاتهـــا .

ولما استقر الامن في البلاد وتمركز نفوذ الامراء . واصبح كل واحد منهم يخطو خطوته وينظم امارتـــه : سرعان ما دب الخلاف بين هؤلاء . وتفكك امر الدولة مرة اخرى واصبحت البلاد اشبه بحال ملوك الطوائف الذي قال فيه ابن الخطيب :

حتى اذا سلـك الخلافة انتـــر
وذهب العيـــن جميعـا والاثــــر

قــام بكـل بقعـــــة مليـــــك
وصاح فـوق كـل غصـن ديـك

ولكن ذلك سيتم في شرح مطالعـه . وستتحقق نيته بفوز الاستقلال . وتظهر الدولة العلوية الشريفة بحنكتها وبقادتها . فتخضع البلاد كلها لسيطرتهـا . وتستولي على المدن الساحلية التي كانت في قبضـة الانجليز والاسبان والبرتغال الا مدينة سبتة ومليلية اللتين ما زالتا لحد الآن في قبضة الاسبان .

هذه بعض المشاكل التي كان يعانيها المغـرب في اوائل هذا القرن . وهي قصة طويلة اذا اردنا نحـن ان نستقصي آثارها . والمهم الان هنا هو لفت النظـر الى ان هذه الحوادث جميعها من احتـلال الشواطىء المغربية ، وتكوين امارات كانت مستقلة وغير مستقلة فان كل ذلك امكن يكثر في انشاء علاقات مع جميــع الـدول الكبـرى ، بمعنـى ان سلاطيـن المغــرب ورؤساء الامارات في اوائل هذا القرن بذلـوا جهـودا لا بأس بها في هذا السبيل الا ان ذلك سيظهر جليـــا وعظيما في عهد الملكين العظيمين المولى الرشيد ومولاي اسماعيل السلطان العظيـم .

والواقع ان اهم العلاقات الديبلوماسية التـي ابرمها المغرب خلال هذا القرن هي اما مجرد معاهدات صداقة وتجارة . او اتفاقات ابرمت لتسويـة بعـض المشاكل تتعلق مثلا بالتمثيل الديبلوماسي واستيطان الرعايا الاجانب وخصوصا تحرير الاسارى ، من ذلك ان في هذا القرن وما بعده كانت القرصنـة المغربيـة لا تفتأ تغير على المراكب الاجنبية وكذا هذه على المراكب المغربية وكان الحل الوحيد في تصفية هذا المشكل هو عقد الصلح بينهما او تفادي الاسارى الى غير ذلك .

لنبدأ الحديث اولا عن علاقة السلطان مولاي رشيد مع الدول الاجنبية فنقول ان الادلة على ما كان بينـه وبين عظمـاء ملـوك الـدول الاجنبيـة الـم تكثـر منها مؤرخ فرنسا الشهير (دوكاستري) وخصوصا مع بعض الدول الاوربية مثل انجلترا وفرنسا . فالاولى بدأ معها العلاقات يوم ان احتلت مدينة طنجة . ومـن المعلوم ان هذه المدينة كانت اولا تابعة للبرتغال . ولما تزوج الملك الانجليزي (شارل الثانـي) بالاميـــرة البرتغالية (انفانتا كاترى) وهبت لـه مدينة طنجـة كجزء ما بائنتها . وظلت تابعة لانجلترا مدة 22 سنـة اثناءها كانت حركة الاتصال قوية بين انجلترا والمغرب وساعدت هذه الحركة على توثيق العلاقات توثيقـا اعظم من ذي قبـل .

وفي سنة 1680 وجه ملك الانجليز (كارلوس) سفيرا للمغرب اسمه (هاري هوارس) وذلـك ليهنىء السلطان بالانتصار . ومعه هدايا فاخرة منها ستـة مدافع نحاسيـة وعدة رمـاح .

ودولة فرنسا هي الاخرى راسلت ملك المغرب واسست معه علاقات تجارية وغيرها ، وقد اثبتنـا في في الاصل نقلا عن كتاب (الاتحاف) لابن زيدان رسالة كتبها السفير الفرنسي القبطان (رولان افرجس) الى السلطان يطلب منه الاذن ببناء محل للتجارة بنواحي وادي انكور . والتك ما كتب : « الى الشريف العظيـم القوي مولاي رشيد حرسه الله لما كان سبب مجيئي لهذه البلاد مهما جدا ومفيدا لدولتكم ، اطلب مـن جلالتكم الاذن لي في القدوم على اعتابكم ، وان سمحوا لي باللقاء بكم لاشرف بشرح اسباب مجيئي لايالتكم ولاسلم لكم كتابا من ملك فرنسا من مرسى التورنـج 15 ابريل عام 1666 م) .

ويقال ان الملك مولاي رشيد قابله مقابلة حسنـة حيث اعطاه سبعين بعيرا لحمل اثقاله وذلك تنميـة للروابط بين الدولتـين .

مضطر الى الكفاح للتحرر من نير الماضي وبقايا عهد الاستعمار ، وما يعينه على الكفاح للتحرر من قيود الماضي الا عمل متواصل ، لا يعرف الفتور ولا الملل ، وما يعينه على حمل اثقال تبعات المستقبل الا تفكير دائب تنشأ عنه حلول لمستعصيات المشاكل المغربية ، وسعي حثيث يتولد منه سعي حثيث الى اقرار ما صح عليه العزم وانتهى اليه التفكير ، كذلك يمكن ان تصاغ نظرية الحركة الذاتية هذه صادرة عن وعي الشباب ، واندفاع الشباب وهمة الشباب .

والشباب المغربي — وحده — يستطيع اخراج هذه النظرية من عالم المثل الى عالم الحس والواقع بما يبذل من تضحيات ، وبما يحقق فى سعيه الحثيث من مبادىء واهداف وغايات .

والتضحيات التي ينبغي ان تبذل كثيرة جسيمة، وهي — مهما كانت جسامتها — يسيرة هينة على الشباب ، ولا اريد هاهنا ان اعدد هذه التضحيات فكل يضحي على قدر همته فى سبيل بناء امته ، وانما اريد ان اتحدث عن نوع واحد من التضحيات فى حقل الكفاح للتحرر من قيود الماضي .. هذا النوع المشترك من التضحيات بين همم الشباب ضروري لبناء مستقبل الامة سليما مكينا ، وينبغي ان يتكاتف الشباب جميعا لتحقيقه .. انه التضحية والكفاح فى سبيل تعلم اللغة العربية وتعليمها ... وفهمها وتفهيمها .. وجعلها لغة الادارة والديوان والحديث والعلم .

وسألني عن وجه التضحية والكفاح فى سبيل تعلم اللغة العربية وتعليمها ؟

فاشير الى ان المثقف المغربي بلغة اجنبية يصعب عليه الحديث بغيرها وهو لذلك يحس فى نفسه ضيقا وانقباضا عند ارادة التعبير عن معان ربما لا تسعفه لغته العربية فى التعبير عنها .. ووجه التضحية هاهنا ان تجهد نفسك وتتحمل بعض الضيق — وانت العربي اما وابا ووطنا — فتكلف نفسك قراءة بعض ما يكتبه اخوانك الشباب العرب بلغة بينة سليمة من الاخطاء ، فى ايام معلومة من ايامك، وعلى دفعات متتالية منتظمة، بقراءة الصحيفة او الصحيفتين ، متحملا بذلك مشقة القراءة ولا اقول الفهم اذ ان كل ما يقرأ على اي مغربي من العربية الحديثة مفهوم لديه ، فاذا مرت بك الايام والاشهر على هذا النحو لا تلبث ان تحس بان الضيق الذي يعتريك عند ارادة التعبير عن معانيك بدأ يزول من ساحة تعبيرك شيئا فشيئا حتى يغيب ... فاذا حصل لك ذلك ، كان هذا منك تضحية ببعض الوقت ، ولكنه وقت انفقته لتجني به ربحا لوطنك ، ولتربح به نفسك ، اذ ان بلادك عربية ومستقبلها مع اللغة العربية، ولان المثقف ثقافة اجنبية ملك لتلك الثقافة حتى يحسن لغة امته فيعود ملكا لامته ... انك بهذا العمل تهدي لامتك عنصرا من عناصر وجودها اقدر على الحياة فى ظلها ، وانفع ما يكون لامته وهو يتقن لغتها — على ان قسطا من هذا النفع فى الواقع قد يكون حاصلا اذا كان لا يتقن لغتها ، ولكن على اضيق مدى ، وضمن بعض الشروط ... فاذا عبرت بالعربية عن معانيك ، وبدات الكتابة بها تحس من نفسك ميلا الى الالمام ببعض قواعد التعبير الصحيح فيها ... ولن انصح لك هذه المرة الا بالقراءة والقراءة الكثيرة ، والتدرج فى المطالعة من السهل الى الصعب ، ثم الالمام ببعض قواعد العربية البسيطة كرفع الفاعل والمبتدأ ونصب المفعول به والحال .. مما تمكن الاحاطة به كله فى بضعة اسابيع. .

هذا وجه من وجوه التضحية ، وهنالك وجه اخر من وجوه الكفاح تطلبه الامة منك وممن علم علمك كيما يجتهد ليعلم غيره ما علم بالوسيلة التي يراها ناجعة بعد التجريب .. وليس هذا الذي اقترحه ها هنا هو الطريقة المثلى فى هذا الباب بل ربما كانت هنالك طرق اخرى اكثر نفعا واسرع فائدة فى التعلم والتعليم ننتظر من اخواننا الذين سلكوها وعزموا عليها وعرفوا نفعها وفائدتها ان يطلعوا الشباب عليها مشكورين .

وفى خلال اطلاع المثقف ثقافة اجنبية على اللغة العربية وترائها تتكون عنده ثروة فكرية انسانية هي حصيلة ثقافته الاجنبية ممزوجة بلقاح من الفكر العربي وعندها تحس همته الشابة ان عليه ان يتولى حمل اثقال تبعات المستقبل ... وهنا كما فى ذلك المكان الاخر من هذه المقالة لن اتولى اثقال وتبعات المستقبل بالكيل او التعداد وانما اشير الى واحد من هذه الاثقال (وليكن اكثرها ثقلا) والى احدى تلك التبعات (ولتكن اكثرها خطورة) وربما كانت مفتاح مشاكل المستقبل فى مغربنا الحبيب :

اننا نعيش فى امة لها تاريخها ، ومجدها ، واهدافها ، وآمالها ، ومبادئها ، ولكنها مرت عليها فترة نسيت تاريخها ، واضاعت مجدها ، وغفلت عن اهدافها ونامت عن آمالها ، وتجاوزت على مبادئها .. لا نكلف الآن انفسنا عناء السؤال عن الاسباب ، فليس ذلك من

همة الشباب

للاستاذ [illegible]

هذه دعوة تحليلية جادة ، موضوعية بقدر مـــا اتيح لها ان تكون كذلك ، توضع بين ايدي الشباب فى مغربنا الحبيب ليولوها حقها من النظر والنقد .

دعوة تحاول ان تجد لها موضوعا .

دعوه ليست لجيل فتح اعينه على عصريـــن ، وعايش فترتين من حياة هذه الامة وانما هي لجيـــل يحاول ان يتفتح على عصر زاخر ، مليء بالاحـــداث والمغامرات والتضحيات ، ويريد ان يعيش فتـــرة واحدة حاسمة ، يترك الحياة من بعدها لبني امـة واضحة المعالم ، بينة المحجة (ليلها كنهارها ، لا يضل عنها الا هالك) .

موضوع هذه الدعوة اذا الشباب ... عنـــوان الخير والفعالية والنشاط والحياة فى الامة :

ذلك بان الشباب جيل صاعد ، نام ، متحـرك ، تعده الايام ليخلف جيلا ذاهبا ، اتم نموه ، وبدات تهدا فيه الحركة ويقل فيه النشاط ، تلك خلفية طبيعيـة تعدنا لها الايام ، ومن واجبنا الا يطغى علينا احتـــرام السلف، وتقديس الاجداد الى درجة نرفض معها تحمل تبعات هذه الخلفية الطبيعية التي سيداهمنا الواقـع بها يوما ما ، على رضى منا او على كره ... ولقـــد شهد تاريخنا الحديث ان اجدادنا كانت تستاثر بهـــم الانانية الى درجة انهم يهملون اعداد ابنائهم لحمل تبعات المستقبل من بعدهم .. ولقد ضاع منا استقلالنا يوم استلم هؤلاء الابناء مقدرات الامة ، فاعانهم الجهل على اضاعة البلاد وتسليمها للمستعمر .

ولئن كان الجيل الصاعد يلمس مثل هذا الاهمال من الاجداد ، فليس له عذر بعد اليوم فى الاستســـلام الى ارادة الاباء والاجداد فى البقاء فىعزلة الجهل وزاوية الاهمال .

هنا ياتـي دور الشبـاب فى ميـدان النهضـة الحاضرة ، الشباب الذي تفتح على عالم يكاد يضيق بمن فيه من الجهلاء وانصاف العلماء هذا العالم الذي لا يكاد يعيش فيه الا العالمون ، والذي لا يكاد يستطيع الحياة فيه الا الذين يصنعون او يخترعون شيئـــا يحفظون بصناعته او باختراعه على انفسهم نعمة البقاء

اصبح اذا من واجب الشباب ان يحرك نفســه بنفسه اذ عجز الجيل الماضي عن ان يحرك الجيـــل الحاضر من اجل المستقبل ، هذه الحركة الذاتيـــة ، تصدر عن الشباب ليندفع الى العمل المتواصـــل ، والنشاط الدائب ، والتفكير فيما عليه من واجبات .

واكاد اعتقد ان هذه الحركة الذاتية عفوية وليدة الواقع الذي تعيشه امتنا فى هذه الايام ، وهي لـــولا احساسنا بواقعيتها ووجودها فى الظروف الحاضـرة ــ حركة فكرية خيالية ، ليس لها من وجود الا فى عالم النظريات والمثل ، ولكنا ــ ونحن نلمس واقعيتهـــا ووجودها فى الظروف الحاضرة فى مغربنا الحبيـب نحاول ان نصوغها صياغة اخرى اقرب الى الواقــع وابعد ما تكون عن النظريات والمثل عند ما نراها تتجسد فى الشباب المغربي وفى همته على وجه الخصوص : ان الشباب فى كل البلاد معان على تحمل تبعات المستقبل من قبل الاجيال السابقة ، اما شبابنا المغربي ، فهـو مكلف بحمل تبعات المستقبل ــ وحده ــ ، بل هـــو

على هامش الشهر السياسي

بقلم محمد الغزلي

كانت بداية السنة الميلادية الجديدة بافريقيا حافلة بالاحداث والمواقف والاعمال . فمن مؤتمر القمة التاريخي الذي انعقد في الدار البيضاء ، ونشر مقرراته الايجابية الحاسمة ووضع الميثاق الافريقي ، ليكون اداة للعمل من اجل بناء صرح التحرر الافريقي ، الى مؤتمري النساء الافريقيات الاسيويات ، والشعوب الاسيوية الافريقية ومؤتمر وزراء خارجية الدول العربية

ومن تأسيس حكومة حرة في كيفو بالكونغو ، واتخاذ مانوتو عاصمة جديدة للبالوبا المناهضين لحكومة موس شومبي ، الى نقل الرئيس لومومبا ، وقرار كتلة الدار البيضاء بسحب قواتها العاملة تحت راية الامم المتحدة ، واجتماع مجلس الامن مرتين لتدارس المشكل الكونغولي ، والى الاستعداد للجلوس على مائدة كازافوبو المستديرة .

على انه لايجمل بالمتتبع لاحداث القارة اهمال ما يجري حولها ، فاجتماع دول السوق الاوربية المشتركة بحضور دول الجامعة الفرنسية ، وتنصيب كينيدي ، ومسرحية الباخرة البرتغالية (سانتا ماريا) ، وقرار حاكم اوغندا باغلاق حدود هذه المحمية المتاخمة لكيفو ، وزيارة محمد ضياء الى لندن واكتشاف طبقات من الحديد في النيجر ، ومطالب هوفويت بوانيه الجديدة ، كل هذه الاحداث اثرت تأثيرا واضحا في اسلوب المعركة التحررية بافريقيا وبدلت كثيرا من المواقف ، وكشفت عن بعض النيات ، سواء في نطاق القارة او على المستوى الدولي بشكل عام .

صناعة المستقبل

فلم يحظ أي مؤتمر في تاريخ القارة الافريقية بمثل ما حظي به مؤتمر الدار البيضاء من اهتمام وتتبع من لدن الافارقة ودول العالم على اختلاف اهوائها . ولا يظهر ذلك فحسب في البرقيات والرسائل التي تقاطرت عليه من كل مكان في العالم ، وخاصة من الدول الافريقية ومن الهيئات الوطنية في المناطق التي ما زالت خاضعة للنفوذ الاجنبي ، او من حديث صحف العالم قاطبة عنه وتعاليق اذاعاته على سير اعماله ، وانما يتجلى بشكل خاص في الرعب والفزع اللذين احدثهما في نفوس المستعمرين وأصحاب المصالح الحيوية والنفوذ السياسي في القارة .

فقد كان واضحا منذ البداية ان مؤتمر الدار البيضاء الذي دعا اليه ملك المغرب محمد الخامس سوف يفتح من جديد وبروح ايجابية بعيدة من كل شائبة الملفات التي وضعتها امانة الامم المتحدة في رفوف المحفوظات ، وسوف يتخلى عن موقف المتفرج فيما تشهده بعض انحاء القارة من تكالب خارجي ، وضغط يتراوح بين استعمال القوة المسلحة السافرة ، وبين تحريك العملاء للقضاء على المكاسب الوطنية ، وصيانة الامتيازات ، واضفاء صبغة المشروعية على عمليات اختلاسها ، وكذلك فيما تعانيه انحاء اخرى من ضروب التقتيل والابادة سعيا في استمرار خضوعها للادارة الاجنبية ، وفيما تعانيه اقطار ثالثة من مروق حكامها ومناصرتهم العلنية للاستعمار الجديد بتشكيله المادي والسياسي .

واذا كانت اهمية المؤتمر تتضح في نقطتين بارزتين وهما حضور نوع من زعماء القارة واجتماعهم في ظروف فاصلة في حياتها ، فان نوعية النتائج التي ستتمخض عن المؤتمر والوسائل الموضوعة في يد اقطابه لتنفيذ المقررات وبلورتها ماديا تحمل على تصور تحول خطير وجذري في تاريخ الشعوب الافريقية في تطورها السياسي والاجتماعي والقومي .

همنا . وانما هو من هم الجيل الماضي . اما النبــــاب فهمه في تذكيرنا بالتاريخ المنسي ، واعاده المجد الضائع، واقرار الاهداف . وادراك الامال ، وتثبيت المبادىء في النفوس ، ولا يكون ذلك للشباب الا اذا جرد نفسه ، وشحذ همته ليملأ على امه هذا الفراغ الفكري الهائل الذي فعل بنا تلك الافاعيل ونريد اليوم ان نخرج بامتنا من هذه الهوه السحيقه التي عرفنا مكانها واحسسنا بها . وكرهنا لامتنا ان تردى او تقع فيها . . .

واذا كان لي ان ارجع الى بعض الاسطر قليلا في هذه المقالة فاني الاحظ ان هنالك اتصالا وثيقا بين تعلم اللغه العربيه وتعلمها وبين ملء هذا الفراغ الفكـــري الذى يحسه الشباب من ابناء امتنا . واحســــــاس الشباب بهذا الفراغ امر طبيعي دال على وعيه لنفسه وشعوره بانه انسان خلق لغير الثقافه الاجنبيه التـــي غذته وانها لم تعد كافيه لملء تفكيره واقناعه بانه انسان في هذا الوجود وكفى . . .

الشباب المغربى اليوم يشعر بانه يريد ان يعيش في امه ؛ لكنه لا يستطيع ان يجد هذه الامه ممثلــــه في افكار ومبادىء وغايات وآمال . . . ان علاقة الشعبه . بعبه الانسان للثقافه التى يعيش بها لم يستطع الشباب المغربى ان ينكر احساسه بها كما لــم يستطــــع ان يستشيقها في يوم من الايام ولكنه يشفق من مطاردتها له في اعماق تفكيره وشخصيته .

ان الافكار والمبادىء المعروفة فى العالم حتى اليوم انما نشأت فى لغه وفى وطن وفى قوم . . . وشباب المغرب يريد ان يكون لغته العربية لغه الافكار والمبادىء التي يؤمن بها ويتبناها . ذلك ان اللغة مستودع للمعانــــي والمبادىء التى يمكن ان يؤمن بها الامة وفيها طاقــات ترفد المفكرين من ابنائها وتمدهم بالكثير من المبــادىء والمثل والاخلاق فيما تمدهم به من الفاظ وتراكيب . .

لقد سئمنا الحياة المتطفلة على افكار من ها هنا وها هنا ، ونريد حياة ذاتيه على افكار منا والينا تنبع من ارضنا وتصدر عن ضميرنا العام . ليتبناها قوما ، ونحن ــ بعد ذلك ــ شركاء للانسانيه في ثقافتنا ناخذ منها بقدر ما نعطى . ولا نعطينا بقدر ما ناخذه منا .

هذه تبعات جسيمه يحملها همه الشباب المغربى وهو يعد نفسه لهذا الدور مهما كان الثمن ومهما كانت التضحيات غاليه . وهمه الشباب لا يعرف الحساب في باب التضحيات ، وانما هي تبذل وتبذل بقدر مـــا تستطيع . وهمها الوحيد ان تصل الى اهدافها وغاياتها المامولة .

لا تقــــل لــــو . .

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ص) المومن القوى خير واحب الى الله من المومن الضعيف وفى كل خير . احرص على ما ينفعك واستعن بالله وان اصابك شيء فلا تقل لو انى فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قدر الله وما شاء فعل . فان لو تفتح عمل الشيطان . اخرجه مسلم .

وما مؤتمر الدار البيضاء العظيم سوى تفجير تدشيني لهذا التصميم الذي بدا يؤتي اكله سواء فى الكونغو حيث قررت كتلة الدار البيضاء دعوة جيوشها من الكونغو ،او فى الامم المتحده حيث طلبت تلك الكتله اجتماعا عاجلا لمجلس الامن لدراسة الوضعيه فى تلك البلاد بعد نقل الرئيس لومومبا الى كاطانغا .

مـن بوكـافـو الـى انتيبـي

اصدرت الاداره الاستعماريه البريطانيه فى اوغندا امرا باغلاق الحدود بين هذه المحمية وبين اقليم كيفو الذي تشرف عليه حكومة محلية تابعة لسلطات ستانفيل الشرعية ، ويشمل مفعول هذا الامر جميع الطرقات والمسالك المؤديه الى ذلك الاقليم ، كما تنص على وجوب اتخاد جميع الوسائل لاقامه حاجز منيع من الاسلاك الشائكه ودوريات الحفر والالغام حتى تقف اى اتصال كيفما كان نطاقه ومداه بين المنطقتين .

وقد يتصور البعض ان السبب فى هذا الاجراء الذى لم يسبق للاداره الانجليزية فى أية مستعمره ان اتخذته . ولم تفكر فى اتخاذه فى مستعمره هونغ كونغ مثلا عند اجتياح الثوار الصينيين لمجموع تراب الصين ، او عند تأزم الاوضاع بينها وبين اسبانيا حول مستعمره جبل طارق . قد يتصور البعض ان السبب فى هذا الاجراء هو خوف المملكه المتحده من ان تتهم من طرف دول العالم باستعمال تراب المحمية الاوغندية ضد دولة الكونغو . او خوفها من ان تعمد بعض الدول الاخرى الى مطالبتها باعطاء الاستقلال الى اوغندا . كما طولبت بذلك بلجيكا فى مجلس الامن اخيرا بعد ان سجلت اداريها الاستعمارية فى رواندا اوروندى باستعمال المطارات والطرق من طرف عصابات العميل موبوتو التي حاولت اراحه الحكومة الموالية للومومبا عن عاصمه بوكافو .

وربما تصور البعض الآخر ان السبب الذى الجأ بريطانيا الى تحريم الاتصال بين اوغندا وكيفو هو فرض نوع من الحصار على الاقليم الكونغولي انسجاما مع خطة موبوتو وكاسافوبو الرامية الى تجويع السكان هناك ، وارغامهم على التزام الولاء لحكومة ليوبولد فيل .

ولكن مجرد تعميق بسيط للاوضاع الداخلية فى اوغندا ، واطلاع سطحي على الاسلوب العجيب الذي تتبعه الادارة البريطانية فى هذه المحمية الغنية وذات الموقع الهام والحضارة العريقة يوضحان امر هذه الاجراءات أو هذه التدابير الوقائية على اصح تعبير .

فمحمية اوغندا هي اغنى مناطق افريقيا الشرقيه البريطانيه اذ تنتج نصف القطن واكثر من ثلاثة ارباع القهوه بالنسبة لمجموع المنطقه . وهي تضم سبعه ملايين من النسمات البشرية أي ربع سكان افريقيا الشرقيه ، ولا تظهر اهمية هذا العدد الوفير من السكان فى المجهود الاقتصادي او فى استهلاك سلع الامبراطوريه البريطانية حيث يتوفر الاوغندويون على سويه اجتماعيه مناسبه ، وترتفع عندهم القدرة الشرائيه ، ولكن تظهر ذلك فى جانب آخر ذي طابع سياسي ، وهو توطن القبائل الشرقية الاصلية المهمة فى تلك البلاد . تلك القبائل التي يعترف بها سكان طانغانيكا ونياسالاند وكيفو بالدور القيادي ، ويرمونها بكثير من التقدير والاجلال .

ان هذه العوامل كلها تجعل المملكة المتحده تصطنع اوضاعا معينة وتوجد توازنا بين الحركات والنزعات المختلفة تتمكن معها من ابقاء سيطرتها لا على اوغندا فحسب . ولكن على المناطق المحيطة بها كذلك ، ومن الاستمرار الى جانب هذا فى استغلال خيرات البلاد الفلاحية والمعدنية .

لقد حافظت بريطانيا بمهاره فائقة على هذا التوازن السياسى . فهي من جهة ظلت محتفظة للممالك الاربع وخاصه لمملكة بوغندا التي يحكمها الكاباكا باوضاعها التشريعية الخاصة بها ، ومن جهه ثانية لم تقف فى وجه رؤساء القبائل الذين يناوؤون تلك الممالك والذين يستمدون زعامتهم من العصبية الجنسية فى الداخل والخارج . ومن جهة ثالثة سمحت باستمرار قيام الاحزاب الوطنية الثلاثة التي تشكل من ناحيتها سياسه ثالثة .

ان هذا التقابل بين الممالك التي تنادي بالحكم الفدرالى ورؤساء القبائل الذين يهدفون الى اقامة دوله متحده مركزية والاحزاب الوطنية التي تعمل من اجل الاستقلال والمركزية معا جعل السير فريدريك كراوفورد الحاكم البريطاني حكما بين هذه القوات وجعل المفاوضات بين المملكة المتحدة وبين حكومات اوغندا تمنى دائما بالفشل لانها تتعثر دائما عند ما يتطرق البحث الى نظام الدولة المقبل .

فمؤتمر الدار البيضاء قد نشر على طاولة المستديرة جدولا للاعمال يمكن ان تثار فيه المشاكل العاجلة كقضية الكونغو والجزائر وروانداوراندى وموريطانيا والمشاكل الاخرى التي تحتاج الى اعمال سلسلية جديدة ، كمشاكل الميز العنصري والخطر الصهيوني وقضية الوحدة الافريقية وتنظيم المؤسسات المشتركة . كما ان جلالة الملك قد وضع تحت انظار المؤتمرين ميثاقا افريقيا سيفضي الاخذ به الى ايجاد نقطة التقاء دائمة لجميع المجهودات التي تبذلها الدول المتحررة في مختلف الميادين .

ان المشاكل التي تدارسها مؤتمر القمة ، والروح التحررية التي كانت تحدو القادة في دراستهم تنتهي بنا الى تقرير الحقائق الآتية :

الحقيقة الاولى : هي ان المؤتمر اوجد اداة افريقية فعالة لحل ما يعترض القارة من مشاكل وما يواجهها من مشاغل وما تقتضيه بعثها من جهد وعمل .

والحقيقة الثانية : هي ان المؤتمر اوجد العدة الضرورية لمقاومة وتجنب الاستعمار السافر المباشر والاستعمار المستور المقنع ، سواء كانت تلك الستره هي الزعامات المزيفة التي يضمن وجودها استمرار التوجيه الخارجي ، او هي اصناف التبعية الاقتصادية أو هي مظاهر الارتباط الفكري ، حتى لو كان ذلك الارتباط يبدو على شكل تسميات او انتحال اسم لغة الاستعمار .

والحقيقة الثالثة : هي ان مقرراته كانت بمثابة دواء ناجع لتحرير الشعوب الافريقية المصابة باحد الامراض الاستعمارية من « عقدة الخوف من الحرية » تلك العقدة التي حسب الاستعمار ان سيخلقها في نفس الافارقة اذا ما نجح في تحطيم شعب الكونغو وخنق التيار التحرري في رواندا اوراندى ، والحاق شعبي الانجولا والموزنبيق بقصة قانونية بالامة البرتغالية .

فالافارقة وقد نشرت امامهم مقررات مؤتمر القمة العظيم في الدار البيضاء اصبحوا بعيدين عن جو اليأس والقنوط ، وطهروا نفسيتهم من مركب النقص ومن شعور الخوف لا من الاستعمار فحسب ولكن من الحرية وتبعاتها ، وتاكدوا ان وراءهم كل شعوب افريقيا تسندهم في مطالبهم ، وتسندهم في عملهم لبناء الاستقلال وتحمل تبعاته وصيانته .

والحقيقة الرابعة : هي ان « دور الحكم » الذي كان يريد الاستعمار دائما ان يقوم به في افريقيا قد اسند الى الافارقة انفسهم ، فلم تعد المبادرة في يد جيش فرنسا او مظليي بلجيكا او اسطول بريطانيا لحل النزاعات بين المناطق الافريقية ، وللوقوف بين اطراف الصراع الداخلي في كل منطقة ، ذلك الصراع الذي يبتدعه عادة عمرية المتدخلين آخر الامر ، وانما اصبحت هذه المبادرة في يد « حكم » افريقي صميم هو الجيش الافريقي الواحد المحرر ، ذلك الحكم الذي يندفع بروح من حماية الوحدة الوطنية حماية لا غبار عليها ، وبروح من الحفاظ على السلام العالمي وابعاد شبح الحرب الباردة عن القارة الفتية .

ان هذه الحقائق العظيمة الايجابية تكون عاملا رئيسيا في تصفية الانعكاسات السيئة التي احدثتها الحوادث الاخيرة في القارة ، وخاصة في الكونغو ، عند الشعوب الافريقية الحديثة العهد بالاستقلال او المتطلعة الى حريتها ، والتي غذتها ايضا مظاهر التآبيد التي حظيت بها الاتجاهات الانفصالية في موريطانيا وكاساي الجنوبية وكاطانغا وغيرها في مؤتمر دول الجامعة الفرنسية الذين اجتمعوا في ابدجان وبرازافيل فمؤتمر الدار البيضاء قد اظهر ان العقول الالكترونية التي تسير من باريس وبروكسيل ولندن هي عقول لا تكونها دماء افريقيا ولا تتصف بصفة الاستجابة للارادة الافريقية ، وان المؤتمرات التي تلح على ان تتحدث بالفرنسية حتى لو كانت الشعوب التي تمثلها لا تنطق بتلك اللغة ولا تقرها من لغات الاستعمار ، هي مؤتمرات استعمارية لحما ودما وعقلا ولسانا .

ولا بدع في ذلك . فالاقطاب الذين وضعوا اللبنات الاولى في البناء الافريقي السليم نبعوا من صفوف الشعب الافريقي ، وعاشوا آلامه وتحملوا في سبيله السجون والمنافي والعذاب . اما مؤتمر ابدجان وبرازافيل فقد ضم اناسا ربتهم الارساليات الدينية الاستعمارية وترعرعوا في احضان فرنسا وتعلموا في المدارس الخاصة وهيئوا معنويا للايمان بالحضارة والمجد الفرنسي ، واحتقار كل ما يمت الى افريقيا والافريقيين .

ولا يعني هذا التقابل ان هناك معسكرين في افريقيا احدهما متحرر والثاني منحرف ، فافريقيا بشعوبها وطاقاتها جبهة واحدة متراصة تقف وقفة رجل واحد في وجه التدخل والاستغلال والسمسرة .

احتفالا دينيا وكانوا يهمون بذبح أحد منهم تقربا من الآلهة ، وبين جماعة اخرى من المسلمين ارادت ان تحول دون اتمام هذا الاحتفال السري ، رغم رواية الحادثة على هذا الشكل ، فان البلاغ الرسمي نفسه الذي يتهم حزب (صوابا)بالاشتراك فى الهجوم وكذلك فان الاعتقالات الواسعه النطاق التي تناولت بعض المسؤولين والمسيرين لهذا الحزب فى طول البلاد وعرضها تحمل على كثير من التأمل ، وتجعل من المنطق تصديق الروايات التي اوردتها بعض الوكالات الاخبارية فى غرب افريقيا .

فحزب (الصوابا) او حزب الصواب الاسلامي يراسه السيد جيبوبكاري الذي كان نائبا لرئيس حكومة النيجر فى عام 1958 ، وقد حمل هو وحزبه على الاستفتاء على الدستور الفرنسي ، وتعرض للاعتقال وحوكم فى نيامي بعد سنة من الاستفتاء بتهمة العمل لصالح القاهرة فى غرب افريقيا ، ولكن حملات الاضطهاد لم تضعف من قوة هذه الهيئة التي يلتف حولها الشعب المسلم فى النيجر ، حتى كادت النيجر ان تنضم الى مالي فى سابر 1960 لولا ان ابتدع هوفويت بواسطة لعبة « مجلس الوفاق » الذى كان ظاهره الاقتصاد وباطنه التحكم السياسي ، ذلك المجلس الذي ركز سلطته حماني الديوري واوجد هوة سحيقة بين السلطات والشعب .

وقد ظل حزب (صوابا) دائما مصدر قلق لمشاريع القادة « المتوافقين » خاصة وانه كان ينسق جهوده مع الهيئات المعارضة فى كل من ـ الداهومي وفولتا العليا ومع اتحادات الشباب فى ساحل العاج .

وكان للانحراف البين الذي حاد فيه زعماء ما يسمى (بالكومينوتي الافريقية) عن الجادة الوطنيه فى مؤتمري ابيدجان وبرازافيل ، وتاييدهم للاستعمار فى الجزائر وموريطانيا والكونغو وجلوسهم فى مائدة مستديرة مع تسومبي وكالونجي ومؤامراتهم على المعركة التحرريه الافريقية فى الامم المتحدة ، كان لذلك آثار فى اندلاع الكفاح الشعبي فى الجمهوريات الصغيرة بغرب افريقيا وخاصة فى النيجر والداهومي ، ولعل ما وصل من اخبار فى الآونة الاخيرة هو بداية مقاومة ـ سنسمع عنها تباعا فى الايام القادمة .

هذه هي الحادثة الاولى : اما الحادثة الثانية فقد وقعت خلال المدة نفسها فى جمهورية ساحل العاج ، زعيمة دول الوفاق واغنى دولة فى غرب افريقيا ومقر هوفيت بوانييه قائد الكومينوتي الافريقية .

فقد داب زعماء القبائل فى جنوب شرق ساحل العاج على كتابة العرائض والدعوة لاقامة اتحاد بين بلادهم وجمهورية غانا المتحررة ، وكان هوفيت بوانييه يلجأ تارة الى العنف لقبر هذه الحركة فى مهدها وتارة اخرى الى اللين حتى نجد الهيئات المعارضة مجالا لتنسيق جهودها ضده .

وحدث منذ شهر تقريبا ان اعلن زعيم قبيلة (سانوي) القوية التي تمتد فروعها من حدود غانا الى مشارف ابيدجان ان قبيلته لا يمكن ان تستمر فى الخضوع لسلطات ساحل العاج وانها انضمت لدولة غانا ، وهنا لم نجد هوفيت بوانييه بدا من الالتجاء الى وسيلتين .

الوسيلة الاولى هي تجريد حملة عسكرية من قوات الدرك المتنقل ضد هذه القبيلة ، ولا زالت المعارك تدور حتى الآن قرب بانجرفيل واسبيني وابيدجان ، اي فى المناطق المنخفضة والغابية التي يصعب فيها التنقل وتستحيل فيها الرؤية . واخبرت سلطات اكرا عن وصول مئات اللاجئين وجلهم من النساء والاطفال الذين تركوا أزواجهم وآباءهم يقاتلون القوات النظامية العاجية .

والوسيلة الثانية التي لجا اليها بوانييه كانت على الصعيد الخارجي ، كان الهدف منها تملق الهيئات المعارضه التي قد تستغل المتاعب الحاضرة للقيام بكفاح منسق ضد صنائع الاستعمار وهذه الوسيلة هي مطالبه فرنسا بمزيد من مظاهر السيادة حتى تصبح علاقات دول الوفاق مع الجمهورية الفرنسيه شبيهة بعلاقات الكمرون بها .

اما الحادثة الثالثة فهي اكثر من الاولين عنفا وخطرا . فقد دخلت الهيئات المعارضة لموريس ياميغو فى فولتا العليا ولبيرت ماغا فى الداهومي فى حرب اهليه مع السلطات الحاكمة ، واذا كانت هذه الهيئات تعتمد فى فولتا العليا على رجال القبائل الذين يسيرهم زعماء اشداء فانها فى الداهومي تستند على احزاب منظمة متكافئة تمثل ثلثي اعضاء المجلس التشريعي ، وتناهض الحكومة مناهضة بعيدة الفور .

والعالم الخارجي لا يسمع الا القليل من المعارك التي تدور منذ بضعة اشهر فى الداهومي وان كان يعلم ان الاحكام العرفية معلنة فيها وان هناك اتفاقا عسكريا يحضر حاليا لتمكين سلطات بورتونوفو من الاستعانة بجيوش الكومينوتي .

وهذا التقابل من جهة اخرى مكن الاقليـــــه الانجليزية التي لا تزيد على عشرة آلاف نسمه مـــن فرض نظام الميز العنصري على سبعة ملايين اوغندي . وجعل الوزارة الاوغندية تضم سبعة من الاوروبيـــين وثلاثة من الافريقيين ، دون ان يتمكن هؤلاء من رفع عقيرتهم بالاحتجاج او حمل لواء المقاومة .

غير ان اعلان استقلال جمهورية الكونغو في فاتح يونيه الماضي . والتجاء كثير من الزعماء السياسيـــين والقبليين الى ليوبولد فيل دفعا بالحاكم البريطاني الى تجديد انعقاد المؤتمرات الدستورية في لندن ، والـــى اصدار مرسوم يحدد موعد الانتخابات العامة في شهر فبراير القادم . ولكن التطورات السياسية في اوغندا كانت تسير بسرعة اكثر نتيجة للمساعدات الادبيـــة والمادية التي اصبحت تقدمها حكومة لومومبا الـــى الاحزاب والقبائل ، مما اضطر ملك بوغندا — وهـــي احدى ممالك البلاد — الى المطالبة باستقلاله العاجـل وارسال بعوثه الى الخارج ومفاوضته الى لندن .

وحدث بعد ذلك الانقلاب الاستعماري المعروف في الكونغو والقى القبض على الرئيس الشرعي السيـــد باتريس لومومبا ، وعادت القضية الاوغندية الـــى الرفوف مرة اخرى . اما في الداخل فقد تجــــدد الصراع بين الاحزاب وبين الحكومات الملكيه الامر الذي جعل كرافورد يقول اخيرا : « بان اوغندا هي المحميه الوحيده التي لا تريد الانفصال عن التاج البريطاني » .

وانقلب الثوار المتطلع مره ثانية عندما اعلـن انصار لومومبا تاسيس حكومتهم المركزية في ستانليفل . وحرروا مقاطعة كيفو ، فقد انتقل زعماء اوغندا الى « بوكافو » واهتمكوا في تنظيم ثورتهم ضد الاوضاع في بلادهم . ومن ثم لجأت السلطات الاستعمارية في محمية اوغندا الى اغلاق الحدود بالشكل الذي تقدم ، تفاديا لانتكاس الحالة في مجموع افريقيا الشرقية .

وليس هذا هو المثال الوحيد الذي يمكن تقديمه عن الدور الذي يلعبه الكونغو المحرر في مقاومـــــه الاستعمار والقضاء على استغلاله للخيرات الافريقية . ومحو آثار الميز العنصري المباشر في هذه الجهات من القارة ، فبمجرد اعلان استقلال الكونغو في الصيـــــف الماضي ، فتحت الجمهورية المتحررة بلادها في وجـــــه جميع الحركات الوطنية وشجعت الثوار الكينديين على فتح مكتب لهم وسمحت للاجئين من الانغولا وروديسيا ونياسالاند وكينيا بالعمل على تحرير بلادهم من داخل اراضي الكونغو .

ولاشك ان حماس الاستعمار للاجهاز على حكومة لومومبا وتكالبه على مكتسباتها الوطنية كان مـــــن الدوافع البهما الخوف من ان تجد ثورة افريقيـــــة شامله وعارمه منطلقا لها من ليوبولد فيل لذلك حصون الاستعماريين والعنصريين وخاصة بعد صـــــدور قرارات مؤتمر الدول الافريقية المستقلة الذي دعـــا لومومبا اليه قبل وقوع الانقلاب ضده .

واذا كانت الاوضاع حاليا تنقلب لصالح لومومبا، فهي توقظ ولا شك مخاوف الاستعمار من عـــودة التيار التحرري الى الانطلاق من الكونغو مجـــددا ، وتفسر لنا جميع الوسائل التي تتخذها الاستعمـــار لاخمات الصوت القوي الذي انبعث من ستانليفل .

ماذا يجري في دول الوفاق ؟

لم تطلع احداث الكونغو التي تميزت في الشهـــر الماضي بنقل الرئيس الشرعي باتريس لومومبا من سجنه بسيقل الى معتقل جديد يحرسه جنود بلجيكيـــون وفوات عميلهم تشومبي بكاطانكا ، وبالمؤامرات المتنوعه لفرض مؤتمر المائده المستديره والاستعدادات الدائبه من طرف الاستعمار للتطويح بحكومة اقليم كيفو الحره وسلطات مانونو بشمال كاطانقا التي تؤيد الرئـــيس لومومبا واجتماع مجلس الامن مرتين .

ولم تطلع كذلك انباء مؤتمر النساء الافريقيـات الاسيويات ولا اخبار مؤتمر تضامن الشعوب الافريقيه الاسيويه الذي انعقد في القاهرة منذ يومين .

لم نطلع كل هذه الاحداث الهامه التي سجلها تاريخ القاره خلال الشهر عما وقع في دويلات الوفاق . سواء في النطاق المحلي او على صعيد نشاطها الخارجـــي كمجموعة ضمن (الكومنولث) .

فقد حملت اخبار جمهورية « النيجر » ان معارك دموية اكتست خطورة عامة وقعت بين طائفتيـــــن متعارضتين من السكان لم تلبث ان تحولت الى التحام بين الطائفتين من جهة وبين رجال الجيش والشرطة .

ورغم ان رواية الحادثة كما وردت في البلاغـــات الرسمية الصادرة من نيامي عاصمة النيجر تحاول ان تفسرها بانها عبارة عن صراع محدود بين جماعة مـــن الوثنيين الذين كانوا يقيمون قبيل الهجوم عليهـــم

ولكن ما بال الحكومة البريطانية تصر على ان تاخذ راي السكان الغامبيين قبل الخوض في تحديد مصيرهم الدولي ؟ وما بال الرئيس مامادو ديا يعود من لندن ولا يحمل في حقيبته غير التاكيد على الحل الذي يراه البريطانيون ؟ وما باله غير مرتاح لهذه النتيجة بالرغم من كل الاعتبارات التي المعنا اليها ؟

ان دراسة الوضع السياسي والعنصري في هذا الشريط الضيق الواقع في قلب السنغال تجعل المسائل توقن بان جواب حكومة المملكة المتحدة كان رفضا لبقا لوجهة نظر دكار ، وكان مسايرة ماهرة لبعض الآراء في غامبيا نفسها .

فعلى الرغم من تماثل الارض الغامبيه والسنغالية وسيرهما معا في نطاق تطور تاريخي وحضاري مشترك ، فان امرا واحدا يجب اخذه بعين الاعتبار ، وهو السكان الذين يقطنون هذه المستعمرة . وهنا نكون وجها لوجه امام المتناقضات .

فالسكان في غامبيا لا يختلفون اختلافا بينا عن ابناء عمومتهم في الشمال والجنوب بقدر ما يختلفون عنهم في اهوائهم وعواطفهم ونضجهم وثقافتهم .

فالقبائل التي توجد في شمال نهر (غامبيا) تدعى (الماند) بينما فيما وراء حدود المستعمرة الشمالية تقطن قبائل تدعى (سيرير) ، اما في الشرق والجنوب الشرقي فتسكن المستعمرة قبيلة (المالنكى) التي لا توجد الا في غينيا . ولا يمكننا ان نتصور وقوع غامبيا في حدود منطقتين يشربنين هامتين دون ان نتصور ظروفا من عدم الاستقرار ، تولد عند السكان خوفا متواصلا وسخطا على المجموع .

على ان المهم في مصير المستعمرة هو انه لا يتعلق بهذه الناحية (الديموغرافية) في الدرجة الاولى ولكنه يتعلق قبل كل شيء بعواطف سكانها .

ان الغامبيين يمتازون بنزوعهم الى التحرر ، بخلاف ما نعرفه عن قادة السنغال ، فالاحزاب على صغرها تعتنق مبادىء الحرية الافريقية البعيدة عن كل ارتباط ، وتؤمن بالوحدة الصادرة من حاجيات الافارقة وارادتهم ، ولا يجب ان ننسى دور الحركة النقابية في غامبيا ، هذه الحركة التي تعتبر ان قائدها ورائدها هو الرئيس احمد توري اي انها فرع نشيط من فروع (اللوجيتان) .

ومن هنا يبدو واضحا ان سلوك قادة السنغال ، وتوجيهاتهم على المستوى الداخلي والافريقي والدولي ، لا يرتاح لها شعب المستعمرة ، ولا تلقى عنده الوقع المستحسن .

وليس غريبا ان نجد علماء غامبيا ، ينادون بتغيير وضعيتين معا قبل تحقيق وحدة اقليمهم مع السنغال ، وضعيتهم كمستعمرة ، ووضعية جارتهم كدولة تخضع للتأثير الاجنبي ، ولزعامات منحرفه . .

والسؤال الموضوع الآن هو : ماذا تريد السنغال من وراء انضمام غامبيا اليها ؟ اما قادة دكار فيجيبون ببداهة ، بان ذلك يتطلبه التاريخ والجغرافيا والحيوية الاقتصادية ، واما قادة (باتورست) فيجيبون من جهتهم بأن الداعي لذلك هو الرغبة في التوسع وفي كسر الحركة التحررية الموجهة الى الوضع الداخلي في جارتهم ، وفي الاستفادة من خيرات بلادهم .

لكن يجب ان ننسى بعض الاشياء الاخرى ، فغامبيا على صغرها تحتوي على تجهيزات حيوية اقتصادية مهمة ، بما في ذلك شبكة من الطرق المرصوفة ومطار وميناء بحري ، وهذه التجهيزات حيوية لاقتصاديات نصف جمهورية السنغال .

أضف الى ذلك ان ضفاف نهر الغامبيا تضم خيرات هامه من الاراضيد والطروش والغابات وان المياه الاقليمية تتهافت عليها اسراب الاسماك التي تدخل في صميم الصناعة الغذائية والتجارة الخارجية .

ان من شأن العوامل السابقة ان تجعل مشكلة المستقبل السياسي لغامبيا تطرح بجديه والحاح من طرف السنغال ، التي تواجهها بحل واحد هو الضم ، وتجعلها تطرح من جهة اخرى كقضية يجب ان تؤخذ فيها رأي اصحابها .

ان اخذ الراي هذا الذي تتسبب به الحكومة الانجليزية ، يذكرنا بموقفنا من انضمام شمال الكمرون الى جمهورية الكمرون او الى النيجيريا ، فهي تعلم ان هذا الجزء الذي يشتد فيه نفوذ حزب (اتحاد شعوب الكمرون) المعادي لحكم احمد احيدجو سوف لا يقبل الانضمام الى وطنه الاصلي لهذا الاعتبار ، غير ان احيدجو ، وقد تنبه لعقدة المشكل ، فاعلن انه اذا

ان المجال هنا لايتسع لتعميق اسباب هذه الفورة العامة ضد حكام . « جمهوريات التفاهم » لانها كثيرة ومعقدة ولكن يبدو ان هناك بضعة عوامل رئيسية تشترك فيها تلك البلاد جميعا وهذه العوامل هي :

1 – خذلان المعركة التحررية الافريقية .

2 – الابقاء على اشكال الارتباط بفرنسا والتأمين على مشاريع الاستعمار .

3 – المذهب الديني لرؤساء الدول .

4 – الوقوف في وجه مطامح الشعوب ومقاومة نفوذ زعماء التحرر الافارقة .

وفوق ذلك فقد كان للنجاحات المتوالية التي حققها الجانب المتحرر ، وخاصة تلك التي ظفرت بها شعوب مالي ونيجريا والطوغو ، والتيارالجارف المعادي للاستعمار الذي كان يبدو ناره على شكل حرب سافرة كما وقع في الكونغو والجزائر او شكل تساند واتحاد – كما اسفر عنه اجتماع كوناكري بين الشيخ احمد توري ونكرومه وموديبوكيتا من دراسة اسس الدولة الاتحادية التي تشمل هذه الاقطار ، او على شكل مؤتمرات لاقطاب الجانب المتحرر كمؤتمر الدار البيضاء الذي التزم فيه قادة افريقيا الحقيقيون بالعمل الايجابي الحاسم ، كان لهذه النجاحات ايضا مفعول ملائم وايجابي في الشعوب التي ارغمها حكامها على السير في تيار الاستعمار وفرضوا عليها قادة ربتهم فرنسا تربية خاصة وارضعتهم لبنها واعدتهم الكنيسة الكاثوليكية اعدادا نوعيا لقيادة الشعوب المسلمة غرب افريقيا .

واذا كان هوفيت بوانييه قد طار الى باريس في أواسط الشهر الماضي وطالب باستقلال دول الوفاق الكامل ، واذا كانت فرنسا قد اتفقت على ان تكون يوم الخامس من هذا الشهر (فبراير) موعدا لتحقيق هذه الرغبة فان الدافع الحقيقي لهذا الالحاح وذلك التساهل هو الخوف من انفجار عام لا تعلم نتائجه ، وان كان يعرف اتجاهه ومرماه .

غامبيا او موريطانيا الجديدة

عاد السيد مامادوديا – او محمد ضياء – رئيس حكومة السنغال الى دكار ، بعد زيارة قصيرة الى لندن اجتمع خلالها برئيس حكومة بريطانيا ووزيرخارجيتها، وقد صرح عند وصوله لمطار « اورلي » بفرنسا ، بان المملكة المتحدة تنظر بعين الاعتبار الى ما تقوم به مجموعة الدول الافريقية التي اجتمعت في مؤتمر برازافيل ، وصرح كذلك بان محادثاته مع المسؤولين الانجليز ، تطرقت الى المشاكل الافريقية الكبرى كقضيتي الجزائر والكونغو والى المسائل التجارية والاقتصادية بما فيها تنشيط التجارة الخارجية بين الدول الافريقية والسوق الاروبية المشتركة .

ومن الضروري ، ان نذكر بمسألة اساسية، وهي الدافع الحقيقي لزيارة مامادوديا الى لندن . فرئيس حكومة السنغال ، وضع هدفا واحدا وهو الحصول على موافقة انجلترا على ضم غامبيا الى بلاده . واما المواضيع الاخرى فلم تكن تحتل نفس الاهتمام عند الرجل ، الا بقدر ما كانت تشكل عناصر لمساومة الانجليز وفتح شهيتهم للتنازل وحملهم على المطاوعة.

فما هي قضية غامبيا هذه ؟ وماذا تحتله من اهمية في نطاق العمل الداخلي والديبلوماسي السنغالي ؟ ثم ماذا يحيط بهذه القضية من اعتبارات يمكن ان تشير عند استقصائها الى التناقض الصارخ في نظرة دكار الى مسألة الوحدة الافريقية عامة . ومسألة المطامح القومية المحدودة عند بعض الشعوب الافريقية بصفة خاصة ؟

ان غامبيا البريطانية بلادصغيرة لا تزيد مساحتها على سبعة آلاف كلمتر مربع ، وهي على صغرها تتكون من مستعمرة ، تشمل العاصمة (باتورست) ونواحيها ومن محمية تشمل المنطقة المتبقية ولا تزيد عدد سكان المجموع على 300 الف نسمة من بينهم اقلية اروبية وجالية من السنغال وغينيا البرتغالية .

وهذا الشريط الضيق الذي يرتفع عليه العلم البريطاني يحيط به اراضي جمهورية السنغال من جميع الجهات ، ما عدا منفذا ضيقا تطل به المستعمرة على المحيط الاطلسي .

وعلى هذا الاعتبار ، فيمكن القول بدون تردد بان غامبيا التي لا تعدو ان تكون عمالة صغيرة من عمالات السنغال ، قطعة لا يمكن تجريدها من الدولة المحيطة بها ، سيما وان تاريخهما قبل الاحتلال كان تاريخيا مشتركا ، كما ان وشيجة الجغرافيا والتماثل الاقتصادي لا يتسع فيهما التأويل .

ماوراء القضية الموريطانية

بقلم الاستاذ المهدي البرجالي

شهد العالم الدولي — في اليوم الثامن والعشرين من نونبر الماضي — ظاهرة سياسية دولية تدعو الى كثير من الاندهاش والاستغراب . تلك هي الاعلان المهيأ من قبل عن قيام نظام دولي مستقل في موريطانيا المغربية وفصل هذا الاقليم عن الكيان المغربي الموحد بطريق الاعتماد على وسائل التحكم السياسي المباشر وتحت تأثير بعض الاعتبارات المصلحية الملحة التي تباين والنهج القانوني السليم تباينا كبيرا .

والظاهرة ليست في الحقيقة جديدة من حيث النوع فالتاريخ التوسعي الاوربي حافل بنماذج كثيرة من هذا القبيل ولكنها — مع ذلك — تعبر على جانب كبير من الغرابة والشذوذ نظرا لما تحويه في طواياها من خصائص غريبة على الفهم العادي لمجاري الامور في العالم الدولي وباعتبار ما يكتنفها من ملابسات سياسية ودولية مريبة وما تعبر عنه من انحرافات قانونية واخلاقية واضحة .

واطلاق مثل هذه الاوصاف على الظاهرة الانفصالية الماثلة في موريطانيا لا يعكس — في الواقع مجرد الرغبة في التعبير والتشهير لان للمبادىء المكيافيلية في ميدان العلاقات الدولية حدودا يجب ان يوقف عندها ولا تتجاوزها الى غيرها والا كان من المعقول ان تعتبر ذلك مجرد غرابة وشذوذ وانحراف وغير ذلك . من الصفات التي لها دورها في تحديد خصائص مثل هذه الموصوفات وتعيين مميزاتها ومعالمها .

واذا امعنا النظر قليلا في بعض النتائج السياسية والقانونية الدولية التي كان المفروض ان تفضي اليها الوضع القائم في موريطانيا وجدنا من المظاهر التي تتسم بها هذا الوضع ما يبيح الاعتقاد بانه ينطوي فعلا على كثير من عناصر الغرابة والشذوذ ، وذلك الى حد يفوق احيانا ما يمكن ان نلاحظ في بعض الاوضاع الانفصالية والتقسيمية من هذا النوع مما هو موجود في بعض البلدان الاخرى في افريقيا والقارة الاسيوية وغيرها ، ولنتناول بعض الصور والامثلة التي لها دلالتها في هذا المقام : فقد سجلت السنة الماضية مثلا بروز ظاهرة انفصالية خطيرة في جمهورية الكونغو يمثل جانب منها في انشقاق اقليم كاطانكا وكاساي واستمرارهما عن الكيان الكنغوي الموحد كما يمثل جانب آخر في تعقد الاحوال العامة بهذا القطر وتبلورها في اشكال ملتوية تؤذن بوجود امكانيات انشقاقية اخرى اشد تشعبا واكثر اشكالا .

وفي منطقة الشرق الاقصى تستمر الهولانديون على وفائهم لسياسة التجزئة والتقسيم الموجهة ضد وحدة الارخبيل الاندونيسي . ولا تزال لهذه السياسة دور اساسي في علاقاتهم العامة بشعب هذا الارخبيل . ويتمثل ذلك في اصرارهم على الاحتفاظ باقليم ايريان الغربية الاندونيسية وتصميمهم على استبقاء هذا الاقليم في حالة انعزال عن الكيان القومي الاندونيسي . ومنذ سنين عدة وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية كانت الوحدة القومية بايران هدفا لمؤامرات انفصالية خطيرة تركزت مظاهرها على الاخص في اقليم ادربيجان وكانت مجرد تمهيد لتنفيذ البرنامج التوسعي الضخم الذي كان يتبناه العهد الستاليني في الاتحاد السوفياتي والذي كان يستهدف اتخاذ الاراضي الايرانية مركز انطلاق لعمليات التسرب الى البحر الابيض المتوسط عن طريق التسلل الى العراق وسوريا وغيرهما ، وهناك بالطبع صور عديدة اخرى لمثل هذا النوع من التآمر الدولي لا تزال آثارها الفعلية المباشرة على سير الاحداث في

ما انضم الكمرون الشمالي فانه سيتبع سياسة الحياد ، ويعامل فرنسا نفس المعاملة التي تلقاها منه بقية الدول في العالم .

فاذا كان السنغاليون راغبين حقا في ازالة الحدود التي اقامها الاستعمار ضمن بلادهم فما عليهم الا ان ينسحبوا من الجامعة الفرنسية ، وينضموا للجانب المتحرر ، وعندئذ ستكون غامبيا سباقة الى المطالبة بالانضمام اليهم .

بقي ان نذكر قادة السنغال في هذه المناسبة بموقفهم من قضية انضمام موريطانيا الى المغرب رغم معرفتهم ، لا بالوحدة البشرية والجغرافية والتاريخية بين المنطقتين فحسب ، ولكن برغبة الموريطانيين فوق ذلك في الوحدة . وان نذكرهم باجتماعهم الى تشومبي وكالونجي وموبونو الذين يؤمنون على مشاريع تمزيق اوصال جمهورية الكونغو .

ولكننا في الوقت الذي نذكرهم بذلك نؤكد لهم اننا سنقف الى جانبهم في نضالهم من اجل الوحدة الترابية لبلادهم ، لاننا لا يمكن ان نخذل اي شعب يرغب في التشطيب على تصاميم الاستعمار .

غير انه ليس من المعقول الا نطلب من قادة السنغال ان يتخلوا عن تناقضاتهم ، او الا يجعلوا المبادىء البديهة موضع تأويل (!) .

عجز العقل عن معرفة الحقائق الخفية

قال فريد الدين العطار : (ذهبنا وراء عالم العقل والفهم . العقل لا يجدي عليك . انما يأتي اليك ، بما يأتي به غربال من بئر . انما يحاول العقل ان يدرك في هذا العالم ولكن هذا العقل الذي يفقد نفسه بجرعة من الخمر لا يقوى على المعرفة الالهية ، العقل اجبن من ان يرفع الحجاب ويسير قدما الى الحبيب ، انه اول الخلق ولكنه لم يروجه الحبيب قط . انه لا يعرف صورة نفسه وان عرف الافا من الاسرار ولا علم له بالجوهر الذي لا يجد لانه ضل عن نفسه .

دولي يابب الشرعية لكي يكون لهذا الكيان ما يبرر وجوده الفعلي واستمراره القانوني وما يعطي لهذا الوجود والاستمرار مفهومهما العقلي الاصيل ، والى كل ذلك فان الظروف السياسية التي رافقت نشوء العهد الحالي بموريطانيا وكانت اساسا لقيام المؤسسات التي يستند عليها وجوده . هذه الظروف تعبر دائما على درجة عظيمة من الالتواء والغموض وشكل مظهر تآمر سياسي واضح المعالم والمفهوم ، فعملية الاستفتاء التي افحمها النظام الدوكولي منذ سنتين على سكان المستعمرات والمحميات والتي تعتبر من بين التدرجات السياسية المؤدية الى قيام الوضع الحالي بموريطانيا ، هذه العملية لا تنطوي بالفعل على قيمة حقوقية ثابتة لان الظروف التي تمت فيها لم تكن عادية ولا طبيعية . بل انها كانت تشكل مجرد استمرار للجو الاستبدادي التحكمي الذي تميز جميع الاوضاع الاستعمارية في العالم . هذا الى ان صيغة هذا الاستفتاء لم تكن على شكل تكفي لاستيعاب جميع مضامين الاتجاه السياسي لشعب موريطانيا كالميل مثلا الى اعادة اقرار الوحدة المغربية عن طريق الالتحام بين اجزاء المغرب في الشمال والجنوب . وانعدام الشرعية بهذه الصورة لا يتمثل في عمليات الاستفتاء تلك فقط . بل يتجلى كذلك فيما اعقب تلك العملية من بوادر سياسية ودستورية مختلفة تهدف في جوهرها الى اقامة مؤسسات سياسية مفتعلة واصطناع كيان دولي غير طبيعي وذلك عن طريق اجراء انتخابات تشريعية مظهرية وتنصيب مجلس وطني شورى ووضع دستور قومي مرتجل .

هذا الى ان الوضع القائم في موريطانيا عن طريق هذه الاساليب لا يفتأ يواجه من الاعتراضات على الصعيد الدولي ما تعتبر ذا دلالة خطيرة على مستقبله ووجوده . لان الاعتراضات الموجهة لهذا الوضع لا تتناول فقط مجرد سلوك القائمين عليه او تستهدف مذاهبهم واتجاهاتهم . بل انها تمس الاسس الجوهرية التي ترتكز عليها مبدأ وجوده والمعطيات القانونية التي تبرر نشوءه واستمراره .

وحالة موريطانيا في هذا الامر تماثل الحالة التي خلفها قيام الكيان الاسرائيلي في ارض فلسطين سنة 1948 ، فقد صادر اليهود هم ايضا حيزا ارضيا تؤول ملكيته الى الغير ، واقاموا على هذا الحيز كيانا قوميا مصطنعا لا يتمتع بأي قسط من التماسك والتجانس وتسود وجوده حالة من التوتر الدولي الدائم تجعله عرضة للتهديد المباشر غير المنقطع، وقد كلف وجود هذا النظام الامن والاستقرار في الشرق الاوسط ثمنا باهظا ، بل ان الاحتكاكات المسلحة الناشئة عنه كادت تؤدي في كثير من الحالات الى اصابة السلام العالمي في الصميم ، مثل ما حدث غداة اقدام القوات الاسرائيلية على اجتياح سينا . والمساندات الدولية الحادة التي اعقبت ذلك والتي تمثل بعضها في الانذار الموجه من طرف السوفييت الى حكومات فرنسا والمملكة المتحدة ، وتمثل بعضها الاخر في توتر العلائق بين امريكا وحلفائها الغربيين المهاجمين بشكل حاد وقوى المفعول . وواضح ان استمرار وجود الكيان الاسرائيلي — وارتباطات هذا الكيان بمسائل التجزئات الاستعمارية — لن يكون مطلقا عامل تهدئة واستقرار في انحاء الوطن العربي . بل انه يساعد بالعكس على استمرار وجود حالة التوتر المشحون بمختلف الامكانيات الانفجارية التي لم تكن حملة سيناء الا احدى الشرارات المنبعثة عنها . وهكذا الامر بالنسبة للوضع القائم في موريطانيا المغربية . فقد نشأ هذا الوضع العرب وظلال التآمر الدولي تكتنف جوانبه وتضفي على وجوده اردية قاتمة ملؤها الغموض والريب والالتواء . وبقدر ما يمتد به الوجود بقدر ما تزداد عناصر الانفعال والتناقض والتضاد التي صاحبت نشوءه وشوحا وبروزا . ولو ان الحالة التي خلفها هذا الوضع كانت تشكل مجرد معضلة قانونية نظرية لا تأثير لها على الصعيد العملي الذي يتصل فعليا بواقع العلاقات القائمة بين الدول والحكومات والمنظمات العالمية وعبرها . لو كانت الحالة القائمة في موريطانيا بهذه المثابة لكان من الجائز ان تكون اقل اثارة لمشاعر الحذر والريب الذي يثيره وجودها في كثير من المحافل الدولية في العالم . الا ان الواقع الذي تمثله هذه الحالة يتجلى في خطورة النتائج المنبثقة عنها ، هذه النتائج التي ليست — في جوهر الامر — مطلق نظريات وفروض مجردة بل انها ذات فعالية حقيقية وتاثير قوي غير محدود . ومن شانها ان ساهم في تحريف كثير من الحقائق والوقائع التاريخية والاجتماعية والجغرافية والانسانية الثابتة وتشكل اساسا للنيل من سلامة ووحدة كيان قومي مرتكز على اساس هذه الحقائق والوقائع وتفضي في النهاية الى فرض حالات سياسية ودولية معينة تنسجم مع وجهات النظر التوسعية العامة وتقوم على اساسها . ومن المؤكد ان استمرار حالات من هذا النوع كالحالة القائمة في اقليم موريطانيا ليس مما تعين عادة على تدعيم عوامل الاستقرار العام في اية منطقة كان ذلك من مناطق العالم ، وليس هناك

كبير من نواحي العالم ووجد ولا شك اساسا لنسوء ونطور كثير من الاوضاع المسببه والانفصاليه التي تعاني منها بعض الشعوب الصغيره في آسيا وافريقيا وفي غير آسيا وافريقيا ايضا. هذه الحالات التآمريه المشبوبه هي بالطبع وليده نفس الاسباب والعوامل التي قادت الحكومه الفرنسيه الى احتضان العهد الحالي بموريطانيا. وقد يبدو شيئا عاديا جدا ان يعمد الفرنسيون – في هذا الصدد – الى انتهاج نفس الاساليب والطرق التي سلكها الهولانديون في ايندونيسيا والبلجيكيون في جمهوريه الكونغو والروس في ايران واخرون في اقطار عديده اخرى غير هذه. الا ان الذي يبدو غير عادي كثيرا ان يلجأ الفرنسيون – فوق ذلك – الى توسيع مفهوم اللامشروعيه التي تتسم بها الوضع الحالي بموريطانيا وذلك الى درجه تفوق في مداها حدود المفهوم العادي للتآمر وتتجاوز بكثير المستوى الذي بلغته بعض المناورات الدوليه الاخرى في هذا الميدان. ولناخذ قضية الاعتراف بالانظمة الانفصاليه كمثال: فقد انقضى فعلا – على قيام العهد الانفصالي بكاطانكا ما يربو على السبعه شهور، ومع ذلك فان الحكومه البلجيكيه لم تجرىء لحد الآن على الاعتراف به اعترافا علنيا رسميا كما تقتضي بذلك اصول المناهج الفرنسيه في هذا المجال. بل ان مجموع الوضع القائم بهذا الاقليم الكونغولي لا يزال – على العموم – متجمدا من الناحيه الديبلوماسيه والدوليه ويكاد مستوى هذا التجمد يصل – في بعض الصور – الى درجه الاختناق الذاتي نتيجه العزلة القاسيه التي تحيط بالنظام الانفصالي الكاطانكي والعراقيل القانونيه والدوليه التي تحول بينه وبين الانطلاق نحو الاهداف الموحاة من قيامه. وهكذا الشأن بالنسبه لدوله المناجم التي يقودها «كالونجي» في اقليم «كاساي» وغير ذلك من الانظمه الانفصاليه بالكونغو التي تؤول اصولها في كثير من الحالات الى ايحاءات وتدخلات اجنبيه سافره او مبطنة. على ان موقف الحكومه الهولانديه من قضيه ايريان الغربيه لا يختلف عن هذا كثيرا، فالمسؤولون في لاهاي لم يقدموا لحد الآن على اتخاذ الخطوات المؤديه الى تحديد صبغه نهائية لهذا الاقليم الاندونيسي. كما انه لم يبد منهم بعد ما يوحي بامكانيه تحويله الى كيان دولي قائم الذات يعرض على عضويه الامم المتحدة ويتجذب له المعترفون والمباركون من بين الاصدقاء والشركاء.

اما موقف الحكومه الفرنسيه من موريطانيا فقد كان شيئا غير هذا، وكان – الى ذلك – وكما ذكرنا من قبل – على جانب كبير من الغرابة والشذوذ وخاصة بالنسبة لبعض الاعتبارات التي تتصل بمبادىء القانون الدولي العام، ووجه الغرابة في هذا الموقف لا ينحصر فيما يعبر عنه من تطاول على البديهيات القانونيه الدوليه كاصطناع الكيانات القوميه قسرا واعتباطا، واقتطاع الاراضي التابعه لدول مستقلة ناجزة السياده واستخدامها مجالا لافتعال الانظمه السياسية المفروضة ووسيلة لاصطناع الوحدات الدوليه غير الطبيعية، ان وجه الغرابة لا ينحصر في هذا فقط، بل انه يبدو اكثر من ذلك في اجراء الحكومه الفرنسيه على ارتكاب سوابق خطيره في الحقل الدولي وذلك بمحاولتها اقحام موريطانيا على المحافل والمؤسسات الدولية الكبرى كهيئة الامم المتحده وغيرها. لقد كان من الممكن ان يكون ترشيح موريطانيا لعضويه المنظمه الامميه اقل غرابة لو ان الوضع في هذا الاقليم المغربي كان يتوفر على بعض المقومات القانونيه الاساسيه التي تحوله ولو قليلا من مظاهر التبعيه الدوليه التابتة. كان من الجائز حينئذ ان تكون هذا الترشيح دون مستوى الغرابه التي تتسم بها عمليا الآن، لكن السيء الاساسي الذى ينقص هذا الوضع بالفعل هو مثانه القاعده السياسيه والقانونية التي اتخذت اساسا لاقامه بنيانه وتوفر المقومات الضروريه التي تجعله جديرا بالانتساب للامم المتحده ومنظماتها وهيئاتها وقادرا على تحمل مسؤوليات العضويه فيها واحترام المقتضيات الناتجه عن هذه العضويه. فالحيز الارضي القائم عليه هذا النظام لا يزال دائما موضوع حقوق قومية ثابتة تلح في المطالبة بها وتعتبر كل بوادر التصرف فيها – بصوره من الصور – مظهر انتهاك لسيادته ونادره مس خطيره بكيانه ووحدته وعدوانا سافرا على حقوقه الدائمه ومقومات شخصيته الدوليه الثابته. وتستند المطالبات المغربيه – في هذا الصدد – على عدد وافر من المستندات والمراجع القانونيه والتاريخيه والواقعيه التي لها قدر كبير من القيمه والاعتبار.

اما السكان – العنصر البشري للدوله – فان ولاءهم للوضع المصطنع في موريطانيا يعتبر – من وجهة النظر المغربيه – في حكم المعدوم، ولا يزال – من جهه اخرى – موضوع تشككات عميقة عند كثير من الحكومات الاجنبية كما دلت عليه مواقف عدد من وفود الدول غير الاطلسيه اثناء مناقشه موضوع موريطانيا بالامم المتحده، ومن البديهي ان الولاء الذي يربط بين السكان والجهاز المسير للدوله والذي يعتبر ذا صلة مباشره بموضوع الجنسية او الرعوية في اية دولة من الدول، هذا الولاء يجب ان تتوفر مظاهره في كل كيان

معرض الكتب

على هامش



للأستاذ عبدالله الجراري

بمناسبة ذكرى مرور ألف ومائة سنة على تأسيس جامعة القرويين التي أقيمت حفلاتها يوم 10 أكتوبر سنة 1960 — تحركت قريحة الأستاذ الأخ محمد العابد الفاسي فحرر كتابه القيم « الخزانة العلمية بالمغرب » .

الكتاب الذي يعد الوحيد من نوعه رغم أن هناك مؤلفات عرضت لذكر بعض الخزائن العلمية بالمغرب في اقتضاب وإلمام لا يكاد يروي غلة المتطلع .

وإذ كان الكتاب بهذا الاعتبار حيث عرض فيه الباحث الفاسي للمكتبة المغربية عبر مراحل التاريخ الإسلامي العلمي بالمغرب . حبب إلى الكاتب الجراري أن يتجول في جنبات تحويه القيمة مقدرا جهود الأخ وعناءه الفردي الذي لا تحسبه إلا من وقف مواقفه وقلب صفحات النوادر والغرائب والخروم والخزانات المبعثرة داخل الرفوف كطعمة للأرضة والعنكبوت . رغبة في مشاركته ولو من بعد . والأمل أن لا يظن الأخ في هذه المشاركة تعقيبا عليه فيما كتب أو ما يمس بمكانته العلمية لاسيما في أمثال هذا الموضوع الجديد الذي يعد الأول في بابه والذي يستحق التقريظ والتقدير من الكتاب والباحثين ، لذا فالجراري يهنيء الأستاذ الفاسي في محاولته البكر في الموضوع متمنيا له مزيد العون والنشاط .

وها هو الكاتب يجول في زوايا الخزانة تطلعا منه لاقتناء ما تحويه من نفائس ودرر غالية كان الوصول إليها عسر المنال لولا الجهود، والجهود الجبارة الموفقة .

جاء في ص 5 ما قرأناه في بحث نشر في مجلة المغرب التي كانت تصدر بالرباط : أن معاوية بن أبي سفيان كانت له مكتبة بالشام ولها خدمة وأعوان يعاونون على إحضارها له وقراءتها عليه . يجلس لذلك في أوقات معينة لا يتخطاها ، كما للمسعودي في مروج الذهب وغيره .

الذي يعطيه ظروف الإسلام الأولى وحداثتها المبكرة التي لم تكن تشتغل بسوى بثه في الصدور عن طريق الكتاب والسنة الشفاهية في كثير من الأحيان . أو الحكمة التي كان يوفق إليها البعض ممن أوتوا فقها وفهما أن الاعتماد لم يكن على غير ما ذكر . وطبيعي أن زمان معاوية بعد غضا في هذا الباب لم يبرع فيه شمس التأليف بالمعنى الواسع الذي ينجم عنه وجود مجلدات تحوي معالم العلوم والفنون على اختلاف مشاربها وميول المعاصرين لها لحد يستدعي إحداث مكتبة تضم أسفارها ومجلداتها .

فالتأليف لهذا العهد الرطيب لا زال لم يدرج على رجليه . فأحرى أن تكون فيه أجزاء ومجلدات ، لذا فالذي أراه في الموضوع أن المكتبة التي كانت لمعاوية بالشام لها قيمون وأعوان يقومون بقراءتها من الخليفة وإحضارها له في أوقات معينة . إنما هي الدفاتر المحتوية على سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد ، والظن أن هذا لا يستدعي مكتبة لها ما لها من القيمين والأعوان . اللهم إلا إذا أضيف إليها دواوين من قبله من الخلفاء كعمر، رضي الله عنه. أو أن المكتبة كانت تضم فيما تضم من دفاتر مجلدات الخزائن الرومانية والفارسية وفيما كان فيه بعض من ذكر من العلماء يشتغل علاوة على الترتيب والتنظيم بترجمتها وحل ما بها من تراتيب إدارية وسياسية لابد للدولة من معرفتها والسير على غرارها إن هي أرادت بلوغ الهدف المرغوب فيه لدى الدول والحكومات ، لاسيما وقد أصبحت الدولة الإسلامية تحتك بغيرها من دول العالم بما كان لها من فتوحات . فترى من أنظمتها وعاداتها ما لا تجد معه بدا من اقتباس محاسنه وإدخال ما يساعد تعاليم الإسلام على إدخاله من عوائد . كل هذا نحمله لفظ مكتبة في هذا العصر الأول للإسلام وإن لم يرد في كلمة المسعودي، وإنما الوارد فيه : الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها

ما يبيح الاعتقاد بان الحالة الموريطانية بمفردها قد تشذ عن هذه الحتمية التاريخية الصحيحة دائما، ان العكس هو الصحيح في الواقع ، فالقضية الموريطانية – كغيرها من قضايا التجزئة المفروضة – من شأنها ان تفضي الى قيام حالة قلقة وغير مستقرة في غرب الضفة الجنوبية للبحر الابيض المتوسط والصحراء الكبرى ، وليس من ريب في ان نشوء مثل هذه الحالة في قطاع دولي حساس وهام كقطاع الشمال الافريقي يفضي بالطبع الى احداث آثار بعيدة المفعول على سير العلاقات الدولية بين شعوبه او بعضها على الاقل وبين فرنسا والجهاز الدولي الضخم الذي يسبح في فلكها . ومن الجائز جدا ان تؤدي كل ذلك الى انفتاح آفاق جديدة في رقعة النزاعات الدولية الحادة وقيام حالة اخرى من حالات الصراع الاقليمي المتواصل تماثل في ملابساته وتدخلاته العالمية ذلك النوع من النزاع الحاد والدائم الذي يوجد بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل .

وقد يبدو الحديث عن هذه الامكانيات الدولية الخطيرة التي ينطوي عليها استمرار الوضع الحالي بموريطانيا والصحراء الكبرى – قد يبدو الحديث عن ذلك يحمل هذه الصورة مكتسيا صبغة المبالغة والتهويل ولكن قليلا من التامل في الجوانب التي تحيط بنشأة وتطور كثير من الاوضاع المماثلة التي لا تفتأ تساهم في تسميم اجواء الافق الدولي باستمرار كالوضع في الفيتنام وكوريا والمانيا وفلسطين وغيرها – ان قليلا من امعان النظر في مثل هذه الاوضاع عبر الطبيعية قد يغني في الدلالة على ما يمكن ان تؤدي اليه عمليات التجزئة المصطنعة من صعوبات دولية معقدة على الرغم من اختلاف الظروف التي يمكن ان تكون سببا في وقوع هذه التجزئة ومن الجلي ان المقدمات التآمرية التي افضت الى عزل موريطانيا عن المغرب من شانها ان تقود الى ابراز نفس الصعوبات الدولية بكل ما تنطوي عليه من تشعب وتعقيد . وما تحمله في تضاعيفها من تاثير على الاستقرار الدولي العام . لان النتائج التي من الطبيعي ان تؤدي اليها هذه المقدمات في موريطانيا هي نفس النتائج التي كانت اساسا لخطورة الاحوال الدولية بالشرق الاقصى والشرق الاوسط واواسط اوربا نتيجة الاوضاع المقسمة المفروضة على شعوب هذه المناطق ، واذا كانت الاحوال الحاضرة بموريطانيا تبدو في مظهر يوحي ببعض الهدوء النسبي فان الامكانيات الانفجارية التي تزخر بها القضية الموريطانية من شانها ان تعصف بهذا الهدوء وتاتي عليه في اي وقت من الاوقات ، والحق انه من الصعب تقدير هذه الامكانيات تقديرا صحيحا ودقيقا ، الا ان الذي يبدو مؤكدا ان النتائج التي قد تنبثق عنها لابد ان تكون على درجة من الاهمية والخطورة سواء على الصعيد القاري الافريقي او على الصعيد الاقليمي المتوسط ، ومن بين هذه النتائج :

1 – قيام حالة من التوتر السياسي والنفساني الناشيء عادة عن عمليات التجزئة والتقسيم في منطقة المغرب والصحراء مثل ما هو عليه الامر في كوريا والفيتنام والمانيا وغيرها .

2 – نشوء اوضاع في المنطقة تساعد – نتيجة لذلك – على وقوع مصادمات دولية حادة قد يكون لها تاثيرها على مستقبل العلاقات بيننا وبين الغرب .

3 – احتمال استفحال التدخل الدولي في موريطانيا واتساع نطاق التسربات الاجنبية الى الاقليم وما قد يعقب ذلك من آثار سيئة على حسن توازن العلاقات الدولية بافريقيا .

هذه بعض الامكانيات الخطيرة التي تحتضنها – بحق – وجود المشكلة الحالية بموريطانيا . وظهور المشكلة بهذا الشكل الحاد وانطواؤها على هذه الامكانيات يعود في المقام الاول الى مصادمتها للروح الحرة التي يجب ان تضبط جو العلاقات بين الامم والشعوب ومجافاتها للقيم المعنوية الخالدة التي ترتكز عليها مفاهيم الحرية الانسانية في مختلف الاقطار والامصار، على الرغم مما تبديه الدبلوماسية الفرنسية في هذا المضمار من تكلف سطحي بمبدأ حق تقرير المصير وحرص ظاهري على احترام مقتضياته بالنسبة للشعب المغربي في اقليم موريطانيا ، وهذا وجه آخر من اوجه التناقض والتهافت الذي تطبع به المناهج الاستعمارية الفرنسية في هذا الميدان .

ـــــــــــــع

وراء هذا الانصال الحي من مسائل لولاه لبقيت ندور فى عالم الاستباك والالتباس وقد اكتنف جوانبها الغموض . اذا لا ضير يلحق هذا العصر اذا ما خلا من خزائن تضم ما يمكن ان تكون هيء من دفاتر علميه . على اننا قد نجترىء مكتفين برجالات كانوا أوعية للعلم . خزائن حيه تدب على ارجلها مستندين فى نفس الوقت قول المعتز بذاكرته وقوة فطنته اللافظة :

ليس بعلم ما حوى القمطر　　ما العلم الا ما حواه الصدر

وجاء فى ص 10 اثناء الحديث عن الخزانة ايام الموحدين — واملاك الخزانه بالمدونة وشروحها وكتاب النوادر والزيادات والمختصر الخ . لا أدرى ماذا يعنى الاخ بالمختصر أهو مختصر عثمان بن الحاجب المسمى بمنتهى السول والامل . وهو المتادر . او مختصر ابى العباس خليل الفقهاء . والاستاد على بينة من ان هذا لم يحلق الا اواسط القرن الثامن الهجرى الذي هو عصر الدوله المرينيه الاحمر . فكان بيان نوع المختصر مما يتأكد توضيحه اذ ليس فى استطاعه كل قارىء ان يدرك تاريخ المختصرين ومصنفيهما . على ان هناك مختصرات شتى فى مختلف العلوم والفنون .

ووقع ص 20 — اثناء الكلام عن الحركه العلميه والثقافيه ايام أبى عنان — والانديه التى كانت تعقد فى تلك المجالس المشرفه حيث تعرض لذلك ابو الوليد اسماعيل بن الاحمر فى شرحه على برده البوصيرى . ونقل بعض ذلك مختصره ابو زيد عبد الرحمن الجادرى عند قول المادح :

لعل رحمه ربى حين يقسمها
تأتى على حسب العصيان فى القسم

الذى عرفناه عن تلك الحركه العلميه الداله على ذهنيه العصر المرينى وعن المذاكره التى كان محورها نفس بيت البوصيرى انها وقعت بين يدى ابى سعيد المرينى جد ابى عنان فارس بن ابي الحسن . وجرت المذاكره فى المجلس السلطانى بحضور عليه القوم من ابناء المعرفة حول البيت حيث القى السلطان ابو سعيد سؤالا على الحاضرين مضمنه : كيف يصح ان يقسم الرحمة على العاصين وحدهم ؟ وماذا سيكون حظ المطيعين منها وقد وزعت على المجرمين ؟ فوجم الكل ولم يحيروا جوابا ، الا ما كان من ابي الوليد بن الاحمر ، وكان اصغر القوم ، فتجرد للجواب متسلحا بسلاح الشجاعه الادبية التى تتوفر عليها الشباب ، والسابقات فى كل عصر رمز القوه والبطولة قائلا : ان طاعه المطيع واعماله البريه لتعد وحدها رحمة بل عين الرحمة ، على ان قول الله تعالى فى سورة الاعراف : (ورحمتي وسعت كل شيء) تتناول العاصين والمطيعين باوسع ما تحمله الرحمه . والقصية تعرض لها الاديب ابو القاسم بن رضوان فى كتابه السياسى المشتمل على اربعين بابا — بسط فيه محاسن السلطان ابي سعيد وولده ابى الحسن — كما اخبرني بذلك المؤرخ المرحوم محمد بن علي السلوي صاحب ادواح البستان ، والاتحاف والوجيز وغيرهما من القلائد القيمه . والنقل الذي ساقه الاخ عن مختصر الجادري لشرح ابى الوليد على البرده لا يمنع من تعدد القضية وتواطئها على نفس الموضوع الواحد . انما كان بالود لو يتمم الاخ الحكايه ويسطر نتيجة ما دار فى المجلس حول البيت من بحوث ليتبين القضيه اكثر ويتجلى التوافق (لو كان) باجلى مظهر كفرع منه وان نأ عن موضوع الخزانة ، والامل وطيد ان تحظى المعلمه المرينية وموضوعاتها الفنيه بروايتها المفرقه فى المكتبات هنا وهناك بكتاب ابى القاسم السياسى الذى كان احد الحضور ليقع التقابل بين البحث الذي تناوله كل من الرجلين اللذين شاركا فى الندوه .

وما دام القلم يتحدث عن الخزانه المرينية فلا بأس ان اسجل فى هذا الهامش ما وجدته فى اوراقى العلمية نقلا عن بعض المؤرخين الثقات : فعندما احتل البرتغال مدينته سبته سنه 818 هـ (1416 م) ايام ابي سعيد المرينى المعروف بالصغير — وجدبها ست عشره خزانه علميه عموميه محتويه على المعدات والمرافق الضرورية لحفظها وعمومتها التى تتطلب فى المقدمه القيمين ، فوجود هذا القدر من الخزائن العموميه باحدى مدن المغرب هو وحده برهان ساطع على ما كان للمعرفة والثقافه من كبير العناية فى الوسط المغربي . وليس هذا بالغريب ان توجد هذه الثروه الثقافيه بمدينة سبته المغربية . وقد نبغت من رجالات الثقافه وشتى الميادين العلميه والفنيه طوال عهودها المشرفه ما كان نتيجه لجهود وجهود بذر اصولها علماء افذاذ امثال ابن مرانه القرطبى السبتي ، وابن عذارى الخطيب . وابن عطاء الكاتب ، والقاضى عياض الذى افردها بكتاب خاص « الغصون اليانعة » وابن رشيد صاحب الرحله « ملء العيبة » وغيرهم كثير . وختاما اهنىء الاخ على تحريره القيم بعد الحاحي عليه فى اعادة طبعه مره اخرى رفعا لما وقع فيه من تشويه مطبعي قد يقلق الكثير ويعرقل نشاط المطالع المستفيد .

والحروب والمكايد (رقم 425 ج 2 من مروج المسعودي على هامش نفح الطيب) وهي ما كثرت تستدعي طبعا خزائنه ومكتبة تضمها . على ان حركة الكتاب وظهوره في الميدان الثقافي واتخاذ العدة لوضعه في رفوف اوليه ما ابتدأ ياخذ اتجاهه ونظامه الا ايام حفيد معاوية — خالد بن يزيد — الذي جعل يشتغل بترجمة الكتب العلمية والرياضية لحد اندفع فيه هو نفسه للتاليف والتصنيف فكتب عدة كتب منها كتاب الحرارات ، وكتاب الصحيفة الكبير . وكتاب الصحيفة الصغير وكتاب وصيته لابنه في الصنعة .

أما العلوم الاسلامية من تفسير وحديث وسير ومغازي وملاحم فما اتجه اليها علماؤنا واشتغلوا بالكتابة فيها الا اواسط القرن الثاني . حتى ذكروا ان اول من اعتنى بالتدوين والتاليف فيها هو ابن جريج عبد الملك الرومي المتوفى سنة 150 كابي حنيفة .

وابن جريج أول الذين   قد دونوا الكتب لنا تدوينا

وليسمح لي الاستاذ اذا ما حادثته في صفاء ، ذلك انه يورد أحيانا نقوله عن بعض المجلات كنتيجة لمطالعاته فيقول (قرأت في بحث منشور في مجلة المغرب التي كانت تصدر بالرباط وكنت قرأت في احد أجزاء مجلة المجمع العلمي العربي نقلا عن تاريخ ابن فياض وما الى هذا ، ووجدت في اوراقي الخاصة نقلا عن بعض المصادر الى ان احصي الخ) قائلا للاخ سهيلا على القارىء والمطالع لو انه بين سنة المجلة وشهرها وعددها رغبة في اهتداء الولوع باسرع ما يمكن لمراجعة الموضوع في المصدر ورغبة كذلك في التمكن من جهة . وطلبا لمزيد الاتساع في الاستفادة من جهة اخرى . مع احترام مطالعات الاخ ومباركة وعيه وثبات مذكرته .

ورد في ص 6 : في الوقت الذي أخلدنا فيه نحن أهل البلاد الى الكسل والانزواء الى آخر عباراته : ماله ابناء نشاط علماء الاستشراق وتقديرهم للثقافات وخدمتهم الثقافة العربية الاندلسية فيما خدموا . نعم حضرة الاخ انها لظاهرة سيئة اذا ما ورد خاطرها على النفس ونفس الولوع على الاخص ، تكاد تتميز غيظا من عارها ، انها ورب الكعبة حالة مزرية قد لا تورع عن الصاق العار بالكتاب والادباء المنزوين في بروجهم العاجية كنظارة ليس لهم من الاشراف الا الازدراء بالعاملين والمنتجين . والذي اراه في دائرة الاخلاد والكسل انهما ظاهرتان ناشئتان عن اهمال الجهود وفقدان التشجيع لا ماديا ولا ادبيا . وتلك بحق الداهية الفاتنة والخانقة لذكاء الاذكياء ونبوغ النبغاء ، والعامل الاكبر على انزوائهم في زوايا الاهمال والخمول واقبارهم في النهاية . وحرمان النشء الناشىء والاجيال القادمة من تجاربهم العلمية ومعارفهم الفنية ، هذا ما اراه كعامل قوي في فرض هذا الانزواء على الباحثين والموهوبين . وحتى اذا ما سمعنا مرة بتشجيع نوع تلقائي ظهر في اجواء البعث للقرائح فليس هو بالتشجيع المنشرف الذي ينهض بالنبغاء الى المستوى اللائق كدافع لهم على المضي في الانتاج واستدرار ما بعصارة افكارهم من مكنونات ذهنية ناهضة تشق الطريق أمام رواد الثقافة ورجالات الادب والكتاب منهم بمعنى اوسع وفيما لا تذر للعاجزين عذرا يدفع بامثالهم للانزواء والانكماش .

وفي هذه الاثناء تبين الصبح لذي عينين . وتقوم الحجة جلية واضحة على المخلدين للكسل والراحة ، ولا اطيل بالقارىء في الموضوع اذ المجال فيه افسح .

جاء في ص 7 والمسلمون الذين عرفوا بتحبيس الفرس وءالات الحرب في الجهادعلى المسلمين لا نظن بهم انهم اهملوا تحبيس الكتب التي هي طريق المعرفة والارشاد الخ الفقرات . فبعدالاتفاق مع الاخ الكاتب على ما كان المسلمون يقومون به في تلك العصور المشرقةمن تعاون مثمر تسير حسبما توحي به تعاليم الاسلام الطيبة . وبقطع النظر عن كون التاريخ يغفل ما يغفل من وقائع واحداث ، اشارته ان الواقع في هذه الناحية بالنسبة للكتب والتاليف لا يساعد على القيام بمثل ما حبس لتركيز الوحدة وحماية البيضة اذ التصنيف في تلك العصور الاولى ما زال لم ياخذ طريقه الواسع فتكثر التآليف والمؤلفات في غير ما مادة من مواد العصر مما يتطلب بطبيعة الحال خزائن ومكتبات . انضف الى هذا ان الكتابة ومحسنيها في الظرف المتحدث عنه (اواخر القرن الثاني الهجري) كانوا قلة حيث الامية ضاربة اطنابها في الاوساط المسلمة خصوصا بالمغرب . ثم ماذا عسى ان يرد على المغرب العربي من تراث الشرق وانتاج كتابه والتاليف لا يزال حديث عهد بأرضه وترابه . اللهم الا ما كان من الكتاب العربي ومصاحفه المقدسة ، اذ المسلمون في عهودهم الاولى كانوا قبل ان يتجردوا للتصنيف والتحرير وبعث القرائح للتسجيل والبحث في عمق وعاة للعلم حفاظا للمبادىء والتعاليم ، يضربون اكباد الابل لتلقيه وأخذ معارفه بطريق المباشرة واحتكاك الافكار ، ووضع الحقائق على محك البحث الصحيح ، واستخلاص ما

ءاه منـــه كيـــف ضـــاعـــا !

لا تسلني هل درى التـــا عـر من نفـرا سعـــره !
هـل تملـى النـاس مغـزاه وتمـــوا منـــه عطـــره ؟
ام رســوه وهـــو حـــى وبنـوا بـالهــدم قبــره
لا تسلني عـن مكـان الشـــ ـــعر فى عـالـــم ذره
كـل هـذا ضـاع منــــى وخلـــت منـــه يـــدايـــا

ءاه منـــه كيـــف ضـــاعـــا !

قل لهم ان يرجمـوا الـــا عـر يـومـا بالحجـــاره
فلقـــد يرغمهـــم يـــو مـــا ليبنوهـــا منـــارة
لا تسلـــى كـم تعانـــي الـــ ـــفكر من هـــذي المـــراره
كـــل هـــدا غـــاب عنــــى وخلـــت منـــه يـــدايـــا

ءاه منـــه كيـــف ضـــاعـــا !

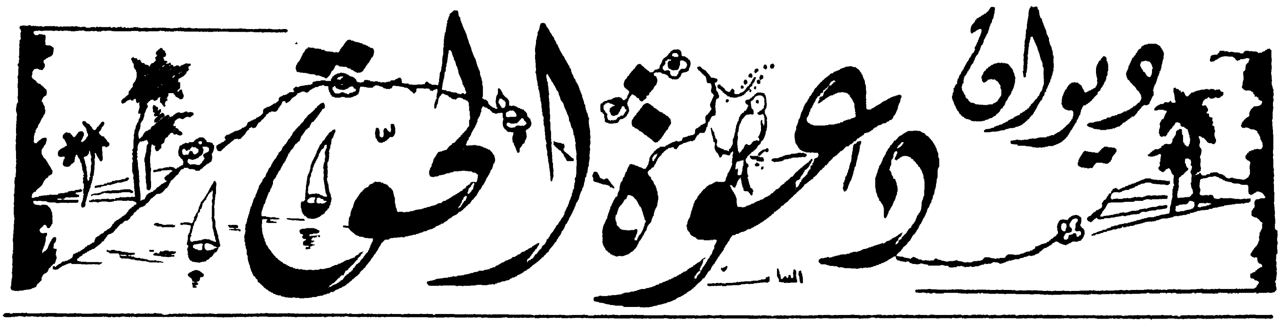
ان تكـن تعـرف مـن انـــ ـــت فقـل لى من انـــا
فلقـــد العـــب نفـــى فى مكـــانـــي ها هـــنـــا
أى شـــيء كنـــت قبـــل العـــ ـــس فى هـــدى الدنـــى
سوف امضـــي والـــى ابـــن ؟ ولم حنيت ى وما هدا العنا ؟
كـــل هـــدا غـــاب عنـــى وخلـــت منـــه يـــدايـــا

ءاه منـــه كيـــف ضـــاعـــا !

لا تسلنـــى وانـــا أجـــد ف فى اللحـــه وحـــدي
عن اخي الانسان هـــل ضـــ ـــع ام أوفـــى بعهـــدى ؟
ءاه كـــم لاقيـــت منـــ ـــه وانـا فى ظـــل مهـــدى
لا تسلنـــي هـــو مـــن آدم امـــن نســـل قـــرد !
كـــل هـــدا غـــاب عنـــى وخلـــت منـــه يـــدايـــا

ءاه منـــه كيـــف ضـــاعـــا !

خلني أمسي علـى رغمـــي وســـر انـــت ورايـــا
لا تسلنـــي فانـــا اخـــرس رمـــت سفتـــابـــا
مغمـــض العينـــين لا تعـــر ف قصـــدى وقدمـــا
ـــر الـــى اللـــه فلن نخـــ ـــشى الى الله الضـــلالا
وأرح نفســـك لا تطـــ ـــمح لســـر لـــن تنـــالا



لا تسلني

للشاعر محمد الحلوي

لا تسلني عن شرودي   واكتئابي وابتئاسي
لا تثر قصة حزني   لم يعد فيه مواسي
لا تسلني أين لحني   أين حبي ؟ أين كاسي ؟
كل هذا ضاع مني   وخلت منه يدايا

آه منه كيف ضاعا !

لا تسلني كيف جفـ   ـت زهرة العمر النضير
ومشى بي القدر العا   تي الى هذا المصير
لا تسلني عن هوى أيـ   ـنع في القلب الغرير
كل هذا ضاع مني   وخلت منه يدايا

آه منه كيف ضاعا !

لا تسلني عن عشايا   ي على نهر سبو
فوق بسط خضلات   ماج فيها الذهب
والصبايا تتهادى   بيننا او تثب
ليس للمفتون فيها   مطمع او مهرب
كل هذا ضاع مني   وخلت منه يدايا

آه منه كيف ضاعا !

ذكريات ليتها ولـ   ـت كما ولى شبابي
لم تزدني غير شوق   لمعانيها العذاب
اين أيامي التي لم   تخل يوما من عذاب ؟!
كل هذا ضاع مني   وخلت منه يدايا

موريطانيا

للشاعر: احمد البقالي

سفت قومي احقافها الذاريات (×) — فقطب اخاديدها العاريات
وامطرها المزن غيثا هتونا — فروى مساربها الظامئات
والبسها سندسا ونضارا — واحيى مرابع كانت موات
وغنت بلابلها في رياض — تغن بواحاتها المعشبات
فآسادها ربع في البراري — تطارد آرامها الشاردات
وفي الفجر حين يسيل الضياء — فتغرق انجمها الحالمات . .
تماوج الحانه في الفيافي — فتسمع اصداءها الكائنات
تماوج بين الربى والتلال — لترجع امواتها للحياة
وفي خيمة اعين شاخصات — الى الشرق بالدمع مغرورقات
وقد راعهن جمال الوجود — فقمن لتمجيده بالصلاة
عيون ترى الله روحا وقلبا — فهن به أبدا مؤمنات
هم العرب اقوى الرجال قلوبا — واسبق قوم الى المكرمات
فكم ملأوا الارض عدلا — وكم صنعوا قبل من معجزات
فان طال نومهم فغدا — سننفي عيونهم الساهرات
غدا سوف نرجع بعد اغتراب — طويل من السجن والظلمات
غدا سوف ننفض عن كتبنا — غبارا من الاعصر الخاليات
سنحيي معالمنا الدارسات — ونملأ اسواقنا المقفرات
ونبني المدارس والجامعات — مشاعل للعلم والفلسفات
ونعطي انساننا كل شيء — من الخبز ، والماء ، للحريات
سنسبر اغوار هذي البحار — ونحصي لآلئها الغاليات
ونرسي قواعدنا في الفضاء — ونغزو كوكبة السائرات
ونخرس السنة الغرب عنا — باعمالنا الغر لا النيرات
فلن تغرب الشمس عن ارضنا — غدا او ننام عن الحادثات
سنصنع شمسا لنا لا تغيب — ومصلا يقاوم داء السبات

(×) عصفت قومي روابيها العواصف .

نور الله

للشاعر أحمد البقالي

حبا النور في « خلوة العابد » / على « جبل العلم » الخالد
وكنت أراه على بعده / من الخندق الموحش البارد

فيغمر بالانس قلبي الوحيد / ويغمر بالدفء روحي الشريد
ويملأني بهجة وحبورا / كأن لم أكن منه جد بعيد

خبا . بعد ان كان لا يختفي / مدى الليل . حتى انبلاج الصباح
ولو لف لألاءه كل ما / على الارض من ظلمة ورياح

لقد حجبته زحوف السحاب / وغطته اردية من ضباب
وضاعف ما كان من وحشة / ركود الظلام . وعواء الذئاب

وفي الفجر عاد الضياء البعيد / الى الومض في الخلوة النائية
فقد شمخت من خلال السحاب / ذرى « جبل العلم » العالية

فعاد الى اعيني انسه / وادفأ قلبي سناه الحبيب
واطربني ان اراه بعيدا / ولكنه من فؤادي قريب

وفي افق مترع بالضياء / تألق السهب كالنرجس
وقد سحبت اعين الكائنات / الى ومضها الحالم المؤنس

ولكنها لم تكن كشعاع / على « جبل العلم » الخالد
تغلغل في القلب كالحب اذ / تألق من « خلوة العابد »

تلك ارض الفردوس فجرت الخـا … طر شعرا على مـدى الابـام
قـد اعادت الـى الوجود حباه … فـوقتهـا انامـل الافـلام
وامدت مـن الهـوى كل نفس … جرعت قبل ذاك مر الفطام
وحب للفـؤاد لما الاحـ … في حسر الساب خمر وسام
حبب روض الوجود توحي بسعر … اطيب النفس من هديل الحمام
وبعور الاردان سسم سكرى … ننهل السحر من رحيق الغمام
ا اعنان هذه الارض فيحا … خلدتها ماويه الاعـوام
كم حيانا بدت بقصص بهاء … وجمالا سقاه غيم الرهام
ومروجا غدت مدى الدهر ماوى … لصروب الاطلاء والارآم
واراها رياض من باسمن … باسمات الثغور والاكمام
ءل لمن حال اوجه الحسن سى … لبس سحرا بعدد الارقام !
لبس اسهى الى النفوس من حسن … لاح يعلو احقة الاهضام
كم غدا تذكر المكاء بهاها … ذكر ذاك الامام للاحرام
كم اراه سرمد في حلل العهـ … ـس ساحي اراهر الاكمام
ـل طير بدا بأود سدو … رافصا في مرابع الاحلام
ـ عل الفلك في هبات وسوق … حانحا دائما لاحلى بغام

*

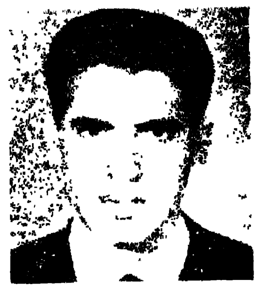
تلك تطوال غنى بها النـ … ـل وهرب مآثر الاهرام
قام سدو ابو الهول حيا … لبهاها في رهبة واسجام
وده فاس كالحمامه عنب … في ساب الرؤى وسرد المنام
كاناه سنى من الحسن والسحـ … ـر فيكون الفؤاد بعد وحام
باقه السحر في سمس مصرا … هانا هي سنا رواء الانام

*

تلك ارض تحن افئده السعـ … ـب اليها وترتمي كالسهام
امه في السحاء قد بلغت او … ج التسامي ومنتهى الاكرام
تلك ارض الاباه حققت النصـ … ـر لشعب تدين بالاسلام
تلك ارض الفطاحل امسب … تقوى بعزمه الاقدام
لا تهاب العراك حتى ولو ا … ل بها للحتوف والاعدام

تلك أرضُ الفردوس

للشاعر احمد سعيد التازي



حـو للنـاي ان سـردد لحنـــا
طـب الوفـع سـاحـر الانغـــام

جاعـلا منـك يـا مرابـع اجـدا
دى رمـر العـلا ودار مغـــام

فـك غصن الحـاه سـدو نصـرا
مائـدا مـن معاسـف الانسـام

برفل القلب فى حوائـه سـوا
ن بـال الهـوى وكـاس الغـرام

ضاع سه السدا وفـاح ومنـه
ساعـت اللحـن رسـة الرسام

فـنـه انـت فى الحـاه وجـود
ساهـى وسـاة الالهـام

لـس سحر الجمال فيك عسـ
ـه رياب الدحى وموح الظلام

انـت نور فى عهـب اللـه الدجـ
ـنا وشمس الضحى وبدر التمام

قد نعـت سـحر وجهك حور الـ
ـعين بدى دلالهـا فى ابتسام

وتعالـى علـى محياك مسـح الـ
ـحسن يزهى بدائـع الاحكـام

نفس منك ننفـح الـروح حـى
فى حنايـا الاموات والاجسـام

تصـرم الحب فى نفوس ظمـاء
لحـياه مداهـا نـبل المـرام

ان يوم العقـود فى جـدك البـا
ـسـن سـمى مواهـب الاقـوام

*

قد ارحـت القنـاع عن بسمـات
عـرئـت فى تمـوج الاوهـام

وارلـت العقـال عن كـل لـب
بـات يشكو تراحـم الاسقـام

فلك ازل يزهو وفيـك فـساد
نعـالـى وعـاطـر الفـلام

فى منامى وفطنـى ∘ فى صلاتـى
فى سجـودى واثـر كـل سـلام

يبـدى القلـب هائمـا بك يـا ار
ض فاتـت المنـى ودار الـدوام

كل حو يا السك يهفـو ويصبـو
يرتجـى منـك نفحـة الاجمـام

هي تسعـى لترتوى من كـؤوس
مترعـات بذكريـات الوئـام

نسمة ظمـآى من مناهـا تجلـت
ترشف الطل من فـم الاكمـام

بين شوق حسه احنحـه الوصـ
ـل ملاب الصفـا وبيـن هيـام

القطار

للكاتب الفرنسي غي دوموباسان
تعريب الاستاذ محمد برادة

كي دوموباسان كاتب فرنسي ولد سنه 1850 وتوفى عام 1893 . من ابرز الادباء الذين بلوروا القصه القصيرة كفن أدبي ممتاز له خصائصه وامكانياته .

وقد كان في قصصه القصيرة يصور لقطات متباينة من الحياه في حيده ودقه واهتمام بالجوانب الانسانية للنفس البشريه .

وهو في هذه الاقصوصه ، وان كان يلتزم الموضوعيه في السرد والتمسك بالقالب الفني ، الا أن الايحاءات الثره التي تغمرنا بها سطور القصه تجعلنا ندرك القيمه الانسانيه لهذه اللقطة .

ركبت القطار وقعدت في ركن عربه فارغه من الركاب ثم اقفلت باب ديوان العربه آملا ان اظل وحيدا طيلة سفري لكن الباب فتح فجاه وسمعت صوتا يقول:

— خذ حذارك يا سيدي فاننا نوجد عند التقاء خطوط السكه الحديديه . ودرج العربه مرتفع . اجاب صوت آخر :

— لاتخش شيئا يا لوران فانني سامسك بمقبض الباب. ثم اطل رأس فوقه قبعة دائريه وامسكت يداه بالسيور الجلديه المعلقة في الباب ، وظهر جسم ضخم احدثت قدماه فرقعة عكاز فوق الدرج . وعندما دخل الرجل الى ديوان العربه لمحت قطعة من الخشب الأسود تبرز من فتحة رجل السروال ثم ظهر وجه من وراء هذا المسافر وسأله :

— هل انت على ما يرام يا سيدي ؟

— نعم .

— هاهي لفائفك وعكازك .

وسرعان ما صعد الى القطار خادم يشبه في سحنته جنديا عجوزا ، وكان يحمل بين ذراعيه كومة من الاشياء ملفوفه في اوراق سوداء وصفراء محكمة الربط . ثم وضع ما كان يحمله في الشبكة التي توجد فوق رؤوس الركاب ، وضعها وهو يقول :

— هذا كل شيء يا سيدي .. الحلوى والدمية والطبل والبندقية وفطائر الكبد .

— حسن .

— سفر ميمون يا سيدي.

— شكرا يا لوران .

ثم اختفى الرجل وراء الباب وعدت لانظر الى جاري . كان في حوالي الخامسة والثلاثين من عمره بالرغم من ان الشيب كان يجلل شعره . كان انيقا

وكفى سؤددا اذا كان للمغـ ـــ ـــرب صوت مضاه مثل الحسام

لا ينال السيوف منه وقدرا ـــ حت نعاني نفاحش الاثام

وكفى عزا ان نقدم كاليـ ـــ ـــم شباب البلاد نحو الامام

كيف لا والعقول نغزو فضاء الـ ـــ ـــكون نفني عريكة الاجرام

حاملا في يديه راية شعب ـــ ليس يخشى وراها سهم الحمام

برسدي بذلة البطولة والصبـ ـــ ـــر وروح الفدا وبرد الفحام

*

كل حرف من احرف المغرب الحـ ـــ ـــر لنأبى ذراه اي انفصام

اي قول نضمن معنا ـــ ه عدا في القريض احلى كلام

صدق الشعر ان نقدم يطربـ ـــ ـــه لما فيه من بها ونظام

قل لمن خال ان للحسن حدا ـــ ليس للسحر والنها من ختام

عن ابي ذر رضي الله عنه ان رسول الله (ص) قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى اخاك بوجه طلق .

ثم فجأة حل افتراض آخر اقل شاعرية واكثر واقعية محل الافتراض الاول .. لعله قد تزوجها قبل ذهابه الى الميدان وقبل ان تقطع رجلاه من جراء قذيفة المدفع .. وبعد ان عاد اضطرت الى ان تعتني به وتواسيه وتقف بجانب زوجها الذي ذهب قويا جميلا ورجع حطاما مفصوص الرجلين ، محكوما عليه باللاحركة ، وباجترار المشاعر السوداوية وتحمل البدانة المسننة .

هل هو سعيد او شقي ؟

لقد تملكتني رغبة قوية لمعرفة قصته او على الاقل الوقوف على اهم الخطوط التي تسمح لي بتخمين بقية الحلقات التي لا يمكنه الافضاء بها .

كنت اتحدث اليه وذهني سارح .. وكان حديثنا يتناول موضوعات تافهة .. وكانت عيناي مثبتة على الشبكة وانا اوزع الهدايا على النحو التالي :

« ادن فهو له ثلاثة اطفال : الحلوى سيخص بها زوجته . والدمية لابنته الصغيرة . والطبل والبندقية لاولاده .. وهذه الفطيرة سيتركها لنفسه . »

وفجأة سألته :

ـ هل انت اب يا سيدي ؟

ـ كلا . لست ابا .

وشعرت بنفسي مضطربا كأنني ارتكبت عملا غير لائق واستأنفت قائلا :

ـ معذرة سيدي ، فقد ظننت ذلك عندما سمعت خادمك يتحدث عن اللعب . كثيرا ما يتسرب الكلام الى آذاننا بالرغم منا . وابتسم وهو يقول :

ـ انه لم يكتب لي ان اتزوج .. لقد ظللت في مرحلة الخطوبة فاجبته وقد تذكرت فجأة :

ـ آه .. حقا لقد كنت تحمل خاتم الخطوبة عندما عرفتك .. وكانت خطيبتك الآنسة ماندل فيما اظن .

ـ بالضبط ، ان ذاكرتك ممتازة يا سيدي .

وتملكتني جرأة متناهية فاضفت :

ـ نعم اظن ايضا انني سمعت ان الآنسة ماندل قد تزوجت السيد .. السيد ..

ـ السيد فلوريل .

ـ نعم هذا هو اسمه ، بل انني اتذكر ايضا انني سمعتهم يشيرون الى جرحك .

ونظرت اليه مواجهة فزاد احمرار وجهه العريض المحتقن ، ثم اجابني بحيوية وبحماس مفاجىء يشبه من يدافع عن قضية خاسرة سلفا ، وهو يعلم ذلك ولكنه يحاول ان يكسب الراي العام الى جانبه :

الواقع يا سيدي اننا عند ما نتزوج لا نفعل ذلك من اجل التظاهر بالكرم ولكن لكي نحيا كل يوم وكل ساعة وكل ثانية الى جانب الشريك الذي نختاره ، فاذا كان هذا الشريك معطوبا مثلي فان الزواج يصبح حكما بالشقاء حتى الموت . اوه ، انا اعجب بكل التضحيات وبالاخلاص عندما يكون لهما حد .. ولكنني لا اقبل تخلي المراة عن العيشة الهنيئة التي كانت تؤملها وعن المسرات والاحلام لترضي اعجاب المتطلعين من الناس . انني عند ما اسمع فوق بلاط غرفتي دقات عكازاي ، والضجيج الشبيه بأزيز الطاحونة الذي احدثه عند كل خطوة .. عندما اسمع ذلك يتملكني غيظ جارف اريد معه ان اخنق خادمي . هل تعتقد يا سيدي ان بامكاننا ان نطلب من امرأة ان تحمل ما لا نقدر نحن انفسنا على تحمله ؟ هل تظن ان اطراف ساقي جميلة ؟

انقطع جاري عن الكلام . ماذا اقول له ؟ لقد وجدته محقا فيما قال . فهل استطيع ان اوبخها او احقرها هي التي لم تتزوجه ؟ كلا . لكن هذه النهاية المتمشية مع الواقع والحقيقة لم ترض طبيعتي الشاعرية فأحسست بما يشبه الخيبة . وفجأة سألته :

ـ هل للسيدة فلوريل اولاد ؟

ـ نعم ، لها بنت وطفلان .. وانا احمل هذه اللعب لهم ؛ انها وزوجها صديقاي الحميمان .

ثم دخل القطار الى محطة باريس ، كنت على وشك ان امد ذراعي الى الضابط المعطوب لاساعده على النزول عندما رأيت يدين تمتدان نحوه من الباب المفتوح :

ـ مرحبا يا عزيزي ريالييـر

ـ آه ، يوم سعيد يا فلوريل .

ووراء الرجل كانت زوجته تبتسم مشرقة وهي ما تزال محتفظة بجمالها ، وتحرك اصابعها محيية الضابط والى جانبها طفلة تثب من الفرح ، وطفلان ينظران في لهفة الى الطبل والبندقية اللذين حملهما ابوهما .

وعندما نزل المعطوب الى الرصيف التف حوله الاطفال مقبلين .. ثم تحركوا منصرفين وقد امسكت الطفلة بابهام صديقها الكبير .

ذا شارب كث مفرطا في البدانة حتى كانه من اولئك الرجال النشيطين الاقوياء الذين نضطرهم عاهة ما الى التوقف عن نشاطهم . مسح جبهته وزفر ثم نظر الي مواجهة وهو يقول :

— هل يضايقك الدخان يا سيدي ؟

— ابدا ..

لم يكن صوته ونظراته ووجهه غرباء عني كانوا مألوفين لدي ، لكن اين ومتى ؟ اكيد انني قابلت هذا الشخص وتحادثت معه وصافحته وهذا يرجع الى تاريخ جد قديم ضاع وسط تلك الضبابة التي يحاول الفكر خلالها جاهدا ان يلتمس الذكريات وان يتتبعها وهي تنفلت من بين يديه كالاطياف الهاربة .

انه ايضا يفحصني جادا مثل من يحاول تذكر شيء لا يعرفه تماما .

وتضايقت عينانا من هذه النظرات اللحوحة فاخذت تنظر صوب اتجاه آخر . ثم بعد بضع لحظات عادت لتلتقي من جديد بدافع من الارادة الغامضة التي كانت تحرك ذاكرتينا . وعندئذ قلت :

— يا سيدي عوضا عن ان نظل هكذا يراقب احدنا الآخر خفية افليس من الافضل ان نبحث معا عن المكان الذي تعارفنا فيه ؟

واجاب جاري بمنتهى اللطف :

— انك مصيب تماما فيما تقترحه .

وقمت بالتعريف بنفسي :

— اسمي هنري بونكلير اعمل قاضيا في المحكمة .

وتردد لحظة ثم قال وقد لونت صوته تلك الموجة التي ترافق ثورات الفكر الشديدة :

— اه بالضبط .. لقد التقيت بك عند آل بوانسيل منذ امد طويل قبل نشوب الحرب .. لقد مرت على ذلك اثنتا عشرة سنة .

— نعم يا سيدي آه انك الضابط روفاليير ؟

— الامر كما تقول بل لقد اصبحت القائد روفاليير الى اليوم الذي فقدت فيه رجلاي مرة واحدة من جراء ضربة احدى المدافع .

واخذنا ننظر الى وجوه بعضنا بعد ان تم التعارف بيننا .. وعادت بي الذاكرة الى الايام التي عرفته فيها شابا رشيقا يقود حلقات الرقص بحمية محببة جعلتنا نطلق عليه لقب « الاعصار » . لكن وراء هذه الصورة الواضحة التي انتصبت في مخيلتي كان هناك شيء يطفو ويتراقص من غير تحديد .. قصة سمعتها عنه وسرعان ما نسيتها ، وهي من القصص التي نسمعها باهتمام اول الامر ولكنها لا تترك في الذهن سوى اثر خفيف . احسست ان عنصر الحب كان ممتزجا بهذه القصة ولكن لا شيء اكثر من ذلك ، انه احساس يشبه الرائحة التي تخلفها ارجل القنيصة على الارض فتنفذ الى انف كلب الصيد لتحركه الى البحث عنها .

وفي هذه الاثناء كانت الظلال تتضح في مخيلتي ، وانتصبت صورة فتاة امام عيناي ثم انبثق اسمها داخل راسي كالصاروخ عندما يشتعل : الآنسة ماندال . لقد تذكرت كل شيء الآن ، فعلا انها قصة حب ولكنها قصة عادية كانت تلك الفتاة تحب هذا الشاب عندما التقيت به وكان الحديث يدور حول زواجهما المنتظر ، وكان الشاب يظهر متعلقا بها وسعيدا بحبه لها . رفعت بصري الى الشبكة حيث كانت اللفائف التي حملها خادم جاري .. وتذكرت صوت الخادم وهو يقول :

« هذا كل شيء يا سيدي .. الحلوى والدمية والطبل والبندقية وفطائر الكبد » .

وعندئذ نسجت في مخيلتي خلال لحظة واحدة قصة تشبه جميع القصص التي قرأتها والتي يتزوج فيها الشاب احيانا خطيبته او الفتاة خطيبها رغم المصيبة الجسدية او المادية التي قد تحل باحدهما ، واذن فان هذا الجندي الذي عطب خلال الحرب قد وجد بعد رجوعه في الميدان الفتاة التي وهبته قلبها في انتظاره فتزوجته رغم عاهته .

وجدت هذا امرا جميلا لكنه عاديا مثلما نحكم بالبساطة على جميع انواع الوفاء ونهايات القصص والمسرحيات . انه يخيل الينا عندما نقرأ او نستمع الى مثل هذه النماذج من المروءة والشهامة انه بامكاننا نحن ايضا ان نبذل تضحيات كبرى في حماس واندفاع رائع .. ولكن مزاجنا يتعكر بسرعة اذا طلب منا صديق محتاج — في اليوم التالي — ان نقرضه مقدارا من النقود .

— ان من الخطأ يا سيدي ان يذكر اسم السيدة فلوريل مقترنا باسمي .. فانني عند ما عدت من الحرب بدون رجلاي ، لم اقبل مطلقا ان تصبح زوجة لي . هل كان ذلك ممكنا ؟

في فن التصوير ، رسامون عرب عديدون يتزايدون يوما بعد يوم .. يصورون لوحات عن مظاهر الحياة الشعبية . فما هي المواضيع التي يختارونها غالبا ؟؟

ان حياة السوق مثلا كثيرا ما تثير الانتباه نظرا لكثرة الالوان وازدحام المشاهد وغناها وتنوع الحركات والحماس الحياتي الغالب عليها ، لقد صور السوق الشعبي كثيرا في فن الرسم العربي المعاصر . لكن اغلب المقاطع التي اخذت له كانت مقاطع عامة تجمع المشهد بشموله مهملة تحليل الجزئيات الضرورية والتعبيرات الوجدانية للافراد وطابعهم الاجتماعي والطبقي ، بحيث يضيع معنى الحياة الشعبية للسوق كبحث عن الرزق ولقمة العيش ، لتصبح كمشاهد سياحية لازدحام سرابي غني الالوان ؛ وما يقال عن السوق يقال عن الاحياء الشعبية ايضا .

ان الرسامين العرب الذين يرتكبون خطأ كهذا يتأثرون الى حد ما بعقلية الرسامين الاوربيين الذين يلذ لهم تصوير الحياة الشعبية في الشرق ، لا من حيث مضمونها الوطني كحياة جماعات تكافح في سبيل لقمة العيش وتحسين اوضاعها المتردية . ولكن من حيث خيالاتهم الملونة عن الشرق كارض الف ليلة وليلة وهارون الرشيد والاسطورات اللذيذة والصحراء الجميلة وقافلة الجمال ذات الهوادج .

الرسام الاوربي يرى السوق الشعبي كمشهد مجرد خيالي . اما الجماعات كبشر يبيعون ويشترون ولهم واقع قومي وطبقي ، فامر لا يلتفت الى محتواه .

على هذا القياس . قد يصور الرسام العربي من الحياة الشعبية . المهابيل الفقراء وحمقى الشوارع والاضرحة وكأنهم صورة عن الشعب ، وينسى العمال الكادحين والفلاحين المرهقين ، او يصور الجانب الخرافي من الحياة الشعبية كالمشعوذين ومروضي الثعابين ودراويش الزوايا الدينية والناس البسطاء يتبركون بقبور الاولياء .

وقد يلجأ بعضهم الى تصوير ملاك فلاحي كبير ظانا بأنه يصور الحياة الفلاحية (التي يفترسها الاقطاع والاستغلال .) او عمال مرحين خارجين من المصنع بملابس نظيفة يضحكون ضحكات مفتعلة يتوهمها بينما حقيقة حياتهم في المصنع والمجتمع صورة للظلم وقسوة الحياة ، او متسولا بملابس جميلة الالوان .
لقد رأيت لوحة لرسام صور فيها الجنايني ، لكنه ترك الواقع الحقيقي لهذه الفئة من الناس وصور ارفع وارقى نموذج لها ، فكان الجنايني في الصورة يوحي بأناقة ونظافة ولمعان ملابسه بأنه من هؤلاء السعداء الذين يخدمون في قصور الاغنياء والسفارات الاجنبية . انها اخطاء كثيرة في التصوير الشعبي العربي الحديث ولعلها تكون وضوحا وتجسيما في فنون السينما والاغاني والموسيقى التي هي الاخرى تقوم بذات المحاولة الشعبية .

ان بعض الاغاني العربية تسمى شعبية ، لماذا ؟؟ لانها تحاكي الاصطلاحات العامية الدارجة في المدن ، ولا تلتقط منها الا نوع مفكك من الغزل المراهق الامي الذي لا يربط بأية تقاليد قومية وانسانية للحب الرقيق الشريف الهادف لتكوين اسره وانجاب اطفال واغناء المجتمع .

ان بعض اغاني (المطرب) فلان تسمى شعبية ، لكن مضمونها تحكي قصة رجل موله وعاشق لامرأة تذلل لها وتدوس من اجلها على كرامته ورجولته وتتوسل اليها الا تقسو عليه وان تكف عن خيانته .

فهل الحياة الشعبية السليمة تحتوي على رجل من هذا النوع المنحل الرجولة المتدهور الشهامة . وامرأة من هذا النوع وكأنها المومس في تنقلها ودلالها بين الرجال ؟؟

ان الحياة الشعبية تحتوي طبعا على مظاهر للتحلل والفساد وفقدان القيم . لكن .. هل هذه هي المظاهر التي يجب ان يتغنى بها الفن الشعبي وكأنها نماذج للظرف والجمال والحقيقة ؟؟ .

ولا شك ان كثيرا من الاغاني المغربية العصرية (الشعبية) تتخبط في ذات تلك الانحرافات . لاسيما عندما نسمع اغنية كلامها شعبي ولحنها اوربي راقص ان اغلب منجرات الغناء العربي الحديث الذي يقال عنه بأنه شعبي ، غناء لا يرى من الحياة الشعبية سوى وجهها المزيف السلبي الذي يجب التخلص منه لانه من نتائج جهل وفقر وشقاء الشعب .

لعل النموذج السليم للغناء الشعبي الحقيقي هو ما تغنيه فيروز احيانا .. والفولكلور اللبناني والاغاني

آفاق فنية

أخطاء في الفن الشعبي العربي المعاصر

ب . ك

في البلاد العربية الآن تيار ثقافي جديد يطور اليقظة الثقافية العربية التي ظهرت في مطلع القرن العشرين وقبله بقليل وكانت امتداد للادب الكلاسيكي العربي القديم مع بعض الاندفاعات الرومانتيكية . هذا التيار الجديد يطرح شعارا حيويا وهو ان تكون الثقافة معبرة عن واقع الشعب (الثقافة في سبيل الحياة) .

وبطبيعة الحال فان الفنون العربية كفرع من الثقافة . تتحمل نصيبها من مسؤولية التعبير عن الحياة والتقاليد الشعبية والتزام طريق التيار الجديد .

تقوم الآن محاولات عديدة في البلدان العربية من طرف الفنانين الملتزمين والانسانيين لاعطاء انتاجهم الملامح الشعبية سواء من حيث المضمون او الشكل .

ان هذه المحاولات وليدة شعور الفنان العربي باهمية الدور الذي تلعبه الجماهير الشعبية البسيطة في الحياة الاجتماعية والسياسية وتطوير العالم . ولاضطراره ان يجعل لفنه صفة الاحترام مادامت الشعارات الثقافية التي طرحتها التطورات الفكرية الايجابية للقرن العشرين قد اكدت ان الفن الذي يريد ان يحترم نفسه ويكون تعبيرا ايجابيا عن عصره ، عليه ان يحتضن ويعانق واقع الشعب في كل بيئة وجد فيها .

اما الفنون التي تختنق نفسها في تمجيد واقع فئات اجتماعية 'ما - وليس لها دور تشييدي في بناء الحضارة الانسانية الحديثة ولا تعكس تقاليدها الطبقة السطحية روح التراب الوطني ، هذه الفنون عابرة ولن يكون لها اي امتداد تاريخي يذكر .

فالفنان العربي اذن اما عن اخلاص لروح الشعب او لاضطراره كفنان مسؤول للبحث عن آفاق محترمة لانتاجه ، قد بدأ يقوم بمحاولات اولية لخلق فن مرتبط بالواقع الشعبي .

هذه المحاولات هي الآن في مرحلتها الجنينية . الامر الذي يجعلها ترتكب اخطاء كثيرة ناتجة عن عدم فهم الفنان للمقومات الاصيلة للحياة الشعبية . وهذا يجعلنا نلقي سؤالا ذا اهمية :

— ما هي العناصر التي يتوجب على الفنان العربي الاهتمام بها في حياة الشعب لتسجيلها في فنه ؟! .

ان الحياة الشعبية في اي بلد عربي بنوعاها . بنوعات تفرضها الظروف الاجتماعية والسياسية والتاريخية التي تحيط بها ، فهناك ظروف الجهل . . ومخلفات الانحطاط الحضاري السابق ومؤثرات الاستعمار والتخلف والاستغلال . هذه الظروف نراها تنعكس في تقاليد اجتماعية سخيفة وخرافات وتعصب وعادات سيئة وطقوس رجعية ، تشكل صورة مؤلمة لجانب من حياة الشعب ، صورة لا يرضاها اي انسان شريف . صورة يجب ان تزول .

وهناك ظروف المعاناة للتخلص من هذه المظاهر ، تتجسم في الكفاح البطولي الذي تمارسه الجماهير والعمل الشاق النبيل للقضاء على جهلها وتخلفها ، كفاح نجده في الريف والمدن والمصانع والحياة المنزلية . ولهذه الظروف جوانب من المرح الانساني نجدها في الاعياد والاهازيج الشعبية التي هي فواصل راحة بين اسطر الكفاح المستمر .

ولقد رأينا فى السينما العربية محاولات شعبية جدية ، لكنها قليلة جدا بالقياس الى ما هو سائد .

ان الغلبة بطبيعة الحال فى هذا الصراع الايديولوجي ، هي للفن الشعبي السليم ، لان الصدق والوعي والذكاء والنضوج هي العناصر المنتصره فى صراع البقاء ما دام البقاء للاصلح .

بقيت ملاحظة .. وهى ان ضمان النجاح السريع الواسع المدى الجذري النتائج للفن الشعبي السليم يستلزم خلق مجموعات واسعة من فنانين ينبعون من صميم الشعب ويتحسسون خصائصه ومراياه وآلامه الجمالية، اى من ابناء العمال والفلاحين وكل الطبقات المناضلة فى احياء المدن الفقيرة .

لان اكثر اخطاء وانحرافات الفن الشعبى العربى الحديث (بغض النظر عن المرحلة الجنينية) ناتجة عن كون غالبية الفنانين الممارسين لهذه المواضيع من اصل بعيد عن واقع الشعب . دفعتهم انسانيتهم ونقاء ضميرهم ووطنيتهم (والبعض انتهازيتهم) للحماس للمواضيع الشعبية ، فكان للفنان الانفعال والنية الطيبة لكن كان ينقصه النضوج والشعور الشعبي الفطري الذي يقود الفنان الى المزايا الحقيقية للشعب .

ان خلق مجموعات كبيرة من فنانين تتفتح عنهم القاعدة الشعبية يوجب بطبيعة الحال اتاحة المجال للشعب كي يعلم ابناءه ويجد لهم مكانا فى المدارس ويتمتع بمجانية التعلم فى جميع المراحل الدراسية ، يوجب تحسين ظروف حياته وزيادة اجور المستخدمين وانعاش الفلاحين وتخفيض الضرائب والاسعار ، اى تعميم الاوضاع الديموقراطية التي تمكن الشعب من القضاء على مخلفات الماضى ورفع مستوى حياته المعيشة ، والحقيقة ان الشعب الفني السليم لا يمكنه ان يتنفس بسهولة وينمو ويتكامل بسرعة الا فى ظل اوضاع اقتصادية واجتماعية تكون لصالح الشعب .

عمل بعيد عن الاخلاق

« ... فمن طبيعة الفاكهة مثلا ان تخرج من زهرها ثم تنمو وتنضج ثم تسقط نواها على الارض ليخرج من كل نواة شجرة جديدة . فاذا قطف الانسان هذه الشجرة قبل ان يستتم نضجها فان عمله هذا يعد بعيدا على الاخلاق لانه يمنع النواة التي لم يتم نموها ونضجها بعد من ان تحقق غايتها فى الوجود ، وذلك اخراج شجرة من نسلها »

ابن طفيل « حي بن يقظان »

الشعبية الاصيلة فى البلدان العربية ، والفولكلور المغربي. تلك الانواع التي تنعربا بالتقاليد والروح الشعبية الصافية ، سواء فى حب الانسان للمراة او للارض او للحياة .

والسينما العربية التي تركز حاليا فى نشاط السينما المصرية لها نصيب وافر ومؤلم فى هذه الاخطاء . ففي المدة الاخيرة شاعت (موضة) الافلام الشعبية ، لكننا فى اغلب هذا النوع من الافلام ، نشاهد الافاقين والمجرمين والسكارى والنشالين والمقاهي التي هي اوكار للفساد الخلقي وتعاطي المخدرات ، لا ينكر الانسان كون الشعب البسيط فى المدن يمارس فى قطاعات من حياته هذا الواقع المظلم . لكن هل هي حياة الشعب الحقيقية ؟ هل الافاقون والسكارى نماذج حية للشعب ؟ واين الجماهير الفقيرة الباحثة عن لقمة عيشها بشرف وبساطة ؟ ؟ والتي بدل اللجوء الى التسول والسرقة كحل للفقر تفكر فى النضال الجماعي ضد الظلم والفقر .

ان حياة الافاقين والغوغاء فى المدن هى مظهر مثير سطحي للحياة الشعبية تثير حماس وخيال بعض مرضى العقول . فالسينما المصرية عندما تعتقد مثلا انها تقدم بهذه الافلام (المثيرة) صورة لحياة الشعب . تشبه السينما الامريكية وهي تقدم لنا افلام اللصوص من رعاة البقر (كاوبوى) على اساس انها افلام شعبية امريكية ايضا .

ان الحديث السابق كان فى جملته عن اخطاء المحاولات الشعبية فى الفن ، من حيث اختيار المضمون

فكثيرا من الرسامين العرب يصورون مشاهد من الحياة الشعبية العربية بالوان وتكنيك اوربي متاثرين بالاتجاهات التي تظهر فى باريز وروما ونيويورك ، فيكون اسلوب التنفيذ غريبا عن روح الموضوع الشعبي لبلادهم .

وفى الموسيقى والاغاني نسمع كلاما شعبيا مع نغمات موسيقية فوضوية غريبة راقصة .

وفى السينما ، اغلب الافلام العربية التي يزعم انها شعبية ، متاثرة فى اخراجها واسلوب تنفيذها باسلوب الافلام البوليسية الامريكية .

فبالاضافة الى سطحية الموضوع الشعبي نرى التناقض الصارخ بين طبيعة المضمون وطبيعة الاسلوب .

والتناقض بين الشكل والمضمون يقع فيه احيانا حتى الذين ينجحون فى اختيار موضوع شعبى سليم لانتاجهم الفني .

ان ازالة هذا التناقض من السهولة بمكان ، لان الفنون الشعبية التقليدية العربية العريقة باصالتها وتعبيرها المباشر عن طبيعة البيئة ، توفر للفنانين جميعا التقنية الوطنية القومية لمواضيعهم عن حياة شعوبهم ، والاخذ بها يحررهم من التبعية للذوق والتقنية الاجنبية .

تلك نماذج مختصرة وسريعة ، عن اخطاء وانحرافات المحاولات الشعبية فى الفن العربي المعاصر ، حيث لا يؤخذ من الحياة الشعبية سوى القطاعات السياحية او الخرافية او السطحية التافهة الزائلة .

واذا كانت هذه الاخطاء تتفاقم الآن الى حد مؤلم بحكم المرحلة الجنينية التي يجتازها الفن الشعبي العربي الحديث ، فان هناك النقيض التصحيحي لهذا الاتجاه الخاطىء كما ذكرت آنفا ، هناك الاتجاه الشعبي السليم الذي ينمو بعمق وقوة ويصارع الاول ، بقوده فنانون واعون لخصائص الواقع الشعبي كواقع عمل وكفاح ومعاناة ونضال دائب ، واقع افراد بسطاء شرفاء يبحثون عن الرزق والسلام والتحرر . واقع تقاليد قومية حضارية وعواطف انسانية وفولكلور ينبض بالنبل والصفاء الوطني وجمال مرتبط بروح الارض .

ان الاغاني (الشعبية) المرتفة المنحلة التي لا تربطها بالتقاليد الموسيقية الشعبية اية صلة ، تنمو الى جانبها اغان يستروح منها الانسان عبير الارض والوطن ، ومحاولات فى الموسيقى الكلاسيكية السيمفونية تستمد عناصرها من الحان واهازيج الفلاحين . والرسوم الحديثة التي لا ترى من الشعب الا مشعوذيه وخرافاته تنمو الى جانبها محاولات فى الرسم تعكس الواقع الحقيقي للشعب) بل ان هذه المحاولات لا تتورع حتى عن التعرض السلبي للشعب ولكن بروح نقدية تحليلية واعية تؤكد ان الخرافات والجهل ليست خصائص فطرية فى الجماهير ولا من صنعها وانما انعكاسات للظلم والاستغلال الجاثم على حياتها ، فبامكان الفن الشعبى المخلص التوجه الى القيم النظيفة والرديئة فى الحياة الشعبية شرط معالجة كل منهما بما يلائمها من تبجيل وتقديس او نقد علمي .

هدى من المعادلات المادية الصرف فلم يكن لذلك ميله بمثابة انجذاب الى الدعوة الاوربية من حيث هي اوربية او غير افريقية ، وانما كان مجرد استجابة لدعوات تراءى له انها اقرب الطرق الى ان ترفع عنه الكابوس الاوربي الظالم ، وتحقق له وجوده العادل بصفته انسانا افريقيا ، واحب ان اؤكد انه كان في اشد حالات ميله شديد الحرص على تحقيق وابراز هذه الصفة الافريقية وآية ذلك اننا لا نعلم حتى الآن في اشد الافريقيين نزوعا الى اشد المذاهب والفلسفات المادية الراهنة عالمية او شعوبية ابتعادا عن العمل بكل قواه المادية والروحية من اجل اثبات وابراز وجود امنه ووطنه في نطاق قومي افريقي .

لهذا نرى في القرار الذي اتخذه مؤتمر الدار البيضاء بداية وافعية لعهد ثقافي افريقي جديد . واذا وصفنا هذا العهد بالجدة فلاننا نعني انه ليس ببدع في الحياة الثقافية الافريقية وانما هو انبعاث لحياة سابقة عريقة واستئناف لها ، فبالاضافة الى مختلف الهجرات التي عرفتها بواسطتها افريقيا وعرفت بواسطتها الوانا من التبادل الحضاري خلال الآلاف الخمسة من سني عهد الحضارات البشرية المعروفة هنالك فترة استمرت حوالى الف عام وهي تنمو وتتسع مدى تأثيرها وان بصورة بطيئة في بعض الاحيان يمكن ان نسميها فترة الوحدة الحضارية الافريقية وهذه الفترة هي التي انشأها الفتح الاسلامي. ولئن كانت المحاولات الناشطة التي بذلتها الدول الاوربية خلال القرون الثلاثة الاخيرة قد عوقت هذه الفترة من مواصلة نشاطها على مستواه الطبيعي الاول فان الواقع يثبت ان هذا النشاط لم ينقطع تماما . وان اتئدت خطواته في الحقبة الاخيرة . ومع ان مصدر الاسلام لم يكن افريقيا بل بل كان آسيويا . فان التقارب السلالي ان لم نقل التوالد السلالي بين بعض الشعوب الافريقية وبعض الشعوب الاسيوية كان له شما يعقد اثره في تيسير اسباب التجاوب الروحي بين القارتين بالاضافة الى ان الاسلام في جانبه الايجابي ينهض على اعتبارات عالمية انسانية جامعة . ولذلك لم يأت في تشريعاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الا بكليات قابلة للتبلور والتكيف حتى لقد تصبح في بعض الاحيان وفي بعض البيئات مجرد معالم يهتدي بها لا الى مشاكلتها بل الى تحقيق المثل التي تستهدفها وهذه الايجابية العالمية في الاسلام فضلا عن احتفاظه بدستوره كاملا سليما في لغته الاصلية وعما يمتاز به هذه اللغة من قابلية التبلور والتكيف كتشريعاته سواء بسواء ، جعلته سريع الانسجام والتأقلم مع مختلف الامم والشعوب ، وآية ذلك انه في افريقيا وفي اوربا الشرقية وفي الصين والهند ليس بأقل منه رسوخا في الوطن العربي الشرقي حيث نزل وفيما يتاخمه من بلاد الشرق الاوسط ، وهذا الانسجام والتأقلم تم الممكن هو تأويل ما نشهده اليوم في دهشة باهرة من صموده لجميع الهجمات العارمة التي حاولت الارساليات التبشيرية المتعصبة ومن ورائها الاحقاد الصليبية والاطماع الاستعمارية بعنوها وطغيانها ، حاولت بدون جدوى ان تجترفه من افريقيا السوداء . فلم تستطع الا ان تزيد حبه والتشبث به تمكينا من نفوس الجماهير .

بل اننا لنرى في قرار مؤتمر الدار البيضاء نقطة انطلاق لحل معضلة اشرنا اليها آنفا هي معضلة التعدد اللغوي في الشعوب الافريقية السوداء . فاذا قدر لفاس وتونس ولتلمسان ولبني غازي ولطرابلس وللازهر ان تستأنف نشاطها الثقافي الى اعماق افريقيا فانها ستجد من الاسلام الذي يغلب على جماهير بعض تلك الشعوب ركيزة لاحداث اداة للتفاهم بينها . فما دام القرآن لابد ان تتلى آيات منه في الصلاة فان اللغة العربية ستجد طريقها الى الالسنة عن طريق الدين بادىء الامر واذا كانت الآيات والكلمات التي ترد في الصلوات قد اتخذت من قبل في تلك الالسنة شكل طلاسم الرقى او اصوات الببغاوات فانها سوف تصبح اذا تكافل النشاط الثقافي والوعي الديني للتفاهم الموحد بدلا من ان تكون طلاسم لاتدرك القلوب مدلولاتها فيما ترددها الالسنة ونحن لذلك لانعتقد ان التناسق الثقافي الذي دعا اليه قرار مؤتمر الدار البيضاء سيتحقق بصورة كاملة شاملة الا اذا انطلق من تلك المراكز الدينية التي انطلق منها ايام عبد الله بن ياسين من المغرب مثلا .. اما ان حاولت السياسة ان تجعل مصدره المراكز الثقافية العلمانية ، فانه من الصعب ان تحقق الوحدة المنشودة لانه اذا لم تتجاذب الارواح وتتجانس المشاعر فليس من اليسير ان تتحد الالسنة ، وما لم تتحد الالسنة فلن يتحقق تناسق ثقافي وان بلغنا ان نحقق تكاملا علميا في المجالات التقنية وغيرها من ميادين العلوم الطبيعية والرياضية ، فالثقافة كما نفهمها حالة وجدانية وعقلية لامعادلات وارقام ومصاهر ومختبرات .

الحياة الثقافية في الوطن العربي

ى المغـــرب :

كان من القرارات التي اتخذهـا مؤتمر القمـه بالدار البيضاء قرار يدعو الدول الاعضاء وما قد ينضم اليها من الدول الافريقية ، الى انشاء لجان لتنسيق مختلف المرافق العامة من ماديه وادبية للدول الاعضاء. ومن هذه اللجان لجنة ثقافية تجتمع دوريا ، ويمثل كل دولة عضو فيها الوزير المختص بشؤون الثقافـه والتعليم في حكومتها ، الا ان يضطر في الانابة عنه لعائق لم يجد منه مناصا ، وستكون مهمة هذه اللجنه تنسيق النشاط الثقافي للدول الاعضاء وتوجيهه وجهه تجعل تطوراته مراحل في سبيل انشاء ثقافه افريقيه موحـدة .

وقد يبدو هذا القرار على جانب من الغرابة ، فدول افريقيا السوداء تقوم كل واحدة منها في شعب تختلف لهجات ابنائه وتتعدد طبقا لاختلاف وتعدد قبائلهم . حتى لتبلغ في بعض هذه الشعوب عشرات ، وقد تتجاوز المائة ، ثم ان الاصول الثقافية للشعوب الافريقية ــ اذا اعتبرت على ضوء اوضاعها الفكرية واللغوية الراهنة ــ تغاير تغايرا جوهريا في بعض جوانبها وتختلف في جوانب اخرى اختلافات متفاوته الاعماق والابعاد ، نتيجة لتكون اجيالها الراهنة على ايدي دول مختلفه الاجناس والاديان والسياسات بما فيها السياسات التعليمية والاساليب الفكرية والحضارية ، ثم لاختلاف بعض الشعوب الافريقية ذات الاصالة الحضاريه بما لا تزال تحتفظ به من تراث حضاري وفكري مع الدول التي كانت او لا تزال تسيطر عليها .

وقد يبدو كان الآثار الفكرية التي تركتها الدول المسيطرة سابقا في تلك الشعوب هي المهيمنة على تكييف وتوجيه مستقبلها الثقافي ، ويلوح ان هـذا هو الرأي او الامل الذي يلح على تقديرات تلك الدول ذات السيطرة السابقة على افريقيا ، والواقع ان مجموع المظاهر الغامرة للمحيط الفكري في معظم الشعوب الافريقية ، يغري بترجيح هذا الاعتبار .

ولكن عاملا آخرا اذا اثير في الاذهان ووضع في المقام الذي يستحقه عند تقدير العوامل الموجهة والمكيفة للمستقبل الافريقي الثقافي يزيد من هذا الاعتبار الكثير من الاغراء بترجيحه . ذلك بان الفتره التي لابست فيها الدول الاوربيه افريقيا وفرضت عليها سيطرتها لم تستطع عمليا ان تعطي لافريقيا ــ وجدانيا على الاقل ــ الطابع الاوربي . وآية ذلك انه ما من شعب احرز استقلاله الا واخذ يبتعد بسرعة ــ وجدانيا على الاقل ــ عن الدوله الاوربيه التي كانت تسيطر عليه . ومن الواضح اننا لا نعني بالشعوب الافريقيه اولئك السكان المنحدرين من اصول اوروبية صريحه او هجينة ، ولئن كان النفور الملحوظ اليوم لا يزال سياسيا في اغلب الحالات فانه من غير شك لا يصدر عن معادلات مادية بقدر ما يصدر عن خلجات نفسية ، وهذا يعني بالصريح الواضح الواقعي ، ان فتره الخضوع الافريقي لاوربا على طولها لم تستطع ان تحدث تجاوبا ولا تهادنا بين نفوس الاوربيين على الرغم من الارساليات التبشيرية التي افلحت على مستويات متفاوتة في اجتذاب مجموعات من الافريقيين الى المسيحية ، وفي هذه النقطة بالذات يستطيع الراصد ان يلاحظ بدهشة باهره ان الاستجابه للدعوه المسيحيه على اختلاف مذاهب الداعين اليها كانت في الاغلب الغالب من امرها استجابه من اتباع الوثنيات البدائية . اما الذين اتصلوا بالاسلام مهما يكن اتصالهم سطحيا او خرافيا فانهم في اغلبهم الغالب ليسوا بمعزل عن التأثير التبشيري فمن لم يعتصم منهم بالانتساب الى الاسلام فانه مال الى بعض هذه المذاهب والدعوات التي تجاهلت السماء او انكرتها وانحصرت في التماس سبل الحياة على

يلتبس الفرق بين مايحمل اسم ادب واسم بلاغ رسمي او نشرة دعائية ، فان شذ عن ذلك شيء او نشر مترجمه صريحة النسب او منكره الاصل لمقاييس في النقد او اصداء من الشعر او مشاهد من القصة والتمثيلية قد توغل بها اصحابها في التعريب حتى ليمنحون اشخاصها ومواضيعها او شواهدها اعلاما وخصوصا عربية . ولكنك تقرأها فتحار بينها وبين نفسك . فاما ان تنكر انها عربية لما ترى ما تثير الفاظها المانها من تنافر توشك ان تبلغ مستوى الحرب واما ان تنكر انك لا تزال تفهم شيئا او تستطيع ان تحس شيئا وتؤمن بانك اصبحت كاهل الكهف حين بعثوا احدهم بورقهم الى المدينة فلم يجدهم الناس ولا ورقهم ولم يجدوا انفسهم الا كثرا خليطا من السخرية والرثاء . قد تكون شيئا في مجال الاعتبار ولكنه شذوذ وغرابة في ميادين الحياة .

فان تكن توصية اللجنة وقرار المجلس على هداها يعني ان تفسح الصحف صفحات لمزيد من الكلام الطويل الذي يحمل اسم الادب ولا يصدر عن جهد الادب فحسب لهذه التوصية ولهذا القرار ان يدركا ان الناس اصبحوا من ضجة الحياة لا يملكون انفسا تصبر على الكلام الكثير . اما ان كان الادب الذي سيراد ان تنشره الصحف وتفسح له صفحات من صدرها ، وترصد له مبالغ من ميزانيتها سيكون انعكاسا لتجارب ظاهرت النفوس المرهفة ووقائع الحياة ، بما فيها من عبر الماضي ومشاهد الحاضر وملامح المستقبل على صدرها وتكشفها والتعبير عنها فوافرحتاه لدنيا الادب والمحيط الادبي ان تبعث فيهم ابو العلاء وابو الطيب والرافعي وزكي مبارك وان يعاد بينهم الشباب الى طه حسين والزيات والعقاد وما ذلك بعزيز على عبقرية شعب الاهرام صانع المعجزات .

محمد الحاج ناصر

الصبي امانة عند والديه

الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة . خالية من كل نقش وصورة . وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له .

ابو حامد الغزالي : « احياء علوم الدين »

في الجمهورية العربية المتحدة :

اسس المجلس الاعلى للفنون والآداب بالاقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة لجنة لدراسة حالة المجلات والصحف الادبية في مصر فوضعت تقريرا قدمته اليه ، مما جاء فيه : التوصية بأن تخصص كل صحيفة يومية صفحة كل يوم لنشر المقالات الثقافية والقصص والشعر وان تصدر كل مجلة اسبوعية عددا خاصا بالادب وفنونه بصورة دورية وقد تذكرت حين قرأت هذا النبأ في « الاهرام » عهدا لا يزال غير بعيد كان كل هذا الذي اوصت به اللجنة المذكورة واقعا تتبارى في تجديده وتطويره صحافة مصر ، ولا اعرف في هذا الجيل من قراء الادب قارئا ليس بمدين بصورة مباشرة او غير مباشرة للصفحة الخاصة بالادب في كل من — المصرى — و — الاهرام — و — البلاغ — و — السياسة — و — الاساس — و — الدستور — وللاعداد الخاصة بالادب في ذلك الحشد الذي كانت تعرفه اسواق القاهرة واسواق غير القاهرة من حواضر الوطن من المجلات الاسبوعية والشهرية التي كانت تصدر بمصر ، بل اننا لا نزال حين نشعر بالشوق الى قراءة الادب الاصيل الرصين لا نملك الا ان نعود الى مجموعة الرسالة والثقافة والمقتطف والهلال والكتاب والكاتب المصري والبلاغ الاسبوعي والسياسة الاسبوعية وغيرها من الصحف التي كانت تحترم نفسها وتحترم قراءها وتحترم ما انتدبت لحمله من رسالة وامانة ولا نزال اورق النصوص الادبية واشرفها ، واعمق الدراسات والبحوث واصدقها تقديرا وتمحيصا ونقدا تلك التي جد فيها طه حسين مبارك وافتن فيها الرافعي والزيات وعبد العزيز البشري واحتفل لها العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري ، ومن الى هؤلاء واولئك من اعلام جيل ما بين الحربين .

يقولون انما هذه رجعة في التقدير والتقسيم لتطور الادب واثر الادباء ونعما هي رجعة ان تكن فادنى خصائصها التي نراها فيه انها تقدير لانتاج لم تكن تسرع به المطابع فيهتبل وانما كانت تنزع به المشاعر والعقول فلا يجيء الا كما تجيء اللوحة يعيش لها الفنان لان فنه ارادها لا لان المعرض استعجلها ، كانت الكلمة تكاد صناعتها في اقلام اولئك الادباء فنقرأها او نسمعها ، فكأن الجدة لم تكن في معانيها فحسب ، بل كانت في احرفها ايضا ، حتى لتتهم اعيننا واسماعنا ذاكرتنا في بعض الاحيان ، كان ادب ذلك العهد يصنع لوجه الادب فاذا دفع به الى المطبعة كان دفعه منه على المطبعة ، وكان ادباء ذلك العهد يعرفون لكل نبرة في الحرف مدلولا ، ولكل مجموعة من النبرات في الجملة عالما ومحيطا ، وكانت السياسة في ذلك العهد حتى سياسة الدول المستعمرة تحسن تقدير الجهد الانساني في ذلك الادب والفن الانساني في مظهره والمعنى الانساني في مدلوله ، فكانت تتهيب ان تتطاول عليه مهما استفزها وما اكثر ما كان يستفزها بل ان اكثره لم يكن الا استفزازا لها فلما اخضعت موازين الادب لسرعة المطبعة واختلطت مفاهيم العمل الصحفي والعمل الادبي فكان ما كتبه الرافعي رحمه الله منذ ثلاث وعشرين سنة في مقاله : « الصحافة لا تجني على الادب ولكن على فنيته » . فقد الادب هيبته وتجرد الادباء من عصامهم فاصبح الادب بضاعة من هذه البضائع التي تستبق الآلات في انشائها دون ان تعني من تجويدها الا ببعض البريق واصبح الادباء تجارا من هؤلاء التجار الذين لا يقيمون وزنا لثقافة الحرفاء ، بحسبهم ان يستلبوا ما حضر في الجيوب امامهم وللغد وسائله وحيله . فكان ان وجدت السياسة وسيلة الى الادب تستذله والى الادباء تستذلهم ، ففقدت اذواق القراء شعورها بالحاجة الى الجديد لانها يئست ان تجد جديرا كالذي عهدته من قبل وعكفت تجتر القديم لانها كانت تجد فيه عزاء ربما ان لم تجد فيه جدة ونشوة ، وشيئا فشيئا فقدت الثقة بين القارئ والكاتب — استغفر الله والادب — بين القارئ الحق ومحترفي الانشاء الصحفي . وشيئا فشيئا اخذت زوايا الادب في الصحافة تضيق لان ارباب الصحف لا يشعرون بان الادباء يجلبون لهم مزيدا من العملاء ، وانما يثقلون كواهلهم بمزيد من الاجور ، وحتى بعض الاسماء التي امد الله في اعمار اصحابها وكان لها ذات يوم جد صنعت به ادبا وكسبت منه رصيدا من الثقة لم تعد وازنة بادبها عند ارباب الصحف ولكن بالقابها ، فاخذوا يجلبونها الى زوايا ليسوا منها وليست منهم في شيء ، وما ظنك بفنان يحترف الكتابة السياسية ؟ على حين اصبح ما يسمى ادبا شيئا لا يختلف عن الكلام الاخباري الا بطوله وامتداده كبعض البيانات السياسية التي تحبرها النواب للبرلمانات فمنها ما يجيء كالاعلانات لمبادئ واهواء مستوردة حتى ليكاد

للاجواء وتمهيد واضح للحوادث وهي كذلك لا تعتمد على الترتيب الزمني . وانما نتناول قطاعا معينا لا تخلو من الاعتماد على الايحاء وترك المجال فسيحا امام القارىء . ان ما افتقده الاخ المعلق ليس ذا قيمة هناك . وانما المقصود تجسيم التأزم النفسي والروحي اللذين تعانيهما جيل بطل القصة . وموقف هذا الجيل من الاحداث الاجتماعية المنحرفة . والاحداث الكونية الغامضة والحلول التي يراها امام هذه وتلك وهي حلول تسير الى حد بعيد بمؤثرات ثقافية وآراء ونظريات مستجدة هذا من جانب . ومن جانب آخر لنأخذ حل ممارسة الحرية في نطاقها المحدود كدواء للاحداث الاجتماعية المنحرفة نجد انه ناشىء عن شعور الجيل بالتخلف الاجتماعي وبروزه في شتى المظاهر وطغيان الاثرة والاعتداء على حريات الغير الخاصة . نلاحظ الجيل هذا في الوقت الذي يرى في المجتمعات الراقية ممارسة الناس حرياتهم دون ان يمسوا حريات الآخرين بمكروه . وحقيقة ان الحريات العامة ضرورية وانعدامها يفقد معنى الحريات الفردية المحدودة . لكن الا يصح التساؤل هنا . ما قيمة الحريات في مجتمع لا يقوى على حسن استغلال حرياته الخاصة ؟ ومن حيث السياق المهني في القصة ما دخل الحريات العامة هنا ؟ هل ان ظروف كارثة الزيوت كانت ناشئة عن اخلال بالحريات العامة ؟ ام انها نشأت عن تجاوز بعض الافراد حرياتهم في الاتجار الى درجة اصطدمت فيها مع حق من حقوق الآخرين الاولية وهو حق الحياة . فمن حق الانسان ان يتجر . وما دامت تجارته في الحدود المشروعة فلا مجال للاعتراض . اما ان يتجاوز التاجر الحد في حرية الكسب بالوسائل غير المشروعة ولا الشريفة في نفس الوقت فذلك ما نعده تعديا على حرية الغير وقد بلغ من بشاعة هذا التعدي هنا ان اصبح عشرة آلاف من المواطنين مقعدين عاجزين عن الكسب والانتاج عالة على المجتمع!! وهكذا يبدو ان الحل هنا ينسجم مع مصدر مأساة الزيوت المسمومة وهو مصدر يدل الواقع على انه ناشىء عن مجاوزة الحدود في التمتع بالحرية الفردية وليس ناشئا عن فقدان الحرية العامة التي لا يناقش احد في ضرورتها فكيف يتصور المعلق بناء فكرة الحريات العامة على هذا الاساس ؟ ولعله اذا تمعن جيدا فسيدرك لا محالة انها اي فكرة الحريات العامة تأتي مفتعلة مضخمة لا تنسجم بحال مع البناء المنطقي او بالاحرى الطبعي للقضية ولعل من الضروري سوق الفقرة التالية ليدرك الاستاذ المعلق الاساس الذي بنى عليه الكاتب فكرة الحريات المحدودة «هكذا انهارت آمالي العذبة واصبحت انسانا بلا امل وحينئذ آمنت بعبث الحياة وقسوتها انها مدمرة صاعقة تسحق كل من نجد في طريقها .. انها لا ترحم **وليتنا جميعا ادركنا هذه الحقيقة لكي نوفر على بعضنا المآسي التي يسببها فريق منا للبعض الآخر ولكننا نعينها عليها . فهي تدمر من جهة ونحن ندمر من جهات وفي كلتا الحالتين نحن الضحايا » .**

اما الاستهانة بالحلول الفردية هنا فهي ناشئة عن عدم الايمان بانها اقرب طريق للاصلاح . لان المجتمع يتألف من افراد كل واحد منهم نسيج وحده في ميوله وتكوينه واصلاح الفرد داخل الاسرة وفق احترام بعض المبادىء العامة للفضيلة يزود المجتمع بمجموعة من الاسر الصالحة التي تكون بدورها المجتمع فنحن باصلاح الفرد نصلح المجموعة فأية سعادة نحسها داخل مجتمع يقدر كل فرد مسؤوليته ويمارس حريته دون ان يتركها تطغى فتحطم حرية الباقين ؟

لم تكن اذن حل ممارسة الحريات العامة في نطاقها المحدود حلا لاصلاح الحياة كما توهم السيد المعلق ولكنه قدم كحل اجتماعي مبني على اساس احترام الناس وحرياتهم في مجتمع جاهل تغلب على افراده الاثرة وحب النفس . والنفس وحدها السيء الذي يلاقي منه المجتمع شتى المصاعب والويلات . اما الحياة نفسها وما في الحياة من اضداد ومتناقضات واحداث كونية غامضة تجهد الانسان في شرح اسبابها وحقائقها فسوف لا يستطيع الانسان ان يغير منها شيئا . وتغييرها مستحيل مرة اخرى كما ذكر احد شخوص القصة سيبقى الالم ما بقي الوجود مقابل اللذة والشر تجاه الخير والغي امام الرشاد . ستبقى الزلازل والكوارث ما دامت الارض تدور وعلى ظهرها مخلوق يدعى الانسان . هذا هو الجانب الذي تقصد عباس احد شخوص القصة استحالة تغييره في الحياة واذا كان السيد المعلق لا يشاطره هذا الرأي فما اوسع تفاؤله ! !

وعلى كل حال فللاستاذ المعلق خالص التحية والاعجاب لاقدامه الذي لم يشفعه بالاعلان عن اسمه للقراء وهي خطة لا داعي لها في مجال الادب والمناقشات الادبية ولا داعي ايضا للتلويح الذي قد يعتمد عليه آخرون يريدون ان يقولوا شيئا فيثنيهم عن الوضوح والمجابهة سبب من الاسباب .

حول التعليق على قصة

وردتان في عرش واحد

للأستاذ محمد الأمري

تناول الأستاذ ب.ك. قصة « وردتان في عرش واحد »[1] بالتعليق في العدد السابق من هذه المجلة. وإذا كان التعليق والنقد على أي إنتاج أدبي مما يساهم في خلق حركة أدبية فهو في نفس الوقت يشعر الأديب المبتدئ أنه لا يعدم التجاوب الضروري الذي يساعده على المضي في أداء رسالته الأدبية. وبين الإنتاج والتعليق والنقد والتعقيب تتجدد أفكار وآراء وتنفسح مجالات.

وقد عنت من خلال تعليق الأستاذ ب.ك. ملاحظات تدعو الضرورة إلى إبدائها.

يعترف الأستاذ المعلق بأن فكرة القصة في حد ذاتها أساسية ومن واقع الحياة المغربية لكنه عندما يتعرض لطريقة عرض الفكرة يبدي تحرجا في الإجابة عن سؤاله. هل عرف الكاتب كيف يشرح هذا المضمون ؟ وأخيرا يتغلب على هذا التحرج فيقرر « أن عرض الفكرة لم يكن عرضا قصصيا كاملا » لماذا ؟ لأنه « أشبه ما يكون بالمناجاة النفسية الذاتية والحوار الطويل الزاخر بالأفكار » فهل معنى هذا أن القصة يجب أن تخلو من المناجاة النفسية الذاتية ومن الحوار الطويل الزاخر بالأفكار ؟ وإذا كان الأمر كذلك ففي أي مذهب نقدي نراه ؟ هناك شيء لابد أن السيد المعلق تنبه إليه وهو أن الكاتب اختار أن ينسحب من الميدان ليترك القارئ وجها لوجه أمام أشخاص القصة يعبرون في حذق عن إحساساتهم وآرائهم التي لاحظ الأستاذ نفسه أنها تختلف وتتأرجح بين التفاؤل والتشاؤم. وهو أمر طبيعي ينسجم مع واقع الحياة إذ ليس كل الناس متفائلين وليسوا جميعا متشائمين !

وهل معنى ذلك أن السيد المعلق يريد أن يفرض على الكاتب نوعا خاصا من أساليب العرض ؟ إن الذي يعلمه الجميع أن الكاتب القصصي له الحرية في أن يختار الأساليب التي يراها صالحة لعرض قصته وله كذلك أن يمزج بينهما إذا شاء. إن له الحق مثلا أن يختار طريقة السرد والرسم الخارجي لشخصيات قصته. وله أن يختار طريقة التداعي أو طريقة التعبير الداخلي الذاتي أو طريقة الحوار أو الرسائل وغيرها من الأساليب التي يراها أصلح من غيرها لإبراز الشخصيات والحوادث. والكاتب هنا يرى أن الطريقة التي نهجها تساعد أكثر من غيرها على رسم المخطط النفسي للبطل وأسر المآسي التي تلعب بها على نفسه ولا أدل على ذلك من إدراك السيد المعلق هذا المخطط.

ويبدو أن الأستاذ بقي متأثرا بملاحظة الفكرة لقصة من النوع الطويل إذا شرع بملاحظة عدم الحصول على رؤيا واضحة لجو المستشفى وظروف الزلزال. وواضح أن كاتب القصة لم يتناول الفكرة كما يتمنى المعلق في قصة من النوع الطويل ولكنه عرضها في قصة قصيرة لا تحتمل ما لاحظ الأخ المعلق فقدانه فيها لأن المفروض في القصة القصيرة عدم التعرض للتفاصيل ذلك لأنها لا تتناول فترة معينة بتمامها بما تقتضيه من رسم

---

1) التحرير : نشرت القصة في العدد الأول من هذه السنة ونشر التعليق عليها في العدد الثاني من السنة نفسها

✻ دشن وزير التربية الوطنية مدرسة المعلمين الاقليمية في وجدة ، وذلك في فاتح فبراير .

✻ صدرت في شفشاون مجلة « الشراع » تعنى بشؤون الفكر والثقافة . وهذه المجلة هي اول مجلة تصدر بهذه المدينة الجميلة .

✻ « الاسلام كما يراه الغزالي » كتاب من تأليف الدكتور علي عثمان ، عرض فيه المؤلف فلسفة الغزالي وهو اول كتاب يدرس اصول هذه الفلسفة باللغة الانجليزية ليقدم لعلماء العرب المسلمين والعلماء الغربيين الذين بحثوا الغزالي تعريفا جديدا له . وهو الى جانب ذلك كشف عن جوهر التصوف الاصيل ، وتمهيد لمعرفة الانسان لنفسه وتفسيره لوجود الله .

✻ شكلت اخيرا لجنة بادارة التأليف التابعة لوزارة الثقافة بالقاهرة لفحص الكتب المقدمة من الناشرين . ستختار اللجنة الصالح منها لتوافق على نشرها بعد ان يطبع على نفقة المؤلف .

✻ ثلاثة كتب جديدة عن الشاعر ابو القاسم الشابي صدرت اخيرا وهي من تأليف الدكتور عمر فروخ ، وعبد اللطيف شرارة والسيد يحيى حسن .

✻ صدر منذ ايام كتاب « النثر بين المحافظة والتجديد » للاستاذ انور الجندي .

✻ « وجهان للخطيئة » مجموعة قصصية للقصاص سعد حامد صدرت في هذه الايام .

✻ ستصدر بالقاهرة مجلة خاصة بالقصة من اعداد واصدار الاستاذ صبحي الجيار .

✻ ترجم الاستاذ عبد الكريم احمد الى العربية كتاب « الطبيعة البشرية في السياسة » من تأليف گراهام والاس .

✻ تعنى اللجنة الموسيقية العربية الآن بجمع المعلومات والبيانات لاصدار اول دائرة معارف موسيقية عربية تجمع كل شيء عن الفنانين والموسيقيين العرب. كما تقوم وزارة الثقافة باعداد نبذة عن تطور الموسيقى العربية في ج.ع.م. تلبية لطلب بعض الجهات الفنية في الولايات المتحدة .

✻ قال العقاد ان مكتبته التي تضم اكثر من ٢٠ الف كتاب سيوقفها على بلدة اسوان ليستمتع بها ابناؤها .

✻ اشرف الدكتور طه حسين على نشر كتاب « المغني » للقاضي عبد الجبار امام المعتزلة .

✻ جمال الدين الافغاني ، واحمد عرابي ، والمويلحي ، وعلي الليثي ، ودلسبس سيظهرون على الشاشة لأول مرة .

✻ صدرت عن ادارة الثقافة بوزارة التعليم بالقاهرة « اعمدة المجتمع » لهنري ابسن، قام بترجمته الى العربية عزيز سليمان ، وراجعه محمد بدران ، كما صدر عنها كتاب « البكرا » تأليف جان جيرودو ، ترجمه الدكتور محمد علاب ، ومراجعة يحيى حقي بالاضافة الى كتاب « سيرانو دي برجراك » الذي الفه ادمون روستان ، وترجمه الى العربية عباس حافظ

✻ « الرد على الدهريين » عنوان كتاب للمرحوم جمال الدين الافغاني ، صدر اخيرا بتحقيق محمود ابو رية .

✻ انهى الكاتب عبد الرزاق نوفل وضع كتابه السادس في مجموعته التي يربط فيها بين العلم والدين . وهذا الكتاب يضم دراسات جديدة عن حياة الرسول الاعظم .

✻ اعد مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الثالث من معجم الفاظ القرآن الكريم .

✻ وافقت لجنة الترجمة بالمجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة على ترجمة الكتب الآتية : « الابله » لدوستويفسكي وسيقوم بترجمته حسين القباني ، و « ارض المغرب » لروم لاندو وسيقوم بترجمته حسين الحوت ، و « العقد الاجتماعي » لروسو وسيقوم بترجمته عبد الكريم احمد ، و « الارض الطيبة » لبيرل بك وسيقوم بترجمته وديع سعد ، و « عندما نبعث نحن الموتى » لابسن ، وسيقوم بترجمته محمود سامي احمد ، وكتب اخرى .

✻ اصدر الدكتور علي عيسى عثمان كتابا بالانجليزية عن امام الاسلام الغزالي .

أنباء ثقافية

❊ رواية « الشمس الكبير » للكاتب الجزائري ستظهر في فلم .

❊ قام الشاعر الاسباني المعروف خوسي ايسرو بالقاء محاضرة عن الشاعر الاسباني فدريكو كرسيا لوركا حياته واساحه في بعض المدن المغربية في تطوان ، والرباط ، والدار البيضاء .

❊ اصدر الاستاذ احمد المكناسي ، محافظ متحف تطوان الاثري كتابا عن المدينة الاثرية العراسية « ليكسوس » . ويعد هذا البحث هو الاول من نوعه يصدر بالعربية في المغرب .

❊ وضعت وزارة الخارجية اللبنانية باتفاق مع وزارة التربية في شروت مشروعا يقضي بانشاء عشرة مراكز ثقافية في الدول التي تبادلها لبنان التمثيل الدبلوماسي . وهذه المراكز هي : مركز في اوربا يشمل صلاحيته الدول الاوربية ، ومركز في المغرب يشمل صلاحيته للدول الافريقية مع 8 مراكز اخرى في امريكا اللاتينية .

❊ صدر اخيرا كتاب « مذكرات الملك ابو عبد الله — آخر ملوك غرناطة » الذي راجعه وحققه على النسخة الموجودة بجامع القرويين المستشرق لبي بروفنسال الراحل . ومذكرات الملك ابو عبد الله . هي وثيقة ادبية نفيسة نادرة المثال في الادب العربي . لانها تحكي بصدق ما وقع لهذا الملك اثناء استبداد الازمة التي اطاحت باسبانيا المسلمة بعد ذلك . انه صفحة ثمينة من تاريخنا العربي في الاندلس وشمال افريقيا . وقد صدر هذا الكتاب ضمن مجموعة «ذخائر العرب » بالقاهرة .

❊ ظهر العدد الجديد من مجلة « القصة السودانية » وتشتمل على مقالات وقصص وبحوث للعديد من الكتاب السودانيين .

❊ « غدا نلتقي » ديوان للشاعر السيد احمد الحردلو ، قدم له بدراسة نقدية الشاعر السوداني المعروف تاج السر الحسن .

❊ « لقاء عند الفجر » قصة طويلة صدرت اخيرا للكاتب محمد سعفان .

❊ « شعراء الزنوج » كتاب جديد الفه الاستاذ هولا يوسف عن شعراء الزنوج . والكتاب دراسة وتحليل لبعض هؤلاء الشعراء الذين اسهموا في تحرير الجنس البشري من قضية العنصرية .

❊ كتب الناقد الشاب سيد حميس دراسة عن القصة القصيرة تناول فيها المجموعات القصصية التي صدرت اخيرا بالتحليل والتفسير .

❊ نظمت وزارة التربية الوطنية المغربية خلال هذه السنة اسبوعين لافريقيا بالمغرب ، سيحضر نازل هذين الاسبوعين ممثلون عن جميع الاقطار الافريقية للتعريف بمختلف اوجه النشاط في هذه البلاد .

❊ زار المستشرق المجري المعروف الدكتور جرمانوس المغرب ، والقى عدة محاضرات في الادب والتاريخ ، واللغة ، في كلية الآداب المغربية .

* قرر المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة الاحتفال بذكرى الامام محمد عبده فى شهر سبتمبر القادم ، وستوجه الدعوة الى الجامعات والهيئات الثقافية وكبار الشخصيات العلمية فى جميع انحاء العالم للمشاركة فى هذا المهرجان .

* كتب الشاعر الشعبي حامد الاطمس ملحمة شعبية عن القتال . منذ الحملة الفرنسية الى تاريخ تأميمها تناول فيها قصة القتال منذ انشائها الى الان .

* فرغ امين سلامة من ترجمة « الاوديسة » مع مقدمة تحليلية للادب اليوناني . وستصدر فى حزيران .

* قررت وزارة التربية فى سوريا ادخال مادة الوعي السياحي فى برامج التدريس فى بعض من صفوف الحلقة الاعدادية بناء على طلب مديرية السياحة .

* نعت دمشق كاتبها الكبير رشيد الملوحي . وفقدت البلاد العربية بوفاته علما من اعلام الصحافة والادب والجهاد الوطني .

* توفى فى حماة سامي الشراج رئيس المركز الثقافي العربي بها الكاتب المربي الذي عرفته ميادين الجهاد والفكر والادب .

* صدرت فى دمشق مجلة ادبية باسم « الدروب » .

* اقامت جمعية ادباء العرب فى دمشق احتفالا كبيرا بمناسبة مرور 50 سنة على وفاة الكاتب الروسي تولستوي .

* صدر قرار فى دمشق بمنع تداول كتاب « اسرار الدولة » للكاتب الفرنسي ج. روبورفو . وكتاب « فجر ام ظلام ؟ » للصحفي الهندي رل كارنجيا الذي ترجمه عمر ابو النصر .

* زار الدكتور بيتر غلازما مدير آثار هولندا بدعوة من مديرية الآثار فى دمشق للاسترشاد بخبرته فيما يتعلق بالابحاث والتحريات العائدة لعصور ما قبل التاريخ .

* يعد الدكتور الدمشقي الاستاذ محمد الحاج حسين كتابا عن الحركات السرية فى التاريخ الاسلامي معتمدا على المخطوطات التي لم تنشر وكتب التاريخ والادب .

* اكتشفت البعثة الاثرية للحفريات فى سوريا برئاسة العالم شيفر الذي بدأ حفرياته اخيرا فى القسم الجنوبي من اوغاريت وهو قسم القصور الملحقة بالقصر الملكي على مجموعة من التماثيل البرونزية المحلاة بالذهب وهي ثلاثة :

1) تمثال برونزي بطول 16 سم اكبره تمثل الاله ايل كبير الهة اوغاريت جالسا تحت تاج مثلث كتاج الاله اوزوريس المصري وهو يلبس ثوبا طويلا .
2) تمثالان برونزيان مذهبان . 3) تمثال برونزي يمثل ثورا فحلا قوي العضلات .

* اصدر الاستاذ شاكر مصطفى كتابا بعنوان « القصة فى سوريا » أرخ فيه لتيارات القصة فى الاقليم الشمالي .

* بدأت وزارة الثقافة فى الاقليم السوري مشروعها لاحياء التراث العربي القديم بنشر ديوان بشر بن ابي خازم الاسدي . وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور عزة حسن .

* مهرجان الشعر العربي الثالث الذي تقرر عقده فى مدينة دمشق فى فصل الخريف المقبل لن يكون مقصورا على شعراء « معينين » فقد تقرر ان يكون بابه مفتوحا لمن يرغب الاشتراك فيه من الشعراء . هذا وستخصص اليومان الاخيران من هذا الاحتفال لذكرى الشاعر البحتري .

* اصدر مجمع اللغة العربية بدمشق الكتب الآتية التي حققها اعضاؤه : « النفس » لابن باجه الاندلسي ، و « رسالة ابن فضلان » . وكتاب « الابدال » لابي الطيب اللغوي . وديوان « خليل مردم » رئيس المجمع السابق . وسيوالي المجمع اصدار طائفة اخرى بعد تحقيقها ومنها : الجزء الثالث من « خريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الاصفهاني . وهو الجزء الخامس بشعراء الشام و « تاريخ ابي العلاء المعري » لسليم الجندي و « حلية البشر فى اعيان القرن الثالث عشر » لعبد الرزاق البيطار .

* عرضت مكتبات القاهرة كتبا خاصة بالاطفال نشسل . وتكوى . وتباع معقمة فى اكياس نيلون .

* « دراسات فى الشعر والمسرح » كتاب جديد صدر اخيرا للدكتور محمد مصطفى بدوى .

* قررت لجنة الاحتفال بذكرى شاعر الهند طاغور الذى سيقام بالقاهرة اعادة طبع ونشر ما ترجم من مؤلفاته الى العربية واصدار طابع خاص بهذه المناسبة .

* صدر عن مشروع الترجمة والالف كتاب مسرحية « امرأة بلا اهمية » للكاتب اوسكار وايلد الذي قام بترجمته الى العربية ميشيل عبد الواحد .

* « الحياة الادبية بعد سقوط بغداد » كتاب جديد اصدره الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي .

* انهى الاديب السكندرى حسين الغنام من دراسته لادب الشاعر الروسى باسترناك وترجمة حياته .

* يعد مصطفى السحرتى والشاعر العراقى هلال ناجي دراسة عن « الشعر القومى العراقي المعاصر » ويعرض فيه المؤلفان ايضا جذور الشعر القومي فى القرن التاسع عشر . والحياة الشعرية من مطلع القرن العشرين الى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وموقف الشعراء من الحركات التحررية والثورات القومية .

* بدأ الاستاذ ساطع الحصرى فى كتابة مذكراته الخاصة التى ستقع فى 1500 صفحة . وسيصدر الجزء الاول منها فى الربيع القادم . وللمذكرات جزآن آخران . وموضوعاتها تدور حول العراق والشام ورحلات ساطع الحصرى . وتاريخ العالم العربى فى خلال ثمانين عاما . وقد ظهرت فى هذه الايام فى المكتبات العربية الترجمة الانجليزية لكتابه « يوم ميلسون » وكان الحصرى قد وضع هذا الكتاب عام 1921 .

* يقوم انور الجندي بطبع كتاب عن المعارك الادبية والفكرية والاجتماعية التي دارت خلال نصف هذا القرن بين المفكرين فى العالم العربي .

* قام الدكتور طه حسين بترجمة قصة القدر للكاتب الفرنسي فولتير الى اللغة العربية .

* صدر كتاب « الخواطر والسوانح فى اسرار الفواتح » بتحقيق الدكتور حفني شرف .

* ترجم الى الفرنسية روايات نجيب محفوظ « القاهرة الحديثة » و « قصر الشوق » و « بين القصرين » .

* ستحتفل الاوساط الادبية القاهرية فى الشهور الاولى من هذه السنة بذكرى المازنى . وايليا ابي ماضي والزهاوي .

* صدرت فى القاهرة الكتب الآتية :

«خليل مطران» مع مقدمة وشروح وتعليقات للدكتور محمد صبرى « افريقيا وراء الصحراء » لصلاح صبرى « علم النفس الحربى » الطبعة الثالثة للدكتور محمد عثمان نجاتي « من الشرق الى الغرب » لانور حجازى « نظرية فى الانفعالات » لجان بول سارتر ترجمة الدكتور محمود على وعبد السلام القفاش « الخدمة الاجتماعية » لصباح الدين على « الفاخر » لابن طالب المفضل بن عاصم تحقيق عبد الحليم الطحاوى « النظريات السياسية الاسلامية » طبعة ثالثة للدكتور ضياء الدين « مشكلات القارة الافريقية السياسية والاقتصادية » للدكتور راشد البراوى .

* اختارت جمعية القانون الدولى الفصحى المصرى محمود كامل المحامى عضوا فى مجلسها . وهو العربى الثالث الذي تضمه هذا المجلس العالمى .

* صدر للدكتور طه حسين كتاب بعنوان « اثر الحضارة الاسلامية فى اوربا » .

* ترجم المستشرق الاسباني بدرو مرتينيث قصة « الرجل والمزرعة » ليوسف الشاروني الى اللغة الاسبانية .

* صدر كتاب « الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية » خلال القرنين الاول والثاني للهجرة ، وهو من تاليف الدكتور محمد جمال الدين سرور .

* منحت الحكومة العراقية اتحاد الادباء العراقيين مبلغ 4200 دينار مساعده له على اصدار مجلة « الاديب العراقية » .

* اصدرت مجلة « الرساله » العراقيه عددا خاصا بثورة الجزائر .

* صدر فى بغداد للشاعر محمد المهدي الجواهرى ديوان فى اربعه اجزاء محتوسا على الف صفحه .

* اوصى المكتب الدائم للثقافه بالجامعه العربيه حكومة اليمن بالانضمام لعضوية اليونيسكو ، واوصى السعوديه بحضور اجتماعات هذه المنظمه .

* اصدر المجمع الاسلامى بالهند كتاب « روائع اقبال » مع ترجمه وافيه لحياته ودراسه لفلسفته وفنه بقلم السيد ابو الحسن الندوى .

* بينما كان علماء الآثار الباكستانيون يجرون اعمالا حفريه عثروا على معبد هندوكى قديم يرجع تاريخه الى ما قبل العهد الاسلامى ، ووجدوا هذه الآثار فى « بهمبور » الواقعه على بعد 56 ميلا من كراتشى .

* تاجل انعقاد مؤتمر كتاب آسيا وافريقيا بكولومبو عاصمة سيلان . وكانت مهمته هى بحث التوصيات التي وافق عليها المؤتمر بطشقند .

* صدر لبوريس باسترناك فى هذه الايام ديوان شعر فى لندن يضم اربعين قصيده كتبها ما بين 55 — 1959 .

* اكتشف البعثة الالمانيه للتنقيب عن الآثار بحلب فى منطقة « تل خديره » معبدين تاريخيين يعود عهدهما الى الالف الثاني والثالث ق. م.

* اكتشف علماء الجيولوجيا الروسيون محيطا حقيقيا تحت الارض فى اسيا الغربية عذب المياه يمتد الى مسافة 3 ملايين كلم مربع ، وبعد الحفر الى عمق الف متر امكن الحصول على مياه درجة حرارتها 32 يمكن ان تخصب الاراضي القاحلة فى تلك المنطقة من آسيا .

* احتفل فى الايام الاخيرة بذكرى ميلاد بيتهوفن التسعين بعد المائة . وبهذه المناسبة اصدر العالم الموسيقي الالماني شوينوف كتابا عن حياة بيتهوفن تناول فيه هذا الموسيقي العبقري من زاوية جديده حيث صوره بطلا من ابطال الشعب الالماني الذين سخروا النغم للدعوه الى وحده المانيا والى الرغبة فى السلام والصداقة بين جميع الشعوب ، ويقول المؤلف ان اوبرا « فيديليو » ليست الا اغنية من اغاني مقاومة الطغيان والاستبداد. ويذكر المؤلف ان بيتهوفن تأثر باشعار فردريك شيللر تأثرا شديدا . وكانت كلمات شيللر : وعاد البشر جميعا اخوانا احباء ، ايها الملايين من الناس ، فليعانق بعضكم بعضا » . كانت هذه الكلمات تسحر بيتهوفن وهو سمعها من شيللر فى بيته بمدينة فايمار .

* تصدر فى نهاية السنة الحالية موسوعة فى اللغه الالمانية وضعها معهد اللغه الالمانية التابع لاكاديمية العلوم فى برلين الشرقية . وقد بدأ العمل فى هذه الموسوعه منذ مائه عام وتقع فى 33 جزء . وتضم الموسوعة جميع الالفاظ الادبية الالمانية منذ القرن الثاني عشر حتى الآن وتحليلا تاريخيا لتطور كل منها .

* عثر فى جنوب السويد على 560 قطعه فضية من العملة العربية القديمة . وقال الخبراء ان العملات المكتشفه صدرت فى القرن التاسع بسمرقند .

* وافقت اليونيسكو على ضم 23 دولة جديده لعضويتها ، معظمها من دول افريقيا .

* نعت باريس اخيرا كاتبها بليس ساندرا الذى فاز مؤخرا بالجائزة الادبية لمدينة باريس .

* فاز الاديب الفرنسي اندريه بير دي ماندبارج بجائزه القصه القصيرة عن مجموعته « نار الهشيم »

* ظهرت مجموعه من الاغاني لفرانسواز ساغان، نشرتها المجلات الادبية الفرنسية .

* انتهت جامعة السربون من مناقشة رسالة الدكتور مؤنس طه حسين حول « القرآن الكريم » .

* اعتمدت منظمة اليونيسكو فى ميزانيتها مبلغا يصرف فى طبع معجم لمصطلحات العلوم الاجتماعية

* تصدر عن دار الثقافة ببيروت « الاغاني » لابي الفرج الاصفهاني في 25 مجلدا بعشرة آلاف صفحة

* صدرت في بيروت الحلقة الثالثة لكتاب « سبعون . . » المفكر اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة .

* « الشاعر القروي » كتاب جديد صدر في بيروت للاستاذ عبد اللطيف شرارة .

* صدرت في بيروت للدكتور خليل حاوي مجموعة شعرية بعنوان « الناي والريح » .

* سيعلن في لبنان عن جائزة باسم وزارة التربية اللبنانية لمن يضع افضل كتاب تاريخي مدرسي يدرس فيه الناشئة اللبنانية تاريخ بلادها بعيدا عن الاساليب الطائفية والاستعمارية . وقدرها عشرة آلاف ليرة .

* فقد لبنان علما من أعلام اللغة والادب بوفاة الشيخ سليمان ظاهر عضو المجمع العلمي العربي . بدمشق وقد توفي في النبطية عن سبعين سنة . ومن مؤلفاته : « الذخيرة » و « الفلسطينيات » و « الالهيات » و « تاريخ قلعة الشقيف » و « معجم قرى جبل عامل » و « نقض فلسفة داروين » . كما ترك عدة مخطوطات

* سيقام احتفال كبير ببيروت للشاعر الاخطل الصغير « بشارة الخوري » في صباح يوم الاحد 21 مايو 1961 في القاعة الكبرى بقصر اليونسكو ببيروت .

* « قصحكت » عنوان رواية معدة للطبع في لبنان مؤلفها نور سلمان .

* اقامت الجمعية اللبنانية للعلوم السياسية في بيروت مؤتمرها الثاني لعلم السياسة في بيروت في ايام 13 و14 و15 من يناير الماضي وكان موضوعه « التمثيل الشعبي والانظمة الانتخابية » .

* نشرت مجلة « الادب » البيروتية في عددها الصادر في شهر دجمبر الماضي مقالا بعنوان « لو حكمت النخبة » نقلا عن جريدة « الصياد » . ويذكر هذا المقال ان لبنان جرب كثيرا من الحكومات . ولكنها لم تعط الدليل على اشعاع لبنان . ولنه جرب حكومة من رجال الفكر والقلم . وهؤلاء هم رجال الوزارة التي ستضطلع بهذه الحكومة ، وكلهم من رجال القلم المشهورين في لبنان :

الشيخ عبد الله العلايلي : للرئاسة والداخلية ميخائيل نعيمة : لوزارة الخارجية . سعيد عقل : لوزارة التربية . ما جد فخري : للمالية والزراعة . الدكتور صبحي المحمصاني : للعدل والتصميم . عارف الكدي : للاشغال العامة والاجتماعية . رشدي المعلوف : للدفاع والصحة . البير اديب : للانباء والاقتصاد . فما رأي لبنان في هذه الوزارة ؟

* اصدر شيخ ادباء لبنان الاستاذ مارون عبود كتاب « اشباح ورموز » تناول فيه مذاهب النقد المعاصرة .

* بينما كان الملك حسين يزور منطقة وادي موسى — مؤخرا لفت نظره صخرة كبيرة في وضع غير طبيعي . ولم يسبق ان تسلق هذه الصخرة احد من قبل . وتسلق الملك حسين الصخرة دون سلالم فشاهد كتابات ورسومات غريبة ثم طلب الى الدكتور عوني الدجاني مدير دائرة الآثار العامة دراسة هذه الرسوم . وقد وجد مدير الآثار العامة ان هذه الرسوم هي كتابات ثمودية وصفوية ترجع عهدها الى ما قبل المسيح مما يدل على ان سكان « رام » الاصليين كانوا عربا من الصفويين والثموديين ثم اصبحت بعد ذلك عربية نبطية قبل ان تصبح رومانية فاسلامية عربية . وقد زار الشيخ محمد الامين الشنقيطي وزير التربية والتعليم دائرة الآثار العامة واطلع على الصور التي التقطت لهذه الكتابات وعلى الدراسات التي شرع فيها لدراسة مراميها وقيمتها الاثرية .

* انضمت الكويت الى منظمة اليونسكو ، وبانضمامها اصبح عدد الدول العربية في اليونسكو عشر دول .

* اكتشفت في الكويت 1600 قطعة من العملة الذهبية التي كانت متداولة خلال القرن الثالث عشر في سمرقند .

* وافقت الحكومة العراقية على اقامة مهرجان علمي في الخريف المقبل تحت اشراف وزارة الارشاد بمناسبة مرور 12 قرنا على تأسيس مدينة بغداد ، وكذلك بمناسبة حلول الذكرى القريبة لمرور 1100 سنة على وفاة الفيلسوف العراقي المشهور بالكندي .

فهرس العدد الرابع ـ السنة الرابعة

باللغة العربية . وقد عهد الى المجمع اللغوي بالقاهرة باصدار المعجم الذي يفكرون في ان يكون على نمط معجم « لالاند » الفلسفي ، على ان يشمل الى جانب التعريب تأريخ المصطلح .

* اصدرت مجلة «كركولا» الشعرية التي تصدر بمالقة — اسبانيا — عددا خاصا بالذكرى الخمسينية لميلاد الشاعر الاسباني ميكيل ارناندث ، كما اصدرت مجلة «انسولا» المدريدية عددا خاصا بهذه المناسبة .

* لقد فسح المجال في اسبانيا لانتاج الشاعر فدريكو كرسيا لوركا بعد اكثر من 25 سنة كان فيه محرما من جانب السلطة الاسبانيه . فقد عرضت في هذه الايام في مدريد مسرحيته « يرما » التي نالت نجاحا كبيرا ، وكان لوركا قد ولد من جديد في اسبانيا على افواه المحاضرين والنقاد وفي المجلات الاسبانية وفي دور الطبع . بعد ما اكتسح اسمه العالم .

* اصدر الاديب الايطالي البرتو مورافيا قصة طويلة بعنوان « الملل » قال فيها بانها تعبر عن روح العصر .

* الدوائر الادبية في بريطانيا تستعد للاحتفال باعظم شاعر لعام 1960 . تقوم بالاستفتاء في هذا الموضوع جامعتا اكسفورد وكمبردج اللتين تخرجان كتابا سنويا عن الشعر .

* انهى الاديب الانجليزي درموند شتيوارت من كتابه روايته الاخيرة التي تدور احداثها في مصر وفلسطين ولبنان والعراق في الفترة الواقعة بين عام 1947 وعام 1952 واسم الرواية « رجال الجمعة » .

* كتاب جديد عن حياة اوسكار وايلد في باريس بعد الحكم عليه بالسجن في بريطانيا تصدره احدى دور النشر البريطانية، وهو عبارة عن يوميات واقعية.

* صدر اخيرا في لندن العدد الاول من مجلة « اصوات » ، وهي مجلة ثقافية تصدر اربع مرات في السنة .

* اعلن ان الكلية الجامعية في لندن تقوم حاليا بصنع انسان ميكانيكي قادر على القراءة والكلام والكتابة وينتظر ان يتم انجازه خلال سنة واحدة . وهو اكثر فعالية من الانسان الميكانيكي الاصغر حجما الذي سبق ان قام الدكتور تايلور من اساتذة كلية الهندسة في الجامعة بصنعه . وباستطاعة هذا الانسان الآلي الصغير ان يعرف الاشكال الهندسية ، وبعض احرف الهجاء .

* تمكن المعهد الوطني الملكي للعميان في بريطانيا من احداث اول تغيير في طريقة برايل لقراءة المكفوفين وهي الطريقة التي ابتدعت منذ نحو 100 سنه . اما التغيير الجديد فيتناول الورق المستخدم اذ بدلا من احداث الثقوب في ورق مانيلا الخاص . اصبح من الممكن بموجب الطريقة الجديدة احداث نقط بلاستيكية فوق ورق عادي . الامر الذي يجعل الطباعة بهذه الطريقة ارخص واسهل ويجعل احجام الكتب التي يستخدمها المكفوفون اصغر بكثير .

* ما يزال حزيرة كريت تسبح رغائب العلماء بتقديمها الآثار القديمة الفنية . فقد اكتشف مفتش الآثار بلاتون في محلة بروفنس بالقرب من سيتيا « فيلا » مبنوية مكونه من ثلاثين غرفة يعود تاريخها الى القرن الخامس عشر ق. م. ومن ناحية اعمال التنقيب التي يشرف عليها العالم بلاتون في محراب اولوس كشف عن نحو الف قطعة تدور والهة مصنوعة من الفخار ، وسارات فلكيه ، ومصابيح ، وكؤوس تعود تاريخها الى القرنين السادس والخامس ق. م.

* سجل الاحصاء ان متوسط ما يطبع من الكتب في العالم خمسة آلاف مليون نسخة سنويا . نصف هذا الرقم من الكتب المدرسية . اما النصف الباقي فتوزيعه على هذا الشكل :

الاتحاد السوفياتي 650 مليون .
بريطانيا 286 م.
الولايات المتحدة 164 م.
المانيا الغربية 108 م.
فرنسا 100 م.
هولندا 31 م.
البرازيل 28 م.
بلجيكا 26 م.
فنلندا ويوغسلافيا معا 42 م.
البلاد العربية كلها 20 م.

دعوة الحق

4/7

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف 18-5-62
الرباط المغرب الاقصى



العدد السابع - السنة الرابعة
ذو القعدة 1380 - ابريل 1961
ثمن العدد : درهم واحد

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

العبرة من قضية فلسطين

عندما أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين في 15 ماي 1948 كان اليهود قد أتموا استعداداتهم المادية والمعنوية بمساعدة دول الغرب الاستعمارية وفي طليعتها بريطانيا ، فأعلنوا دولة دخيلة في قلب الوطن العربي أطلقوا عليها اسم «اسرائيل» . ومما تجدر الاشارة اليه ان الولايات المتحدة كانت اول دولة سارعت الى الاعتراف بالدولة الدخيلة بعد دقيقتين فقط من الاعلان عنها ، واذا كانت الجيوش العربية قد هبت آنذاك لنجدة عرب فلسطين ومقاومة الغاصبين فان هيئة الامم المتحدة . والدول الاستعمارية الكبرى وتخاذل القيادات العربية ادت في النهاية الى تشريد ازيد من مليون لاجئ عربي واستحواذ اليهود على اكثر من الاراضي التي منحها اياها مشروع التقسيم ، واصبحت اسرائيل واقعا ثابتا قائما تتحدى التاريخ والحق والقيم الانسانية بجميع اشكالها ، وتهدد مصير الامة العربية في كل وقت وحين .

ان الادوار التاريخية التي مرت بها قضية فلسطين منذ ان استقر رأي الصهاينة على انشاء وطن قومي لهم في ارض فلسطين تفتح اعيننا على وقائع مؤلمة . فالحركة الصهيونية قد ربحت المعركة : 1) بتنظيمها القوي المحكم ونشاطها الدائب . وتوفرها على كفاءات علمية ومالية هامة ونذكر بهذا الصدد ان الصهيونية العالمية بقيادة (حاييم وايزمن) خلال الحرب العالمية الاولى استطاعت ان توجه قوة اليهود المالية في العالم وتحولها بكاملها لدعم جهود الحلفاء الحربية ، وان تقوم بعمل دبلوماسي كبير حيث استطاعت ان تقنع كلا من فرنسا وبريطانيا بانها قادرة على اقحام الولايات المتحدة في الحرب مقابل الحصول على وعد بانشاء وطن قومي ليهود

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد السابع
السنة الرابعة
ذو الحجة 1380
ابريل 1961

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



منظر جميل على نهر « زيز » بناحيه قصر السوق - عماله تافيلالت -

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة **«دعوة الحق»** - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم . والشرفي 20 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كامله .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
« دعوه الحق » الحواله البريديه رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة **«دعوة الحق»** - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعيه ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافيه .
فى كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 308.10 - الرباط

دراسات إسلامية

دواء الشاكين وقامع المشككين

- 13 -

للدكتور تقي الدين الهلالي

قـــال المؤلف : واذا نظرت في المجهر ترى نحته اصغر حيوان واصغر زهرة مرداته بخطوط الجمال المحكم الصنع (صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون) ، والخطوط الملونة من العناصر والمركبات من ندفة الثلج الكبرى الى اصغر شكل منوا تراها متقنة الصنع بشكل مدهش . حتى ان الفنان مهما بلغ في فنه فليس في امكانه ان يزيد عليها شيئا . وغاية ما يقدر عليه ان يحاكيها او ينتزع منها خطوطا واشكالا فيؤلفها ويجمعها في شكل واحد ، فكل ورقة من كل شجرة سليمة تراها قد برزت في احسن صورة من الكمال . وترى ظاهر كل نبات قد وضع على صورة تتسم بطابع خاص لخطوطه في فن رائع . وترى الازهار قد صورت في غاية اخضرت لها من الجمال والكمال . والوانها قد وزعت بشكل عجيب .

ان الحيوان الكامل هو شيء جميل . وحركاته مملئة بالسهولة والفخامة ، والوادي الاخضر والنهر والاشجار الباسقة . وقمم الجبال المغطاة بالثلج . كل ذلك يحدث في النفس روعة واثرا عظيما . وان في منظر كثبان الرمال الممتدة في الصحراء المنتشرة فيها لبهجة عظمـــه .

وان جلال تتابع امواج المحيط وانكسارهـا على ارض الشاطىء ، وتحليق الطير في الجو على البحر او على شاطئه او في الغابة بالوانها الجميلة المختارة ، كل ذلك يتحدى من له بصر يبصر به وعقل يعقل به ويقدر الامور حق قدرها ، وحركات الحيتان في سهولة ويسر وتموجات نبات البحر تحت الماء اسفل يملأ نفس الانسان بمعنى من الانسجام تستجيب لما تطلع اليه وتشتاقه ، والطبيعة اذا لم تغيرها التحريف والتشويه تظهر مسعدة لتبرز فيما اسمى واجل ما في نفوسنا من الشعور الباطن . وتوحي الينا الاعجاب بصنع الخالق الاعلى الذي وهبنا هذه الهبة من الجمال ، وهي نعمة لايدركها ادراكا كاملا الا الانسان وحده ، والجمال هو الذي يرفع الانسان وحده الى مرتبة تكون فيهـــا قريبا من خالقـه .

ويظهر ان الغاية واحدة في جميع الاشياء مـــن النسب الكونية الكبرى التي تسير العالم باذن الله الى الذرات التي تبني عليها حياتنا . ولو لم يكن للتطـور هدف غير اعداد مادة لتلقي الروح ، لكان ذلك غرضـا مدهشا في حد ذاته . واذا كانت حقيقة الغاية مقبولـة بالنسبة لجميع الاشياء . وصدقنا ان الانسان هو اهم مظهر لتلك الغاية . فان الاعتقـاد العلمي بان جسم الانسان وجهاز دماغه مادي يمكن ان يكـون صحيحـا تماما . فان الذرات والهباءات في المخلوقـات المتصفـة بالحياة تعمل اشياء عجيبة وتصنع اجهـزة مدهشـة . لكن مثل هذه الاجهزة ستبقى عديمـة الفائدة الا اذا حركها العقل حركات مقصودة ذات غرض . اذن فهناك مدبر لهذا الكون لايستطيع العلم ان يحيط بكنهه . ولا ان ينسبه الى المادة ، ولن يتجرا العلم ان يقول انـــه مادي بل هو الخالق الاعلى الذي لاسبيل الى الاحاطـة بعلمــــه .

تعليقـــــات

انتهى هذا الفصل من كلام المؤلـف ، وقبـل ان ندخـل في الفصل الثانـي ينبغـي لنا ان نعلـق على ماترجمناه تعليقا يزيده وضوحا وبيانا :

العالم . كما تمكن حاييم وايزمن ذاته من مساومة بريطانيا على اكتشافاته العلمية لانواع جديدة من المتفجرات لها قيمتها الحربية وذلك لقاء اعترافها بمطامح الحركة الصهيونية الغاشمة .

2 - بالدور الماكر الذي لعبه الحلفاء بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وذلك خلال مؤتمر السلام الذي عقد في قصر فرساي في 11 نوفمبر من سنة 1918 والتي ظهرت فيه نوايا الاستعمار واطماعه على حقيقتها وكان حظ العرب توزيع اراضيهم الى مناطق نفوذ فرنسية وبريطانية والبر بوعد بلفور وتسليم فلسطين لليهود بعد انتهاء الانتداب البريطاني عنها ، وقد اتبعت بريطانيا خلال فترة الاحتلال جملة من من الاساليب الماكرة لايزال التاريخ يدين بها الاستعمار الى الابد ونذكر منها :

- سلب الاراضي العربية في فلسطين ومنحها لليهود .
- اشراك الوكالة اليهودية في تسيير الامور الادارية .
- تيسير سبل الهجرة لليهود من مختلف انحاء العالم للاستيطان بارض الميعاد .
- اعطاء الجنسية الفلسطينية لجميع اليهود الوافدين الى البلاد .
- منح اليهود امتيازات خاصة كتشغيلهم في الادارات الحكومية والحاقهم بمناصب عليا .
- اغراء الفلاحين الذين كانوا يعانون البؤس والحاجة وتثقلهم الضرائب والديون بالمال لبيع اراضيهم .
- جعل اللغة العبرية لغة رسمية .

3) على اننا لانعفي انفسنا من المسؤولية فلئن استطاع الاستعمار ومن ورائه الصهيونية العالمية ان يلعب الاعيبه ويقيم في الوطن العربي دولة ممسوخة فلان عزائمنا وخططنا وتصميماتنا لم تكن في مستوى الاحداث ، وقد كانت الحرب التي خاضها العرب لانقاذ فلسطين آخر الامر ، مناسبة أليمة كشفت القناع عن كثير من العورات والعيوب كان لها اثر كبير لما يجرى في شرقنا العربي الى اليوم من احداث وانقلابات .

واليوم وبعد مرور اريد من 13 سنة على مأساة فلسطين نعتقد ان المعركة لم تنته لا بالنسبة للعرب ولا بالنسبة لليهود ، فالرقعة الضيقة التي يعيش عليها اليهود لاتلائم المخطط الذى وضعوه . وما زالوا يتحينون الفرصة لمد نفوذهم على بقاع جديدة من الوطن العربي ثم ان شعورهم بالحقد والكراهية التي يكنها لهم العرب يدفعهم كل يوم الى استجلاب المزيد من المهاجرين ومضاعفة عدد السكان ، فالعرب اذن مدعوون تحت تأثير هذا الواقع السيء وهذه الاطماع الخبيثة الى حولة ثابتة لصد العدوان وتأكيد حق اللاجئين في العودة الى اوطانهم واعادة المشروعية من جديد الى ارض فلسطين ، فعلى الجيل العربي الصاعد ان يرفع يقظته وحذره ليكون على اتم استعداد للجولة القادمة متخذا من الماضي بما فيه من مآسي واخطاء عبرا ودروسا .

دعوة الحق

اي علفنها تبنا وسفيتها ماء ، وكذلك يقدر فعل في الحديث اي عافسنا الازواج وخالطنا الاموال ، وقوله : لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم ، معناه ان المؤمن اذا ذكر الله خشع قلبه ولان وصعدت نفسه بالمراقبة الى الملأ الاعلى حتى كأنه شاهده ، كما جاء في الحديث الاخر الذي رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب (ان تعبد الله كانك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك) وهذه الحالة من المراقبة لاتدوم ، لانها لو دامت لعطلت مصالح الجسم وحاجاته . ولذلك قال النبي (ص) ساعة وساعة : اي ساعة لاداء حقوق الجسد وساعة لاداء حقوق الروح ، وليس الاشتغال بحقوق الجسد من النفاق كما توهم حنظلة .

4) وقوله : لو لم يكن للتطور هدف غير اعداد مادة لتلقي الروح ، لكان ذلك عرضا مدهشا في حد ذاته . يشير الى اطوار خلق الانسان حتى بلغ الى ما هو عليه فاستحق التكريم بالعقل الذي جعله سيدا وحاكما على غيره من الحيوان والنبات والجماد على حسب رأيه ورأي من رافقه في التطور .

5) قوله : واذا كانت حقيقة الغاية مقبولة بالنسبة لجميع الاشياء الخ . . معناه يتلخص في ابتداء الخلق وتطوره حسبما يعترف به علماء المادة في حد ذاته امر عجيب يدل على عظمة خالقه . ولكنه بدون عقل يدبر شؤونه تدبيرا مقصودا يكون عديم الجدوى .

وهذا العقل الذي وهبه الله الانسان يدلنا دلالة قاطعة على ان لهذا الكون مدبرا حكيما عالما قديرا ، ولن يجرأ العلم ان يقول ان ذلك المدبر الحكيم مادة عمياء صماء لا علم لها ولا قصد ولا ارادة .

وقد وصلنا الى الفصل العاشر من الكتاب وهو فصل وحدات الوراثة . فنقتصر على هذا القدر وموعدنا الجزء التالي بحول الله .

تحديد الكفر والايمان

« الكفر هو تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام في شيء مما جاء به . والايمان تصديقه في جميع ما جاء به . فاليهودي والنصراني كافران لتكذيبهما الرسول ، والبرهمي بالطريق الاول لانه انكر مع رسولنا سائر المرسلين والتحق بهم الثنوية والزنادقة والدهرية وكلهم مشركون فانهم مكذبون للرسول : فكل كافر مكذب للرسول . وكل مكذب للرسول كافر . فهذه هي العلامة المطردة المنعكسة .

(فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة لابي حامد الغزالي)

1) قوله : واذا نظرت في المجهر ترى تحته اصغر حيوان واصغر زهره مزدانة بخطوط الجمال المحكم الصنع . الخ . . مقصود المؤلف بهذا الكلام ان العالم كله من اصغر حيوان لايرى الا بالمجهر الى اكبر مخلوق كالشعرى مثلا ، كل ذلك متحد في احكام الصنع واتقانه لاترى فيه اختلافا ولا تفاوتا (ما ترى في خلق الرحمان من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) فوحدة الصنع تدل على وحدة الصانع . وفي الشاهد امثله كثيره . ولله المثل الاعلى . فاذا رأيت كتابا قد خط بخط جميل متشابه في كمال الحسن متجانس في اشكال حروفه سواء اكانت في اول الكلمه ام في وسطها ام في آخرها لاترى فيها اختلافا . ولا ينقص جمال بعضها عن بعض ، نعلم نفسا ان الذي كتب الكتاب شخص واحد . وانه بذل عنايته وقصد الى تحسين الخط وتجويده حتى جاء آيه باهره في الجمال . واذا رأيت صوره في غاية الجمال والتناسق تعرف ان مصورا واحدا هو الذي رسم خطوطها ثم اتمها ، وهكذا يقال في حدائق الازهار وفي الزرابي الجميله الثمينة الى غير ذلك من المصنوعات ، قال تعالى في سوره الانبياء منددا بالمشركين الذين يأكلون خيره ويعبدون غيره (20\22) (ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون . لو كان فيهما آلهه الا الله لفسدتا فسبحان رب العرش عما يصفون) قول سبحانه ينشرون اي يحيون . ولا يستحق ان يعبد الا من يحيي ويميت . واما من يحيا ويموت فعبادته من اسفه السفاهات ، وقوله تعالى : لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا . اي لو كان في السموات والارض آلهه غير الله لاختل نظامهما وساد واعقبه الفساد . وقال تعالى في سوره المومنين ــ 90 ــ (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) قال في تفسير الجلالين : اي لو كان معه اله (لذهب كل اله بما خلق) اي انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه (ولعلا بعضهم على بعض) مغالبة كفعل ملوك الدنيا (سبحان الله) تنزيها له (عما يصفونه به مما ذكر ــ وقال تعالى في سوره فاطر 41 (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا) يعني ان الله يحفظ السموات والارض كل منهما يدور في فلكه بغاية الاحكام والاتقان ، ولولا حفظه لزالت السموات والارض من افلاكها ، ولو زالت لما امسكها احد غيره .

2) قوله : والخطوط البلورية من العناصر والمركبات من ندفة الثلج الكبرى الى اصغر شكل منها نراها متقنة الصنع بشكل مدهش ، حتى ان الفنان مهما بلغ في فنه فليس في امكانه ان يزيد عليها شيئا وغاية ما يقدر عليه ان يحاكيها او ينتزع منها خطوطا واشكالا فيؤلفها ويجمعها في شكل واحد ، ومن هذا نعلم ان الفنانين مهما بلغوا في جمال فنهم واحكامه واتقانه انما هم محاكون ومقلدون لصنع الله العزيز العليم . الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، قال تعالى (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) البقره 152 .

3) قوله : والجمال هو الذي يرفع الانسان وحده الى مرتبه يكون فيها قريبا من خالقه ، يعني ان النظر في عجائب مخلوقات الله يرفع الانسان وحده دون غيره من الخلائق الى درجه المراقبه ، فيكون قريبا من الله تعالى قرب منزله ومكانه ، ويقرب من هذا المعنى ما ثبت في الصحيح عن حنظله : انه لقي ابا بكر الصديق فسلم عليه ابو بكر فرد عليه السلام ثم قال : كيف حالك يا حنظله . فقال : نافق حنظله . قال : وما ذاك ؟ قال : نكون عند رسول الله يذكرنا بالجنة والنار حتى كانا رأي عين فاذا خرجنا من عنده عافسنا الارواج والاموال فنسينا كثيرا . قال ابو بكر وانا ايضا احد مثل ذلك . فانطلقا الى النبي (ص) فسلم عليه حنظلة فرد النبي السلام عليه ثم قال : كيف حالك يا حنظله ؟ فقال حنظله : نافق حنظله يارسول الله . فقال رسول الله : وكيف ذاك ؟ فقال : نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار حتى كانا راي عين . فاذا خرجنا من عندك عافسنا الارواج والاموال فنسينا كثيرا . فقال رسول الله (ص) : والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عليه عندي لصافحتكم الملائكه في طرقكم وعلى فرشكم ، ولكن ساعه وساعه ، قوله : عافسنا الارواح المعافسة المصارعه ، والمراد الاستمتاع بهن ، وعطف الاموال على الارواح من باب

علفتهـا تبنـا ومـاء بـاردا
حتـى شتت همـالـة عينـاهـا

يقضي بما نشاء في مايتعلق بنظام تعليمنا . انه من اللازم ان نكون غايتنا الآن من وراء التعليم ان نعد افرادا يعرفون حضارتنا القومية ــ اي ديننا اذ ليست حضارتنا القومية شيئا غير ديننا ــ معرفة جيدة ويؤمنون بها ايمانا صادقا ويكونون على احسن علم بمبادئها وعلى اتم يقين بأنها الحق ويتحلون بالسيرة القوية والاخلاق المتينة الموثوق بها على حسب ما تقتضيه هذه الحضارة ، ويكون ، مع هذا ، من الكفاءة العلمية حيث يقدرون ان يسيروا حياتنا الاجتماعية ويعملوا على ترقيتها وفق مبادىء هذه الحضارة .

وجوب محو التفريق بين الدين والدنيا :

والامر الثاني الذي يجب ان لا نغفل عنه كمبدأ اساسي لنظامنا التعليمي ، والذي يجب ان ننهض عليه هذا النظام ، هو ان نقضي على ما يوجد فيه اليوم من التفريق بين الدين والدنيا . الحقيقة ان هذا التصور للتفريق بين الدين والدنيا انما هو تصور مسيحي او هو من اليودية والبرهمية والرهبانية ولا علاقة له بالاسلام ابدا . فسنكون مسرفين في الخطأ اذا قبلناه في نظامنا للتعليم أو المدنية والدولة . اننا لانقول ابدا ان يكون لنا نظامان مختلفان : نظام لتعليمنا الديني ونظام لتعليمنا الدنيوي او المدني . بل الذي نقول به ــ على العكس من هذا ــ هو ان يكون تعليمنا دينيا ودنيويا معا في وقت واحد . دنيويا على اعتبار ان يفهم الدنيا ويتأهل لتسيير كل شؤونها ، ودينيا على اعتبار ان لايفهم الدنيا الا بوجهة نظر الدين ولا يسير جميع شؤونها الا وفق تعاليمه وتوجيهاته . ليس الاسلام بدين يسمح لنا بأن نسير شؤون الدنيا كيف ما نشاء ويرتضي ونكتفي بأن نجعل عددا من العقائد والعبادات تكملة لها في حياتنا . كلا . ان الاسلام ما كان مقتنعا في الماضي وما هو بمقتنع اليوم بان يكون مجرد تكملة للدنيا في الحياة الانسانية . بل الذي يريده الاسلام هو ان يكون رائدنا ومرشدنا في حياتنا ومنهاجا وحيدا لاعمالنا وتصرفاتنا في جملة شؤونها . انه لا يتكلم عن الملا الاعلى فوق الدنيا فحسب ، بل يبحث كذلك في مسائل الدنيا ومشاكلها كلها ويبين لنا حقيقة هذه الدنيا ولماذا جئنا اليها وما هي الغاية لحياتنا فيها وما هي مكانتنا الحقيقية في ملكوت السماوات والارض وما هي المبادىء التي يجب علينا ان نتبعها فيها . وهو يقول للانسان ان هذه الدنيا مزرعة الآخرة ، فكل ما سنناله في الآخرة انما سيتوقف على ما نزرعه في هذه الدنيا ، ولهذا فانه يعلم الانسان كيف يقوم باعمال الزراعة في هذه المزرعة حتى ينال ثمراتها في الآخرة شهية مرضية . فكيف لدين هذا شأنه ان يرضى بأن يكون عندنا نظامان للتعليم : نظام للتعليم الديني ونظام للتعليم الدنيوي أو بأن نضيف الى تعليمنا الدنيوي البحت تعليما دينيا كتكملة. بل هو يقضي ان لا يكون التعليم عندنا في جملة مراحله الا من وجهة نظر الدين ، فاذا درست الفلسفة فلا تدرسها الا بوجهة نظر الاسلام حتى تكون فيلسوفا مسلما ، واذا درست التاريخ فلا تدرسه الا بوجهة نظر الاسلام حتى تكون مؤرخا مسلما ، واذا درست العلوم التجريبية science فلا تدرسها الا بوجهة نظر الاسلام حتى تكون عالما scientist مسلما ، واذا درست العلوم الاقتصادية ، فلا تدرسها الا كما يجب ان يدرسها المسلم حتى تتأهل لأن تصنع نظام الاقتصاد لبلادك في قالب الاسلام وتصبغه بصبغته . واذا درست العلوم السياسية ، فلأن تكون اهلا لتسيير نظام الحكم في بلادك وفق مبادىء الاسلام واحكامه وتعاليمه ، واذا درست القانون فلأن تحكم بين الناس حسب ما قدم الاسلام من المعيار للعدل والانصاف وهكذا وهكذا **فان الاسلام يجب ان يمحو التفريق بين الدين والدنيا في السياسة التعليمية ويجعل التعليم من المدارس الابتدائية الى الكليات والجامعات دينيا بحتا ، فلا يبقى لنا بعده من حاجة الى نظام للتعليم الديني مستقل عن هذا النظام الشامل ، بل ان جامعتنا وكلياتنا هذه هي التي ستخرج لنا الائمة والمفتين وعلماء الدين وهي التي ستخرج لنا السكريتيرين والمديرين والعمال لادارة الحكومة القومية .**

تقويم الاخلاق وتشكيل السيرة :

والامر الثالث الذي يجب رعايته بصفة خاصة في النظام الجديد الذي نريد وضعه للتعليم ، هو ان يكون فيه الاهتمام بتقويم الاخلاق واصلاح السيرة اكثر من الاهتمام بالعلم الكتابي . لأن تدريس الكتب وتلقين الطلاب المعارف والفنون المجردة لا يكاد تكفي في ما نحن بصدده ، بل الذي نحتاج اليه قبل كل شيء آخر هو ان يكون كل واحد من شباننا متخلقا بالاخلاق الاسلامية القوية وتكون وجهته للنظر والفكر اسلامية

النظام الجديد للتعليم والتربية

للأستاذ : أبي الأعلى المودودي

- 2 -

الحاجة الى خطوة انقلابية :

اننا اذا كنا نريد ان نصلح الوضع التعليمي في بلادنا ، فلا بد لنا ان نخطو لذلك خطوة انقلابية حاسمة .

الحقيقة اننا في مرحلة من مراحل تاريخنا يلح علينا بان نقضي على كلا النظامين الجاريين للتعليم في بلادنا ، النظام القديم الديني كما يسمى ، والنظام الجديد الذي انما قام تحت حكم الانكليز وسيادتهم حسب ما كانت تقتضيه سياستهم الاستعمارية ونبتكر بدلا منهما نظاما جديدا للتربية والتعليم يكون بريئا مما في هذين النظامين من النقائص والمعايب ويفي بكل ما لنا في حياتنا في هذا الزمان من الحاجات كامة مستقلة بامرها مؤمنة بدينها متطلعة — مع هذا — الى معارج الرقي والازدهار . فهذا النظام الجديد للتربية والتعليم هو الذي اريد ان ابين معالمه واوضح طريقة وضعه بهذه السطور :

١ — تحديد الغاية : ان اول ما يجب ان نقطع فيه ونفرغ من امره قبل كل شيء آخر في مرحلة وضع هذا النظام الجديد ، هو تحديد الغاية التي نقصدها بهذا النظام .

لا يقصد بعض الناس من التعليم الا تحصيل العلم المجرد فيقولون بانه من اللازم ان لا يلقن الطالب الا التعليم الحيادي حتى لايدرس مشاكل الحياة ومعاملاتها وحقائقها الا دراسة عرضية objective study ولا يستخرج منها النتائج الا باستقلال رأيه . ولكني اقول ان مثل هذه الدراسة العرضية انما تقوم بها آلات التصوير ولا يستطيع ان يقوم بها الانسان ابدا ؛ فان للانسان وراء عينيه ذهنا له على كل حال وجهة للنظر ، وله في الحياة غاية وله ناحية مخصوصة للتفكير في مسائل الحياة ، وهو لاينظر ولا يسمع به ولا يستجمع في ذهنه من معلومات ، الا وانه لايزال يفرغها في قالب فكرية المخصوصة التي نوجد فيه كشيء فطري اساسي ، وانه على اساس فكرته هذه ، يقوم ذلك النظام لحياته ، الذي نسميه « ثقافته » .

فنحن اذا كانت لنا ثقافة في حقيقة الامر وكنا امة لها عقائدها ولها في الحياة غاية واصول ومبادىء ، اذا كنا امة كهذه ، فلا بد لنا اذن ان نربي نشأنا الجديد لأن يفهم ثقافتنا ويقدرها حق قدرها ويعمل على الاحتفاظ بها بل على ترقيتها في المستقبل على اسسها الاصلية . ان هذه لهي الغاية التي لأجلها يقيم كل امة في الارض نظاما مستقلا لتعليمها واني لا أعرف في الدنيا امة انما تقيم نظام تعليمها على أسس عرضية امة لاتلقن ابناءها الا تعليما غير مصبوغ بصبغة ما ولا تربيهم الا محايدين لايقضون بحرية رأيهم هل عليهم ان يعملوا على حفظ ثقافتهم القومية التي ورثوها عن اسلافهم ام عليهم ان يلتحقوا بثقافة اخرى غير ثقافتهم ، كما انني لا اعرف في الدنيا امة مستقلة تستمد نظامها للتعليم بحذافيره من امة اخرى ، ثم لا تنفك تربي عليه اجيالها المتعاقبة بدون ان تفكر في ان تصبغه بصبغة ثقافتها . اما ان تختار لنفسها نظاما وضعته لها امة غيرها ، نظاما يحقر في نظر ناشئتها دينها وحضارتها وثقافتها وتاريخها .... الخ ويطبع افكارهم وآراءهم بطابع نظريات اولئك الذين وضعوا لهم هذا النظام ، فان هذا من اشنع انواع الانتحار لاتكاد تقدم عليه امة ما دامت لها مسكة من العقل والشعور ، فنحن اذا كنا واقعين في هذه الحماقة في الماضي على ضعف منا وعجز ولكوننا مغلوبين على امرنا ، فلا معنى لاصرارنا على الاستمرار فيها بعد ان قد نلنا استقلالنا وصار لنا ان

الحلال واجتناب الحرام وتقوى الله تعالى فى السر والعلانية ، وان يعمل على تنشئته على هذه الاوصاف الجميلة بالتربية العملية ايضا .

3 ـ العمل على ان يرسخ فى ذهن الطالب اثناء التعليم الابتدائي الحقائق الاساسية التي يجب بها الايمان فى الاسلام ، واما اذا اقتضى ذلك ان يكون هناك منهاج مستقل لتعليم الدين ، فلا بأس بوضعه ، ولكن لا ينبغي الاكتفاء بهذا المنهاج وحده ، بل يجب ان توزع هذه الحقائق الواجب الايمان بها كروح سار فى سائر المواد للتعليم .

انه مما يجب ان نعمل على تحقيقه عملا متصلا ان نرسخ فى ذهن كل طالب بكل قوة الاعتقاد بالوحدة والاعتقاد بالرسالة والاعتقاد بالآخرة والاعتقاد بحقانية القرآن وبطلان الشرك والالحاد . وكل ذلك على طريق لا يشعر معه الطالب بان هذه الامور انما هي دعاو فارغة وتحكمات مجردة تفرض عليه فرضا ، ولكن يشعر بانها حقائق ثابتة عن الكون وانها اقرب ما تكون للعقل وانه من اللازم ان يتعرف عليها الانسان ويؤمن بها ايمانا وان حياته لا تزكو بدون الايمان بها ابدا .

4 ـ ان يلقن الطالب ما يؤهله لقضاء حياته وفق تعاليم الاسلام واحكامه ، فيعرف ـ فى هذا الصدد ـ بكل تلك المسائل الفقهية التي يجب ان يكون على معرفة بها كل طفل ـ و طفلة ـ فى عشر سنين من عمره فاحكام الطهارة والوضوء وطريق اداء الصلاة والصيام والحدود الابتدائية للحلال والحرام وآداب الحياة الاجتماعية ـ فكل هذه امور يجب ان يعرفها على وجه اجمالي كل طالب مسلم قبل ان يتجاوز عشرا من سني عمره . ولا يحسن الاكتفاء ببيانها له فحسب بل يجب ان نعمل على ارساخها فى ذهنه بحيث يشعر بان هذه الاحكام هي التي كان من اللازم والمستحسن ان يفرض عليه وانها على الحق فلابد له ان يلتزمها فى حياته لتكون طاهرة زكية .

(يتبع)

تعاريف

علم الفقه : هو الذى به يقتدر الانسان على ان يستنبط تقدير شيء مما لم يصرح واضع الشريعة بتحديده على الاشياء التى صرح فيها بالتحديد والتقدير .

علم الكلام : وهو ملكة يقتدر بها الانسان على نصرة الآراء والافعال المحددة التى صرح بها واضع الملة .

« احصاء العلوم لابى نصر الفارابي »

خالصة سواء أكان عالما scientist او ماهرا في العلوم الاجتماعية او كان لايزال تحت الاعداد لوظيفة من الوظائف الحكومية . من الواجب ان يكون هذا من الغايات الاساسية لسياستنا التعليمية ، لأن شخصا اذا لم يكن في نفسه متحليا بالاخلاق الاسلامية فانه لاينفعنا ابدا مهما يكن عليه من العلم الكتابي والكفاءة الفنية المجردة .

الخطة العملية :

واني بعد ان قد اوضحت لكم هذه الامور الاساسية البدائية احب ان ابين لكم بكل تفصيل ماذا يجب ان يكون من الخطة العملية لاقامة هذا النظام الجديد وتنفيذه :

التعليم الابتدائي :

لناخذ بالبحث قبل كل شيء آخر التعليم الابتدائي الذي هو بمثابة الاساس لبناء هذا النظام .

ان لكم ان يدرسوا في هذه المرحلة من التعليم كل ما يدرسونه اليوم في مدارسكم الابتدائية من مبادىء العلوم ، كما انه لا بأس بأن يستفيدوا بهذا الصدد مما قد تم أو يتم في المستقبل من التجارب عن التعليم الابتدائي . على ان هناك اربعة امور يجب ان يقرن بكل ما يدرس في هذه المرحلة التعليمية من مبادىء العلوم .

1 ـ العمل على ان يلقى في روع الطالب ويرسخ في ذهنه بغير اسلوب واحد ان هذه الدنيا التي نعيش فيها جزء من مملكة الله الواحد القهار ومظهر من مظاهر قدرته وبديع صنعه . وانه ليست منزلتنا فيها الا منزلة خلفاء الله لا يعملون ولا يجوز لهم ان يعملوا الا وفق مرضاته تعالى ، وان كل ما فيها من شيء وديعة من الله اودعناها للاستمتاع والاستفادة ولذا فاننا مسؤولون امامه سبحانه وتعالى عن هذه الوديعة . واننا حيثما سرحنا النظر في هذا الكون وجدنا ايات الله منثونة في كل مكان تدل على ان لهذا الكون الها يحكمه ويتصرف في شؤونه كيف يشاء . يجب ان يعرف الطالب ـ منذ ان يدخل في المدرسة الاولى الى المرحلة الاخيرة من مراحل تعليمه في المدرسة الابتدائية ـ بالدنيا على وجه يرسخ في ذهنه هذه الاساسية في كل درس من دروسه ، حتى انه لا يتعلم بالهمزة ، الاسد . بل يتعلم بها « الله »

لان هذا ما ينسيه منذ يوم دخوله في المدرسة على الفكرة الاسلامية ويعده اعدادا اسلاميا بحيث انه عند ما يفرغ من آخر ما يكون من مراحل التعليم ويدخل في معترك الحياة فان هذا الاساس سوف لا يزال يعمل فيه .

2 ـ العمل على ان يرسخ في ذهن الطالب على طريق واحد في كل مادة من مواد تعليمه حتى في اسئلة الرياضي ، ما للاسلام من التصورات والقيم الخلقية ، وان ينشأ في قلبه المحبة والاشتياق الى ما يشيد به الاسلام ويدعو اليه من المعروفات والحسنات والنفرة والاشمئزاز مما جاء الاسلام لمحوه واستئصال شافته من السيئات والمنكرات . ان الذين يرتسون اليوم من المسلمين ويقترفون الخيانة والغش والخداع وما اليها من الاخلاق الرذيلة الاخرى . كلهم متخرجون من هذه المدارس والكليات التي تدرس فيها دروس الاسد والببغاء والبقرة والقرد ولكن لا تدرس فيها دروس الاخلاق العالية ، فنريد ـ على العكس من الوضع الحالي ـ ان يكون دروس الاخلاق الاسلامية هي اللحمة والسدى في كل ما يدرس الطالب في مدارسنا وكلياتنا من العلوم والفنون ، حتى يتذكى في قلبه منذ صغره عاطفة النفرة من الرشوة والارتشاء والاثرة والسرقة والتزوير والغش والخداع واخلاف الوعد والخيانة والخمر والميسر والقمار والظلم والعدوان وسلب حقوق الناس وما الى ذلك من العادات المستقبحة الاخرى ، كما اننا يجب ان نعمل على ان يكون في الطلاب رايا عاما اسلاميا خالصا حتى ينفروا بانفسهم من كل شخص يجدون فيه أثرا لهذه العادات القبيحة بل حتى يكون من شأنهم اذا وجدوا احدا ممن يخرج معهم يرتكب احدى هذه العادات القبيحة والاعمال الشنيعة، ان ينددوا به علنا ويطيلوا فيه لسان اللوم والتأنيب وينكروا عليه ما يأتي من الاعمال بدلا من ان يسكتوا عليها او يشجعوه عليها تشجيعا . وكذلك اننا نريد بالنسبة للحسنات التي ينبغي الاسلام تنشئتها في الانسان ، ان يبين في الدروس ويرغب فيها الطلاب ويثنى عليها ويشاد بنتائجها الحسنة باستخراجها من وقائع التاريخ ويؤكد منافعها من جهة العمل وكيف ان هذه الحسنات منشودة للانسانية وكيف ان فيها صلاحها وفلاحها . يجب ان يحبب الى الطالب منذ بداية سنه الصدق والاخلاص والوفاء بالعهد والعدل والانصاف ومعرفة الحق والمساواة والاخوة والايثار والتضحية والشعور بالواجب والمحافظة على حدود الله في اكل

لاتتحول الى فلسفة كتلك التي انشأها الانسان بصنعته العقلية باديء ذي بدء . ومع انه ايضا يمكن ان يصبح قانونا ، فانه لايتحول الى قانون كهذا الذي شرعــه الانسان ووضعه بتقديره الخاص منذ البداية . بــل يبقى لفلسفة الدين ، وقانون الدين ، خصائص الدين او طابعه العام . وخصائص الدين او طابعه العام انه موحى بــه من الله ، وان على الانسان ان يؤمن به ، وان يطبقه في غير تردد ، وفي غير شك ، عليه ان يرضى بــه رضاء نفسيا ، وان لم يدرك كل أسراره وعلله ، لانه من الله الذي يختلف عن الانسان ، وفوق الانسان ، هو مــن صاحب الامــر ، وصاحب الرعايــة العامــه ، والــذي لا يستطيع الانسان ان يحدده ويدرك حقيقة ذاته عند ما يتصــوره .

والفلسفه قد تصبح عقيده ، وقد تصبح القانون عقيده ايضا ، ولكن اذا اصبحت الفلسفة أو القانــون عقيده ، فانه لايصير الى طبيعه الدين السابقه ، وانما يصير الى طبيعه التقليد أو « العرف » في الجماعـــه . لا يصير أحدهما الى طبيعه الدين لانه صنعه الانسان ويبقى كونه من فعل البشر مصاحبا له في صيرورته . وانما يصير فقط الى طبيعه التقليد ، او طبيعه العرف في الجماعة من حيث انه واجب الاتباع . فقد اصبح عندئذ من المتوارث والمألوف في الجماعه .

واذن هناك فرق جوهري بين الديــن من جانب ، والفلسفه والقانون من جانب آخر . هناك في جــانب الدين ، كونه من الله ، وهنا في جانب الفلسفه أو القانون كون كل واحد منهما من الانسان . واذا طلب الدين من الانسان ان يفعل الخير ، وناشدت الفلسفه ، أو هدف القانون في تطبيقه الى الخير في فعل الانسان ، فالفرق مع ذلك باق بين الدين مــن جانب ، وبيــن الفلسفــه والقانون من جانب آخر ، اذ مطلوب الدين — وهو فعل الخير — قائم على انه من هدايه الله ، بينما مطلــوب الفلسفة او القانون يرجع الى انه من تأمل الانسان .

وهنا يتحصر الموازنه بين الله والانسان في تحديد الخير ، ورسم طريقه ، وتحديد الجزاء الذي يــنــاط بفعله او تركه : والله باعتبار انه رب الجميع ، ومستغن عن الجميع ، ومستعل على الجميع — يحدد الخير بما فيه مصلحة الجميع ، ويرسم طريقه ، بما يكون ميسرا للجميع ، ويحدد الجزاء على فعله وتركه ، بما يناسب اثر هذا الخير في صالح الناس جميعــا ، ويلتئم مــع طبيعة انفسهم القابــــة .

وليس لله غرض ، وليست له حاجة قريبــة او بعيده في تحديد الخير الذي ينصح باتباعه . وكذلك لم يتأثر بأي مؤثر في هذا التحديد . ولانه يعلم طبيعـــة البشر حق العلم ، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة فـــي الارض ولا في السماء . يكون فيما يرسمه لطريق الخير، متفقا تمام الاتفاق مع امكانيات هذه الطبيعة ، كمـــا يكون تحديده الجزاء ملائما كل الملاءمة لنفــع هـــذه الطبيعة من فعل الخير ، ونفعها ايضا من تجنب الضرر الذي نهــى عنـــه .

اما الانسان في فلسفته وتقنينه فهو محـــدود بالبيئة ، ومحدود بالوراثة ، وبنوع الثقافــة ونـــوع المعرفة ، فانسان القريه غير انسان المدينه في ادراكـه للحياة وتعبيره عنها . وانسان الاسرة الصالحة غيـــر انسان الاسرة التي عاشت في الانحراف أو الاجرام في تصوره القيــم الاخلاقيــة والروابــط الاجتماعيـــة . والانسان الجاهل في تصوره واعتقاده غير المستنير في ادراكه وفي ايمانه . وانسان المعرفه من نوع خاص غير انسان المعرفة من نوع آخر ، فالطبيب غير المهنــدس ، وكلاهما غير صاحب الثقافة الزراعية ، وجميعهم غير رجال المحاسبة وهلم جــرا . . . .

واذا كان محدودا بهذه المصادر فهو منفعل بها ، وينعكس هــي بالتالي في سلوكــه ، وفي تفكيــره ، وفي تحديده للحياة واهدافها . هو وليد هذه العوامـــل الثلاثه . فما يصدر عنه في اي جانب ، في التصـــرف والسلوك ، أو التفكير والحكم ، يكون تبلــورا لهـــذه العوامل الثلاثــة . وعليــه ، فانسان صاحب الفكـــر الفلسفي ، في تحديد الخير ، ما هو ؟ يتأثر بحياتـــه الخاصة والعامة . وكذلك الشأن في رسم الطريــــق لتحصيل الخير ، ومن هنا نجد بين الفلاسفه تحديدات متنوعة للخير ، وكثير منها يناقض بعضه بعضا ، كمــا نجد رسمهم لطريق تحصيل الخير ، لايقل اختــلافــا في التحديد ، عن تحديدهم الخير نفســه .

نجد من بين الفلاسفة من يفهم الخير على انــــه مالاءم المصلحه الشخصيـــة . وتبعــا لذلك : الانسان نفسه مقياس الخير . هذا الانسان يــرى الخيـــر في تحصيل المتعة البدنية ، وان صاحبها اغتصب ما يملكه غيره ، أو ترتب على تحصيلها انتهاك حرمه غيره .

الدين في حياة الإنسان

للدكتور محمد البهي

تطور الانسان من حياة الغابة والغاب الى حياة المدنية . تطور من حياة القوة المادية ، وتحكيمها في فض الخصومات واستقرار الاوضاع ، الى الالتجاء الى القانون في الفصل في النزاع وتحديد العلاقات .

فالنقطة الاولى التي منها بداية الحياة الانسانية كانت الغلبة عن طريق العصبية في الاسرة والقبيلة والكثرة العددية في الجماعة . والنقطة التي تسود حياة اليوم هي موازين العدل الانساني التي تمثلها فكرة القانون البشري . وبين هاتين النقطتين في تطور الحياة الانسانية ، كان الدين ، وكانت الفلسفة . كل منهما مثل الدور الاول في فترة معينة في تاريخ الانسانية ، ولم يزل يمثل دورا ما الآن .

انتهت مرحلة الغاب بسيطرة الدين ، ثم نازعت الفلسفة سيادة الدين ، ثم قيض للقانون ان يشترك في الصراع بين الدين والفلسفة في توجيه الانسان . واصبحت في حياة الانسان المعاصر ثلاثة اتجاهات ، تتنازع أولا البقاء بينها ، ثم يحاول بالتالي كل واحد منها ان يسود في تقرير مصير الانسان . أصبح الدين ، والفلسفة ، والقانون ، ثلاثتهم جميعا هي المصادر التي يحارب بعضها بعضا من اجل البقاء والسيادة . والفرق بينها يتركز : في ان الدين ينسب الى الله المعبود ، بينما الفلسفة والقانون كلاهما يعد من صنعة الانسان .

اما غاية كل واحد من الثلاثة فلا تكاد تختلف عن غاية الآخر : فالدين يهدف الى توضيح الطريق الذي يرى فيه سلامة البشرية في التعايش معا . والفلسفة تحاول ذلك ، والقانون بدوره يقوم على حفظ الحال التي يراها الجماعة الخاصة ، او المجموعة الدولية ، كفيلة بصيانة التعايش المشترك ، والتعاون المثمر .

ولكل مصدر من هذه المصادر التوجيهية نفر خصص وقته وحياته لتوضيح القيمة الذاتية للمصدر الذي ينتسب اليه ، على اعتبار انه وحده كفيل بالتوجيه السليم وبتحقيق الغاية المرجوة في حياة الجماعة الانسانية : للدين طائفة تبين مزاياه ، وللفلسفة طائفة توضح مزاياها ، وللقانون طائفة تحرص على بيان مزاياه في التوجيه العام .

الدين قد يصبح فلسفة ، وقد يصبح قانونا وتشريعا

الدين قد يصبح فلسفة اذا حاول العقل الانساني ان يبرر ويعلل مبادئه من الوجهة النظرية العقلية . فليست الفلسفة الا التعليل العقلي للموجود . فاذا علل الموجود من مبادىء الدين ، فقد دخلت هذه المبادىء في نطاق العمل الفلسفي .

وقد يصبح الدين ايضا قانونا اذا أخذ في تطبيق مبادئه على احداث الحياة وسلوك الانسان ، ووصفت الاحداث ، او وصف السلوك الانساني بانه يطابق تلك المبادىء . وعندما تؤخذ في تطبيق مبادىء الدين على احداث الحياة وسلوك الانسان ، لايكفي في التطبيق حكم مجرد عن التعليل . بل لابد من التفقه ، وشرح المبادىء نفسها ، ثم شرح النوع الملائم وغير الملائم لها من احداث الحياة وسلوك الانسان . فهذا التفقه أو هذا الشرح هو القانون الذي ينتزع من الدين .

والدين اذا أصبح فلسفة أرضى رجال العقل والفلسفة . واذا أصبح قانونا جذب اليه رجال الفقه والقانون . ومع أنه يمكن ان يصبح فلسفة ، فانه

« الانتداب » أو « الوصاية » على بلد ما لدولة كبرى هو نموذج عملي على تحقيق غايات الدول العظمى باسم القانون العام ، وهذه الغايات هي استذلال واستغلال الدول الصغرى لحساب الدول الكبرى ، هي امتصاص لحياة الشعوب الضعيفة لرفع مستوى حياة الشعوب القوية .

وهيئة الامم المتحدة القائمة ليست الا صورة مكررة لعصبة الامم السابقة في قانونها ، وفي اهدافها ، ولذلك يوم ان رأت بعض الدول الكبرى في الماضي القريب ، أن مصالحها الاستعمارية لم تتحقق — لان اغلبية الدول الاعضاء في هذه الهيئة عارضت هذا الجشع الاستعماري — اعلنت انها لم تعد صالحة للفصل في القضايا الدولية ، والمشاكل بين الشعوب . ويتجلى هذا في مشكلة قناة السويس في نوفمبر سنة 1956 . .

ولأن الفلسفة نشأت عن محدودية الانسان ، ولأن القانون نشأ على هذا النحو أيضا — كانت الخصومة المذهبية طابعا للفلسفة ، وكانت المفارقات الواضحة في القوانين الخاصة ، والتفسيرات المتباينة للقانون الدولي العام ، ظاهرة مصاحبة للقانون الوضعي .

ننتهي الى هذه النتيجة — وهي ان الله غير محدد وغير محدود فيما يوحي به لصالح البشرية وأن الانسان على عكس ذلك — شيء رئيسي آخر يلحق الفلسفة ، ويلحق القانون . وهو ان من يتبع المذهب الفلسفي ، أو من يجب عليه ان يطيع القانون ، يسير في اتباعه ، وفي طاعته ، على اساس ان ما يتبع وما يطاع هنا ليس الا صنعة البشر . ومعنى ذلك ليس فيهما عصمة ، وليس فيها ما يؤكد للحق والعدل . ان هو الا ظن انسان ، قد أخلص فيما أتى به من صنعة فلسفية ، أو قانونية ، وهذا الشعور لدى التابع او المطيع يؤدي الى عدم التحمس في التزام التبعية ووجوب الطاعة ، أو يؤدي الى توقيت التبعية ، وتوقيت الطاعة ، ومن شأن هذا التوقيت التراخي في السير نحو هدف المذهب الفلسفي ، ونحو غاية القانون . وبما ان هدف الفلسفة ، وغاية القانون ، هي الحرص على فعل الخير ، ففعل الخير سيصير حتما الى التوقف ، كلما كثر التراخي في التبعية والطاعة ، اما للمذهب الفلسفي أو القانون :

فمحدودية الانسان اذن عيب في الفلسفة والقانون .

وصنعة الانسان في الفلسفة والقانون ايضا سبيل الى عدم العصمة .

وعدم العصمة سبيل الى التراخي في التبعية والطاعة .

والنتيجة ان قوة الفلسفة ليست في ذاتها ، بل في تكرار الدعوة اليها .

وقوة القانون ليست في ذاته ، وانما في السلطة القائمة على تنفيذه .

اما الدين فقد خلا من هذين العيبين ، فالله بعيد عن المحدودية ، وبعيد عن الخطأ ، فقيمة الدين اذن ، بالنسبة للفلسفة والقانون ، قيمة دائمة .

ويوم يستحيل الدين الى فلسفة أو قانون ، فهناك امكان لعودته الى دين مجرد عن الفلسفة والقانون . طالما مصدره الاصيل مصون عن التحريف والتبديل . وعندئذ تبقى له قيمته الدائمة ، كدين ، ومعنى ذلك ان الخطر الذي يلحق الدين بصنعة الانسان ، يمكن أن يبعد عنه ، بابعاد تلك الصنعة عن ان تأخذ قداسته ، وعصمة أصوله .

وهناك شيء آخر ، وراء عصمة الوحي في الدين ، ووراء عدم محدودية الله في رسالته للبشر ، مما يتميز به الدين عن الفلسفة والقانون .

هناك في الدين ايضا ضمير الانسان الذي ينشأ عن الخشية من الله ، وهو بمثابة السلطة التنفيذية للقانون ولكنها سلطة تنفيذية ذاتية ، وليست خارجة عن ذات الانسان صاحب الضمير الديني .

اما المتبع للقانون فانه يتبعه لسلطان الدولة المشرفة على تنفيذه . وعندئذ اذا خفت رقابة الدولة زال اثر القانون ، وانكمش وجوده بالتالي . وهنا في دائرة القانون يحتاج الامر الى شيئين معا : الى نص القانون ، والسلطة التنفيذية . بينما في دائرة الدين يتوقف الامر كله على الانسان المعتقد وحده .

وذاك الانسان الآخر يرى ان الخير في عزلة الناس والبعد عنهم ، وفي عزلة هذه الحياة عامة ، والاعتكاف عن ملذاتها وعما يتنافس فيه الناس من متعها .

فبمقدار ما يندفع الاول الى تحصيل متع هذه الحياة ، التي يراها متعا من زاوية وجوده الشخصي ، بمقدار ما يقف الثاني موقفا سلبيا من هذه المتع . والانسان الاول هو الانسان الشخصي او الوجودي ، والثاني هو الزاهد البرهمي (او الصوفي) .

وبينما نجد بين الفلاسفة ايضا من يحدد الخير ، بانه ما اصاب منفعته اكبر عدد ممكن من الناس ، وهو الفيلسوف المثالي ، اذا بنا نجد فيلسوفا آخر يحدد الخير بأنه : ما أصاب منفعته الجماعة الخاصة به أو بأمته وهو الفيلسوف الواقعي .

نجد من بين الفلاسفة من يرى ان الغاية تبرر الوسيلة ، فان توقف تحصيل المنفعة على الوشاية والمؤامرة ، او على القتل جزافا وجملة ، أو انتهاك العرض ، فالوسيلة مشروعة : فحرب الابادة في الجزائر مثلا عمل مشروع في نظر المستعمر الفرنسي لانه يوصل الى تمكين استعماره هناك من استغلال ثروة البلاد الجزائرية الاقتصادية والبشرية . فتمكين الاستعمار غاية ، وهي غاية مشروعة لمصالح الاستعمار الفرنسي فالوسيلة لهذا التمكين الاستعماري مشروعة كذلك . وتأخذ مشروعيتها من النفع المرتقب . واذ نجد مثل هذا المكيافللي ، نجد فيلسوفا آخر ينصح بعمل الواجب لذات الواجب ، بعمل ما يجب على الانسان لصالح نفسه وصالح جماعته وصالح الانسانية ، دون ترقب جزاء عليه ، ودون ترقب ثناء أدبي او مكافاة مادية ، وهذا هو الفيلسوف الواجبي .

نرى من الفلاسفة من ينصح بافناء الفرد في الجماعة ، فتكبت حرية الفرد ، وتصادر ملكه ، ويجبر على تصرفه لصالح الجماعة التي هي الامة . فالحياة اذا للجماعة لا للافراد . ثم نرى في مقابل هذا فيلسوفا آخر يرى ان الجماعة يجب ان تكون في خدمة الفرد ، وان تعمل في سبيل سعادة الفرد . فللفرد حريته في التجارة وفي الاقتناء وفي ابداء الرأي وفي العقيدة وفي التمذهب بالمذهب الذي يراه في حياته . له ان يعيش في ظل عرف المجتمع وعاداته وله ان يخرج عن هذا العرف . وهذه العادات . ويسأل ، بعد ذلك فقر عمره ، او شقوته ، او جرح عواطفه ، واحساساته . والرأي الاول يعرف بالمذهب الاجتماعي او الاشتراكي ، والثاني يعرف بمذهب الحرية الفردية .

هذه امثلة لاختلاف الفكر الفلسفي ، واختلاف المذاهب الفلسفية . ويرجع هذا الاختلاف الى كون الفكر محدودا ، بجبلته الخاصة والعامة .

وفي القانون لا يختلف الامر عنه في الفلسفة . لان التقنين يقوم على اسس وفكر فلسفية . يقوم على نظرة المشرع (والمشرع هو الدولة في العصر الحديث) الى الحياة . ونظرة الدولة الى الحياة تختلف باختلاف نظام الدولة نفسها :

هذه دولة شيوعية لها قانون يحفظ الوضع الشيوعي بين افراد الامة . وهذه دولة راسمالية لها قانون يصون الحرية الفردية الى ابعد حد في استخدام راس المال . وهذه دولة اشتراكية اجتماعية لها قانون ودستور يحدد علاقة الافراد بالدولة والدولة بالافراد ، على اساس من الفكرة الاشتراكية الاجتماعية ، وهي رعاية العدالة الاجتماعية بين الطبقات . وهذه دولة ملكية ، يقوم قانونها على صيانة العرش وتقديسه . وهذه دولة جمهورية يقوم قانونها على تأكيد حقوق الافراد في الوصول الى رئاسة الجمهورية .

هذه جماعة يهودية يقوم قانونها على رعاية التقاليد والعادات والمعتقدات اليهودية في الاحوال الشخصية وتحديد العطلات السنوية وانواع المأكول والمشروب ، والطريقة التي تتناول بها الاكل والشرب ، الى غير ذلك في الحياة العملية .

وهذه الجماعة مسيحية ، أو بوذية ، أو وثنية ، أو اسلامية ، لابد ان يتضمن قانون كل منها تقاليدها الخاصة وعاداتها ، ومعتقداتها التي لها وحدها .

واذن سبب هذا الاختلاف في الدساتير والقوانين هو كون الانسان « محدودا » كذلك . ومن هنا نشأ في القانون ما يسمى بالقانون الخاص ، وما يسمى بالقانون العام . والقانون الدولي مع ذلك يغلب عليه طابع التحيز للدولة القوية وعاداتها وغاياتها ، واهدافها في الحياة .

وكذلك المؤسسات الدولية ، كعصبة الامم سابقا ، والامم المتحدة في حاضرنا ، فان قوانينها وان اتسمت بالطابع الدولي العام ، فانها تقوم وتهدف الى تحقيق غايات الدول الكبرى ، وهي الدول القوية ، فعصبة الامم كانت وسيلة مشروعة من الوجهة القانونية لتحقيق استعمار الدول الضعيفة أو الصغيرة عن طريق الامم الكبرى . وما جاء به قانونها مما عرف بـ

الشورى الاسلامية

للاستاذ محمد الطنجي

2

> تتضمن هذا المقال ان الشورى اصيله في الاسلام مذكورة في القرءان وسنه الرسول مع بيان اولى الامر ومهمتهم ، واصول الدولة الدستورية في الاسلام . وتخصص الشورى بمصالح الامة الاجتماعية بحيث لا يتناول موضوعها الاصول الاعتقاديه والاحكام الثابته في القرءان وسنة النبي المواتره .

من المعلوم عند كل من له المام بالدين الاسلامي وبتاريخه العظيم أنه انشا للعرب حياة جديدة ورباهم تربيه عاليه . فجمع قلوبهم حول عقيدة التوحيد . بعد ان كان الشرك وعبادة الاصنام والاوثان هو المذهب السائغ في انحاء العالم . وشرع لهم في معاملاتهم شريعه معينه كامله الاصول . ذات مبادىء قيمه . تكفل العداله . وتبسط الاحسان في المجتمع وتربط بين افراد المسلمين بروابط الموده والتراحم والتعاطف . والتعاون على البر والخير . والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . فطبع الاسلام الامه العربيه اولا بطابعه الخاص . وهيأها بعقيدته وتشريعاته وآدابه لتؤدي رساله العظيمه بين مختلف الامم والشعوب . حتى تكونت من شتى الشعوب الاسلاميه تلك الخلافه الانسانية العظمى الرحيمه التي لاتزال صداها تملأ العقول وبطون التواريخ مدى الدهور بعظمه ومجد الاسلام .

ولا ينكر احد عاشر الامم التي اعتنقت الاسلام او قرا عنها ، اثر الاسلام الظاهر في مختلف نواحي حياتها ، وقد استمرت تلك الصلات والمميزات تربط بين الامة ودينها العظيم قرونا وقرونا ، واذا ذهبنا مذهب الباحثين في نفسية الشعوب الذين قرروا ان قانون كل امة ماخوذ من نفسيتها واعرافها وتقاليدها مهما تطورت ، توصلنا الى نتيجه واحدة هي ان الشعب المغربي المسلم العربي لابد ان تكون قانونه ودستوره العام تمت باوثق الصلات وامتن الروابط الى اسلامه الذي اساه وسائر حياته قرونا كثيره حتى طبع نفوسه بعقيدته ، وحياته بشريعته ، وميوله باخلاقه وآدابه واعرافه وتقاليده ، وهذه الاوصاف الايمانيه هي صبغه الله لهذه الامه المغربيه . وعن تلك النتيجة التي تفرض ان تكون دستور الامة متصلا بشعور الامة عبر صاحب الجلاله الراحل محمد الخامس نور الله ضريحه حيث قال : ان الدستور المغربي يستمد من القرآن الكريم .

وغرضنا من هذا التوجيه ان نثبت ان تشريع القرءان كان ولا يزال هو التشريع العملي الذي يريده الشعب المغربي المسلم ويطمئن اليه ويرى تطبيقه خير طريق لاصلاح الاوضاع في البلاد سواء منها الدينيه والسياسيه والشريعة والاجتماعية ؛ فالتشريع القرءاني العظيم في امة اسلاميه مثل امتنا المغربيه قد بيت له خاصية الوصول الى وجدانات القلوب المسلمة ، وتحكيمه هو خاصية ايمان المومنين كما قال الله : « فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

اي انهم يرضون قضاءه الناتج عن تحكيمهم للرسول في قراره نفوسهم وتحكيم الرسول هو تحكيم شريعه التي هي كتاب الله وسنه رسوله وسنة خلفائه

اما الفلسفه ، فلانها لا تصحب برقابة خارجيه . ولا تكون ثمرا ولا رقابه داخليه فشأنها في الحياه العمليه أهون من القانون وأخف . ومن ثم تكون اشد هوانا في مواجهة الدين .

هذا حديث عن الدين ، والفلسفه ، والقانون في حياة الانسان بوجه عام، ومنه يتبين ان الدين له مكانته الاولى في حياه الانسان . وفي توجيهه . انه مصدر توجيه لا يخضع لنقص « التحديد » ولا لاحتمال « الخطأ » ولا الى وجود السلطه المنفذه . ورقابتها المباشره ، ولذلك يقول الشيخ محمد عبده : « فالناس متفقون على ان من الاعمال ما هو نافع . ومنها ما هو ضار ، وبعباره اخرى منها ما هو حسن ، ومنها ما هو قبيح . ومن عقلائهم . أهل النظر الصحيح والمزاج المعتدل فيهم . من يمكنه اصابه وجه الحق في معرفه ذلك ، ومتفقون كذلك على ان الحسن ما كان ادوم فائدة . وان كان مؤلما في الحال ، وان القبيح ما جر الى فساد في النظام الخاص بالشخص ، أو الشامل له ولمن يتصل به ، وان عظمت لذته الحاضره . ولكنهم يختلفون في النظر الى كل عمل بعينه اختلافهم في امرجتهم ، وسحنهم ومناسبتهم ، وجميع ما يكتنف بهم . فلذلك ضربوا الى الشر في كل وجه . وكل يظن انه :انما يطلب نافعا ! فالعقل البشرى وحده . ليس في استطاعته ان يبلغ بصاحبه ما فيه سعادته في هذه الحياه » (1)

ويقول ايضا :

« لهذا كله كان العقل البشري محتاجا في قيادة القوى الادراكية ، والبدنيه ، الى ما هو خير له في الحالتين ، الى معين . . وذلك المعين هو النبي » (2) .

ويقول كذلك في شأن الامم :

« العقل وحده ــ في القانون ــ لا يستقل بالوصول الى ما فيه سعاده الامم ، بدون مرشد الهى . كما لا يستقل الحيوان في درك جميع المحسوسات بحاسه البصر وحدها ! بل لا بد معها من السمع لادراك المسموعات مثلا . كذلك الدين هو حاسة عامه لكشف ما يشتبه على العقل من وسائل السعادات . والعقل هو صاحب السلطان في معرفه تلك الحاسه . وتصريفها فيما منحت لاجله . والاذعان لما تكشف له من معتقدات وحدوث اعمال » (3) .

(يتبع)

(1) رساله التوحيد ص 48 . (2) رساله التوحيد ص 51 . (3) رساله التوحيد ص 82 .

من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم

« اوصاني ربي بتسع اوصيكم بها :

بالاخلاص في السر والعلانيه . والعدل في الرضا والغضب . والقصد في الغنى والفقر . وان اعفو عمن ظلمني . واصل من قطعني ، واعطى من حرمني . وان تكون صمتي فكرا . ونطقي ذكرا . ونظري عبره » .

« اذا كان امراؤكم خياركم . واغنياؤكم سمحاءكم . وأمركم شورى بينكم . فظهر الارض خير لكم من بطنها ، واذا كان امراؤكم شراركم ، واغنياؤكم بخلاءكم واموركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها »

ــ حديث شريف ــ

أما موضوع الشورى ومجالها فعمل اولي الامر في امور العقيدة والعبادة والاحكام المتواترة في الاسلام هو الامر بالقيام بها وتطبيقها وتنفيذها فقط .

ولكن مجالهم في الاجتهاد للنوازل غير المنصوصة . ويتسع مجال عملهم في مصالح الامة الاجتماعية ورفع مستوى الامة في الشؤون الدنيوية حتى تعيش سعيدة وتتبوأ مكانة العزة بين الامم التي جعلها الله للمؤمنين . بشرط ان يكون عمل اولي الامر مماشيا لعدالة الاسلام روحا ومعنى ، وقد تكلم الامام محمد عبده في جماعة اولي الامر فقال : انه فكر في هذه المسألة من زمن بعيد فانتهى به الفكر الى ان المراد باولي الامر جماعة اهل الحل والعقد من المسلمين وهم الامراء والحكام والعلماء والزعماء الذين يرجع اليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة . فهؤلاء اذا اتفقوا على امر او حكم وجب ان يطاعوا فيه ، بشرط ان يكونوا منا وان لا يخالفوا امر الله ولا سنة رسوله التي عرفت بالتواتر . وان يكونوا مختارين في بحثهم في الامر واتفاقهم عليه . وان يكون ما يتفقون عليه من المصالح العامة وهو ما لاولي الامر سلطة فيه ووقوف عليه ، واما العبادات وما كان من قبيل الاعتقاد الديني فلا يتعلق به اهل الحل والعقد . بل هو مما يؤخذ عن الله ورسوله فقط . ليس لاحد رأي فيه الا ما يكون في فهمه . انتهى كلامه .

وهذا المعنى الذي ذكره الشيخ محمد عبده سبق اليه سعد الدين التفتازاني حيث قال في شرح المقاصد وتنعقد الامامة بطرق احدها بيعة اهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس . وانما زادها الشيخ عبده توضيحا وشرح مجالها

ومن هنا ننتقل الى الحكومة الاسلامية الدستورية فان المسلمين يعتقدون ان نصب امام للمسلمين واجب ديني توحيدا للسلطة المنفذة في شخص واحد مستجمع لشروط الكمال حتى ترتفع مكانته في قلوب رعيته اما نصب الولاة فانما هم نوابه ولذلك كانت تعميم الولايات وتعيين اختصاصات اي نوع منه منوطة به .

قال الشيخ رشيد رضى رحمه الله ان الآية السابقة مبينة : اصول الدين وشريعته والحكومة الاسلامية وهي : الاصل الاول : القرآن الحكيم والعمل به هو طاعة الله تعالى ـ الاصل الثاني سنة رسوله (ص) والعمل بها هو طاعة الرسول ، الاصل الثالث ، اجماع اولي الامر ، فيتبعهم . ثم قال : الاصل الرابع . عرض المسائل المتنازع فيها على القواعد والاحكام العامة المعلومة في الكتاب والسنة . وذلك قوله تعالى : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » . فهذه الاصول هي مصادر الشريعة ولا بد من جماعة يقومون بعرض المسائل المتنازع فيها على الكتاب والسنة .

ثم قال رحمه الله ويجب على الحكام الحكم بما قرره اولو الامر وتنفيذه . وبذلك تكون الدولة الاسلامية مؤلفة من جماعتين او ثلاث .

الاولى جماعة المبينين للاحكام الذين يعبر عنهم اهل هذا العصر بالهيئة التشريعية .

والثانية جماعة الحاكمين والمنفذين وهم الذين يطلق عليهم اسم الهيئة التنفيذية .

والثالثة جماعة المحكمين في التنازع ويجوز ان تكون طائفة من الجماعة الاولى .

على انني قد وقفت على ملاحظات على القانون النظامي للزعيم سعد زغلول رحمه الله جاء فيها فيما يخص الشورى قوله : ومعلوم ان الشرع (اي الاسلامي) لم يجيء ببيان كيفية مخصوصة لمناصحة الحكام ولا طريقة معروفة للشورى عليهم . كما لم يمنع كيفية من كيفياتها الموجبة لبلوغ المرام . فالشورى واجب شرعي . وكيفية اجرائها غير محصورة في طريق معين فاختيار الطريق المعين باق على الاصل من الاباحة والجواز . كما هو القاعدة في كل ما لم يرد نص بنفيه او اثباته . انتهى .

واننا بصفتنا امة عريقة في الاسلام نرجو الله من كل قلوبنا ان يوفق واضعي الدستور لتحقيق رغبة صاحب الجلالة الملك الراحل محمد الخامس اسكنه الله فسيح جنانه بوضعه على الاسس الاسلامية الصحيحة لتقوى روابط هذه الامة وتحمي وحدتها وتمنعها من الانحلال والاهواء المضرة وكل الافكار الهدامة . والله ولي التوفيق .

الراشدين من بعده ، وقد امر الله نبيه بمشاورة اصحابه بقوله : « وشاورهم في الامر » . ومدح الصحابة باعتماد الشورى بينهم بقوله سبحانه : « وامرهم شورى بينهم » كما ساق في قصص القرءان قصة مشاورة ملكة سبا لملاها وجماعتها حيث قال عز وجل : « قالت يا ايها الملأ افتوني في امري ماكنت قاطعة امرا حتى تشهدون ، قالوا نحن اولو قوة واولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين » الى آخر المحاورة .

فقد امر الله نبيه الكريم بالشورى ومدح المتصفين بها وحكى كيفية تطبيقها في امة متصفة بها في موضوع الكفاح من اجل السيادة القومية ، او الاستسلام لدولة اجنبية وذلك في محاورة ملكة سبا مع ملاها فدل كل ذلك دلالة واضحة على ان الحكومة الشورية اصيلة في الشرع الاسلامي كما دل الحديث النبوي على انها هبة ورحمة من الله لامة محمد (ص) ووسيلة من وسائل رشدها . وذلك ما حصل لهذه الامة الاسلامية وقت تكونها منذ ما يقارب اربعة عشر قرنا قبل تشريع اوربا وتشدقها بهذه الديمقراطية الخلعة المزيفة . او بمنزل عنها على الاقل . فقد اخرج المحدث البيهقي في كتابه شعب الايمان بسند حسن عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) اما ان الله ورسوله لغنيان عنها (اي عن المشورة) ولكن جعلها الله رحمة لامتي ، فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ، ومن تركها لم يعدم غيا . انتهى الحديث ، واننا نريد ان نقول بلسان فصيح لبعض الباحثين الذين يصفون الحكومة الاسلامية بوصف المستبدة نقول لهؤلاء ان الحكومة المستبدة لا وجود لها في التشريع الاسلامي وانما ينفرد بالاستبداد من فعله ، وان ملوك الاسلام بايعتهم رعيتهم على اساس العمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وقد ذكرنا بعض ما في الكتاب والسنة من موضوع الشورى وكل المغاربة يعلمون ان تولية ملوك المغرب كانت تحصل على ايدي علماء الدين وتواسطهم وتسجل فيها بكل وضوح انها على كتاب الله وسنة رسوله . ولا يزال المغاربة يذكرون قول ملكهم العظيم الراحل في كل مناسبة : (ان المغرب دولة اسلامية) . وان المغاربة ليفخرون بملكهم الذي وفقه الله لاقامة الحكم في مملكته على اساس الدستور القائم على الشورى التي هي ركن مهم من التشريع الاسلامي وان رد حق الشورى لرعيته المسلمة لمأثرة عظيمة عزيزة الوجود . فقد غصب الامويون والعباسيون منذ قرون هذا الحق من الامة الاسلامية اثر زمان الخلفاء الراشدين حتى ان الخليفة العادل الراشد عمر بن عبد العزيز لم يستطع رغم ما بذله من جهد اقامة هذه الشورى لكثرة عصبية بني امية عليه ، فكفى ملكنا شرفا وفخرا انه ظهر ناصحا امينا للشورى الاسلامية ونجما متألقا في زمن قل فيه الملوك الناصحون ، ونشير الآن الى اساس تكوين الحكومة الاسلامية ومجال عمل اولي الامر فيها وموضوعات هذه الشورى الاسلامية في الاسلام فنقول:

ان الامة في طور انتقالها تكون في اشد الحاجة الى الحكومة الاسلامية ومجال عمل اولي الامر فيها تيارات من التدهور والالحاد والانحلال ، فتحتاج الامة الى من يعرفها اصول الفضائل ويبين لها شدة الحاجة للمحافظة على مقومات الامة ومقدساتها التي يكون منها اهم الروابط الاجتماعية . وكذلك تشتد الحاجة الى الجماعة المخلصة الموجهة اذا كانت الامة راغبة في حياة عالية من النهوض ورفع مستواها الخلقي . الذي يعتمد الايمان بالله ويحفها في الحياة ، لتصل حاضرها الزاهر ، بتاريخها المجيد ، وماضيها الباهر ، حتى لاتضل الامة في مجموعها الطريق السوي ، او ترتع المرتع الوبي . فتصاب بنكسة او تلتبس بحسه ، اذ القافلة في حالة السير تحتاج الى الدليل الخبير . يسلك بها اقرب الطرق الى الغاية ويجنبها مسالك المهالك والهوات .

ولعل الجماعة الموجهة التي وصفنا مزاياها هي جماعة اولي الأمر التي تفهم الاوضاع بالعقول الراجحة وتوجه الجمهور في السبل الواضحة . لاجل ذلك امر الله العامة برد الامور اليها في وقت الالتباس لانها اقعد بمعرفة اوجه الاستنباط والقياس . فقال الله تعالى : « واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به . ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » . وفائدة هذا الاستنباط هو العمل به وهذا المعنى يحملنا على فهم السر في قرن طاعة اولي الامر في آية اخرى بطاعة الله وطاعة رسوله ، كما قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » . فذكرت الآية الامر بالطاعة في جانب الله وجانب الرسول ولم تذكره في جانب اولي الامر اشارة الى استقلال طاعة الله وطاعة رسوله اما طاعة اولي الامر فهي بالتبع دون الاستقلال بمعنى انهم اذا خالفوا امر الله وامر رسوله يقع التحاكم الى الله ورسوله ولذلك ورد بعد هذه الآية فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول .

مع بعض اصدقائه دعوته الى تغيير النظام السياسي الذي كان قائما آنذاك وانشاء جمهورية مصرية حرة. وهو الذي قام بتحرير برنامج الحزب الوطني المصري الذي اسس سنة 1882. ولكنه عدل عن اعتباره المطالبة بتغيير الحكم وسيلة لتغيير المجتمع، ولم يعد يؤمن بأن الكلام في المجالس والكتابة في الجرائد يكفيان في اخراج الانجليز. اذ لابد من السير في الجهاد على منهاج الحكمة والدأب على العمل الطويل (ولو لعدة قرون) ولهذا لم يكن من رأيه الثورة على الحكومة. وكان يناهض عرابي ويندد به وباخوانه وما ذلك الا لخوفه ان تقضي مثل هذه الحركات الثورية على عمله الاصلاحي الذي ابتداه بالتعاون مع رياض باشا. كما ان من شأن تلك الثورة ان تقضي على اي اصلاح تقوم به الحكومة او تنوي القيام به. ولذلك فقد دفع به الحرص على الاصلاح في جو من الهدوء الى ان يتعاون مع الحكومة وان ينخرط موظفا محررا في « الوقائع المصرية » كما كان يخاف من ان يتخذ الاستعمار تلك الثورة ذريعة الى التدخل السافر في شؤون مصر. خصوصا والشعب لم يكن معدا اعدادا كاملا لمواجهة العدوان الخارجي، والثورة من « فوق » معرضة للخطر ما دامت لا ترتكز على وعي شعبي يسندها وتستمد منه الصمود والتحدي والاستمرار في طريق واضح مرسوم. والثورة الواعية – التي كان يمكن لمحمد عبده ان يؤيدها – تكون منبعثة عن رغبات الشعب وارادته. حاملة في طبيعتها فكرة شاملة للقضاء على اسباب الانحطاط والاخذ بوسائل الحضارة والتقدم. ولكن ثورة عرابي كان ينقصها كثير من عناصر النجاح. وكان ما توقعه محمد عبده، فما كادت تندلع الثورة العرابية حتى وجد الانجليز الفرصة الذهبية للوثوب على الفريسة بصفة شرعية، تلك الفرصة التي كان يهيء لها منذ امد طويل. ولم يكن عرابي مدركا حقيقة الخطر. اذ لو كان يعلم ذلك لما اقدم على الثورة بكل سهولة. والغريب ان قنصل فرنسا المسيو اولا كان متصلا بعرابي كما اتصل به مسيو دليسبس الامر الذي يؤكد ان فرنسا كانت ظهيرة لانجلترا في احتلال مصر واقتطاعها من جسم الرجل المريض. ويقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله عن عرابي: وانما فهم بعد خراب البصرة انه لا ينبغي لاحد ان يثق بفرنسا ولا باحد من رجالها. والذي نلاحظه هنا هو ان محمد عبده رغم كرهه للثورة ومعاداته لها، فاننا نجده قد شارك فيها. ويعلل احمد امين ذلك بأن المسائل لا تجري على المنطق وخاصة ايام الثورات. غير اني ارى غير هذا الرأي. فمحمد عبده كان يريد ان تتحرر مصر، وكان يستبعد هذا التحرر عن طريق الثورة او المطالبة بالمجالس النيابية طفرة، والشعب لا يتمتع بتربية وطنية واعية ولا يسوده رأي عام منبثق عن عناصر نفسية متينة. وكان مع هذا يبغض الاستعمار ويراه معوقا لكل اصلاح، ويخاف منه على كيان المسلمين ويتوقع منه الغدر. فلما وقعت الثورة وانقلبت الى ثورة عامة. رأى ان الواجب الشرعي يحتم عليه ان لا يقف مكتوف الايدي ازاء هذه الكارثة، فوقف بجانب الثورة يهاجم الاستعمار واعوان الاستعمار من الخونة الذين تآمروا على هذا الوطن. ومن هنا نرى ان الدافع له الى مؤازرة الثورة كان دافعا منطقيا يفسره عقيدة محمد عبده وشعوره بالواجب. كما ان مناوأته للثورة قبل اندلاعها كان منطقيا. فهو لم يكن يعادي الاصلاح المعقول. وانما يكره الطيش والمغامرات في ظروف دقيقة لا تسمح بقيام ثورة او حدوث عصيان او مقاومة. وانما تقتضي كثيرا من الحكمة والحذر. وكان محمد عبده صريحا في رأيه في الثورة، فلقد كان جمال الدين وعرابي يريدان الثورة. ومحمد عبده يرى الاهتمام بالتربية والتعليم وبالاصلاح التدريجي وتدريب الاهالي على تحمل مسؤوليات الحكم. واذا كان محمد عبده يستند الى فكر عميق يستخلص النتائج ويستبطن الامور ويعي الظروف حق الوعي. فان عرابي كان يستند على الخيال وعلى وعود سلطان باشا الذي كان محركا من لدن الاستعمار ليقوم بدور الثائر المورط، ولكن ماذا يفعل محمد عبده والاجانب قد هاجموا البلد. واصبحت الحرب بين المسلمين والكفار؟ اذن فليقف بجانب اولئك الذين عارضهم بالامس، وليس ذلك اقتناعا بمبدئهم ولا احتلالا في منطقه نظرا للحركة الفجائية الثورية ومهاجمة العدو ولكن ايمانا بوجوب الدفاع عن المسلمين الذين كتب عليهم ان يمشوا هذه الخطى.

فلما انه لم يكن من رأي محمد عبده المطالبة بحكومة ديمقراطية نيابية وسيلة للاصلاح او غاية له. اذ لابد قبل ذلك من اصلاح ضمائر الامة واشاعة الوعي السياسي بين افراد الشعب حتى يكونوا اهلا لهذه الحكومة الديمقراطية « والا كان ذلك كتمكين القاصر من حق التصرف » وكان يعد المطالبة بهذا النوع من الحكم من اخطاء العقلاء. ولا يصح ان يفوض الشعب في امر مصالحه وهو لا يستطيع ان يدرك كنه

منهاج محمد عبده في الإصلاح الإسلامي

للأستاذ: عبد السلام الهراس

-2-

كـــــان من الضروري أن نتناول بشيء من التفصيل منهاج الشيخ جمال الدين الأفغاني حتى نتبين مدى استقلال شخصية محمد عبده بالنسبة لأستاذه الذي كان له الأثر القوي في توجيهه . (1)

إن محمدا عبده كان شخصية ذات تركيب نفسي خاص فيها اعتدال ولكنها مائلة للتطرف أحيانا . فيها مرونة إلى حد ما . وتكره المغامرات العنيفة . خلاف أستاذه جمال الدين . إن عبده كان يريد الإصلاح بعد أن رأى المأساة الإسلامية المفجعة والتفكك الاجتماعي السائد . واستغلال القوي للضعيف ، واستحكام المؤامرات الاستعمارية . واحتلال الحياة السياسية . وانحراف السلطة عن تطبيق الشريعة وقواعد العدل . وتخلف الفكر . والروح . والبلد ؛ في حين ساهد في الجانب الآخر – جانب أوربا قوة جبارة . واشعاعا فكريا . وتماسكا قويا . مع أن ديتهم ليس من طبيعته أن يحث على ذلك . . غير أن الفكرة الإصلاحية لم تكن أول الأمر خطوطا مستمرة تطمئن إليها نفسه . وتتحمس لها جوارحه إلى أن اتصل بجمال الدين الذي اكتسفه من بين مريديه إذ لمح فيه الاستجابة العميقة والتجاوب المفعم بالوعي والإخلاص . والاستعداد الكامل لتحمل مسؤولية القيادة الإصلاحية مع جمال الدين وبعده . غير أن محمدا عبده لم يشأ أن يكون نسخة مكررة من أستاذه . بل أراد أو أرادت له طبيعته الخاصة أن يكون نموذجا آخر في ميدان الإصلاح . وعلى الرغم من هذا . فقد كان لأستاذه سلطة روحية عليه نفاذة . وكان يملك التأثير فيه وحمله على اتباع ما ينهجه من طرق للإصلاح . ولهذا كان يشاركه في السير في طريق السياسة وشؤون الأحزاب والمطالبة بإصلاح نظم الحكم ؛ ومناوأة العروش وذوي السلطة من المستبدين المعارضين للإصلاح . فيظهر عبده بمظهر الثائر الساخط . فيدعو مثل أستاذه للثورة ، ويسلك مسلكه في الدعوة السياسية ، ولكنه ستفيق بعد حين من غفوته . ويتخلص شيئا فشيئا من تأثير أستاذه . فيراجع فكره . ويستحب أخيرا لطبيعته الهادئة التي تملي عليه طرقا ووسائل تختلف عن تلك التي كان يسير على منهاجها. تلك الطرق التي لا تكلفه لحاجة . ولا تستثير عليه حكومة . ولا تدفعه إلى استعمال عنف أو التحريش عليه . مخالفا بذلك أستاذه الثائر الذي يثور حتى على ملوك أجانب . وينصحهم بإشراك الشعب في الحكم . ولا يبالي بعواقب كلامه الناري .

كان محمد عبده يدرس « المشكلة » عاليا مجرده من تلك العواطف الهائجة التي تثير كوامنها الحوادث المؤلمة . والأوضاع القاتمة التي تسود العالم الإسلامي، ولطبيعته الدور الفعال في اتخاذه هذا الموقف . كما أن التجارب التي مرت به . وفشل الأسلوب السياسي . ومستوى المجتمع الذي يعيش فيه ، كل ذلك ساهم أيضا في تكوين رأيه الذي استقر عليه ، مخالفا بذلك أستاذه جمال الدين .

نعم إنه كان أول أمره ممن يرون قيام نظام ديمقراطي برلماني وذلك قبل الثورة العربية ، وقد أعلن

---

(1) نشر القسم الأول من هذا البحث في العدد الرابع من المجلة

لفساد الحكم وفساد القائمين به سرطان يسري حتى للتربية والتعليم ويفسد كل شيء ، ومن يضمن لمحمد عبده وضع او استمرار تخطيط تربوي ، ان (القرون) التي لابد منها لانحل المشكلة ما دام الحكم فاسدا ، وما اظن ان محمدا عبده كان يعارض الثورة المصرية الحديثة خصوصا وقد كانت خالية من الدماء والفتن اذا استثنينا بعض الحوادث . كان يحبذها اذن كما يحبذها كل مسلم مومن بالله حق الايمان . على كل حال كانت افكار محمد عبده صائبة في نطاق تجربته وظروفه التي كان يعيشها وليس من الصواب في شيء . ولا من الحق . ان ندرس فكرته هذه على ضوء ظروفنا ومستوانا ، فلعله كان يغير بعض رأيه في الوقت الحاضر .

وكان يعجب للطبقة « المثقفة النابهة » من المسلمين كيف سلكت سبيل الاصلاح لما حصرت كل همها في السياسة ، واهملت الطريق السليم الذي يبنى عليه كل شيء وهو ايضا كل شيء ونعني « التربية » وكان يرى ان السيد جمال الدين الافغاني — وهو ذو اقتدار عجيب — لو استغل عبقريته وحرارة ايمانه في التربية لانتج انتاجا عظيما . ولايمانه بان التربية والتعليم هما الوسيلتان الوحيدتان والمثليان لايجاد امة صالحة قوية كان يرى انه لابد من مستبد عادل يقوم بهذا الدور في الفترة التي ما تزال الامة فيها كالقاصر لاتحسن التصرف ولا تدري ما لها من حقوق وما عليها من واجبات .

اذن فلم يكن يرى في « السياسة » الطريق الذي يحقق للمسلمين غايتهم لانها طريق سطحي حيث تعتمد على العنصر الخارجي ، وملتو ومؤذ . ولذلك استحقت السياسة ومشتقاتها اللعنة منه ومن قوله فيها : ما دخلت السياسة في شيء الا افسدته . . . فان شئت ان تقول ان السياسة تضطهد الفكر او الدين . فانا معك من الشاهدين .

وقد تعرض بسبب موقفه هذا الى التهديد والتقول من طرف بعض الساسة والكتاب والعسكريين على السواء . كما انه اصطدم باستاذه جمال الدين عندما اشار عليهم ان يسلكوا طريق التربية والتعليم وان يتركوا طريق السياسة والثورة لانها فشلت . وليس معنى هذا ان محمدا عبده ظن ان الاصلاح السياسي يمكن ان يتم بمعزل عن الاصلاح الديني والعلمي . وانما كان يومن بان الاصلاح السياسي يجب ان يسبقه اصلاح ديني ، وان امر الحكومة والمحكوم ثمرة تجنيها الامة من غرس تغرسه وتقوم على تنميته السنون الطوال . فهذا الغرس هو الذي ينبغي ان نعنى به الآن . ومن هذا النص نرى ان عبده كان يومن بان الاصلاح السياسي لايتم بمعزل عن الاصلاح الديني، وانما هو متصل به ناتج عنه او يجب ان يكون كذلك . . . نعم ترك للاقدار ان تحل مشكلة علاقة الحاكم بالمحكوم ولكن ليس معنى هذا انه لم يكن يرى ان السياسة بمعزل عن الدين كما رأينا .

وقد يكون لطبيعته الهادئة اثر في ان ينحو هذا المنحى في دوره الاصلاحي كما يرى السيد رشيد رضا . ولكن الذي اراه ان للتجارب التي عاناها وشاهدها في حياته الاصلاحية اثرا في توجيهه هذه الوجهة من الاصلاح . فان تتابع الاحداث السياسية في مصر . لم يكن من شأنه أن يمكن الاستاذ الامام من البقاء على آرائه السياسية الاولى . ولهذا (أقلع عنها وتجاوزها بعقله الى ما هو أدق منها من النتائج) وقد كان نفيه لسروف فرصة تخلو فيها لنفسه يفكر في علل هذا الشرق تفكيرا هادئا ولعله ازداد ايمانا بان العدول عن السياسة واجب وانه لابد من اصلاح على اساس من العقيدة الصافية والاخلاق الفاضلة والعلم الشامل والطريق الذي كان محمد عبده يحاول سلوكه — لو انه كان يجمع بين الفكر والعمل — كان طريقا يمليه عليه الواقع . وهو ايضا طريق طويل شاق . لانه يكافح الانحطاط في العقول والفساد في النفوس وذلك هو ما تحسبه السياسة وتخطئه (وهو على صعوبته وبطء نتائجه فانه اوثق واعمق وابقى أثرا) .

ومما تقدم نستطيع ان نقول ان رأي محمد عبده في الاصلاح كان هو وجوب نشر العلم المقارن بالتربية اي العلم الذي يكون اداة طيعة في يد الضمير الاسلامي ومتى وجدت تربية اخلاقية اسلامية وعلم فان المسلمين لاشك سيسترجعون قوتهم وواصلون الى العزة والقوة والكرامة .

تلك المصالح او المحافظة عليها . وقد تبين بعد ان « الديمقراطية » التي اقيمت اساسا للحكم في مصر . كانت وسيلة طيعة في يد الاستعمار للتلاعب بمصالح الشعب . وطريقة للنهب والاحتيال من طرق خفية من محترفي السياسة . فأحدثوا في الشعب المصري الفرقة . ووسعوا شقة كل خلاف . واستغلوا الحرارات في سبيل كرسي حكم هزيل يجود به المستعمرون على اصحاب الالقاب الفخمة . حتى انقذ الله البلاد على يد الثورة المباركة التي ارجعت للعرب والمسلمين بعض كرامتهم .

وكان محمد عبده ينعي على اولئك الذين يظنون ان مجرد التقليد لاوربا في مظاهرها وانظمتها كفيل بترفيتنا وجعلنا في مستواها . دونما نظر في الاسباب والوسائل التي توسل بها الاوربيون الى الحالة التي هم عليها . ان بداية التقدم الاوربي في الحقيقة كان في نفوس الشعب وافراد الرعايا . اي ان التقدم لايكون الا بتغير في النفس لا بتغيير في المظهر الخارجي . فالقوانين يجب ان توضع حسب طبيعة كل شعب وتقاليده واخلاقه وعقيدته ومستواه العام ومصالحه وتاريخه « فلا يجوز حينئذ وضع قانون طائفة من الناس لطائفة اخرى تباينها في درجة العرفان او تزيد عليها فيه . لانه لايلائم حالة افكارها ولا ينطبق على عوائدها واخلاقها . والا اختل نظامها والتبس عليها سبيل الرشد . وحسبت الصحيحة فاسدة والصواب خطأ وحرفت الاوضاع وبدلت وغيرت فيقلب عليها دواء غيرها داء » وكان يأسف لهؤلاء الذين يحثون المسلمين على تقليد اوربا في اشكالها ومظاهرها . حتى ان بعضهم امعن في التقليد وغالى في التنافس وانشط في السبق الى حد مزر . في حين كان اسلافه يتنافسون في اكتساح البلاد وتملك الحصون وتلقين اصول الحضارة للعالم .

ونضرب مثلا لحالتنا فيقول : « ان مثلنا كمثل الدجاجة رأت الاوزة تبيض بيضا كبيرا فطلبت ان تبيض مثلها فاجهدت نفسها في ان تكون ذلك . غير عارفة ان وقوعه لايكون الا باستعداد . اي بان تكون اوزة فحبست نفسها واستعملت قوتها الدافعة حتى اسقت منها ما اسقت وتمزق منها ما تمزق » فهو يرى ان تقليدنا لاوربا يجب ان تكون في الاسباب وفي المناهج التي تقوم عليها المدنية لا ان تكون سوقا نافقة وزبائن مخلصين في الاسراف والتبذير بالنسبة لمنتوجات اوربا وانشائها . فنعتبر تلك الاشياء ونفيمها مقام المدنية الحقيقية التي تستدعي الثناء لا التكديس حسب تعبير اسادنا مالك . ان مدنية اوربا بدأت بتغيير في النفوس فلتكن مدنيتنا كذلك ، اما التقليد فان اقل اخطاره تخفي الحقائق ويستر العيوب وتعوق عن التقدم وتنفي الشخصية .

ولم يكن رفض محمد عبده للدعوة الديمقراطية كما كان يريدها معارضوه بدافع رجعي او نفعي تمليه عليه مصالح طبقة من الطبقات او جهة من الجهات . بل كان صادرا عن تجربة واختبار . انه كان يرى شعبه ينخر الجهل اوصاله ويفت الفقر كيانه . ويحمل كثيرا من الامراض النفسية والعقلية التي افرعتها في نفسه القرون المظلمة السابقة . فقيام نظام ديمقراطي في شعب متداعي الاخلاق مضطرب الارادة والاهداف لا يغير من الواقع . بل قد يزيد الحالة سوءا . اذ يمكن اصحاب الاطماع من العبث بالحكم ومن الوقت في المهاترات والمحاقات . لانه لايعادي النظام الديمقراطي في ذاته ولكنه يحاربه اذا كان في شعب لايعرف قيمته وليس مستعدا للقيام بدوره ومسؤوليته وللوصول الى هذا المستوى « لابد من قرون تبث فيها العلوم . وتهذب العقول . وتذلل الشهوات الخصوصية . وتوسع الافكار الكلية . حتى ينشأ في البلاد ما يسمى بالرأي العام . وبذلك تصل الى مستوى ديمقراطي سليم كمستوى امريكا . وعند ذلك تستحق ما تستحق امريكا » وكان يرى ان الذي يسعى لخير البلاد يجب ان لايهتم بغير اتقان التربية والتعليم ، فتتبدل بذلك النفوس وتتغير بالتالي الحياة ، وبالتدريج والتمرين تصل الشعب الى حقوقه دونما ثورة او هياج او عنف . وهنا نلاحظ ان محمدا عبده وضع يده على مكمن الداء حسب رأيه في النفس لا في المظهر ، ولكن هل سمح الفساد لمحمد عبده او لغير محمد عبده ان يضع برنامجا صالحا في التربية والتعليم لتبدل النفوس وتتغير الحياة ؟

حول ترجمة القرآن الكريم

- 2 -

للأستاذ: محمد كمال شبانه

دواعي الترجمة وجوازها شرعا

من المعلوم ضرورة ان الله تعالى بعث رسوله الكريم الى العالمين بشيرا ونذيرا : ليخرج الناس من الظلمات الى النور . فالاسلام دين العالم الانساني ؛ لقوله تعالى « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » وقال تعالى « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » وقوله صلى الله عليه وسلم « وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة » والقرآن الكريم هو آية الله الكبرى التي انزلها على نبيه صلى الله عليه وسلم الى الخلق أجمعين . انزله بلسان عربي غير ذى عوج ، وندب الذين يقومون بالامر ان يبلغوه للعالم ما وسعهم الجهد وما استطاعوا الى ذلك سبيلا ؛ فهو امانة كلفهم المولى أداءها والقيام بحقها . ومن حقها على العباد نشرها فى أنحاء العالم ، وفى كتمانها تحقيق للوعيد الشديد فى قوله تعالى « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » .

وقد مضت عهود تاريخية كان للتفاهم فيها أساليب قضت بها سنن الاجتماع . وقد افادت المسلمين هذه الاساليب فى أول عهد فدخلت فى الاسلام امم برمتها ، ولم يمض عليها قرن واحد حتى بلغ عدد اتباعه نحو مائة مليون نسمة من شعوب مختلفة

« ولكنا فى عهد اصبح فيه أقل الناس فيه شأنا يحسب لنفسه وجودا أدبيا واستقلالا ذاتيا وحرية غير محدودة فى الانتقال من دين الى دين » .

ومن هنا كان لزاما على الامة الاسلامية أن تقوم بنشر دينها على اساس مكين ومصدر متين . وهل هناك أساس امكن ومصدر أمتن للدعوة الاسلامية من القرآن ؟ كلا ثم كلا . فهو عنوان الحنيفية السمحة لترغيب الناس فيها واعتناقهم لها ومعرفتهم بالاحكام السماوية والشرائع الالهية .

وبعد فهل لنشر الاسلام فى انحاء المعمورة ان تتعلم الناس فى العالم لغة القرآن الى الحد الذي يمكنهم من فهم النصوص الدينية . وحينئذ يعرفون الاحكام الاسلامية من نصوصها الاولى وذلك متعذر : فان التفكير فى الاديان ومحاولة معرفتها بتعلم لغاتها الخاصة ليس مما تتجه اليه اذهان الدهماء . ولا يكون عادة الا من أفذاذ العلماء . فليس من الوسائل العلمية الموصلة الى المقصود أم أن نشره فى العالم يتم (1) « ان تتعلم جماعات من المسلمين لغات الامم الاخرى الى الحد الذى يمكنهم من نشر مبادىء الاسلام بين تلك الامم بما يستطيعون من خطابة وكتابة وترجمة للأصول الدينية » ؟

الحق ان هذا هو الطريق المستقيم والمسلك العادى الميسور لنشر المبادىء . وان لنا فى نشر الامم لحضاراتها ومبادئها بلغة الآخرين أكبر شاهد على صحة ما نريد . والاسلام حريص على هذا الاصل الفطرى . فلم يدع أهله الى الخلود فى ديارهم فى انتظار من يطلب معرفة دينهم بل دعاهم الى نشره فقال : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون » وان كتبه صلى الله عليه وسلم لأكبر شاهد على انتهاج ما قدمناه من سبيل: فقد بعث الرسول بكتبه الى النجاشى وهرقل والمقوقس يدعوهم الى دين الله بلغتهم ، وقال : « فليبلغ الشاهد منكم الغائب . فرب مبلغ أوعى من سامع » .

---

(1) أصول الفقه للاستاذ علي حسب الله ـ صفحة 112 .

ولاهمام محمد عبده بالتربيه والتعليم كان لايدع فرصة تمر دون ان يغتنمها ليقدم اقتراحا او لائحه لاصلاح التعليم ولايجاد تربيه اسلاميه ، ففي اثناء اقامته ببيروت نراه يقدم لشيخ الاسلام بالدولة العثمانية لائحه اقترح فيها برنامجا عاما لتعليم المسلمين عامة وتثقيفهم . ومما جاء في شأن تعليم الموظفين : انه اذا ذكر في التاريخ الوجوه السياسيه كانت تابعة للغرض الديني ثم تبسط فيه ... اسباب التقدم الاسلامي بادق مما كان في السابق والغاية من ذلك التدريس هي اشراب القلوب حب الدين وتوقيره وجعله الغايه المطلوبه من كل عمل حتى تكون للملة وجهة تقصدونها باعمالهم ، وبهذا يتضح انه كان يريد بالتعليم والتربيه خلق امه ذات ارادة قوية واحده ، يهدفون اليها جميعا باعمالهم ، ذلك ان الامة الموزعه الاراده — كما كانت على عهد محمد عبده — لاتستطيع النهوض ولا المقاومة بل هي اضعف من ان تكون ذا كيان مهاب قوى ... وكان يقصد من اصلاح التعليم والتربية ان تحيي المله التي كادت تموت والعباد بالله حسب تعبيره

وعندما رجع من المنفى الى على نفسه ان يطلق السياسة وقد رأى ان مشروع « العروة الوثقى » قد فشل وان الثورة العرابية جرت على البلاد شر مصيبه تصاب بها امة فقرر ان يتفرغ للتربية والتعليم ، ونراه يقدم لائحة اخرى للتعليم — وهي اللائحة الثالثة — ومما جاء فيها قوله : لايمكن للفرد ان يكون صالحا الا اذا كان ذا وجدان صالح يصدر عنه شعوره وارادته ، واذا كان الشعور والارادة فاسدين . كانت الاحلام طائشة والاهواء متحكمة .

محاسبة النفس

« على العاقل مخاصمة النفس ومحاسبتها . والقضاء عليها . والاثابه والتنكيل بها ... وعلى العاقل ان يحصي على نفسه مساوئها في الدين وفي الاخلاق وفي الاداب ، فيجمع ذلك كله في صدره او في كتاب . ثم يكثر عرضه على نفسه ويكلفها اصلاحه ، ويوظف ذلك عليها توظيفا من اصلاح الخلة والخلتين والخلال في اليوم او الجمعة او الشهر . فكلما اصلح سيئا محاه . وكلما نظر الى محو استبشر ، وكلما نظر الى ثابت اكتأب » .

« الادب الصغير لابن المقفع »

and if it is said to you to go back, then go back; this is purer for you, and Allah is cognizant of what you do

It is sin in you that you enter uninhabited houses where in you have necessaries; and Allah knowns what you do openly and what you hide

قــال تعــالــى :

« (1) يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غيـــر بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فان لم تجدوا فيهـا احـدا فـلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم ، ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها مـاع لكـم ، والله يعلـم ما تبدون وما تكمون » .

« ترجمة الترجمة الانجليزية »

واذا نحن قمنا بترجمة الانجليزية الى العربيـه لهده الآيـه ، وجدناها كالآتــي :

دخـول المنازل باذن ساكنيهـا

« يا أيها الذين آمنوا لايدخلوا بيوتا ليست ملكـا لكم حتى يسمح لكم ويحيوا سكانها وهذا أفضل لكـم لعلكـم تتعظـون »

« وان لم تجدوا فيها أحدا فـلا تدخلوها حتـى يسمح لكم . واذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا وهذا خير لكم ، لأن الله بكل شيء علـيم »

« وليست عليكم خطيئة اذا دخلتم بيوتا غيـــر آهله بالسكان حيث لكم فيها حاجات والله عليم بمـا ظهـر وما بطـن » .

What women may be taken in marriage

Forbidden to you are your mothers and your daughters and your sisters, and your paternal aunts and your maternal aunts and brothers' daughters' and sisters' daughters and your mothers that have suskled you and your foster-sisters and mothers of your wives and your stepdaughters who are in your guardiaship, born of your wives to whom you have gone in, but if you have not gone in to them, there is no blame on you (in marrying them), and the wives of your sons who are your own lions, and that you should have two sisters togethers, except what has already passed, surely Allah is for giving merciful.

قــال تعــالـــى :

(2) « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وامهاتكـم اللاتي أرضعنكم واخواتكـم مـن الرضاعـة وامهـات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكـم وحلائل أبنائكم الذين من اصلابكم ، وأن تجمعوا بيـن الأختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما » .

ترجمــة الترجمة الانجليزيــة

اذا نحن قمنا بترجمة الانجليزية للآيات السابقة وجدنــا أنهــا كالآتــي :

« لاتتزوجوا أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكـم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتــي أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة وأمهـات ازواجكـم وبنات نسائكم اللاتي دخلتم عليهن ـ واذا لم تدخلـوا عليهن فهن حلال لكم ـ وزوجات ابنائكم الذيـن مـن اصلابكم . والا تجمعوا بيـن الأختين ماعـدا ماسلـف منكـم . فالله غفور رحيـم » .

التعقيب على الترجمـة

ان نظرة خاطفه الى الترجمه العربية لأيه التحريم توضح لنا ان المعنى الذي اراده القرآن الكريم قـد افصحت عنه الانجليزية في اسلوب لايحبط به غموض ، أو يشتمل على رموز ، بل اننا نستطيع أن نصرح بأن الالفاظ لم يحدث بها تغيير أو تبديل ، اللهم الا في قليل من مثـل «لاتتزوجوا» بـدل «حرمت عليكم» «وبنات نسائكم» بدل «وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم»

1) الآيات : 26 ـ 27 ـ 28 ـ من سورة النـور .
2) الآيـة 22 من سورة النســاء .

اذن وجب علينا ان ندعو الاجانب الى ديننـــــا بلغتهم . ولا يتم ذلك الا بالترجمه . ونعني ترجمـــة النصوص القرآنيه ؛ وحيث ان الدعوة واجبة فما لايتم الواجب الا به فهو واجب .

واذا كان ماتقدم هو الداعي الرئيسي من دواعي الترجمه فان هناك دواعي ثانويـــة تليــه في الاهميــة ؛ ويمكننا ان نلخص بعضا منها فيما يأتي :

1) عن طريق ترجمة معاني القرآن يمكن رد شبه المغترين . وردع منكـري المبادىء القويمـة للاســلام . وتصحيح الصوره الاسلامية التي شوهها ذوو الاغراض والمطامع . ممن يريدون الانقضـاض على هذا الديـن . والذين نصبوا انفسهم لمحاربته .

2) توحيد كلمه الجماعات البشريه بقيامها حمله على كلمة الله العليا .

3) هدم ما بين تلك الجماعات من فروق قوميـه ولغويه وبيانات جنسية في ظلال الوحدة الانسانية .

4) العمل على ايجاد صلة دينية تربط بين شعوب الارض على اختلاف مشاربها وتباين لغاتها ، وبذلـــك تجتمع القلوب وتتضافر الجهود على اقامه دولة الحق في الارض والاظهار على دولة الباطل .

استطـــــــــراد

ولكن يرى بعض العلماء ان القيام بتأليف رسائل تحوى الاحكام الدينية والمبادىء الاسلاميــة كـاف في تبليغ الدعوه وتعريف العالم بديننا ، وعليه فلا مدعـاة لترجمة القرآن الكريم .

ونحن لانوافقهم على ما ارتأوا للأسباب التاليه :

1) ان العالم المتمدن في الوقت الحاضر لا يقتنـع بشيء عن طريق الواسطة ، وانما يبغي المصــدر الاول : لتكون صلته به في تعرف ما حـواه صلـه مباشـرة . فترجمه القرآن أمر لابد منه ؛ تخلصا من الامانة التـي عهد الينا بها ، ومسايره للروح العلميــه الحـديثـه في معرفة الاصول والمصادر الاولى راسا .

اذا نحن قمنا بترجمه رسائل نكتب فيها مبادىء الاسلام واحكامه فلن يكـون الاقبال عليهـا مضاهيـا للاقبال على الترجمه القرآنيه ؛ فالناس يعتقدون فيها الدعاية ، وانه روعي فيها التأثير الخطابـي وروعـــه العبارة وسحر الاسلوب .

3) في استطاعه خصوم المسلميــن ان يجاوبـــوا رسائلنا بمثلها مدعين ان رسائلنا هذه ليست الا ثمـرة تحصيلنا من علومهم ؛ واستقائنا من مبادئهم وقوانينهم .

صور من الترجمـة الانجليزية

هناك ترجمه للقرآن الكريم بالانجليزيه . قام بها « مولانا محمد علي » وتحمل الترجمة اسم « القــرآن المقدس » واهم ما يسترعي نظر الباحث في هذا المترجم ان نصوص القرآن الكريم توجد بجوار الترجمه ، كمـا انه لتوضيح بعض آيات الكتاب الكريم وشرح ما قـد يتعلق بقصص القرآن او مايأتي به من تشريع يذكـــر ماكان فاشيا لدى العرب من نظم اجتماعيه حظرهـــا الاسلام لكونها اشتملت على مساويء وخيمة العواقب . او نعي على بعضها لكونها لاتجافي المبادىء الاسلاميه ، كما وأن المترجم المذكور عني بالاشارات القرآنية التـي جاءت في غير موضع . فوضحها بما يزيــل كـل لبس ، كذلك نسجل له الفصل بين الترجمة لمعاني القـــرآن الكريم وبين التعليقات التي قد تقتضيها المقام ؛ او يدعو اليها الامــر .

وساعرض هنا ــ نقلا عنه ــ للونين من الترجمه ، راعيت كل لون ان يمثل تعاليم الاسلام وآدابه الجديره بالاتباع . ففي الصورة الاولى ترجمة لقولـه تعالـــى « يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتــى تستأنسوا » . . . الخ الآيــه .

وفي الثانيه ترجمه لقوله تعالى « حرمت عليكـم امهاتكم وبناتكم » . . . الخ الآيه .

وسنعمل على ترجمة الانجليزية الـى العربيــة لنقف على مدى افادتها لما يريد القرآن ان يفصح عنه . وعلى ضوء هذا العمـل سنحكم على امكـان الترجمـة وجوازها . تطبيقا لما سبق ان قررناه ، كمـا سنعـرف الكيفيه التي يمكن بها الترجمة .

HOUSES NOT TO BE ENTERED WITHOUT PERMISSION

O you who believe ! do not enter houses other than your own houses untill you have asked permission and saluted the inmates , this is better for you, that you may be mindful

But if you do not find any one there in, then do not enter them permission is given to you,

أبحاث ومقالات

من مزايا اللغة العربية

للدكتور عبد الكريم اليافي

للغة العربية مكانة خاصة بين اللغات جميعا. وصلتها بالشعب العربي وبغيره من الشعوب صلة فريدة. ومن المفيد ان نبين تلك المكانة وأن نبرز هذه الصلة ما اتسع لنا المجال في هذا الحديث الموجز.

اما مكانة اللغة العربية بين اللغات فينبغي ان نعرف انه لا يوجد في القديم ولا في الحديث لسان يضاهيها في المزايا، ويحاكيها في الخصائص والفضائل. وليس كلامنا من وحي العاطفة ولا من قبيل الفخار والحماسة، وانما نلمس للصفات الموضوعية التي للسان.

فاللغة العربية من اقدم اللغات الحية. بل هي اقدمها على الاطلاق. وقدمها غدا يحوها مزايا فكرية جمة. ويهبها مرونة واسعة. ويزودها بتجارب كثيرة. واذا كانت قد عمرت وعاشت واستمرت هذه الاحقاب الطوال. فلأنها تحوي فضائل جمة لبست للغات ماتت وانقرضت كاللغة اليونانية القديمة واللاتينية وأمثالهما.

والحق ان اللغة العربية مرت بمراحل نشوء طويلة وكثيرة بدأت تعرف بالتدريج. ولقد دلت الكشوف الاثرية التي حصلت في تل ماري بالجزيرة في سورية على ان الكتابات التي عثر عليها في هذه المدينة القديمة والتي ترجع الى نحو من خمسة آلاف سنة قبل المسيح، انما كانت مكتوبة بلغة قريبة جدا من العربية. وفي تلك العصور الطوال الخالية اكتملت اللغة العربية اكتمالا اصيلا وجميلا. ولما جاء الدين الاسلامي ونزل القرآن الكريم قيض لها منذ هذه المرحلة الحاسمة الصون والاستمرار مع التطور المناسب الملائم. واذا كان التطور التاريخي العميق البعيد يهب اللغة كمالا حين تكون اللغة اهلا له بما فيها من مرونة ومزايا، فان العربية لها مثل هذا الكمال المفرد بين جميع اللغات.

بيد ان لهجة قريش البليغة هي التي كتب لها البقاء والاستمرار، ولقد خرجت مع العرب من بلادهم، وتدفقت كالسيل المخصب في بلاد العالم. ولمرونتها وجمالها واتساع دلالاتها وملاءمتها غلبت جميع اللغات التي صادفتها. واصبحت بعد امد لغة الادب ولغة العلم ولغة السياسة ولغة التجارة ولغة الدين. لشعوب كثيرة تكلمت بها عصورا طوالا، لا للشعب العربي وحده ولم يتح مثل ذلك للغة من اللغات حتى اليوم.

وليس غريبا ان يستهوي اللغة العربية ابناء شعوب كثيرة وتأخذ بقلوبهم ونفوسهم. وتلقى ثمرات عقولهم وقرائحهم. فلم يكونوا يفضلون عليها لغة من اللغات حتى لغاتهم الاصلية. مع انهم كانوا يتقنون اذ ذاك عدة لغات سائغة في عصرهم. ومن الطريف ان نذكر امثال شعوب آسيا وافريقية واوربا كلهم على دراسة اللغة العربية والكتابة بها واتقانها والنظر اليها على انها اللغة الفكرية والادبية والعلمية الممتازة. وذلك في عصور تألق الحضارة العربية. وفي كتاب « الامتاع والمؤانسة » للتوحيدي فصل ينشر الى اعجاب عبد الله بن المقفع الفارسي باللغة العربية واعتبارها من المزايا العالية التي للشعب العربي.

ثم ان هناك عالما ومؤرخا وجغرافيا وفيلسوفا ورياضيا وفلكيا كبيرا قل مثله في تاريخ الفكر الانساني كله، هو ابو الريحان البيروني. كان يتقن الفارسية والهندية والسريانية واليونانية والعربية زيادة على لغته التركية. وفي بعض كتبه يذكر الشيء والالفاظ التي تدل عليه بتلك اللغات جميعا. وفكره العلمي واطلاعه على طائفة من اللغات السائغة في عصره خولانه ان يحكم حكما صحيحا على مزايا اللغات. فهو يقول في كتاب (الصيدنة) ما يأتي:

« والى لسان العرب نقلت العلوم من اقطار العالم فازدانت وحلت في الافئدة، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والاوردة، وان كانت كل امة تستحلي لغتها التي الفتها واعتادتها واستعملتها في مآربها مع الافها واشكالها. واقيس هذا بنفسي وهي مطبوعة على لغة لو خلد بها علم لاستغرب استغراب

ولكن هذا لايسمح لنا بأن نعفي الانجليزية من القصور الواضح فى مضمار السبق لتعبير القرآن الكريم ، فهناك بون شاسع بين التعبير القرآني والتعبير الانجليزي . فمثلا ماده «حرمت عليكم» المشتملة على التحريم المنوط بالمذكورات بعده لن تستطع الانجليزية أن تضاهيه أو تجاريه ، بل كانت الترجمة «لاتزوجوا» فالتحريم استفيد من تسلط النفي على «تتزوجوا» فقصر التعبير من الناحية اللغوية ، وكذلك عندما عبرت الآية على تحريم الربيبات «وربائبكم اللاتي فى حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم» وجدناها تدل فى أبلغ أسلوب على حرمة مصاهرة الزوج بنت زوجته التي تعيش فى كنفه مادام قد دخل بامها . ويكفي التصوير الفنى الذى لاءم الجو وناسب الحال لفظ «فى حجوركم» فأما تعبير الانجليزية فرغم قصوره عن التصوير نجده قد سلك التعريف بهاتيك الربائب مسلكا قاصرا بعض الشيء فى قوله «وبنات نسائكم اللاتي دخلتم عليهن» فلم تصفهن بكونهن فى حجور الزوج كما عبر القرآن الكريم ، كما ان الترجمة عبرت عن نساء الأولاد بقولها «وزوجات أبنائكم» ولكن الآية القرآنية سخصت الحالة وألبست المعنى اللفظ المناسب «وحلائل أبنائكم» وفى لفظ حلائل من الدلالة اللفظية ما لانجده فى «زوجات» .

اما فى آيات الاستئذان فقد أتت الترجمة على المعنى المقصود بهاتيك الآيات ولم تظلم منه شيئا . وما سبق أن قررناه من قصور الانجليزية عن النصوص القرآنية فى نواحي الاعجاز والتصوير الفني والبلاغي ينطبق على آيات الاستئذان ، ولذلك لن نحاول ان نحلل هذه الآيات اكتفاء بالتنظير لآيات المحرمات .

اجمال ونتيجة

وبعد فقد رأينا أن البحث فى موضوع ترجمة القرآن قد انقسم الى مرحلتين :

المرحلة الاولى وهي العلمية النظرية ، والمرحلة الاخرى وهى الفنية التطبيقية ، وقد اشتملت المرحلة الاولى على المقدمة ومعنى الترجمة وامكانها ، وأهم شبه المانعين والتعقيب عليها ، واشتملت المرحلة الاخرى على الصور الانجليزية للنصوص القرآنية والتعقيب عليها من الناحية المعنوية والبلاغية .

ان ترجمة القرآن الكريم ممكنة لغويا جائزة شرعا ، ولن تكون الترجمة نصية بل ترجمة للمعاني القرآنية ، كما أن الترجمة لاتسمى «قرآنا» بمعنى انه القرآن المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بل هى معاني القرآن الكريم ، تحوي التعاليم الاسلامية ، والمبادىء الصحيحة للدين ، وحقيقة الدعوة المحمدية فى نبل غرضها وسمو غايتها .

« انتهى »

الجليس الصالح والجليس السوء

« مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك اما ان يحذيك ، واما ان تبتاع منه ، واما ان تجد منه ريحا طيبة ... ونافخ الكير اما ان يحرق لك ثيابك ، واما ان تجد منه ريحا منتنة » .

ــ حديث شريف ــ

حاجتنا لدراسة علم الاجتماع الديني

للاستاذ ادريس الكتاني

اذا كان اختباري قد وقع في هذا الحديث على علم الاجتماع الديني بالذات فلأن هذا العلم الحديث يكاد يكون مجهولا لدى طلاب اللغة العربية بالمغرب ، ولانه يحتل اليوم مكانا عظيم الاهمية عند علماء الاجتماع المختصين بالمانيا وامريكا وانكلترا وفرنسا ، وقد اصدر هؤلاء عدة كتب عنه بلغاتهم ، لم تلبث ان ترجمت الى اللغات الاخرى . وفوق ذلك فان موضوع علم الاجتماع الديني اصبح مادة اساسية في كليات العلوم الاجتماعية بالولايات المتحدة وكندا وبعض الدول الاوربية ، بل انعقدت مؤتمرات دولية خاصة لتبادل المعلومات عنه . والسعي في توحيد الاراء حول موضوعاته ومنهج البحث فيـــه .

ولكن كيف وقع الاهتداء الى ضرورة وضع علم اجتماع خاص بالدين ؟ والجواب : حيث ان موضوع علم الاجتماع هو الدراسة العلمية للسلوك الانساني المتشابه والمشترك ، وتحليل العلاقات الاجتماعية ، فقد امتدت هذه الدراسة لتشمل كثيرا من ميادين النشاط الانساني . فظهر علم اجتماع اقتصادي ، وعلم اجتماع قانوني ، وعلم اجتمـاع للشغل ، وآخر للسلوك السياسي ، وآخر للثقافة ، وهكذا . وكان من الطبيعي ان يظهر علم اجتماع ديني بالاولى نظرا للمكان الممتاز الذي تحتله دراسة الظواهر الدينية من بين مجموعة العلوم الاجتماعيـة .

ما هو اذن علم الاجتماع الديني ؟ وما هي الموضوعات التي يتناولها بالبحث ؟ ثم ما هي جدوى دراسة هذا العلم بالنسبة للمغرب ولاقطار العالم الاسلامي ؟ .

اما موضوع هذا العلم فهو بصفة عامة دراسة ظواهر الحياة الدينيـة في جميع اشكالهـا . وذلـك باستخدام التاريخ المقارن للاديان ، وعلم الاجنـاس . وطرق الاحصـاء الاجتماعـي كأدوات أوليـة لهـذه الدراسة ، ويعتقد بعض الاجتماعيين انه اذا كان الشرط الاول في الحديث عن الفن او الشعر هو ان يذوق المرء نفسه الشعر والفن ، فالشرط الاول الذي يجب ان يتوفر لدى الباحث الذي يريد فهم المؤمن والمجتمعات المؤمنة ، هو ان يكون قد ساهم ، هو نفسه ، في فترة من حياته ، في اعتناق عقيدة ، وان تكون مساهمته فيها وجدانية عاطفية على الاقل . وهنالك آراء اخرى في طرق البحث التي ينبغي استخدامها ، والواقع ان علماء الاجتماع لازالوا يختلفون في تحديد موضوعات علم الاجتماع الديني وطريقة تناولها .

ولنستعرض آراء ثلاثة من علماء الاجتمـاع المختلفي الجنسية ، كتبوا في علم الاجتماع الديني مجلدات كبيرة ، وتناولوا هذا الموضوع باساليب مختلفة . لناخذ فكرة مصغرة عن ماهية هذا العلم .

فالاجتماعي الالماني ماشينج G Menching يتحدث في كتابه (علم الاجتماع الديني) عن اشكال المجتمعات الدينيـة الوطنية ، وعن الدين العالمي والدولة . وعن نظام الدين ، والرؤساء الدينيين ، وعن تناقض المجتمعات الدينية والاديان الحية ، وعلاقات المجتمعات الدينية فيما بينهـا .

بينما نجد الاجتماعي الامريكي جواشام وبش في كتابه (علم اجتماع الدين) Joachim Wach يدرس علاقات الدين بالمجتمع في نظامه الطبيعي . وعلاقات الدين مع كل نوع من انواع المنظمات حتى الدولة ، ويجعل للتجربة الدينيـة اشكالا للتعبير ، فتعبيرها النظري هو العقيدة ، وتعبيرها التطبيقي هو العبادة ، وتعبيرها الاجتماعي هو الاتحاد ، ويستخلص من كل ذلك الى النتائج الاجتماعية ودور علم الاجتماع

البعير على الميزاب والزرافة في العراب ثم متنقلة الى العربية والفارسية ، فأنا في كل واحدة داخل ولها متكلف والهجو بالعربية احب الي من المدح بالفارسيه ، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل الى الفارسي كيف ذهب رونقه وكسف باله واسود وجهه وزال الانتفاع به ، اذ لا تصلح هذه اللغه الا للاخبار الكسروية والاسمار الليلية . » ومن المعروف ان الفارسية من ابرز اللغات الهندية الادبية واحلاها .

ولقد اخذ بعض الشعوب سبل البيان الصحيح عن اللغة العربية وتأثروا بها الى مدى بعيد ، فاللغه العبرية انما بلغت عصرها الذهبي في ظل الحضارة العربية الاندلسية فوضع العلماء العبريون قواعد لغتهم ، وحاكوا العرب في آدابهم ، ونقلوا عنهم حتى اوزانهم الشعرية . وكذلك اثر البيان الاندلسي في شعوب اوربا كلها اذ ذاك . فاخذوا حضارة المسلمين ونقلوا اصولها وما تحتويه من علوم ومن بيان ومن شعر . ومن المعلوم تأثير الشعر العربي الاندلسي في شعراء كتلونيا وغاليسيا والبروفنس وامثالهم في ذلك الوقت

ولما طفق الغربيون ينهضون ، وجدوا انفسهم عاجزين عن محاكاة المسلمين وبلوغ شأوهم في الكتابة والبيان . ونعرف ذلك من خلال الفقرات التي كتبها شاعر ايطاليا بترارك في غضون القرن الرابع عشر الميلادي يندد ببني قومه ويهيب بهم يدعوهم الى التشجع ويبث في نفوسهم الثقة والعزيمة . يقول الشاعر

«ماذا ! لقد استطاع شيشرون ان يكون خطيبا بعد ديموستين . واستطاع فرجيل ان يكون شاعرا بعد هوميروس . وبعد العرب لا يسمح لاحد بالكتابة !

لقد جارينا اليونان غالبا . وتجاوزناهم احيانا وبذلك جارينا وتجاوزنا جميع الامم ، ويقولون اننا لا نستطيع الوصول الى شأو العرب ! يا للجنون ويا للخبال ! بل يا لعبقرية ايطاليا الغافية او المنطفئة!»

لنتأمل من قريب خصائص اللغة العربية نجدها تمتاز بجوانب عجيبة ومتمايزة . فهي تمدك بمعين غزير لا ينضب حين تعمد الى التعبير العلمي الدقيق المضبوط ، وهي ترفدك وتدعمك حين تؤثر الفكر الفلسفي الواضح أو الغامض ، والجلي أو القاتم . والناصع او المستغلق ، حسبما تقتضيه آفاق التفكير . وهي تعينك وتجنحك وتحلق بك اذا اتجهت الى التعبير الادبي الخيالي ، وتسير معك برفق وتصاحبك وتريك الصفات والالوان ، والجملة والتفاصيل . اذا فضلت الوصف الحسي المتصل بالرؤية ، والمشاهدة وهلم جرا . . .

وكذلك اذا القيت ببصرك في جنبات الارض والطبيعة والجماد والنبات والحيوان والانسان والاصباح والضحى والظهيرة والاصيل والغروب واجزاء الليل وآنائه ، كانت نعم اللسان الناطق والترجمان الامين . واذا تعبت من تتبع ما على الارض ، فسرحت بصرك في الآفاق ، وقلبت وجهك في السماء ، كانت نعم الدليل ، فأرتك النجوم وابراجها ، والمجرة وامواجها ، وسمت لك الكواكب وصورها ومنازلها وحلاها ولألاءها .

ان اللغة العربية هي اولى اللغات التي سبرت اغوار السماء ، ورصدت النجوم والكواكب ، وبعثت بصواريخها اللفظية الى تلك البروج والنجوم البعيدة عنا بملايين السنين الضوئية ، ودرست منازل الشمس والقمر ، وحررت جوانب القبة الزرقاء . ولقد دمغت اللغة العربية بروج السماء ونجومها باسماء أخذتها عنها جميع اللغات ، فاصبح الناظر اليوم في الفلك أيا كان اذا اراد ان يتكلم بأي لغة شاء لزمه ان يستعمل اسماء تلك النجوم واماكنها العربية .

ان اللغة العربية كانت لغة الحضارة العالمية مدة عصور طوال في قارة آسيا وافريقيا واوربا ، وبقي الامر كذلك في آسيا وافريقيا حتى القرن التاسع عشر حين بدأت تحل الانكليزية مكانها .

ولقد رافق انبعاث اللغة العربية نهوض العرب في بلادهم . ووازى استعادة رونقها استقلالهم . وسار تجددها الحديث تفتح قوميتهم ووعيهم .

وهي تبدو احدى روابطهم القومية المتينة الخالدة . فهي من اجل ذلك ولمزاياها الكبيرة جديرة بكل اعجاب واكبار . قمينة بكل دراسة وجهد وايثار . اهل لكل محبة وهوى وتعهد وعناية .

وبرغم التقدم الكبير الذي ظهر عند ابنائها من اقبالهم عليها ودراستهم لها . لا تزال تقتضيهم جهودا اكبر . وسعيا اشد . واهتماما اقوى ، ومعرفة اعمق .

ان خدمة اللغة العربية خدمة للقومية العربية . وخدمة في الوقت نفسه للحضارة الانسانية ، وكل تهاون في شأنها معناه التفريط في حق أغلى روابط الوطن العربي ، والتفريط في حق أثمن كنوز التراث الانسانـــي .

لذلك كله لزم أن نحرص عليها حرصنا على كياننا ، وان نستمسك بها استمساكنا بحقيقتنا . وكل جهد يصرف في هذا الشأن لن يضيع سدى في الميدان القومي ولا في الميدان الانساني .

واطفالا ، ذلك ان ممارسة الشعائر الدينية فى سوس مثلا ، قد تختلف عنها فى زيان او شنقيط او الريف او فاس ، ففي سوس نرى ان السكان اذا لاحظوا رجلا لايصلي ولا يصوم احتقروه ، فالممارسة الدينية عندهم رمز للايمان ، والايمان رمز للفضيلة والكمال الانساني ، ولكن الامر قد لايكون كذلك فى ناحية او بيئة اخرى من المغرب ، وقد تعتبر ممارسة الشعائر رجعية عند طبقة من الطبقات .

ان دراسة واقعنا الدينى دراسة موضوعيه مجردة ، عن طريق الملاحظة والمقارنه والتحليل . وبالاعتماد على البحوث والاحصاءات الاجتماعية . لمعرفة نسبة الممارسين للشعائر من مجموع سكان المغرب . ونسبتهم الخاصة فى كل طبقة من طبقات السكان . ومقياس الوعي والحيوية الدينيه عندهم . واقامة جغرافيه دينية للمغرب المسلم . هذه الدراسة التي هي من اهم موضوعات علم الاجتماع الدينى . يجب ان تكون ماده اساسيه فى جامعاتنا الاسلاميه بجانب ماده علم الاجتماع العام . والمامول ان تقوم معهد العلوم الاجتماعيه التابع لجامعة الرباط بوضع الاسس العلميه . والوسائل العمليه . لمثل هذه البحوث التى ستدل المصلحين على معرفة مواطن الداء ، ووضع الاسس السليمة للاصلاح الديني .

على ان الشيء الذي يلفت النظر فى هذا الموضوع . هو ان اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية لم تقم على ما يبدو بوضع اسس علم اجتماع ديني للعالم الاسلامي ، ودراسة نماذج للواقع الديني فى اقطار اسلامية مرت بها كوارث مختلفة ، اننا نريد ان نعرف الحالة الحاضره للاسلام فى الجزائر بعد 130 عاما من الاستعمار والتمسيح ؟ وفى تركيا بعد نظام مصطفى كمال اللاديني ؟ وفى الجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفياتي والبانيا وفى دول شرق اوربا بعد النظام الشيوعي ؟ وفى الاقطار الاسلامية بافريقيا السوداء بعد الاستعمار الغربي ؟ . كما اننا نريد ان نعرف ما هو الواقع الديني فى الحجاز واليمن اللذين سلما من رجس الاستعمار ؟ وما هو الواقع الديني فى سائر البلاد العربيه والاسلاميه الاخرى ؟

ان نتائج هذه الدراسات بالنسبة لدعاة الاصلاح . وحركات الدعوة الاسلامية . لاتقدر بثمن . انها الحلقة المفقودة بين ماضي الاسلام ومستقبله .

ضرورة التأمل فى الاجتماع البشري

« القانون فى تمييز الحق من الباطل فى الاخبار بالامكان أو الاستحالة أن ننظر فى الاجتماع البشرى الذى هو العمران ونميز ما يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لايعتد به وما لايمكن أن يعرض له . واذا فعلنا ذلك كان لنا قانونا فى تمييز الحق من الباطل فى الاخبار ، والصدق من الكذب بوجه برهاني »

(مقدمة ابن خلدون)

فى الدين . وموقف التجربة الدينية تجاه العالم . والنظام العالمى . والمجتمع . والاخلاق . والمثالية . والحقيقة . وهو عندما يدرس الدين والمجتمع . يتحدث عن شخصية الجماعة الطبيعية والجماعة الدينية . وعن مختلف الشعائر . كشعائر القرابة والشعائر الاقليمية والعنصرية والوطنية . ويدرس مختلف الانظمة الدينية الخالصة للمجتمع . بادئا من مجتمع الاسرار فى اليونان وروما . حتى سلك الكهنوت فى الكنيسة . ويفرق بين المجتمع البسيط والمجتمع المعقد . ويحلل مختلف الدرجات والفروق الاجتماعية فى الاديان العالمية . وعندما يشرح علاقات الدين بالدولة. يحلل الدور الاجتماعي للدولة . وشخصية الحكومة الروحية والحكومة الدنيوية . ويفرق بين الدين التقليدي والدين المؤسس . ويتنافس العادات ويختم بالحديث عن انواع السلطة الدينية ونظام الجماعات الدينيـــة .

اما الاجتماعي الفرنسي كبريال لوبرا Gabriel le Bras فانما نجده يخصص كتابه الضخم (دراسات علم الاجتماع الديني) لدراسة الميدان الثاني من ميادين هذا العلم . وهو ممارسة الشعائر الدينية . خاصة فى البادية الفرنسية . حيث يقوم بتحليلات علمية للحياة الدينية فى تاريخ البادية الفرنسية . ويتحدث عن نظام مراقبة الممارسة فى مختلف الاسقفيات عبر التاريخ . وبعد ان يحلل الحيوية الدينية لاقليم بروطانيا منذ اقدم العصور حتى اليوم وتاريخ الصلبان البدوية . ونظام القرى الدينية (الباروايس) . ينتقل لدراسة حالة وقيمة مختلف المراحل التى مرت بها ممارسة الشعائر الدينية بفرنسا . والتحولات الدينية للبوادي الفرنسية . منذ نهاية القرن السابع عشر . وتاثير الانظمة الاجتماعية على الحياة الدينية . ثم يقوم بتعليق سوسيولوجي على الخرائط الدينية لفرنسا .

ومن الجدير بالذكر ان هذه الخرائط وضعت بعد عدة بحوث ودراسات احصائية لمعرفة نسبة الممارسين للشعائر الدينية من عموم السكان فى جميع الاقاليم الفرنسية . ويلاحظ ان بعض الاقاليم الفرنسية انعدمت فيها الممارسة بالمرة .

وينتقل كبريال لوبرا فى المجلد الثاني من كتابه المذكور ، من علم الاجتماع البدوى الى علم الاجتماع الحضرى . ويدرس الطرقية . ويحلل البحوث الجارية عن ممارسة الشعائر لاقامة جغرافية دينية لفرنسا . ثم ينتقل من تحليل مقاييس الممارسة الى مقاييس الحيوية الدينية للكنيسة الفرنسية . ومدى تاثير البيئات على الحياة الدينية . وينتقل مرة اخرى من دراسة علم اجتماع الكاثوليكية بفرنسا . الى علم اجتماع الكاثوليكية فى العالم . فيتحدث عن البيئات العصرية والحياة الدينية . وعن الاتجاهات الدينية . وعن الاتجاهات الحديثة لعلماء الاجتماع الديني . واخيرا عن علم اجتماع ديني لجميع الاديان .

ويظهر من مجموع هذه الدراسات ان علم الاجتماع الديني . كعلم الاجتماع العام . يمتاز بالطابع الاقليمي الوطني . فكما ان هناك علم اجتماع امريكي وآخر انجليزي . او عربي . او فرنسي . فان لكل بلد علم اجتماع ديني خاصا يدرسها داخل وطنها . واذا لم يقدر لهذا العلم ان يخلق . كما هو الحال عندنا فى المغرب مثلا . فليس معنى ذلك انه غير موجود ضمنا لدى كل مجتمع . وفى كل وطن .

ان من الصعب التحدث عن علم جديد كهذا فى مقال . واصعب من ذلك ان نحاول انشاء علم اجتماع ديني مغربي قبل ان يشعر عندنا علم اجتماع عام مغربي او عربي . ومع ذلك فاني ارى اهمية خطيرة لهذا العلم بالنسبة لجميع حركات الاصلاح الديني . وقادة الفكر فى العالم العربي والاسلامي . فقبل ان نضع برامج الاصلاح لمجتمعاتنا الاسلامية يجب ان يكون لدينا معرفة دقيقة بواقعنا الديني . ان علم الاقتصاد يعرفنا مثلا بواقعنا الاقتصادي . ماذا ننتج ؟ وكيف ننتج ؟ ولمن ننتج ؟ وكم نستهلك ؟ الى آخر الموضوعات التى تحلل حياتنا المادية . وكذلك فان علم الاجتماع الديني هو الذى يعرفنا بواقعنا الديني الذى نعيشه ، لا الذى نقراه فى التاريخ .

اننا نشعر بالحاجة الملحة لمعرفة الجواب عن الاسئلة التالية : كيف يتصور المغربي الدين ؟ وما هي درجة ايمانه به ؟ والى اى حد يتاثر به فى سلوكه العام ؟ وما هي حالة وقيمة ممارسته للشعائر الدينية ؟ والجواب عن هذه الاسئلة الاربعة نريد ان نعرفه لا بالنسبة لمجموع سكان المغرب فقط ، بل بالنسبة لسكان كل ناحية فى البادية المغربية ، وبالنسبة لكل طبقة من طبقات السكان فى المدن المغربية ، رجالا ونساء

وبعد ، فما هو مبلغ تأثير العاملين الباقيين؟ الضمير ، والضغط الاجتماعي في ايقاف هذا التيار العنيف الذي يكاد يجرف ما تبقى في نفسياتنا من تراث الفضيلة ؟

اننا نرى ان مظاهر الانحلال تزداد وتتضخم مع الايام ، ففي كلّ يوم ينصدع ركن وينخرق سد حصين . والناس تنظر الى هذا التصدع وذلك الخرق بعين المتفرج الذي لا تكاد تتفجر غيرته ان كانت له غيرة — الا عن حوقلة صامتة . واشد من هذا وانكى أن الفواحش التي تزري بالكرامة تقترف على قارعة الطريق بمرأى ومسمع من المجتمع . ومعنى هذا ان الرادع الاجتماعي يكاد يكون مفقودا عندنا ، اللهم الا في اوساط محدودة ما زال بعض افرادها — يحسبون فوارس نقد المجتمع الذي يعيشون فيه . وقد نجد شبابا وكهولا ونسوة لهم حاسة اجتماعية بحيث يتحرون ان يلمزوا في وضعيتهم الاجتماعية ويتلافون كل ما عساه ان يمس بكرامتهم في المجتمع . ولكننا نرى ان اساس تلك الحاسة هو الشعور الاجتماعي المركز على وجود رأي عام يوجه وينقد ، ويثني وينتقص ، ويرفع ويضع ، ويقوض تدريجيا نظرا للمواقف السالفة التي يقفها الرأي العام ازاء المنكرات المتفشية . وكأن ازمة نفسية اناخت بكلكلها الثقيل على روح هذا المجتمع فاخمدت فيه كل غيرة واباء .

ذلك هو اثر الضغط الاجتماعي في وسطنا — كما رأينا — من الهلهلة والهزال بحيث يتعذر الاخلاد الى تراجع فعال عن ارتكاب الموبقات .

.. بقي هنالك عامل ثالث وهو عامل الضمير او الوازع الخلقي الذي من مقوماته الشارة الشعور باطنا بالكرامة والعمل ظاهرا بالاستقامة . فلننظر الى اي حد من القوة أو الضعف بلغ ذلك الشعور في وسطنا ؟ لعل هنالك مثلا بسيطا قد يكون فاصلا في حل هذا الاستفهام . فنحن نرى كثيرا من ادعياء الاستقامة ودعاتها يقضون نهارهم في البكاء على اطلال الفضيلة ورسومها ثم لا يكاد يجن الليل ويرخي سدوله الكثيفة حتى ينقلبوا الى شخصية جديدة فينهشون الاعراض، ويهتكون الحرمات ، وينقادون لغرائزهم ، ثم يعودون في الصباح الى مصانعهم المزرية وملقهم الساخر لذلك الشعور الحي الذي ما زال — من حسن حظنا — بصيص منه يتلجلج في النفوس .

على ان هناك ظاهرة ادهى من هذا وانكى ، وهي تباين المقاييس والاعتبارات . وذلك مظهر مفجع لما وصلت اليه فوضى الاخلاق في وسطنا . فهنالك اعمال او خصال نرى طائفة انها تزري بالكرامة ، بينما تعتبرها طائفة اخرى مظهرا من مظاهر التحرر والمدنية ، فما هي الوجهة التي تغلب آخر الامر وتطبع بطابعها الجديد معايير الاخلاق ؟ هل هي الميع والاباحية والمرح نظرا لكون المتطرفين انفسهم يتساقون في نهاية الامر ضمن نار تستأنس النفوس بمتعته المغرية . والفلاسفة يقولون عن حق — بانه بقدر مايقوى التعود الجوارح بقدر ما يقل من حدة المشاعر — ولعل من اطرف ما يحكونه في هذا الباب قضية ذلك الصوفي الذي انجع الحاصره فصار «يبول الدم» لما هاله من الفواحش والمنكرات ولكن لم تكد تمر ايام معدودة حتى عاد البول الى طبيعته ، واستأنس صاحبنا بما يجري حوله ، ولم يعد يراه بتلك العين التي كان يراه بها من قبل ! ان جوهر الفضيلة لا يتغير . والتطور الحق معناه الرجعة الى الفضيلة في تضاعيفها الفطرية .

ذلك هو الداء . فما هو الدواء ؟ ان لتهذيب النشء على الفضيلة منذ الحداثة اثرا فعالا في طبع الفطرة بالمثل العليا ، ومن مقومات هذا التهذيب اعطاء المثل الكامل للطفل في جميع اطوار حياته ، سواء في المنزل أم المدرسة وذلك يتطلب من الابوين او الام من الاستاذ تاليا أمثلة لايعتورها نقص ولا ميع ولا تمويه . ويبقى كذلك تقويم الجماهير وغرس الفضيلة في نفوسها بواسطة الدروس في المساجد والمعاهد ، وعرض افلام سامية المغزى وروايات اجتماعية تصور الفضيلة في انصع مظاهرها ، وتبرز سوء مغبة الرذائل واهلها . والصحافة والاذاعة يجب ان يسهما في هذا الباب . وكذلك الخطب الجمعية التي يجب ان تطور وتطور اصحابها .

ولعل تلك الوسائل ستتمخض — اذا هي تضافرت — عن ايجاد رأي عام يكون هو المقياس القار والعامل الحاسم في تكوين جو خلقي ممتاز وخلق تلك (المدينة الفاضلة) التي حلم بها الفلاسفة وما زالوا يحلمون .

أمراضنا الاجتماعية

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

هناك ثلاثة عوامل تردع المرء عن ارتكاب الرذيلة وتحدوه الى الفضيلة وهي عوامل قد تجتمع وقد تفترق في نفسية الفرد ، وهي كذلك تقوى وتضعف تبعا للاشخاص ، فاذا تكتلت وتضافرت لتمتزج بروح الانسان جعلت منه مثالا للكمال البشري ، وليس كل الناس يؤمن بهذا الثالوث وليس هذا الثالوث يجتمع في كل الناس . ولكن اجتماعه ليس بالضروري بحيث اذا انتفى ينتفي الكمال .

تلك العوامل هي العاطفة الدينية والوازع الخلقي (او الضمير) والضغط الاجتماعي . فلننظر الى اي حد تقوى تلك الحوافز او تضعف في نفسية المجتمع المغربي ؟ لا شك ان هناك افرادا تضاءل في نفوسهم الوازع الديني الى حد اصبحوا لا يتأثرون البتة بهذا العامل كزاجر يكف العقل عن الارتياب ، والغرائز عن الانطلاق ، والجوارح عن الجموح ، فدعاهم ذلك الى نكران وجوده بالمرة ، او الاستهانة بماله في ميدان الاستقامة من اثر فعال ، ومستندهم في ذلك لا يعدو شيئين اثنين : اما كونهم يستدلون باستهتار بعض رجال الدين او بعض ادعياء الطرقية المارقين ، واما كونهم يعتبرون انه ما دامت نفوسهم مجردة من هذه العاطفة فالعاطفة نفسها لا يمكن ان توجد . وكلا الدليلين ضلال في ضلال . وهذا ما يدعو الكثير من الناس الى استهوان مناهج الاصلاح التي سلكها السلف من وعظ قد يكون مجردا عما يسميه بعضهم اليوم بالتحليل والتعليل . وان الذين يركبون هذا الاسلوب من الخطباء والوعاظ قد يكونون عاملين على اساس وجود ما نسميه بالوازع الديني الذي لا يكفي لاذكائه والتأثير عليه مجرد التذكير . وهو منهاج ما زال ينتهجه في هذا العصر الذري رجال الدين وكبار المفكرين في اوربا . ولكن المغرب يجتاز اليوم مرحلة نفسية عصيبة اجتازتها قبله دول اسلامية كبرى كمصر فاضطرت الى تغيير الاسلوب لان الوعظ لم يعد موجها لقوم كاملي الايمان يكفي في ردعهم آية قرآنية او حديث نبوي بل ان هذا الشعب — وكم له من نظير في حظيرة الشعوب — . يحتوي على طوائف شتى فيها الملحد الصرف والمتشكك الحيران والمادي الذي لا يستجيب الا لغرائزه ، والطيب النفس النبيل الروح الذي يشك ويماري لا عن عقيدة راسخة ولكن لكونه لم يجد من يهديه ويتدرج بحكمة ولباقة الى سويداء قلبه ، فيجلي به بصيصا من النور بالبرهان تارة — وبالوجدان تارة اخرى .

فالواعظ الحكيم هو الذي يسعى الى التأثير بانجع الاساليب ، وهذا يستدعي منه زادا من الثقافة النفسية والاجتماعية لان المصلح الحق بقدر ما يجب ان يكون ملما بسر الامراض الاجتماعية بقدر ما ينبغي ان يكون بسيكولوجيا يتحرى مواضع الداء ، وينتقي لها انجع الدواء ، محاذرا ان يعدى العضو السليم بما قد يعلق في اداة تشريحه من جراثيم .

ولكن كما اننا لا نريد من المصلح ان يكتفي بتملق شعور الناس . اي باستثارة عواطفهم الدينية والضرب على وترها الحساس . لان فيهم من لا ينجح فيه هذا الاسلوب — كذلك لا نرضى من المصلح الحق ان يتملق الاهواء وان يؤدي به التبع او حب الاغراب الى الزيغ عن مبادىء الاسلام القويمة ، فنحن نحب التجديد ونسعى للتجديد ، ولكننا لا نريد ان يتم ذلك التجديد خارج نطاق الروح الاسلامية الناصعة التي لو تقمصناها على حقيقتها لسرنا في قافلة الدول المتمدنة ، براس شامخ، وقدم راسخة . ولعمري ان هنالك امما اسلامية اشد تعلقا منا باهداب الدين ، ومع ذلك فهي من ارقى الامم واوفرها تقدما وحضارة .

برونو » (1548 \ 1600) فالعالم فى نظر هذا الفيلسوف لا ينبغي ان نتمثله فى مجموعة من الكائنات المبعثره فى شكل فضوى لاتربط بينها اية رابطة ، بل ان له روحا سارية فى كل شيء ، وهذه الروح هي التي تبعث الطبيعة على خلق الاجناس والانواع وتوحد بين شتيت الموجودات وتسلمها قبسا من جمالها . فكل شيء سواءا كان جمادا ام نباتا ام حيوانا الا وفيه جزء من روح العالم . وهكذا ، فان الكون الذى نشاهده وندركه بسائر حواسنا ما هو الا ظل لتلك الوحدة التي هي القانون الاساسي للوجود .

فاذا انتقلنا الى القرن الثامن عشر نجد احد نوابغ كتابه « جان جاك روسو » قد اعار الطبيعة كثيرا من اهتمامه وخصص لها صفحات طويلة تعد من اروع ما كتب بالفرنسية . وروسو حينما يكتب عن الطبيعه . فانه يصفها بتدقيق ووضوح ولا يحاول ان يزينها بما ليس فيها او ان يكسوها باردية ينسجها سحر الخيال . ومع ذلك فان صفحاته تلك تمتاز بلهجتها الجديده بالنسبة لعصرها وبما تنطوى عليه من افكار طريفه عن الطبيعه والمجتمع .

لقد عرف روسو بعدم انسجامه مع المجتمع وبنقمته على حياة الصالونات الراقيه التى كانت ملتقى للارستوقراطيه ولرجال الفكر والعلم ، فهو يرى فى تلك الصالونات اوكارا للنفاق والغش والخداع والمكر . بالرغم من مظاهر الوداد والمجامله التي تسودها .

لذلك . فانه حينما يلتفت الى الطبيعه . يجد فيها ملاذا من مصائب الحياة الاجتماعيه ومتاعبها . ويقابله صوره الطبيعة بوداعتها وصفائها فيزداد تعلقا وشغفا بها . ويدفعه هذا الشغف الى المبالغه فى تفضيل الحياه فى احضان الطبيعه على الحياه فى الحاضره ، وبالتالي . فى تفضيل الرجل المتوحش على الرجل المتحضر ، وهكذا خلق روسو اسطوره « المتوحش الطيب » .

وكذلك فعل « شاتو بريان » لكنه خص بنثره الشعرى مناظر البحر التي كان اميل اليها لانه نشأ وترعرع وسطها ، كما كان للمناظر الطبيعية فى الاقطار النائية كامريكا والشرق نصيب وافر من كتابته الساحرة ، والفكرة الطريفة التى تنم عنها كتابته هي ذلك الشعور الذي يثيره فى نفس القاريء والذي يحار الانسان فى تسميته ، مما جعل بعض ابناء جيله يسمونه « مرض العصر » وهذا يشير الى ما قد يخلقه منظر الطبيعة من حزن كامن فى عمق النفس ، حزن ليس بالقوي ولا بالعنيف ولكنه مستقر لايريم مكانه ، فهو كالسامه التي تخيم دوما على النفس .

والشاعر « لامارتين » وان كان يستقي من نبع واحد مع شاتوبريان الا انه يختلف عنه بما ينبع في قصائده من امل وتفاؤل ، فهو مثلا . فى قصيدته المعنونة « العزلة » يصور لنا قعوده تحت شجرة البلوط فوق جبل من حيث يطل على النهر والبحيرة ويشاهد الشمس عند غروبها وما ترسله من اشعة على الكون ولكنه سرعان ما يدرك ان هذه المرائي الجميلة لاتحقق رغباته الكامنة . فيصرخ :

« وماذا يفيدني هذه الوديان والقصور والاكواخ ؟

السبب هي الا اسماء فارغه فقدت كل جاذبية بالنسبة الـي ؟

انها الانهار والصخور والغابات . انتها المأوى العزيزة على

اذا غاب عنكم مخلوق واحد . اصبحتم قفرا يبابا ».

وهكذا ننزل بنا لامارتين فى حركه بائسة الى وهده اليأس والحزن . ومع ذلك فلا تستمر به هذه الحال حتى يعاوده الامل ثانيا ، فيتجه بفكره وقلبه الى عالم مثالى . عالم بعيد عن دنيانا . عالم يرى فيه الشاعر الامل والحب وصور الخير والحق والجمال ، فتنبعث من نفسه هذه الزفره :

« لماذا اظل فوق ارض المنفى ؟

فليس بيني وبين الارض اية رابطة » .

فنحن مع شعراء الغرب وكتابه عند ما نتصفح ما كتبوه عن الربيع والطبيعة ، نشعر اننا انتقلنا الى عالم مرتفع يتضاءل امامه الكيان الانساني بانواع نقصه وضعفه ويحاول ـ مع ذلك ـ ان يعثر فى ثناياه على صور متجددة للجمال ، فقد يوفق الشاعر فى ان يصور لنا عظمة الكون وجلاله وهيبته ، كما استطاع ان يكشف لنا عن جانب البراءة والوداعة والصفاء فى الطبيعة فينقلنا معه الى دنيا تجهل ادران الحضارة ومنغصاتها ، ثم خطر له ان يثير فى نفوسنا الشعور بتنوع الجمال فى الطبيعة فرسم لنا عن ذلك صورا

الربيع في الشعر العربي

للأستاذ محمد زنيبر

- 4 -

لا بـــأس اذا حاولنا فى مقارنـــة قصيـــرة ان نبين الفرق بين ما وجدناه عند شعرائنا العرب مـــن نزعة فلسفية فى شعر الطبيعة وبين ما ينم عنه شعـــر الاوروبيين من فلسفة او فلسفات فى الموضوع نفسه .

تعـدد الاتجاهات عنـد الشعـراء الاوروبيين :

واول ملاحظة يجب ان نبديها فى هذا الصدد هو ان الشعراء الاوروبيين اختلفت نظرتهم الى الطبيعـــة تبعا لعصرهم وشخصيتهم ، بحيث نجد انفسنا امـــام تجارب شعرية متعددة تلقي على الطبيعة اضواء متنوعة فى الوانها وفى ما تحمله من ايحـــاء .

لنتبع نوعا ما التسلسل التاريخي ، فنحن عندما نلقي نظرة خاطفة على شعر الطبيعة فى عصر الانبعـــاث الاوروبـــي اى فى القرن السادس عشر ، نجد الى جانب النزعة الاستمتاعية التي قد تلمح فى مقطوعات لشعراء امثال « رونسار » الفرنسي ، نزعة اخـــرى تـــرى فى ظواهر الحب والجمال المنبثقة عـــن الطبيعـــة رمـــوزا واسرارا عميقة وتحاول ان تكشف لنا ما وراء تلـــك الرمـــوز والاســـرار .

لنفتتح مثلا ديوان « العاب ريفية مختلفة » الذي خصصه الشاعـــر الفرنســـي « جواشان دي بيللـــي » لتصوير الحياة الريفية ولنقرأ قصيدته التي عنوانهـــا « انشودة الحب والربيع » ، فالشاعر ينبئنا فى هـــذه القصيدة ان ميلاد الربيع يبعث فى نفسه الشعور بقوة خارقة توقظه ايقاظا جديدا وتلهب فى فـــؤاده هيامـــا يخرج به عن طور الرشد ، وهل هذا الهيام الا وليـــد الحب الذي يخيم على الكون ويتحكم فيه ويلائم بيـــن متناقضاتـــه ويوحـــد بين اعضائـــه ويسطر النظـــام السرمدي الذي تتمشى عليـــه اجنـــاس الكائنـــات »

والربيع انما هو تعبير بليغ يتجدد كل سنة عـــن هـــذا القانون ، قانون الحب الذى ما هو الا صوره من صور وحدة الوجود ، وسنجد الشاعر بهذا الحب تمـــده بحرارته وقوته وتلهمه الشعر الجميل فيقول :

« فلتكونـــي يا اناشيـــدى مـــن الحـــب
حتـــى احلـــق علـــى اجنحتـــك
واحتضـــد زهـــرة البـــرارى
التى تعيش فيهـــا الفتيـــات التسع الخالدات »

والفتيات التسع هنا اشارة الى ربات الشعـــر عنـــد اليونانييـــن ، ثم يقـــول :

« فاذا كـــانت العصافيـــر النشـــوى
فـــوق الازاهـــر الطـــريـــه
تتغنـــى بحبهـــا
وسط الغابـــات المجـــدده ،
فلـــم لا اتحـــدث انـــا
عـــن ســـرورى الوحـــيد فى الحيـــاه
ما دام الحـــب يـــرغـــب فى ذلـــك
ومـــا دامت السمـــاء تدعـــونـــي اليـــه ! »

فالربيع ، اذن ، رمـــز للقـــوة المتحركة الناميـــة الطافحـــه ، وهذه القوة تتمثل فى انبثـــاق الزهـــور وزقزقة العصفور واصوات السوائم والانعام ولمعـــان الشمس وفى خلجات النفس البشرية ايضـــا .

هذا مجمل للافكار التي تنبثق عنها تلك القصيدة وغيرها من الاشعار التي قيلت فى عهد الانبعاث الاروبي، وما هي الا صدى للفلسفة الافلاطونية الجديدة التـــي عرفت نوعا من الازدهار فى نفس العصر والتي نجد لها صورة لماعة فى مذهب الفيلسوف الايطالي « جيرو دانوا

وقـد توفق الشاعر فى هذه القصيدة الى التعبير عن افكار جديدة ، ولكن باسلوب الشعر العربـي التقليدي بحيث لايحس القاريء لاول وهلة بمجهـود التجديد الذي بذله مطران بذوق وكياسة .

الا ان التجديد الحقيقي ما كان ليتناول الافكـار وحدها دون الاسلوب ، فالفكرة الجديدة تتطلب تعبيرا جديدا ، وما اللغة الا لباس للافكار يتغير كغيره مـن انواع اللباس تبعا لتطور الافهام وانتقال المجتمع مـن مرحلة الى مرحلة فى هذه الطريق الطويلة التي لاتنتهي والتي رسمها التاريخ للانسانية فى سيرها .

وقد استطاع شاعر مثل ابي القاسم الشابي ان يعبر عن فكرة مثالية الطبيعة وبراءتها بهذا الاسلـوب الجديد الذي يبرهن على ان اللغة العربية لازالت تطيق الحياه بأوسع معانيها ولا زالت على كامـل الاستعداد للنزول الى مادين السباق لتباري لغات هذا العصـر المشهورة ، فلننصت اليه فى قصيدة : «الجنة الضائعة»:

« كـم من عهود عذبة فى عدوة الوادي النضيـر
فضـة الاسحـار مذهبـة الاصائـل والبكـور
كانت ارق مـن الزهـور ومن اغاريـد الطيـور
والذ من سحر الصبـا فى بسمة الطفل الغريـر
قضيتهـا ومعـي الحبيبـة لا رقيب ولا نـذيـر
ولا الطفولـة حولنا تلهـو مـع الحب الصغيـر
ايـام كانت للحيـاة حـلاوة الروض المطيـر
وطهـارة الموج الجميل ، وسحر شاطئه المنيـر
ووداعـة العصفـور بين جداول المـاء النميـر
ايـام لم نعرف من الدنيـا سـوى مرح السرور
وتتبـع النحل الانيـق وقطف تيجـان الزهور
وتسلـق الجبـل المكلـل بالصنوبر والصخـور
وبنـاء اكواخ الطفولة تحت اعشاش الطيـور »

لقد توفق الشاعر فى المقابلة بين طفولته وصـور الطبيعة فى براءتها ، وابو القاسم الشابي حينما يتحدث عن الطبيعة ، فانه يرى فيها العالم الذي تطمح اليـه نفسه والذي يتناقض كل التناقض مع عالمه الواقعـي الذي هو عليه ناقم ومنه يائس ، فلنقف لحظة عنـد قصيدته « فى ظـلال الغاب » الـذي يبدؤها هكـذا مستعطفا مترجيـا :

« يا ليت شعري ، هل لليل النفس من صبح قريب
فتفر عاصفة الظلام .. وتهجع الريح الغضـوب
ويرتل الانسان اغنيـة مـع الدنيـا طـروب ؟
ما للريـاح تهب فى الدنيـا ، ويدركها اللغـوب
الا رياحـي ، فهـي جامحـة تمردهـا عصيب ؟
مالـي تعذبنـي الحيـاة كأنني خلق غـريب ؟
وتهد من قلبي الجميل ، فهل لقلبي من ذنوب ؟»

وفى مقطع آخر يصور لنا منظـر الطبيعة لـدى الغروب ويقابله بشقـاء الانسان :

« يامهجة الغاب الجميل ، لم يصدعك النحيب ؟
ياوجنة الورد الانيـق ، الم تشوهك النـدوب ؟
ياكوكب الشفق الجميـل ، وانت مبتهل الكئيب
لج فى السماء .. وغن ابناء الشقاوة والخطـوب
انشـودة نهب الحيـاة لكـل مبتئس غـريـب
فالطير قد اغفى واسكت صوتها الليل الهيـوب
وابسط جناحك فى الوجود .. فانه عذب خلوب
متالـق بيـن النجـوم كانـه حلـم طـروب
وانشر ضياءك ساطعا لينيـر اعمـاق القلـوب
وعلى جوانبهـا من الاحـزان ديجـور رهيب »

ثم يصور لنا فى مقطع آخر عالمه الواقعي الـذي يخيم عليه اليأس والقنوط :

« ما للمياه نقية حولي ، ومنفجـري مشوب ؟
ما للصباح يعـود للدنيـا وصبحي لا يـؤوب ؟
مالي بضيق بي الوجود ، وكل ما حولي رحيب ؟
مالي وجمت ، وكل ما فى الغاب مفترد طروب ؟
مالي شقيت ، وكل ما فى الكون اخاذ عجيب ؟ »

ونلاحـظ فى الاخيـر ان ابا القاسم الشابـي ، بالرغم من يأسه وتشاؤمه ، ينزع منـزع لامارتيـن فى التطلع نحو عالم مثالـي ، وان كانت مثاليـة لامارتين اعمق وارقى واوسع انسانية .

— يتبـــــع —

مختلفة متعددة تبين لنا ان الجمال ان كان واحدا في جوهره فان اشكاله لاحصر لها ، ثم راى في الطبيعة صورة القوة والعافية وصورة الحب الكامل الذي يترفع عما تتضمنه تلك القوة في آن واحد من عنف ولين وقساوة وعطف وكبرياء وذل ، فعبر لنا عن هذه المتناقضات المجتمعة ، او بالاحرى ، هذه الجدلية بكل ما يملكه الفن من وسائل اخاذة .

وهكذا ، فان الشاعر الاروبي ، اثناء تنقله بين ذاتيته والعالم الخارجي ، يحملنا معه الى عوالم مختلفة لانهاية لها ويتيح لنا الفرصة لنعيش امام مشهد الطبيعة احوالا نفسية عميقة تتأجج بين الامل والتشاؤم وبين السرور والاسى وبين الثورة على الواقع والتشبث بالمثل الاعلى .

شعراؤنا بين التقليد والتجديد :

قد يتساءل القارىء ، بعد هذه النظرة العجلى ، عما ابتكره شعراؤنا المعاصرون في هذا المضمار وهل استطاعوا ان ينتهجوا سبلا جديدة ويفتحوا امام اعيننا آفاقا كانت مجهولة .

ونلاحظ بادىء ذي بدء ، ان هنالك فرقا جوهريا بين التغيير والتجديد ، فالتغيير قد ينبني على اساس التقليد والاقتباس من الغير ، اما التجديد ، بمعناه العميق ، فهو ابتداع الصورة الفنية التي لايوجد لها نظير فيما سبق .

حقا ، لقد تأثر كثير من شعرائنا المعاصرين بثقافتهم الغربية ودفعهم اعجابهم بها الى اقتباس نماذجهم ومثلهم منها ، وراحوا ينظمون شعرا يختلف كل الاختلاف عن القديم ويحاول ان يرضي حاجتنا الى شعر عربي يلائم عصرنا وعقليتنا ، ولكن ، هل استطاعوا ان يتحرروا من نماذجهم الغربية فيأتوا من عندهم بمفهوم جديد ويفاجئونا بصور والوان لاعهد لنا بها ؟ وبعبارة اوضح ، هل استطاعوا ان يخلقوا لشعرنا العربي المعاصر شخصية جديدة واضحة المعالم لاتختلف في قوتها ومتانتها عن شخصيته القديمة ؟ ام هل رضوا له بشخصية مترددة متطامنة مهجنة باهتة ؟ .

هذا سؤال خطير ، بل هو اهم سؤال يمكن ان يلقى على شعرنا المعاصر ، وليس في نيتنا ولا في مستطاعنا ان نجيب عنه الآن جوابا كافيا ، وانما نكتفي ، فيما يخص موضوعنا بان نلاحظ ان شعراءنا المعاصرين فيما نظموه عن الربيع والطبيعة ، لم يخرجوا عن المفاهيم والافكار التي وجدناها عند بعض شعراء اروبا .

ومع ذلك ، فلا مندوحة لنا ، احقاقا للحق ، من ان نعترف لهم بالمجهود الذي بذلوه من حيث الاسلوب ومن حيث تعبيد اللغة وترويض الجملة الشعرية العربية على تقبل المعاني الجديدة واستيعابها .

* * *

فمن الافكار التي وجدناها عند الاروبيين فكرة براءة الطبيعة وخلوصها من شوائب الخبث البشري وتنزهها عن التعقيد والنفاق والتصنع ، وهذا ماتوفق خليل مطران الى تصويره في القطعة التالية :

ايها الروض كن لقلبي سلاما
ومـلاذا من الشقاء الملازم

زهر ذابل كأني اراه
نملا من انفاسه في الكمائم

وغدير صاف اقام سياجا
حوله باسق من الدوح قائم

تتناغى بيض من الطير فيه
سابحات وتحتها النجم عائم

كيفما سرن فالطريق عقود
نظمت من محاجر ومباسم

حبذا البدر مؤنسا بتجلي
كحبيب بعد التغيب قادم

حبذا رسمه البرايا كابهى
ما ترى العين في صحيفة راسم

حبذا الماء والمصابيح فيه
كنان يزينها بخواتم

جنة بانت المكاره عنها
وهي بكر من الاذى والمحارم

انما اهلها طيور حسان
ان دعاها الصباح قامت تنادم

حول اصل العالم ووضعية الارض بالنسبة للكواكب الاخرى ، ثم انتبه المفكرون الفلاسفة الى ان المنطق الكنيسي بصفة عامة منطق متحجر غير خلاق ولا بناء . وما كاد يصل القرن الثامن عشر حتى احتدم النقاش والنزاع بصراحة لامواربة فيه ولا رياء فتراه خفيفا لاذعا على لسان « فولتير » تارة وتارة اخرى شديدا قاسيا على يد المدرسة الاشتراكية الفرنسية وصاحبها « سان سيمون » ؛ وفي آخر هذا العصر اندلعت الثورة الفرنسية واطيح بعرش الملكية واتباعها وكان اقرب المقربين الى النظام الملكي الفاسد رجال الكنيسة وارباب اللاهوت وهنا كانت الحرب حامية بين الثوار المتحررين الذين يمثلون افكار روسو الجديدة والروح العلمية المنطلقة وبين الجمود والتقهقر المجسم في رجال الدين ، وانهزام الكنيسة اعقبه فصل بين السلطة المدنية والسلطة الدينية وابعاد الكنيسة عن النشاط الاجتماعي الحي .

وفي حقل العلوم نلاحظ تحولا هاما في اساليب البحث وفي طريقة استخلاص الحقائق اذ ان الحقيقة في هذا المجال اصبحت تخضع لمقاييس الحواس والتجربة ونشأت فكرة القانون العلمي الذي يؤدي الى حتمية الاحداث ، وبفضل هذه الروح الواقعية في العلوم حصل التقدم الهائل في شتى الميادين ولم تستطع الاديان او المسيحية بعبارة ادق ان تجاري التيار او ان تبدل من طريقة نظرتها للوجود بل كثيرا ما نراها تقبع في محيطها الضيق ولا ترد عنها التهم ردا ايجابيا فازدادت من جراء ذلك الهوة بين الحقيقة العلمية والحقيقة الدينية ؛ بل اعتقد العلماء في هذه الحقبة انهم سيحققون كل احلام البشرية عن طريق العلم وحده وبدون الاعتماد على رجال الدين ، وان السعادة الانسانية اصبحت تحل اسرارها في المخبر وفي انبوب التجريب ، وقد زاد هذا الغرور العلمي اذكاء ما حصل عليه العلماء من انتصارات على المادة حتى ارجعوا كل شيء اليها ، ولم يعد الانسان نفسه الا مجموعة من الخلايا والانسجة واللحم والعظام تسيطر عليها قوانين علمية ثابتة .

هذه هي الروح التي سادت في القرن التاسع عشر : غرور واعتداد من جانب العلماء وانكماش وانزواء من طرف الكنيسة ورجال الدين .

غير ان هذا الواقع سرعان ما تبدل وتحول الى القطب المقابل في القرن العشرين ، وتتسم هذه الفترة بالنضج والبلوغ والتحفظ وقد تأثر الفكر العلمي بنظريات التطور والنسبية ، وبمفاهيم علم النفس الحديث ، ولذلك يمكن الزعم بان الاتجاه العام قد تحول واصبح العلماء اقل اعتدادا وزهوا واصبحوا ينظرون الى الحقائق الدينية بشيء من الاعتبار والاحترام ، لا بالانكار القطعي السابق ؛ ادى الى هذا الموقف الجديد ما عاناه العلماء من صعوبات في صميم المادة التي اصبحت في نهاية التحليل والتقسيم اقرب الى الروح (كهارب وتيارات غير منظورة) منها الى المادة الصلبة التي نرى بالحواس ، وكذلك لم تعد التجربة العلمية تعتمد على الوسيلة الحسية فقط اذ ان الادراك – كما تقرره علم النفس – قد تكون بالوجدان والوعي الباطني او بالحدس (الحدس البرغسوني المعروف) كادراك الاشياء عن بعد وقراءة الافكار واستطلاع الماضي والمستقبل وتحضير الارواح اي رؤية الاشياء غير المنظورة بقوة البصيرة العقلية وعن طريق الهاتف العقلي الباطني – وهذه الحقيقة ترتبط تماما مع ادراك المومن المتدين لحقائق الكون ادراكا باطنيا ذاتيا ، ثم ان الشعور الديني ينبع اصلا من الشعور بعجز الانسان امام عظمة الله والكون وهذا العجز هو نفس الشعور الذي اصبح يعتري العلماء في مخابرهم وابراجهم حينما لايجدون ذلك التعليل المنطقي الشافي لحوادث الكون ولمفهوم السببية العام ، وهذا الاتصال بين الدين والعلم وتقارب وجهات النظر هو في الحقيقة اتصال وظيفي مع بقاء الاختصاص لكل من المظهرين . فالعلم سوف يبقى مهتما بكل ما يتعلق بمادية هذا الكون يجري الاختبارات ويقيم التجارب ويضع القوانين في دائرته الخاصة ، واذا استطاع اليوم العلماء ان يستعملوا هذه النظرة العلمية في المادة الحية فلا بأس من ذلك ما دام النجاح حليفهم كما برهنت عليه علوم الطب وعلوم الحياة ، وهذا الاختصاص ظاهري فقط لان فلسفة العلوم اصبحت متفقة مقاربة مع فلسفة الدين من حيث النظرة العامة للكون .

من جهة اذا نجد لكل علم ميدانا خاصا به لايتعداه ، ولم تعد الاديان تتدخل في شؤون العلم تدخلا مباشرا اذ انه ليس من اختصاص رجال الدين ان يبتوا في قضية ترجع الى علم الطقس او علم المحاليل او علم التشريح ، او علم الذرة والاشعاع ، فهذه المظاهر متطورة متبدلة وروح الاديان خالدة دائمة ثابتة

بين العلم والدين

للاستاذ جمال بغدادي القادري

ما العلاقة بين الدين والعلم فى عصر الاقمار الصناعية والصواريخ والعقل الالكتروني المفكر ؟ هل انقطعت الصلة وحان الوقت لوضع الاديان فى الرف مع مخلفات الماضي بعد ان انفردت العلوم بالزعامة والقيادة ؟ وهل للروح انبعاث جديد وانتعاش اكيد ؟ اسئلة تعترض تلمسه الباحث وكل عاقل منصف ؟ اسئلة يعترض المفكر النزيه والمؤرخ والمتدين المتعبد وكذلك الملحد الضال.

وليس من السهل الاجابة القطعية عن حقيقة العلاقة الحاضرة بين الدين والعلم لان القرن العشرين عصر مضطرب الاتجاهات متعدد المذاهب لم تتخذ بعد مذهبا حاسما واضحا سواء اكان ذلك فى الحقل الادبي او الفني او الفلسفي بخلاف القرن التاسع عشر المنصرم الذى بت فى الموضوع وحسب ان العلم كفيل بان يخلف الفكر الديني .

وتتبع هذه القصة بطريقة علمية موضوعية تجعل اقرار الباحث ناقصا وحكمه تقريبيا ظنيا ، لان فلاسفة الغرب – ان صح القول انهم انهوا من دراسة حقيقة الاديان – لا يعتبر حكمهم نهائيا شاملا اذ انه ! يتعلق الا بالاديان البدائية والمسيحية واليهودية ، ويبقى الاسلام خارجا من هذا الشمول ، واخيرا وبفضل الدراسات العميقة عن الاسلام الصادرة فى العالم العربي خاصة اصبح من الممكن اصدار الحكم العلمي عن مدى هذه العلاقة واختصاصات كل من العلوم والاديان .

بصفة عامة يمكن تمييز حركة الوفاق والنزاع بين الدين والعلم فى ثلاث مراحل : مرحلة اولى سابقة لعصر النهضة الاوربية اى حتى القرن السادس عشر ويمكن تسميتها بمرحلة حسن الجوار . ومرحلة ثانية من عصر النهضة حتى القرن التاسع عشر نطلق عليها مرحلة النزاع والخصام . ثم مرحلة ثالثة واخيرة هي مرحلة التمييز والتحكيم كما يبدو ذلك من اتجاهات الفكر العالمي العلمي فى القرن العشرين .

لم يكن هنالك اذا نزاع شديد بين الدين والعلم قبل عصر النهضة الغربية فى القرن السادس عشر حيث ان الفلسفة كانت تحتضن كافة المعارف العقلية ولم تكن العلوم ولا الفلسفة الدينية تشكل فروعا مستقلة عن الفلسفة وانما كانت مرتبطة بالفلسفة العامة اشد الارتباط بالاضافة الى ان العلوم فى العصور القديمة كانت تختلف عن العلوم الحديثة . كانت الاولى نظرية فرضية تقوم على اساس من التجريب الفردي بخلاف الثانية التي تنبني على النظرة الشاملة والقانون الجامع والتجريب المخبري الدقيق . وزعيم هذا الاتجاه هو ارسطو . ونستطيع تشبيه هذه المرحلة بطور الطفولة فى عمر الانسان حينما كان الادراك سطحيا والشعور بالذات مهما غامضا . ومعنى هذا ان القدماء لم يتعمقوا فى خاصية العلوم والاديان حتى يجعلوا بينها مفارقات ومقارعات .

ولكن منذ عصر الانبعاث الاوروبي بدأنا نرى النضج العقلي يتسرب فى مباحث الفلاسفة والعلماء . واصبح المفكرون يميزون فيما لديهم من معارف . ويضعون الاسلوب المنهجي القائم على التحليل والنقد والتركيب – وقصة العلاقة بين الدين والعلم فى هذه الفترة مرت بثلاث مراحل : كان النزاع اولا فلسفي النزعة ، ثم انتقل الى الحقل السياسي ، واخيرا احتدم النزاع بين الدين والعلم وجها لوجه . ويعتبر الفيلسوف الفرنسي « ديكارت » اول المفكرين الاوروبيين الذى ادخل الفكر المنهجي فى الفلسفة محدثا بذلك ثورة فى اسلوب التفكير ، وهذه النمطة المنطقية احتدمت اول ما احتدمت مع الكنيسة المسيحية ثم مع الفلسفة اللاهوتية القائمة على التصديق القبلي والايمان الاعمى. وقد صادف التجديد الفلسفي غزوا آخر فى دنيا العلوم والاكتشافات الجغرافية والفلكية ، ومعطيات هذه العلوم تعارضت مع ما اخبرت به الكنيسة من قبل

في البدء... كان الفكر

للاستاذ مصطفى الأزموري العمري



يقول الاسطوره القديمه : ان برومتيوس عذب قلبه ان يرى مشيئة زوس اكبر الالهة تحذر وجود البشر وتطفيء فيهم جذوة الارادة ، وتحكم عليهم بحياة صماء لا شعوريه على هذه الارض الملتفه بالخطايا والضياع والعبث والفناء . فما لبث ان ثار عذابه وتمرد حربه فتحدى اراده زوس وسرق النار المقدسه من قمه الاولمب ووهبه للبشر الذين عاشوا كالاطفال زمنا موغلا في القدم محبوسين في الكهف الافلاطوني المعتم الغارق في الضلالات والاوهام . ونجم عن هذا التحدي البرومثيوسي ان نجا الانسان من دوار الاسطوره وخداع الحس على وعي ذاته . واختار قيمه وجوده وانسانيته بالتخلص من خرافه الوهم ووهم الخرافة ، واعطاء حياته تبريرا معقولا وتقيما ايجابيا يحررانها من وثنية ـ عجلة الميلاد ـ التي ربطت مصير الانسان بمصير دورانها الابدي الرتيب .

تلك مغامرة الفكر في ميدان الفكر ذاته عندما اراد ان يتحرر تحررا فاعلا من حياة الظل الزائل ، ويخدر الاسطورة والاستغراق في العالم ليبدو قادرا على الانتقال من الانفعال الى الفعل ؛ من التصور الى التصرف فمن اجل البحث عن اليقين غدا الفكر الانساني حاصلا على حق التفكير في معنى الوجود : هذا الوجود الانساني ما هو ؟ ومن اين اتى ؟ والى اين يمضي ؟ وهذا الوجود الخارجي الذي مكنه الله فيه وسخر له ما فيه . ما يكون ؟ وما الغاية من نظامه الرباني ؟ وما حكمه الصانع ولغز الصنعه في الخلق والتدبير ؟

الانسان موجود في العالم ـ كما يقول هيدجر ـ ومنذ لحظه الوعي التي تفتحت فيها فاعلية الفكر استطاع الانسان ان يدرك ان الاشياء وظواهرها معطيات يعمل فيها الفكر ويقيم بينه وبينها علاقة حوار او جدل تبتدىء هذه العلاقه في حريه اختيار ازاء ضرورات الطبيعه وفي التحرر الدائب من قيود المادة تحررا واعيا تحيل تلك الضرورات من حال الحتمية الى حال الحوار

الطبيعة موجوده وحسب . والانسان وحده بوضوح التفكير ووعي الارادة وممارسة الحريه يستطيع ان يسائلها ويسبرها ويسقط عليها مبادىء عقله . . فالانسان ذات مفكرة ، والعالم موضوع وواقع معطى للانسان . ماثل امام الفاعلية الانسانية تتعقلها وتتدبرها وتنظمها وتستغلها . ومن خلال الانا المفكرة يبنى الوجود الانساني في اصالته وجدارته واستقلاله الذاتي . وفي ذات الوقت يلوح العالم معقولا وموجودا من اجل ان يتردد فيه صدى عمل الفكر في معطياته .

ان الكوجيتو الديكارتي (انا افكر فانا موجود) حسم طرح قضية تبرير وجود النفس بحدس الوجود الذاتي من خلال التفكير ؛ فالتفكير حامل للوجود ، وما كانت الانا حقيقه يقينية الا باستدعاء الفكر لاختبار مدى صحة هذا النفس ورفع الشك في وجود النفس وبالتالي في وجود الانسان .

فالفكر باعتبار ، هو ينبوع احكام القيم من جهه وحامل احكام الوجود من جهة اخرى يضفي على العمل الانساني تبريرا قيما وعلى الوجود تناسقا عقليا منظما وواضح ان كل تعريف يدعي شمول الفكر وتحديد

لانها تتعلق بآمال البشرية وبسلوك الافراد والمجتمعات وما من شأنه ان يحقق سعادة الناس اجمعين .

ومن الحقائق المسلم بها ان الاسلام هو الدين الوحيد الذي اتصف بهذه الروح منذ القديم فلم ينافس العلماء ولم يعارضهم وكان الرسول (ص) يجهل الكثير من امور الحياة ولم يدع يوما انه الامام المقتدى في علوم الحرب او الزراعه او البناء وانما جاء لهداية الناس والى ما فيه خيرهم وسعادتهم ، وحقائق الاسلام ناطقه لاتدعو الى الريب ، فالقواعد الخمس من شهادة وايمان وصلاة وصيام وزكاة وحج وكذلك المعاملات والاحوال الشخصية الخاصة لاتمس الا قلب الانسان وعقلـه لانهما الجهاز المحرك لطاقة الفرد ثم سلوكه العام في الحياة ، ولذلك لم يحصل نزاع بين الاسلام وروح العلوم النزيهة التي لاتمرح مع حقائقها الكفر والالحاد.

واذا كان العصر الحديث قد وضع الخطوط العريضة للميزات الخاصة والعامة للدين والعلوم وحصر نطاقهما وخصص « المجال الحيوي » لكل منهما ، فان القرن العشرين توصل الى حقيقة اخرى ولعلها اخطر من السابقة وامسها بالانسان واشدها تاثيرا على شخصيته وعلى سعادته ، هذه الحقيقة هي ان الانسان قد شقي بانغماسه في الحياة المادية الصرفة ، وان السعادة اصبحت حلما وامنية عويصة التحقيق فانتشرت الامراض النفسية وتمكنت من الناس وكان اشدها تسلطا التعب والارهاق النفسي ثم الحيرة والذهول العقلي ، ولم تعرف العصور الماضية هذه الامراض بالكثرة التي نشاهدها اليوم والسبب الوحيد هو اهتمامنا بالماديات فقط دون الالتفات الى القلب والروح ، وقد عجز العلم تماما عن علاج هذه الظاهرة بل لنقل انه زادها بلبلة ، فلا المكيفات الهوائية استطاعت ان تخفف من هذا الشعور ولا السيارات الفخمة ولا السينما والمسرح ولا المقاعد الوثيرة الناعمة اذ ان هذه كلها اشد مساسا بالجسد ولا يمكنها ان تنفذ الى اعماق الانسان ، والملاحظ ان المتدينين والمؤمنين بالقيم والمثل حتى ولو لم تكن سماوية اقل اصابة بالتعب النفسي او القلق ، كأن الدين والايمان بالخير والفضيلة مسكنات تحد من جبروت المادة ، او كأن الانسان خلق لكي يغذي قلبه ونفسه كما يتغذى الجسم والعقل وان السعادة البشرية كامنة في هذا الازدواج بين الروح والجسم ، فلا بد اذا من الايمان ، وبأن هنالك عدالة من السماء وان عينا بصيرة تتعقب اعمالنا وان الجزاء او العقاب نهاية المطاف في الآخرة المحتومة ، وان القانون والسلطات المدنية اذا كانت عاجزة عن محاسبتنا بالقسطاس والعدل ، واستكناه اعماق انفسنا فان المظلوم لابد له من نصير وان الظالم في موعد صادق مع المنتقم الاكبر ، فالخلاف بين الدين والعلم حسب هذا المفهوم الاخير هو اختلاف وظيفي ولا غنى لهما عن الاخر فللمادة دور ووظيفة في هذه الحياة تقوم لتؤدي الى الناس احسن الحاجات اليهم وللدين دور آخر لايقل اهمية ان لم يكن اقرب الى طبيعة الانسان واشد نفوذا الى اعماقه والى عالمه الباطني ، فالقضية في آخر التحليل تتعلق بسعادة البشر وباستقرارهم النفسي والتجارب والاحصاءات تؤكد ان الدين كلما تقلص وانحسر بغزو الماديات كلما تسلط الشقاء وتحكم .

وخلاصة القول ان العلم في العصر الحديث اصبح يصف ويكشف مظاهر الكون وان الاديان اقتصرت على توجيه السلوك البشري نحو الهداية والرشاد . وفلسفة العلوم تعترف مع ذلك ان لهذا الكون عقلا مدبرا نسميه نحن الاله الاعظم ويسميه العلماء الملحدون الماديون — وهم اقليه قليلة — القوة العقلية الخارقه .

وعلى اي حال لا سبيل للبشرية من حياة سعيدة بدون قلب مؤمن وعقل مفكر يدفعانها برفق نحو الهدف المشرق ، والجسم لايستغني عن الروح ، والنفس لاتكتفي بذاتها بل لابد لها من الجسد ، وهذه الازدواجية متى انفصلت ضاع البنيان الالهي وضل الناس الضلال المبين .

الاحساس الفني . فاذا كان العقل ـ كما قال ديكارت ـ اعدل الاشياء قسمة بين الناس فالمعرفة واحدة والحقيقة واحده سواء ارتدت حلة فلسفية او حلة علمية ام حلة فنية ، فالفكر الواحد لدى الانسان سببه بالبذرة تحمل في قلبها شجرة ذات اغصان واوراق وثمار .

التاريخ هو مغامرة الفكر الانساني يبتديء في مجالات الفلسفة والعلم والفن ويهدف الى هدف واحد معين هو توكيد حق الانسان بالدرجة الاولى خارج اي اعتبار جنسي او عرقي او حضاري . ومهما قيل عن وجود فوارق موضوعيه بين العلم والفن والفلسفة فهذه الفاعليات الثلاث تنبجس من لحظة واحده هي لحظة الفكر الحقيقي . كألوان قوس قزح تتنوع وتتشعب ولكنها كلها تنبع من نفس المصدر وتعبر عن ذات الضوء فكل ما هو انساني ـ علما كان او فلسفة او فنا ـ جدير بمعرفتنا لان الحقيقة تحمل دائما في ذاتها والتاريخ عرض للحقيقة .. حقيقة الفكر ينقلها من الوجود المضمر الى الوجود الصريح وعمل التطور التاريخي هو افساح المجال للفكر الموجود بالقوة منذ البدء ان يتحقق ويتكامل بالوجود بالفعل .

الانسان ـ كذات مفكرة ـ لم يعد يرضى ان يكون ذرة تبعثرة تقذف بها في تيه الوجود وعتمة المجهول . فيتلاشى شرطه الانساني في زحمة المواقف والافعال والاشياء . بل اصبح قادرا على الرفض باستمرار ان يذوب هويته في هوية الاشياء ملحا ابدا على الخروج من موقعه وجوده الخاص والتطلع الى التزام واع بالامانة الكبرى .. امانة المحاولة والارادة والمسؤولية .. امانة المعرفة الهادفة والتفكير الصحيح التي عرضت على السماوات والارض والجبال (فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان) بجرأة اختيار فكان ظلوما لنفسه التي ارهقها بالتزام معرفة الوجود على الوجه الذي اراده الامر الالهي والتفكير في الكون الذي خلقه الله تعالى بالحق ، وكان جهولا لطاقته المحدودة في مجالي الزمان والمكان ، اليس هو الانسان الذي قال عنه باريه سبحانه للملائكة (اني جاعل في الارض خليفة) له هذه الارض وهذا الوجود وهذه الحياة وله فوق ذلك امتياز بالفكر على كثير مما خلق الله . والذي اشار اليه الرب الاله (هو ذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا بالخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ايضا ويأكل ويحيا الى الابد ـ سفر التكوين الاصحاح الثالث) .

بلى .. انه الانسان بالفكر منذ البدء ـ لا بدء الخلق الالهي ـ ولكنه بدء المحاولة الضخمة لتفهم حقيقة الوجود وتحقيق تكامل العالم بوجود الانسان وتدخله الفاعل الحر من اجل السيطرة على الطبيعة وامتلاك ناصيتها . فالطبيعة رغم ما تمور به من طاقات هائلة وامكانات مخزونة ورغم ما تنطق به آياتها من انسجام ازلي عجيب فانها تبقى الطبيعة الغفل الصماء بكما مستديما ولا تتحقق لها اي اعتبار الا اذا انشلها وجود الانسان من موقفها الصامت المنفعل ، والوجود الانساني بدوره لا يقدر على ممارسة فاعلية فكره على الوجه الاكمل الا اذا وجد الطبيعة كعائق يقاوم نشاط الفكر وفي ذات الوقت يفسح المجال لهذا النشاط ان يتوغل في صميم الواقع ويعمل فيه . فلولا وجود عائق (الطبيعة) لما كان هناك تحدي وتغلب (الفكر) ولما تجلى العمل الانساني في نهاية التحليل في مختلف اشكاله وصوره الفكرية .

من هذا التركيب من القضية (الطبيعية) ونقيضها (الفكر) يستطيع الانسان ان يسهم في دفع الوجود الانساني الى توكيد ذاته وجدارته باعمال الفكر في معطيات الواقع . ولابد لانجاز عمل من ان يجاوز الفكر حال النظر الى حال العمل وتتحول الفكرة الى قوة تدفع الفعل المبدع وتتوق الى التنفيذ ، وبتعبير موسى foullée ان الفكرة واقع العمل انها عمل واقعي يقوم به الانسان بالحركة والجهد ، وبذا يستحق الانسان ان يكون الانسان الصانع Homo Faber يشارك في عملية الخلق الالهي بوعي متفتح يتكامل مع عمل الله للتوكيد على ان هذا العالم افضل العوالم الممكنة يستطيع الانسان ان يتفكر فيه ويتدبره من اجل ان يحيا خليفة فيه من لدن الله .

ولا يتم هذه المشاركة الا اذا عرف الانسان انه لا يعرف شيئا فيبدأ بمعرفة ذاته بوضوح ينتشلها من بيتها العنكبوتي وتمركزها الذاتي وحبائلها الجامدة وينقيها من ضباب الافكار وشبه المنة ، ثم يواجه عالم الاشياء بسؤاله الجدي المتمرد : لماذا ؟ يحمل في انحناء علامة استفهام قلقه الميتافيزيقي فيبدو الانسان برومثيوسيا متحررا من قيود الطبيعة حتى لا يسفل الى وجود البهائم وحياة اولئك الذين (لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل ، واولئك هم الغافلون) بل يتطلع الى الحقيقة ويهدف الى معرفة كل شيء بارتقاء ملح الى مرتبة تقترب فيها معرفة

مفهومه يجمد حيويته ويجفف تنوعه الخصيب ، فاذا كان تعريف الحريه تحد من الحريه ويخنق فاعليتها كما يرى غابرييل مارسيل بحق ، فان تعريف الفكر لا ينقط من واقع الفكر الا سطحه الساكن يصبه في قالب لغوي بعيد عن التعمق في صميم الفكر الحي الحركي . وما محاوله الكلمه — وهي من صنع المجتمع — في النفاذ الى قالب الفكر الا كمحاولتها اليائسة في السؤال عن الروح — وهي من امر ربي — اهي نسمه لطيفه Pneuma كما زعم المفكر اليوناني ؟ ام روح حيواني ينساب في الجسد كما قال ديكارت ؟ ام جوهر روحي او مونادا Monada يعقل ويدرك كما ادعى لايبنتز ؟ ام هي صفه الفكر والجسد . صفه الامتداد تلتقيان في الانسان على حد تعبير سبنوزا ؟ ام تركيب عضوي من الازوت والاوكسجين والايدروجين والكربون كما نادى ارنست هكل (Haeckel)

انها الروح وكفى نتعرف عليها بمظاهرها وحوادثها النفسيه شعوريه ولا شعوريه والتي تتجلى في جميع السلوك الانساني كالتذكر والاراده والانتباه والهجان والحلم والنسيان الى غير هذا .. وفي هذا الصدد يقول عالم النفس تيودور ريبو T Ribot : ان علم النفس هو علم بدون نفس — اي بدون تعريف ماهيه النفس وتحديد جوهرها . فمانه علم النفس الحديث مراقبه السلوك في الموقف والفعل .

كذلك الفكر فانه يتمرد على كل تعريف وهو في الوقت نفسه ملكه التعريف . وعبثا حاول المفكر الفلسفي ان يكتشف ماهيه الفكر ويعمق معناه فقال كانت Kant انه الحكم . وراى باسكال انه المحاكمه . واعتقد شوبنهور انه قوة انشاء المفاهيم « التي تميز الانسان عن الحيوان » . ولكن الفكر كل هذا واكثر منه فهو حيويه تتجدد باستمرار وتبدى في كل مجال وترفد التجربه الانسانيه بقوة الملاحظه ورهافه الحس ودقه المنهج وجرأه الانتقاد وشفوف الخيال . وتلك الدفعة الحيوية الفكريه لا تنطلق الا من هيجان خالق مليء بالمعاناه والقلق مثار في اعماقنا فريد في نوعه . فالفكر لا يحيا الا بالقلق .. ونفي القلق من تجربه الفكر يعني موت الفكر ذاته لان الثبات والسكون البارمنيدي البارد هما مشاهده حياديه منفعلة امام الوجود ، وموقف سلبي حيال غموض الحياة ، ان القلق حامل علامة الاستفهام (؟) الحبلى بالمفاجاة والدهشة والسؤال . وهي المراحل الثلاث التي تقطعها الرغبه في المعرفه ..

اليس دوار الغموض والدهشة هو الذي اقلق الفنان بول غوغان ، فاسقط قلقه الفني على لوحته الخالدة (الوصيه الاخيرة) وواجه الحياة والوجود باسئلته المحيره : من اين اتينا ؟ ومن نكون ؟ والى اين نسير ؟

الانسان خالق علامه الاستفهام وواجد السؤال وما تاريخ الفكر الا الفكر يحاول الوصول الى استقرار يلطف قلقه ويرطب معاناته ولكن هل هناك وصول ؟ ان كل جواب على هذا السؤال ينعم معناه توقف الحياة وتمرد الفكر وقبول اتكالي خامل لكل ما في الوجود دونما اسهام من الانسان في تفهمه وتفسيره ، وكما قال افلاطون : ان كل ما قلناه ليس كل ما ينبغي قوله فما زالت هناك اشياء كثيره في الوجود ادق على التفكير ان تشملها وتستوعبها ومع ذلك فان الفكر دوما يحاول ان يثابر على البحث عن النفس ويجدد موافقه تجاه المشاكل رغم غموضها وقصر الحياة ورغم عدم وجود جواب معطى بصوره نهائيه ، لان جوهر الفكر في البحث عن الحقيقه لا في امتلاكها ومن الجبن اليأس من البحث قبل الوصول الى آخر مدى للفكر ما دام الانسان حيوانا مسافرنا بالفكر السوبنهوري ، وما دامت الحقيقه بحثا في الانسان وبالانسان ومع الانسان . كذلك من العبث السافر ان يعتبر المفكر لغوا تافلا من قبيل الترف والمران الذهني ما دامت الحقيقه لا يهدم الانسان بل يسجل وجوده من روائع اللحظات المعيشه .

خاصه الفكر الاساسيه هي القوه النفسيه الشعوريه التي تلاحظ الواقع لتكتشف فيه ما هو كلي وثابت بالالحاح الشديد على البحث عن الحقيقه قبل كل شيء . انطلق هذا الالحاح في البدء من قلق ارتدى في الاصل ثوبا اسطوريا عبثيا ولما استطاع الفكر ان يتحرر من الوهم الخرافي خطا خطوة جريئه حاسمه في السيطره على الطبيعه والغاء الحواجز بينه وبينها عن طريق العقل . وهذه الخاصه شديدة التعقيد حتى اننا لانستطيع تحليلها الى ما هو ابسط منها وليس امامنا سوى وصف جميع اعمال الفكر الصادرة عن احكامه التي تقدر قيم الاشياء وتبرر ظاهراتها وتقرر :

ما يجب علينا ان نعلم — ما يجب علينا ان نفعل — ما يجب علينا ان نتأمل

تتجلى هذه المسائل (العلم — الاخلاق — الفن) في ثلاث قيم كبرى : الحقيقة في مجال النظر العقلي والخير في مجال العمل الاخلاقي والجمال في مجال

العلاقات الدبلوماسية المغربية

في عهد الدولة العلوية الشريفة

للاستاذ الملازم الاول
احمد احمد البسيري

- 3 -

فاما مولاي سليمان فانه جعل من علاقته طريقة لم يعهدها احد من قبله ، طريقة سلبية رغبة منه في النجاة ، وخشية من الوقوع في شرك اوربا . فمنع التجار المغاربة من الاتجار في اوربا ، واعطى للاجانب المقيمين بالمغرب حرية التمتع بالجولان والعمل داخل البلاد . وجعل طنجة مقرا للقناصل الذين يفدون عليه من جميع الدول بحيث ان هؤلاء القناصل لايستطيعون ان يدخلوا الى العاصمة .

كما انه حفظا على استقلال المغرب وتوسيع العلاقة بينه وبين الدول الاوربية اوقف الاسطول المغربي في البحر لكي لا تحدث مسائل الى غير ذلك ، لكن الازمة كانت اقوى من ان يرد بحد السيف لانها ازمة معنوية كانت تغذيها من طرف خفي بعض الدول وهي تتبع حوادث المغرب بكل عناية واهتمام .

ولقد صادفت هذه الازمة المعنوية ملكا آخر هو عبد الرحمن بن هشام الذي لم يحذ حذو الملك السابق فلقد اراد ان يجد طريقا آخر وهو الطريق الايجابي في ترقية البلاد واقرار الامن والنظام . واحدث اسطول عظيم لحماية شواطىء المغرب وتطوير البلاد جريا على ما تقتضيه تطور العالم .

واهم علائقه الدبلوماسية مع ملوك عصره وامرائه المسلمين وغيرهم من الاوربيين هو ما الم بها المؤرخ المغربي الشهير ابن زيدان في كتابه الاتحاف حيث يقول : كانت للمولى عبد الرحمن علائق ودية وسياسية وتجارية مع جميع دول عصره . فهذا السلطان عبد الحميد الاول العثماني راسله مرارا وتكرارا . وكذلك عباس باشا الاول صاحب مصر . وكانت بينه وبين محمد علي باشا والي مصر جد عباس باشا المذكور علائق واتصالات طيبة اكثر من اللازم كما كانت بينه وبين المشير محمد (باشا) اتصالات ومكاتبات ودية الخ .

هذا ما يتعلق بالدول الاسلامية التي كانت علاقتها تقتصر على التحيات والابتسامات وتبادل الهدايا الى غير ذلك . اما مع اوربا فكان له معها علائق سياسية وتجارية . ومخاطبات مع ملوكها ورؤسائها ، الا ان هذه العلائق تكون احيانا سلمية واحيانا متوترة .

ومثل ذلك ما وقع مع دولة فرنسا التي كانت علائقهما حسنة منذ عهد مولاي اسماعيل ومولاي محمد بن عبد الله . فلما احتلت فرنسا بلاد الجزائر . وقام الجزائريون يدافعون عن انفسهم ووطنهم وبايعوا الحاج عبد القادر . واظهر هذا الامير الطاعة لملك المغرب توترت العلاقة بين المغرب وفرنسا وصارت الحكومة الفرنسية تنظر الى ملك المغرب نظر العدو لعدوه . ونشبت فعلا بينهما معارك طاحنة . فهذه معركة (اسلي) جاءت هزيمة منكرة على المغاربة . وغداة الانهزام اطلقت البوارج الفرنسية قنابلها على مدينتي طنجة والصويرة . مما ادى الى عقد صلح بين المغرب وفرنسا . وهذا الصلح بدا به التدخل الاوربي الاقتصادي . فمست المراكز التجارية وتضعضع الاقتصاد الداخلي للبلاد .

ويجمل بنا ان نذكر هنا شروط المعاهدة التي تراسها السيد ابو سلهام بن علي ارطوط العرائشي . وهي تشتمل على ثمانية شروط :

الانسان من تفهم ما في السماوات وما في الارض ليغدو الانسان أخيرا الانسان العارف Homo Sapiens يملك جراة العقل للوصول الى اطمئنان ينعش معاناته ويرطب قلقه .

ان الحيوان مستغرق في العالم متكامل مع الطبيعة لايتجاوز اللحظة الراهنة التي يحياها وغاية وجوده ان ينصرف ؛ أما الانسان فهو يتقدم ويتجاوز الطبيعة ويتعالى عليها بالفكر وتصور المستقبل ومعرفة القيم والمثل العليا ؛ومع ذلك فالوجود البشري حافل بالنواقص والعقد تجمع السعادة والشقاء والعظمة والتفاهة والقوة والضعف ويعرف الخير والشر وهما سلب طبيعته ما افترقا فهو ذو ماهية عصية التحديد لدى الانسان خلالها كائنا مشكلا problématique حارت البرية فيه . ولكن الانسان رغم ما في صميم وجوده من تناقض فانه كما قال باسكال : قصبة مفكرة تعي عبث فعله عبر المضمون وتنقل تجربته في فك طلسم وجوده ووجود العالم . فيحاول من جديد استرداد معنى حياته الاصيل والتطلع الى كل شيء باي ثمن . تطلع فاوست الى نيل مآربه المبهمة مستندا الى الفكر .. اذ بالفكر . والفكر وحده . يكتشف اصالة الانسان حين يبحث عن الحقيقة ويتجه الى ذاته فيحيا افكاره بالتزام حر ومسؤولية تبرره واستقلال ذاتي رغم وعيه العميق بان كل فعل يتبع فيه الهدوء النفسي هو محاولة ضائعة الا ان وعيه ذاك هو الدفعة الحيوية التي تغذي فكره فيستمر في العطاء الكريم وان توقف احيانا عن التدلل لدى اصطدامه بوجود الانسان ذاته ووجوده مع الاخرين ووجوده في العالم .

فالفكر الحقيقي لايمكن ان يطرد من الميدان وليس حادثا عارضا . ومن العبث ان نردد قول روسو : ان الانسان الذي يفكر حيوان فاسد . لنقل على العكس في عظمة مجددة معرضين للصدف والقوى الحقيقية وضربات الطبيعة والقدر . أو نغني باسماء رومانتكي مليء بالفرح والاستسلام معا . قصيدة الشاعر وود ووث :

« نبضة من غابة خضراء
قد تنبئك عن الانسان .. وعن الخير والشر
اما فكرنا المتطفل فيشوه الاشكال الجميلة »

فنحيا مغتبطين بالسلام الداخلي بوفاق مع الطبيعة تدغدغ وجودنا التخاذل والعطالة والسكون وننهنه انفسنا اتاركسيا رواقية Ataraxie بارادة مايحدث كما يحدث وعندئذ ننساب في تيار الحياة السعيدة وننعم بهدوء جميل بعيدين عن الانخراط في العالم والتزام التفكير فيه بحرية تامة .

ان مأساة الوجود الانساني وعظمته معا تنحصران في تلك العملية الشاقة ــ عملية الفكر التي يقوم بها الانسان حينما يرفض الهدوء الحالم والسعي الرخيص وسواء علينا انحررنا من عبودية الطبيعة او البرج العاجي او المجتمع او الدولة او الآلة او الطبقة فنحن مدعوون الى الانخراط في عالم مضطرب متوتر ، عالم لم يعد الانسان يطف حوله في سنتين او في ثمانين يوما بل اصبح الانسان اليوم قادرا على الطواف حوله في بضع دقائق . وبتعبير آخر ان مصير الانسان لم يعد مرتبطا بمصير العالم بل العكس ، ان مصير العالم متعلق بمصير الانسان .

فالفكر اذن ليس ترفا يزهو به العقل البشري او لعبا شطرنجيا بارعا في الخروج من المآزق .. وانما هو سيرورة جوهرية كصيرورة الوجود الانساني في ذاته .. واذا كنا قد رفضنا انسان روسو الطبيعي وانسان الابداعيين (الرومانكيين) الواجد في الطبيعة العزاء والهدوء السعي واستدعينا بالمقابل الانسان الملتزم القلق الانسان الذي عليه ان يسير ويكافح وحتى اذا فشل فحسبه ان يكون قد كافح بنبل وجدارة فاننا نرفض كذلك انسان السلوكيين الذين يزعمون انه حزمة افعال وردود افعال وان تفكيره بالاحرى نمط من السلوك الباطني يدل عليه فعل صريح ظاهر من ارتعاش التنفس وهزة الحلق وحركة التنفس .

الفكر هو حامل الوجود الانساني خلال التاريخ الحضاري وسمة الفكر هي مجد الانسان الاعظم والفكرة هي قوام المدنية واكثر عناصرها بقاء ونماء وعن طريق الفكرة النيرة التي تصبح عملا يكون الانسان اكثر اتصالا بالانسان منه عن طريق الروابط الطبيعية او العرقية . وما تجربة التاريخ الا دلالة حية على الاستقلال الذاتي للفكر ، فتطور الانسان يرافق تطور الفكر والمعرفة هي تعمق لحظة حياتية تعكس سؤالا وجوابا قد لا يكون نهائيا ومضمونها مهما كان يولد من علاقتها بموقف محدد .

ان الفكر ليس خارج الحياة بل هو في الحياة ومع الحياة .. وبدء الحياة .

في اواخر ايامه مع الاسبانيين على حدود مدينة سبتة وهذا الخلاف ادى الى نشوب معارك طاحنة بينهما تكبد الفريقان فيها خسائر فادحة ، وكان رحمه الله يريد ان ينهي ذلك بطرف المفاوضات معتمدا في ذلك على الصداقة البريطانية ، وقد اظهر نائبه الخطيب لباقة في تسوية هذا الخلاف لكن مولاي عبد الرحمن مات قبل انهاء القضية .

وتولى بعده ابنه المولى محمد ، واول شيء واجهه هو حل المشكلة العارضة باي وجه كان . حيث ارسل الحاج محمد الزبدي الرباطي مندوبا جديدا لمباشرة نفس القضية التي كان النائب الخطيب يباشرها الا انه من المفهوم ان هذه المخابرات والمراسلات التي كانت جارية بين الدولتين انما كانت صورية فقط في نظر دولة اسبانيا . والامر الذي كانت مصممة عليه ، مهما كانت الاحوال . هو محاربة المغاربة واحتلال اراضيهم

وهكذا نجد دولة اسبانيا تستولي على مدينة تطوان فتقتل اهلها وتنهب متاجرها وتخرب مساجدها وتقوم باعمال منكرة . فكم من ذخائر . وكم من تحف وكم من كتب ومخطوطات وكم من وثائق ومستندات كلها ضاعت في ايدي الدولة الغاشمة الجائرة . ولم يبق منها الا الرماد والالم والحزن فاضطر المغرب لهذه الخسائر الفادحة ان يعقد الصلح مع اسبانيا . وتعهدت اخيرا باخلاء تطوان تحت تاثير التدخل الانجليزي على خمسة شروط وهي :

— تسليم المغرب لاسبانيا اراضي قرب سبتة وارض في جنوب المغرب .

— ان تدفع الحكومة المغربية لاسبانيا الخسائر الحربية وقدرها عشرون مليونا من الريال .

— منح اسبانيا امتيازات تجارية .

— السماح للرهبان ببناء كنيسة بفاس .

— السماح لممثلها بالسكنى في العاصمة .

وممن حضر على هذه الشروط واتفق عليها المولى العباس خليفة ملك المغرب ورئيس الجيش المغربي . والحاج محمد الخطيب نائب السلطان بطنجة والجنرال اودنيل رئيس الجيوش الاسبانية . وقد وقعت يوم 25 مارس سنة 1860 .

وبعد جلاء القوات الاسبانية عن مدينة تطوان تحسنت العلاقة الاسبانية المغربية نوعا ما . وعقدت معاهدة بين الدولتين سنة 1861 بمقتضاها سمح للاسبان بامتيازات منها حق حماية رعاياهم مثل الفرنسيين .

وبالجملة فان السلطان مولاي محمد بن عبد الرحمن شاهد حربين في حياته . حربا مع فرنسا وحربا مع اسبانيا ، لذلك اخذ يعمل بعد هذين الحربين . كل ما في استطاعته على ان لا يرى حربا باله وذلك بقضاء حياته في ترضية جميع مطالب الاوربيين ، وحصر همته في عقد المعاهدات الدولية مع جميع الدول ، وكثيرا ما كان يوجه الوفود الى اوربا لتنهي معها جميع المشاكل ، وكثيرا ما كانت هذه المشاكل في غير صالح المغرب ، من ذلك المعاهدة التي وقعت بين فرنسا والمغرب سنة 1867 فاعطت لفرنسا امتيازات لم تكن لها ولا لغيرها من قبل . وفتحت ابوابا للتدخل الاجنبي في شؤون البلاد كيفما شاءت تحت التملك . وتحت الحماية . وتحت التمثيل القنصلي وغير ذلك من الاسباب التي كانت تحط من قيمة المغرب وتسير به الى هاوية الظلام الدامس .

هذه المعاهدة المجحفة التي سبقت فيها فرنسا جميع الدول لفتح طريق شرعي للتدخل في شؤون البلاد . بعد ان مر عليها قرن كامل لم تقدم هذه الدول ولو خطوة تذكر . معاهدة مجمدة ليست بذات فائدة حتى اواخر القرن التاسع عشر حيث اصبحت المطامع الاستعمارية تتشكل بصورة اوضح واوسع .

واذا كان المغرب لم يسقط فريسة للاستعمار الفرنسي في اواخر هذا القرن فلا يرجع السبب في ذلك الا للموقف العظيم الذي وقفه آنذاك المتربع على العرش السلطان مولاي الحسن . هذا الملك الذي استطاع بحكمته وبعزيمته ان ينهض بالبلاد بعد كبوتها نهضة الشهم الكريم . وان يحمي الاستقلال المغربي طوال حياته بسياسته الرشيدة التي عرفت كيف تستغل تزاحم الدول على البلاد . وان تكسب صداقة اغلب دول اوربا واحترامهم لشعبه وعرشه . فكان دائما يبعث الوفود الى الحكومات الاوربية لتمكين عرى الصداقة بينها وبين المغرب . فمن ذلك ارساله للسيد محمد الزبدي سفيرا وباسادورا له الى كل من فرنسا وبلجيكا وايطاليا وانجلترا . واعطاه اموالا وهدايا فاخرة للعظماء وكان المقصود من هذه السفارة هو تجديد عقود المحبة وتاكيدها مع هذه الدول وتقرير ما عنده من الاعتناء بجانبهم .

1 ــ تفريق العساكر المجمعين فى الحدود ولا يبقى بها اكثر من عدد القين .

2 ــ ان تعاقب الذين كانوا السبب فى المخاصمات التي اركبها المغاربه فى ارض الجزائر .

3 ــ الاعتراف بالتضامن الكلي بحيث لا يمكن لسلطان المغرب ان يعاون اي احد من رعية فرنسا الخارجين على القانون فى بلاد المغرب .

4 ــ ان ينفي الامير عبد القادر من ارض المغرب .

5 ــ ان يحد الحدود تحديدا تاما منتظما بين البلدين .

6 ــ لا يبقى بين البلدين نزاع ولا قتال .

7 ــ الالتفات من طرف النواب على عقد شروط جديده على وجه جميل وان تؤسس على الشروط السابقة المقرره .

8 ــ الوفاء الكامل بين الجانبين على هذه القوانين السالفة .

ويتقدم بنا الزمن قليلا فنجد ان بعد هذه المعاهدة جاءت معاهدة اخرى تتضمن تحديد الحدود بمقتضى ما اشير اليه فى الشرط الخامس ، وهي تشتمل على سبعه شروط ، وقد ناب عن المغرب القائد حميده التجعي وعن فرنسا الجنرال دولارو .

والبرهان على تمام الموده وتسويه الخلاف الذي كان يسود الدولتين هو ما كتبه السلطان عبد الرحمن للملك الفرنسي (لويس فيليب) حيث يقول : « اما بعد فان المراسلة بين الدول والمواصلة بين الملوك والدول تفتح للمودة ابوابا ، وييسر للمواصله اسبابا ، وتزيد الود تاييدا ، والعناية تجديدا ، وتزرع الحب فى القلوب وتقرب البعد وتيسر المطلوب » .

كما نجد ان السلطان عبد الرحمن كان يستقبل سفراء فرنسا وقناصلها بكامل الابتهاج والسرور ، فحسن استقبالهم ، وتكرمهم ، ومن هؤلاء السفر (دوموني) والقونصو (ذى لبرط بيش) والقونصو (ميش) الذى كتب عنه الملك عبد الرحمن للويس فقال عنه : « وقد وصل القونصو الذى وجهتم ميشي لتكون مكان القونصو قبله ، فلقيناه بالقبول والبسناه رداء عنايتنا المسدول وخصصناه بين القنصوات بمزيد الحظوة والتشوف لثنائكم عليه بما هو به لديكم موصوف ووجهنا (ذي يبرط ليش) قونصو القديم بايالتنا مكرم الجانب لاجلكم وهذا هو شأن الاحباب والسلام » .

وفى 27 يوليو سنة 1836 ورد على المولى عبد الرحمن الكولونيل (دولارو) سفيرا لدى حضرة جلالته كما ورد قنصل آخر اسمه (دبنيون) وكتب (لويس فيليب) الى السلطان باعتماده وكيلا ، فاجابه الملك بقوله فى ذلك حاثا على المحافظة والصداقة والالفه والوئام وان القونصو الجديد الذي وفد الى المغرب فانه سيكون عند حسن ظن جلالته فى محل الثقة الكاملة والمعاملة الحسنة حتى يوسع الله فى الالفة بين الدولتين .

ثم استدعى القونصو (دنيون) واقيم مكانه آخر يسمى (دوناطو) ولما نودى بنابليون الثالث ملكا على فرنسا كتب هذا للمولى عبد الرحمن كتابا يعلمه ويؤكد له باستمرار السياسة السابقة وقدم اليه ممثله الجديد (با حبر سمد) ثم بعد هذا (كاستلون) .

وقد اقر رحمه الله معاهدات اجداده الكرام مع كثير من الدول الغربيه وعدل معها ما عدل وانشأ ما انشأ ، ومن اهم هؤلاء الدول انجلترا ، البرتغال ، اسبانيا ، فاما دولة انجلترا فقد اقر معها المعاهده التى عقدها عمه بعد ان غير منها الفصل السابع والثامن وهي تنقسم الى قسمين سياسي وتجارى ، فالاول يشتمل على ثمانية وثلاثين شرطا ، والثاني على خمسة عشر شرطا ، وكان المباشر لعقد هذه الشروط السيد محمد الخطيب .

وكذلك دولة البرتغال فقد كتب الى (جرج كلاص) يعلمه باستمرار السياسة التي كانت على عهد عمه المولى سليمان ، وكتب ايضا لدولة اسبانيا ، واقر معها المعاهدة التي عقدها سفير المولى سليمان بن عثمان سنة 1813 م .

وهكذا ظل مولاي عبد الرحمن بن هشام فى اتصال دائم مع الاوربيين الاقوياء يتجنب ما امكنه الحرب معهم ، ولكن كما قلت سابقا رغم هذه الصلة الطاهرة كان المغرب سائرا فى ازمة معنوية شديدة نتيجة الفتن الداخلية والاطماع الاستعمارية منذ احتلال فرنسا للجزائر وانتصارها على المغاربة فى موقعة (ايسلي) ، وهذه الازمة كانت نتيجة وقوع خلاف

هذا البروتكول طيله ايام مولاي الحسن ، وحتى اذا توفاه الله وجلس ولده مولاي عبد العزيز على العرش فان الوزير احمد بن موسى قد عمل كل ما في وسعه على الاحتفاظ باستقلال المغرب واستقرار الامن والنظام في ربوعه والابقاء على مهابة الحكومة وجلالة العرش كما كان في عهد السلطان مولاي الحسن .

وفي الوقت نفسه اتبع خطة مولاي الحسن في سياسته الحكيمة وهي مقاومة التدخل والمحافظة على الاستقلال وارجاع حقوق المغرب الضائعة والتخفيف مما يضر به من الالتزامات الدولية وذلك بانشاء علاقات واتصالات بين جميع الدول المعاصرة . منها السفارة التي بعثها لاسبانيا سنة 1895 للمذاكرة حول معاهدة كانت مغتصبة بين الدولتين وفي نفس السنة بعث سفارة لانجلترا لاستخلاص مرسى طرفاية .

وهكذا ظل المغرب في عهده محتفظا بوضعه الدولي الى ان مات رحمه الله . وكان الملك مولاي عبد العزيز قد بلغ رشده . وفي عهده حدثت حوادث وفظائع تسبب لها الرضيع حتى عمت الفوضى في جميع انحاء المغرب واختل النظام . وانتشرت الحمايات والاضطرابات فمن ثورة ابي حمارة الجلالي في الجنوب الى ثورة الريسوني في الشمال الامر الذي جعل البلاد تسير نحو الهلاك والدمار .

في هذه الظروف الحرجة التي كان يجتازها المغرب قرر مولاي عبد العزيز توجيه سفراء مندوبين لعواصم اوربا لطلب النصير من الدول العظمى مثل فرنسا وانجلترا والمانيا . وذلك للقضاء على هذه الثورات واعادة الهدوء الى نصابه ، لهذا الغرض سافر وزير الحربية آنذاك المهدي بن العربي المنبهي لانجلترا . ومعه السيد عبد الرحمن بركاش والسيد الزبير سكيرج والسيد بوسنة وعقد معها شروطا رسمية تحتوي على اربعة فصول . وسافر ايضا السيد عبد الكريم بن سليمان وزير الخارجية آنذاك الى فرنسا وروسيا والمانيا .

ولم يكد يمر زمن قليل على حكم عبد العزيز حتى تحولت قضية المغرب الى قضية دولية ثار بسببها نزاع خطير بين الدول ، ودام اكثر من عشر سنوات وهذه الدول هي فرنسا اسبانيا ابريطانيا ايطاليا المانيا ، الا ان فرنسا كانت اشدهم خطرا على المغرب ففي سنة (1800) حصلت على تنازل ايطاليا عن مطامعها بالمغرب وفي مقابل ذلك تنازلت هي لايطاليا عن مطامعها بطرابلس وفي 1804 ابرمت مع انجلترا اتفاقا يقضي بتنازل انجلترا عن مقاومة فرنسا في المغرب وهذه بتنازلها عن مصر وجزيرة (توفاولدلاند) ولكن بشرط ان لا تقيم فرنسا اية استحكامات في شمال المغرب . وان لا تغض النظر عن حقوق اسبانيا . وابرمت سنتي (1904 — 1905) اتفاقيتان مع اسبانيا تعاهدتا على اقتسام المغرب عند ما يتيسر احتلاله .

ظنت فرنسا بعد ما ابرمت هذه الاتفاقيات كلها ان الجو خلا لها فبادرت الى مولاي عبد العزيز تطلب منه ادخال الاصلاحات للمغرب . ولكنه عارض في ذلك اشد المعارضة وكان جوابه لسفيرها (سان رينيه طلنديير) : ان الحكومة المغربية لا تسمح لانه دولة منفردة عن باقي الدول في ادخال اي نوع من انواع الاصلاحات . وكان من اهم ما اقترحه السفير والح في التعجيل به هو احداث شرطة في ثغور المغرب وشواطئه .

ومما يزيد على ذلك وقوف المانيا الى جانب المغرب ، وعدم اعتبار تنازل انجلترا عن مطامعها في المغرب كاف لاطلاق يد فرنسا فيه . وبهذه المناسبة زار امبراطور المانيا غليوم الثاني مدينة طنجة سنة 1905 وصرح بما يلي : (انا اقوم بزيارتي هذه لملك مستقل اتمنى ان تبقى سلطته العليا حرة وتصبح المغرب مفتوحا للتدخل السلمي من جميع الامم دون احتكار او امتياز على اي شكل من الاشكال) .

وعلى اثر هذا الصراع الطويل بين فرنسا والمانيا الذي كاد ان يؤدي الى حرب عالمية عقدت الدول بدعوة من السلطان مولاى عبد العزيز ومجلس الاعيان مؤتمرا دوليا في مدينة الجزيرة الخضراء سنة 1906 م وقد تضمن العقد اصلاحات تتعلق بنظام الشرطة وتكوين بنك مخزني . وتنظيم مالية المغرب . وتنظيم الجمارك ، والقضاء على تهريب الاسلحة ، ثم نص في فصل سادس على تنظيم الخدمات العامة .

واذا كانت هذه المعاهدة قد ضمنت في مقدمتها استقلال المغرب وسيادته وحفظ وحدة اراضيه فان ثمة فصول المعاهدة نظمت التدخل الاجنبي في شؤون المغرب وتميز فرنسا واسبانيا خاصة بحظوظ كبيرة .

كان السلطان مولاى عبد العزيز يفكر في ان هذا العقد سيبقى كما كان في اوله ، وتبقى علائقه مع فرنسا

ولقد خرج هذا السفير المذكور الى فرنسا اولا حيث استقبلته الحكومة المحلية هناك استقبالا باهرا واكرمه بكامل الاعتبار والاجلال ، ويلقى المارشال (مكماهون) رئيس الجمهورية الفرنسية ووزير الخارجية المسيو (دوك داكار) الذي تفاوض معه بكل حفاوة ولطف .

ويقول المؤرخون ان دولة فرنسا هيأت له بعد سفره الى بلجيكا قطارا خاصا وعربة تليق به وصحبه في ذلك خليفة وزير الخارجية والترجمان ولما اراد النهوض الى مملكة انكلترا ربط هيأت له كذلك بابورا خاصا .

والتقى بالملكة الانجليزية (فيكتوريا) واجرى معها بواسطة وزيرها الاول محادثات ومفاوضات ، وهذا كتاب من وزارة الخارجية الانجليزية يشرح ما جرى من المفاوضات نقتطف منه ما يلي : « ياجناب السفير ان حكومة جلالة ملكة انجلترا قد احلت محل الاعتبار رسالتكم المؤرخة بـ 18 الجاري فيما يخص حماية الحكومات الاجنبية لجملة المغاربة القائمين بوظائف السمسرة او النيابة لدى التجار الاجانب ، وردا على رسالتكم المشار اليها اشعر سعادتكم بان حكومة جلالة الملكة ليست لها رغبة في بسط هذه الحماية على المغاربة الا بمقتضى نصوص الفصل الثالث من الاتفاقية المبرمة بين بريطانيا العظمى والمغرب في تاريخ 9 دجنبر 1856 وبمقتضى الفصل الرابع من الاتفاق التجاري والبحري الصادر في نفس التاريخ المذكور » .

وقد دامت المفاوضة اياما حتى تم الامر وفق ما يرام ويراد فرجع السفير المغربي الى فرنسا لتتميم المسائل التي لم تكن قد تمت هناك، ثم ذهب الى ايطاليا فاستقبل السفير الملك الايطالي ، وقدم اليه الهدية الملكية ، فاظهر له ملك ايطاليا غاية الاعتناء والسرور .

ثم ذهب لمدينة جنوة ومنها الى طنجة حيث رجع في مركب خاص حربي اعدته له الحكومة الايطالية . وهكذا خلف هذا السفير في مدن اوربا آثارا خالدة مما جعل من المغرب معركة للتسابق بين الدول الاجنبية للحصول على الحظوة لدى الملك ، ونيل مصادقته اغلى بعض امانيهم .

وبعد هذه السفارة بعث سفارة اخرى نائبة للرئيس (كارنو) الفرنسي يراسها اولا السفير عبد المالك على السعدي وثانيا الحاج محمد بن سعيد السلوي ، وفي سنة 1894 وجه ايضا ابا عبد الله محمد فنجا والسيد عبد السلام بن محمد السوسي والحاج عبد الكريم بريشة التطواني سفراء له في دولة اسبانيا كما وجه الخطيب بن هيمة وعبد السلام بن رشيد والحاج محمد بركاش لالمانيا ، وكانت له مع دولة البرتغال مكاتبات ومراسلات وتبادل السفراء من ذلك السفير (خسي دنيل كلاص) الذي قدم عند الملك بكتاب صادر من الملك البرتغالي لويز يقصد تجديد المحبة والمودة بين الجانبين ، وكانت له مع جمهورية امريكا علائق ومراسلات ايضا فمن ذلك كتاب الرئيس (هارسون) اليه منبئا بتاخير القنصل لويز عن خدمته بالايالة السعدية ، وكانت له مع بلجيكا علاقات ودية ويظهر من ذلك انه راسل ملكها (ليوبلد الثاني) جوابا عن كتاب بمناسبة نعي ولد اخيه .

وليس فيما سردناه من اعمال مولاي الحسن تجاه هذه الدول الا نماذج من العلائق الديبلوماسية التي ظل مسيرا لها طول حياته ليظهر بذلك انه مخلص لها ، ويرغب في صداقتها ، وانه يريد ان يعاملها معاملة سليمة مبنية على المساواة والحقوق والاحترام .

وبقدر ما كان مولاي الحسن يجهد نفسه في المحافظة على استقلال المغرب ازاء كل دولة مسلمة كانت او مسيحية ، فانه كان يسعى دائما وابدا في التمسك بالحياد ، وعدم تفضيل اي دولة على الاخرى ويجتهد في اثارة المشاكل بين الدول حتى لا توجه انظارها نحو المغرب المستقل .

ويعد معاهدة مدريد التي عقدت سنة 1890 من حسنات السلطان مولاي الحسن حيث كانت في صالح المغرب لانها وضعت حدا لنظام الحمايات وطغيان النفوذ الاجنبي بالمغرب وهي اول معاهدة دولية عقدت للنظر في القضية المغربية ونقلها من دائرة المناقشات الضيقة الى الساحة الدولية العامة ، وقد حضرت في هذه المعاهدة الدول الآتية : المغرب ، فرنسا ، اسبانيا ، انجلترا ، المانيا ، النمسا ، بلجيكا ، الدانمارك ، الولايات المتحدة الامريكية ، ايطاليا ، هولاندا ، البرتغال ، السويد ، وحضر نائبا عن المغرب فيها السيدان محمد بركاش والحاج عبد الكريم بريشة .

ان هذه المعاهدة بعد ان تقدم الزمن قليلا اصبحت تهدد الحكومة بفوضى اجتماعية وسياسية . ولكن لم تقع شيء بموجب

اعظم حظ السلطان سيدي محمد نصره الله . فقد كنت اكافح وحدي لما كنت سلطانا ، وما كنت اجد من يشد عضدي ويقوي ساعدي او على الاقل يقدر مقاومتي حق قدرها ولو كان لي رجال مثل رجال اليوم متيقظين شاعرين بالخطر المحيط بهم مؤمنين برسالتهم لما لحق المغرب ضيم ولما داس الاستعمار حقوقه » .

حقا ان المغرب وجد رجالا اقوياء ضحوا بحياتهم في سبيل المثل العليا والبلوغ الى الهدف المنشود بجانب البطل العظيم الملك محمد الخامس نصره الله الذي بذل كل ما في وسعه ليجني ثمرة شجرة الحرية التي غرسها بيده وسقيها بدمه وتعهدها بعرقه .

وبهذا المجهود المتبادل بين الملك وشعبه استطاع المغرب ان يبلغ آماله وان يرفرف راية الحرية والاستقلال على ربوع الاطلس الشامخ ، فتعبد عرق الحياة فيه من جديد .

وان المغرب الذي خرج من هذه المحنة قد وطد عزمه على ان يعود بعلائقه الديبلوماسية مع جميع الدول كما كان في سالفه متشبثا في ذلك بتقاليد التسامح والكرم والصداقة . وهذه العلائق مبنية على عدم التبعية بإسداء التعاون مع جميع الامم الشريفة منها والعربية حتى يظهر المغرب بالمظهر اللائق به كدولة عريقة في المجد . فقد انضم المغرب الى منظمة هيئة الامم المتحدة وباقي المنظمات الدولية التي ينتمي اليها كمنظمة اليونسكو ، والمنظمة الدولية للصحة ، كما انضم ايضا الى جامعة الدول العربية لتحقيق استقلاله والتعاون معها على ما يحقق سلامة الكل وطمأنينة الجميع .

وكانت النتائج التي حصل عليها المغرب من هذه المنظمات هو تصفية المشاكل المعلقة بينه وبين بعض الدول عن طريق المفاوضات وابرام معاهدات صداقة وتعاون ومراسلات مع ملوك الدول الصديقة ورؤسائها

ولقد اتسع نطاق المغرب الديبلوماسي في تمثيله الى حد كبير سواء في الشرق او في الغرب حيث اسست ممثليات سياسية وقنصلية مع كثير من الدول .

ولنجعل ختام هذا الحديث فقرة من تصريح جلالة **الملك محمد الخامس في هيأة الامم المتحدة حيث قال :** « ومن البديهي ان بلادا كالمغرب يمتاز بموقع جغرافي وستراتيجي هام ويتمتع بنظام كالذي نرغب فيه لجدير بان يقوم بادوار هامة في دائرة التعاون الدولي ويحتل مقاما في مصاف الامم الحرة » .



قائمة على أساس « هافاس » وأن يحفظ هذا العقد في أساسه على مبدأ ثلاثي : سيادة السلطان ونفوذه . استقلال المغرب ووحدته . المساواة الاقتصادية بين جميع الدول . إلا أنه وجد العقد يسير في اتجاه . وفرنسا تسير في اتجاه مما نتج عن ذلك دخول جيش فرنسي سنة 1907 بقيادة الجنرال ليوطي إلى مدينة وجدة ثم في نفس السنة دخل إلى الدار البيضاء وفي سنة 1908 احتل منطقة الشاوية .

وجاءت سنة 1911 حيث شاهد المغاربة حادثين فاصلين كانتا أشد الحوادث خطرا . حادثة سجلها التاريخ بين فرنسا وألمانيا . وحادثة أخرى هي دخول جيش أوربي لأول مرة في تاريخ المغرب الإسلامي إلى مدينة فاس تحت قيادة الجنرال الفرنسي مـــــو (موانيي) .

وبما أن إسبانيا كانت ترى نفسها قرينة فرنسا في العمل بالمغرب فإنها استقرت في المناطق المجاورة لمليلية وسبتة واحتلت مدينة العرائش والقصر الكبير .

وعلى أثر هذه الفتوحات والتدخلات نشبت ثورة داخلية على السلطان مولاي عبد العزيز . الذي كان يظهر للشعب بمظهر المتهاون . المتلاعب . والضعيف المستسلم وبايعت أخاه عبد الحفيظ بصفته سلطانا منقذا ومحررا على أساس رفض معاهدة الجزيرة الدولية وإجلاء الجيوش الأجنبية المحتلة . وتطهير صفوف الأمة من الحمايات الخارجية وإطلاع الأمة على سر المفاوضات مع الأجانب . وعدم قبول أي اتفاق لا يصادق عليه الأمة وتنظيم الدفاع عن الوطن .

لكن مولاي عبد الحفيظ لم يستطع أن يعمل شيئا من هذه الشروط المفروضة عليه من طرف الشعب في هذه الظروف الحرجة فكثرت عليه الاعتراضات من زعماء المغرب حتى سولت له نفسه الانسحاب والتخلي عن العرش . وحتى لا يضطر إلى الإهانة من الشعب .

وفي أثناء هذا الضغط العنيف على السلطان مولاي عبد الحفيظ قامت فرنسا تتم الدور الخطير الذي بدأته منذ أعوام طوال ، وذلك بإدخال جنودها إلى فاس للقضاء على هذه الثورات من قبائل المغرب والاعترافات من زعماء المغرب . وقد خضع السلطان لذلك . وفي هذه الأثناء وصل مبعوث الحكومة الفرنسية (رينو) إلى فاس يوم 24 مارس 1912 ، واستعرض القوات الفرنسية آنذاك أمام عبد الحفيظ بغية الضغط والتهديد والإرهاب ، وبعد هذا الاستعراض دخل (رينو) مع عبد الحفيظ في مفاوضة عقد الحماية ، وكان موقف السلطان هو الرفض . ومقاومة رينو مقاومة عنيفة كادت بعض الأحيان تؤدي إلى فشل الخطة الفرنسية . ولكن تحت التهديد والضغط الديبلوماسي والعسكري اضطر إلى الاستسلام لمشيئة الوفد الفرنسي والتوقيع مكرها على عقد الحماية يوم 30 مارس سنة 1912 .

ولم تكد خبر إعلان الحماية يشيع في المدينة الفاسية حتى أعلن الجيش الملكي الثورة على رؤسائه وشاركت العامة الجيش في الاعتداء على بعض الأجانب وأعمال النهب والإفساد ووقعت معارك لا نزال نعرف بأيام فاس الدموية . وقد تحدث أحد الكتاب الفرنسيين عن هذه الحوادث بقوله : « كيف يمكن أن ينتظر من المغرب الذي ظل خلال ثلاثة عشر قرنا ليس فقط دولة مستقلة ولكن أيضا آخر وطن إسلامي يحافظ على التقاليد الإسلامية الطاهرة أن يدخل تحت الحماية دون أي احتجاج ! نعم لقد دخل المغرب بالقوة والإكراه تحت هذه الحماية ودخل تحتها غاضبا ومحتجا ، وثائرا . كما تشهد بهذا التاريخ المغربي الحافل بأعمال المقاومة والبطولة » .

ولم تكن الثورة تنطلق من عمال أهل فاس فحسب بل ظهرت عدة قبائل من بعد تحت زعامة السيد أحمد الريسوني سنة 1913 في المنطقة الشمالية ثائرة على الجيوش الإسبانية ودامت أكثر من ثمانية عشر سنة وفي سنة 1921 وقعت بين الزعيم عبد الكريم الخطابي وبين الإسبانيين معارك جمة أهمها معركة أنوال الشهيرة التي كان الانتصار فيها حليفه .

وهكذا كان المغرب ثورة تتلو ثورة في الجبال والسهول والبوادي إلى أن أنشئت بدلا من المقاومة المسلحة مقاومة سياسية وحركات خفية وظاهرة وهجمات فدائية حيث دخل المغرب في طور جديد من الحياة والكفاح في سبيل الخلاص من السيطرة الأجنبية .

ومن صدد هذا الكفاح المرير الذي استرخصه جل المغاربة منذ عقد معاهدة الحماية من أجل الحرية ومن أجل الكرامة يقضي بي الأمر إلى أن أكتب هنا ما قاله السلطان مولاي عبد العزيز رحمه الله قال : « ما

ودراسه هذه المشاكل واتخاذ الناجع من الحلول لها ، برهنا على ان دول الدار البيضاء وان الشعوب المتحرره فى بقيه انحاء افريقيا والعالم ، لاتحتاج الى وقت طويل تصرفه فى تقريب وجهات النظر فيما بينها أو للتفاهم حول حلول أو أنصاف الحلول ؛ وانما تجد الوقت فقط للكفاح من اجل أهداف مشتركة وبوسائل واحـــده .

البيان المشترك النهائي
الصادر عن مؤتمر وزراء خارجية
دول ميثاق الدار البيضاء
(30 ابريل – 5 مايو 1961)

اجتمع وزراء خارجيه دول ميثاق الدار البيضاء الافريقي فى القاهره فى المده بين 30 ابريل و 5 مايو سنه 1961 لبحث توصيات لجنه الخبراء التي اجتمعت فى اكرا لتنفيذ قرارات ميثاق مؤتمر الدار البيضاء .

وقد حدد وزراء الخارجيه نص بروتوكول ميثاق الدار البيضاء الافريقي ووافقوا عليه . وقد اتخذوا القرارات والاجراءات الضروريه لانشاء الاجهزة التي نص عليها ميثاق الدار البيضاء فى أسرع وقت .

وقد بحث وزراء الخارجية المشاكل الافريقيه والدوليه التى تهم افريقيا والعالم كله . واتفقت وجهات نظرهم تماما بالنسبه لجميع هذه المشاكل واحيطوا علما بتطورات الموقف فى الكونغو وقرروا زياده تعزيز جهودهم لحماية استقلال الكونغو ووحدته الجغرافيه والوطنية ، مع تأييد حكومته الشرعية التي يرأسها السيد أنطوان جيزنجا .

وبحث وزراء الخارجية التطورات الاخيرة فى قضية الجزائر وجددوا تأكيدهم غير المشروط بتأييد كفاح الشعب الجزائرى واعربوا عن موافقتهم المطلقة على السياسة التي تنهجها حكومه الجمهورية الجزائرية المؤقتة ، والتي تستهدف الوصول الى حل عن طريق المفاوضات تقوم على اساس حق الشعب الجزائرى فى الاستقلال وتقرير مصيره ، وعلى اساس وحدة الجزائر .

وقد جددوا العهد بتأييد الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي ورغبتهم فى تنفيذ القرارات الخاصة بفلسطين والتي تمت الموافقة عليها فى الدار البيضاء .

ودرس وزراء الخارجية التطورات الاخيرة فى حركات الكفاح الوطني الدائره فى اجزاء مختلفة من افريقيا وخاصة فى انجولا ، واكدوا تأييدهم لشعب انجولا ، واشادوا بكفاحه الباسل وناقشوا كذلك الاجراءات والتدابير التي يجب أن تتخذ لتنفيذ قرارات الدار البيضاء لا سيما الخاصة بالتفرقة العنصرية .

واتفقت وجهات نظرهم تماما بالنسبه لمشكلتي نزع السلاح وتحريم التجارب الذريه .

ودرس وزراء الخارجيه الموقف فى لاوس وأكدوا ضروره المحافظه على استقلالها ووحدة هذه الدوله وحيادها .

وادان وزراء الخارجيه التدخل الاجنبي فى كوبا واعربوا عن اعجابهم بكفاح شعب كوبا فى سبيل محافظته على استقلاله والدفاع عن أراضيه .

مؤتمر وزراء خارجية دول ميثاق الدار البيضاء

اجتمـع في القاهرة في أوائل هذا الشهر مؤتمر وزراء خارجية دول ميثاق الدار البيضاء بمبنى وزارة شؤون خارجية الجمهورية العربية المتحدة ، وكان ذلك بعد مرور أقل من اربعة أشهر على المؤتمر الافريقي الخالد الذى شهدته مدينة الدار البيضاء ، وبعد اجتماع الخبراء الافارقة في كل من أكرا والقاهرة .

ولم يشبه هذا المؤتمر أى مؤتمر آخر شهدته القاهرة في اى فترة من تاريخها . لانه لم يجتمع لبضع ملتمسات أو يصادق على قرارات أو يسجل احتجاجا . ولكنه كان في جوهره مؤتمرا للتخطيط والبناء . ومؤتمرا لبلورة الاماني . وافراغ التصميم والعزائم في اطارهما العملي المحكم المنظم .

ومن بعض الوجوه يمكن اعتبار اجتماع القاهرة الاخير بمثابة نواة تشريعية وضع فيها دستور دول زهدت في العمل الدبلوماسي التقليدي . ورفضت من التصريحات والقرارات . وارتضت ان تكون لها جبهة متحررة قوية تدعم الجانب غير المنحاز وتأخذ بالاقتصاد والثقافة والسياسة نحو طريق لايحف بها اطماع ولا تعلق بها توجيه خارجي .

لقد ارسى رؤساء دول الدار البيضاء في بداية هذه السنة البناء المتين لوحدة الوسائل ووحدة الواقع الذى يعيش فيه . وكان على ذلك البناء الشامخ الصلب ان يحط العمل في جنباته وان يترجم أمانيه الى التزام قانوني يدخل الى صلب الوضعية الداخلية في كل دولة . ويسجل في الامم المتحدة لتصبح له قوة النفاذ الدولية .

وذلك ما فعله المؤتمر الاخير في القاهرة .

فقد درس البروتوكول المنفذ لميثاق الدار البيضاء ووقع عليه وزراء الخارجية . وهذا البروتوكول الذى يستمد قوته وايجابيته من الميثاق الافريقي الخالد ينظم النضال التحرري وينهج العمل الخارجي لدول اتخذت لها من الوحدة الافريقية شعارا ومن الحياد وعدم التبعية أساسا لسلوكها الدولي ومن النمو الاقتصادي والاجتماعي في اطار واقعها الافريقي طريقها نحو الازدهار عبر السنوات .

ان هذا التنظيم المذهبي الصميم الذى أفرغ على شكل تعاهد وتعاقد هو ما تحتاجه القارة في سيرها الحثيث نحو حريتها واستكمال اسباب عزتها وهو مهمة كبرى تعتبر في حد ذاتها عملا جبارا مشتركا تؤدى بافريقيا الى تنظيم انطلاقاتها الثورية وكفاحها من اجل مجتمع أفضل والى العيش في مستوى التطور التاريخي السريع الذى تجتاحه البشرية اليوم . وفي مستوى مطالب الشعوب الافريقية الثائرة .

لقد صنع وزراء خارجية دول ميثاق الدار البيضاء اداة العمل من اجل افريقيا المتحررة وفتحوا صفحة جديدة في تاريخ افريقيا ، ولم يخلقوا هذه الادوات المنظمة الجيدة المتحركة لانفسهم ولشعوبهم ، وانما فسحوا فيها المجال لكل دولة أخرى تجد حكامها في انفسهم الوازع الافريقي والضمير الوطني .

واذا كان المؤتمر عقد في جو اقليمي وعالمي مليء بالاخطار والمآسي بالنسبة للحرية والسلم العالمي . فانه قد اضاف الى عمله التنظيمي عملا آخر وهو تحديد موقف الجانب المتحرر في افريقيا من تلك المشاكل الافريقية أو الدولية واتخذ بشأنها قرارات سلكت طريقها نحو التنفيذ .

وعواطفه الحية المبادلة ، وكانت حملة السويس (1956) احدى المناسبات العابره التي عبرت فيها هذه الوحدة الشعورية الوجدانية عن وجودها الحي المليء بالامكانيات الخلاقة المبدعة والفاعليات الايجابية الخبرة . وكان هناك غير حملة السويس من المواطن التي ساهمت — بحق — في تعميق الوعي الوحدوي بين سوريا ومصر ، واعانت على ابراز واقعية هذا الوعي وتاصيل المعاني القومية الرفيعة التي ينطوي عليها تاصيلا جذريا بعد الاثر والمفعول ، ومن بين هذه المواطن :

1) مشكله قطاع غزه — فقد انطبع موقف سوريا اوائل سنه 1957 من المشكلة الناجمة عن استمرار احتلال اسرائيل لهذا القطاع بعد جلائها عن سيناء — بطابع الصلب الذى يجب ان يوجهه الضمير القومي العربي بالنسبة لمثل هذه القضيه وما شاكلها . وقد استمسكت حكومة دمشق آنئذ — مؤيدة من طرف الراى العام السوري — بمبدا عدم السماح بمرور الرىء على التراب الوطني لسوريا الا في حالة ما اذا تم ارغام القوات الاسرائيليه القارية على الخروج عن منطقه غزه بدون سابق اشتراط ، ولم ينعم اوربا — فعلا — بالرىء العربي عبر سوريا الا بعد ان تقرر اخلاء المنطقة نهائيا ، وعودتها الى الادارة المصرية واضحى ذلك غير ذى موضوع او مناقشة .

2) مشكله التدخل الامريكي في الشرق الاوسط (1957) فقد اتخذ هذا التدخل — بعد اخفاق حملة السويس — اشكالا جديده ومباشرة تجلى البعض منها في مذهب الرئيس ايزنهاور لملء الفراغ الناشيء عن انهيار النفوذ الفرنسي الانجليزى بالمنطقة . وتمثل البعض الآخر في عروض التصالح العربي الاسرائيلي ومشاريع التقسيمات المائية الفلسطينية والتعاون المتبادل بين العرب واسرائيل وغير ذلك من المقترحات الامريكية للعرب . كما تكشف صنف ثالث من هذه التدخلات في صور اخرى غير هذه اكثر دقة والتواء .

والواقع ان السياسه الامريكية — في هذا المجال — كانت تقوم على اساس من الافتراضات التي اثبتت الوقائع — فيما بعد — مدى ما تنطوى عليه من اخطاء واغلاط . ومن بين هذه الافتراضات : الاعتقاد بان الوجود العربي في الشرق الاوسط ليس في مستوى يؤهله لمواجهه التحديات الخارجية التى تتعرض لها المنطقه باستمرار . استنادا الى الرغم بان هذا الوجود لا يشكل في صميمه مظهر قوة دوليه موحده وفعاله لها كبير وزن واعتبار ، وانما هو فقط كنايه عن «تراكم» قوات جماهيريه غير واعيه ولا منضبطه من السهل التاثير على وجهة سيرها والهيمنه على مقدراتها السياسية والدولية بطريق التدخل المباشر او غير المباشر وقد كان من الجائز ان تستنفد هذا التدخل — فعلا — بعض اهدافه ومراميه لو لم يصطدم بالواقع الشعبي والحكومي العربي ممثلا في سوريا ومصر وما كان يمثله تعاونهما من قوة دولية متينة ، فقد امكن للقطرين العربيين — بالرغم من تباين بعض الظروف الدولية المحيطة بهما — امكنهما ان يلزما امام الامتداد الامريكي الجديد — نهجا مسلكيا موحدا لم تستطع معه جميع الاشكال التي تبلور فيها هذا الامتداد من استنفاذ المقاصد العامة المتوخاة منها ، فلم يكن هناك امام مذهب الرئيس ايزنهاور اى مجال لترويض القوميه العربيه على انتهاج سبيل التبعيه والالتزام . وارتد المشروع فعلا امام وعي القاعده الشعبية العربيه وتصميمها على الوفاء لمبدا الحياد الايجابي واصرارها على تاكيد الذاتية العربيه كاقوى عامل سياسي واجتماعي قومي في منطقة الشرق الاوسط ، وكان لسوريا ومصر — حكومه وشعبا — اكبر الاثر في ابراز هذه الحقيقة التاريخيه القويه وتاكيد الجوانب السياسيه والقانونية والنفسانية التى تنطوى عليها تاكيدا قويا مطلقا .

وكما كان لهذه الوحده التلقائيه الضمنية رصيد ضخم من وعي الشعب العربي يستمد منه قدرتها على النمو والثبات والاستمرار ، ويؤمن به وجودها بكل ما له من فاعليه وحيويه وتاثير . فقد كان لها ايضا — على الصعيد الرسمي الحكومي — مظهر بارز تمثل في ميثاق التضامن العربي والقياده العسكرية العربيه الموحدة التي كانت تضم — الى جانب الاردن والسعودية — كلا من سوريا ومصر .

لقد كان هذا الميثاق — في الواقع — مجرد اداة لتحقيق بعض الارتباط وتامين نوع من التساند والتعاون بين الدول المنخرطة فيه . ولم يكن يشكل — حتما — مظهر وحدة حقيقية جذريه توازي مستوى الوعي الجماهيرى في هذا الميدان . الا انه — مع ذلك — كان خطوه مرحلية هامة في طريق الانسجام مع هذا الوعي وتكريس وجوده ، وابراز بعض ماله من فاعليه وتاثير وقد استطاع ميثاق التضامن هذا — بعد ان

الجمهورية العربية المتحدة بعد ثلاث سنوات

للاستاذ الهمين الرجيلي

ان قيام الجمهورية العربية المتحدة لم يكن فقط اساسا لوقوع تعديل جديد على وجه الخريطة السياسية لمنطقة الشرق الاوسط ، لا ولم يكن مجرد تعبير عددي للوحدات الدولية الكثيرة التي تملأ حيز هذه المنطقة ، لقد كان بدء انطلاقه كبرى في السبيل الواضح الذي تختطه المجتمعات اليقظة لنفسها عندما تريد التحرر من اسار القيود الفكرية والعقد النفسية التي تحول بينها وبين التطور ، لقد كان وثبة هائلة في طريق التحرر والتقدم والتجديد ، وطفرة سريعة في مجال التغلب على التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه البعث العربي الحديث ، وكان — بالنتيجة لذلك — اسهاما ايجابيا في تقويم الفرد العربي وصقل انسانيته وتاصيل وجوده وتنظيم نشاطه وملكاته وقيادته الى سبيل الثورة الخلاقة المبدعة من اجل الحياة ومن اجل القوة ومن اجل النمو والتطـور .

فــي مطلع سنة 1958 — اي منذ ثلاث سنوات فقط — كانت الجمهورية السورية لاتزال تشكـل — في محيط الحياة الدولية — كيانا سياسيا متميـزا لــه شخصيته الثابتة المستقلة ، وذاتيته الخاصة المتفرده . وكانت مصر — هي الاخرى — لم تعد بعد — كما هـي الآن — مجرد اقليم عار عن كل صبغة دولية خاصة ؛ كان الدولتان متمايزين عن بعضهما البعض تمايـزا واضحـا سواء فيمـا يتصل بطبيعة نظـام الحكم او واقع الحياة السياسية الداخلية او صبغة الظـروف الدولية القائمة ، ولكن القطرين كانا — مع ذلك — على درجة قصوى من التقـارب في المقاصـد والغايـات ، والتداني في المشاعر والعواطف والترابط في المصالـح والمنافع ، وذلك الى حـد كان يوحـي بانهما يشكلان بالفعل وحدة ضمنية غير مباشرة تختط لهما القـدر في ظلالها ذات الاتجاه وتحدد لكليهما نفس المصيـر . والواقع ان هذه الامكانيات الوحدوية التي كانت تتوافر بين البلدين لم تكن فقط وليدة التوافق والتلاقي حول بعض الخطوط المصلحية العابرة او البوادر الانتهازيـه العارضه كما انها لم تكن ايضا ناشئة عن نوع معين من الاحـلاف والمعـاهـدات تنتهـي بانتهـاء مرامـيهـا واغراضها كما هو الشان بالقياس لكثير من الحـالات الدولية من هذا القبيل ، ان الامكانيات التوحيدية بين مصر وسوريا كانت — في جوهر الامـر — امتن اصولا واعمق جذورا من كل ذلك ، لانها تتصل في جوهرهـا باعمق مواطن الشعور والاحساس عند الجماهير والكتل الشعبية في كلا البلدين ، ولانها كانت — وعلى امتـداد الحقب والقرون — من اقـوى العوامـل السياسيـة والاجتماعية والنفسانية التي ساهمت — حقيقة — في تحديد مصير الاشخاص والدول بمجموع بلاد الشرق العربي واثرت تاثيرا عميقا في وجهـة سير الاحـداث والتيارات التاريخية بالمنطقـة .

وعلى هذا فيكون من المعقول جدا تقدير هــذه الامكانيات على حقيقتها واعتبارها لا على اساس انهـا تمثل مجرد ظواهر سياسية دوليه قصيرة الاهداف ، محدودة المدى ، بل على انها تشكـل قاعـدة حقيقيه لوحدة طبيعية حتمية لم تكن لتعاقب الايام والاحداث الا ان يساهم في تمديـد ابعادها وتعميـق جذورهـا وتاصيل مدلولاتها الفلسفية والعملية ، لانهـا كـانت — قبل ان تتخذ شكلها الرسمي الدستوري — وحـده شعبية جماهيرية نابعـة من ضمير الشعب العربي في القطرين ، ومكرسـة لارادته الكاسحة ، واتجاهه الواعي ،

— بالنسبة للرأي العام السوري — نعني المغامرة غير الواعية ، لقد دلت الوقائع التي تشكل حياة سوريا الداخلية فيما بين سنة 1949 و 1954 على ان مفهوم الوحدة عند الجماهير في الاقليم الشمالي الحالي كان يرتبط دائما بمعاني التقدم والتحرر والانطلاق ، وهذا ما يفسر المعارضات الشديدة التي كانت تصطدم بها بعض المشاريع التوحيدية ، تلك التي كان يباركها الوضع الموءود في العراق على الرغم مما كانت تحظى به من تأييد ومساندة من بعض التشكلات السياسية في دمشق ، وقد كان القوتلي — وهو في منفاه القسري بمصر — الروح المناوئة لهذه المشاريع ، ولم تكن مناوأته تلك مجرد انعكاس لنوع من الاتجاهات الفردية او الحزبية المعينة ، وانما كانت — في الواقع — مظهر انسجام حقيقي مع الروح التي كانت تسود الجماهير السورية على العموم والتي كانت تحدو هذه الجماهير الى العزوف عن كافة اشكال الوحدة المشبوهة والمشوهة كمشروع الهلال الخصيب والوطن القومي السوري وغير ذلك . ولا جرم ان المعارضة التي كانت تجابهها هذه المشاريع تؤول في اغلب الاحوال الى الاعتقاد بوجود بعض الصلة بينها وبين المصالح الغربية الدائمة في الشرق الاوسط . ومما كان يؤكد هذا الاعتقاد ما كان يلاحظ على بريطانيا من ميل شديد الى مظاهرة مشاريع الوحدة السورية على هذا الاساس . وتعزيز مطلق للجهات التي تعمل لحساب هذه الوحدة ، وتجد في العمل على تحقيقها . ولهذا كان من الطبيعي ان يحمل الرأي العام السوري مشاعر الارتياب والاشتباه في هذه المشاريع . ويقوده ذلك — بالطبع — الى التزام قسط كبير من السلبية والبرودة ازاء الدعوات المكررة اليها والبوادر المتخذة في سبيل تحقيقها ، بل واللجوء الى مناوئتها — بصورة مباشرة وعلى نطاق واسع جدا في بعض الحالات . على ان هذه السلبية المطلقة التي كان يتسم بها موقف الشعب السوري من مشاريع الوحدة « الهلالية » لم تحل دون استرسال العمل الدعائي المنظم الذي كانت تتبناه بعض الاحزاب السورية في سبيل الدفاع عن هذه المشاريع .

واجتذاب الجماهير الى مظاهرها بجميع الطرق والوسائل ، وفي اعقاب حرب فلسطين وما خلفته في سوريا من صدمات سياسية وسيكولوجية — اصبح النشاط الدعائي للوحدة السورية اوسع نطاقا من ذي قبل ، واكثر اتصالا بحياة الجماهير واهتماماتها ، واشد ملاءمة للظروف القاسية التي كانت تجتازها هذه الجماهير ، وغدا اسلوب الدعوة حينئذ يعتمد على اسس نفسانية ملائمة كالتخويف الجماعي من غموض المستقبل ، والتلويح بالاخطار الجاثمة على الحدود الاسرائيلية والتلويح بالوحدة (كيفما اتفق) كأساس للتخلص من خطورة هذه الامكانيات والاحتمالات . وكان العهد الانقلابي الثاني الذي قاده الزعيم سامي الحناوي في سوريا (1949) مجالا رحبا لتركيز الدعوة في مشاريع الوحدة المعروضة على هذا الاساس . وضمان التأييد الشعبي لمضمونها ونتائجها ، وقد جهدت الحكومة الانتقالية في ذلك الحين في تهيئة الرأي العام السوري الى تقبل مبدأ الوحدة على أي اساس ممكن ، وذلك لانقاذ سوريا من اخطار الاكتساح الاسرائيلي ومساعدتها على التخلص من الازمة الاقتصادية التي كانت ترين عليها ، لكن تصميم الجماهير كان في اساس العوامل التي حالت دون ذلك واقصت التعقيدات السياسية التي خلفتها تلك المحاولات الى اقبار ذلك العهد برمته .

وعلى الرغم مما كان يبدو به العهد الانقلابي الرابع بسوريا (عهد الشيشكلي الاخير) من ميل ظاهري الى التضامن العربي وعطف سطحي على مبادئ القومية العربية المتحررة فان هذا العهد لم يستطع — مع ذلك — الصمود امام المعارضة الشعبية العارمة التي ما فتئت تواجهه باستمرار ، والتي افضت — في المحط الاخير — الى الاعفاء عليه وابادته بصورة نهائية وحاسمة ، وذلك لان وجوده لم يكن يستجيب للاماني العربية الحقيقية في سوريا ، ولم يكن يبدو — كما يجب ان يكون — سبيلا واضحا للوحدة المنشودة ، كما ان القائمين عليه كانوا على درجة من الجموح في الفردية والشخصنة لا تتفق والتفكير التعاوني الجماعي الفعال الذي تنهض عليه المبادئ الوحدوية العربية .

وهكذا توالت الاحداث ، وكان من المعقول ان تقضي الزعازع السياسية العسكرية التي انتابت دمشق الى نهايتها ، فاصبح في امكان الشعب السوري ان يسترد حريته في الاختيار السياسي داخليا وخارجيا ، وغدا من الميسور له حينذاك ان يتخذ سبيله الى الاتجاه الذي يتلاءم مع طبيعة تفكيره القومي العربي ، وينسجم مع وجهته التاريخية الحتمية ،

اصبح يقوم على اساس التعاون بين مصر وسوريا خاصة . وبعد ان غادره عمليا كل من السعودية والاردن – استطاع هذا الميثاق حينئذ ان يصمد طويلا امام مختلف التيارات الدولية والاقليمية . ولم يكن للاسطول الامريكي السادس في ربيع 1957 ان يضعف من فعاليته وقوته . او ينال من تماسك الوحدة التي كانت تربط بمقتضاه بين القاهرة ودمشق ، ولهذا فقد كان طبيعيا ان يصبح اهتمام الغرب في منطقة الشرق الاوسط مركزا حول هذا الميثاق ومنصبا على محاولة تدميره ونسف قواعده كليا او جزئيا ، حتى يكون ذلك سبيلا الى الاخذ بزمام المبادرة في المنطقة ، وتحديد التيارات القومية العنيفة التي تصطرع في محيطها ، وتم على هذا الاساس تخطيط الاستراتيجية السياسية والدبلوماسية التي كانت تستهدف في اساسها عزل مصر دوليا واقليميا . وبالتالي عزل سوريا على نفس الصعيد الدولي والجهوي . وقد كان يبدو في اواخر ربيع سنة 1957 ان استراتيجية العزل قد استوفت – في الواقع – كثيرا من شروطها ، واصبحت نتائجها في بعض الجوانب حقيقية وواقعية ، وقد تضخمت هذه الفكرة بالفعل وتجسمت مدلولاتها في اعين الكثير من المراقبين حيث صار من الميسر الاعتماد عليها في تقدير بعض الآفاق الدولية العامة في منطقة الشرق الاوسط ، ولم تحجم ساعتها جريدة «التايمس» عن التأكيد بان «الصدمات» التي احسها العرب نتيجة الاقدام على تاميم القناة ونشوب معركتي سيناء وبورسعيد – هذه الصدمات هي التي كانت اساسا لانعزال مصر عن المحيط العربي وبالتالي نجاح الحصار السياسي والاقتصادي المضروب حولها من جانب العالم الغربي ....

وكان من المحتوم ان تمتد استراتيجية العزل – بعد ذلك – ليتم لها تطويق الجزء الآخر من عالم ميثاق التضامن العربي (سوريا) . وكان التكتيك هذه المرة ذا شعبتين اساسيتين : العزل ثم الامتصاص .

والفى السوريون انفسهم – على هذا الاساس – في بؤرة حرب سيكولوجية دولية محددة الاهداف والمرامي . واتخذت هذه الحرب صبغة اكثر حدة غداة رحلة المستر هندرسون الى الشرق الاوسط وتأزم الوضع العسكري على كثير من النقط الهامة بالحدود السورية الاسرائيلية والعراقية . وعلى الرغم من الانفراج الجزئي الذي اعقب كل ذلك اواخر سنة 1957 واوائل سنة 1958 فان الامكانيات الانفجارية المنبثقة عن تلك الفترة الدقيقة من الحرب الباردة لم تكن بعد قد فقدت كل فعالياتها واحتمالاتها المفاجئة المهولة .

في هذا الجو المثقل بالنذر والارهاصات كان انبلاج فجر الجمهورية العربية المتحدة ، فبعد ما افضت مخابرات الوحدة بين القطرين السوري والمصري الى نهايتها الطبيعية والمحتومة ، وبعد ان تم تذليل كافة العوائق المفتعلة التي كانت تقوم حائلا دون قيام هذه الوحدة اعلن في اليوم الاول من فبراير 1958 اندماج سوريا ومصر في جمهورية عربية متحدة ذات كيان دولي متميز وشخصية قانونية متفردة ، فكان ذلك ايذانا بانفتاح آفاق جديدة في حياة الامة العربية الحديثة ، واستجابة طبيعية لاعمق احاسيس هذه الامة ومشاعرها وانسجاما معقولا مع مسار التاريخ وتطوره . وقد يتساءل البعض : هل كان هناك من صلات وروابط بين التطورات الدولية التي شهدها الشرق الاوسط في اعقاب حملة السويس (1957) وبين قيام الجمهورية العربية المتحدة ؟ هل من الممكن ان تكون للاجواء التي تمت فيها هذه التطورات اثر في فسح المجال لقيام هذه الجمهورية ؟ هل كانت الوحدة اذن نتيجة حتمية للظروف الخارجية التي كانت تحيط بكلا القطرين الموحدين ؟ .

اننا في الواقع لا نستطيع ان نجد في الظروف والاحداث تأثيرا جوهريا في الامر ، فقد كان هناك – كما قدمنا – من الدواعي النفسية والعقلية والتاريخية ما كان يجعل من الوحدة السورية المصرية امرا طبيعيا ومحتوما ويبررها كضرورة دولية ملحة يحتمها التسلسل المنطقي التاريخي وتفرض وقوعها طبيعة الفكر القومي العربي الحديث ، واذا ما استقرينا ظواهر تاريخ الحركة التوحيدية العربية الحديثة – وخاصة خلال الحقبة الاخيرة التي نعيشها – امكننا ان نستخلص كثيرا من الاستنتاجات الهامة التي لها صلة بهذا المقام والتي تؤكد – بحق – راديكالية العناصر النفسانية والفكرية التي ادت الى قيام الوحدة الحالية :

لقد ارتبط تاريخ سوريا الحديث – وخاصة بعد مأساة فلسطين – بمشاريع الوحدة والاتحاد في اشكالها ودرجاتها المختلفة ولكن الوحدة – مع ذلك – لم تكن

المصالح المتبادلة ـ الاهداف الموحدة ـ هذا بالاضافة الى العناصر التوحيدية الاخرى من لغة مستعمله ودين متبع ونظام سياسي متشابه وصلات تاريخية مكنته الى غير ذلك .

4) عمق استمداداته التاريخيه ، فلم يكن منبعثا عن شعور آني وعابر ، ولم يكن وليد عاطفة او احساس سطحي موقوت بل انه كان منتهى لماض تاريخي طويل توجد فصوله مترعة بالمشترك من الآلام ، والمتبادل من المشاعر والذكريات علاوة على ما تضمه من روائع التضحيات وكرائم الضحايا في سبيل انجاز هذه هذه الوحدة وتحقيق وجودها .

فاذا كان هناك اذن من المراقبين الغربيين ما يبدي عليهم من اندهاش لسرعة قيام الجمهورية العربية المتحده واستغراب من متانة القاعدة الشعبية التي تنهض عليها فمأتى ذلك ضحالة المعين الذي يستقون منه معرفتهم لطبيعة التفكير القومي العربي والامكانات الوافرة التي ستوعبها مجالـه ، هذه الامكانات التي لما تزل حيه نامية في الذهنية العربية وفي واقع الحياة عند سواد الشعب العربي

(يتبع)



وبذلك امكن للتيار الشعبي في سوريا – اذ ذاك – الذي كان قد اطاح بمشاريع الوحدة في صورها الماضية ان يسهم بشكل اساسي سنة 1958 في انجاز الوحدة مع الدولة المصرية وفي اطار الجمهورية العربية المتحدة . وهكذا تمت الوحدة بين البلدين العربيين في جو من الاجماع الشعبي يندر ان يوجد له معادل او مماثل . اذ ان الشريك كان في هذه المرة بلدا متحررا من القيود التي يمكن ان تحد من قدرته على اداء الرسالة العربية الخالدة او تحول بينه وبين مقاومة التيارات المختلفة التي تستهدف تحريف هذه الرسالة . والنيل من سلامتها ومثالياتها الانسانية الرفيعة . وبذلك جاز – باقصى ما يمكن من السهولة واليسر – تحقيق الاندماج الفعلي بين سوريا ومصر حيث غدا كل منهما يمثل طرفا لا يتجزأ من كيان موحد هو الكيان الماثل في نظام الوحدة المصرية السورية . انه من الميسور لنا – على ضوء هذا الاستعراض الموجز – ان نخلص الى تكوين الاستنتاجات الآتية :

1) كان مبدأ الوحدة – ولو على اساس اندماجي – مبدأ رئيسيا في ذهنية الجماهير العربية بالاقليم الشمالي الحالي وحقيقة اساسية من حقائق التطور التاريخي للفكرة القومية بهذا الاقليم .

2) كان التفكير التوحيدي عند هذه الجماهير تفكيرا واعيا ومستمرا وهادفا .

3) لم يكن للظروف تأثير هام في خلق هذا التفكير او تحقيق نتائجه . وعلى افتراض فعاليتها فانها – مع ذلك – لم تكن عوامل اساسية خلاقة ؛ بل انها كانت فقط – اذا قدرنا لها اعتبارها – عوامل حافزة ومعجلة ساعدت على الاسراع بقيام نظام الوحدة المصرية السورية دون ان تكون اساسا جوهريا في ذلك .

4) لم يكن الاعلان عن قيام الوحدة بين مصر وسوريا – بالصورة التي تم عليها تخطيط هذه الوحدة – لم يكن ذلك – في واقع الامر – الا مجرد نتيجة منطقية لطبيعة العلائق التي كانت تصل دائما بين الشعبين الشقيقين . وتسهم – فعليا – في التقريب بينهما وتوحدهما على صعيد التفكير والاتجاه والوسائل والغايات وتحدد وجهتهما الدائمة ومصيرهما الازلي عبر الاجيال والقرون .

وعلى كل فان قيام هذا التنظيم التوحيدي العربي كان له من الآثار والانعكاسات ما يذهب به بعيدا في الاهمية والخطورة فقد كان الحادث في جوهره وملابساته ونتائجه سابقة عربية معاصرة لم يتح للعروبيين مثلها منذ احقاب بعيدة وقد كانت تمت بالفعل – من قبل – بعض اشكال من الوحدة بين العرب على اسس ثنائية او جماعية او شبه جماعية ؛ الا ان الشكل الذي تمت به الوحدة بين مصر وسوريا يبقى مع ذلك منفردا بميزات اساسية تتيح له من الاهمية والاعتبار ما لم يكن يتوافر للاطوار التوحيدية السابقة . ومن هذه الميزات :

1) سلامة قواعده : فقد كان تلقائيا وجماعيا ولم يكن يستمد وجوده من عناصر قسرية او قهرية سواء من هذا الجانب او ذاك .

2) طبيعة تكوينه – فقد نهض – ولو مبدئيا – على احسن ما تنهض عليه المبادرات التوحيدية من تمازج وانصهار والتحام واذا كانت مظاهر الامتزاج النهائية لم تتم بعد فذلك لا يعني وجود مراجعات مبدئية او اساسية (لان نقطة الانطلاق الاولى كانت شعبية كاسحة ولم تكن مفتعلة ولا مختلقة) وانما ذلك ناشئ عن نوع الجهد الذي تقتضيه اكتساح مخلفات انفصالية متسربة دامت احقابا بالرغم من انها لم تكن طبيعية ولا عادية . ولا شك ان الجهاز التنظيمي للوحدة الحالية كفيل بتحقيق القضاء على هذه المخلفات والرواسب واتمام التشكل النهائي للدولة الموحدة في اكثر مظاهره قوة ومتانة وكمالا .

كل هذا بالاضافة الى بعض المزايا الاخرى التي ربما لا ينفرد بها نظام الوحدة السوري المصري عن غيره من البوادر التوحيدية التي عرفها العالم العربي في فترات تاريخية مختلفة ، ولكنها – مع ذلك – تبدو في هذا النظام اشد وضوحا وبروزا واكثر فاعلية وتاثيرا ؛ ومن بين هذه المزايا :

3) قوة تماسكه . وليس له – في الواقع – الا ان يكون متماسكا . لان هناك من القواعد والاصول التي ينبني عليها ما يكفل له اكبر نصيب من الحصانة المنيعة على عوامل البلى والانقراض . ومن اهم هذه الاصول : الوحدة الشعورية – الرغبة المشتركة –

وحفظ هذه الدفاتر هنا معناه القيام بها والاعتناء بشأنها وتهيئة ما يقرأ منها ، وهذا ما صار يطلق بعد على القائم به محافظ او قيم وما اشبه ذلك ، على اننا قد وجدنا ما هو اصرح فى الموضوع من اعتناء معاوية بالتاليف لخزانته مما يبعث على القول باعتبار معاويه احد المؤسسين الاولين للخزانة العلمية فى الاسلام .

ورد فى (الاصابة) للحافظ ابن حجر من القسم الثالث ص 101 رقم 6.395 عند ذكر عبيد بن سرية عن الرشاطي ان معاوية كان مستسرفا لاخبار حمير فقال له عمر بن العاص اين انت عن عبيد بن شرية فانه اعلم من بقى باخبارهم وانسابهم فكتب اليه ياخذ منه الاخبار فالفها كتابا — وفى (الفهرست) لابن النديم ص 132 طبع مصر : عبيد بن شرية الجرهمي فى زمان معاوية وادرك النبي (ص) ولم يسمع منه شيئا ووفد على معاوية بن ابي سفيان فسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الالسنة وامر افتراق الناس فى البلاد وكان استحضره من صنعاء اليمن فاجابه الى ما امر . فامر معاوية ان يدون وينسب الى عبيد بن شرية وعاش عبيد بن سرية الى ايام عبد الملك بن مروان وله من الكتب كتاب الامثال . كتاب الملوك واخبار الماضي . وفى نفس الصفحة ذكر ابن النديم . صحار بن العباس العبدى احد النسابين والخطباء ايام معاويه قال ابن النديم : وله من الكتب كتاب الامثال . . . الخ .

والاستاذ هذا كثير فى العصور الاولى للاسلام على ان كتاب اخبار عبيد بن سرية قد اشتهر ونشر تحت عنوان : اخبار عبيد بن سرية فى اخبار اليمن واشعارها. قام بنشره الاستاذ الالماني (كرونيكو) وطبع مع كتاب التيجان وملوك حمير (راجع عدد 93 من السنة الثالثة من مجلة الرسالة التى كانت تصدر بالقاهرة وراجع كتاب الاعلام للاستاذ الكبير خير الدين الزركلي عند ترجمة عبيد بن سرية ص 341 من الجزء الرابع) .

وقال الاستاذ محمد كرد على فى مقال له فى الموضوع ان تدوين معاويه روايات عبيد دليل بان التدوين حدث منذ القرن الاول ، وقد ذكروا انزيدا بن ثابت الف كتابا فى الفرائض وان عبد الله بن عمر كان يكتب الحديث .

لست اريد فى هذه العجالة ان اعرض لمسألة التدوين فى الاسلام على اختلاف موضوعاتها وتطور ذلك التدوين حسب طبيعة الكون ، فان هذا يحتاج الى دراسة عميقة وبحث يستدعي فصولا مع تعين مراجعة كثير من الوثائق والمستندات مما لست بصدده الآن ، وانما الذى اقوله واعتمده ان فكرة تاسيس الخزائن العلمية كانت موجودة منذ القرن الاول ، وما قضية معاوية وانسباهها الا رمزا لتلك الفكره ودليلا واضحا على انبعاثها ومع كل هذه العناصر فلم يخطر بالبال كما قلت سابقا ان الخزانة بمعناها النظامي العام كان موجودا فى نفس الفترة عند المسلمين وحتى ان وجد فلا غرابة فيه ، لا باعتبار ما يدعو اليه الاسلام من بث العلم والحكمة على اختلاف الصور والمظاهر ، ولا باعتبار ما وجده المسلمون فى البلاد التي شملتها دعوتهم . واى مانع يمنع الخلفاء والامراء الاولين من اقتباس ما وجده صالحا عند الامم قبلهم ، ونخشى ان يخرج بنا الموضوع الى الحديث عن الخزائن العلمية ايام الرومان وفارس وهما الدولتان العريقتان فى الحضارة وقد اقتبس العرب من حضارتهما الشيء الكثير .

بعد تقرير هذا كله ، يظهر ان لا مخالفة بيني وبين الاستاذ مبدئيا فى وجود فكرة الخزانة فى العصور الاولى ، ولسنا نعتبر مدلول الخزانة محصورا فى كتب العلوم الاسلامية الصرف من تفسير وحديث حتى يرد علينا ما ذكروه ، ان اول من اعتنى بالتدوين فيها ابن جريج المتوفى عام150 ه وهنا احيل جناب الاستاذ على مراجعة شروح الصحيح عند قول البخاري فى ترجمة باب كيف يقبض العلم .. وكتب عمر بن عبد العزيز الى ابى بكر بن حزم . انظر ما كان من حديث رسول الله (ص) فاكتبه ، وقد استفادوا منه ابتداء تدوين الحديث على راس المائة الاولى حيث خافوا ذهاب العلم بموت العلماء ، وان حزم المكتوب له هو ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصاري الخزرجي ، ولاه عمر بن عبدالعزيز المدينة وكتب اليه انيكتب له منعند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بنمحمد وسئل ولده عبد الله عن تلك الكتب فقال : ضاعت . وكانت وفاته سنة مائة كما قال خليفة بن خياط وقيل فى وفاته غير ذلك (انظر تهذيب التهذيب) . وعلى ايحال فقد وجد تدوين الحديث على رأس المائة الاولى على ان الذى اطلعت عليه فى عباراتهم بالنسبة الى ابن جريج هو الاولية المقيدة ببلد او قطر خاص او مشاركة مع غيره فى هذه الاولية ، يقول الحافظ ابن حجر فى كتابه تهذيب التهذيب ص 404 من الجزء السادس طبع

معرض الكتب

حول كتاب الخزانة العلمية بالمغرب

تعقيب للمؤلف الأستاذ : محمد العابد الفاسي

في العدد الرابع من مجلة دعوة الحق الغيجاء الصادرة بتاريخ يناير قرأت مقالا للاستاذ المحترم ابي محمد الجراري تحت عنوان : على هامش كتاب الخزانة العلمية بالمغرب ، ينتقد فيه بعض فقرات وردت في البحث الذي نشرته بمناسبة الاحتفال بمرور احد عشر قرنا على تأسيس جامعة القرويين ، واني اشكر للاستاذ الصديق غيرته وادبه ونقده العلمي النزيه ، والنقد العلمي مهما كان مبنيا على النزاهة وصدق القول الا وكان اثره بعيدا وقويا في نهضة الفكر ووضوح الحقائق ؛ ولما كانت بعض نقط النقد ارى فيها رأيا يخالف رأي الاستاذ في بعض الاحيان وربما كانت النتيجة اخيرا حصول اتفاق حول المبدا ، رأيت من انبه على بعض ما ورد في مقال الاستاذ مما يحتاج الى مزيد من التحقيق

اولا : ذكر الاستاذ — رعاه الله — تعقيبا على ما نقلته في موضوع النواة الاولى في الخزانة العلمية الاسلامية : ان معاوية بن ابي سفيان كانت له مكتبة بالشام ولها خدمة واعوان يعاونون على احضارها له وقراءتها عليه — ان الذي تعطيه ظروف الاسلام الاولى وحداثتها المبكرة التي لم تكن تستعمل بسوى بيته في الصدور — ان الاعتماد لم يكن على غير ما ذكر وان زمان معاوية يعد عصيا في هذا الباب لم تفرغ فيه تمس التأليف بالمعنى الواسع . ثم قال نتيجة لما ارتاه « فالذي اراه في الموضوع ان المكتبة التي كانت لمعاوية بالشام لها قيمون واعوان انما هي الدفاتر المحتوية على سير الملوك واخبارها والحروب والمكائد» ثم قال « والظن ان هذا لا يستدعي مكتبة لها مالها من القيمين والاعوان الا اذا اضيف لها دواوين من قبله من الخلفاء او ان المكتبة كانت تضم فيما تضم دفاتر مجلدات الخزائن الرومانية والفارسية » .

ونحن نستسمح سيادته في الجواب ونقول : اننا لم ندع في لحظة من اللحظات ان المكتبة بالمعنى المعروف عند الامم اليوم كانت موجودة في عصر اوائل الاسلام بكل ما تحمله مدلول المكتبة في عصرنا هذا او في العصور الموسطة وكل ما ارتأيناه في البحث ان النواة الاولى للخزانة فكر فيها المسلمون في سائر عصورهم وان طبيعة الاسلام من نشر المعرفة والعلم يلائم هذا التفكير سيما وقد وجدنا في النصوص القديمة ما يؤيدنا في هذا الاتجاه كما ياتي .

واظن ان الاستاذ قرأ فيما قرا من البحث قولي صفحة 4 : وبمقتضى هذا الصراع العلمي والنشاط الفكري تكونت بكل مسجد او مدرسة كبرى النواة الاولى لفكرة الخزانة او المكتبة . وفي نفس الصفحة قلت ايضا : ومن اغرب ما قرأته في موضوع **اقدمية التفكير** في المكتبة في العصور الاولى الاسلامية ما قرأته في بحث منشور في مجلة المغرب وهنا ذكرت قصة معاوية التي تعرض لها جناب الاستاذ في انتقاده. وكيف ما فهمنا نص المسعودي وعلى اي احتمال من الاحتمالات التي ذكرها جناب الاستاذ في فهم مدلول الخزانة اذ ذاك فالمهم من البحث هو ان التفكير في وضعية الخزانة امر واقعي من معاوية وفي العصر نفسه ، سواء حوت الخزانة الدفاتر المحتوية على سير الملوك واخبارها والحروب والمكائد او اضيف لها دواوين من قبله من الخلفاء او ضمت فيما ضمته دفاتر من الخزائن الرومانية والفارسية ، كيفما كان الامر فمدلول واحد من مدلولات الخزانة وحتى في ابسط مظاهره امر محقق ، وقد اثبتت المصادر الموثوق بها ان الدفاتر التي فيها سير الملوك واخبارها كانت تحضر بين يدي معاوية ويقرا ذلك عليه غلمان له قد وكلوا بحفظها وقراءتها .

القرن الثامن الهجري فكان بيان نوع المختصر مما يتأكد توضيحه . الخ . لقد جعل الاستاذ مختصر ابن الحاجب في الاصول هو المتبادر من العبارة لعدم امكان قصد مختصر خليل تاريخيا ونحن قبل الحديث في الموضوع نورد العبارة بتمامها كما في اصل البحث لينصح التبادر المقصود ، يقول البحث تحت العنوان المتقدم وتمهيدا للحديث عن عصر الموحدين بنوع من المقاربة الموجزة ؟ : وفي هذه الحقبة من الزمان انتشرت دواوين الفقه وذاعت في الاوساط العلمية وامتلأت الخزانة بالمدونة وشروحها وكتاب النوادر والزيادات والمختصر لابن ابي زيد وغير ذلك من دواوين الفقه المالكي . هذا نص العبارة ، واظن انها واضحة وصريحة في تسمية الكتب الثلاثة الاخيرة لابن زيد القيرواني وان موضوع هذا المختصر في الفقه المالكي ، فلسنا نقصد هنا مختصر ابن الحاجب ولا غيره من المختصرات وحتى ان كان هناك شكل من التبادر فليكن موجها الى مختصر ابن الحاجب الفرعي الذي شرحه الشيخ خليل في كتابه التوضيح لا مختصره الاصلي ، على ان مختصر ابن الحاجب الفرعي لم يدخل المغرب الا في آخر السالفة ادخله الى بجاية اولا ومنها انتشر سائر بلاد المغرب العلامة ابو علي ناصر الدين المشدالي الزواوي وقد كان رجوعه الى المغرب من رحلته المشرقية حوالي سنة 670 وكانت وفاته سنة 731 . وارى هنا من المفيد ان اتكلم قليلا على مختصر ابن ابي زيد القيرواني الذي هو المتبادر والمقصود ويكاد يكون عبارة البحث صريحة فيه : في خزانة القرويين العامرة نسخة بخط اندلسي في رق الغزال تحت رقم 794 ل 40 تبلغ عدد اجزائها الموجودة احد عشر جزءا من التجزئة الاندلسية المعروفة ونص ما يوجد بظهر اول ورقة من الجزء الثاني منها : الجزء الثاني من كتاب اختصار المدونة والمختلطة باستيعاب المسائل واختصار اللفظ في طلب المعنى وطرح السؤال واسناد الاثار وكثير من الحجاج والتكرار مما عني بجمعه واختصاره ابو محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني ، ويرجع تاريخ احد اجزاء هذه النسخة الى شهر ذي القعدة اثنين وثلاثين وخمسمائة وكانت ملكا للفقيه ابي محمد عبد الواحد بن عبد الرحمن بن علي بن سمجون ، والعائلة السمجونية هذه هي مغربية الاصل نالت شهرة ذائعة في الاوساط العلمية بالاندلس ، ويوجد بالخزانة ايضا مجلد ضخم من هذا المختصر يعتبر مكملا للنقص الواقع في النسخة الاولى ، فمن شاء الاطلاع من الباحثين على الاجزاء المذكورة فليتفضل بزيارة لخزانة القرويين .

والمختصر هذا لابن ابي زيد مشهور ومتداول ومذكور في قائمة كتبه قال في الديباج في ترجمته : له كتاب النوادر والزيادات على المدونة مشهور ازيد من مائة جزء وكتاب مختصر المدونة مشهور ايضا وعلى كتابيه هذين المعول في الفقه .

خامسا : قال فضيلة الباحث : ووقع في صفحة 26 اثناء الكلام عن الحركة العلمية والثقافية ايام ابي عنان والاندية التي كانت تعقد . الخ . الذي اعرفه ان القضية وقعت بين يدي ابي سعيد جد ابي عنان وان الكل وجم بعد القاء ابي سعيد السؤال الا ما كان من ابي الوليد بن الاحمر وكان اصغر القوم الى ان قال جنابه والقضية تعرض لها الاديب ابو القاسم بن رضوان في كتابه السياسي كما اخبرني بذلك المؤرخ المرحوم محمد بن علي السلاوي ثم قال : والنقل الذي ساقه الاخ ليمنع من تعدد القضية وتواطئها على نفس الموضوع الواحد انما كان بالود لو يتمم الاخ الحكاية لتتبين القضية اكثر وتجلى التوافق لو كان .

هذا ملخص ما اشار اليه الاستاذ في بحثه والقضية واقعة من دون ريب ايام ابي عنان لا ايام جده ابي سعيد وننقل تتمة كلام ابن الاحمر الذي نقله عنه تلميذه يتبين الواقع . قال عقب ما نقلناه عنه في الاصل : ويتردد بينهم الكلام فيه فقال مجالس السلطان ابو زيان : اذا كانت الرحمة تاتي على حسب العصيان ادن يحشر المحسنون . قال الجادري : قال شيخنا (يعني ابن الاحمر) لو كنت حاضرا هناك لقلت مجاوبا له : اما اهل الطاعة ففرارهم عن الذنوب ونبذهم اياها بعراء الترك وادبارهم عن المعاصي واقبالهم على الطاعة هو الرحمة الكبرى والطائع باحسانه لايشبه العاصي باساءته ، لشتان ما بين المريدين يزيد بن مسلم والاغر بن حاتم وقد فضل الله تعالى الطائع على العاصي بقوله : «ام حسب الذين اجترحوا السيئات» الآية وقوله : «وما يستوي الاعمى والبصير» الآية . الى آيات كثيرة في هذا المعنى الى آخر كلام ابن الاحمر الذي نقله تلميذه الجادري كما اشرنا الى ذلك مرارا ، وقد قطعت جهيزة قول كل خطيب وسنت الحقيقة ناصعة وها هو ابن الاحمر يعلنها في صراحة ووضوح قائلا : لو كنت حاضرا هناك لقلت مجاوبا له . فلم يبق ريب في ان القضية وقعت ايام ابي عنان لا ايام ابي سعيد جده وسنعتمد ما قاله الجادري ونقله شيخه ، ولا نذهب الى غير ذلك حتى نطلع تتفضل على ما قاله

الهند . قال عبد الله بن احمد ، قلت لابي : من اول من صنف الكتاب ؟ قال : ابن جريج وابن ابي عروبة . وفي شرح الشيخ زكرياء لالفية العراقي الاصطلاحية ص 48 من الجزء الاول : اما اول من صنف مطلقا فابن جريج بمكة ومالك وابن ابي ذئب بالمدينة والاوزاعي بالشام .. الخ . ثم قال : وهؤلاء في عصر واحد فلا يدري ايهم سبق .

فهذه نصوص واضحة في ان ابن جريج لم يكن المدون الاول بصفة مطلقة . والموضوع قطعا لا يخرج عن دائرة الحديث وما اشبهه . ولا يشمل فنونا اخرى مما دون قبل هؤلاء . على انه قد اتضح من اقوال شراح الصحيح ان ابا بكر بن حزم قد سبق ابن جريج الى نوع من هذا التدوين . وهذا كله مجاراة لبحث الاستاذ والا فهو خارج عن موضوع البحث ولا يرتبط به الا قليلا وفي دائرة خاصة .

ثانيا : قال الاستاذ . ورد في صفحة 6 : في الوقت الذي اخذنا فيه نحن اهل البلاد الى الكسل والانزواء .. الخ عبارته . هنا يحتم علينا الواقع ان نتوافق مع جناب الباحث في جعل ذلك راجعا الى اهمال الجهود وفقدان التشجيع المادي والادبي . وصحيح جميع ما قلته في الموضوع ايها الاستاذ ، ولكن مع ذلك يجب على هذه الطائفة المثقفة الحاملة مشعل الحضارة الاسلامية ان لا تركن الى الجمود رغما عما تلاقيه من عراقيل في سبيل القيام باعمالها ورغما عن فقدان التنشيط ، والاهمال النهائي . يجب علينا ان نقدر هؤلاء المعرقلين في عقر بيوتهم ونفرض عليهم وجود هذه الحضارة والثقافة العربية حتى يتحققوا ان المغرب العربي المسلم لم يكن له وجود ولا يمكن ان يكون له وجود الا بهذه الحضارة المنبثقة عن روح الاسلام ولغة يعرب .

ثالثا : قال الاستاذ : جاء في صفحة 7 : والمسلمون الذين عرفوا بتحبيس الفرس وآلات الحرب في الجهاد لا نظن بهم انهم اهملوا تحبيس الكتب التي هي طريق المعرفة والارشاد .. الخ . هذه العبارة وردت في البحث تحت عنوان الخزانة ايام الفتح الاسلامي وعصر الادارسة . وقلت فيها ما يلي باللفظ : لا يمكننا ان ندعي ان عصر الفاتحين الاولين كان فارغا من فكرة تأسيس الخزائن العلمية بكيفية بسيطة جدا ، ربما تمثلت حتى في خصوص المصاحف وليس من المنطق ان يكون عصر الفتح الاسلامي بالمغرب وعصر الادارسة الذين عرفنا لهم اتصالات متينة مع الاندلس وكانت الهجرة بين القطرين متبادلة ومتتابعة والعلماء والرؤساء يردون على المغرب ايام المولى ادريس وفريق من القرطبيين يهاجرون نهائيا من الاندلس الى فاس ايام واقعة الربض ، وليس في الامكان في نظرنا والحالة هذه خلو تلك الجماعات المهاجرة من اهل العلم والمعرفة . الخ . وقلت ايضا في الموضوع وفي نفس الصفحة : ولا اعتقد ان امة تقدس القرآن وتتعبد الله بنسخه وتعداد نسخه .. ولا توجد ازاء هذا كله خزائن او رفوف مواضعه في نفس المساجد توضع عليها نسخ من المصحف الكريم الخ ؛ فمفهوم هذه الجمل واضح والقصد الذهاب الى استبعاد عدم وجود النواة الاولى للخزانة العلمية ايام الادارسة حتى في أبسط المظاهر ومن المعلوم ان عصر الفتح الاسلامي في المغرب يبتدئ من تاريخ 62 هجرية في ولاية عقبة بن نافع الثانية ويمتد عصر الادارسة الى اوائل القرن الرابع الهجري ، فاي مانع يمنع وجود هذه البذرة الاولى في تلك العصور التاسيسية .

وتاسيس الوحدة وحماية البيضة لايمكن ان يكونا عرقلة في سبيل تحبيس نسخ من القرآن الكريم . واننا نكتفي بامثال هذا في مدلول الخزانة في اطوارها الاولى ولا نتطلب اكثر منه ، اما اذا التفتنا الى عصر الادارسة بالخصوص واعتبرنا تلك الحقبة للدولة الاولى لهم وهي مدة ليست باليسيرة فاننا نرجح ونميل ميلا قويا الى وجود كتب في مختلف الفنون الاسلامية تحتوي عليها الخزانة العلمية بالمغرب وان لم ينقل لنا تفاصيلها ، وقد كان بودي ان اتحدث بالنسبة الى عصر الفتح على المصحف العظيم المنسوب الى عقبة بن نافع وقد بقي الناس يتحدثون عنه الى عصر الرشيد من الدولة العلوية الشريفة ؛ ولكني رأيت ان الحديث سيطول جدا ولا تتسع له هذه العجالة وربما عقدت له مقالا خاصا ان شاء الله .

رابعا : يقول الاستاذ حفظه الله : وجاء في صفحة 10 اثناء الحديث عن الخزانة ايام الموحدين وامتلأت الخزانة بالمدونة وشروحها وكتاب النوادر والزيادات والمختصر . الخ . قال الاستاذ : لاادري ما يعني الاخ بالمختصر اهو مختصر عثمان بن الحاجب المسمى بمنتهى السول والامل وهو المبادر ، او مختصر ابي الضياء خليل ، قال : وهو لم يخلق الا اواسط



إلى جلالة الحسن الثاني

للشاعر التونسي الطاهر القصار

اهنيك من بعد العزا مترحما   لمن صان اوطان العلا وحمى الحمى
اهنيك بالملك الذي انت اهله   وبالعرش مرفوع العماد مدعما
اهنيك بالرضوان من خير والد   حدا بك للعلى وأنشاك مسلما
ولقنك العرفان والعقل والهدى   واسدى بما اسدى اليك وانعما
فكنت بدا نعم الخليفة وارثا   مناقب شهم بالمكارم قد سما
له المغرب الاقصى مدين بعزه   وكم بذل النواق للعز من دما
ومن خطب العلياء هان عزيزه   وضحى وفاء للعلا لا تكرما
اهنيك لكن ان سلكت طريقه   وكنت لشعب الاطلس الفرد ضيغما
يرد العدا مستبسلا ومفاديا   ويحرس من والى واولى وسلما
فما الملك في مد اليمين لقبلة   وما الملك في لبس الشفوف منعما
ولا في عروش ساميات ونيره   ولا في قصور شامخات الى السما
ولكن باسعاد الذين تسابقوا   لبيعتك الغرا اماما مقدما
وحسب اصيل الراي ان يجعل الحجا   الى قمة المجد المؤثل سلما
وما الشرف الموروث الا وقاية   تقي المرء من امارة السوء كلما
لافريقيا يا وارث الملك عزة   بها الارض غنت والزمان ترنما

ابن رضوان في كتابه السياسة حيث لم يتيسر وجوده الآن في متناول اليد وليس في الامكان الحكم النهائي في تعدد القضية الا بعد الوقوف على نص ابن رضوان في كتابه والظن القوي انه نقلها عن ابي عنان وعهدي بنسخة من كتاب السياسة هذا بحاضرة مكناس ونسخة ثانية اطلعت عليها بفاس وهي الآن في ملك احد العلماء الباحثين بالرباط وابن رضوان هذا هو ابو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي الفاسي رئيس الكتاب كان اديبا وشاعرا وكاتبا ومحدثا فقيها ترجمه السراج في فهرسته ونقل مضمنه عنه في نيل الابتهاج وقال ان مولده عام ثمانية عشر وسبعمائة ونسب له تاليفا حسنا في السياسة ونص لتاريخ وفاته ولم يذكرها .

اما ابن القاضي في كتابه الجذوة فقد ترجم لابي القاسم ايضا ونقل بعض شعره وذكر ان وفاته كانت بانفا سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة وهذا التاريخ لا يمكن ان يكون صحيحا ، والحق ان وفاته كانت بمدينة انفا او ازمور سنة اثنين وثمانين وسبعمائة كما نقله ابن الاحمر فيما ينسب له من تاريخ بيوتات فاس وبنص لسنة وفاته ابن خلدون ولم يذكر وقال انه هلك بازمور . ومهما كان الحال فنقل ابن رضوان القصة على انها في عصر ابن سعيد وانها وقعت بمحضر ابن الاحمر يحتاج الى نص صريح وان كان ابن رضوان لم يدرك زمن ابي سعيد الا سنوات معدودة ففي الامكان حكايته ذلك عمن قبله وقد ذكره مترجموه من المترسمين في الكتابة ايام ابي الحسن وولده ابي عنان وكثير من الامراء بعدهما فالاقرب من جهة النظر ان يكون ابن رضوان ساقها في كتابه السياسة عن مخدومه ابي عنان وسواء ذكرت القضية بهذا او ذاك فالذي يهمنا هو نشاط الحركة العلمية ايام هؤلاء الامراء المرينيين باعتبار من كان يحضر في تلك الاندية العلمية من رجالات العلم والفكر . وقد اشار لهذا البحث بايجاز كل من الشيخ الاديب ابي عبد الله الالبيري الاندلسي والشيخ ابن مرزوق الحفيد في شرحيهما للبردة ولم يشيرا معا الى القصة اصلا واقتصرا على مجرد ايراد البحث ، ومن ذيول هذا اني راجعت المسند الحسن لابن مرزوق الجد في الفصول المتعلقة بابي سعيد علني اقف على اشارة لهذه القصة فلم اجد شيئا مع اولويته بذكرها وجدارة تاليفه بالنص عليها .

واخيرا اشكر جناب الاستاذ المحقق على بحثه القيم الذي اثار فوائد من مكامنها وكان له الفضل في تمحيصها ونقبل منه بكل اعتناء ما نقله في خاتمة بحثه مما وجده في اوراقه العلمية مما سنضيفه الى البحث في طبعه جديدة ولكني الاحظ على اخوته مخالفته لتصحيحه الاولى لنا فيما اوردته في البحث مجملا من دون نسبة الى مصدره .

وفي النهاية اعتذر للقراء عما وقع في بحث الحركة العلمية بالمغرب من تحريف مطبعي وتزحلق بعض السطور واللوم راجع لمن تحمل امانة التصحيح ومراجعة المطبعة فلم تبر بوعده واسال الله التوفيق في نشره جديدة باضافة ما جد من معلومات حول الموضوع والله المعين .

ما أصاب قطّ من رثاه محمد

للشاعر الليبي
إبراهيم الصاوي

خطب أثار كوامن الأدواء … والخطب يعظم جانب العظماء
خطب أضاف الى النفوس شجونها … وأحال بهجتها الى ظلماء
خطب العروبة في الفقيد – محمد – … خطب أليم الوقع والأرزاء
أودى فكان لنعيه وقع الأسى … في المسلمين قريبهم والنائي
ما أحوج العرب الكرام لمثله … وأضلهم من بعده لشفاء
في وقت نهضتهم وعهد خلاصهم … من ربقة الأعداء والدخلاء
إذ كان نبراسا وهديا شاملا … ومنارة الأحرار والشرفاء
لله ما حملت من ألم النوى … وبما نهضت به من الأعباء
إفريقيا، ذات البطولة أصبحت … ثكلى بما فقدت من الأبناء
بالأمس قد رزئت بفقد زعيمها … (تريس لومومبا) قائد الزعماء
واليوم عاد لها الزمان بنكبة … والعود لم يحمد على الضراء
إيه (ابن يوسف) كم لكم من نعمة … ويد لكل جليلة بيضاء
لا تعجبوا ان شعبه لبس الأسى … فهو الذي أحياه بعد فناء
أولاه إخلاصا وحبا صادقا … والصدق محض محبة ووفاء
يا منقذ الشعب الأبي بماله … وبعطفه في حالك الظلماء
من (لاكدير) الجريحة بعدما … شربت كؤوس البؤس والضراء؟
تحنو بأسو جرحها وتمدها … بالمال فانقلبت الى السراء
ووقفت تحتضن الجزائر وقفة … فيها سمو مدارك وفداء
سياسة ثبتت عليها همة … تسمو برفرفها على الجوزاء

فهب طروبا بالفخار (حبيبها)   وواعدها كى ستقبل واقسما

فكن عند حسن الظن باحسن الرضا   ولا تدع السعب الشقيق مقسما

وخذ من بنى الخضرا حبيبا مساندا   فللعزم والاقدام والحزم انتما

وكونا الى الاخت الجزائر عسده   تحررها من قيد رق تحكما

فويل الوغى عطى عليها بمده   فزلزل حبات القلوب واضرما

وما ذل جار الاكرمين ولا انتمى   لهم أحد الا وبات مكرما

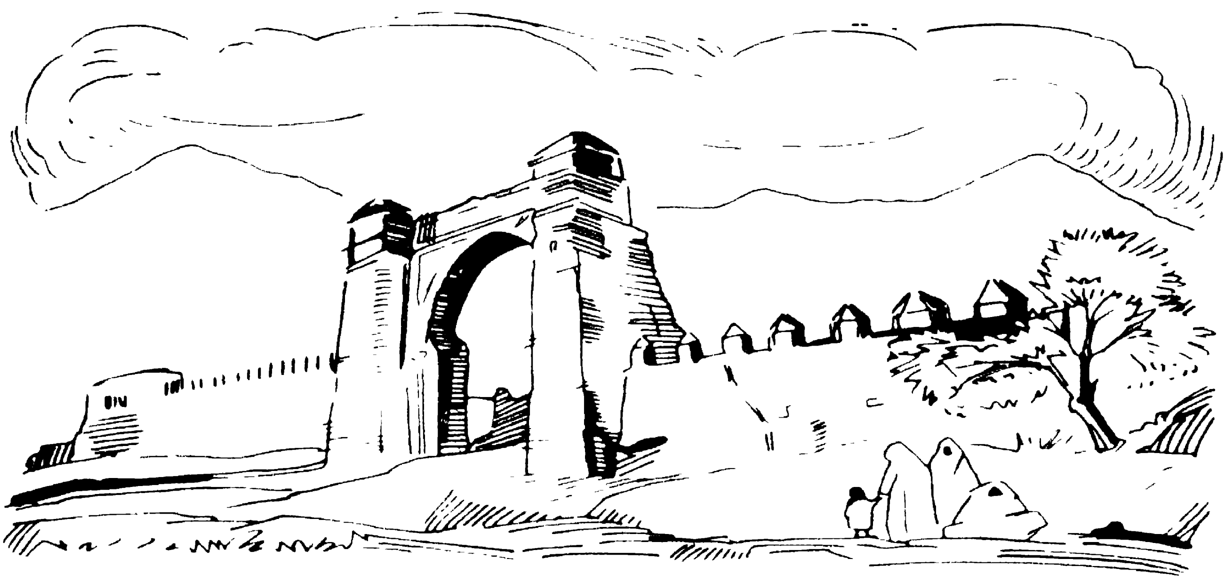
* * *

اليك التحيات الزكيات والهنا   بشعر زرى در العقود منظما

يرد عيون الناظمين حسيره   ويطرب من اصغى له متفهما

يعارض نسجا قد سامى طرازه   ختمت به شعرى فقلت متمما

(هناء محا ذاك العزاء المقدما   فما عبس المحزون حتى تبسما)



عليك سلام الله

للشاعر الليبي
عبد الحميد عمران

جلائل خطب قد رمانا بها الدهر … تداعت لها الارجاء والانجم الزهر
تبيت لها الاطراف سهرى كليلة … تؤرقها دمعا تفجره أمر
ورب مصاب حل هونا باهله … فاساهم مر الاهلة والعسر
ولكنه رزء تحمل احتماله … ففي وقعه فأس وفي طعمه مر
فقدنا زعيما كان رمز نضالنا … ورائد شعب حل رائده الحر
وشوع فضل بالمآثر زاخر … وقطب لقدس لا تزعزعه الكبر
وجندي حق لا تقل سلاحه … محاربه الباغي ولم تثنه الوعر
في فجر الاوطان سمى جواده … ومضماره صعب نهايته النصر
سما فهو لا يرضى سوى النجم منزلا … تحف به الدنيا ويحلو به الشكر
كذلك عيش الحر ان عاش سيدا … وان عاد للسراء خلده الذكر
فيا بطلا قاد الكفاح بعزمه … وحقق أمجادا تتوجها الفخر
عليك سلام الله انك خالد … خلود بناه المجد ما بقي الدهر

رمز البطولة والشجاعة والندى ملك جليل القدر والآلاء

المغرب الأقصى بكى أبناؤه مما أصيب به من الأرزاء

إسلام أن يجزع على فقد الذي حفظ العهود ونال كل ثناء

فدروه يذرف دمعه ونحيبه وبطل لوعته بطول بكاء

إذ ليس في هذا المصاب وحده بل شاركته عوالم الأحياء

فلقد هوى ركن ومات سميدع وأتت بدر سنا وعهد سناء

لقن الاستعمار درسا قاسيا ورميته بمرارة الدأماء

لم ينثن عن أجل أبي متعجلا أنى أراد له دوام شقاء

أحمل في سريرته لك مصنعا أم كان في يمناك عهد لقاء

عن المصاب وعابه الآمال أن يلقى لدى حسن حمل عزاء

ما خاب من رباه فقط محمد وهو المربي ومنشئ الأبناء

فاحفظ بفضلك للعروبة مجدها وانهض بها في عزه وإباء

وانهج على منهاج والدك الذي كانت سياسته من الحكماء

واقبل تعازي لنا في فقده إذ إننا عرب وصنو إخاء

ومد الى المصانع خير كف   فبات الشعب وهو بها ثرى
ترى من زاره يهتز عجبا   كمن قد ناله مس خفي
وكم نصح الفطارف فاعتلاهم   حلال من نصائحه سني
بحكمة رأيه كشف البلايا   وبددها حجاه العبقرى
وهل غير الحجا كنف ومنجى   اذا فلق الظلام المشرفي
وهل ان السيوف تفيد شيئا   اذا قدح الزناد اللوذعي
كذاك محمد قد كان طودا   مع الرعد لايعلوه شي
وقد فجع الحمام به شعوبا   وموت الاكرمين له دوي
وفاجأ منه مقداما منيبا   بمحمد شنعه الجد النبي
فللحسن الخليفه خير صبر   وسلوان جميل سرمدي
وللشعب النفوس عزا وسلوى   واجر الله فى البلوى سني
ولا تبكى فتى أحيى شعوبا   ومات ولم يمت . فالذكر حي



ما مات ولم يمت

للشاعر التونسي
الطاهر القصار

حياة تنقضي والذكر حي ... لعمرك ذاك الأمل القصي
فهل كل الأنام يعيش ذكرا ؟ ... وهل كل الرجال محمدي ؟
وكم من أنفس نعيت وفاة ... وقد نسيت وما بكى النعي
وعيش المرء في عطل ممات ... وموت أخ الحجا حدث فتي
كفى بمصاب مغربنا مصابا ... له طرف العلا شاك دمي
تزلزل منه أطلسه المعلى ... وريع التاج والعرش العلي
لموت محمد قطب المعالي ... فتى لحماه تستبق المطي
عماد الملك ذو الخلق الزكي ... شريف زانه النسب الزكي
تمجده الروائح والغوادي ... وتكبره الصبائح والعشي
سعدت بخصاله الدنيا وعني ... بها القمران والنجم السني
إذا عقد العزيمة في مهم ... فلا تلويه في الإقدام شي
يحاذر بأسه الضرغام رعبا ... ويرهب عزمه البطل الكمي
أدار الملك في حزم وعزم ... ولم يقعد به عسف وغي
ونال من الكفاح مرير ظلم ... وذاق السجن وهو به حفي
ومر خطب المعالي لم يرعه ... صنوف الظلم والغدر الدني
له المغرب الأقصى مدين ... وهل في نعمه إلا الوفي ؟
وهل أسمى من التحرير شيء ... يتوق إليه ذو شمم أبي
سرى في عرين الملك ليثا ... بدا خلفه الشبل الجري
فهش المغرب الأقصى وأضحى ... يحاذره المهاجم والعدي
وكان لملة الإسلام نورا ... به يتوضح السبل السوي
يريك الهمة القعسا طرارا ... يحيط به الجلال العربي
سياسته لها القدح المعلى ... وحكمته لها الشأن العلي
أثار من العزائم كل خاب ... فهب وهو مبتهج رضي
وساد إلى المعارف كل صرح ... يلوذ به المشوق الألمعي

بطل روع العدى فتنادوا :   ان يكن معجز فهذا الجبار
انه طاقة من العزم حارت   في مداها وتاهت الافكار
زلزلت آيه الجيوش فمادت   تحتها الارض واستحال القرار
ما رماها بغير عزم قوى   وبغير امده القهار
اعجز الافوياء جندا ومالا   فتهاووا كانهم اطيار

لك يا اوحد الملوك على السنا   س حقوق مخلدات غزار
انت من سن للحياه سعارا   له بالحق صوله وانتشار
انت من علم الانام دروسا   كيف يبنى سادة وفخار
انت من هز « افريقيا » فهب   يملا الارض ذكرها المعطار
انت من فلد العروبه مجدا   ليس يلبى بناؤه السيار
انت يا وارث الهدايه سر   له من جدك الامين انحدار
انت والله للبلاد سراج   غار منه الشموس والاقمار

يا ابا اكتب الحسن عملا   لم يغير صفاءه الاكدار
حل من سعك الحميد المرجى   مجمع وجهت له الانظار
جمع النخبه التى لا تراعى   ما نواه المستعمر المكار
غير الحق والحقيقه حتى   يئس المغرضون والفجار
وتداعت عقولهم من سعار   وتعرت عن كيدهم استار
قالت الناس : هكذا تكسب النـ   ـصر مليك تعنو له الاقدار
عود الله سعيه الفسح حتى   قيل : هذا الخليفه المختار
نال ما شاء من معال جسام   ومزايا جميعها ابكار

يا سليل الرسول طرى لشعب   انت فيه المملك الامار
قد راى من سعيد عهدك يمنا   لم تخلد مثيله الاعصار
لك ـ حقا ـ يصح ان نتباهى   بك سرت جدودك الابرار
ان لك المدح في سواكم مباحا   فهو فيكم فريضه وشعار
انما المدح ما صنعتم ولكن   عبرت عن خلوده الاشعار

وثبة إفريقيا

للشاعر المدني الحمراوي

من وحي مؤتمر القمة الافريقي الذي عقد بالدار البيضاء

هذه « افريقيا » هبت من النو ... م كما هب مارد جبار

تتمطى والسخط في مقلتيها ... يتراءى كما تطير الشرار

رقدت رقدة فلما افاقت ... ابصرت ماتسبب منه العثار :

داهم الغاصبون حر حماها ... وتعالت في عقره الاشرار

نهبوا كل تالد وطريف ... وتوالت بجرمهم اخبار

كذبتهم احلامهم حين قالوا : ... ما لنا كبوة ولا ادبار

حسبوا الفيل مستباحا فلما ... زار الليث جد منهم فرار

ومضوا يسأل الشقي اخاه : ... اي هول يعز فيه اصطبار

نحن في يقظة ؟ ام الامر حلم ؟ ... هكذا تمحى الخطوب الكبار

اين تلك المنى التي نتمنى ؟ ... ما نرى ليلنا تليه نهار

أترى نسلم الكنوز ونمضي ... وعلينا من الهوان اصفرار ؟

هو ذا جيشهم جلا في خفاء ... يتولاه ذلة واندحار

سار واللؤم في قفاه ، وقد اثـ ... ـقل خطواته الاسى والصغار

صدمة دون وقعها كل كرب ... شردت من جرائها الافكار

خلدت في الزمان للحق ذكرا . ... ولأهل العقول فيها اعتبار

وطوت من صحائف الجور عهدا ... حكم البغي فيه الاستعمار

باء بالخزي . كم تعقب خزيا ... وتولى ما يرتضيه الشنار

يرد الوادعين في كل صقع ... ودهتهم من شره اوزار

ايها الدهر حي من ملأ الار ... ض ثناء فعاله والفخار

حي من يسر حمله العبء حتى ... هزم الظلم عزمه البتار

حي من يسعر الوطيس فما حا ... د ولا صد ساعديه الاوار

لم يزل يقرع الخطوب ويرمي ... كل كيد حتى اتاه انتصار

المبالغ الى شركة التلفزيون ، والحال انها هي التي كانت تتمتع بمفردها بهذا الفن ، لاينافسها فيه منافس ، وقد عرقل هذا التشآن الذى حدث بين الصحافة والتلفزيون ازدهار التلفزيون بالمغرب الى حد مـا .

وحيث انه لم يبع العـدد الكافـي من اجهـزة التلفزيون ، ونظرا لكون الاعلانات التجاريه لم تدر القدر المالى الذي كان متوقعا لها ، ونظرا من جهة اخرى لكون ثمن البرامـج الملفـزة كـان لايتنـاسب والوسـائـل المستعمله ، اضطرت شركة تلفزة المغرب الى اقفـال أبـوابهـا .

هذه باختصـار هي العوامل التي أدت الى فشل التجربـه الاولـى .

لكننا اليوم في سنه 1961 حيث معطيات القضية مباينه تماما لما كانت عليه في سنة 1953

فالدولة هي التى ستتكفـل بالقيـام بالمشروع . ومما لاريب فيه ان الاستقبـال الـذى سيخصص للتلفزيون سيكون حافلا جدا في بلـد مازالت أغلبيته الساحقه لاتقبل الاقبال المطلوب على مطالعه الصحف . لكنها تهتم الاهتمام الكبير بالاذاعه في شكلها المرئـي والمسموع . ثم ان القرار الذى اتخذته الحكومه بالموافقه على اذاعه الاعلانات التجاريه سيخفف الى حد كبير عبء ما ستكلفه التلفزيون للدولة من مصروفـات . ونظرا للاهتمام الذى ستوليه الجماهير قطعا للتلفزيون، فان اصحاب الاعلانات التجاريـه سوف يقبلـون على الاعلان عن تجاراتهم بواسطه التلفزيون ، باذلين في ذلك ما يلزم من المـال .

غير ان اول مشكله سوف تواجه المشرفين على التلفزيون ستكون هي بيع اكثر ما يمكن مـن اجهـزة الاستقبال لجمهور لاتزال مقدرته الشرائيـه ضعيفـه جدا . ولحل هذه المشكلـه ، ينبغى ان يوسع نظـام القروض الطويله الامد ، لتمكين الاغلبيه الساحقة مـن اقتناء جهاز التلفزيون بثمن مناسب .

قد يكون في مقدمة المقبلين على ابتياع الاجهـزة ممثلو الادارة كالقواد والمعلمين مثلا ، وقد يفكر هؤلاء واولئك في تمكين الكثيـر من الناس مـن الاستمتـاع بالبرامج الملفزة عن طريق عرض أجهزتهم في الاسواق وفى الاماكن التي يغشاها الناس بكثرة . لكن ذلك لن يكون كبير الجدوى لان الجهـاز المنصـوب في البيت بوصفه اداة للتربيه في جميع الميادين هو قطعا اكثـر فائده وأمتن عائده من الجهاز المنصوب في مكان عام .

ان التلفزيون باعتباره وسيلة للاخبار يكلف ثمنا غاليا . اذ تقدر قيمة الدقيقة الواحده في برامجه بنحو مائتي درهم . ولذا يتحتم ان تكـون محتـوى هـذه البرامج موضع دراسة دقيقة وعناية فائقه حتى لايقع اى تبذير في هذا السبيل .

واذا كان من غيـر المستبعـد ان تضم جماعـه الفنيين المكلفين بانجاز المشروع بين عناصرها بعـض الاجانب . فالواجب يقتضى بـذل فائـق الاهتمـام في اختيار هؤلاء . لئلا يفرضوا على البلاد نظريات لاتتكيف وواقعها . أو تكون فوق طاقتها وامكانياتها . ومـن الضروري الاكيد ان يهتم هؤلاء الفنيون بجعل التلفزيون مغربيا لحمة وسدى . لامجرد صورة لمـا هو عليـه في البلاد الاخرى . اذ من الواضح ان مسالـة التلفزيـون لاينبغي معالجتها في المغرب بنفس الصفه التي عولجت بها في لندن او باريس او نيويورك مثلا .

وستكون هذه هي المرة الاولى التي سيتاح فيها الجمهور المغربى ان تكون لديه نافـذة تطل منهـا على العالم الخارجي . فلا ينبغي اذن ارهاقه بالبرامج غيـر المفيدة لئلا تتكون عنده فكرة غامضة لاتجديه فتيـلا . وهذا يقتضي ان يعهد بالبرامج الملفزة وبتحقيقها الى اشخاص اكفاء . ممن لهم المام واسع بنفسية الجماهير وميولها . ومعرفة متينه بالطريقة المثلى في امتاع النظارة واسعافهم بمرغوبهم .

هل معنى هذا ان التلفزيون ينبغى ان يكون مجرد اداة تربويه خاليه من كل ترفيـه ؟ الجـواب هـو لا بالطبع . بل ينبغى ان تكون الاخبار التى تقدم بواسطته للجمهور . والتربية التي تلقى اليها معروضـا كل ذلك في شكل انيق جذاب . كفيل باستهوائـه واستجـلاب رضـــاه .

واذا كان من المتصور حسن الانتقاء والاختيار في باب الانباء لما يتوفر عليه هـذا الباب مـن وفـرة في المواضيع وتعدد في نوعيتها . فان مما يحسن في الميدان التربوي الثقافي تجنب التلفزيون المحاضرات المملـة التي سوف تجعـل النظـارة والمستمعين ينصرفـون معرضين . ان المغرب في حاجه الى تلفزيون حي قـادر

الحياة الثقافية في الوطن العربي

حول تزويد المغرب بالتليفزيون

« تروج في الجهات الرسمية فكرة تزويد المغرب بالتلفزيون بل قد سبق لوزير الانباء والسياحة ان أدلى بحديث ضاف حول هذا الموضوع في احدى ندواته الصحفية السابقة ونظرا لما يتسم به هذا الموضوع من أهمية قصوى ، ارتأت المجلة ان تعرف لقرائها الحديث التالي الذي كتبه خصيصا لها أحد الاختصاصيين الاجانب . وبديهي ان الآراء التي أوردها كاتب المقال آراء شخصية **محض** » .

ان هذه الاعجوبة التي أوجدها القرن العشرون ، والتي يسمونها بالتلفزيون (1) سوف تعود الى الظهور بالمغرب عما قريب . اننا مازلنا نذكر ان تجربة في هذا الصدد حدثت في عهد الحماية ، في سنة 1953 ، وان هذه التجربة لم تصادف النجاح الذي كان يراد لها ، لان الشركة التي عهد اليها آنذاك بنشر المشروع تصرفت تصرفا غير لائق ، مما جعلها تولي الادبار ولما تمض على مباشرتها للعمل سوى زمن يسير .

فمن اين اتى هذا الفشل ؟ وهل سوف تفلح الحكومة — التي اشترت مؤخرا مؤسسات شركة « تلما » السابقة — في تخطي الصعوبات التي ادت الى فشل التجربة الاولى ؟ ذلك ما سنحاول الاجابة عنه فيما يلي :

مما لاجدال فيه ان التلفزيون هو أقوى آلة للدعاية استطاع الانسان ان يتوفر عليها منذ عدد من السنين ، وكانت شركة « تلما » الاجنبية غير موفقة حينما اقدمت على ادخاله للمغرب في وقت كان فيه كفاح الشعب المغربي من أجل الاستقلال بالغا ذروته القصوى ، مما جعل الاحزاب المغربية تقرر وتنفذ مقاطعة أجهزة التلفزيون بيعا وشراء ، وقد انصاع الشعب المغربي لتعليمات المقاطعة ، ونفذها بكل دقة ، بحيث لم تبع من اجهزة الاستقبال سوى بضعة آلاف جهاز ، وفي الاوساط الاوربية وحدها ، رغما عن التسهيلات الممنوحة في الاداء .

ولو فرضنا ان عدد المنتفعين من التلفزيون كان يبلغ وقتذاك 24.000 شخص — بمعدل اربعة اشخاص لكل جهاز منتج — لاتضح لنا ان مدى الانتفاع منه كان ضيق الارجاء ، محدود النطاق ، الامر الذي جعل اقبال اصحاب الاعلانات التجارية عليه ضئيلا ، مع ان شركة « تلما » كانت تعتمد على هؤلاء في ترويج بضائعها بالمغرب ، أضف الى ذلك ان هذه الشركة كانت تنفق الاموال الطائلة في سبيل ارساء قنه قليلة من الربائن ، فكانت تستقدم « نجوم » التلفزيون من هنا وهناك وتؤدي لهم مبالغ خيالية في مقابل قيامهم ببعض البرامج .

ثم ان حربا رعناء نشب اوارها منذ البداية بين الصحافة والتلفزيون ، فالصحافة — ونقصد بها الفرنسية — التي كانت وما تزال تهيمن على جميع مرافق الدعاية التجارية بالمغرب تقريبا ، كانت تخشى من ان تخسر المبالغ الطائلة التي كانت تتلقاها من اصحاب المؤسسات والشركات التجارية في مقابل نشر الدعاية لبضائعهم ومنتوجاتهم بانصراف هاتيه

---

(1) يطلقون ايضا على التلفزيون كلمة التلفرة ، وقد عربوه مؤخرا بعبارة « الاذاعه المرئيه »

أنباء ثقافية

* أصدر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أوامره ببناء ضريح فخم للشاعر المعتمد بن عباد الذي دفن في اغمات التي تبعد عن مدينة مراكش بـ 35 كلم. وقد أحيل الأمر على وزارة الأوقاف لتنفيذه.

* بمناسبة انعقاد مؤتمر التعريب بالرباط، وفدت على المغرب شخصيات بارزة من المجامع اللغوية العربية ورجال الاستشراق والفكر من الشرق والغرب بقصد المساهمة في هذا المؤتمر. وقد لوحظ نشاط كبير في الميدان الفكري بسبب المحاضرات التي ألقتها بعض شخصيات هذا المؤتمر في قاعة المحاضرات بكلية الآداب. نذكر منها محاضرات الاساتذة: سعيد العريان. والدكتور سامي الدهان. والدكتور فريد أبو حديد. وحافظ طوقان. الى جانب الندوات الادبية والمناقشات الفكرية التي عقدوها في شتى المراكز الثقافية المغربية (1).

* ذكر الاستاذ قدري حافظ طوقان في حديث أجرته معه جريدة «العلم» حول مؤتمر التعريب ما يلي: «... لقد كنت رئيس لجنة المصطلحات والرموز والأرقام والكتابة في المؤتمر. وخرجنا بمقررات علمية ستعطي ثمارها المرجوة لخير العرب جميعا. ويلاحظ أن انشاء هيئة لتنسيق المصطلحات والتعاون مع المجامع العلمية واللغوية هو أهم قرارات المؤتمر».

* قررت وزارة التربية الوطنية المغربية احداث اذاعة مدرسية ابتداء من الموسم الدراسي.

* سيقام في النصف الثاني من شهر يونيه في مدينة وليلي التاريخية مهرجان مسرحي، ستشارك فيه فرقة فلكلورية لبنانية.

* سيقوم الاديب السوري جورج سالم بترجمة المجموعة القصصية «ضيف افريقي» لمحمد ديب الى اللغة العربية.

* نشر الشاعر محمد البخاري مجموعة من القصص الافريقية المترجمة مشتملة على نماذج من القصص المعاصرة. وكان المؤلف قد ترجم مجموعة من القصص الجزائرية للكاتب محمد ديب. واعتبر النقاد هذه المجموعة أحدى الترجمات الجيدة التي ظهرت في حينها.

---

1) بعد انتهاء مؤتمر التعريب اصدر التوصيات الاتية:

1) بما ان هذا المؤتمر الاول للتعريب جاء نتيجة للجهود التي بذلها جلالة الملك الراحل محمد الخامس فانه يؤمل من حكومات الدول العربية من أن جميع مؤتمرات التعريب التي ستنعقد في مختلف الدول العربية تحمل طابع ذكرى الملك العظيم الراحل.

2) ان المؤتمر يؤيد الفكرة التي أدت الى تأسيس معهد التعريب في المغرب.

3) ان تحول المؤتمر الى منظمة دائمة تجتمع بصورة دورية في احدى الدول العربية وهو يوصي بتأسيس مكتب دائم في المغرب يمثل الدول العربية وتحت اشراف جامعة الدول العربية. وسيتلقى هذا المكتب الدائم من الدول العربية جميع الوثائق الخاصة بالتعريب لتدرسها ويستخلص منها العناصر التي تصلح لادراجها في جدول اعمال المؤتمر المقبل.

4) يلاحظ المؤتمر ان احسن نظام يحقق لحد الآن أحل مشكلة الطباعة هو نظام الاستاذ احمد الاخضر، وبهذه المناسبة فان المؤتمر يشكر الحكومة المغربية على تأييدها لهذا المشروع.

5) يوصي المؤتمر بتأسيس الاكاديميات في الدول العربية التي لاتتوفر لها مثل هذه المؤسسات.

6) يوصي المؤتمر بأن تكون اللغة العربية في جميع الدول العربية لغة التعليم في جميع الاقسام الجامعية وبالنسبة لجميع المواد دون ان يعارض وتعليم اللغات الاجنبية.

7) يوصي المؤتمر بمضاعفة الجهود لتكوين المعلمين وتأسيس مدارس المعلمين وتعميم التعليم.

8) يوصي المؤتمر بتوجيه وسائل الاخبار بواسطة الصحافة والاذاعة والسينما نحو التعريب ونشر اللغة الفصحى بين مختلف طبقات السكان والتقارب بين لغة الكتابة واللغة الناطقة.

9) يوصي المؤتمر باعداد ونشر قاموس جيب وكتاب عن النحو المبسط.

10) يوصي المؤتمر الحكومات العربية باشراك جهودها في انتاج الوسائل التثقيفية المختلفة وخاصة الوسائل السمعية والبصرية للتثقيف والتعليم ويكلف المكتب الدائم بالسهر على تنفيذ هذا المشروع تحت اشراف جامعة الدول العربية.

على تحريك الجماهير واذكاء حماسها وحثها على التعاون والتضامن البشري .

ثم ان الجمهور المغربي تواق الى مشاهدة صور عن الانباء العالمية ، وله شوق للاطلاع على ما يقال وما يصنع في مختلف اصقاع العالم ، فينبغي لواضعي برامج التلفزيون ان لا يهملوا ذلك ، بل عليهم ان يعرضوا عليه نماذج من المنجزات التي يمكن تقديمها اليه كمثال يحتذى . والتي تكون كفيلة باثارة همته الى الانسان بمثلها ، وعلى هذا يجب اسناد امور التلفزيون الى هيئة من المواطنين الذين تتوفر فيهم شروط الاهلية لئلا تكون سوء الاختيار سببا في وقوع ما لاتحمد عقباه .

وهنا كمسألة اخرى يجب على المكلفين بوضع البرامج ان يهتموا بها كل الاهتمام ، وهي تخصيص قسط من الحصص للطبقة المثقفة . فمن المعلوم بالبداهة ان البرامج المعدة لمختلف الطبقات لا ينبغي ان تكون متماثلة . فليس من الممكن اثارة اهتمام الفلاح والصانع والطالب والموظف بنفس الموضوع وبنفس الصفة والشكل اللذين نعرض بهما على الطبقة المثقفة . واذا كان احتياج الطالب والموظف الى التلفزيون اقل من احتياج زميليه الفلاح والصانع اليه ، فان التلفزيون – على العكس من ذلك – في حاجة ماسة الى مؤازرة الطلاب والموظفين لاعتبارات دعائية محض . واذا كان المأمول الحصول على ما يكفي من الاعلانات التجارية لتغطية بعض المصروفات التي تتطلبها استمرار المشروع . فلا مندوحة اذن من التوفر لاصحاب الاعلانات على الزبائن الذين يهمونهم للنتائج المادية التي ينتظر ان يجنوها من ورائهم .

وبديهي ان البرامج المخصصة للجمهور من شأنها ان ترضي الشركات المنتجة او الموزعة للمواد الكثيرة الاستهلاك . لكنها مع ذلك لن تدر على التلفزيون الا قدرا محدودا من النفع المادي ، حيث ان المواد التي تستهلك كثيرا ، هي في غالب الاحيان مواد ضرورية لا تأتي الاستغناء عنها . وبالتالي فهي ليست في حاجة كبيرة الى الاعلان عنها والدعاية لها . اما الكماليات لا تستهلكها سوى النخبة التي تتوفر على القدرة الشرائية اللازمة فهي التي تحتاج الى المزيد من الدعاية ، وهي التي تجعل عدد المعلنين في التلفزيون اوفر واكثر . ولذا يلزم الاعتناء عناية خاصة بزبائن هؤلاء .

وينبغي كذلك التفكير في اعداد برامج خاصة بالجاليات الاجنبية القاطنة بالمغرب ليس فقط لحملها على الاسهام بصفة عملية في حياة البلاد وفي تطورها ، بل وايضا لكون هذه البرامج قمينة بالحصول على موارد اعلانية ، اذ الجالية الاجنبية تشكل بالنسبة للمعلنين زبونا لا يستهان به، وحيث ان القيام بالتلفزيون يحتاج الى اعتمادات كثيرة ، فلا ينبغي ان تكون الدولة هي التي تتحمل هذا العبء الفادح بمفردها .

وهذا يفضي بنا الى الحديث عن نوعي التلفزيون الممكن وجودهما . فالتلفزيون اما ان يكون تابعا للدولة ، هي التي تقوم باستثماره وتتحمل نفقاته . واما ان يكون تابعا لهيئات او مؤسسات تجارية او ما ضاهى ذلك .

ومن الواضح انه في الصورة الاولى تكون الدولة متوفرة على وسيلة للاذاعة والاتصال تخصها وحدها . وفي وسعها ان تستعملها كما تشاء ، وتكون البرامج من وضع الحكومة نفسها حسبما تتطلبه المصلحة العامة للبلاد ، لكن في مقابل ذلك تكون الدولة هي المتحملة لعبء المصروفات .

اما في الصورة الثانية فلن تكون للدولة من سلطان على التلفزيون سوى سلطان المراقبة ، اما البرامج فتضعها الهيئة التجارية صاحبة المشروع . وقد تكون هذه البرامج من حيث الجودة المتوخاة والغاية المنشودة هزيلة . لكنها سوف تكون طبعا ملائمة لرغبة اصحاب الاعلانات وذوقهم .

فهل هذه هي الغاية التي يتوخاها قطر فتي يعمل جاهدا من اجل تحرير سكانه وامتاعهم بالبرامج التربوية الرفيهة المعدة لكل الفئات ؟

لقد استطاع المغرب ان يصهر النوعين في بوتقة واحدة ويستخرج منهما شكلا موحدا ، حيث ان الدولة هي التي ستتكفل بالتلفزيون وحيث انها وافقت على اذاعة الاعلانات بواسطته سعيا في الحصول على الفائدة المادية التي تدرها هذا التذييع ولا اخالها الا احسنت صنعا بذلك .

ومهما يكن فان الجيل المغربي الصاعد سوف يتوفر قريبا على التلفزيون، وسوف يفتح هذا التليفزيون الباب على مصراعيه في وجه جميع المواهب .

م. س.

* صدر للاستاذ محمود الشرقاوى كتاب « رواد النهضة العربية » وتناول فيه بالدراسة والتحليل رفاعة الطهطاوى ، وعلى مبارك ، وعبد القادر الجزائرى .

* « الباب الافريقى » عنوان الرواية التى كتبها الاديب صيام فضل . وتدور حوادثها حول حركات التحرر الافريقية الحديثة .

* « شخصيات افريقية » كتاب جديد للاستاذ عبده بدوى يؤرخ للقارة الافريقية سياسيا وفنيا من داخل شخصياتها اللامعة . ويعطى صورة متكاملة عن هذه القارة .

* أصدر الاستاذ عبد الوهاب المسيرى كتابا عن « جماعة الديوان : شكرى ، والمازنى ، والعقاد » .

* قرر المجلس الاعلى للفنون والآداب بالاقليم الجنوبى للجمهورية العربية المتحدة الاحتفال بذكرى الشيخ محمد عبده فى الاسبوع الاول من سبتمبر القادم

* وافق مجلس محافظة الشرقية على انشاء جامعة « احمد عرابى » بالزقازيق بالاقليم الجنوبى من ج . ع . م .

* « تاريخ علماء المستنصرية » كتاب ضخم صدر للدكتور ناجى معروف ، أستاذ التاريخ الاسلامى ورئيس قسم التاريخ فى كلية الآداب بجامعة بغداد . والكتاب مزود بثبت للمراجع والاصطلاحات وفوائد مختلفة وشرح لبعض ما جاء فى الكتاب وفهارس للاعلام وصور فوتوغرافية وخطية للمدارس والمعاهد المستنصرية .

* صدر للدكتور على الهاشمى كتاب « المرأة فى الشعر الجاهلى » رسم فيه صورة المرأة الجاهلية على النحو الذي يعرضها الشعر الجاهلى .

* « الخافق الحائر » ديوان شعر جديد صدر لمحمد فريد البار .

* سيبحث مجلس جامعة الاسكندرية فى أول اجتماع له اقتراحا بمنح الدكتوراه الفخرية للمؤرخ البريطاني ارنولد توينبي تقديرا لموقفه المشرف وحياده فى سرد الاطوار الحقيقية لمأساة فلسطين .

* تعد الكاتب انور المعداوى دراسة عن الشاعر المصرى الكبير الموحوم علي محمود طه بعنوان : « الأداء النفسى عند على محمود طه » .

* صدرت المجموعة الجديدة ليحيى حقي بعنوان « عنتر وجوليت » تضم قصصا قصيرة ، وصورا فنية أدبية بأسلوب جديد .

* انتهى الاستاذ عبد الوهاب المسيرى من تأليف ثلاثة كتب هي « الصور الشعرية ومفهوم الحب عند ناجى » و « ناجى وكيتس ــ دراسة مقارنة بين الحركتين الرومنتيقية الانجليزية والمصرية » ودراسة عن « تطور شعر الطبيعة فى الادب العربي من عصر الجاهلية حتى خليل مطران » .

* تدرس لجنة النشر بمجلس الفنون والآداب بالقاهرة اقتراحا يرمى الى انشاء جائزة كبرى للادب تحمل اسما رمزيا مثل : « جائزة الامة » أو جائزة الجمهورية » أو « كتاب السنة » وتمنح لمن يقع عليه الاختيار من الذين لايتقدمون للجائزة التشجيعية ، ولا هم بلغوا مرتبة تتويج الدولة لاعمالهم لاعطائهم الجائزة التقديرية .

* يقوم الاستاذ فاروق القاضى بترجمة « نماذج من أدب امريكا اللاتينية » الى اللغة العربية .

* « الاحوال الفلسفية للاسلام فى القرآن » عنوان كتاب صدر أخيرا للدكتور على عثمان .

* كلفت وزارة الثقافة بالقاهرة الدكتور عبد اللطيف حمزة بوضع كتاب عن « صبح الاعشى » .

* يقوم الدكتور عبد الحميد يونس بترجمة كتاب « عبء الرجل الابيض » الى العربية لاصداره ضمن سلسلة الفكر العالمى .

* تأسست دار نشر جديدة باسم « سلامة موسى للنشر والتوزيع » لاصدار تراث من الكفاح الهادف من انتاج سلامة موسى وغيره من المفكرين .

* انتهى الدكتور لطفي فام من ترجمة المسرحية التراجيدية « بريتانيكس » لراسين . وبريتانيكس هو أخ نيرون .

✻ أصدر الادباء السودانيون بيانا وطنيا بشأن الاحداث الجاريه في الكونغو معلنين سخطهم واستنكارهم لجريمة اغتيال البطل لومومبا .

✻ تدور على صفحات الصحف السودانيه معركه حول الشعر القديم والشعر الحديث . بدات المعركة حين تعرض النقاد لديوان الشاعر محمد محمد على الذي صدر أخيرا .

✻ أثار كتاب «أدباء السودان» لمؤلفه منير صالح ضجة عنيفه في الاوساط الادبيه والنقديه في السودان .

✻ تقرر اقامه تماثيل لكل من توفيق الحكيم وطه حسين . واحمد لطفى السيد . وعباس محمود العقاد . في دور الثقافه العامه في بلدان هؤلاء الادباء .

✻ « ماساة لومومبا » مسرحيه شعريه في ثلاثة فصول من تأليف الشاعر عبد الرحمن الشرقاوى صدرت اخيرا .

✻ « اقول لكم » ديوان جديد صدر لصلاح عبد الصبور .

✻ أعد سكرتير مجلس الفنون والآداب بالقاهرة مشروعا لاقامه مدفن فاخر خاص بالمفكرين والادباء والفنانين الراحلين .

✻ قامت احدى دور النشر النمساويه بترجمة قصص لتوفيق الحكيم ومحمود تيمور الى اللغة الالمانية .

✻ بتاريخ 13 الى 22 ابريل المنصرم عقد المؤتمر التربوى الاول في القاهره واشتركت فيه عشرون دوله

✻ تقرر بالقاهره الاحتفال بأربعة من الرواد العرب هم : مصطفى صادق الرافعي . ومحمد رشيد رضا . وأمين الريحاني ، وشكيب أرسلان .

✻ سيعد الاستاذ رضوان ابراهيم لتقديم مجموعه جديدة من قصص الاطفال ضمن المجموعة التي يصدرها باسم « سلسلة القصص النموذجية لمكتبة النشء العربي » . وتعد هذه التجربة هي الاولى من نوعها التي ترجمها عن الروسية مباشرة ، واختارها من أروع ما ظهر في الادب الروسي للاطفال باقلام أعلام الادب امثال تولستوى ، وبوشكين وانيوخوفاجاروشس وميرنوف ومایاكوفسكي وسواهم .

✻ تكونت في القاهرة جمعيتان للمشتغلين بالنقد الادبي وهما «جمعية النقاد» و «رابطة النقاد العرب» .

✻ احتفل اخيرا في القاهره بذكرى الامام ابن تيمية .

✻ عقد في الايام الاخيرة بالقاهرة مؤتمر التراث الشعبي العربي باشراف وزارة الثقافة بها .

✻ ستجمع جميع التراث الشعرى للدكتور احمد زكى ابو شادى لطبعه . وقد تبين ان المرحوم ترك اربعة دواوين هى « النيروز الحر » و « الانسان الجديد » و « من اناشيد الحياة » . وهذه الدواوين هي من أروع ما انتج الشاعر الراحل بين عامي 1949 و 1955 .

✻ قرر المجلس الاعلى لرعاية الآداب بالقاهرة ترجمه مختارات من الشعر العربى الحديث الى اللغة الانجليزيه للشعراء : اسماعيل صبرى . وشوقى . والمطران ، وحافظ ابراهيم . واحمد رامى . وسواهم من الشعراء .

✻ أصدر الاستاذ أنور الجندى كتابا بعنوان : « الاشتراكية العربية » يتضمن دراسه موسعه للقوميه العربيه .

✻ تصدر عن لجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الاعلى لرعايه الفنون والآداب بالقاهره قاموس في الفلسفه والاجتماع يتضمن المصطلحات الفلسفية العربيه القديمه والحديثه مع وضع اللفظ الانجليزي والالماني مقابل الكلمات العربيه . وذكر اللفظ اللاتيني فيما يختص بالمصطلحات القديمه .

✻ كلفت ادارة الثقافه بالجامعة العربية الدكتور صقر خفاجه على رأس لجنة من أساتذة قسم الدراسات اليونانية بكلية الآداب بجامعة القاهرة بتنفيذ مشروع ترجمة جميع الاعمال اليونانية التى اثرت على فلسفة العرب الاسلامية ، وقد بدات اللجنة في الاسبوع الماضي بترجمة الالياذة ومحاورات أفلاطون .

مقابل طبع دواوينه الذي ستتولى اصداره المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب .

❊ « الاصول البرلمانية في لبنان والعالم العربي » كتاب جديد صدر للنائب المحامي الاستاذ انور الخطيب

❊ « عباقرة العلم » بهذا العنوان اصدر الاستاذ جورج سلستي كتابه .

❊ اجتمعت لجنة وضع تاريخ جديد للبنان التي الفها وزير التربية اللبنانية من الاساتذة : عارف الكندي . والامير موريس شهاب . وقسطنطين زريق . وهشام نشابه . ويوسف ابراهيم يزبك . والكسي بطرس . لبحث المهمة الموكولة اليها . وقرر الرأي على وجوب ادخال مفهوم جديد على التاريخ يعطي الروح الوطنية في الاحداث خاصة .

❊ اصدر الدكتور فيليب حتي مؤلفا ضخما بعنوان « الشرق الادنى في التاريخ »

❊ « القوهرر » ملحمة شعرية نظمها الشاعر الاستاذ نجيب لبان رئيس ديوان وزارة الانباء اللبنانية

❊ « الحب الاول » مجموعة قصص قصيرة ترجمها الاديب اللبناني خيري حماد عن الكاتب الروسي فلاديمير نابوكوف مؤلف قصة « اوليتا »

❊ « جراح قلب » ديوان جديد للشاعر اللبناني خليل الخوري صدر في هذه الايام .

❊ صدر عن دار الثقافة ببيروت الكتب الآتية :
« ادب العرب وسير مشاهيره ورجاله » لمارون عبود
« الرياض » لحميد الدين احمد بن عبد الله الكرماني بتحقيق وتقديم عارف تامر و « العقل والمنطق » لهاري وبونارو اوفرستريت وترجمة عبد الحميد ياسين .

❊ نقل الاستاذ منير بعلبكي الترجمة الكاملة « لرواد الفكر الاشتراكي » الذي وضعه شيخ الاشتراكيين الانجليز . د . هـ . كول .

❊ صدرت اخيرا روايه الكاتب اللبناني جميل جبر بعنوان « قلق » وهي تصور قلق الجيل الحاضر بين مختلف التيارات .

❊ وافقت منظمة اليونسكو على منح لبنان قرضا بمبلغ عشرين مليون دولار لانشاء ابنية لجامعة كبرى في لبنــــان .

❊ « مدخل الى فلسفة ديكارت » كتاب جديد صدر للدكتور كمال الحاج .

❊ « الباحثات عن الحب » رواية جديدة كتبتها الاديبة اللبنانية سامية الكيالي .

❊ اصدر الاديب اللبناني محمد ابو المعاطي ابو النجا قصة « فتاة في المدينة » .

❊ اصدر شيخ ادباء لبنان الاستاذ مارون عبود كتابا فكاهيا طريفا بعنوان « مجدده » .

❊ ان اللقب الصحيح للمجاهدة الجزائرية جميلة بوحيرد هو جميلة بوهيران . هذا ما صرحت به زميلتها في الدراسة بالكلية الفرنسية في باريس ميسرة الجزائرية الموجودة الآن في العراق وقد انتقدت ميسرة الصحافة العربية على استمرارها في نشر لقبها مغلوطا . واضافت بان الصحف نشرت ايضا صورة المجاهدة جميلة بوعزة وكتبت تحتها جميلة بوحيرد .

❊ اقام اتحاد الادباء العراقيين في بغداد احتفالا بمناسبة مرور 25 سنة على وفاة الشاعر جميل صدقي الزهاوي .

❊ توفيت في بغداد السيدة زكية الزهاوي . زوجة الشاعر العراقي الفقيد جميل صدقي الزهاوي .

❊ صدر في بغداد الجزء الثامن من كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » لمؤلفه الدكتور جواد علي . الذي تولى نشره المجمع العلمي العراقي .

❊ صدر في هذه الايام كتاب « صفحات من حياة الرصافي وأدبه » للكاتب العراقي هلال ناجي . وفيه نماذج من شعر الرصافي لم يسبق نشرها .

❊ تبحث وفد من احدى الجامعات الامريكية امكانية تأسيس جامعة امريكية بالاردن على غرار الجامعة الامريكية ببيروت والجامعة الامريكية

* كلف لجنة الترجمة والتبادل الثقافي بمجلس الفنون والآداب بدمشق الدكتور جودت الركابي باعداد كتاب بشرح الحركة الفكرية من زاوية التبادل الثقافي

* اصدر انور جحاري رئيس النيابة العامة بالقاهرة كتابا بعنوان « من الشرق الى الغرب » قدم فيه جوله فكرية فى باريس ولندن وجنيف وابينا .

* وزعت الكتابه العامة التابعة لجامعة الدول العربية على الدول الاعضاء تقريرا أعدته لجنة خاصه فى جامعه الازهر تقضي بتوحيد الاهلة

* وصلت الى نزار قباني اتهامات بنت الشاطىء ، بسرقة قصيدة « وحدة » من شاعر فرنسي . وقد اعترف نزار انه اخذ القصيدة فعلا من الشاعر الفرنسي ليثبت ان الشعر العربي يمكن ان يتسع للاحاسيس الصغيرة . وقال نزار انه لم يقل لاحد أبدا أن هذه القصيدة بلا أصل فرنسي .

* « صوت العرب فى لواء أسكندرونة » كتاب جديد يصدر فى دمشق للاستاذ زكي الارسوزي .

* قررت لجنة التبادل الثقافي فى الاقليم الشمالي العمل على نشر الثقافة العربية فى دول امريكا اللاتينية بتاليف كتاب يعرض صورا مختارة من الابداع العربى فى ميادين الادب والفكر ، وترجمة بعض الآثار الادبية والفكرية الى اللغة الاسبانية .

* تعد الكاتبة ليلى بعلبكي روايه عن فتاة شرقية تعيش بين أضواء باريس . والمؤلفة تقيم الآن فى باريس

* أقامت دمشق احتفالا كبيرا بمناسبة مرور تسعمائة عام على ميلاد الامام ابى حامد الغزالى .

* ترجم الاديب ال... زى بديع حقي خمسة كتب لطاغور

* تقرر انشاء مسرح فى دمشق وآخر فى حلب يتسع كل منهما لـ 800 شخص . وتقرر كذلك انشاء معهدين موسيقيين فيهما .

* « اشياء عذبة » مجموعة شعرية للشاعر صالح درويش صدرت اخيرا فى دمشق .

* انهى الدكتور احمد السمان عميد كلية الحقوق بدمشق ترجمة المصطلحات الاقتصادية والعلمية التي تضمنها المعجم الاقتصادي الفرنسي .

* نعت دمشق الدكتور مرشد خاطر ، عضو المجمع العلمى العربي بدمشق .

* سيصدر الاستاذ احمد عبد المجيد الغزالي ديوان ابى نواس محققا على النسخة الاصلية الوحيدة ويذكر المؤلف ان اصدار هذا الديوان سيثير ضجة

* اصدر الاديب الحلبي مظفر سلطان اخيرا مجموعة قصص قصيرة بعنوان « ضمير الذئب » .

* اقترحت لجنة الشعر بالاقليم الشمالي اقامة نصب تذكاري للشاعر أبى تمام وانشاء مكتبة باسمه فى بلدة « جاسم » .

* « لا تظلمه يا أمي » رواية جديدة تصدر قريبا لعبد الرحمن القادر الحلبي .

* تحتفظ الاديبة كوليت الخوري بمجموعة رسائل نزار قباني اليها ، هذه المجموعة النثرية لاتقل عن قصائده روعة استودع فيها خواطره بالنسبة للحياة والادب والفكر والتاريخ والحب . كانت هذه الرسائل متصلة بين الشاعر والاديبة الى ان عاد من الصين . وتبذل محاولات لاقناع كوليت بنشر هذه الرسائل .

* تصدر للكاتب والقصاص الدكتور عبد السلام العجيلي قريبا كتاب جديد بعنوان « دعوة للسفر » وهو الجزء الثاني من كتابه المعروف « حكايات الرحلات » . وقد سجل فى هذين الكتابين انطباعاته خلال الجولات التى يقوم بها كل عام تقريبا فى اوربا .

* تقرر اقامة تمثالين للزعيم ابراهيم هنانو وابى العلاء المعرى فى دمشق والمعرة .

* اصدرت دار الثقافة اللبنانية دراسة علمية للدكتور احسان عباس عن تاريخ الادب الاندلسي فى عصر سيادة قرطبة .

* تسلم الشاعر القروي رشيد سليم الخوري شيكا من فرع بنك مصر بلبنان بمبلغ 000 2 جنيه

* لم تشهد سوق الكتب الفرنسية فى السنوات الاخيرة مثل التوزيع والرواج اللذين احرز عليهما كتاب « حرب الجزائر » لجول روى .

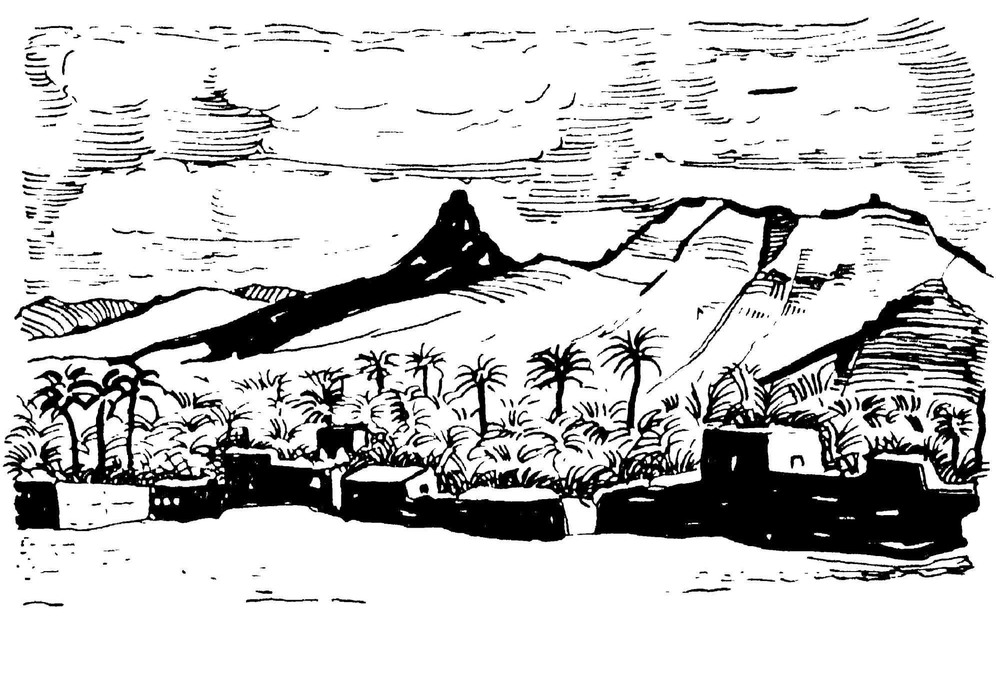
* تقرر بناء مكتبة عامه فى مدينة لونون البريطانية ليس لها مثيل فى العالم فقد خصصت للمراهقين والاطفال وقسمت بطريقة جديدة .

* توفي اخيرا الكاتب الفرنسي اميل هنرى عضو الاكاديمية الفرنسية .

* اصدر الكاتب الايطالي البرتو مورافيا رواية جديدة بعنوان « السأم » اثارت ضجه عنيفة لانها تناولت قصة حب عنيفة .

* فى احصاء جديد عن عدد الكتب المطبوعة فى بريطانيا ، ثبت ان ما طبع منها فى العام الماضي بلغ سبعين مليون كتاب بينما كان عدد المطبوعات منها منذ خمس سنوات نحو خمسه وعشرين مليون كتاب .

* صدرت فى جامعه اكسفورد مجلة مخصصة فى نقد محاضرات الاساتذة والتعليق عليها .



بالقاهرة – ويدرس الوفد أحوال خريجي الجامعيين المذكورين في الدول العربية .

* أصدر الاديب الاردني خالد المحادين مجموعة قصصية بعنوان « سمي انها عذراء » وهي تضم ثلاث قصص فريدة من نوعها في الادب العربي .

* أسست الحكومة السعودية جامعة للدراسات الاسلامية في المدينة المنورة . وعين الملك سعود الشيخ محمد بن حركان رئيسا لها .

* « دموع وتوبة » ديوان جديد صدر للشاعر السعودي حسن الصرفي .

* « وطن الخالدين » كتاب جديد يعده للطبع الكاتب السعودي محمد حسن عواد . يتناول فيه بالدراسة سيرة الجزيرة العربية ثم الوطن العربي الكبير

* طلبت امارة قطر تأييد ترشيحها لعضوية اليونسكو . وقررت الدول العربية دعم هذا الترشيح. والسعي لدى الدول الاعضاء لقبول عضوية امارة قطر في هذه المنظمة .

* أصدر القاص الهندي المعروف أندرو سالكي مجموعة قصصية عن جزر الهند الغربية . قال عنها النقاد انها تمثل مجموعة من القدرة الاصيلة تنبعث من أرض ليس لها تقاليد أدبية . وتصور هذه القصص ملامح من الحياة في الهند الغربية تمتاز بالوضوح والنقاء وتأخذ لب القارئ .

* قام ريتشارد ترسي المؤلف والشاعر الانجليزي بجولة في الهند انفقها المؤلف في دراسة آثار طاغور . ويعتبر ريتشارد من المختصين في أدب طاغور وفلسفته .

* صدرت اوامر الى المعنيين بالامر في الصين الشعبية لحفظ الآثار ذات القيمة التاريخية والعلمية والادبية . وقد امر مجلس الدولة الصينية بالسهر على 180 مدينة تاريخية تضم بنايات وقبورا عريقة في القدم .

* عقد أخيرا في أبيدجان المؤتمر الاول للنساء والامهات الافريقيات .

* أصدرت احدى دور النشر في يوغسلافيا ترجمة كتاب « الايام » لطه حسين .

* « بابل في كل مكان » كتاب جديد للكاتب الالماني فولف ساندر عالج فيه تطور المدن في العالم منذ نشأتها متعرضا في سياق ذلك للمشاريع الجديدة لتشييد المدن في المستقبل .

* يعتبر أرنست روفولت الذي توفي أخيرا في هامبورج عن 73 سنة ، أشهر ناشر في المانيا ، فهو مؤسس وصاحب دار النشر المسماه « رو – رو – رو » التي تعاملت مع كبار كتاب العالم منذ 1908 حتى الآن . ونشرت بالالمانية مؤلفات فولكنر وتوماس وولف وهمنجواي وسنكلير لويس وغيرهم . وكان الناشر روفلت يفخر بانه نشر مؤلفات لاربعين كاتبا كلهم حصلوا على جائزة نوبل ، كما نشر مؤلفات أخرى لاربعين أصبحوا من الكتاب العالميين .

* عثرت بعثة أثرية المانية على قبر بالقرب من ازمير ، على شاطئ البحر الابيض يعتقد بانه قبر يوحنا .

* « الحضارة العربية وأثرها في الحضارة الغربية » كتاب جديد أصدرته المستشرقة الالمانية الدكتورة زيجريد هونكه . أوضحت فيه أن أوربا عاشت مدة طويلة تتلقى العلوم والفنون عن المعلمين

* أقيمت في موسكو أمسية أدبية بمناسبة بلوغ الكاتب اللبناني مارون عبود الخامسة والستين من عمره . وقد قدم دانيال يوسوبوف العضو في معهد الشعوب الاسيوية بأكاديمية العلوم تقريرا عن حياة مارون عبود وعن انتاجه الادبي فوصفه بانه يمثل باتقان الادب العربي المعاصر . ويعبر في مؤلفاته عن أفكار وأماني الشعب .

* عقد مؤخرا في بروكسل مؤتمر في موضوع « دور جمعيات الآباء والمعلمين في التوجيه النفسي »

* « السفر » رواية تمثل على مسرح فرنسي للشاعر المسرحي اللبناني جورج شحادة .

* توفي العالم الفرنسي جولي بوردنط الحائز على جائزة نوبل للعلوم لسنة 1919 .

فهرس العدد السابع ـ السنة الرابعة

الصفحة